

لجزم في خط العرب

في عصور العرب الزاهرة

للشيخ الأول

العصر الحلي، عصر صدر الإسلام

تأليف

أحمد زكي صفوت

استاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

كل الحقوق محفوظة

الطبعة : محمد بن عمران

٥٣٥

٥٣٥

٥٣٥

٥٣٥

٥٣٥

٥٣٥

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم على ما أوليتني من نعمك السابغة ، وآلائك الضافية ، وأصلى
وأسلم على رسولك المجتبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
• وبعد : فلامراء أن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة مرآة يتجلى فيها
مأجدهم الله من ذلاقة اللسان ، وعذوبة البيان ، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم ،
وثمرات ألبابهم ، في كثير من مناحي القول ، وإنها لتعدّ - بعد القرآن الكريم
والحديث الشريف - مثالا ساميا للبلاغة العربية ، ونموذجا قويا يحتذيه المتأدب
في تقويم قلمه الموهب ، وشحذ لسانه الكليل ، وهي فوق ذلك معين فياض
يستقى منه مؤرخ الأدب العربي ما يعين له من آراء ، ومادة غزيرة يستنبط منها
ما يقفه عليه البحث من فكر .

وقد نظرت فوجدت تلك الخطب مبعثرة متشورة في كتب الأدب والتاريخ ،
لا يؤلف بينها نظام ، ولا يضم أشباتها كتاب ، فإذا ما شئت أن تتعرف صورة
الخطابة في عصر من العصور ، أو تترجم لخطيب من خطباء العربية ، ألفت
الطريق أمامك وعرة شائكة ، وأنفقت وقتا مديدا في التنقيب عن خطبه في

والعافية ، حتى أصدر ما اعتزمت إصداره بعد تمام هذا الكتاب إن شاء الله ،
وهو كتاب :

جمهرة رسائل العرب ، في عصور العربية الزاهرة

کی تکمل حلقہ النثر العربی فی تلك العصور، إنه المستعان ، علیه توکلت
والیه أنیب مے

أحمد زکی صفوت

حرر بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ
يوليو سنة ١٩٣٣ -



فهرس

مآخذ الخطب فى هذا الجزء

-
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « الرابع - السابع - الثامن - الحادى
: عشر - الرابع عشر - الخامس عشر
صبح الأعشى لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - الثانى
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « الثالث - الخامس - السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
العقد الفريد : لابن عبد ربه : « « - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « «
البيان والتبيين : للجاحظ : « « - الثانى - الثالث
نهج البلاغة : للشريف الرضى : « «
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول - الثانى
تجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « « - «
جمهرة الأمثال : لأبى هلال العسكري : « « - «
خزانة الأدب : لعبد القادر البغدادى : « «

تاريخ الأمم والملوك : لأبي جعفر بن : الجزء الثاني - الثالث - الرابع - الخامس -

جرير الطبرى : السادس

تاريخ الكامل : لابن الأثير : الجزء الأول - الثاني - الثالث

مروج الذهب : للمسعودى : » » - الثاني

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : » »

المختصر فى أخبار البشر : لأبى الفداء : » »

معجم البلدان : لياقوت الحموى : » الثامن

سيرة النبى ﷺ : لابن هشام : » الأول - الثانى

السيرة الحلبية : لابن برهان الدين الحلبي : » »

إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى :

بلاغات النساء : لابن أبى طاهر طيفور :

شرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون :

لابن نباتة المصرى :

أنباء نجباء الأبناء : لابن ظفر المسكى :

المحاسن والأضداد : للجاحظ :

الشعر والشعراء : لابن قتيبة :

شرح قصيدة ابن عبدون : لابن بدرون :

بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى : الجزء الأول - الثالث

الألوسى :

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

البَابُ الْأَوَّلُ

الخطبة الوصائية

في

العصر الحجلي

اصلاح مرشد الخير

يَبْنَى سُبَيْعَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَبَيْنَ مَيْثَمَ بْنَ مُثَوِّبٍ

كان مرشد الخير بن يَنْكَفَ قَيْلًا ، وكان حَدِيدًا على عشيرته ، مجبًا لصلاحهم ، وكان سُبَيْعَ بْنَ الْحَارِثِ ^(١) ومَيْثَمَ بْنَ مُثَوِّبِ بْنِ ذِي رُءَيْنٍ تنازعا الشرف ، حتى تشاحنا ، وخيف أن يقع بين حييها شرٌّ ، فیتفانى جذماهما ^(٢) ، فبعث إليهما مرشدًا ، فأحضرهما ليصلح بينهما ، فقال لهما :

[١] أخو علس ، وعلس هو ذو جَدَن .

[٢] الجذم : الأصل ، وكذا الجذر

١ - مقال مرثد الخير

إِنَّ التَّخَبُّطَ ^(١) وَأَمْتِطَاءَ الْهَجَاجِ ^(٢) ، وَاسْتِحْقَابَ ^(٣) الْأَجَاجِ ، سَيَقْفُكُمْ
عَلَى شَفَا هُوَّةٍ ، فِي تَوَرُّدِهَا ^(٤) بَوَارِ الْأَصِيلَةِ ^(٥) ، وَانْقِطَاعِ الْوَسِيلَةِ ، فَتَلَاثِيَا
أَمْرَكُمْ قَبْلَ أَنْ تِكَاثَ ^(٦) الْمَهْدِ ، وَانْحِلَالِ الْعَقْدِ ، وَتَشْتَتِ الْأَلْفَةِ ، وَتَبَايُنِ
السُّهُمَةِ ^(٧) ، وَأَنْتُمْ فِي فُسْحَةِ رَافِهِةٍ ^(٨) ، وَقَدَمِ وَاطِدَةٍ ^(٩) ، وَالْمَوَدَّةِ مُثْرِيَةٍ ^(١٠) ،
وَالْبُقْيَا مُعْرِضَةٍ ^(١١) ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ : مِمَّنْ
عَصَى النَّصِيحَ ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَعَ إِلَى التَّقَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آتَتْ إِلَيْهِ
عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورُ ^(١٢) أُمُورِهِمْ ، فَتَلَاثُوا الْقُرْحَةَ ^(١٣)
قَبْلَ تَفَاقُمِ الثَّأْيِ ^(١٤) ، وَاسْتِفْحَالِ ^(١٥) الدَّاءِ ، وَإِجْوَازِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سُفِكَتِ
الدِّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّخْنَاءُ ، تَقَضَّيَتِ ^(١٦) عُرَى
الْإِبْقَاءِ ، وَشَمِلَ ^(١٧) الْبَلَاءُ .

٢ - مقال سبيع بن الحرث

فَقَالَ سَبِيعُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ عَدَاوَةَ بَنِي الْعَمَلَاتِ ^(١٨) لَا تُبْرِئُهَا الْأُسَاةُ ^(١٩) ،

[١] التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشتر خاصة ، أو السير على غير هدى . [٢] ركب فلان هجاج (غير مصروف) ، ووهاج منبأ على الكسر : أى ركب رأسه . [٣] الاستحقاب : استفعال من الحقية أو من الحقاب ، فأما الحقية ، فما يحمل الرجل فيه متاعه من خرج أو غيره ، والحقاب : برى تشدد به المرأة وسطها (والبرى خيط فيه لوان) ، وهذا مثل : إما أن يكون أراد أنه احتزم بالهجاج أو جعله في وعائه . [٤] التورد : الإشراف على الماء وغيره ، دخله أو لم يدخله . [٥] الأصل . [٦] انتقاص : (والأنكاث جمع نكت ، وهو ما نقض من الجبال ليعاد ثانية) . [٧] القراية . [٨] ناعمة من الرفاهية . [٩] ثابتة . [١٠] متصلة . [١١] ممكنة قد أمكنت من عرضها ، أى من جنبها وناحيتها ، يقال قد أعرض لك الطبي فارمه ، أى أمكك من عرصه . [١٢] طاقية . [١٣] الجرح . (١٤) كالسمى والثرى : الإفساد والجراح والقتل ونحوه . [١٥] اشتداده ، وهو أن يصير مثل الفحل . [١٦] تقطعت . [١٧] من بابى فرح ونصر . [١٨] العلة : الصرة ، وهو العلات بنو أمهات شتى من رجل واحد ، (والأخفاف : من أمهم واحدة والآباء شتى) . [١٩] جمع آس ، وهو الطبيب .

وَلَا تَشْفِيهَا الرُّقَاةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ ^(١) بِهَا الْكَفَاةُ ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ ، هُوَ الدَّاءُ
الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْدِنَا هُوَ لَا ، أَنَا لَهُمْ رِذِيَّةٌ ^(٢) إِذَا رَهَبُوا ، وَغَيْثٌ إِذَا
أَجْدَبُوا ، وَعَضُدٌ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْزَعٌ إِذَا نُسَكِبُوا ، وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :
إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأُمْنَا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالِينَ أُمَّ وَلَا أَبُ »

٣ — مقال ميثم بن مشوب

فَقَالَ مِيثَمُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ مَنْ نَفَسَ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الزَّعَامَةَ ، وَجَدَ بِهِ ^(٣)
فِي الْمَقَامَةِ ^(٤) ، وَأَسْتَكْثَرَ لَهُ قَلِيلَ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا ^(٥) بِالْمَلَامَةِ ،
وَمُؤَنِّبًا عَلَى تَرْكِ الْأَسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُ لَهُمْ بَبَدٍ إِلَّا وَقَدْ نَاهَهُمْ مِنَّا
كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُ لَهُمْ حَسَنَةً إِلَّا وَقَدْ تَطَلَّعَ مِنَّا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا ، وَلَا
يَتَفَيَّأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظِلٌّ نِعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قُوبِلُوا بِشَرِّهَا ^(٦) ، وَنَحْنُ بَنُو فَحْلٍ
مُقَرَّمٌ ^(٧) ، لَمْ تَقْعُدْ بِنَا الْأُمَمَاتُ وَلَا بِهِمْ ، وَلَمْ تَنْزِعْنَا أَعْرَاقُ السُّوءِ وَلَا إِيَاهُمْ ،
فَعَلَامَ مَطَّ ^(٨) الْخُدُودِ ، وَخَزَرُ الْعُيُونِ ^(٩) وَالْجَحِيفُ ^(١٠) وَالْتَّصَعْرُ ، وَالْبَأْوُ
وَالْتَّنَكْبُزُ ؟ أَلِكَثْرَةِ عَدَدٍ ، أَمْ لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أَمْ لِبَطُولِ مُعْتَقِدٍ ^(١١) ؟ وَإِنَّا
وَإِيَاهُمْ لَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لَا هِ ابْنُ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي ^(١٢)
وَمَقَاطِعُ الْأُمُورِ ثَلَاثَةٌ : حَرْبٌ مُبِيرَةٌ ^(١٣) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مُدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ ^(١٤) »

[١] تنهض بها وتحملها . [٢] عون . [٣] عابه . [٤] المجلس . [٥] حليفاً .
[٦] مثلها . [٧] القرم : السيد ، وأقرمه : جعله قرماً . [٨] مد . [٩] الحرر أن
ينظر الرجل إلى أحد عرضيه . يقال إنه ليتحاررلى : إذا نظر إليه بتؤخر عينه ولم يستقبله بنظره .
[١٠] التكبر ، وكذا البأو . [١١] اعتقد ضيعة ومالا : اقتناها . [١٢] لا : أراد الله ، لخوف
اللام الحافضة اكتفاء بالتي تليها ، والديان القائم بالأمر ، وتخزوني : تسوسى . [١٣] مهلكة .
[١٤] مسطرة وغفران .

٤ — مقال مرثد الخير

فَقَالَ الْمَلِكُ : « لَا تُنْشِطُوا ^(١) عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقِحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ ^(٢) ، وَلَا تُورِّثُوا ^(٣) نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، فَفِيهَا الْمَتْلَفَةُ الْمُسْتَاصِلَةُ ، وَالْجَائِئِحَةُ ^(٤) وَالْأَلِيلَةُ ^(٥) ، وَعَفَّوْا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادَ ^(٦) الْكَلَمِ ، وَأَنِيبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبَلُ بِزَبْرِجٍ ^(٧) الْغُرُورِ ، وَتُدْبَرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةٍ
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرْتُ
فَلَا نَقْدَحًا زَنْدَ الْمُقَوِّقِ وَأَبْقِيَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرَبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا
فَإِنَّ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ
حَذَارِ ، فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنِهَا
فَقَالَا : لَا ، أَيُّهَا الْمَلِكُ . بَلْ نَقْبَلُ نُصْحَكَ ، وَنُطِيعُ أَمْرَكَ ، وَنُطْفِئُ النَّارَةَ ^(٨)
وَنَحُلِّ الصُّغَائِنَ ، وَنُثَوِّبُ إِلَى السَّلَامِ .
(الامالى ١ : ٩٢)

[١] نشط العقدة عقدها ، وأنشطها حاما ، والعقل كسكت جمع عقال ، وهو الحل .
[٢] هو مثل ، وأصله في الإيل ، يقال : لقيت الناقة إذا حملت ، وألفحها الفحل ، ثم ضرب ذلك مثلا للحرب إذا ابتدأت ، والعون جمع عون ، وهو الثيب . يقال للحرب عون إذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة .
[٣] تدكوا . [٤] الاستئصال . [٥] الشكل . [٦] الأبلاد : الآثار ، جمع بلد (كالدويع جمع ندب) . [٧] السحاب الذى تسفره الريح . [٨] النابذ . [٩] تفوتهم : تسقيهم الفواق (وهو ما بين الحلبتين) والدعاف : السم أو سم ساعة (وسم ذعاف) والمقشم : المخلوط .
[١٠] هو مثل ، أى لا تخرجوا نبيذتها ، وهو ما يخرج من البئر إذا حفرته : يريد لا تثيروا الحرب . وهكشما : مقطوعاً . [١١] العداوة والشجاء .

٥ - طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان يتفاخران عند بعض مقاول حمير

اجتمع طريف بن العاصي الدوسي ، والحرث بن ذبيان (وهو أحد المعمرين) عند بعض مقاول ^(١) حمير ، فتفاخرا . فقال الملك للحرث : يا حرث ، ألا تخبرني بالسبب الذي أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان ؟ فقال : أخبرك أيها الملك . خرج هجينان ^(٢) منا يرعيان غنما لهما ، فتشاولا ^(٣) بسيفيهما ، فأصاب صاحبهم عقب صاحبا ، فعاث ^(٤) فيه السيف ، فنزف ، ^(٥) فمات ، فسألونا أخذ دية صاحبا دية الهجين ، وهي نصف دية الصريح ^(٦) ، فأبى قومي ، وكان لنا رباهم ^(٧) عليهم ، فأيننا إلا دية الصريح ، وأبوا إلا دية الهجين ، فكان أسم هجيننا ذهين بن زبراء ، وأسم صاحبهم عنقش بن مهييرة ، وهي سوداء أيضا ^(٨) ، فتفاقم الأمر بين الحيين ، فقال رجل منا :

حُلومكم يا قوم لا تُعزِبُنَّهَا	ولا تقطعوا أرحامكم بالتدابِرِ ^(٩)
وأدُّوا إلى الأَقوام عَقْلَ ابنِ عمهم	ولا تُرهِّقوهم سُبَّةً في العِشائرِ ^(١٠)
فإنَّ ابنَ زبراء الذي فَادَ لم يكن	بدون خُلَيْفٍ أو أُسَيْدٍ بن جابر ^(١١)
فإن لم تُعاطوا الحقَّ فالسيف بيننا	وبينكم ، والسيف أجور جأر

[١] جمع مقول ، والقول والقليل هو الذي دون الملك الأعظم . [٢] الهجين : عربي ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه (والمقرب : الذي أمه عربية ، وأبوه ليس بعربي) .
[٣] تشاربا . [٤] أوسد . [٥] نزف الرجل إذا سال دمه حتى يصعب . [٦] الصريح : الحالس النسب . [٧] زيادة . [٨] كذا في الأصل ، ولم يتقدم الحكم على شيء بالمواد ، ولعل الأصل : « ذهين بن زبراء وهي سوداء » . [٩] لا تبعدها - وأعرب بعد وأبعد . [١٠] العقل : الدية ، يقال : عقلت فلانا إذا غرمت ديتسه ، وعقلت عن فلان إذا غرمت عنه دية جبايته . وأرهقته عسرا : كاذبه ذلك . [١١] فاد يفود : مات (وفاد يفيد : تبخر) .

تتظافروا^(١) علينا حسداً ، فأجمع ذوو الحِجْجِي منا أن نلحق بأمنع بطن من الأزد ،
لحقنا بالنعم بن عثمان ، فوالله ما فت^(٢) في أعضادنا ، فأبنا عنهم ، ولقد أثارنا^(٣)
ساحبتنا وهم راغمون .

فوثب طريف بن العاصي من مجلسه ، فجلس بإزاء الحرث ، ثم قال :
تالله ما سمعتُ كاليوم قولاً أبعد من صواب ، ولا أقرب من خطل^(٤) ،
ولا أجلب لقتل^(٥) ، من قول هذا ؛ والله أيها الملك ما قتلوا بهجيتهم بدجاً^(٦) ، ولا
رقوا به درجاً ، ولا أنطوا^(٧) به عقلاً ، ولا اجتفؤوا^(٨) به خشلاً^(٩) ، ولقد
أخرجهم الخوف عن أصلهم ، وأجلاهم عن محلهم ، حتى أستلوا خشونة الإزعاج ،
ولجئوا إلى أضيق الولا^(١٠)ج : فلا وذلاً .

فقال الحرث : أسمع يا طريف ، إني والله ما إخالك كافاً غريب^(١١) لسانك ،
ولا مهنئها^(١٢) شيرة نروانك ، حتى أسطوبك سطوبة تكف طماحك ، وترد
جياحك ، وتكبت تترعك^(١٣) ، وتقمع تسرعك .

فقال طريف : مهلاً يا حرث ، لا تعرض لطخمة^(١٤) استناني ، وذرب^(١٥)
سناني ، وغرب شبابي ، وميسم^(١٦) سبابي ، فتكون كالأظلل^(١٧) الموطوء ،
والعجب الموجه^(١٨) .

[١] تظافروا . [٢] أذهن وأضعف . [٣] أثارت : أدركت منه تأري (وأصله اثتأر) . [٤] خطأ .
[٥] الكلام المبيح ، أفزع له إذا أسمعته كلاماً قبيحاً . [٦] البذج : الحروف ، فارسي معرب .
[٧] لمة في أعطوا . [٨] صرخوا . [٩] الحشل : شجر المقل (الدوم) وهذه أمثال كلها ، يريد
أنهم لم يبالوا تأريه . [١٠] الولا^(١٠)ج الباب ، وجمعه الولج ، وهي أيضاً الواحى والأزقة . [١١] غرب الشيء حده .
[١٢] نهنه عن الأمر فتهنه كفه وزجره مكف ، والشرة : الحدة ، والنزوان : الوثوب . [١٣] الترسخ
إلى الشر . [١٤] طخمة السيل دفنته ، واستن الفرس قس وعدا لمرحه ونشاطه شوطاً أو شوطين ،
والاستنان النشاط ، استن الفرس حرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة . [١٥] الذرب الحدة ،
وكذا العرب . [١٦] المكواة . [١٧] الأظلل : أسفل حث المعير . [١٨] العجب : أصل الذنب
والموجه المدقوق (من وجأ النيس : دق عروق خصيه بين حجرين ولم يخرجهما ، شبيهاً بالحصاء) .

فقال الحارث: إياي تخاطب بمثل هذا القول ؟ فوالله لو وطئتكَ لَأَسَخْتُكَ^(١) ،
ولو وَهَضْتُكَ^(٢) لَأَوْهَطْتُكَ^(٣) ، ولو نَفَحْتُكَ^(٤) لَأَفَذْتُكَ .

فقال طريف متمثلاً :

وَإِنْ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَسَكَ النَّبْلُ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا
أَمَّا وَالْأَصْنَامُ الْمُحْجُوبَةُ ، وَالْأَنْصَابُ^(٥) الْمَنْصُوبَةُ ، أَيْ لَمْ تَرْبَعْ عَلَى ظِلْمِكَ^(٦) ،
وَتَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ ، لَأَدَعَنَّ حَزَنُكَ سَهْلًا ، وَغَمْرُكَ ضَحْلًا^(٧) ، وَصَفَاكَ^(٨) وَحْلًا .
فقال الحارث : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ رُمْتُ ذَلِكَ لَمُرَّغْتَ بِالْحَضِيضِ^(٩) ، وَأَغْصِضْتَ
بِالْجَرِيضِ^(١٠) ، وَضَاقَتْ عَلَيْكَ الرَّحَابُ ، وَتَقَطَّعَتْ بِكَ الْأَسْبَابُ ، وَلَأَلْقَيْتَ
لَتِي^(١١) تَهَادَاهُ الرِّوَامِسُ^(١٢) ، بِالسَّهْبِ الطَّامِسِ .^(١٣)

فقال طريف : دُونَ مَا نَاجَتْكَ بِهِ نَفْسُكَ ، مُقَارَعَةً أَبْطَالَ ، وَحِيَاضُ
أَهْوَالَ ، وَحَفْزَةً^(١٤) إِنْجَمَالَ ، يُنَمِّعُ مَعَهُ تَطَامُنُ الْإِمْتِهَالِ .
فقال الملك : إِيهًا^(١٥) عَنْكُمَا ، فَمَا رَأَيْتَ كَأَيُّومٍ مَقَالَ رَجُلَيْنِ لَمْ يَقْصِبَا^(١٦) ،
وَلَمْ يَثْلِبَا^(١٧) ، وَلَمْ يَلْمُصُوا^(١٨) ، وَلَمْ يَقْفُوا^(١٩) . (الأمالي ١ : ٧٣)

[١] أساخه : جعله يسبح (أر يسوخ في الأرض) أي يفوس . [٢] كسرتك .
[٣] صرعك صرعة لا تقوم منها . [٤] نفحه بسيفه : تناوله . [٥] الأنصاب : حجارة كانت
حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله تعالى ، وقيل الأنصاب حجارة نصبت وعبدت من دون الله
جمع نصب ، وقيل النصب جمع نصاب . [٦] ربع يربع : كف ، وظلع ظلماً غمز في مشيه ، واربع على
ظللك أي إياك ضعيف فأنته هما لا تطيقه وكف . [٧] الغمر : الماء الكثير ، والصحل : الماء القليل
(وكذا الضحاح) . [٨] الصفا جمع : صفاة وهي الحجر الصلد الضخم أو الصفا بمعنى الصفو .
[٩] أسفل الجبل . [١٠] الجريض : الغصاة من الجرض ، وهو الريق يفص به يقال جرض بريقه
يجرض اشلعه بالجهد على هم وحزن ، وفي المثل : حال الجريض دون القريس ، يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً
حين لا ينفع . قاله جوشن الكلابي حين منعه أبوه من الشجر فرض حزناً حتى أشرف ، فرق له وقال
انطق بما أحببت ، فقال ذلك . [١١] اللقي : الملقى المطروح . [١٢] الروامس : الرياح التي ترمس
أي تدفن [١٣] المستوى من الأرض ، والطامس . الدارس (كالطاسم) [١٤] الحفر : الدفع .
[١٥] إيهًا : كلمة زجر بمعنى حسبك (وإيه . أمر . كلمة استزادة واستنطاق) . [١٦] لم يقصبا .
قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصله القطع . [١٧] ثلبه : طابه . [١٨] لصاه : قذفه . [١٩] قماه :
قذفه بأمر عظيم .

٦ — منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين

لَمَّا أَسَنَّ أَبُو بَرَاء : عامر بن مالك بن جعفر بن مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ ، تنازع في
الرِّياسة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ
الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ .

فَقَالَ عَلْقَمَةُ : كَانَتْ لِحَدِّي الْأَحْوَصُ ، وَإِنَّمَا صَارَتْ لِعَمِكَ بِسَبَبِهِ ، وَقَدْ
قَعَدَ عَمِكَ عَنْهَا ، وَأَنَا اسْتَرْجَعْتُهَا ، فَأَنَا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَشَرِيَّ^(١) الشَّرُّ بَيْنَهُمَا ،
وَسَارَا إِلَى الْمَنَافَرَةِ . فَقَالَ عَلْقَمَةُ : إِنْ شِئْتَ نَافَرْتُكَ ، فَقَالَ عَامِرٌ قَدْ شِئْتُ .

وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْرُمُ مِنْكَ حَسَبًا^(٢) ، وَأُثْبِتُ مِنْكَ نَسَبًا ، وَأُطَوِّلُ مِنْكَ قَصَبًا^(٣) .
فَقَالَ عَلْقَمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَنَا خَيْرُ مِنْكَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَقَالَ عَامِرٌ : وَاللَّهِ لَا أَنَا أَحَبُّ
إِلَى نِسَائِكَ أَنْ أَصْبِحَ فِيهِنَّ مِنْكَ ، أَنَا أَنْحَرُ مِنْكَ لِلْقَاحِ^(٤) ، وَخَيْرُ مِنْكَ فِي
الصَّبَاحِ ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ فِي السَّنَةِ الشَّيَاحَ^(٥) .

فَقَالَ عَلْقَمَةُ : أَنَا خَيْرُ مِنْكَ أَثَرًا ، وَأَحَدُ مِنْكَ بَصَرًا ، وَأَعَزُّ مِنْكَ نَفَرًا ،
وَأَشْرَفُ مِنْكَ ذِكْرًا . فَقَالَ عَامِرٌ : لَيْسَ لِبْنِي الْأَحْوَصِ فَضْلٌ عَلَى بَنِي مَالِكٍ فِي
الْعَدَدِ ، وَبَصَرِي نَاقِصٌ ، وَبَصَرُكَ صَحِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكْتُ ، إِنِّي أُسَمِّيُ مِنْكَ
سُمَّةً^(٦) ، وَأُطَوِّلُ مِنْكَ قِمَّةً ، وَأَحْسَنُ مِنْكَ لِمَةً^(٧) ، وَأَجْعَدُ مِنْكَ مُجَّةً^(٨) ،

[١] استطار . [٢] الحسب : ما تده من مفاخر آبائك ، أو الشرف الثابت في الآناء أو الكرم
أو الشرف في الفعل أو الفعل الصالح . [٣] القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما كناية عن طول
قامته . [٤] الابل : واحدتها لقوح . [٥] الشياح : القعط . [٦] السمة : القرابة ،
ويروى أنا أشرف منك أمة ، أي أكثر قوما . [٧] اللمة : للشعر المخاوز شحمة الأذن .
[٨] مجتمع شعر الرأس

وَأَسْرَعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وَأَبْعَدُ مِنْكَ هِمَّةً . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : أَنْتَ رَجُلٌ جَسِيمٌ ، وَأَنَا رَجُلٌ قَصِيفٌ ^(١) ، وَأَنْتَ جَمِيلٌ ، وَأَنَا قَبِيحٌ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ بَابَائِي وَأَعْمَامِي . فَقَالَ عَامِرُ : أَبَاؤُكَ أَعْمَامِي ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَنَا فَرَكُ بِهِمْ ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ ، أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ عَقَبًا ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ جَدًّا . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ عَقَبًا ، وَقَدْ أَطْعَمْتَ طَيْبًا ، وَلَكِنِّي أَنَا فَرَكُ ، إِنِّي خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأُولَى بِالْخَيْرَاتِ مِنْكَ .

فَخَرَجَتْ أُمُّ عَامِرٍ - وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا - فَقَالَتْ : يَا عَامِرُ نَافِرُهُ ، أَيَكُمَا أُولَى بِالْخَيْرَاتِ . قَالَ عَامِرُ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرْكَبُ مِنْكَ فِي الْحُمَاةِ ، وَأَقْتُلُ مِنْكَ لِلْحُمَاةِ ^(٢) ، وَخَيْرٌ مِنْكَ لِلْمَوَالِي وَالْمَوْلَاةِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَبَرٌّ ، وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وَإِنِّي لَوْلَدٌ ، وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ ^(٣) ، وَإِنِّي لَعَفٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وَإِنِّي لَوَفِيٌّ ، وَإِنَّكَ لِعَادِرٌ ، فَقِيمٌ تُفَاخِرُنِي يَا عَامِرُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْزَلُ مِنْكَ لِلْقَفَرَةِ ^(٤) ، وَأَنْحَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ ^(٥) ، وَأَطْعَمُ مِنْكَ لِلْهَبْرَةِ ^(٦) ، وَأَطْعَنُ مِنْكَ لِلنُّغْرَةِ . فَقَالَ عُلْقَمَةُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَكَلِيلُ الْبَصَرِ ، نَسَكِدُ النَّظَرَ ، وَثَابُ عَلَى جَارَاتِكَ بِالسَّحَرِ .

فَقَالَ بَنُو خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا يَدُورُونَ مَعَ بَنِي الْأَحْوَصِ عَلَى بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ - لَنْ نَطِيقَ عَامِرًا ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُ أَنَا فَرَكُ بِخَيْرِنَا وَأَقْرَبِنَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . فَقَالَ لَهُ عُلْقَمَةُ هَذَا الْقَوْلُ ، فَقَالَ عَامِرُ : عَيْرٌ ^(٧) وَتَيْسٌ ، وَتَيْسٌ وَعَنْزٌ . فَذَهَبَتْ مِنْهَا . نَعَمْ ، عَلَى مِائَةِ مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى مِائَةِ مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ يُعْطَاهَا الْحَكَمَ ، أَيُّنَا نَفَرٌ

[١] نحيف من القطف ، وهو النحافة . [٢] جمع كمي ، وهو الشجاع . [٣] رجل عامر لم يولد له ولد . [٤] القفرة : القفر . الحلاء من الأرض . [٥] البكرة : الفتية من الإبل . [٦] الهبرة : قطعة مجتمعة من اللحم . هبره قطعه قطعاً كبيراً ، وهبر له من اللحم هبرة قطع قطعة . [٧] العير : الحمار وغالب على الوحشي ، وهو أقوى من التيس ، أي مثلي وإياك كالعير والتيس ، أو على الأقل كالتييس والعنز إذ التيس أقوى على النطح من العنز ، وفي المثل : « كان عنزا فاستتييس » أي صار تييساً . يضرب للذليل الضعيف يصير عزيزاً توباً .

عليه صاحبه أخرجهما ، ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنًا مِنْ أبنائهم عَلَى يَدَي رَجُل يُقَالُ لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْوَحِيد ، فسمى « الضَّمَمِينَ » .

وخرج علقمة وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي خَالِد ، وخرج عامر فيمن مَعَهُ مِنْ بَنِي مَالِك ، وجعلنا منافرتهمَا إِلَى أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّة ، فلم يَقْل بينهما شيئًا ، وكره ذلك لهما وحال عشيرتهما ، وقال أُنْتَمَا كَرَكَبْتِي الْبَعِيرَ الْأَذْرَمَ ^(١) ، قَالَا : فَأَيْنَا الْيَمِينُ ؟ قَالَ كِلَا كِلَا يَمِين ، وَأَبَى أَنْ يَقْضَى بينهما . فانطلقا إِلَى أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامِ فَأَبَى أَنْ يَحْكُمَ بينهما - وقد كَانَتِ الْعَرَبُ تَحْكُمُ إِلَى قُرَيْشٍ - فَأَتِيَا عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، فَأَبَى أَنْ يَقُولَ بينهما شيئًا ، فَأَتِيَا غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِي ، فَرَدَّهُمَا إِلَى حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّي ، فَرَدَّهُمَا إِلَى هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانِ الْفَزَارِي ، فانطلقا حَتَّى نَزَلَا بِهِ ، وقد سَاقَا الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشَدَّتْ وَأَرْبَعَتْ ، لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضَى بينهما ، فَقَالَ هَرَمُ : لِعَمْرِي لَا حَكْمَ بَيْنَكُمَا نَحْمُ لَا فُضَيْلَانِ ، فَأَعْطِيَانِي مَوْثِقًا أَطْمِئَنَّ إِلَيْهِ أَنْ تَرْضِيَا بِمَا أَقُول ، وتَسَلَّمَا لَمَّا قَضَيْتُمَا بَيْنَكُمَا ، وأمرهما بِالْأَنْصُرَافِ ، ووعدهما ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنْ قَابِلٍ ، فانصرفا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَجَلَ خَرَجَا إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ الْقَوْمُ عِنْدَهُ أَيَّامًا .

فَأَرْسَلَ هَرَمُ إِلَى عَامِرٍ فَأَتَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِهِ عَلْقَمَةُ ، فَقَالَ يَا عَامِرُ : قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ رَأْيًا ، وَأَنْ فِيكَ خَيْرًا ، وَمَا حَبَسْتُكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ إِلَّا لِأَنْتَنْصُرَفَ عَنْ صَاحِبِكَ ، أَتَنَافَرُ رَجُلًا لَا تَفْخَرُ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَّا بِأَبَائِهِ ! فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِهِ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ فَقَالَ عَامِرُ : نَشَدْتُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ أَنْ لَا تَفْضَلَ عَلَيَّ عَلْقَمَةَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ

[١] درم المظلم : واره اللحم حتى لم ين له حجم ، وامرأة درماه لاستبين كموبها ومرافقها ، وكل ما غطاه اللحم واللحم وخفى حجمه فند درم .

فعلت لا أقْلِحُ بعدها أبداً . هذه ناصيتي فاجزئها واحتكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلا ، فسوّ بيني وبينه ، قال : انصرف ، فسوف أرى رأيي . فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينقره ^(١) عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر ، فأتاه ، وقال له مثل ما قال لعامر ، فرد عليه علقمة بما رد به عامر ، وانصرف وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامراً . ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أبيه : إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشرين جزائر ، فلينجّرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم عشرين جزائر ، ينجرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، وأصبح هرم فجلس مجلسه ، وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام هرم فقال : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتا البعير الأدرم : تقمان إلى الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ماليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم هرم ، وفرقوا الناس ، ولم يفضل هرم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل ، وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

(الأعاني ١٥ : ٥١ ، وصح الأعشى ١ : ٣٨٢ ، وشرح الديون ١٠٦ ، والعمدة ١ : ٢٨)

أشراف العرب بين يدي كسرى

قال كسرى ^(٢) للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع ، فالبيت من قبيلته فيه ، ويدسب إليه ، قال فاطلب ذلك ، فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة ابن بدر ، وآل حاجب بن زُرارة ، وآل ذي الجدين ، وآل الأشعث بن قيس بن كندة ،

[١] أنقره عليه ونقره عليه : فضى له عليه بالملبة .

[٢] • وكسرى أبو شروان حكم من سنة ٥٣١ إلى ٥٧٨ ميلادية .

فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم ، وأقعد لهم الحكم والعدول ، وقال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان السن القوم ، فقال :

٧ — مقال حذيفة بن بدر الفزاري

« قد عامت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والأعز الأعظم ، ومأثرة^(١) للصنيع الأكرم ، فقال من حواه : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال : ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام ، قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتِ الْعِزِّ ، وَالْعِزُّ فِيهِمْ	فَزَارَةُ قَيْسٍ ، حَسْبُ قَيْسٍ نِضَالُهَا
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَمَسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي	بَنَاهُ لِقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا
فَهِيَّاتٍ قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ	مَآثِرُ قَيْسٍ تَجِدُهَا وَفَعَالُهَا
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ	إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالُهَا
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لِدَاكُ جَمِيعُهَا	وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

٨ — مقال الأشعث الكندي

ثم قام الأشعث الكندي - وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرباه من النعمان بن المنذر - فقال : قد عامت العرب أنا نقاتل عديدها الأكث ، وزحفها الأكبر ، وإنا إغياث الكرمات ، ومعدن المكرمات ، قالوا : ولم يا أخا كندة ؟ قال : لأنا ورثنا ملك كندة ، فاستظللنا بأفيائه^(٢) ، وتقلدنا منكبيه الأعظم ، وتوسطنا بمحبوحيه الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال :

إِذَا قَسَتْ أَيْبَاتُ الرِّجَالِ بَيْتَنَا وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يَفَاخِرُ

[١] المأثرة بالفتح والضم : المكرمة المتوارثة . [٢] جمع في ، وهو ما كان شمساً وينسجه الظل .

فَنَ قَالَ كَلَّا ، أَوْ أَتَانَا بِمُخْطَئَةٍ يُنَافِرُنَا فِيهَا فَنَحْنُ نَخَاطِرُ
تَعَالَوْا قَفُوا كَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَيُّنَا لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثْتَهُ الْأَكْبَرُ

٩ - مقال بسطام الشيباني

ثم قام بسطام الشيباني ، فقال : قد علمت العرب أنا بُنَاةُ بَيْتِهَا الَّذِي
لَا يَزُولُ ، وَمَغْرَسُ عِزِّهَا الَّذِي لَا يَحُولُ ، قَالُوا وَلِمَ يَا أَخَا شَيْبَانَ ؟ قَالَ لِأَنَّا
أَذْرَكْنَاهُمُ لِلنَّارِ ، وَأَضْرَبْنَاهُمُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَأَفْوَمْنَاهُمُ لِلْحَكَمِ ، وَأَلْدَّيْنَاهُمُ لِلْخَجْمِ ،
ثم قام شاعرهم ، فقال :

لَعَمْرِي بِسْطَامٍ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا	وَأَوَّلُ بَيْتِ الْمَنْزَرِ عِزُّ الْقَبَائِلِ
فَسَائِلُ - أَيْبَتِ اللَّعْنِ - عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا	إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلِ ^(١)
أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً	وَأَضْرَبْنَاهُمْ لَلْكَبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ^(٢)
وَقَائِعُ غُرٍّ كُلُّهَا رَبْعِيَّةٌ	تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْمَحَافِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يَنْكُرِ النَّاسُ فَضْلَهَا	وَعَادَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلِ ^(٣)
وَمِنَا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ	إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

١٠ - مقال حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زُرَّارَةَ التَّمِيمِي ، فقال : قد علمت مَعَدُّ أَنَا فَرَعٌ^(٤) دِعَامَتِهَا ،
وَقَادَةُ رَحْفَتِهَا ، قَالُوا : وَلِمَ ذَاكَ يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، قَالَ : لِأَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ عَدِيدًا ،
وَأَنْجَبُهُمْ طُرًّا وَلِيْدًا ، وَأَنَا أَعْطَاهُمُ لِلْجَزِيلِ ، وَأَتَحَمَّلُهُمْ لِلنَّقِيلِ ، ثم قام
شاعرهم ، فقال :

[١] أَيْبَتِ اللَّعْنِ : تَحِيَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَيْ أَيْبَتُ أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا تَلْعَنُ عَلَيْهِ . وَالْمُنَاقِلَةُ وَالْمُنَاقِلُ : أَنْ تَحْدُثَ
آخَرُ وَيَحْدُثُكَ . [٢] الْكَبْشُ : سَيِّدُ الْقَوْمِ وَفَائِدُهُمْ . [٣] لَاجِءٌ ، مَنْ وَأَلَّ لِمَالِهِ يَثُلُ وَأَلَّا .
[٤] نَوْعُ كُلِّ شَيْءٍ : أَعْلَامُهُ .

لقد علمت أبناء خندف أننا لنا العز قدما في الخطوب الأوائل ^(١)
 وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
 فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذى فعال ونائل ^(٢)
 فسائل (أيتت اللعن) عنا فاننا دعائم هذا الناس عند الجلائل ^(٣)

١١ — مقال قيس بن عاصم السعدى

ثم قام قيس بن عاصم السعدى ، فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم فى
 المكرمات دعائم ، وأثبتهم فى النائبات مقادير ، قالوا : ولم ذاك يا أخا بنى سعد ؟
 قال : لأننا أذر كهم للشار ، وأمنعهم للجار ، وأنا لا ننك كل ^(٤) إذا حملنا ،
 ولا نرام إذا حملنا ، ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيس وخندف أننا وجل تميم والجميع الذى ترى ^(٥)
 بأننا عماد فى الأمور وأنا الشرف الضخم المركب فى الندى
 وأنا ليوث الناس فى كل مازق إذا جز بالبيض الجماجم والطلا ^(٦)
 فمن ذا اليوم الفخر يعدل عاصما وقيسا إذا ررت ألوف إلى العلا
 فهيهات قد أعياء الجميع فمالهم وقاهوا يوم الفخر مسعاة من سعى
 فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حبياءهم ،
 وأعظم صلاتهم ، وكرم ما بهم .
 (صح الأعشى ١ : ٣٧٧)

[١] خندف : هى أم مدركة وطابخة وقعة أبناء الياس بن مصر بن تزار بن معد بن عدنان .

[٢] العمال : اسم الفعل الحسن ، والكرم . [٣] أى الأمور الجلائل جمع جلية .

[٤] لا تكس ولا نجبن . [٥] قيس بن صيلان بن مصر . [٦] الطلا : جمع طلية ،

وهى العنق .

وفود العرب على كسرى

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى - وأخذته عزّة الملك - يا نعمان ، لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يقدّم على من وفود الأمم ، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيائها ، وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ، ويردّ سفيها ، ويقيم جاهلها ، ورأيت الهند نخوا من ذلك في حكمتها وطبها ، منع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أسجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها ، وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها ، وفروسياتها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وأن لها ملوكاً يجمعها ، والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرّيف ^(١) والثمار والحصون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك تضمّ قواصمهم ، وتدبر أمرهم ، ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ، ولا حزم ولا قوّة ، ومع أن مما يدلّ على مهانتها وذلتها ، وصغر همتها تحيّلتهم ^(٢) التي همّ بها مع الوحوش النافرة ، والطير الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة ، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها ، فأفضل طعام ظفّر به باعهم لحوم الابل ، التي يعافها كثير من السماع ، لنقمتها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضيقاً عدّها مكربة ، وإن أطعم أكله عدّها غنيمة ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه النوحية التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّت مملكتها ، ومنعها من عدوّها ، فجري لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن لها مع ذلك آثاراً ولَبَوساً ^(٣) ، وقرى وحصونا ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس - يعني اليمن - ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الدّلة والقِلّة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن

[١] الرّيف : أرض فيها زرع وخصب ، والسّعة في المأكل والمشرب . [٢] حل المكان وبه يحل الكسبر والغنم . [٣] الدرع . . .

تنزلوا فوق مراتب الناس ، قال النعمان : أصلح الله الملك . حُقَّ^(١) لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها ، إلا أن عندى جواباً في كل ما نطق به الملك ، في غير ردّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتنى من غضبه نطق به ، قال كسرى : قل فأنت آمن .

١٢ — خطبة النعمان بن المنذر

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك ، فليست تنازع في الفضل ، أو وضعها الذي هي به : من عقولها وأحلامها ، وبسطة محلها ، وبجُبُوحِ عزّها ، وماء كرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت ، فأى أمة تقرّئها بالعرب إلا فضلتها . قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان : بعزّها ، ومنعتها ، وحسن وجوهها ، وبأسها ، وسخائها ، وحكمة أسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفتها ، ووفائها . فأما عزّها ومنعتها ، فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ، وبهأدهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور . وأما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم : من الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترک المشوّهة ، والروم المقشّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم ليُسأل عن وراء أبيه دُنياً^(٢) ، فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يسمى آباه أبا فاباً ، حاطوا بذلك

[١] حق لك أن تفعل كذا وحققت أن تعمله بمعنى . [٢] هو ابن عمي دياً بضم الدال وكسرهما مع النون ، وكسرهما لا تنون : أى لما .

أَحْسَابَهُمْ ، وَحَفِظُوا بِهِ أَنْسَابَهُمْ ، فَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ فِي غَيْرِ قَوْمِهِ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى غَيْرِ نَسَبِهِ ، وَلَا يُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ .

وَأَمَّا سَخَاؤُهَا ، فَإِنْ أَدْنَاهُمْ رَجُلًا ، الَّذِي تَكُونُ عِنْدَهُ الْبَكْرَةُ وَالنَّابُ^(١) ، عَلَيْهَا بَلَاغُهُ^(٢) فِي جُمُوعِهِ^(٣) وَشَبَعِهِ وَرِيَّةٍ ، فَيَطْرُقُ الطَّارِقُ ، الَّذِي يَكْتَفِي بِالْفِلْذَةِ^(٤) ، وَيَجْتَزِي بِالشَّرْبَةِ ، فَيَعْقِرُهَا لَهُ ، وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دُنْيَاهُ كُلِّهَا فِيمَا يَكْسِبُهُ حَسَنُ الْأُحْدُوثَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ .

وَأَمَّا حِكْمَةُ أَلْسِنَتِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَرَوْنَقِ كَلَامِهِمْ ، وَحُسْنَهُ وَوَزْنَهُ وَقَوَافِيهِ ، مَعَ مَعْرِفَتِهِمُ الْأَشْيَاءَ ، وَضَرْبِهِمُ لِلْأَمْثَالِ ، وَإِبْلَاغِهِمْ فِي الصِّفَاتِ ، مَا لَيْسَ لَشَيْءٍ مِنَ أَلْسِنَةِ الْأَجْنَاسِ ، ثُمَّ خِيَلَهُمْ أَفْضَلُ الْخَيْلِ ، وَنَسَاؤُهُمْ أَغْفَ النِّسَاءِ ، وَلِبَاسُهُمْ أَفْضَلُ اللَّبَاسِ ، وَمَعَادِنُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَحَجَارَةُ جِبَالِهِمُ الْجَزْعُ^(٥) ، وَمَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَبْلُغُ عَلَى مِثْلِهَا سَفَرٌ ، وَلَا يَقْطَعُ بِمِثْلِهَا بَلَدٌ قَفَرٌ .

وَأَمَّا دِينُهَا وَشَرِيعَتُهَا ، فَإِنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَحَدُهُمْ مِنْ نَسَبِهِ بَيْتَهُ أَنْ لَهُمْ أَشْهَرًا حَرَمًا ، وَبَلَدًا مُحَرَّمًا ، وَبَيْتًا مَحْجُوجًا ، يَنْسُكُونَ فِيهِ مَنَاسِكَهُمْ ، وَيَذْبَحُونَ فِيهِ ذِبَائِحَهُمْ ، فَيَلْتَقِي الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اخْتِذَاثِهِ ، وَإِدْرَاكَ رَغْمِهِ^(٦) مِنْهُ ، فَيَحْجُزُهُ كَرَمُهُ ، وَيَمْنَعُهُ دِينُهُ عَنْ تَنَاوُلِهِ بِأَذَى .

[١] الناقة : المسنة . [٢] البلاغ : السكمانية . [٣] المول والأحبال جمع حمل . [٤] القطعة

من الشيء . [٥] الجزع ويكسر الحرف ليماني الصيغ ، فيه سواد وبياض ، تشبه به العيون . [٦] الدال .

وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يَلْحَظُ اللحظة ، وَيُؤَمِّئُ الإِيماءَ ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة ، لا يَحُلُّهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رَهْناً بِدَيْنِهِ ، فَلَا يَغْلِقُ^(٢) رَهْنَهُ ، وَلَا تُخْفَرُ^(٣) ذِمَّتُهُ ، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به ، وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصاب ، فلا يرضى حتى يُفْنِي تلك القبيلة التي أصابته ، أو تَفْنِي قَبِيلَتَهُ ، لما أَخْفَرَ من جواره ، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المُخْدِتُ ، من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه ، وأموالهم دون ماله .

وأما قولك أيها الملك يَتَدُونُ أولادهم ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ من يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ بِالْإِنَاثِ أَنْفَةً من العار ، وَغَيْرَةٍ من الأزواج .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل - عَلَى ما وصفت منها - فما تركوا ما دونها إِلَّا احتقاراً لها ، فَعَمَدُوا إِلَى أَجْلَاهَا وَأَفْضَلُهَا ، فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أَكْثَرُ البَهَائِمِ شَحُومًا ، وَأَطْيَبُهَا لَحُومًا ، وَأَرْقَاهَا أَلْبَانًا ، وَأَقْلَاهَا غَائِلَةً^(٤) ، وَأَحْلَاهَا مَغْزَنَةً ، وإنه لا شئ من اللُّحْمَانِ يُعَالِجُ مَا يُعَالِجُ بِهِ لَحْمَهَا إِلَّا أَسْتَبَانَ فَضْلُهَا عَلَيْهِ .

وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقيادَ لرجل يسوسهم ويجمعهم ، فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ من يَفْعَلُهُ من الأُمَمِ إِذَا أُنِسَتْ من نفسها ضَعْفًا ، وتخوفت شُرُوضَ عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزَّحْفِ ، وإنه إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ ، فَيَلْقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ ،

[١] عهد . [٢] غلق الرهن : استحققه المرتين ، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط .

[٣] خفر به وأخفزه : نقض عهده وغدره . [٤] شرأ :

وينقادون لهم بأزمتههم ، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين ، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطث^(١) بالعسف .
وأما اليمن التي وصفها الملك ، فإنما أتى جدّ الملك إليها الذي^(٢) أتاه ، عند غلبة الحبش له ، على ملك مُتْسِقٍ ، وأمر مجتمع ، فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، ولولا ما وتربّ به من يايه من العرب ، لمال إلى مجال ، ولوجد من يجيد الطعان ، وينغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار .

فمجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لاهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساه من كسوته ، وسرّحه إلى موضعه من الحيرة .
فلما قدم النعمان الحيرة ، وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى ، من تنقص العرب ، وتهجين^(٣) أمرهم ، بعث إلى أكتّم بن صَيْفٍ ، وحاجب بن زُرارة التميميين ، وإلى الحرث بن عباد ، وقيس بن مسعود البكرين ، وإلى خالد ابن جعفر ، وعائقة بن غلثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المُرّي .
فلما قدموا عليه في الخورنق ، قال لهم : قد عرفتكم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوّفت أن يكون لها غورٌ ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خوفاً ، كبعض طمطمته^(٤) ، في تأديتهم الخراج إليه^(٥) ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ، فاقصص عليهم مقالات

[١] الوطث : العرب الشديد بالرجل على الأرض . [٢] هو سيف بن ذي يزن . [٣] تبيح واستهجان ، والهجعة من الكلام ما يبيح . [٤] رحل طمطم وطمطمى « بكسر الطاءين » وطمطمز « ندمهما » : في لسانه عجمة . [٥] كان الفرس ينفون عرب الحيرة من دفع الأتوة مقابل أن يقودوا بحماهم من كلّ عارة من نواحيهم .

كسرى ، وما ردّ عليه ، فقالوا: أيها الملك ، وفقك الله ! ما أحسن ما رددت ! وأبلغ ما حججته به ! فرنا بأمرك ، وادعنا إلى ماشئت . قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعزّزت بمكانكم ، وما يتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبّ إلىّ مما سدّد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزّكم ، والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط ، وتنطلقوا إلى كسرى ، فإذا دخلتم نطق كلّ رجل منكم بما حضره ، ايعلم أن العرب على غير ما ظنّ ، أو حدّثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان ، متّرف ، معجّب بنفسه ، ولا تنخزلوا ^(١) له انخزال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وايكن أوّل من يبدأ منكم بالكلام أكرم بن صيفى ، ثمّ تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وضعتكم بها ، فإنما دعانى إلى التقدمة إليكم ، علمى بميل كلّ رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكون ذلك منكم ، فيجدّ فى آدابكم مطّعنا ، فإنه ملك متّرف ، وقادر مُسَاط ، ثم دعاهم بما فى خزائنه من طرائف حلال الملوك ، كل رجل منهم خلة ، وعمّامة عمامة ، وختمّة يافوّة ، وأمر لكلّ رجل منهم بنجبية مَهْرِيّة ^(٢) وفرس نجبية ، وكتب معهم كتابا : « أما بعد : فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتة بما قد فهم ، مما أحببت أن يكون منه على علم ، ولا يتلجّج في نفسه أن أمة من الأمم انتى احتجرت دونه بمملكته ، وسمّت ما يليها بفضل قوّتها ، تبلغها فى شيء من الأمور ، التى يتعزّز بها ذوو الحزم والقوّة والتدبير والمكيّدة ، وقد أوفدت أيها

[١] الانخزال : مشية فى تناقل . [٢] النجيب : البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ، والمهرية :

نسبة إلى مهرة بن حيدان ، حتى تنسب إليه الإبل النجبية .

الملك رهطاً من العرب ، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ،
فليسمع الملك ، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، واكرمني بإكرامهم ،
وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم .

نخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب
النعمان فقرأه ، وأمر بأنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ، فلما أن كان
بعد ذلك بأيام ، أمر مرازبته ^(١) ووجوه أهل مملكته ، فحضروا وجلسوا على
كراسي ، عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء ^(٢) والمراتب التي وصفهم النعمان
بها في كتابه ، وأقام الترجمان ^(٣) أيؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

١٣ — خطبة أكثم بن صيفي

فقام أكثم بن صيفي فقال :

« إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمنها نفعاً ،
وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، والصدق منجاة ، والكذب
مهلكة ، والشر حاجة ^(١) ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء ، آفة
الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخبر الأمور العسير ، حسن الظن ورطه ،
وسوء الظن عسيرة ، إصلاح فساد الرؤية خير من إصلاح فساد الراعي ، من
فسدت بطائفة كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من
خافه البريء ، المرء يعجز ^(٥) لا المَحَاة ^(٦) ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان

[١] جن مزرمان ، بفتح الميم وضم الراء ، هو الرئيس من الفرس . [٢] التنازع والتوالى ،
مصدر والى . [٣] ترجان : بفتح الجاء وضم الحيم وضمها وبفتحها . [٤] أى أصله اللجاجة ،
وهي تماحك الخصمين وتماديهما . [٥] من بابي ضرب وسبع . [٦] المحالة : الخيلة .

من لم يُزأ بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ، الصمت حكم^(١) وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نَفَرَ ، ومن تراخى تألف .

فتعجب كسرى من أكرم ، ثم قال : وَيَحْكُ (٢) يا أكرم ما أحكمك وأوثق كلامك ! لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : رب قول أنفذ من صول .

١٤ — خطبة حاجب بن زرارة

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال :

« وَرَى (٣) زَنَدُكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانِكَ ، إِنَّ الْعَرَبَ أُمَّةٌ قَدْ غَلْظَتْ أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدَتْ (٤) مِرَّتَهَا ، وَمُنِعَتْ دِرَّتَهَا (٥) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَتْهَا ، مُسْتَرْسَلَةٌ مَا لَا يَنْتَهَا ، سَامِعَةٌ مَا سَامَحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَارَةٌ ، وَالصَّابُ (٦) غَضَاضَةٌ (٧) ، وَالْعَسَلُ حَلَاوَةٌ ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ (٨) سَلَاسَةٌ (٩) ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَأَسْنَتُهَا لَدَيْكَ ، ذَمَّتْنَا مَحْفُوظَةً ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مَطِيعَةٌ ، إِنْ نَوَّيْتُ لَكَ حَامِدِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عُمُومٌ مَحْمَدَتْنَا ، وَإِنْ نَذَمْتُ لَمْ تُنْخَصَّ بِالذَّمِّ دُونَهَا . »

[١] الحكم : الحكمة (وآتيناهم الحكم صبياً) . [٢] ويح : كلمة رحمة ، (وويل : كلمة عذاب) ، وقيل هما بمعنى واحد . [٣] ورى الزند بفتح الزاء وكسرها وريا ورية فهو وار وورى : خرجت ناره . وأوريتته ووريتته واستوريتته ، والرند : العود الذى يقدح به للارجعة زناد وأزند وأزناد . [٤] استحصد المحل : استحكم ، والمرة : طاقة الجبل ، والنوة : العغل . كناية عن قوتهم . [٥] الدرة : الابن كالدر . [٦] عصارة : شجر مر . [٧] هى احتمال السكره . والدلة والمنقصة . [٨] ماء زلال : سريع المر فى الحلق بارد عذب صاف سهل سلس . [٩] سهولة . السلس السهل الابن المنقاد .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر التلأل بألوان صخرها ، قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : وذلك .

١٥ — خطبة الحارث بن عباد

ثم قام الحرث بن عباد البكرى ، فقال :

دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سناها ، من طال رشاؤه ^(١) ،
كثُر متعته ^(٢) ، ومن ذهب ماله ، قل منحه . تناقل الأقاويل يُعرف اللب ،
وهذا مقام سيؤجف ^(٣) بما ينطق به الركب ، وتعرف به كنه حالنا العجم
والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا حجة ، وجيوشنا
نخمة ، إن استنجدتنا فغير رُبض ^(٤) ، وإن استطرقتنا ^(٥) فغير جهُض ^(٦) ، وإن
طلبتنا فغير غمض ^(٧) ، لا ننتنى لدعر ، ولا نتمنكر لدهر ، رماحنا طوال ،
وأعمارنا قصار .

قال كسرى : أنفس عزيزة ، وأمة ضعيفة ، قال الحرث : أيها الملك وأنى
يكون لضعيف عزّة ، أو لصغير مرّة ! قال كسرى : لو قصر عمرُك ، لم تستول
على لسانك نفسك . قال الحرث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على

[١] الرشاء : الجبل . [٢] الملح : نزع الماء من البئر . [٣] وجف الفرس والبعير عدا ، وأوجفته : أعديته . يقال : أوجف فأعجف (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أى ما أعلمتم .
[٤] يقال : رجل ربض عن الحاحات لا ينهض فيها ، وهو هنا جمع ربوض بالفتح من ربضت الشاة
كبركت الناقة أى لا تنهض عن نصرتك ولا تنجم . [٥] استطرقته خلا : طلبه منه ليفرب في إبله ، هذا
هو الأصل ، والمراد استعننت بنا . [٦] أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق ، والسقط :
مهيض ، وجمعه جهض ، أى أن خلما إذا ضرب البياق (مكحها) لم تأت بجهض بل تنج ، والمراد أنه
إن استنجد بهم أئمر ذلك الاستنجد ولم يجب . [٧] من النهض ، وهو النوم ، يقال ما غمضت ،
ولا أغمضت ، ولا اغتمضت ، فالوصف من الأول غامض ، والمبالغة غموض ، والجمع غمض أى فلا نام
عن نصرتك .

الكتيبة مُعَرِّراً بِنَفْسِهِ عَلَى الْمَوْتِ ، فَهِيَ مَنِيَّةٌ اسْتَقْبَلَهَا ، وَجَنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا ،
والعرب تعلم أَنِّي أَبْعَثُ الْحَرْبَ قُدُّمًا ^(١) ، وَأَحْبَسَهَا وَهِيَ تَهَرِّفُ بِهَا ، حَتَّى إِذَا
جَاشَتْ نَارُهَا ، وَسَمِعَتْ لُظَاهَا ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ، جَعَلْتُ مَقَادَهَا رُمْحِي ،
وَبَرَقَهَا سِيفِي ، وَرَعَدَهَا زَبِيرِي ، وَلَمْ أَقْصِرْ عَنْ خَوْضِ خَضْخَضِهَا ^(٢) ، حَتَّى
أَنْغَمَسَ فِي غَمَرَاتِ لُجَجِهَا ، وَأَكُونَ فُلْكَالْفِرْسَانِي إِلَى مُجْبُوْحَةٍ كَبَشَهَا ^(٣) ،
فَاسْتَمَطَرَهَا دَمًا ، وَأَتْرُكُ مُحَامَتَهَا جَزَرَ ^(٤) السَّبَّاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشْعَمٍ ^(٥) . ثُمَّ قَالَ
كَسْرَى لِمَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَرَبِ : أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قَالُوا : فَعَالَهُ أَنْطَقَ مِنْ لِسَانِهِ .
قَالَ كَسْرَى : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَفْدًا أَحْشَدَ ، وَلَا شَهُودًا أَوْفَدَ .

١٦ - خطبة عمرو بن الشريد

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ السَّلَمِيُّ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا الْمَلِكُ ، نَعِمَ بِالْك ! وَدَامَ فِي السَّرُورِ حَالُكَ ! إِنْ عَاقَبَةُ الْكَلَامِ مُتَدَبِّرَةٌ ،
وَأَشْكَالُ الْأُمُورِ مُعْتَبِرَةٌ ، وَفِي كَثِيرِ ثِقَلَةٍ ، وَفِي قَلِيلِ بُلْغَةٍ ، وَفِي الْمُلُوكِ سَوْرَةٌ ^(٦) الْعِزِّ ،
وَهَذَا مَنْطِقٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ ، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَمَلَ فِيهِ مَنْ خَمَلَ ، لَمْ نَأْتِ لِضِيْمِكَ ،
وَلَمْ نَقِدْ لِسَخْطِكَ ، وَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِرِفْدِكَ ^(٧) إِنْ فِي أَمْوَالِنَا مُنْتَقَدًا ^(٨) ، وَعَلَى عِزِّنَا
مُعْتَمِدًا ، إِنْ أَوْرَيْنَا ^(٩) نَارًا أَمْتَقْنَا ، وَإِنْ أَوْدَ ^(١٠) دَهْرُ بِنَا اعْتَدَلْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا
لِجَوَارِكَ حَافِظُونَ ، وَلِمَنْ رَامَكَ كَاخُونٌ ، حَتَّى يُحْمَدَ الصَّدْرُ ^(١١) وَيُسْتَطَابَ الْخَبْرُ » .

[١] القدم : المضي أمام أمام ، وهو يمضي القدم : إذا مضى في الحرب . والتقدم : المقدام الشجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مغر قدم في سبيل الله » . [٢] الخضاخض : نط أسود رقيق تهناً به الأبل الجرب (ولعله خضاخضها) بضم الخاء ، والخضاخض : المكان الكثير الماء . [٣] سيد القوم وقائدهم . [٤] أى قطعاً . [٥] مسن . [٦] سورة المجد أثره وعلامته ، وسورة السلطان : سطوته (والسورة المنزلة) بالصم . [٧] الردف : المطاء . [٨] اتفق الدراهم قبضها . [٩] أوقدنا . [١٠] اعوج . [١١] الرجوع .

قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطقتك بإفراطك ، وَلَا مَدْحُكَ بِذَمِّكَ ، قال عمرو : كفى بقليل قصدي هاديا ، وبأيسر إفراطى مُخْبِرا ، وَلَمْ يُلَمَّ مَنْ غَرَبَتْ نفسه عما يعلم ، وَرَضِيَ مِنَ الْقَصْدِ بِمَا بَلَغَ . قال كسرى : ما كلُّ ما يعرف المرء ينطق به . اجلس .

١٧ — خطبة خالد بن جعفر الكلابي

ثمَّ قام خالد بن جعفر الكلابي فقال :

« أَحْضَرَ اللَّهُ الْمَلِكُ إِسْعَادًا ، وَأَرْشَدَهُ إِرْشَادًا ، إِنَّ لِكُلِّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غُصَّةٌ ، وَعَى الْمَنْطِقُ أَشَدَّ مِنْ عَى الشُّكُوتِ ، وَعِثَارُ الْقَوْلِ أَنْكَأُ ^(١) مِنْ عِثَارِ الْوَعْتِ ^(٢) . وما فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَا إِلَّا بِمَا نَهْوَى ، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لَأَنهَوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ ^(٣) ، وَتَرَكِي مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي ، وَيُعْلَمُ مِنْ سَمْعِي أَنَّنِي لَهُ مُطِيقٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْفِي مَا أَتَخَوَّفُ وَيَتَخَوَّفُ مِنِّي ، وَقَدْ أَوْفَدَنَا إِلَيْكَ مَلَكُنَا النِّعْمَانِ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنِعَمَ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، أَنْفُسَنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بِاخِعة ^(٤) ، وَرِقَابُنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةٌ ، وَأَيْدِينَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِينَةٌ . »

قال له كسرى : نطقت بعقل ، وَتَمَرَّتْ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِذَنْبٍ .

١٨ — خطبة علقمة بن علاثة العامري

ثمَّ قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

« نَهَجْتُ ^(٥) لَكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَخَضَعْتُ لَكَ رِقَابَ الْعِبَادِ ، إِنْ لِلْأَقَاوِيلِ

[١] نَكَأَ الْمَدْوُ وَنَكَاهُ نَكَايَةً : قَتَلَ وَجَرَحَ ، وَأَنْكَأَ : أَيْ أَشَدَّ نَكَابَةً وَقَهْرًا . [٢] الْوَعْتُ : الْمَكَانُ الْمَهْلُ الدَّمَسُ تَغِيْب فِيهِ الْأَقْدَامُ وَالطَّرِيقُ الْعَسْرُ . [٣] أَسَاغَ الْعَصَا ابْتَلَعَهَا ، وَسَاغَ الشَّرَابُ : سَهَلَ مَدْخَلُهُ فِي الْحَاقِ . [٤] خَاضِعَةٌ وَمَقَرَّةٌ ، يَجْعُ بِالْحَقِّ أَقْرَبَهُ وَخَصَعَ لَهُ . [٥] وَضَعَتْ .

مناهج ، وَلِلآراءِ مَوَاجِجٌ ^(١) ، وَلِلْعوَيْصِ مَخارج ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ، وَأَفْضَلُ
الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ ، إنا وَإِنْ كَانَتْ الْحَبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَفَادَةُ قَرَّبَتْنا ، فَلَيْسَ مَنْ
حَضَرَكَ مِنَّا بِأَفْضَلٍ مِمَّنْ عَزَبَ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قَسَيْتَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَعَلِمْتَ
مِنْهُمْ مَا عَلِمْنَا ، لَوَجَدْتَ لَهُ فِي آبَائِهِ دُنْيًا ، أَنْدَادًا وَأَكْفَاءَ ، كُلَّهُمْ إِلَى الْفَضْلِ
مَنْسُوبٌ ، وَبِالشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ ^(٢) مَوْصُوفٌ ، وَبِالرَّأْيِ الْفَاضِلِ وَالْأَدَبِ الْنافِذِ ^(٣)
مَعْرُوفٌ ، يَحْمِي حِمَاهُ ، وَيُرْوِي نَدَامَاهُ ^(٤) ، وَيَذُودُ أَعْدَاهُ ، لَا تَحْمُدُ ^(٥) نَارَهُ ،
وَلَا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَنْ يَبْلُغُ الْعَرَبُ يَعْرِفُ فَضْلَهُمْ ، فَاصْطَنَعَ ^(٦)
الْعَرَبُ ، فَإِنَّهَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عِزًّا ، وَالْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ طُمِيًّا ^(٧) ، وَالنُّجُومُ الزَّوَاهِرُ
شَرَفًا ، وَالْحَصَى عَدَدًا ، فَإِنْ تَعْرِفَ لَهُمْ فَضْلَهُمْ يَعِزُّوكَ ، وَإِنْ تَسْتَصْرِخَهُمْ ^(٨)
لَا يَخْذُلُوكَ .

قال كسرى - وَخَشِيَ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ كَلَامٌ يَحْمِلُهُ عَلَى السَّخَطِ عَلَيْهِ - حَسْبُكَ
أَبْلَغْتَ وَأَحْسَنْتَ !

١٩ - خطبة قيس بن مسعود الشيباني

ثُمَّ قَامَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ الشَّيْبَانِيُّ ، فَقَالَ :

« أَطَابَ اللَّهُ بِكَ الْمَرِاشِدَ ! وَجَنَّبَكَ الْمَصَائِبَ ! وَوَقَّاكَ مَكْرُوهَ الشَّصَائِبِ ^(١) !

[١] مداخل جمع موالج : كجلس ، ولج يلح ولوجا ولجة . [٢] السوود بفتح الدال والسوود بضمها
والسود والسيادة . [٣] الظاهر أثره . [٤] ندأى : جمع ندمان ، وهو النديم ، وجمع النديم ندماء ،
وناداه : جالسه على الشراب (ندمان بمعنى منادم مصروف ، لأن مؤنثه ندمانة ، أما ندمان بمعنى نادم
فلا يصرف لأن مؤنثه ندى

كلّ فعلات فزوا أتاه فعلى غير وصف النديم بالندمان)

[٥] خد : كصبر وسبع . [٦] اختر واصطف . [٧] طمى الماء يطمى طميا علا ، والنبت طال
والبحر امتلا ، وهمنه علت . [٨] تستنجد بهم . [٩] جمع شصبة ، وهى الشدة

مَا أَحَقَّنَا - إِذَا أَتَيْتَاكَ - بِإِسْمَاعِكَ مَا لَا يُحَقِّقُ صَدْرُكَ ، وَلَا يَزِرْعُ لَنَا حَقِّدًا فِي قَلْبِكَ ! لَمْ تَقْدَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ لِمَسَامَاةٍ ، وَلَمْ نَنْتَسِبْ لِمَعَادَاةٍ ، وَلَكِنْ لَتَعْلَمَ أَنْتَ وَرَعِيَّتِكَ وَمَنْ حَضْرُكَ مِنْ وَفُودِ الْأُمَمِ ، أَنَا فِي الْمَنْطِقِ غَيْرُ مُحْجَمِينَ ، وَفِي النَّاسِ غَيْرُ مُقَصَّرِينَ ، إِنْ جُورِينَا فغَيْرُ مُسْبُوقِينَ ، وَإِنْ سُومِينَا فغَيْرُ مَغْلُوبِينَ »

قَالَ كَسْرَى : غَيْرَ أَنْكُمْ إِذَا عَاهَدْتُمْ غَيْرَ وَافِينَ (وَهُوَ يُعَرِّضُ بِهِ فِي تَرْكِهِ الْوَفَاءَ بِضْمَانِهِ السَّوَادَ ^(١)) قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا كُنْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَوَافٍ غُدِرَ بِهِ ، أَوْ كَخَافِرٍ أَخْفَرَ بِذِمَّتِهِ قَالَ كَسْرَى : مَا يَكُونُ لضعيف ضِمَانٍ ، وَلَا لذَلِيلٍ خَفَارَةٍ. قَالَ قَيْسٌ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : مَا أَنَا فِيمَا أَخْفَرَ مِنْ ذِمَّتِي أَحَقُّ بِالْإِزَامِي الْعَارِ مِنْكَ فِيمَا قَتَلَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَنْتُ هُكَّ مِنْ حَرَمَتِكَ ، قَالَ كَسْرَى : ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَتَمَّنِ الْحَاةَ ^(٢) ، وَأَسْتَنْجِدَ الْأَئِمَّةَ ، نَالَهُ مِنَ الْخَطَا مَا نَالَنِي ، وَابْسُ كُلِّ النَّاسِ سِوَاءٍ ، كَيْفَ رَأَيْتَ حَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ ، لَمْ يُحْكِمْ قَوَاهُ ، فَيُبْرِمَ ، وَيَعْهَدُ فَيُؤْفِي ، وَيَعِدُ فَيُنْجِزُ ، قَالَ وَمَا أَحَقُّهُ بِذَلِكَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا لِي ، قَالَ كَسْرَى : الْقَوْمُ بُزِلَ ^(٣) فَأَفْضَلُهَا أَشَدُّهَا

٢٠ - خطبة عامر بن الطفيل العامري

ثُمَّ قَامَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ الْعَامِرِيُّ فَقَالَ :

« كَثُرَ فَنُونُ الْمَنْطِقِ ، وَلَبَسَ الْقَوْلُ أَعْمَى مِنْ حَنْدِسٍ ^(٤) الظَّامَاءِ ، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الْفَعَالِ ، وَالْعَجْزُ فِي النَّجْدَةِ ، وَالسُّودَدُ مَطَاوَعَةُ الْقُدْرَةِ ^(٥) ، وَمَا أَعْلَمَكَ بِقُدْرَتِنَا ، وَأَبْصَرَكَ بِفَضْلِنَا ، وَبِالْحَرَى ^(٦) إِنْ أَدَا لَتَ ^(٧) الْأَيَّامُ ، وَثَابَتَ الْأَحْلَامُ

[١] أَيْ سِوَادِ الْعِرَاقِ . [٢] الْحَاةُ وَالْحَوْنَةُ : جَمْعُ حَائِنٍ . [٣] الْبَازِلُ : الْجَلُّ فِي السَّنَةِ النَّاسِئَةِ ، وَالرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجْرِبَتِهِ جَمْعُ بَزَلٍ وَبَزَلٍ . [٤] الْإِيلُ الْمَظْلَمُ وَالظَّلْمَةُ . [٥] أَيْ أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ بِمَقْدَرٍ عَلَيْهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَبْلُغُهُ السُّودُودُ . [٦] خَلِيقٌ وَجَدِيرٌ . [٧] نَصَرْتَنَا .

أَنْ تَحْدِثَ لَنَا أُمُورًا لَهَا أَعْلَامٌ^(١) . قَالَ كَسْرَى : وَمَا تِلْكَ الْأَعْلَامُ ، قَالَ مُجْتَمَعٌ^(٢) الْأَحْيَاءُ مِنْ رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ ، عَلَى أَمْرٍ يَذْكُرُ . قَالَ كَسْرَى : وَمَا الْأَمْرُ الَّذِي يَذْكُرُ ؟ قَالَ مَا لِي عِلْمٌ بِأَكْثَرِ مِمَّا خَبَّرَنِي بِهِ مُخْبِرٌ ، قَالَ كَسْرَى مَتَى تَسْكَاهَنْتَ يَا بَنَ الطَّفِيلِ ؟ قَالَ : لَسْتُ بِكَاهِنٍ ، وَلَكِنِّي بِالرَّمْحِ طَاعِنٌ ، قَالَ كَسْرَى : فَإِنْ أَتَاكَ آتٌ مِنْ جِهَةِ عَيْنِكَ الْعَوْرَاءِ ، مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قَالَ : مَا هَيَّيْتِي فِي قَفَايَ بِدُونِ هَيَّيْتِي فِي وَجْهِهِ ، وَمَا أَذْهَبَ عَيْنِي عَيْثُ^(٣) ، وَلَكِن مَطَاوَعَةَ الْعَبَثِ .

٢١ — خطبة عمرو بن معديكرب الزبيدي

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبِ الزُّبَيْدِيِّ ، فَقَالَ :
« إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ : قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، فَبِلَاغِ الْمَنْطِقِ الصَّوَابِ ، وَمِلَاكِ
النُّجْمَةِ^(٤) الْارْتِيَادِ ، وَغَفْوِ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِكْرَاهِ الْفِكْرَةِ ، وَتَوْقِيفِ الْخُبْرَةِ
خَيْرٌ مِنْ أَعْتِسَافِ الْخَيْرَةِ ، فَأَجْتَبَيْدُ^(٥) طَاعَتَنَا بِلَفْظِكَ ، وَآكْتَظِمُ بِأَدْرَتِنَا
بِحِلْمِكَ ، وَالْإِنْ لَنَا كَنَفُكَ يَسْلَسُ لَكَ قِيَادَنَا ، فَإِنَا أَنَاسٌ^(٦) لَمْ يُوقَسْ^(٦) صَفَاتِنَا قِرَاعُ
مَنَاقِيرِ^(٧) مَنْ أَرَادَ لَنَا قَضًا^(٨) ، وَلَكِنْ مَنَعْنَا حِمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْمًا . »

٢٢ — خطبة الحارث بن ظالم المري

ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمِ الْمُرِيِّ ، فَقَالَ :
« إِنْ مِنْ آفَةِ الْمَنْطِقِ الْكَذِبُ ، وَمِنْ لَوْمِ الْأَخْلَاقِ الْمَلَقُ ، وَمِنْ خَطَلِ
الرَّأْيِ خِيفَةُ الْمَلِكِ الْمُسَلِّطِ ، فَإِنْ أَعْلَمْنَاكَ أَنَّ مُوَاجَهَتَنَا لَكَ عَنْ أَتِّلَافٍ ، وَأَنْقِيَادِنَا^(٩) »

[١] أى مشهورة . [٢] اجتماع . [٣] الإفساد . [٤] النجمة : طلب الكلأ في موضعه .

[٥] اجتذب . [٦] الوقس : انتشار الجرب في البدن ، والتوقيس : الإجراب ، أى لم يتخذش

صفاتها وبؤثر فيها . [٧] جمع مقار ، وهو حديدة كالقاس ، فر بها . [٨] أصله الأكل
بأطراف الأسنان .

لك عن تصّافٍ ، فما أنت لقبول ذلك منا بخلق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ،
ولكن الوفاء بالعهود ، وإحكام وثّ العقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل ، ما لم
يأت من قبلك ميل أو زلل .

قال كسرى : من أنت ؟ قال الحرث بن ظالم ، قال إن في أسماء آبائك لدليلاً
على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالغدر ، وأقرب من الوزر . قال الحرث : إن
في الحق مغضبة ، والسرو التغافل^(١) ، وإن يستوجب أحدّ الحلم إلامع القدرة ،
فلتشبه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم .

ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطاباً لكم ، وتفنن فيه متكلموكم ،
ولولا أنى أعلم أن الأدب لم يُثَقَّفْ أودكم ، ولم يُحْكَمْ أمركم ، وأنه ليس لكم ملك
يجمعكم ، فتنتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، فنطقتم بما استولى على
ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به ، وإنى لأكره
أن أجبه وفودى ، أو أخنيق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مدبركم ،
وتألف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بينى وبينكم ، وقد قبلت ما كان في منطقكم
من صواب ، وصفحتم عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم ، فأحسنوا
موازرتهم ، والتزموا طاعته ، واردعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أديهم ،
فإن في ذلك صلاح العامة .

(العقد المريد ١ : ١٠١)



وفود العرب

يعزون سلامة ذا فائش بابن له مات

نشأ لسلامة ذى فائش ابنٌ كَأَ كُلِّ أَبْنَاءِ الْقَاوِلِ ، وَكَانَ مَسْرُورًا بِهِ ، يَرْشِّحُهُ لِمَوْضِعِهِ ،
فَرَكِبَ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَسًا صَعْبًا ، فَكَبَا بِهِ ، فَوَقَّعَهُ (١) ، فَجَزَعَ عَلَيْهِ أَبُوهُ جَزْعًا شَدِيدًا ، وَامْتَنَعَ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ، وَاجْتَمَعَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ بِيَابِهِ لِيَعْزُوهُ ، فَلَامَهُ نَصْحَاؤُهُ فِي
إِفْرَاطِ جِزْعِهِ ، فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَقَامَ خُطْبَاؤُهُمْ يُؤَشُّونَهُ (٢) ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ الْمَلَبَّبُ بْنُ عَوْفٍ ،
وَجُعَادَةُ بْنُ أَفْلَحٍ ، فَقَامَ الْمَلَبَّبُ فَقَالَ :

٢٣ - خطبة الملبب بن عوف

أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَجُودُ لِمَنْ سَلَبَ ، وَتَعْطِي لِمَنْ أَخَذَ ، وَتَجْمَعُ لِمَنْ تَشَتَّتْ ،
وَتُحْلِي لِمَنْ لَتَمِرَّ ، وَتَزْرِعُ الْأَحْزَانَ فِي الْقُلُوبِ ، بِمَا تَفْجَأُ بِهِ مِنْ اسْتِرْدَادِ الْمَوْهُوبِ ،
وَكُلِّ مَصِيبَةٍ تَخْطَأُ أَتَكَ جَالَ (٣) ، مَا لَمْ تُدْزِنْ الْأَجَلَ ، وَتَقْطَعَ الْأَمَلَ ، وَإِنْ حَادِثًا
أَلَمَّ بِكَ ، فَاسْتَبِدْ (٤) بِأَقْلُكَ ، وَصَفَحْ عَنْ أَكْثَرِكَ ، لِمَنْ أَجَلَ النِّعَمِ عَلَيْكَ ، وَقَدْ
تَنَاهَيْتَ إِلَيْكَ أَنْبَاءَ مَنْ رُزِيَ فَصَبَرَ ، وَأُصِيبَ فَاعْتَفَرَ ، إِذْ كَانَ شَوْئِي (٥) فِيمَا
يُرْتَقَبُ وَيُحْذَرُ ، فَاسْتَشْعِرِ الْيَأْسَ مِمَّا فَاتَ ، إِذْ كَانَ ارْتِجَاعُهُ مُمْتَنِعًا ، وَمَرَامُهُ
مُسْتَصْعَبًا ، فَلَيْشَىءٌ مِمَّا ضُرِبَتْ الْأَشْيَاءُ ، وَفَزِعَ أُولُو الْأَلْبَابِ إِلَى حَسَنِ الْعِزَاءِ .

٢٤ - خطبة جعادة بن أفلاح

وَقَامَ جُعَادَةُ فَقَالَ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَا تَشْعِرْ قَلْبَكَ الْجَزَعَ عَلَى مَا فَاتَ ، فَيَعْقُلَ

[١] وقص عنه : كسرهما . [٢] أساء تأسيه عزاءه ، وأصله : أَنْ يَقُولَ لَهُ لَكَ أَسْوَدُ بَفُلَانٍ
وَفُلَانٍ . [٣] الجلل العظيم والحقير وهو هنا بالمعنى الثاني . [٤] البدة بالضم : النصيب ، واستبد به :
جملة نصيبه . [٥] الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

ذهنك عن الاستعداد لما يأتي ، وَتَاضِلْ عَوَارِضَ الْحَزَنِ بِالْأُنْفَةِ عَنْ مَضَاهَاةٍ (١)
أَفْعَالِ أَهْلِ وَهْيٍ (٢) الْعُقُولِ ، فَإِنَّ الْعِزَّاءَ لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزَعَ لِرَبَّاتِ
الْحِجَالِ (٣) ، وَلَوْ كَانَ الْجَزَعُ يَرُدُّ فَائِتًا ، أَوْ يُخْبِي تَالِفًا ، لَكَانَ فَعْلًا دَنِئًا ،
فَكَيْفَ وَهُوَ مَجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَّا
يَتَهَاوَتْ (٤) فِيهِ الْأَرْذَلُونَ ، وَصْنِ قَدْرَكَ عَمَّا يَرْكَبُهُ الْمَخْسُوسُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ
طَمَعَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةً كَأَحْلَامِ النَّيَّامِ . (الأمال ٢ : ١٠١)

٢٥ --- أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى يَعِزَّى عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ عَنْ أَخِيهِ

وَعِزَّى أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ مَلِكَ الْعَرَبِ عَنْ أَخِيهِ فَقَالَ لَهُ :
« إِنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدَّارِ سَفَرٌ لَا يَحْمِلُونَ عَقْدَ الرَّحَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا ، وَقَدْ أَتَاكَ
مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ
سَيَظْعَنُ عَنْكَ وَيَدْعُوكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَأَمْسِ عِظَةً ، وَشَاهِدْ عَدْلًا ،
جَمَعَكَ بِنَفْسِهِ ، وَأَبْقَى لَكَ وَعَلَيْكَ حِكْمَتُهُ ؛ وَالْيَوْمُ غَنِيمَةٌ ، وَصَدِيقُ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ،
طَالَتْ عَلَيْكَ غَيْبَتُهُ ، وَاسْتَسْرَعَ عَنْكَ رَحِلَتُهُ ؛ وَغَدٌ لَا تَدْرِي مِنْ أَهْلِهِ ، وَسَيَأْتِيكَ
إِنْ وَجَدَكَ ، فَمَا أَحْسَنَ الشُّكْرِ لِلْمَنْعَمِ ، وَالتَّسْلِيمِ لِلْقَادِرِ ، وَقَدْ مَضَتْ لَنَا أَصُولُ
نَحْنُ فُرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ الْفُرُوعِ بَعْدَ أَصُولِهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَمَ مِنَ الْمَصِيبَةِ سُوءُ
الْخَلْفِ مِنْهَا ، وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعْطِيهِ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ . »

(العقد المربد ٢ : ٣٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٤)

٢٦ --- خُطْبَةُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ بْنِ هَاشِمٍ

يَهْنَى سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بِاسْتِرْدَادِ مَلِكِهِ مِنَ الْحَبْشَةِ

لَمَّا ظَفَرَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ بِالْحَبْشَةِ ، أَتَتْهُ وَفُودُ الْعَرَبِ وَأَشْرَافُهَا وَشِعْرَاؤُهَا

[١] مشاكلة . [٢] ضمف . [٣] والحجاء جمع حجلة (بفتحين) ، وهي القبة وموضع يزين
بالستور ، ولثياب للعروس . [٤] نهافت : التنازع .

تهنئة وتمدحه ، ومنهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، فاستأذنه في الكلام فأذن له ، فقال :

« إن الله تعالى - أيها الملك - أحلك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، باذخاً^(١) شائخاً ، وأنبئك منبتاً طابت أرومته^(٢) ، وعزت جرثومته^(٣) ، وثبت أصله ، وبسق^(٤) فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت - أييت اللعن - رأس العرب وريعها الذي به تُخصب ، وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُهَا^(٥) الذي إليه يلجأ العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت خلفه ، وإن يحمل من أنت سلفه ، نحن أيها الملك أهل حرَم الله وذمته ، وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجك بكشف الكرب الذي قدَحنا^(٦) ، فنحن وفد التهنئة ، لا وفد المِرْزاة^(٧) » .

(العقد المريد ١ : ١٠٧ ، وأبناء نجباء الأبناء ص ١١)

٢٧ - خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشاً على إكرام زوار بيت الله الحرام

كان هاشم بن عبد مناف يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيُسَئِدُ ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ، فيخطب قريشاً ، فيقول :

« يا معشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسطها^(٨) أنساباً ، وأقربها أرحاماً ، يا معشر قريش ، أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره ، دون بني إسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ .

[١] عالياً من بدخ بذخا : كفرح . [٢] أرومة : بالعصم والفتح أى أصل . [٣] أصله أيضاً . [٤] علا وطال . [٥] الملجأ . [٦] أنقلنا . [٧] رزأه ماله : يجعل وعلم أصاب منه شيئاً رزأه ، كارتزأه ماله ، ورزأه رزأاً ومرزئة أصاب منه خيراً . أى لسنا وافدين للعزاء . [٨] خيرهم : الوسط من كل شيء أعدله (فال أوسطهم وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) .

جارٌّ من جاره ، فأكرموا ضيفه ، وزوّار بيته ، فإنهم يأتونكم شعناً^(١) غُبْرًا من كل بلد ، فَوَرَبَّ هذه البنية^(٢) ، لو كَانَ لى مال يحمل ذلك لكفيتكموه ، ألا وإنى مخرج من طيّب مالى وحلاله ، ما لم يُقْطَعَ فيه رَحِمٌ ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعه ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحُرْمَةِ هذا البيت ألا يُخْرَج رجل منكم من ماله ، لكرامة زوّار بيت الله ومعونتهم إلا طيباً ، لم يؤخذ ظالماً ، ولم يُقْطَعَ فيه رَحِمٌ ، ولم يغتصب .

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٨)

٢٨ - خطبة كعب بن لؤى

وخطب كعب بن لؤى (وهو الجد السابع للنبي صلى الله عليه وسلم) فقال: « اسمعوا وعُوا ، وَتَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا ، وَتَفَهَّمُوا تَفَهَّمُوا ، ليل ساجٍ^(٣) ، ونهار صاجٍ^(٤) ، والأرض مهّاد ، والجبّال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كل ذلك إلى بلاء ، فصلوا أرحامكم ، وأصلحوا أحوالكم ، فهل رأيتم من هلك رجع ، أو ميتاً نُشِر ، الدار أمامكم ، والظن خلاف ما تقولون ، زَيْنُوا حَرَمَكُمْ وعظموه ، وتمسكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتى له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبى كريم ، ثم قال :

نهارٌ وَلَيْلٌ وَاخْتِلَافٌ حَوَادِثِ	سَوَالٍ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا
يُثَوِّبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوَبَا	وَبِالنَّعَمِ الضَّافِي عَلَيْنَا سُتُورُهَا ^(٥)
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلُبُ أَهْلُهَا	لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	فِيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقاً خَبِيرُهَا

[١] جمع أشعث : وهو ملبّد الشعر مغبره [٢] الكعبة : (والبنية بكسر الباء وضمة هاء وسكون النون ما بنيت به) . [٣] الساجى الساكن والدائم . [٤] لعله ضاجّ من ضجّ القوم صاحوا وأجلبوا . [٥] التأوب الرجوع .

نَمْ قَالَ :

يَا لَيْتَنِي شَهِدْتُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا (١)

(صح الأعشى ١ : ٢١١)

٢٩ — تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع

عند أحد ملوك حمير

اجتمع عامر بن الظرب العدواني ، وحممة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلنا حتى أسمع ما تقولان . قال عامر لحممة : أين تحب أن تكون أياديك ؟ قال : عند ذى الرثية (٢) العديم ، وذى الخلعة (٣) الكريم ، والمعسر الغريم ، والمستضعف الهضم . قال من أحق الناس بالمقت ؟ قال : الفقير المختال ، والضعيف الصوال ، والعيى القوال . قال فمن أحق الناس بالمنع ؟ قال : الحريص الكاند (٤) ، والمستמיד (٥) الحاسد ، والمُلحِف الواجد . قال فمن أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أُعطي شكر ، وإذا مُنِع عذر ، وإذا مُوْطِل صَبَرَ ، وإذا قَدِمَ العهدُ ذَكَر . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ قال : من إن قَرُبَ مَنْعٌ ، وإن بَعُدَ مَدْحٌ ، وإن ظَلِمَ صَفَحَ ، وإن ضَوِيقَ سَمَحَ ، قال : من أَلَمَ الناس ؟ قال : من إذا سَأَلَ خَضَعَ ، وإذا سُئِلَ مَنَعَ ، وإذا مَلَكَ كَنَعَ (٦) ، ظَاهِرُهُ جَشَعَ (٧) ، وبَاطِنُهُ طَبَعَ (٨) . قال : فمن أَحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قَدِرَ ، وأَجَل إذا تَصَرَّ ، ولم تُطْعِمِهِ عِزَّةَ الظفر . قال : فمن أَخْزَم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصْبَ عَيْنِيهِ ، ونَبَذَ التَّهَيِّبَ

[١] غوى الكلام وخوؤه مناه ومذهبه . [٢] الرثية وجمع المفاصل واليدين والرجلين

(الرومانزم) . [٣] الخلعة الحاجة . [٤] الكاند الذى يكثر النعمة والسكود الكفور : (إن

الانسان لربه لكود) . [٥] المستميد والمستمير المستعطى . [٦] تقبض . تكتنع جلده إذا تقبض

أى ممسك بخيل . [٧] الجشع : أسوأ الحرص . [٨] الدنس .

دَبَّرَ أَذْنِيهِ^(١) . قال : فمن أخرج الناس ؟ قال : من ركب الخطار^(٢) ، واعتسف^(٣) العِثَارَ ، وأسرع في البِدَارِ ، قبل الاقتدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من بذل المجهود ، ولم يَأْسَ على المعهود . قال فمن أبلغ الناس ؟ قال : من جَلَّى المعنى المَزِيزَ^(٤) باللفظ الوجيز ، وَطَبَّقَ^(٥) المَفْصِلَ قبل التحزير . قال : فمن أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من تَحَلَّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف ، وَتَجَاوَزَ ما يخاف إلى ما لا يخاف . قال : فمن أَشَقَى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على القِسَمِ ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحْتَمَمْ . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التجميل للناس ، واستكثر قليل النعم ، وَلَمْ يَسْخَطْ على القسم قال : فمن أحكم الناس ؟ قال : من صَمَتَ فَأَدَّ كَرَّ ، ونظر فاعتبر ، وَوُعِذَ فازدجر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخُرْقَ مَغْنَمًا ، والتجاوز مَغْرَمًا .

(الأمل إلى ٢ : ٢٨٠)

٣. — خطبة قس بن ساعدة الإيادي

خطب قُسُّ بن ساعدة الإيادي بسوق عُكَاظَ ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا وَعُودُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلٌّ ما هو آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ^(٦) ، وَنَهَارٌ سَاجٍ ، وسماء ذات أبراج ، وَنَجْمٌ تَزْهَرُ^(٧) ، وَبَحَارٌ تَزْخَرُ^(٨) ، وَجِبَالٌ مَرُوسَةٌ ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ^(٩) ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ ، إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَ كُفْرًا فَنَامُوا ؟ يَقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ : إِنْ لِلَّهِ دِينَارٌ هُوَ أَرْضِي لَهُ ، وَأَفْضَلُ

[١] جعلت الشيء دبر أدنى : إدام ألفت إليه . [٢] جمع خطر ، وهو الإشراف على الهلاك .

[٣] الاعتساف : ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة . [٤] الصعب .

[٥] التطبيق : أن يصيب السيف الفاصل فيفصلها لا يمازوها . [٦] مظلم . [٧] تنوء وتتلأ .

[٨] تفتل وترتفع . [٩] مدحوة : أي مبسوطة ، وإنما قال مدحاة مراعاة السجع .

من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً . وَيُرْوَى أَنْ قَسَا أَنْشَأُ
بعد ذلك يقول :

في الذاهين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقي غابر^(١)
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

(صبح الأعشى ١ : ٢١٢ ، إيجاز القرآن ١٢٤ ، البيان والنبين ١ : ١٦٨ ،
الأغانى ١٤ : ٤٠ ، المعجم الفريد ٢ : ١٥٦ ، وجمع الأمثال المبداني ١ : ٧٤)

٣١ - خطبة المأمون الحارثي

قعد المأمون الحارثي في نادى قومه ، فنظر إلى السماء والنجوم ، ثم أفكر
طويلاً ، ثم قال : «أرعونى أسماعكم ، وأصغؤوا إلى قلوبكم ، يَبْلُغُ الوعظ منكم حيث
أريد ، طَمَحَ^(٢) بالأهواء الأشر ، وَرَانَ^(٣) على القلوب الكدر ، وطنطنخ^(٤) الجهل
النظر ، إن فيما ترى لَمُعْتَبَرًا لمن أعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس
تَطْلُعُ وتَغْرُبُ ، ونجوم تسرى فتعزب ، وقر تطلعه النحور ، وتمحقه أديار
الشهور ، وعاجز مثير ، وَحَوْلُ^(٥) مكدي ، وشاب مختصر^(٦) ، وَيَفَنَ قد غبر ،
وراحلون لا يتوبون ، وموقوفون لا يُفَرِّطُونَ^(٧) ، ومطر يرسل بقدر ، فيحيي
البشر ، ويورق الشجر ، ويُطْلِعُ الثمر ، وينبت الزهر ، وماء يتفجر ، من الصخر

[١] مقيم . [٢] ارفع وعلا وذهب . [٣] غلب . [٤] أظلم . [٥] رجل حول :
شديد الاحتيا ، وأكدي : لم ينح ، وأصله من أكدي إذا حفر فصادف الكدية (بضم الكاف) وهي
الصفاء العظيمة الشديدة . [٦] الذي يموت حدثاً ، وهو مأخوذ من الحضرة كأنه حصد أخضر ، واليفن
الشيخ الكبير . [٧] يقدمون .

الْأَبْرَ^(١) ، فيصدع المدّر ، عن أفنان الخضر ، فيُخَيّ الأنام ، وَيُسْبِع السَّوَامَ ، وَيُنْمِي الأنعام ، إن في ذلك لأوضح الدلائل على المدبر المقدر ، البارئ المصور ، يأيها العقول النافرة ، والقلوب الثائرة^(٢) ، أَنِّي تُؤَفِّكُونَ ، وعن أى سبيل تَعْمَهُونَ ، وفي أى حيرة تهيمون ، وإلى أى غاية تُوفِضُونَ^(٣) ، لو كُشِفَتِ الاغطية عن القلوب ، وتجلّت الغشاوة عن العيون ، لصرّح الشك عن اليقين ، وأفاق من نشوة الجهالة ، مَنْ أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الضلالة . (الأمل ١ : ٢٧٦)

٣٢ — خطبة هاني بن قبيصة الشيباني

قال هاني بن قبيصة الشيباني يُحَرِّضُ قَوْمَهُ يَوْمَ ذِي قَارِ^(٤) :
« يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ ، هَالِكٌ مَعْدُورٌ ، خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٌ ، إِنَّ الْحَذَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ ، الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيَّةُ ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ ، الطَّعْنُ فِي ثَغْرِ^(٥) النُّجُورِ ، أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ ، يَا آلَ بَكْرٍ ، قَاتِلُوا فَمَا لِلْمَنِيَا مِنْ بُدٍّ » . (الأمل ١ : ٩٢)

٣٣ — خطبة عمرو بن كلثوم

أما بعد : فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تركية نفسه ، ولا يعبر عنه في تركية أصحابه أصدق من اعتماده إياهم برغبته ، وائتمانه إياهم على حرمة^(٦) . (البيان والنبين ٢ : ٦٩)

[١] الصلب . [٢] الثائرة النافرة ، نارت نوراً بفتح الون ، ونوارا بفتحها وكسرهما بفت .

[٣] تسرعون . [٤] كان من أعظم أيام العرب وأبلغها في توهين أمر الأعاجم ، وهو يوم لبي

شيبان ، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً ، فظفر بنو شيبان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم .

[٥] جع ثغرة بالضم : وهي ثغرة النحر بين الزقوتين (والثغرة بالفتح : كل هورة مفتحة) .

٣٤ - خطبة أبي طالب

في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة

خطب أبو طالب حين زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة فقال :
« الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بلداً
حراماً ، وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكماء على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن
أخي من لا يُوازن به فتى من قريش إلا رجَّح عليه : براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ،
ومجداً ونُبلاً ^(١) ، وإن كان في المال قُلٌّ ^(٢) ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية ^(٣)
مُسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثلُ ذلك ، وما أحببتُم
من الصَّدَاقِ فعلى » .

(صح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وإعجاز القرآن ١٢٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٣)

٣٥ - حديث بعض مقاول حمير مع ابنه

وما دار بينه وبينهما من المسألة حين كبرت سنه

كَانَ لِرَجُلٍ مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرِ ابْنَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا عَمْرُو ، وَالْآخَرُ رِبِيعَةُ . وَكَانَا
قَدْ بَرَعَا فِي الْأَدَبِ وَالْعِلْمِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الشَّيْخَ أَقْصَى عَمْرُهُ ، وَأَشْفَى ^(١) عَلَى
الْفَنَاءِ ، دَعَاهُمَا لِتَبْلُو ^(٢) عَقُولَهُمَا ، وَيَعْرِفَ مَبْلَغَ عِلْمِهِمَا ، فَلَمَّا حَضُرَا . قَالَ لِعَمْرُو
- وَكَانَ الْأَكْبَرَ - أَخْبِرْنِي عَنْ أَحَبِّ الرِّجَالِ إِلَيْكَ ، وَأَكْرَمِهِمْ عَلَيْكَ . قَالَ :
« السَّيِّدُ الْجَوَادُ ، الْقَلِيلُ الْإِنْدَادُ ، الْمَاجِدُ الْأَجْدَادُ ، الرَّاسِي الْأَوْتَادُ ، الرَّفِيعُ
الْعِمَادُ ، الْعَظِيمُ الرَّمَادُ ، الْكَثِيرُ الْحُسَادُ ، الْبَاسِلُ الذَّوَادُ ^(٣) ، الصَّادِرُ الْوَرَادُ »
قَالَ مَا تَقُولُ يَا رِبِيعَةُ ؟ قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا وَصَفَ ! وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ،

[١] دكاء ونجابة . [٢] قلة . [٣] ما يستعار ، مشددة وقد تخف . [٤] أشقى عليه :

أشرف . [٥] ليخبر . [٦] من زاد عنه إذا دفع .

قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : « السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، القمقام ^(١) الزعيم ، الذى إن هم فعل ، وإن سُئِلَ بذل .
قال أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال إليك . قال : البرم ^(٢) اللثيم ،
المُسْتَحْذَى ^(٣) للخصيم ، المِبْطَان ^(٤) النهم ، العِي أنبكيم ، الذى إن سئل منع ،
وإن هُدِّدَ خضع ، وإن طلب جَشِعَ ^(٥) . قال ما تقول يا ربعة ؟ قال : غيره
أبغض إلىَّ منه . قال : ومن هو ؟ قال : النُّوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ،
الرَّغِيب عند الطعام ، الجبان عند الصِّدام .

قال أخبرنى يا عمرو : أى النساء أحب إليك ؟ قال : الحرّة كَوَلَةٌ ^(٦)
اللفاء ^(٧) ، الممكورة ^(٨) الجيذاء ، التى يَشْفِي السقيم كلامها ، ويُبْرِى الوَصِبَ ^(٩)
إلمامها ، التى إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن
استعبتتها ^(١٠) أُغْتَبَت ، الفاترة الطَّرْف ، الطفلة ^(١١) الكف ، العميمة الرِّدْف .
قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : نَعَتَ فأحسن ! وغيرها أحب إلىَّ منها . قال :
ومن هى ؟ قال : « الفتانة العينين ، الأسيلة ^(١٢) الخدين ، الكعاب ^(١٣) الثديين ،
الرِّدَاح ^(١٤) الوركين ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ^(١٥) ، الرّخيمة ^(١٦)
الكلام ، الجماء ^(١٧) العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام ^(١٨) ،

[١] السيد (ويضم) . [٢] البرم : من لا يدخل مع القوم فى الميسر . [٣] الحاضع المستكين ،
والخصيم الخاصم . [٤] من همه بطنه ، أو الرغب لا ينتهى من الأكل . [٥] الجشع : أسوأ الحرص .
[٦] المرتجة الأرداف . [٧] الملتفة الجسم . [٨] المطوية الخلق من النساء والمستديرة
الساقين ، والجيذاء من الجيد بالتحريك وهو طول الرقبة ، أو دقتها مع طول . [٩] المريض .
[١٠] استعته طلب إليه العتي (الرضا) وأعته أعطاه العتي . [١١] الناعمة . [١٢] الأسيل من
الحدود الطويل المسترسل . [١٣] كعب الثدي نهدي . [١٤] الثيلة العجيرة الضخمة الوركين .
[١٥] الزوج . [١٦] اللينة الكلام . [١٧] التى ليس لعظامها حجم . [١٨] المراد موضع اللثام
فهو على هدف مضاف .

قال : فأى النساء إليك أبغض يا عمرو ؟ قال : القَتَّانَةُ ^(١) الكذوب ،
الظاهرة العيوب ، الطَوَّافَةُ ^(٢) الهَبُوب ، العابسة القُطُوب ، السَّبَّابة ^(٣) الوَثُوب ،
التي إن ائتمنها زوجها خانتها ، وإن لان لها أهانتها ، وإن أرضاها أغضبتة ، وإن
أطاعها عصته ، قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بئس والله المرأة ذكر ! وغيرها
أبغض إلى منها . قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السِّلِيْطَةُ ^(٤)
اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها
من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وَتَرَّتْهُ ^(٥) ، وإن ناطقها انتهرته . قال
ربيعة : وغيرها أبغض إلى منها . قال : ومن هي ؟ قال : التي شقى صاحبها ، وَخَزَى
خاطبها ، واقتضح أقاربها . قال : ومن صاحبها ؟ قال : مثلها في خصالها كلها ،
لا تصلح إلا له ، ولا يصلح إلا لها . قال : فصفه لى . قَالَ : الْكَفَّورُ غير
الشَّكُور ، اللائم الفَجُور ، العَبُوس الكالِح ^(٦) ، الحرون الجامح ، الرَّاضِى
بالهوان ، المختال المَنان ، الضعيف الجنان ، الجَمْدُ ^(٧) البنان ، القَتُول غير الفَعُول ،
المَلُول غير الوَصُول ، الذى لا يَرِغُ ^(٨) عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .
قَالَ أخبرنى يا عمرو : أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران
للتجالد ؟ قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكَفَيْت ^(٩) العَرِيق ،
الشديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، وَيَلْحَقُ إذا طلب . قال : نعم الفرس
والله نعمت ! قال فما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أحب إلى منه . قال : وما هو ؟
قال : الحصان الجَوَاد ، السِّلِس القِيَاد ، الشَّهْم الفَوَاد ، الصَّبُور إذا سرى ،
السابق إذا جرى .

[١] النمامة . [٢] الكثيرة الانتباه والهبوب والريح المثيرة للغبار . [٣] الطويلة .
[٤] أحفظته وأغضبتة . [٥] كالخ : تكشر فى عبوس . [٦] كناية عن البخل .
[٧] وريع : كورث كف . [٨] السريع .

قال : فأى الخيل أبغض إليك يا عمرو ؟ قال : الجَمُوحُ الطَّمُوح ، النُّكُولُ ^(١) الانُوح ^(٢) ، الصَّئُول ^(٣) الضَّعِيف ، المَلُول العَنيف ، الذى إن جاريته سبقتة ، وإن طلبته أدركته . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : غيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : البطيء الثقيل ، الحَرُون الكَلِيل ، الذى إن ضربته قُص ، وإن دنوت منه شَمَسَ ^(٤) ، يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، وَيَقْطَع بالصاحب . قال ربيعة : وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الجَمُوح الخَبُوط ^(٥) ، الرَّكُوزُ الخَرُوط ^(٦) ، الشَّعُوسُ الضَّرُوط ^(٧) ، القَطُوف ^(٨) فى الصعود والهبوط ، الذى لا يُسَلِّمُ الصاحب ، ولا ينجو من الطالب .

قال : أخبرنى يا عمرو أى العيش أَلْذُّ ؟ قال : عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتياق ^(٩) مُدَامَةٍ . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : نَعَمَ الْعَيْشُ وَاللَّهُ وَصَف ! وغيره أَحَبُّ إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : عيش فى أَمْنٍ ونعيم ، وَعِزٍّ وغنى عَمِيم ، فى ظل نجاح ، وسلامة مَسَاءٍ وصَبَاحٍ ، وغيره أَحَبُّ إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : غِنَى دَائِمٍ ، وعيش سالم ، وظِلٌّ ناعم .

قال : فما أَحَبُّ السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الصَّقِيلُ الحُسَام ، الباتر المِجْدَام ^(١٠) ، الماضى السَّطَام ^(١١) المُرْهَفُ ^(١٢) الصَّمْصَام ^(١٣) ، الذى إن هز زته لم يَكْبُ ^(١٤) ، وإذا ضربت به لم يَنْبُ ^(١٥) . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال :

[١] النكول : الذى ينكل عن قرنه . [٢] الانوح : الكثير الزحير . [٣] الصئول : وصئيل الفرس صهيله . [٤] شمس الفرس ، منع ظهره : فهو شامس وشموس . [٥] الكثير الحبط : وهو السير على غير هدى . [٦] الخروط الدابة تجتذب رسلها من يد ممسكها ثم تمضى . [٧] الكثير الضراط . [٨] قطفت الدابة : ضاق مشيتها وهى قطوف . [٩] اغتياق : شرب الفوق وهو ما يشرب بالشئ والمدامة الجر كالدم . [١٠] من الجدم : وهو النقطع . [١١] الحد . [١٢] رهف السيف ، وأرهفه رفقته . [١٣] السيف لا يثنى كالصمصامة . [١٤] لم يكثر . [١٥] لم يكل عن الضربة .

نعم السيف نعت ! وغيره أحبُّ إلى . قال وما هو ؟ قال : الحسام القاطع ، ذو الرُّونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إن هز زته هتَكَ^(١) ، وإذا ضربت به بَتَكَ^(٢) . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفُطَّار^(٣) الكَهَام^(٤) ، الذى إن ضرب به لم يقطع ، وإن دُبح به لم يَنخَع^(٥) . قال : فما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس السيف والله ذكر ! وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الطَّبِيعُ^(٦) الدَّدَانُ^(٧) ، المِعْضَدُ^(٨) المَهَان .

قال : فأخبرنى يا عمرو : أى الرِّمَاح أحبُّ إليك عند المِرَّاس ، إذا أعتكر البَّاس ، وأشتَجَرَ الدَّعَاس^(٩) ؟ قال : أحبها إلىَّ المَارِنُ^(١٠) المُنْقَفُ ، المَقْوَمُ المَخْطَفُ^(١١) ، الذى إذا هز زته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : « نِعَمَ الرِّمَح نعت ! وغيره أحبُّ إلىَّ منه . قال وما هو ؟ قال : الذَّابِلُ^(١٢) العَسَّال ، المَقْوَمُ النَّسَّال ، الماضى إذا هز زته ، النافذ إذا هز زته . قال : فأخبرنى يا عمرو عن أبغض الرِّمَاح إليك . قال : الأعْصَلُ^(١٣) عند الطعان ، المثلَّم السَّنان ، الذى إذا هز زته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : بئس الرِّمَح ذكر ! وغيره أبغض إلىَّ منه . قال : وما هو ؟ قال : الضَّعِيفُ المَهْزِ^(١٤) ، اليا بَس الكَزْ^(١٥) ، الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال انصرفا ، الآن طاب لى الموت » . (الأمل ١ : ١٥٢)

[١] مرَّق . [٢] قطع . [٣] الذى لا يقطع ، وهو مع ذلك حديث الطبع . [٤] سيف كهام كليل . [٥] لم يبلغ النخاع . [٦] من الطمع أى الصدا . [٧] الذى لا يقطع . [٨] القصير الذى يتهن فى قطع الشجر وغيرها . [٩] الطعان : دعه إذا طعنه . [١٠] المارن : ما لان من الرمح ، والمنقف : المسوى بالثقاف ، وهو ما تسوى به الرماح . [١١] الحطف بضم فسكون الصر ، وإخطاف الحشى انطاوؤه ، ومنه فرس مخطف الحشى أى ضامره ، ورجل مخطف كذلك ورمح مخطف أى دقيق . [١٢] قنا ذابل : أى دقيق لاصق بالليط (بكسر اللام ، والليطة : قشر الفأفة) ، والعسال : الشديد الاضطراب إذا هز زته ومنه العسلان بالتحريك ، وهو عدو فيه اضطراب ، والسنلان قريب منه . [١٣] المتلوى : الموج . [١٤] مهز كنهه : دفعه . [١٥] الكرازة : اليبس والانباض كرهوه كز .

٣٦ - قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طيء

أتى أبو جُبَيْل قيس بن خُفَّاف البرُجُمي حاتم طيء، في دماء حملها عن قومه ،
فأسلموه ^(١) فيها ، وعجز عنها ، فقالَ والله لآتين من يحملها عني ، وكان شريفاً
شاعراً ، فلما قدم عليه قالَ : « إنه وقعت بين قومي دماء فتواكلوها ، وإني
حملتها في مالي وأملي ، فَقَدَّمْتُ مالي ، وكنتَ أُملي ، فَإِنْ تَحْمِلُهَا فرب حق قد
قضيته ، وهم قد كفيتَه ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك ، ولم أياس من
غدك . ثم أنشأ يقول :

حملت دماءً للبراجم جحَّةً	فجئتُك لما أسلمتني البراجم ^(٢)
وقالوا (سفاها) لم حملت دماءنا	فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم ^(٣)
مَتى آتَه فيها يقل لي مرحباً	وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم ^(٤)
فيحملها عني ، وإن شئت زادني	زيادة من حنت إليه المكارم
يعيش الندى ما عاش حاتم طيء	فإن مات قامت للسقاء مآتم
ينادين مات الجود معك فلا نرى	محبياً له ما حام في الجو حاتم
وقال رجال أنهب العام ماله	فقلت لهم إني بذلك عالم ^(٥)
ولكنه يعطي من أموال طيء	إذا جلفَ المالَ الحقوق للوازم ^(٦)
فيعطي التي فيها الغنى وكأنه	لتصغيره تلك العطية جارم ^(٧)
• بذلك أوصاه عدي وحشرج	وسعد وعبد الله تلك القماقم ^(٨)

[١] خذلوه . [٢] الراحم من تميم . [٣] السفاه : السفه . والحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . [٤] الأشائم : ضد الأيامن . [٥] أنهب المال : حمله نهبا يفار عليه . [٦] أي جرده وانتقمه . [٧] جرم الرجل (بفتحين) : أذنب كأجرم . [٨] جمع ققام وهو السيد .

فقال له حاتم : إن كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك ، هذا مِرْبَاعِي^(١) من الغارة على بني تميم ، نخذه وافراً ، فإن وفى بالحمالة ، وإلا أكملتها لك ، وهو مائتا بعير سوى بنيتها وفصّالها ، مع أنني لأحب أن تؤيس قومك بأموالهم ، فضحك أبو جُبَيْل وقال : لكم ما أخذتم منا ، ولنا ما أخذنا منكم ، وأى بعير دفعته إليّ ، ليس ذنبه في يد صاحبه ، فأنت منه برىء ، فدفعتها إليه وزاده مائة بعير ، فأخذها وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم في ذلك :

أَتَانِي الْبُرْجِيُّ أَبُو جُبَيْلٍ	لَهُمْ فِي حَمَالَتِهِ طَوِيلٌ
فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْمِرْبَاعَ رَهْوَاً	فَإِنِّي لَسْتُ أَرْضَى بِالْقَلِيلِ ^(٢)
عَلَى حَالٍ ، وَلَا عَوَّدْتُ نَفْسِي	عَلَى عِلَّاتِهَا عِلَلِ الْبَخِيلِ
نَخَذَهَا إِنِّهَا مَائَتَا بَعِيرٍ	سَوْى النَّابِ الرِّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ ^(٣)
فَلَا مَنِّ عَلَيْكَ بِهَا ، فَإِنِّي	رَأَيْتُ الْمَنَّ يُزْرِى بِالْجَزِيلِ
فَأَبِ الْبَرْجِيِّ وَمَا عَلَيْهِ	مِنْ أَعْبَاءِ الْحَمَالَةِ مِنْ فَتِيلِ
يَجُرُّ الذَّيْلَ يَنْفُضُ مِذْرَوِيَهُ	خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ حَمَلٍ ثَقِيلِ ^(٤)

(ديل الأمالى ٢٢ ، والأغاني ٧ : ١٤٥)



[١] المربع : ربع الغنيمة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها . [٢] يقال : آتيتك به رهوا أى آتيتك به عمواً سهلاً لا احتباس فيه . [٣] الناقة المسنة ، والرذية : مؤنث الردى ، وهو الضعيف من كل شيء . ومن أثقله المرض . [٤] المذروان : أطراف الألية بلا واحد أو هو المذرى ، ومن الرأس ناحيته ، ويقال جاء يفض مذكرويه . أى باغيا متهددا .

الوصايا

٣٧ - وصية أوس بن حارثة لابنه مالك

عاش الأوس بن حارثة دهرًا ، وليس له ولد إلا مالك ؛ وكان لأخيه الخزرج خمسة : عمرو ، وعوف ، وجشتم ، والحارث ، وكعب فلما حضره الموت . قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك ، فلم تزوج حتى حضر الموت ، فقال الأوس : « لم يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فاعل الذي استخرج العذق ^(١) من الجريمة ^(٢) ، والنار من الوثيمة ^(٣) ، أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بسلا ^(٤) ، يمالك ، المنيّة ولا الدنيّة ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلّد لا التبلّد ، وأعلم أن القبر خير من الفقر ، وشرّ شارب المشتف ^(٥) ، وأقبح طاعم المقتف ^(٦) ، وذهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومن قلّ ذلك ، ومن أمر ^(٧) فلّ ، وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، والدهر يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلاهما سينحسر ^(٨) ، فإنما تعز ^(٩)

[١] العذق : النحلة يحملها والعنق (بكسر العين) القوم منها . [٢] النواة . [٣] الوثيمة : الحارة ، وثمة : كسره ودقه . ووثم الفرس الأرض : رجها بجوارحه . (ومن أيمان العرب لا والذي أخرج العنق من الجريمة . والنار من الوثيمة ، وقولهم : لا والذي شقهنّ خسا من واحدة يعنون الأصابع ، وقولهم : لا والذي أخرج قاذبة من قوب يعنون فرخا من بيضة . لا والذي وجهي زمم بيته (بالتحريك) أى قصده وحداه . [٤] شجعانا : جمع باسل . [٥] المستفصى : اشتف ما في الإيذاء شربه كله . واشتف إذا شرب الشفاة (بالضم) ، وهى البقية تبقى في الإيذاء . [٦] الآخذ بعجلة ، ومنه سمى القفاب وهو من يسرق الدراهم بين أصابعه . [٧] أمر كفرح أمرا وأمرة : كثر وتمّ دهر أمر (وأمره الله وأمره كنصره كثره : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . أى كثرنا . [٨] ينكسر . [٩] تملب . عزّه يعزّه كنصره عزّا ، وعزّ يعزّ كنضرب عزّا وعزّة صار عزيزا .

من ترى ويعزك من لا ترى ، ولو كان الموت يُشترى ، اسلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستوون ، الشريف الأبلج ، واللئيم المعلنج^(١) ، والموت المُفِيتُ ، خير من أن يقال لك هَبِيتَ^(٢) ، وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، حيّاك إلهك .
(الأماي ١ : ١٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)

٣٨ - وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد

لما اُخْتُضِرَ^(٣) ذو الإصبع دعا ابنه أسيداً ، فقال له : يا بني إن أباك قد فني وهو حيّ ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت ، فاحفظ عني . ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وأبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يُكْرِمُكَ كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، وأحم حرّيك ، وأعز جارك ، وأعز من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح^(٤) ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتم سوؤدك .
(الأماي ٣ : ٦)

٣٩ - وصية أكرم بن صيفي لبنيه ورهطه

وصّى أكرم بن صيفي بنيه ورهطه ، فقال : « يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم الدهر بنفسي ، إن بين حيزومي^(٥) وصدري لكلاماً لا أجديله مواقع إلا أسمعكم ، ولا مقارراً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ،

[١] المتسامي في الدناءة والؤم . [٢] الأحمق الضعيف . [٣] حضره الموت . [٤] أي في وقت الصريح وهو نداء المستغيث . [٥] الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

تَحْمَدُوا مَغْبِيَّتَهُ ، الهوى يقظان ، والعقل راقد ، والشهوات مُطْلَقَةٌ ، والحزم معقول ^(١) والنفس مهملة ، والروية مُقَيَّدَةٌ ، ومن جهة التواني وترك الروية ، يتلف الحزم ، ولن يعدم المشاور مُرْشِدًا ، والمُسْتَبَدُّ برأيه موقوف على مَدَاحِضٍ ^(٢) الزلل ، ومن سمع شمع به ، ومصارع الرجال تحت بروق الطَّمَع ، ولو اعتُبرت مواقع المحن ما وُجِدَتْ إِلَّا فِي مَقَاتِلِ الْكِرَام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجَدَد ^(٣) أَمِنَ العثار ، ولن يَعْدَمَ الحسود أَنْ يُتَعَبَ قلبه ، وَيَشْمَلَ فِكْرُهُ ، وَيُورَثَ ^(٤) غِيظُهُ ، ولا تجاوز مَضَرَّتَهُ نَفْسَهُ .

يا بنى تميم : الصبر على جَزَعِ الحلم أعذب من جَنَى ثمر الندامة ، ومن جعل عِرْضَهُ دُونَ مَالِهِ اسْتَهْدَفَ لِلذم ، وَكَلَّمَ الْمَسَانَ أَنْكِي' مِنْ كَلَمِ السَّنَان ، والكلمة مرهونة ما لم تَنْجُمَ مِنَ الْفَم ، فَإِذَا نَجَمَتْ فَهِيَ أَسَدٌ مُحَرَّبٌ ^(٥) ، أَوْ نَارٌ تَلَهَّبُ ، وَرَأَى النَّاصِحَ اللَّييبَ دَلِيلٌ لَا يَجُوزُ ، وَنَفَازُ الرَّأْيِ فِي الْحَرْبِ ، أَجْدَى مِنَ الطَّمَنِ وَالضَرْبِ » .
(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥ ، وشرح العيون ١٥)

٤ . — نصيحة أَكْثَمَ بْنِ صَيْفَى لِقَوْمِهِ

ونصح قومه فقال : « أَقْلُوا الْخِلَافَ عَلَى أُمَرَائِكُمْ ، وَاْعَلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَاحِ مِنَ الْفَشْلِ ، وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا مُحَالَةَ ، يَا قَوْمُ تَثَبَّتُوا فَإِنْ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِيْنُ ^(٦) وَرَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُّ رِيثًا ^(٧) ، وَاتَّرَرُوا لِلْحَرْبِ ، وَادَّرِعُوا اللَّيْلَ ، فَإِنَّهُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ، وَلَا جَمَاعَةَ لِمَنْ اخْتَلَفَ » .
(الأغاني ١٥ : ٧٠)

[١] محبوس . [٢] جمع مدحصة ، وهي المزلة . [٣] الأرض المستوية . [٤] يوقد .
[٥] التحريب : التحريش والتعديد ، والمحرَّبُ والتحرَّبُ الأسد . [٦] الرزين . [٧] بطئا .

٤١ — وصية عمرو بن كلثوم لبنيه

أوصى عمرو بن كلثوم التَّغْلِي ، فقال : يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْعَمْرِ مَا لَمْ يَبْلُغَ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي وَأَجْدَادِي ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَمْرِ مُقْتَبِلٍ ، وَأَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِالْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَالْأُمَهَاتِ وَالْأَوْلَادِ ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَوْصِيكُمْ بِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ رَجُلًا قَطُّ أَمْرًا إِلَّا عَيَّرَ بِي مِثْلَهُ ، إِنْ حَقًّا خُفَا ، وَإِنْ بَاطِلًا فَبَاطِلًا ، وَمَنْ سَبَّ سَبًّا ، فَكَفُّوا عَنِ الشَّتْمِ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لِأَعْرَاضِكُمْ ، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ، تَعْمُرُوا دَارَكُمْ ، وَأَكْرَمُوا جَارَكُمْ يَحْسُنْ ثَنَاؤُكُمْ ، وَزَوَّجُوا بَنَاتِ الْعَمِّ بَنِي الْعَمِّ ، فَإِنْ تَعَدَّيْتُمْ بِهِنَ إِلَى الْغُرَبَاءِ ، فَلَا تَأَلُّوا بِهِنَ الْإِكْفَاءَ ، وَأَبْعَدُوا بِيُوتِ النِّسَاءِ مِنْ بِيُوتِ الرِّجَالِ ، فَإِنَّهُ أَغْضُّ لِلْبَصْرِ ، وَأَعْفَى لِلذِّكْرِ ، وَمَتَى كَانَتْ الْمَعَايِنَةُ وَاللِّقَاءُ ، فِي ذَلِكَ دَاءٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَغَارُ لغيرِهِ ، كَمَا يَغَارُ لِنَفْسِهِ ، وَقُلْ مَنْ أَنْتَ هَكَذَا حَرَمَةُ لغيرِهِ إِلَّا أَنْتَ هَكَذَا حَرَمَتُهُ ، وَأَمْنَعُوا الْقَرِيبَ مِنْ ظَلَمِ الْغَرِيبِ ، فَإِنَّكَ تَذِلُّ عَلَى قَرِيبِكَ ، وَلَا يَحِلُّ بِكَ ذِلُّ غَرِيبِكَ ، وَإِذَا تَنَازَعْتُمْ فِي الدِّمَاءِ فَلَا يَكُنْ حَقُّكُمْ لِلِقَاءِ ، فَرُبَّ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَوَدَّ خَيْرٌ مِنْ خَلْفٍ ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعَمُوا ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجَزُوا ، فَإِنْ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ^(١) ، وَمَوْتُ عَاجِلٍ خَيْرٌ مِنْ ضَنْئِ آجِلٍ ، وَمَا بِكَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا دَهَانِي بَعْدَهُ زَمَانٌ ، وَرَبَّمَا شَجَانِي مَنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ عَنَانِي ، وَمَا عَجِبْتُ مِنْ أُحْدُوثةٍ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا أُعْجُوبةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رُويَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتِبَ لَمْ يُعْتَبَ^(٢) ، وَمَنْ

الناس من لا يُرْجى خيره ، ولا يخاف شره ، فَبَنَكُوهُ ^(١) خير من دَرَّه ،
وعقوقه خير من بَرَّه ، ولا تُبَرِّحُوا في حُبكم ، فَإِنَّه من بَرَّح في حب ، آَلَ ذلك إلى
قييح بغض ، وكم قد زارنى إنسان وزرته ، فانتقلب الدهر بنا فَبُرَّتْه ^(٢) ، واعلموا
أن الحكيم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هَرِمْتُ ، ودخلتني ذلة
فسكت ، وضعف قلبى فَأَهْتَرْتُ ^(٣) ، سالمكم ربكم وحياكم .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٥)

٤٢ — وصية الحرث بن كعب لبنيه

وأوصى الحرث بن كعب بنيه فقال :

« يَا بَنِيَّ قَدْ أَتَتْ عَلَى مِائَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً ، مَا صَاحَتْ يَمِينِي غَادِرٌ ، وَلَا
قَنِعَتْ لِنَفْسِي بِخُلَّةٍ ^(٤) فَاجِرٌ ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةِ عَمٍّ وَلَا كَنَنَةٍ ^(٥) ، وَلَا بُحْتُ
لصَدِيقٍ بَسَرٌ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ مُؤَمِّسَةٍ قِنَاعًا ، وَلَا بَقِيَ عَلَى دِينِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ
— وَرَوَى : عَلَى دِينِ شَعِيبٍ — مِنْ الْعَرَبِ غَيْرِي وَغَيْرَ تَيْمٍ بَنِ مَرَّةٍ ، وَأَسَدُ بْنُ
خَزِيمَةَ ، فَهَوُوا عَلَى شَرِيعَتِي ، وَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي ، وَإِلَهُكُمْ فَاتَّقُوا ، يَكْفِيكُمْ مَا أَهَمُّكُمْ ،
وَيُصْلِحْ لَكُمْ حَالَكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَّتِهِ ، فَيُحِلَّ بِكُمْ الدَّمَارَ ، وَيُوحِشْ مِنْكُمْ الدِّيَارَ ،
كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، فَتَكُونُوا شِيعَةً ، وَبُرُّوا قَبْلَ ^(٦) أَنْ تُبَزُّوا ، فَهَوُوا فِي عَزٍّ
خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ ، وَكُلْ مَا هُوَ كَأَنَّكَ كَأَنَّ ، وَكُلْ جَمْعٌ إِلَى تَبَايُنٍ ، وَالدَّهْرُ

[١] بَكَاتُ النَّابَةِ بِكَتَا قَلَّ لَبْنَاهَا . [٢] بَارَهُ : حَرَّبَهُ . [٣] الْغَتَرُ بِالْفَمِّ ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنْ كِبَرٍ أَوْ
مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ وَقَدْ اهْتَدَاهُمُ هَتَرٌ بِفَتْحِ النَّاءِ شَادٍ وَقِيلَ أَهْتَرُ بِالْبَاءِ الْمَجْهُولِ . [٤] الْخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ الْمُخْتَصَّةُ لَا خَلَلَ
فِيهَا تَكُونُ فِي عَفَافٍ وَفِي دَعَارَةٍ (وَالْخُلَّةُ أَيْضًا الصَّدِيقُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ) . [٥] الْكَنَنَةُ :
امْرَأَةُ الْإِبْنِ أَوْ الْأَخِ جَمْعُ كَنَانٍ . [٦] بَزَمَ : سَلَبَهُ ، وَفِي الْمَثَلِ مَنْ عَزَّ بَرٌّ ، أَيْ مَنْ غَابَ سَلَبٌ .

صَرَفَان، صَرَف بلاء، وصَرَف رخاء، واليوم يومان، يوم حَبْرَة، ويوم عَبْرَة،
والناس رجلان، رجل لك، ورجل عليك، زوَّجوا النساء الأَكْفَاء، وإلَّا
فانتظروا بهن القضاء، وليكن أطيب طيبهن الماء، وإياكم وَالْوَرَهَاء^(١)، فإنها
أدوأُ الداء، وإن وَلدها إلى أفن^(٢) يكون، لا راحة لقاطع القرابة، وإذا اختلف
القوم أمكنوا عدوهم، وآفة العدو اختلاف الكلمة، والتفضل بالحسنة، يقي
السيئة، والمكافأة بالسيئة دخول فيها، وعمل السوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث
الهم، وانتهاك الحرمة، يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يُعَقِّب النكد، ويخرب
البلد، وَيَحَقِّق العدد، والإسراف في النصيحة، هو الفضيحة، والحقْد يمنع الرِّفْد،
ولزوم الخطيئة، يعقب البلية، وسوء الدعة، يقطع أسباب المنفعة، والضغائن
تدعو إلى التباين، يَا بَنِي، إني قد أَكَلْتُ مع أقوام وشربت، فذهبوا وَغَبَرَتْ،
وَكَأَنِّي بِهِمْ قد لَحِقْتُ، ثم قال :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنِيهِ	وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ دَهْوَرٍ دَهْوَرًا
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبَتِهِمْ	فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ، عَسِيرَ الْقِيَامِ	قَدْ تَرَكْتُ الدَّهْرَ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيُّتُ أَرَاغِي نَجُومَ السَّمَاءِ	أَقْلَبُ أَمْرِي بِطُونًا ظَهْرًا

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٤)



[١] المكفاء : من وره كفرح : حتى فهو أورده .

[٢] ضعف الرأي والعقل .

الباب الثاني الخطبة الأولى في عصر صدر الإسلام

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إِنَّ الرَّائِدَ ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبَتْكُمْ ،
وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَرْتُكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ خَاصَّةٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةٌ ، وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ سَيِّئًا تَنَامُونَ ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا
تُسْتَبْقِظُونَ ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالسُّوءِ
سُوءًا ، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا ، أَوْ لِنَارٌ أَبَدًا » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكمال لان الأثير ٢ : ٢٧)

[١] ما رسل في طلب الكلاء .

٤٤ خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صَدَق وَعْدَهُ ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ ^(١) أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدَّعَى ، فهو تحت قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، إِلَّا سِدَانَةُ ^(٢) الْبَيْتِ ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا ، فِيهِمَا الدِّينَةُ مُغْلَظَةٌ ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِيفَةً ^(٣) فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَتَعَظُمَ ^(٤) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الْآيَةُ . يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أَوْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ) مَا تَرُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا خَبِرَا ، أَخَ كَرِيمٍ ، وَإِنْ أَخَ كَرِيمٍ ، قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ ،

وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣)

٤٥ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَقَرُهُ ، عَمَّا قَالِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبِؤُهُمْ أَجْدَانُهُمْ ، وَنَأْكُلُ مِنْ تَرَائِمِهِمْ . كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ ^(٥) ، طُوبَى ^(٦) لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا أَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ

[١] المكرمة . [٢] خدمه الكعبة . [٣] الحلقه : الحامل من الياق . [٤] تعظم : تكبر .

[٥] الجوح : الإهلاك والاستئصال كالاجتياح . [٦] مؤث أطيب ، والمسنى والمير وشجرة و

الجنة أو الجنة .

الذل والمسكنة ، طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ،
وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ
قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتُهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ . (صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

٤٦ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ ، تَوَبُّوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا ، وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ ، وَكَثْرَةِ الضَّدَقَةِ
فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، تُرْزَقُوا وَتُؤَجَّرُوا وَتُنْصَرُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ
اقْتَرَضَ عَلَيْكُمْ الْجُمُعَةَ ، فِي مَقَامِي هَذَا ، فِي عَامِي هَذَا ، فِي شَهْرِي هَذَا ، إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ ، حَيَاتِي وَمَنْ بَعْدَ مَوْتِي ، فَمَنْ تَرَكَهَا وَلَهُ إِمَامٌ ، فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ ، وَلَا
بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، أَلَا وَلَا حِجَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَوْمَ لَهُ ، أَلَا وَلَا صَدَقَةَ لَهُ ، أَلَا وَلَا
بِرَّ لَهُ ، أَلَا وَلَا يَوْمُ أَعْرَابِيٍّ مُهَاجِرٍ ، أَلَا وَلَا يَوْمُ فَاجِرٍ مُؤْمِنًا ، إِلَّا أَنْ يَقْهَرَهُ
سُلْطَانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ أَوْ سَوْطَهُ » . (إغمار القرآن ص ١١٠)

٤٧ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ
أَحَادِيثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَصْدَقُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ ، وَأَحِبُّوا اللَّهَ
مِنْ كُلِّ قَلُوبِكُمْ ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُوا عَلَيْهِ قُلُوبَكُمْ ، اعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ^(١) ، وَصَدَّقُوا صَالِحَ مَا تَعْمَلُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(إيجاز القرآن ص ١١٠)

٤٨ — خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضا أنه خطب بعد العصر فقال :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ خُلُوءَةٌ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النَّسَاءَ ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا عَامَهُ . . . ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السَّعَفِ فقال : إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى . »

(إيجاز القرآن ص ١١٣)

٤٩ — خطبته بالخيف

وخطب بالخيف من منى فقال :

« أَنْصَرَّ ^(٢) اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقْهٍ لَا فَقْهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يَنْغِلُ ^(٣) عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالنَّصِيحَةُ لِأُولَى الْأَمْرِ ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ ، إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَمَنْ كَانَ هُمُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ شِمْلَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَمَّتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَ هُمُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . »

(إيجاز القرآن ص ١١٢)

[١] التقية : التقوى . [٢] من النصرة والنصاره ، وهى الحسن .

[٣] غل صدره يغل كصرب غلا ، وهو الحقد والضغن .

٥٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس ، إن لكم مَمَآلِمَ ^(١) فانتھوا إلى مَمَآلِكُمْ ، وإن لكم نهايةً فانتھوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله فاعِلٌ فيه ، وَأَجَلٍ باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ ^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنةُ أو النار .
(تهذيب الكامل ١ : ٥ ، إيجاز القرآن ١١٠ ، البيان والنبأ ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١)

٥١ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس فَقَدَّمُوا لأنفسكم ، تَعْلَمَنَّ والله لَيُضْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم يقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآيتك مالا ، وأفضلت عليك ، فما قدَّمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً ، فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قُدَّامَهُ فلا يرى غير جَهَنَّمَ ، فن استطاع أن يبق وجهه من النار ، ولو بِشِقٍّ من تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجْزَى الحسنةُ عشرَ أمثالها إلى سبعمائة ضعف ^(٣) ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته . » (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

[١] جمع معلم كذهب ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة المطهرة .

[٢] استعته أعطاه العتي (وهي الرضا والصفح) وطلب إليه العتي .

[٣] ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاً ، أو الضعيف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضد عفه يريدون مثله .

مئلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

٥٢ — خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أَمَحَدُهُ وأَسْتَعِينُهُ وأَسْتَغْفِرُهُ وأَشْهَدُ بِهِ وَلَا أُكْفِرُهُ
وأَعَادِي مِنْ يَكْفُرُهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له ، وأنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَقَوْلَةٍ مِنَ
الْعِلْمِ ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَدُنُوقٍ مِنَ السَّاعَةِ ، وَقُرْبٍ مِنَ
الْأَجْلِ ، مَنْ يَضَعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ (١) ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى وَفَرَّطَ ،
وَصَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ خَيْرُ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ
يَحْضُنَّهُ عَلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ،
وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ نَصِيحَةً . وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ لَمْ
عَمَلْ بِهِ عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَهُ مِنْ رَبِّهِ . عَوْنُ صِدْقٍ عَلَى مَا تَبْغُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ،
وَمَنْ يَصْلَحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ ، لَا يَنْوِي بِذَلِكَ إِلَّا
وَجْهَ اللَّهِ . يَكُنْ لَهُ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ . وَذُخْرًا فِيْمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقَرُ الْمَرْءُ
إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَى ذَلِكَ يُوَدُّ لَوْ أَنْ يَبْنِيَهُ وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيَحْذَرُكُمْ
اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ . وَالَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ ، وَأَنْجِزْ وَعْدَهُ لَا خُلْفَ
لِذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : « مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » .
فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ
يُوقِي مَقْتَهُ ، وَيُوقِي عِقَابَهُ ، وَيُوقِي سُخْطَهُ ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ يُدَيِّضِ الْوُجُوهَ ،
وَيَرْضَى الرَّبُّ ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ ، خُذُوا بِحِطَّكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ ، قَدْ

علمكم الله كتابه ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ،
فَأَحْسِنُوا كما أحسن الله إليكم ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ
اجْتَبَاكُمْ وَسَمَا كُمْ الْمُسَامِينَ ، لِيُذْهِبَ عَنْ هَٰؤُلَاءِ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيُخَيِّمَ مِنْ حَيْثُ عَنْ بَيِّنَةٍ ،
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، وَأَعْمَلُوا مَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ
مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ ،
وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . (تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٥٣ خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله نحمده وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسَنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْثِكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَسْتَفْتِحُ ^(١) بِالَّذِي هُوَ خَيْرُ ،
أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي أَيْبَنَ لَكُمْ ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي
هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، إِلَى أَنْ تَلْقَوْا
رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا . أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟
اللَّهُمَّ أَشْهَدُ ! فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أَيْمَنَهُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ رُبَا
الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ رَبًّا أَبْدَأَ بِهِ رَبَا عُمَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنْ
دِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنْ أَوَّلُ دِمٍ نَبْدَأُ بِهِ دِمَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَرْثِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ^(٢) ، وَإِنْ مَا آثَرِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السِّدَّانَةِ وَالسَّقَايَةِ ، وَالْعَمْدُ

[١] . الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . [٢] وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته بنو هذيل .

قَوْد^(١) ، وَشَبَّهَ الْعَمْدَ مَا قُتِلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ وَفِيهِ مِائَةٌ بَعِيرٌ ، فَمَنْ زَادَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَتَّبِعُ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ ، وَلَكِنَّهُ^(٢) قَدْ رَضِيَ أَنْ يَطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا النَّسِيءُ^(٣) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاظِمُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وَإِنْ الزَّمَانُ قَدْ أُسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ، وَوَاحِدٌ فَرْدٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ^(٤) الَّذِي بَيْنَ مُجَادَى وَشَعْبَانَ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟

اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَا يُؤْطَيْنَ فَرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلُنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بَيْوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ،

[١] القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل . [٢] رواية الكامل لابن الأثير : «إن الشيطان قد يتبس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تحمرون من أعمالكم » .

[٣] أى تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام ، وهم عاربون أحلوه ، وحرّموا مكانه شهراً آخر فيحلون المحرم ، ويحرمون صفرًا ، فإن احتاجوا أحلوه وحرّموا ربيعاً الأول ، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها ، وكانوا يمتدّون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة ، وأول من أحدث ذلك حنادة بن عوف السكاني كان يقوم على جبل في الموسم فينادي : إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم ينادي في القائل : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم . فحرموه — زيادة في الكفر ، أى كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم . ليواظبوا أى يوافقوا عِدَّةَ الأشهر الأربعة المحرّمة ، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليقسّم لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً ، ولذا نصّ على العدد المبين في الكتاب والسنة ، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك ، وكان في السنة التاسعة التى حجّ فيها أبو بكر بالناس في ذى القعدة ، وفي حجة الوداع في ذى الحجة ، وهو الذى كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « إن الزمان قد استدار . . . الخ » — راجع تفسير الألوسى ج ٣ ص ٣٠٥

[٤] قالوا في تلبية رجب وشعبان رجبان للتعليب .

وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلَنْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ ^(١) وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرَّحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنِ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النَّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ ^(٢) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْ يَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمِي فَضْلٌ إِلَّا بِالْتَّقْوَى ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد ! قَالُوا نَعَمْ . قَالَ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ اللَّهُ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ ، وَلَا يَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ ^(٣) ، مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ^(٤) ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(البيان والنبذ ٢ : ١٥ ، العقد المفريد ٢ : ١٣٠ ، إيجار القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ٤١ : ٤ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

[١] العصل : الحبس والنصيبي . [٢] جمع عازية من عنا ، أى خضع وذل ، والعاني : الأسير . [٣] وللعاهر : أى الراني ، أى لاحق له فى النسب ولا حظ له فى الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش ، أى لصاحب أمّ الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أى لاشئ له .

[٤] الصرف : النوبة والعدل العدية ، وقيل الصرف القيمة والعدل المثل ، وأصله فى العدية يقال : لم يقبلوا منهم صرماً ولا عدلاً ، أى لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلاً واحداً ، أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد فى كل شئ حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الذى يجب عليه وألزم أكثر منه .

٥٤ -- خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال خذ يدي يا فضل ، فأخذت يده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :
« أما بعد : أيها الناس فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إلهَ إلا هو ، وإنه قد دنا مني خُفُوقٌ ^(١) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظهرًا ، فهذا ظهري فَلَيْسَتْ قِدْ ^(٢) منه ، ومن كنتُ شتمتُ له عرضًا ، فهذا عرضي فَلَيْسَتْ قِدْ منه ، ومن أخذت له مالًا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يخشَ الشَّخَنَاءَ مِنْ قِبَلِي ، فإنها ليست من شأني ، ألا وإنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَّانِي فَلَقِيتُ رَبِّي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أرى أن هذا غير مُعْنٍ عني حتى أقومَ فيكم مرارًا » .

ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقاتته الأولى ، فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم ، فأعطاه عِوضَهَا ، ثم قال : « أيها الناس ، من كان عنده شيء فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَظْلُ فُضُوحُ الدُّنْيَا ، ألا وإن فُضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ » ثم صلى على أصحابِ أُحُدٍ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، ثم قال : « إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكي أبو بكر ، وقال : فدينناك بأنفسنا وآبائنا .
(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤) .

[١] خفق النجم يخفق خفوقاً غاب والطائر طار والليل أكثره . [٢] فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أماد القاتل بالقتيل قتله به ، واستنقاد المالك سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

خطب يوم السقيفة

لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا نؤلى هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بن عبادة ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه ، إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ، ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه ، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله : فيرفع صوته ، فيسمع أصحابه :

٥٥ - خطبة سعد بن عبادة

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا معشر الأنصار ، لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب ، إن محمداً عليه الصلاة والسلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن ، وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ ، ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عثموا به ، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه من غيركم ، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً^(١) ، حتى أئخن^(٢) الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ، وتوفاه الله وهو عنكم راض ، وبكم قري عيني ، أستبذوا بهذا الأمر دون الناس ، فإنه لكم دون الناس »

[١] صاغراً ذليلاً : من دخر كنع وفرح دخورا ودخرا بالتحريك .

[٢] 'أئخن' فلانا : أومنه ، والمراد أخضع .

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي ، وأصبحت في القول ، وإن نعدو ما رأيت ، ثوليك هذا الأمر ، وأتى عمر الخبر ، فأقبل إلى أبي بكر فقال : « أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟ وأحسنهم مقالة من يقول : مينا أمير ومين فريش أمير » فضيا مسرعين نحوهم ، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتمشوا إليهم ثلاثتهم ، فجاءواهم مجتمعون فقال عمر : أتيناكم وقد كنت زويت ^(١) كلاما أردت أن أقوم به فيهم ، فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدى المنطق . فقال لى أبو بكر : رويدا حتى أتكلم ، ثم انطق بعد بما أحييت ، فنطق . فقال عمر : فما شئ كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه .

٥٦ — خطبة أبي بكر رضى الله عنه

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه ، وشهيدا على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هى من حَجَر منحوت ، وخَشَب منجور ^(٢) ، ثم قرأ : « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » فمَظَم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، نَحَص الله المهاجرين الأولين من قومِهِ بتصديقِهِ ، والإيمان به ، والمؤاساة لَهُ ، والصبر معه ، على شِدَّةِ أذى قومِهِم لهم ، وتكذيبهم إِيَّاهم :

[١] زوام يزويه جمعه ، والمراد أعددت . ورواية العبد العريد (٢ : ٢٠٤) زورت كلاما بى معنى وزور الشئ حسنه وقومته ، والمراد أيضا هيأت وأعددت . [٢] النحر : نحت الخشب .

وكلُّ الناس لهم مخالفٌ زارٍ^(١) عليهم ، فلم يَسْتَوْحِشُوا لِقَلَّةِ عِدَدِهِمْ ، وَشَنَفٍ^(٢) الناس لهم ، وَإِجْمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِمْ ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ ، وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَا سَابِقَتُهُمْ الْعَظِيمَةُ فِي الْإِسْلَامِ ، رَضِيَكُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا لِدِينِهِ وَرَسُولِهِ ، وَجَعَلَ إِلَيْكُمْ هِجْرَتَهُ وَفِيكُمْ جَلَّةُ أَرْوَاجِهِ وَأَصْحَابُهُ ، فَيَسِ بَعْدَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَتِكُمْ ، فَنَحْنُ الْأُمَرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تُفْتَاتُونَ بِمَشُورَةٍ وَلَا تُقْضَى دُونَكُمْ الْأُمُورُ »

« هذه رواية الطبري لتلك الخطبة ، وأوردها غيره بنص آخر ، وهاكه »

٥٧ — نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : نحن المهاجرون ، أوَّلُ الناس إسلامًا ، وأكرمهم أحسابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسَهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسَامَنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْفِيءِ^(٣) . وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيَتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكَمُ اللَّهُ خَيْرًا ، فَنَحْنُ الْأُمَرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ فَرِيشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا^(٤) عَلَى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . »

(العقد الفريد ٢ : ١٣٠ — ٢٠٤ ، ص ٢٣٣ ، البيان والنبير ٣ : ١٤٧)

[١] زرى عليه زراية عابه . [٢] شنف له كمرح أبعسه وتكره فهو شنف .
[٣] العيمة والحراج . [٤] نفس عليه بحير (كمرح) حسده ، ونفس عليه الشيء بماسة لم يره أهلا له .

٥٨ - خطبة الحباب بن المنذر

ثمَّ قام الحُبَّاب بن المنذر بن الجمُوح فقال :
« يا معشر الأنصار : املِكُوا عليكم أمرُكم ، فإنَّ الناسَ في فيئِكُمْ وفي ظلكم ، وإنَّ يَجْتَرِيَّ مَجْتَرِيَّ على خلافكم ، وإنَّ يَصْدُرَ الناسَ إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزِّ والثروة ، وأولو العدد والمنعة والتجربة ، وذوو البأس والنجدة ، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسدَ عليكم رأيكم ، وينتقضَ عليكم أمرُكم ، فإنَّ أبى هؤلاء إلا ما سمعتم ، فإنا أميرٌ ومنهم أميرٌ . »

٥٩ - خطبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فقال عمر : « هيهات لا يجتمعُ اثنان في قرْن^(١) ، والله لا ترضى العربُ أن يؤمَّروكمُ ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ، وتولي أمورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجةُ الظاهرة ، والسلطانُ المبين ، من ذا ينازعنا سلطانَ محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل ، أو مُتَجَانِفٌ^(٢) لِإِثْمٍ ، أو مُتَوَرِّطٌ في هَلَكَةٍ ؟ »

٦٠ - خطبة أخرى للحباب بن المنذر

فقام الحباب بن المنذر ، فقال :

« يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإنَّ أبوا عليكم ما سألتوه ، فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم ،

فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين مَنْ دان ، ممن لم يكن يدين ؛ أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ^(١) ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة ^(٢) .

فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل ، فقال أبو عبيدة :
يا معشر الأنصار : إنكم أول من نصر وآزر ، فلا تكونوا أول من بدّل وغير .

٦١ — خطبة بشير بن سعد

فقام بشير بن سعد - أبو النعمان بن بشير - فقال :
« يا معشر الأنصار ، إنا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين ، ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضًا ، فإن الله وليّ المنّة علينا بذلك ، ألا إن محمدًا صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومته أحقّ به وأولى ، وإيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر أبدًا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم » .

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأَيُّهما شئتم فبايعوا ، فقالا لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك ، فإنك أفضل المهاجرين ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة ، والصلاة أفضل دين المسلمين ، فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك نبايعك ، وقام الناس إليه فبايعوه .
(تاريخ الطبري ٢٠٧ : ٣ ، والكامل لابن الأثير ١٥٨ : ٢)

[١] الجذيل : تصغير الجذل (بالكسر) ، وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجري لتحتك به وتتمرس ، والمحكك الذي تحتك به ، والعذيق تصغير العذق (بالفتح) ، وهو النخلة ، والرجب الذي جعل له رجة ، وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوّفوا عليها أن تقع من الرياح العواصف ، والتصغير هنا يراد به التكبير والتعظيم ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستشفي برأيه وعقله
[٢] الجذعة : الشابة الفتية ، يريد الحروب والمعارات .

خطب أبي بكر الصديق

رضي الله عنه

٦٢ - خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى^(١) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

« بأبي أنت وأُمي ! طِبْتَ حَيًّا ، وَطِبْتَ مَيِّتًا ! وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقُطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبِيِّينَ ، فَمَظُمَتٌ عَنِ الصِّفَةِ ، وَجَلَلَتْ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَّصْتُ حَتَّى صَرْتُ مَسْأَلَةً^(٢) ، وَعَمَمْتُ حَتَّى صَرْنَا فِيكَ سَوَاءً^(٣) ، وَلَوْلَا أَنْ مَوْتِكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ^(٤) ، لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ بِالْأَنْفُسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ ، لَأَنفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّعُونِ^(٥) ، فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ تَفْيِهُ عَنَّا ، فَكَمَدُ وَإِدْنَا^(٦) ، يَتَخَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ . اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْهُ عَنَّا السَّلَامَ ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِندَ رَبِّكَ ، وَانْكُنْ مِنْ بَالِكَ ، فَلَوْلَا مَا خَلَفْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نُقِمْ لِمَا خَلَفْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَّا ، وَاحْفَظْهُ فِينَا ! »

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم ، وعظيم سكراتهم ، فخطب خطبة قال فيها : « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا

[١] تمجبة الميت : تطيبه . [٢] خمس الشيء : من باب قدح خصوصاً فهو خاص : خلاف عم ، مثل اخص . (وكلا الفعلين يستعملان متعدياً ولازماً) ، والمعنى إليك يا رسول الله قد صرت بموتك مسالة للباس ، فإنك مع ما اخصصت به من مناقب السوة قد نزل بك الموت ، فللعباد فيك أسوة حسنة .

[٣] أى عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابك سواء في الحزن عليك والفرح لفقدك .

[٤] يشير إلى قوله عليه السلام : « لَمْ يَقْبِضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يَخِيرُ » قالت عائشة : سمعته وقد شمس بصره ، وهو يقول : « لَا فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى » فعلمت أنه خير ، فعلمت أنه لا يخارنا

إذن ، وقلت هو الذي كان يحدتنا وهو صحيح . [٥] جمع شأن ، وهو مجرى الدعاء إلى العين .

[٦] دنف المريض كمرح ، وأدنف : نمل ، والشمس : دنت للغروب واصفرت .

عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حَدَّث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ... في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه . وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر . يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط^(١) ، ولا يَشْغَلْكُمْ الشيطان بموت نبيكم ، ولا يَفْتِنَكُمْ عن دينكم ، فمجالوه بالذي تُعْجِزُونَهُ ، ولا تستنظروه فيلحق بكم»
(زهر الآداب ١ : ٣٥)

٦٣ — خطبته بعد البيعة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس : إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتُموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(العقد المرید ٢ : ١٣٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٥ ، وصيون الاخبار م ٢ : ٢٣٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٢٠٣ ، ابن أبي الحديد م ٢ : ٨ ، وم ٤ : ١٦٧ ، سيرة ابن مشام ٢ : ٤٣٠)

٦٤ — خطبة أخرى له بعد البيعة

وقال الطبري : نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم لِيَتِمَّ بَعَثُ أُسَامَةَ : أَلَا لَا يَبْقَيْنَ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ ، وَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلَّكُمْ سَتَكَلَّفُونِي مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطِيقُ . إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْآفَاتِ ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي ، وَإِنْ زِغْتُ فَقَوِّمُونِي ، وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبِضَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ ^(١) ضَرْبَةِ سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا ، أَلَا وَإِنْ لِي شَيْطَانًا ^(٢) يَعتَرِينِي ، فَإِذَا غَضِبْتُ فَاجْتَنِبُونِي ، لَا أُؤَمِّرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ^(٣) ، أَلَا وَإِنِّكُمْ تَغْدُونَ وَتَرْوَحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ ، فَإِنْ أَسْتَعْطَمَ إِلَّا يَعْضِي هَذَا الْأَجَلَ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا ، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ آجَالِكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسَلِّمَ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ قَوْمًا نَسُوا آجَالَهُمْ ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ ، الْجِدُّ الْجِدُّ ، وَالْوَحَا ^(٤) وَالْوَحَا ^(٥) ، وَالنَّجَاءُ ^(٥) ، فَإِنْ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا ^(٦) ، أَجَلًا مَرَّةً سَرِيعًا ، أَحْذَرُوا الْمَوْتَ ، وَأَعْتَبَرُوا بِالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ ، وَلَا تَغْبِطُوا ^(٧) الْأَحْيَاءَ إِلَّا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الْأَمْوَاتَ » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٦٧)

[١] الظلامة . [٢] قال ابن الحديد : وأراد بالشیطان العصب ، ولم يرد أن له شیطاناً من مردة الجن يعتریه إذا غضب ، ولو كان له شیطان من الجن يعتاده وينوبه لكان في عداد المصروعين من الجن ، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لامن أوليائه ولامن أعدائه . [٣] أبشار جمع بشر ، وهو جمع بشرة وهي ظاهر الجلد . [٤] العجلة والإسراع ، وحى وتوحى : أسرع ، وروحاء : مجله . [٥] الإسراع أيضاً . [٦] سريعاً . [٧] غبطه : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه .

٦٥ - خطبة أخرى

قال الطبرى : وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله
بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحفظ
ظفرهم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه ، من أيام فانية لأخرى باقية ، حين
فقركم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين
كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة
في مواطن الحروب ؟ قد تضعع بهم الدهر ، وصاروا رميماً ، قد تركت عليهم
القالات^(١) الخبيثات ، وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، وأين الملوك
الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ، ونسي ذكرهم ، وصاروا كالأشياء ، ألا وإن
الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ،
والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلفاً من بعدهم ، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ، وإن
أغترنا كنا مثلهم ، أين الوضاء^(٢) الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا
تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ،
وجعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم ، فلك مساكنهم خاوية ، وهم
في ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً^(٣) ؟ أين من
تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا ،
فخلوا عليه ، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ، ألا إن الله لا شريك له

[١] القول : في الخير ، والقال والقليل والقاله : في الشر . [٢] الوضاء جمع وضى . وهو الحسن
والنظيف ، وهو أيضاً وضاء بضم الواو وتشديد الضاد ، وجمعه وضءون . [٣] الصوت الحى .

ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءاً
إلا بطاعته واتباع أمره ، واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وأن ما عنده لا يُدرك
إلا بطاعته ، أما وإنه لا خير بخير بعده النار ، ولا شرّ بشرّ بعده الجنة .
(تاريخ الطبري ٣ : ٣١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١٦٧)

٦٦ — خطبة له

ومن خطبه : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :
« إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ، فرغ الناس رءوسهم ، فقال :
مالكُم يامشر الناس ؟ إنكم لطعانون عجباون ، إن من الملوك من إذا ملك زهده
الله فيما في يده ، ورغبة فيما في يده ، وانتقصه شطر أجله ، وأشرب قلبه
الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخط^(١) الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع
عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة . ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسي^(٢) ،
والسراب الخادع ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت^(٣) نفسه ،
ونضب عمره ، وضحا ظله^(٤) ، حاسبه الله فأشدّ حسابه ، وأفلّ عفوّه . ألا إن
الفقراء هم المرحومون ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسرّوّن
بمدي ملكا عضوضاً^(٥) ، وأمة شعاعاً^(٦) ، ودما مضاحاً^(٧) فإن كانت للباطل
تروّة^(٨) ، ولأهل الحق جولة ، يعفوها الأثر ، وتموت السنن ، فالزموا المساجد ،

[١] تسخط عطاءه : استقله ولم يقم منه موقماً . [٢] الزائف . [٣] مات ووجبت الشمس
عابت ، والعين غارت . [٤] مات أيضاً . [٥] العضوض : ما يعص عليه ، وملك عضوض فيه
عسف وظلم . [٦] متفرقة . [٧] أفاقه : أراقه . [٨] ومة .

واستشيروا القرآن ، والزموا الجماعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصَّفقة بعد طول التناظر ، أَى بلاد خَرْشَنَة ^(١) إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٣ ، والبيان والتهيين ٢ : ٢١ ، والمقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعشى ١ : ٢١٣ ، وزهر الآداب ١ : ٣٩) .

٦٧ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله ، أحمدُه ، وأسْتعينُه ، وأسْتَغْفِرُه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأسْتهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلِّل فلن تجد له وليا مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حي لا يموت ، يُعزُّ من يشاء ، ويذلُّ مَنْ يشاء بيده الخير ، وهو على كلِّ شىء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ، ولو كره المشركون ، إلى الناس كافةً ، رحمةً لهم ، وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شرِّ حال في ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فِرْية ، فأعزَّ الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألَّفَ بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عزَّ وجل : « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » .

أما بعد أيها الناس : إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كلِّ أمر ، وعلى كلِّ حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فإنه ليس فيما دون الصدق من

[٢] خوشنة : بلد بالروم ، والمراد بلاد الروم .

الحديث خير ، مَنْ يَكْذِبْ يَفْجُرْ ، وَمَنْ يَفْجُرْ يَهْلِكْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرَ ، وَمَا خَرُّ
 مِنْ خَلْقٍ مِنَ التُّرَابِ ، وَإِلَى التُّرَابِ يَعُودُ ؟ هُوَ الْيَوْمَ حَيٌّ ، وَغَدًا مَيِّتٌ ، فَاعْمَلُوا
 وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدِّمُوا
 لِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا تَجِدُوهُ مُخَضَّرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
 مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
 بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ » . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَرَاقِبُوهُ ،
 وَأَعْتَبُوا بِمَنْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، وَأَعْمَلُوا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ ، وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ :
 صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ اللَّهُ ، إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ؛ فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، وَالْمُسْتَعَانَ
 اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، أَفْضَلَ
 مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَزَكَّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَأَلْحَقْنَا بِهِ ، وَأَحْشُرْنَا فِي
 زُمْرَتِهِ ، وَأُورِدْنَا حَوْضَهُ ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّكَ .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١)

٦٨ — خطبة له

وَخُطِبَ أَيْضًا ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَحْلِطُوا الرِّغْبَةَ
 بِالرَّهْبَةِ ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ أُثْنِيَ عَلَى زَكَرِيَّا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ :
 « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ » .
 ثُمَّ أَعْمَلُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ ارْتَمَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَكُمْ ،
 وَعَوَّضَكُمْ بِالْقَلِيلِ الْفَانِي الْكَثِيرَ الْبَاقِي ، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ ،

وَلَا يُطْفَأُ نوره ، فَثِقُوا بِقوله ، وَانْتَصِحُوا^(١) كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، وَوَكَل بِكُمْ الكرام الكاتبين يعامون ما تفعلون^(٢) .

(العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٢)

٦٩ — خطبة له في ندب الناس لفتح الشام

وَخطب يندب الناس لفتح الشام ، فحمد الله وَأثنى عليه ، وصلى عَلَى رسوله ، وقال : « أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لَهِ كِفَاهُ اللَّهِ ، عَلَيْهِمُ بِالْجِدِّ وَالْقَصْدِ ، فَإِنَّ الْقَصْدَ أَبْلَغُ ، أَلَا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ إِلَّا بِإِيمَانٍ لَهُ ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، أَلَا وَإِنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كَمَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحِبَّ أَنْ يُخَصَّ بِهِ ، هِيَ التَّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْخِزْيِ ، وَأَلْحَقَ بِهَا الْكِرَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٠)

٧٠ — خطبة له في الانصار

. وَوَصَلَ إِلَيْهِ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَاوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ ، فَغَضِبَتْ الْأَنْصَارُ ، وَقَالُوا لَهُ فَضَّلْنَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتُمْ ، إِنْ أُرِدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَ لَكُمْ صَارَ مَا عَمِلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَانْصَرَفُوا ، فَرَفَّقَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْزِبَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنُهُ عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ : إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلِّ آلِنَا ، وَشَاطَرْنَاكُمْ فِي أَمْوَالِنَا ، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ، قُلْتُمْ ، وَإِنْ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ ،

[١] انتصح فلان : قبل النصيحة ، يقال : انتصحني فلان لك ناصح . [٢] ورد عقب ذلك « ثم اعلموا عباد الله أنكم تعدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه . . . الخ » مما أورده ابن جرير الطبري في الخطبة التي أسلفنا ذكرها ص ٦٨

وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفرًا حين أُرِقتْ بنا نعلنا في الواطين فزلت
أبوا أن يملؤنا ، ولو أن أمنا تلقى الذي يلقون منا مللت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

(زهير الآداب ١ : ٣٩)

وصايا

٧١ — وصيته لأسامة بن زيد

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبي ، فقال :

« يا أيها الناس : قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا^(١)
ولا تغدروا^(٢) ، ولا تملوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ،
ولا تقعرؤا^(٣) نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة
ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كلة^(٤) ، وسوف تمرثون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في
الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية
فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ،
وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب ،
فاخفقوهم^(٥) بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله^(٦) » .

(تاريخ الطبري ٣ : ٢١٣ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ١٦٢)

[١] موضع بقرب مؤتة بمشارق الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة . [٢] غلّ يغلق كغلق : حان
كأغلّ ، وغلّ صدره يغلق كغلق غليلاً وغلاً حقد . [٣] غدروا وغدروا به كنصر وضرب وسمع .
[٤] قعر النحلة : كنع فانتعرت فطعمها من أصلها فسقطت . [٥] المأكلة ما أكل .
[٦] خفقه ضربه بشيء عريض . [٧] وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من

٧٢ - وصيته لعمر و بن العاص والوليد بن عقبة

وشيع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة مَبْعَثَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ :

« اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ خَيْرَ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، لَا يَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا ذِهَانٌ^(١) وَالتَّفَرُّيطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ فَوَامِ دِينَكُمْ ، وَعَصِمَةُ أَمْرِكُمْ فَلَاتَنْ ، وَلَا تَفْتُرْ » .
(تاريخ الطبري ٤ : ٢٩)

٧٣ - وصيته لخالد بن الوليد

وقال لخالد بن الوليد : « سرَّ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِذَا دَخَلْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ ، فَكُنْ بَعِيدًا مِنَ الْحَمَلَةِ ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ عَلَيْكَ الْجَوْلَةَ ، وَأَسْتَظْهَرُ بِالزَّادِ ، وَسِرُّ بِالْأَدِلَاءِ ، وَلَا تَقَاتِلْ بِمَجْرُوحٍ ، فَإِنْ بَعْضُهُ أَيْسَ مِنْهُ ، وَاحْتَرَسْ مِنَ الْبَيَّاتِ ، فَإِنْ فِي الْعَرَبِ غِرَّةٌ ، وَأَقْلَلْ مِنَ الْكَلَامِ ، فَإِنْ مَالَكَ مَا وُعِيَ عَنْكَ ، وَاقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتَهُمْ ، وَكَلِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِي سِرِّيَتِهِمْ ، وَأَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيْعُ وَدَائِعُهُ » .
(العقد المربد ١ : ٤٠)

٧٤ - وصيته ليزيد بن أبي سفيان

ووصى يزيد بن أبي سفيان حين وجَّهَهُ لِفَتْحِ الشَّامِ :
« إِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ لِأَبْلُوكَ وَأَجَرَّ بَكَ وَأَخَرَّ جَكَ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ ، فَعَمَلُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ

[١] الأذهان : الدامنة والنش .

مثل الذى يَرَى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد ^(١) فإياك وعِيبَةُ ^(٢) الجاهلية ، فإن الله يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا ، وإذا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ مُصَحَّبَتَهُمْ ، وابدأهم بالخير ، وَعِذْهُمْ إِيَّاهُ ، وإذا وعظتهم فأوجِزْ ، فإن كثير الكلام يُدْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا ، وإذا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمِهِمْ وَأَقْلِلْ لُبَّتَهُمْ حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تُرِيْهِمْ ^(٣) فَيَرَوْا خَلَاكَ ، ويعلموا عِلْمَكَ ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قِبَلِكَ من محادثتهم ، وكن أنت المتولَّى لِكَلَامِهِمْ ، ولا تجعل سرك لعلايتك ، فيختلط أمرك ، وإذا استشرت فاصْدُقْ الْحَدِيثَ تُصَدِّقْ الْمَشُورَةَ ، ولا تَحْزَنْ عَنِ الْمَشِيرِ خَبَرَكَ ، فَتَوُتَّى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ ، واشْمُرْ بِاللَّيْلِ فى أَصْحَابِكَ تَنَاتِكَ الْأَخْبَارَ ، وتنكشِفْ عِنْدَكَ الْأَسْتَارَ ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فى عسكرك ، وأكْثِرْ مفاجأتهم فى محاربتهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ ، فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبَتَهُ فى غير إفراط ، وعَقِّبْ ^(٤) بينهم بالليل ، واجعل النُّوبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْآخِرَةِ ، فإنها أيسرها لقربها من النهار ، ولا تَخَفْ مِنَ عَقُوبَةِ الْمُسْتَحَقِّ ، ولا تَلَجِّنْ فِيهَا ، ولا تُسْرِعْ إِلَيْهَا ، ولا تَخْذَ لَهَا مُدْقِعًا ^(٥) ، ولا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ ، ولا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ ، ولا

[١] هو خالد بن سعيد بن العاص ، وكان أبو بكر سيده إلى الشام أولاً ثم عرله . [٢] العيبة : الكبر والفخر ، وفى الحديث : (إن الله قد وضع عنكم عيبة الجاهلية) يعنى الكبر . [٣] من الرِّيث وهو الإبطاء . [٤] عقبه تعقباً : جاء بعقبه . [٥] لا تخذ : من خذاً تخذو كنصر وخذى يخذى كرضى إذ استرضى ، والمدقع : الهارب أو أشد الهزلى هزلاً ، أى ولا تضعف ، ولا تعين أمام تنفيذ العقوبة وهو مقابل لقوله : ولا تسرع إليها .

يكشِف الناس عن أسرارهم ، واكتفِ بعلايتهم ، ولا تجالس العيَّائين
وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدُقِ اللّقاء ، ولا تجبُنْ فيجبُنْ الناس ، واجتنب
القول^(١) ، فإنه يقربُ الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم
في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ١٩٦)

٧٥ — وصيته لعمر رضى الله عنهما عند موته

« إني مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل
لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدّى
الفريضة ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في
الدنيا و ثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلًا ، وإنما
خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ،
وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفًا ، إن الله ذكر أهل الجنة
فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف
ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر
حسناتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية
الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبًا راهبًا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ،
ولا يلقى بيده إلى التهلكة ، فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك
من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من
الموت ولست بمعجز الله . »

(البيان والبيان ٢ : ٢٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٨ ، والعقد الفريد ١ : ٢٩٨)

٧٦ — كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها

وقال عبد الرحمن بن عوف :

دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أما إني على ذلك لشديد الوجع ، وَلَمَّا لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدَّ عَلَىَّ من وجعي ، إني وَلَيْتُ أموركم خيرَكم في نفسي ، فكلَّكم وَرِمَ أَنْفَهُ أَنْ يكونَ له الأمرُ من دونه ، والله لَتَتَّخِذَنَّ نَضَائِدَ^(١) الدِّيَاجِ وستور الحرير ، وتَأْلَمَنَّ النومَ على الصوف الأذْرَبِيِّ^(٢) ، كما يَأْلَمُ أحدكم النوم على حَسَكِ السَّعْدَانِ^(٣) ، والذي نفسي بيده ، لَأَنْ يُقَدَّمَ أحدكم فتَضْرَبَ عنقه في غير حَدِّ خير له من أَنْ يُخَوَّضَ غَمَرَاتِ الدنيا ، يا هادى الطريق جُرْتُ إِنَّمَا هو والله الفجر أو البُجُرُ^(٤) » .

فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا يَهْمُضُكَ^(٥) إلى ما بك ، فوالله ما زِلْتُ صالحاً مصلحاً ، لا تَأْسَى على شيءٍ فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلّا خيراً .

(تهذيب الكامل ٦: ١ ، وإعجاز القرآن ١١٦ ، والعقد المريد ٢: ٢٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٤: ٥٢)

[١] جمع نضيدة ، وهى الوسادة وما ينضد من المتاع . [٢] نسبة إلى أدريجان .

[٣] نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه ويمدوها غذاء لايوجد في غيره ، وى المثل : مرعى ولاكل سعدان .

[٤] الشر والأمر العظيم . يقول : إن انتظرت حتى يعي لك الفجر والطريق أبصرت قصدك ، وإن خبطت الظلام ، وركبت المشواء هجما بك على المكروه ، وضرب ذلك مثلاً لغمرات الذي وتحيرها أمها .

[٥] هاس العظم : كسره بعد الجور .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٧٧ - خطبته حين ولي الخلافة

لما استخلف عمر رضى الله عنه صعد المنبر فقال : « إني قائل كلمات فأمنوا عليهن » فكان أول منطق نطق به حين استخلف : قال :
« إنما مثل العرب مثل جمل أنف^(١) اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده
وأما أنا فو رب الكعبة لأحملنهم على الطريق » .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٥٤ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٠٨)

٧٨ - خطبة أخرى

وقال ابن قتيبة فى عيون الأخبار : لما ولى عمر صعد المنبر فقال :
« ما كان الله ليرانى أرى نفسى أهلاً لمجلس أبى بكر ، ثم نزل عن مجلسه
مرّقه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اقرءوا القرآن تعرّفوا به ، واعملوا به
تكونوا من أهله ، إنه لم يبلغ حقّ ذى حقّ أن يطاع فى معصية الله ، ألا وإنى
أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، إن أستغنيت عفت ، وإن افتقرت
أكلت بالمعروف ، تقرّم^(٢) البهمة^(٣) الأعراية ، القضم لا الخضم^(٤) .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] أنف البعير : الشئ الذى منه من البرة فهو أنف وآنف ، وفى الحديث : « المؤمن كالجلل الأنف إن قيد انقاد ، وإن استنبح على صخرة استناخ » وذلك لاو جمع الذى به فهو دلول مقاد .
[٢] تقرّم المعنى أكل أكلاً ضعيفاً ، وذلك فى أول أكله . [٣] البهمة أولاد البأن والمعز والبقر .
[٤] القضم : الأكل بأطراف الأسنان والخضم الأكل بأقصى الأضراس .

٧٩ - خطبة له

وذكر الطبري أنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر ، ثم قال :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعاً^(١) بما ينوب من مهمم أموركم ، ما توليت ذلك منكم ، ولكني عمرٌمٌ ما مُخزناً انتظاراً موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ، ووضعها أين أضعها ، وبالسير فيكم كيف أسير ، فربّي المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأنيده .
(تاريخ الطبري ٥ : ٢٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٤)

٨٠ - خطبة له

ثم خطب فقال :

« إِنْ أَلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَلَّانِي أَمْرَكُمْ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعُ مَا بَحْضَرْتُمْ لَكُمْ ، وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْينَنِي عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَحْرُسَنِي عِنْدَهُ كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَأَنْ يُنْصِرَنِي الْعَدْلَ فِي قَسَمِكُمْ كَالَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ، وَإِنِّي أَمْرٌ مُسْلِمٌ وَعَبْدٌ ضَعِيفٌ ، إِلَّا مَا أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِنْ يَغَيِّرِ الَّذِي وَلَّيْتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خَلْقٍ شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، إِنَّمَا الْعِظْمَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ مِنْهَا شَيْءٌ ، فَلَا يَقُولُنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنْ عَمِرَ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِيٍّ ، أَعْتَمَلَ الْحَقُّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَتَقَدَّمَ وَأَبِينَ لَكُمْ أَمْرِي ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ ، أَوْ ظَلَمَ مَظْلَمَةً . أَوْ عَتَبَ عَلَيْنَا فِي خَلْقٍ فَلْيُؤْذِنِي ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ وَخُرُمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ

[١] الذي في كتب اللغة « اضطلاع » يقال هو مضطلع بهذا الأمر ، أي قوى عليه .

أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلى ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة ، وأنا حبيب إلى صلاحكم ، عزيز على عنتكم ، وأنتم أناسٌ عامتكم حصر في بلاد الله ، وأهل بلد لا زرع فيه ولا صرع ، إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على ما بحضرتي بنفسى إن شاء الله ، لا أكِلُهُ إلى أحد ، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة ، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله . (تاريخ الطبري ٢٦٠:٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣: ١٢٤)

٨١ - خطبة أخرى

وقال ابن عبد ربه : وخطب إذ ولي الخلافة : صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أيها الناس ، إني دايع فأمّنتوا ، اللهم إني غليظ قلبي لأهل طاعتك ، بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك ، وأهل الدّعارة ^(١) والنفاق ، من غير ظلم مني لهم ، ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيح ، فسَخني في نوائب المعروف ، قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا شّمة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقني خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان ، فآلهمني ذكرك على كل حال ، وذكّر الموت في كل حين ، اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقني النشاط فيها ، والقوة عليها ، بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك

وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك ، والحياة منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على

(العقد الفريد ٢ : ١٢٣)

كل شىء قدير .

٨٢ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ :
« أيها الناس ، إن بعض الطمع فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرور ، كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي ، فمن أمر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريره حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً ، واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يؤق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . أيها الناس أطيبوا مشواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطى^(١) فإنه إن لم يشف فيه يصف . أيها الناس : إني لو ددت أن أنجو كفافاً لالى ولا على ، وإني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن لا يبقى أحد من المسلمين وإن كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله

[١] القباطى (بضم الأول وتشديد الآخر ، أو القباطى بفتح الأول وتخفيف الآخر) ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل فى مصر جمع قبطية (بضم القاف نسبة إلى القبط على غير قياس وقد تكسر) وشفت الثوب يشف رق حكي ما تحته ، وقوله : فإنه يصف أى ما تحته من أجزاء البدن ويحددها لرقته وطرارته .

وإن لم يُعْمَلْ إليه نفسه ، ولم يُنْصَبْ إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقليل في رفق خيرٌ من كثير في عنف ، والقتل حتف من الختوف ، يصيب الأبرَّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليَعْمِدْ إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاً ، فإنَّ وجده حديد الفؤاد فليَشْتَرِهِ » .

(تاريخ الطبري ٥ : ٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ١٢٥)

٨٣ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ، واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً ، لنفسه وعبادته ، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عامة خلفه ، ولم يجعلكم لشيء غيره ، وسَخَّرَ لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمته ظاهرةً وباطنةً ، وحملكم في البرِّ والبحر ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً ، ومن نعم الله عليكم نعم عمَّ بها نبي آدم ، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولكم وزمانكم وطبقتكم ، وأيس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ ، خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها ، وفدَحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله ، فأنتم مُسْتَخْلَفُونَ في الأرض ، قاهرون لأهلها ، قد نصر الله دينكم ، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أُمَّتان ، أمة مستعبدة للإسلام وأهله . يتجرون لكم ، تستصفون ^(١) معاشهم وكداثهم وَرَشَّحَ جباههم ، عليهم المئونة

[١] استصفى الشيء : أخذ منه صفوه .

ولكم المنفعة ، وأمة تنتظر وقائع الله وَسَطَوَاتِهِ في كل يوم وليلة ، قد ملأ الله
فلوبهم رعباً ، فليس لهم معقلٌ يلجئون إليه ، ولا مَهْرَبٌ يتقون به ، قد دَهَمَتْهُمْ
جنود الله عز وجل ، ونزلت بساحتهم مع رفاغة ^(١) العيش ، واستفاضة المال ،
وتتابع البعوث ، وسدَّ الشغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة ، التي لم تكن هذه
الأمّة على أحسن منها مذكَانَ الإسلام ، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل
بلد ، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكرُ الشاكرين ، ودِكرُ الذاكرين ، واجتهادُ
المجتهدين ، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ، ولا يقدر قدرها ، ولا يستطيع
أداء حقها ، إلا بعون الله ورحمته ولطفه ، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو ، الذي
بإلانا هذا ، أن يرزقنا العمل بطاعته ، والمصارعة إلى مرضاته ، فاذكروا عباد الله
بلاء الله عندكم ، واستتموا نعمة الله عليكم ، وفي مجالسكم مثنى وفُرَادَى ، فإن الله
عز وجل قال موسى : « أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ
بِأَيَّامِ اللَّهِ » وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ
مُسْتَظْعِنُونَ فِي الْأَرْضِ » فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا
على شعبة من الحق تؤمنون بها ، وتستريحون ليها ، مع المعرفة بالله ودينه ، وترجون
بها الخير فيما بعد الموت ، لكان ذلك ، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم
الناس بالله جهالة ، فلو كان هذا الذي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم ،
عبر أنه ثقة لكم في آخرتكم ، التي إليها المعاد والمنقَاب ، وأنتم من جهد المعيشة
على ما كنتم عليه ، كنتم أحرى أن تشحوا على نصيبكم منه ، وأن تُظهِرُوهُ على

[١] رفع عينه ككرم رفاة : اتسع ، والرفاغة والرغاغة : سعة العيش والخصب والسعة .

غيره ، فَبَلَّهَ ^(١) ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا ، وكرامة الآخرة ، أو لمن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم ، إلا ما عرفتم حق الله فَعَمِلْتُمْ له ، وَقَسَرْتُمْ أنفسكم على طاعته ، وجمعت مع السرور بالنعيم خوفاً لزوالها ولا تتقالتها ، ووجلاً من تحوّلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها ، وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة ، وهذا الله على من أمركم ونهيكم واجب . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ١٢٥)

٨٤ - خطبة له

وخطب أيضاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أبا بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني . فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً ، إني بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ، ثم المهاجرين الأولين ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا من أخ راحلته ، إني قد بقيت فيكم بعد صاحبي ، فابتليت بكم ، وابتليت بي ، وإني لن يحضرني من أموركم شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحسنن إليهم ، ولئن أساءوا للأسأ كن بهم » . (العقد الفريد ٢ : ١٣٢)

[١] بله : اسم فعل بمعنى دع و اترك ، فما بعدها منصوب ، ومصدر بمعنى الترك ، فما بعدها مجرور بالاضافة ، واسم مرادف لكيف فما بعدها مرفوع بالابتداء .

٨٥ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« الحمد لله الذي أعزَّنَّا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ورَحَّمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجعلنا به من الشتات ، وآلَّف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكَّن لنا في البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صدَّقكم الوعد ، بالنصر على من خالفكم ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، وكُفِّرَ النعمة ، فقاما كفر قوم بنعمة ، ولم يَنْزِعُوا إلى التوبة ، إِلَّا سُلِبُوا عِزُّهُمْ ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ ، أيها الناس : إن الله قد أعزَّ دعوة هذه الأمة ، وجمع كلمتها ، وأظهر فَلَجْها ^(١) ونصرها وشرفها فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكرووه على آلائه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين »
(المعتمد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٦ - خطبة له

وخطب أيضاً فقال :

« أيها الناس : إنه أتى عَلَى حِينٍ ، وَأَنَا أَحْسَبُ أَنَّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يريد به الله وما عنده ، ألا وإنه قد خُيِّلَ إِلَى أَنْ أَقْوَامًا يَقْرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فَإِنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيِ يَنْزِلُ ، وَإِذَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، فَقَدْ رُفِعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ ، ألا فمن أظْهَرُ لَنَا خَبْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْنَا بِهِ عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَظْهَرُ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا ، وَأَبْغَضُنَاهُ

عليه ، أَقْدَعُوا^(١) هذه النفوس عن شهواتها ، فَإِنِهَا طُلَعَةٌ^(٢) وَإِنِّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا
تَنْزَعُ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ ، إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ^(٣) ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ
وَبِئْسَ^(٤) ، وَتَرَكُ الْخَطِيئَةَ خَيْرَ مَنْ مَعَالِجَةِ التَّوْبَةِ ، وَرَبُّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ،
وَشَهْوَةً سَاعَةً أَوْرَثَتْ حَزَنًا طَوِيلًا .

وفى رواية صاحب العقد : « أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أُبْعَثُ عُمَّالِي لِيَعْلَمُوَكُمْ دِينَكُمْ
وَسُنَّتَكُمْ ، وَلَا أُبْعَثُهُمْ لِيَضْرِبُوا ظَهْرَكُمْ ، وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ ، أَلَا مِنْ رَأْيِهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ فَلْيَرْفَعَهُ إِلَى ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَقْصِنَكُمْ مِنْهُ ، فَقَامَ عَمْرُو بْنُ
الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتَ عَامِلًا مِنْ عُمَّالِكَ ، فَأَدَّبَ رَجُلًا
مِنْ رَعِيَّتِكَ فَضْرَبَهُ ، أَتَقْصُّهُ مِنْهُ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ عَمْرِو بْنِ يَدِهِ لَا أَقْصِنُهُ مِنْهُ ،
فَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُ مِنْ نَفْسِهِ^(٥) » .

(الإيَّان والبيِّن ٣ : ٧١ ، وصيِّح الأَعْشى ١ : ٢١٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٣٢)

٨٧ — خطبته عام الرَّمَادَةِ

وخطب عام الرَّمَادَةِ^(٦) بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ
إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ وَبَقِيَّةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رَجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ :
(وَقَوْلَاكَ الْحَقُّ) « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ

[١] قدعه كنعنه : كفه . [٢] نفس طاعة : تكثر التطلع إلى الشيء . [٣] حميد العاقبة .
[٤] وخيم العاقبة . [٥] انظر خطبته صلى الله عليه وسلم رقم ٥٤ من ٦٠ [٦] في السنة الثامنة
عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة بالمدينة وما حولها فكانت تسقى إذا ريمحت تراباً كالرماد ، فسمى ذلك العام
عام الرَّمَادَةِ (الطبري ٤ : ٢٢٣)

كَتَرُ لَهْمًا ، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، اللهم اغفر لنا إنك كمنت غفاراً ، اللهم أنت الراعى لا تُهمل الضالّة ، ولا تدع الكسيرة بمضيعة ، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أغنهم بغيائك ، قبل أن يَقْنَطُوا فَيَهْلِكُوا ، فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون «
فما برحوا حتى علّقوا الحذاء ، وقلّصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون :
« هنيئاً لك يا ساقى الحرمين » . (العقد الفريد : ١٣٢)

ندب الناس لقتال فارس

كان المثنى بن حارثة الشيباني أمير جيش العراق قدم على أبي بكر بالمدينة يستمده فآلفاه مريضاً ، ووصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه ، فكان أول ما عمل به عمر ، أن ندب الناس مع المثنى إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر - وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم ، وأثقلها عليهم لشدة سلطانهم ، وشوكتهم ، وعزهم ، وقهرهم الأمم - وجعل يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فنذب الناس إلى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي - والد المختار - وتتابع الناس ، وتكلم المثنى بن حارثة فقال :

٨٨ - خطبة المثنى بن حارثة الشيباني

« أيها الناس : لا يعظمنّ عليكم هذا الوجه ، فانا قد تبجّجنا ^(١) ريف فارس ، وغلبناهم على خير شئى السّواد ، وشاطرناهم ونلنا منهم ، واجترأنا من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها » .

[١] تبجج : تمكن في المقام والحلول كبحجج ، والدار توسطها .

٨٩ - خطبة عمر رضى الله عنه

وقام عمر في الناس فقال :

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ^(١) ، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ، أين الطُّرَّاء ^(٢) المهاجرون عن موعود الله ، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ، فإنه قال : « لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » والله مُظْهِر دِينِهِ ، وَمُعِزْ نَاصِرِهِ ، وَمُوَلِّي أَهْلِهِ مَوَارِيثَ الْأُمَمِ ، أين عباد الله الصالحون . . ؟ فلما اجتمع له البعث أَمَرَ عليهم أولهم انتداباً ^(٣) وهو أبو عبيد وقال له : « اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المَكِيثُ ^(٤) الذي يعرف الفرصة والكف » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٦٠ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢١١)

٩٠ . خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص

وشيع جيش سعد بن أبي وقاص ، حين وجهه لحرب العراق ، فقام في الناس خطيباً فقال :

« إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصَرَفَ لكم الأقوال ، لِيُخَيِّبَ بها القلوب ، فَإِنَّ القلوب ميتة في صدورها حتى يُحْيِيهَا الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، وإنَّ للعدل أماراتٍ وتبشيرٍ ، فأما الأمارات : فالحياء ، والسخاء ، والهين ، واللين . وأما التبشير : فالرحمة ، وقد جعل الله لكل أمر باباً ، وَيَسِّرَ لكل باب مفتاحاً . فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات ،

[١] طلب السكّاء في موضعه . [٢] جمع طاري من طرأ عليهم كمنع أتا من مكان أو خرج عليهم

منه فجأة . [٣] نذب القوم إلى الأمر : دعاهم وحشهم ، وانتدبوا إليه أسرعوا . [٤] الرزين .

والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبّله حق ،
وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ، ولا تُصانع في ذلك أحداً ، واكتف بما
يكفيه من الكفاف ، فإن من لم يكفه الكفاف ، لم يُغنه شيء ، إني بينكم وبين
الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد ألزمني دفع الداء عنه ، فأنتهوا شكاتكم
إلينا ، فمن لم يستطع ، فإلى من يُبَلِّغُنَاها ، نأخذ له الحق غير مُتَعَتِع .

(تاريخ الطبري ٤ : ٨٥)

٩١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر

و بلغه أن قوماً يفضلونه على أبي بكر الصديق ، فوثب مُغَضِباً حتى صعد
المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أيها الناس : إني سأخبركم عنى وعن أبي بكر ، إنه لما توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، ومنعت شاتها وبعيرها ، فأجمع رأينا كلنا
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله : إن رسول الله كان
يقاتل العرب بالوحي والملائكة ، يُمدّه الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم
بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب ، فقال أبو بكر : أو كلكم رأيّه
على هذا ؟ فقلنا نعم ، فقال : والله لأن أخرج من السماء ، فتخطفنى الطير ، أحب
إلّى من أن يكون رأيي هذا ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله وكبرّه ، وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ، أيها الناس : أأن أكثر أعدائكم ، وقل عددكم ، ركب
الشیطان منكم هذا المركب ؟ والله ليُظهرنَّ الله هذا الدين على الأديان كلها ، ولو

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَوَعْدُهُ الصَّدَقُ ، بَلْ تَقْذِفْ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَذِمُّهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ، وَاللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ : لَوْ مَنَّوْنِي عِقَالًا^(١) لَجَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعْنَتْ
عَلَيْهِمْ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ مُعِينٍ » ثُمَّ نَزَلَ . (تهذيب الكمال ١ : ٨)

وصاياه

٩٢ - وصيته للمجاهدين

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عِنْدَ عَقْدِ الْأُلُويَةِ :
« بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ ، وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ ، امْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ ، وَلِزُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْتَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تَجَبُّنُوا عِنْدَ الْإِقَاءِ ، وَلَا تَمْلُؤُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَلَا تُسْرِفُوا
عِنْدَ الظُّهُورِ^(٢) ، وَلَا تَقْتُلُوا هَرِمًا وَلَا أُمْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا ، وَتَوَقَّوْا قَتْلَهُمْ إِذَا التَّقَى
الزَّحْفَانِ ، وَعِنْدَ شَنْ^(٣) الْغَارَاتِ » . (العقد الفريد ١ : ٤٠)

٩٣ - وصيته لسعد بن أبي وقاص

وَصَّى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ حِينَ أَمَّرَهُ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ فَقَالَ :
« يَا سَعْدُ سَعْدُ بْنُ وَهَيْبٍ ، لَا يَغْرُنْكَ مِنَ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ
وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا طَاعَتُهُ ،

[١] العقول : زكاة عام من الإبل والغنم ، أو المراد به الحمل مبالغة في الشدد . [٢] العلبة .

[٣] شَنْ الدارة عليهم : صيها من كل وجه .

فالناس شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ ، اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ ، يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ ، وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِالطَّاعَةِ ، فَاَنْظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْذُ بُعِثَ إِلَى أَنْ فَارَقْنَا فَأَلْزَمَهُ ، فَإِنَّهُ الْأَمْرُ ، هَذِهِ عَظَمَتِي إِيَّاكَ إِنْ تَرَكْتَهَا وَرَغِبْتَ عَنْهَا حَبِطَ عَمَلُكَ ، وَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِرِينَ .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٠)

٩٤ — وصيته لسعد بن أبي وقاص أيضا

ولما أراد أن يسرّحه دعاه فقال :

« إني قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كريبه ، لَا يُخَلِّصُ مِنْهُ إِلَّا الْحَقُّ ، فَمَوِّدُ نَفْسِكَ وَمَنْ مَعَكَ الْخَيْرَ وَأَسْتَفْتِي بِهِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَادَةٍ عِتَادًا ^(١) ، فَعِتَادُ الْخَيْرِ الصَّبْرُ ، فَالصَّبْرُ الصَّبْرُ عَلَى مَا أَصَابَكَ أَوْ نَابَكَ ، يَجْتَمِعُ لَكَ خَشْيَةُ اللَّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ فِي أَمْرَيْنِ : فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، وَإِنَّمَا أَطَاعَهُ مَنْ أَطَاعَهُ بِبُغْضِ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَعَصَاهُ مَنْ عَصَاهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَبُغْضِ الْآخِرَةِ ، وَلِلْقُلُوبِ حَقَائِقُ يُنْشِئُهَا اللَّهُ إِنْشَاءً ، مِنْهَا السِّرُّ ، وَمِنْهَا الْعِلَانِيَةُ . فَأَمَّا الْعِلَانِيَةُ فَأَنْ يَكُونَ حَامِدُهُ وَذَاؤُهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، وَأَمَّا السِّرُّ فَيَعْرِفُ بِظُهُورِ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَبِمَحَبَّةِ النَّاسِ ، فَلَا تَزْهَدُ فِي التَّحَبُّبِ ، فَإِنَّ النَّبِيِّينَ قَدْ سَأَلُوا مُحِبَّتَهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَبَهُ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا بَغْضَهُ ، فَاعْتَبِرْ مَنَزَلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنَزَلَتِكَ عِنْدَ النَّاسِ مِمَّنْ يَشْرَعُ مَعَكَ فِي أَمْرِكَ .

(تاريخ الطبرى ٤ : ٨٥)

٩٥ — وصية أخرى كتبها إلى سعد بن أبي وقاص

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما ومن معه من الأجناد :

« أما بعد : فَإِنِ آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمُسْكِينَةِ فِي الْحَرْبِ ، وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَأَنْتُمْ يُنْصَرُّ الْمَسَامُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ اللَّهُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ ، لِأَنْ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتُنَا كَعُدَّتِهِمْ ، فَإِنَّ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ ، كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصَرُّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْمَلُوا أَنْ عَلَيْكُمْ فِي سِيرِكُمْ حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَلَا تَعْمَلُوا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تَقُولُوا إِنَّ عَدُوَّنَا شَرٌّ مِنَّا ، فَلَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ شَرٌّ مِنْهُمْ كَمَا سُلِّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ (لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاخِطِ اللَّهِ) كُفَّارُ الْمُجْرِمِينَ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَلَكُمْ ، وَتَرَفَّقْ بِالْمَسَامِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تَجَشَّهْمَ مَسِيرًا يُتَعَبَهُمْ ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ (وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُضْ قُوَّتَهُمْ) فَإِنَّهُمْ سَائِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ ، حَامِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرْبَاعِ ^(١) ، وَأَقِمْ بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُحْيُونَ فِيهَا

[١] الكرواع من كل شيء طرفه واسم يجمع الخيل .

أَنْفُسَهُمْ ، وَيَرْمُونَ ^(١) أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ ، وَنَحْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ الصَّلْحِ وَالذِّمَّةِ ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَشَقَّ بِدِينِهِ ، وَلَا يَرْزَأُ ^(٢) أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ لَهُمْ خَرْمَةٌ وَذِمَّةٌ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا ، كَمَا ابْتُلُوا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا ، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بِظُلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ ، وَإِذَا وَطِئْتَ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَأَذْكُ ^(٣) الْعَيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْشَى عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ ، وَلِيَكُنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ وَصَدَقِهِ ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ ، وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ ، وَالغَاشِ عَيْنُكَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ عَيْنًا لَكَ ، وَلِيَكُنْ مِنْكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تُكْثِرَ الطَّلَاعُ ، وَتَبْتَ السَّرَايَا ^(٤) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَقْطَعَ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمَرَافِقَهُمْ ، وَتَتَّبِعَ الطَّلَاعُ عَوْرَاتِهِمْ ، وَتَنْقُ ^(٥) لِلطَّلَاعِ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَتُخَيِّرَ لَهُمْ سَوَابِقَ الْخَيْلِ ، فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلَ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ ، وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ ، وَلَا تُخَصِّصْ بِهَا أَحَدًا بِهَوًى ، فَتَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ ، أَكْثَرَ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلُ خَاصَّتِكَ ، وَلَا تَبْعَثْ طَلِيعَةً ، وَلَا سَرِيَّةً ، فِي وَجْهِ تَتَخَوَّفُ فِيهِ غَلَبَةً ، أَوْ ضِيعَةً وَنِكَايَةً ، فَإِذَا عَايَنْتَ الْعَدُوَّ ، فَاضْمَمِ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَائِعَكَ وَسَرَايَاكَ ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ وَقُوَّتَكَ ، ثُمَّ لَا تَعَايِلْهُمْ الْمَنَاجِزَةَ ، مَا لَمْ يَسْتَكْرِهْكَ قِتَالُ ، حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَعَرَفَةِ أَهْلِهَا ، فَتَصْنَعْ بِعَدُوِّكَ ، كَصَنْعِهِ بِكَ ، ثُمَّ أَذْكُ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ ، وَتَيْقُظَ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ ، وَلَا تُؤَوِّقَنِي

[١] رَمَاهُ يَرْمِيهِ : أَصْلَحَهُ . [٢] رَزَأَهُ مَالُهُ : أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا . [٣] أَذْكِي عَلَيْهِ الْعَيُونَ : إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهِ الطَّلَاعُ . [٤] جَمْعُ سَرِيَّةٍ ، وَهِيَ مِنْ حِمَاةِ أَنْفُسٍ إِلَى ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مَائَةٍ . [٥] تَنْقَاهُ وَاتَّقَاهُ : اخْتَارَهُ .

بأسير ليس له عَقْدٌ^(١) إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ ، اِثْرَهَبَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكَ ، وَاللَّهُ
وَلِيَّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ ، وَوَلِيَ النَّصْرَ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

(العقد المريد ١ : ٤٠)

٩٦ — وصيته للخليفة من بعده

وأوصى الخليفة من بعده ، فقال :

« أوصيك بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن
تَعْرِفَ لَهُمْ سَابِقَتَهُمْ ، وأوصيك بالأَنْصَارِ خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن
مسيئتهم ، وأوصيك بأهل الأَمْصَارِ خيراً ، فَإِنَّهُمْ رِذَاءُ الْعَدُوِّ ، وَجُبَاةُ النَّفْسِ ،
لَا تَحْمِلُ فِيهِمْ ، إِلَّا عَنْ فَضْلِ مَنْهُمْ ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ
الْعَرَبِ ، وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ ، أَنْ تَأْخُذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِ أَغْنِيائِهِمْ ، فَتَرُدَّ عَلَى
فُقَرَاءِهِمْ ، وأوصيك بأهل الذمة خيراً ، أَنْ تَقَاتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلَا تَكَلِّفَهُمْ فَوْقَ
طَاقَتِهِمْ ، إِذَا أَدَّوْا مَا عَلَيْهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ طَوْعاً ، أَوْ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ، وأوصيك
بتقوى الله وشدة الحذر منه ، وَمَخَافَةِ مَقْتِهِ ، أَنْ يَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى رِييَةٍ ، وَأوصيك
أَنْ تَخْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَتَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَأوصيك بِالْعَدْلِ فِي الرِّعَايَةِ ،
وَالْتَفَرُّغِ لِحَوَائِجِهِمْ وَتُغُورِهِمْ ، وَلَا تُؤَثِّرْ غَنِيَهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
سَلَامَةٌ لِقَلْبِكَ ، وَحِطٌّ لَوِزْرِكَ ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ ، حَتَّى تُفْضِيَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى
مَنْ يَعْرِفُ سِرِّرَتَكَ ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْتَدِيَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،
وَفِي حَدُودِهِ وَمَعَاصِيهِ ، عَلَى قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ ، ثُمَّ لَا تَأْخُذَكَ فِي أَحَدٍ رَأْفَةٌ
حَتَّى تَنْتَهِكَ مِنْهُ ، مِثْلَ مَا أَنْتَهَكَ مِنْ حَرَمَةِ اللَّهِ ، وَاجْعَلِ النَّاسَ عِنْدَكَ سَوَاءً ،

لا تبالي على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والأثرة والمحابة فيما ولأك الله ، مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجور وتظلم ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة ، فإن اقترفت لذنباك عدلاً وعفة عما بسط الله لك ، اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلائلك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن عملت بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرت به ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهّمك ، ولم تنزل معازم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ، ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضلّ القرون السالفة قبلك ، فأوردتهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظّ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخض إليه الغمرات ، وكن راعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترجمت على جماعة المسلمين ، فأجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضربهم فيذلولوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتبغضهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محالها فتفقروهم ، ولا تجمرهم^(١) في البعوث ، فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فإياك كل قوتهم ضعيفهم . هذه وصيتي إياك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السلام .

(البيان والتبيين ٢ : ٢٢)

[١] جر الجيش : حبسهم في أرض العدو ولم يقاتلهم .

خطب يوم الشورى

بعد دفن عمر اجتمع أهل الشورى ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله - وكان طلحة عائباً - فبدأ عبد الرحمن بن عوف بالكلام ، فقال :

٩٧ - خطبة عبد الرحمن بن عوف

« يا هؤلاء ، إن عندى رأياً ، وإن لكم نظراً ، فاسمعوا تعاموا ، وأجيبوا تفقهوا ، فإن حايباً ^(١) خير من زاهق ^(٢) ، وإن جرعة من شراب ^(٣) بارد ، أنفع من عذب موب ^(٤) ، أنتم أئمة يهتدى بكم ، وعلماء يُصدّر ^(٥) إليكم ، فلا تفلأوا المدى بالاختلاف بينكم ، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم ، فتوتروا ^(٦) ثأركم ، وتؤلّتوا ^(٧) أعمالكم ، لكل أجل كتاب ، ولكل بيت إمام ، بأمره يقومون ، وبنيه يرعون ^(٨) ، قلّدوا أمركم واحداً منكم ، تمشوا الهوينى ، وتلحّقوا الطلب ، لولا فتنة عمياء ، وضلالة حياء ، يقول أهلها ما يرون ، وتخلّهم الحبوة كرى ^(٩) ، ماعدت نياتكم ممرفكم ، ولا أعمالكم نياتكم ، احذروا نصيحة الهوى ، ولسان الفرقة ، فإن الحيلة فى المنطق أبلغ من السيوف فى السكلم ، علّقوا أمركم رخب الذراع فيما حلّ ، مأمون الغيب فيما نزل ، رضىً منكم وكلكم رضىً ، ومقتراً ^(١٠) »

[١] الخابى من السهام : ما يزحف إلى الهدف . [٢] السهم الزاهق : ما جاوز الهدف .
[٣] الشراب والشريب والشروب : ما يشرب . [٤] أصله موبى مسهل عن موبى .
[٥] يرجع . [٦] قال فى اللسان : « دل الأزهرى : هو من الوتر (الثأر) يقال : وثررت فلاناً إذا أصبته بوتر ، وأوترته أوجدته ذلك (أى أظفرت به ، أوجدت فلاناً مطلوبه أى أظفرت به) قال : والثأر هاهنا العدو لأنه موضع الثأر ، والمعنى : لا توجدوا عدوكم الوتر فى أمسكم »
[٧] أنه : حقه يأنه وآله تفصه . [٨] ورع يرع : كورث من الورع ، وهو التقوى
[٩] رمل يضلّ فيه السالك ، والداهية . [١٠] مختاراً .

منكم وكلكم منتهى ، لا تطيعوا مُفسداً يتنصّح ^(١) ، ولا تخالفوا مرشداً ينتصر ،
أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم .
ثم تكلم عثمان بن عفان ، فقال :

٩٨ — خطبة عثمان بن عفان

« الحمد لله الذى اتخذ محمداً نبياً ، وبعثه رسولا ، صدّقه وعدّه ، ووهب له
نصره ، على كلّ من بعد نَسَباً ، أو قُرْب رَحِمًا صلى الله عليه وسلم ، جعلنا الله له
تابعين ، وبأمره مُهْتَدِينَ ، فهو لنا نور ، ونحن بأمره تقوم عند تفرُّق الأهواء ،
ومجادلة الأعداء ، جعلنا الله بفضلِه أئمةً ، وبطاعته أمراء ، لا يخرج أمرنا منا ،
ولا يدخُل علينا غيرنا ، إلا من سَفِهَ الحَقَّ ، ونكِلَ عن القصد ، وأحْرَبَ بها يا بن
عوف أن تُتْرَكَ ، وأجدر بها أن تكون ، إن خولف أمرُك ، وتُرك دعاؤُك ، فأنا
أول مجيب لك ، وداع إليك ، وكفيل بما أقول زعيم ، وأستغفر الله لى ولكم .
ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال :

٩٩ — خطبة الزبير بن العوام

« أما بعد : فإن داعى الله لا يُجْهَلُ ، وحجبه لا يُخْذَل ، عند تفرُّق الأهواء ،
ولّى الأعناق ، ولن يقصر عما قلت إلا غوى ، ولن يترك مَدْعوتَ إليه إلا شقى ،
لولا حدود الله فرضت ، وفرائض الله حَدَّتْ ، تُراح ^(٢) على أهلها ، وتحيا لامتوت ،
لكان الموت من الإمارة نَجاةً ، والفرار من الولاية عِصْمَةً ، ولكن الله علينا
إجابة الدعوة ، وإظهار السنة ، لثلاث مئة عُمِّيَّة ^(٣) ، ولا نَعْمَى عَمَى الجاهلية ،

[١] تنصح : تشبه بالنصحاء . [٢] أراح - فقه عليه : رده عليه .

[٣] العمية : الكبير أو الضلال .

فأنا مجيبك إلى ما دعوت ، ومعينك على ما أمرت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ،
وأستغفر الله لي ولكم .

١٠٠ — خطبة سعد بن أبي وقاص

ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال :

« الحمد لله بديئاً ^(١) كان ، وآخرأ يعود ، أحمد له لما نجانى من الضلالة ،
وبصّرني من الغواية ، فبهّدى الله فاز من نجا ، وبرحمته أفلح من زكا ، وبمحمد
ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق ، واستقامت السبل ، وظهر كل
حق ، ومات كل باطل ، إياكم أيها النفر وقول الزور ، وأمنيّة أهل الغرور ، فقد
سلبت الأمانى قوماً قبلكم ، ورثوا ما ورثتم ، ونالوا ما نالتم فاتخذهم الله عدوا ،
واعنهم لعنا كبيراً ، قال الله عز وجل : « لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » إني نكبت ^(٢) قرّني ،
فأخذت سهمي الفالج ^(٣) ، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيت لنفسى ، فأنا
به كفيل ، وبما أعطيتُ عنه زعيم ، والأمر إليك يا بن عوف بجهد النفس ،
وقصد النصح ، وعلى الله قصد السبيل ، وإليه الرجوع ، وأستغفر الله لي ولكم ،
وأعوذ بالله من مخالفتكم .

١٠١ — خطبة علي بن أبي طالب

ثم تكلم علي بن أبي طالب فقال :

« الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً ، فنحن بيت النبوة ،

ومُعْذِنِ الحِكْمَةِ ، وَأَمَانَ أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَنَجَاةَ لِمَنْ طَلَبَ ، لَنَا حَقٌّ إِنْ نُعْطَاهُ
نَأْخُذَهُ ، وَإِنْ نُنْعِمَهُ نَرْكَبُ أَعْجَازَ الْإِبِلِ ، وَلَوْ طَالَ الشَّرَى ، لَوْ عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا لَأَنْفِذْنَا عَهْدَهُ ، وَلَوْ قَالَ لَنَا قَوْلًا لَجَادَلْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَمُوتَ ،
لَنْ يَسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصَلَةِ رَحِمٍ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ،
اسْمَعُوا كَلَامِي ، وَعُثُوا مِنْطَقِي ، عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْمَجْمَعِ ،
تُذَتِّضَى ^(١) فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُتَخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى تَكُونُوا جَمَاعَةً ، وَيَكُونُ
بَعْضُكُمْ أَعْتَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فَإِنْ تَكَ جَاسِمٌ ^(٢) هَلَكْتَ فَإِنِّي بِمَا فَعَلْتَ بَنُو عَبْدِ بْنِ ضَخْمٍ
مُطِيعٌ فِي الْهَوَاجِرِ كُلِّ عَيٍّ بِصِيرٍ بِالنَّوَى مِنْ كُلِّ نَجْمٍ
(تاريخ الطبري ٥ : ٣٨ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٣٦)

خطب عثمان بن عفان

رضي الله عنه

١٠٢ — خطبته حين بايعه أهل الشورى

روى الطبري قال : « لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم
كَأَبَةً ، فَأَتَى مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَطَبَ النَّاسَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي
عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ :
« إِنَّكُمْ فِي دَارِ قُلُومَةٍ ^(٣) ، وَفِي بَقِيَّةِ أَعْمَارٍ ، فَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِخَيْرِ مَا تَقْدِرُونَ
عَلَيْهِ ، فَلَقَدْ أَتَيْتُمْ ، صُبْحَكُمْ أَوْ مُسَيِّتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا طُوِيَتْ عَلَى الْغُرُورِ ، فَلَا

[١] نسل . [٢] بنو جاسم حتى قديم . [٣] أي إقلاع ، ومنزلاً منزلاً قلعة « يتسكن اللام
وضمها ونفعها » أي ليس يستوطن أولاً فذلك أو لا تدرى متى تتحول عنه .

تَعْرِ نِكَمَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، اعْتَبِرُوا بِمَنْ مَضَى ثُمَّ جِدُّوا وَلَا تَغْفُلُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُغْفَلُ عَنْكُمْ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا وَإِخْوَانُهَا الَّذِينَ آثَرُوهَا وَعَمَرُوهَا ، وَمُتَّعُوا بِهَا طَوِيلًا ، أَلَمْ تَلْفِظْهُمْ ؟ أَرْمُوا بِالدُّنْيَا حَيْثُ رَمَى اللَّهُ بِهَا ، وَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا ، وَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) . وَأَقْبَلَ النَّاسُ يَبَايَعُونَهُ .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٣)

١٠٣ - خطبته بعد البيعة

وَقَالَ أَيْضًا : خُطِبَ عُمَانُ النَّاسِ بَعْدَ مَا بُويعَ ، فَقَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ دُحِّمْتُ وَقَدْ قَبِلْتُ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَّبِعٌ ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، أَلَا وَإِن لَكُمْ عَلَيَّ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : اتِّبَاعَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسُنَّتُمْ ، وَسُنَّةَ سُنَّةِ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسُنُّوا عَنْ مَلَأٍ ، وَالْكَفَّ عَنْكُمْ إِلَّا فِيمَا اسْتَوْجَبْتُمْ ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ قَدْ شُهِيتَتْ إِلَى النَّاسِ ، وَمَالٌ إِلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ، فَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا تَتَّقُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِثِقَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهَا غَيْرُ تَارِكَةٍ إِلَّا مَنْ تَرَكَهَا » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٤٩)

١٠٤ - خطبة أخرى

وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : لَمَّا وَلِيَ عُمَانُ صَعْدَ الْمَنْبَرِ ، فَجَلَسَ عَلَى ذُرْوَتِهِ ، فَرَمَاهُ النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ :

« إِنْ أَوَّلَ مَرَكَبٍ صَعِبَ ، وَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا ، وَمَا كُنَّا خُطَبَاءَ ، وَإِذَا نَعِشَ لَكُمْ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٣٥ ، والعمد الفريد ٢ : ١٣٣)

فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً » فانصرفوا عنه ، وأذنوه بالحرب .
(تاريخ الطبري ٥ : ١٢١ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٨ - خطبته وقد اشتد عليه الحصار

ولما اشتد الحصار عليه أرسل إلى عليّ وطلحة والزبير فحضروا ، فأشرف عليهم ، فقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اجلسوا ، فجلسوا : المحاربُ والمسلمُ ، فقال لهم يَٰ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ، ثُمَّ قَالَ أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مَصَابِ عَمْرٍو أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ ، وَيَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ ؟ أَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وَهُتِّمَ عَلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ ؟ أَمْ تَقُولُونَ هَٰذَا عَلَى اللَّهِ دِينُهُ ، فَلَمْ يَبَالِ مَنْ وَلَّى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ يَوْمئِذٍ ؟ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخْذٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ مَكَابِرَةً ، فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأُمَّةَ إِذْ عَصَتْهُ ، وَلَمْ يَشَاوِرُوا فِي الْإِمَامَةِ ، أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي ؟ أُنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ لِي مِنْ سَابِقَةِ خَيْرٍ ، وَقَدَّمَ خَيْرٌ ، قَدَّمَهُ اللَّهُ لِي يَحِقُّ عَلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدِي أَنْ يَعْرِفُوا لِي فَضْلَهَا ؟ فَهَلَا لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ حَقٍّ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَى رِقَابِكُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْفَعْ اللَّهُ عَنْكُمْ الْاِخْتِلَافَ أَبَدًا » . (تاريخ الكامل لابن الأثير ٣ : ٨٤)

١٠٩ - آخر خطبة خطبها عثمان

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ الدُّنْيَا لِتَطْلُبُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَلَمْ يُعْطِكُمْ وَهَٰذَا لَتَرْكَبُوا إِلَيْهَا ، إِنَّ الدُّنْيَا تَفْنَى وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، فَلَا تُبْطِرَنَّكُمْ الْفَانِيَةُ ، وَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ عَنِ الْبَاقِيَةِ ، فَأَتَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ ، وَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى اللَّهِ ،

١٠٥ - خطبته حين نقم عليه الناس

وخطب حين نقم الناس عليه ما تقوموا ، فقال :

« إن أكل تنى ، آفة ، وإن أكل نعمة عاهة ، في هذا الدين عيَّابون ظَنَّانُون ، يظهرون لكم ما تحبون ، وَبُسِرُوتَ ما تكرهون ، يقولون لكم ويقولون ، طَغَامٌ ^(١) . بل النعمان ، يتبعون أول ناعق ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ ^(٢) ، لقد أفررتهم لابن الخطاب بأكثر مما نَقِمْتُمْ عَلَيَّ ، ولكنه وَقَعَكُمْ ^(٣) وَقَعَكُمْ ^(٤) ، وزجركم زجر البعامة المخزَّمة ^(٥) ، والله إني لأقرب ناصرًا ، وأعز نفراء . وَأَقْنُ - إن ولت هلم - أن تجاب دعوتي من عمر ، هل نفقدون من حقوقكم سبئًا ، فما لي لا أفعل في الحق ما أساء ؟ إذن فلم كنت إمامًا ؟ »

(إيجاز القرآن ص ١١٨ ، صبح الأعشى ١ : ٢١٤ ، البيان والبيان ١ : ٢٠٠)

١٠٦ - خطبته التي نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فوالله ما عاب من عاب منكم شيئًا أجهله ، وما جئت شيئًا إلا وأنا أعرفه ، ولكنني منَّيتُ نفسي وكذَّبْتُني ، وَضَلَّ عني رشدي ، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَنْ زَلَّ فَلْيَتَّبْ ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلْيَتَّبْ ، وَلَا يَتِمَّادَى فِي الْهَلَاكَةِ ، إِنَّ مَنْ تَمَّادَى فِي الْجَوْرِ ، كَانَ أَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ) فَأَنَا أُولَ مَنْ اتَّعَظُ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا فَعَلْتُ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فَنَلِ نَزْعَ

[١] أوعاد الناس الواحد والجمع فيه سواء ، أو واحد كسجاية . [٢] المورد النارج : الذي نزع ماؤه ، أى عاص وقلَّ أر بعد . [٣] وقم الدابة : يجذب عائلها ، ووقه : قهره وأدله ، أوردّه : أفتح الرد وحرنه أسدَّ الحزن . [٤] وقع : صرعه بالقبضة وتهره وأدله . [٥] خرم البعير : جعل في حاب محجره الحزامه والطير كلها محجومة ومحجومة لأن وترات أثره فيها منقوبة ، وكذا العام .

وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فليُرُونِي رأيهم ، فوالله لئن رَدَّني الحق عبداً ، لَأَسْتَتِنَ بسنة العبد ، وَلَأَذِلَّنَّ ذُلَّ العبد ، وَلَأَكُونَنَّ كالمرقوق ، إن مُلِّك صَبَرَ ، وإن عُتِقَ شكر ، وما عن الله مذهب إلا إليه ، فلا يَعْجِزَنَّ عنكم خيارُكم أن يدنوا إلَيَّ ، لئن أبَت يميني لتتابعنني شمالي .

(تاريخ الطبری ٥ : ١١١ ، والكمال لان الأمير ٣ : ٨٠)

١٠٧ — خطبته في الرد على الثوار

وقال يرد على الثوار :

« الحمد لله ، أحمدده ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، أما بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تُنصِفُوا في القضاء ، أما قوالكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قيصاً قَصَّيه الله عزَّ وجلَّ ، وأكرمني به ، وخصني به على غيري ، ولكني أتوب وأنزع ، ولا أعود لشيء عابه المسامون ، فإنني وألله الفقير إلى الله ، الخائف منه . »

قالوا : إن هذا لو كان أول حَدَثٍ أحدثته ثم تبت منه ، ولم تُقِمَّ عليه ، لكان علينا أن نقبل منك ، وأن ننصرف عنك إلى آخر ما قالوا .

فقال عثمان : « أما أن أتبرأ من الإمارة ، فأن تصلبوني أحبُّ إليَّ من أن أتبرأ من أمر الله عزَّ وجلَّ وخلافته ، وأما قوالكم تقتاتلون من دوني ، فإنني لا آمرُ أحداً بقتالكم ، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم ، لقد كنت كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال ، أو لحقت ببعض أطراف بمصر أو عراق ، فوالله الله في أنفسكم ، فأبقوا عليها ، إن لم تبقوا على » ،

اتقوا الله جلَّ وعزَّ ، فإن تقواه جُنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغيَر ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أحزاباً ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٢٦ ، ١٤٩)

خطب الوفود

١١٠ - خطبة عطار د بن حاجب بن زرارة

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع للهجرة عطار د بن حاجب ابن زرارة ، في أشرف من بنى تميم ، فلما دخل الوفد المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك من صياحهم رسول الله ﷺ فخرج إليهم ، فقالوا يا محمد ، جئناك لنفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال نعم ، قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام إليه عطار د فقال :

« الحمد لله الذي له علينا الفضلُ ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عدداً ، وأيسره عدّة ، فمن مثلنا في الناس ، أسنا برء وس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن يفاخرنا فليعدّ مثل ما عدّنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنّا نعرف بذلك ، أقول هذا الآن ليتأثونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشّمس ، قم فأجب

الرجل في خطبته ، فقام ثابت فقال :

١١١ - خطبة ثابت بن قيس بن الشماس

« الحمد لله الذي ، السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله المؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم . »

ثم قالوا يا محمد : ائذن لشاعرنا ، فقال نعم ، فقام الزبرقان بن بدر ، فأنشد قصيدة في الفخر ، وبعث النبي ﷺ إلى حسان بن ثابت فرد عليه ، فقال الأقرع بن حابس التميمي : إن هذا الرجل لمؤتّى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أساموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

(تاريخ الطبري ٣ : ١٥٠ ، والكامل لابن الأمير ٢ : ١٣٩ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٣)

١١٢ - عمرو بن الأهتم والزبرقان بن بدر

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر^(١) فقال عمرو :

« مطاع في أذنيه ^(١) ، شديد المعارضة ^(٢) ، مانع لما وراء ظهره » فقال الزبرقان :
« والله يا رسول الله ، إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي »
فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر ، زمر ^(٣)
المروءة ^(٤) ، أحق الوالد ، لثيم الخال ، حديث الغنى » فلما رأى أنه خالف قوله
الآخر قوله الأول ورأى الإنكار في عين رسول الله ﷺ ، قال يا رسول الله :
رضيت ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت
في الأولى ، واقد صدقت في الأخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ذلك : « إن من البيان لسحرا » .

(البيان والدين ١ : ٣١ ، والعقد الفريد ١ : ١١٧ ، ومجمع الأسماء للعبداني ١ : ٥)

١١٣ - خطبة طهفة بن أبي زهير النهدي

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدمت وفود العرب على النبي ﷺ قام طهفة بن أبي زهير النهدي فقال :
« يا رسول الله أتيناك من غوري ^(١) تهامة بأكوار الميس ، ترمى بنا العيس ^(٥)
نستحلب الصببر ^(٦) ، ونستحلب الخبير ^(٧) ، ونستعضد ^(٨) البرير ، ونستحيل
الرهام ^(٩) ، ونستحيل الجهام ^(١٠) ، من أرض غائلة النطاء ^(١١) ، غليظة الوطاء ،

[١] أي في الأدين منه أي الأقرين ، وأصله أدين حدث نونه لإصاوته إلى الصمير .

[٢] المعارضة : قوة الكلام وتنقيحه والرأي الجيد . [٣] قليل الروءة . [٤] العور : كل ما انحدر معرباً عن تهامة ، والأكوار جمع : كور بالضم ، وهو الرجل أو بأداته ، والميس : شجر عظام ، أي بالأكوار المصنوعة منه . [٥] العيس جمع عيساء : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة .

[٦] الصبر : السحاب الكثيف . [٧] العشب . [٨] استعضد الثمرة : اجتناها ، والبرير معر الأراك ، وكانوا يأكلونه وقت الجذب لقلة الزاد . [٩] الرهام جمع رهمة بالكسر ، وهي المطر الضعيف الدائم ونستحيل نخال ونظن وسحابة مخيلة بضم فكسر أي تحسبها ماطرة . [١٠] الجهام : السحاب قد أراق مائه . [١١] النطاء : البعد ، أي بعيدة بعداً مهلكاً .

نَشِيفَ الْمَذْهُنِ ^(١) ، وَيَيْسَ الْجَمْعَيْنِ ^(٢) ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجَ ^(٣) ، ومات
الْعُسْلُوجَ ^(٤) ، وهلك الهَدْيَ ^(٥) ، ومات الْوَدِيَّ ^(٦) ، بَرِثْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ
الْوَثْنِ وَالْعَثَنِ ^(٧) ، وما يحدث الزمن ، لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ،
ما طَمَى ^(٨) البحر ، وقام تِعَارَ ^(٩) ، ولنا نَعَمٌ ، هَمَلٌ ^(١٠) ، أَغْفَالٌ ، مَا تَبِضُّ ^(١١)
بِبِلَالٍ ، وَوَقِيرٌ ^(١٢) ، كثير الرِّسَلِ ^(١٣) ، قليل الرِّسْلِ ، أصابتها سُذْيَةٌ حمراء مؤزلةٌ ،
ليس بها عِلَلٌ ولا نَهْلٌ .

١١٤ — رده صلى الله عليه وسلم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم بارك لهم في مَحْضِهَا ^(١٤) وَمَخْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَأَبْعَثْ رَاعِيَهَا فِي الدَّثْرِ ^(١٥)
بِيَانِعِ الثَّمَرِ ، وافْجُرْ لَهُ الْعَمَدَ ^(١٦) ، وبارك له في المال والولد ، من أقام الصلاة
كَانَ مُسَامًا ، ومن آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كَانَ
مُخْلِصًا ، يا بني نهدي ، ودائع ^(١٧) الشرك ، ووضائع الملوك ، لَا تُلْطِطُ فِي الزَّكَاةِ ،
ولا تُلْجِدُ فِي الْحَيَاةِ ، ولا تَتَأَقَّلَ عَنِ الصَّلَاةِ » . (العقد الفريد ١ : ١١٣)

[١] مستنقع الماء : أو كل موضع حفره سيل ، ونشف الحوض الماء : شربه . [٢] أصل الذات .
[٣] ورق كورق السرو لشجر بالبادية . [٤] ملان واخصر من القيسان وعسلجت الشجرة :
أخرجته . [٥] ما يهدي إلى مكة لينجر . [٦] الفسيل (النخل الصفار) . [٧] الصنم
الصنير . [٨] ابتلا وعلا . [٩] جبل ببلاد قيس . [١٠] مهمل والأغفال جمع غفل بالضم ، وهو
مالاسمة عليه من الدواب . [١١] بض الماء يبض : سال قليلا قليلا ، والبلال : الببل ، والمراد قلة
اللبن . [١٢] القطيع من الغنم . [١٣] الرِّسَل : القطيع من كل شيء ، والرسل اللبنة ، وسنية :
تصغير لمعظم لسة ، وهي الفحط والجاعة ، وجرأ أي شديدة ، ومؤزلة ذات أزل بسكون الزاي ، وهو الضيق
والشدة . [١٤] اللبنة الحامض ، ومخض اللبنة : أخذ زبد . والمذيق اللبنة المزوج بالماء ، مذقه فامتدق .
[١٥] الدثر : المال الكثير . وقيل هو الكثير من كل شيء ، وأراد به هنا الخصب والذات الكثير .
[١٦] الماء القليل لامادة له ، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف . [١٧] أي النوائم التي تغتم
من المشركين وتودع بيت مال المسلمين ، ليقبضوا بها على شئونهم ، والوضائع جمع وضاعة ، وهي ما يأخذها السلطان

١١٥ - خطبة ظبيان بن حداد

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وفد ظبيان بن حداد في سرة مذجج على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثناء على الله عز وجل بما هو أهله : « الحمد لله الذي صدع^(١) الأرض بالنبات ، وفتح السماء بالرجع^(٢) ، ثم قال : نحن قوم من سرة مذجج من يحابر^(٣) بن مالك ، ثم قال : فتوقلت^(٤) بنا القلاص من أعلى الخوف ورءوس الهضاب ، يرفعها عرر^(٥) الربا ، ويخفيضها بطنان الرقاق ، وتلحقها دياجي الدجى ، ثم قال : وسرورات الطائف كانت ابني مهلايل بن قينان ، غرسوا وذيانه ، وذللوا خيشانه^(٦) ورعوا قربانه ، ثم ذكر نوحا حين خرج من السفينة بمن معه ، قال فكان أكثر بنيه نباتا ، وأسرعهم نباتا ، عاد وثمود ، فرماهم الله بالذمايق^(٧) ، وأهلكهم بالصواعق ، ثم قال :

من الحراج والعشور. يريد أن يقول لهم : إن موارد المال للأمة الإسلامية هما هذان الركبان ، العنائم ، وارتكازة ، فلا تعطلوا الركاة ، ولدا عقب ذلك القول بقوله : لا تلطط في الزكاة أى لا تمنعها ، لططت حقه جحدته كألططت ، ولا تلحد في الحياة : أى لا يمرى منكم بل عن الحق ما دتم أحياء ، ولا تناقل عن الصلاة ، أى عن أدائها في وقتها ، ويروى : ولا ياطط في الركاة ، ولا يلحد في الحياة (بالباء المعهول) ، ولا تناقل عن الصلاة . [١] شق . [٢] المطر بعد المطر . [٣] هو مراد بن مالك (وهو مذحج) ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . [٤] توقلت في الجبل : صعد ، والقلاص جمع قلوص ، وهى النانة الشابة أو الباقية على الير ، والخوف : بلد بهمان . [٥] فى الأصل : « عوار » ولا معنى له هنا ، وأرى أن صوابه « عرر » جمع عرة كقبة وعرة السنام : النخعة العليا ، أى دروته وأعلامه ، أى أمها تسير فى أعلى الربا وذراهما ، وربما كان الأصل « تراعر » بفتح العين الأولى جمع عررة بصحهما ، وعررة الجبل والسام وكل شىء رأسه ، وبطنان جمع باطن ، وهو الدامض من الأرض ، أى المطنين منها ، والرقاق جمع رق بالفتح ، وهى كل أرض إلى جنب واد ينسبط الماء عايتها أيام المد ثم ينضب وديايج الليل حنادسه كأنه جمع ديجا ، والديج جمع دجية ، وهى الظلمة . [٦] الحشن والأخشن : الأخرش من كل شىء جمعه خشان . [٧] الأملس : المستدير من الحجارة .

وَكَانَتْ بَنُو هَانِيٍّ مِنْ ثَمُودَ تَسْكُنُ الطَّائِفَ ، وَهُمْ الَّذِينَ خَطُّوا مَشَارِبَهَا ،
وَأَتَوْا جَدَّاءِهَا ^(١) ، وَأَحْيَوْا غِرَاسَهَا ، وَرَفَعُوا عَرِيشَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ حَمِيرٌ
مَلَكَوا مَعَاقِلَ الْأَرْضِ وَقَرَّارَهَا ، وَكُفُولَ النَّاسِ وَأَغْمَارَهَا ^(٢) . وَرَاءَ وَسِ الْمُلُوكِ
وَعَرَّارَهَا ، فَكَانَ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ ، وَفَارِسُ الْحَمْرَاءِ ، وَالْجَزْيَةُ الصُّفْرَاءُ ^(٣) ،
فَبَطَرُوا النِّعَمَ ، وَاسْتَحَقُّوا النِّقَمَ ، فَضَرَبَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : وَإِنْ
قَبَائِلُ مِنَ الْأَزْدِ نَزَلُوا عَلَى عَهْدِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ ، فَفَتَحُوا فِيهَا الشَّرَائِعَ ^(٤) ، وَبَنَوْا فِيهَا
الْمَصَانِعَ ^(٥) ، وَاتَّخَذُوا الدِّسَائِعَ ^(٦) ، ثُمَّ تَرَامَتِ مَذْحِجٌ بِأَسْنَتِهَا ، وَتَنَزَّتْ ^(٧)
بِأَعْنَتِهَا ، فَغَلَبَ الْعَزِيزُ أَذْلَهَا ، وَقَتَلَ الْكَثِيرَ أَقْلَهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ بَنُو عَمْرِو بْنِ
خَالِدِ بْنِ جَذِيعَةَ يَخْبِطُونَ عَضِيدَهَا ^(٨) ، وَيَأْكُلُونَ حَصِيدَهَا ، وَيَرْشَحُونَ ^(٩)
خَضِيدَهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ نَعِيمَ الدُّنْيَا أَقْلٌ وَأَصْغَرَ عِنْدَ اللَّهِ
مِنْ خُرءٍ بُعِيضَةٍ ، وَلَوْ عَدَلَتْ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ ذَبَابٍ لَمْ يَكُنْ لِكَافِرٍ مِنْهَا خَلَاقٌ ،
وَلَا لِمُسْلِمٍ مِنْهَا لِحَاقٌ » . (العهد الجديد ١ : ١١٠)



[١] أُنِي الْمَاءُ تَأْتِيَةٌ سَهْلٌ وَأَصْلَحُ مَحْرَاءٌ ، أَيْ سَهَلُوا طَرُقَ الْمِيَاهِ إِلَيْهَا . [٢] جَمْعُ غَرْمَلَتِ الْفَيْنِ ، وَهُوَ
الْحَدِيثُ لَا تَجْرِبَةُ لَهُ ، وَالْعَرَارُ : الرَّفْعَةُ وَالسُّودُودُ . [٣] أَيْ الذَّهَبُ . [٤] جَمْعُ شَرِيعَةٍ ، وَهِيَ مُوردُ
الشَّارِبَةِ كَالْمَشْرِعَةِ . [٥] الْمَبَايُ مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . [٦] جَمْعُ دَسِيعَةٍ ، وَهِيَ الْبَقْنَةُ وَالْدَسَكْرَةُ .
[٧] تَنَزَّى : تَوَثَّبَ وَتَسَرَّعَ . [٨] الْعَضِيدُ : مَاقِطَعٌ مِنَ الشَّجَرِ ، أَيْ يَضْرِبُونَهُ لِيَسْقُطَ وَرَقُهُ فَيَتَّخِذُوهُ
عَلْفًا لِإِبِلِهِمْ . [٩] التَّرْشِيجُ : التَّرِييبَةُ وَحَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَالِ ، وَالْحَصِيدُ : مَا خُذَ مِنَ الشَّجَرِ وَنَحْمَى
عَهُ ، وَكُلُّ مَا قُطِعَ مِنْ عَوْدٍ رَطَبٍ (فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ) أَيْ يَصْلَحُونَهُ وَيَقُومُونَ بِأَمْرِهِ .

خطب الوفود

بين يدى عمر بن الخطاب

لما قدمت الوفود على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام هلال بن بشر^(١) فقال :

١١٦ - خطبة هلال بن بشر

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّا غُرَّةٌ مِّنْ خَلْفِنَا مِنْ قَوْمِنَا ، وَسَادَةٌ مِّنْ وَرَاءِنَا مِنْ أَهْلِ مِصْرِنَا ، وَإِنَّكَ إِن تَصْرِفْنَا بِالزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَانَا ، وَالْفَرَائِضِ لِعِيَالِنَا ، يَزِدُّ بِذَلِكَ الشَّرِيفُ تَأْمِيلًا ، وَتَكُنْ لَهُمْ أَبَا وَصُولًا ، وَإِنْ تَكُنْ مَعَ مَا نَمُتُّ^(٢) بِهِ مِنْ وَسَائِلِكَ ، وَنُذِلِي بِهِ مِنْ أَسْبَابِكَ كَالْحَدَلِ^(٣) ، لَا يُحْلَلُ وَلَا يُرْتَحَلُ ، نَرْجِعُ بِأَنْوَفِ مِصْلُومَةٍ^(٤) ، وَجِدُودِ عَائِرَةٍ ، فَحِنَا^(٥) وَأَهَالِنَا بِسَجَلٍ^(٦) مُتَرَعٍ مِنْ سِجَالِكَ الْمَتْرَعَةِ »

١١٧ - خطبة زيد بن جبلة

وقام زيد بن جبلة فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَوِّدَ الشَّرِيفَ ، وَأَكْرَمَ الْحَسِيبَ ، وَازْرَعْ عِنْدَنَا مِنْ أَيْدِيكَ مَا تَسُدُّ بِهِ الْخِصَاصَةَ ، وَتَطْرُدُ بِهِ الْفَاقَةَ ، فَإِنَّا بِقُفٍّ^(٧) مِنَ الْأَرْضِ يَا بَسِ

[١] وفي البيان والتبيين : ابن وكيع . [٢] تتوسل به . [٣] في البيان والتبيين « كالجدّة » وفي نهاية الأرب « كالجدل » ولا معنى لهما هنا ، وأرى أن صوابه « كالحدل » بحاء مفتوحة ودال مكسورة ، وصف من الحدل بفتححتين وهو الذى أشرف أحد عاتقيه على الآخر ، أو المائل العنق من خفة أو وجع لا يملك أن يقيمه ، وارتحل البعير ورحله : حطّ عليه الرجل ، وإذا كان البعير حدلا فهو لا يرتحل لعدم توازن المدلين عليه ، وكذا لا يحلّ من مبركه لا يرتحل فهو إذن لا يستخدم ولا ينتفع به ، فالمعنى أنك إن لم تعطنا تكن كالبعير الحدل العديم الجدوى . [٤] المقطوعة من أصلها . [٥] المبيع : الإعطاء . [٦] الدلو العظيمة مملوءة (مذكر) ومترع : مملوء . [٧] ما ارتفع من الأرض كالقفّة .

الأكناف ، مُقَشَّعِرُ الذَّرْوَةِ ، لَا مُتَّجَرٍ وَلَا زَرْعَ ، وَإِنَّا مِنَ الْعَرَبِ الْيَوْمَ إِذْ أَتَيْنَاكَ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ .

١١٨ — خطبة الأحنف بن قيس

فقام الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِن مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَالْحَرْصُ قَائِدُ الْحُرْمَانِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَا يُغْنِي عَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيْلًا وَلَا قَالًا ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ شَيْئًا يَكْفِيكَ وَفَادَةَ الْوُفُودِ ، وَاسْتِمَاحَةَ الْمُتَمَاتِحِ ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ أَمْرٍ يُجْمَعُ فِي وَعَاثِهِ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْ عَسَى أَنْ تَقْتَحِمَهُ الْأَعْيُنُ فَلَا يُوفَدُ إِلَيْكَ »
(نهایة الأرب ٧ : ٢٣٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٧١)

١١٩ — خطبة الأحنف بن قيس

بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِن مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدِ اللَّهِ ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ وَفُودَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ نَزَلُوا مَنَازِلَ الْأُمِّ الْخَالِيَةِ ، وَالْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمَنَازِلَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَبَنَى الْأَصْفَرِ ، فَهُمْ مِنَ الْمِيَاهِ الْعَذِيبَةِ ، وَالْجَنَانِ الْمُخْصِبَةِ فِي مِثْلِ حَوْلَاءِ السَّلَى ^(٢) وَحَدَقَةِ الْبَعِيرِ ، تَأْتِيهِمْ ثَمَارُهُمْ غَضَّةً قَبْلَ أَنْ

[١] استماحه : سأله الإطعام والإمتياح الإيعطاء . [٢] الحولاء : جلدة خضراء مملوءة ماء تخرج مع الولد فيها أغراس وخطوط حمراء وخضراء وتزولوا في مثل حولاء الدابة . يريدون الحصب وكثرة الماء والحصرة ، والسلى جلدة فيها الولد (من الناس والمواشي) .

تتغير ، وإنا نزلنا أرضاً نشاشة^(١) طَرَف في فلاة ، وطَرَف في ملح أجاج^(٢) ،
جانب منها منابت القصب ، وجانب سَبَخة نشاشة لا يحف ترابها ، ولا ينبت
مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مَرِيء النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا
يَسْتَعَذِب^(٣) الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ، تُرْتَقُ^(٤) ولدها
ترقيق العنز تخاف عليه العدو والسبع ، فإِلَّا تَرَفَع خَسِيسَتَنَا^(٥) وَتُنْعِشَ رَكِيسَتَنَا^(٦)
وَتَجْبُرَ فاقتنا ، وتزید فی عیالنا عیالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وَتُصَفِّرَ^(٧) درهمنا ،
وتكبر قَفِيرنا^(٨) ، وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكننا .

قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد . قال الأحنف : فما زلت

(العقد المرید ١ : ١١٦ ، وشرح العیون ٦٨)

أسمعها بعدها

خطب رجال من الفاتحين

بين يدي يزدجرد ملك الفرس

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على فتح العراق يأمره أن يبعث
إلى يَزْدَجَرْدَ ملك الفرس رجالاً من أهل المنطرة^(٩) والرأي ، والجلد يدعونه ، فاخترهم وأنفذهم
إليه بالمداين ، فلما دخلوا عليه أمر التَّزْجَانَ بينه وبينهم فقال : سلمهم ماجاء بكم وما دعاكم
إلى غزونا والولوع ببلادنا ، أمن أجل أنا أجمعناكم^(١٠) وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

[١] سبعة : نشاشة لا يجم ثراها ولا ينبت مرعاها ، والسبعة بفتح الباء وسكونها أرض ذات نز وملح .

[٢] ملح مر . [٣] استعذب : استقى عذبا . [٤] التريق : لإدانة النظر . [٥] رفعت من

خسيسته جعلت به فعلا فيه رفعه . [٦] الر كس : قلب أول الشيء على آخره ، وارتكس ارتكس ووقع .

[٧] صفرة : صبه صفرة ، أي تبدلنا بالدرهم الأبيض دينارا أصفر وتجعل فضتنا ذهباً .

[٨] مكيال . [٩] المنظر . [١٠] من أجم الماء إذا تركه يجتمع ، أي أرحناكم وانصرفنا عنكم .

فقال لهم النعمان بن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فتكلم النعمان فقال :

١٢٠ — خطبة النعمان بن مقرن

« إن الله رَحِمَنَا فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا يَدُلُّنَا عَلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُنَا بِهِ ، وَيَعْرِفُنَا الشَّرَّ ، وَيَنْهَانَا عَنْهُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى إِجَابَتِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَلَمْ يَدْعُ إِلَى ذَلِكَ قَبِيلَةً إِلَّا صَارُوا فِرْقَتَيْنِ : فِرْقَةٌ تُقَارِبُهُ ، وَفِرْقَةٌ تُبَاعِدُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَهُ فِي دِينِهِ إِلَّا الْخَوَاصُّ ، فَكَثُرَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْثُرَ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُذْبَذَبَ إِلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَبَدَأَ بِهِمْ وَفَعَلَ ، فَدَخَلُوا مَعَهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهَيْنِ : مُكْرَهُ عَلَيْهِ فَاغْتَبَطَ ، وَطَائِعَ أَتَاهُ فَازْدَادَ ، فَعَرَفْنَا جَمِيعًا فَضَّلَ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالضَّيْقِ ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِمَنْ يَلِينَا مِنَ الْأُمَمِ ، فَندْعُوهُمْ إِلَى الْإِنْصَافِ ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى دِينِنَا ، وَهُوَ دِينُ حَسَنِ الْحَسَنِ ، وَقَبِيحِ الْقَبِيحِ كُلِّهِ ، فَإِنْ أَيْتَمَ فَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِّ ، هُوَ أَهْوَنُ مِنْ آخِرِ شَرٍّ مِنْهُ ، الْجِزَاءُ ^(١) ، فَإِنْ أَيْتَمَ فَلَمَنَاجِزَةٌ ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَى دِينِنَا خَلَفْنَا فِيكُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَأَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، عَلَى أَنْ تَحْكُمُوا بِأَحْكَامِهِ ، وَنَرْجِعَ عَنْكُمْ وَشَأْنَكُمْ وَبِلَادَكُمْ ، وَإِنْ اتَّقَيْتُمُونَا بِالْجِزَاءِ قَبْلِنَا وَمَنْعْنَاكُمْ ، وَإِلَّا قَاتَلْنَاكُمْ . »



فقال يزددجرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذاتَ يمينٍ منكم ، قد نوكلُ بكم قُرَى الضواحي فيكفونناكم ، لا تغزوكم فارس ، ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فَإِنْ كَانَ غَيْرَ لِحَقِّكُمْ ، فَلَا يَغْرُّكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ

كَانَ الْجَهْدُ دَعَاكُمْ ، فَرَضْنَا لَكُمْ قُوْتًا إِلَى خِيَصْبِكُمْ ، وَأَكْرَمْنَا وَجُوهَكُمْ ، وَكَسَوْنَاكُمْ ،
وَمَلَكْنَا عَلَيْكُمْ مَلَكَ يَرْفُقُ بِكُمْ ، فَقَامَ الْمَغِيرَةُ بْنُ زُرَّارَةَ فَقَالَ :

١٢١ - خُطْبَةُ الْمَغِيرَةِ بْنِ زُرَّارَةَ

أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنْ هُوَ لَا رِءُوسُ الْعَرَبِ وَوُجُوهِهِمْ ، وَهُمْ أَشْرَافُ يَسْتَحْيُونَ
مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَإِنَّمَا يَكْرُمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَيَعْظُمُ حَقُوقَ الْأَشْرَافِ
الْأَشْرَافُ ، وَيَفْخَمُ الْأَشْرَافَ الْأَشْرَافُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أُرْسِلُوا بِهِ جَمْعُوهَ لَكَ ،
وَلَا كُلُّ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَجَابُوكَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَلَا يُحْسِنُ بِمَثَلِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ ،
فَجَاوِبُنِي لِأَكُونَ الَّذِي أَبْلَغَكَ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَى ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ وَصَفْتَنَا صِفَةً لَمْ
تَكُنْ بِهَا عَلَمًا ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، فَمَا كَانَ أَسْوَأَ حَالًا مِنَّا ، وَأَمَّا
جُوعُنَا فَلَمْ يَكُنْ يَشْبَهُ الْجُوعَ ، كُنَّا نَأْكُلُ الْخَنَافِسَ ، وَالْجِعْلَانَ ^(١) وَالْعَقَارِبَ
وَالْحَيَّاتِ فَتَرَى ذَلِكَ طَعَامَنَا ، وَأَمَّا الْمَنَازِلُ فَإِنَّمَا هِيَ ظَهْرُ الْأَرْضِ ، وَلَا نَلْبَسُ
إِلَّا مَا غَزَلْنَا مِنْ أَوْبَارِ الْإِبِلِ ، وَأَشْعَارِ الْغَنَمِ ، دِينِنَا أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَيُغَيِّرَ
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لِيَدْفِنَ ابْنَتَهُ وَهِيَ حَيَّةٌ كَرَاهِيَةً أَنْ تَأْكُلَ مِنْ
طَعَامِنَا ، فَكَانَتْ حَالُنَا قَبْلَ الْيَوْمِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَجُلًا
مَعْرُوفًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ ، وَنَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَوْلَاهُ ، فَأَرْضُهُ خَيْرُ أَرْضِنَا ، وَحَسَبُهُ خَيْرُ
أَحْسَابِنَا ، وَبَيْتُهُ أَعْظَمُ بَيْوتِنَا ، وَقَبِيلَتُهُ خَيْرُ قَبِيلَتِنَا ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ كَانَ خَيْرِنَا فِي
الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا ، أَصْدَقْنَا وَأَحْلَمْنَا فِدْعَانَا إِلَى أَمْرٍ ، فَلَمْ يَجِبْ أَحَدًا أَوَّلَ مَنْ
تَرَبَّيْ كَانَ لَهُ ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَقَالَ وَقَلْنَا ، وَصَدَّقَ وَكَذَبْنَا ، وَزَادَ وَتَقَصَّنَا

[١] نَجْعُ جَعَلُ بَضْمٍ فَفَتَحَ ، وَهُوَ الْحَرْبَاءُ .

فلم يقل شيئاً إلا كان ، ففذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى يصير كل شيء . وإن رحمتي أدركتكم ، فبعثت إليكم هذا الرجل ، لأدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأجلدكم داري دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم على هذا ، فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك » فقال يزدجرد : أتستقباني بمثل هذا ؟ لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ثم قال : ائتوني بوقر^(١) من تراب ، فقال احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

(تاريخ الطبري ٤ : ٩٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٢٣)

١٢٢ — مقال ربعي بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس

وأرسل رستم قائد جيش الفرس ، إلى سعد بن أبي وقاص ، أن ابعت إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا ، فبعث إليه ربعي بن عامر ، فلما انتهى إليه قال له التَّزُجَّان (واسمه عبود من أهل الحيرة) ما جاء بكم ؟ قال : « الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا

بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُفْضَى إلى موعود الله ، قال وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٧)

١٢٣ ... خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم

وبعث إليه أيضاً المغيرة بن شعبة ، فتكلم بحضرته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن الله خالق كل شىء ورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنه هو يصنعه والذي له ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء ، والتمكن فى البلاد ، وعَظَمَ السلطان فى الدنيا ، فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ، فالله صنعه بكم ، ووضع فىكم ، وهو له دونكم ، وأما الذى ذكرت فىنا من سوء الحال ، وضيق المعيشة ، واختلاف القلوب ، فنحن نعرفه . ولسنا ننكره ، والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ، ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرِّخاء ، حتى يصيروا إليه ، ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد ، حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ، ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كَانَ شُكْرُكُمْ يَقْضَرُ عما أوتيتهم ، وأسأَمَ كُفْرُكُمْ الضعف الشكر إلى تغير الحال ، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر ، كَانَ عَظِيمُ مَا تَتَابَعُ عَلَيْنَا ، مستجلباً من الله رحمة يُرَفِّه بها عنا ، ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ، أو كنتم تعرفوننا به ، إن الله تبارك وتعالى بعث فىنا رسولاً ، ثم ذكر مثل الكلام الأول .
(تاريخ الطبرى ٤ : ١٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢٨)

١٢٤ — خطبة خالد بن الوليد فى وقعة اليرموك

وإلى خالد بن الوليد جيوش المسلمين ، وقد اجتمعوا باليرموك لحرب الروم .

وأراد قوادها الخروج إلى الرُّوم متساندين ، ^(١) نخطبهم خالد ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولا تقتاتلوا قومًا على نظام وتعبية ، على تساند وانتشار ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وإن من ورائكم من لو يعلم علمكم ، حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به ، بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتُهُ » .

قالوا فهات ، فما الرأي ؟ قال : « إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ^(٢) ، ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيتهم ، وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أُفِرِدَ كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دانَ لأحدٍ من أمراء الجنود ، ولا يريده عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فإن هؤلاء قد تهيئوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نرُدُّهم ، وإن هزمونا لم نُفْلِحْ بعدها ، فهلموا فلتتعاور ^(٣) الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدًا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني أتأمر اليوم » فأمرؤوه وهم يرون أنها كخَرَجاتهم ، فكان فيها النصر المبين للمسلمين .
(تاريخ الطبرى ٤ : ٣٣ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٠)

[١] أى تحت رايات شتى لاتجتمعهم راية أمير واحد . [٢] التياسر : التساهل .

[٣] تتعاقب عليها .

١٢٥ - خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبلّة^(١)

حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 « أما بعد : فإن الدنيا قد تولت حذاء^(٢) مُدْبِرَةً ، وقد آذنت أهلها بِصَرْمٍ^(٣) ،
 وإنما بقي منها صُبَابَةٌ^(٤) كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَصْطَبُّهَا صَاحِبُهَا ، ألا وإنكم مفارقوها
 لَا مَحَالَةَ ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم ، ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجر الضخم يُلْقَى في النار من شفيرها^(٥) ،
 فَيَهْوَى فيها سبعين خريفاً^(٦) ، ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مَسِيرَةٌ
 خَمِيسَاةٍ سَنَةٍ ، ولتأتين عليها ساعةٌ وهي كَظِيظٌ^(٧) بِالزَّحَامِ ، ولقد كنت مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سابعة ، ما لنا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْبَشَامِ^(٨) ، حتى
 قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فوجدت أنا وسعد بن مالك تمرّة ، فشققتها بيني وبينه
 نصفين ، والتقطت بُرْدَةً فشققتها بيني وبينه ، فَأَتَرَزْتُ بنصفها ، وَأَتَرَزَ بنصفها ،
 وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر من الأمصار ، وإنه لم يكن نبوة قط
 إِلَّا تَنَاسَخَتْهَا^(٩) جَبَرِيَّةٌ ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيماً ، وفي
 أعين الناس صغيراً ، وستجربون الأمراء من بعدى ، فتعرفون وتنكرون .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، والبيان والبيان ٢ : ٢٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٨٨)

[١] موضع قرب البصرة . [٢] السريعة الماوية التي لا يتعلق بها شيء . [٣] آذنت : أعلنت ،
 والصرم : القطع . [٤] الصبابة : بقية الماء في الإناء . [٥] الشفير : حرف كل شيء .
 [٦] سسة : والمراد أنها بعيدة الأقطار شاسعة الأرجاء . [٧] من كذا الطمام ملاءة حتى لا يطبق
 النفس ، ورجل كظاً وكظيظ ومكطوط تبهظه الأمور حتى يعجز عنها . [٨] البشام : شجر عطر
 الرائحة يستاك به . [٩] في الحديث « لم تكن نبوة إِلَّا تَنَاسَخَتْ » أى تحوّلت من حال إلى حال ،
 يعنى أمر الأمة وتناير أحوالها ، والجبرية الجبروت .

١٢٦ — خطبة سعيد بن العاص حين قدم الكوفة واليا عليها

عزل عثمان رضى الله عنه الوايد بن عقبة بن أبى مُعَيْط من إمارة الكوفة ،
وكان قد اتهم بشرب الخمر وولى مكانه سعيد بن العاص سنة ٣٠ هـ ، فلما قدم
الكوفة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره ، ولكنى لم أجِدُ بداً إذ أُمرْتُ أنِ أَتَمِرَ ،
ألا إن الفتنة قد أطلعت خُطْمَها^(١) وعينيها ، والله لأضربَنَّ وجهها حتى أقمها
أو تُعَيِّنِي^(٢) ، وإني لرأى^(٣) نفسى اليوم » ثم نزل . (تاريخ الطبرى ٥ : ٦٣)

١٢٧ — الخنساء تحرض أولادها على القتال

حضرت الخنساء حربَ القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم :
« يا بَنِيَّ ، أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله غيره ،
إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ماخِذْتُ أباكم ، ولا فضحت
خالكم ، ولا هَجَجْتُ^(٤) حَسَبَكُمْ ، ولا غَبَرْتُ^(٥) نَسَبَكُمْ ، وقد تعلمون ما أَعَدَّ الله
للمسلمين من الثواب العظيم فى حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير
من الدار الفانية ، يقول الله عزَّ وجلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » فإذا أصبحتم غداً ، فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين ، والله على أعدائه مستنصرين . »

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدَّموا واحداً بعد واحد ،

[١] الحطم . جمع خطام ، وهو ما وضع فى أنف البعير ليقناده به ، والمراد ظهورها ونشوبها .
[٢] أى تعجزنى . [٣] الرود : الطلب . [٤] النهجين : التقيج . [٥] غره : لطخه
بالنار ، أى دنست .

يُنْشِدُونَ الْأَرَاغِيزَ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى اسْتَشْهِدُوا جَمِيعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْخَبْرَ قَالَتْ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مُسْتَقَرٍّ رَحْمَتِهِ » .
فَكَانَ عَمْرُؤُا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْطِيهَا أَرْزَاقَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، حَتَّى قَبِضَ وَمَاتَتْ الْخَنَسَاءُ . (خزانة الأدب ١ : ٣٩٥)

١٢٨ - خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية^(١)

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة ، وقصَّ عليه كيف كانت الواقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : أتقوم بعنل هذا الكلام على الناس ؟ فقال يا أمير المؤمنين : إني أهيب لك مني لهم ، فقام عثمان في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس : إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيباً - وكان أول من خطب إلى جانب المنبر - فقال :

« الحمد لله الذي ألف بين قلوبنا ، وجعلنا متحابين بعد البغضة ، الذي لَا تُجْعَدُ نِعَمَائِهِ ، وَلَا يَزُولُ مَلِكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ ، وَكَأَ هُوَ أَهْلُهُ ، انْتُخِبَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاخْتَارَهُ بَعْلَاهُ ، وَأَتَمَّنَّهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَاخْتَارَ لَهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانًا ، قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصَدِيقَهُ وَمَحَبَّتَهُ ، فَأَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ^(٢) وَوَقَّروهُ ، وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، فَاسْتَشْهِدَ^(٣) اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ اسْتَشْهِدَ عَلَى الْمَنْهَاجِ الْوَاضِحِ ، وَالْبَيْعِ الرَّابِحِ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأُئِمَّ .

[١] فتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٦ هـ ، وأمدته عثمان بجيش يرأسه عبد الله بن الزبير .

[٢] التعزير : التفحيم والتعظيم والإطاعة ، وهو أيضاً صرب دون الحد أو هو أشد الصرب ضد .

[٣] استشهد (مبنياً للمجهول) قتل في سبيل الله .

أيها الناس : رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكنّا مع وال حافظ ، حفظ وصية أمير المؤمنين ، كَانَ يَسِيرُ بِنَا الْأَبْرَدِينَ ^(١) ، وَيَخْفِضُ ^(٢) بِنَا فِي الظَّهَارِ ، وَيَتَّخِذُ اللَّيْلَ جَمَلًا ، يُعَجِّلُ الرَّحْلَةَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْجَذْبَ ، وَيَطِيلُ اللَّبْثَ فِي الْمَنْزِلِ الْخِصْبَ ، فَلَمْ نَزَلْ عَلَى أَحْسَنِ حَالَةٍ نَعْرِفُهَا مِنْ رَبَّنَا ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ ، فَزَلْنَا مِنْهَا حَيْثُ يَسْمَعُونَ صَهِيلَ الْخَيْلِ ، وَرُغَاءَ الْإِبِلِ ، وَقَعْقَعَةَ السِّلَاحِ ، فَأَقْنَأْنَا أَيَّامًا ، نُجِمْ كُرَاعِنَا ^(٣) ، وَنُصَلِّحَ سِلَاحَنَا ، ثُمَّ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْدُخُولِ فِيهِ ، فَأَبْعَدُوا مِنْهُ ، فَسَأَلْنَاهُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ صَغَارٍ أَوْ الصَّلَاحِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَبْعَدَ ، فَأَقْنَأْنَا عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً نَتَأَنَّا ، وَتَخْتَلِفُ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا يَثُسُ مِنْهُمْ قَامَ خَطِيبًا ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ ، وَمَا لَصَاحِبُهُ إِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، ثُمَّ نَهَضْنَا إِلَى عَدُونَا ، وَقَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَصَبَرَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ ، فَكَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةٌ ، وَاسْتَشْهَدَ اللَّهُ فِيهِمْ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَبِتْنَا وَبَاتُوا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيٌّ النَّحْلِ ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ فِي خُمُورِهِمْ وَمُلَاعِبِهِمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَخَذْنَا مُصَافِنَا الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا بِالْأَمْسِ ، فَزَحَفَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ، فَأَفْرَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا صَبْرَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نَصْرَهُ ، فَفَتَحْنَاهَا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ ، فَأَصْبَحْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً ، وَفَيْئًا وَاسِعًا ، بَلَغَ فِيهِ الْخُمْسُ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ ، فَصَفَّقَ ^(٤) عَلَيْهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَتَرَكْتُ الْمُسْلِمُونَ قَدْ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلَ ، وَأَنَا رَسُولُهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبَشِرُهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ

[١] الأبردان : الغداة والعشي . [٢] خفض بالمكان : أقام ، والظواهر جمع ظهيرة .

[٣] الكراع : جماعة الخيل ، وأجمّ الفرس : ترك ركوبه . [٤] صفق الباب يصفقه وأصفقه

أغلقه أى أغلق عليها باب الخزان .

من البلاد ، وأذل من الشرك ، فاحمدوا الله عباد الله على آلائه ، وما أحل بأعدائه ، من بأسه الذى لا يُردُّ عن القوم المجرمين .

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير ، فقبل بين عينيه وقال : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » يا بنى ما زلت تنطق بلسان أبى بكر حتى صمت .
(العقد المرید ٢ : ١٤٩)

١٢٩ — خطبة السيدة عائشة فى الانتصار لابيها

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه فأرسلت إلى أزفلة^(١) من الناس ، فلما حضروا أسدلت^(٢) أستارها ، وعلمت وسادها ، ثم قالت :

« أبى وما أبيه ، أبى والله لا تعطوه^(٣) الايدى ، ذاك طود^(٤) مُنيف^(٥) ، وفرع^(٦) مديد ، هيهات كذبت الظنون ، أنجح^(٧) إذ أكدتيم^(٨) ، وسبق إذ ونيتيم^(٩) ، سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(١٠) ، فتى قریش ناشئاً ، وكهفها^(١١) كهلاً ، يفك عانيها ، ويريش^(١٢) مُملقها ، ويرأب^(١٣) شعبها ، ويلئم شعبها ، حتى حلّيته^(١٤) قلوبها ، ثم استشرى^(١٥) فى دين الله ، فما برحت شكيمته^(١٦) فى ذات الله عز وجل ، حتى اتخذ بفنائها مسجداً ، يحيى فيه ما أمات المبطلون ،

[١] جماعة . [٢] سده يسده : كنصر وصر وأسده أرخاه . [٣] تناولوه .

[٤] الطود : الجبل ، والديف : المشرف . [٥] فرع كل شىء أعلاه ، ومن القوم شريفهم .

[٦] أنجح : صار ذا نجح . [٧] الكدية : بضم فسكون الأرض الغليظة ، والصفاء العظيمة الشديدة

وحفر فأكدى إذا صادها فلا يمكنه الحفر (وسأله فأكدى وجده مثلاً) ، وونيتيم أى فترتم وضعتم .

[٨] العاية والنتهى . [٩] الكهف : الوزر والملجأ ، والكهل من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين

إلى إحدى وخمسين . [١٠] راش السهم يرشهُ أرق عليه الريش كرشه ، والمراد بعينه ويساعده .

[١١] يصلح والشعب الصدع . [١٢] حلى الشىء : استعلاه . [١٣] غضب ولج .

[١٤] الشكيمة الأنفة وفى اللجام الحديد المعلقة فى فم العرس . وهو شديد الشكيمة أنف أبى لاينقاد .

وكان رحمه الله غزير الدِّمعة ، وقيد^(١) الجوانح ، شجى^(٢) النشيج^(٣) ، فانقضت إليه نسوان مكة وولدائها ، يسخرون منه ويستهنئون به « الله يستهنئ بهم » ، ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون^(٤) « فأكبرت ذلك رجالات من قريش ، فحنت قسيها ، وفوقت^(٥) سهامها ، وامتلوه^(٦) غرضاً ، فما قلوا له صفاة^(٧) ، ولا قصفوا له قناة ، ومرّ على سيسائه^(٨) ، حتى إذا ضرب الدين بجرانه^(٩) ، ورست أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، ومن كل فرقة أرسالاً^(١٠) وأشتاتاً ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤاقه^(١١) ، ومدّ طنبه^(١٢) ، ونصب حباله ، وأجلب^(١٣) بخيله ورجله ، واضطرب جبل الإسلام ، ومرج^(١٤) عهده ، وماج أهله ، وبغى الغوائل ، فظنت رجال أن قد أكثبت^(١٥) أطماعهم ، ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدّيق بين أظهرهم ، فقام حاسراً مشمراً ، لجمع حاشيتيه^(١٦) ، ورفع قطريه^(١٧) ، فرد رسن^(١٨) الإسلام على غربه^(١٩) ، ولم شعثه بطبه ، وانتاش^(٢٠) الدين فنعشه ، فلما

[١] الوقيد : الصريع والشديد المرض المشرف . [٢] الشجى : الحزين ، والشيخ : صوت البكاء
شجى الباكي يذشح بكس عسّ بالبكاء في حاقه من غير انتحاب . [٣] العمة بفتحتي الردد في الضلال .
[٤] فوق السهم : جعل له فوقاً ، وهو موضع الوتر من السهم . [٥] اتمتلوه : مثلوه .
[٦] الحجر الصلد : الضخم . [٧] شدته . حمله على سيساء الحق أى على حده ، والسيساء : عظم
الظهر ، والعرب تصر به مثلاً لشدّة الأمر . [٨] جران البعير : مقدم عقه من مذبحه إلى منحره .
[٩] جمع رسل بفتحتي ، وهو القطيع من كل شيء . [١٠] نسطاطه . [١١] جبل طويل
يشدّ به سرادق البيت أو الوتد . [١٢] أجلب : صاح ، والحيل : الحيلة ، ومنه ياخيل الله اركبي ،
والرحل : اسم جمع راحل كالصح والرك ، أى صاح بالركاب والمشاة وترى ورجلك بكسر الجيم وضمها .
[١٣] المرج : بفتحتي الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب (وإعما يسكن مع الهرج) .
[١٤] أكثب : قرب ، والنهر جمع نهرة بضم النون وهى الفرصة . [١٥] حاشية كل شيء :
جانبه وطره . [١٦] القطر : الناحية . [١٧] الجبل . [١٨] الغرب : حدّ الشيء .
[١٩] انتشل ونعشه الله كأنعشه ، ونعشه : رفعه .

أراح^(١) الحق على أهله ، وقرّر الرءوس على كواهلها^(٢) ، وحقن الدماء في
أهبا^(٣) ، أتنه منيته ، فسد ثألمته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة ،
ذاك ابن الخطاب ، فله دَرَّ أُمَّ^(٤) حملت به ، ودَرَّت عليه ، لقد أوحدت^(٥) به ،
ففنخ^(٦) الكفرة ، وديخها^(٧) ، وشرد الشرك شذر مذر^(٨) ، وبج^(٩) الأرض
وبخها^(١٠) ، فقاعت أكلها^(١١) ولفظت خباها ، ترأمة^(١٢) وَيَصْدِف عنها ،
وتصدى^(١٣) له ويأبأها ، ثم وزع فيها فيثها ، وودعها كما صحبها ، فأروني ، ماذا
ترثون ، وأى يومى أبى تنقيمون ، أيوم إقامته إذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه إذ نظر
ليكم^(١٤) ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ثم أقبلت على الناس بوجهها ،
فقلت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ، قالوا : اللهم لا .

(صح الأعمى ١ : ٢٤٨ ، والمعقد المرند ٢ : ٢٠٦ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٠)

١٣٠ — رثاؤها لأبيها

لما توفى أبو بكر رضى الله عنه ، وفقت عائشة على قبره فقالت :
« نضر^(١٥) الله وجهك يا أبتى ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت
للدنيا مُذِلًّا بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث
بعد رسول الله صلى عليه وسلم رُزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقْدُك ، إن كتاب

[١] أراح على فلان حقه : ردّه عليه . [٢] الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

[٣] جمع إهاب ، وهو الجلد ، والمراد الأجسام . [٤] الدرّ : الابن والنفس والعمل .

[٥] أوحدت المرأة : ولدت واحداً ، أى جاءت به منفرداً لانظير له . [٦] أذلّ وقهر .

[٧] داخ البلاد : ودوخها ، وديخها : قهرها واستولى على أهلها . [٨] تفرّقوا شذر مذر :

ذهبوا فى كلّ وجه . [٩] سقمها : كناية عن المسح . [١٠] قهر أهلها واسترح ما فيها من

الكنوز وأموال الملوك . [١١] الأكل : ما يؤكل ، أى أخرجت خيراتها . [١٢] تعطف

عليه ويصدف أى يعرض . [١٣] تتمرض . [١٤] أى فيما يصلحكم قولى عليكم عمر .

[١٥] من النضرة والضارة بفتح النون وهى الحسن .

الله لِيَعِدُّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ فِيكَ حُسْنَ الْمَوْضِ مِنْكَ ، وَأَنَا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللهِ تَعَالَى
بِالصَّبْرِ فِيكَ ، وَأَسْتَقْضِيهِ ^(١) بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ ، أَمَا لَنْ قَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا ، لَقَدْ قَتَّ
بِأَمْرِ الدِّينِ ، لَمَّا وَهَى شَعْبُهُ ^(٢) ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ^(٣) ، وَرَجَفَتْ ^(٤) جَوَانِبُهُ ،
فَعَمِلِكَ سَلَامُ اللهِ تَوْدِيعَ غَيْرِ قَالِيَةٍ ^(٥) لِحَيَاتِكَ ، وَلَارَارِيَةٍ ^(٦) عَلَى الْقَضَاءِ فِيكَ .
(زهر الآداب ١ : ٤٠ ، العهد الجديد ٧ : ٥ ، نهاية الأرب ٥ : ١٦٧ ، البيان والذبيح ٢ : ١٦٠)

١٣١ — خطبتها حين أنبئت بقتل عثمان

كانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج وعثمان محصور ، ثم خرجت
من مكة تريد المدينة ، فلما كانت بِسَرِفٍ أنبئت بمقتل عثمان ، فانصرفت إلى
مكة ، فقصدت الْحِجْرَ ، فسترت فيه ، واجتمع إليها الناس ، فقالت :
« أيها الناس : إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ،
اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظالماً بالأمس ، وتَقَمَّوا عليه استعمال من حَدَّثَتْ
سِنِّيَّةً ، وقد اسْتَعْمَلَ أمثالهم قبله ، ومواضع من الْحِمَى ^(٧) حماها لهم فتابعهم ،
ونزع لهم عنها ، فلما لم يجدوا حجة ، ولا عذراً ، بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم
الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لأصبع
من عثمان خير من طَبَاقِ الْأَرْضِ أمثالهم ، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه ، كان

[١] أطلب قضاءه . [٢] وهي ضعف ، والشعب الجمع . [٣] الصدع : الشو .

[٤] اضطربت . [٥] مبغضة . [٦] عاتبة ولائمة . [٧] من المطاعن التي وجهت إلى
عثمان رضى الله عنه أنه حمى الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم سواء في الماء
والكلأ ، ولما سئل في ذلك قال إنعامات ذلك لا يبل الصدقة ، وقد أدلقت الآن ، وأنا أستغفر الله ، وروى
الواقدي أن عثمان كان يحمي الرِّبْدَةَ والشرف والبقيع ، فكان لا يدخل الحمى بغير له ولا فرس ولا لبني أمية ،
حتى كان آخر الزمان ، فكان يحمي الدمرق لا يبله ، وكانت ألف بغير ولا يبل الحكم بن أبي العاص ، ويحمي
الرِّبْدَةَ لا يبل الصدقة ، ويحمي البقيع لحيل المسلمين وخبله وخيل بني أمية — شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٢٣٥

ذنباً لخالص منه كما يخلص الذهب من خبئه ، أو الثوب من درنه ، إذ ماصوه^(١)
كما يخاص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ٣ : ١٠٢)

فتنة أصحاب الجمل

ولما قدمت السيدة عائشة رضى الله عنها البصرة ، للطلب بدم عثمان ، خرج إليها من أهلها من أراد أن يكون معها ، واجتمع القوم بالمربد ، وجعلوا يشوبون ، حتى غصَّ بالناس ، فتكلم طلحة ، فأنصتوا له :

١٣٢ — خطبة طلحة

حمد الله وأثنى عليه ، وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله ، والبلد وما أسْتَحْلَ منه ، وعظم ما أتى إليه ، ودعا إلى الطلب بدمه وقال :

« إن في ذلك إعزازَ دين الله عزَّ وجلَّ وسلطانَه ، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم ، فإنه حَدٌّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم ، وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام . »

وتكلم الزبير بمثل ذلك ، ثم تكلمت السيدة عائشة وكانت جهَّوَرِيَّة الصوت

١٣٣ خطبة السيدة عائشة بالمربد

حمدت الله عزَّ وجلَّ ، وأثنت عليه وقالت :

« كَانَ الناس يتجنَّون^(٢) على عثمان رضى الله عنه ، وَيُزْرُونَ^(٣) على عماله ، ويأتوننا بالمدينة ، فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فننظر في ذلك فنجد به برياً ،

[١] الموص : غسل ابن والدك باليد . [٢] تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله . [٣] زرى عليه : طابه كالأزرى لكنه قليل .

تقياً وفيّاً ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة ، يحاولون غير ما يُظهرون ، فلما قووا على المكاثرة كآثروه ، فاقحموا عليه داره ، واستحلوا الدم الحرام ، والمال الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترّة ^(١) ولا عذر ، ألا إن مما ينبغي ، لا ينبغي لكم غيره ، أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه ، وإقامة كتاب الله عز وجل : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) الآية .
(تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٥ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١٠٥)

١٣٤ - خطبة عدى بن حاتم

يستنفر قومه لنصرة الإمام على

لما شَخَصَ الإمام على كرم الله وجهه من المدينة إلى البصرة وقد علم بمسير طلحة والزبير وعائشة إليها ، قام عدى بن حاتم إليه فقال : يا أمير المؤمنين لو تقدمتُ إلى قومي أخبرهم بمسيرك ، وأستنفرهم ، فإن لك من طيء مثل الذى معك ، فقال على نعم فافعل ، فتقدم عدى إلى قومه ، فاجتمعت إليه رؤساء طيء ، فقال لهم :

« يا معشر طيء : إنكم أمسكتُم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشُّرك ، ونصرتُم الله ورسوله فى الإسلام على الرَّدّة ، وعلى قادمٍ عليكم ، وقد ضمنتُ له مثلَ عِدّةٍ منْ معه منكم ، خَفَفُوا ^(٢) معه ، وقد كنتم تقتاتلون فى الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا فى الإسلام على الآخرة ، فإن أردتم الدنيا فعند الله مغامٌ كثيرةٌ ، وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة ، وقد ضمنتُ عنكم الوفاء ، وباهيت بكم الناس ، فأجيبوا قولى ، فإنكم أعز العرب داراً ، لكم فضلُ معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل

المعاش لِلْعِيَالِ^(١) ، وفضول الخيل للجهاد ، وقد أظلكم على^(٢) والناس معه من المهاجرين والبدرين^(٣) وَالْأَنْصَار ، فكونوا أكثرهم عددا ، فَإِنْ هَذَا سَبِيلٌ^(٤) للحي فيه الغنى والسرور ، وللقَتِيل فيه الحياة والرزق .

فصاحت طي^{*} نعم نعم ! حتى كَادَ أَنْ يُصَمَّ^{*} من صياحهم .

(الإمامة والسياسة ١ : ٤٥)

١٣٥ — خطبة زفر بن زيد

يستنفر قومه لنصرة علي^{*} أيضا

وقام إلى علي^{*} زفر بن زيد الأسدي - وَكَانَ مِنْ سَادَةِ بَنِي أَسَدٍ - فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن طي^{*}نا إخواننا وجيراننا قد أجابوا عَدِيَّا ، ولى في قومي طاعة ، فَأَذِنَ لِي فَأَتَيْتَهُمْ ، قال : نعم ، فَأَتَاهُمْ فَجَمَعَهُمْ ، وقال :

« يا بني أسد : إن عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ ضَمِنَ لِعَلِيٍّ قَوْمَهُ ، فَأَجَابُوهُ ، وَقَضَوْا عَنْهُ

ذِمَامَهُ^(٣) ، فلم يَمُتْ^{*} الْغَنَى بِالْغَنَى ، وَلَا الْفَقِيرُ بِالْفَقْرِ ، وواسى بعضهم بعضا ، حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة ، وَالْأَنْصَارُ فِي الْأَثَرَةِ^(٤) ، وهم جيرانكم

في الديار ، وَخَلَطَاؤُكُمْ^(٥) في الأموال ، فَأَنْشُدُكُمْ اللَّهَ لَا يَقُولُ النَّاسُ غَدًا :

نصرت طي^{*} ، وَخَذَلْتُ^{*} بنو أسد ، وإن الجار يُقَاسُ بالجار ، كَالنَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، فَإِنْ خِفْتُمْ فَتَوَسَّعُوا فِي بِلَادِهِمْ ، وانضموا إلى جبلهم ، وهذه دعوة لها ثَوَابٌ مِنْ

الله في الدنيا والآخرة . (الإمامة والسياسة ١ : ٤٦)

[١] جمع عيل (كجيد) وهو من يجب الاتفاق عليه . [٢] أى الذين حضروا وقعة بدر .

[٣] العهد والحرمة . [٤] أى يؤثر كل منهم أخاه على نفسه وبفضله كما فعل الأنصار بالمهاجرين

« وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » [٥] الحائط . جمع خليط وهو الشربك

١٣٦ — خطبة سعيد بن عبيد الطائي

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بالرّبذة^(١) ، أتته جماعة من طيىء ، فقيل لعلّى : « هذه جماعة من طيىء قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك » قال : « جزى الله كلاً خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً » ثم دخلوا عليه ، فقال عليّ : ما شهدتمونا به ؟ قالوا شهدناك بكلّ ما تحبّ ، قال : « جزاكم الله خيراً ، فقد أسلمتم طائعين ، وقتلتم المرتدين ، ووافيتم بِصَدَقَاتِكُمُ الْمُسْلِمِينَ » فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال : « يا أمير المؤمنين : إن من الناس مَنْ يُعَبِّرُ لسانه عما في قلبه ، وإني والله ما كلّ ما أجِدُ في قلبي يُعَبِّرُ عنه لساني ، وسأجهدُ (وبالله التوفيق) أما أنا فساأصح لك في السّرّ والعلانية ، وأقاتل عدوك في كلّ موطن ، وأرى لك من الحق ما لا أراه لأحد من أهل زمانك ، لفضلك وقرابتك . »

قال : رحمك الله ! قد أدّى لسانك عما يُجِنُّ^(٢) ضميرك ، فقتل معه بصفين رحمه الله ! (تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٤)

١٣٧ — خطبة أبى موسى الأشعرى المتوفى سنة ٥٢ هـ

وكتب الإمام عليّ من الرّبذة أبا موسى الأشعرى - وكان عاملاً على الكوفة - ليستنفر الناس لقتال عائشة ومن معها ، فبَطَّطهم وخطبهم ، فقال :

[١] قرب المدينة ، وكان الامام حين يلمه خبر خروج عائشة وطلحة والزبير ، وأنهم قد توجهوا نحو العراق ، [خرج من المدينة يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم ، فلما انتهى إلى الرّبذة أتاه أنهم قد أمعنوا فأقام بالرّبذة أياماً . [٢] يحجن : أى يستر ويخفى .

« أيها الناس : إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن ، أعلم بالله جلَّ وعزَّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً ، فأنا مؤدّيه إليكم ، كَانَ الرَّأْيُ أَلَّا تَسْتَخِفُّوا بِسَاطِرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا تَجْتَرِثُوا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ الرَّأْيُ الثَّانِي أَنْ تَأْخُذُوا مَنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَتَرُدُّوهُمْ إِلَيْهَا ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ تَصْلُحُ لَهُ الْإِمَامَةُ مِنْكُمْ ، وَلَا تَكَلَّفُوا الدُّخُولَ فِي هَذَا ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَا كَانَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ صَمَاءٌ ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ ، وَالْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ ، فَكُونُوا جُرْثُومَةً ^(١) مِنْ جَرَائِمِ الْعَرَبِ ، فَأَغْمِدُوا ^(٢) السُّيُوفَ ، وَأَنْصِلُوا ^(٣) الْأَسْنَةَ ، واقطعوا الأوتار ، وآوُوا المظلوم والمُضْطَّهَدَ ، حَتَّى يَلْتَمَّ هَذَا الْأَمْرُ ، وَتَنْجَلِيَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ » . (تاريخ الطبري ٥ : ١٨٧ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٣)

١٣٨ - خطبة أخرى له

وخطب أيضاً في هذا الصّدّد ، فقال :

« أيها الناس : أطيعوني تكونوا جرثومة من جرائم العرب ، يأوى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا . إن الفتنة إذا أقبلت شُبِّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ يُبْذَرُ ، وَإِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ بَاقِرَةٌ ^(٤) كَدَاءِ الْبَطْنِ ، تَجْرِي بِهَا الشَّمَالُ وَالْجَنُوبُ ، وَالصَّبَا ^(٥) وَالدَّبُورُ ، فَتَسْكُنُ أَحْيَانًا ، فَلَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ تَوْتِي ، تَذَرُ الْحَلِيمَ كَابْنَ أَمْسٍ ، شَيْهًا ^(٦) سِيُوفِكُمْ ، وَقَصَّدُوا ^(٧)

[١] جرثومة الشيء : أصله . [٢] غمد السيف يغمده كنعن وصرب وأغمده : جعله في الغمد .

[٣] أنصل السهم ونصله بالتشديد : جعل فيه نصلاً وأزاله عنه - ضد - . [٤] فتنة باقرة صادعة للألفة شاقة للعصا . وفي الكامل لابن الأثير : فائرة نافاء ، وهي الداهية تكسر فقار الطهر .

[٥] الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدبور : ريح تقابها .

[٦] شام سيفه يشيمه : غمده واستله ضد . [٧] التقصيد والقصد : الكسر بأي وجه كان أو

رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم ، خلوا قريشاً إذا
أبوا إلا الخروج من دار الهجرة ، وفراق أهل العلم بالأمرة ، ترقى ^(١) فتقها ،
وتشعب ^(٢) صدعها ، فإن فعلت فلا نفسها سعت ، وإن أبت فعلى أنفسها جنت ،
سمتها تهريق في أديعها ، استنصحنوني ولا تستغشوني ، وأطيعوني يسلم لكم دينكم
ودنياكم ، ويشقى بحرّ هذه الفتنة من جناها .

١٣٩ — خطبة زيد بن صوحان

فقام زيد بن صوحان ، فشال ^(٣) يده المقطوعة ، فقال :

« يا عبد الله ^(٤) بن قيس ، ردّ الفرات عن أدراجه ^(٥) ، أردده من حيث
يجىء ، حتى يعود كما بدأ ، فإن قدرت على ذلك ، فستقدر على ما تريد ، فدع عنك
ما لست مدركه ، ثم قرأ : (ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً
وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين) سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، وأنفروا ^(٦) إليه أجمعين ،
تصيبوا الحق . »

١٤٠ — خطبة القعقاع بن عمرو

فقام القعقاع بن عمرو فقال :

« إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا ^(٧) ، ولأقولن لكم

بالصف ورمح قصد كفرح وقصيد وأقصاد متكسر . [١] رتق الفتى : سده . [٢] الشعب :

الإصلاح والإفساد والجمع والتفريق ، ضدّ . [٣] رفع ، قطعت يده يوم جلواء ، وقيل بالقادسية . في

قتال الفرس ، وقتل يوم الجمل (أسد الغابة ٢ : ٢٣٤) . [٤] هو اسم أبي موسى .

[٥] جمع درج بفتحين وهو الطريق . [٦] اذهبوا . وكانت السيدة عائشة قد كتبت إليه كتاباً

تأمره فيه بملازمة بيته أو نصرته ، فقال أمرت أن تقر في بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ،

فأمرتنا بما أمرت به ، وركبت ما أمرنا به . [٧] رشد : كنصر وفرح .

قولاً هُوَ الحق ، أما ما قال الأمير فهو الأمر ، لو أن إليه سبيلاً ، وأما ما قال زيد فزيد عدوُّ هذا الأمر ، فلا تستنصحوه ، فإنه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها ، وجرى إليها ، والقول الذى هو الحق أنه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس ، وتترع^(١) الظالم ، وتُعزّ المظلوم ، وهذا على يلى بما ولى ، وقد أنصف فى الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع .

١٤١ — خطبة سيحان بن صوحان

وقال سيحان :

« أيها الناس : إنه لا بدّ لهذا الأمر ، وهؤلاء الناس من وال ، يدفع الظالم ، ويُعزّ المظلوم ، ويجمع الناس ، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه^(٢) ، وهو المأمون على الأمة ، الفقيه فى الدين ، فمن نهض إليه ، فإننا سائررون معه .

١٤٢ — خطبة الحسن بن على

وقام الحسن بن على رضى الله عنه ، فقال :

« أيها الناس : أجيئوا دعوة أميكم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يلميه أولو النهى أمثل فى العاجلة ، وخير فى العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، وإن أمير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجى هذا ظالماً أو مظلوماً ، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفرَ ، فإن كنت مظلوماً أعاننى ، وإن كنت ظالماً أخذ منى ، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعنى ، وأول من غدر ، فهل استأثرت بعال ، أو بدّلت حكماً ؟ فانفروا ، فمروا بالمعروف ، وانفروا عن المنكر .

(تاريخ الطبرى ٥ : ١٨٨ ، والكمال لابن الأثير ٣ : ١١٤)

١٤٣ - وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل

ولما نزل الإمام عليّ كرم الله وجهه بذي قار ، دَعَا القَعْقَاع بن عمرو ، فأرسله إلى أهل البصرة ، وقال له : اِلْتَقَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ - طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرَ - يَا بَنَ الحَنْظَلِيَّةِ ، « وَكَانَ القَعْقَاعُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فَادْعُهُمَا إِلَى الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَعَظَّمْ عَلَيْهِمَا الْفُرْقَةَ ، وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِيمَا جَاءَكَ مِنْهُمَا ، مِمَّا لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ وَصَاةٌ ^(١) مَنِي ؟ فَقَالَ : نَلْقَاهُمْ بِالذِي أَمَرْتُ بِهِ ، فَإِذَا جَاءَ مِنْهُمَا أَمْرٌ لَبَسَ عِنْدَنَا مِنْكَ فِيهِ رَأْيٌ ، اجْتَهِدْنَا الرَّأْيَ ، وَكَلِّمْنَاهُمْ عَلَى قَدَرِ مَا نَسْمَعُ وَنَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي ، قَالَ : أَنْتَ لَهَا .

فَخَرَجَ القَعْقَاعُ حَتَّى قَدِمَ البَصْرَةَ . فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : أَيُّ أُمَّةٍ : مَا أَشْخَصَكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلَدَةَ ؟ قَالَتْ : أَيُّ مُبْنَى : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ، قَالَ : فَابْعَثِي إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّيْبِرِ ، حَتَّى تَسْمَعِيَ كَلَامِي وَكَلَامَهُمَا ، فَبِعَثْتُ إِلَيْهِمَا جَاءَا ، فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشْخَصَهَا وَأَقْدَمَهَا هَذِهِ الْبِلَادَ ؟ فَقَالَتْ : إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ ، فَمَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا ؟ أُمْتَابِعَانِ أَمْ مُخَالَفَانِ ؟ قَالَا : مُتَابِعَانِ ، قَالَ : فَأَخْبِرَانِي ، مَا وَجَّهَ هَذَا الْإِصْلَاحَ ؟ فَوَاللَّهِ لئن عَرَفْنَاهُ لَنُضْلِحَنَّ ، وَلئن أَنْكَرْنَاهُ لَأُضْلِحَ ، قَالَا : قَتَلَهُ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ هَذَا إِنْ تُرِكَ ، كَانَ تَرْكَاً لِلْقُرْآنِ ، وَإِنْ عُمِلَ بِهِ ، كَانَ إِحْيَاءً لِلْقُرْآنِ ، فَقَالَ : قَدْ قَتَلْتُمَا قَتْلَةَ عُمَانَ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ ، وَأَنْتُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ ، قَتَلْتُمْ سِتْمَائَةَ إِلَّا رَجُلًا ، فَغَضِبَ لَهُمْ سِتَّةَ آلَافٍ ، وَاعْتَزَلُوكُمْ ، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، وَطَلَبْتُمْ ذَلِكَ الَّذِي أَفْلَتَ - يَعْنِي حُرْقُوصَ بَنِ زُهَيْرٍ - فَمَنْعَهُ سِتَّةَ آلَافٍ

وهم على رجل ، فإن تركتموه كتمت تاركين لما تقولون ، فإن قاتلتهم والذين اعتزلوكم فأدبوا^(١) عليكم ، فالذي حذرتم وقربتم^(٢) به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحيتم مضرَ وريعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلاكم نضرة لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم ، والذنب الكبير .

فقلت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول ، هذا الأمر دواءه التسكين ، وإذا سكن اختلجوا^(٣) ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ، ودرك بئار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر وذهاب هذا النار ، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهزها^(٤) ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح الخير ، كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ، ولا تعرضوا له ، فيضرعنا وإياكم ، وإني لله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف ألا يتيتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة ، التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث ليس يقدر ، وليس كالأموار ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل .

فقالوا : نعم ، إذن قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع ، فإن قدم علي ، وهو على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر ، فرجع إلى علي فأخبره ، فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح^(٥) . (تاريخ الطبري ٥ : ١٩١)

[١] أي علوكم وانتصروا عليكم . [٢] قربه (كسمع) قرب منه (ككرم) .
[٣] اضطربوا وتفككوا . [٤] الهزيمة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس .
[٥] ولكن السبطين أحبطوا مساعي الصلح ، إذ خرجوا في الغلس دون أن يشعر بهم أحد فقصد مضرهم مضر البصرة ، وريعتهم ربيعة البصرة ، وبعثهم من البصرة ، ووضعوا فيهم السلاح . فثار كل قوم في وجوه أصحابهم ، ودارت رحى القتال بينهم ، وكلا الفريقين لا يعلم بكنه تلك المكيدة ، وكان بينهما ما كان .

١٤٤ - خطبة علي بن أبي طالب

فلما رجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير ، جمع الإمام عليّ الناس ، ثم قام على الفراش ، فحمد الله عزّ وجلّ ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجاهلية وشقّاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة ، بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم حدّث هذا الحدّث ، الذي جرّاه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومُصِيبٌ ما أراد ، ألا إني راحلٌ غداً فارتحلوا ، ألا ولا يَرْتَحِلُن غداً أحدٌ أعان على عثمان رضى الله عنه بشيء ، في شيء من أمور الناس ، وَلْيُخْنِ السفهاء عنى أنفسهم . (تاريخ الطبرى ٥ : ١٩٤)

١٤٥ - خطبة السيدة عائشة يوم الجمل (توفيت سنة ٥٧ هـ)

وخطبت السيدة عائشة رضى الله عنها أهل البصرة يوم الجمل فقالت :
« أيها الناس : صه صه ، إن لى عليكم حقّ الأمومة ، وحرمة الموعظة ، لا يَتَهَمُنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَخْرِي^(١) وَنَحْرِي ، فأنا إحدى نساءه فى الجنة ، له ادّخرنى ربى ، وخلصنى من كل بضاعة ، وبى مَيِّزَ مناقمكم من مؤمنكم ، وبى أرخص الله لكم فى صَعِيدِ الْأَبْوَاء^(٢) ، ثم أبى

[١] السحر : الرثة . [٢] الصعيد : التراب أو وجه الأرض ، والأبواء : قرية بها قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم ، تشير إلى ما حدث ببركتها من ترخيص المولى (جلّ وعلا) للمسلمين فى التيمم إذا لم يجدوا ماء يتوضئون به ، وفى الحديث : « عن عائشة رضى الله عنها : قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بدات الجيش انقطع عقد لى ، فأقام رسول الله على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ، فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت

ثاني اثنين الله ثالثهما ، وأول من سُمي صديقاً ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ، وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب جبل الدين بعده ، فمسك أبي بطفه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردّة ، وأطفأ ما حشّ^(١) يهود ، وأنتم يومئذ جُحْظُ العيون ، تنظرون الغدرة ، وتسمعون الصيحة ، فرأب^(٢) الثأى^(٣) ، وأود^(٤) من الغلظة ، وانتاش من الهوة ، وأجتَحَى^(٥) دفين الداء ، حتى أعطن^(٦) الوارِدُ ، وأوردَ الصادِرُ ، وعَلَّ^(٧) الناهل ، فقبضه الله إليه ، واطناً على هامات^(٨) النفاق ، مُذْكِياً^(٩) نار الحرب للمشرّكين ، فانتظمت طاعتكم بحبله ، فَوَلَّى^(١٠) أمركم رجلاً مُرْعِياً إذا رُكن إليه ، بعيد ما بين اللَّابَتَيْنِ^(١١) ، عُرْكة للأذاة بِجَنْبِهِ^(١٢) ، صَفُوحاً عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل في نصرة الإسلام ، فسلك مسلك السابقة ، ففرّق شمل الفتنة ، وجمع أعضاد ما جمع القرآن ، وأنا نُصَبُ المسألة عن مسيرى هذا ، لم أَلْتَمِسْ إثماً ، ولم أُوْنِسْ فتنة أوطئكموها ، أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً ، وإعذاراً وإنذاراً ، وأسأل الله أن يصلي على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين . (العقد الفريد ٢ : ١٥٦ - ٢٢٦)

عائشة ، أقامت رسول الله صلى الله عليه وسلم والداس ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ورسول الله قد نام ، فقال حبست رسول الله والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فقالت عائشة دعاني أبو بكر ، وقال ماشاء الله أن يقول ، وجعل يطعنني بيده في خصرتي ، فقام رسول الله حين أصبح على غير ماء ، وأنزل الله آية التيمم ، فتيمموا ، فقال أسيد بن الحضير (بصيغة التصغير) ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، قالت فعمنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحمه . (راجع الحديث كاملاً في باب التيمم من صحيح البخاري ١ : ٧٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٤٦) . [١] حش النار : أوقدها . [٢] الثأى والثأى : الهمة وتسحقها : الإفساد . [٣] أود : فتأود : عطفه فامطع . [٤] اجتراح : استأصله . [٥] أعطى الابل : حبسها عند الماء . [٦] العلّ والعلل : (بفتحين) الشرب بعد الشرب تباعاً علّ يعمل بكسر العين وضهما ، والنهل : أول الشرب نهل ينهل كفرح . [٧] جمع هامة وهي الرأس . [٨] مشعلا . [٩] اللابة : الحرة بفتح الحاء (أرض ذات حجارة نخرة سود) ولابتاً المدينة حرتان تكتنفانها ، أرادت أنه واسع الصدر واسع العطن فاستعارت له اللابة كما يقال رحب السماء واسع الجنب . [١٠] أي يترك الأذى بمجنبه أي يحتمله . وفي هذه الخطبة تحريف شديد في الأصل وقد اصلحته كما يتبين بالمراجعة .

١٤٦ — خطبة زفر بن قيس

وكتب الإمام على كرم الله وجهه ، مع زفر بن قيس إلى جرير بن عبد الله البجليّ — وكان على ثغرهمذان استعمله عليه عثمان — كتاباً يخبره فيه بما كان بينه وبين أصحاب الجمل ، وما أُوتى من الانتصار عليهم ، واستعمال ابن عباس على البصرة ، فلما قدم زفر على جرير بكتاب علىّ وقرأه جرير ، قام زفر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن عليّاً كتب إليكم بكتاب ، لا نقول بعده إلا رَجِيعاً ^(١) من القول ، إن الناس بايعوا عليّاً بالمدينة غير محابةٍ ببيعتهم ، لعلمه بكتاب الله ، وَيُرَى الحق فيه ، وإن طلحة والزبير نقضاً بَيْعَةَ عَلِيٍّ على غير حَدَثٍ ، ثم لم يرضيا حتى نَصَبَا له الحرب ، وألبّا ^(٢) عليه الناس ، وأخرجوا أم المؤمنين عائشة من حِجَابِ ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها ، فاقبيها فأعذر في الدعاء ، وَخَشِيَ البغي ، وَحَمَلَ الناس على ما يعرفون ، فهذا عِيَان ^(٣) ما غاب عنكم ، وإن سألتهم الزيادة زدناكم . »

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٧ — خطبة جرير بن عبد الله البجلي

وقام جرير بن عبد الله البجليّ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، وهو المأمون على الدين والدنيا ، وكان من أمره وأمرِ عدوه ما قد سمعتم ، والحمد لله على أَقْضِيَّتِهِ ، وقد بايعه السابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعون بإحسان ، ولو

[١] الرجيع : كل مردّد . [٢] حرّضنا . [٣] مصدر طين الشيء إذا رآه بعينه .

جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحقّ بها ، ألا وإن البقاء في الجماعة ، والفناء في الفرقة ، وعليّ حاملكم ما استقمتم له ، فإن ملتم أقام ميّلكم .
قال الناس سمعاً وطاعة ، ورضانا رضا من بعدنا .

(الإمامة والسياسة ١ : ٦٩)

١٤٨ — خطبة زياد بن كعب

وكتب الإمام عليّ كرم الله وجهه ، إلى الأشعث بن قيس — وكان عاملاً بأذربيجان ، استعمله عليها عثمان — بمثل ما كتب به إلى جرير بن عبدالله ، ووجه بالكتاب مع زياد بن كعب ، فلما قرأ الأشعث كتاب عليّ ، قام زياد بن كعب خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه من لم يكفه القليل ، لم يكفه الكثير ، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان ، ولم يشف منه الخبر ، غير أن من سمعه ليس كمن عاينه ، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا عليّاً راضين به ، وإن طلحة والزبير نقضا بيعه عليّ على غير حدّ ، وأخرجوا أم المؤمنين عليّ غير رضا ، فسار إليهم ولم ينلهم ، فتركهم وما في نفسه منهم حاجة ، فأورثه الله الأرض ، وجعل له عاقبة المتقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

١٤٩ — خطبة الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« أيها الناس : إن عثمان رحمه الله ولأني أذربيجان ، وهلك وهي في يدي ، وقد بايع الناس عليّاً ، وطاعتنا له لازمة ، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم ، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك » . (الإمامة والسياسة ١ : ٧٠)

فتنة معاوية

استطلاع الامام على كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

لما أراد الامام على كرم الله وجهه المسير إلى الشام ، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار فجمعهم .

١٥٠ — خطبة الامام على

ثم حمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فإنكم مَيَّامِينُ الرَّأْيِ ، مَرَّاجِيحُ الْحِلْمِ ، مُبَارِكُو الْأَمْرِ ، مَقَاوِيلُ الْحَقِّ ، وقد عزمنا على المسير إلى عدونا وعدوكم ، فأشيروا علينا برأيكم » .

١٥١ — خطبة هاشم بن عتبة

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد - يا أمير المؤمنين - فأنا بالقوم جدُّ خَيْرٍ ، هم لك ولأشياعك أعداء ، وهم لمن يطلب حرَّث^(١) الدنيا أولياء ، وهم مقاتلوك ومجادلوك ، لَا يُبْقُونَ جُهْدًا ، مُشَاحَّةً^(٢) على الدنيا ، وَضِنًا^(٣) بما في أيديهم منها ، ليس لهم إِرَبَةٌ^(٤) غيرها ، إِلَّا مَا يَخْذَعُونَ به الجُهَّال ، مِنْ طلب دم ابن عفان ، كذبوا ! ليسوا لدمه يَنْفِرُونَ^(٥) ، ولكن الدنيا يطلبون ، انهض بنا إليهم ، فَإِنْ أَجَابُوا إِلَى الْحَقِّ ،

[١] أى متاعها . [٢] بخلا عليها وحرصا . [٣] ضن ضنا : بالكسر وضنائة بالفتح بخل .

[٤] الإربة : الأرب . [٥] نفر للأمر : ذهب له .

فليس بعد الحق إلا الضلال ، وإن أبوا إلا الشقاق ، فذاك ظنى بهم ، والله ما أراهم يبايعون ، وقد بقى فيهم أحد ممن يُطاع إذا نهى ، ولا يسمع إذا أمر .

١٥٢ — خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن استطعت أن لا تُقيم يوماً واحداً فافعل ، اشخص بنا قبل استعمار^(١) نار الفجرة ، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة ، وادعهم إلى حظهم ورشدهم ، فإن قبلوا ساعدوا ، وإن أبوا إلا حرّ بنا ، فوالله إن سفك دماءهم ، والجِدَّ في جهادهم ، لقربة عند الله ، وكرامة منه . »

١٥٣ — خطبة قيس بن سعد بن عبادة

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين : انكش^(٢) بنا إلى عدونا ولا تُعرج ، فوالله لجهادهم أحبُّ إلى من جهاد الترك والروم ، لإدهانهم^(٣) في دين الله ، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله ، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، إذا غضبوا على رجل حبسوه وضربوه وحرّموه وسيرّوه^(٤) ، وفيننا لهم في أنفسهم حلالاً ، ونحن لهم فيما يزعمون قطين^(٥) . »

فقال أشياخ الأنصار ، منهم خزّيمة بن ثابت وأبو أيوب وغيرها : لم تقدّمت أشياخ قومك ، وبدأتهم بالكلام يا قيس ؟ فقال : أمّا إني عارف

[١] أى اشتعال . [٢] انكش وتكش : أسرع . [٣] الادمان : المداينة والعش .

[٤] الراد أبعده . [٥] القطين : الرقيق والخدم .

بفضلكم ، مُعظم لشأنكم ، ولكنى وجدت فى نفسى الضغن الذى فى صدوركم ،
جاش حين ذكرت الأحزاب ، فقال بعضهم لبعض : ليقم رجل منكم ، فليُجِبْ
أمير المؤمنين عليه السلام عن جماعتكم .

١٥٤ - خطبة سهل بن حنيف

فقام سهل بن حنيف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين : نحن سلّمٌ لمن سالمت ، وحربٌ لمن حاربت ، ورأينا
رأيك ، ونحن يمينك ، وقد رأينا أن تقوم فى أهل الكوفة ، فتأمرهم بالشخص ،
وتُخبرهم بما صنع لهم فى ذلك من الفضل ، فإنهم أهل البلد ، وهم الناس ، فإن
استقاموا لك ، استقام لك الذى تريد وتطلب ، فأما نحن فليس عليك خلافٌ
منا ، متى دعوتنا أجبتك ، ومتى أمرتنا أطعناك » .

١٥٥ - خطبة الامام على

وقام الإمام على خطيباً على منبره ، يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين ،
لقتال أهل الشام ، فقال :

« سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء القرآن والسُنن ، سيروا إلى بقية
الأحزاب ^(١) ، وَقَتَلَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ » .

فقام رجل من بنى فزارة فقال له : أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل
الشام تقتلهم كُلاً ، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلتهم كُلاً ؟ ها الله ^(٢)

[١] يشير إلى الأحزاب التى تألّت وقطاهرت على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،
وغطفان ، وبنى مرة ، وبنى أشجع ، وبنى أسد فى غزوة الأحزاب - غزوة الخندق -
التي كانت سنة خمس للهجرة ، وكانت عدّة الجميع عشرة آلاف مقاتل وقادهم العام أبو سفيان .

[٢] هى ها التنبية ، وهى تدخل على اسم الله فى القسم عند حذف الحرف ، تقول : ها الله بقطع الهمزة
ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألف ها وحذفها .

إذن لا تفعل ذلك ، فقام الأشر فقال : من هذا المارق ؟ فَهَرَبَ الْفَزَارِيُّ ، واشتد الناس على أثره ، فلدَّجِقَ فِي مَكَانٍ مِنَ السُّوقِ ، تباع فيه البراذين ^(١) ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونِعال سيوفهم ، حتى قُتِلَ ، فَأَتَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقيل له : يا أمير المؤمنين قُتِلَ الرَّجُلُ ، قال : ومن قتله ، قالوا قتلته همدان ومعههم شَوْبٌ ^(٢) من الناس ، فقال : قَتِلَ عَمِيَّةٌ ^(٣) لَا يُدْرِي مَنْ قَتَلَهُ ، دِيَّتُهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فقام الأشر فقال :

١٥٦ — خطبة الأشر النخعي

« يا أمير المؤمنين : لَا يَهْدُنْكَ مَا رَأَيْتَ ، وَلَا يُؤَلِّينَكَ مِنْ نَفْسِنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ مَقَالَةِ هَذَا الشَّقِيِّ الْخَائِنِ ، إِنْ جَمِيعٌ مَنْ تَرَى مِنَ النَّاسِ شِيعَتُكَ ، لَا يَرْغَبُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ ، وَلَا يُحِبُّونَ الْبَقَاءَ بَعْدَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَسِرْ بِنَا إِلَى عَدُوِّكَ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحْبَبَهُ ، وَإِنَّا لَعَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبَّنَا ، وَإِنْ أَنْفُسُنَا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى يَأْتِيَ أَجْلُهَا ، وَكَيْفَ لَا تَقَاتِلَ قَوْمًا هُمْ كَمَا وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَمْسِ ، وَبَاعُوا خَلَاقَهُمْ ^(٤) بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٌ . »

فقال على : « الطَّرِيقُ مُشْتَرَكٌ ، وَالنَّاسُ فِي الْحَقِّ سَوَاءٌ ، وَمَنْ اجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِي نَصِيحَةِ الْعَامَّةِ ، فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ » ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ .

[١] البراذين : الدواب جمع برذون . [٢] خايط . [٣] قتل صميا بكسر العين والميم مشددة مع تشديد ألياء ثم يدر من قتله . [٤] الحلاق : النصيب الوافر من الخير .

١٥٧ - مقال من ثبطوه عن المسير

ولما أمر الإمام بالمسير إلى الشام ، دخل عليه عبد الله بن المعتز العنسي ،
وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّيِّعِ التَّمِيمِي ، في رجال كثير من غطفان وبنى تميم ، فقال له حنظلة :
« يا أمير المؤمنين : إنا قد مشينا إليك في نصيحة فاقبلها ، ورأينا لك رأياً
فلا تردنه علينا ، فإنا نظرنا لك ولمن معك ، أقم وكاتب هذا الرجل ، ولا تعجل
إلى قتال أهل الشام ، فإنا والله ما ندري ولا ندري لمن تكون الغلبة إذا انتقيتم ،
ولا على من تكون الدبرة ^(١) »

وقال ابن المعتز مثل قوله ، وتكلم القوم الذين دخلوا معها بمثل كلامهما .

١٥٨ - رد الامام عليهم

فحمد على عليه السلام الله وأثنى ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله وارث العباد والبلاد ، ورب السموات السبع
والأرضين السبع ، وإليه ترجعون ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن
يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، أما الدبرة ، فإنها على الضالين
العاصين ، ظفروا أو ظفروا بهم ، وإيهم الله إني لأسمع كلام قوم ما أراهم يعرفون
معروفاً ، ولا ينكرون منكراً » .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هؤلاء والله ما آثروك بنصح ، ولا دخلوا عليك إلا

بغش ، فاحذرهم ، فإنهم أدنى العدو » .

[١] الدبرة بسكون الباء وفتحها الهويزة في القتال

وقال له مالك بن حبيب : « إنه بلغني يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذا يكتب معاوية ، فادفعه إلينا نجبسه ، حتى تنقضي غزاتك وتتصرف » .
 وقام من بنى عبس قائد بن بكير ، وعيَّاش بن ربيعة ، فقالا :
 « يا أمير المؤمنين ، إن صاحبنا عبد الله بن المغمم قد بلغنا أنه يكتب معاوية ، فاجبسه أو مكنا من حبسه ، حتى تنقضي غزاتك ثم تتصرف » .
 فقالا : « هذا جزاء لمن نظر لكم ، وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم وبين عدوكم ؟ »
 فقال لهما على عليه السلام : « الله بيني وبينكم وإليه أكلكم ، وبه أستظهر عليكم ، اذهبوا حيث شئتم » ^(١) .

١٥٩ - خطبة عدى بن حاتم الطائي

وقام عدى بن حاتم الطائي ، بين يدي على عليه السلام ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :
 « يا أمير المؤمنين ، ما قلت إلا بعلم ، ولا دعوت إلا إلى حق ، ولا أمرت إلا برشد ، ولكن إذا رأيت أن تستأني ^(٢) هؤلاء القوم وتستديمهم ، حتى تأتيهم كتبك ، وتقدم عليهم رؤسك ، فعملت ، فإن يقبلوا يصيبوا رؤسهم ، والعافية أوسع لنا ولهم ، وإن يتجادوا في الشقاق ، ولا ينزعوا عن الغي ، نسر إليهم ، وقد قدمنا إليهم العذر ، ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق ، فوالله لهم من الحق أبعد ، وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة ، لما دعوناهم

[١] هذا وقد خرجا إلى معاوية في رجال من قومه ، ولكنهما لم يقاتلا معه واعتزلا الفريقين جيباً

[٢] تنتظر .

إلى الحق فتركوه ، ناوخنهم بَرَاكَاءَ القتال ^(١) ، حتى بلغنا منهم ما نحب ، وبلغ الله منهم رضاه .

١٦٠ — خطبة زيد بن حصين الطائي

فقام زيد بن حُصَيْنِ الطائي - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْبِرَانِسِ الْمُجْتَهِدِينَ - فقال :
« الحمد لله حتى يَرْضَى ، ولا إله إلا الله رَبُّنَا ، أما بعد : فوالله إن كنا في شك في قتال من خالفنا ، ولا تَصْلُحُ لَنَا النِّيَّةُ فِي قِتَالِهِمْ حَتَّى نَسْتَدِيعَهُمْ وَنَسْتَأْنِيَهُمْ ، فما الأعمال إلا تَبَابٌ ^(٢) ، ولا السعى إلا في ضلال ، والله تعالى يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » إننا والله ما ارتبنا طَرْفَةَ عَيْنٍ فِيمَنْ يَتَّبِعُونَهُ ، فكيف بَاتِّبَاعِهِ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ، الْقَلِيلِ مِنَ الْإِسْلَامِ حَظُّهُمْ ، أَعْوَانِ الظُّلْمَةِ ، وَأَصْحَابِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ ؛ ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ، ولا التابعين بإحسان .
فقام رجل من طيء فقال : « يَا زَيْدُ بْنُ حَصِينٍ ، أَكَلَامُ سَيِّدِنَا عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ يُهَجِّنُ ^(٣) ؟ » فقال زيد : « مَا أَنْتُمْ بِأَعْرَفَ بِحَقِّ عَدِيٍّ مِنِّي ، وَلَكِنِّي لَا أَدْعِ الْقَوْلَ بِالْحَقِّ وَإِنْ سَخِطَ النَّاسُ . »

١٦١ — خطبة أبي زينب بن عوف

ودخل أبو زينب بن عوف على الإمام علي فقال :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَأَنْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ لَأَنْتَ أَهْدَانَا سَبِيلًا ، وَأَعْظَمُنَا فِي الْخَيْرِ نَصِيبًا ، وَلَئِنْ كُنَّا عَلَى ضَلَالٍ إِنَّكَ لَأَثْقَلُنَا ظَهْرًا ^(٤) ، وَأَعْظَمُنَا وَزْرًا ، قَدْ

[١] بَرَكَاءُ القتال وبروكاء : موضع اصطدام القوم ، وناوخنهم مفاعلة من أناخ الإبل إذا أبركها ، والمعنى التقينا وإياهم في ساحة القتال . [٢] خمران . [٣] يقبح . [٤] لأنه حينئذ يكون أكثرهم ذوباً .

أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية ، وأظهرنا لهم
العداوة ، نريد بذلك ما يعلم الله تعالى من طاعتك ، أليس الذي نحن عليه هو
الحق المبين ، والذي عليه عدونا هو الحوب ^(١) الكبير ؟ »

فقال عليه السلام : « بلى ، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصراً لدعوتنا ،
صحيح النية في نصرنا ، قد قطعت منهم الولاية ، وأظهرت لهم العداوة ، كما
زعمت ، فإنك ولي الله تسبح في رضوانه ، وتركض في طاعته ، فأبشر أبا زينب »
وقال له عمار بن ياسر : « أثبت أبا زينب ، ولا تشك في الأحزاب أعداء الله
ورسوله » فقال أبو زينب : « ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة ، شهدا
لي عما سألت من هذا الأمر الذي أهمني مكانكما » .

١٦٢ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي ^(٢) على علي عليه السلام فقال :
« يا أمير المؤمنين : نحن أولو جهاز ^(٣) وعدة ، وأكثر الناس أهل قوة ،
ومن ليس به ضعف ولا علة ، فر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم
بالنخيلة ، فإن أخوا الحرب ليس بالسثوم ولا النثوم ، ولا من إذا أمكنته الفرص
أجلها ، واستشار فيها ، ولا من يؤخر عمل الحرب اليوم لغد ، وبعد غد » .

١٦٣ — خطبة زياد بن النضر

فقال زياد بن النضر :

« لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين ، وقال ما يعرف ، فتوكل

[١] الحوب بالفتح والضم : الإثم . [٢] نسبة إلى أرحب : وهي قبيلة من همدان .

[٣] جهاز المسافر والعروس والميت (بالكسر والفتح) ما يحتاجون إليه .

على الله وثق به ، واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً مماناً ، فإن يرد الله بهم خيراً لا يتركوك ، رغبةً عنك إلى من ليس له مثلُ سابقتك وقدمك ، وإلاً يُنبئوا ويقبلوا ، وأبوا إلا حرباً بنا نجد حربهم علينا هتناً ، ونرجو أن يضرعهم الله مصارع إخوانهم ثم^(١) بالأمس . »

١٦٤ — خطبة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

ثم قام عبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن القوم لو كانوا ، الله يريدون ، والله يعملون ، ما خالفونا ، ولكن القوم إنما يقاتلوننا فراراً من الأسوة^(٢) ، وحُباً للأثرة^(٣) ، وضناً بسلطانهم ، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم ، وعلى إحن^(٤) في نفوسهم ، وعداوة يجدونها في صدورهم ، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة ، قتلت فيها آباءهم وأعوانهم » ثم التفت إلى الناس فقال : « كيف يبايع معاوية علياً ، وقد قتل أخاه حنظلة ، وخاله الوليد ، وجدّه عتبة ، في موقف واحد^(٥) ؟ والله ما أظنهم يفعلون ، وإن يستقيموا لكم دون أن تُقصف فيهم قنأ المران^(٦) ، وتقطع على هامهم^(٧) السيوف ، وتنثر حواجبهم بعُمد الحديد ، وتكون أمور رجّة بين الفريقين . »

[١] هناك يريد البصرة . [٢] الأسوة بالضم والكسر القدوة : أي فراراً من أن يكونوا تابعين لك مسودين وأن تكون لهم إماماً وسيداً . [٣] استأثر على أصحابه اختار لنفسه أشياء حسنة ، والاسم الأثرة . [٤] جمع إحنة ، وهي الحقد والعداوة . أي ويقاتلوننا على إحن : أي من أجلها . [٥] هو جدّه لأمه عتبة بن أبي ربيعة ، وقد قتلهم على يوم بدر . وفي كتاب بعث به الامام إلى معاوية يقول : « أنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شذخا يوم بدر وذلك السيف معي » . [٦] القنا : الرماح جمع قنأة ، والمران : الرماح الصلبة اللدنة الواحدة مرانة ، وشجر ، والإضاءة على المعنى الأول على حدّ قوله تعالى « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » — إن فسر العرم بالمطر الشديد — (وفسر أيضاً بالأحباس والسدود تبنى الأودية ، وبالجرذ ، وبواد جاء السيل من قبله) وعلى المعنى الثاني : أي القنا المتخذة من الشجر . [٧] الهام جمع هامة : وهي الرأس .

١٦٥ - أدب الامام على ، وكرم خلقه

وخرج حُجْر بن عَدِيٍّ ، وعمر بن الحَمِق ، يُظْهِرَان البراءة من أهل الشام ، فأرسل على عليه السلام إليهما أَنْ كُفَّأ عما يبلغني عنكما ، فَأَتِيَاهُ فَقَالَا : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَلَسْنَا مُحَقِّقَيْنِ ؟ » قَالَ : بَلَى ، قَالَا : « أَوْ لَيْسُوا مُبْطِلَيْنِ ؟ » قَالَ : بَلَى ، قَالَا : « فَلِمَ مَنَعْتَنَا مِنْ شَتْمِهِمْ ؟ » قَالَ :

« كَرِهْتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِعَانِينَ شَتَّامِينَ ، تَشْتُمُونَ وَتَبْرءُونَ ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَاوِي أَعْمَالِهِمْ فَقُلْتُمْ : مِنْ سِيرَتِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذَا وَكَذَا ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ ، وَبَرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَهُمْ وَدِمَاءَنَا ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ يَدَيْهِمْ وَبَيْنَنَا ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ مَنْ جَهَلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَى وَالْعُدْوَانِ مِنْهُمْ مَنْ لَهَجَ بِهِ ، لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ ، وَخَيْرًا لَكُمْ . »

فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَقْبَلُ عِظَتَكَ ، وَنَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ .

١٦٦ - مقال عمرو بن الحمق

وَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ يَوْمَئِذٍ :

« وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي مَا أَحْبَبْتُكَ وَلَا بَايَعْتُكَ عَلَى قَرَابَةِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، وَلَا إِرَادَةِ مَالٍ تُؤْتِيْنِيهِ ، وَلَا التَّمَّاسِ سُلْطَانٍ تَرْفَعُ ذِكْرِي بِهِ ، وَالْكُنْتَنِي أَحْبَبْتُكَ بِخِصَالِ خَمْسٍ ، إِنَّكَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَوَصِيهِ ، وَأَبُو الذَّرِيَّةِ ، الَّتِي بَقِيَتْ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَسْبَقَ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَعْظَمَ الْمُهَاجِرِينَ سَهْمًا فِي الْجِهَادِ ، فَلَوْ أَنِّي كُفِّلْتُ نَقْلَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي ، وَنَزَحَ

البحور الطوامي^(١) ، حتى يَأْتِيَ عَلَى يَوْمِي فِي أَمْرٍ أَقْوَى بِهِ وَلِيَّكَ ، وَأَهْلِينَ
عَدُوَّكَ ، مَا رَأَيْتَ أَنِّي قَدْ أَدَيْتَ فِيهِ كُلَّ الَّذِي يَحِقُّ عَلَى مَنْ حَقَّكَ » .

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « اللَّهُمَّ نَوِّرْ قَلْبَهُ بِالتَّقَى ، وَاهْدِهِ إِلَى صِرَاطِكَ
الْمُسْتَقِيمِ ، لَيْتَ أَنْ فِي جَنْدِي مِائَةً مِثْلَكَ » . فَقَالَ حَجْرٌ : إِذَنْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
صَحَّ جَنْدُكَ ، وَقَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَنْشُكَ .

١٦٧ — مقال حجر بن عدى

وقام حجر بن عدى فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ بَنُو الْحَرْبِ ، وَأَهْلُهَا الَّذِينَ تُلْقِيْهُمْ^(٢) وَتُنْتِجُهُمْ ، قَدْ
ضَارَسْتَنَا^(٣) وَضَارَسْنَاهَا ، وَلَنَا أَعْوَانٌ وَعَشِيرَةٌ ذَاتُ عَدَدٍ ، وَرَأْيٌ مَجْرَّبٌ ، وَبَأْسٌ
مَحْمُودٌ ، وَأَزِمَّتَيْنَا مِنْقَادَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنْ شَرَّقْتَ شَرَقْنَا ، وَإِنْ غَرَبَتْ
غَرَبْنَا ، وَمَا أَمَرْتَنَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَعَلْنَا » .

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَكُلَّ قَوْمِكَ يَرَى مِثْلَ رَأْيِكَ ؟ » قَالَ مَا رَأَيْتُ
مِنْهُمْ إِلَّا حَسَنًا ، وَهَذِهِ يَدِي عَنْهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَحَسَنِ الْإِجَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا .

١٦٨ — مقال هاشم بن عتبة

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُدَيْلِ الْخَزَاعِيِّ :

« إِنْ يَوْمَنَا لِيَوْمٍ عَصَبَصَبٌ^(٤) ، مَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ مُشْبَعِ الْقَلْبِ ،
صَادِقِ النِّيَّةِ ، رَابِطِ الْجَأَشِ ، وَائِمِ اللَّهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يُبْقِي مِنْهُمْ وَلَا مِنَّا » .

[١] جمع طامى البحر إذا امتلأ . [٢] أصله من أُلْفَحَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ . [٣] ضرسته
[٤] جمع طامى البحر إذا امتلأ . وأحكمته ، وضارس الأمور : جربها وعرفها . [٤] أى شديد .

إِلَّا الرُّذَالُ^(١) » فقال عبد الله بن بديل : أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً عليه السلام ، فقال لهما : « ايكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما ، لا تظهراه ، ولا يسمعه منكما سامع ، إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتية مَنيَّةٌ كما كتب الله له ، فطوبى للمجاهدين في سبيله ، والمقتولين في طاعته » فلما سمع هاشم بن عُثْبَةَ ما قالاه أتى علياً عليه السلام فقال :

« سر بنا يا أمير المؤمنين ، إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا في عباد الله ، بغير رضا الله ، فأحلوا حرامه ، وحرّموا حلاله ، واستهوى^(٢) بهم الشيطان ، ووعدهم الأباطيل ، ومنّاهم الأمانى ، حتى أزاعهم عن الهدى ، وقصّدهم قَصْدَ الرّدى ، وحبّبت إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها ، كرهبتنا في الآخرة ، وانتجاز موعده ربنا ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ، وأفضل الناس سابقةً وقداً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى نعلم ، ولكن كُتِبَ عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء ، وكانوا ظالمين ، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشركة لك ببذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولّى الأمر دونك ، جَذَلَةٌ ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أَقَلَّتْ^(٣) ، ولا ما تحت السماء فما أَظَلَّتْ ، وأنى واليت عدواً لك ، وطاديت وإياً لك .

فقال عليّ عليه السلام : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيك »

[١] الرذال : الحسيس أو الردى من كل شىء . [٢] استهوى : استماله والفعل متعدّ ومفعوله هنا محذوف : أى استهوى الشيطان أتباعهم بهم — فالباء للسببية — [٣] أى حلت .

١٦٩ - خطبة الامام علي

ثم إن عليا عليه السلام صعد المنبر ، فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم قال :

« إن الله قد أكرمكم بدينه ، وخلقكم لعبادته ، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه ، وتنجزوا موعوده ، واعلموا أن الله جعل أمرا^(١) الإسلام متينة ، وعُراه وثيقة ، ثم جعل الطاعة حظاً الأنفس ورضا الرب ، وغنيمة الأَكياس^(٢) عند تفريط العَجْزة ، وقد حملت أمر أسودها وأُحمرها ، ولا قوة إلا بالله ، ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سَفِه^(٣) نفسه وتناول ما ليس له ، وما لا يدركه ، معاوية وجنده ، الفئة الطاغية الباغية ، يقودهم إبليس ، وَيَبْرِقْ لهم يبارق تسويفه ، ويدلهم^(٤) بغروره ، وأنتم أعلم الناس بالحلal والحرام ، فاستغنوا بما علمتم ، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان ، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة ، واعلموا أن المسلوب من سُلِبَ دينه وأمانته ، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى ، فلا أعرفن أحداً منكم تقاعس^(٥) عني ، وقال في غيري كفاية ، فإن الذود إلى الذودِ إِبِل^(٦) : (وَمَنْ لَا يَنْذُ عَنْ حَوْضِهِ يَتَهَدَّم)

ثم إنني آمركم بالشدة في الأمر ، والجهاد في سبيل الله ، وأن لا تغتابوا مسلماً ، وانتظروا النصر العاجل من الله ، إن شاء الله .

[١] جمع مرس بفتحين ، ومرس جمع مرسة بفتحين أيضا : وهو الجبل . [٢] جمع كيس : وهو ضد الأحمق . [٣] أصله سفهت نفسه ، فلما حوّل الفعل إلى الرجل انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه لأنه صار في معنى سفه نفسه بالتشديد ، ومثله : رشد أمره وبطر عيشه . [٤] أى يحطهم عن منازلهم . قال تعالى : « فَذَلَاَّهُمَا بِغُرُورٍ » [٥] تأخر وتقاعد . [٦] الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين وهو مثل : أى إذا جعت القليل مع القليل صار كثيرا فألى بمعنى مع .

١٧٠ — خطبة الحسن بن علي

ثم قام بعده ابنه الحسن رضى الله عنه فقال :
« الحمد لله لا إله غيره ، ولا شريك له ، ثم قال : إن مما عظم الله عليكم من
حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يُحصى ذِكْرُهُ ، ولا يُؤَدَّى شكرُهُ ، ولا يبلغه
قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا الله ولكم ، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد
إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدهم ، فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ،
ولا تحاذلوا ، فإن الخذلان يقطع نياط ^(١) القلوب ، وإن الإقدام على الاسنة
نخوة وعصمة ، لم يتمنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوائح الذلة ،
وهدهم إلى معالم الملة ، ثم أنشد :

والصلح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

١٧١ — خطبة الحسين بن علي

ثم قام الحسين رضى الله عنه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أهل الكوفة : أنتم الأحبة الكرماء ، والشعار ^(٢) دون الدثار ، جدوا في
إطفاء ما وتر ^(٣) بينكم ، وتسهيل ما توغر عليكم ، ألا إن الحرب شرها وريع ^(٤) ،
وطعمها فظيع ، فمن أخذ لها أهبتها ، واستعد لها عدتها ، ولم يَألم كلومها ^(٥)
قبل حلولها ، فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها ، واستبصار سعيه
فيها ، فذاك قن ^(٦) أن لا ينفع قومه ، وأن يهلك نفسه ، نسأل الله بقوته أن
يُدْعِمكم بالفيئة ^(٧) » ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢٧٨)

[١] عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين ، جمعه أنوطة . « والوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه
جمعه أوتنة » . [٢] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .
[٣] الوتر والفرقة : الثأر ، وتره يتره ، ووثره حقه : قصه إياه ، ووثره : أدركه بكروه .
[٤] الوريع : الكاف . أى أن شرها عظيم يدعو الناس إلى أن يكدوا عن خوض غمارها .
[٥] كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح . [٦] جدير وحقيق . [٧] الفيئة : بفتح الفاء وكسرهما ،
والى : العنينة ، أى نسأل الله أن يقويكم بما تمنون من عدوكم .

وفد على على معاوية

بعد أن نزل الإمام علىّ كرم الله وجهه بصفين ، دعا بشير بن عمرو بن مَحْصَن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التيمي ، فقال : ائتوا هذا الرجل ، فادعوه إلى الله ، وإلى الطاعة والجماعة ، فقال له شبث بن ربعي : يا أمير المؤمنين : ألا تُطمِعه في سلطان توليه إياه ، ومنزلة يكون له بها أثرٌ عندك ، إن هو بايعك ؟ فقال علىّ : ائتوه فalcوه واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيهُ ؟ - وهذا في أوّل ذى الحجة سنة ٣٦ هـ - فأتوه ، ودخلوا عليه .

١٧٢ - خطبة بشير بن عمرو

حمد الله أبو عمرة بشير بن عمرو ، وأثنى عليه ، وقال :
« يا معاوية : إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، وإن الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك ، وجازيك بما قدّمت يداك ، وإني أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها » .
فقطع عليه الكلام ، وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟ فقال أبو عمرة :
« إن صاحبي ليس مثلك ، إن صاحبي أحقُّ البرية كلها بهذا الأمر ، في الفضل ، والدين ، والسابقة في الإسلام ، والقربة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : فيقول ماذا ؟ قال : يأمرُك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق ، فإنه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في عاقبة أمرك » .
قال معاوية : « وَنُطِلَ دم عثمان رضى الله عنه ! لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، فذهب سعيد بن قيس يتكلم ، فبادره شبث بن ربعي ، فتكلم :

١٧٣ — خطبة شبت بن ربيع

فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :

« يا معاوية ، إني قد فهمت ما رددت على ابن مُحَصَّن ، إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب ، إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص به طاعتهم ، إلا قولك : « قُتِلَ إمامكم مظلوماً ، فنحن نطلب بدمه » ، فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ، لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ، ورُبُّ متمنى أمر وطالبه ، الله عز وجل يحول دونه بقدرته ، وربما أوتي المتمنى أمنيته ، وفوق أمنيته ، والله ما لك في واحدة منهما خير ، لأن أخطأت ما ترجو ، إنك لشرب العرب حالاً في ذلك ، ولأن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلي^(١) النار ، فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله .

١٧٤ — خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن أول ما عرفت فيه سفهك ، وخيطة حاكمك ، قطعك على هذا الحبيب الشريف سيد قومه منطقته ، ثم عثيت بعد فيما لا علم لك به ، فقد كذبت ولؤمت^(٢) ، أيها الأعرابي الجلف^(٣) الجافي ، في كل ما ذكرت ووصفت ، انصرفوا من عندي ، فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف »
وغضب وخرج القوم وشبت يقول : أفعلىنا شهول بالسيف ؟ أقسم بالله

[١] صلى النار : كرسى ، وصلى بها صلياً بكسر الصاد وصيها ، قاسى - رها .

[٢] لأمه لوماً : عدله ، وألامه ولؤمه اللبالة . [٣] الجف : الرجل الجاني .

لِيُعْجَلَنَّ بِهَا إِلَيْكَ ، فَأَتَوْا عَلِيًّا ، وَأَخْبَرُوهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِهِ ، فَأَخَذَ عَلَى يَأْمُرِ
الرَّجُلِ ذَا الشَّرَفِ فَيُخْرِجُ مَعَهُ جَمَاعَةً ، وَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ آخَرَ مَعَهُ
جَمَاعَةً ، فَيَقْتَتِلَانِ فِي خَيْلِهِمَا وَرِجَالِهِمَا ، ثُمَّ يَنْصَرِفَانِ ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَلْقَوْا
بِجَمْعِ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَهْلَ الشَّأْمِ ، لَمَّا يَتَخَوَّفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِئْصَالُ
وَالْهَلَاكُ . (تاريخ الطبري ٥ : ٢٤٢)

وفد عليّ الى معاوية أيضا

ولما دخلت سنة ٣٧ هـ توادعا عليّ ترك الحرب في المحرّم إلى انقضائه، طمعاً في الصلح
واختلفت فيما بينهما الرسل في ذلك دون جدوى ، فبعث عليّ عديّ بن حاتم ، ويزيد بن
قيس ، وشبّث بن ربعيّ ، وزيد بن خَصَفَةَ إلى معاوية .

١٧٥ - خطبة عديّ بن حاتم

فاما دخلوا حمد الله عديّ بن حاتم ، ثم قال :
« أما بعد : فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمّتنا ،
ويحقن به الدماء ، ويؤمن به السُّبُل ، ويصلح به ذات البين ، إن ابن عمك
سيّد المسامين ، أفضلها سابقاً ، وأحسنها في الإسلام أثراً ، وقد استجمع له
الناس ، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك ،
فانتبه يا معاوية ، لا يصببك الله وأصحابك بيومٍ مثل يوم الجمل » .

١٧٦ - جواب معاوية

فقال معاوية : « كأنك إنما جئتَ مُتَهَدِّداً ، لم تأت مُصلحاً ! هيهات

ياعدى ، كلاً والله ، إني لأبئن حرب^(١) ما يُقَعِّعُ^(٢) لى بالشَّانِ ، أما والله إنك لمن
المُجْلِبِينَ على ابن عفان رضى الله عنه ، وإنك لمن قَتَلْتَهُ ، وإني لأرجو أن تكون
ممن يَقْتُلُ^(٣) الله عزَّ وجلَّ به ، هَيْهَاتَ يا عَدِيَّ بْنَ حَاطِمٍ ، قد حَلَمْتُ بالسَّاعِدِ
الأَشَدَّ^(٤) .

فقال له شَبَثُ بْنُ رَبِيعٍ وَزِيَادُ بْنُ خَصَفَةَ - وتنازعا جواباً واحداً -
« أَتَيْناكَ فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا يُنْتَفَعُ
به من القول والفعل ، وأجبنا فيما يَعْمُنَا وإياك نَفْعُهُ » .

١٧٧ - خطبة يزيد بن قيس

وتكلم يزيد بن قيس فقال :

« إنا لم نأتك إلا لنبلغك ما بُعِثْنَا به إليك ، وَلِنُؤَدِّيَ عَنْكَ ما سمعنا منك ،
ونحن - على ذلك - لن ندع أن ننصح لك ، وأن نذكر ما ظننَّا أن لنا عليك به
حُجَّةٌ ، وأنت راجع به إلى الألفة والجماعة ، إنَّ صاحِبَنَا من قد عَرَفْتَ وَعَرَفَ
المسامون فضله ، ولا أظنه يخفى عليك ، إن أهل الدين والفضل لن يَعْدِلُوا بعلَى ،
وَلنُيَعِّلُوا^(٥) بينك وبينه ، فاتق الله يا معاوية ، ولا تخالف علياً ، فإننا والله ما رأينا
رجلاً قطُّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهَدَ في الدنيا ، ولا أجمعَ لِحِصَالِ الخَيْرِ كلها منه » .

١٧٨ - خطبة معاوية

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] هو جدّه . [٢] القَعْقَعَةُ : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، والشَّانُ جمع شئ بالفتح ،
وهو القرية البالية ، وإذا قَعَقَ بالشَّانَ للإبل نفرت ، وهو مثل يضرب لمن لا يروعه ما لا-قيمة له .
[٣] أى يقتله . [٤] يعنى بذلك قوَّة استعداده للقتال وتأهبه له .
[٥] التمييل بين الشيئين ، كالترجيح بينهما .

« أما بعد : فإنكم دعوتكم إلى الطاعة والجماعة ، فأما الجماعة التي دعوتكم إليها فمَعَنَا هِيَ ، وَأما الطاعة لصاحبكم فَإِنَّا لَا نَرَاهَا ، إِن صاحبكم قَتَلَ خَلِيفَتَنَا ، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَآوَى ثَمَارَنَا ^(١) وَقَتَلْتَنَا ، وَصاحبكم يزعم أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ ، فَنحن لَا نَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، أَرَأَيْتُمْ قَتَلَةَ صَاحِبِنَا ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ صاحبكم ؟ فَلْيَدْفَعْهُمْ إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلْهُمْ بِهِ ، ثُمَّ نَحْنُ نَجْبِيكُمْ إِلَى الطاعة والجماعة . »
فَقَالَ لَهُ شَبِثُ : أَيَسْرُكُ يَا مَعَاوِيَةَ أَنَّكَ أُمَكِّنْتَ مِنْ عَمَّارٍ ^(٢) تَقْتُلُهُ ؟ فَقَالَ

[١] الثَّارُ : قَاتِلُ حَمِيكَ .

[٢] هُوَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَحَدُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَقَدْ عَذَّبَهُ الْمُشْرِكُونَ فِي بَدْءِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَاحْتَمَلَ الْعَذَابَ ، وَكَانَ يَعْذِبُ هُوَ وَأَخُوهُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ بِالنَّارِ ، فَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « صَبِرَا آلُ يَاسِرٍ فَوَعَدَكُمْ الْجَنَّةُ . اللَّهُمَّ اعْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ » وَصَرَّادُ شَبِثُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِجْرَاجَ مَعَاوِيَةَ . لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَمَّارٍ : « تَفْلُكُ الْعِثَّةُ الْبَاغِيَةُ » : أَيِ إِيَّاكَ يَا مَعَاوِيَةَ إِنْ قَتَلْتَ عَمَّارًا - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ - كَسْتَ مِنَ الْعِثَّةِ الْبَاغِيَةِ ، وَتَفْصِيلُ الْخَبَرِ فِي ذَلِكَ مَارُوتُهُ أَمَّ سَلَامَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : « لَمَّا بَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِاللَّيْلِ نَضْرِبُ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي ذَلِكَ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَضَعُوا أَرْبَعِيَّتَهُمْ وَأَكْسِيَّتَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَيَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ .

لَمَّا قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ ذَاكَ لِذَنْ أَعْمَلَ مَضَالِ

قَالَتْ : وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَجُلًا نَظْمًا مُنْتَظَمًا ، وَكَانَ يَحْمِلُ اللَّبَنَةَ وَبِحَافِيَّهَا عَنْ ثَوْبِهِ ، فَإِذَا وَضَعَهَا نَفَضَ كَفَّيْهِ ، وَنَظَرَ إِلَى ثَوْبِهِ ، فَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنَ التُّرَابِ نَفَضَهُ فَمَطَرَ إِلَيْهِ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَشَدَّ :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَّأْبُ فِيهَا رَاكِعًا وَمَسَاجِدًا

وَقَائِمًا طَوْرًا وَطَوْرًا قَاعِدًا وَمَنْ يَرَى عَنِ التُّرَابِ حَائِدًا

فَسَمِعَهَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَعَمِلَ يَرْتَحِرُهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي مَنْ يَعْنِي ، فَسَمِعَهُ عُثْمَانُ فَقَالَ : يَا بَنَ سَمِيَّةَ (وَسَمِيَّةُ أُمُّهُ) مَا أَعْرِفُكَ مِنْ تَعْرِضٍ ، وَمَعَهُ جَرِيدَةٌ ، فَقَالَ لَتَكْفُفْ أَوْ لَأَعْرِضَ بِهَا وَجْهَكَ ، فَسَمِعَهُ النَّبِيُّ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ حَائِطٍ فَقَالَ : « عَمَّارُ جَلْدَةٌ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَأَنْفِي » فَمِنْ بَلَغَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَدْ بَلَغَ مَيَّ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَكَفَّ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالُوا لِعَمَّارٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ غَضِبَ فَيْكَ ، وَنَخَافُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قِرْآنٌ ، فَقَالَ : أَمَا أَرْضِيهِ كَمَا عَصَبَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي وَلِأَصْحَابِكَ ؟ قَالَ : مَا لَكَ وَلَهُمْ ؟ قَالَ يَرِيدُونَ قَتْلِي ، يَحْمِلُونَ لَبَنَةً وَيَحْمِلُونَ عَلَى لَبَنَتَيْنِ ، فَأَخَذَ بِهِ وَطَافَ بِهِ فِي الْمَسْجِدِ وَجَعَلَ يَمْسَحُ وَجْهَهُ مِنَ التُّرَابِ وَيَقُولُ « يَا بَنَ سَمِيَّةَ لَا يَفْتَكُ أَصْحَابِي ، وَلَكِنْ تَفْلُكُ الْعِثَّةُ الْبَاغِيَةُ » فَلَمَّا قَتَلَ بَصْرَيْنِ ، وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ ، قَالَ مَعَاوِيَةُ : هُمْ قَتَلُوهُ ، لِأَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ إِلَى الْقَتْلِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا قَالَ : وَنَحْنُ قَتَلْنَا أَيْضًا حَزْرَةً لِأَنَّا أَخْرَجْنَاهَا (العقد الفريد ٢ : ٢٣٧)

معاوية : وما يعنى من ذلك ؟ والله لو أمكنت من ابن سُمَيَّة ما قتلته بعثمان
رضى الله عنه ، ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان ، فقال شبت :

« وَإِلَهَ الْأَرْضِ وَإِلَهَ السَّمَاءِ ، مَا عَدَلْتُ مَعْتَدِلًا ^(١) ، لَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
لَا تَصِلُ إِلَى عَمَّارٍ ، حَتَّى تَنْدَرَ ^(٢) الْهَامُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ ، وَتَضِيقَ الْأَرْضُ
الْفَضَاءَ عَلَيْكَ بِرُحْبَاهَا ^(٣) » فقال له معاوية : « إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ الْأَرْضُ
عَلَيْكَ أَضِيقَ » وتفرَّق القوم عن معاوية ، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد
ابن خَصَفَةَ التَّمِيمِي نِفْلًا بِهِ .

فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أَمَا بَعْدِيَا أَخَا رِبِيعَةَ ، فَإِنْ عَلِيًّا قَطَعَ أَرْحَامُنَا ، وَأَوْى قَتْلَةَ صَاحِبِنَا ، وَإِنِّي
أَسْأَلُكَ النَّصْرَ بِأَسْرَتِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، ثُمَّ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَمِيثَاقُهُ أَنْ أُولِيكَ
إِذَا ظَهَرْتُ ^(٤) أَيْ الْمَصْرِيِّينَ أَحْبَبْتَ ، قَالَ زِيَاد : فَلَمَّا قَضَى مُعَاوِيَةُ كَلَامَهُ حَمِدَتْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَيْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتَ : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّي ، وَبِمَا
أَنْعَمَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ^(٥) لِلْمَجْرِمِينَ » ثُمَّ قَتَلَ . (تاريخ الطبري ٦ : ٢)



[١] أى إلهك ما عدلت عماراً بناتل مولى عثمان أى سويت بينهما لم تكن معتدلاً فى حكمك .

[٢] ندو الشيء كنصر ندورا : سقط من خوف شيء أو من بين أشياء فظهر ، والهام الرءوس :

جمع هامة . [٣] ارحب بالضم : الانساع . [٤] أى علبت وانتصرت . [٥] معينا وناصر .

وفد معاوية الى علي

وبعث معاوية إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري ، وشرحبيل بن السمط ، ومعن بن يزيد بن الأخنس ، فدخلوا عليه .

١٧٩ - خطبة حبيب بن مسلمة

حمد الله حبيب وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً ، يعمل بكتاب الله عز وجل ، وَيُثِيب إلى أمر الله تعالى ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعَدَوتم عليه ، فقتلتموه رضى الله عنه ، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقتلهم به ، ثم اعتزل أمر الناس ، فيكون أمرهم شورى بينهم ، يُؤَلَّى الناس أمرهم من أجمع عليهم رأيهم » .

فقال له عليّ بن أبي طالب : « وما أنت لا أم لك والعزل ، وهذا الأمر ؟ اسكت ، فإنك لست هُنَاكَ ، ولا بأهل له » فقام وقال له : « والله لترينى بحيث تكره » فقال عليّ : « وما أنت ولو أُجْلِبْتَ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ ، أَحْقَرَةٌ^(١) وسوءاً ، أذهب فصوب وصعد ما بدا لك » وقال شرحبيل بن السمط : « إني إن كلمتك فلعمرى ما كلامى إلا مثل كلام صاحبي قبل ، فهل عندك جواب غير الذى أجبت به ؟ فقال عليّ : نعم . لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبت به .

[١] فى كتب اللغة : حقره حقراً بفتح الحاء وحقرية بضمها وتشديد الياء ولم أجدر كلمة « حقرة » وأرى أنها مثل هزأة وضحكة ، يقال رجل هزأة بضم الهاء وسكون الزاى أى يهزأ به وضحكة كذلك أى بضحك منه ، فالعنى أنكون حقرة أى حقيراً وتسوءنى سوءاً .

١٨٠ - خطبة علي بن أبي طالب

نحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، فأتقذ به من الضلالة ، وانتاش^(١) به من الهلكة ، وجمع به من الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ، وقد أدى ما عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم استخلف الناس أبا بكر رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمر رضى الله عنه ، فأحسننا السيرة ، وعدلنا في الأمة ، وقد وجدنا^(٢) عليهما أن توليا علينا ، ونحن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغفرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياء عابها الناس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم ، فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني^(٣) ، وخلاف معاوية ، الذي لم يجعل الله عز وجل له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق^(٤) بن طليق ، حزب^(٥) من هذه الأحزاب ، لم يزل الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمسلمين عدواً ، هو وأبوه ، حتى دخلا في الإسلام كارهين ، فلا غرو^(٦) إلا خلافتكم معه ، وانقيادكم له ، وتدعون آل نبيكم

[١] انتشل وأخرج . [٢] وجد عليه عضب . [٣] يعنى طاحه وازير وما كان منهما من الخلاف عليه ، وانضمامهما إلى السيدة عائشة . [٤] الطلقاء : هم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء . [٥] حزب بدل من طليق الثاني : أى ابن حزب من هده الأحزاب التى تألبت وتظاهرت على حربه صلى الله عليه وسلم من قريش ، وغطفان ، وبى مرة ، وبى أشجع ، وبى سليم ، وبى أسد (فى غزوة الأحزاب ، وهى غزوة الخندق سنة ٥ هـ) وكانت عددة الجميع عشرة آلاف مقاتل ، وفاندم العام أبوسفينان . [٦] فلاعرو : أى لا عجب ، وقوله إلا خلافتكم معه : أى خلافتكم علىّ معه ، أو هو « خلافتكم معه » بالحاء أى محالفتكم له ، وما صرتمكم إياه .

صلى الله عليه وسلم، الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم، ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإمارة الباطل، وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولكل مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة.

فقالا: «شهد أن عثمان رضى الله عنه قُتل مظلوماً» فقال لهما: «لا أقول إنه قُتل مظلوماً، ولا إنه قتل ظالماً». قالوا: «فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً، فنحن منه برآء» ثم قاما فانصرفا، فقال علي: «إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى، وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ، إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا، فَهُمْ مُسْلِمُونَ». (تاريخ الطبرى ٦ : ٤)

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٨١ — خطبة عمرو بن العاص (المتوفى سنة ٤٣ هـ)

لما بلغ معاوية أن الإمام علياً (كرم الله وجهه) يجهز الجيوش لقتاله، دعا عمرو بن العاص، فاستشاره، فقال: «أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك، ولا تغيب عنه برأيك ومكيدتك». قال: «أما إذا يا أبا عبد الله فجهز الناس». فجاء عمرو فخصّص الناس، وضعف علياً وأصحابه، وقال:

«إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم، وفلّوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون على، قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صنائدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شردمة قليلة، منهم من قد قتل خليفكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تطلوه».

(تاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٦)

١٨٢ - خطبة أخرى لعمر بن العاص

وخطب عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين ، يحرض أهل الشام
« وقد كَانَ منحنيًا على قوس » فقال :

« الحمد لله العظيم في شأنه ، القوي في ساططانه ، العلي في مكانه ، الواضح
في برهانه ، أئتمده على حُسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، في كل رزية من بلاء^(١) ،
أوشدة أورخاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده
ورسوله ، ثم إنا نحتسب عند الله رب العالمين ما أصبح في أمة محمد صلى الله عليه
وسلم ، من اشتعال نيرانها ، واضطراب خيلها ، ووقوع بأسها بينها ، فإننا لله وإنا
إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين .

أو لا تعلمون أن صلاتنا وصلاتهم ، وصيامنا وصيامهم ، وحجنا وحجهم ،
وقبلتنا وقبلتهم ، وديننا ودينهم واحد ؟ ولكن لأهواء مختلفة . اللهم أصاح هذه
الأمّة بما أصلحت به أولها ، واحفظ فيما بيننا ، مع أن القوم قد وطئوا بلادكم ،
وبغوا عليكم ، فجدثوا في قتال عدوكم ، واستعينوا بالله ربكم ، وحافظوا على
حُرُماتكم^(٢) » ثم جلس . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٥٠٤)

١٨٣ - خطبة معاوية بن أبي سفيان يحرض أهل الشام

وقام معاوية في أهل الشام خطيبًا ، فقال :
« أيها الناس : أعيرونا جماجمكم وأنفسكم^(٣) لا تُقتلوا^(٤) ، ولا تتخاذلوا^(٥) ،

[١] البلاء : يكون عنة ، ويكون مجة . [٢] جمع حرمة ، وهي ملا يحل انتهاكه .
[٣] أي جودوا براءوسكم ، ولا تبعلوا بفوسكم على القتل . [٤] في الأصل « لا تقتلوا » على
أن الفعل محزوم بلا التامية ، وأراه محروفاً ، وإنما هو « لا تقتلوا » مجزوم في جواب الأمر ، أي إن
تسخطوا ببذل رءوسكم ونفوسكم وتقاتلوا مستبسلين تنحوا من القتل . [٥] في الأصل « ولا تتعادلوا »
وأراه مصحفاً عن « ولا تتعادلوا » أي لتتعاونوا ، ولا يخلد بعضكم بعضاً .

فَإِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَخْطَارٍ، وَيَوْمُ حَقِيقَةِ وَحِفَاطٍ^(١)، إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ، وَبِأَيْدِيكُمْ حُجَّةٌ، إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مِنْ نَسَكْتِ الْبَيْعَةِ، وَسَفَكِ الدَّمِ الْحَرَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَازِرٌ، قَدَّمُوا أَصْحَابَ السِّلَاحِ الْمُسْتَأْثَمَةِ^(٢)، وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ^(٣)، وَاجْمَعُوا بِأَجْمَعِكُمْ، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ وَمُظْلُومٌ.

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨١)

١٨٤ — خطبة ذى الكلاع الحميرى^(٤)

وطلب معاوية إلى ذى الكلاع الحميرى أن يخطب الناس، ويحرضهم على قتال على رضى الله عنه ومن معه من أهل العراق، فعقد فرسه «وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً»^(٥) وخطب الناس فقال :
« الحمد لله حمداً كثيراً ، نامياً واضحاً مُنيراً ، بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، أُمِّدْهُ وَأَسْتَعِينَهُ ، وَأَوْمِنْ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْعُرْفَانِ إِمَامًا ، وَبِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، حِينَ ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي ، وَدَرَسَتْ^(٦) الطَّاعَةُ ، وَامْتَلَأَتِ الْأَرْضُ جَوْرًا وَضَلَالَةً ، وَاضْطَرَمَّتِ الدُّنْيَا نِيرَانًا وَفِتْنَةً ، وَوَرِكَ^(٧) عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَدْ عُيِدَ فِي أَكْنَافِهَا ، وَاسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ أَهْلِهَا ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الَّذِي أَطْفَأَ اللَّهُ بِهِ نِيرَانَهَا ، وَنَزَعَ بِهِ أَوْتَادَهَا ، وَأَوْهَنَ بِهِ قَوَى إِبْلِيسَ ، وَآيَسَهُ مِمَّا كَانَ قَدْ طَمِعَ فِيهِ مِنْ ظَفَرِهِ بِهِمْ ، وَأَظْهَرَ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

[١] أى يوم يحافظ على الأرواح والأعراض والأموال ودفاع عنها . [٢] استلأم : لبس اللأمة ، ومعى الدرع . [٣] الحاسر من لامففر له ، ولادرع ، أولاجنة له . [٤] هو ذى الكلاع الأصغر سمع بن مأكور بن عمرو بن يعفر بن ذى الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان وهما من أذواء اليمن . [٥] أى شأنًا ، وقدرًا . [٦] اتحت . [٧] ورك على الأمر وردوكا : قدر .

ثم كَانَ من قضاء الله أَنْ ضَمَّ بيننا وبين أهل ديننا بِصِفَتَيْنِ ، وإنا لنعلم أَنَّ فيهم قوماً ، قد كَانَتْ لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله سَابِقَةٌ ذاتُ شأنٍ وَخَطَرٍ عَظِيمٍ ، ولكنى ضربت الأمرَ ظهراً وبطناً ، فلم أَرِيسَعْنِي أَنَّ يُهْدَرَ دَمُ عثمان ، صِهْرُ نبينا صلى الله عليه وآله ، الذى جَهَّزَ جيشَ العُسْرةِ ^(١) ، وألحق فى مُصَلَّى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله بيتاً ، وبني سِقَايَةَ ^(٢) ، وَبَايعَ له نبيُّ الله بيده المينى على اليسرى ^(٣) ، واختصه بكرمته أمَّ كلثوم وَرُقِيَّةَ ^(٤) ، فَإِنْ كَانَ

[١] وذلك أَنَّهُ فى عزوة تبوك — وكانت سنة تسع للهجرة — أتفق فى تجهيز المغاتلة من المسلمين عشرة آلاف دينار ، وأعطى ثلثمائة بغير بأحلاسها وأقاربها (والأحلاس جمع جلس بالكسر وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، والأفتاب جمع قتب بالتحريك وهو مايوضع على سنام البعير) وحسين فرساً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم ارض عن عثمان ، فإنه راض عنه » وكان ذلك فى زمن عسرة الناس وجذب البلاد ، وسدة الحر ، قال تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ » أى وقتها ، وهى حالهم فى تلك العزوة ، ذكرُوا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً ، وَأَنَّ الْعُسْرَةَ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ . [٢] وذلك أَنَّهُ اسْتَتْرَى بِثُرُومَةِ (نَصَمَ الرَاء : بثر بالمدينة) ثم تصدَّقَ بها على المسلمين ، فكان رشاؤه فيها كرشاء أحدهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « من حفر بئر رومة لله الجنة » وأشرف عثمان رضى الله عنه على الثَّوَارِ حين حُصِرُوا ومسحوا الماء عنه ، فقال : « أنشدكم الله ، هل علمتم أَنى استترت رومة من مالى يسعد ب بها ، جعلت رشاى منها كرشاء رجل من المسلمين ؟ قيل : نعم ، قال : فما يعنى أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر ؟ ثم قال : أنشدكم الله هل علمتم أَنى اشتريت كذا وكذا من الأرض فرددته فى المسجد ؟ قيل : نعم ، قال : فهل علمتم أحداً من الناس مع أن يصلى فيه قلبى ؟ ثم قال : أنشدكم الله ، هل سمعتم نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا — أشياء فى شأنه ، جعل الناس يقولون : مهلاً عن أمير المؤمنين .

[٣] وذلك أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لما قصد إلى مكة فى عروة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعث عثمان بن عفان إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أَنَّهُ إِنَّمَا جاءَ زائراً لايت ومعهاماً لحرمته ، يخرج عثمان إلى مكة وبلغ الرسالة ، واحتاسته قريش عندها ، فشاع عند المسلمين أَنَّ عثمان قد قتل ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا تبرح حتى : اجز القوم ، ودعا المسلمين إلى البيعة على الموت ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وباع عليه الصلاة والسلام لعثمان ، فضرِبَ بيده المينى على يده اليسرى وقال : هذه يد عثمان .

[٤] تزوّجَ عثمان السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما ماتت جزع عثمان عابها وقال يا رسول الله انقطع صهرى منك ، قال : إن صهرك منى لا يقطع ، وقد أمرنى - بربل أن أروّجك أختها بأمر الله : السيدة أمّ كلثوم .

قد أذنب ذنباً ، فقد أذنب من هو خير منه ، قد قال الله سبحانه لنبيه : (لِيَغْفِرَ
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وقتل موسى نفسه^(١) ، ثم استغفر الله
فغفر له ، وقد أذنب نوح^(٢) ، ثم استغفر الله فغفر له ، وقد أذنب أبوكم آدم^(٣) ،

[١] وذلك أنه في إبان شأنه بمصر دخل مدينة منف ذات مرة ، فوجد فيها رجلين يقتتلان قبضاً يسخر
إسرائيلياً ليحمل حطباً إلى مطح فرعون ، فاستمائه الإسرائيلى ، فقال موسى للقبضى خل سبيله ، فقال له
لقد هممت أن أحمله عليك ، فوكره موسى (أى ضربه بجميع كفه) وكان شديد القوة والبطش فقتله ، ولم
يكن يقصد قتله (وذكروا أنه كان إداك ابن اثنتى عشرة سنة) وقد اغتم لذلك خوفاً من عقاب الله ،
ومن اتصاف فرعون واستغفر الله فغفر له ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ
غَمَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ،
فَأَسْتَعَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ هَذَا
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ، فَإِنَّ رَبَّ إِيَّيْ ظَلَمْتَ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي فَعَرَّ لَهُ
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (سورة القصص) وقال تعالى : « وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ » (سورة طه).

[٢] يشير إلى ما كان من نوح عليه السلام بشأن ابنه كنعان حين حدث الطوفان ، قال تعالى :
« وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ، يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا ، وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ،
فَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَغْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ،
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » إلى أن قال : « وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ
إِنَّ أَبْنَى مِنْ أَهْلِي (أى وقد وعدتني بنجاتهم) وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . « سورة هود »

[٣] وذلك أنه إذا أسكه الله هو وزوجه حواء الجنة وأباح لهما أن يأكلا من حيث شاءا ، نهاه أن
يقرب شجرة عينها له ، فوسرس له إبليس أن يأكل منها فأطاعه ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
« وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ، وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

ثم استغفر الله فغفر له ، ولم يَمْزُ أحدكم من الذنوب ، وإنا لنعلم : قد كانت لابن أبي طالب سَابِقَةٌ حَسَنَةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن لم يكن مَالًا^(١) على قتل عثمان فقد خذله ، وإنه لأخوه في دينه ، وابنُ عمّه^(٢) ، وسَلِيفُهُ^(٣) ، وابنُ عمته^(٤) ، ثم قد أقبلوا من عراقهم ، حتى نزلوا شامكم وبلادكم وَيَبْضَتُكُمْ^(٥) ، وإنا عامتهم بين قاتل وخاذل ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فلقد ابتليتم أَيْشَهَا الْأُمَّةُ ، ولقد رأيت في منامي في ليلتي هذه ، لَكُنَّا وَأَهْلَ الْعِرَاقِ أَعْتَوَرْنَا^(٦) مُصْحَفًا نضربه بسيوفنا ، ونحن في ذلك جميعًا ننادى : وَيَحْكُمُ اللَّهُ ! ومع أنا والله لا نفارق الْمَرْصَةَ^(٧) حتى نموت ، فعليكم بتقوى الله ، وليكن الثَّباتُ لله ، فإنني سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّمَا يُبْعَثُ الْمُقْتَلُونَ عَلَى الثَّبات » أفرغ الله علينا وعليكم الصبر ، وأعزَّ لنا ولكم النصرَ ، وكان لنا ولكم في كل أمر ، وأستغفر الله لى ولكم .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤٨٤)

١٨٥ — خطبة يزيد بن أسد البجلي

وقام يزيد بن أسد البجلي في أهل الشام يخطب الناس بصفين ، وعليه قبائمه

سَوَاءُ انْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . «سورة الأعراف» [١] ناصر وشايح . [٢] عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعلى بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . [٣] الساف بفتح فسكون وبكسر فسكون من الرجل : زوج أخت امرأته وقد علمت أن عثمان تزوج السيدة ربيعة أخت السيدة فاطمة زوج الإمام علي . [٤] أم عثمان هي أروى بنت كرز بن ربيعة ابن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي صلى الله عليه وسلم . [٥] البيضة : ساحة القوم . [٦] اعتوروا الشيء : تداولوه . [٧] العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

من خَزٍ وعمامة سوداء ، آخذاً بقاءً سيفه ، واضعاً نَصْلَ السَّيْفِ في الأرضِ متوكئاً عليه ، فقال :

« الحمد لله الواحد الفرد ، ذى الطَّوْلِ ^(١) والجَلَالِ ، العزيز الجَبَّار ، الحكيم الغَفَّار ، الكبير الْمُتَعَال ، ذى الْعَطَاءِ والْفَعَال ^(٢) ، وَالسَّخَاءِ وَالنَّوَال ، والبهاء والجمال ، وَالْمَنِّ والإِفْضَال ، مَالِكِ اليوم الذى لَا يَبِيعُ فيه ^(٣) . وَلَا خِلَالَ ^(٤) ، أُنْحَدُه على حسن البلاء ، وتَظَاهُرُ النِّعَمَاء ، وفي كل حال من شدة أو رخاء ، أُنْحَدُه على نِعَمِهِ التَّوَام ، وآلَاةِ الْعِظَام ، حمداً يستنير بالليل والنهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة النِّجَاة في الحياة الدنيا وعند الوفاة ، وفيها الخلاص يوم الْقِصَاص ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى ، وإمام الرِّحمة والهدى ، صلى الله عليه وآله .

ثم كَانَ من قضاء الله أن جَمَعَنَا وأَهْلَ دِينِنَا في هذه الرُّقْمَةِ من الأرض ، والله يعلم أنى كنت كَارِهًا لذلك ، ولكنهم لم يُبْلَعُونَا رِيقَنَا ، ولم يتركونا نرتادُ لَأَنفُسِنَا ، وننظر لِمَعَادِنَا ، حتى تزلوا بين أَظْهُرِنَا ، وفي حَرِيمِنَا وَيَضَّتْنَا ^(٥) ، وقد عَامِنَا أَنَّ في القوم أَحِلَامًا ^(٦) وطَغَامًا ، ولسنا نَأْمَنُ طَغَامَهُمْ على ذَرَارِينَا ونسائِنَا ، ولقد كنا نحب أن لا نقاتل أهل ديننا ، فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قَاتَلْنَاهُمْ عِدَا حِمِيَّةٍ ^(٧) ، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون ، والحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ .

[١] الطول : الفصل والقدرة والقي . [٢] الفعال : اسم الفعل الحسن ، والكرم .

[٣] لا يبيع فيه فيبتاع المصّر ما يتدارك به تقصيره ، أو يفدى به نفسه . [٤] الخلالة والحالة مصدر

خال : المصادقة ، أى ولا محالة فيه فيندفع لك خليلك . [٥] البيعة : ساحة القوم .

[٦] الحلم بالكسر : الأناة والعقل وهو حلیم ، والجمع حلماء وأحلام ، والطغام : أود الناس .

[٧] الحمية : الأنفة (وفى الأصل عداء ، وأرى صوابه عداء أى أعداء) .

أما والذي بعث محمداً بالرسالة لَوَدِدْتُ أَنِّي مِتُّ مِنْذُ سَنَةٍ ، ولكن الله إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ رَدَّه ، فنستعين بالله العظيم ، وأستغفر الله لى ولكم .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١٥)

التحريض على القتال

من قبل الإمام على أيضاً

١٨٦ - خطبة الامام على

وخطب الإمام على كرم الله وجهه أصحابه ، متوكلين على قوسه ، وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عنده فهم يُلَوِّنُه ، كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ الْخِيَلَاءَ ^(١) مِنَ التَّجْبِرِ ، وَإِنَّ النَّخْوَةَ ^(٢) مِنَ التَّكْبُرِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ حَاضِرٌ ، يَعِدُكُمْ بِالْبَاطِلِ ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ ، فَلَا تَنَابَذُوا ، وَلَا تَخَافُوا ، أَلَا إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُئِلَهُ قَاصِدَةٌ ^(٣) ، مِنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ ^(٤) ، وَمَنْ فَارَقَهَا مُحِقَ ^(٥) ، وَمَنْ تَرَكَهَا مَرَقَ ^(٦) ، لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالْخَائِنِ إِذَا أَوْثَمِنَ ، وَلَا بِالْخَائِفِ إِذَا وَعَدَ ، وَلَا بِالْكَذَّابِ إِذَا نَطَقَ ، نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ الرَّحْمَةِ ، وَقَوْلُنَا الصِّدْقُ ، وَفِعْلُنَا الْفَضْلُ ، وَمَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَفِينَا قَادَةُ الْإِسْلَامِ ، وَفِينَا حَمَلَةُ الْكِتَابِ ، أَلَا إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَإِلَى جِهَادِ عَدُوهِ ، وَالشَّدَّةِ فِي أَمْرِهِ ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَوْفِيرِ الْفَقْرِ عَلَى أَهْلِهِ ، أَلَا وَإِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ أَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ

[١] الخيلاء : الكبر . [٢] النخوة : الافتحار والتعظيم . [٣] اقصد : استقامة الطريق .

[٤] أى أدرك رضا الله وثوابه . [٥] محقه : محام ، وبحق الله الشئ . ذهب ببركته .

[٦] أى خرج عن الدين ، وأصله من مرق السهم من الرمية مروفاً إذا خرج من الجانب الآخر .

أبى سفيان الأموي، وعمر بن العاص السهمي، أصبحا يُحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما، ولقد عامتم أني لم أخالف رسول الله صلى الله عليه وآله قط، ولم أعصيه في أمر، أقيه بنفسى في المواطن التي ينكص^(١) فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص^(٢)، بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها وله الحمد، ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن رأسه لفي حجرى، ولقد ولّيت غُسله يدي وحدي، تُقلّبه الملائكة المقرّبون معى، وإيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨١)

١٨٧ — خطبة أخرى له

وروى أن الإمام علياً قال في هذه الليلة : حتى متى لانا هض القوم بأجمعنا ؟ فقام في الناس فقال :

« الحمد لله الذى لا يُبرّم ما نقض ، ولا يُنقض ما أبرم ، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر فى شىء من أمره ، ولا جحد المفضول ذى الفضل فضله ، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار ، حتى لفت بيننا فى هذا الموضع ، ونحن من ربنا بمرأى ومسمع ، ولو شاء لعجل النعمة ، ولكان منه النصر ، حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم المحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، والآخرة دار الجزاء والقرار ، « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ألا إنكم لاقوا العدا غدًا إن شاء الله ،

[١] نكص عن الأمر : أحجم عنه .

[٢] جمع فريصة ، وهى لمة بين الجنب والكثف لانزال ترعد .

فأطيلوا الليلة الفَيَّامَ ، وأكثروا تلاوة القرآن ، واسألوا الله الصبر والنصر ،
والقَوْهُمْ بِالْجِدِّ والحزم ، وكونوا صادقين » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٨١)

١٨٨ — ومن كلام له كرم الله وجهه

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صيفين

« مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ : اسْتَشْعِرُوا ^(١) الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا
عَلَى الْمَنَاجِدِ ^(٢) ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ ^(٣) ، وَأَكْمَلُوا الْأُمَّةَ ^(٤) ، وَقَلِّقُوا
السَّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا ، قَبْلَ سَلِّهَا ^(٥) ، وَالْحَظُوا الْخَزَرَ ^(٦) ، وَاطْمَعُوا الشَّرَرَ ^(٧) ،
وَنَافِحُوا بِالطُّبَا ^(٨) ، وَصَلُّوا السَّيُوفَ بِالْخُطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنِ ^(٩) اللَّهِ ، وَمَعَ
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاوِدُوا الْكِرَ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ،
فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَامْشُوا إِلَى
الْمَوْتِ مَشْيًا سَجْجًا ^(١٠) ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ ^(١١) الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ ^(١٢) ،
فَاضْرِبُوا مَبَجَّهُ ^(١٣) . فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَاْمِنٌ فِي كِسْرِهِ ^(١٤) ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوُثْبَةِ يَدًا ،

[١] استشعر : لس الشعر وهو ما يلي البدن من الثياب ، وتحلب : لبس الجلباب ، والمراد : لارموا
الخشية والسكينة . [٢] الواحد جمع ناجد : أقصى الأصراس ، وبعض المرء نواخذة حين يشتد
عيطه ، والمراد : استجمعوا كل قوتكم . [٣] فإنه الضمير فيه يعود على المصدر المفهوم من الفعل
السابق أي فإن المضى على الواحد أنبي للسيوف ، أي أدعى إلى نوتها عن رءوسكم ، نا السيف عن
الضريبة : كل ، والهام : الرءوس جمع هامة . [٤] الأمة : الدرع ، ويجوز أن يعبر بالأمة عن
جميع أدوات الحرب ، يريد أكلوا السلاح . [٥] مخافة أن تستعصى عن الخروج وقت سلهما .
[٦] الخزر : النثار في أحد الشقين ، وتلك أمانة العضب . [٧] الطمن في الجوانب عيباً وشمالاً .
[٨] ناخوا : كالغوا وضاربوا ، والطبا : جمع طبة ، وهي حد السيف . [٩] أي ماحوظين بها .
[١٠] الالين السهل . [١١] العدد الكثير . يعنى جمهور أهل الشام . [١٢] الرواق : تكسر
الراء وضمها الفسطاط ، يريد به مضرب معاوية المطنب ، أي المشدود بالأطناب (جمع طناب بضمين ، وهو
الحبل) وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية وحوله صناديد أهل الشام .
[١٣] أي وسطه . [١٤] جانبه .

وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا^(١) ، حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ، وَأَنْتُمْ
الْأَغْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتَرَكَمَ^(٢) أَعْمَالَكُمْ . (نهج البلادة ١ : ٥٧)

١٨٩ - خطبة أخرى للإمام

وخطب الإمام على ذلك اليوم أيضاً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِنَ الْعَذَابِ ،
وَتُشْفِي^(٣) بَكُمْ عَلَى الْخَيْرِ ، إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ
مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ،
وَأَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي يُحِبُّ فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ،
كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ) فَسَوْوُوا صَفُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ،
وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ ، وَأَرَطَ
لِلجَاشِ ، وَأَسْكَنَ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتِ ، فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلْقَتْلِ ، وَأَوَّلَى بِالْوَقَارِ ،
وَالْتَوَّأُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ ، فَإِنَّهُ أَمُورٌ^(٤) لِلْأَسِنَّةِ ، وَرَايَتُكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا ، وَلَا
تُرِيلُوهَا ، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، الْمَانِعِي الذَّمَّارِ^(٥) ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ نَزُولِ
الْحَقَائِقِ ، أَهْلُ الْحِفَافِ الَّذِينَ يَخْفُرُونَ^(٦) بِرَايَتِكُمْ وَيَكْشِفُونَهَا ، يَضْرِبُونَ خَلْفَهَا
وَأَمَامَهَا ، وَلَا يُضَيِّعُونَهَا ، أَجْزَأُ كُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قِرْنُهُ^(٧) ، وَوَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ ،
وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، فَيَجْمَعُ عَلَيْهِ قِرْنَهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ ، فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ اللَّائِمَةَ ،
وَيَأْتِي بِهِ دَنَاءَةً ، أَنَّى هَذَا ، وَكَيْفَ يَكُونُ هَكَذَا ؟ هَذَا يَقَابِلُ اثْنَيْنِ ، وَهَذَا مُمَسِّكٌ

[١] الصمد : القصد ، صمد من باب نصر قصده . [٢] لن ينقصكم منها شيئاً .

[٣] أشفى عليه : أشرف . [٤] اسم تفضيل من مار ، سهم مائر : أى حفيف نافذ داخل في
الأجسام . [٥] ما يلزمك حفظه وحمايته . [٦] خفروه وبه وعليه يخفرون بكسر الفاء وضمة أجاره
ومنه وآمنه . [٧] القرن : كفؤك في الشجاعة (أو طام) وأجراه : أعزاه وكماه .

يَدَهُ ، قد خَلَّى قرنه إلى أخيه هارباً منه ، أَوْ قَائِماً ينظر إليه ؟ من يَفْعَلُ هذا مَقْتَهُ
الله ، فلا تَعَرَّضُوا لمقت الله ، فَإِنَّمَا مَرَدُّكُمْ إلى الله ، قال الله تعالى ، لقوم عابهم :
(لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذْنٌ لَا تُنْتَمُونَ إِلَّا
قَلِيلًا) وإيم الله إن فررتم من سيف الله العاجلة ، لا تسامون من سيف الآخرة ،
استعينوا بالصدق والصبر ، فإنه بعد الصبر يُنْزِلُ النصر .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٣)

١٩٠ — خطبة للإمام علي

ومرَّ الإمام على كَرَمَ الله وجهه على جماعة من أهل الشام ، فيها الوليدُ بن
عُتْبَةَ وهم يشتمونه ، فَخُبِّرَ بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه ، فقال :
« انْهَدُوا ^(١) إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقارُ الإسلام وسيمي الصالحين ،
فوالله لأَقْرَبُ قَوْمٍ من الجهل قائدهم ومؤذِنهم ^(٢) معاوية وابن النابغة ^(٣)
وأبو الأعور السلمي ، وابن أبي مُعَيْط ، شارب الخمر ، المجلود حداً في الإسلام ،
وهم أولى من يقومون فيَنَقُصُونِي وَيَجِدُونِي ^(٤) ، وقبل اليوم ما قاتلوني ، وأنا
إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام ، الحمد لله ، قديماً
عاداني الفاسقون ، فَعَبَّدَهُم ^(٥) الله ، أَلَمْ يَفْتَحُوا ^(٦) ؟ إن هذا هو الخطب الجليل ،
إِنَّ فُسَّاقًا كَانُوا غَيْرَ مَرْضِيَّينَ ، وعلى الإسلام وأهله مُتَخَوِّفِينَ ، خدعوا شَطْرَ
هذه الأمة ، وَأَشْرَبُوا قُلُوبَهُمْ حُبَّ الْفِتْنَةِ ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبُهتان ،

[١] نهّد الرجل : نهضه ، ونهّد لعدوّه : صمّده . [٢] الأذنين والأذن : الرّعي .

[٣] هو عمرو بن العاص ، والناطقة : لقب أمه سلمى بنت حرمة . [٤] الحذب بالتسكين : العيب .

[٥] ذلّهم ، المعد : المذال من الطريق وغيره . [٦] الفتح بالسكون : الفهر ، والعلابة والتذليل

كالفتح (وفي الأصل : « أَلَمْ يَفْتَحُوا » وهو تصحيف) .

قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز وجل ، اللهم فافضض خدامتهم^(١) ،
وشدّت كلمتهم ، وأبسلهم^(٢) بخطاياهم ، فإنه لا يذلّ من واليت ، ولا يعزّز
من عاديت . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٤)

١٩١ — خطبة أخرى له

ومرّ بأهل راية ، فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فخرّض عليهم الناس ،
— وذكر أنّهم غسان — فقال :

« إن هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن درّاك^(٣) ، يُخْرِجُ منهم
النّسم^(٤) ، وضرب يُفْلَقُ منه الهام^(٥) ، ويطيح^(٥) العظام ، وتسقط منه
الماصم^(٦) والأكف ، وحتى يُصدّع جباههم^(٧) بعمد الحديد ، وتنتشر
حواجبهم على الصدور والأذقان ، أين أهل الصبر ، وطلّاب الأجر ؟ » .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٥)

١٩٢ — خطبة عبد الله بن عباس

وخطب عبد الله بن عباس أهل العراق بصفين ، فقال :
« الحمد لله ربّ العالمين ، الذي دحا^(٧) تحتنا سبعا ، وسمك^(٨) فوقنا سبعا ،
وخلق فيما بينهن خلقاً ، وأنزل لنا منهن رزقا ، ثم جعل كل شيء قدراً يَبْلَى

[١] يقال فضّ الله خدمتهم أي فرق جماعتهم ، الخدمة بالتحريك سير عليط مضغور مثل الحلقة يشدّ في
رسغ البعير ، ثم يشدّ إليه سرائح النعل (أي سيورها : جمع سريحة) فإذا انقضت الخدمة انحلت السرائح
وسقطت النعل نصرب ذلك مثلاً لدهاب ما كانوا عليه وتفرقه وشبه اجتماع أمرهم واتساقه بالحلقة المستديرة .
[٢] أبسله : أسلمه للهلاكه ، أي أهلكهم . [٣] جمع نسمة ، وهي نفس الروح (بفتح الفاء)
ثم سميت بها النفس (بالسكون) . [٤] جمع هامة ، وهي الرأس . [٥] يصحّ أن يكون مضارع
طيح بالتشديد : طيح بثوبه : رمى به في مضيعة ، وطيح الشيء : ضيعه ، وأن يكون مضارع أطاح : أطاح
شعره أسقطه ، والشيء أذناه وأذهب ، وأن يكون مضارع طاح : طاح يطيح ويطوح هلك أو أشرف على
الهلاك وذهب وسقط وتاه في الأرض . [٦] جمع مصم بكسر الميم ، وهو موضع السوار أو اليد .
[٧] دحا الله الأرض يدحوها ويدحها : بسطها . [٨] أي رفع .

وَيَفْنِي ، غير وجهه الحى القيوم ، الذى يحيا ويبقى .

إن الله تعالى بعث أنبياء ورُسُلاً ، فجعلهم حُجَجاً على عباده عُدُوراً وَنُذُراً^(١) ،
لَا يُطَاعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَمُنُّ بالطاعة على من يشاء من عباده ، ثم يُثِيبُ عليها ،
وَيُعْصِي بِعِلْمٍ مِنْهُ ، فيعفو ويغفر بجلاله ، لَا يَقْدَرُ قدره ، وَلَا يَبْلُغُ شَيْءٌ مكانه ،
أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عدداً ، وأحاط بكل شَيْءٍ علماً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام الهدى والنبي المصطفى .

وقد ساقنا قَدْرُ اللهِ إلى ما تَرَوْنَ ، حَتَّى كَانَ مما اضْطَرَبَ من جبل هذه
الأمّة ، وانتشر من أمرها ، أَنَّ معاوية بن أبى سفيان وجد من طَغَامِ الناس أعواناً
على ابن عمِّ رسول الله ﷺ وَصِيْرُهُ ، وَأَوَّلَ ذَكَرٍ صَلَّى مَعَهُ ، بَدْرِيّ^(٢) قد
شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ مَشَاهِدِهِ التى فيها الفضل ، ومعاوية
مُشْرِكٌ كَانَ يعبد الأصنام ، والذى ملك الملك وحده ، وبان به وكان أهله ، لقد
قاتل على بن أبى طالب عليه السلام مع رسول الله ﷺ وهو يقول : صدق الله
ورسوله ، ومعاوية يقول : كذب الله ورسوله : فعليكم بتقوى الله ، وَالْجِدِّ وَالْحَزْمِ
وَالصَّبْرِ ، وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَعَلَى حَقٍّ ، وَإِنِ الْقَوْمُ لَعَلَى بَاطِلٍ ، فَلَا يَكُونُنَّ أَوْلَى
بِالْجِدِّ عَلَى بَاطِلِهِمْ مِنْكُمْ فِي حَقِّكُمْ ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ أَوْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ ،
اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا وَلَا تَخْذُلْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَلَا تَحُلْ عَنَّا ، وافتح بيننا وبين
قومنا بالحق ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤)

[١] هما مصدران : عذره بعذره عذراً بضم فكوا وبضممتين وأندره لنداراً ونذراً بضم وكسر
وبضمتين ، أو جمعان : العذر بضممتين جمع عذير وهو العاذر ، والدور بضممتين جمع نذير وهو النذر .
[٢] أى حضر عروة بدر الكبرى التى نشبت بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين مشركي قريش
في السنة الثانية للهجرة .

١٩٣ - خطبة عبد الله بن بديل الخزاعي

وقام عبد الله بن بُدَيْلُ الْخَزَاعِي في أصحابه فخطبهم ، فقال :
 « إن معاوية ادّعى ما ليس له ، ونازع الأمرَ أهله ، ومن ليس مثله ،
 وجادل بالباطل ، لِيُدْحِضَ ^(١) به الحق ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ،
 وزَيْنَ لهم الضلالة ، وزَرَعَ في قلوبهم حُبَّ الفتنة ، وَأَبَسَ ^(٢) عليهم الأمور ،
 وزَادَهُم رِجْسًا ^(٣) إلى رِجْسِهِمْ ، وأنتم والله على نور وبرهان ، قاتلوا الطغَامَ الجُفَاةَ ،
 قاتلوهم ولا تخشوهم ، وكيف تخشونهم ؟ وفي أيديكم كتابٌ من ربكم ظاهر مُبِينٌ ،
 قوله سبحانه : (اتَّخَشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَهَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ،
 قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ
 قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) لقد قاتلتهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، والله ما هم في هذه بأزكى
 ولا أتقى ولا أبرّ ، انهضوا إلى عدو الله وعدوكم . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٤ - خطبة أبي الهيثم بن التيهان

وكان أبو الهيثم بن التيهان يسوّى صفوف أهل العراق ، ويقول :
 « يا معشر أهل العراق ، إنه ليس بينكم وبين الفتح في العاجل ، والجَنَّةِ
 في الآجل ، إِلَّا سَاعَةٌ من النهار ، فَأَرْسُوا أقدامكم ، وسوُّوا صفوفكم ، أعيرُوا
 رَبَّكُمْ جَاحِجَكُمْ ، واستعينوا بالله إلهكم ، وجاهدوا عدو الله وعدوكم ، واقتلوهم قتلهم
 الله وأبادهم ، واصْبِرُوا ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ من عباده والعاقبة للمتقين . »

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

[١] دحضت الحجة : بطلت ، وأدحضتها : أبطلتها . [٢] التلبس : التحليط .

[٣] الرجس : القذر والمأثم وكل ما استقذر من العمل ، والعمل المؤدّى إلى المذاب .

١٩٥ — خطبة للامام عليّ

وخطب عليّ عليه السلام بصفين أيضاً فقال :

« الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البرّ والفاجر ، وعلى حُجْبِهِ البالغة على خلقه مَنْ أطاعه منهم ومن عصاه ، إن يَرْحَمَ فبفضله ومنّه ، وإن عَذَّبَ فما كَسَبَتْ أيديهم ، وإن الله ليس بِظَلَامٍ للعبيد ، أحمدهُ على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة ، وأتوكل عليه ، وكفى بالله وكيلًا ، ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ارتضاه لذلك وكان أهله ، واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمةً منه على خلقه ، فكان علمه فيه رءوفاً رحيماً ، أكرم خلق الله حسَبًا ، وأجلهم منظرًا ، وأسخاهم نفسًا ، وأبرهم لوالد ، وأوصلهم لرحم ، وأفضلهم علمًا ، وأثقلهم حلمًا ، وأوفاهم لعهد ، وآمنهم على عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بِمَظْلَمَةٍ قطُّ ، بَلْ كَانَ يُظْلَمَ فَيَغْفِر ، وَيَقْدِرَ فَيَصْفَح ، حتى مضى صلى الله عليه وآله مطيعاً لله ، صابراً على ما أصابه ، مجاهداً في الله حقَّ جهاده ، حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله ، فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البرّ والفاجر ، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله ، وينهاكم عن معصيته .

وقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، فلست أحميد عنه ، وقد حضرتم عدوكم ، وعلمتم أن رئيسهم منافق يدعوهم إلى النار ، وابن عمّ نبيكم معكم

وَيُنْزِلُ أَظْهَرَكُمْ يَدْعُوَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَالْعَمَلِ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَلَا سِوَاءَ^(١) مَنْ صَلَّى قَبْلَ كُلِّ ذِكْرٍ، لَا يَسْبِقُنِي بِصَلَاةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَحَدٌ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقٌ، وَاللَّهُ إِنَّا عَلَى الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَلَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَتَفَرَّقُوا عَنْ حَقِّكُمْ، حَتَّى يَغْلِبَ بَاطِلُهُمْ حَقِّكُمْ، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يُعَذِّبَهُمْ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ» .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٣)

١٩٦ — خطبة سعيد بن قيس

وَقَامَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ يَخْطُبُ أَصْحَابَهُ بِقُنَاصِرِينَ^(٢)، فَقَالَ :
« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِهِ، وَأَوْثَرَنَا كِتَابَهُ، وَامْتَنَّ عَلَيْنَا بِنَبِيِّهِ، فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَتَامًا لِلنَّبِيِّينَ، وَحُجَّةَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، عَلَى الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ، ثُمَّ كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَقْدَرَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْيَيْنَا وَكَرِهْنَا - أَنْ ضَمَمْنَا وَعَدَّوْنَا بِقُنَاصِرِينَ، فَلَا يَحْمِلُ بِنَا الْيَوْمَ الْحِيَاصُ^(٣)، وَلَيْسَ هَذَا بِأَوَانَ انْصِرَافٍ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ^(٤)، وَقَدْ خَصَّنَا اللَّهُ بِمَنَّةٍ بِرَحْمَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ أَدَاءَ شُكْرِهَا، وَلَا نَقْدُرُ^(٥) قَدْرَهَا، إِنْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[١] أى ولا مثل من صلى . [٢] قال صاحب اللسان والقاموس : قنصرين موضع بالشام ، ولم يذكره ياقوت في معجمه .

[٣] حاص عنه يحمي حيصاً ومحيصاً وشاصاً عدل وحاد ، والحياص والحايصة : مفاعلة من الحيص أى العدو والهرب . قال صاحب اللسان : وفي حديث مطرف (بتشديد الراء المكسورة) أنه خرج من الطاعون فليل له في ذلك ، يقال : « هو الموت نحايصة ولا بد منه » « قال أبو عبيد معناه : نروغ عنه » وليس بين العبد والموت مفاعلة ، وإنما المعنى أن الرجل في فرط حرصه على الفرار من الموت كأنه يباريه ويمالبه ، فأخرجه على المفاعلة لكونها موضوعة لإفادة المباراة والمعالبسة بالفعل ، كقوله تعالى : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » فيقول معنى نحايصه إلى قولك نحصر على الفرار منه اه .

[٤] النوص والمناص : التأخر والفرار ، ناص عن قرنه ينوص : فرّ وراغ ، أى وليس الوقت وقت تأخر وفرار . [٥] قدر الشيء قدره من التقدير وبابه صرب ونصر « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » أى ما عظموه حق تعظيمه .

وآله الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارَ معنا وفي حَيِّزْنَا ، فوالله الذي هو بالعباد بصير ، أَنْ لو
كَانَ قَائِدُنَا رجلاً مَخْدُوعاً ، إِلَّا أَنْ معنا من البدرين سبعين رجلاً ، لكان ينبغي
لنا أَنْ تَحْسُنَ بَصَائِرُنَا ، وَتَطْيِبَ أَنْفُسُنَا ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا رَأَيْسُنَا ابن عم نبينا ،
بَذَرِيٍّ صِدْقٍ ، صَلَّى صَغِيرًا ، وَجَاهَدَ مع نَبِيِّكُمْ ﷺ كَثِيرًا ، وَمَعَاوِيَةَ طَلِيقًا مِنْ
وَثَاقٍ ^(١) إِلَّا سَارَى ، إِلَّا أَنَّهُ أَخُو جُفَاةٍ ، فَأُورِدَهُمُ النَّارَ ، وَأُورِثَهُمُ الْعَارَ ، وَاللَّهِ
مُحِلٌّ بِهِمُ الذِّلَّ وَالصَّغَارَ ^(٢) ، أَلَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ عَدُوَّكُمْ غَدًا ، فَعَالَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ مِنْ
الْجِدِّ وَالْحَزْمِ وَالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مع الصَّابِرِينَ ، أَلَا إِنَّكُمْ تَفُوزُونَ بِقَتْلِهِمْ ،
وَيَشْقَوْنَ بِقَتْلِكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَقْتُلُ رَجُلًا مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْقَاتِلَ جَنَاتٍ
عَذَنٍ ، وَأَدْخَلَ الْمَقْتُولَ نَارًا تَلْظِي ، لَا تَفْتُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا مُبْلِسُونَ ^(٣) ، عَصَمَنَا
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا عَصَمَ بِهِ أَوْلِيَاءَهُ ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ أَطَاعَهُ وَاتَّقَاهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٣)

١٩٧ — خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وَحَرَضَ يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَرْحَبِيُّ أَهْلَ الْعِرَاقِ بِصَفَيْنَ ، فَقَالَ :
« إِنَّ الْمُسْلِمَ مِنْ سَلِمَ دِينُهُ وَرَأْيُهُ ، وَإِنْ هُوَ لَاءَ الْقَوْمِ وَاللَّهُ مَا إِنْ يِقَاتِلُونَا عَلَى
إِقَامَةِ دِينِ رَأُونَا ضِيَعْنَاهُ ، وَلَا عَلَى إِحْيَاءِ حَقٍّ رَأُونَا أَمْتَنَاهُ ، وَلَا يِقَاتِلُونَا إِلَّا
عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا ، لِيَكُونُوا فِيهَا جَبَّارَةً وَمُلُوكًا ، وَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ — لَا أَرَاهُمُ اللَّهَ

[١] الوثاق بالفتح ويكسر : ما يشد به ، وأوثقه في الوثاق شدة « فَشَدُّوا الْوُثَاقَ »

[٢] الذل والصغار . [٣] من أبلس إذا بئس وتبحر .

ظهوراً ولا سروراً - إذن لوليكم مثل سعيد^(١) والوليد^(٢) وعبد الله بن عامر^(٣) السفية ، يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت^(٤) ، يأخذ مال الله ، ويقول : لا إثم على فيه ، كأننا أعطى ثرائه من أبيه ، كيف ؟ إنما هو مال الله ، أفاءه علينا بأسياقنا ورماحنا ، قاتلوا : عباد الله : القوم الظالمين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا تأخذكم فيهم لومة لائم ، إنهم إن يظهروا عليكم ، يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم ، وهم من قد عرفتم وجرّبتهم ، والله ما أرادوا باجتماعهم عليكم إلا شراً ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم »

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٠ ، شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٤٨٥)

١٩٨ — خطبة هاشم بن عقبة المرقال

وَشَدَّ هَاشِمُ بْنُ عُتْبَةَ الْمَرْقَالُ^(٥) فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ مَرَاراً ، فَلَيْسَ مِنْ وَجْهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ ، إِلَّا صَبَّرَ لَهُ ، وَقَاتَلَ فِيهِ قِتَالاً شَدِيداً ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :

[١] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتل أبوه العاص يوم بدر كافراً ، قتله علي بن أبي طالب ، وقد استعمل عثمان بن عفان سعيداً على الكوفة بعد الوليد بن عقبة ابن أبي معيط ، وولاه معاوية في خلافته المدينة ، فكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ، ويولى مروان إذا عزله . [٢] هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه (أمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس) ولله عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص ، ثم عزله حين اتهم بشرب الخمر ، واستعمل بعده سعيد بن العاص . [٣] هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، استعمله عثمان على البصرة بعد أبي موسى الأشعري ، وولاه أيضاً بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، ولم يزل والياً على البصرة إلى أن قتل عثمان ، وقد ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين . [٤] ذيت وذيت مثانة الآخر ، أى كيت وكيت .

[٥] هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، ولقب بالمرقال لأن علياً رضى الله عنه أعطاه الراية بصفين ، وكان يرقل بها أى يسرع ، وهو الذى انتحى جلولاء من بلاد الفرس ، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح ، وفقدت عينه يوم اليرموك بالشام ، وقتل في وقعة صفين ، قطعت رجله يومئذ ، فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك .

« لا يَهْوُلَنَّكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ صَبْرِهِمْ ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ فِيهِمْ إِلَّا حِمِيَّةَ الْعَرَبِ ،
وصبرها تحت رَايَاتِهَا ، وعند مِرَاكِزِهَا ، وإِنَّهُمْ لَعَلَى الضَّلَالِ ، وَإِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ ،
يَا قَوْمِ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا واجتمعوا ، وامشوا بنا إِلَى عَدُونَا ، عَلَى ثَوَدَةٍ رُؤْيَدًا ،
ثُمَّ اثْبُتُوا وَتَنَاصَرُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ ، وَلَا يَسْأَلُ رَجُلٌ أَخَاهُ ، وَلَا تُكْثِرُوا
الِاتِّفَاتِ ، وَاصْمُدُّوا ^(١) صَمْدَهُمْ ، وَجَاهِدُوا مُحْتَسِبِينَ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٣)

١٩٩ — خطبة عمار بن ياسر

وقام عمار بن ياسر يوم صفين ، فقال :

« انهضوا معي : عِبَادَ اللَّهِ : إِلَى قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ بَدْمَ ظَالِمٍ ، إِنَّمَا
قَتَلَهُ الصَّالِحُونَ الْمُنْكَرُونَ لِلْعُدْوَانِ ، الْآمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
لَا يَبَالُونَ إِذَا سَلِمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ ، وَلَوْ دَرَسَ ^(٢) هَذَا الدِّينُ ، لِمَ قَتَلْتُمُوهُ ؟ فَقُلْنَا :
لِأَحْدَاثِهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَكْنَنُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُمْ
يَأْكُلُونَهَا وَيَرْعَوْنَهَا ، وَلَا يَبَالُونَ لَوْ انْهَدَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاللَّهِ مَا أَظْنَهُمْ يَطْلُبُونَ بَدْمَ ،
وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ذَاقُوا الدُّنْيَا ، فَاسْتَحْلَوْهَا وَاسْتَمَرَّ عَ وَهَا ^(٣) ، وَعَامُوا أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ
لَوْ وَلِيَهُمْ حَالٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَأْكُلُونَ وَيَرْعَوْنَ مِنْهَا ، إِنْ الْقَوْمُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
سَابِقَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ ، نَحْدَعُوا أَتْبَاعَهُمْ بِأَن قَالُوا :
قُتِلَ إِمَامُنَا مَظْلُومًا : لِيَكُونُوا بِذَلِكَ جَبَابِرَةً وَمُلُوكًا ، تِلْكَ مَكِيدَةٌ قَدْ بَلَّغُوا بِهَا مَا
تَرَوْنَ ، وَلَوْلَاهَا مَا تَابَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ رَجُلٌ ، اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْنَا ، فَطَالَمَا نَصَرْتَ ،

[١] أَيْ أَفْصَدُوا جِهَتَهُمْ [٢] أَعْيَى . [٣] اسْتَمَرَّ الطَّعَامُ : وَجَدَهُ مَرِيئًا أَيْ هَنِيئًا حَمِيدًا مَعْبُودًا .

وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الاليم .
(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٥٠٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢١ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ١٢٣)

٢٠٠ — خطبة الأشتر النخعي

وقام الأشتر يخطب الناس بِقُنَاصِرِينَ ، وهو يومئذ على فرس أدّم مثل
حَلَاك^(١) الغراب ، فقال :

« الحمد لله الذي خلق السموات العلّٰى ، الرحمن على العرشِ استوّى ، له ما في
السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثّرى ، أحمدّه على حسنِ البلاء ،
وتظاهر النّعماء ، حمداً كثيراً ، بُكْرَةً وأصيلاً ، من هداه الله فقد اهتدى ،
ومن يضلّ فقد غوى ، أرسل محمداً بالصواب والهدى ، فأظهره على الدين كله
ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وآله .

ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، أن ساقتنا المقاديرُ إلى أهل هذه
البلدة من الأرض ، فَلَمَقَّتْ بيننا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه
ومنه وفضله ، فريرة أعيننا ، طيبة أنفسنا ، نرجو بقتالهم حُسنَ الثواب ،
والأمن من العقاب ، معنا ابن عم نبينا ، وسيف من سيوف الله على بن أبي
طالب ، صلى مع رسول الله ﷺ ، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً
لم يكن له صبوة^(٢) ، ولا نبوة^(٣) ، ولا هفوة^(٤) ، ولا سقطّة ، فقيه في دين الله
تعالى ، عالم بحدود الله ، ذورأي أصيل ، وصبر جميل ، وعفاف قديم ، فاتقوا الله
وعليكم بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق ، وأن القوم على الباطل ، إنما تقاتلون

[١] الحلاك : شدة السواد ، وفي الأصل : « حثل » وهو تحريف . [٢] الصبوة : جهلة الفتوة .

[٣] نبا السهم عن الهدف : قصر ولم يصبه ، والمراد أنه لا يعرف عنه تقصير في الدين ولا وهم .

معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مائة بدرى ، سوى من حولكم من أصحاب محمد ، أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ﷺ ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله ﷺ ، فمن يشك في قتال هؤلاء ؟ إلا ميّت القلب ، أنتم على إحدى الحُسَيْنين ، إما الفتح ، وإما الشهادة ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه ، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه ، وأستغفر الله لي ولكم . (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٤)

٢٠١ — خطبة الأشر في المنهزمين من الميمنة

ولما أنهزمت ميمنة العراق ، قال له عليّ : يا مالك ، قال : لبيك ، قال : أنت هؤلاء القوم فقل لهم : « أين فراركم من الموت الذي لن تُعجزوه ، إلى الحياة التي لن تبقى لكم » فمضى فاستقبل الناس مننهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات ، وقال : إلى أيها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظن أنه بالأشتر أعرف في الناس ، فقال : أنا الأشر ، إلى أيها الناس ، فأقبلت إليه طائفة ، وذهبت عنه طائفة ، فنادى : أيها الناس ، عضضتم بهن^(١) آبائكم ، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيها الناس : اخلصوا إلى مذحجا^(٢) ، فأقبلت إليه مذحج فقال :

« عضضتم بضتم^(٣) الجنادل ، ما أرضيتم ربكم ، ولا نصحتهم له في عدوكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفتيان الصباح^(٤) ،

[١] الهن : اسم يكي به من الفرج . [٢] كان الأشر من النخع (بالتحريك) ، وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن . [٣] الصتم : جمع صتمة (كفرصة) ، وهي الصخرة الصلبة كالصقيفة . [٤] الغارة .

وَفُرَّسَانِ الطَّرَادِ ، وَخُتُوفِ الْأَقْرَانِ ، وَمَذْجِ الطَّعْمَانِ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يُسَبِّقُونَ
بَثَارَهُمْ ، وَلَا تُطَلُّ دِمَاؤُهُمْ ، وَلَا يُعْرَفُونَ فِي مَوَاطِنٍ بِخَسْفٍ ^(١) ، وَأَنْتُمْ حَدُّ أَهْلِ
مِصْرَكم ، وَأَعَزُّ حَيٍّ فِي قَوْمِكُمْ ، وَمَاتَفَعَلُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَاتَّقُوا
مَأْثُورَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ ، وَأَصْدُقُوا عَدُوَّكُمْ اللَّقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ، وَالَّذِي
نَفْسَ مَالِكٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ هَؤُلَاءِ (وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ) رَجُلٌ عَلَى مِثَالِ
جَنَاحِ بَعُوضَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْتُمْ مَا أَحْسَنْتُمْ الْقِرَاعَ ^(٢) ، اجْلُؤُوا
سَوَادَ وَجْهِي ، يَرْجِعُ فِي وَجْهِي دَمِي ، عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ لَوْ قَدْ فَضَّهَ ، تَبِعَهُ مِنْ بَحَائِبِهِ كَمَا يَتَّبِعُ مُؤَخَّرَ السَّيْلِ مُقَدَّمَهُ .
قَالُوا خُذْ بِنَا حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٢ — خطبة أخرى له فيهم

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ عَظُمَ مَنْ كَانَ انْهَزَمَ عَنِ الْمِيمَةِ حَرَّضَهُمْ ،
ثُمَّ قَالَ :

« عَظُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَامِكُمْ ، وَشُدُّوا
عَلَيْهِمْ شِدَّةَ قَوْمِ مَوْتُورِينَ ^(٣) ، ثَارًا بِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ، حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ، قَدْ
وَطَّنُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ ، كَيْلًا يُسَبِّقُوا بِوَتَرٍ ، وَلَا يُلْحَقُوا فِي الدُّنْيَا عَارًا ، وَآيَمُ
اللَّهِ مَا وَتَرَ قَوْمٌ قَطُّ شَيْءَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يُوتَرُوا دِينَهُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ
لَا يَقَاتِلُونَكُمْ إِلَّا عَنْ دِينِكُمْ ، لِيُمِيتُوا الشُّنَّةَ ، وَيُحْيُوا الْبِدْعَةَ ، وَيُعِيدُواكُمْ فِي ضَلَالَةٍ
قَدْ أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا بِحَسَنِ الْبَصِيرَةِ ، فَطَيَّبُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْفُسًا بِدِمَائِكُمْ

[١] الحسف : الدل . [٢] المفارقة والمناضلة . [٣] وتره : إذا أصابه وتر ، وهو النار .

دون دينكم ، فإن ثوابكم على الله ، والله عنده جنات النعيم ، وإن الفِرَار من الزحف فيه السِّلْبُ للعز ، والغلبةُ عَلَى الْفَيْءِ ، وذلّ المَحْيَا والمَمَات ، وعارُ الدنيا والآخرة ، وسخط الله وأليم عقابه .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧)

٢٠٣ — خطبة علىّ فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم

ولما رأى الإمام كرّم الله وجهه ميمنته قد عادت إلى موافقها ومَصَافَّها ، وكشفت مَنْ يَزَاهُها من عدوها ، حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزم ، أقبل حتى أنهى إليهم فقال :

« إني قد رأيت جَوَلْتكم وانحيازكم عن صفوفكم ، يَحُوزُكم الطُّغَاةُ الجُفَاةُ ، وأعرابُ أهل الشام ، وأنتم لهَامِيمٌ ^(١) العرب ، والسَّانِمُ الأعظم ، وعُمَّار الليل بتلاوة القرآن ، وأهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون ، فلو لا إقبائكم بعد إدباركم وكرّكم بعد انحيازكم ، وجب عليكم ماوجب على المُوَلَّى يومَ الزحفِ دُبْرُهُ ، وكنتم من الهالكين ، ولكن هَوَّنَ وَجْدِي ، وَشَفَى بَعْضَ أَحَاحٍ ^(٢) نفسى ، أنى رأيتم بأخْرةٍ ^(٣) حُزَّتْموهم كما حازوكم ، وأزَلَّتْموهم عن مصافكم كما أزالوكم ، تَحْسُونَهُمْ ^(٤) بالسيوف تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرودة الهيم ^(٥) ، فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة ، وثبَّتْكم الله عز وجل باليقين ، وليعلم المنهزم أنه

[١] اللهم ، واللهيم (بكسر اللام والميم فيهما) : الساق الجواد من الحيل والناس .

[٢] الأحاح : اليط وحرارة الغم . [٣] يقال جاء أخرة وبأخرة محركتين وقد يضم أولهما .

أى آخرأ . [٤] من الحس بالفتح : وهو القتل والاستئصال . [٥] العطاش : جمع أهيم وهيماء (والهيام بالضم : أشد العطش) .

مُسَخِّطُ رَبِّهِ ، وَمُؤَبِّقٌ^(١) نفسه ، إن في الفرار مَوْجِدَةً^(٢) الله عز وجل عليه ،
وَالَّذِلَّ الْإِزْمَ لَهُ ، وَالْعَارَ الْبَاقِي ، وَاعْتَصَارَ الْفِيءِ مِنْ يَدِهِ ، وَفَسَادَ الْعَيْشِ عَلَيْهِ ،
وَإِنْ الْفَارُّ لَا يَزِيدُ الْفِرَارَ فِي عَمَرِهِ ، وَلَا يُرْضِي رَبَّهُ ، فَمَوْتُ الْمَرْءِ مُحِقًّا قَبْلَ إِيْتَانِ
هَذِهِ الْخِصَالِ ، خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالتَّلَبُّسِ بِهَا وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٨)

٢٠٤ — خطبة خالد بن معمر

وَلَمَّا وَلَّى الْإِمَامُ خَالِدُ بْنُ مَعْمَرٍ رَايَةَ رِبِيعَةَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهَا أَهْلُ الشَّامِ حَمْلَةً
شَدِيدَةً ، وَانْهَزَمَ نَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ ، صَاحَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَقَالَ يَوْمُئِذٍ :
« يَا مَعْشَرَ رِبِيعَةَ : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَتَى بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ مَنَبَتِهِ ،
وَمَسَقَطِ رَأْسِهِ ، لَجْمَعِكُمْ فِي هَذَا الْمَكَانِ جَمْعًا لِيَجْمَعَكُمْ مِثْلُهُ مُنْذُ نَشَرَكُمُ فِي الْأَرْضِ ،
فَإِنْ تُمْسِكُوا أَيْدِيَكُمْ وَتَنْكُلُوا^(٣) عَنْ عَدُوِّكُمْ ، وَتَرْوُلُوا عَنْ مَصَافِكُمْ ، لَا يَرْضَى
اللَّهُ فَعْلَكُمْ ، وَلَا تَعْدَمُوا مِنَ النَّاسِ مَعِيرًا يَقُولُ : فَضَحْتَ رِبِيعَةُ الدَّمَارَ^(٤) ،
وَحَاصَتِ^(٥) عَنِ الْقِتَالِ ، وَأُتِيتُ مِنْ قِبَلِهَا الْعَرَبُ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَشَاءَ بِكُمْ الْعَرَبُ
وَالْمَسَامُونَ الْيَوْمَ ، وَإِنْكُمْ إِنْ تَمَضَوْا مُقْبِلِينَ مُقَدِّمِينَ ، وَتَصْبِرُوا مُحْتَسِبِينَ ، فَإِنْ
الْإِقْدَامَ لَكُمْ عَادَةً ، وَالصَّبْرَ مِنْكُمْ سَجِيَّةً ، وَاصْبِرُوا وَنِدَّكُمْ أَنْ تُؤْجَرُوا ، فَإِنْ
ثَوَابَ مَنْ نَوَى مَا عِنْدَ اللَّهِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَكَرَامَةُ الْآخِرَةِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٩٦)

[١] مهلك . [٢] أى غضبه . [٣] أى تنكصوا وتجنبوا .

[٤] ماتجب حمايته وحفظه . [٥] هربت وفرت .

٢٠٥ — خطبة عقبة بن حديد النمرى

وقال عُقْبَةُ بْنُ حَدِيدٍ النَّمَرِيُّ يَوْمَ صَفِينٍ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ :

« أَلَا إِنْ مَرَعَى الدُّنْيَا قَدْ أَصْبَحَ هَشِيمًا ^(١) ، وَأَصْبَحَ شَجَرُهَا خَضِيدًا ^(٢) ، وَجَدِيدُهَا سَمَلًا ^(٣) ، وَخُلُوها مُرٌّ الْمَذَاقُ ، أَلَا وَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ نَبَأَ أَمْرٍ صَادِقٍ : إِنِّي قَدْ سَمِيتُ الدُّنْيَا ، وَعَزَفْتُ ^(٤) نَفْسِي عَنْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَتَمْنَى الشَّهَادَةَ ، وَأَتَعَرَّضُ لَهَا فِي كُلِّ جَيْشٍ وَغَارَةٍ ، فَأُبَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغَنِي هَذَا الْيَوْمَ ، أَلَا وَإِنِّي مُتَعَرِّضٌ لَهَا مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، قَدْ طَمَعْتُ أَلَّا أُحْرَمَهَا ، فَاتَنْتَظِرُونَ ، عِبَادَ اللَّهِ بِجِهَادٍ مَنِ عَادَى اللَّهَ ، أَخَوْفَا مِنَ الْمَوْتِ الْقَادِمِ عَلَيْكُمْ ، الزَّاهِبِ بِأَنْفُسِكُمْ لِمَحَالَةٍ ؟ أَوْ مِنْ ضَرْبَةٍ كَفَّ بِالسَّيْفِ ؟ أَتَسْتَبْدِلُونَ الدُّنْيَا بِالْإِثْمِ فِي وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمُرَافَقَةِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ ، وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي دَارِ الْقَرَارِ ؟ مَا هَذَا بِالرَّأْيِ السَّيِّدِ ! » .

ثم مضى فقال : « يَا إِخْوَتِي إِنِّي قَدْ بَعَثْتُ هَذِهِ الدَّارَ بَالِي أَمَامَهَا ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَيْهَا . لَا تُبْرِحْ وَجْهَهُكُمْ ، وَلَا يَقْطَعْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجَاءَكُمْ » فَتَبِعَهُ إِخْوَتُهُ وَقَالُوا : « لَا نَطْلُبُ رِزْقَ الدُّنْيَا بَعْدَكَ ، فَقَبِّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَكَ » . فَاسْتَقْدَمُوا فَقَاتَلُوا حَتَّى قَتَلُوا .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٥ ، شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٩٠)

٢٠٦ — خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد

وكان من « مُحَارِبٍ » . رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ خَنْثَرٌ بْنُ عُبَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ مِنْ

[١] الحشيم من النبات : اليابس المنكسر . [٢] مقطوعاً ، خصده : كضربه ، فهو خضيد ومخضود .

[٣] السمل : الخلق من الثياب . [٤] انصرفت .

أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يوم صفين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادى :

« يا معشر قيس ، أطاعةُ الشيطانِ آثرُ ^(١) عندكم من طاعة الرحمن ؟ ألا إنَّ الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطه ، وإن الصبر فيه طاعة الله عز وجل ورضوانه ، أفتختارون سخط الله تعالى على رضوانه ، ومعصيته على طاعته ؟ ألا إنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً نفسه ، ثم قال :

لَا وَالَّتِ نَفْسُ امْرِئٍ وَلَّى الدُّبُرَ ^(٢) أنا الذى لا ينثنى ولا يفر
وَلَا يُرَى مع المَعَاذِلِ الغُدْر ^(٣)

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٨ ، شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ٤٩٥)

٢٠٧ — تحريض معاوية أيضاً

وخطب معاوية الناس بصفين فقال :

« الحمد لله الذى دنا فى علوه ، وعلا فى دنوه ، وظهر وبطن ، وارتفع فوق كل ذى منظر ، هو الأول والآخِر ، والظاهر والباطن ، يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، إذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على شىء قضاه لا يؤامر ^(١) أحداً فيما يملك ، ولا يُسأل عمماً يفعل وهم يسألون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا .

وقد كان فيما قضاه الله أن ساقطنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض ، ولَفَّت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى :

[١] أفضل . [٢] وأل : طلب النجاة ، وخلص . [٣] المعاذيل : جمع معزال بكسر الميم ، وهو الضعيف الأحمق (ومن لاسلاح معه ، ومن يعتزل أهل الميسر لؤماً) ، والغدر : جمع غدور مبالغة من طادر . [٤] أى لا يشاور .

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ » انظروا يا أهل الشام ،
إنكم غداً تَلْقَوْنَ أهل العراق ، فكونوا على إحدى ثلاث خصال : إما أن تكونوا
طلبتهم ما عند الله في قتال قوم بَغَوْا عليكم ، فَأَقْبَلُوا من بلادهم حتى نزلوا في
يَبُضْتِكُمْ ^(١) ، وإما أن تكونوا قومًا تطلبون بدم خليفتم وصهر نبيكم ، وإما أن
تكونوا قومًا تَدُبُّونَ عن نسائكم وأبنائكم ، فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ،
وأسألوه الله لنا ولكم النصر ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وهو خير
الفاتحين » (شرح ابن أبي الحديد م ١١ ص ٤٩٧)

٢٠٨ - ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد

في وقعة صفين

وقف النعمان بن بشير الأنصاري بين الصَّفَّينِ بِصِفِّينِ فقال :

« يَا قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، أما أنصفكم من دعاكم إلى مَرْضَى انفسه ؟ إنكم يا معشر
الانصار ، أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار ، وقنيلكم أنصاره يوم الجمل ،
وإقحامكم ^(٢) على أهل الشام بصفين ، فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم عليًا ،
كان هذا بهذا ، ولكنكم خذلتهم حقًا ، ونصرتهم باطلاً ، ثم لم ترضوا أن تكونوا
كأناس ، شعلتم ^(٣) الحرب ، ودعوتهم إلى البراز ، فقد والله وجدتم رجال الحرب من
أهل الشام سراعًا إلى برازكم ، غير أنكاسي ^(٤) عن حربكم ، ثم لم ينزل بعلي أمرٌ

[١] ساحتم . [٢] قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه من غير روية ، وأقحمت الفرس النهر : أدخلته

فيه فافحهم واقتحم . [٣] شعل النار ، وأشعلها : ألهبها .

[٤] أنكاس : جمع نكس (بالكسر) ، وهو الضعيف المقصر .

قَطُّ إِلَّا هَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ الْمَصِيبَةَ ، وَوَعَدْتُمُوهُ الظُّفْرَ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخْلَفْتُمُوهُ ، وَهَانَ عَلَيْنَا بِأَسْكُمْ ، وَمَا كُنْتُمْ لِتُخْلُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ شِدَّتِكُمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدَرْتُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ أَذِلَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّامِ ، لَا يَرَوْنَ حَرْبَكُمْ شَيْئًا ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ عَدَدًا وَمَدَدًا ، وَقَدْ وَاللَّهِ كَاثَرُوكُمْ بِالْقِلَّةِ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانُوا مِثْلَكُمْ فِي الْكَثَرَةِ ، وَاللَّهِ لَا تَزَالُونَ أَذِلَّةً فِي الْحَرْبِ بَعْدَهَا أَبَدًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَكُمْ أَهْلُ الشَّامِ ، وَقَدْ أَخَذْتَ الْحَرْبَ مِنَّا وَمِنْكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَنَحْنُ أَحْسَنُ بَقِيَّةً ، وَأَقْرَبُ إِلَى الظُّفْرِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْبَقِيَّةِ » فَضَحِكَ قَيْسٌ وَقَالَ :

٢٠٩ — جَوَابُ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ

« وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَرَاكَ يَا نَعْمَانَ تَجْتَرِئُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ، أَمَّا الْمُنْصَفُ الْحَقُّ فَلَا يَنْصَحُ أَخَاهُ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ ، وَأَنْتَ وَاللَّهِ الْغَاشِ لِنَفْسِهِ ، الْمُبْطِلُ فِيمَا نَصَحَ غَيْرَهُ ، أَمَا ذَكَرَ عَثْمَانَ فَإِنْ كَانَ الْإِيحَازُ يَكْفِيكَ نَخْذَهُ ، قَتَلَ عَثْمَانَ مَنْ لَسْتُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَخَذَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرُ مَنْكَ ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْجُلِّ فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَى النَّكَثِ ، وَأَمَّا مَعَاوِيَةُ ، فَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَى بَيْعَتِهِ لَقَاتَلْتَهُمُ الْإِنصَارُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا لَسْنَا كَالنَّاسِ ، فَنَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ كَمَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، نَلْقَى السِّيفَ بِوُجُوهِنَا ، وَالرَّمَاحَ بِنَحُورِنَا ، حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ يَا نَعْمَانَ ، هَلْ تَرَى مَعَ مَعَاوِيَةَ إِلَّا طَلِيقًا أَعْرَابِيًّا ، أَوْ يَمَانِيًّا مُسْتَدْرَجًا ^(١) ، وَانْظُرْ أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْإِنصَارُ وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ثُمَّ

[١] استُدْرِجُهُ : خَدَعَهُ وَأَذَلَّهُ .

انظر هل ترى مع معاوية غيرك وَصَوِّحْكَ^(١) ، ولستما والله بدريّين ولا عَقِيَّين^(٢) ، ولا لكما سابقة في الإسلام ، ولا آية في القرآن .

(الإمامة والسياسة : ١ : ٨٣)

خطب الشيعيات في وقعة صفين

٢١٠ — خطبة عكرشة بنت الأطرش

دُخِلَتْ عِكرشة بنت الأطرش على معاوية متوكئة على عُكَّاز ، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ، إذ لا علىّ حيّ ، قال : أَلَسْتَ المتقلدة حمائل السيوف بصفيّين ، وأنت واقفة بين الصفيين تقولين :

« أيها الناس : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ، إن الجنة لا يَرْحَلُ من أوطانها ، ولا يَهْرَمُ من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا فوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين^(٣) بالصبر على طلب حقهم ، إن معاوية ذلف^(٤) إليكم بعجم العرب ، غُلْف^(٥) القلوب ، لا يَفْقَهُونَ الإيمان ، ولا يدرون الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فالله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك يَنْقُضُ عُرَا الإسلام ، وَيُطْفِئُ نور الحق ، هذه بذر الصغرى ،

[١] أراه يعني به عمرو بن العاص ، وقد كان أكبر أعوان معاوية ونصرائه ، عاقده على نصرته ، على أن يجعل له مصر طعمة . [٢] أي لاثنين حضروا وقعة بدر مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ممن يابعوه في العقبه .

[٣] مستعينين . [٤] ذلف : عشي ، عشي المقيد ، وفي التعبير به إيماء إلى ضعف معاوية ووهن قوّته .

[٥] جمع أغلف وقلب أغلف كأنما عشي بملاف فهو لا يمي .

وَالْعَقَبَةُ^(١) الأخرى ، يا معشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ،
واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غدا ، وقد لقيتم أهل الشام كالحُمُرِ الناهقة ،
تَصْقَعُ^(٢) صَقَعَ البعير .

فكأنى أراك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون هذه
عكرشة بنت الأطرش بن رَواحة ، فإن كدتِ اتَّقِلَيْنِ أهل الشام لولا قدر الله ،
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين بقول الله
جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ .
الآية » وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال صدقت ، فاذا كرى
حاجتك ، قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا ، فترد على فقرائنا ، وإنا
قد فقدنا ذلك ، فما يُجْبِرُنا كسير ، ولا يُنْعَشِ لنا فقير ، فإن كان ذلك عن
رأيك ، فمثلك تنبه من الغفلة ، وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك ، فما
منلك من استعان بالخَوَنة ، ولا استعمل الظلمة ، قال معاوية : يا هذه إنه ينوبنا
من أمور رعيتنا أمور تنبثق^(٣) ، وبحور تنفهِق^(٤) ، قالت : يا سبحان الله !
والله ما فرض الله لنا حقاً ، فجعل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب . قال
معاوية : يأهل العراق ، نبهكم على بن أبي طالب ، فلم تُطَاقوا ، ثم أمر بردَّ
صدقاتهم فيهم ، وإنصافهم . (العقد الفريد ٢ : ١٣١ ، وصح الأعشى ١ : ٢٥٣)

[١] تشير إلى بيعة العقبة (الأولى والثانية) حين بايع المسلمون الأولون من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بالعقبة على نصرته : أى أن هذه الموقعة دفاع عن الإسلام ونصرة له كذلك .

[٢] الصقع : رفع الصوت ، صقع بصوته رفعه . وى صح الأعشى تصقع تصع البعير . من قصع الجبل بجرته

ردّها إلى جوفه . [٣] انبثق : انفجر ، وانبثق السيل عليهم أقبل ولم يحسبوه . [٤] تنسع .

٢١١ - خطبة أم الخير بنت الحريش

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سُرَاقَة البارقي برحّلها ، وأعلم أنه مجازيه بالخير خيراً ، وبالشر شراً بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها ، فأقرأها كتابه ، فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين ، لأمرور تحتلج في صدرى . فلما شيعها ، وأراد مفارقتها ، قال لها يا أم الخير : إن أمير المؤمنين كتب إليّ أنه مجازيني بقولك فيّ بالخير خيراً ، وبالشر شراً ، فإلى عندك ؟ قالت يا هذا ، لا يُطمعك بركبى ، أن أسرك بباطل ، ولا يؤيسك معرفتى بك ، أن أقول فيك غير الحق ، فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع الحرّم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ! بحق ما دعوتني بهذا الاسم ؟ قالت : مه يا أمير المؤمنين ، فإن بديهة ^(١) السلطان مدحضة ^(٢) لما يجب علمه ، ولكل أجل كتاب ، قال صدقت ، فكيف حالك يا خالة ، وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية ، حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رقيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت يا أمير المؤمنين : يعيدك الله من دحض ^(٣) المقال ، وما تُردى عاقبته ، قال : ليس هذا أردنا ، أخبرينا كيف كان كلامك إذ قُتل عمار بن ياسر ؟ قالت لم أكن والله زورته ^(٤) قبل ، ولا رَوَيْته بعد ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى

[١] البديهة أول كل شيء وما يفجأ منه . [٢] المدحضة : المزلة . [٣] دحضت الحجة دحضاً من باب تقع بطلت ورجله زلقت وكان دحض زلقى . [٤] زور الشيء : حسنه وقوّمه وهذبه .

عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ، فالتفت معاوية إلى جلسائه ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين . قال هات ؟ قال كَأَنِّي بَهَا بَيْنَ بَرْدَيْنِ زَيْبَرَيْنِ^(١) كَشِيفِي النَّسِيجِ ، وَهِيَ عَلَى جَمَلٍ أَرْمَكَ^(٢) ، وَيِيدهَا سَوْطٌ مَنْتَشِرُ الضَّفِيرَةِ ، وَهِيَ كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ^(٣) فِي شِقْشِقَتِهِ تَقُولُ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنْ زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَدْعِكُمْ فِي عَمَلِيَاءٍ مُذْهِمَّةٍ ، فَأَيْنَ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ، أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ » . ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ قَدْ عِيلَ الصَّبْرُ ، وَضَعُفَ الْيَقِينُ ، وَانْتَشَرَتِ الرِّغْبَةُ ، وَيَدُكَ يَا رَبُّ أَزْمَةُ الْقُلُوبِ ، فَاجْمَعْ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفِ الْقُلُوبَ عَلَى الْهُدَى ، وَارْجِعْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، هَلُمُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالرَّضَى التَّقَى ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ ، إِنَّهَا إِحْنٌ^(٤) بَدْرِيَّةٌ ، وَأَحْقَادُ جَاهِلِيَّةٍ ، وَضَغَائُنُ أُحْدِيَّةٍ^(٥) وَثَبَ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْغَفْلَةِ ، لِيَدْرِكَ ثَارَاتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ » صَبْرًا يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

[١] الرُّبْر : مَا يَمْلَأُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ كَالَّذِي تَرَاهُ فِي الْقَطِيفَةِ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : عَلَيْهَا بَرْدُ زَيْبَدَى نِسْبَةً إِلَى زَيْبَدِ (بَفَتْحِ الزَّايِ) بَلَدٍ بِالْعَمَنِ . [٢] مِنَ الرَّمَكَةِ بِالضَّمِّ وَهِيَ لَوْنُ الرَّمَادِ . [٣] يَصُوتُ وَالشَّقْشَقَةُ شَيْءٌ كَارِثَةٌ يُخْرِجُهَا الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ . [٤] جَمْعُ لِحْنَةٍ : وَهِيَ الضَّفِينَةُ وَالْحَمْدُ تَوِيءُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ قَتْلِ عَلَى يَوْمِ بَدْرٍ أَخَاهُ مَعَاوِيَةَ (حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ) وَجَدَّهُ لِأُمِّهِ (عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ) وَخَلَهُ (الْوَلِيدُ بْنُ عَتَبَةَ) . [٥] تَشِيرُ إِلَى مَا حَدَّثَ مِنْ هَذَا زَوْجِ أَبِي سَفْيَانَ (أُمِّ مَعَارِيَةِ) فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ إِذْ بَقِرَتْ بَطْنُ حِمْرَةٍ هَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَتْلِهِ وَأَخَذَتْ كَبِدَهُ لِأَنَّهَا فَلَا كَتَمَهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا .

قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غداً ، وفد لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ مستنفرة فرّت من قسورة^(١) ، لا تدرى أين يُسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حين تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص ، إنه من ضلّ والله عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استقصروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسَعَوْا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصهره ، وأبى سبطيه ، خلق من طينته ، وتفرع من نَبْعَتِهِ^(٢) ، وجعله باب دينه ، وأبان ببعضه المنافيين ، وهاهو ذامفلق الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أُحُدٍ ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ، فialها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً ، ورِدّة وشقاقاً ، وزادت المؤمنين إيماناً ، قد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله !

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ماحرجت^(٣) في ذلك . قالت والله ما يسوءنى يابن هند أن يجرى قتلى على يديّ من يُسعدنى الله بشقاقه . قال هيهات يا كثيرة الفضول ! ما تقواين في عثمان ابن عفان رحمه الله ؟ قالت وما عسيت أن أقول في عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به

[١] الأسد والرماة من الصيادين ، والواحد تسور . [٢] النبعة في الأصل واحدة النبع : شجر الصي والسهام . [٣] أنمت .

راضون ، وقتلوه وهم له كارهون . قال معاوية : يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تُثنيين ؟ قالت لكن الله يشهد ، وكفى بالله شهيداً ، ما أردت بعثمان تقصاً ، ولقد كان سباًً إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة غداً . قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة . قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ^(١) ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، (فإن قريشاً تحدثت أنك أحلمها) أن تُعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها . قال : نعم وَنَعْمَةً ^(٢) عَيْنٍ ، قد أعفيتك منها ، ثم أمر لها بجائزة رفيعة ، وردها مكرمة .

(العقد الفريد ١ : ١٣٢ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤١ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٤٨)

٢١٢ — خطبة الزرقاء بنت عدى الهمدانية

وذُكرت الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية عند معاوية يوماً ، فقال جلسائه : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين . قال فأشيروا على في أمرها ، فأشار بعضهم بقتلها ، فقال بئس الرأي ، أيحسن بمثلى أن يقتل امرأة ! ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها ، وعدة من فرسان قومها ، وأن يعهد لها وطاءً ^(٣) لنا ، ويستترها بستر خفيف ^(٤) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن

[١] الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء . [٢] أى أفعل ذلك إنعاماً لعينك وإكراماً .

[٣] الفراش . [٤] أصله من خصف النمل يخففها كقرب ظاهرها على بعض وخرزها وهي

نمل خفيف ، وكل ما طورق بمضه على بعض فقد خصف .

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَعَلَ الْخِيَارَ إِلَى فِائِي لَا آتِيهِ ، وَإِنْ كَانَ حَتِّمٌ ، فَالطَّاعَةُ أُولَى ،
فَحَمَلَهَا وَأَحْسَنَ جِهَازَهَا ، عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ . قَالَ مَرْحَبًا بِكَ
وَأَهْلًا ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَاقِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعْمَةَ . قَالَ : كَيْفَ كُنْتُ فِي مَسِيرِكَ ؟ قَالَتْ رَيْبَةً بَيْتٍ ، أَوْ
طِفْلًا مُمَهَّدًا . قَالَ بِذَلِكَ أَمْرُنَا . أَتَدْرِينَ فِيمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ وَأَنْتَى لِي بَعْلٌ
مَا لَمْ أَعْلَمْ ؟ قَالَ : أَلَسْتُ الرَّابِثَةَ الْجَلِيلَةَ الْأَحْمَرُ ، وَالْوَاقِفَةَ بَيْنَ الصَّفِينِ بِصِفَتَيْنِ ، تَحْضِيضٍ
عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَوْقِيدٍ الْحَرْبِ ؟ فَمَا حَمَلْتُكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَاتَ
الرَّأْسُ وَبُتِرَ الذَّنْبُ ، وَلَنْ يَعُودَ مَا ذَهَبَ ، وَالْدَهْرُ ذُو غَيْرٍ ^(١) ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ،
وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . قَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ أَتَحْفَظِينَ كَلَامَكَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَتْ
لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُهُ ، وَلَقَدْ أَنْسَيْتُهُ . قَالَ : لَكِنِّي أَحْفَظُهُ ، اللَّهُ أَبُوكَ حِينَ تَقُولِينَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : ارْعَوْا وَارْجِعُوا ، إِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبُ
الظُّلْمِ ، وَجَارَتْ بِكُمْ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ ^(٢) ، فَيَا لَهَا فِتْنَةً عَمِيَاءَ صَمَاءَ بَكَاءَ ، لَا تَسْمَعُ لِنَاعِهَا ،
وَلَا تَنْسَاقُ لِقَائِدِهَا ، إِنْ الْمَصْبَاحُ لَا يَضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَلَا تَنْيرُ الْكُوكُبُ مَعَ
الْقَمَرِ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ . أَلَا مَنْ اسْتَرْشَدْنَا أَرْشَدَنَا ، وَمَنْ سَأَلْنَا
أَخْبَرَنَا . أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّتَهُ فَأَصَابَهَا ، فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى الْغَصَصِ ، فَكَأَنَّ قَدْ انْدَمَلَ شَعْبُ الشَّتَاتِ ، وَالتَّامَّتْ كَلِمَةُ
الْحَقِّ ، وَدَمَغَ الْحَقُّ الظَّلَامَةَ ، فَلَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ فَيَقُولُ : كَيْفَ وَأَنْتَى ؟ لِيَقْضَى اللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، أَلَا وَإِنْ خِضَابُ النِّسَاءِ الْحَنَاءِ ، وَخِضَابُ الرِّجَالِ الدَّمَاءُ ، وَلِهَذَا

[١] أَحْدَاثُ جَمْعٌ غَيْرَةٌ بِالْكَسْرِ أَوْ مُفْرَدٌ ، وَجَمْعُهُ أَغْيَارٌ . [٢] حَادَّةٌ الطَّرِيقِ .

اليوم ما بعده : والصبر خير في الأمور عواقبا :

إيها^(١) في الحرب قُدُّما غير نا كصين ، ولا متشا كسين »

ثم قال لها : والله يا زرقاء لقد شَرِكتُ عليكِ في كلِّ دم سفكه . قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ! فثلك بَشْرٌ بخير وسرٍّ جليسه . قال أويسرك ذلك ؟ قالت نعم . والله لقد سُرِرت بالخَبَر ! فأني لى بتصديق الفعل ! فضحك معاوية ، وقال : والله لو فاءوكم له بعد موته أعجب من حُكم له في حياته ، اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين : آليت على نفسى ألاَّ أسأل أميراً أعنت عليه أبداً ، ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبية . قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسا . (العقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٢)

اختلاف اهل العراق في الموادعة

وذكروا أنه لما اشتد الأمر ، واستعزَّ القتال . قال رأسٌ من أهل العراق لعلى : إن هذه الحرب قد أكلتنا ، وأذهبت الرجال ، والرأى الموادعة . وقال بعضهم : لا بل نقاتلهم اليوم على ما فاتلناهم عليه أمس ، وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة ، وجنحت إلى الصلح والمسالمة ، فقام على خطيباً ، فقال :

٢١٣ — خطبة الامام على كرم الله وجهه

« أيها الناس : إنه لم أزل من أمرى على ما أحب ، حتى فدَحَتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهى لعدوكم أنْهَكُ ، وقد كنتُ بالأمس أميراً ،

[١] إيها : كلمة زجر بمعنى حسك (وإيه بالكسر منونة وغير منونة كلمة استعادة واستنطاق) والقدم المعنى أمام وهو يشي القدم إذا مضى في الحرب ، ورجل قدم : أى شجاع . وفي الحديث « طوبى لعبد مغبر قدم في سبيل الله » القدم الاقدام ، أقدم على قرنه لإقداما وقدمما تقدّم عليه بجرأة صدر .

فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت اليوم مَنهياً ، فليس لى أن أحكم على ما تكرهون .

٢١٤ — خطبة كردوس بن هانىء

وقام كُرْدُوس بن هانىء ، فقال :

« إنه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ، ولا تبرأنا من على منذ توليناه ، وإن قتلنا لشهيد ، وإن حَيَّنَّا لفائز ، وإن عَلَيًّا على يَدَنَّة من ربه ، وما أجاب القومَ إِلَّا إِنْصَافًا ، وكلُّ مُحِقٍّ مُنْصِفٌ ، فمن سَلَّمَ له نَجَا ، ومن خالفه هَوَى . »

٢١٥ — خطبة سفيان بن ثور

وقام سفيان بن ثور ، فقال :

« أيها الناس : إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله ، فردوه علينا فقاتلناهم ، وإنهم دعونا إلى كتاب الله ، فإن رددناه عليهم ، حَلَّ لهم منا ، ما حَلَّ لنا منهم ، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ، وإن عَلِيًّا ليس بالراجع الناكس ، وهو اليوم على ما كَانَ عليه أمس ، وقد أَكَلَتْنَا هذه الحرب ، ولا نرى البقاء إِلَّا في المَوَادَّعة . »

٢١٦ — خطبة حريث بن جابر

ثم قام حُرَيْث بن جابر فقال :

« إن عليًا لو كَانَ خِلُوا من هذا الأمر لكان المرجع إليه ، فكيف وهو قائده وسائقه ، وإنه والله ما قَبِلَ من القوم اليوم إِلَّا الأمر الذى دعاهم إليه أمس ، ولو رَدَّه عليهم كنتم له أعيب ، وَلَا يُلْحِذُ في هذا الأمر إِلَّا راجع على عَقْبَيْهِ ، أو مُسْتَدْرَج مغرور ، وما بيننا وبين من طعن علينا إِلَّا السيف . »

٢١٧ - خطبة خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا والله ما أَخْرَجْنَا هذا المقامَ أن يكون أحد أولى به منا ، ولكن قلنا أحب الأمور إلينا ما كُفِينَا مَثْوَتَهُ ، فأما إذ استغنينَا ، فإننا لا نرى البقاء إلا فيما دعاكَ القوم إليه اليوم ، إن رأيت ذلك ، وإن لم تره فأريك أفضل »

٢١٨ - خطبة الحصين بن المنذر

ثم قام الحُصَيْن بن المنذر وكان أحدث القوم سنًا ، فقال :

« إِنَّمَا بُنِيَ هذا الدين على التسليم ، فلا تدفعوه بالقياس ، ولا تهديموه بالشبهة ، وإنا والله لو أنا لا تقبل من الأمور إلا ما نعرف ، لأصبح الحق في الدنيا قليلًا ، ولو تُرِكَمْنَا وما نهَوَى ، لأصبح الباطل في أيدينا كثيرًا ، وإن لنا راعيًا قد حمَدنا وِرْدَهُ وصَدَّرَهُ ، وهو المأمون على ما قال وفعل ، فإن قال لا ، قلنا لا ، وإن قال نعم ، قلنا نعم . »

٢١٩ - خطبة عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حُنَيْف ، وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عاملاً اعلى على البصرة وله فضل ، فقال :

« أيها الناس : اتَّهِمُوا رأيكم ، فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحُدَيْبِيَّة يوم أبي جَنْدَل^(١) ، وإنا ليريد القتال إنكاراً للصالح حتى رَدَّنا

[١] هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، وقصته : أنه لما كانت غزوة الحديبية (سنة ست للهجرة) بعث قريش من قبلها سهيل بن عمرو ليكلم الرسول صلى الله عليه وسلم في الصالحة ، وقد جرى بينها

عنه رسول الله ﷺ وإن أهل الشام دعونا إلى كتاب الله اضطراراً ، فأجبناهم إليه إعداراً ، فلسنا والقوم سواء ، إنا والله ماعدلنا الحى بالحى ، ولا القليل بالقتيل ، ولا الشامى بالعراقى ، ولا معاوية بعلى ، وإنه لأمر منعه غير نافع ، وإعطائه غير ضائر ، وقد كَلَّتْ البصائر التى كنا نقاتل بها ، وقد حمل الشك اليقين الذى كنا نتول إليه ، وذهب الحياء الذى كنا نمارى به ، فاستظلموا فى هذا النقي^(١) ،

الصلح وكتبت صحيفته ، وكان من شروطه ، وضع الحرب عن الناس عشر سنين يكف بعضهم عن بعض على أن من أتى محمداً من قريش نفي إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قرشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف والحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان المسلمون حين خرجوا لا يشكرون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخل عليهم من ذلك أمر عظيم ، ولما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فصر به وأخذ بتلابيه « بفتح التاء : ما فى موضع اللب (أى البحر) من الثياب » ثم قال : يا محمد قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، جعل ينثره بتلابيه ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فراد الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نقدر بهم ، ورتب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يعشى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون . وإنما دم أحدهم دم كلب . ويدنى قائم السيف منه . قال عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فض الرجل بأبيه ونفذت القضية .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد وكان ممن حبس بمكة ، فبعث قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الفدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . فانطلق إلى قومك . قال يا رسول الله : أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال يا أبا بصير انطلق ، فانطلق معهما حتى إذا كان فى بعض الطريق عدا على أحدهما قتله وهرب الآخر ، ورجع أبو بصير إلى المدينة فقال يا رسول الله وفّت ذمتك ، وأدّى الله عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم ، وخرج أبو بصير إلى ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وخرج المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة إليه ، وانفلت إليه أبو جندل بن سهيل ، فاجتمع إليه قريش من سبيلين رجال منهم ، وضيّقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرّ بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آوام ، فلا حاجة لهم بهم ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة . [١] إلى : ما كان شمساً فينسعه الظل .

واسكنوا في هذه العافية ، فإن قُتِم تقاتل على ما كنا تقاتل عليه أمس ، فهيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد .

٢٢٠ - خطبة عدى بن حاتم

ثم قام عدى بن حاتم فقال :

« أيها الناس : إنه والله لو غيرُ عَلِيٍّ دعانا إلى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط إلا ومعه من الله برهان ، وفي يديه من الله سبب ، وإنه وَقَفَ عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النَّكْتِ ، وأهل الشام على البغى ، فانظروا في أموركم وأمره ، فإن كان له عليكم فضل فليس لكم مثله ، فسلموا له وإلا فنازعوا عليه ، والله لئن كَانَ إلى العلم بالكتاب والسنة إنه لأعلم الناس بهما ، ولئن كَانَ إلى الإسلام إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام ، ولئن كَانَ إلى الزهد والعبادة إنه لأظهر الناس زهداً ، وأنهمكهم عبادة ، ولئن كَانَ إلى العقول والنحائر ^(١) إنه لأشد الناس عقلاً ، وأكرمهم نخيزة ، ولئن كَانَ إلى الشرف والنجدة إنه لأعظم الناس شرفاً ونجدة ، ولئن كَانَ إلى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار في شُورى عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ، ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الذي قرَّبكم إلى الهدى ، وما النقص الذي قرَّب به إلى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد ، لأتاه الله له من يقاتل لأمر ماض ، وكتاب سابق . »

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ، ورجع كلٌّ من تشعب

على عليّ رضى الله عنه .

٢٢١ — خطبة عبد الله بن حجل

ثم قام عبد الله بن حجل ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنك أمرتنا يوم الجمل بأمر مختلف ، كانت عندنا أمراً واحداً ، فقبلناها بالتسليم ، وهذه مثل تلك الأمور ، ونحن أولئك أصحابك ، وقد أكثر الناس في هذه القضية ، وإيم الله ما المكثير المنكر بأعلم بها من المقل المتترف ، وقد أخذت الحرب بأنفاسنا ، فلم يبق إلا رجاء ضعيف ، فإن تجب القوم إلى ما دعوك إليه ، فأنت أولنا إيماناً ، وآخرنا بنبي الله عهداً ، وهذه سيوفنا على أعناقنا ، وفلوبنا بين جوانحننا ، وقد أعطيناك بقيتنا ، وشرحنا بالطاعة صدورنا ، ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا ، فأنت الوالى المطاع ، ونحن الرعية الأتباع ، أنت أعلمنا بربنا ، وأقربنا بفيننا ، وخيرنا في ديننا ، وأعظمنا حقاً فينا ، فسدد رأيك نتبعك ، واستخبر الله تعالى في أمرك ، واعزم عليه برأيك ، فأنت الوالى المطاع . »

فسرّ على كرم الله وجهه بقوله ، وأثنى خيراً .

٢٢٢ — خطبة صعصعة بن صوحان

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال :

« يا أمير المؤمنين : إنا سبقنا الناس إليك ، يوم قدوم طلحة والزبير عليك ، فدعانا حكيم^(١) إلى نصرة عاملك عثمان بن حنيف^(٢) فأجبناه ، فقاتل عدوك ، حتى أصيب في قوم من بني عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكتفهم مثل

[١] هو حكيم بن حبل . [٢] كان حامل على البصرة ، وقد نشب القتال بينه وبين أصحاب عائشة

حين قدموا البصرة .

أَكْفَتِ الْإِبِلَ ، وَجَبَاهُمُ مِثْلَ رُكْبِ الْمَعَزِ ، فَأَسْرَحْنِي ، وَسَلِّبِ الْقَتِيلَ ، فَكُنَّا
أَوَّلَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَلَاءَنَا بِصَفِينٍ ، وَقَدْ كَلَّتِ الْبَصَائِرُ ، وَذَهَبَ الصَّبْرُ ،
وَبَقِيَ الْحَقُّ مَوْفُورًا ، وَأَنْتَ بَالِغٌ بِهَذَا حَاجَتَكَ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ مَا أَرَاكَ اللَّهُ
فَرَّغْنَا بِهِ .

٢٢٣ — خطبة المنذر بن الجارود

ثم قام المنذر بن الجارود فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَى أَمْرًا لَا يَدِينُ لَهُ الشَّامُ إِلَّا بِهْلَاكِ الْعِرَاقِ ، وَلَا
يَدِينُ لَهُ الْعِرَاقُ إِلَّا بِهْلَاكِ الشَّامِ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّ مَا زَادَنَا نَقْصَهُمْ ، وَمَا
نَقَصْنَا أَضْرَهُمْ ، فَإِذَا فِي ذَلِكَ أَمْرَانِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَهُ ^(١) فَفِينَا وَاللَّهُ مَا يُفَكِّلُ بِهِ
الْحَدُّ ^(٢) ، وَيُرْدُّ بِهِ الْكَلْبَ ^(٣) ، وَلَيْسَ لَنَا مَعَكَ إِبْرَادٌ وَلَا صَدَرٌ .

٢٢٤ — خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ النَّاسَ بَيْنَ مَاضٍ وَوَاقِفٍ ، وَقَائِلٍ وَسَاكِتٍ ، وَكُلٌّ
فِي مَوْضِعِهِ حَسَنٌ ، وَإِنَّهُ لَوْ نَكَلَ الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ
الْيَوْمَ ، مَا قَدْ قِيلَ أَمْسَ ، وَلَكِنَّهُ حَقٌّ يُقْضَى ، وَلَمْ تَقَاتِلِ الْقَوْمَ لَنَا وَلَا لَكَ ، إِنَّمَا
قَاتَلْنَاهُمْ لِلَّهِ ، فَإِنْ حَالَ أَمْرُ اللَّهِ دُونَنَا وَدُونَكَ فَاقْبَلْهُ ، فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْحَقِّ ، وَأَحَقُّنَا
بِالتَّوْفِيقِ ، وَلَا أَرَى إِلَّا الْقِتَالَ .

[١] أَيْ قَانَ رَأَيْتَ غَيْرَ رَأْيِي « وَهُوَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أَرَى أَمْرًا . . . الخ » وَفِي الْأَصْلِ

« غَيْرِكَ » وَأَرَاءَ مَحْرُفًا . [٢] أَيْ فِينَا مِنَ الْبَأْسِ مَا يَفْعَلُ بِهِ حَدُّ الْأَعْدَاءِ وَقَوَّتُهُمْ .

[٣] الْكَلْبُ : دَاءٌ يَشْبَهُ الْجَنُونَ يَأْخُذُ الْكَلَابَ فَتَعْتَقِرُ النَّاسَ وَبِعِثْرَتِي النَّاسَ أَيْضًا مِنْ عَضَاهَا ، وَقَدْ
اسْتَعَارَهُ هُنَا لَطَمَ الْأَعْدَاءَ فِيهِمْ وَغَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ .

٢٢٥ - خطبة عمير بن عطار

ثم قام مُحَمِّزُ بن عَطَارِدَ ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس إلى معاوية ، وكانت البصرة أقرب إلينا من الشام ، وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيراً من الذين وثبوا عليك من أصحاب معاوية اليوم ، فوالله ما منعنا ذلك من قتل المحارب ، وعَيَّب الواقف ، فقاتل القوم ، إنا معك . »

٢٢٦ - خطبة علي بن أبي طالب

ثم قام علي خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ، ولم يبق منهم إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها ، وقد صَبَرَ لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا ، وأنا غَادٍ عليهم بنفسى بالغداة ، فأحاكهم بسيفي هذا إلى الله . »

وأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يدعو علياً إلى تحكيم كتاب الله ، فأصبح أصحاب معاوية ، وقد رفعوا المصاحف على الرماح ، وقلدوها أعناق الخيل يقولون : « هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . »

٢٢٧ - مقال عدى بن حاتم

فقام عدى بن حاتم ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن أهل الباطل ، لَا تُعَوِّقُ أهل الحق ، وقد جَزِعَ

القوم حين تأهبت للقتال بنفسك ، وليس بعد الجزع إلا ماتحب ، نأجز القوم »

٢٢٨ - مقال الأشتر النخعي

ثم قام الأشتر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبنك لدنيا . إن معاوية لا خلف له من رجاله ، ولكن بحمد الله الخلف لك ، ولو كان له مثل رجالك ، لم يكن له مثل صبرك ، ولا نصرتك ، فافرج^(١) الحديد بالحديد ، واستعين بالله » .

٢٢٩ - مقال عمرو بن الحمق

ثم قام عمرو بن الحمق فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ما أجبنك لدنيا ، ولا نصرناك على باطل ، ما أجبنك إلا لله تعالى ، وما نصرناك إلا للحق ، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوتنا إليه ، لكثرفيه اللجاج ، وطالت له النجوى^(٢) ، وقد بلغ الحق مقطعة ، وليس لنا معك رأى »

٢٣٠ - مقال الأشعث بن قيس

ثم قام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين ، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ، ولست أدري كيف يكون غداً ، وما القوم الذين كلوك بأحمد لأهل العراق مني ، ولا بأوتر^(٣) لأهل الشام مني ، فأجب القوم إلى كتاب الله ، فإنك أحق به منهم ، وقد أحب الله البقييا »

[١] أى شقّ سلاحهم ومزقه بسلاحك . [٢] السارّة . [٣] أى ولا أشدّ وترا . من وتره إذا أدركه بمكروه .

٢٣١ — مقال عبد الرحمن بن الحارث

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال :

« يا أمير المؤمنين ، امض لأمر الله ولا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يوقنون ، أَحْكُمْ بعد حكم ، وَأْمُرْ بعد أمر؟ مضت دماؤنا ودماؤهم ، ومضى حكم الله علينا وعليهم . »

٢٣٢ — مقال عمار بن ياسر

فلما أظهر على أنه قد قبل التحكيم قام عمار بن ياسر فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أما والله لقد أخرجها إليك معاوية يبضاء ، من أقرَّ بها هلك ، ومن أنكرها ملك ، مالك يا أبا الحسن ، شككتنا في ديننا ، ورددتنا على أعقابنا ، بعد مائة ألف قُتلوا منا ومنهم ، أفلا كَانَ هذا قبل السيف ؟ وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دَعَوْكَ إلى ذلك فأبيت ، وزعمت أنك أولى بالحق ، وأن ما خالفنا منهم ضالٌّ حلال الدم ، وقد حكم الله تعالى في هذا الحال ما قد سمعت ، فإن كَانَ القوم كفاراً مشركين ، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يَفِيئُوا ^(١) إلى أمر الله ، وإن كانوا أهل فتنة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، والله ما أساموا ، ولا أدوا الجزية ، ولا فاءوا إلى أمر الله ولا طَفِئَتْ ^(٢) الفتنة » فقال علىّ والله إني لهذا الأمر كاره

ثم كثر اللجاج والجدال في الأمر ، وجعل علىّ يبين لهم أنها خُدعة ومكيدة يرام بها توهين قوتهم ، وتشيت جمعهم ، وهم لا يستمعون لقوله ، ولا يذعنون لنصحه ، وأقبل الأشعث بن قيس في ناس كثير من أهل اليمن ، فقالوا لعليّ : « لا تردّ ما دعاك القوم إليه ، قد أنصفك القوم ، والله لئن تقبل هذا

منهم لا وفاء معك ، ولا نرمي معك بسهم ولا حجر ، ولا نقف معك موقفاً »
وغلا أنصار التحكيم في تطرفهم فقالوا « يا عليّ أجب إلى كتاب الله إذ
دعيت إليه ، وإلاّ نَدْفَعُكَ بِرُمَّتِكَ إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان » فلم
يربداً من الإذعان وقبول التحكيم . (الإمامة والسياسة ١ : ٨٩)

التحكيم بين علي ومعاوية

٢٣٣ - كلام عبد الله بن عباس لابي موسى الاشعري

ولما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى الأشعري وأحضروه للتحكيم
على كُرّهٍ من عليّ عليه السلام ، أتاه عبد الله بن العباس ، وعنده وجوه الناس
وأشرافهم ، فقال له :

« أبا موسى : إن الناس لم يرضوا بك ، ولم يجتمعوا عليك ، لفضل لا تُشَارِكُ
فيه ، وما أكثرَ أشباهك من المهاجرين والأنصار المتقدمين قبلك ، ولكن
أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكمُ يَمَانِيَا ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ ،
وأيّمُ الله إني لأظن ذلك شرّاً لك ولنا ، فإنه قد ضُمَّ إليك داهيةُ العرب ، وليس
في معاوية خَلَّةٌ ^(١) يستحق بها الخلافة ، فإن تَقَذَّفَ بحقك على باطله ، تُدْرِكُ
حاجتك منه ، وإن يطمع باطلُهُ في حقك ، يُدْرِكُ حاجته منك ، واعلم يا أبا موسى
أن معاوية طليقُ الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدّعي الخلافة
من غير مشورة ولا يَنْعَةِ ، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه ، فلقد

صدق ، استعمله عمر وهو الوالى عليه بمنزلة الطبيب يَحْمِيهِ مَا يَشْتَهِي ، وَيُوجِرُهُ^(١) ما يكره ، ثم استعمله عثمان برأى عمر ، وما أَكْثَرَ من استعملا ممن لم يَدَّعِ الخِلاَفَةَ ، واعلم أن لعمرِو مع كل شىء يَسُرُّكَ خَبَأٌ^(٢) يسوءك ، ومهما نسيت فلا تنسَ أن علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها بيعة هُدًى ، وأنه لم يقابل إلا العاصين والناكثين »

فقال أبو موسى : « رحمك الله والله مالى إمام غير على ، وإنى لواقف عند مارأى ، وإن حق الله أحبُّ إلى من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا إلا بالله » .
(شرح ابن أبى الحديد م ١ : ص ١٩٥)

٢٣٤ — وصية شريح بن هانىء لأبى موسى الأشعرى

ولما أراد أبو موسى المسير ، قام إليه شريح بن هانىء الحارثى ، فأخذ بيده وقال :

« يا أبا موسى : إنك قد نصبتَ لأمر عظيم لا يُجْبَرُ صدْعُهُ ، ولا تُسْتَقَالُ فلتته ، ومهما تَقُلْ من شىء لك أو عليك ، يَبْذُتْ حَقُّهُ ، وَيُرَى صِحَّتُهُ ، وإن كان باطلا ، وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم على ، وقد كانت منك تَثْبِيْطَةٌ^(٣) أيام الكوفة والجل ، فإن تَشَفَّعَهَا بِمَثَلِهَا يكن الظن بك يقيناً ، والرجاء منك يأساً ، ثم قال :

أبا موسى : رُمِيتَ بِشَرٍّ خَصَمٍ فلا تُضِعِ العراق (فدتك نفسى)
وَأَعْطِ الْحَقَّ شَامِئًا وَخِذْهُ فإن اليوم فى مهل كَأَمْسٍ

[١] وجره الدراء (كوعده) وأجره إياه : جعله فى يده ، وأجره الرمح : طعنه ، وجره : أسمع ما يكره . [٢] الحب : ما خفي . [٣] أى تعزق .

وَإِنْ غَدَاً يَجِيءُ بِمَا عَلَيْهِ كَذَاكَ الدَّهْرُ مِنْ سَعْدٍ وَنَحْسٍ
وَلَا يَخْذَعُكَ عَمْرُو ، إِنَّ عَمْرَأَ عَدُوَّ اللَّهِ مَطْلَعُ كُلِّ شَمْسٍ
لَهُ خُدَعٌ يَحَارُ الْعَقْلَ مِنْهَا مُمَوَّهَةٌ مَزْخَرَفَةٌ بِلَبْسٍ
فَلَا تَجْعَلْ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ كَشِيخٍ فِي الْحَوَادِثِ غَيْرِ نِكْسٍ^(١)
هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ قَرْدًا سَوَى عِرْسٍ^(٢) النَّبِيِّ ، وَأَيُّ عِرْسٍ ؟
فَقَالَ أَبُو مُوسَى : « مَا يَنْبَغِي لِقَوْمِ اتِّهَمُونِي أَنْ يَرْسَلُونِي لِأَدْفَعُ عَنْهُمْ بِالْإِطْلَا ،
أَوْ أَجْزَأَ إِلَيْهِمْ حَقًّا » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ ، والإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٥ - وصية الأحنف بن قيس لأبي موسى الأشعري

وَلَمَّا خُكِّمَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ أَنَّهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ :
« يَا أَبَا مُوسَى ، إِنَّ هَذَا مَسِيرُكَ مَا بَعْدَهُ ، مِنْ عِزِّ الدُّنْيَا أَوْ ذُلِّهَا آخِرَ الدَّهْرِ ،
ادْعِ الْقَوْمَ إِلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ ، فَإِنْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ أَنْ يَخْتَارَ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ قُرَيْشِ الْعِرَاقِ
مَنْ أَحَبُّوا ، وَيَخْتَارَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنْ قُرَيْشِ الشَّامِ مَنْ أَحَبُّوا ، وَإِيَّاكَ إِذَا لَقِيتَ
ابْنَ الْعَاصِ أَنْ تَصَافَحَهُ بَنِيَّةً ، وَأَنْ يُقْعِدَكَ عَلَى صَدْرِ الْمَجْلَسِ ، فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ ، وَأَنْ
يَضْمَكَ وَإِيَّاهُ يَبِيتَ ، فَيُكْمِنُ لَكَ فِيهِ الرِّجَالُ ، وَدَعُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ، لِتَكُونَ عَلَيْهِ بِالْخِيَارِ ،
فَالْبَادِي مُسْتَعْلَقٌ^(٣) ، وَالْمَجِيبُ نَاطِقٌ » .

فَمَا عَمِلَ أَبُو مُوسَى إِلَّا بِخِلَافِ مَا قَالَ الْأَحْنَفُ ، وَأَشَارَ بِهِ ، فَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ

[١] كَشِيخٍ : يريد به الإمام علياً ، والنكس : الضعيف والمهترع عن غاية الكرم .

[٢] أَيُّ عِرْسٍ : أي زوجه ، يريد السيدة خديجة رضي الله عنها ، وأي عرس : أي وأي عرس هي . استههام

المراد به العظيم .

[٣] أَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : اسْتَعْلَقَ فِي بَيْعِهِ لَمْ يَجْعَلْ لِي خِيَاراً وَدَعَاهُ أَيُّ أَنْ الْبَادِي لَيْسَ لَهُ الْخِيَارُ فِي رَدِّ مَا قَالَ .

ما كان ، فلقية الأحنف بعد ذلك ، فقال له : « أدخل والله قدميك في خُفٍّ واحدة » .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٩٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦)

٢٣٦ — وصية معاوية لعمر بن العاص

وقال معاوية لعمر :

« إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك ، وأرجو في دفع هذه الحرب قوةً لأهل الشام ، وفرقةً لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأي ، وله على ذلك دين وفضل ، فدعه يقول ، فإذا هو قال فاصمتُ ، واعلم أن حسن الرأي زيادةٌ في العقل ، إن خوفك العراق نخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر نخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً ، نخوفه بمعاوية ، وإن أذاك بالجميل فأته بالجميل » .

٢٣٧ — رد عمرو بن العاص عليه

فقال عمرو :

« يا أمير المؤمنين . أقلل الاهتمام بما قبلي ، وأرجُ الله تعالى فيما وجهتني له ، إنك من أمرك على مثل حدِّ السيف ، لم تنل في حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خِفتَ ، ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبي موسى ديناً ، وإن الدين منصور ، أرايت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ »

فقال معاوية : « قل ما تريد وتري » . (الإمامة والسياسة ١ : ٩٩)

٢٣٨ — مقال شرحبيل بن السمط لعمر و

ولما ودَّعه شَرْحَبِيلُ بْنُ السَّمْطِ قَالَ لَهُ :

« يَا عَمْرُو إِنَّكَ رَجُلٌ قَرِيشٌ ، وَإِنْ مَعَاوِيَةُ لَمْ يَبْعَثْكَ إِلَّا لَعَلَّهُ أَنْكَ لَا تُؤْتِي
مَنْ عَجَزَ وَلَا مَكِيدَةً ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَطْأَةَ هَذَا الْأَمْرِ لَكَ وَلصاحبك ، فَكُنْ
عِنْدَ ظَنِّنا بِكَ » (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٦ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٠)

٢٣٩ — خطبة أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي

ولما التقي الحَكَمَانِ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ ،
وَدَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحِوَارِ مَا دَارَ ، أَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى ،
فَحَمْدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَمْ نَرَ أَصْلَحَ لَأَمْرِهَا ، وَلَا
أَلَمْ لِشَعَثِهَا ، مِنْ أَمْرٍ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَرَأَى عَمْرُو عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَنْ نَخْلَعَ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ،
وَتَسْتَقْبِلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ هَذَا الْأَمْرَ ، فَيُؤَلَّوْا مِنْهُمْ مَنْ أَحَبُّوا عَلَيْهِمْ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ
عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ ، فَاسْتَقْبِلُوا أَمْرَكُمْ ، وَوَلُّوا عَلَيْكُمْ مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا (١) » .
ثُمَّ تَنَحَّى .

٢٤٠ — خطبة عمرو بن العاص

وَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَامَ مَقَامَهُ ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ :

[١] وفي رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة : « وإني رأيت وعمرًا أن يخلع عليًا ومعاوية ويجمعهما
لعبد الله بن عمر فإنه لم يبسط في هذه الحرب يدا ولا لساناً » وفي رواية المسعودي في مروج الذهب :
« وقد خلعت عليًا كما خلعت عمامتي هذه (وأهوى إلى عمامته فخلعها) واستخلفنا رجلاً قد صح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصح أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ، مبرز في سابقته ، وهو
عبد الله بن عمر ، وأطراه ورغب الناس فيه » .

« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ،
واثبتت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والطالب بدمه ،
وأحق الناس بمقامه . »

فقال أبو موسى : « مالك - لا وقفك الله - غدرت وفجرت ! إِنَّمَا مَثَلُكَ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ^(١) » قال عمرو :
« إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . »

(تاريخ الطبرى ٦ : ٤٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٨ ،
والامامة والسياسة ١ : ١٠١ ومروج الذهب ٢ : ٣٢)

٢٤١ - خطبة الامام على بعد التحكيم

وخطب الامام على كرم الله وجهه بعد فشل التحكيم فقال :
« الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، ^(٢) والحدّث ^(٣) الجليل ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله ،
صلى الله عليه وآله ، أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، ثورت
الحسرة ، وثعقبت الندامة ، وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلت
لكم مخزون رأبى ، لو كان يطاع لقصير ^(٤) أمرى ، فأبيت على إباء المخالفين الجفأة ،
والمنابدن العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزند بقذحه ، فكنت
وإياكم كما قال أخوهوازن ^(٥) :

أمرتكم أمرى بمُنعرج اللوى فلم تستبينوا النصيح إلا ضحى الغد

[١] لث الكلب كقطع : أخرج لسانه من العطش أو التعب ، وكذا الرجل إذا أهيا .
[٢] من فدحه الدين أى أنقله . [٣] الحادث . [٤] قصير : هو مولى حذيفة الأبرش ، وكان
قد أشار على سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجريرة ، وقد دعت له إياها ليتزوجها ، بخلافه وقصد إياها ، فقال
قصير « لا يطاع لقصير أمر » فذهبت مثلاً . [٥] هو دريد بن الصمة .

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترعوهما حَكَمَيْنِ قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه ، بغير هدى من الله ، فحكما بغير حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ ، ولا سُنَّةٍ ماضية ، واختلفا في حكمهما وكلاهما لم يرشداً ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . اسْتَعِدُّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام .
(نهج البلاغة ١ : ٤٤ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٣ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٥)

٢٤٢ — خطبة الحسن بن علي

وقال الإمام عليّ : ثم يا حسن فتكلم في أمر هذين الرجلين أبي موسى وعمر ، فقام الحسن فتكلم فقال :

« أيها الناس ، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمر ، وإنما بُعِثَا ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فَحَكَمَا بالهوى دون القرآن ، فمن كان هكذا لم يكن حكماً ، ولكنه محكوم عليه ، وقد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله ابن عمر ، فأخطأ في ثلاث خصال : خالف (يعني أبا موسى) أباه عمر إذ لم يرْضَهُ لها ، ولم يره أهلاً لها ، وكان أبوه أعلم به من غيره ، ولا أدخله في الشورى إلا على أنه لا شيء له فيها ، شَرْطًا مشروطاً من عمر على أهل الشورى ، فهذه واحدة ، وثانية : لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار ، الذين يَعْقِدُونَ الإمامة ، ويحكمون على الناس ، وثالثة : لم يستأمر الرجل في نفسه ، ولا عَلِمَ ما عنده من رد أو قبول . » ثم جلس .

٢٤٣ — خطبة عبد الله بن عباس (توفي سنة ٦٨ هـ)

ثم قال عليّ لعبد الله بن عباس : قم فتكلم ، فقام عبد الله بن عباس وقال :
« أيها الناس : إن للحق أناساً أصابوه بالتوفيق والرضا ، والناس بين راض

به ، وراغب عنه ، وإنما سار أبو موسى بهدى إلى ضلال ، وسار عمرو بضلال إلى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ، فوالله لو كنا حكاماً عليه بالقرآن لقد حكما عليه ، ولئن كنا حكاماً بهما على القرآن ، ولئن مسكا بما سارا به ، لقد سار أبو موسى وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه» ثم جلس .

٢٤٤ — خطبة عبد الله بن جعفر

فقال على لعبد الله بن جعفر : قم فتكلم ، فقام وقال :
«أيها الناس : هذا أمر كان النظر فيه لعل ، والرضا فيه إلى غيره ، جئتم بأبي موسى ، فقلتم قد رضينا هذا فارض به ، وإيم الله ما أصاحا بما فعلا الشام ، ولا أفسدا العراق ، ولا أماتا حق على ، ولا أحييا باطل معاوية ، ولا يذهب الحق قلة رأى ، ولا نفخة شيطان ، وإنا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه » ثم جلس .
(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٢)

فتنة الخوارج

٢٤٥ — مناظرة عبد الله بن عباس لهم

لما رجع الإمام على كرم الله وجهه من صفين إلى الكوفة - بعد كتابة صحيفة التحكيم بينه وبين معاوية - اعتزله جماعة من أصحابه ممن رأوا التحكيم ضلالاً ، ونزلوا حروراء^(١) في اثني عشر ألفاً ، وأمروا على القتال شبت بن ربعي

[١] بظاهر الكوفة .

وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس ، فقال لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك ، فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم فقال :

« ما نَقَمْتُمْ مِنَ الْحَكَمِينَ ؟ » وقد قال الله عز وجل : « إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ^(١) » فكيف بأمة محمد ﷺ ؟ فقالت الخوارج : قلنا أمّا ما جَمَلَ حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به ، وما حَكَمَ فأَمْضَاهُ ، فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حَكَمَ في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا ، قال ابن عباس : فإن الله عز وجل يقول : « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ^(٢) » فقالوا له : أو تجعل الحكم في الصيد ، وَالْحَدَثِ يكون بين المرأة وزوجها ، كالحكم في دماء المسلمين ؟ وقالت الخوارج قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أَعَدَلُ عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ، ويسفك دماءنا ؟ فإن كَانَ عدلا فلسنا بعدول ، ونحن أهل حرب ، وقد حكمت في أمر الله الرجال ، وقد أمضى الله عز وجل حكمه في معاوية وحزبه أن يُقْتَلُوا أو يرجعوا ^(٣) ، وقَبِلَ ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عز وجل

-
- (١) الآية في الصلح بين الزوجين « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ، إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا » .
- (٢) الآية في حكم قاتل الصيد وهو محرم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » . (٣) يشيرون إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

فأبوه ، ثم كتبتهم بينكم وبينه كتابا ، وجعلتم بينكم وبينه المودعة والاستفاضة^(١) وقد قطع الله عز وجل الاستفاضة والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة ، إلا من أقر بالجزية » (تاريخ الطبري ٦ : ٣٦ ، والكامل للمبرد ٢ : ١٢٠)

٢٤٦ - مناظرة الامام على لهم

ثم خرج إليهم على حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس ، فقال : الله عن كلامهم . ألم أنهك رحمك الله ؟

ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ، ثم قال :

« اللهم إن هذا مقام من أفلج^(٢) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث^(٣) فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال على : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم صفين . قال أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا ، فكانوا شررا أطفالا وشررا رجالا ، امضوا على حكمكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة وإدهانا^(٤) ومكيدة ، فرددتم على رأيي ، وقلتم لا بل تقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أيتتم إلا الكتاب ، اشترطت على الحكيم أن يحيا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن

[١] استفاض المكان استفاضة : اتسع وهي هنا مرادفة للمودعة .

[٢] الفلج والإملاج : الظفر والفوز . [٣] أوعث : وقع في الوعث (الوعث بالكون المكان السهل

الدهس تغيب فيه الأقدام والطريق العسر) . [٤] الإدهان : الفش .

نخالف حكماً يُحكّم بما في القرآن ، وإن أياً فنحن من حكمهما بُرّاء . قالوا له :
نخبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما
حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، إنما
يتكلم به الرجال قالوا : نخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم
الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ،
ادخلوا مصركم رحمكم الله ، فدخلوا من عند آخرهم .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٣٧ ، الكامل المبرد ٢ : ١٢٨)

٢٤٧ — صورة أخرى

وروى صاحب العقد المناظرة بين عليّ وبين الخوارج بصورة أخرى وهاكها :
« قالوا إن عليّاً لما اختلف عليه أهل النهر وان والقرى وأصحاب البرانس ،
ونزلوا قرية يقال لها حرّوراء - وذلك بعد وقعة الجمل - رجع إليهم عليّ بن أبي
طالب ، فقال لهم : يا هؤلاء من زعيمكم ! قالوا : ابن الكواء ، قال : فليبرز إلىّ ،
نفرج إليه ابن الكواء ، فقال له عليّ : يابن الكواء ، ما أخرجكم علينا بعد رضاكم
بالحكمين ، ومُقامكم بالكوفة ؟ قال : قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده ،
فزعمت أن قتلانا في الجنة ، وقتلهم في النار ، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا ،
وحكمت كافراً ، وكان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم :
كتاب الله بيني وبينكم ، فإن قضى عليّ ببايعتكم ، وإن قضى عليكم بايعتموني ،
فلولا شكك لم تفعل هذا ، والحق في يدك ، قال عليّ : يابن الكواء ، إنما
الجواب بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبك ؟ قال : نعم ، قال عليّ : أما قتالك معي
عدوا لا نشك في جهاده فصدقت ، ولو شككت فيهم لم أقاتلهم ، وأما قتلانا

وقتلهم ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن قولي ، وأما إرسال المنافق وتحكيمى الكافر ، فأنت أرسلت أبا موسى مبرئاً ، ومعاوية حَكَمَ عَمراً ، أتيت بأبي موسى مبرئاً ، فقلت : لا نرضى إلا أبا موسى ، فهلا قام إلى رجل منكم فقال : يا على لا تُعْطِ هذه الدَّيَّةَ فإنها ضلالة ؟ وأما قولي لمعاوية : إن جرّني إليك كتابُ الله تَبِعْتُكَ ، وإن جرّك إلىّ تبعني . رعمت أنى لم أعط ذلك إلا من شك ، فقد علمت أن أوثق ما في يديك هذا الأمر ، فخذني ويحك عن اليهودي والنصراني ومُشْرِكِي العرب ، أهُم أقرب إلى كتاب الله أم معاوية وأهل الشام ؟ قال : بل معاوية وأهل الشام أقرب ، قال على : أفرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوثق بما في يديه من كتاب الله أو أنا ؟ قال : بل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفرأيت الله تبارك وتعالى حين يقول : « قُلْ فَأَنُؤَا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِلَّا كُنتُمْ صَادِقِينَ » . أما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى مما في يديه ؟ قال : بلى ، قال : فلم أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما أعطاهم ؟ قال : إنصافاً وحجة ، قال : فإنى أعطيت القوم ما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن الكواء : فإنى أخطأت هذه واحدة زِدْنِي ، قال على : فما أعظم ما نقمتم علىّ ؟ قال : تحكيم الحكيم ، نظراً في أمرنا ، فوجدنا تحكيمهما شكا وتبذيراً ، قال على : فتى سُمي أبو موسى حَكَمًا ، حين أُرسِلَ ، أوحين حَكَمَ ؟ قال : حين أُرسِلَ ، قال : أليس قد سار وهو مسلم ، وأنت ترجو أن يَحْكُمَ بما أزل الله ؟ قال : نعم ، قال على : فلا أرى الضلال في إرساله ، فقال ابن الكواء ، سُمي حَكَمًا حين حَكَمَ ، قال : نعم إذن فإرساله كَانَ عَدْلًا ، أَرَأَيْتَ يَا بَنَ الْكَوَاءَ لَوْ أَنَّ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مؤمناً إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله ، فارتدّ على عقبه كافراً ، كان يضرب نبي الله شيئاً ؟ قال : لا ، قال علي : فما كان ذنبه إن كان أبو موسى ضالاً ، هل رضيتُ حكومته حين حَكَمَ ، أوقوله إذ قال ؟ قال ابن الكواء : لا ، ولكنك جعلت مسلماً وكافراً يحكمان في كتاب الله ، قال علي : ويلك يا ابن الكواء ! هل بعث عمراً غير معاوية ؟ وكيف أحكمه وحكمه على ضرب عتق ، إنما رضى به صاحبه ، كما رضيت أنت بصاحبك ، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله ، أرايت لو أن رجلاً مؤمناً تزوج يهودية أو نصرانية ، تخافا شقاق بينهما ، ففرع الناس إلى كتاب الله ، وفي كتابه « فَأَمْشُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا » فجاء رجل من اليهود ، أو رجل من النصارى ، ورجل من المساميين ، اللذين يجوز لهما أن يحكما في كتاب الله فحكما . قال ابن الكواء : وهذه أيضاً ، أمهلنا حتى ننظر ، فانصرف عنهم علي . فقال له صعصعة بن صوحان : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي في كلام القوم ، قال : نعم ما لم تبسُط يداً ، فنادى صعصعة ابن الكواء ، نخرج إليه فقال : أنشدكم الله يا معشر الخارجين أن لا تكونوا عاراً على من يغزو لغيره^(١) ، وأن لا تخرجوا بأرض تسمون بها بعد اليوم ، ولا تستعجلوا ضلال العام خشية ضلال عام قابل ، فقال له ابن الكواء : إن صاحبك لَقِينَا بأمرٍ ، قولك فيه صغيرٌ فأمسك . قالوا إن علينا خرج بعد ذلك إليهم ، نخرج إليه ابن الكواء ، فقال له علي : يا ابن الكواء ، إنه من أذن في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام حَدَثًا ، استَبْنَاهُ من ذلك الذنب بعينه ، وإن توبتك أن تعرف هدى ما خرجت منه ، وضلال ما دخلت فيه . قال ابن الكواء : إننا لا ننكر أننا قد فُتِنَّا ، فقال له

[١] أى لغير منفعة الشخصية بل للم شعث المسلمين وجمع كلمهم يعنى علياً وأصحابه .

عبد الله بن عمرو بن جرموز: أدركنا والله هذه الآية « أَلَمْ ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » - وكان عبد الله من قراء أهل حروراء ، فرجعوا فَصَلَّوْا خَلْفَ عَلِيِّ الظَّهَرِ ، وانصرفوا معه إلى الكوفة ، ثم اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم ولا م بعضهم بعضاً ، ثم خرجوا على علي ، فقتلهم بالنهر وان .

(العقد الفريد ٢ : ٢٤٠)

٢١٨ — مناظرة ابن عباس لهم

فأما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ، وتاب منه ، وراه ضللاً ، فأتى الأشعث بن قيس علياً ، فقال يا أمير المؤمنين : إن الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومة ضللاً ، والإقامة عليها كفرًا وتبت ، نخطب على الناس فقال :

« من زعم أنني رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضللاً فهو أضلُّ منها ، فخرجت الخوارج من المسجد فحكت ، فقبل لعلهم خارجون ، فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون ، فوجه إليهم عبد الله بن العباس .

فأما سار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها فرحت أطول السجود ، وأيديا كَثَفَاتٍ^(١) الإبل ، وعليهم قُمُصٌ مَرَحَضَةٌ^(٢) وهم مشرُّون . قالوا : ما جاء بك يا ابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأَنْصَارِ . فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله . فإن تاب كما تبنا ، ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نَشَدْتُمْ اللَّهَ إِلَّا مَا صَدَقْتُمْ أَنْفُسَكُمْ . أما علمتم أن

[١] ثَفَّة البعير : ركبته . [٢] قمص جمع قميص ، ورحض الثوب : غسله .

الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق امرأة ورجلها ، فقالوا اللهم نعم ، قال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال ، للهدنة بينه وبين الحديبية ^(١) ، قالوا: نعم ولكن عليا محبا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس: أذلك يزيلها عنه ؟ وقد محاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، قال سهيل ^(٢) بن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك ، فقال للكاتب ^(٣) اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ على الحكمين أن لا يحورا ، فعلى أولى من معاوية وغيره ، قالوا: إن معاوية يدعى مثل دعوى على قال: فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا: صدقت ، قال ابن عباس : ومتى جار الحكمين فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما .

فاتبعه منهم ألفان وبقى أربعة آلاف ، فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي . (المقد الفريد ١ : ٢١٢)

٢٤٩ — خطبة يزيد بن عاصم المحاربي

وخرج الإمام على كرم الله وجهه ذات يوم يخطب ، فإنه لفي خطبته ، إذ حكمت ^(١) المحكمة في جوانب المسجد ، فقال على : الله أكبر ، كلمة حق يراد بها باطل ، إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلموا حجبناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم ، فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال :

« الحمد لله غير مؤدع ^(٥) ربنا ولا مستغنى عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من

[١] أى وبين أهل الحديبية ، والحديبية بئر قرب مكة ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست هجرية .

[٢] النائب عن قريش في عقد الصلح مع المسلمين . [٣] وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

[٤] أى قالوا لاحكم إلا الله ، ويسمى الحوارج المحكمة : أى الذين يمنعون التحكيم .

[٥] أى غير متروك ولا مقطوع : أى حمدا دائما .

إعطاء الدنيّة ^(١) في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إذهان ^(٢) في أمر الله عز وجل ، وذل راجع بأهله إلى سخط الله ، يا على أباقتل تُخَوِّفُنَا ؟ أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مُصَفَّحات ^(٣) ، ثم لتعلمنَّ أيُّنا أولى بها صلياً ^(٤) »
ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنهر ،
وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة . (تاريخ الطبري ٦ : ٤١)

٢٥٠ — خطبة عبد الله بن وهب الراسبي

ولما بعث الإمام على أبا موسى الأشعري لإنفاذ الحكومة ، لقيت الخوارج بعضها بعضاً ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن ، ويُنبئون إلى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا — التي الرضا بها والركون إليها ، والإيثار إياها عناءٍ وَتَبَارَه ^(٥) — أثرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول بالحق ، وإن من ^(٦) وُضِرَّ ، فإنه من يُمِنَّ وَيُضَرَّ في هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامة رضوانُ الله عز وجل ، والخلود في جناته ، فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى بعض كُور ^(٧) الجبال ، أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلة »

[١] يريد بها قول التحكيم . [٢] الإذهان والمداهة : إظهار ما يصدر . [٣] أي نضربكم بعدها لا بعرضها ، صربه بالسيف مصعاً : أي بمرضه . [٤] صلي البار وبها صلياً : فاسى حرّها . [٥] هلاك . [٦] أي قطع وهجر . [٧] جمع كورة بالفهم ، وهي المدينة والصقع .

٢٥١ — خطبة حرقوص بن زهير السعدى

فقام حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيُّ فَقَالَ :

« إِنَّ الْمَتَاعَ بِهَذِهِ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ، وَإِنَّ الْفِرَاقَ لَهَا وَشَيْكَ^(١) ، فَلَا تَدْعُوْكُمْ زِينَتُهَا وَبَهْجَتُهَا إِلَى الْمَقَامِ بِهَا ، وَلَا تَلْفِتَنَّكُمْ عَنْ طَلَبِ الْحَقِّ وَإِنْكَارِ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

٢٥٢ — خطبة حمزة بن سنان الأسدى

فقام حمزة بن سنان الأسدى فقال :

« يَا قَوْمَ إِنَّ الرَّأْيَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَالْحَقُّ مَا قَدْ ذَكَّرْتُمْ ، فَوَلُّوا أَمْرَكُمْ رِجَالًا مِنْكُمْ فَإِنَّهُ لَا بَدَ لَكُمْ مِنْ عِمَادٍ وَسِنَادٍ ، وَرَايَةٍ تَحْفُوثٌ بِهَا ، وَتَرْجِعُونَ إِلَيْهَا » .
فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى ، وعلى حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ فَأَبَى ،
وعلى حمزة بن سنان ، وشريح بن أوفى العبسى فأبى ، وعلى عبد الله بن وهب
فقال : « هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعها فرقا^(٢) من
الموت » فبايئوه (لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ هـ) .

٢٥٣ — خطبة شريح بن أوفى العبسى^(٣)

ثم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى ، فقام شريح فقال :
إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَهْدَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ ، وَالْجِهَادِ فِي تَقْوِيمِ السَّبِيلِ ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لَنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

[١] سريع . [٢] جزعاً وخوفاً . [٣] قال ابن قتيبة فى الإمامة والسياسة : « ثم اجتمعوا فى منزل زيد بن حصين الطائى ، فقالوا : إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ عَهْدَنَا وَمَوَاقِفَنَا . . . إلى آخر الخطبة ، ولم يذكر قائلها ، وذكر الطبرى فى تاريخه : أنهم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى ، وذكر الفترات الأخيرة من هذه الخطبة وعزاها إلى شريح » .

والسلام : « يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » وقال : « وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » فاشهدوا عَلَى أَهْلِ دَعْوَتِنَا أَنْ قَدْ اتَّبَعُوا الْهَوَىٰ ، وَنَبَذُوا حُكْمَ الْقُرْآنِ ، وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ وَالْعَمَلِ ، وَأَنْ جِهَادَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَرَضَ ، وَأَقْسَمَ بِالَّذِي تَعْنُو^(١) لَهُ الْوُجُوهُ ، وَتَخْشَعُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عَلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، وَقِتَالِ الْقَاسِطِينَ^(٢) مُسَاعِدًا ، لَقَاتَلْتَهُمْ وَحْدِي فَرَدًّا حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ رَبِّي ، فِيرَى أَنِّي قَدْ غَيَّرْتُ (إِرَادَةَ رِضْوَانِهِ) بِلِسَانِي ، يَا إِخْوَانِنَا ، اضْرِبُوا جِبَاهَهُمْ وَوُجُوهُهُمْ بِالسَّيْفِ ، حَتَّى يُطَاعَ الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنْ يُطْعِمَ اللَّهُ كَمَا أَرَدْتُمْ أَنَا بِكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْآمِرِينَ بِأَمْرِهِ ، وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنَ الْمَسِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ خَرَجُوا لِإِقْصَاءِ حُكْمِ الضَّلَالَةِ ، فَاخْرَجُوا بِنَا إِلَى بَلَدٍ تَتَّعِدُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ أَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَ الْخَلْقِ ، إِذْ قُلْتُمْ بِالْحَقِّ ، وَصَدَقْتُمْ لِقَوْلِ الصِّدْقِ ، فَاخْرَجُوا بِنَا إِلَى « الْمَدَائِنِ »^(٣) نَسْكُنُهَا فَنَأْخُذُ بِأَبْوَابِهَا ، وَنُخْرِجُ مِنْهَا سَكَانَهَا ، وَنَبْعَثُ إِلَى إِخْوَانِنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَيَقْدَمُونَ عَلَيْنَا .

٢٥٤ — مقال زيد بن حصين الطائي

فقال زيد بن حصين الطائي :
« إِنَّكُمْ إِنْ خَرَجْتُمْ مُجْتَمِعِينَ أَتْبَعْتُمْ ، وَلَكِنْ اخْرَجُوا وَحِدَانًا مُسْتَخْفِينَ ،

[١] تدل وتخضع . [٢] الجائرين . [٣] على نهر دجلة شرقاً .

فأما المدائن ، فإن بها قومًا يمنعونكم منها ، ويمنعونها منكم ، ولكن اكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة ، فأعلموهم بخروجكم ، وسيروا حتى تنزلوا جسر النهر وان^(١) .

قالوا : هذا هو الرأي ، فاجتمعوا على ذلك ، وكتبوا به إليهم .

(تاريخ الطبري ٥ : ٤٢ ، والإمامة والسياسة ١ : ١٠٤)

٢٥٥ - خطبة عليّ في تخويف أهل النهروان

فلما نزلوا بالنهر وان ، وأتوا بها ما أتوا من الأحداث^(٢) ، أتاهم الإمام عليّ

كرّم الله وجهه ، فوقف عليهم فقال :

« أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة ، وصدها عن الحق

الهوى ، وطمّح بها النّزق^(٣) وأصبحت في اللّبس والخطب العظيم ، إني نذير

لكم أن تُصبحوا تُلْفِيكم الأمة غداً صرعى بأثنا^(٤) هذا النهر ، وبأهضام^(٥)

هذا الغائط^(٦) ، على غير بينة من ربكم ، ولا سلطان مبین معكم ، وقد طوّحت

بكم الدار ، واحتبلكم^(٧) المقدار .

[١] النهروان : بليدة بالقرب من بغداد ، نحو أربعة فراسخ . [٢] من ذلك أنهم لقوا عبد الله ابن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه امرأته وهي حبلى بتمّ (أى دنا ولادها) فقالوا : ماتقول في أئى بكر وصهر ؟ فأثنى عليهما خيراً ، قالوا : ماتقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها ؟ قال : إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل الحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم وأشده توقياً على دينه وأنفذ بصيرة ، فقالوا : إنك تتبع الهوى ، وتوالى الرجال على أسمائها ، لا على أفعالها ، ثم قرّبوه إلى شاطئ النهر فذبّحوه ، وسال دمه في الماء ، وبقرّوا بطن امرأته ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا أم سنان الصيداوية ، وأصابوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : احفظوا ذمة بئبكم ، وأرسل إليهم قلى رسولاً ينظر فيما بلغه عنهم فقتلوه ، فبعث إليهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم بقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعلّ الله يقب قلوبكم ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه ، فقالوا كلما قتلهم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءكم . [٣] الطيش . [٤] جمع نبي بالكسر أى منعطافاته . [٥] جمع هضم (بالفتح وبكسر) وهو المطمئن من الأرض . [٦] الغائط المطمئن الواسع من الأرض . [٧] أوقعكم في الحباله .

ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومة ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن^(١) ومكيدة لكم ؟ ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وأنى أعرف بهم منكم ؟ (عرفتهم أطفالا ورجالا ، فهم أهل المكر والغدر) وأنكم إن فارقتهم رأيي جانبتم الحزم ؟ فعصيتمونى وأكرهتمونى حتى حكمت ، فلما أن فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكّمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميّتا ، مأمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنَبَذْنَا أمرهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ، ومن أين أتيتهم ؟ .

قالوا : « إنا حكّمنا ، فلما حكمنا أئمتنا ، وكنا بذلك كافرين ، وقد تبنا . فإن ثبت كما تبنا ، فنحن منك ومعك ، وإن أيدت فاعتزنا ، فإننا منا بذوك على سواء^(٢) » إن الله لا يحب الخائنين .

فقال على : « أصابكم حاصب^(٣) ، ولا بقى منكم وابر^(٤) ، أبعد إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجرتي معه ، وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين ، فأوبوا شرّ مآب^(٥) ،

[١] دهن الرجل إذا نافع . [٢] هو من قوله تعالى « وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » ومعناه إذا هادنت قوما فعلت منهم النقض للعهد ، فلا توقع بهم ساءة إلى النقض حتى تدلهم أنك نقضت العهد ، فتكونوا فى علم النقض مستترون لئلا يتهموك بالغدر ، ثم أوقع بهم . [٣] الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء (الحصى) ، وحصبه : رماء الحصباء . [٤] أى أحد ويروى آبر ، وهو الذى يأبر النخل أى يصلبه ، ويروى آثر ، وهو الذى يآثر الحديث أى يرويه ويحكىه ، ويروى آبز ، وهو الواهب . [٥] أى ارجعوا شرّ مرجع .

وارجعوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ^(١) أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيَفْظَعُ قَاطِعًا ،
وَأَثَرَةً^(٢) يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً »

٢٥٦ — صورة أخرى

وفي رواية أخرى أن عليًّا قال لأهل النهر :

« يا هؤلاء : إن أنفسكم قد سَوَّلت لكم فراقَ هذه الحكومة ، التي أنتم
ابتدأتموها وسألتموها^(٣) وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سَأَلُوا كموها مكيدة
وَدَهَنًا ، فأَيِّتُمْ عَلَى إِبَاءِ المخالفين المنابذين ، وعدلتم عنى عدول النُّكْدَاءِ^(٤)
العاصين ، حتى صرفتُ رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرُ أَخِفَاءِ الهَامِ^(٥) ،
سُفَهَاءِ الأحلام ، فلم آتِ (لا أبا لكم) بُجْرًا^(٦) ، ولا أردت بكم ضُرًّا ، والله
ما خَبَلْتُكُمْ^(٧) عن أموركم ، ولا أخفيت شيئًا من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم
عُشْوَةً^(٨) ، ولا دَنَيْتُ^(٩) لكم الضَّرَاءَ ، وإن كَانَ أمرنا لأمرِ المسلمين ظاهرًا ،
فأَجْمَعَ رأي مَلَئِكِي عَلَى أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن
ولا يَعْبُدُوا ، فتَاهَا^(١٠) وتركَا الحق وهما يُبْصِرَانِه ، وَكَانَ الجَوْرُ هَوَاهُمَا (وقد سَبَقَ
استِثْنَاؤُنَا عليهما في الحكم بالعدل) وَالصَّدُّ للحق بسوء رأيهما وجَوْرَ حكمهما ،

[١] الأعقاب جمع عقب (بكسر القاف) : وهو مؤخر القدم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :

« وَرُتِدْ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ » يدعو عليهم بانكاس حالهم وارتدادهم وعودهم من العز

إلى الذل . [٢] أى استبداداً عليكم باليأس والغنائم .

[٣] المراد : سألتوني أن أحيب إليها . [٤] رجل نكد (بكسر الكاف وفتحها وسكونها) وأنكد

أى عسر ، وقوم أنكاد وما كيد ، ولم أر فى كتب اللغة جمعه على نكداء . [٥] أخفاء : جمع خفيف

والهام : الرءوس ، وهو كناية عن قلة العقل . [٦] البجر : بالضم والفتح : الشر والأمر العظيم ،

ويروى حراما . [٧] منعتمكم وحبستكم . [٨] العشوة : مثلثة : ركوب الأمر على غير بيان ،

والفتح الطامة ، ويقال : أوطأه عشوة ، أى غرته وحملته على أن يركب أمراً غير مستبين الرشيد ، وربما

كان فيه عطبه . [٩] دناء وأدناه : قرّبه . [١٠] ضلا .

والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفنا سبيل الحق ، وأتينا بما لا يُعرف ، فيئتنا
لنا بماذا تستحلون قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ أن اختار الناس رجالين ^(١) أحل
لكم أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ، ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم ،
وتسفكون دماءهم ؟ إن هذا هو الخسران المبين ، والله لو قتلتم على هذا دجاجة
لعظم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام ؟ »

فنادوا لا تخاطبوه ولا تكلموهم ، وتهيئوا للقاء الرب ، الرّواح الرّواح إلى
الجنة ، فزحف عليهم على فأفناهم ، وقتل ابن وهب في المعركة ، ولم يُفْلِت منهم
إلا عشرة (وكان ذلك سنة ٣٧ ، وقيل سنة ٣٨ هـ) .

(تاريخ الطبري ٦ : ٤٧ ، والامامة والسياسة ١ : ١٠٩ ونهج الدلافة ١ : ٤٤ - ٥٤)

٢٥٧ — خطبة المستورد بن علفة

واجتمع بعد وقعة النهروان بالثخيلة جماعة من الخوارج ، ممن فارق عبد الله
ابن وهب ، وممن لجأ إلى راية أبي أيوب ^(٢) ، وممن كان أقام بالكوفة فقال :
لا أقاتل علياً ولا أقاتل معه ، فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم
أصحابهم ، فقام منهم قائم يقال له المستورد بن علفة من بني سعد بن زيد مناة ،
فحمّد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتانا بالعدل تحفّق راياته ، معلّناً مقاتلته ، مبلّغاً عن ربه ، ناصحاً لأمته ،

[١] همزة الاستفهام مقبرة قبل أن ، أي هل اختار الناس رجالين أحل لكم ذلك .

[٢] وذلك أن الإمام قبل أن يزحف عليهم في وقعة النهروان نصب لهم راية أمان مع أبي أيوب
الأنصاري ، فناداهم أبو أيوب : « من جاء هذه الراية منكم من لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف
منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن ، وخرج من هذه الجماعة فهو آمن ، إنه لا حاجة لنا بعد أن نصيب ثلثة
إخواننا منكم في سفك دماءكم » .

حتى قبضه الله مُخَيَّرًا مُخْتَارًا ، ثم قام الصديق فَصَدَقَ عَنْ نبيه ، وقاتل من ارتدَّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قرَن الصلاة بالزكاة ، فرأى أن تعطيل إحداها طَعْنٌ على الأخرى ، لابل على جميع منازل الدين ، ثم قبضه الله إليه موفوراً ، ثم قام الفاروق فَفَرَّقَ بين الحق والباطل ، مُسَوِّيًا بين الناس في إعطائه ، لا مُؤَثِّرًا لِأَقَارِبِهِ ، ولا مُحَكِّمًا في دين ربه ، وهأَنتم تعامون ما حدث ، والله يقول : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » فكلُّ أَجَابٍ وبائع^(١) .

(الكامل للبرد ٢ : ١٥٤)

خور أصحاب الامام وتقاعسهم عن نصرته

٢٥٨ — خطبة عبد الله بن عباس في أهل البصرة

ورأى الإمام على كَرَّمَ الله وجهه بعد فشل التحكيم أن يمضى لمناجزة معاوية وأهل الشام ، فكتب إلى عبد الله بن عباس — وكان على البصرة — أن يُشَخِّصَ^(٢) إليه مَنْ قَبْلَهُ مِنَ النَّاسِ ، فأمرهم ابن عباس بالشخص مع الأحنف ابن قيس ، فَشَخَّصَ معه مِنْهُمْ أَلْفَ وخمسمائة رجل ، فاستقلهم ابن عباس ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ : قد جاءني كتاب أمير المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتكم بالمسير إليه مع الأحنف بن قيس ، فلم يشَخَّصْ إليه مِنْكُمْ إِلَّا أَلْفَ وخمسمائة ، وأنتم

[١] وقد وجه إليهم الإمام على ، عبد الله بن عباس داعياً فابوا ، فسار إليهم فطعنهم جميعاً لم يفلت منهم إلا خمسة منهم المستورد . [٢] شخص كنع شخصاً : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصته أنا .

في الديوان^(١) ستون ألفاً، سوى أبنائكم وعبيدكم^(٢) ومواليكم ، ألا فانقروا^(٣) ، ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلاً ، فإنني موقّع بكل من وجدته تخلف عن دعوته ، عاصياً لإمامه ، حزيناً يعقّب ندماً ، وقد أمرت أبا الأسود بحشدكم ، فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه إلا نفسه .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٠٦ ، تاريخ الطبري ٦ : ٤٤)

٢٥٩ — خطبة الامام وقد أراد الانصراف من النهروان

ولما أراد الإمام الانصراف من النهروان ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه

ثم قال :

« أما بعد ، فإن الله قد أحسن بلاءكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى معاوية وأشياعه القاسطين ، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

٣٦٠ — مقال الأشعث بن قيس

فقام الأشعث بن قيس فقال :

« يا أمير المؤمنين : نقدت نبأنا ، وكلت سيوفنا ، ونصّلت^(٤) أسنة رماحنا

[١] الديوان : الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل المطاع ، وهو عارسي معرب . قال القافشندي في صبح الأعشى ١ : ٩٠ « وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين : أحدهما أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم ، وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجاين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ، ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقل ديوان ، والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحذقهم بالأمور ، ووقوفهم على الجلي منها والحق » اهـ ، ومنه ترى أن الديوان كان يطلق في الفارسية على موضع الكتاب الحاسبين وعلى جماعة الكتاب ، وقد أطلق في العربية على جريدة الحساب ، ثم أطلق على الحساب ، ثم على موضع الحساب ، ثم على طائفة الكتاب ، وكان ذلك عهد في عصر الدولة العباسية ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أوّل من دوّن الدواوين في العرب سنة ٢٣ أي رتب الجرائد للعمال ورجال الجيش فيها أسماءهم ومراتبهم في النسب وأرزاقهم (انظر تاريخ الطبري ٥ : ٢٣) . [٢] جمع عبد .

[٣] نمر إلى الشيء : أمرع إليه . [٤] سقطت .

وعادَ أَكْثَرُهَا قَصِيداً^(١) فارجع بنا إلى مصرنا ، فَلَنَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا ، وَلَعَلَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عَدَدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا ، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُونَا .
فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِالنُّخَيْلَةِ^(٢) ، ثُمَّ دَخَلَ الْكُوفَةَ .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٨ ،
وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩)

٢٦١ — خطبة الإمام بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج
يستنفر الناس لقتال معاوية

وخطب الناس بالكوفة بعد قدومه من حرب الخوارج فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِقِتَالِ عَدُوِّ ، فِي جِهَادِهِمُ الْقُرْبَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَدَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ ، قَوْمٌ حَيَارَى عَنْ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، مُوزَعِينَ^(٣) بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ
لَا يَعْدِلُونَ بِهِ ، جُفَاقَ عَنِ الْكِتَابِ ، نُكُوبٌ^(٤) عَنِ الدِّينِ ، يَعْمَهُونَ^(٥) فِي الطُّغْيَانِ
وَيَتَسَكَّمُونَ^(٦) فِي غَمْرَةِ الضَّلَالِ ، فَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
رِبَاطٍ^(٧) الْخَيْلِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا »

فَمَا نَفَرُوا وَلَا تَيَسَّرُوا ، فَتَرَكَهُمْ أَيَّامًا حَتَّى إِذَا أَيْسَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا دَعَا
رُؤَسَاءَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ ، وَمَا الَّذِي يُنْظِرُهُمْ^(٨) ، فَفَنَهِمُ الْمَعْتَلَّ ،
وَمِنْهُمْ الْمُتَكَرِّهُ ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ نَشِطَ ، فَقَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا فَقَالَ :

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٧٩ ، والإمامة والسياسة ١ : ١١٠ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٥١)

[١] رمح : قصد ، وفصيد ، وأقصَاد أى متكرر . [٢] وعسكر بها حين نزلها ، وأمر الناس أن
يلزموا معه معسكرهم ، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقولوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسـيروا إلى
عدوهم من أهل الشام . فجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة ، حتى تركوه وما معه إلا نفر من وجوه الناس
يسير ، وبقي المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ، فلما رأى ذلك دخل
الكوفة . [٣] أوزعه بالشئ : أغراه فأوزع به بالضم . [٤] من نكب عن الطريق : أى
عدل ومال . [٥] من العمه (محركة) : وهو التحير والتردد في الضلال . [٦] تسكع : مشى
مشياً متعسفاً ، وتحير . [٧] اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ، فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به
كالمرباطة أو جمع رباط فعمل بمعنى مفعول . [٨] يؤخرهم .

٢٦٢ - خطبة له أيضا في استنفارهم لقتال معاوية

« عباد الله : ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا في سبيل الله اثنا قلتكم ^(١) إلى الأرض ! أرَضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة بَدَلًا ، وبالدنل والهوان من العز خلفًا ؟ أو كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم ، كأ نكم من الموت في سكرة ، وكأن قلوبكم مألوسة ^(٢) فأنتم لا تعقلون ، وكأن أبصاركم كمه ^(٣) فأنتم لا تبصرون ، لله أنتم ! ما أنتم إلا أسود الشرى ^(٤) في الدعة ^(٥) ، وثمان رَوَاغة حين تدعون إلى البأس ! ما أنتم لى بثقة سَجِيسَ الليالى ^(٦) ، ما أنتم بركب يُصَال بكم ، ولا ذى عز يُعْتَصَم إليه ، لعمر الله لبئس حُشَّاشُ ^(٧) الحرب أنتم ، إنكم تُسكادون ولا تَكِيدُونَ ، وثنتَقَصُ أطرافكم ولا تتحاشون ^(٨) ، ولا يُنامُ عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ، إن أخا الحرب اليقظان ذو العقل ، وبات لذلِّ مَنْ وَاَدَعَ ، وغلب المتخاذلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب ، ثم قال :

« أما بعد : فإن لى عليكم حقًا ، وإن لكم على حقًا ، فأما حقُّكم على فالنصيحة لكم ما صحتكم ، وتوفيرُ فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنُصْح لى فى الغيبِ والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يُردِ الله بكم خيرًا تنزعوا عَمَّا أكره ، وترجعوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون وتدرِكوا ما تأملون .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٥١ ، الإمامة والسياسة ١ : ١١٠)

[١] ثاقلم . [٢] من الأس : كشمس ، وهو الجنون واختلاط العقل ، أس (كفى) فهو مألوس . [٣] كبه : جمع أكه . نكه بصره (كفرح) اعترته ظلمة تطمس عليه . [٤] الشرى : موضع تنسب إليه الأسود ، قيل هو شرى الفرات وناحيته وبه عياض وآجام ومأسدة . [٥] أى فى وقت الدعة والخفض . [٦] يقال : لا آتيك سَجِيسَ الليالى : أى أبدأ . [٧] جمع حاشٍ اسم فاعل من حشَّ النار : أى أوقدها [٨] أى ولا يتبعدون عن ذلك وتلافونه بالدفاع عنها من حاشية الشئ وهى ناحيته كما تقول تنحى عنه : أى تباعد عنه من الناحية .

وروى الشريف الرضى هذه الخطبة في نهج البلاغة بصورة أخرى وهي :

٢٦٣ - صورة أخرى

«أَفَّ لَكُمْ ، لَقَدْ سَمِّيتُ عِتَابَكُمْ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضًا ،
وَبِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا ؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ
فِي غَمْرَةٍ ^(١) ، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ ، يُرْتَجَجُ ^(٢) عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ ! فَكَأَنَّ
قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي ، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ
يُمَالُ بِكُمْ ^(٣) ، وَلَا زَوَافِرٍ ^(٤) عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبِلٍ ضَلَّ رُعَايَهَا ،
فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ ، لَبِئْسَ لِعَمْرِ اللَّهِ سَعَرٌ ^(٥) نَارِ الْحَرْبِ
أَنْتُمْ ، تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ ، وَتُنْتَقِصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَتَمَعِّضُونَ ^(٦) ، لَا يُنَامُ
عِنَكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ ، غُلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ ، وَآيَمُ اللَّهِ إِنِّي لِأُظَنُّ بِكُمْ أَنْ
لَوْ حَمَسَ ^(٧) الْوَغَى ، وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ ، قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، انْفِرَاجَ
الرَّأْسِ ^(٨) ، وَاللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ ^(٩) لَحْمَهُ ، وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ،
وَيَفْرِى ^(١٠) جِلْدَهُ ، لِعَظِيمِ تَعْجِزِهِ ، ضَعِيفِ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ، أَنْتَ
فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ^(١١) فَأَمَّا أَنَا : فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطَى ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيَّةِ ^(١٢)
تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ ^(١٣) الْهَامِ ، وَتَطِيحُ السُّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

[١] الغمرة : الشدة . [٢] يغلق ، والحوار : المحاوره . [٣] أى يستند إليكم ويمال على
العدو بقوتكم . [٤] جمع زامرة ، والزامرة من البناء ركنه ، ومن الرجل هشيرته .
[٥] من سحر النار والحرب : كنع أوقدها مصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو هو جمع ساعر ، كقولهم : قوم
كظم للنيظ جمع كظم . [٦] أى فلا تمعضون . [٧] اشتد ، وكذا استعر ، وأصل الوغى :
الصوت والجلبة ، ثم سميت الحرب وغى لما فيها من الأصوات والجلبة . [٨] أى انفراجا لا الشام بعده .
[٩] عرق العظم عرقا : أكل ما عليه من اللحم ، كتعرقه . [١٠] يمزق . [١١] الخطاب عام
لكل من أمكن عده من نفسه . [١٢] السيوف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى من أرض
العرب تدنو من الرّيف . [١٣] عظامها الرقيقة .

أيها الناس : إن لي عليكم حقاً ، ولكم عليّ حقٌ ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفيرُ فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم . (نهج البلاعة ١ : ٤٢)

· وزاد ابن قتيبة في الإمامة والسياسة :

« والله يا أهل العراق ، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين ^(١) عليكم ، فقالوا : « أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال :

« نعم والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، إنني أرى أمورهم قد علّت ، وأرى أموركم قد خبّت ^(٢) ، وأراهم جادين في باطلهم ، وأراكم وانين ^(٣) في حقكم ، وأراهم مجتمعين ، وأراكم متفرقين ، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين ، وأراكم لي عاصين ، أما والله لئن ظهرُوا عليكم بعدى ، لتجدنهم أربابَ سوء ، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم ، وحملوا إلى بلادهم منكم ، وكأني أنظر إليكم تكشون ^(٤) كشيش الضباب ، لا تأخذون لله حقاً ، ولا تمنعون له حرمة ، وكأني أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم ، ويخيفون علماءكم ، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحجبونكم ، ويدنون الناس دونكم ، فلو قد رأيتم الحرمان ، واقبتم الذل والهوان ، ووقع السيف ، ونزل الخوف ، لنديمتم وتحسرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم ، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية ، حين لا ينفعكم التذكار » .

[١] منتصرين . [٢] من خبت النار ، أى سكنت وانطفأت .

[٣] من ونى إذا فتر وضعف . [٤] كشّ الصب كشياً : صوت

٢٦٤ — خطبة أبي أيوب الأنصاري

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال :

« إن أمير المؤمنين - أكرمهم الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية ، وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها ، حيث نزل بين أظهركم ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده ، يُفَقِّهْكُمْ في الدين ويدعوكم إلى جهاد المُحِلِّين ، فوالله لكأنكم صُمُّون لا تسمعون ، وقلوبُكم غُلْفٌ ^(١) مطبوعٌ عليها ، فلا تستجيبون ، عباد الله أليس إنما عهدُكم بالجور والعدوان أمس ، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام ، فذو حق محرومٌ مشتومٌ عريضه ، ومضروب ظهره ، وملطوم وجهه ، وموطوء بطنه ، ومُلَقًى بالعرَاء ^(٢) ، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدعَ بالحق ، ونشَرَ العدل ، وعَمِلَ بالكتاب ، فاشكروا نعمة الله عليكم ، ولا تتولَّوا مُجْرِمِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، اشحذوا السيوف ، وجددوا آلة الحرب ، واستعدوا للجهاد ، فإذا دُعِيتُمْ فأجبوا ، وإذا أمرتم فأطيعوا ، تكونوا بذلك من الصادقين » .

(الإمامة والسياسة ١ : ١١٢)

٢٦٥ — خطبة الإمام وقد أغار النعمان بن بشير على التمر

وفي سنة ٣٩ هـ فرق معاوية جيوشه في أطراف على ، فبعث النعمان ابن بشير الأنصاري في ألفين ، فأتوا عين التمر ^(٣) فأغاروا عليها ، وبها عامل

[١] جمع أغلف ، وقلب أغلف كأنما غمى غلافا فهو لا يمي . [٢] العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشيء . [٣] بلد على الفرات شمالى الكوفة .

لعلّى في ثلثمائة ، فكتب إلى عليّ يستمده ، فأمر الناس أن ينهضوا إليه فتشاقلوا ، فصعد المنبر فتشهد ثم قال :

« يا أهل الكوفة : كلما سمعتم بِمَنْسِرٍ ^(١) من مناسر أهل الشام أظلكم ، انْجَحَر ^(٢) كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابَه ، انْجَحَرَ الضَّبُّ في جُحْرِهِ ، والضَّبُعُ في وِجَارِهَا ^(٣) ، المغرور من غرَرْتَمَوْه ، وَلَمْ يَنْ فَازْ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ ، لا أحرارٌ عند الهداء ، ولا إخوانٌ ثقةٌ عند النِّجَاءِ ^(٤) ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنِيتَ به منكم ؟ عُمِّي لا تبصرون ، وَبُكْمٌ لا تنطقون ، وَضُمٌّ لا تسمعون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٧٧)

وروى الشريف الرضى في نهج البلاغة هذه الخطبة بصورة أخرى وهى :

٢٦٦ - صورة أخرى

مُنِيتَ ^(٥) بمن لا يُطِيع إذا أمرتُ ، ولا يجيبُ إذا دعوتُ ! لا أبا لكم ، ما تنتظرون بنصركم رَبِّكُمْ ؟ أَمَا دِينُ يَجْمَعُكُمْ ، ولا حِمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ ^(٦) ؟ أقوم فيكم مُسْتَضْرِحًا ، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا ^(٧) ، فلا تسمعون لى قولاً ، ولا تُطِيعون لى أمراً ، حتى تَكْشِفَ الأمور عن عواقب المساءة ؟ فما يُدْرِكُ بكم ثأر ، ولا يُبْلِغُ بكم مَرَامٌ ؟ دَعَوْتُكُمْ إلى نصر إخوانكم ، فَجَرَّجَرْتُمْ ^(٨) جَرَّجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرَ ^(٩) وتشاقلتم

[١] المنسر : قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير . [٢] من انْجَحَرَ العَب : أى دخل جحره .

[٣] الوحار بالكسر والفتح : جحر الضبع وغيرها . [٤] النجاء : السرعة في السير ، نجات

نجات أى أسرع وتسبق ، وقالوا : النجاء النجاء ، والنجاء النجاء فدوا وقصروا . [٥] بليت .

[٦] تعضبكم . [٧] فائلا واغوثا . [٨] الجرجرة : صوت يردده البعير في حنجرتة ،

وأكثر ما يكون ذلك عند الاعياء والتعب . [٩] المصاب بداء السرر (بالتحريك) ، وهو وجع في

الكركرة (رضى زور البعير) .

تثاقُلَ النَّضْوُ ^(١) الْأَذْبَرَ ، ثم خرج إلى منكم جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ^(٢) ضَعِيفٌ ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .
(نهج البلاغة ١ : ٤٦)

٢٦٧ — خطبة الامام وقد أغار الضحّاك بن قيس على الحيرة ^(٣)

ووجه معاوية الضحّاك بن قيس فأغار على الحيرة وغنم من أموال أهلها ، وبلغ ذلك علماً فاستصرخ الناس ، فتقاعدوا عنه ، فقام فيهم خطيباً فقال :
« أيها النَّاسُ المجتمعةُ أبدانهم ، المختلفةُ أهواؤهم ، كلامُكم يُوهي الضَّمُّ ^(٤) الصَّلَابُ ، وفعلكم يُطْمِعُ فيكم الأعداءُ ، تقولون في المجالس كَيْتَ وَكَيْتَ ^(٥) ، فإذا جاء القتال قلتُم حَيْدِي حَيَادٍ ^(٦) ، ما عَزَّتْ دعوةٌ من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليلُ بأضاليلٍ ^(٧) ، دفاعُ ذِي الدِّينِ المَطُولِ ^(٨) ، هيهات لا يمنع الضيمُ الدليلُ ، ولا يُدْرِكُ الحقُّ إلا بِالْجِدِّ ، أَيُّ دارٍ بعد داركم تمنعون ؟ ومع أَيِّ إمامٍ بعدى تقاتلون ؟ المغرورُ والله مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ ، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأَخِيبَ ، ومن رَمَى بكم فقد رمى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ ^(٩) ، أصبحتُ والله لأصدق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أُوْعِدُ العدوَّ بكم ، ما بَالُكم ؟ ما دواؤُكم ؟

[١] النضو : البعير المهزول ، والأذبر : المدبور أى الجروح . [٢] جنيد : تصغير جند ، ومتذائب : أى مضطرب من قولهم : تذاببت الرياح ، أى اضطرب هبوبها ، ومنه سمي الذئب ذئباً لاضطراب مشيته . [٣] شمالى الكوفة . [٤] يوهى : يشق ويحرق ، والضَّمُّ : جمع أصمّ ، وهو الحبر الصلب المصمت . [٥] بفتح آخرهما ويكسر : أى كذا وكذا . [٦] حيدى حياذ : كلمة يقولها الهارب الهارب ، من حاد حيدانا بمعنى مال وانحرف ، أى ابعدى وتنحى عني أيّتها الحرب ، وهى نظيره قولهم (يبحى فياح) أى اتسمى . [٧] الأضاليل : جمع أصولة بالضم ، وهى الضلال ، وفى كتب اللغة : العلالة « (بالضم) والتعلة (كتحية) ، والعلة (بالفتح) ما يتعلل به » ولم أجد فيها كلمة أعاليل ولا مفرداً ، ولابد أن تكون جمع أصولة بالضم : كأضاليل وأعاجيب والأعيب . الخ ، والمعنى إن أقوالكم هذه تمل بأباطيل لاجدوى لها . [٨] مبالغة فى ماطل . [٩] سهم أنوف مكسور الفوق (بضم الفاء) والفوق : مدخل الوتر من السهم ، والناصل : العارى عن النصل .

ما طِبُّكُمْ؟ القومُ رجالٌ أمثالكم ! أقولُ لا بغير علم ، وغفلةً من غير ورع ، وطمعاً في غير حق ! »

وزاد ابن قُتَيْبَةَ في الإمامة والسياسة :

« فرَّقَ الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من خيرٍ لي منكم ، وأعقبكم بعدي من شرٍّ لكم مني ، أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيلاً قاتلاً ، وأثرةً يتخذها الظالمون بعدي فيكم سنةً ، تفرِّقُ جماعتكم ، وتبكي عيونكم وتدخلُ الفقر بيوتكم ، تمنَّونَ والله عندها أن لو رأيتُموني ونصرتُموني ، وستعرفون ما أقول لكم عمماً قليل .

استنفرتكم فلم تنفروا ! ونصحتُ لكم فلم تقبلوا ! وأسمعتكم فلم تعوا ! فأنتم شهود كأغياب ، وصُمُّ ذوو أسماع ، أتلو عليكم الحكمة ، وأعظمكم بالموعة النافعة ، وأحثكم على جهاد المُحِلِّين ^(١) ، الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولي ، حتى أراكم متفرقين ، وإذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً ^(٢) عزيز ^(٣) ، تضربون الأمثال ، وتناشدون الأشعار ، تربت ^(٤) أيديكم ، وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها ، وشغلتُموها بالأباطيل والأضاليل . »

(نهج البلاغة ١ : ٣٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١١١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٦)

٢٦٨ — خطبة الامام

وقد أغار سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار

ووجه معاوية سُفْيَان بن عَوْف الغامذي في جيش ، فأغاروا على الأنبار ^(٥)

[١] أي الذين خرجوا على إمامهم واستحلوا قتاله . [٢] الحلق : بحركة جمع حلقة (سكون اللام) وحلقة القوم : الذين يجمعون مستديرين . [٣] جمع عزة (بالكسر) : وهي الطائفة من الناس . [٤] دعاء عليهم : أي خسرتهم ولا أصابتم خيراً ، وأصله من ترب الرجل : أي افتقر كأنه لصق بالتراب . [٥] بلد على الفرات .

وَقَتَلُوا عَامِلَ عَلَىٰ عَلَيْهَا وَهُوَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ الْبَكْرِي ، وَاحْتَمَلُوا مَا كَانَ فِي
الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِ أَهْلِهَا ، وَانْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى عَلِيٍّ نَفْرَجَ مُغْضَبًا ، حَتَّى أَتَى
النَّخِيلَةَ ، وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَقِيَ رِبَاوَةَ ^(١) مِنَ الْأَرْضِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى
عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لَخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ،
وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ ^(٢) الْوَثِيقَةُ ، فَمَنْ تَرَكَ رَغْبَةً
عَنْهُ ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذِّلِّ ، وَشَمَلَهُ الْبَلَاءُ ، وَدُيِّثَ ^(٣) بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ ^(٤) ،
وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ ^(٥) ، وَأَدِيلَ ^(٦) الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسِيمَ
الْحَسَفِ ^(٧) ، وَمُنِعَ النِّصْفَ ^(٨) ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
أَيَّامًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غَزَى
قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ ^(٩) دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا ، فَتَخَذَلْتُمْ وَتَوَاكَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي ،
وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ، حَتَّى شُدَّتْ ^(١٠) عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ ، وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ
الْأَوْطَانَ ، هَذَا أَخُو غَامِدٍ ^(١١) قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانٍ
الْبَكْرِي ، وَرَجُلًا مِنْهُمْ كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاحِلِهَا ^(١٢) .

[١] الرِّبَاوَةُ وَالرِّبَاوَةُ مَثَلَتَيْنِ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ . [٢] وَفَاتِهِ . [٣] ذَلٌّ ، وَأَصْلُهُ مِنْ
دَاثَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ بَاعٍ لِأَنَّ وَسْطَهُ وَمِنْهُ الدِّيُوثُ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا غَيْرَةَ لَهُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّغَارُ : الذِّلُّ .
[٤] قَمَاءٌ : كَجَمْعٍ وَكَرَمٍ ، قِوَاءٌ : ذَلٌّ وَصَعْرٌ . [٥] هَكَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ مِنْ أَهْلِ السَّهْبِ بِالْفُصْحِ
أَيَّ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : (طَبِيعُ الشَّامِ) بِالْأَسَدَادِ . [٦] مِنْ أَدَالِهِ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، أَيْ
نَصَرَهُ عَلَيْهِ ، وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ « بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ » السَّبِيحَةُ . [٧] أَيْ أَوَّلَى الذِّلِّ وَالضَّيْمِ ، وَفِي رِوَايَةِ
الْمُبَرَّدِ « وَسَيَمَى الْحَسَفَ » بِالْإِضَافَةِ ، وَالسَّيْمِيُّ : الْعَلَامَةُ قَالَ الْمُبَرَّدُ : هَكَذَا حَدَّثُونَا وَأُظْهِرَ سَيَمُ الْحَسَفِ
مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ « يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » [٨] النِّصْفُ بِالْكَسْرِ وَبِثَنَاتٍ ، وَالنِّصْفُ
وَالنِّصْفَةُ مُحَرَّكَيْنِ الْإِضَافَةِ . [٩] وَسَطُهَا وَأَصْلُهَا . [١٠] شَنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ : صَبَّهَا مِنْ كُلِّ
وَحَةٍ ، مِنْ شَنَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ إِذَا صَبَّهُ . [١١] يَرِيدُ سَفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ الْغَامِدِيَّ فَائِدَ الْحَمَلَةِ عَلَى الْأَنْبَارِ .
[١٢] جَمْعُ مُسَلِّحَةٍ بِالْفَتْحِ : وَهِيَ الثَّغَرُ

والذى نفسى بيده ، لقد بلغنى أنه كان يُدْخَل على المرأة المسلمة ، والأخرى
المُعَاهَدَة^(١) ، فَيُتَزَعُ حِجْلُهَا^(٢) وَقُلُوبُهَا^(٣) ، وَقَلَانُهَا وَرُغْمُهَا^(٤) ، مَا تَمْتَنَعُ مِنْهُ إِلَّا
بِالِاسْتِرْجَاعِ^(٥) وَالِاسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(٦) ، مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ^(٧) ،
وَلَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ دُونَ هَذَا أَسْفًا ، مَا كَانَ عِنْدِي فِيهِ
مَلُومًا ، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا .

يَا عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ ! عَجَبٌ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَشْغَلُ الْفَهْمَ ، وَيُكْثِرُ الْأَحْزَانَ !
مَنْ تَضَافُرَ^(٨) هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَفَشَلِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، حَتَّى أَصْبَحْتُمْ^(٩)
غَرَضًا تُرْمَوْنَ وَلَا تَرْمُونَ ، وَيُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ ، وَيُعَصَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيكُمْ وَتَرْضَوْنَ ، إِذَا قُلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الشِّتَاءِ ، قُلْتُمْ هَذَا أَوْانَ قُرْ^(١٠) وَصِرَ ،
وَإِنْ قُلْتَ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فِي الصَّيْفِ ، قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ^(١١) الْقَيْظِ ، أَنْظِرْنَا^(١٢)
يَنْصَرِمِ الْحَرَعْنَا ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ تَفْرُونَ ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ
أَقْرُ ! يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالِ ! وَيَا طَعَامَ^(١٣) الْأَحْلَامِ ! وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ

[١] المُعَاهَدَة : ذات العهد ، وهى الذمية . [٢] الحجل بالكسر والفتح : الحلحال ، وسمى القيد
حجلًا لأنه يكون مكان الحلحال . [٣] القلب : سوار المرأة . [٤] الرغمة بالفتح : القرط ، والجمع
رغمت بالكسر ، وجمع الجمع رعت بصمتين . [٥] قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .
[٦] أى تأمين ، وفى رواية المبرد : « موورين » أى لم يبل أحدا منهم بأن يروا فى بدن ولا مال .
[٧] جرح . [٨] تعاوان وتناصر . [٩] وفى رواية نهج البلاعة : « نهباً لكم وترحاً
حين صرتم غرضاً يرمى » وزادت رواية الجلاحظ بعد ذلك : « وفيما ينهب » ، والترج : محركة الهم ،
والعرض : الهدف . [١٠] انقر مثلاً القاف : البرد ، والصر : شدة البرد ، وفى النهج : « وإذا
أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء ، قلم هذه صبارة انقر » أهملنا : ينسلخ عنا البرد « وصبارة الشتاء بتشديد
الراء : شدة برده . [١١] شدة الحر . [١٢] أى أهملنا حتى ينسلخ الحر ، وفى رواية النهج :
« أهملنا يسخ عنا الحر » بتشديد الباء المفتوحة أى يخف ويسكن ، وكل من خفف عنه شيء فقد سبغ عنه ،
ومنه قولهم : اللهم نسح عنى الحمى : أى خففها . [١٣] أوغاد الناس ومن لا عقل له ولا معرفة عنده ،
والأحلام العقول : جمع حلم بالكسر ، ويجمع أيضاً على حلوم ، وفى رواية النهج : « حلوم الأطفال » .

الحِجَال^(١) ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُرْكَم وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ ، مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَمًا ، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا^(٢) ! قَاتِلْكُمْ اللَّهُ ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا^(٣) ، وَشَحْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا ، وَجَرَّ عِظْمُوْنِي نَغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا^(٤) ، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَالْخِذْلَانِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قَرِيْشٌ : إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ فِي الْحَرْبِ ! اللَّهُ دَرُّهُمْ^(٥) ! وَمَنْ ذَا يَكُونُ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي ، أَوْ أَشَدَّ لَهَا مِرَاسًا ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتَ الْعَشْرِينَ ، وَلَقَدْ نَيْفْتُ^(٦) الْيَوْمَ عَلَى السَّيْنِ ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ (يَقُولُهَا ثَلَاثًا) .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَمَعَهُ أَخُوهُ^(٧) فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَأَخِي هَذَا ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (رَبِّ إِنِّي لَا أُمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي) فَفَرُّنَا بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ ، وَلَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ جَمْرُ الْغَضَا^(٨) ، وَشَوْكُ الْقِتَادِ^(٩) » فَدَعَا لهُمَا بِخَيْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لهُمَا : « وَأَيْنَ تَقْعَانِ مِمَّا أَرِيدُ ؟ » ثُمَّ نَزَلَ .

(نهج البلاعة ١ : ٣٥ ، الكامل للبرد ١ : ١١ ، البيان والنبأ ٢ : ٢٥ ، والأغانى ١٥ : ٤٣)

- [١] الحِجَال : جمع حجلة بالتحريك ، وهى الفبة ، وموضع يزين بالستور والثياب للعروس — كناية عن الدماء . [٢] السدم : الهم ، أو مع ندم ، أو غيط مع حزن . [٣] القَيْح : ما يكون فى القرحة من صديدها ، وشحتم : ملأتم ، وفى رواية الكامل : « ولقد ملأتم جوفى غيظاً » . [٤] النغب : جمع نغبة بالفتح والضم ، وهى الجرعة ، والتهام : الهم ، وأنفاساً أى جرعة بعد جرعة ، يقال : اكرع فى الإبناء نفسين أو ثلاثة . [٥] لله درّه : أى صله ، والدرّ أيضاً : اللبن ، أى لله الذى رضعه ، وهو تعجب أريد به التكلم ، وفى رواية النهج : « لله أبوه » ! [٦] نيفت : زدت ، ورواية النهج : « وهأنذا قد ذرّفت على السنين » أى زدت أيضاً . [٧] الرجل وأخوه : يعرفان بابنى عفيف من الأنصار . [٨] شجر جره يبقى طويلا . [٩] شجر صلب له شوك كالإبر .

٢٦٩ — خطبة للحسن بن علي في يوم الجمعة

اعتل الإمام علي كرم الله وجهه يوماً ، فأمر ابنه الحسن رضي الله عنه أن يصلي بالناس يوم الجمعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا يَنْتَقِصُ من حقنا أهل البيت أحدٌ ، إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولةٌ ، إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتَعْلَمَنَّ نبأه بعد حين » .
 (مروح الذهب ٢ : ٥٣)

٢٧٠ — خطبة معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر

ولما نَمَى إلى معاوية هلاك الأشتر النخعي^(١) ، قام في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
 « أما بعد : فإنه كانت لعلی بن أبي طالب يدان يمينان ، قُطِعَتْ إحداها يوم صفين (يعني عمار بن ياسر) ، وقُطِعَتْ الأخرى اليوم (يعني الأشتر) » .
 (تاريخ الطبری ٦ : ٥٤)

[١] هو مالك بن الحارث بن عبد يعوث النخعي توفي سنة ٣٨ هـ . روى المؤرخون أنه مات مسوياً سمه معاوية ، وذلك أن الأمام علياً كان قد ولي على مصر محمد بن أبي بكر فهدت عليه ، وخرحت عليه بها خوارج ، فبعث إليها الأشتر وأتت معارضة عيونه فأخبروه بولاية الأشتر ، فعظم ذلك عليه ، وقد كان طمع في مصر ، فعلم أنه إن قدمها كان أشد عليه من ابن أبي بكر ، فبعث إلى الجايستار (رجل من أهل الحراج) ، فقال له إن الأشتر قد ولي مصر ، فإن أنت كفيته لم آخذ منك خراجاً ما بقيت ، (وقيل قال له أترك خراجك عشرين سنة) فاحتل له بما قدرت عليه ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار ، فقال : هذا منزل وهذا طعام وعلف ، وأنا رجل من أهل الحراج ، فذل به الأشتر ، وسأل الدهقان أبي الطعام والشراب أحب إليه ؟ قيل العسل ، فأهدى له عسلاً قد جعل فيه سماً وقال : إن من شأنه كذا وكذا ، فتناول منه شربة ، فما استقرت في جوفه حتى تاف ، وأتى من كان معه على الدهقان ومن معه ، فبلغ ذلك علياً ، فقال : « للبدن والفم » وبلغ معاوية ، فقال : « إن لله جنوداً منها العسل » .

فتنة البصرة

تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله

لما قُتل محمد بن أبي بكر بمصر وظهر معاوية عليها (سنة ٣٨ هـ) دعا عبد الله ابن عامر الحضرمي ، فقال له : « سِرْ إِلَى البصرة فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا يَرُونَ رَأْيَنَا فِي عُثْمَانَ ، وَيُعْطِمُونَ قَتْلَهُ ، وَقَدْ قُتِلُوا فِي الطَّلَب بِدَمِهِ ، فَهُمْ مَوْتُورُونَ حَنَّةً وَلَمَّا أَصَابَهُمْ ، وَدُّوا لَوْ يَجِدُونَ مَنْ يَدْعُوهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ ، وَيَنْهَضُ بِهِمْ فِي الطَّلَب بِدَمِ عُثْمَانَ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَمَرَهُ إِذَا قَدِمَ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ^(١) ، فَضَى حَتَّى نَزَلَ البصرة فِي بَنِي تَيْمٍ ، فَسَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلَ البصرة ، فَجَاءَهُ كُلُّ مَنْ يَرَى رَأْيَ عُثْمَانَ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالُ أَهْلِهَا .

٢٧١ — خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ : فَإِنَّ إِمَامَكُمْ إِمَامَ الْهُدَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، قَتَلَهُ عَلَىَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ظُلْمًا ، فَطَلَبْتُمْ بِدَمِهِ ، وَقَاتَلْتُمْ مَنْ قَتَلَهُ ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ خَيْرًا ، وَقَدْ أُصِيبَ مِنْكُمْ الْمَلَأُ الْأَخْيَارُ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ اللَّهُ بِإِخْوَانٍ لَكُمْ ، لَهُمْ بَأْسٌ مُيَقَّنٌ ، وَعَدَدٌ لَا يُخْصَى ، فَلَقُّوا عَدُوَكُمْ الَّذِينَ قَتَلُوكُمْ ، فَبَلَّغُوا الْغَايَةَ الَّتِي أَرَادُوا

[١] وَكَانَ الَّذِي سَدَّدَ لِمَعَاوِيَةِ رَأْيَهُ فِي تَسْرِيحِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ كِتَابَ كُتَيْبٍ إِلَى عَبْدِ عَاسِ بْنِ صَحَّارِ الْعَبْدِيِّ ، وَفِيهِ : « أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ بَلَّغْنَا وَقَعَتَكَ بِأَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ بَعَا عَلَى إِمَامِهِمْ ، وَقَتَلُوا خَلِيفَتَهُمْ طَمَعًا وَبَغْيًا ، فَفَرَّتْ بِذَلِكَ الْعِيُونَ ، وَشَفِيتْ بِذَلِكَ الْمَعُوسُ ، وَبَرَدَتْ أَفْئِدَةُ أَقْوَامٍ كَانُوا أَقْتَلُ عُثْمَانَ كَارِهِينَ ، وَلَعَدُوَّهُ مُعَارِقِينَ ، وَلَكُمْ مَوَالِينُ ، وَبِكُ رَاصِينَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْنَا أَمِيرًا طَيِّبًا ذَكِيًّا ذَا عِفَافٍ وَدِينٍ إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ فَعَلْتَ ، فَإِنِّي لَا إِخَالَ النَّاسِ إِلَّا بِجَمْعَيْنِ عَلَيْكَ ، وَإِنْ ابْنُ عَاسٍ عَائِبٌ عَنِ الْمِصْرِ وَالسَّلَامِ » فَكَبَّ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ « أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ ، فَعَرَفْتُ نَصِيحَتَكَ ، وَقَبَلْتُ مَشُورَتَكَ . رَحِمَكَ اللَّهُ وَسَدَّدَكَ ، اثْبَتْ هَذَاكَ اللَّهُ عَلَى رَأْيِكَ الرَّشِيدِ ، فَكَأَنَّكَ بِالرَّجُلِ الَّذِي سَأَلْتَ قَدْ أَتَاكَ ، وَكَأَنَّكَ بِالْجَيْشِ قَدْ أَطْلَعَ عَلَيْكَ ، فَسَرَرْتُ وَحَيْتُ وَالسَّلَامُ .

صابرين ، وَرَجَعُوا وَقَدْ نَالُوا مَا طَلَبُوا ، فَالْتَمَوْمْ ^(١) وساعدوهم ، وتذكروا ثأركم ،
لِتَشْفُوا صدوركم من عدوكم .

٢٧٢ — خطبة الضحاک بن عبد الله الهلالي

فقام إليه الضحاک بن عبد الله الهلالي فقال :

. . « قَبَّحَ اللَّهُ مَا جِئْتَنَا بِهِ ، وَمَادَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، جِئْتَنَا وَاللَّهُ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبَاكَ :
طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرِ ، أَتَيْنَا وَقَدْ بَايَعُنَا عَلِيًّا وَاجْتَمَعْنَا لَهُ ، فَكَأَمْتُنَا وَاحِدَةً ، وَنَحْنُ عَلَى
سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ ، فَدَعَوَانَا إِلَى الْفُرْقَةِ ، وَقَامَا فِينَا بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ ، حَتَّى ضَرَبْنَا
بَعْضُنَا بِبَعْضٍ عُدُوَانَا وَظُلْمًا ، فَاقْتَتَلْنَا عَلَى ذَلِكَ ، وَإِيمَ اللَّهِ مَا سَلِمْنَا مِنْ عَظِيمٍ وَبِالِ
ذَلِكَ ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْمِعُونَ عَلَى بَيْعَةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، الَّذِي أَقَالَ الْعَثْرَةَ ، وَعَفَا
عَنِ الْمَسِيءِ ، وَأَخَذَ بَيْعَةَ غَائِبِنَا وَشَاهَدَنَا ، أَفْتَأْمُرُنَا الْآنَ أَنْ نَخْتَلَعَ أَسْـيَافَنَا مِنْ
أَعْمَادِهَا ، ثُمَّ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ، لِيَكُونَ مَعَاوِيَةَ أَمِيرًا ، وَتَكُونَ لَهُ وَزِيرًا ،
وَنَعْدِلَ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ ؟ وَاللَّهِ لَيَوْمُ مِنْ أَيَّامِ عَلِيٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ، خَيْرٌ مِنْ بَلَاءِ مَعَاوِيَةَ وَآلِ مَعَاوِيَةَ ، لَوْ بَقُوا فِي الدُّنْيَا ، مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ^(٢) » .

فقام عبد الله بن حازم السَّامِيُّ ، فَقَالَ لِلضَّحَّاكِ : « اسْكُتْ فَلَسْتُ بِأَهْلٍ أَنْ
تَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ ، فَقَالَ : « نَحْنُ يَدُكَ وَأَنْصَارُكَ ،
وَالْقَوْلُ مَا قُلْتَ ، وَقَدْ فَهِمْنَا عَنْكَ ، فَادْعُنَا أَنْتَى شَيْئًا » فَقَالَ الضَّحَّاكُ لِابْنِ حَازِمٍ :
« يَا بَنَ السَّوْدَاءِ ^(٣) ، وَاللَّهِ لَا يَعِزُّ مَنْ نَصَرْتَ ، وَلَا يَذِلُّ بِخِذْلَانِكَ مَنْ

خَذَلْتَ » فَتَشَاتَعَا

[١] ساعدوهم . [٢] ما ظرفية ، أى مادامت الدنيا باقية .

[٣] وكانت أمه سوداء حبشية يقال لها عجلى .

٢٧٣ - خطبة عبد الرحمن بن عمير القرشي

فقام عبد الرحمن بن مُعْمِر بن عثمان القرشي التيمي فقال :

« عبادَ الله : إنا لم ندْعُكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتتلوا وتتنازوا ^(١) ، ولكننا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم ، وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلمؤا شعثكم ، وتصلحوا ذات بينكم ، فهلاً مهلاً رحمكم الله ، استمعوا لهذا الكتاب ، وأطيعوا الذي يقرأ عليكم » .

فأما قرئ عليهم الكتاب ، قال معظمهم : « سمعنا وأطعنا » وقال الأحنف ابن قيس : « أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل ^(٢) » ، واعتزل أمرهم ذلك ، وقال عمرو بن مرحوم من عبد القيس : « أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا بيعتكم ، فتقع بكم واقعة ^(٣) ، وتصيبكم قارعة ^(٤) ، ولا يكن بعدها لكم بقية ، ألا إني قد نصحت لكم وألكن لا تحبون النصحين » .

ثم إن الناس أقبلوا إلى ابن الحضرمي وكثر تبعه - وكان الأمير بالبصرة يومئذ زياد ابن أبيه استخلفه عبد الله بن عباس وقدم الكوفة على علي عليه السلام يعزيه عن محمد بن أبي بكر - فأفزع ذلك زياداً وهاله ، وخلى قصر الإمارة ، واستجار بالأزد فأجاروه ، وكتب إلى ابن عباس بالأمر ، وطلب إليه أن يرفع ذلك إلى أمير المؤمنين ، ليرى فيه رأيه ، وغلب ابن الحضرمي على ما يليه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزد على زياد ، وأعدوا له منبراً وسريراً وشُرطاً .

[١] النز : محركة اللقب ، والتناز : التنازع والتداعي بالألقاب . [٢] أصل المثل للحارث بن عباد البكري حين قتل جساس بن مرة كليباً ، وهاجت الحرب بين بكر وتغلب (حرب البسوس) وكان الحارث قد اعتزلهما ، والقصة مشهورة . [٣] داهية .

٢٧٤ — خطبة زياد بن أبيه

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر الأزد : إنكم كنتم أعدائي ، فأصبحتم أوليائي وأولى الناس بي ، وإني لو كنت في بني تميم ، وابنُ الحضرمي فيكم ، لم أطمع فيه أبداً ، وأنتم دوني ، فلا يطمع ابنُ الحضرمي فيَّ وأنتم دوني ، وليس ابنُ آكلةِ الأكباد - في بقيةِ الأحزاب وأولياءِ الشيطان - بأدنى إلى الغلبةِ من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ، وقد أصبَحْتُ فيكم مضموناً ، وأمانةٌ مؤدَّاةٌ ، وقد رأينا وقَعَتْكم يومَ الجمل ، فاصبرُوا مع الحق صَبْرَكُمْ مع الباطل ، فإنكم لَا تُحَمَّدُونَ إِلَّا عَلَى النجدة ، وَلَا تُعَذَّرُونَ عَلَى الجبن » .

٢٧٥ — خطبة شيان الأزدي

فقام شيان الأزدي - ولم يكن شهد يوم الجمل وكان غائباً - فقال :

« يا معشر الأزد : ما أبقت عواقب الجمل عليكم إِلَّا سوءَ الذكر ، وقد كنتم أمْسَ على عليٍّ عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم ^(١) له ذلٌّ ، وَخِذْلَانُكُمْ إياه عارٌ ، وأنتم حَتَّى مِضْمَارِكُم الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ، فَإِنْ سَارَ القوم بصاحبهم فَسِيرُوا بصاحبكم ، وَإِنْ اسْتَمَدُّوا معاويةَ فَاسْتَمِدُّوا عَلِيًّا عليه السلام ، وَإِنْ وادَعوكم فوادعوهم » .

٢٧٦ — خطبة صبرة بن شيان

ثم قام صَبْرَةُ ابنه ، فقال :

« يا معشر الأزد : إنا قلنا يومَ الجمل نمنع مِصْرَنَا ، ونُطِيعُ أَمْنًا ، ونطلب دم

خليفتنا المظلوم ، فجددنا في القتال ، وأقننا بعد انهزام الناس ، حتى قُتِلَ منا مَنْ لا خير فينا بعده ، وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار مضمون ، ولسنا نخاف من عليٍّ ما نخاف من معاوية ، فَهَبُوا لَنَا أَنْفُسَكُمْ ، وامنعوا جاركم ، أَوْ فَأَبْلِغُوهُ مَأْمَنَهُ . فقالت الأزد : « إِنَّمَا نَحْنُ لَكُمْ تَبِعٌ فَأَجِירוهُ » .

٢٧٧ — خطبة الامام عليّ

واستنفر عليّ بنى تميم أياماً لينهض منهم إلى البصرة مَنْ يكفيه أمر ، ابن الحضرمي ، ويردّ عادية بنى تميم الذين أجاروه بها ، فلم يجبه أحد ، فخطبهم وقال : « أليس من العجب أن ينصرني الأزد ^(١) ، وَتَحْذُلْنِي مُضَرٌّ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ تَقَاعُدُ تَمِيمِ الْكَوْفَةِ بِي ، وَخِلَافُ تَمِيمِ الْبَصْرَةِ عَلَيَّ ، وَأَنْ أَسْتَنْجِدَ بِطَائِفَةٍ مِنْهَا تَشْخَصُ إِلَى إِخْوَانِهَا فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّشَادِ ، فَإِنْ أَجَابَتْ وَإِلَّا فَالْمُنَابَذَةُ وَالْحَرْبُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ مُصَمًّا بِكُمَا لَا يَفْقَهُونَ حِوَارًا ، وَلَا يُجِيبُونَ نِدَاءً ، كُلُّ هَذَا جُبْنًا عَنِ الْبَأْسِ ، وَحُبًّا لِلْحَيَاةِ ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا ، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا ^(٢) ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ ^(٣) ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوَلَانِ ^(٤) تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ ^(٥) أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ ، فَرَّةٌ لَنَا مِنْ عَدُونَا ،

[١] هم من العرب اليمانيين . [٢] قتلهم الأقارب في دات الله كثير ، قتل عليّ عليه السلام الجمل الغدير من بنى عبد مناف وبنى عبد الدار في يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هاشم بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شعبة بن ربيعة يوم بدر وهو ابن عمه ، ومثل ذلك كثير مذكور في كتب السيرة . [٣] لقم الطريق : الجادة الواضحة منها .

[٤] التصاول : أن يصول كل من القرنين على صاحبه .

[٥] التحالسان : التسالب ، أي يبيى كل أن يسلب روح الآخر .

وَمَرَّةً لَعَدُونَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبَّةَ ^(١) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ ^(٢) ، وَتَمَتَّبُونَا أَوْطَانَهُ ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عُودٌ ، وَإِيمَ اللَّهِ لَتَخْتَلِبُنَّهَا دَمًا ^(٣) ، وَاتَّبَعْنَهَا نَدَمًا .

فَقَامَ إِلَيْهِ أُعَيْنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ الْمُجَاشِعِيُّ ^(٤) فَقَالَ :

« أَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا الْخَطْبُ ، وَأَتَكْفِلُ لَكَ بِقَتْلِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، أَوْ إِخْرَاجِهِ عَنِ الْبَصْرَةِ » فَأَمَرَهُ بِالتَّهْيِئَةِ لِلشَّخْصِ ، فَشَخَّصَ إِلَى الْبَصْرَةِ .

٢٧٨ — خطبة أعين بن ضبيعة

فَلَمَّا قَدَمَهَا دَخَلَ عَلَى زِيَادَ ، وَهُوَ بِالْأَزْدِ مُقِيمٌ فَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى رَحْلَهُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« يَا قَوْمُ : عَلَى مَاذَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُهَرِّيقُونَ دِمَاءَكُمْ ، عَلَى الْبَاطِلِ مَعَ السُّفَهَاءِ الْأَشْرَارِ ؟ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ حَتَّى عُيِّنَتْ إِلَيْكُمْ الْجُنُودُ ، فَإِنْ تُنْذِرُوا إِلَى الْحَقِّ يُقْبَلْ مِنْكُمْ وَيُكَفَّ عَنْكُمْ ، وَإِنْ أُيْتِمَ فَهُوَ وَاللَّهُ اسْتِئْصَالُكُمْ وَبَوَارِكُمْ » .

فَقَالُوا بَلْ نَسْمَعُ وَنَطِيعُ ، فَنَهَضَ بِهِمْ إِلَى جَمَاعَةِ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، فَخَرَحُوا إِلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَوَأَفْفَهُمْ عَامَةً يَوْمَهُ يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ : « يَا قَوْمُ لَا تَنْكُثُوا بَيْعَتَكُمْ ، وَلَا تُخَالِفُوا إِمَامَكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ وَجَرْتُمْ كَيْفَ

[١] الإِذْلَال . [٢] جِرَانُ الْبَعِيرِ : مَقْدَمُ عُنُقِهِ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ التَّمَكُّنِ كَلِمَةً يَأْتِي حِرَانُهُ عَلَى الْأَرْضِ . [٣] يُقَالُ لِمَنْ أَسْرَفَ فِي الْأَمْرِ : لَتَحْتَلِبَنَّ دَمًا ، وَأَصْلُهَا النَّاقَةُ يَفْرُطُ فِي حَلْبِهَا فَيَحْلُبُ الْحَالِبُ الدَّمَ . [٤] مُجَاشِعُ بْنُ دَارِمٍ أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ تَمِيمٍ ، وَأُعَيْنُ بْنُ ضُبَيْعَةَ ، هُوَ الَّذِي نَقَرَ الْجُلَّ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ عَائِثَةُ يَوْمَ الْجُلِّ .

صنع الله بكم عند نكثكم يبعثكم وخلافكم »

فكفوا عنه وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم ، فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فقتلوه ، وكتب زياد إلى الإمام بذلك ، فأشخص إليهم جارية بن قدامة .

٢٧٩ — خطبة جارية بن قدامة

فلما دخل البصرة بدأ بزياد ، فواجه ساعة وساءله ، ثم خرج من عنده ، فقام في الأزد فقال :

« جزاكم الله من حَيٍّ خيراً ، ما أعظم غناءكم ^(١) ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم لأمركم ، لقد عرفتم الحق إذ ضيعة من أنكره ، ودعوتكم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه » ثم قرأ عليهم كتاب علي عليه السلام ، فقام صبرة بن شيان ، فقال : « سمعنا وأطعنا ، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ، ولن سالم سلم ، إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك ، وإن أحببت أن ننصرك نصرناك » وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ، فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه ، ومضى نحو بني تميم .

٢٨٠ — خطبة زياد

فقام زياد في الأزد فقال :

« يا معشر الأزد : إن هؤلاء كانوا أمس ساما ، فأصبحوا اليوم حربا ، وإنكم كنتم حربا فأصبحتم ساما ، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة ، ولا أقت فيكم إلا على الأمل ، فما رضيتم أن أجرتوني ، حتى نصبتكم لي منبراً وسريراً ،

وجعلتم لى شُرطا وأعوانا ومُناديا ومُجمعة ، فافقدت بحضرتكم شيئا إلا هذا
الدرهم لا أجبيه اليوم ، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله ، واعلموا أن
حربكم اليوم معاوية أسرُ عليكم فى الدنيا والدين من حربكم أمسٍ عليا ، وقد قدم
عليكم جارية بن قدامة ، وإما أرسله على ليصدع أمر قومه ، والله ما هو بالأمر
المطاع ، ولو أدرك أمله فى قومه لرجع إلى أمير المؤمنين ، ولكن لى تبعا ، وأنتم
الهاماة العظمى ، والجمرة الحامية ، فقدّموه إلى قومه ، فإن اضطرّ إلى نصركم ،
فسيروا إليه إن رأيتم ذلك .

٢٨١ — خطبة أبى صبرة شيان

فقام أبو صبرة شيان فقال :

« يا زياد ، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا عليا ، وقد
مضى الأمر بما فيه ، وهو يوم بيوم ، وأمر بأمر ، والله إلى الجزاء بالإحسان
أسرع منه إلى الجزاء بالسّيئ ، والنوبة مع الحق ، والعفو مع الندم ، ولو كانت هذه
فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء ، واستئناف الأمور ، ولكنها جماعة ، دماؤها
حرام ، وجروحها قصاص ، ونحن معك نحب ما أحبيت »
فعجب زياد من كلامه ، وقال : « ما أظن في الناس مثل هذا »

٢٨٢ — خطبة صبرة بن شيان

ثم قلم صبرة ابنه فقال :

« إنا والله ما أصبنا بعصية فى دين ولا دنيا ، كما أصبنا أمسٍ يوم الجمل ،

وإنا لنرجو اليوم أن يُنَحَّصَ^(١) ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ، وأما أنت يا زياد ، فوالله ما أدركت أملك فينا ، ولا أذكر كنا أملنا فيك ، دون ردك إلى دارك ، ونحن رادوك إليها غدًا إن شاء الله تعالى ، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا ، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يُشبهك ، وإنا والله نخاف من حرب علي في الآخرة ، ما لا نخاف من حرب معاوية في الدنيا ، فقدّم هواك ، وأخر هوانا ، فنحن معك وطوّعك .

٢٨٣ — خطبة خنفر الحماني

ثم قام خنفر الحماني فقال :

« أيها الأمير : إنك لو رضيت منا بما ترضى به من غيرنا ، لم نرض ذلك لأنفسنا ، سر بنا إلى القوم إن شئت ، وإيم الله ما لقينا يوماً قط إلا اكتفيناً بعمقونا^(٢) دون جهدنا ، إلا ما كان أمس »

أما جارية فإنه كلم قومه فلم يجيبوه ، وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه ، فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ، فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي وعلى خيله عبد الله بن حازم السلمي ، فاقتتلوا ساعة ، فالبثوا بني تميم أن هزموا ، وحصروا ابن الحضرمي في إحدى دور البصرة ، في عدة من أصحابه ، وحرقت جارية الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلاً ، وسارت الأزد بزياد ، حتى أوطنوه قصر الإمارة ومعه بيت المال ، وقالوا له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال : لا ، فانصرفوا عنه ، وكثب زياد بذلك إلى أمير

المؤمنين عليه السلام . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٣٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ٥٣)

[١] من محس الذهب بالنار كقطع أخضه مما يشوبه . [٢] المغو : الريادة .

٢٨٤ — صمصعة بن صوحان ومعاوية

أرسل عليٌّ كرم الله وجهه إلى معاوية بالشام كتاباً مُصَنَّبَةً صَمِصَعَةَ بنِ صُوحَانَ ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية ، فقال لِأَذِنِهِ ، اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وبالباب جماعةٌ من بنى أُمَيَّةٍ - فأخذته النعال والأيدي ، لقوله « أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » ، وكثُرَت عليه الجَلَبَةُ ، فاتَّصَلَ ذلك بِمَعَاوِيَةَ ، فَأَذَنَ لَهُ ، فدخل عليه ، فقال : السلام عليك يا بنِ أَبِي سُفْيَانَ ، هذا كتاب أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال معاوية : أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَتِ الرِّسْلُ تُقْتَلُ فِي جَاهِلِيَّةٍ أَوْ إِسْلَامٍ لَقَتَلْتُكَ ، ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ، ليعرف طَبْعاً أَوْ تَكَلُفًا ، فقال له ممن الرجل ؟ قال من نِزَارٍ ، قال وما كان نزار ؟ قال كان إذا غزا انكَمَشَ ^(١) ، وإذا اتى افْتَرَشَ ^(٢) ، وإذا انصرف احْتَرَشَ ^(٣) ، قال فمن أىِّ أولاده أنت ؟ قال من ربيعة ، قال وما كان ربيعة ؟ قال : كان يطيل النِّجَادَ ^(٤) ، ويعول العباد ، ويضرب ببقاع الأرض العِمَادَ ، قال : فمن أىِّ أولاده أنت ؟ قال من جَدِيلَةَ ، قال وما كان جديلة ؟ قال كان فى الحرب سيفاً قاطعاً ، وفى المَكْرُمَاتِ غِيثاً نافعاً ، وفى اللقاء لَهَباً ساطعاً ، قال فمن أىِّ أولاده أنت ؟ قال من عبد القيس ، قال وما كان عبد القيس ؟ قال كان حَسَنًا أبيض ^(٥) وهَبَابًا ، يقدم لضيفه ما وجد ، ولا يسأل عما فَقَدَ ، كثير المَرْقِ ، طَيِّبُ المَرْقِ ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء ، قال ويحك يا بنِ صُوحَانَ ! فما تركت لهذا الحى من قریش مجداً ولا نجراً ؟ قال بلى والله يا بنِ أَبِي سُفْيَانَ ! تركت لهم ما لا يصلح

[١] انكَمَشَ وتَكَمَشَ : أسرع والكمش الرجل المريع . [٢] افترش فلانا : غلبه وصرعه .

[٣] احتَرَشَ الشيء : جمعه وكسبه . [٤] حَمَلُ السيف ، وهو كناية عن طول القامة .

[٥] أى أبيض اللون كناية عن أنه حرّ لارتقيق أو أبيض العرض فيه .

إِلَّا لَهُمْ ، تَرَكْتُ لَهُمُ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ^(١) ، وَالسَّرِيرَ وَالْمِنْبَرَ^(٢) ، وَالْمَلِكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، فَفَرَحَ مُعَاوِيَةُ ، وَظَنَّ أَنَّ كَلَامَهُ يَشْتَمِلُ عَلَى قَرِيشٍ كُلِّهَا ، قَالَ صَدَقْتَ يَا بَنَ صُوحَانَ ، إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَعَرَفَ صَعَصَعَةُ مَا أَرَادَ ، فَقَالَ لَيْسَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ فِي ذَلِكَ إِصْدَارٌ وَلَا إِيرَادٌ^(٣) ، بَعُدْتُمْ عَنْ أَنْفِ^(٤) الْمَرْعَى ، وَعَلَوْتُمْ عَنْ عَذْبِ الْمَاءِ ، قَالَ وَلَمْ ذَلِكَ ؟ وَيَلَاكِ يَا بَنَ صُوحَانَ ! فَقَالَ الْوَيْلُ لِأَهْلِ النَّارِ ، ذَلِكَ لِبَنِي هَاشِمٍ ، قَالَ قُمْ ، فَأَخْرِجُوهُ . فَقَالَ صَعَصَعَةُ : الْوَعْدُ يَبْنَى وَيَبْنُوكَ لَا الْوَعِيدَ ، مِنْ أَرَادَ الْمَنَاجِزَةَ ، يَقْبَلُ الْمَحَاجِزَةَ^(٥) ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَشَيْءٍ مَا سَوَّدَهُ قَوْمُهُ ، وَوَدِدْتُ أَنِّي مِنْ صُلْبِهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى بَنِي أُمِيَّةٍ فَقَالَ : هَكَذَا فَلْتَكُنِ الرِّجَالُ !

(صَبَحَ الْأَعْمَى ١ : ٢٥٤ ، وَمَرْجُوهُ الذَّهَبُ ٢ : ٧٧)



وَرَوَى أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي هَذَا الْخَبَرَ فِي الْأَمَالِي بِصُورَةٍ أُخْرَى ، قَالَ :
« دَخَلَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ - وَقَدْ كَانَ يَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ عَنْهُ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ نِزَارٍ ، قَالَ : وَمَا نِزَارٌ ؟ قَالَ : كَانَ إِذَا غَزَا الْخَوْشَ^(٦) ، وَإِذَا انْصَرَفَ انْكَشَ ، وَإِذَا لَقِيَ افْتَرَشَ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ رِبِيعَةٍ ، قَالَ : وَمَا رِبِيعَةٌ ؟ قَالَ : كَانَ يَغْزُو بِالْخَيْلِ ، وَيُغِيرُ بِاللَّيْلِ ، وَيُجُودُ بِالنَّيْلِ ، قَالَ : فَمِنْ أَيِّ وَلَدِهِ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أُمِّهِ^(٧) ،

[١] الْأَحْمَرُ : الذَّهَبُ ، وَالْأَبْيَضُ : الْفِصَّةُ (وَالسَّرِيرُ أَيْضًا) وَالْأَصْفَرُ : الذَّهَبُ . كُنْيَاةٌ عَنِ الْعَنِي وَالْثَرْوَةِ (وَقَدْ كَانَ لِقَرِيشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرْكَزٌ تَحَارَى هَامٌ) . [٢] كُنْيَاةٌ عَنِ الْمَلِكِ وَالْقُدْرَةِ الْحَطَايِيَّةِ . [٣] أَوْرَدَ إِلَيْهِ الْمَاءَ . وَأَصْدَرَهَا رَدًّا وَأَرْجَعَهَا . [٤] رَوْضَةُ أَنْفٍ لَمْ تَرَعِ . [٥] وَفِي مَرْجُوهِ الذَّهَبِ : « مَنْ أَرَادَ الْمَشَاجِرَ قَبْلَ الْمَحَاوِرِ » وَالْوَارِدُ فِي الْأَمْثَالِ : « الْمَحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمَنَاجِزَةِ » أَيْ الْمَسَالِمَةُ قَبْلَ الْمَمَاجِلَةِ فِي الْقِتَالِ ، يَصْرَبُ لِمَنْ يَطْلُبُ الصَّلَاحَ بَعْدَ الْقِتَالِ .

[٦] لَمْ أَجِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَأَرَى أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ (احْتَرَشَ) كَمَا وَرَدَ فِي رَوَايَةِ صَبْحِ الْأَعْمَى ، وَإِنْ اِخْتَلَفَ تَأْلِيفُ الْجُمْلِ فِي الرَّوَايَتَيْنِ . [٧] وَفِي نَسْخَةٍ : « مِنْ أَسَدٍ ، قَالَ وَمَا أَسَدٌ ؟ »

قال : وما أمره ؟ قال : كان إذا طلب أفضى ^(١) ، وإذا أدرك أَرْضَى ، وإذا آب
أَنْضَى ^(٢) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من جَدِيلَةٍ ، قال : وما جديلة ؟
قال : كَانَ يُطِيلُ النَّجَادَ ^(٣) ، وَيُعِدُّ الْجِيَادَ ، وَيُجِيدُ الْجِلَادَ ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من دُمُعِيٍّ ، قال : وما دُمُعِيٍّ ؟ قال : كَانَ نَارًا سَاطِعًا ، وَشَرًّا قَاطِعًا ،
وَخَيْرًا نَافِعًا ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أَفْصَى ، قال : وما أَفْصَى ؟
قال : كَانَ يَنْزِلُ الْقَارَاتِ ^(٤) ، وَيَكْثُرُ الْغَارَاتِ ، وَيَحْمِي الْجَارَاتِ ، قال : فمن أىّ
ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس ، قال : وما عبد القيس ؟ قال : أَبْطَالُ ذَاذَةَ ^(٥) ،
جَحَاجِحَةَ ^(٦) سَادَةَ ، صَنَادِيدَ قَادَةَ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من أَفْصَى ،
قال : وما أَفْصَى ؟ قال : كَانَتْ رِمَاحُهُمْ مُشْرَعَةً ^(٧) ، وَقُدُورُهُمْ مُثْرَعَةً ^(٨) ،
وَجِفَافُهُمْ مُفْرَعَةً ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْزٍ ، قال : وما لُكَيْزٍ ؟
قال : كَانَ يَبَاشِرُ الْقَنَالَ ، وَيَعَانِقُ الْأَبْطَالَ ، وَيُبَدِّدُ الْأَمْوَالَ ، قال : فمن أىّ ولده
أنت ؟ قال : من عَجَلٍ ، قال : وما عَجَلٍ ؟ قال : اللَّيْثُ الضَّرَّاعِمَةُ ^(٩) ، الْمَلُوكُ
الْقَمَاقِمَةُ ^(١٠) ، الْقُرُومُ الْقَشَاعِمَةُ ^(١١) ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من كَعْبٍ ،
قال : وما كَعْبٍ ؟ قال : كَانَ يُسَعِّرُ ^(١٢) الْحَرْبَ ، وَيُجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ
الْكَرْبَ ، قال : فمن أىّ ولده أنت ؟ قال : من مَالِكٍ ، قال : وما مَالِكٍ ؟ قال :

[١] أفضى إلى الشيء : وصل إليه . [٢] أنضى بعيره : هزله ، وأضى الثوب : أبلاه .
[٣] حائل السيف . [٤] القارات : جمع قارة ، وهي الخيل الصدير . [٥] جمع ذائد ،
وهو المدافع . [٦] جمع جمعج : وهو السيد ، كالجمحاح . [٧] مسددة . [٨] مملوءة .
[٩] جمع ضرغام ، وهو الأسد . [١٠] جمع ققام بالفتح ويضم ، وهو السيد .
[١١] القروم ، جمع قرم : كشهم ، وهو السيد ، والقشاعة : جمع قشعم ، كجعفر ، وهو الرجل المسنن
(كناية عن كثرة التجربة) والأسد . [١٢] سحر الحرب : كنع ، وسعرها : أوقدها .

هو الهمام للهمام ، والقَمَقَم للقمقام ، فقال معاوية : ما تركت لهذا الحَيِّ من قريش شيئاً ، قال : بل تركتُ أكثره وأحبّه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوَبَرَ وَالْمَدَرَ ^(١) وَالْأَبْيَضَ وَالْأَصْفَرَ ، وَالصَّفَا وَالْمَشْعَرَ ^(٢) ، وَالْقُبَّةَ وَالْمَفْخَرَ ، وَالسَّرِيرَ وَالْمِنْزَبَ ، وَالْمُلْكَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، قال : أما والله لقد كان يسوءني أن أراك أسيراً ، قال : وأنا والله لقد كان يسوءني أن أراك أميراً ، ثم خرج فبعث إليه ، فَرُدُّ ، ووصله وأكرمه .

(الأمالي ٢ : ٢٣٠)



وروى المسعودي في مروج الذهب قال :

« قال معاوية يوماً وعنده صمصمة ، وكان قدِمَ عليه بكتاب عليّ ، وعنده وجوه الناس : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما آخذُ من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي » فقال صمصمة :

تَمَنَيْكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ جَهْلًا ، مُعَاوِيَ لَا تَأْتَمِرْ .

فقال معاوية : يا صمصمة تعلّمت الكلام ، قال : العلم بالتعلم ، ومن لا يعلم يَجْهَلُ ، قال معاوية : ما أحوجك إلى أن أذيقَكَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، قال : ليس ذلك بيدك ، ذلك بيد الذي لَا يُؤَخَّرُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، قال : ومن يَحْمُولُ بيني وبينك ؟ قال : الذي يَحْمُولُ بين المرء وقلبه ، قال معاوية : اتسع بطنك

[١] كناية عن البادية ، والمدن : المدن والحضر . [٢] شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشميرة والشعارة بالفتح ، والمشرع موضعها ، والمشرع الحرام : بالزدلفة .

للكلام كما اتسع بطن البعير للشعير، قال : اتسع بطن من لا يشبع^(١) ، ودعا عليه من لا يجمع^(٢) .
(مروج الذهب ٢ : ٧٩)

٢٨٥ — خطبة عبد الله بن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرَا كلمة التقوى . أكرم الممل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم . خير الأمور أوساؤها ، وشر الأمور مُحدثاتها . ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . خير الغنى غنى النفس ، وخير ما أُلقي في القلب اليقين . الحمرِ جماعُ الآثام . النساءُ حبالُ الشيطان . الشباب شعبة من الجنون . حب الكفاية مفتاح المعجزة . شر الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبُرًا ، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا^(٣) . أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، سباب المؤمن فسق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية . من يتأَلَّ^(٤) على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عفا الله عنه . الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلاك العمل

[١] يعرض معاوية إذ كان مبطانا (أى أكلوا) وكذا أيضاً بطينا (أى عظيم البطن) ، وقد قال فيه سيدنا علي في وقعة صفين :

أصبرهم ولا أرى معاوية الحاحط العين العظيم الحاوية

(والحاوية ما تحوى من الأمعاء أى العظيم البطن) . [٢] دعا عليه : معطوف على لا يشبع أى اتسع بطن من دعا عليه من لا يجمع ، والمراد من لا يجمع النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد دعا على معاوية بالنهم وعدم الشبع ، ومعنى لا يجمع أى لا يجمع الدنيا ولا يجمع إليها ، وهو تعريض آخر لمعاوية ، أما دعاء رسول الله عليه فقد روى ابن الأثير في أسد الغابة — ٤ : ٣٨٦ — قال : « عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كنت ألب مع الصبيان حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال حياء ، فخطاني خطاة — والخطو : تحريك الشيء من عجزه — وقال اذهب فادع لى معاوية ، قال فحُثْتُ فقلت هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لى معاوية ، قال : فحُثْتُ فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية » . [٣] المهجر ككتف الدي يمشى مثقلا صاعقا : أى لا يعرف الله إلا وقت الشدة . [٤] تألى : أقسم .

خواتيمه . أشرف الموت الشهادة ، من يعرف البلاء يَصْبِر عليه . ومن لا يعرف البلاء ينكره . (إعجاز القرآن ١٢٢ ، العقد الفريد ٢ : ١٥٦ ، البيان والتبيين ٢ : ٢٧)

٢٨٦ — وصية دريد بن الصمة

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ لِمَالِكِ بْنِ عَوْفِ النَّصْرِيِّ قَائِدِ هَوَازِنَ يَوْمِ حُنَيْنٍ ^(١) :
 « يا مَالِكُ ، إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنْ
 أَيَّامٍ ، مَا لِي أَسْمَعَ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ، وَنَهَيْقَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ ؟ وَيُعَارِ ^(٢) الشَّاءُ . قَالَ :
 سَقَتِ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، قَالَ وَلَمْ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ
 كُلِّ رَجُلٍ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ عَنْهُمْ ، فَأَنْقَضَ بِهِ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ رَاعِي ^(٤) ضَانٍ وَاللَّهِ ،
 وَهَلْ يَرِدُ الْمَنْهَزِمُ شَيْءٌ ؟ إِنَّهَا إِنْ كَانَتْ لَكَ ، لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُمْحِهِ ،
 وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، فُضِّحَتْ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَيَحْكُ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ
 الْبَيْضَةِ ^(٥) بِيضَةَ هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ رَاخِلِيلَ شَيْئًا ، أَرْفَعُهُمْ إِلَى مَمْتَنَعِ بِلَادِهِمْ ، وَعَلِيَاءِ
 قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقِ الصَّبَا ^(٦) عَلَى مَتُونِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ ، لِحَقَّ بِكَ مِنْ وَرَاءِكَ ،
 وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ، كُنْتَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ . قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ ، إِنَّكَ قَدْ
 كَبَرْتَ وَذَهَلَ عَقْلُكَ . قَالَ دُرَيْدُ بْنُ هَذَا يَوْمٍ لَمْ أَشْهَدَهُ ، وَلَمْ يَفْتُنِّي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[١] غزوة حنين كانت بين المسلمين وبين هوازن وثقيف سنة ثمان بعد الفتح انهزم فيها المسلمون أو لا
 ثم لموا شعثهم وشدوا على عدوهم فهزمهم . [٢] اليعار : صوت الغنم أو المزي أو الشديد
 من أصوات الشاء . [٣] يقال أنقض أصابعه : ضرب بها لتصوت ، وأنقض بالدابة : الصق لسانه
 بالحنك ثم صوت في حافتيه : [٤] يضرب به المثل في الحق فيقال : « أحقق من راعي ضأن » .
 [٥] بيضة القوم : جماعتهم وأصلهم ، وفي الحديث : « ولا تلطم عليهم عدوًا من عدوهم فيستبيح بيضتهم »
 يريد جماعتهم وأصلهم . [٦] أي ذوى الصبا : أي الشبان .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبٌ فِيهَا وَأَضَعٌ^(١)
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعٌ^(٢)

(سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، العقد الفريد ١ : ٤١)

٢٨٧ - وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

. . أوصى عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ بَنِيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِي إِيَاكُمْ وَمُخَالَطَةُ السَّفَهَاءِ ، فَإِنْ مَجَّالَسْتَهُمْ دَاءٌ ، وَإِنْ مِنْ يَحْلُمُ عَنْ
السَّفِيهِ يُسَرِّبْ حِلْمَهُ ، وَمَنْ يُجِبِّهِ يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَقَرُّ بِقَلِيلٍ مَا يَأْتِي بِهِ السَّفِيهِ ، يَقِرُّ
بِالْكَثِيرِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ ، أَوْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَلْيُوطِّنْ قَبْلَ
ذَلِكَ عَلَى الْأَذَى ، وَلْيُوقِنْ بِالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّهُ مَنْ يُوَقِّنْ بِالثَّوَابِ مِنْ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجِدُ مَسَّ الْأَذَى » . (الأمل ٢ : ٦٠)

٢٨٨ - وصية قيس بن عاصم المنقري لبنيه

أوصى قيس بن عاصم المِنْقَرِي بَنِيهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِي ، خَذُوا عَنِّي ، فَلَا أَحَدَ أَصْلَحَ لَكُمْ مِنِّي ، إِذَا دَفَنْتُمُونِي فَانصرفوا إِلَى
رِحَالِكُمْ ، فَسَوِّدُوا أَكْبَرَكُمْ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا سَوَّدُوا أَكْبَرَهُمْ خَلَفُوا آبَاءَهُمْ ، وَإِذَا
سَوَّدُوا أَصْغَرَهُمْ ، أَزْرَى ذَلِكَ بِهِمْ فِي أَكْفَائِهِمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَةَ اللَّهِ ، وَقَطِيعَةَ
الرَّحِمِ ، وَتَمَسَّكُوا بِطَاعَةِ أُمَرَائِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ رَفَعُوا ارْتَفَعُوا ، وَمَنْ وَضَعُوا انْضَعُوا ،
وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا الْمَالِ فَأَصْلِحُوهُ ، فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَجَنَّةٌ لِعَرِضِ اللَّئِيمِ ، وَإِيَّاكُمْ

[١] الحب : ضرب من العدو ، ووضعت الناقة وأرضعت : أسرعت في سيرها .

[٢] الوطف : كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والزمع جمع زمعة ، وهي هنة زائدة وراء الطلف أو

الشمرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة ، والصدع : من الأوتال والأيل الفتى الشاب اقوى .

والمسألة ، فإنها أخِر^(١) كَسَبَ الرجل ، وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ، وادفونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفنى ، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يُدْخِلُوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلَّ عِرْقٍ لثيم أن تلبسوه ، فإنه إن يسرركم اليوم ، يسوكم غداً ، واكظّموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم ، فإنهم على منهاج آبائهم ، ثم قال :

أحيا الضغائنَ آباءُنا سلفوا فلن تبيدَ وللآباءِ أبناءُ

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١١)

٢٨٩ — وصية العباس بن عبد المطلب (المتوفى سنة ٣٢ هـ)

لابنه عبد الله

قال عبد الله بن عباس : قال لى أبى :

يا بُنَيَّ ، إني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار ، فاحفظ عنى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليك كذباً ، ولا تَغْتَبِ عنده مسلماً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرّاً . قال فقلت يا أبه . كلَّ واحدة منها خير من ألف ، فقال : كلَّ واحدة منها خير من عشرة آلاف . (تهذيب الكامل ١ : ١٥)

٢٩٠ — خطبة أكرم بن صيفى يدعو قومه إلى الاسلام

لما ظهر النبي عليه الصلاة والسلام بمكة ، ودعا الناس إلى الإسلام بعث أكرم بن صيفى ابنه حُبَيْشاً ، فأتاه بخبره ، فجمع بنى تميم وقام فيهم خطيباً فقال :

[١] أخر بقصر الهرة لاغير : أى أدنى وأردل ، ومن رواه بالمدّ أخطأ .

« يا بني تميم : لَا تُخْضِرُونِي سَفِيهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ (١) ، إِنْ السَّفِيهِ
يُوهِنُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيَتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ (٢) . لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . كَبُرَتْ سِنِّي
وَدَخَلْتَنِي ذِلَّةٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنِّي حَسَنًا فَاقْبَلُوهُ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنِّي غَيْرَ ذَلِكَ فَقَوِّمُونِي
أَسْتَقِيمَ . إِنْ أَبْنَى شَافَةً هَذَا الرَّجُلَ مَشَافَهَةً ، وَأَتَانِي بِخَبْرِهِ ، وَكُتَابَهُ بِأَمْرِ فِيهِ
بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَأْخُذُ فِيهِ بِحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَدْعُو إِلَى
تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَخَلَعَ الْأَوْتَانَ ، وَتَرَكَ الْحَلِيفَ بِالنِّيرَانِ ، وَقَدْ عَرَفَ ذُوو الرَأْيِ
مِنْكُمْ أَنَّ الْفَضْلَ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، وَأَنَّ الرَأْيَ تَرْكُ مَا يَنْهَى عَنْهُ ، إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ
بِمَعُونَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى أَمْرِهِ أَنْتُمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي
يَدْعُو إِلَيْهِ حَقًّا ، فَهُوَ لَكُمْ (٣) دُونَ النَّاسِ ، وَإِنْ يَكُنْ بَاطِلًا كُتِمَ أَحَقُّ النَّاسِ
بِالْكَفِّ عَنْهُ وَبِالْإِسْتِرَاعِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ أُسْقُفُ نَجْرَانَ يُحَدِّثُ بِصِفَتِهِ ، وَكَانَ سُفْيَانُ
ابْنَ مُجَاشَعٍ يُحَدِّثُ بِهِ قَبْلَهُ ، وَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، فَكَوْنُوا فِي أَمْرِهِ أَوْلَا ، وَلَا تَكُونُوا
آخِرًا ، ائْتُوا طَائِعِينَ قَبْلَ أَنْ تَأْتُوا كَارِهِينَ ، إِنْ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْلَمْ يَكُنْ دِينًا كَانَ فِي أَخْلَاقِ النَّاسِ حَسَنًا ، أَطِيعُونِي وَاتَّبِعُوا
أَمْرِي ، أَسْأَلُ لَكُمْ أَشْيَاءَ لَا تُنْزَعُ مِنْكُمْ أَبَدًا ، وَأَصْبَحْتُمْ أَعَزَّ حَيٍّ فِي الْعَرَبِ ،

[١] خال : ظن ، ومصارعه إخال بالكسر وهو الأفصح ، وبنو أسد يقولون أحل بالفتح وهو القياس ،
وقوله « مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ » مثل ، معناه مَنْ يَسْمَعُ أَخْبَارَ النَّاسِ وَمَعَايِمَهُمْ يَقَعُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِمُ الْمَكْرُوهُ .
[٢] وَ يَجْمَعُ الْأَمْثَالَ « وَيُثَبِّتُ مَنْ دُونَهُ » مَنْ أَثْبَتَهُ أَيْ أَثْبَتَهُ بِالْجِرَاحِ ، وَالْمَعْنَى يَصْعَفُ وَيُوهِنُ ،
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ »
لِيُثْبِتُوكَ أَيْ لِيَجْرَحُوكَ جِرَاحَةً لَا تَقُومُ مَعَهَا أَوْ لِيَحْبِسُوكَ ، وَفِي سِرْحِ الْعَيُونِ « وَيَتَبَّبُ مَنْ دُونَهُ »
مَنْ تَبَّيَّهَ بِالتَّشْدِيدِ أَيْ أَهْلَكَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيدٍ » .

[٣] يَرِيدُ لِلْعَرَبِ .

وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً ، فإنني أرى أمراً لا يجتنبه عزيزٌ إلا ذلٌّ ، ولا يلزمه ذليل إلا عزٌّ ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً ، وهذا أمرٌ له ما بعده ، من سبق إليه غمر المعالي ^(١) ، واقتدى به التالي ، والعزيمة حزم ، والاختلاف عجز .
فقال مالك ^(٢) بن نويرة : قد خرف شيخكم ، فلا تتعرضوا للبلاء ، فقال أكرم : ويل للشجى من الخلى ، والهنفى على أمرٍ لم أشهده ولم يسعنى ^(٣) .
ثم رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق ، وبعث بإسلامه مع من أسلم ممن كان معه ^(٤) . (مجمع الأمثال ٢ : ٢١٨ ، سرح الميوس ص ١٤)

٢٩١ — وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته

لما حضرت أبا طالب ^(٥) الوفاة ، جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال :
« يا معشر قريش : أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب ^(٦) ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البذية — يعنى الكعبة — فإن فيها مَرَضَةٌ للرب ، وقواماً

[١] من عمره الماء : أى غطاه . [٢] وقد أسلم ثم ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في بعض بي تميم ، وسار إليه خالد بن الوليد فقتله ، وقصته في التاريخ مشهورة .

[٣] وفي سرح الميوس : ولم يسبقنى [٤] وذكر عن ابن عباس أن قوله تعالى : « وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » نزل في أكرم ومن تبعه من أصحابه .

[٥] توفي في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وإسلامه مختلف فيه « اقرأ فصلاً طويلاً في ذلك في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٣١١ » .

[٦] أى ذوو ألب ، والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

للمعاش ، وثباتاً لِلوَطْأَةِ ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ فَإِنْ فِي صَلَاةِ الرَّحِمِ مَنَسَأَةٌ ^(١) فِي الْأَجَلِ ،
وزيادة في العدد ، اتركوا الْبَغْيَ والعقوق ، ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجبوا
الداعي ، وأعطوا السائل ، فَإِنْ فِيهِمَا شَرَفَ الْحَيَاةِ والممات ، وعليكم بصدق
الحديث ، وأداء الأمانة ، فَإِنْ فِيهِمَا مَحَبَّةٌ فِي الْخَاصِّ ، وَمَكْرُمَةٌ فِي الْعَامِّ .

وإني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، وَالصَّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ ،
وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمرٍ قَبْلَهُ الْجَنَانُ ^(٢) ، وأنكره
اللسان ، مخافة الشَّنَّانِ ^(٣) ، وَائْتُمُّ اللَّهُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ
الْأَطْرَافِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ ، وَعَظَّمُوا
أَمْرَهُ ، نَحَاضَ بِهِمْ غِمَرَاتِ الْمَوْتِ ، وَصَارَتْ رُؤُسَاءُ قَرِيشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَابًا ،
وَدُورُهَا خِرَابًا ، وَضَعُفَاؤُهَا أَرْبَابًا ^(٤) ، وَإِذَا أَعْظَمَهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ ، وَأَبْعَدَهُمْ
مِنْهُ أَخْطَاهُمْ عِنْدَهُ ، قَدْ مَحَضَّتَهُ ^(٥) الْعَرَبُ وَدَادَهَا وَأَصْفَتْ لَهُ بِلَادَهَا ، وَأَعْطَتْهُ
قِيَادَهَا ، يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ : كُونُوا لَهُ وُلاَةً ، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً ، وَاللَّهُ لَا يَسْلُكُ أَحَدَ سَبِيلَهُ
إِلَّا رَشِدًا ، وَلَا يَأْخُذُ بِهِدْيِهِ أَحَدٌ إِلَّا سَعِدَ ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسٍ مَدَّةٌ ، وَفِي أَجَلِي
تَأْخِيرٌ ، لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِرَ ^(٦) ، وَلِدَافَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٧)

٢٩٢ - خطبة مالك بن نمط

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم مالك بن نمط

أبو ثور فقام بين يديه ثم قال :

[١] أى فسحة وامتداداً من نساء أى أخره . [٢] القلب . [٣] البغض والكرهية .
[٤] سادة . [٥] محضه الود ، وأعضه : أخضعه . [٦] الهزاهز والهزهزة : تحريك البلايا
والهروب الناس .

« يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ ^(١) من هَمْدَانَ ، من كل حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتَوَكَّ عَلَى قُلُوصِ نَوَاجٍ ^(٢) ، متصلةٌ بحبال الاسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مَخْلَافٍ ^(٣) خَارِفٍ ^(٤) ، وَيَامٍ ، وشَاكِرٍ ، أهل السَّوَادِ والقُرَى ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلِهَةَ الْأَنْصَابِ ^(٥) ، عهدهم لا يُنْقَضُ ، ما أقام لَعْلَعٌ ^(٦) ، وما جرى الْيَعْفُورُ بِصُلْعٍ ^(٧) . » (صح الأعشى ٢ : ٢٤٤)

٢٩٣ - سفانة بنت حاتم

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَدَّثَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ : لما أَتَيْنَا بِسَبَايَا طِيٍّ ، كانت في النساء جارية جميلة - وهى سَفَّانَةُ بنت حاتم ^(٨) - فلما رَأَيْتُهَا أُعْجِبْتُ بِهَا ، فَقُلْتُ لِأَطْلُبَنَّهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَجْعَلَهَا مِنِّي ، فلما تَكَلَّمْتُ أُنْسِيْتُ جَمَالَهَا ، لما سمعت من فصاحتها ، فقالت :

« يا محمد : هلك الوالد ، وغاب الوافِدُ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي ، فلا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي ^(٩) . كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي ^(١٠) ، وَيَحْمِي الدَّمَارَ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيُفَشِّي السَّلَامَ ، ولم يَرُدِّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طِيٍّ »

[١] النصية من القوم : الحيار ، وهمدان : من عرب اليمن . [٢] القلوص : جمع قلوص ، وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير ، والنواجى : جمع ناجية ، وهى المصرة فى السير . [٣] المخلاف : الكورة . [٤] خارف : لقب مالك بن عبد الله أبى قبيلة من همدان ، وبام ، وشاكر ، قبيضان من همدان باليمن . [٥] الأنصاب : جمع نصب بضمين ، وهو حجر نصب وعبد من دون الله ، وقيل النصب جمع واحدا نصاب ، قيل هى الأصنام وقيل غيرها . [٦] اسم جبل . [٧] اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والصلع : الموضع لا ينبت شيئا .

[٨] السفانة فى الأصل : اللؤلؤة . [٩] جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له أى فافعل فإنى [١٠] المانى : الأسير .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » . (الأغاني ١٦ : ٩٣)

٢٩٤ — خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء

. روى أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جَدَب ، فقال : أتيناك يا رسول الله ، ولم يَبْقَ لنا صبي يَرْتَضِع ، ولا شَارِفٌ ^(١) تجترُّ ، ثم أنشده :
 أتيناك وَالْعَذْرَاءُ يَدْحَى لَبَانُهَا ^(٢) وقد شُعِلَتْ أُمُّ الرَضِيعِ عن الطفل
 وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لاسْتِكَانَةً من الجوع حتى مَائِمِرٌ ولا يُحْلِي ^(٣)
 ولا شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سوى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسَلِ ^(٤)
 وليس لنا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا وأين فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسُلِ ؟
 فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :
 « اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ، مَرِيئًا هَنِيئًا مَرِيئًا ^(٥) ، سَحًّا سَجَالًا ^(٦) ، غَدَقًا ^(٧)
 طَبَقًا ^(٨) ، دِيمًا دِرْرًا ^(٩) ، تُخْبِي به الْأَرْضُ ، وَتُنْبِتُ به الزَّرْعَ ، وَتُدِرُّ به الضَّرْعَ ،

[١] الشارف من النوق : المسة الهرمة كالشاردة . [٢] أي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجذب وشدة الرمان . [٣] أي ما يغفر وما ينفع ، أو ما يأتي بكلمة ولا فعلة مرة ولا حلوة . [٤] العامي : الذي أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شباك طال طامى » والعاهر : طعام من الدم والوركان يتخذ في الجاعة ، والفسل : الردى . الرذل من كل شيء .
 [٥] المريع الحبيب ، أي تخصب به الأرض التي يربى عليها . [٦] أي متداولاً بين البلاد ، ينال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المملوءة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أي نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء . [٧] الغدق : الماء الكثير .
 [٨] أي مائتاً للأرض مغطياً لها ، يقال غيث طبق : أي عام واسع يطبق الأرض .
 [٩] هو جمع درة بالكسر يقال للسحاب درة : أي صب واندفاق ، وقيل الدور : الدار ، كقوله تعالى : « دِينًا قِيَمًا » أي قائماً .

واجعله سُقياً نَافِعَةً ، عاجلاً غيرَ رَآثٍ ^(١) ،

فوالله ما ردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى نَحْرِهِ ، حتى أَلْقَت السماء
أَرْوَاقَهَا ^(٢) ، وجاء الناس يَضِجُونَ : الفرقَ الفرقَ يا رسول الله ، فقال : اللهم
حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ! فأنجَاب ^(٣) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها
كالإِكليل ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ^(٤) .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

٢٩٥ - أبو زيد الطائي يصف الأسد

قال عثمان بن عفان رضى الله عنه يوماً لأبى زُبَيْد : حَرَمَلَة بن المنذر الطائي
- وَكَانَ نصرانياً - يا أَخَا تَبَعَ المَسيح ، أَصَمِعْنَا بِمَعْضِ قَوْلِكَ ، فَقَدْ أُنبِئْتُ أَنَّكَ تَجِيدُ ،
فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً لَهُ فِي وَصْفِ الأسد ، فقال عثمان : تَالله تَفْتَأُ تَذَكُرُ الأسدَ
مَا حَيَّيْتُ ! وَالله إِنِّي لَأَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَابًا ، قَالَ : كَلًّا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنِّي
رَأَيْتُ مِنْهُ مَنَظَرًا ، وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا ، لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يَتَجَدَّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي
قَلْبِي ، وَمَعْدُورٌ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ ، فَقَالَ لَهُ عثمان : وَأَنَّى كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
« خَرَجْتُ فِي صُيَّابَةٍ ^(٥) أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، ذَوِي هَيْئَةٍ
وَشَارَةِ ^(٦) حَسَنَةٍ ، تَرْمِي بَنَاءَ الْمَهَارَى ^(٧) بِأَكْسَائِهَا ^(٨) ، وَنَحْنُ نَزِيدُ الْحَارِثِ
ابْنَ أَبِي شَمْرٍ النَّعْسَانِي مَلِكِ الشَّامِ ، فَاخْرَوْطُ ^(٩) بَنَاءَ السَّيْرِ فِي سَهْمَةِ الْقَيْظِ ، حَتَّى

[١] أى غير بطيء . [٢] أَلْقَت السحابة أَدْوَاقَهَا أى مطرها ووبلها .

[٣] انكشف . [٤] النواجذ : أقصى الأضراس .

[٥] الصيابة بالتشديد وتخفف : الخالص والصميم والخيار من الشيء .. [٦] الشارة : الهيئة واللباس
والزينة ، والجمال . [٧] مهرة بن حيدان (بفتح الميم والحاء) : حتى تنسب إليه الإبل المهرية ،
وجمعها مَهَارَى (بفتح الميم والراء) ومَهَار (منقوصاً) ومَهَارَى . [٨] الأكساء : جمع كَسَاء
(كَقَفْلٍ وَعَنْقٍ) وكَسَاء كل شيء : مؤخره . [٩] اخروط بهم الطريق : طال وامتد .

إذا عُصِبَتِ الأفواه ، وَذُبُلَتِ الشِّفَاهُ ، وشالت ^(١) المياه ، وأذكتِ الجوزاءِ
 المعزاءِ ^(٢) ، وذاب الصَّيْهَبُ ^(٣) ، وَصَرَ الْجُنْدُبُ ^(٤) ، وأضاف المصْفُور الضَّبَّ
 في وَكْرِهِ ، وجاوره في جُحْرِهِ ، قال قائل : أيها الركب ، غُورُوا ^(٥) بنا في دَوْحِ
 هذا الوادى ، وإذا وادٍ قد بدلنا كثير الدَّغْلِ ^(٦) ، دائم الغلَلِ ^(٧) ، أشجاره
 مُغْنَةٌ ^(٨) ، وأطيَّره مُرْنَةٌ ^(٩) ، فَخَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبِلَاتٍ ^(١٠) ،
 فَأَصَبْنَا مِنْ فَضْلَاتِ الْمَزَاوِدِ ، وأتبعناها الماء البارد ، فَإِنَّا لَنَصِيفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَمَاطِلَتِهِ ،
 إِذْ صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ ^(١١) ، وَخَفَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ ، فوالله ما لبث أن جال ،
 ثُمَّ تَحَمَّجَمَ ^(١٢) فبال ، ثم فعل فعله الفرسُ الذى يليه واحدا فواحدا ، فتضعضعت
 الخيل ، وتكتمكم ^(١٣) الإبل ، وتقهقرت البغال ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ ^(١٤) ،
 وَنَاهِضٍ بِعِقَالِهِ ، فعلمنا أننا قد أتينا ، وأنه السبع لاشك فيه ، ففرع كل واحدنا إلى
 سيفه ، فاستلَّه من جُرْبَانِهِ ^(١٥) ، ثم وقفنا رَزْدَقًا أَرْسَالًا ^(١٦) ، وأقبل أبوالحارث من

- [١] قلت . [٢] أذكت : أشعلت ، والمعزاء من المعز بالتحريك : وهو الصلاة ، مكان أمعر
 وأرض معزاء ، كناية عن اشتداد الحر . [٣] الصيْب : الصخرة الصلبة والموضع الشديد وكل موضع
 تحمى عليه الشمس حتى يشوى اللحم عليه . [٤] نوع من الجراد ، وصر : صوت .
 [٥] الغور والغور : الدخول في الشيء ، والدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .
 [٦] الدغل : الشجر الكثير المتلف ، واشتراك البت وكثرته . [٧] الغل والغليل والغلة :
 العطش أو شدته أى دائم العطش إلى الماء . [٨] أغن الذباب صوت ، ويقال : واد مغن وهو الذى
 صار فيه صوت الذباب ، ولا يكون الذباب إلا في وار محصب معشب ، والعمة (بالصم) صوت في الحيشوم ،
 والأغن : الذى تشكلم من قبل خياشيمه عن يعن بالفتح فهو أغن ، ومنه قالوا واد أغن أى كثير العشب
 لأنه إذا كان كذلك أله الذباب وفي أصواتها غنة ، وروسة غناء كذلك ، أو تمر فيها الرياح غير صافية
 الصوت لكثافة عشبها . [٩] رنت وأرنت : صاحت . [١٠] السكهل : شجر عظام ، والمزاود :
 جمع مروء كنبر ، وهو وعاء الزباد . [١١] صر الحمار بأذنه وصرها وأصر بها : سواها ونصبها للاستماع .
 [١٢] التحججة والتحمجج : صياح الفرس حين يقصر في الصهيل ويستعين بنفسه ، وصوته إذا طلب العلف .
 [١٣] خافت وفرعت ، كتمته فتكمكم : جبنته وخوفته . [١٤] الشكال : الحبل الذى تشد به
 قوائم الدابة . [١٥] الجربان : نغم السيف . [١٦] الرزدق : الصف من الناس ، والأرسال :
 جمع رسل كسبب وهو القطيع من كل شيء .

أَجْتَه ، يتظالِع ^(١) في مِشِيَّتِهِ ، كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ ^(٢) ، لِيَصْدُرَهُ نَحِيْطٌ ^(٣)
وَلِبْلَاعِيهِ غَطِيْطٌ ^(٤) ، وَلِطَرَفِهِ وَمِيْضٌ ، وَلَأَرْسَاغِهِ تَقِيْضٌ ^(٥) ، كَأَنَّمَا يَخْبِيهِ
هَشِيْمًا ، أَوْ يَطَأُ صَرِيْمًا ^(٦) ، وَإِذَا هَامَةً كَالْمَجْنُ ^(٧) ، وَخَذَتْ كَالْمُسْنِ ، وَعَيْنَا
سَجْرَاوَانِ ^(٨) كَأَنَّهُمَا سَرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ ، وَقَصْرَةٌ رَبِيْلَةٌ ^(٩) ، وَلِهَزْمَةٌ رَهْلَةٌ ^(١٠)
وَكَتْدٌ مُغْبِطٌ ^(١١) ، وَزَوْرٌ مُفْرَطٌ ^(١٢) وَسَاعِدٌ مَجْدُولٌ ، وَعَضْدٌ مَفْتُولٌ ، وَكَفٌّ
شَثْنَةُ الْبَرَاثِنِ ^(١٣) إِلَى مَخَالِبٍ كَالْمَحَاجِنِ ^(١٤) ، فَضْرِبَ يَدَيْهِ فَازَهُجَ ^(١٥)
وَكَشَرَ ^(١٦) فَأَفْرَجَ عَنْ أُنْيَابٍ كَالْمَعَاوِلِ ، مَصْقُولَةٌ ، غَيْرَ مَفْلُولَةٍ ، وَفَمٌ أَشْدَقُ ^(١٧)
كَالْفَارِ الْأَخْوَقِ ^(١٨) ، ثُمَّ تَمَطَّى فَاسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَحَفَزَ ^(١٩) وَرَكِيهَ بِرَجْلَيْهِ ، حَتَّى
صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْعَى ^(٢٠) فَاقْشَعَرَ ، ثُمَّ مَثَلَ فَافْكَهَرَ ^(٢١) ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازَبَّأَرُ ^(٢٢)
فَلَا وَذُو ^(٢٣) يَبِيْتُهُ فِي السَّمَاءِ ، مَا اتَّقِيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ فَزَارَةٍ ، كَانَ ضَخْرُ

- [١] من ظلم كنعن إذا غمز في مشيه . [٢] جنبه : قاده إلى جنبه ، فهو حنّيب ومجنوب ومجنّب والهجار : حمل يشد في رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه ، وإن كان مرحولاً شد إلى الحقب .
[٣] المحيط : الزدير ، والناحط : من يعمل شديداً . [٤] شط البعير غطيظاً هدر ، والنائم صوت وكدا المدبوح والمخنوق . [٥] تقيض الأصابع والأضلاع والمفاصل : أصواتها .
[٦] ثمر صريم : أي مقطوع . [٧] المجن : الرس . [٨] عين سجرأ : خالطت بياض حمرة . [٩] القصرة : أصل العنق ، والربالة بالفتح : كثرة اللحم وهي رلة ومتربلة .
[١٠] اللهرمتان نبتان تحت الأذنين ، والجمع لهازم ، ورهل لحمه : كفّرح اضمح وورم من غير داء
[١١] الكتد : مجتمع الكتفين ، أو السكاهل ، أو ما بين السكاهل إلى الظهر ، وأعبط البات غطى الأرض ، وكشف وتداني ، وأرس مبطلة بفتح الباء ، أي وكاهل معطى بالشعر .
[١٢] من أفرطه إذا ملأه حتى أسال الماء فهو مفرط . [١٣] شثة : أي غليظة خشنة ، شثة كفه : كفّرح وكرم ، والدرائن : جمع برثن كبرقع وهو مخلب الأسد . [١٤] المحاجن : جمع محجن كذا ومكنسة : العصا المعوجة ، وكل معطوف معوج . [١٥] أرمح : أثار الفار ، والرمح (كشمه وسبب) الفبار . [١٦] كشر عن أسنانه : أبدى . [١٧] من الشدق (كسب) وهو سـ الشدق . [١٨] من الحوق (كسب أيضاً) وهو السعة ومنه مفازة خوفاً . [١٩] حفزه دفعه . [٢٠] أقعى : جلس على استه مفترشاً رجله ناصداً يديه . [٢١] قام منتصباً والمكفهر من الوجوه : الضارب لونه إلى الزبرة مع غلط ، والمتعبس . [٢٢] تجهمه وحهمه (كـ : وسم) استقبله بوجهه كرية ، وازبأر : تنفّش . [٢٣] ذو : بمعنى الذي في لغة طي : « لحيي من ذو عندهم ما كفاينا » .

الْجُزَارَةُ ^(١) ، فَوَقَصَهُ ^(٢) ، ثُمَّ نَقَضَهُ نَقْضَةً ، فَقَضَقَضَ ^(٣) مَتْنِيَهُ ، فَعَمِلَ يَلْغُ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرْتُ ^(٤) أَصْحَابِي ، فَبَعَدَ لَأْيِي ^(٥) مَا اسْتَقْدَمُوا ، فَهَجَّجْنَا ^(٦) بِهِ ، فَكَرَّمَقْشِرَ الزُّبْرَةَ ^(٧) ، كَأَن بِهِ شَيْهَمًا ^(٨) حَوْلِيًّا ، فَاخْتَلَجَ ^(٩) رَجُلًا أَعْجَرَ ذَا حَوَايَا ، فَنَقَضَهُ نَقْضَةً تَزَايَلَتْ مِنْهَا مَفَاصِلُهُ ، ثُمَّ هَمَّهِمْ فَقَرَّ قَرَّ ^(١٠) ، ثُمَّ زَفَرَ فَبَرَّ بَرَّ ^(١١) ، ثُمَّ زَارَ بَجْرَجَرٍ ^(١٢) ، ثُمَّ لَحَظَ ، فَوَاللَّهِ لَخَلَّتْ الرِّقُّ يَتَظَايِرُ مِنْ تَحْتِ جَفْوَنِهِ ، عَنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ ، فَأَرُغِشَتِ الْأَيْدِي ، وَأَصْطَكَتِ الْأَرْجُلُ ، وَأَطَّتْ ^(١٣) الْأَضْلَاعُ ، وَارْتَجَّتِ الْأَسْمَاعُ ، وَشَخَّصَتِ ^(١٤) الْعَيُونُ ، وَتَحَقَّقَتِ الظُّنُونُ ، وَانْخَزَلَتْ ^(١٥) الْمُتُونُ ، وَلَحِقَتْ الظُّهُورُ بِالْبُطُونِ ، ثُمَّ سَاءَتِ الظُّنُونُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : اسْكُتْ قَطَعَ اللَّهُ لِسَانَكَ ! فَقَدْ أَرَعِبْتَ قُلُوبَ الْمَسَامِينِ » . (الْأَعْيَانُ ١١ : ٢٣ ، وَالْحَاسِ وَالْأَصْدَادُ ص ١١٢)

٢٩٦ — تَتِمَّةُ فِي الْحَكْمِ ^(١٦)

مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« إِنْ اللَّهُ قَرَنَ وَعْدَهُ بِوَعِيدِهِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا . لَيْسَتْ مَعَ الْعَزَاءِ مُصِيبَةٌ . الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ . ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ :

[١] الْجُزَارَةُ : بِالضَّمِّ الْيَدَانِ وَالرَّحْلَانِ وَالْعَنْقُ . [٢] وَقَصَّ عُنُقَهُ : كَسَرَهَا . [٣] مِنْ نَقَضَ الْبِنَاءُ أَيْ هَدَمَهُ ، وَقَضَقَضَ : مَرَقَ . [٤] الدَّمَرُ : الْمَلَامَةُ ، وَالْحَضُّ وَالنَّهْدُ . [٥] اللَّأْيُ : الْإِبْطَاءُ ، وَالْإِحْتِبَاسُ . [٦] هَجَّجَ بِالْأَسَدِ : صَاحَ . [٧] الرُّبْرَةُ (كَهْرَصَةٌ) هِيَ الشَّعْرَةُ تَتَّبَعُ بَيْنَ كَتِفَيْ الْأَسَدِ . [٨] الشَّيْهَمُ : مَا عَظُمَ شَوْكُهُ مِنْ ذِكْرَانِ لِقِنَاقِدَ ، وَالْحَوْلُ : مَا أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ . [٩] اخْتَلَجَ : جَذَبَ وَانْتَرَعَ ، وَالْأَعْجَرُ : السَّيِّئُ ، عَجْرٌ : كَهْرَجٌ غَلْظٌ وَسَمٌ وَصَخْمٌ بَطْنُهُ ، وَالْحَوَايَا : جَمْعُ حَاوِيَةٍ ، وَهِيَ مَا تَحْرِي مِنْ الْأَمْعَاءِ أَيْ اسْتِدَارَ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ عَظِيمُ الْبُطْنِ . [١٠] الْهَمْمَةُ : تَرَدُّدُ الرَّئِيرِ فِي الصَّدْرِ ، وَكُلُّ صَوْتٍ مَعَهُ بَحْجٌ ، وَالْقَرَقَرَةُ : هَدِيرُ الْبَعِيرِ . [١١] الْبَرْبَرَةُ : الْجَلْبَةُ وَالصِّيَاحُ . [١٢] الْجَرْجَرَةُ : صَوْتُ يَرُدُّهُ الْبَعِيرُ فِي حَنْجَرَتِهِ . [١٣] الْأَطِيطُ : صَوْتُ الرَّحْلِ وَالْإِيلِ إِذَا أُنْتُ نَعْبًا أَوْ حَذِيًّا ، وَصَوْتُ الظَّهْرِ ، وَالْجَرْفُ مِنَ الْجَوْعِ . [١٤] شَخَّصَ بَصْرَهُ كَنَعَ : فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَجَمَلَ لَا يَطْرَفُ ؟ [١٥] الْإِنْخِرَالُ وَالْإِنْخَزَلُ : مَشْيِيَّةٌ فِي تَنَاقُلٍ . وَمَتْنَا الظَّهْرِ : مَكْسِفَا الصُّلْبِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ . [١٦] فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَأْثُورٌ أَحَادِيثُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَوَامِعُ كَلِمِهِ ، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، وَشَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ عَلَيْهِ وَغَيْرُهُمَا كَثِيرٌ مِنْ حِكْمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَأَقْرَأَهَا هُنَاكَ .

الْبَغْيُ ، وَالنُّكُثُ ، والمكر . ذَلْ قَوْمُ أُسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ ، لَا يَكُونُنْ قَوْلُكَ لَعْنًا فِي عَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ . إِذَا فَاتَكَ خَيْرٌ فَأَدْرِكْهُ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ شَرٌّ فَاسْبِقْهُ .
 إِنْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عَيْونًا تَرَكَ . احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبَ لَكَ الْحَيَاةُ . - قَالَ لَخَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ - رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَعَانَ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ . أَطْوَعُ النَّاسَ لِلَّهِ أَشَدُّهُمْ بَغْضًا لِمَعْصِيَتِهِ . إِنْ اللَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مَا يَرَى مِنْ ظَاهِرِكَ ، إِنْ أَوْلَى النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَوَلِيًّا لَهُ . لَا تَجْعَلْ سِرَّكَ مَعَ عَلَانِيَتِكَ ، فَيَمْرُجَ (١) أَمْرُكَ ، خَيْرُ الْخَصْلَتَيْنِ لَكَ أَبْغَضُهُمَا إِلَيْكَ . صِنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ .
 وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

« مِنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوَلَاةُ مَنْ شَقِيَّتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ . اتَّقُوا مِنْ تُبْغِضُهُ قُلُوبُكُمْ . أَعْقِلِ النَّاسَ أَعْذِرْهُمْ لِلنَّاسِ . لَا تُؤْجِلْ عَمَلَ يَوْمِكَ لَعَدِكَ . مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ كَانَ جَدِيرًا أَنْ يَقَعَ فِيهِ . مَا الْحَمْرُ صِرْفًا بِأَذْهَبَ لِلْعَقُولِ مَنْ الطَّمَعِ . قَلِمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . مُرُّ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا . غَمَّضْ عَنِ الدُّنْيَا عَيْنَكَ وَوَلَّ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُهْلِكَ كَمَا أَهْلَكَتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَصَارِعَهَا ، وَعَايَنْتَ سُوءَ آثَارِهَا عَلَى أَهْلِهَا ، وَكَيْفَ عَرَى مِنْ كَسَتْ ، وَجَاعَ مِنْ أَطْعَمَتْ ، وَمَاتَ مِنْ أَحْيَتْ . احْفَظْ مِنَ النِّعْمَةِ احْتِفَازَكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ ، فَوَاللَّهِ لَهِيَ أَخَوْفُهُمَا عِنْدِي عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَدْرِكَ وَتَخْذَعَكَ . الدُّنْيَا أَمَلٌ مَخْتَرَمٌ وَأَجَلٌ مُنْتَقَصٌ ، وَبَلَاغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسِيرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ، فَارْحَمِ اللَّهَ امْرَأً فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ، وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ . إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ ، مَفْسَدَةٌ لِلْجَوْفِ ، مُؤَدِيَةٌ إِلَى السَّقَمِ . رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي ، أَفْلَحَ مِنْ حَفِظَ مِنَ الطَّمَعِ وَالْغَضَبِ وَالْهَوَى نَفْسَهُ . »

ومن كلام عثمان رضى الله عنه :

« مَا يَزَعُ ^(١) الله بالسلطان أكثر مما يَزَعُ بالقرآن . يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك . أنتم إلى إمام فعَّال أحوج منكم إلى إمام قوَّال - قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه » .

ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه :

« صاحب المعروف لا يقع ، فإن وقع وجد مُتَّكَا . الحِرْمان خير من الامتنان . مِلَّاك أمركم الدين ، وزينتكم العلم ، وحصون أعراضكم الأدب ، وعزكم الحلم ، وحليتكم الوفاء . القِرابَةُ تُقَطَّع ، والمعروف يُكْفَر ، ولم يُرَ كالمودة . لا تُتَمَّارِ سفيهاً ولا حليماً ، فإن السفية يؤذيكَ ، والحليم يَقْلِيكَ ^(٢) ، واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالحسنات ، مأخوذ بالسيئات » .

ومن كلام ابن مسعود رضى الله عنه :

« ما أَلْدَخَان على النار بأدَلَّ من الصاحب على الصاحب ، الدنيا كلها غموم ، فما كَانَ منها فى سرور فهو ربح » .
ومن كلام المغيرة بن شعبه :

« إن المعرفة لتتفع عند الكلب العقَّور ، والجلل الصَّئُول ^(٣) ، فكيف بالرجل الكريم ! » .

ومن كلام أبي الدرداء :

« السُّودَدُ اصطناع البشيرة ، واحتمال الجريرة ، والشرف كَفُ الأذى ، وبذل الندى ، والغنى قلة التمنى ، والفقر شره النفس »

[١] يكف . [٢] يفضك . [٣] صؤل الجمل : وائب الناس أو صار يقتلهم ويعدو عليهم .

ومن كلام أبي ذرٍّ :

« إن لك في مالك شريكين : الحِذَّان ^(١) والوارث ، فإن قَدَرْتَ ألا تكون

أَخْسَرَ الشركاءَ حظاً فافعل » . (مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٢٧٦ ، ونهاية الأرب ٣ : ٤)

استدراك ما فات من .

العَصْرُ الْجَاهِلِيّ

سقط بعض الموضوعات من العصر الجاهلي في أثناء الطبع ، ولم أُنَبِّه لها إلا بعد البدء في طبع عصر صدر الإسلام ، فرأيت إرجاءها إلى آخر الجزء محافظة على انتظام سلسلة الترقيم ، وهامى ذى :

٢٩٧ — خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة

تنافرت قريش وخزاعة ^(٢) إلى هاشم بن عبد مناف ، فخطبهم بما أذعن

له الفريقان بالطلعة ، فقال في خطبته :

« أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النَّضْرِ بن كِنَانَةَ ^(٣)

وبنو قُصَيِّ بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسُكَّانَ الحَرَمِ ، لنا ذروة الحَسَبِ ، ومعدن

المجد ، وَلِكُلِّ فِي كُلِّ حِلْفٍ ^(٤) يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته ، إلا مادعا

[١] حدثان الدهر : نوبه وأحداثه . [٢] خزاعة : حى من الأزد ، سموا بذلك لأنهم تخزعوا

عن قومهم (أى تخلفوا عنهم وانقطعوا) في إقبالهم من اليمن ، وذلك أنه لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مارن على ماء بين زبيد وزمع ، وأقبل بنو عمرو بن عامر فأنحروا عن قومهم فزولوا مكة .

[٣] النضر : الحد الثانى عشر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصى الجد الرابع . [٤] الحلف : العهد

بين القوم والصدقة ، والصديق يخاف لصاحبه أن لا يعدر به ، وقوله « لكل في كل » أى لكل في صاحبه صديق يجب عليه نصرته .

إلى حقوق عشيرة ، وَقَطَعَ رَحِمَ ، يابني قصى : أنتم كغصنى شجرة أيهما كُسِرَ
أوحشَ صاحِبَهُ ، والسيِّف لا يَصَانُ إِلَّا بِغِمْدِهِ ، وراى العشيرة يصيبه سهمُهُ ،
وَمَنْ أَفَحَّكَه ^(١) اللجَّاجُ أخرجَه إلى البغى .

أيها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كَنْزٌ ، والجود سُوءُ دُودٍ
والجهل سَفَهٌ ، والأيام دُولٌ ، والدهر غَيْرٌ ^(٢) ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ
بعمله ، فاضْطَنَعُوا المعروف تكسِبُوا الحمد ، ودعوا الفضول تُجَانِبْكُمْ السفهاء ،
وَأَكْرَمُوا المجلس يَعْمُرُ نَادِيَكُمْ ، وحاموا الخَلِيطَ يُرْغَبُ فِي جِوَارِكُمْ ، وأنصفوا
من أنفسكم يُوثَقَ بِكُمْ ، وعليكم بمكارم الأخلاق فَإِنَّهَا رَفْعَةٌ ، وإياكم والأخلاق
الدَّنيَّةَ فَإِنَّهَا تَضَعُ الشَّرَفَ ، وتهدم المجد ، وَإِنْ نَهْنَهَةً ^(٣) الجاهل أهون من
جَرِيرَتِهِ ^(٤) ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به .
فقالت قريش : « رضينا بك أبا نَضْلَةَ » ، وهى كنيته .

(بلوغ الأرب ١ : ٣٢٢)

٢٩٨ — منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية ^(٥)

تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشى ملك الحبشة ، فأبى

[١] أغضبه . [٢] أى ذو غير ، وغير الدهر : أحداثه المعيرة ، جمع غيرة بالكسر ، أو مفرد
وجمه أغيار . [٣] نهبه عن الأمر : كفه وزحره . [٤] فى الأدل « حزيرته » ، وفى
كتب اللغة : « حزرة المال ، وحزيرته : خياره » ولا معنى لها هنا ، وأرى أنها مصحفة عن « حزيرته » .
[٥] وسبب ذلك أن عبد المطلب كان له جار يهودى يقال له أذينة ، يتجر وله مال كثير ، فعاظ ذلك
حزب بن أمية ، وكان نديم عبد المطلب ، فأعزى به فتیاناً من قريش ليقتلوه ، ويأخذوا ماله ، فقتله عامر بن
عبد مناف بن عبد الدار ، وصهر بن عمرو بن كعب التيمي ، جدّ أبى بكر رضى الله عنه ، فلم يعرف
عبد المطلب قاتله ، فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحزب بن أمية ، فأبى حرباً ولأوله
وطلبهما منه فأخفاهما ، فتفاظا فى القول ، حتى تنافرا إلى النجاشى فلم يدخل بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن
عبد العزى جدّ عمر بن الخطاب فنفر عبد المطلب عليه ، فترك عبد المطلب منادمة حرب ، ونادم عبد الله بن
جدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة ، فدفعها إلى ابن عم اليهودى ، وارتفع ماله إلا شيئاً هلك ، فعمره
من ماله .

أن ينفر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نُفَيْلُ بن عبد العُزَّى بن رياح ، فقال لحرب :
 « يا أبا عمرو : أتنافر رجلا هو أطول منك قامَةً ، وأعظم منك هامَةً ،
 وأوسم منك وسامة^(٢) ، وأقل منك ملامَةً ، وأكثر منك وَلَدًا ، وأجزل عَفْدًا^(٣)
 وأطول منك مِدْوَدًا^(٤) ، وإني لأقول هذا وإنك لبعيدُ الغَضَبِ ، رفيعُ الصَّوْتِ
 في العرب ، جلدُ المَرِيرَةِ^(٥) ، جليل العشيرة ، ولكنك نافرت مُنْفَرًا .
 فغضب حرب وقال : إن من انتكاس^(٦) الزمان أن جعلت حكا ..

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨١)

٢٩٩ — مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر

قدم على امرئ القيس بن حُجْر السَكْنَدِي بعد مقتل أبيه رجال من قبائل
 بني أسد ، وفيهم قَبِيصَةُ بن نَعِيم يسألونه العفو عن دم أبيه^(٧) ، فخرج عليهم في
 قَبَاءٍ وَخَفٍّ وعمامة سوداء — وكانت العرب لا تَعْتَمُ بالسواد إلا في التَّراتِ —
 فلما نظروا إليه قاموا له ، وَبَدَرُ إليه قبيصة فقال :

«إنك في المحلِّ والقَدْر ، والمعرفة بتصرف الدهر ، وما تُحْدِثُهُ أيامه ، وتَنَقَّلُ
 به أحوالُهُ ، بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرب ،
 ولك من سُودَدَ مَنْصِبِكَ ، وَشَرَفَ أَعْرَاقِكَ^(٨) ، وكرم أَصْلِكَ في العرب ،
 مُحْتَدٍ^(٩) يحتمل ما مُثْمَلَ عليه ، من إقالة العَثَرَةِ ، ورجوعٍ عن الهَفْوَةِ ، ولا تتجاوز

[١] نفره عليه : قضى له عليه بالغبية . [٢] الوسامة : الحسن والجمال . [٣] الصفد : العطاء .
 [٤] المذود : اللسان . [٥] المريرة : الحبل الشديد الفتل ، والمزيمة . [٦] أي انقلاب الزمان
 من انتكس أي وقع على رأسه ، وفي الطبري : انتكاث بالناء من انتكاث الحبل وهو انتفاخه .
 [٧] وكانت بنو أسد (وهم من الضرية) خاضعة للملوك كندة ، وآخر ملك عليهم هو حجر أبو
 امرئ القيس ، وقد ثاروا عليه وتتلوه لأنه كان قد عسف في حكمه لهم ، واشتط عليهم في الإتاوة التي
 يؤدونها إليه . [٨] الأعراق : جمع عرق وهو أصل كل شيء . [٩] المحتد : الأصل .

الهمم إلى غايةٍ إلا رَجَعَتْ إليك ، فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي ، و صيرة
الفهم ، وَكَرَّمَ الصَّفْح ، ما يطول رَغَبَاتِهَا ، ويستغرق طَلِبَاتِهَا ، وقد كَانَ الذي
كَانَ من الخطْبِ الجَلِيل ، الذي نَمَّتْ رزيتُهُ نِزَاراً واليمن ، ولم تُخْصَصْ بذلك
كِندةٌ دوننا ، للشرف البارِع كَانَ لِحُجْر ، التاجُ والعمَّةُ فوق الجبين الكريم ،
وإخاء الحمد وطيب الشَّيْم ، ولو كَانَ يُفْدَى هالكٌ بالانفس الباقية بعده لما بَخَلَتْ
كرامَتُهَا على مثله ، ولكنه مَضَى به سبيلٌ لا يرجعُ أخراه على أولاه ، وَلَا
يَلْحَقُ أقصاه أدناه .

فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى ثلاث :
إمّا أَنْ اخْتَرْتَ من بنى أَسَدَ أَتْرَفَهَا بَيْتاً ، وأَعْلَاهَا في بناء المَكْرُمَاتِ صوتاً ،
فَقَدْ نَاهَ إِلَيْكَ بِنِسْمَةٍ ^(١) ، تَذْهَبُ مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقٍ فَصَرَتْهُ ^(٢) ،
فنقول : رجل امْتَحَنَ بهالكِ عَزِيزٍ ، فلم يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ ^(٣) إِلَّا تَمَكَّنَتْهُ من الانتقام ،
أَوْفَدَاءَ بِنَايِرٍ ^(٤) على بنى أَسَدٍ من نَعَمِهَا ، ذَهَى أَلُوفٍ تَجَاوَزُ الْحِسْبَةَ ، فَكَانَ ذَلِكَ
فِدَاءً رَجَعْتَ بِهِ الْقُضْبُ ^(٥) إِلَى أَجْفَانِهَا ، لم يَرُدِّهَا تَسْلِيْطُ الْإِحْنِ ^(٦) عَلَى الْبِرَاءِ ،
وإِمَّا أَنْ وَادَعْتَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلَ ، فَتُسْذَلِ الْأُزُرُ ، وَتُعْقَدَ الْحُمُرُ فُوقَ الرَايَاتِ .
فبَكَى امْرُؤُ الْقَيْسِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ :

٣٠٠ - رد امرئ القيس عليه

« لقد علمت العرب أنه لَا كُفَّ لِحُجْرٍ فِي دَمٍ ، وَأَنِّي إِنِ اعْتَاضَ بِهِ جَمَلًا وَلَا

[١] النسم : سهر عريض تشد به الرحال ، والقطعة منه نعمة . [٢] القصرة : أصل العق .
[٣] السخيمة : الحقد . [٤] يرجع ، وأراح الإبل : ردها إلى المراح بالضم أى المأوى ، والعم :
الإبل والشاء أراض بالإبل ، وهو المراد هنا . [٥] السيوف . [٦] الإحن : جمع إحنة ،
وهى الحقد .

ناقة ، فأكتسب به سبة الأبد ، وفَتَّ العَضُدُ ^(١) ، وأما النظرة ^(٢) فقد أوجبها الأجنة في بطون أمهاتها ، وإن أكون لعطبها سبباً ، وستعرفون طلائع كيندة من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حنقاً ، وفوق الأسنة علقاً ^(٣) :
إذا جالت الحرب في مآزقٍ تُصافحُ فيه المنايا النفوسا
أتقيمون أم تنصرفون ؟

قالوا : « بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذية ، وحرب وبليّة » ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل :
لعلك أن تستوخم الورْدَ إن غدتِ كَتَابُنَا في مآزق الحرب تُطَرِّدُ ^(٤)
فقال امرؤ القيس : « لا والله ، ولكن أستعذبه ، فرؤيدا ، ينفرج لك دجأها
عن فرسان كيندة وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا بي أولى ، إذ كنت
نازلاً بربعي ^(٥) ، ولكنك قلت فأوجبت » فقال قبيصة : « ما يتوقع فوق
قدر المعاتبة والإعتاب ^(٦) » فقال امرؤ القيس : « هو ذاك » .

(صبح الأعشى ٢ : ٢١٦ والأغانى ٨ : ٧٢)

٣٠١ — بين مهلهل بن ربيعة ومرة بن ذهل بن شيبان
لما قتل جساس ^(٧) بن مرة بن ذهل الشيباني كليب ^(٨) بن ربيعة التغلبي ،

[١] فته : كسره ، وهو كناية عن الصعف والوهن . [٢] الإمهال . [٣] أى دماً .

[٤] تستوخمه : أى تحده وخبها . [٥] الريع : المزل .

[٦] أعتبه : أرضاه . [٧] وسبب ذلك أن البسوس بنت منفذ التميمية خالة جساس كان لها جار من جرم يقال له سعد بن شمس ، وكانت له ثقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية ، في أنف الريع ، فلم يكن يرعاه أحد إلا لابل حساس لمصاهرة بينهما — وكانت جلييلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب — فخرجت سراب في لابل حساس ترعى في حمى كليب ، ونظر إليها كليب فأناكرها فرماها بهم فأصاب ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها ينحب دماً وليناً . فلما نظر إليها صرخ بالدل ، فخرجت البسوس فضربت يدها على رأسها ، ونادت واذلاء وسمها جساس فسكتها ، وقال لها : ليقتلن غداً من أعظم من ناقة جارك ، ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أمكنته منه الفرصة فقتله ، ونشبت من أحل ذلك الحرب (حرب البسوس) بين بكر وتغلب ابني وائل أربعين سنة « وبنو شيبان بطن من بكر » .
[٨] اسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن قلب بن وائل

تَشْمَرُ أخوه مُهْلِيل^(١)، واستعد لحرب بكر، وجمع إليه قومه، فأرسل رجالاً منهم إلى بنى شيبان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان (أبا حساس) وهو في نادى قومه، فقالوا له :

« إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب^(٢) من الإبل ، فقطعتم الرَّحِمَ ، وאתمكتم الحرمة ، وإنا كَرِهْنَا العَجَلَةَ عليكم دون الإعذار إليكم ، ونحن نعرض عليكم خلا لا أربعا ، لكم فيها نخرج ، وإنا فيها مَقْنَعٌ ، فقال مرة : وماهى ؟ قالوا : تُحْيِي لَنَا كَلِيبًا ، أو تدفع إلينا حساسًا قَاتِلَهُ فَنَقْتُلُهُ بِهِ ، أو هَمَامًا^(٣) فَإِنَّهُ كُفٌّ لَه ، أو تَمَكِّنُنَا مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنْ فِيكَ وَفَاءٌ مِنْ دَمِهِ ، فقال : « أَمَا إحيائي كليبًا ، فهذا ما لا يكون ، وأما حساس فإنه غلام طعن طَعْنَةً على عَجَلٍ ، ثم ركب فرسه ، فلا أدرى أى البلاد احتوى عليه ، وأما همام فإنه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، كلهم فُرْسَانٌ قومهم ، فلن يساموه لى ، فأدفعه إليكم يُقْتَلُ بِجَرِيرَةٍ^(٤) غيره ، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جَوْلَةً غَدًا ، فأكون أول قتيل بينهما ؟ فما أتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خَصْلَتَانِ ، أما إحداها فهو لاء بنى الباقون ، فعَلَّقُوا فى عُنُقِ أَيْهَمِ شَتَمِ نِسْعَةٍ ، فانطلقوا به إلى رحالكم ، فاذبحوه ذَبْحَ الْجَزُورِ ، وإلا فألفُ ناقة سود الحَدَقِ ، مُحَرُّ الْوَبَرِ ، أقيم لكم بها كفيلا من بنى وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تَبَذَّلْ لَنَا وَلَدُكَ ، وتسومنا اللَّبَنَ من دم كليب ؟ وَنَشَبَتِ الحرب بينهم » .

(العقد الفريد ٣ : ٧٨ ، والسكامل لابن الأثير ١ : ١٩٠ ، والأغانى ٤ : ١٤١)

وإنما لقب كليباً لأنه كان إذا سار أخذ معه جروكائب ، فإذا صار بروضه أو موضع بعجه ، صر به ثم ألقاه فى ذلك المكان وهو يصيح ويبع ، فلا يسمع عواجه أحد إلا نجسه ولم يقر به ، وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فعلم عليه . [١] اسمه عدى بن ربيعة ، وإنما قيل له المهمل لأنه أزل من هامل الشعر أى أرقه . [٢] الناقة المسنة . [٣] هو همام بن مرة أخو حساس ، وكان نديماً لمهلل . [٤] الجريرة : الجريمة .

٣٠٢ — ما دار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر

وبين عامر بن جوين الطائي

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر ، جد النعمان بن المنذر ، وذلك بعد انقضاء ملك كِنْدَةَ ، ورجوع الملك إلى نَحْمٍ ، وكان عامر قد أجاز امرأ القيس بن حُجْر ، أيام كَانَ مقيماً بالجَبَلَيْنِ ^(١) ، وقال كلمته إلتع يقول فيها :

هُنَالِكَ لَا أُعْطَى مَلِيكَاً ظُلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ ^(٢)

[١] الحلان : سلمى وأجأ (بكبل) شرق المدينة ، وهما لطيم ، قال رجل من بني سلامان جاور في طيم :

ألفت مساكن الجابين إني رأيت العوث يأثمها العريب

(والعوث قبيلة من طيم) . [٢] قال صاحب اللسان : « ابن مندلة رجل من سادات العرب ، قال عمرو بن حوين فيما زعم السرياق ، أو امرؤ القيس فما حكى الفراء :

وَأَلَيْتَ لَا أُعْطَى مَلِيكَاً مُقَادَتِي وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ »

وقال الميداني في شرح المثل « لا غزو إلا العقيب » — ج ٢ : ص ١٣١ — : « يقال عقب الرجل : وهو أن يعز مرة ثم يث من سبه ، وأول من قال ذلك حجر بن الحارث بن عمرو آكل المرار (أبو امرئ القيس) وذلك أن الحارث بن مندلة ملك السأم ، وكان من ملوك سليج من ملوك الضجاعم (سليج كبريج قبيلة ناليم ، والصدام كانوا ملوكاً للشأم) وهو الذي ذكره مالك بن جويس الطائي في شعره فقال :

هَذَا لَا أُعْطَى رَئِيساً مُقَادَةً وَلَا مَلِكاً حَتَّى يَثُوبَ ابْنُ مَنْدَلَةَ

وكان قد أعار على أرض نجد ، وهي أرض حجر بن الحارث هذا ، وذلك على عهد بهرام جور ، وكان بها أهل حجر فوجد القوم خلوعاً (الخلوف بالصم : الذين ذهبوا من الحى ، ومن حضر منهم أيضاً) ووجد حجراً قد غزا أهل نجران ، فاستاق ابن مندلة مال حجر ، وأخذ امرأته هند الهنود (وهي هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية) ووقع بها فأعجبها ، وكان آكل المرار شجاعاً كبيراً ، وابن مندلة شاباً جميلاً ، فقالت له : النجاء النجاء ، فإن وراءك طالباً حثيثاً ، وجمعاً كثيراً ، ورأياً صليباً ، وحزماً وكيداً ، فخرج ابن مندلة من هذا إلى الشام (أى مسرعا) فلما رجع حجر وجد ماله قد استيق ، ووجد هنداً قد أخذت ، فقال : من أعار عليكم ؟ قالوا ابن مندلة ، قال : مذكم ؟ قالوا : ثمانى ليال ، فقال حجر : لا غزو إلا العقيب ، فأرسلها مثلاً بمعنى غزوه الأول والثاني .

ثم حدث في طلب ابن مندلة ، حتى دفع إلى واد دون مبرل ابن مندلة فكمين فيه ، وبعث سدوس ابن شيدان ، فقال له : اذهب متكرراً إلى القوم حتى تعلم لنا علمهم ، فانطلق حتى انتهى إلى ابن مندلة ، ثم رجع إلى حجر فحدثه بحديث امرأته مع ابن مندلة ، فضرب حجر بيده على المرار (والمرار كغراب : شجرة

وَكَانَ الْمُنْذِرُ ضَعْفًا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا عَامِرُ ، لَسَاءَ مَثْوًى أَتَوَيْتَهُ رَبِّكَ وَتَوَيْتَ^(١) ، حِينَ حَاوَلْتَ إِصْبَاءَ طَلَّتِي^(٢) وَمَخَالَفَتَهُ إِلَى عَشِيرِهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ كَرِيمًا لِأَتَوَيْتَهُ مُكْرَمًا مُوَقَّرًا ، وَلِجَانِبَتِهِ مُسَلِّمًا ، فَقَالَ لَهُ : آيَةُ اللَّعْنِ^(٣) لَقَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءَ أَدَدَ^(٤) إِنِّي لِأَعَزُّهَا جَارًا ، وَأَكْرَمُهَا جَوَارًا ، وَأَمْنَعُهَا دَارًا ، وَلَقَدْ أَقَامَ وَافِرًا ، وَزَالَ شَاكِرًا ، فَقَالَ لَهُ الْمُنْذِرُ : « يَا عَامِرُ ، وَإِنَّكَ لَتَخَالُ هُضَيْبَاتٍ أَجَا ذَاتَ الْوَبَارِ^(٥) ، وَأَفْنِيَّاتٍ سَلَمَى ذَاتِ الْأَغْفَارِ^(٦) ، مَا نِعَمَاتِكَ مِنَ الْمَجَرِ^(٧) الْجَرَّارِ ، ذِي الْعَدَدِ الْكَثَّارِ^(٨) ، وَالْحُصْنِ وَالْمِهَارِ^(٩) ، وَالرِّمَاحِ الْجَرَّارِ^(١٠) ، وَكُلِّ مَاضِي الْفَرَارِ^(١١) ، يَدُ كُلِّ مِسْعَرٍ كَرِيمِ النَّجَّارِ^(١٢) ؟ قَالَ عَامِرُ : آيَةُ اللَّعْنِ ، إِنْ بَيْنَ

مَرَّةً إِذَا أَكَلَتْ مِنْهَا الْإِبِلُ تَقْلَصَتْ مَشَاوِرُهَا (فَأَكَلَ مِنْهَا مِنَ الْعُضْبِ ، فَسَمَتَهُ الْعَرَبُ آكَلَ الْمَرَارِ ، (وَقِيلَ : آكَلَ الْمَرَارَ هُوَ أَبُوهُ الْخَارِثُ) ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى ابْنِ مَنْدَلَةَ وَقَتْلَهُ ثُمَّ قَتَلَ هِنْدًا وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنْ مِنْ يَأْمَنِ النِّسَاءِ بَشَى هِنْدَ الْجَاهِلِ مَزُورِ
كُلِّ أَثَى وَإِنْ تَبَيَّنَتْ مِنْهَا آيَةُ الْحُبِّ ، حَبِهَا خَيْتَعُورِ
(وَالْخَيْتَعُورُ : كُلُّ شَيْءٍ لَا يَدُومُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَصْحَلُ كَالسَّرَابِ ، وَكَالَّذِي يَنْزِلُ مِنَ الْهَوَاءِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ كَنَسْجِ الْعَسْكَوْتِ) .

وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي الْأَدْنَى (١٥ : ٨٢) وَلَكِنَّهُ رَوَى أَنَّ الَّذِي أَغَارَ عَلَى حَجَرٍ هُوَ زِيَادُ بْنُ الْهَبُولَةِ قَالَ : « ثُمَّ لَمَّا رِيَادُ بْنُ الْهَبُولَةِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ ضَعْمَانَ بْنِ حَمَاطَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَلِيجِ الْفَصَاعِيِّ أَغَارَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَلِكٌ فِي رِبْعَةٍ بِنِزَارٍ ، وَكَانَ قَدْ غَزَا بَرِّيَّةَ الْبَحْرَيْنِ فَبَلَغَ زِيَادًا غَزَاتِهِ فَأَقْبَلَ حَتَّى أَغَارَ فِي مَمْلَكَةِ حَجَرٍ فَأَخَذَ مَالًا كَثِيرًا وَسَبَى امْرَأَةً حَجَرٍ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ » .

[١] تَوَى الْمَكَانَ وَبِهِ : نَزَلَ ، وَأَتَوَاهُ : أَضَافَهُ ، وَالْمَثْوَى : الْمَنْزِلُ ، وَالتَّوَى : كَتَبَ الْبَيْتَ الْمَهْيَأَ لَهُ ، وَالضَّيْفُ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . [٢] الطَّلَّةُ الْعَمُوزُ ، وَصَالَةُ الرَّجُلِ مَالٌ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفَتْوَةُ وَأَصَابَتُهُ الْمَرْأَةَ ، وَالْمُرَادُ حَاوَلَتْ رَدَّ عَرِهِ السَّالِفَ إِلَيْهِ . [٣] آيَةُ اللَّعْنِ نَحْوَةُ جَاهِلِيَّةٍ أَيْ آيَةُ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَنْعَنُ بِهِ .

[٤] هُوَ أَدَدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ يَشْجَبَ (نَصَبُ الْجَيْمِ) بْنُ عَرِيبَ (بَفَتْحِ الدَّيْنِ) بْنُ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأِ بْنِ يَشْجَبَ بْنِ يَمْرِبَ بْنِ قَحْطَانَ ، وَبَنُو أَدَدَ : هُمُ الْمَذْحِجِيُّ وَطِيُّ وَالْأَشْعَرُ .

[٥] الْوَبَارُ : شَجَرَةٌ حَامِضَةٌ شَائِسَةٌ . [٦] الْفَمْرُ بِالتَّحْرِيكِ صَدَارُ الْكَلَأِ .

[٧] الْجَرُّ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ . [٨] الْكَثِيرُ . [٩] الْحَصْنُ : جَمْعُ حِصَانٍ وَهُوَ الْفَرَسُ الذَّكَرُ وَالْمِهَارُ : جَمْعُ مِهْرٍ وَهُوَ وَلَدُ الْفَرَسِ . [١٠] الْحَرَارُ وَالْأَحْرَارُ : جَمْعُ حَرٍّ وَهُوَ خِيَارُ كُلِّ شَيْءٍ .

[١١] الْفَرَارُ : جَمْعُ رَمَحٍ وَالسَّهْمِ وَالسَّيْفِ . [١٢] يُقَالُ هُوَ مِسْعَرٌ حَرَبٌ أَيْ مَوْقِدُ نَارِهَا كَأَنَّهُ آتِلَةٌ لِسَعْرِ الْحَرْبِ أَيْ إِيقَادُهَا ، وَالنَّحَارُ : الْأَصْلُ .

تلك الهُضَيْبَاتِ وَالرَّعَانِ ^(١) ، والشَّعَابِ وَالْمُصَّدَانِ ^(٢) ، لَفْتِيَانَا أَبْطَالَا ، وكهولا
أَزْوَالَا ^(٣) ، يَضْرِبُونَ الْقَوَانِسَ ^(٤) ، وَيَسْتَنْزِلُونَ الْفَوَارِسَ ، بِالرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ ^(٥)
لَمْ يَتَّبِعُوا الرَّعَاءَ ^(٦) ، وَلَمْ تُرَشَّحْهُمْ ^(٧) الْإِمَاءُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا عَامِرُ لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ
الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلاً ، كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَعْقَعَةً ^(٨) وَصَلِيلًا ، وَفَغَرَّ
الْمَوْتُ ^(٩) ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتُ ، فَتَقَارَشَتِ الرِّمَاحُ ^(١٠) ، وَحَمَى السِّلَاحُ ، لَتَسَاقَى
قَوْمُكَ كَأَسَا لَا صُخُورَ بَعْدَهَا ، فَقَالَ : مَهْلًا أَيْتَ اللَّعْنِ ، إِنْ شَرَّابِنَا وَبَيْلُ ،
وَحَدَّنَا أَلِيلَ ^(١١) ، وَمَعَجَمَنَا صَلِيبَ ^(١٢) ، وَلِقَاءَنَا مَهْيَبَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَامِرُ ، إِنَّهُ
لَقَلِيلٌ بَقَاءُ الصَّخْرَةِ الصَّرَاءِ ^(١٣) عَلَى وَقْعِ الْمَلَّاطِيسِ ^(١٤) ، فَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ ،
إِنَّ صَفَاتِنَا عِبْرُ الْمَرَادِيسِ ^(١٥) ، فَقَالَ : لَا وَقِظَنَّ قَوْمُكَ مِنْ سِنَّةِ الْغَفْلَةِ ، ثُمَّ
لَأَعْقِبَنَّهُمْ بَعْدَهَا رَقْدَةً لَا يَهْبُ رَاقِدَهَا ، وَلَا يَسْتَيْقِظُ هَاجِدَهَا ^(١٦) ، فَقَالَ لَهُ

-
- [١] الرَّعَان : جمع رعن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ويجمع أيضاً على رعون .
[٢] الشَّعَاب : بالفتح الجبل وبالكسر الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج
بين الجبلين ، المصد (كشمس وكتف) والمصاد (كسحاب) الهضبة العالية وجمعه أمصدة ومصدان .
[٣] أزوال : جمع زول ، وهو الشجاع . [٤] القوانس : جمع قوس كجمر ، والقوس
والقونوس : أعلى بيضة الحديد . [٥] المداعس جمع مدعس ، وهو الرمح الذي لا يثني .
[٦] الرعاء : بالضم والكسر ، الرعاة : جمع راع . [٧] الترشيح : التزينة .
[٨] القعقعة حكاية صوت السلاح ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت .
[٩] أي وفتر الموت فاه : أي فتحه . [١٠] تقارشت الرماح تداخلت في الحرب .
[١١] حاد ، وألله تأليلاً حده . [١٢] عجم العود كنصر إذا عضه ليعرف صلابته من خوره
والمعجم اسم مكان منه وصلب أي صلب وهو كناية عن شدتهم ومنعتهم . [١٣] صخرة صرراء : صماء .
[١٤] اللطس : كبير ، واللطاس : المعول الغليظ لكسر الحجارة .
[١٥] الصفاة : الحجر الصلب الصخيم ، ويقال ناقة عبر أسفار (بتثنية العين) أي قوية على السفر تشق
مامرت به ، تقطع الأسفار عليها ، وكذا الرجل الجريء على الأسفار الماصي فيها القوي عليها ، والمردس
والمرداس : شيء صلب عريض تدك به الأرض ، وردسها دكها به ، وردس الحجر بالحجر (كنصر وضرب)
كسره ، ومعنى العبارة إن صفاتنا تحمل دك المراديس فلا تنحطم تحتها ، كناية عن صلابتهم وشدتهم .
[١٦] الهجود : النوم .

عامر: إن البغي أباد عمراً^(١)، وصَرَخَ حُجْرًا^(٢)، وكانا أعزَّ منك سلطانًا، وأعظم شائنا، وإن لقيتَنا لم تلقَ أنكاسًا ولا أغساسًا^(٣)، فهَبَّشَ وصَنَائِعَكَ^(٤)، وهَلُمَّ إذا بدا لك، فنحن الألى قَسَطُوا^(٥) على الأملاك قبلك، ثم أتى راحلته فركبها، وأنشأ يقول:

تَعَلَّمْ (أَيَّتَ اللَّعْنِ) أَنْ قَنَاتَنَا تَزِيدُ عَلَى غَمَزِ الثَّقَافِ تَصَعُّبًا^(٦)
أَتُوْعِدُنَا بِالْحَرْبِ؟ أُمُّكَ هَابِلٌ رُوَيْدُكَ بَرَقًا، لَا أَبَالِكَ، خُلْبًا^(٧)

[١] هو عمرو بن المذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه، وقوة سياسته (وهو عمرو بن هند) وأمه هند بنت الحارث بن عمرو عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث، وكان سبب قتله أنه قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أن أحداً من العرب يألف أن تخدم أمه أمى؟ قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التعلبي، فإن أمه ليلى بنت مهامل بن ربيعة، وعمها كليب وائل، وزوجها كلثوم بن عتاب، وابنها عمرو، فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستريه، ويسأله أن تزور أمه أمه، فقدم عمرو بن كلثوم في مرساة من بني تغلب، ومعه أمه ليلى، فنزل على شاطئ الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته، فصنع لهم طعاماً، ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السراشق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخوادم أصحابه في السراشق، ولأمه هند قبة في حجاب السراشق، ولبى أم عمرو ابن كلثوم معها في القبة، وقد قال مضرط الحجارة لأمه إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فتجى خدمك عنك، فإذا دنا الطرف فاستحدي ليلى ومريها فتناولك الشيء بعد الشيء، ففعلت هند ما أمرها به ابنها، فلما استدعى الطرف، قالت هند ليلي: ناولي ذلك الطبق. قالت لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فألحت عليها، فقالت ليلى وادلاها يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، مثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السراشق وليس هناك سيف غيره فأخذ، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله، وخرج فنادى يا آل تغلب فانتبهوا ماله وخيله، وسبوا النساء، وساروا فلاحقوا بالحيرة (تاريخ الكامل لابن الأثير ١: ١٩٧)

[٢] هو حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) وقد تقدم خبره.

[٣] الانكاس: جمع نكس بالكسر وهو الضعيف، والأعساس: جمع غس بالصم وهو الضعيف أيضاً.

[٤] هبش: جمع، والوضائع: جمع وضيفة، أنمال القوم وما يأخذه السلطان من الحراج والمتور، والصنائع: جمع صنيفة: يقال هو صنيفة فلان، وصديعه إذا اصطلمه وأدبه وخرجه ورناه، والمعنى: فتجهز

للحرب، واجمع الأموال اللازمة لذلك واحشد رجالك المدربين على القتال. [٥] أي جاروا.

[٦] الثقف: ما تسوى به الرماح. [٧] هبلته أمه (كفرح) فقدته، والبرق الحلب: المطمع الخلف.

إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلَةً بِالْقَنَا
أَبَيْتُ الَّتِي تَهْوَى ، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي
فَإِنْ شَدَّتْ أَنْ تَزْدَارَنَا فَاتِ تَعْتَرِفْ
وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ
وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جِلَادُهُمْ
فَأَغْضِ عَلَى غِيظٍ وَلَا تَرُمِ الَّتِي
وَحَامَتِ رِجَالُ الْعَوْتُ دُونِي تَحْدُبًا^(١)
تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبًا^(٢)
رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقَرَبًا^(٣)
رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا كَشِيفًا وَكَوْكَبًا^(٤)
وَمَلْهُيَ بِأَكْنَافِ السَّيْرِ وَمَشْرَبًا^(٥)
تُحْكِمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبًا^(٦)
(ذيل الأملى ص ١٧٩)

٣٠٣ — قيس بن رفاعه والحارث بن أبي شمر الغساني

كَانَ قَيْسُ بْنُ رِفَاعَةَ يَفْدُ سَنَةً إِلَى النُّعْمَانِ اللَّخْمِيِّ بِالْعِرَاقِ ، وَسَنَةً إِلَى
الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرِ الْغَسَّانِيِّ بِالشَّامِ^(٧) ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَهُ : يَا بْنَ رِفَاعَةَ ،
بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَفْضِلُ النُّعْمَانَ^(٨) عَلَى ؟ قَالَ :

[١] خطر الرجل بسيفه ورمحه رفعه مرة ووسعه أخرى ، وجديلة والعوث من طيء ،
وتحدب به تعلق ، وتحدب عليه تعطف . [٢] الحرج كسبب لوان من بياض وسواد خرج كفرح فهو
أخرج ، وطمح أخرج وهو الذي لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد ، والكهبة : الدهمة (السواد)
أو عبرة مشربة سوادا ، كهت كفرح وكرم فهو أكهت وكاهب . [٣] ازداره : راره (افتعل من
الريارة) واعترف الشيء عرفه ، وأدال ثوبه إذا أطال ذيله قال كثير :

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها فأذالها

والحديد : الدروع ، وشيء معقرب : أى معوج معطوف ، يريد أنها دروع مررودة (الرد والسرود
بالمفتح تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض) والمعنى تحمد أبطالا قد لبسوا الدروع السابعة المزرودة ، وهاك
معنى آخر وهو : يقال أذال فرسه إذا أهانه ، والحديد : أى الفرس الحديد السير أى السريع ، والمعقرب
الشديد الحلق الختمه . وجمار معقرب الحلق أى ملوؤ مجسم شديد ، فالعنى : تحمد أبطالا يجهدون فى ميدان
القتال أفراسهم كرا وصولا على الأعداء . [٤] الكوكبة : الجمادة . [٥] السدير والخورنق :
قصران بنهما النعمان الأكبر بالحيرة . [٦] الرمح الزاعى : هو الذى إذا هز كان كمويه يجرى
بعضها فى بعض لينه ، والحرب : المحدد .

[٧] كان المماذرة ملوك الحيرة من لحم ، والغساسنة : ملوك الشام من الأزد . فكلاهما من أصل يمنى ،
وكان بينهما أحقاد وأضغان وحروب . [٨] النعمان بن المنذر .

« وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ؟ فوالله لآفأك أحسن من وجهه ،
ولأثمك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشمالك أجود من
يمينه ، ولحزامانك أنفع من نداءه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، ولثمادك^(١) أغزر
من غديره ، ولكرسيك أرفع من سريريه ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك
أفضل من شهوره ، ولشهرك أمد من حوله ، ولحولك خير من حقه^(٢) ، ولزائدك
أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، وإنك لمن غسان أرباب الملوك ، وإنه
لمن لحم الكثيرى النوك^(٣) ، فكيف أفضله عليك^(٤) ؟ » .

(الأماي ١ : ٢٦١ ومروج الذهب ١ : ٢٩٨)

٣٠٤ — قس بن ساعدة عند قيصر

وكان قس بن ساعدة ينفذ على قيصر ويذوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند
علمه ، قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما
أفضل المال ؟ قال : ما فُضي به الحقوق . (الأماي ٢ : ٩٣)

٣٠٥ — رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعى

عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب قالوا :
« أجذببت بلاد مذحج فأرسلوا رواداً^(٥) ، من كل بطن رجلاً ، فبعثت
بنوزيد رائداً ، وبعثت النخع رائداً ، وبعثت جعفي رائداً ، فلما رجع الرواد قيل

[١] الثماد : الماء القليل لا مادة له . [٢] الحب بالضم وبصوتين : ثمانون سنة أو أكثر ،
والدهر ، والسنة أبعداً . [٣] النوك بالضم والفتح : الحق . [٤] وذكر المسعودي أن هذا
الحديث كان بين حسان بن ثابت الأمباري ، وبين الحرث بن أبي شمر .
[٥] الرواد : جمع رائد ، وهو المرسل في طلب الكلاء .

لرائدِ بنى زبيد ماوراءك ؟ قال : رأيت أرضاً مؤشمة^(١) البقاع ، ناتحة^(٢) النّقع ،
مستحلّسة الغيطان^(٣) ضاحكة القرّيان^(٤) واعدة^(٥) وأخر بوفائها ، راضية أرضها
عن سمائها . وقيل لرائد جعفي : ما وراءك ؟ قال : « رأيت أرضاً جمعت السماء^(٦)
أقطارها ، فأمرّعت أصبارها^(٧) ، ودبّنت أوعارها^(٨) ، فبطنانها غمقة^(٩) ،
وظهرانها غدقة^(١٠) ، ورياضها مستوسقة^(١١) ، ورقاقها رائخ^(١٢) ، وواطئها
سائخ^(١٣) ، وماشيها^(١٤) مسرور ، ومضرمها^(١٥) محسور » . وقيل للنّخعيّ
ماوراءك ؟ فقال : « مداحي^(١٦) سيل ، وزهاء^(١٧) ليل ، وغيل^(١٨) يواصي غيلاً ،
قد ارتوت أجزازها^(١٩) ، ودمّت عزازها^(٢٠) ، والتبدت أقوازها^(٢١) ، فرأئدها

- [١] أوشم الأرض : إذا بدا فيها شيء من النبات (وأوشمت السماء : إذا بدا فيها برق) .
[٢] النّقع : جمع نقي (كشمس) وهو الأرض الحرة الطين يستنقع فيها الماء ، وناتحة : أى
راشعة ، من النّج وهو خروج العرق من الجلد .
[٣] الغوط ، والعيط ، والعاط ، والعائط المطمئن الواسع من الأرض وجمعه عرط (باضم) وأعواط
وغيطان ، وغياط ، واستحلّس البت إذا غطي الأرض أو كاد يعطيها . [٤] القرّيان : مجارى الماء
من الربو إلى الرياس جمع قرى كعمى . [٥] أى تمت تمام نباتها وخيرها ، وأخر : أحلى .
[٦] السماء هنا المطر ، يريد أن المطر جاد بها ، فطال البت ، فصار المطر كأنه قد جمع أكسافه .
[٧] مرع الوادى مثل الرّاء مراعة وأمرع : أعشب وأحصب فهو مرع ومرع ، وأصبارها : نواحيها
جمع صبر بالكسر والضم . [٨] دبّنت : لبنت . [٩] البطان : جمع بطى ، وهو العامض من
الأرض أى المطمئن منها ، وغمقة : ندية . [١٠] الظهران : جمع ظهر ، وهو ما ارتفع يسيراً ، وغدقة :
كثيرة البلل والماء . [١١] منتظمة . [١٢] الرقاق : الأرض اللينة من غير رمل ، ورائخ : مفرط
اللين ، يقال : ربخت العجين إذا كثرت مائه ، ورائخ العجين يرخ . [١٣] أى تسوخ رجلاه فى الأرض
من لينها ، وتسوخ وتثوخ واحد . [١٤] الماشى : صاحب الماشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت
ماشيته . [١٥] المصرم : الفقير المقل . [١٦] مداحى : جمع مدحى اسم مكان من دحا الأرض يدحوها
ويدحاها دحوا : أى بسطها . [١٧] أى الزهاء الشخص وإنما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته .
[١٨] الغيل : الماء الجارى على وجه الأرض ، ويواصي : يواصل . [١٩] الأجزاز : جمع جزز
(بصميتين) وهى التى لم يصبها المطر ، أو التى قد أكل نباتها ، أو التى لا تثبت . [٢٠] دمت : لين
(وروى دمت كفرح) ودمت لان ، والعزاز : الأرض الصلبة . [٢١] الأنوار : جمع قوز
(كشمس) وهو المستدير من الرمل .

أَنَقِ^(١) وراعيها سَنَقِ^(٢) فلا قَضَضَ^(٣) ولا رَمَضَ^(٤) ، عازِبُها^(٥) لا يُفَزَعُ ،
وَوَارِدُها لا يُنْكَعُ^(٦) ، فاختاروا مَرَادَ^(٧) النخعي . (الأملی ١ : ١٨٣)

٣٠٦ — إحدى ملكات اليمين وخاطبوها

وذكروا أن ملكة كانت بِسَبَأً^(٧) ، فأتاها قوم يخطبونها ، فقالت : ليصف
كل رجل منكم نفسه ، وليَصُدُقْ وليُوجِزْ ، لأتقدم إن تقدمتُ ، أو أدعَ إن
تركتُ ؛ على علم ، فتكلم رجل منهم يقال له مُدْرِكُ ، فقال : « إن أبي كان في
العز الباذخ^(٨) ، والحَسَبُ الشامخ ، وأنا شَرِسُ الخليقة ، غير رَعْدِيدٍ^(٩) عند
الحقيقة » قالت : لا عِتَابَ على الجندل فأرسلتها مثلاً^(١٠) ، ثم تكلم آخر منهم
ويقال له ضَبِيسُ بن شَرِمِ فقال : « أنا في مال أثبت^(١١) ، وخلق غير خييت ،
وحسب غير عيث^(١٢) ، أحذو النعل بالنعل ، وأجزى القرض^(١٣) بالقرض »
فقالت : لا يسرك غائباً مَنْ لا يسرك شاهداً ، فأرسلتها مثلاً . ثم تكلم آخر
منهم ، يقال له شَمَّاسُ بن عباس فقال : « أنا شماس بن عباس ، معروف بالندى
والباس ، حسن الخلق في سَجِيَّةٍ ، والعدل في قَضِيَّةٍ ، مالى غير محظور على القُلِّ
والكُثْرِ ، وبابى غير محجوب على العُسر واليُسْر » قالت : الخير مَتَّبِعُ والشر محذور

[١] أى معجب بالمرعى . [٢] من سنق كفرح أى شم واتخم ، وراعيها : الذى يرعاها .
[٣] القفض : الحصى الصغار ، يريد أن السبات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قصصاً ، والرمض : أن
يحمى الحصى والحجارة من شدة الحر ، يقول : ليس هناك رمض لأن السبات قد غطى الأرض .
[٤] العازب : الذى يعزب بأبله أى يبعد بها فى الموعى . [٥] أى لا يمنع . [٦] أى مرعى .
[٧] سبأ : بلدة باليمن . [٨] العالى . [٩] الرعيد : الجبان . [١٠] قال الميدانى :
« يضرب فى الأمر الذى لُذِّقَ وقع لأمرد له ، قاله أبو عمرو » . [١١] كثير : عظيم .
[١٢] لم أجدي كتب اللغة وصفاً من مادة عث على فعل ، وإنما الذى فيها « رحل عث بفتح الين أى
ضئيل الجسم » وسياق الفواصل يرجح أن الوصف الذى هنا فعل ، وأرى أن معناه مشين معيب من دشت
العدة الصوف إذا أكلته فهو دشت بمعنى معثوث . [١٣] القرض : القطم .

فأرسلتها مثلاً . ثم قالت : اسمع يا مدرك ، وأنت يا ضئيس ، لن يستقيم معك معاشرة اعشير حتى يكون فيكما لين عريكة ^(١) ، وأما أنت يا شماس ، فقد حلت مني محل الأهزغ ^(٢) من الكنانة ، والواسطة ^(٣) من القلادة ، لدمانة ^(٤) خلقك ، وكرم طباعك ، ثم اسع بجِدٍّ أودع ، فأرسلتها مثلاً ، وتزوجت شماساً .
(مجمع الأمثال ٢ : ١١٨)

٣٠٧ — خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال :
« يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، منعك ، أو بعثك ، النكاح خير من الأئمة ^(٥) ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية ، أنصح ابناً ، وأودع ضعيفاً قوياً ، ثم أقبل على قومه فقال :
« يا معشر عدوان : أخرجت من بين أظهركم كريمتكم ، على غير رغبة عنكم ، ولكن من خُطَّ له شيء جاءه ، رب زارع نفسه حاصدٌ سواء ، ولولا قسم الحظوظ على قدر الجود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحياء ^(٦) ، أنبت المرعى ، ثم قسمه أكلاً ^(٧) ، لكل فم بقلة ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذي قلب واعٍ ^(٨) ،

[١] العريكة : الطبيعة ورجل ابن العريكة : أي سلس الحلق . [٢] الأهزغ آخر سهم في الكنانة رديفاً كان أو جيداً أو هو أفضل سهامها لأنه يدخر لشدة أو هو أردوها ، والمراد هنا الثاني .
[٣] واسطة المقد : الجوهرة الفاخرة التي تجمل وسطه . [٤] الدمانة : السهولة .
[٥] الأيامي : الدين لأزواج لهم من الرجال والنساء الواحد منهما ، أيم تجيد سواء كان تزوج من قبل أم لم يتزوج ، وامرأة أيم بكرة كانت أو ثيباً ، وقد آمت ثيم أيماً وأئمة وأبوماً ، وفي الحديث : « أنه كان يتعوذ من الأئمة » . [٦] الحياء : المطر . [٧] الأكل : مايؤكل والرزق .
[٨] حافظ .

ولكل شيء راعٍ ، ولكل رزق ساعٍ ، إما أكيسُ وإما أحمقُ ، وما رأيت شيئاً إلا سمعت حسبه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائياً إلا داعياً ، ولا غانماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يُمَيِّتُ الناسَ الدَّاءُ ، لأحياهم الدواء ، فهل لكم في العلم العليم ؟ قيل ماهو ؟ قد قلت فأصبت ، وأخبرت فصدقت ، فقال : أموراً شتى ، وشيئاً شياً ، حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسموات ، فتولَّوا عنه راجعين ، فقال : وَيَأْمُهَا ^(١) نصيحة لو كان مَنْ يقبلها .

(مجمع الأمثال ١ : ٢١١ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٧ ، والعقد الفريد ٣ : ٢٢٣)

٣٠٨ — وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه

وَكَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي سَيِّدَ قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَبُرَ وَخَشِيَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَمُوتَ ، اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّكَ سَيِّدُنَا وَقَائِلُنَا وَشَرِيفُنَا ، فَاجْعَلْ لَنَا شَرِيفًا وَسَيِّدًا وَقَائِلًا بَعْدَكَ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : كَلَفْتُمُونِي بَغِيًّا ، إِنْ كُنْتُمْ شَرَّفْتُمُونِي فَإِنِّي أُرِيْتُمْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي ، فَأَتَى لَكُمْ مِثْلِي ؟ أَفْهَمُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ لَمْ يَجْتَمِعَا لَهُ ، وَكَانَ الْبَاطِلُ أَوْلَى بِهِ ، وَإِنْ الْحَقُّ لَمْ يَزَلْ يَنْفِرُ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَمْ يَزَلِ الْبَاطِلُ يَنْفِرُ مِنَ الْحَقِّ .

يَا مَعْشَرَ عَدَوَانٍ : لَا تَشْمَتُوا بِالذَّاتَةِ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِالْعِزَّةِ ، فَبِكُلِّ عَيْشٍ يَعِيشُ الْفَقِيرُ مَعَ الْغَنِيِّ ، وَمَنْ يَرَى يَوْمًا يُرَى بِهِ ^(٢) ، وَأَعِدُّوا لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَابَهُ ، إِنْ مَعَ

[١] يقال للمستجد ويله : أى ويل لأمه ، كقولهم : لا ب لك يريدون لا أب لك دركروه وجعلوه كالغنى الواحد . [٢] أى من رأى يوماً على عدوه رأى مثله على نفسه .

السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال وفيها ذمامة ^(١) ، ولليد العليا ^(٢) العاقبة
والقود ^(٣) راحة ، لا لك ولا عليك ، وإذا شئت وجدت مثلك ، إن عليك كما أن
لك ، وللكترة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده
يوشك أن يقع قريباً منه . (مجمع الأمثال ٢ : ١٨٣)

٣٠٩ — وصية دويد بن زيد لبنيه

لما حضرت دويد ^(١) بن زيد الوفاة قال لبنيه :
« أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبزة ، ولا تقيلوهم عبزة ^(٥) ، قصروا
الأعنة ، وطولوا الأسنة ، واطعنوا شزراً ^(٦) ، واضربوا هبراً ^(٧) ، وإذا أردتم
المحاجة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجد ^(٨) لا بالكد ، التجلد
ولا التبلد ، والمنية ولا الدنية ، ولا تأسوا على فائت وإن عزّ فقده ، ولا تحثوا
إلى ظاعن وإن ألف قربه ، ولا تطمعوا فتطبعوا ، ولا تهنؤوا فتخرعوا ^(٩) ، ولا
يكونن لكم المثل السوء » إن الموصين بنو سهوان ^(١٠) « إذا ميت فأزحجوا ^(١١)

-
- [١] الدمامة بالفتح ويكسر ، والذمة : العهد ، والسكافة ، والحق ، والحرمة . [٢] اليد العليا :
المعطية ، والسفلى : السائلة ، وفي الحديث : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، وهو حث على الصدقة .
[٣] القود : القصاص . [٤] هو دويد بن زيد بن نهد الحميري ، وكان من المعمرين . قيل عاش
أربعمائة وستاً وحمدين سنة ، (قالوا : ولا يعد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً) .
[٥] أقال الله عبثته : رده من سقوطه . [٦] الطعن في الجواب عيباً وشملاً .
[٧] هبر اللحم : قطعه قطعاً كبيراً ، والهبرة (بالفتح) القطعة المجتمعة منه وضرب هبر وهبير هابر :
أى يقطع اللحم . [٨] الطبع محرّكة : الدنس . [٩] الوهن : الضعف ، والحراة : (كنباهة)
اللين والرخاوة خرع : ككرم ، وخرع كفرح ضعف ، فهو خرع ، وخريع ، وانكسر .
[١٠] قال الميداني في مجمع الأمثال « ١ : ٦ » : « هذا مثل تحبب في تفسيره كثير من الناس ، قال بعضهم :
لأنما يحتاج إلى الوصية من يسهو ويفعل ، فأما أنت فغير محتاج إليها لأنك لا تسهو ، وقال بعضهم : يريد
بقوله بنو سهوان جميع الناس لأن كلهم يسهو ، والأصوب في معناه أن يقال : إن الذين يوصون بالشيء
يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ، يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به ، والسهوان : السهو ،
وبجور أن يكون صفة أى بنو رجل سهوان ، وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فيها ونسى ، يقال رجل
سهوان وساء ، أى إن الذين يوصون لابد أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام » . [١١] أزحجه : وسعه .

خَطَّ مَضْجَعِي ، وَلَا تَضِنُّوا عَلَيَّ بِرُحْبِ^(١) الْأَرْضِ ، وَمَا ذَلِكَ بِمُؤَدِّ إِلَيَّ رَوْحًا^(٢) ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ نَفْسٍ خَافَرَهَا الْإِشْفَاقُ^(٣) .

قال أبو بكر بن دُرَيْدٍ فِي حَدِيثٍ آخِرٍ إِنَّهُ قَالَ :

الْيَوْمَ مُيِّنَنِي لِذُوَيْدٍ يَتُّهُ يَارُبُّ نَهَبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ^(٤)
وَرُبَّ قِرْنٍ بَطِيلٍ أَرْدَيْتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنِ لَوَيْتُهُ^(٥)
وَمِمِّصَمٍ مَخْضَبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ^(٦)
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمَرْتَضَى ١ : ١٧١)

٣١٠ - وصية زهير بن جناب الكلبي

وأوصى زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيَّ^(٥) بِنَيْهِ فَقَالَ :

« يَا بَنِيَّ : قَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَبَلَغْتَ حَرَسًا^(٦) مِنْ دَهْرِي ، فَأَحْكَمْتَنِي
التَّجَارِبَ ، وَالْأُمُورَ تَجَرِبَةً وَاخْتِبَارًا ، فَاحْفَظُوا عَنِّي مَا أَقُولُ وَعَوُّهُ ، إِيَّاكُمْ وَالْخَوَارِ
عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَالتَّوَاكُلَ عِنْدَ النَّوَائِبِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ لِلْغَمِّ ، وَشِمَاتَةٌ لِلْعَدُوِّ ،
وَسَوْءُ ظَنٍّ بِالرَّبِّ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مَغْتَرِّينَ ، وَلَهَا آمَنِينَ ، وَمِنْهَا
سَاخِرِينَ ، فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا ، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوهَا ، فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي
الدُّنْيَا غَرَضٌ^(٧) تَعَاوَرَهُ الرُّمَاتُ ، فَتَقَصَّرُ دُونَهُ ، وَمَجَاوِزُ لِمَوْضِعِهِ ، وَوَاقِعٌ عَنِ يَمِينِهِ
وَشِمَالِهِ ، ثُمَّ لَا يَبْدُو أَنَّهُ مُصِيبُهُ » .

(أُمَالِي السَّيِّدِ الْمَرْتَضَى ١ : ١٧٣)

[١] الرُّحْبُ : بِالضَّمِّ مَصْدَرٌ ، وَبِالْفَتْحِ وَصْفٌ . [٢] أَيْ رَاحَةٌ ، أَوْ هُوَ بِالضَّمِّ أَيْ وَمَا ذَاكَ
بَرْحَمٍ إِلَى رَوْحِي . [٣] الْبَيْلُ : السَّاعِدُ الرِّيَاسُ الْمَمْلُوكُ . [٤] الْمَعْصَمُ : مَوْضِعُ السَّوَارِ أَوْ الْيَدِ ،
وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا . [٥] هُوَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ ، قِيلَ عَاشَ مَائَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ
مَائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، وَقِيلَ أَرْبَعُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَذَلِكَ يُدْعَى الرُّكَّاهُ لَصِحَّةِ رَأْيِهِ . [٦] الْحَرَسُ مِنَ الدَّهْرِ :
الطَّوِيلُ ، وَحَرَسَ : كَسَمِعَ عَاشَ زَمَانًا طَوِيلًا . [٧] الْغَرَضُ : الْهَدَفُ ، وَتَعَاوَرَهُ (تَعَاوَرَهُ)
أَيْ تَدَاوَلَهُ .

٣١١ — وصية النعمان بن ثواب العبدى لبنيه

كَانَ لِلنَّعْمَانِ بْنِ ثَوَابِ الْعَبْدِيِّ بَنُونَ ثَلَاثَةٌ: سَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَسَاعِدَةٌ ، وَكَانَ أَبُوهُمْ ذَا شَرَفٍ وَحِكْمَةٍ ، وَكَانَ يُوصِي بَنِيهِ ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى أَدْبِهِ ، أَمَّا ابْنُهُ سَعْدٌ فَكَانَ شَجَاعًا بَطْلًا مِنْ شَيَاطِينِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَامُ لِسَبِيلِهِ ، وَلَمْ تَفُتَّهُ طَلِبَتُهُ قَطُّ ، وَلَمْ يَفِرَّ عَنْ قِرْنٍ ؛ وَأَمَّا سَعِيدٌ فَكَانَ يُشَبِّهُ أَبَاهُ فِي شَرَفِهِ وَسُودَدِهِ ؛ وَأَمَّا سَاعِدَةٌ فَكَانَتْ صَاحِبَةً شَرَابٍ وَنَدَامَى وَإِخْوَانٍ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ حَالَ بَنِيهِ دَعَا سَعْدًا ، وَكَانَ صَاحِبَ حَرْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا بُنَيَّ إِنْ الصَّارِمَ يَنْبُو ، وَالْجَوَادَ يَكْبُو ، وَالْأَثَرَ يَعْفُو ^(١) ، فَإِذَا شَهِدْتَ حَرْبًا ، فَرَأَيْتَ نَارَهَا تَسْتَعِرُّ ، وَبَطْلَهَا يَخْطُرُ ، وَبَحْرَهَا يَزْخَرُ ، وَضَعِيفَهَا يُنْصَرُّ ، وَجَبَانَهَا يَحْجُرُ ، فَأَقْلِلِ الْمُسْكْتَ وَالْإِنْتَظَارَ ، فَإِنْ الْفِرَارَ غَيْرَ عَارٍ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ طَالِبَ نَارٍ ، فَإِنَّمَا يُنْصَرُّونَ هُمْ ^(٢) ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ صَيِّدَ رِمَاحِهَا ، وَنَطِيعَ نِطَاحِهَا .
وَقَالَ لِابْنِهِ سَعِيدٍ ، وَكَانَ جَوَادًا : « يَا بُنَيَّ لَا يَبْخُلُ الْجَوَادُ ، فَابْذُلِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ^(٣) ، وَأَقْلِلِ التَّلَاحَ ^(٤) ، تُذْكَرُ عِنْدَ السَّمَاحِ ، وَابْلُ ^(٥) إِخْوَانِكَ ، فَإِنْ وَفَيْهِمْ قَلِيلٌ ، وَاصْنَعِ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ مُحْتِمَلِهِ » .

وَقَالَ لِابْنِهِ سَاعِدَةٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ شَرَابٍ : « يَا بُنَيَّ إِنْ كَثُرَ الشَّرَابُ ، تُفْسِدَ الْقَلْبَ ، وَتَقْلِلَ الْكَسْبَ ، وَتُجِدَّ اللَّعِبَ ^(٦) ، فَأَبْصِرْ نَدِيمَكَ ، وَاحْمِرْ حَرِيمَكَ ، وَأَعِزَّ غَرِيمَكَ ^(٧) وَاعْلَمْ أَنَّ الظُّمَأَ الْقَامِحَ ^(٨) ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ ، وَعَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فَإِنْ فِيهِ بَلَاغًا » .
(بحج الأمثال ١ : ٤٨)

[١] عفا الأثر : درس واهى . [٢] أى طلاب النار . [٣] الطاروف والطريف : المال المستحدث ، والتالذ ، والليد ، والتلاد ، والتلذ : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك .
[٤] التلاحى : التنازع ، ولاجاه ملاحاة ولحاء تارعه . [٥] اختبر . [٦] أى تجعله جدًا ، والجد (بالكسر) ضد الهزل . [٧] الريم : المدين (وهو الدائن أيضا) . [٨] معناه العطش الشاق خير من رى يفضح صاحبه ، وقح العير قوحاً : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو قامح ، وقح البعير : اشتد عطشه حتى فتر شديداً .

٣١٢ — وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط

جاور قيس بن زهير العبسي^(١) بعد يوم الهبأة النمر بن قاسط ، وتزوج منهم ، وأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال :
 « يا معشر النمر : إن لكم عليّ حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم ، فأمركم بخصال ،
 وأنها لكم عن خصال ، عليكم بالأناة ، فإن بها تُدرك الحاجة ، وتُنال الفرصة ،
 وتسويد من لا تُعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ، فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء
 من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وإجارة
 الجار على الدهر ، وتنفيذ المنازل عن بيوت اليتامى ، وخطط الضيف بالعيال .
 وأنها لكم عن الغدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرّهان ، فإنني به تَكَلِّت مالكم
 أخى ، وعن البغى ، فإنه قتل زهيراً أبى^(٢) ، وعن الإعطاء فى الفضول ، فتعجزوا

[١] هو صاحب حرب داحس والغبراء ، وكان من قصته أنه تراهن هو وحذيفة بن بدر سيد بني ديان على درسيهما داحس (درس قيس) والغبراء (درس حذيفة) — وقيل إنهما تراهنا على داحس والغبراء فرسى قيس ، والخطار والحقاء درسى حذيفة — وتواصما الرهان على مائة بعير ، ثم قادوهما إلى رأس الميدان ، وفي طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتيانا على طريق المرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية ، وأرسلوهما فأحصرا ، فلما شارف داحس الغاية ودنا من الفتية ، وثبوا في وجهه فردوه عنها ، وعلم قيس بذلك ، ومث حذيفة بن بدر ابنه مالكا إلى قيس يطلب منه حق السبق ، فقال قيس كلا لأمظلك به ، فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلط له ، وكان إلى جنب قيس رمح قطعته به فدق صلبه ، واجتمع الحيان وأدّوا دية المقتول ، وأخذوا حذيفة دفعا للشر ، ثم إن قومه ندموه فعاد الشر بينهم ، وقامت الفتى بين الحيين ، وعدا حذيفة على مالك بن زهير أن يقي قيس قتله ، وكان الريح بن زياد عمهما معترلا الحرب ، فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شقّ ذلك عليه وقاتل بني ديان ، ثم توالى أيام الحروب بينهم ، وكان أعطاهم يوم الهبأة حتى أصلح بينهم الحرب بن عوف وهرم بن سنان المريان ، وحللا ديات القتلى ثلاثة آلاف بعير .

[٢] وسبب مقتل زهير بن جذيمة العبسي أنى قيس ، أن هوازن بن منصور كانت تؤتى الإتاوة زهير ابن جذيمة — ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد — فأنت مجوز من هوازن إلى زهير بسمن ونحى (الحى كحمل الزق ، أو ما كان للسمن خاصة) فاعتذرت إليه ، وشكبت السنين اللواتى تنابن على الناس ، مداته فلم يرض طعمه ، فدعها أى دفعها بقوس في يده فسقطت فبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان وصدرها من الفيط ، وكانت يومئذ قد كثرت بنو عامر بن صعصعة فثاروا إليه فقاتلوه حتى قتلوه .

عن الحقوق ، وعن السَّرَف في الدماء ، فإن يوم الهَبَاءَة ^(١) ألزمنى العار ، ومنع
الحُرْم إلامن الأكفاء ، فإن لم تصيبوا لهنّ الأكفاء ، فإن خير منّا كهنّ القبور ،
(أو خير منازلها) ، واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً ، ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا
أخى ، وظلمتهم بأن قتلتم من لا ذنب له .

(العقد الفريد ٣ : ٢٢٤ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٤٩ ، وشرح البيون ص ٩٠)

٣١٣ - نصيحة الجمانة بنت قيس بن زهير لجدها الربيع بن زياد

كان قيس بن زهير العبّسى قد اشترى من مكة درعاً حسنةً ، تسمى ذات
الفضول ، ووردَ بها إلى قومه ، فرآها عمه الربيع بن زياد ، وكان سيد بنى عبّس ،
فأخذها منه غصباً ، فقالت الجمانة بنت قيس لأبيها : دعنى أناظر جدّى ، فإن
صلح الأمر بينكما ، وإلاّ كنتُ من وراء رأيك ، فأذن لها ، فأتت
الربيع فقالت :

« إذا كان قيسٌ أبى ، فإنك يا ربيعُ جدّى ، وما يجب له من حقّ الأبوةِ
علىّ ، إلاّ كالذى يجب عليك من حقّ البنوةِ لى ، والرأى الصحيحُ تبعته العِنايةُ ،
وتجملّى عن تحضيه النصيحةُ ، إنك قد ظلمتَ قيساً بأخذ درعه ، وأجدّ مكافأته
إياك سوءَ عزمه ، والمعارضُ منتصرٌ ، والبادى أظلم ، وليس قيسٌ ممن يُخوّفُ
بالوعيد ، ولا يردّعه التهديدُ ، فلا تركننّ إلى منابذته ، فالحزمُ فى متاركتِهِ ،

[١] وكان حذيفة بن بدر وأخوه نزلا مع أصحابهما فى جفر الهباءة ، فاتبعهم قيس ومن معه حتى أدركهم
فيه ، وقد أرسلوا خيولهم ونزعوا سلاحهم (وكان حذيفة قد أخذ علامين من بنى عبّس ، فقتلتهما ، وهما
يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا) فشدّ قيس والربيع ومن معهما عليهم ، وهم ينادون ليكم ليكم ، يعى أنهم
يجيئون نداء الصبية لما قتلوا ينادون يا أبتاه ، فنادى الله والرحم ، فلم يقلوا منهم ، وقتلوا حذيفة وحملوا
أخاه ، ومثلوا بحذيفة فقطعوا مذاكيره وحملوه فى فيه وجعلوا لسانه فى استه ، وأسرف قيس فى النكاية
والقتل ، وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار ، ولكن قيساً ندم بعد ذلك ورثى حمل بن بدر ، وهو
أول من رثى مقتوله .

والحربُ مَتَلَفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ والتَّلَادِ ، والسَّلْمُ أَرْخَى للبال ، وَأَبْقَى
لِلنَّفْسِ الرجال ، وبحقِّ أقول : لقد صَدَعْتُ بِحُكْمٍ ، وما يدفعُ قولي إلا غيرُ
ذِي فَهْمٍ » ، ثم أنشأت تقول :

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فَرَأَى أَبِي رَأَى الْبَخِيلِ بِمَالِهِ وَشَيْمَةُ جَدِّي شَيْمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِي

(بلاغات النساء ص ١٢٥)

٣١٤ — وصية حصن بن حذيفة لبيته

وأوصى حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بني بدر فقال :

« اسمعوا مني ما أوصيكم به : لَا يَتَّكِلَنَّ آخِرُكُمْ عَلَى أَوَّلِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُدْرِكُ
الْآخِرُ مَا أَدْرَكَهُ الْأَوَّلُ ، وَأَنْكِحُوا الْكُفَّاءَ الْغَرِيبَ ، فَإِنَّهُ عِزٌّ حَادِثٌ ، وَإِذَا
حَضَرَكم أَمْرَانِ ، فَخُذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا ^(١) ، فَإِنْ كُلُّ مَوْزِدٍ مَغْرُوفٌ ، وَاصْحَبُوا
قَوْمَكُمْ بِأَجَلِ أَخْلَاقِكُمْ ، وَلَا تُخَافُوا فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزْرَى بِالرَّئِيسِ
الْمُطَاعِ ، وَإِذَا حَدِثْتُمْ قَارِبَةً ^(٢) ، ثُمَّ قَوْلُوا الصَّدَقَ ، فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ ،
وَصُونُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهَا حُصُونُ الرِّجَالِ ، وَأَطِيلُوا الرِّمَاحَ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ، وَأَعِزُّوا
الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ، فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَغْزُوا إِلَّا بِالْعِيُونِ ^(٣) ،
وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمَنُوا الصَّبَّاحَ ^(٤) ، وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ الْمَالِ ، وَأَعْجِلُوا
الضَّيْفَ بِالْقَرَى ^(٥) ، فَإِنْ خَيْرُهُ أَعْجَلُهُ ، وَاتَّقُوا فَضِيحَاتِ الْبَغْيِ ، وَفَلَتَاتِ الْمِزَاحِ ،

[١] الصدر : الرجوع . [٢] ربع : كنع انتظر وتحبس ، وربع الخيل : قتله من أربع طاقات ،
والعنى إذا حدثتم فتأنوا وتمهلوا ، أو فأحكموا القول . [٣] العيون : جمع عين وهي خيار كل شيء .
[٤] الصباج الغارة : أى ولا تسرحوا مقاتلتكم حتى تأمنوا الغارة .
[٥] قرى الضيف يقريه قرى : أحسن إليه ، والقرى أيضاً ما قرى به الضيف .

ولا تُجِيرُوا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم » .

(أمالي السيد المرتضى ٢ : ١٦٨)

٣١٥ — وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محم الشيباني

لما بلغ الحارث بن عمرو ملك كِنْدَةَ جمالاً أمَّ إياس بنت عوف بن محم الشيباني ، وكما لها وَقُوَّةٌ عقلها ، أراد أن يتزوجها ، فدعا امرأة من كِنْدَةَ ، يقال لها عِصَامُ ، ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فضت حتى انتهت إلى أمها أُمَامَةَ بنت الحارث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت أُمَامَةَ إلى ابنتها وقالت : أي بُنْيَّةُ ، هذه خالتك أتت إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تَسْتُرِي عنها شيئاً أرادت النظر إليه ، من وجهه وخلق ، وناطقها فيما اسْتَنْطَقَتْكَ فيه ، فدخلت عصام عليها ، فنظرت إلى ما لم تَرَ عَيْنُهَا مثله قَطُّ بهجةً وحسناً وجمالاً ، فإذا هي أكمل الناس عقلاً ، وأفصحهم لساناً ، فخرجت من عندها وهي تقول : (تَرَكَ الْخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ) فذهبت مثلاً ، ثم أقبات إلى الحارث فقال لها : (ما وراءك يا عِصَامُ) ؟ فأرسلها مثلاً ، قالت : (صَرَخَ الْمَخْضُ عن الزُّبْدِ ^(١)) ، فذهبت مثلاً . قال أخبريني ، قالت : أخبرك صدقاً وحقاً :

« رأيت جَبْهَةَ كَالْمِرَاةِ الصَّقِيلَةِ ، يَزِينُهَا شَعْرٌ خَالِكٌ ، كأذ ناب الخيل المضفورة ^(٢) ، إن أُرْسَلَتْهُ خِلَتُهُ السَّلاسلَ ، وإن مَشَطَتْهُ قَلَتَ عُنَا قِيدُ كَرَمٍ جَلَاهَا الْوَابِلُ ^(٣) ، وحاجبين كأنهما خُطَا بِقَلَمٍ ، أَوْ سُوْدَا بِحُمَمٍ ^(٤) قد تقوَّسا على

[١] مخض اللبن : أخذ زبده ، والتصرخ : تبين الأمر ، وهو مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين

[٢] في الأصل « المضفورة » وهو تحريف وصوابه « المضفورة » . [٣] المطر الشديد الضخم

القطر . [٤] الحُم : الفعم .

عنى الظبية العَبْهَرَة ^(١) ، التى لم يرُعْهَا قانص ، ولم يُذْعِرْهَا قَسْوَرَة ^(٢) ، بينهما أنف كَحَدِّ السيف المصقول ^(٣) ، لم يَخْنِس ^(٤) به قِصْر ، ولم يَمُضِ ^(٥) به طول ، حَفَّتْ به وَجْهَتَانِ كَالْأَرْجَوَانِ ^(٦) ، فى بياضٍ مَحْضٍ كَالْجَمَانِ ^(٧) ، شُقٌّ فِيهِ فَمٌ كَالْخَاتَمِ ، لَذِيذُ الْمُبْتَسَمِ ، فِيهِ ثَنَائَا غُرٍّ ، ذَوَاتُ أَشْرٍ ^(٨) ، وَأَسْنَانٌ تَبْدُو كَالْدُّرِّ ، وَرَيْقٌ كَالْحَرِّ لَهُ نَشْرُ الرُّوضِ بِالسَّحَرِ ، يَتَقَلَّبُ فِيهِ لِسَانٌ ، ذَوْ فَصَاحَةٍ وَيَكُنْ ، يَحْرُكُهُ عَقْلٌ وَافِرٌ ، وَجَوَابٌ حَاضِرٌ ، تَلْتَقِي دُونَهُ شَفَتَانِ حَمْرَاوَانِ كَالْوَرْدِ ، يَجْلِبَانِ رَيْقًا كَالشَّهْدِ ، تَحْتَ ذَلِكَ عُنُقُ كَابِرَيْقِ الْفِضَّةِ ، رُكْبٌ فِي صَدْرٍ كَصَدْرِ تَمَثَالِ دُمِيَّةٍ ^(٩) ، يَتَصَلُّ بِهَا عَضْدَانِ مَمْتَلِئَانِ لَحْمًا ، مُكْتَنِزَانِ ^(١٠) شَحْمًا ، وَذِرَاعَانِ لَيْسَ فِيهِمَا عَظْمٌ يُحَسُّ ، وَلَا عِرْقٌ يُحَسُّ ، رُكْبَتٌ فِيهِمَا كَفَّانٌ ، دَقِيقٌ قَصَبُهُمَا ، لَيْنٌ عَصَبُهُمَا ، تُعْقَدُ إِنْ شِئْتَ مِنْهُمَا الْأَنَامِلُ ، وَتُرَكَّبُ الْفُصُوصُ فِي حُفْرِ الْمَفَاصِلِ ، وَقَدْ تَرَبَّعَ فِي صَدْرِهَا حُقَّانٌ ، كَأَنَّهُمَا رُمَانَتَانِ ، يَخْرِقَانِ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، تَحْتَ ذَلِكَ بَطْنٌ طَوِيٌّ كَطَيِّ الْقُبَاطِيِّ ^(١١) الْمُدْمَجَةِ ، كُسْبَى عَكْنًا ^(١٢) كَالْقِرَاطِيسِ الْمُدْرَجَةِ ^(١٣) تَحِيطُ تِلْكَ الْعُكْنُ بِسُرَّةِ كَمُذْهِنٍ ^(١٤) الْعَاجِ الْمَجْلُوءِ ، خَلْفَ ذَلِكَ ظَهْرٌ كَالْجَذُولِ ، يَنْتَهَى إِلَى خَصْرِ ، لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَا نَبَتْ ، تَحْتَهُ كَفَلٌ ^(١٥)

[١] العبهره والعبهر : الرقيقة البشرة الدامعة البياض ، والسمينة الممتلئة الجسم .

[٢] القسورة : الرماة من الصيادين ، الواحد قسور .

[٣] فى مجمع الأمثال « الصنيع » وهو السيف الصقيل المجرب . [٤] خنس عنه كضرب وكرم : تأخر « والخنس : محركة تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة ، خنس كفرح فهر أخنس وهى خنساء » . [٥] وفى جهرة الأمثال « ولم يعمن » . [٦] الأرجوان : صغ أحمر .

[٧] الجمان : الأولو ، أو حنوت أشكال الأولو من فضة . [٨] أشر الأسنان : التحيز الذى فيها .

[٩] الدمية : الصورة المنقشة من الرخام أو طام . [١٠] اكتنز : اجتمع وامتلا .

[١١] القباطى (بضم الأول مع تشديد الآخر) وقاطى (بفتح الأول مع تخفيف الآخر) جمع قبطية (بالضم على غير قياس وقد تكسر) : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل فى مصر .

[١٢] البكن : جمع عكنة (كفرصة) وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا . [١٣] الطوية .

[١٤] المدهن : قارورة الدهن . [١٥] عجز .

يُقْعِدُهَا إِذَا نَهَضَتْ ، وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ ، كَأَنَّهُ دِعْصُ^(١) رَمْلٍ ، لَبْدُهُ سَقُوطُ
الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ نَخِذَانُ لَفَّاءَوَانِ^(٢) ، كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ ، تَحْتَهُمَا سَاقَانِ ، خَذَلْتَانِ^(٣)
كَأَلْبَرَدِيٍّ ، وَشَيْتَا بَشْعَرِ أُسُودٍ ، كَأَنَّهُ حِلْمَقُ الزَّرْدِ ، يَحْمِلُ ذَلِكَ قَدَمَانِ ، كَحَذْوِ
اللِّسَانِ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ ، مَعَ صَغَرِهَا كَيْفَ تَطِيقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سِوَى
ذَلِكَ . فَتَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ بِنَظْمٍ أَوْ نَثْرٍ ، فَأَرْسَلَ
الْمَلِكُ إِلَى أَبِيهَا نَخَطِبَهَا ، فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا^(٤) .

(العقد الفريد ٣ : ٢٣٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، وجهرة الأمثال ٢ : ٢٧)

٣١٦ — وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إلياس

فلما مُحِلَّتْ إِلَى زَوْجِهَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا أُمَامَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ .

« أَيْ بَنِيَّةُ : إِنْ الْوَصِيَّةُ لَوْ تَرَكْتُ لِفَضْلِ أَدَبٍ ، تَرَكْتُ لَذَلِكَ مِنْكَ ،
وَلَكِنِّي تَذَكُّرَةٌ لِلْغَافِلِ ، وَمَعُونَةٌ لِلْعَاقِلِ ، وَلَوْ أَنَّ أَمْرَأَةً اسْتَغْنَتْ عَنِ الزَّوْجِ
إِغْنَى أَبَوَيْهَا ، وَشِدَّةُ حَاجَتِهِمَا إِلَيْهَا ، كُنْتُ أَغْنَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَلَكِنْ النَّسَاءُ
لِلرِّجَالِ خُلِقْنَ ، وَلَهُنَّ خُلِقَ الرِّجَالُ :

أَيْ بَنِيَّةُ : إِنَّكَ فَارَقْتِ الْجَوْ الَّذِي مِنْهُ خَرَجْتِ ، وَخَلَقْتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ
دَرَجْتِ ، إِلَى وَكْرٍ لَمْ تَعْرِفِيهِ ، وَقَرِينَ لَمْ تَأَلَّفِيهِ ، فَأَصْبَحَ بِمِلْكِهِ^(٥) عَلَيْكَ رَقِيبًا
وَمَلِيكًا ، فَكُونِي لَهُ أَمَةً يَكُنْ لَكَ عَبْدًا وَشِيكًا^(٦) . يَا بَنِيَّةُ : احْمِلِي عَنِّي عَشْرَ

[١] الدعص : السكتيب من الرمل المجتمع . [٢] اللفاء : الفخذ الضخمة (والضخمة الفخذين) .

[٣] ساق خذلة : ممتلئة ضخمة (والخذلة المرأة الغليظة الساق المستديرتها وفي العقد : « خذلتان »

(بفتح الحاء والذال وتشديد اللام) والخذلة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .

[٤] في مجمع الأمثال وجهرة الأمثال ، أن الذي تزوج أم إلياس هو الحارث بن عمرو ، والحارث هذا هو جد امرئ القيس ، وذكر صاحب العقد أن الذي تزوجها هو عمرو بن حجر ، وأنها ولدت له الحارث ابن عمرو جد امرئ القيس غير أنا نلاحظ أنه قال في مقدمة هذا الوصف : « ثم أقبلت عصام إلى الحارث فقال لها ما وراءك يا عصام ؟ . . . الخ » . [٥] أملكها إياها : زوجه ، فملكها ملكاً مثلك الميم .

[٦] الوشيك : السريع ، أي يكن عبداً سريع الإجابة .

خصال تكن لك ذخراً وذكرًا ، الصحبة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشتم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء أطيب الطيب المفقود ، والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فإن حرارة الجوع ملهبة ، وتنقيص النوم مفضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله ، والإرعاء على نفسه وحشمة وعياله ، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ، ولا تفشى له سرًا ، ولا تعصى له أمرًا ، فإنك إن أفشيت سره ، لم تأمن غدره ، وإن عصيت أمره ، أو غرت صدره ، ثم اتقى م ذلك الفرح إن كان ترحا ، والا ككتاب عنده إن كان فرحا ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما ، يكن أشد ما يكون لك إكراما ، وأشد ما تكونين له موافقة ، يكن أطول ما تكونين له مُرافقة ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين ، حتى تؤثرى رضاه على رضاك ، وهواه على هوائك فيما أحببت وكرهت ، والله يخبرك .

(مجمع الأمثال ٢ : ١٤٣ ، والعقد المريد ٣ : ٢٢٣)

٣١٧ — لبيد بن ربيعة يصف بقلة

وفد على الثعمان بن المنذر عامر بن مالك مُلاعِب الأسنة في رهط من بني جعفر بن كلاب ، فيهم لبيد بن ربيعة ، فطعن فيهم الربيع بن زياد العبسي ، وذكر معايبهم - وكان نديما للثعمان ، وكانت بنو جعفر لهم أعداء - فلم يزل بالثعمان حتى صده عنهم ، فدخلوا عليه يوما ، فأوا منه جفاء - وقد كان يكرمهم ويقربهم - فخرجوا غضابا ، وليد متخلف في رحالهم ، يحفظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم كل صباح يرعاها - وكان أحدثهم سنا - فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون

أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لا حَفِظْتُ لَكُمْ مَتَاعًا ، ولا سَرَّحت لَكُمْ بَعِيرًا ، أو تخبروني فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمة في حِجْرِ الربيع ، فقالوا : خالك قد غلبنا على الملك ، وَصَدَّ عَنَّا وَجْهَهُ ، فقال لبيد : هل تقدرُونَ على أن تجمعوا بيني وبينه ، فأزجره عنكم بقول مُضَيِّ مؤلم ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدًا ؟ قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فَإِنَّا نَبْلُوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : نَشْتُم هذه البَقْلَةَ - وَقَدْ آمَهَم بِقَلَّةٍ دَقِيقَةِ الْقَضْبَانِ ، قليلة الأوراق ، لاصقة بالأرض ، تدعى التَّرْبَةَ - فقال :

« هذه التَّرْبَةُ التي لا تُذْكَرُ (١) نَارًا ، ولا تُؤْهِلُ (٢) دارًا ، ولا تُسْرُجَارًا ، عُوْدَهَا ضَّئِيلٌ ، وَفَرْعُهَا كَلِيلٌ (٣) ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مَرْعَى ، وأقصرها فَرَعًا ، وأشدّها قَلْعًا ، فَتَعَسَا لَهَا وَجَدْعًا (٤) ، بلدها شاسع (٥) ، وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ ، وَآكِلُهَا جَانِعٌ ، والمقيم عليها قانع (٦) ، فالقُوا بِي أَخَا بَنِي عَبَسَ ، أَرُدَّه عَنْكُمْ بِتَعَسٍ (٧) وَنُكْسٍ ، وأتركه من أمره في لَبَسٍ » .

فلما أصبحوا غَدَوْا به معهم إلى النعمان ، فذكروا حاجتهم ، فاعترض الربيع ، فرجز به لبيد وَجَزَأَ ما لَبِثَ معه النعمان أن تَقَرَّزَ منه ، وأمره بالانصراف إلى أهله . (مجمع الأمثال ٢ : ٣٣ ، جهرة الأمثال ٢ : ١١٦ ، الأغاني ١٤ : ٩١ ،

أبناء نجباء الأبناء ص ١٧١ ، وأمالى السيد المرتضى ١ : ١٣٥)

٣١٨ — محالس بن مزاحم وقاصِر بن سلمة عند النعمان بن المنذر
كان مُحَالِسُ بْنُ مُزَاحِمٍ الْكَلْبِيُّ ، وقاصِرُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُدَامِيُّ . يباب النعمان

[١] تذكي : تشعل . [٢] أى ولا تؤدم أهل دار من الإهالة (ككتابة) وهى كل ما يؤتدم به ، ويقال ثريدة مأهولة : أى فيها إهالة . [٣] ضئيف . [٤] قطعاً . [٥] بعيد . [٦] أى سائل . [٧] التمس : الهلاك .

ابن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرّتنى وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر، وقال: إن مخالساً هجاك، وأنشده فى ذلك أبيتاً، فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان، فشكا مخالساً وأنشده الأبيت، فأرسل النعمان إلى مخالس، فلما دخل عليه قال: « لا أمّ لك! أتهجو امرأ هو ميتاً خير منك حياً، وهو سقيماً خير منك صحيحاً. وهو غائباً خير منك شاهداً؟ فبحرمة ماء المزن^(١)، وحقّ بأبى قابوس^(٢)، لأنّ لاح لى أن ذلك كان منك، لأنزِعَنَّ غلصمتك من قفاك، ولا طعمتكَ لحك ».

قال مخالس: « أبيت اللعن؟ كلا، والذي رفع ذروتك بأعمادها، وأمات حُسادك بأكمارها، ما بلغت غير أقاويل الوُشاة، ونائم العُصاة، وما هجوت أحداً، ولا أهجو امرأ ذكرت أبداً، وإنى أعوذ بحدّك الكريم، وعزّ بيتك القديم، أن ينالنى منك عقاب، أو يفاجئنى منك عذاب، قبل الفحص والبيان، عن أساطير أهل البهتان ».

فدعا النعمان قاصراً فسأله، فقال قاصر: « أبيت اللعن! وحقّ لك قد هجاه وما أروانيها سواه » فقال مخالس: « لا يأخذنّ أيها الملك منك قول امرئ آفك^(٣)، ولا تُورِذنّى سبيل المهالك، واستدلّ على كذبه بقوله: إنى أرويته مع ما تعرف من عداوته »، فعرف النعمان صدقه فأخرجهما.

فلما خرجا، قال مخالس لقاصر: « شقي جدّك، وسفل خدك، وبطل كيندك، ولا مح للقوم جرّمك، وطاش عنى سَهْمك، ولأنت أضيق حجراً من

[١] المزن: السحاب أو أبيضه أو ذو الماء، جمع مزنة. [٢] يعنى نفسه وأبو قابوس كنيته.

[٣] كذاب.

فَذَرَفْتُ^(١) ، إِنَّ أَمَامِي مَالًا أُسَامِي^(٢) . رَبِّ سَامِعٍ بِخَبَرِي لَمْ يَسْمَعْ بِعُذْرِي .
 كُلُّ زَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ . فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا يُكْرَهُ . كُلُّ ذِي نُصْرَةٍ سَيُخْذَلُ . تَبَارَكُوا
 فَإِنَّ الْبَرَّ يَنْمِي^(٣) عَلَيْهِ الْعَدَدُ . وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ فَإِنَّ مَقْتَلَ الرَّجُلِ بَيْنَ فِكَيْهِ .
 إِنَّ قَوْلَ الْحَقِّ لَمْ يَدْعُ لِي صَدِيقًا . لَا يَنْفَعُ مَعَ الْجَزَعِ التَّبَقُّ . وَلَا يَنْفَعُ مِمَّا هُوَ
 وَاقِعُ التَّوَقُّ . سَتُسَاقُ ، إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَكُونُ الْعَنَاءُ . الْاِقْتِصَادُ
 فِي السَّعْيِ أَبْقَى لِلْجَمَامِ^(٤) . مَنْ لَمْ يَأْسَ^(٥) عَلَى مَا فَاتَهُ وَدُعَ بِدُنْهُ ، وَمَنْ قَنِِمَ بِمَا
 هُوَ فِيهِ قَرَّتْ عَيْنُهُ . التَّقَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ^(٦) . أَصْبَحُ عِنْدَ رَأْسِ الْأَمْرِ أَحَبُّ إِلَى مَنْ
 أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنْبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظْتَكَ . وَيَلْ لَعَالَمِ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ .
 يَتَشَابَهُ الْأَمْرُ إِذَا أَقْبَلَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الْكَيْسُ وَالْأَحْقُ . الْوَحْشَةُ ذَهَابُ
 الْأَعْلَامِ^(٧) . الْبَطَرُ عِنْدَ الرِّخَاءِ مُحَقِّقٌ وَالْعِجْزُ عِنْدَ الْبَلَاءِ أَفَنٌ^(٨) . لَا تَغْضَبُوا مَنْ
 الْيَسِيرِ ، فَرُبَّمَا جَنَى الْكَثِيرَ . لَا تُجَبِّبُوا فِيهَا لَمْ تُسْأَلُوا عَنْهُ . وَلَا تَضْحَكُوا مِمَّا
 لَا يُضْحِكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مِنْ لَا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ . كُونُوا جَمِيعًا فَإِنَّ الْجَمْعَ غَالِبٌ ،
 تَثَبُّتُوا . وَلَا تَسَارِعُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّكِينُ . رَبُّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا . اذْرِعُوا
 اللَّيْلَ وَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا . فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ . وَلَا جَمَاعَةٌ لِمَنْ اخْتَلَفَ . تَنَاءُ وَافِي
 الدِّيارِ وَلَا تَبَاغَضُوا . فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعُ يَتَقَعَّقُ^(٩) عَمْدُهُ . أَلْزَمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ^(١٠)

[١] ذرعت عينه كضرب : سال دمهها ، وذرف العين دمهها أسالته ، وهو مثل يضرب لمن رأى الأمر

رف حقيقته . [٢] ساماه : باراه في السمو . [٣] يزيد ويجمع الأمثال « يبق » .

[٤] أى أبقى للقرّة ، من حم الفرس جاما (بالفتح) ترك الضراب فتجمع موه ، وجم الماء يجم بهم

يم وكسرهما جوما كثر واجتمع ، والبئر تراجع ماؤها ، والجمام بالفتح أيضاً : الراحة . [٥] يحمرن .

[٦] أى ففكر في التقدم قبل أن تندم . [٧] الأعلام جمع علم وهو سيد القوم .

[٨] تفتك ، وفي الأصل منه وهو تجريف ، وهذا مثل معناه لا بد من الافتراق بعد الاجتماع ،

والمجتمعون يفتكوا ، أو من غبط بكثرة العدد واتساق الأمر فهو

يعرض الزوال والانقراض . [٩] يتقاعق وهو تجريف ، وفي الأصل « المهانة » وهو تصحيف .

[١٠] أى أن يهابوكم ويوقروكم ، وفي الأصل « المهانة » وهو تصحيف .

نِعْمَ لَهُوَ الْفَرَّةُ ^(١) الْمَغْزَل . إِنْ تَعِشْ تَرَمَا لَمْ تَرَهُ . قَدْ أَقْرَّ صَامِتٍ . الْمِكْثَارُ كحَاطِبٍ ^(٢) لَيْلٍ . مِنْ أَكْثَرِ أَسْقَطٍ ^(٣) . لَا تَجْعَلُوا سِرّاً إِلَى أُمَّةٍ . لَا تَفَرَّقُوا فِي الْقَبَائِلِ ، فَإِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٌ ، عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ ^(٤) . وَإِيَّاكُمْ وَالْوَشَائِظَ ^(٥) فَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ الذَّلَّةَ : لَوْ سُئِلَتِ الْعَارِيَةُ قَالَتْ أَبْنَى لِأَهْلِي ذُلًّا . الرِّسُولُ مُبْلَغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . مِنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُهُ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً ^(٦) . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إِنْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَوْضَعِ الْمَسْكَنَةِ . قَدْ تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدِيدِهَا ^(٧) . لَمْ يَجْزُ سَالِكُ الْقَصْدِ ، وَلَمْ يَنْعَمَ قَاصِدُ الْحَقِّ . مِنْ

[١] الشريفة . [٢] الحاطب : الذي يجمع الحطب ، وهو حطب ليل : أى مخطط فى كلامه .

[٣] أسقط كلمة ، وأسقط فى كلمة أى أخطأ .

[٤] عاقدوا : حالفوا ، والثروة : كثرة العدد من الناس . [٥] يقال هم وشيطة فى قومهم أى حشوفهم . [٦] جابة بمعنى إجابة ، اسم وضع موضع المصدر ، ومثلها الطانة والظانة والغارة والعارية ، قال المفصل : أول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن أنى هشام ، فولدت له أنس بن سهيل ، نخرج معه ذات يوم ، فوقف بحزورة مكة (والحزورة كقصور : الرابية الصغيرة) فأقبل الأخنس بن شريق الثقفى ، فقال : من هذا ؟ قال سهيل : أبى ، قال الأخنس : حياك الله يافقى ! قال : لا ، والله ما أبى فى البيت ، انطلقت إلى أم حطلة ونحن دقيقا ، فقال أبوه : أساء سمعا فأساء جابة فأرسالها مثلا . [٧] أى لا تعيش بسبب ثديها وبما يفلان عليها من أجره الإرضاع ، يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب ، وذكروا أن أول من ذله الحارث بن سليل الأسدى ، وكان شيخا كبيرا وكان حليفا لعلمة بن خصمة الطائى ، فراره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أهل أهل دهرها فأعجب بها ، فقال له : أتيتك خاطبا ، وقد ينكح الحاطب ، ويدرك الطالب ، ويمنج الراغب ، فقال له علمة : أنت كعب كريم يقبل ملك العفر ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم ننظر فى أمرك ، ثم انكفأ إلى أمها فقال إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصباً وبنياً ، وقد خطب إلينا الزباء ، فلا ينصرفن إلا بمحاجته فقالت امرأته لا بنتها : أى الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجعجج (أى السيد) ، الواصل المناح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : لا ، بل الفتى الوضاح ، قالت : إن الفتى يعيرك ، وإن الشيخ يعيرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المنى ، قالت : يا أمتاه ، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أتيق السكلا ، قالت : أى بنية ، إن الفتى شديد الحجاب ، كبير العتاب ، قالت إن الشيخ يبلى شبابه ، ويدنس ثيابه ، ويشمت بى أنزاعى ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجها الحرث على مئة وحسين من الإبل وخادم . وألف ذرتهم ، فماتت بها ثم رحل بها إلى قومه ، فبينما هو ذات يوم جالس ببناء قومه وهى إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يمتلجون ، (أى يتصارعون ويتقاتلون) فتفست الصمداء ، ثم أرخت عينها بالبكاء ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، فقال لها : نكلك أمك تجوع الحررة ولا تأكل بشديها ، الحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .

شَدَّدَ نَفَرَ ، ومن تراخى تَأَلَّفَ . الشرف التغافل . أَوْفَى القول أَوْجَزُهُ . أصوب الأمور تَرَكَ الْفُضُول . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْس . التَّوَانِي والعجز ينتجان الهَلَكَةَ . لكل شيء ضَرَاوَةٌ ^(١) . أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَى الْغِنَى مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى ، وَمِنْ الْمُلُوكِ . حُبُّ الْمَدْحِ رَأْسُ الضِّيَاعِ . رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُبْلَغُ . لَا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ . مَعَالِجَةُ الْعَفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعَوِّذْ بِالصَّبْرِ . اقْصُرْ لِسَانَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَخِّرْ الْغَضَبَ ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَائِكَ . مَنْ قَدَرَ أَزْمَعَ . أَعْمَرُ أَعْمَالِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِنْتِقَامُ . جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَكْفِيْ بِالسَّيِّئَةِ . أَغْنَى النَّاسَ عَنْ الْحَقْدِ مَنْ عَظَّمَ عَنْ الْمَجَازَاةِ . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عُذْرُهُ . مَنْ جَعَلَ لِحُسْنِ الظَّنِّ نَصِيبًا رَوَّحَ عَنْ قَلْبِهِ . عِيٌّ الصَّمْتُ أَحْمَدُ مِنْ عِيِ الْمُنْطَقِ . النَّاسُ رِجَالَانِ مُحْتَرَسٌ وَمُحْتَرَسٌ مِنْهُ . كَثِيرُ النَّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ ^(٢) . مَنْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ أَبْرَمَ ^(٣) . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . الصَّمْتُ يَكْسِبُ الْمَحَبَّةَ . لَنْ يَغْلِبَ الْكَذِبُ شَيْئًا إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصَّدَقُ . الْقَلْبُ قَدْ يُتَّهَمُ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . الْإِنْقِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ ، وَتَقْرِيْبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِقَرِينِ السُّوءِ . فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقَرَبِ وَالْبَعْدِ . فَإِنْ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . فُسُؤْلَةٌ ^(٤) الْوُزَرَاءُ أَضَرُّ مِنْ بَغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقُرُنَاءِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَعِنْدَ الْخَوْفِ حُسْنُ الْعَمَلِ . مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَاعِظٌ . وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ . لَنْ يَهْلِكَ امْرَأَةٌ حَتَّى يَمْلَأَ ^(٥) النَّاسُ عَتِيدَ فَعْلِهِ وَيَشْتَدَّ دَلِي قَوْمِهِ . وَيُعْجَبُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ

[١] يقال: ضَرَى الْكَلْبَ بِالصَّيْدِ (كَفَرَحَ) صَرَاوَةٌ أَيْ تَعَوُّدٌ ، وَكَأَبِ صَارَ ، وَأَضْرَأَ صَاحِبَهُ عَوَّدَهُ وَأَضْرَأَ بِهِ : أَغْرَاهُ ، وَضَرَّاهُ أَيْضًا تَضَرُّيَةً . [٢] التَّهْمَةُ . [٣] أَبْرَمَهُ : أَضْجَرَهُ وَأَلْهَ . [٤] فَسْلٌ فَسُولَةٌ فَهُوَ فَسْلٌ أَيْ رَذْلٌ لَامْرُوءَةٍ لَهُ ، وَالْوُزَرَاءُ ، جَمْعُ وَزِيرٍ وَهُوَ النَّصِيرُ وَالظَّهِيرُ . [٥] فِي الْأَصْلِ « يَمْلِكُ » وَأَرَى صَوَابَهُ يَمْلُ .

مروءته . ويغتر بقومه . والأمر يأتيه من فوقه . ليس للمختال في حسن الثناء نصيب . لا نكء مع العدم . إنه من أتى المكروه إلى أحد بدأ بنفسه . العي أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك . لا ينبغي لعامل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخائه حاجة . أقل الناس راحة الحقوق . من تعمّد الذنب لا تحمل رحمته دون عقوبته ، فإن الأدب رفق ، والرفق يُمن .

(جهرة الأمثال ١ : ٣٢٠ ، وجمع الأمثال ٢ : ١٤٥)

٣٢١ — وصية أكرم بن صيفي لطي

وقال أكرم بن صيفي في وصية كتب بها إلى طي :
« أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم . وإياكم ونكاح الحمقاء ، فإن نكاحها غرر^(١) ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيال فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها . فإن فيها ثمن الكريمة^(٢) ، ورقوء الدم^(٣) ، وبألبانها يُتحف الكبير^(٤) ، ويُغذى الصغير ، ولو أن الإبل كُلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والعدم^(٥) عذم العقل ، لا عذم المال . ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته . ومن رضى بالقسم^(٦) طابت معيشته . وآفة الرأي الهوى . والعادة أملاك^(٧) . والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى . والدنيا دُول ، فما كان لك أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك . والحسد داء ليس له دواء . والشماطة تُعقب . ومن ير يوماً

[١] الغرر : الخطر ، عرر بنفسه تفريراً : عرصها للهلكة والاسم العرر . [٢] يريد مهرها .
[٣] رقء الدم : جف ويمكن ، والرقوء كصبور ما يوضع على الدم ليرقه ، والمعنى أنها تنطى في الديات فتعقن بها الدماء . [٤] التحفة : البر واللاطف والطرفة ، وقد أتحفته تحفة . [٥] العدم بالضم وبضمين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال . [٦] القسم : القدر .
[٧] وفي رواية : « العادة أملاك من الأدب » .

يُرَبِّهِ . قبل الرِّمَاءِ مُتَمَلِّئاً الْكَنَائِنَ ^(١) . الندامة مع السفاهة . دِعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ .
خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بقاء المودة عَذْلُ ^(٢) التعاهد . من يَزُرُّ غِبًّا يَزِدُّ حَبًّا .
التغريير مفتاح البؤس . من التواني والعجز تُنَجَّتِ ^(٣) الْهَلَكَةُ . لكل شيء
ضَرَاوَةٌ . فَضَرَّ لِسَانَكَ بِالْخَيْرِ . عَيَّ الصَّمْتُ أَحْسَنَ مِنْ عَيِّ الْمَنْطِقِ . الحزم حفظ
ما كُتِّفَتْ وَتَرَكُ مَا كَفِيَتْ . كثير النصيح يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . من أَلْهَفَ ، نِي
المسألة ثَقُلَ . من سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرَّفَقُ يُنَمِّنُ ، وَالْخُرْفُ شَوْمٌ .
خير السخاء ما وافق الحاجة . خير العفو ما كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ « (جمع الأمثال ٢ : ٨٧)

٣٢٢ - أمثال أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي (وَبُزْرَجِيهِ) الْفَارِسِيِّ ^(٤)

« الْعَقْلُ بِالتَّجَارِبِ . الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ ^(٥) . الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ^(٦) .
الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . رَبٌّ بَعِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . الْقَرِيبُ مَنْ قَرُبَ
نَفْعُهُ . لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغَمْتُمْ . خَيْرُ أَهْلِكَ مَنْ كَفَاكَ ، خَيْرُ سِلَاحِكَ مَا وَقَاكَ . خَيْرُ
إِخْوَانِكَ مَنْ لَمْ تَخْبُرْهُ . رَبٌّ غَرِيبٌ نَاصِحٌ الْجَيْبِ ^(٧) ، وَابْنٌ أَبٍ مَتَّهِمُ الْغَيْبِ ، أَخْوَكُ

[١] الرِّمَاءُ مصدر رَامَى كَالرَّامَةِ ، وَالْكَنَائِنُ جمع كَنَانَةٍ وَهِيَ جَمْعِيَّةُ السَّهَامِ ، وَهُوَ مِثْلُ مَعْنَاهُ : تَوَخَّذْ لِلْأَمْرِ
أَهْبَتَهُ قَبْلَ وَقُوعِهِ وَمِثْلَهُ قَوْلُهُمْ « قَبْلَ الرَّمَى يَرِيشُ السَّهْمُ » أَيْ يَوْضَعُ لَهُ الرِّيشَ . [٢] الْعَدْلُ : الْاسْتِقَامَةُ
أَيْ بَقَاءُ الْمَوَدَّةِ فِي اسْتِقَامَةِ التَّعَاهُدِ وَالْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ شُرُوطِهِ . [٣] وَيُرْوَى نَتَجَتِ الْفَاقَةُ .
[٤] هَكَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَيَسُورِ تَمْيِيزُ أَمْثَالِ أَحَدِهِمَا مِنْ أَمْثَالِ الْآخَرِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ ، عَلَى
أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ بَيْنَهُمَا أَمْثَالٌ لَغِيرِ أَكْثَمَ ، (وَلَعَلَّهُ تَمَثَّلَ بِهَا) وَأُخْرَى لَهُ قَدْ وَرَدَتْ فِي ثَنَائِهِ كَلَامُهُ الَّذِي أوردته
آخِفاً ، وَلَكِنِّي آثَرْتُ إِيرادَ الْمَقَالِ بِرَمْتِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْعَقْدِ ، وَبُزْرَجِيهِ : مَرْكَبٌ مِنْ بَزْرَجٍ مَعْرَبٌ بِزَرْجٍ
أَيْ الْكَبِيرِ ، وَمَهْرٌ أَيْ الرُّوحُ وَهُوَ بَزْرَجِيهِ بْنُ الْبَحْتِكَاكِ وَزَيْرُ كَسْرِي أَنْوَشِرَوَانَ مَلِكُ الْفَرَسِ ، وَكَانَ
سَدِيدَ الْفِكْرِ ، حَصِيفَ الرَّأْيِ . [٥] الْمُنَاسِبُ وَالْفَسِيبُ : الْقَرِيبُ ، مِنَ النِّسْبَةِ (بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ)
وَهِيَ : الْقَرَابَةُ ، وَبَيْنَهُمَا مَاسَبَةٌ أَيْ مَشَاكَلَةٌ ، هَذَا يَنْسَبُ ذَاكَ أَيْ يَقَارِبُهُ شَبْهاً .

[٦] فِي الْأَصْلِ « مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ » رَهُوَ عَرَفَ ، وَأَرَاهُ مِنْ صَدَقَ غَيْبُهُ أَوْ غَيْبَتُهُ أَيْ مِنْ صَدَقَ فِي
مُودَتِهِ ، وَحَفِظَ الْأَخَاءَ ، فِي الْغَيْبَةِ لَا فِي الْحَضَرِ فَحَسِبَ . [٧] جَيْبُ الْقَمِيصِ طَوْقُهُ ، وَهُوَ نَاصِحُ الْجَيْبِ
أَيْ الْمَلَبِ كُنَايَةً عَنْ أَنَّهُ خَالِسُ الطَّوِيَةِ لَا غَشٍّ فِيهِ .

مَنْ صَدَقَكَ ، الأخ مرآة أخيه إذا عَزَّ أخوك فَهَنْ^(١) . مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ^(٢) .
تَبَاعَدُوا فِي الدِّيارِ وَتَقَارَبُوا فِي الْمَحَبَةِ . أَيُّ الرِّجالِ الْمَهْذَبُ^(٣) ؟ مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
كَلَهُ . إِنَّكَ إِنْ فَرَحْتَ لَأَقِ فَرَحًا . أَحْسِنْ يُحْسِنْ إِلَيْكَ أَرْحَمْ تُرَحَّمْ . كَمَا
تَدِينُ تُدَانُ^(٤) . مَنْ يَرِ يَوْمًا يُرِ بِهِ ، وَالدهِرَ لَا يُغْتَرُّ بِهِ ، عَيْنٌ عَرَفَتْ
فَذَرَفَتْ^(٥) . فِي كُلِّ خَبْرَةٍ عِبْرَةٌ ، مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ . لَا يَعْدُو الْمَرْءُ رِزْقَهُ
وَإِنْ حَرَصَ . إِذَا نَزَلَ الْقَدَرُ عَمِيَ الْبَصَرُ ، وَإِذَا نَزَلَ الْحَيْنُ نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ
وَالْعَيْنِ^(٦) . الْحَرَمُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّناهِ^(٧) . الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .
خَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ . مَنْسَأَقُ إِلَى مَا أَنْتَ لَاقٍ . خُذْ مِنَ الْعَافِيَةِ مَا أُعْطِيَتْ .
مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ . إِنَّمَا لَكَ مَا أَمْضَيْتَ . لَا تَتَكَلَّفْ مَا كُفِيَتْ .
الْقَلَمُ أَحَدُ اللِّسَانِينَ . قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ ، رَبْعَا ضَاغَتْ الدُّنْيَا بِاثْنَيْنِ . لَنْ

[١] فِي الْمِيدَانِي : هَذَا الْمَثَلُ لِهَدِيلِ بْنِ هَبيرةِ التَّعَلْبِي ، وَكَانَ أَطَارَ عَلَى بَنِي صَبَةِ فَغَنِمَ فَأَقْبَلَ بِالْعَائِمِ . فَقَالَ لَهُ
أَصْحَابُهُ قَسَمًا بَيْنَنَا ، فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُشَاغِلَنِي بِالْأَقْدَامِ أَنْ يَدْرِكَكُمُ الْغُلَبُ فَأَهْوَى ، فَعِنْدَهَا قَالَ : « إِذَا عَزَّ
أَخُوكَ فَهَنْ » ثُمَّ نَزَلَ فَتَقَسَّمُ بَيْنَهُمُ الْغَنَائِمُ ، وَمِنْهَا مَا : مِيسَرَتَكَ صَدِيقَكَ لَيْسَتْ بِضِيمِ يَرْكَبُكَ مِنْهُ فَتَدْخُلُكَ الْحَمِيَّةُ
بِهِ ، إِنَّمَا هُوَ حَسَنُ خَلْقٍ وَتَفْصَلُ ، فَإِذَا طَاسَرَكَ فَيَاسِرُهُ .

[٢] قَالَ أَبُو حَنْشٍ : وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي دِزَارَةَ يُقَالُ لَهُ بِيهَسُ أَحْبَبَ أَنْ نَاسًا مِنْ أَشْجَعٍ فِي دِرْ
يَشْرَبُونَ فِيهِ — وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا لِأَخَوَاتِهِ السَّيِّئَةِ — فَأَطْلَقَ بِخَالٍ لَهُ يُسَمَّى أَبَا حَنْشٍ ، فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ فِي
ظَارٍ فِيهِ طِبَاءٌ لَعَلَّا نَصِيبُ مِنْهَا — وَيُرْوَى : هَلْ لَكَ فِي غَنِيمَةٍ بَارِدَةٍ — ثُمَّ أَطْلَقَ بِهِ حَتَّى أَقَامَهُ عَلَى فَمِ الْعَارِ ،
وَدَفَعَهُ فِيهِ فَقَالَ : صَرَبًا أَبَا حَنْشٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنْ أَبَا حَنْشٍ لَبَطْلٌ ، فَقَالَ أَبُو حَنْشٍ : مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْلَ ،
فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا . [٣] فِي الْمِيدَانِي : أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي حَيْثُ قَالَ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخًا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ : أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ ؟

[٤] الدِّينُ بِالْكَسْرِ : الْجَزَاءُ دَانَهُ يَدِينُهُ دِينًا بِالْفَتْحِ وَيَكْسِرُ ، وَمَعْنَى الْمَثَلِ كَمَا تَجَارَى تَجَازَى : أَيُّ كَمَا
تَعْمَلُ تَجَازَى ، إِنْ حَسَنًا فَحَسَنَ ، وَإِنْ سَيِّئًا فَسَيِّئًا ، وَقَوْلُهُ تَدِينُ : أَرَادَ تَعْمَلُ فَسَمِيَ الْإِبْتِدَاءَ جَرَاءً
لِلْمُطَابَقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعْتَدَى عَلَيْكُمْ » .
وَيَجُوزُ أَنْ يَجْرِيَ كِلَاهُمَا عَلَى الْجَزَاءِ أَيُّ كَمَا تَجَازَى أَنْتَ النَّاسَ عَلَى صَنِيعِهِمْ كَذَلِكَ تَجَارَى عَلَى صَنِيعِكَ .

[٥] فِي الْأَصْلِ « دِينَ رَفَتْ » وَهُوَ تَشْوِيهِ ، وَصَوَابُهُ « عَيْنٌ عَرَفَتْ فَذَرَفَتْ » .

[٦] الْحَيْنُ : الْهَلَاكُ ، وَقَوْلُهُ : نَزَلَ بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْعَيْنِ أَيُّ يَسْمَعُ وَمَرَأَى مِنْ نَزَلَ بِهِ لَا مُخْتَفِئًا عَنْهُ .

[٧] زَنِ يَزِي زِي وَزَنَاءُ .

تَعْدَمُ الحَسَنَاءُ دَامًا ^(١) . لَمْ يَعْدَمِ الغَاوِي لَانَّمَا . لَا تَكُ فِي أَهْلِكَ كَالْجِنَازَةِ ^(٢) .
لَا تَسْخَرَنَّ مِنْ شَيْءٍ فَيَجُوزَ بِكَ ، أَخْرُ الشَّرَّ فَإِذَا شَتَّتْ تَعَجَّلَتْهُ . صَغِيرُ الشَّرِّ
يُوشِكُ أَنْ يَكْبُرَ . يُبْصِرُ الْقَلْبُ مَا يَعْمَى عَنْهُ الْبَصَرُ . الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضَّرُّ .
الْعَبْدُ عَبْدٌ وَإِنْ سَاعَدَهُ جَدٌّ ^(٣) . مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ اسْتَبَانَ أَمْرَهُ . مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ . مَنْ تَعَظَّمَ عَلَى الزَّمَانِ أَهَانَهُ . مَنْ تَعَرَّضَ لِلسُّلْطَانِ آذَاهُ ، وَمَنْ
تَطَامَنَ لَهُ تَخَطَّاهُ . مَنْ خَطَا يَخْطُو ^(٤) . كُلُّ مَبْذُولٍ تَمْلُولُ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَرْغُوبٌ
فِيهِ . كُلُّ عَزِيزٍ تَحْتَ الْقُدْرَةِ ذَلِيلٌ . لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ . لِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالٌ .
لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . لِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ . لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ . لِكُلِّ سِرٍّ مُسْتَوْدَعٌ .
قِيَمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُ . اطْلُبْ لِكُلِّ غَلَقٍ ^(٥) مُفْتَا حًا . أَكْثَرُ فِي الْبَاطِلِ
يَكُنْ حَقًّا . عِنْدَ الْقَنْطِ ^(٦) يَأْتِي الْفَرْجُ . عِنْدَ الصَّبَاحِ يُحْمَدُ الشَّرِيُّ ^(٧) .

[١] الدام : والذيم العيب ، قال الميداني : « وأول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار حي بنت مالك بن عمرو العدوانية (وحى : بضم الحاء ، وتشديد الباء المفتوحة) وكانت من أجل النساء ، فسمع بجماله ملك غسان نخطبها إلى أبيها ، وحكمه في مهرها ، وسأله تعجيلها ، فلما عزم الأمر ، قالت أمها لتبائعها : إن لنا عند الملامسة رشحة فيها هنة ، فإذا أردت أن إدخلها على زوجها ، فطينيها بما في أصدافها ، فلما كان الوقت أمجلهن زوجها ، فأغفلن تطيبها ، فلما أصبح قيل له : كيف وجدت أهلك : طروقتك ، البارحة ؟ فقال ما رأيت كالليلة قط لولا رويحة أنكرتها ، فقالت هي من خلب الستر » لا تعدم الحسنة داما » فأرسلتها مثلا .

[٢] الحنازة بالكسر : الميت ، ويفتح ، أو بالكسر الميت ، وافتح السرير ، أو عكسه ، أو بالكسر السرير مع الميت ، والمراد هنا الميت ، وهذا المثل والمثلان قبله في الأصل مشوطة مختلطة مكذا : « لن تعدم الحسنة ما لم يعدم الغاوى لا يمالأ بك في أهلك كالجنيزة » . [٣] الجد : الخط .

[٤] يريد : من حاول الخطو وعالجه استطاعه ومرن عليه ، أى أن من أراد أمراً وتحيل له وأخذ في معالجته وممارسته ، تم له ما يبغي ، وهو كقولهم : إنما العلم بالتعلم ، « ورفع يخطو في المثل حسن لأن الشرط ماص » . [٥] الملقى : القفل كالملاق . [٦] القنط والقنوط : اليأس .

[٧] السرى : السير ليلاً ، ويروى « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو من يضرب للرجل يحتل المشقة رجاء الراحة ، وفي الميداني : « أن أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائي : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (فلاة خمس بكسر الحاء : بعد وردها حتى يكون ورد النعم اليوم

الصدق مَنجاة ، والكذب مَهْوَاة . الاعتراف يهدم الاقتراف . ربّ قول أنفذ
من صَوَّل . رب ساعة ، ليس بها طاعة . رب عَجَلَةٍ تُعَقِّبُ رَيْثًا ^(١) . بعض الكلام
أقطع من الحسام . بعض الجهل أبلغ من الحِلْم . ربيع القلب ما اشتهى . الهوى
شديد العمى . الهوى الإله المعبود . الرأى نائم ، والهوى يقظان . غلب عليك من
دعا إليك . لا راحة لحسود ولا وفاء . لا سرورَ كَطِيبِ النَّفْسِ . العمر أقصر من أن
يحتمل إلهَجْر . أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة . خير العلم ما نفع . خير القول
ما اتَّبَعَ البِطْنَةُ ^(٢) . تذهب الفِطْنَةُ . شر العمى عمى القلب . أوثق العُرَى كلمة
التقوى ^(٣) . النساء حبايل الشيطان . الشباب شُعْبَةٌ من الجنون . الشقى من شَقِيَ
في بطن أمه . السعيد من وُعِظَ بغيره . لكل امرئ في بدنه شُغْل . من يَعْرِفِ
البلاءَ يَصْبِرْ عليه . المقادير تُرِيك ما لا يخطر ببالك . أفضل الزاد ما تُزَوِّدَ للمعاد .

الرابع سوى اليوم الذى شربت فيه) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فاشترى مائة شارف
(الشارف الناقة المسنة) فمطشها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم سلك المعازة ، حتى إذا مضى يومان
وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب ما فى بطون الإبل نحر الإبل ، واستخرج ما فى
بطونها من الماء ، فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان فى الليلة الرابعة . قال رافع : انظروا هل ترون
سدرأ عظماً (السدر بالكسر شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فمهر الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر
فأخبروه فكبر وكبر الناس ، ثم هجموا على الماء فقال خالد وحزاً منه « عند الصباح يحمد القوم السرى »
[١] الريث : الإبطاء ، ويروى تهب ريثاً ، وفى الميدانى : « أن أول من قال ذلك مالك بن عوف
ابن أبى عمرو بن عوف بن محلم الشيباني ، وكان سنان بن مالك بن أبى عمرو بن عوف بن محلم شام غيماً ،
فأراد أن يرحل بأمرأته وهى أخت مالك بن عوف ، فقال له مالك : أين تظمن يا أختي ؟ قال : أطلب موقع
هذه السعابة . قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت ، وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك فأبى ، ومضى معرض
له مروان الفرط بن زنباع العبسى ، فأعجله عنها وانطلق بها ، وجعلها بين بناته وأחותه ولم يكشف لها سترها
فقال مالك بن عوف لسنان : ما فعلت أختي ؟ قاله : فتتقى عنها الرماح ، فقال مالك : « رب عجلة تهب
ريثاً . ورب فروقة يدعى ليثاً ، ورب غيث لم يكن غيثاً » ، فأرسلها مثلاً ، يضرب للرجل يشدد حرصه على
حاجة ، ويخرق فيها حتى تذهب كلها » .

[٢] البطنة : الامتلاء الشديد من الطعام . [٣] انظر خطبة عبد الله بن مسعود .

الفَحْلُ أَنَحَى لِلشَّوْلِ^(١) . صاحبُ الحِطْوَةِ غَدًا ، من بلغ المَدَى . عواقب الصبر محمودة . لا تُبْلَغُ الغَايَاتُ بِالأَمَانِي . الصَّرِيعة^(٢) على قدر العزيمة . الضيف مُيْتَنِي أَوِ يَذُم . من تفكر اعتبر . كم شاهدٍ لك لا ينطق . ليس منك مَنْ غَشَّكَ . ما نَظَرَ لَأَمْرِيٍّ مِثْلُ نَفْسِهِ . ما سَدَ فَقْرُكَ إِلَّا مَلِكُ يَمِينِكَ . ما على عاقل ضيعةٌ . الغنى في العُرْبَةِ وَطَن . المُقِلُّ في أهله غريب ، أول المعرفة الاختبار . يَدُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَتْ سَلَاءً . أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ^(٣) . من عُرِفَ بالكذب جاز صدقه^(٤) . الصحة داعية السَّقَم . الشباب داعية الهرَم . كثرة الصَّيَاح من الفَشَل . إِذَا قَدُمْتَ المَصِيبَةَ تُرِكَتِ التَّعْزِيَةُ . إِذَا قَدُمَ الإِخَاءُ سَمَّجَ الثَّنَاءُ . العادة أَمَلُكَ مِنَ الأَدَب . الرِّفْقُ يُنَمِّنُ وَالْحَرْقُ شَوْم . المَرْأَةُ رِيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ^(٥) .

[١] الشول : جمع شائلة وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر خف لبنها ، وأحمى : أعمل من الحاية . [٢] الصريعة : قطع الأمر (والعزيمة) . [٣] وبروى « منك أمك وإن كان أجدع » وفي الميداني : « أول من قال ذلك قنفذ بن جمونة المازني للربيع بن كعب المازني ، وذلك أن الربيع دفع فرساً كان قد أبرّ على الحيل (أى زاد) كرمًا وجودة إلى أخيه كيش ليأتي به أهله ، وكان كيش أنوك مشهوراً بالحق ، وكان رجل من بني مالك يقال له قراد بن جرم قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم عرة فيأخذها ، وكان داهية فكث فيهم مقبلاً لا يرفون نسبه ولا يظهره هو ، فلما نظر إلى كيش راكباً الفرس ركب ناقته ثم عارضه ، فقال يا كيش : هل لك في عانة لم أر مثلها سمناً ولا عظماً (المانة : القطيع من حمر الوحش) وغير معها من ذهب ؟ فأما الآن (بضمتين جمع أمان) فتروح بها إلى أهلك فتملأ قدورهم ، وتمرح صدورهم ، وأما العير فلا انتقار بعده ، قال له كيش : وكيف لنا به ؟ قال : أما لك به ، وليس يدرك إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بليل ، ولا يراه غيره ، قال كيش : فدونك ، قال : نعم وأمسك أنت راحتي ، فركب قراد الفرس وقال : انتظرنى في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد ، قال : نعم ومضى قراد : فلم يزل كيش ينتظره حتى أمسى من غده وحاح ، فلما لم ير له أنراً انصرف إلى أهله وقال في نفسه : إن سألتني أخى عن الفرس قلت تحول ناقة ، فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن المرس ، فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحول ناقة ، قال : فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فاطلب له علة ، فصرعه الربيع ليقتله ، فقال له قنفذ بن جمونة : اله عما فأنك ، فإن أنفك منك وإن كان أجدع ، فذهبت مثلاً .

[٤] في مجمع الأمثال (٢ : ١٧٥) : « من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يحز صدقه » . [٥] القهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل بلمة الفرس .

الدال على الخير كفاعله . المحاجزة قبل المناجزة . قبل الرماية تملأ الكنائس . لكل ساقطة لاقطة . مقتل الرجل بين فكيه . ترك الحركة غفلة . الصمت حُبسة . مَنْ خَيْرَ خَيْرَ . إن تسمع تُخطر^(١) . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . قيّدوا النعم بالشكر . من يزرع المعروف يحصد الشكر . لا تغتر بمودة الأمير إذا غشك الوزير . أعظم من المصيبة سوء الخلف منها . من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب . لقاء الأحبة مسئلة للهم . قطيعة الجاهل كصلة العاقل . من رضى على نفسه كثر الساخط عليه . قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضاً عارفها . أدوا الداء الخلق الدني ، واللسان البدي . إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله رباً . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف السبق . عند الرهان يُحمد المضار . السؤال وإن قل ، أكثر من النوال وإن جل . كفى المعروف بمثله أو انشره . لا خلة^(٢) مع عيلة . لا مروءة مع ضر ، ولا صبر مع شكوى . ليس من العدل ، سرعة العذل^(٣) . عبدٌ غيرك حرٌّ مثلك . لا يعدم الخيار ، من استشار . الوضع من وضع نفسه . المهين من نزل وحده . من أكثر أهجر^(٤) . كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » . (العقد الفريد ١ : ٢٧٢)

* *

ومن أمثال أكثم بن صيفي أيضاً :

« في الجريرة تشترك العشيرة^(٥) . إذا قرع الفؤاد ذهب الرقاد . هل

[١] أى إن تمتع أذنته الأقاويل تخطر وإبلا منها .

[٢] الحالة : الصداقة المختصة لا خلل فيها ، والعيلة الفقر . [٣] اللوم .

[٤] الامجار : الاغاش وهو أن يأتي في كلامه بالفحش .

[٥] مثل يضرب في الحث على المواساة .

يُهْلِكُنِي فَقَدْ مَا لَا يَعُودُ؟ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْمِيَنِي أَمْرٌ وَبَدَائِهِ . رَبُّ كَلَامٍ ، لَيْسَ فِيهِ
اِكْتِسَامٌ . حَافِظٌ عَلَى الصَّدِيقِ ، وَلَوْ فِي الْحَرِيقِ . لَيْسَ يَبْسِيرٌ ، تَقْوِيمُ الْعَسِيرِ .
إِذَا أَرَدْتَ النَّصِيحَةَ ، فَتَأْهَبِ لِلظَّنَّةِ . مَتَى تَعَالَجَ مَالٌ غَيْرَكَ تَسْأَمُ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ
سَمِينِ غَيْرِكَ . لَا تَنْطَحُ جَمَاءً ^(١) ذَاتَ قَرْنٍ . قَدْ يُبْلَغُ الْخَضَمُ بِالْقَضَمِ ^(٢) . قَدْ صَدَعَ
الْفِرَاقُ ، بَيْنَ الرَّفَاقِ . اسْتَأْنَوْنَا ^(٣) أَخَاكُم ، فَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا . الْحُرُّ عَزُوفٌ ^(٤)
لَا تَطْمَعُ ، فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ .

(جمرة الأمثال ٢ : ١٠٣)

٣٢٣ — كلمات هند بنت الحُسن الإيادية

أَتَى رَجُلٌ هِنْدَ بِنْتَ الْحُسْنِ الْإِيَادِيَّةِ يَسْتَشِيرُهَا فِي أَمْرٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَقَالَتْ :
« انْظُرْ رَمَكَا ^(٥) جَسِيمَةً ، أَوْ بِيضَاءَ وَسِيمَةً ، فِي بَيْتِ جَدِّ ، أَوْ بَيْتِ حَدِّ ،
أَوْ بَيْتِ عَزٍّ » قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنَ النِّسَاءِ شَيْئًا ، قَالَتْ : « بَلَى ، شَرُّ النِّسَاءِ تَرَكْتُ ،
السُّوَيْدَاءُ الْمَرَضُ ^(٦) ، وَالْحُمَيْرَاءُ الْمُخْيَاضُ ^(٧) الْكَثِيرَةُ الْمُظَاطُ ^(٨) » .
وَقِيلَ لَهَا : أَيُّ النِّسَاءِ أَسْوَأُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي تَقْعُدُ بِالْفِنَاءِ ، وَتَعْلَأُ الْإِنَاءَ ،
وَتَعْدُقُ ^(٩) مَا فِي السَّقَاءِ » قِيلَ : فَأَيُّ النِّسَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَتْ : « الَّتِي إِذَا مَشَتْ
أَغْبَرَتْ ^(١٠) ، وَإِذَا نَطَقَتْ صَرَّصَرَّتْ ^(١١) ، مُتَوَرِّكَةً جَارِيَةً ^(١٢) ، فِي بَطْنِهَا
جَارِيَةً ، يَتْبَعُهَا جَارِيَةٌ ^(١٣) » .

[١] الجماء : الشاة بلا قرن مؤنث الأجم . [٢] القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، والخصم : الأكل
بأقصى الأضراس ، ومعنى المثل : قد تدرك الغاية البعيدة بالرفق . [٣] انتظروا .
[٤] من عزفت نفسه عنه إذا زهدت فيه وانصرفت عنه أي أنف راغب عن الدنيا .
[٥] الرمكاء : السمراء ، والرمكة كحمة لون الرماد . [٦] المراض : المبهمة .
[٧] الكثرية الحيض . [٨] المظاط : المنازعة والمشاراة . [٩] تمزج .
[١٠] أثارت الغبار في مشيتها . [١١] أحدثت صوتها . [١٢] أي حاملة لها على وركها .
[١٣] أي هي مثنات .

قيل : فأى الغلمان أفضل ؟ قالت : « الأسوق الأعنق ^(١) ، الذى إن شبَّ كأنه أحق » قيل : فأى الغلمان أفضل ^(٢) ؟ قالت : « الأويقص ^(٣) القصير العَضْد ، العظيم الحاوية ^(٤) ، الأغْيِيرُ الغِشاء ، الذى يُطِيعُ أمّه ، وَيَعْصِي عَمّه » .
(الأملّى ٢ : ٢٦٠)

* *

وقيل لها : أى الرجال أحبُّ إليك ؟ قالت : السَّهْلُ النَجِيب ، السَّمَحُ الحَسِيب ، النَّدْب ^(٥) الأريب ، السيد المهيّب ، قيل لها : فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم ، الأَهْيَفُ الهَفْهَف ^(٦) ، الأنِفُ العِيَّاف ، المُفِيدُ المتلَّاف ، الذى يُخَيِّفُ ولا يَخَاف ، قيل لها : فأى الرجال أَبْغَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت : الأَوْرَه ^(٧) النَّثُوم ، الوَكَلُ السَّثُوم ، الضَّعِيفُ الحَزْزُوم ، اللِّيمُ المَلُوم ، قيل لها : فهل بقى أحد شر من هذا ؟ قالت : نعم ، الأحمق النَّزَّاع ، الضائع المُضَاع ، الذى لَا يُهَاب ولا يُطَاع ، قالوا : فأى النساء أحبُّ إليك ؟ قالت : البيضاء العَطِرَة ، كأنها ليلة قِرَّة ^(٨) ، قيل : فأى النساء أَبْغَضُ إِلَيْكَ ؟ قالت : العِنْفِص ^(٩) القصيرة ، التى إن استنطقتْ سَكَتَتْ ، وإن سَكَتْ عَنْهَا نَطَقَتْ .
(ذيل الأملّى ص ١٢٠)

[١] الأسوق : الطويل الساق ، والأعنق : الطويل العنق .

[٢] أفضل من فسل : ككرم وعلم وعى فسالة وفسولة وهو فسل أى رذل لا مروءة له .

[٣] الأويقص : تصغير أوقص وهو الذى يدنو رأسه من صدره .

[٤] ما تحوى من الأمعاء أى استدار .

[٥] الندب : الخفيف فى الحاجة الطريف النجيب ، والأريب : العاقل . [٦] الأهيف وصف من

الهيّف بالتحريك ، وهو رقة الخاصرة ، والقميص الهفّاف ، أى الرقيق الشفاف . [٧] الأورم :

الأحمق من وره كفرح . [٨] ليلة قرة وقرأ ومقبرة : فيها القمر . [٩] العنفس : المرأة

البديهة القليلة الحياء ، والقليلة الجسم الكثيرة الحركة .



وقال لها أبوها يوماً : أى المال خير؟ قالت : « النخل ، الراسخات في الوخل ، المطعمات في المخل ^(١) » قال : وأى شيء؟ قالت : « الضأن ، قرية لا وباء بها ، تُنتجها رُحالا ^(٢) ، وتخلبها علالا ^(٣) ، وتجزئ لها جُفالا ^(٤) ، ولا أرى مثلها مالا » قال : فالإبل مالكِ تُؤخرينها؟ قالت : « هي أذكّار الرجال ، وإِرْقَاءُ الدماء ، ومُهور النساء » قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خير الرجال المَرَهَقُونَ كما خيرُ تِلَاعِ البلاد أوطؤها ^(٥)

قال : أيهم؟ قالت الذى يُسأل ولا يُسأل ، ويُضيف ولا يُضَاف ، وَيُصْلِح ولا يُصْلَح .
قال : فأى الرجال شر؟ قالت : « الشَّطِيطُ النُّطِيطُ ، ^(٦) الذى معه سُويط ^(٧) ، الذى يقول أذركونى من عبْدِ بنى فلان ، فإنى قَاتِلُهُ أو هو قَاتِلِي » . قال : فأى النساء خير؟ قالت : « التى فى بطنها غلامٌ ، تحمل على وَرِكها غلامًا ، يَمْشِي وَرَاءَهَا غلامٌ » قال : فأى الجمال خير؟ قالت : « السَّبَحْلُ الرَّبْحَلُ ^(٨) ، الراحلة الفَحْلُ » .
قال : أرايتك الجذع ^(٩) ، قالت : لا يضرب ، ولا يدع ، قال : أرايتك الثَّني ^(١٠) ؟
قالت : يضرب ، وضِرَابُهُ وَفِي ^(١١) ، قال : أرايتك السَّدَسَ ^(١٢) ، قالت :
ذاك العَرَسَ ^(١٣) . (ذيل الأملى ص ١٠٨)

[١] الخل : الشدة والجذب واقطاع المطر . [٢] الرخال جمع رخل كحمل وكثف وهو الأنتى من أولاد الصأن . [٣] يقال عاللت الناقة ، وهو أن تحلب أول النهار ووسطه وآخره ، والاسم علال ككتاب . [٤] الجفال : الكثير من الصوف .
[٥] المَرَهَقُ : من يغشاه الناس والأضياف . [٦] النطيط : الذى لا لحيمة له ، والنطيط : الهذريان (بكسر الهاء والراء) وهو الكثير الكلام يأتى بالخطأ والصواب عن غير معرفة .
[٧] تصغير سوط . [٨] السبحل والربحل : البعير الضخم الكثير اللحم . [٩] أرايتك : كلمة تقولها العرب بمعنى أخبرنى ، الجذع : البعير إذا كان فى السنة الخامسة . [١٠] الثني : البعير إذا كان فى السادسة وألقى نثيته . [١١] قال أبو على : الصواب أنى أى بطنه . [١٢] السدس : البعير إذا كان فى الثامنة . [١٣] العرس : الأسد .



وقيل لها : أى الخيل أحب إليك ؟ قالت : « ذو الميعة الصنيع ^(١) ،
السليط التليع ^(٢) ، الأيّد الضليع ^(٣) ، الملهب ^(٤) السريع » فقيل لها : أى
الغيوث أحب إليك ؟ قالت : « ذو الهيدب المنبعق ^(٥) ، الأضخم المؤتلق ^(٦)
البصخب المنبتق ^(٧) » وقيل لها : ما مائة من المعز ؟ قالت : مؤيل يشف الفقر
من وراثته ، مال الضعيف ، وحرّفة العاجز » قيل : فما مائة من الضأن ؟ قالت
« قرية لا حمى بها » قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : « بخ ^(٨) ، جمال ومال ،
ومنى الرجال » . قيل : فما مائة من الحيل ؟ قالت : « طغى من كانت له ولا
يوجد » قيل : فما مائة من الحمُر ؟ قالت : « عازبة ^(٩) الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن
فيخلب ، ولا صوف فيجزّ ، إن ربطَ عيْزُها ^(١٠) أدلى ، وإن تركَ ولّى ، وقيل
لها : من أعظم الناس في عينك ؟ قالت : « من كانت لي إليه حاجة » .

(شرح العيون ص ١٨٤)

[١] ماع المرس يبيع : جرى ، وصناعة الفرس : حسن القيام عليه ، صنعت فرسى صنعا وصنعة (بفتح
الصاد وبهما) والصنيع ذاك المرس . [٢] السليط : الشديد ، والحديد من كل شيء ، والتليع :
الطويل العنق من التلع بفتحتين وهو طول العنق . [٣] الأيّد ككيس : القوى ، من آد يثيد أيدا
أى قوى واشتدّ ، والضليع وصف من ضلع كفصح ضلّاعة ، وهى القوة وشدة الأصلاع .
[٤] هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير المبار ، من ألهب . [٥] الهيدب : السحاب المتدلى ،
والمنبعق : المنبعج بالمطر . [٦] الضخم : كشمس وسبب وأحمد وغراب : العظيم من كل شيء ، واثلق
البرق وتألّق : لمع . [٧] الصخب : وصف من الصخب كسبب وهو شدة الصوت ، والمنبتق : المنفجر .
[٨] بخ كقذر : أى عظم الأمر ونغم ، يقال وحدها وتكرّر ، بخ بخ الأول منون مكسور ، والثانى مسكن ،
ويقال فى الأفراد : بخ ساكنة الخاء ، وبخ مكسورة ، وبخ مكسورة مونة ، وبخ مونة مصومة ، ويقال
بخ بخ مسكين ، وبخ بخ منونين مكسورين ، وبخ بخ مكسورين مشدين منونين كقوله تعالى عند الرضا والإعجاب بالشئ .
[٩] يقال : جل طازب : أى لا يروح على الحمى من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وقولها : خرى
المجلس ، أى بما تحدثه من التهيق المزعج والإدلاء . [١٠] الدبر : الحمار (وغلب على الوحشى) ،
وأدلى : أى أخرج قضيه ليبول أو يضرب .

وقالت: « أَخْبِثُ الذَّنَابَ ذَنْبَ الْغَضَا ^(١) ، وَأَخْبِثُ الْأَفَاعِي أَفْعَى الْجَذْبِ ،
وَأَسْرِعِ الظُّبَاءَ ظُبَاءَ الْحُلْبِ ^(٢) ، وَأَشْدِ الرِّجَالَ الْأَعْجَفَ ^(٣) ، وَأَجْمِلِ النِّسَاءَ الْفَخْمَةَ
الْأَسِيلَةَ ^(٤) ، وَأَقْبِحِ النِّسَاءَ الْجَهْمَةَ الْقَفِيرَةَ ^(٥) ، وَآكُلِ الدُّوَابَّ الرَّغُوثَ ^(٦) ،
وَأَطِيبِ اللَّحْمَ عُوْذُهُ ^(٧) ، وَأَغْلِظِ الْمَوَاطِيءَ الْحَصَى عَلَى الصَّفَا ، وَشِرِّ الْمَالَ مَا لَا
يَزْكِي ^(٨) وَلَا يَذْكِي ^(٩) ، وَخَيْرِ الْمَالَ سِكَّةَ مَأْبُورَةٍ ^(١٠) ، أَوْ مُهْرَةَ مَأْمُورَةٍ ^(١١) »
(مجمع الأمثال ١ : ١٧٤)

خطب الكهان

٣٢٤ — الكاهن الخزاعي يُنْقَرُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ
عَلَى أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ

وَلِي هَاشِمُ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدِ مَنْفٍ ، مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ^(١٢)

[١] الغضا : شجر له جمر يبق طويلا . [٢] الحلب : نبت ، قال حمزة : « العرب تسمى ضروباً
من البهائم بضروب من المراعي تنسبها إليها ، فيقولون : ظبي الحلب ، وتيس الربلة (والربل محرّكة نبات
شديد الخضرة) ، وشيطان الحماطة (والحماطة كسحابة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر إلى الحيات) . الخ
وذلك كله على قدر طباع الأمكنة والأغذية المأكلة في طباع الحيوان . [٣] من المعجف بالتحريك وهو
ذهاب السمن . [٤] الطويلة المسترسلة . [٥] الجهم : مؤنث الجهم وهو الوجه الغليظ المجتمع
السمج ، والقفرة : القليلة القفر بالتحريك أي الشعر . [٦] الرغوث : كل مرضعة كالمرغث .
[٧] ما عاذ بالعظم من اللحم . [٨] زكي كرضى نعا وزاد كزكا يزكو . [٩] ذكي تذكية :
سمن وبدن (بضم الدال) . [١٠] السكة : السطر من النخل ، والمأبورة : المصلحة ، من أبرت الحبل
آبره إذا لقحته وأصلحته . [١١] مأمورة : أي كثيرة الولد ، من أمرها الله أي كثراها ، وكان
يفبني أن يقال مؤمرة ، ولكنه أتبع مأبورة — اقرأ في كتاب بلاغات النساء ص ٨ فصل طويلا في كلام
هند بنت الحس وأختها جمعة .

[١٢] السقاية : هي إسقاء الحبيج الماء العذب ، والرفادة : خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من
أموالها ، فتدفعه إليه ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد .

فخسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على رياسته وإطعامه ، وكان ذا مال ، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش ، فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسِنِّه وقدره ، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة سُود الحَدَق يَنَحِّرُها بيطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الحزاعي - وهو جد عمرو بن الحَمِق ، ومنزله بِعُسْفان ^(١) ، وكان مع أمية هَمِّمة بن عبد العزى الفهري ، وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن :

« والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والنَّمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم ^(٢) مسافر ، من مُنْجِدٍ وغائر ^(٣) ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أولَّ منه وآخر ، وأبوهممة بذلك خابر » .

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشَّام عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٨٠)

٣٢٥ — عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث

كان حُجْر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إتاوة ^(٤) كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرًا ، ثم بعث إليهم من يَحْبِي ذلك منهم ، ونحجز يومئذ بتهامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك

[١] عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . [٢] العلم : ما نصب في الطريق يهتدى به .

[٣] أنجد : أتى نجداً ، وثار وأغار : أتى غوراً . [٤] خراج .

حجراً ، فساد إليهم ، فأخذ سَرَوَاتِهِمْ^(١) وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسؤوا عبيد العصا) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وجلس جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعراً يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم : يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، فقال : « من المليك الصلّهب^(٢) ، الغلاب^(٣) غير المغلاب^(٣) ، في الإبل كأنها الربرب^(٤) ، لا يقلق رأسه الصنّخب^(٥) ، هذا دمه ينثعب^(٥) ، وهو غداً أول من يستلب^(٦) » قالوا : ومن هو ؟ ربنا . قال : « لولا تجيش^(٦) نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجْر ضاحية^(٧) » .

فركبوا كل صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر حجر ، فهجموا عليه في قبته فقتلوه . (تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٣ ، والشعر والشعراء ص ٣١ ، والأغانى ٨ : ٦٣)

٣٢٦ - كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم

كان بنو تميم قد أغاروا على لطيمة^(٨) لكسرى ، فيها مسك وغبر وجوهر كثير ، فأوقع كسرى بهم ، وقتل المُقاتلة ، وبقيت أموالهم وذرايرهم في مساكنهم لا مانع لها ، وبلغ ذلك بني الحارث بن كعب من مذحج ، فمضى

[١] سروات جمع سراة بالفتح وهي اسم جمع سرنى كنى من سرو سروا وهو المروءة في شرف .
[٢] حجر صلّهب : شديد صلب ، والصلّهب أيضاً : الشديد من الإبل ، والرجل الطويل ، وفي الشعر والشعراء والأغانى « الأصهب » ومن معانيه الأسد . [٣] المغلب : المغلوب مراراً (وهو أيضاً المحكوم له بالغلبة . ضد) . [٤] الربرب : القطيع من بقر الوحش . [٥] ينثعب : يتفجر .
[٦] جاشت النفس وتجيشت ارتفعت من حزن أو فزع . [٧] علانية ، يقال فعله ضاحية : أى علانية .
[٨] اللطيمة : المير تحمل الطيب وبزّ التجار .

بعضهم إلى بعض ، وقالوا اغتسموا بنى تميم ، فاجتمعت بنو الحارث وأحلافها من
بند وحزم بن ريان في عسكر عظيم ، وساروا يريدون بنى تميم ، فحذرهم كاهن
كان مع بنى الحارث واسمه سلمة بن المغفل ، وقال :

« إنكم تسيرون أعقاباً ^(١) ، وتغزون أحباباً ^(٢) ، سعداً ورباباً ، وتردون
مياهاً جباباً ^(٣) ، فتلقون عليها ضرباً ، وتكون غنيمتكم تراباً ^(٤) ، فأطيعوا
أمرى ولا تغزوا تميماً » ولكنهم خالفوه وقاتلوا بنى تميم ، فهزموا هزيمة نكراء .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ٢٢٧ ، والأغانى ١٥ : ٧٠)

٣٢٧ - أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند
بنت عتبة ، وكان له بيت للضيافة ينعشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال ^(٥) يوماً في
ذلك البيت ، وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان ينعش
البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولّى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على
هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهت حتى
أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط ، قال : الحق بأبيك ، وخاض الناس في أمرهم ،
فقال لها أبوها : يا بنية العار ^(٦) وإن كان كذباً ، بثني شأنك ، فإن كان الرجل
صادقاً دسست عليه من يقتله ، فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى

[١] أى يسير بعصمكم عتب بعض ، فريقاً في إثر فريق ، وقد ذكر ابن الأثير أنهم كانوا نحو ثمانية
آلاف ، ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جيلة ، وروى
أبو الفرج الاصبهاني أنه اجتمع من مذحج ولقها اثنا عشر ألفاً . [٢] هذه الفاصلة والفاصلتان قبلها ،
وردت في الأصل بحرفة هكذا : « إنكم تسيرون أعياناً ، تغزون أحياناً ، سعداً ورباناً » .

[٣] الجباب والأجباب جمع جب ، وهو الثر الكثيرة الماء البعيدة القعر . [٤] أورد صاحب الأغاني
من هذه القعر الست ، الفقرة الأولى والرابعة والسادسة ، وعراها إلى المأمور الحارثي وهو كاهن أيضاً .
[٥] قال قبلا وقائلة وقيلولة ومقبلا : نام في القائلة وهي نصف النهار . [٦] أى اتقى العار .

بعض كهان اليمين ، قالت : والله يا أبت إنه لكاذب ، نخرج عتبة فقال :
إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبَيِّنَ ما قلت ، وإلا فإني إلى
بعض كهان اليمين ، قال : ذلك لك ، نخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ،
ونسوة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف ، فلما
شارفوا بلاد الكاهن تغير وجهه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أي بنية ،
ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟ قالت : يا أبت والله ما ذلك
لمكروه قبلي ، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ، ولعله أن يسميني بِسَمَةٍ
تبقى على ألسنة العرب ، فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأخبرُهُ لَكَ ، فصفر
بفرسه ، فلما أدلى عمداً إلى حبة بُرٍّ ، فأدخلها في إحليله ، ثم أوكى ^(١) عليها
وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في
أمر ، وقد خبأنا لك خبيئة ، فما هي ؟ قال : بُرَّة ، في كَمَرَةٍ ^(٢) ، قال : أريد
أبين من هذا ، قال : « حَبَّةُ بُرٍّ » ، في إحليل مُهرٍ ، قال : صدقت ، فانظر في أمر
هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك ،
حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها ، وقال : « انهضى غير رقحاء ^(٣)
ولا زانية ، وستلدين ملكاً يسمى معاوية » .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من يدها ، وقالت : إليك
عني ، والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ،
فولدت له معاوية .

(العقد المرید ٣ : ٢٢٤ ، وصح الأعشى ١ : ٣٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١١)

[١] الوكاء ككتاب : حبل يشد به رأس القرية ، ووكاها وأوكاها وأوكي عليها شدتها بالوكاء .
[٢] الكمرة : رأس الذكر . [٣] الرقحاء : البني التي تكتسب بالفجور ، من الرقاحة كفصاحة
وهي الكسب والتجارة ، هذا ما ورد في ابن أبي الحديد ، وفي غيره « رسحاء » والرسحاء : القبيحة ،
والرسحاء أيضاً : القليلة لحم العجز والمعدن والأول أنسب .

٣٢٨ - خمسة نفر من طيٍّ يمتحنون سواد بن قارب الدوسي

خرج خمسة نفرٍ من طيٍّ من ذوى الحِجَابِ والرأى ، منهم بُرْجُ بن مُشهرٍ ، وهو أحد المعمرين ، وأُنَيْفُ بن حارثة بن لأمٍ ، وعبد الله بن سعد بن الحشرج أبو حاتم طيٍّ ، وعارف الشاعر ، ومُرَّة بن عَبْد رُضَى ، يريدون سواد بن قارب الدوسي ، ليمتحنوا علمه ، فلما قرَّبوا من السَّراة ، قالوا : لَيْخَبًا كلُّ رجل منا خَبِيثًا ، ولا يُخْبِر به صاحبه ، ليسأله عنه ، فَإِنْ أَصَاب عَرَفْنَا عِلْمَهُ ، وإنْ أَخْطَأ ارتحلنا عنه ، نَخْبَأُ كل رجل منهم خبيثًا ، ثم صاروا إليه ، فأهدوا له إبلًا وطُرفًا من طُرف الحَيرة ، فضرب عليهم قبة ، ونَحَر لهم ، فلما مضت ثلاثُ دعا بهم ، فدخلوا عليه .

فتكلم بُرْج - وكان أسنَّهم - فقال : « جَادَكَ السَّحَابُ ، وَأَمْرَعَكَ الْجَنَابُ ^(١) ، وَضَفَّتْ عَلَيْكَ النَّعَمُ الرَّغَابُ ^(٢) ، نَحْنُ أَوْلُو الْآ كَالٍ ^(٣) ، وَالْحَدَائِقُ وَالْأَغْيَالِ ^(٤) ، وَالنَّعَمُ الْجُفَالِ ^(٥) ، وَنَحْنُ أَصْهَارُ الْأَمْلاكِ ، وَفُرْسَانُ الْمِرَاكِ - يُورَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ بَكْرٍ وَائِلٍ - » .

فقال سواد : « وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ، وَالْفَعْمَرُ وَالْبَرَضُ ^(٦) ، وَالْقَرَضُ

[١] أمرع : أخصب ، والجناب : ماحول الدار . [٢] الصاق : السانغ الكثير ، يقال : خير فلان صاف على قومه : أى سابع عليهم ، والرضا : الواسعة الكثيرة جمع رغبة . [٣] الآ كال : جمع أكل (كقمل وعنق) الرزق والمط من الدنيا . [٤] الأغيال جمع غيل كشمس : وهو الماء الجارى على وجه الأرض . [٥] الجفال : الكثيرة . [٦] العمر : الماء الكثير ، ويقال : رجل غمر الحاق إذا كان واسع الحلق سخيا ، والبوض : الماء القليل ، ويقال : فلان يتبرض حقه : أى يأخذه قليلا قليلا .

والفَرَضِ^(١) ، إنكم لأهلُ الهَضَابِ الشَّمِ^(٢) ، والنخيلِ العُمِّ ، والصَّخُورِ الصَّمِّ^(٣) من أجأ العَيْطَاءِ ، وسَمِي ذاتِ الرَّقَبَةِ السَّطَمَاءِ^(٤)

قالوا : إنا كذلك ، وقد خَبَأَ لك كل رجل منا خبيئاً ، لتخبرنا باسمه وخبيئته ، فقال لبرج : « أقسم بالضياء والحللك^(٥) ، والنجوم والفلك ، والشروق والدَّلك^(٦) ، لقد خَبَأَتْ بُرْثُنَ فَرْنِ^(٧) ، في إعْلِيْطِ مَرْنِ^(٨) ، تحت آسِرَةِ الشَّرْنِ^(٩) » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت بُرْجُ بنِ مُسْهِرٍ ، عُصْرَةُ الْمُعْمِرِ^(١٠) ، وَثَمَالُ الْمُحَجَّرِ^(١١) .

ثم قام أنيف بن حارثة ، فقال : ما خبيئى وما اسمي ؟ فقال : « والسحاب والتراب ، والأصباب والأحداب^(١٢) والنعم الكُثَابِ^(١٣) ، لقد خَبَأَتْ قُطَامَةَ فَسِيْطِ^(١٤) ، وقُدَّةَ مَرِيْطِ^(١٥) ، في مَدَرَةٍ من مَدِيٍّ مَطِيْطِ^(١٦) » قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت أنيف ، قارى الضيف ، ومُعْمَلُ السيف ، وخَالِطُ الشتاء بالصيف » .

[١] الفرس : ماتعطيه لتقضاء ، والفرس : ما فرضته على نفسك فوهبته أوجدت به لغير ثواب .
[٢] الشم : الطوال ، وكذا العم . [٣] أجأ وسلمي : حبلا طي ، والعَيْطَاءُ : الطويلة ، وكذا السطماء . [٤] الحلك : شدة السواد . [٥] دلكت الشمس دلوكاً : غربت أو اصفرت ، والدلك : وقت الدلوك . [٦] البرثن : ظفر كل ما لا يصيد من السباع والطيور مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كن مما يصيد ، قيل لظفره محلب . [٧] المرح : شجر تقدح منه النار ، والإعْلِيْطُ : وعاء ثمر المرنج ، والعرب تشبه به آذان الحيل . [٨] الأسرة والإيسار : القدر الذي يشد به خشب الرحل ، وشرخا الرحل حاناه . [٩] المعمر : الذي ذهب مثله ، والعصرة : الملبأ والمجاة .
[١٠] الثمال : الفيات الذي يقوم بأمر قومه ، والمحجر : الملبأ (بصيغة اسم المفعول) المضيق عليه .
[١١] الأصباب : جمع صبب كسبب : وهو ما انخفض من الأرض ، والأحداب جمع حذب كسبب أيضاً : وهو ماعلا . [١٢] الكثيرة . [١٣] القطامة : ما قطته بفيك ، والقطم بأطراف الأسنان ، والفسيط : علامة الظفر . [١٤] القُدَّة : الريشة ، والمريط من السهام : الذي قد تمرط ريشه أى تنف [١٥] المدرة : قطعة طين يابسة ، والمدى : جدول صغير يسيل فيه ما هريق من ماء البثر ، والمطيطة : الماء الحائر في أسفل الحوض .

ثم قام عبد الله بن سعد . فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم
للسَّوَامِ العازِب ^(١) ، والوقيرِ الكارب ^(٢) ، والمُجِدِّ الراكب ، والمُشِيحِ
الحَارِب ^(٣) ، لقد خَبَّاتُ نُفَاثَةً قَنَنَ ^(٤) ، في قَطِيعٍ قَدَمَرَن ^(٥) ، أو أديمٍ قد
جَرَنَ » . قال : ما أخطأت حرفاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت ابن سعدِ النَّوَالِ ، عطاؤك
سِجَال ^(٦) ، وَشَرُّكَ غُضَال ، وَعَمَدُكَ طَوَال ، ويبتك لا يُنَال .

ثم قام عارف ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد : « أقسم بِنَفْنَفِ
اللُّوح ^(٧) ، والماءِ المسفوح ^(٨) ، والفضاءِ المندُوح ^(٩) ، لقد خَبَّاتُ زَمْعَةً طَلًّا
أَعْفَرَ ^(١٠) ، في زِعْنَفَةٍ ^(١١) أديمٍ أحمر ، تحتِ حِلْسٍ نِضْوٍ أدبَر ^(١٢) » قال :
ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : « أنت عارف ذو اللسانِ العَضْبِ ، والقلبِ
النَّدْبِ ^(١٣) ، وَالْمَضَاءِ الغَرَبِ ^(١٤) ، مَنَاعِ السَّرْبِ ^(١٥) ، وَمُبِيحِ النَّهْبِ » .

ثم قام مِرَّةُ بن عَبْدِ رُضَى ، فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد :
« أقسم بالأرضِ والسماءِ ، والبروجِ وَالْأَنْوَالِ ^(١٦) ، والظلمةِ والضياءِ ، لقد خَبَّاتُ
دِمَّةً ^(١٧) ، في رِمَّةٍ ^(١٨) ، تحتِ مَشِيطِلَمَةٍ ^(١٩) » . قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟

[١] السَّوَام : المال الراعى من الإبل ، والعازِب : البعيد . [٢] الوقير : القطيع من الغنم ،
والكارِب : القريب . [٣] المُشِيح : الجاد ، في لغة هذيل ، وفي غيرها الحاذِر ، والحارب : السَّالِب ،
حربه حرباً كطلبه طلباً : سلَّه ماله . [٤] النُّفَاثَةُ : ما تنفثه من فيك ، والفنن : واحد أمدان
الأشجار وهي أغصانها . [٥] القَطِيع : ما يقطع من الشجر ، ومرن وحرن : لان .
[٦] أى يتداول بين الناس ، لكل فريق منه نصيب . [٧] النَفْنَف : اللوح واحد ، وهما الهواء
وإنما أضاف لما اختلف اللغزان ، فكأنه أضاف الشيء إلى غيره . [٨] المندُوح :
[٩] الواسع . [١٠] الطَّلَا : ولد الظبي ساعة يولد ، والصغير من كل شيء ، والأدفر من الطباء :
ما يعلو بياضه حمرة ، والزمعة : الشعرات المتدلّيات في رجل الأرنب . [١١] زَطَانِفُ الأديم : أطرافه
مثل اليدين والرجلين ، ومالا خير فيه جمع زعنفة بكَسْر الزاي والنون ، ومنه قيل لردال الناس الرعاف .
[١٢] الحِلْس : للبعير كالبرذعة للعافر ، والنضو : المهزول من الإبل وغيرها ، والأدبر : الذي أصابه
الدبر (بالتحريك) وهو قرحة الدابة . [١٣] الدَكْب : الحَد . [١٤] السَّرْب : بالفتح :
الماشية كلها ، وبالسكس القطيع من الطباء والنساء وغيرها . [١٥] الأنواء : جمع نوء (كسهم)
النجم : مال للغروب . [١٦] الدمة : القملة . [١٧] الرمة : العظام الدالية .
[١٨] اللمة : الشعر المجاوز لشحمة الأذن ، والمشيظ : المشوط .

قال : « أنت مُرَّة ، السريع الكُرَّة ، البطيء الفرَّة ، الشديد المِرَّة ^(١) » .
 قالوا : فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، فقال : « والناظر من حيث
 لا يُرى ، والسامع قبل أن يُتأخَّر ، والعالم بما لا يُدرى ، لقد عنت لكم
 عُقابٌ عجَزاء ^(٢) ، في شغائب ^(٣) دَوْحة جرَداء ، تحمل جدلاً ^(٤) ، قماريتم ^(٥)
 إمَّيْدًا وإمَّارِجَلًا » فقالوا : كذلك ، ثم مه ؟ قال : « سَنَحَ لكم قبل طلوع الشَّرْق ^(٦) ،
 سَيْدُ أَمَق ^(٧) ، على ماء طَرَق ^(٨) » قالوا : ثم ماذا ؟ قال : « ثم تيس أفرق ^(٩) ،
 سَنَدَ في أبرق ^(١٠) ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين الوايلة ^(١١) والمِرْفَق ^(١٢) » .
 قالوا : صدقت ، وأنت أعلم من تحمل الأرض ، ثم ارتحلوا عنه . (الأمل : ٢ : ٢٩٢)

٣٢٩ — حديث مصاد بن مذعور القيني

كَانَ مَصَادُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِي رَئِيسًا ، قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ ^(١٣) قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ
 ذَا مَالٍ ، فَنَدَّ ذَوْدَهُ ^(١٤) مِنْ أَذْوَادِهِ لَهُ ، فَخَرَجَ فِي بَغَائِهَا ^(١٥) ، قَالَ : فَإِنِّي لِنِي
 طَلَبُهَا ، إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا ^(١٦) كَشِيفَ الظَّلَالِ ، وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيْنًا ^(١٧) ،
 فَأَنْخَتُ رَاحَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ ، وَحَطَطْتُ رَحْلِي ، وَرَسَعْتُ ^(١٨) بَعِيرِي ، وَاضْطَجَعْتُ

[١] المرة : اقوة . [٢] المعراء : التي ابيض ذنبها ، (وفي غير هذا الموضع : التي كبرت عجيزتها) .
 [٣] الشغازب جمع شغوب كمصفور وهو الغصن الناعم الرطب ، والدوحة : الشجرة العظيمة .
 [٤] الجدل : العصو وجمعه جدول . [٥] تجادلتم . [٦] الشرق : الشمس ، والرب تقول
 لا أفعل ذلك ماطلع شرق ، وشرقت الشمس : طلعت ، وأشرقت : أضاءت . [٧] السيد : الذئب ،
 والأمق : الطويل . [٨] الطرق : الماء الذي بولت فيه الإبل ، يقال : ماء طرق ومطروق .
 [٩] الأفرق من الشاء : البعيد ما بين خصبيه . [١٠] سند في الجبل : صعد ، والأبرق والبرقاء
 والبرقة كفرصة : غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل ، وجبل أبرق : إذا كان فيه لوانان .
 [١١] الوايلة : رأس العضد الذي يلي المنكب .

[١٢] المربع : ربع العنيفة ، وكان يختص به الرئيس في الجاهلية [١٣] ندَّ : شرد ، والذود :
 ثلاثة أبصرة إلى العشرة ، أو خمسة عشر ، أو عشرون ، أو ثلاثون [١٤] طلبها
 [١٥] كثير الشجر . [١٦] تمباً وكلالا . [١٧] شددت رسفه

في بُرْدِي ، فَإِذَا أَرْبَعُ جَوَارٍ ، كَأَنَّهُنَّ اللَّالِي ، يَرْعَيْنَ بَهْمًا لَهْنًا ، فَلَمَّا خَالَطَتْ
عَيْنِي السَّنَةُ ، أَقْبَلْنَ حَتَّى جَلَسْنَ قَرِيبًا مِنِّي ، وَفِي كَفِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ
حَصَيَاتٌ تَقْلِبُهُنَّ ، نَخَطَّتْ إِحْدَاهُنَّ ثَم طَرَقَتْ ^(١) ، فَقَالَتْ : « قَلْنِ يَا بَنَاتِ
عَرَافَ ، فِي صَاحِبِ الْجَمْلِ النَّيَافِ ^(٢) ، وَالْبُرْدِ الْكَثَافِ ^(٣) ، وَالْجَرِمِ ^(٤)
لِلْخُفَافِ ^(٥) » ، ثَم طَرَقَتْ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَتْ : « مُضِلُّ أَدْوَادٍ عَلَا كِدَ ^(٦) ، كُومِ
صَلَاحِيهِ ^(٧) . مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ مَقَاحِدُ ^(٨) ، وَأَرْبَعٌ جَدَائِدُ ^(٩) ، شُسُفٌ صَمَارِدُ ^(١٠) » ،
ثَم طَرَقَتْ الثَّالِثَةَ فَقَالَتْ : « رَعَيْنِ الْفَرْعَ ^(١١) ، ثَم هَبَطْنَ الْكَرْعَ ^(١٢) ، بَيْنَ
الْعَقِدَاتِ وَالْجَرَعِ ^(١٣) » فَقَالَتْ الرَّابِعَةَ : « لِيَهْبِطِ الْغَائِطُ الْأَفْيَحُ ^(١٤) ، ثَم لِيُظْهَرَ
فِي الْمَلَأِ الصَّحْصَحِ ^(١٥) ، بَيْنَ سَدِيرٍ وَأَمْلَحٍ ^(١٦) ، فَهَنَّاكَ الذَّوْدُ رِتَاعٌ بِمُنْعَرَجِ
الْأَجْرَعِ » قَالَ : فَقَمْتُ إِلَى جَمْلِي فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلَهُ وَرَكِبْتُ ، وَوَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُنَّ
مَنْ هُنَّ وَلَا يَمْنَنَّ هُنَّ ؟ فَلَمَّا أَدْبَرْتُ ، قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : « أَبْرَحُ ^(١٧) فَتَيَّ
إِنْ جَدَّ فِي طَلَبٍ ، فَهَالَهُ غَيْرُهُنَّ نَشَبَ ^(١٨) ، وَسَيُثُوبُ عَنْ كَثَبٍ ^(١٩) ،

[١] الطرق : ضرب الكاهن بالحصى . [٢] جل نياف ككتاب وشداد : طويل في ارتفاع .
[٣] الكثيف . [٤] الجسد . [٥] الحفيف . [٦] أضل دابته : فقدتها ، والعلا كد :
الصلاب الشداد جمع علكد (بكسر وزبرج وقنند) . [٧] بغير أ كوم ، وناقه كوما : عطيمة السنام
والجمع كوم ، والصلاح : العظام الشداد ، واحدها صلاحد بالقم . [٨] المقاحد جمع مقحاد ، وهي الغليظة
السنام (والفحدة كرقبة : السنام أو أصله) . [٩] الجدائد جمع جدود كصبور : وهي التي انقطع لبنها
[١٠] شسف جمع شاسف : وهو الياس صمرا وهزالا ، والصمارد جمع صمرد كزبرج : القليلة اللبن
[١١] الفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل . [١٢] الكرع : ماء السماء ينزل فيسقط ، وسمى كرعا
لأن الماشية تكرر فيه . [١٣] العقيدات جمع عقدة : وهي مائعة من الرمل ، والجرع جمع جرعة
بالسكون وبحرك : المرملة المادية المنبت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الدعص
لا ينبت ، أو الكتيب جانب منه رمل وحانب حجارة كالأجرع والجرعاء . [١٤] الغائط : المطمئن
من الأرض ، والأفيح : الواسع . [١٥] الملا : الفضاء ، والصحصح والصحصاح ولصحصحان :
ما استوى من الأرض . [١٦] سديروأملح : موضعان . [١٧] أشد . [١٨] المال الأصيل من
الناطق والصامت . [١٩] يثوب : يرجع ، والكثب : القرب .

فَفَزَعَ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلُهَا ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ، وَقَدْ خَلَّفْتُ بَوَادِيَّ عَرَجًا
عُكَامِسًا ^(١) ؟ فَرَكِبْتُ السَّمْتَ ^(٢) الَّذِي وَصَفَ لِي ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ ،
فَإِذَا ذَوْدِي رَوَاتِعُ ، فَضَرَبْتُ أَعْجَازَهُنَّ ، حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِبِلِي ،
فَإِذَا الرِّعَاءُ تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَقُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : أَغَارَتْ بَهْرَاءُ عَلَى إِبِلِكَ ،
فَأَسْحَفَتْهَا ^(٣) ، فَأَمْسَيْتُ وَاللَّهِ مَالِي مَالٌ غَيْرُ الذَّوْدِ ، فَرَمَى اللَّهُ فِي نَوَاصِيهِنَّ
بِالرَّغْسِ ^(٤) ، وَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَكْثَرُ بَنِي الْقَيْنِ مَالًا . (الْأَمْالِي ١ : ١٤٣) .

٣٣٠ - حَدِيثُ خُنَافِرِ بْنِ التَّوْءَمِ الْحَمِيرِيِّ مَعَ رَأْيِهِ شِصَارَ

كَانَ خُنَافِرُ بْنُ التَّوْءَمِ الْحَمِيرِيُّ كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ بِسَطْرَةٍ فِي الْجِسْمِ ،
وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودُ الْيَمَنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَوُظِّعَ الْإِسْلَامُ ، أَغَارَ عَلَى إِبِلِ لِمُرَادٍ فَاسْتَحَبَّهَا ، وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَلَحِقَ
بِالشَّعْرِ ، فَخَالَفَ جَوْدَانَ بْنَ يَحْيَى الْفِرْضَمِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيْعًا ، وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ
أَوْدِيَةِ الشَّعْرِ ، مُخَصِّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْعَرِينِ ^(٥) ، قَالَ خُنَافَرُ : وَكَانَ
رَأْيِي ^(٦) فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ غَنًى ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدَتْهُ مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ ،
وَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَا أَنَا لَيْلَةٌ بِذَلِكَ الْوَدَايِ نَائِمًا ، إِذْ هَوَى هَوًى الْعُقَابِ ، فَقَالَ :
خُنَافَرُ ؟ فَقُلْتُ : شِصَارُ ؟ فَقَالَ : اسْمَعْ أَقُلْ ، قُلْتُ : قُلْ أَسْمَعْ ، فَقَالَ : «عِهِ تَغْنَمُ ،
لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَاطَةٌ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ ، قُلْتُ : أَجَلٌ ، فَقَالَ : كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى

[١] العرج : نحو جسمائة من الإبل ، والكماس والعكابس : الكثير . [٢] الطريق .

[٣] استأصلها . [٤] الرغس : البركة والنعاء .

[٥] الأيك : الشجر الملتف الكثير ، والغبيضة تنبت السدر والأراك ، أو الجماعة من كل الشجر ،
والعرين : جماعة الشجر . [٦] الرأي : ما يترأى للإنسان من الجن فيجب .

أجل ، ثم يُتَّاح لها حَوْلٌ^(١) ، أَنْتَسِخَتْ النَّحْلُ ، وَرَجَعَتْ إِلَى حَقَائِقِهَا الْمِلَلُ ،
إِنَّكَ سَجِيرٌ^(٢) مَوْصُولٌ ، وَالنُّصْحُ لَكَ مَبْدُولٌ ، وَإِنِّي آنَسْتُ^(٣) بِأَرْضِ الشَّامِ
نَفْرًا مِنْ آلِ الْعُدَامِ^(٤) ، حُكَّامًا عَلَى الْحُكَّامِ ، يَذْبُرُونَ^(٥) ذَارُونَ قِيَمَ مِنَ الْكَلَامِ ،
لَيْسَ بِالشَّعْرِ الْمُؤَلَّفِ ، وَلَا السَّجْعِ الْمُتَكَلَّفِ ، فَأَصْغَيْتُ فَرْجِرْتُ ، فَعَاوَدْتُ
فُظِّلِفْتُ^(٦) ، فَقُلْتُ : بِمِ تَهَيَّنِمُونَ^(٧) ، وَإِلَّامَ تَعْتَرُونَ^(٨) ؟ قَالُوا : « خِطَابُ
كُبَّارٍ^(٩) ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، فَاسْمَعِ يَا شِصَارُ ، عَنْ أَصْدَقِ الْأَخْبَارِ ،
وَاسْمُكَ أَوْضَحُ الْآثَارِ ، تَنْجُ مِنْ أَوَارِ^(١٠) النَّارِ » ، فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا الْكَلَامُ ، فَقَالُوا :
« فُرْقَانٌ بَيَّنَّ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ ، رَسُولٌ مِنْ مُضَرَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ ، ابْتُئِثَ فُظْهَرُ ،
بِجَاءِ بَقُولٍ قَدْ بَهَرَ ، وَأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ دَثَرَ ، فِيهِ مَوَاعِظٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَمَعَاذٌ لِمَنْ
ازْدَجَرَ ، أُلْفَ بِالْآيِ الْكُبَرِ » قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا الْمَبْعُوثِ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ :
« أَحْمَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ ، فَإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّيْرَ^(١١) ، وَإِنْ خَالَفتَ أُصْلِيتَ سَقَرَ ،
فَآمَنْتَ يَا خَنَافِرَ ، وَأَقْبَلْتَ إِلَيْكَ أَبَادِرَ ، لِمَنْ كَفَرَ ، وَشَايَعَ كُلَّ مُؤْمِنٍ
طَاهَرَ ، وَإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ، لَا عَنْ تَلَاقٍ » ، قُلْتُ : مِنْ أَيْنَ أَبْغَى هَذَا الدِّينَ ؟ قَالَ :
مِنْ ذَاتِ الْإِحْرَيْنِ^(١٢) وَالنَّفَرِ الْيَمَانِيِّ ، أَهْلُ الْمَاءِ وَالطِّينِ » قُلْتُ : أَوْضِحْ ،
قَالَ : « الْحَقُّ يَمْتَرِبُ ذَاتِ النَّحْلِ ، وَالْحَرَّةُ ذَاتِ النَّعْلِ^(١٣) ، فَهَذَا أَهْلُ الطَّوْلِ

[١] الحول : النحول . [٢] السجير : الصديق ، والشجير : الغريب ، وقيل يقال السجير
والشجير للصديق . [٣] أبصرت . [٤] العدام : قبيلة من الجن ، كذا قيل .
[٥] ذبرت الكتاب : قرأته (وذبرته أيضا : كتبه كزبرته) . [٦] منعت .
[٧] الهينة : الصوت الحى . [٨] تنتهبون . [٩] كبير . [١٠] الأوار : حر النار .
[١١] ما يشرب بالسكون : الخير وحرك للسجع . [١٢] الحرّة (بالفتح) أرض ذات حجارة نخرة سود
وتجمع على حرار وحررين وأحرّين . [١٣] النعل : المكان الغليظ من الحرة .

والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم املتس^(١) عني ، فبت مذعوراً أراعي الصباح ،
فلما برق لي النور ، امتطيت راحتي ، وآذنت^(٢) أعبدي ، واحتملت بأهلي ،
حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، بحولها وسقاً بها^(٣) ، وأقبلت
أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فبايعته على الإسلام ، وعلمني سوراً من القرآن ، فمن الله على بالهدى بعد الضلالة ،
والعلم بعد الجهالة . (الأمل ١ : ١٣٣)

٣٣١ — شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
قديم على تبّع الآخر ملك اليمن ، قبل خروجه لقتال المدينة^(٤) ، شافع بن
كليب الصدفي^(٥) ، وكان كاهناً ، فقال له تبّع : هل تجد لقوم ملكا يوازي
ملكي ؟ قال : لا ، إلا ملك غسان ، قال : فهل تجد ملكاً يزيد عليه ؟ قال :
« أجده لبار مبرور ، ورائد^(٦) بالقهور^(٧) ، ووصف في الزبور ، فضلت

[١] أفك . [٢] أعلمت . [٣] الحول جمع حائل وهي الأنثى من أولاد الإبل ، والسقاب جمع
سقف كشمس وهو الذكر .

[٤] قال ابن إسحق : « كان تبّع الآخر حين أقبل من المشرق بعد أن ملك البلاد جعل طريقه على
على المدينة ، وكان حين مر بها في بدايته لم يهجم أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة ، فقدمها
وهو يجمع على تخريبها واستئصال أهلها ، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك وخرجوا لقتاله ، فترجم الأنصار
أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل ، فيعجب ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينما هو
على ذلك إذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة علمان راسخان في العلم ، فقالا له : قد سمعنا
ما تريد أن تفعل ، وإنك إن أبيت إلا ذلك ، حيل بينك وبينه ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال :
ولم ذلك ؟ قال : إنها مهاجر (بفتح الجيم) نبي يخرج من هذا الحرم من قريش تكون داره وقراره ،
فانتهى عما كان يريد ، وأعجبه ما سمع منهما ، واتبعهما على دينهما ، وكان هو وقومه أصحاب أوثان ، وخرج
متوجهاً إلى اليمن ، فدعا قومه إلى اليهودية فأبوا عليه ، ثم أطبقوا على دينه ، فمن هنالك وعن ذلك كان
أصل اليهودية باليمن (سيرة ابن هشام ١ : ١١ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦) .

[٥] الصدفي نسبة إلى صدف كسكتف : بطن من كتندة . [٦] الرائد في الأصل : المرسل في طلب
الكلأ من الرود وهو الطلب ، يعني به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رائداً لأمته يرتاد لها الخير
قال عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه : « إن الرائد لا يكذب أهله » .

[٧] جاء في معجم البلدان : « القهر (كشمس) أسافل الحجاز مما يلي نجد من قبل الطائف ،

أُمِّته في السُّفُور^(١) ، يَفْرِجُ الظُّلْمَ بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأُمته حين يحيى ،
أجد بنى لُوئى ، ثم أحد بنى قُصَيٍّ .

فنظر تبع في الزبور ، فإذا هو يجد صفة النبي صلى الله عليه وسلم .
(تاريخ الكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٢ — سطيح الذئبي^(٢) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمى

ورأى ربيعة بن نصر اللخمي ملك اليمى - وقد ملك بعد تبّع الآخر - رؤيا
هالته ، فلم يدع كاهناً ، ولا ساحراً ، ولا عاتفاً ، ولا منجماً من أهل مملكته إلا
جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفطعت^(٣) بها ، فأخبروني
بها وتأويلها ، قالوا له : اقصصْها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم
بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن

وأنشد لخداش بن زهير :

دعوا جاني ، إني سأزل جانباً لكم واسعاً بين اليمامة والقهرة

وأقول : هذا الوصف ينطبق على مكة فهي واحة جنوبي الحجاز . . . الخ فاللعى : « أجد ملكاً يزيد على
ملكك لرائد يظهر بتلك القاع » أما كلمة القهورة فلم أجدها في معجم ، ولعل الكاهن جمع « القهر »
على قهور ، لإقامة الفاصلة ، أو هو على حد قول امرئ القيس :

يزل الغلام الحف عن صهواته كما زلت الصفواء بالمنزل

[١] السفر (كحل) الكتاب الكبير ، أو جزء من أجزاء التوراة ، وفي كتب اللغة أنها تجمع على
أسفار ، ولعله جمعها على سفور للمحافظة على السجع أيضاً .

[٢] اسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان ، وكان يقال له الذئبي
نسبة إلى ذئب بن هدى ، وكان من العمرين قيل طاش ثمانمائة سنة وقيل سبعمائة ، وزعموا أنه لم يكن له
رأس ولا عنق ، وأن وجهه كان في صدره ، وأنه كان جسداً ملقى لا جوارح له ، وكان لا يقدر على
الجلوس إلا إذا غضب ، فإنه ينتفخ فيجلس ، وكان له سرير من الجريد والخوص ، إذا أريد نقله إلى مكان
يطوى من رجله إلى جيجيته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير ، وإذا أريد استخباره ليخبر عن
الغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن فينتفخ ويمتلئ ويطولوه النفس فيسأل فيجبر عما يسأل عنه ، (كذا)
وأن كاهنه بنى سعد بن هذيم وكانت بأطلى الشام لما حضرته الوفاة طلبت سطيحاً وشقاً (وسيأتى ذكره)
وتفقت في فهمها ، وذكرت أن سطيحاً يخلفها في كهانتها ، ثم ماتت في يومها ذلك .

[٣] فظع بالأمر كمرح فظاعة : إذا هاله وغلبه .

أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا ، فليبعث إلى سَطِيحٍ وشَقٍّ ، فإنه ليس أحد أعلم منهما فيها ، يُخبرانه بما سأل عنه ، فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبل شَقٍّ ، فقال له : إني قد رأيت رؤيا هالتي وقَطَعْتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أَصَبْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا . قال : أَفَعَلَ « رَأَيْتَ مُحَمَّةً ^(١) ، خرجت من ظُأْمَةٍ ^(٢) ، فوقعت بأَرْضٍ تَهْمَةٌ ^(٣) ، فأكلت منها كلَّ ذاتِ مُجْجَمَةٍ ^(٤) » ، فقال له المَلِكُ : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطِيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : « أَحْلِفْ بما بين الحَرَّتَيْنِ ^(٥) من حَفَشٍ ، لِيَهْبِطَنَّ أَرْضُكُمُ الحَبَشُ ، فَلْيَمْلِكَنَّ ما بين أُبَيْنَ ^(٦) إلى جُرَشٍ ^(٧) » فقال له الملك : وأبيك يا سَطِيح . إن هذا لنا لغائظٌ مُوجِسٌ ، فتى هو كائنٌ ، أفى زمانى هذا أم بعده ؟ قال : « لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين » قال : أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع ؟ قال : « لا ، بل ينقطع لِیَضْعِ وسبعين من السنين ، ثم يُقَتَّلُونَ بها أجمعين ، ويخرجون منها هارين » قال : ومن يلي ذلك مِنْ قَتْلِهِمْ وإخراجهم ؟ قال : « يليه إِرَمٌ ^(٨) ذى يَزَنَ ، يخرج عليهم من عَدَنَ ، فلا يترك أحداً منهم باليمن » قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومن يقطعُه ؟ قال نبي زَكَّى ، يأتيه الوحي من قِبَلِ الْعَلِيِّ

[١] الحمة وتجمع على حم : الفحمة والرماد وكل ما احترق من النار ، وتطلق الحمة على الجمر مجازاً باعتبار ما يشول إليه وهو المراد هنا . [٢] الظلمة : الظلام ، وسترى في تعبير الرؤيا أنها إشارة إلى الأحباش السود . [٣] التهمة بالتحريك : الأرض المتصوّبة إلى البحر ، كالتمم محرّكة أيضاً كأنهما مصدران من تهامة ، لأن التهام متصوّبة إلى البحر (ويقال أيضاً : أرض تهمة كفرجة أى شديدة الحر ، من التهم بالتحريك وهو شدة الحر) وى ابن الأثير « بهمة » بالباء يقال : أرض بهمة كفرجة أى بكثيرة البهمى ، والبهمى بالضم اسم نبت ، والضبط الأول عندى أرجح . [٤] أى كل نفس . [٥] الحرّة : أرض ذات حجارة سود نخرة ، [٦] مخلاف باليمن منه مدينة عدن . [٧] مخلاف باليمن من جهة مكة . [٨] الإرم كغيب وكتف : العلم (بالتحريك) أو خاص بعاد ، والعلم سيد القوم ، أى يتولاه سيد بنى ذى يزن ، وهو سيف بن ذى يزن .

قال : وممن هذا النبي ؟ قال : « رجل من ولد غالب بن فهر ، بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر » قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : « نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يستعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون » . قال : أحق ما تُخبرنا يا سطيح ؟ قال : « نعم ، والشفق ، والغسق ^(١) ، موافلق ^(٢) إذا انشق ، إن ما أنباتك به لحق » .

٣٣٣٠ — شق أنمار ^(٣) يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفكان أم يختلفان ، قال : « نعم ، رأيت حُممة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة » . فلما سمع الملك ذلك قال : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : « أحلف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة ^(٤) البنان ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران ^(٥) » فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لغائظ موجه ، فتى هو كائن : أفى زمانى أم بعده ؟ قال : « لا ، بعده بزمان ، ثم يستنذكم منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ الهوان » قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : « غلام ليس بدني ولا مدّن ^(٦) ، يخرج عليهم من

[١] الشفق : الحمرة في الأفق من العروب إلى قريب العتمة ، والغسق : ظلمة أول الليل .

[٢] الفلق : الصبح أو ما انفلق من عموده . [٣] هو شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن أقرن

ابن قيس بن عجر بن أنمار بن نزار ، وزعموا أنه كان شقّ إنسان (أى نصفه) له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . [٤] . مؤنث طفل : وهو الرخصى الناعم من شيء . [٥] بخلاف شمالى اليمن .

[٦] اللقي : سهل عن دنى ، والمدنى : القصر عما ينبغى له أن يفعله ، وفى ابن الأثير « من بالزاي والزن : المنهم ، من أزننته بكدا أى اتهمته به .

يبت ذى يَرَن (١) « قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : « يوم تُجْزَى فيه الولاية ، يدعى فيه من السماء بِدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات » قال : أحق ما تقول ؟ قال : « إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض (٢) »

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس ، يقال له سابور فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ولده النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .
(سيرة ابن هشام ١ : ٨ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٤٦)

٣٣٤ — وفود عبد المسيح بن بقبيلة على سطيح

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ارتجح إيوان كسرى ، فسقطت

[١] وخبر ذلك أن زرعة بن كعب الملقب بذي نواس أحد ملوك التبايسة باليمن (وكان قد تهود وتمصب لليهودية وحمل عليها قبائل اليمن) اصطهد نصارى نجران لأن يهوديا بنجران عدا أهلها على ابنين له فقتلوهما ظلماً ، فتوسل إلى ذى نواس باليهودية ، واستنصره عليهم ، فحفى له ولدينه وغزاهم ، ويقال إن رجلاً من أهل نجران أهلك من القتل ، وسار إلى قيصر الروم يستنجد به على ذى نواس ، فبعث قيصر إلى نجاشى الحبشة يأمره بنصرة النصارى ، فجهز نجاشى إلى اليمن ، فركبوا البحر إليها ، ولقيهم ذو نواس فيمن معه فدارت الدائرة عليه ، وملك الحبشة اليمن ، ولما طال البلاء من الحبشة على أهلها خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وقدم على قيصر يوستنيان يستنجد به على الحبشة وأبى ، وقال : الحبشة على دين النصارى ، فرجع إلى كسرى أبشروا واستعان به ، فأمد به بجيش ممن كانوا فى سجنونه ، فقاتلوا الأحباش وهزمهم ، واسترد سيف عرش آبائه على فريضة يؤديها كل عام للفرس حتى قتل ، فأرسل كسرى عاملاً على اليمن واستمرت حملاته إلى أن كان آخرهم باذان فأسلم ، وصارت اليمن إلى الإسلام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . [٢] أى شك أو باطل .

منه أربع عشرة شُرْفَة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كَانَ أَوْشَكَ أَنْ كُتِبَ
إِلَيْهِ صَاحِبُ الْيَمَنِ يُخْبِرُهُ أَنْ بِحِيرَةِ سَاوَةِ ^(١) غَاضَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
صَاحِبُ السَّمَاءِ يُخْبِرُهُ أَنْ وَادِى السَّمَاءِ ^(٢) انْقَطَعَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ
صَاحِبُ طَبَرِيَّةَ أَنْ الْمَاءَ لَمْ يَجْرِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي بَحِيرَةِ طَبَرِيَّةَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ صَاحِبُ
فَارِسَ يُخْبِرُهُ أَنْ بَيْوتُ النِّيرانِ تَحْدَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَمْ تَحْمَدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ سَنَةٍ ،
فَلَمَّا تَوَاتَرَتْ الْكُتُبُ أَبْرَزَ سَرِيرَهُ وَظَهَرَ لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ
الْمُؤَبَّدَانِ ^(٣) : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا هَالَتْنِي ، قَالَ لَهُ : وَمَا رَأَيْتُ ؟ قَالَ :
رَأَيْتُ إِبِلًا صَعَابًا ، تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا ، قَدْ اقْتَحَمَتْ دَرَجَلَةً وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِنَا ،
قَالَ : رَأَيْتُ عَظِيمًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا
شَيْءٌ ، وَلَكِنْ أُرْسِلُ إِلَى عَامِلِكَ بِالْحِيرَةِ يُوَجِّهُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ
أَصْحَابُ عِلْمٍ بِالْحَدِثَانِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ مُبَقَّيْلَةَ الْغَسَّانِي ، فَمَا قَدِمَ عَلَيْهِ أَخْبَرَهُ
كَسْرَى الْخَبَرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَاللَّهِ مَا عِنْدِي فِيهَا وَلَا فِي تَأْوِيلِهَا شَيْءٌ ،
وَلَكِنْ جَهَّزْنِي إِلَى خَالِى بِالشَّامِ يُقَالُ لَهُ سَطِيطِيجُ قَالَ : جَهِّزْهُ ، فَمَا قَدِمَ إِلَى
سَطِيطِيجَ وَجَدَهُ قَدْ اخْتَضِرَ ، فَنَادَاهُ فَلَمْ يَجِبْهُ ، وَكَلِمَةً فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَسِيحِ :
أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيْفُ الْيَمَنِ يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ^(٤)
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ أَيْضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ ^(٥)

[١] هكذا فى العقد الفريد ، وفى السيرة الحلبية . . . « ورد عليه كتاب من صاحب إيليا (بالتمام) يخبره
أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة » وفى معجم البلدان : « ساوة مدينة حسنة بين الرى وهمدان فى
وسط ، بينها وبين كل واحد من همدان والرى ثلاثون فرسجاً ، وفى حديث سطيج فى أعلام النبوة :
« وجدت نار فارس ، وعارت بحيرة ساوة . . . الخ » ومنه يستفاد أنها فى فارس .

[٢] موضع بين الكوفة والشَّام . [٣] المؤبدان والمؤبد : فقيه الفرس وحاكم الخوس .

[٤] الغطريف : السيد الشريف . [٥] الفضفاض : الواسع .

رسول قيل الْمُعْجَم يَهْوِي لِلْوَثْنِ لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ ^(١)
 فرفع إليه رأسه وقال : « عبد المسيح ، على جل مُشِيح ^(٢) ، إلى سَطِيح ، وقد
 أوفى على الضَّرِيح ^(٣) ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود
 النيران ، ورؤيا الموبذآن ، رأى إبلا صعباً ، تقود خَيْلاً عِراباً ، قد اقتحمت في
 الواد ، وانتشرت في البلاد . يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة ^(٤) ، وظهر
 صاحب الهراوة ^(٥) ، وفاض وادى السماوة ، وَغَاضَتْ بِحِيرَة ساوة ، وخذت
 نار فارس ، فليست بابل للفرس مُقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم
 ملوك وَمَلِكَات ^(٦) ، عدد سقوط الشُرُفَات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ » ثم قال :
 إِنْ كَانَ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنْ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَاراً دَهَارِيرُ ^(٧)
 مِنْهُمْ بَنُو الصَّرْحِ بِهَرَامٍ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
 فَرَبْعَا أَصْبَحُوا يَوْمًا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْنَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِيرُ ^(٨)
 حَثُّوا الْمَطْيَى وَجَدُّوا فِي رِحَالِهِمْ مَا يَقُومُ لَهُمْ سَرَجٌ وَلَا كُورُ ^(٩)
 وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَنَ عَلِمُوا أَنَّ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْتُورٌ وَمَهْجُورُ ^(١٠)
 وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مُحْذُورُ

[١] القيل : الملك ، أو هو دون الملك الأعلى . [٢] حادّ سريع . [٣] أى القبر ، والمراد الموت . [٤] أى تلاوة القرآن . [٥] الهراوة : العصا الضخمة ، وصاحبها هو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يمسك العصا كثيراً عند مشيه . [٦] قال صاحب الميزة الحلبية : « لم أفهم على أنه ملك منهم من النساء إلا واحدة وهى بوران ، ملكت سنة ثم هلكت » .
 [٧] أفرطهم : تركهم وزال عنهم ، قال تعالى : « لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّابِ ، وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ » أى متروكون فيها ، ودهر دهارير : أى شديد (كليلة ليلاء ويوم أيوم . [٨] المهاصيل جمع مهيصر أو مهيصر وهو الأسد من الهصر وهو الكسر والجذب والإمالة . [٩] الكور : الرجل بأداته . [١٠] أولاد العلات : أولاد أمهات شتى من رجل واحد .

ثم أتى كسرى فأخبره بما قاله سطيح فغمة ذلك ، ثم تعزى ، فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ، وكان آخر من هلك منهم في أول خلافة عثمان رضى الله عنه .

(المقد الفريد ١ : ١٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٧٠ ، والمختصر في أخبار البشر لأبى المداء ١ : ١١٠)

٣٣٥ — شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف

عن ابن الكلبي قال : « كَانَ قَسِيٌّ - وهو ثقيف ^(١) - مقيمًا باليمن ، فضاق عليه موضعه وَنَبَاً ^(٢) به ، فَأَتَى الطَّائِفَ ، وهو يومئذ منازل فَهَمَّ وَعَدَّوَانَ بنى عمرو بن قيس بن عِيلَانَ ، فأتتهى إِلَى الطَّرِبِ الْعَدَّوَانِي ، فوجده نائمًا تحت شجرة فأيقظه ، وقال : من أنت ؟ قال : أَنَا الطَّرِبُ ، قال : عَلَى أَلِيَّةٍ ^(٣) ، إِنْ لَمْ أَقْتَلْكَ ، أَوْ تَحْلِفْ لِي لَتُرَوِّجَنِي ابْنَتَكَ ، ففعل ، وانصرف الطرب وَقَسِيٌّ معه ، فلقيه ابنه عامر بن الطرب ، فقال : من هذا معك يَا أَبَتِ ؟ فَقَصَّ قِصَّتَهُ ، قال عامر : لله أبوه ! لَقَدْ ثَقِفَ ^(٤) أمره ، فسمى يومئذ ثقيفًا ، وَغَيَّرَ الطرب بِتَرْوِيحِهِ قَسِيًّا ، وقيل زوجت عبدًا ، فسار إلى الكهان يسألهم ، فأتتهى إِلَى شِقِّ بْنِ مُضْعَبِ الْبَجَلِيِّ ، وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ ، فإِذَا أَتَاهُ قَالَ : إِنَا قَدْ جِئْنَاكَ فِي أَمْرٍ فَمَا هُوَ ؟ قَالَ : « جِئْتُ فِي قَسِيٍّ ، وَقَسِيٌّ عَبْدٌ إِيَادَ ، أَبَقَ ^(٥) لَيْلَةَ الْوَادِ ، فِي وَجْهِ ^(٦) »

[١] هو أبو القبيلة المشهورة ، وهو ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر ، وقد اختلف النسابون في نسب ثقيف ، فقال قوم : لهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقفيون ، وعليه جمهور الناس ، ويرغم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان ، وأن النجع أحوه لأبيه وأمه ، ثم افترقا ، فصار أحدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج ، وقال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من المرسى القديمة التى بادت وانقرضت . قال الحاجب على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله : « وَثَمُودَ فَمَا أَبَقَ » وقال مرة أخرى : واثن كنا من بقايا ثمود لما نجا من صالح إلا خيارهم - اقرأ كلمة عن نسب ثقيف في شرح ابن أبى الحديد م ٢ ص ٣٩٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٨ ، والاغانى ٤ : ٧٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ . [٢] نبأه منزله : لم يوافقه . [٣] الألية : اليمن . [٤] ثقف كسكرم وفرح صار حاذقاً خفيفاً فطناً وثقف الشيء كفرح : ظمربه . [٥] هرب . [٦] وج : اسم واد بالطائف .

ذاتِ الأنداد ، فوالى سعداً إيفاد ، ثم لوى بغير معاد « يعنى سعد بن قيس ابن عيلاً بن مضر ، ثم توجه إلى سطيح الذئبي حتى من غسان - ويقال إنهم حتى من قضاة ثزول في غسان - فقالوا : إنا جئناك في أمر فها هو ؟ قال : « جئتم في قسي ، وقسي من ولد ثمود القديم ، ولدت أمه بصحرَاء تريم^(١) ، فالتقطه إياد وهو عديم ، فاستعبده وهو مليم^(٢) » ، فرجع الظرب وهو لا يدري ما يصنع في أمره ، وقد وكّد عليه في الحلف والتزويج ، وكانوا على كفرهم يوفون بالقول ، فلهذا يقول من قال إن ثقيفاً من ثمود ، لأن إياداً من ثمود .

(الأغاني ٤ : ٧٥)

٣٣٦ — تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيين إلى عزي سلمة الكاهن كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له : ذو الهرم^(٣) ، فقلبه عليه خندف بن الحارث الثقي ، فنافرهم عبد المطلب إلى عزي سلمة الكاهن - أو إلى نفيل بن عبد العزي جد عمر بن الخطاب^(٤) - فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثقيون مع صاحبهم ، وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب ، فنقد ماء عبد المطلب ، فطلب إليهم أن يسقوه ، فأبوا ، فبلغ العطش منه كل مبلغ ، وأشرف على الهلاك ، فبينما عبد المطلب يثير بعيره ليركب ، إذ فجّر الله له عيناً من تحت جرائه ، فحمد الله وعلم أن ذلك منه ، فشرب وشرب أصحابه ريّهم ، وترودوا منه حاجتهم ، ونقد ماء الثقيين ، فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم ، فقال له ابنه الحارث لا نخنين

[١] رام يريم ريماً : تباعد . [٢] ألام فهو مليم : أتى ما يلام عليه

[٣] ضبطه في القاموس المحيط بفتح فسكون ، والصحيح أنه بالتحريك كما يدل على ذلك الأسجاع الآتية

[٤] وعبرة معجم ياقوت : « فنافرهم عبد المطلب إلى الكاهن القضاعي وهو سلمة بن أبي حية :

فخرجوا إليه إلى الشام » .

على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فقال عبد المطلب : لا سقّينهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ، ثم انطلقوا ، حتى أتوا الكاهن ، وقد خبئوا له رأس جرّادة ، في خرّزة مزّادة^(١) ، وجعلوه في قلادة كلب لهم يقال له سوّار ، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بخرجاً^(٢) كلتاها تزعم أنه ولدها ، ولدتا في ليلة واحدة ، فأكل النمر أحد البخرجين ، فهما ترأّمان^(٣) الباقي ، فلما وقفيا بين يديه . قال الكاهن : هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا : لا . قال الكاهن : « ذهب به ذو جسد أربد^(٤) ، وشِدق مرمّع^(٥) ، وناب مُعَلِق^(٦) ، ما للصغرى في ولد الكبرى حق^(٧) » فقضى به للكبرى ، ثم قال ما حاجتكم ؟ قالوا : قد خبأنا لك خبئاً ، فأنبئنا عنه ، ثم نخبرك بحاجتنا ، قال : « خبأتم لي شيئاً طار فسطع ، فتصوّب فوق ، في الأرض منه بُقع ، فقالوا : لآده ، أي يئنه . قال : « هو شيء طار ، فاستطار ، ذو ذنب جرّار ، وساق كالمنشّار ، ورأس كالسّمار » فقالوا : لآده ، قال : « إن لآده فلآده^(٧) » ، هو

[١] المرادة : الراوية ، والخرزة : السير يخرز به .

[٢] الخرج : ولد النقرة . [٣] رُمّت ولدها : عطفت عليه ولزمته . [٤] من الربدة (كصفرة) : لون إلى الغبرة . [٥] رمع كنع روماناً (بالتحريك) وترمع : تحرك واضطرب ، وقوله مرمّع : اسم فاعل من رمع المصعف ، يشير إلى أنه مفترس كاسر . [٦] من أعلق الصائد إذا علق الصيد في حباته أي نشب . [٧] روى ابن الأعرابي إلآده فلآده ساكن الهاء ، ويرى إلآده فلآده مكسور الهاء منونة ، قال ياقوت في معجمه : « يقول إن لم تكن قولي بياناً فلا بيان » وقال الزمخشري في المستقصى : « إن لآده فلآده بفتح الدال ويكسر ، وهي كلمة فارسية معناه الضرب قد استعملتها العرب في كلامها ، وأصله أن الموتور كان يلقي واثره فلا يتعرض له فيقال له ذلك ، والمعنى إنك إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً ، والتقدير إن لا يكن ده فلا يكون ده أي إن لا يوجد صرب الساعة ، فلا يوجد صرب أبداً ، ثم اتسموا فيه ، فصار به مثلاً في كل شيء لا يقدم عليه الرجل ، وقد حان حينه ووجب إحداثه من قضاء دين قد حل أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لا يسوغ تأخيرها » . وقال المذري : « قالوا معناه إلآده فلا هذه ، يعني أن الأصل إلآده فلآده بالذال المعجمة ، فعربت بالذال غير المعجمة كما قالوا يهودا ثم عرب فصار يهودا .

رَأْسَ جَرَادَةٍ ، فِي خُرْزِ مَزَادَةٍ ، فِي عُتْقِ سَوَارِ ذِي الْقِلَادَةِ » ، قَالُوا : صَدَقْتَ ، فَأَخْبَرْنَا فِيمَ اخْتَصَمْنَا إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « أَحْكُمُ بِالضِيَاءِ وَالظُّلَمِ ، وَالْبَيْتِ وَالْحَرَمِ ، أَنْ الْمَسَالَذَا الْمَهْرَمَ ، لِلْقُرَشِيِّ ذِي الْكُرَمِ » ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ عَلَى حَكْمِهِ . (يَجْمَعُ الْأَمْثَالَ ١ : ٣٠ ، وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٨ : ٤٦٠)



وَرَوَى الْجَاهِظُ لِعَزَى سَامَةً أَنَّهُ قَالَ :
« وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْعُقَابِ وَالصَّقَعَاءِ ^(١) ، وَاقْعَةُ بَيْقَعَاءِ ^(٢) ، لَقَدْ نَفَرَ
الْمَجْدُ بَنَى الْعُشْرَاءِ ^(٣) ، لَاهِجِدَ وَالسَّنَاءُ ^(٤) » . (الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ١ : ١٥٩)

٣٣٧ — مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ فِي مَنَامِهِ مِنْ حَفْرِ زَمْزَمَ
وَلِيَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمَطْلَبِ ، وَشَرُفَ فِي
قَوْمِهِ ، وَعَظَّمُ شَأْنَهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَفَرَ زَمْزَمَ ، وَهِيَ بَثْرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، الَّتِي أَسْقَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ، وَكَانَتْ جُرْهُمُ قَدْ دَفَّتْهَا ^(٥) ، وَكَانَ سَبَبُ حَفْرِهِ
إِيَّاهَا أَنَّهُ قَالَ :

« بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ بِالْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ : احْفَرِ طِيبَةَ ، قُلْتَ : وَمَا طِيبَةُ ؟
فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتَ إِلَى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي فَقَالَ :

[١] الصَّقَعَةُ بِالصَّمِّ : بَيَاضٌ فِي وَسْطِ رِءُوسِ الطَّيْرِ وَغَيْرِهَا ، وَهُوَ أَصْفَعٌ ، وَهِيَ صَقَعَاءُ (وَالصَّقَعَاءُ أَيْضاً الشَّمْسُ) . [٢] الْبَقَعَاءُ : اسْمُ مَاءٍ . [٣] الْإِشْرَاءُ : قَوْمٌ مِنْ فَرَارَةٍ ، وَنَفَرَهُ عَلَيْهِ : قَضَى لَهُ عَلَيْهِ بِالْغَلْبَةِ . [٤] السَّنَاءُ : الرِّفْعَةُ .

[٥] وَذَلِكَ أَنَّ جَرَهْمَا لَمَّا اسْتَحَفَّتْ بِأَمْرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَارْتَكَبُوا الْأُمُورَ الْإِعْظَامَ ، قَامَ فِيهِمْ رَئِيسُهُمْ مِصَاصُ بْنُ عَمْرٍو خَطِيبًا وَوَعَظَهُمْ فَلَمْ يَرْعَوْا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ عَمِدَ إِلَى غَزَالَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ كَانَا فِي الْكَعْبَةِ وَمَا وَجَدَ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَالِ أَى السُّيُوفِ وَالْدُرُوعِ الَّتِي كَانَتْ تَهْدَى إِلَيْهَا ، وَدَفَّنَهَا فِي بَثْرِ زَمْزَمَ ، وَكَانَتْ قَدْ نَصَبَ مَأْثَمًا لَهَا مِصَاصٌ بِاللَّيْلِ وَأَعْمَقَ الْحَفْرَ وَدَفَنَ فِيهَا ذَلِكَ وَطَمَ الْبَثْرَ ، وَمَا زَالَتْ مَطْمُومُهُ إِلَى زَمَنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

احفر برّة ، قلت : وما برّة ؟ فذهب وتركني ، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة ، قلت : وما المذنونة ؟^(١) فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : « تراث من أيك الأعظم ، لا تُنزف أبداً ولا تُذم »^(٢) ، تسقي الحجاج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يقسم^(٣) ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، تكون ميراثاً وعقد محكم ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم^(٤) ، عند نقرة الغراب الأعصم^(٥) ، عند قرية النمل .

فلما بين له شأنها ، ودله على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره ، فحفر بين أساف ونائلة ، في الموضع الذي تنحر فيه قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك ، فلما بدا له الطوى^(٥) كبر ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته .

(تاريخ الكامل لابن الأثير ٢ : ٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٣١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٩٠)

خطب الكواهن

٣٣٨ — الشعثاء الكاهنة تصف سبعة إخوة

كانت عثمة بنت مطرود البجالية ذات عقل ورأى مستمع في قومها ، وكانت

[١] طيبة ، وبرة ، والمذنونة : أسماء لزمزم . [٢] نزت البئر : نزلت كنزوت بالصم ، وبثزيمة بالفتح وذميم وذميمة قليلة الماء لأنها تدم . [٣] جفل النعام : أسرع وذهب في الأرض ، ولم يقسم : لم يفرق . [٤] أي في محلها ، والفرث : السرجين في الكرش ، وذلك بين أساف ونائلة ، (وأساف ككتاب وسحاب : صنم وضعه عمرو بن لحي على الصفا ، ونائلة على المروة تجاه الكعبة) ، وكانت قريش تهيج عندهما ذبايحها التي تنقرب بها . [٥] الأعصم : قيل أحمر المنقار والرجلين ، وقيل أبيض البطن ، وقيل أبيض الجاحين ، وقيل أبيض إحدى الرجلين . [٦] الطوى : البئر .

لها أخت يقال لها خَوْد ، وكانت ذات جمال وَمِيسَم ^(١) وعقل ، فخطب سبعة إخوة غُلْمَة من بطن الأزد خودا إلى أبيها ، فَأَتَوْه وعليهم الحُلَلُ اليمانية ، وتحتهم النجائب الفُرّه ^(٢) ، فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلَةَ ذِي النَّحْيَيْنِ ، فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا إليهم ، ثم أصبحوا قَادِينَ فِي الحُلَلِ والهيئة ، ومعههم رَيْبَةُ ^(٣) لهم يقال لها الشَّعْثَاءُ : كَاهِنَةٌ ، فَرَأَوْا بِوَصِيدَهَا ^(٤) يتعرضون لها ، وكلهم وَسِيمٌ جميل ، وخرج أبوها ، فجلسوا إليه ، فَرَحَّبَ بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ، ونحن كما ترى شَبَاب ، وكلنا يَمْنَعُ الجانب ، وَيَمْنَحُ الراغب ، فقال أبوها : كلكم خِيَار ، فَأَقِيمُوا نَزِيّاً ، ثم دخل على ابنته ، فقال : ما تَرَيْنِ ، فَقَدْ أَتَاكِ هَؤُلَاءِ القوم ؟ فقالت : « أَنْكِحْنِي على قدرى ، وَلَا تَشْطُطْ فِي مَهْرِي ، فَإِنْ تَخْطِئْنِي أَحْلَامُهُمْ ، لَا تَخْطِئْنِي أَجْسَامُهُمْ ، لَعَلِّي أُصِيبُ وَلَدًا ، وَأَكْثُرُ عَدَدًا » فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشَّعْثَاءُ الكاهنة : « أَسْمَعْ أَخْبِرْكَ عَنْهُمْ : هم إخوة ، وكلهم أُسْوَةٌ ^(٥) . أما الكبير فَالِكُ ، جَرِيٌّ فَاتِكُ ، يُتَوَبُّ السَّنَابِكُ ^(٦) ، ويستصغر المِهَالِكُ . وأما الذى يَلِيهِ فَالْعَمَرُ ، بَحْرٌ غَمَرٌ ^(٧) ، يَقْصُرُ دُونَهُ الفخر ، نَهْدٌ ^(٨) ، صَقْرٌ . وأما الذى يَلِيهِ فَعَلْقَمَةٌ ، صَلِيبُ المَعْجَمَةِ ^(٩) ، مَنِيْعُ المَشْتَمَةِ ^(١٠) ، قليلُ الجَمْعَةِ ^(١١) .

[١] الميسم والوسامة : أثر الحسن . [٢] النجائب جمع نجيب : وهو البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين ، والفره : (كقفل وركع وكتب) جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الحقيق . [٣] الريبة : الحاضة . [٤] الوصيد : الفناء (بالكسر) والعتبة . [٥] الأسوة : القدوة . [٦] السنايك جمع سنيك كقنفذ : وهو طرف الحافر ، أى أنه يجهد الحيل فى حومة الوغى . [٧] الغمر : معظم البحر ، والكريم الواسع الحاق . [٨] النهد : الأسد والسكرم . [٩] من عجم العود إذا عضه ليعرف صلابته من خوره . [١٠] المشتمة : مصدر شتم ، والمعنى : أنه فى حرز من أن يشتم ويسب عرضه ، لحسن فعله وكرم خلقه . [١١] الجمجمة : إخفاء الشيء فى الصدر .

وأما الذى يليه فعاصم ، سَيِّدُ نَاعِمٍ ^(١) ، جَلْدُ صَارِمٍ ، أَبِي حَازِمٍ ، جِيْشُهُ غَانِمٍ ،
وَجَارُهُ سَالِمٌ . وَأما الذى يليه فَتَوَّابٌ ، سَرِيعُ الْجَوَّابِ ، عَتِيدُ الصَّوَابِ ^(٢) ، كَرِيمُ
النَّصَابِ ^(٣) ، كَلَيْتُ الْغَابِ . وَأما الذى يليه فَمُذْرِكٌ ، بَذُولٌ لِمَا يَمْلِكُ ،
عَزُوبٌ ^(٤) عما يترك ، يُفْنِي وَيُهْلِكُ . وَأما الذى يليه بَجَنْدَلٌ ، لِقَرْنِهِ مُجَدَّلٌ ^(٥) ،
مُقْبِلٌ ^(٦) لما يُحْمَلُ ، يُعْطَى وَيَبْذُلُ ، وعن عدوه لَا يَنْكُلُ ^(٧) .

فشاورت أختها فيهم ، فقالت أختها عثمة : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالَّذِلِّ ،
وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ؟ » ^(٨) اسمعى منى كلمة ، إن شَرَّ الْغَرِيبَةِ يُعْلَنُ ، وخيرها
يُذْفَنُ ، أنكحى فى قومك ولا تَغْرُزْكَ الأجسام ، فلم تقبل منها ، وبعثت إلى
أبيها : أنكحنى مدركا ، فأنكحها أبوها على مائة ناقة ورُحَاتِهَا ، وحملها مدرك ،
فلم تلبث عنده إلا قليلا ، حتى صَبَّحَهُمْ فَوَارِسٌ مِنْ بَنَى مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ ، فاقتلوا
ساعة ، ثم إن زوجها وإخوته وبنى عامر انكشفوا ، فَسَبَّوْهَا فِيمَنْ سَبَّوْا ،
فبينما هى تسير بكت ، فقالوا : مَا يُبْكِيكِ ، أَعَلَى فِرَاقِ زَوْجِكَ ؟ قالت : قَبَّحَهُ
الله ، قالوا : لَقَدْ كَانَ جَمِيلًا ! قالت : قَبَّحَ اللهُ جَمَالًا لَا نَفْعَ مَعَهُ ، إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى
عَصِيَانِي أُخْتِي ، وقولها : « تَرَى الْفَتَيَانَ كَالَّذِلِّ ، وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ »
وأخبرتهم كيف خطبوها ، فقال لها رجل منهم يُكْنَى أَبُو نَوَاسٍ شَابٌ أَسْوَدُ
أَفْوَهٍ ^(٩) مضطرب الخلق : أَتَرْضَيْنِ بِي ، عَلَى أَنْ أَمْنَعَكَ مِنْ ذُنَابِ الْعَرَبِ ؟
فقالت لأصحابه : أكَذَلِكَ هُوَ ؟ قالوا : نَعَمْ ، إِنَّهُ مَعَ مَا تَرَيْنِ لَيَمْنَعُ الْحَلِيلَةَ ^(١٠) ،

[١] نعم كسمع ونصر ونصر وهو ناعم : أى ذو تنعم وترفه . [٢] العتيد : الحاضر المهيأ .
[٣] النصاب : الأصل . [٤] بعيد . [٥] جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة) وهى الأرض .
[٦] حامل . [٧] نكل عنه كضرب ونصر وعلم : نكص وجبن . [٨] الدخلى : ما يظن فى
الشيء ، وهو مثل يضرب للرجل له منظر ولا يخبر له . [٩] الأفوه : وصف من العوه بالتحريك
وهو سعة الفم . [١٠] الزوجة .

وَتَتَّقِيهِ الْقَبِيلَةَ ، قالت : هذا أَجَلُ جِمال ، وَأَكْمَلُ كِمال ، قد رَضِيتَ بِهِ ،
فَزُوجُوهَا مِنْهُ . (مجمع الأمثال للبدياني ١ : ٩١)

٣٣٩ — طريفة الخير تتكهن بسيل العِرم وخراب سد ما رَب

قال عبد الملك بن عبد الله بن بَدْرُون في شرح قصيدة الوزير عبد المجيد
ابن عَبْدُون ، التي قالها في رثاء دولة بنى الأَفطس بالأندلس :

كَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْيَمِينِ فِي أَوَّلِ تَمْزِيْقِهِمْ ، عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مُزَيَّقِيَاءَ ^(١) ،
وَكَانَ سَبَبَ خُرُوجِهِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ كَاهِنَةٌ ، يُقَالُ لَهَا « طَرِيفَةُ الْخَيْرِ » ،
وَكَانَتْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ سَحَابَةَ غَشِيَتْ أَرْضَهُمْ فَأَرَعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، ثُمَّ صَعَقَتْ ،
فَأَحْرَقَتْ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ ، فَفَزِعَتْ طَرِيفَةُ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا ، وَأَتَتْ الْمَلِكَ
عَمْرًا ، وَهِيَ تَقُولُ : « مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ ، أَزَالُ عَنِ النَّوْمِ ، رَأَيْتُ غَيْمًا رَعَدَ
وَبَرَقَ ^(٢) » ، طَوِيلًا ثُمَّ صَعَقَ ، فَمَا وَقَعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ » ، فَلَمَّا رَأَى مَا دَاخَلَهَا
مِنَ الْفَزَعِ سَكَنَهَا ، ثُمَّ إِنْ عَمْرًا دَخَلَ حَدِيقَةَ لَهُ ، وَمَعَهُ جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِيهِ ،
فَبَلَغَ ذَلِكَ طَرِيفَةَ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ وَخَرَجَ مَعَهَا وَصِيفٌ ^(٣) ، لَهَا اسْمُهُ سِنَانٌ ، فَلَمَّا
بَرَزَتْ مِنْ بَيْتِهَا عَرَضَ لَهَا ثَلَاثُ مَنَاجِيدَ مُتَنَصِّبَاتٍ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ ، وَاضْعَاتُ
أَيْدِيهِنَّ عَلَى أَعْيُنِهِنَّ - وَهِيَ دَوَابٌّ تُشَبِّهُ الْيَرَاعِيْعَ ^(٤) - فَقَعَدَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَاضْعَةً
يَدَيْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا ، وَقَالَتْ لَوْصِيفُهَا : إِذَا ذَهَبْتَ هَذِهِ الْمَنَاجِيدَ فَأَخْبِرْنِي ، فَلَمَّا
ذَهَبَتْ أَعَامَهَا ، فَانْطَلَقَتْ مُسْرِعَةً ، فَلَمَّا عَارَضَهَا خَلِيجُ الْحَدِيقَةِ الَّتِي فِيهَا عَمْرُو ،

[١] لَقِبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّتَيْنِ ، وَيَمْزُقُهُمَا بِالْعَتِي ، يَكْرَهُ الْعَوْدَ مِثْلَهُمَا ، وَيَأْتِفُ أَنْ
يَلْبَسَهُمَا غَيْرَهُ . [٢] رَعَدَتْ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ (كَنْصَر) ، وَأَعَدَّتْ السَّمَاءُ وَأَبْرَقَتْ ، وَأَنْكَرَ الْأَصْمَعِيُّ
الرَّبَاعِي فِيهِمَا . [٣] الْوَصِيفُ : الْحَادِمُ وَالْحَادِمَةُ . [٤] الْيَرَاعِيْعُ : دَوَابٌّ نَحْوُ الْفَأَرَةِ لَكِنْ ذَنْبُهُ
وَأُذُنَاهُ أَطْوَلُ مِنْهَا ، وَرِجْلَاهُ أَطْوَلُ مِنْ يَدَيْهِ عَكْسَ الزَّرَامَةِ .

وثبت من الماء سُلْحَفَاة ، فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم
 الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها ، فتَحْثُو التراب على بطنها من جَنَبَاتِهِ ،
 وتقذف بالبول قذفاً ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة
 إلى الماء ، مضت إلى أن دخلت على عمرو ، وذلك حين انتصف النهار في ساعةٍ
 شديدة الحرّ ، فإذا الشجر يتكفأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحيا منها ، وأمر
 الجاريتين بالتنحي ، ثم قال لها يا طريفة : فكهمت وقالت : « والنور والظلماء ،
 والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودنّ الماء كما كان في الزمان السالك » .
 قال عمرو : ومن خبرك بهذا ؟ قالت : « أخبرتنى المناجد ، بسنين شدائد ، يقطع
 فيها الولد الوالد » قال : ما تقولين ؟ قالت : « أقول قول النّذمان لهفأ ، لقد رأيت
 سُلْحَفَا^(١) ، تجرّف التراب جرّفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة ، فإذا
 الشجر من غير ريح يتكفأ » قال عمرو : وما ترين ؟ قالت : « داهية دهياء ،
 من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة » قال : وما هو ؟ وَيَلَك ! قالت : « أجل ،
 إنّ فيه الويل ، ومالك فيه من قِيل^(٢) ، وإن الويل فيما يجيء به السيل » فألقى
 عمرو نفسه عن فراشه ، وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : « هو خطب جليل ،
 وحزن طويل ، وخلف قليل » . قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : « اذهب
 إلى السد ، فإذا رأيت جرّداً يُكثِرُ يديه في السدّ الحفر ، ويقلب برجليه من
 أجل الصخر ، فاعلم أن غمر الغمر^(٣) ، وأنّ قد وقع الأمر » . قال : وما هذا
 الذي تذكرين ؟ قالت : « وعدّ من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل ،

[١] يقال : سلحفاة وسلحفاء وسلحفا ، ويقال أيها سلحفا ساكنة اللام مفتوحة الحاء .

[٢] قلّ قليلاً : نام في القائلة وهي نصف النهار ، والمراد هنا الإقامة والمكث .

[٣] الغمر : الماء الكثير .

فَبِغِيرِكَ يَا عَمْرُو فليكن الشَّكْلُ ^(١) ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقلب برجليه
صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً ، (كذا) فرجع إلى طريفة فأخبرها الخبر وهو يقول:
أَبْصُرْتُ أَمْرًا عَادَنِي مِنْهُ أَلَمٌ وَهَاجَ لِي مِنْ هَوْلِهِ بَرْحُ السَّقَمِ ^(٢)
مِنْ جُرْذٍ كَفَعَلْ خِثْزِيرَ الْأَجَمِ أَوْ كَبَشٍ صِرْمٍ مِنْ أَفَارِيقِ الْغَنَمِ ^(٣)
يَسْحَبُ صَخْرًا مِنْ جَلَامِيدِ الْعَرَمِ لَهُ مَخَالِبُ وَأَنْيَابُ قُضْمٍ ^(٤)
مَا فَاتَهُ سَخْلًا مِنَ الصَّخْرِ قَصَمِ ^(٥)

فَقَالَتْ طريفة : وإن من علامات ما ذكرت لك أن تجلس فتأمر بزجاجة
فتوضع بين يديك ، فإن الريح تملؤها من تراب البطحاء ^(٦) ، من سهلة ^(٧)
الوادي ورملة ، وقد علمت أن الجنان مُظْلَمَةٌ لا يدخلها شمس ولا ريح ، فأمر
عمرو بزجاجة فوضعها بين يديه ، ولم يمكث إلا قليلاً حتى امتلأت من تراب
البطحاء ، فأخبر عمرو طريفة بذلك وقال لها : متى يكون هلك السد ؟ قالت
له : فيما بينك وبين سبع سنين . قال : ففي أيها يكون ؟ قالت : « لا يعلم بذلك
إلا الله ، ولو علمه أحد لعلمته ، ولا تأتي على ليلة فيما بيني وبين سبع السنين إلا
ظننت المهلاك في غدها ، أو في مساءها ، ثم رأى عمرو في نومه سيل العرم ،
وقيل له : آية ذلك أن ترى الحصباء في سَعَفِ النخل ، فنظر إليها ، فوجد
الحصباء فيها قد ظهرت ، فعلم أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرب ، فكتّم ذلك

[١] الشكل كسبب وقفل : الموت والهلاك . [٢] البرح : الشدة . [٣] الأجم جمع أجمة وهي
الشجر الكثير اللثف ، والصرم : الجماعة ، والفرقة تجمع على فرق ، وجمع الجمع أفراق ، وجمع جمع الجمع
أفاريق ، والجلاميد جمع جلمود كصغور : الصخر . [٤] العرم : السد . يمترض به الوادي (ومن معانيه
أيضاً المطر الشديد ، والجرذ ، وواد جاء السيل من قبله) [٥] سحله كنعج : قشره ونعته ، وقصمه كسره
[٦] البطحاء والأبطح : مسيل واسع فيه دفاق الحصى . [٧] السهلة بالكسر : تراب كالرمل
يجيء به الماء ، وأرض سهلة كفرحه : كثيرتها .

وأخفاه ، وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب^(١) وأن يخرج منها هو وولده^(٢) ، فخرج ثم أرسل الله تعالى على السد^(٣) السيل فهدمه .

(شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ٩٨)

*
* *

وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني :

• • وسارت القبائل من أهل مأرب حين خافوا سيل العرم ، وعليهم مزيقياء ،
ومعهم طريفة الكاهنة ، فقالت لهم :

[١] مأرب : مدينة باليمن ، وكانت في الزمان الأول قاعدة التبابعة ، وهي مدينة بلقيس ، بينها وبين صنعاء نحو أربع مراحل ، وتسمى سبأ باسم بابنها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

[٢] وقد خشى أن يستنكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به في الملاء من الناس ، وإذا لطمه ، برفع هو يده ويأطمه ، ثم صنع طعاماً وبعث إلى أهل مأرب أن عمرو صنع يوم مجد وذكر ، فاحضروا طعامه ، فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما أمر ، فجعل يأمره بأمور فيتأبى عليه . وبنهاه فلا ينتهي ، فرفع عمرو يده فلطمه على وجهه فلطمه ابنه ، وكان اسمه ملكاً ، فصاح عمرو وادلاه يوم نحر عمرو يسيجه صبي وبصر وجهه ، وحلف ليقتله ، فلم يزلوا بعمرو يرغبون إليه حتى تركه ، فقال : والله لا أقيم بموضع صنع بي فيه هذا ، ولأبيعن أموالى حتى لا يرث منها بعدى شيئاً ، فقال الناس بعضهم لبعض : اغتصموا غضب عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه كل أمواله التي بأرض مأرب ، وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزد فباعوا أموالهم ، فلما أكتروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا أيديهم عن الشراء ، ولما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم ، ولما خرج عمرو من اليمن خرج لخروجه منها بشر كثير ، فزلوا أرض عك فحاربهم عك ، فارتحلوا عنها ، ثم اصطالحوا وبقوا بها حتى مات عمرو بن عامر ، وتفرقوا على البلاد ، فمنهم من صار إلى الشام ، وهم أولاد جفنة بن عمرو بن عامر ، ومنهم من صار إلى يثرب ، وهم أبنا قبيلة الأوس والخزرج ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وصارت أزد الشراة إلى أرض الشراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وصار ملك ابن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو يدسيرة من أرض اليمن طيء فزلت جبلى طيء أجاً وسلمى ، ونزلت ريبة ابن حارثة بن عمرو بن عامر تهامة ، وسموا خزاعة لا تخزاعهم من إخوانهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق .

[٣] كان السد فيما يذكر قد بناه لقمان الأكبر بن عاد ، وكان رصفه لحجارة السد بالرصاص والحديد ، ويقال إن الذي بناه كان من ملوك خيبر ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن ، فردموها ردماً بين جبلين وحبسوا الماء ، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسولهم أرسل الله عليهم سيل العرم .

« لَا تَوْمُوا مَكَّةَ حَتَّى أَقُولَ ، وَمَا عَلَّمَنِي مَا أَقُولُ إِلَّا الْحَكِيمُ الْمُحْكَمُ ، رَبُّ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ » قَالُوا لَهَا : مَا شَأْنُكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ قَالَتْ : خَذُوا الْبَعِيرَ الشَّدَقَمَ ^(١) ، نَحْضِبُوهُ بِالْדَّمِ ، تَكُنْ لَكُمْ أَرْضُ جُرْهُمَ ^(٢) ، جِيرَانِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ . (الْأَغَانِي ١٣ : ١٠٥)

* *

وروى الميداني في مجمع الأمثال قال :

« أَلْقَتْ طَرِيفَةُ الْكَاهِنَةُ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَزِيْقِيَا بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي كَهَانَتِهَا ^(٣) أَنْ سَدَّ مَأْرِبَ سَيْخَرَبَ ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي سَيْلُ الْعَرَمِ ، فَيُخَرَّبُ الْجَنْتَيْنِ ^(٤) ، فَبَاعَ عَمْرِو بْنُ عَامِرٍ أَمْوَالَهُ ، وَسَارَ هُوَ وَقَوْمُهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَكَّةَ ، فَأَقَامُوا بِمَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا ، فَأَصَابَتْهُمْ الْحُمَّى ، وَكَانُوا يَبْلُدُونَ لَا يَدْرُونَ فِيهِ مَا الْحُمَّى ، فَدَعَوْا طَرِيفَةَ فَشَكَّوْا إِلَيْهَا الَّذِي أَصَابَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : قَدْ أَصَابَنِي الَّذِي تَشْكُونَ ، وَهُوَ مُفَرَّقٌ بَيْنَنَا . قَالُوا : فَمَا تَأْمُرِينَ ؟ قَالَتْ :

« مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا هَمٍّ بَعِيدٍ ، وَجَمَلٍ شَدِيدٍ ، وَمَزَادٍ ^(٥) جَدِيدٍ ، فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عُمَانَ الْمَشِيدِ ^(٦) ، فَكَانَتْ أَزْدُئْمَانُ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا جِلْدٍ

[١] الواسع الشدق . [٢] وكانوا يسكنون مكة ، فأرسل إليهم عمرو أن أفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رواداً إلى الشام وإلى الشرق ، فحينما بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، فأبى ذلك جرم إباء شديداً ، وقالوا : لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيّقوا علينا مرايعنا ومواردنا ، وكانت الحرب بين الفريقين ، وانتهزت جرم فلم يفلت منهم إلا الشريد .

[٣] كهن كهانة بالفتح فهو كاهن ، زحرتة الكهانة بالكسر .

[٤] قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَيْنَ بَيْمَيْنِ وَشِمَالٍ ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ » .

[٥] المزاد والمزاید جمع مزادة وهي الراوية . [٦] المشيد : المرفوع ، قال مسلم بن الوليد في رثاء أما هدت لمصرعه نزار ؟ بلى ، وتقوض المجد المشيد .

وَقَمَرٌ^(١) ، وَصَبْرٍ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ ، فَعَلِيهِ بِالْأَرَاكِ^(٢) مِنْ بَطْنِ مُرٍّ^(٣) ، فَكَانَتْ خُزَاعَةٌ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِيَّاتِ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتِ فِي الْمَخْلِ^(٤) ، فَلْيَلْحَقْ بِثَرْبِ ذَاتِ النَّخْلِ ، فَكَانَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْحَمَرَ الْحَمِيرَ ، وَالْمُلُوكَ وَالتَّامِيرَ ، وَيَلْبَسُ الدِّيَابِجَ وَالْجَرِيرَ ، فَلْيَلْحَقْ بِبُضْرَى وَغَوِيرَ ، (وَهُمَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ) ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوها مِنْ آلِ جَفْنَةَ مِنْ غَسَّانَ ، ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الثِّيَابَ الرَّقَاقَ ، وَالْخَلِيلَ الْعِتَاقَ ، وَكُنُوزَ الْأَرْزَاقِ ، وَالْدَّمَ الْمُهْرَاقَ ، فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوها آلَ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ ، وَمَنْ كَانَ بِالْحَيْرَةِ وَآلَ مُحَرَّقٍ^(٥) .

(مجمع الأمثال : ١ : ١٨٦)

٣٤٠ — حديث زبراء الكاهنة مع بني رثام من قضاة

كَانَ ثَلَاثَةُ أَبْطُنٍ مِنْ قُضَاةٍ مُجْتَوِرِينَ^(٦) بَيْنَ الشَّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ : بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ ، وَبَنُو رِثَامٍ ، وَكَانَتْ بَنُو رِثَامٍ أَقْلَهُمْ عَدَدًا ، وَأَشْجَعَهُمْ لِقَاءً . وَكَانَتْ لِبَنِي رِثَامٍ عَجُوزٌ تَسْمَى خُوَيْلَةَ ، وَكَانَتْ لَهَا أُمَةٌ مِنْ مُوَلَّدَاتِ الْعَرَبِ تَسْمَى زَبْرَاءَ ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَى خُوَيْلَةَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ لَهَا مُحَرَّمٌ ، بَنُو إِخْوَةٍ وَبَنُو أَخَوَاتٍ ، وَكَانَتْ خُوَيْلَةُ عَقِيًّا ، وَكَانَ بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ مُتَظَاهِرِينَ عَلَى بَنِي رِثَامٍ ، فَاجْتَمَعَ بَنُو رِثَامِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُرْسٍ لَهُمْ ، وَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ شَجَاعٌ بَيْسٌ^(٧) ، فَطَعَمُوا وَأَقْبَلُوا عَلَى شَرَابِهِمْ ، وَكَانَتْ زَبْرَاءُ كَاهِنَةً فَقَالَتْ لَخُوَيْلَةَ : إِنِ انْطَلَقَ بَنِي رِثَامٍ إِلَى قَوْمِكَ أَنْذِرْهُمْ ، فَأَقْبَلَتْ خُوَيْلَةُ تَتَوَكَّأُ عَلَى زَبْرَاءَ

[١] قمره على الأمر : قهره . [٢] الأراك : القطة من الأرض ، وموضع بعرفات ، وجبل بهذيل .
[٣] مر بن أد بن طابخة . [٤] المخل : الشدة والجذب . [٥] هو عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني نعيم . [٦] متجاورين . [٧] البيس : الشجاع ، من بؤس ككرم بأسا .

فلما أبصرها القوم ، قاموا إجلالاً لها . فقالت : « يَا ثَمَرَ الْأَكْبَادِ ، وَأُنْدَادَ ^(١)
الأولاد ، وشَجَا ^(٢) الحُسَادِ ، هذه زَبْرَاءُ ، تخبركم عن أنباء ، قبل انْجِسَارِ الظُّلَمَاءِ ،
بِالْمُؤَيِّدِ ^(٣) الشَّنْعَاءِ ، فاسمعوا ما تقول » . قالوا : وما تقولين يا زَبْرَاءُ ؟ قالت :
« وَاللُّوحِ ^(٤) الْخَافِقِ ، وَاللَّيْلِ الْفَاسِقِ ^(٥) ، وَالصَّبَاحِ الشَّارِقِ ، وَالنَّجْمِ
الطَّارِقِ ^(٦) ، وَالْمُزْنِ الْوَادِقِ ^(٧) ، إِنْ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْتِدُ وَخْتَلًا ^(٨) ، وَيَحْرُقُ أَنْيَابًا
عُصَلًا ^(٩) ، وَإِنْ صَخْرَ الطُّودِ لَيُنْذِرُ كُكُلًا ^(١٠) ، لَا تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْلًا ^(١١) »
فوافقت قوماً أَشَارَى ^(١٢) سُكَارَى ، فقالوا : « رِيحٌ خَجْجُوجٌ ^(١٣) ، بَعِيدَةٌ
مَائِنِ الْفُرُوجِ ، أَتَتْ زَبْرَاءً بِالْأَبْلَقِ الشُّوجِ ^(١٤) » .
فقالت زَبْرَاءُ : « مَهْلًا يَا بَنِي الْأَعْزَةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَشْمُ ذَفَرَ ^(١٥) الرِّجَالِ تَحْتَ
الْحَدِيدِ » فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيْلُ بْنُ مُنْقِذٍ : « يَا خَذَاقِ ^(١٦) ، وَاللَّهِ

[١] أُنْدَادُ : جمع ند بالكسر وهو المثل والنظير . [٢] الشَّجَا : ما عترض في الخلق من عظم ونحوه .
[٣] الْمُؤَيِّدُ : الداهية والأمر العظيم . [٤] اللُّوحُ بالضم والفتح (والضم أعلى) : المرء بين السماء
والأرض . [٥] غَسَقُ اللَّيْلِ كَجَلَسَ : اشتدت ظلمته . [٦] الطَّارِقُ : في الأصل ، كل من أتى
ليلاً ، ثم استعمل في النجوم لطلوعها ليلاً . [٧] المِزْنُ : السحاب أو أيصه أو ذو الماء ، والوادي :
من ودق المطر كوهده : قطر . [٨] أَدَوْتُ لَهُ أَدُو أَدَوَا إِذَا خْتَلَتْهُ وَخَدَعَتْهُ (ودأيت له ، ودألت له
أيضاً) والختل : الخدع . [٩] حَرَقَ أَنْيَابَهُ : إِذَا حَكَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ عِنْدَ الْمَضْبِ
يَفْضِيهِ الرِّجْلُ عَلَى صَاحِبِهِ : « هُوَ يَحْرُقُ عَلَى الْأَرَمِ » وَالْأَرَمُ كَسَكَرَ : الْأَصْرَاسُ ، وَالْعَصَلُ : الْمَرْجَةُ
جمع أعصل . [١٠] الطُّودُ : الْجَبَلُ ، وَالشُّكْلُ : الْفَقْدُ . [١١] الْمَعْلُ : الْمَجَى .
[١٢] الْأَشْرُوحَةُ : الْمَرْحُ . [١٣] الْخَجْجُوجُ : السَّريمة المَرَّةُ . [١٤] الْأَبْلَقُ : وَصَفٌ مِنَ الْبَلَقِ
مَحْرُكَةٌ وَهُوَ ارْتِفَاعُ الْبَيَاضِ فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ إِلَى الْفَخْزَيْنِ ، وَالْأَبْلَقُ لَا يَكُونُ تَوَحُّجًا ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ هَذَا مَثَلًا لِلشَّيْءِ
الَّذِي لَا يَبْنَالُ ، تَقُولُ « طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْعَقُوقَ ، فَلَمَّا فَاتَهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَبُوقِ » وَالْعَقُوقُ كَصَبُورٍ : الْحَامِلُ ،
وَالْأَبُوقُ كَصَبُورٍ أَيْضًا : الذَّكَرُ مِنَ الرِّخْمِ وَلَا بَيْضَ لَهُ ، هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْاَلْفُوبِيِّينَ ، فَلَمَعْنَى أَنَّهُ طَلَبَ مَا لَا
يَكُنْ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ طَلَبَ أَيْضًا مَا لَا يَكُونُ وَلَا يُوْجَدُ ، وَعَامَّتُهُمْ يَقُولُونَ : الْأَبُوقُ الرَّخْمَةُ وَهِيَ تَبْيِضُ فِي مَكَانٍ
لَا يُوْصَلُ فِيهِ إِلَى بَيْضِهَا إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ ، فَلَمَعْنَى أَنَّهُ طَلَبَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا لَمْ يَنْلُ طَلَبَ مَا يَجُوزُ أَنْ يَنْالَهُ .
[١٥] الذَفَرُ : حِدَّةُ الرِّيحِ ، يَكُونُ فِي النَّتَنِ وَالطَّيْبِ (وَالذَفَرُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي النَّتَنِ) .
[١٦] خَذَاقٍ : كُنْيَاةٌ عَمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، يُقَالُ : خَذَقَ وَمَزَقَ وَزَرَقَ .

ما تَشْمَيْنِ إِلَّا ذَفَرَ إِبْطِيكَ » فانصرفت عنهم ، وارتاب قوم من ذوى أسنانهم ،
فانصرف منهم أربعون رجلاً ، وبقي ثلاثون ، فَرَقَدُوا فِي مَشْرَبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ
بنو داهن وبنو ناعب ، فقتلوهم أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَةَ مع الصباح ، فوقفت
على مصارعهم ، ثم عَمَدَتْ إِلَى خَنَاصِرِهِمْ ، فَقَطَعَتْهَا وَانْتَظَمَتْ مِنْهَا قِلَادَةً ، وَأَلْقَتْهَا
فِي عُنْقِهَا ، وَخَرَجَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِمَرْضَاوِي بْنِ سَعْوَةَ الْمَهْرِيِّ ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا
فَأَنَاحَتْ ، بِفَنَائِهِ ، فَاسْتَعْدَّتْهُ عَلَى بَنِي دَاهِنَ وَبَنِي نَاعِبَ ، فَخَرَجَ فِي مَنَسِيرٍ^(١) مِنْ
قَوْمِهِ ، فَطَرَقَهُمْ فَأَوْجَعَ فِيهِمْ . (الأملك ١ : ١٢٦)

٣٤١ — كَاهِنَةُ ذِي الْخَلَصَةِ تَتَكهن بِمَا فِي بَطْنِ رُقِيَّةَ بِنْتِ جُشَمَ
زَعَمُوا أَنَّ رُقِيَّةَ بِنْتَ جُشَمَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَلِدَتْ مُنْمِيْرًا وَهَلَالًا وَسَوَاءً ، ثُمَّ
اعْتَاطَتْ^(٢) ، فَأَتَتْ كَاهِنَةَ بَذَى الْخَلَصَةِ^(٣) ، فَأَرْتَهَا بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ
وَلِدْتُ ثُمَّ أَعْتَطْتُ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا وَمَسَّتْ بِطْنِهَا ، وَقَالَتْ :
« رَبُّ قَبَائِلَ فِرْقِي ، وَجَبَائِلَ حَلَقِي ، وَظُعُنٌ^(٤) حُرْقٌ^(٥) ، فِي بَطْنِكَ
زُقٌّ^(٦) »

[١] المنسر من الحيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، أو من الأربعين إلى الخمسين ، أو إلى الستين ،
أو المائة إلى المائتين ، وقطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير .
[٢] اعتاطت المرأة : لم تحمل سنين من غير عقر . [٣] ذو الخلصة محرّكة وبضمين : بيت كان
يدعي الكعبة النيامية للحنم ، كان فيه صنم اسمه الخلصة . [٤] الطعن والطمان جمع ظمينة : وهي الهرج
سواء كان فيه امرأة أم لا ، والمرأة ما دامت في اليهودج ، ويقال : الظمينة في الأصل وصف للمرأة في
هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها ، لأنها تصير مظعوننة (أى يظمن بها زوجها ، فهي فعيلة
بمعنى مفعولة) . [٥] الحزق والحزفة (بكسر الحاء) والحازقة والحريق والحريقة والحزاقة (بالفتح)
الجماع ، والجمع حزائق وحزيق وحزق (بضم ح) . [٦] أى وضع وأصل الرق : رمى الطائر
بدرقه ، والمهني : رب جنين تنشعب منه قبائل متفرقة ، ويتناسل منه ذكراا يتعلقون في المجالس والأندية
وجاعات من الذنوة ، قد أودع بطك .

فلما تَخَضَّتْ ^(١) بريعة بن عامر ^(٢) ، قالت : إني أعرف ضَرِطِي بهلال ،
« أَى هو غلام ، كما أن هلالا كان غلاماً » . (مجمع الأمثال ١ : ٣٢١)

٣٤٢ — رأى سلمى الهمدانية فى حريم المرادى

أغار رجل من « مُرَادٍ » يقال له « حَرِيم » على إبل عمرو بن بَرّاقة
الْهَمْدَانِيَّ وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سألنى الهمدانية ، وكانت بنت
سَيِّدِهِمْ ، وعن رأيها كانوا يَصْدُرُونَ ، فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله
وخيله ، فقالت : « وَالْخَفَوِ وَالْوَمِيضِ ^(٣) ، وَالشَّفَقِ كَالْأَحْرِيضِ ^(٤) ، وَالْقُلَّةِ
وَالْحَضِيضِ ^(٥) ، إِنْ حَرِيماً لَمْ يَنْبَغِ الْحِيْزُ ^(٦) ، سَيِّدُ مَزِيْزٍ ^(٧) ذُو مَعْقِلٍ حَرِيْزٍ ، غَيْرِ
أَنِّى أَرَى الْحُمَّةَ ^(٨) سَتَظْفَرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ ، بِطَيْئَةِ الْجَبْرَةِ ، فَأَغِرْ وَلَا تُنْكَعْ ^(٩) »
فأغار عمرو ، فاستاق كلَّ شَيْءٍ له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن
يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع وَرَجَعَ حريم . (الأمال ٢ : ١٢٣)

٣٤٣ — تنافر العجفاء بنت علقمة وصواحباتها إلى الكاهنة السعدية
روى أن الْعَجْفَاءَ بِنْتَ عَلْقَمَةَ السَّعْدِيَّ ، وثلاث نِسوة من قومها ، خرجن
فَاتَعَدْنَ بِرَوْضَةٍ يتحدثن فيها ، فَوَافَيْنَ بِهَا لَيْلاً فى قر زاهر ، وَلَيْلَةً طَلَقَةً ساكنة ،
وروضة مُعْشَبَةً خِصْبَةً ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كَاللَّيْلَةِ لَيْلَةً ، وَلَا كَهَذِهِ

-
- [١] تخضت كسع ومنع وعنى : أخذها الطاق .
[٢] هو بريعة بن عامر بن صمصمة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ومن نسله بنو كلاب بن ربيعة بن عامر وبنو جمقر بن كلاب بن ربيعة .
[٣] الخفو : اللعان الضعيف ، والوميض : أشد من الخفو . [٤] الأحرىض : العصف .
[٥] القلة : أعلى الرأس والجبل وكل شىء ، والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .
[٦] الناحية . [٧] مزيز : فاضل ، من قولهم هذا أمر من هداى أى أفضل منه .
[٨] الحمة القدر (محركة) ، وقبل هى واحد الحمام (بالكسر) .
[٩] نكعه عن الأمر (كنع) رده ودفعه .

الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضرَ ، ثم أفَضْنَ في الحديث ، فقلن : أيُّ النساء أفضل ؟ قالت إحداهن : الخُرُود ^(١) الوُدُود الوُلُود . قالت الأخرى : خيرهن ذات الغنَاء ^(٢) ، وطيبِ الثناء ، وشدة الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السَّمُوعُ الجَمُوع ، النَّفُوع غير المَنُوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعةُ لأهلها الوادعةُ الرافعة ، لا الواضعة . قلن : فأى الرجال أفضل ؟ قالت إحداهن : خَيْرُهُم الحَظِيّ ^(٣) الرِّضِيّ ، غير الحَظِل ^(٤) البَطِيّ . قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ، ذو الحَسَبِ العَمِيم ، والمجدِ القَدِيم . قالت الثالثة : خيرهم السَّخِيّ ، الوَفِيّ الرِّضِيّ ، الذى لَا يُغَيِّر ^(٥) الحُرَّةَ ، ولا يتخذ الضَّرَّةَ . قالت الرابعة : وأيكن ، إن فى أبى لَنَعَتَكُن ، كَرَمِ الأخلاق ، والصدقِ عند التَّلَاق ، والفَلَجِ ^(٦) عند السَّبَاق ، ويحمده أهل الرفاق . قالت المعجفاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها مُعْجَبَةٌ .

وفى بعض الروايات أن إحداهن قالت : إن أبى يُكْرَمُ الجار ، وَيُعْظَمُ الخِطَارُ ^(٧) ، وَيَنْخَرُ العِشَارُ ^(٨) ، بعد الحَوَارِ ^(٩) ، وَيَحْمِلُ الأمور الكبار ، ويأْنِفُ من الصغار ، فقالت الثانية : إن أبى عظيم الخَطَرُ ، منيع الوزر ^(١٠) ، عزيز النَّفَرِ ، يُحْمَدُ منه الوِرْدُ وَالصَّدَرُ ، فقالت الثالثة : إن أبى صدوق اللسان ، حديد الجنان ،

[١] الخرود والحريد والحريدة : الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة .

[٢] الكفاية والمنفعة . [٣] الحظي : ذو الخطوة والمكانة عند زوجه ، والحطية كذاك .

[٤] رجل حظل ككتف وشداد وصبور : مقتر محاسب أهله بما ينفق عليهم ، وفى مجمع الأمثال « غير

الحظال ، ولا التبال » والتبال بالتشديد من التبل (بمتح فسكون) وهو الحقْد .

[٥] أغار امرأته : تزوج عليها . [٦] الفوز والطمر .

[٧] الخطار جمع خطر كسبب وهو البقي يتراهن عليه . [٨] العشار جمع عشراء كفساء وهى من

النوق التى مضى لملها عشرة أشهر أو ثمانية . [٩] الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه

أولاً أن يفصل عن أمه . [١٠] الوزر : الملبأ .

رَذُوم^(١) الجِفَان ، كثير الأعوان ، يُزَوِّى السَّنَان ، عند الطَّعْمَان . قالت الرابعة :
 إن أبى كريم النَّزَال ، مُنِيفُ الْمَقَال ، كثير النِّوَال ، قليل السُّوَال ، كريم الفِعال .
 ثم تنافرن إلى كَاهِنَةٍ مَعْمَن فِي الْحَى ، فقلن لَهَا : اسمعى مَا قُلْنَا ، وَاحْكُمِي
 بَيْنَنَا وَاعْدِلِي ، ثُمَّ أَعَدَّنَ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فَقَالَتْ لَهُنَّ : « كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ
 مَارِدَةٌ^(٢) بِأَيِّهَا وَاجِدَةٌ^(٣) ، عَلَى الْإِحْسَانِ جَاهِدَةٌ ، لِصَوَاحِبَاتِهَا حَاسِدَةٌ ، وَلَكِنْ
 اسْمَعْنِي قَوْلِي : خَيْرُ النِّسَاءِ الْمُبْقِيَةِ عَلَى بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الضَّرَاءِ خَافَةً أَنْ تَرْجِعَ
 إِلَى أَهْلِهَا مُطْلَقَةً ، فَهِيَ تُؤَثِّرُ حَظَّ زَوْجِهَا عَلَى حَظِّ نَفْسِهَا ، فَتَلِكُ الْكَرِيمَةُ
 الْكَامِلَةُ ، وَخَيْرُ الرِّجَالِ الْجَوَادُ الْبَطَلُ ، الْقَلِيلُ الْفَشَلُ ، إِذَا سَأَلَهُ الرَّجُلُ ، أَلْفَاهُ
 قَلِيلَ الْعِلَلِ ، كَثِيرَ النَّفْلِ^(٤) » ، ثُمَّ قَالَتْ : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .
 (يجمع الأمثال ٢ : ٥٤ ، وَجَهْرَةُ الْأَمْثَالِ ٢ : ١٣٣)

٣٤٤ — عَفِيرَاءُ الْكَاهِنَةِ تَعْبِرُ رُؤْيَا مَرْتَدِّ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ

رَوَى أَنَّ مَرْتَدَّ بْنَ عَبْدٍ كَلَالٍ قَفَلَ مِنْ غَزَاةٍ غَزَاهَا بَغْنَائِمٌ عَظِيمَةٌ ، فَوَفَدَ
 عَلَيْهِ زَعَمَاءُ الْعَرَبِ وَشُعْرَاؤُهَا وَخُطْبَاؤُهَا يَهْتَنُونَهُ ، فَرَفَعَ الْحِجَابَ عَنِ الْوَافِدِينَ .
 وَأَوْسَعَهُمْ عَظَاءً ، وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ بِهِمْ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَامَ يَوْمًا فَرَأَى رُؤْيَا فِي
 الْمَنَامِ أَخَافَتْهُ وَأَذْعَرَتْهُ وَهَالَتْهُ فِي حَالِ مَنَامِهِ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ انْتَبَهَ أَنْسِيَهَا حَتَّى لَمْ يَذْكُرْ مِنْهُ
 شَيْئًا ، وَثَبَتَ ارْتِيَاعُهُ فِي نَفْسِهِ بِهَا ، فَانْقَابَ سُرُورُهُ حَزَنًا ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الْوَفُو
 حَتَّى أَسَاءُوا بِهِ الظَّنَّ ، ثُمَّ إِنَّهُ حَشَرَ الْكُفَّانَ فَجَعَلَ يَخْلُو بِكَاهِنٍ كَاهِنٍ ، ثُمَّ يَقُو
 لَهُ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ، فَيُجِيبُهُ الْكَاهِنُ بِأَنْ لَا عِلْمَ عِنْدِي ، حَتَّى
 يَدْعُ كَاهِنًا غَلِمَةً إِلَّا كَانَ إِلَيْهِ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَتَضَاعَفَ قَلْفُهُ ، وَطَالَ أَرْقُهُ ، وَكَأَنَّ

[١] الرذوم : القصعة المتلثة تنصبب جوانبها . [٢] أى قد بلغت المائة .

[٣] وجد به (بالكسر) أحبه . [٤] النفل : الهبة .

أمه قد تكهنت ، فقالت له : أبيت اللعن أيها الملك ، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجان ، أطف وأظرف من أتباع الكهّان ، فأمر بحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهّان ، فلم يجد عند واحدة منهم علماً مما أراد علمه ، ولما يئس من طلبته سأل عنها ، ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد ، فأوغل في طلب الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرُفعت له أبيات من ذرّا^(١) جبل ، وكان تدلّفحه الهجير ، فمدّل إلى الأبيات ، وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها ، فبرزت إليه منه عجوز ، فقالت له : أنزل بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، والجفنة المدعّعة^(٢) ، والعلبة المترعة^(٣) ، فنزل عن جواده ، ودخل البيت ، فلما احتجب عن الشمس ، وخفقت عليه الأرواح^(٤) ، نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الهجير ، فجلس يمسح عينيه ، فإذا هو بين يديه فتاة لم ير مثلها قواماً ولا جلالاً ، فقالت : « أبيت اللعن أيها الملك الهمام ! هل لك في الطعام ؟ » فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفت ، وتصامّ عن كلمتها ، فقالت له : « لا حذر ، فذاك البشر ، فذاك الأكبر ، وحظنا بك الأوفر » . ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيساً^(٥) ، وقامت تدبّ عنه ، حتى انتهى أكله ، ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً^(٦) ، فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومُدبرة ، فلأت عينيه حسناً ، وقلبه هوّى ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي غفراء ،

[١] أى فى كسبه وستره . [٢] الجفنة : القصة ، والمدعّعة : التى ملكت بقوة ثم حركت حتى تراس ما فيها ، ثم ملكت بعد ذلك . [٣] العلبة : قدح ضخم من جلود الابل أو من خشب يحمل فيها ، والمترعة : المملوءة . [٤] الأرواح : والرياح جمع ربح . [٥] القديد : اللحم المقدد ، أو ما قطع منه طولاً ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، فيهجن شديداً ثم يدر منه نواه (والأقط شئ يتخذ من الخيض النوى) . [٦] الصريف : اللبن ساعة حلب ، والضريب : اللبن يخلب من عدة لفاح فى إناء .

فقال لها : يا عفراء ، من الذى دَعَوْتِهِ بالملك الهمام ؟ قالت : « مَرَّئِدُ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، حَاشِرُ الْكُوهَانِ وَالْكُهَّانِ ، لِمَعْضِلَةِ بَعْدِ عَنْهَا الْجَانَّ » ، فقال يا عفراء : أتعلمين تلك المعضلة ؟ قالت : « أجل أيها الملك ، إنها رؤيا منام ، ليست بأضغاث ^(١) أحلام » . قال الملك : أصبت يا عفراء ، فما تلك الرؤيا ؟ قالت : « رأيت أعاصير ^(٢) زَوَابِعَ ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهب لاعم ، ولها دُخَانٌ ساطع ، يَقْفُوها نهر مُتَدَاوِعَ ، وسمعت فيما أنت سامع ، دُعَاءَ ذِي جَرَسٍ ^(٣) صَادِعَ : هَامُّوا إِلَى الْمَشَارِعِ ^(٤) ، فَرَوَى جَارِعَ ^(٥) ، وَغَرِقَ كَارِعَ ^(٦) » - فقال الملك : أَجَلْ ، هذه رؤياي ، فما تأويلها يا عفراء ؟ قالت : « الأعاصير الزوابع ، ملوك تَبَايَعَ ^(٧) ، والنهر علم واسع ، والداعى نبي شافع ، والجارع وَلِيٌّ تَابِعَ ، والكارِعُ عدو منازع » . فقال الملك : يا عفراء ، أَسَلِمَ هذا النبي أم حرب ؟ فقالت : « أَقْسَمُ بِرَافِعِ السَّمَاءِ ، وَمُنْزِلِ الْمَاءِ مِنَ الْعَمَاءِ ^(٨) ، إِنَّهُ لَمُطِلُّ الدَّمَاءِ ^(٩) ، وَمُنْطَقُ الْعِقَائِلِ نُطْقَ الْإِمَاءِ ^(١٠) » . فقال الملك : إلام يدعو يا عفراء ؟ قالت : « إِلَى صَلَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَصِلَةِ أَرْحَامٍ ، وَكَسْرِ أَصْنَامٍ ، وَتَعْطِيلِ أَزْلَامٍ ^(١١) ، وَاجْتِنَابِ

[١] أضغاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها . [٢] الأعاصير جمع إعصار وهو الرمح التي تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أو التي فيها العصار بالكسر وهو الغبار الشديد .
[٣] الجرس : الصوت . [٤] المشارع جمع مشرعة وهي مورد الشاربة . [٥] جارع فاعل من جرع الماء كسمع ومنع إذا بلعه . [٦] كارع فاعل من كرع في الماء كسمع ومنع تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا يامأ . [٧] التبايع جمع تبع كسكر : ملوك اليمين .
[٨] العماء : السحاب الكثيف . [٩] انظر قوله عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع « وإن دماء الجاهلية موضوعة » . [١٠] العقائل : كرائم النساء جمع عقيلة ، والبطق جمع نطق ككتاب والنطاق والمنطقة : ما تشد به المرأة وسطها للهناء . ونطقها تنظيها : ألبسها النطاق فتنطق وانتطقت ومنطق النساء أى يسبين فيشدون النطق على أوساطهن للخدمة كالإماء . [١١] الأزلام جمع زلم كذب : قذاح كان العرب يستقسمون بها في الجاهلية (أى يطلبون معرفة ما قسم لهم) وذلك أنهم كانوا إذا قصدوا فلا من تجارة أو سفر أجلوا ثلاثة قذاح (القذاح جمع قذح بالكسر وهو السهم قبل أن يراش) وكانت عند أصنامهم ، أحدها مكتوب عليه : أمرني ربي ، والثاني : نهاني ربي ، والثالث : ذفل ، فإن خرج الأول مضوا في الأمر ، أو الثاني أحجموا عنه ، أو الثالث أجالوها ثانية حتى يخرج أحد الأولين .

آثام « فقال الملك : يا عفياء ، إذا ذبح قومُهُ فمن أعضاده ^(١) ؟ قالت : أعضاده غَطَارِيفُ ^(٢) يَمَآئُون ، طَائِرُهُمْ بِهِ مَيِّمُونَ ، يُغْزِيهِمْ فَيَغْزُونَ ، وَيُدَمِّتُ ^(٣) بِهِمُ الْحَزُونَ ، وإلى نصره يَغْتَزُونَ « . فأطرق الملك يُؤَامِرُ ^(٤) نفسه في خِطْبَتِهَا ، فقالت : « أَيْدِ اللعن أَيْهَا الملك ! إن تابعى غَيُور ، ولأمرى صَبُور ، وناكحى مَثْبُور ، وَالكَلَفُ بِي ثُبُور ^(٥) « . فنهض الملك وجال في صَهْوَةٍ ^(٦) جَوَادِهِ ، وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كَوْمَاء ^(٧) . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٩٦)

[١] الأعضاد : الأنصار جمع عضد ، والذبح معروف ، والمراد هنا إذا قطعوه وتركوا نصرته .
[٢] الغطاريف جمع غطريف وهو السيد الشريف . [٣] يسهل ، والحزون جمع حزن كشمس وهو ما غلط من الأرض . [٤] يشاور . [٥] الثبور : الهلاك . [٦] الصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه . [٧] الكوماء : الناقة العظيمة السنام .

اتتهى الجزء الأول

ويليه

الجزء الثانى وأوله : الباب الثالث فى خطب ووصايا

العصر الأموى

فهرس

الخير الأول

من جمهرة خطب العرب

الباب الأول

الخطب والوصايا في العصر الجاهلي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
إصلاح مرثد الخير بين سبيع بن الحارث وبين ميثم بن مثوب		١
مقال مرثد الخير	١	٢
مقال سبيع بن الحارث	٢	٢
مقال ميثم بن مثوب	٣	٣
مقال مرثد الخير	٤	٤
طريف بن العاصي والحارث بن ذيخان يتفاخران عند بعض مقال حمير	٥	٥
منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين	٦	٨
أشراف العرب بين يدي كسرى		١١
مقال حذيفة بن بدر الفزاري	٧	١٢
مقال الأشعث الكندي	٨	١٢
مقال بسطام الشيباني	٩	١٣
مقال حاجب بن زرارة	١٠	١٣
مقال قيس بن عاصم السعدي	١١	١٥

وفود العرب على كسرى

١٥.

خطبة النعمان بن المنذر	١٢	١٦
» أكتثم بن صيفي التميمي	١٣	٢١
» حاجب بن زرارة التميمي	١٤	٢٢
» خطبة الحارث بن عباد البكري	١٥	٢٣.
» عمرو بن الشريد السلمي	١٦	٢٤
» خالد بن جعفر السكلابي	١٧	٢٥
» علقمة بن علاثة العامري	١٨	٢٥
» قيس بن مسعود الشيباني	١٩	٢٦
» عامر بن الطفيل العامري	٢٠	٢٧
» عمرو بن معديكرت الزبيدي	٢١	٢٨
» الحارث بن ظالم المري	٢٢	٢٨

وفود العرب يعززون سلامة ذا فائش بابنه

٣٠

خطبة الملبب بن عوف	٢٣	٣٠
خطبة جمادة بن أفلح	٢٤	٣٠
تعزية أكتثم بن صيفي لعمر بن هند عن أخيه	٢٥	٣١
خطبة عبد المطلب بن هاشم	٢٦	٣١
خطبة هاشم بن عبد مناف	٢٧	٣٢
خطبة كعب بن لؤي	٢٨	٣٣
تساؤل عامر بن الظرب وحممة بن رافع عند أحد ملوك حمير	٢٩	٣٤
خطبة قس بن ساعدة الأيادي	٣٠	٣٥
خطبة المأمون الحارثي	٣١	٣٦
خطبة هاني بن قبيصة الشيباني	٣٢	٣٧

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٣٧	٣٣	خطبة عمرو بن كلثوم
٣٨	٣٤	خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة
٣٨	٣٥	حديث بعض مقاول حمير مع ابنه
٤٣	٣٦	قيس بن خفاف البرجمي وحاتم طي
٤٥	٣٧	وصية أوس بن حارثة لابنه مالك
٤٦	٣٨	» ذى الاصبع العدواني لابنه أسيد
٤٦	٣٩	» أ كثم بن صيفي لبنيه ورهطه
٤٧	٤٠	نصيحة أ كثم بن صيفي لقومه
٤٨	٤١	وصية عمرو بن كلثوم لبنيه
٤٩	٤٢	وصية الحرث بن كعب لبنيه

[تنبيه] بقية خطب العصر الجاهلي ستأتي بعد من صفحة ٢٧٢ إلى الآخر .

الباب الثاني

الخطب والوصايا في عصر صدر الإسلام

خطب النبي صلى الله عليه وسلم

أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

خطبته يوم فتح مكة

خطبة له عليه الصلاة والسلام

» » » »

» » » »

» » » »

خطبته بالخيف

خطبة له عليه الصلاة والسلام

٥١	٤٣
٥٢	٤٤
٥٢	٤٥
٥٣	٤٦
٥٣	٤٧
٥٤	٤٨
٥٤	٤٩
٥٥	٥٠

الخطبة أو الوصية

الصفحة	رقم الخطبة	
٥٥	٥١	أول خطبة خطبها بالمدينة
٥٦	٥٢	خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة
٥٧	٥٣	خطبته في حجة الوداع
٦٠	٥٤	خطبته في مرض موته
خطب يوم السقيفة		
٦١	٥٥	خطبة سعد بن عباد
٦٢	٥٦	خطبة أبي بكر رضي الله عنه
٦٣	٥٧	نص آخر لخطبة أبي بكر يوم السقيفة
٦٤	٥٨	خطبة الحباب بن المنذر
٦٤	٥٩	» عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٦٤	٦٠	» أخرى للحباب بن المنذر
٦٥	٦١	» بشير بن سعد
خطب أبي بكر رضي الله عنه		
٦٦	٦٢	خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم
٦٧	٦٣	خطبته بعد البيعة
٦٧	٦٤	خطبة أخرى له بعد البيعة
٦٩	٦٥	» »
٧٠	٦٦	» له
٧١	٦٧	» »
٧٢	٦٨	» . »
٧٣	٦٩	خطبة له في ندب الناس لفتح الشام
٧٣	٧٠	خطبة له في الأنصار

وصايا

وصيته لأسامة بن زيد	٧١	٧٤
وصيته لعمر بن العاص والوليد بن عقبة	٧٢	٧٥
وصيته لخالد بن الوليد	٧٣	٧٥
وصيته ليزيد بن أبي سفيان	٧٤	٧٥
كلامه لعبد الرحمن بن عوف في علمته التي مات فيها	٧٥	٧٧

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خطبته حين ولي الخلافة	٧٧	٧٩
خطبة أخرى	٧٨	٧٩
خطبة له	٧٩	٨٠
خطبة له	٨٠	٨٠
خطبة أخرى	٨١	٨١
خطبة له	٨٢	٨٢
خطبة له	٨٣	٨٣
خطبة له	٨٤	٨٥
خطبة له	٨٥	٨٦
خطبة له	٨٦	٨٦
خطبته عام الرمادة	٨٧	٨٧

ندب الناس لقتال فارس

خطبة المثني بن حارثة الشيباني	٨٨	٨٨
عمر رضي الله عنه	٨٩	٨٩

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له وقد شيع جيش سعد بن أبي وقاص	٩٠	٨٩
خطبته وقد بلغه أن قوماً يفضلونه على الصديق	٩١	٩٠
وصاياه		
وصيته للمجاهدين	٩٢	٩١
» لسعد بن أبي وقاص	٩٣	٩١
» لسعد بن أبي وقاص أيضاً	٩٤	٩٣
» أخرى كتبها لسعد بن أبي وقاص	٩٥	٩٣
» للخليفة من بعده	٩٦	٩٥
خطب يوم الشورى		
خطبة عبد الرحمن بن عوف	٩٧	٩٧
» عثمان بن عفان	٩٨	٩٨
» الزبير بن العوام	٩٩	٩٨
» سعد بن أبي وقاص	١٠٠	٩٩
» علي بن أبي طالب	١٠١	٩٩
خطب عثمان بن عفان رضى الله عنه		
خطبته حين بايعه أهل الشورى	١٠٢	١٠٠
خطبته بعد البيعة	١٠٣	١٠١
خطبة أخرى	١٠٤	١٠١
خطبته حين تقم عليه الناس	١٠٥	١٠٢
خطبته التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة	١٠٦	١٠٢
خطبته في الرد على الثوار	١٠٧	١٠٣

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٠٤	١٠٨	خطبته وقد اشتد عليه الحصار
١٠٤	١٠٩	آخر خطبة خطبها عثمان
		خطب الوفود
١٠٥	١١٠	خطبة عطار بن حاجب بن زرارة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
١٠٦	١١١	خطبة ثابت بن قيس بن الشماس
١٠٦	١١٢	عمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
١٠٧	١١٣	خطبة طهفة بن أبي زهير التهمدي
١٠٨	١١٤	ردّه صلى الله عليه وسلم
١٠٩	١١٥	خطبة ظبيان بن حداد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
		خطب الوفود بين يدي عمر بن الخطاب
		رضي الله عنه
١١١	١١٦	خطبة هلال بن بشر
١١١	١١٧	» زيد بن جبلة
١١٢	١١٨	» الأحنف بن قيس
١١٢	١١٩	» الأحنف بن قيس
		خطب رجال من الفاتحين
		بين يدي يزيد جرد ملك الفرس
١١٤	١٢٠	خطبة النعمان بن مقرن
١١٥	١٢١	» المغيرة بن زرارة
١١٦	١٢٢	مقال ربيع بن عامر عند رستم قائد جيش الفرس
١١٧	١٢٣	خطبة المغيرة بن شعبة في حضرة رستم
١١٧	١٢٤	» خالد بن الوليد في وقعة اليرموك

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١١٩	١٢٥	خطبة عتبة بن غزوان بعد فتح الأبله
١٢٠	١٢٦	» سعيد بن العاص حين قدم الكوفة والياً عليها
١٢٠	١٢٧	الخنساء تحرض أولادها على القتال
١٢١	١٢٨	خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية
١٢٣	١٢٩	» السيدة عائشة في الانتصار لأبيها
١٢٥	١٣٠	رثاؤها لأبيها
١٢٦	١٣١	خطبتها حين أنبت بقتل عمان

فتنة أصحاب الجمل

١٢٧	١٣٢	خطبة طلحة
١٢٧	١٣٣	» السيدة عائشة بالمربد
١٢٨	١٣٤	» عدى بن حاتم يستنفر قومه لنصرة الإمام علي رضي الله عنه
١٢٩	١٣٥	» زفر بن زيد يستنفر قومه لنصرة الإمام علي رضي الله عنه
١٣٠	١٣٦	» سعيد بن عبيد الطائي
١٣٠	١٣٧	» أبي موسى الأشعري
١٣١	١٣٨	» أخرى له
١٣٢	١٣٩	» زيد بن صوحان
١٣٢	١٤٠	» القعقاع بن عمرو
١٣٣	١٤١	» سيحان بن صوحان
١٣٣	١٤٢	» الحسن بن علي رضي الله عنه
١٣٤	١٤٣	وفادة القعقاع بن عمرو إلى أصحاب الجمل
١٣٦	١٤٤	خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٣٦	١٤٥	» السيدة عائشة يوم الجمل
١٣٨	١٤٦	» زفر بن قيس

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة جرير بن عبد الله البجلي ١٤٧ ١٣٨

» زياد بن كعب ١٤٨ ١٣٩

» الأشعث بن قيس ١٤٩ ١٣٩

فتنة معاوية

استطلاع الإمام عليّ كرم الله وجهه آراء أصحابه

وقد أراد المسير إلى الشام

خطبة الإمام عليّ ١٥٠ ١٤٠

» هاشم بن عتبة ١٥١ ١٤٠

» عمار بن ياسر ١٥٢ ١٤١

» قيس بن سعد بن عبادة ١٥٣ ١٤١

» سهل بن حنيف ١٥٤ ١٤٣

» الإمام عليّ ١٥٥ ١٤٢

» الأشتر النخعي ١٥٦ ١٤٣

مقال من ثبطوه عن المسير ١٥٧ ١٤٤

رد الإمام عليهم ١٥٨ ١٤٤

خطبة عدى بن حاتم الطائي ١٥٩ ١٤٥

» زيد بن حصين الطائي ١٦٠ ١٤٦

» أبي زينب بن عوف ١٦١ ١٤٦

» يزيد بن قيس الأرجبي ١٦٢ ١٤٧

» زياد بن النضر ١٦٣ ١٤٧

» عبد الله بن بديل الخزاعي ١٦٤ ١٤٧

أدب الإمام عليّ كرم الله وجهه ١٦٥ ١٤٩

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٤٩	١٦٦	مقال عمرو بن الحق
١٥٠	١٦٧	» حجر بن عدى
١٥٠	١٦٨	» هاشم بن عتبة
١٥٢	١٦٩	خطبة الامام على
١٥٣	١٧٠	» الحسن بن على
١٥٣	١٧١	» الحسين بن على

وفد على إلى معاوية

١٥٤	١٧٢	خطبة بشير بن عمرو
١٥٥	١٧٣	» شعث بن ربيع
١٥٥	١٧٤	» معاوية

وفد على الى معاوية أيضا

١٥٦	١٧٥	خطبة عدى بن حاتم
١٥٦	١٧٦	جواب معاوية
١٥٧	١٧٧	خطبة يزيد بن قيس
١٥٧	١٧٨	» معاوية

وفد معاوية الى على

١٦٠	١٧٩	خطبة حبيب بن مسلمة
١٦١	١٨٠	» على بن أبى طالب

التحريض على القتال من قبل معاوية

١٦٢	١٨١	خطبة عمرو بن العاص
١٦٣	١٨٢	» أخرى لعمر بن العاص
١٦٣	١٨٣	» معاوية بن أبى سفيان يحرض أهل الشام

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة ذى الكلاع الحميرى	١٨٤	١٦٤
» يزيد بن أسد البجلي	١٨٥	١٦٧
التحريض على القتال من قبل الامام علىؑ		
خطبة الامام على	١٨٦	١٦٩
» أخرى له	١٨٧	١٧٠
من كلام له كرم الله وجهه كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين	١٨٨	١٧١
خطبة أخرى للامام	١٨٩	١٧٢
» للامام علىؑ	١٩٠	١٧٣
» أخرى له	١٩١	١٧٤
» عبد الله بن عباس	١٩٢	١٧٤
» عبد الله بن بديل الخزاعى	١٩٣	١٧٦
» أبى الهيثم بن التيهان	١٩٤	١٧٦
» للامام على	١٩٥	١٧٧
» سعيد بن قيس	١٩٦	١٧٨
» يزيد بن قيس الأرحبى	١٩٧	١٧٩
» هاشم بن عتبة المرفال	١٩٨	١٨٠
» عمار بن ياسر	١٩٩	١٨١
» الأشتر النخعى	٢٠٠	١٨٢
» الأشتر فى المنهزمين من الميمنة	٢٠١	١٨٣
» أخرى له فيهم	٢٠٢	١٨٤
» على فيهم وقد عادوا إلى مواقفهم	٢٠٣	١٨٥
» خطبة خالد بن معمر	٢٠٤	١٨٦
» عقبة بن حديد النمرى	٢٠٥	١٨٨

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
١٨٧	٢٠٦	خطبة خنثر بن عبيدة بن خالد
١٨٨	٢٠٧	تخريض معاوية أيضاً
١٨٩	٢٠٨	ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد في وقعة صفين
١٩٠	٢٠٩	جواب قيس بن سعد
١٩١		خطب الشيعيات في وقعة صفين
١٩١	٢١٠	خطبة عكرشة بنت الأطرش
١٩٣	٢١١	» أم الخير بنت الحريش
١٩٦	٢١٢	» الزرقاء بنت عدى الهمدانية
١٩٨		اختلاف أهل العراق في الموادعة
١٩٨	٢١٣	خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه
١٩٩	٢١٤	» كردوس بن هاني
١٩٩	٢١٥	» سفیان بن ثور
١٩٩	٢١٦	» حريث بن جابر
٢٠٠	٢١٧	» خالد بن معمر
٢٠٠	٢١٨	» الحصين بن المنذر
٢٠٠	٢١٩	» عثمان بن حنيف
٢٠٢	٢٢٠	» عدی بن حاتم
٢٠٣	٢٢١	» عبد الله بن حجل
٢٠٣	٢٢٢	» صعصعة بن صوحان
٢٠٤	٢٢٣	» المنذر بن جارود
٢٠٤	٢٢٤	» الأحنف بن قيس
٢٠٥	٢٢٥	» عمير بن عطار
٢٠٥	٢٢٦	» عليّ بن أبي طالب

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢٠٥	٢٢٧	مقال عدى بن حاتم
٢٠٦	٢٢٨	» الأشتر النخعي
٢٠٦	٢٢٩	» عمرو بن الحمق
٢٠٦	٢٣٠	» الأشعث بن قيس
٢٠٧	٢٣١	» عبد الرحمن بن الحارث
٢٠٧	٢٣٢	» عمار بن ياسر

التحكيم بين عليّ ومعاوية

٢٠٨	٢٣٣	كلام عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري
٢٠٩	٢٣٤	وصية شريح بن هاني » » »
٢١٠	٢٣٥	» الأحنف بن قيس » » »
٢١١	٢٣٦	» معاوية لعمر بن العاص
٢١٢	٢٣٧	رد عمرو بن العاص عليه
٢١٢	٢٣٨	مقال شرحبيل بن السمط لعمر
٢١٢	٢٣٩	خطبة أبي موسى الأشعري
٢١٢	٢٤٠	» عمرو بن العاص
٢١٣	٢٤١	» الإمام بعد التحكيم
٢١٤	٢٤٢	» الحسن بن عليّ
٢١٤	٢٤٣	» عبد الله بن عباس
٢١٥	٢٤٤	» عبد الله بن جعفر

فتنة الخوارج

٢١٥	٢٤٥	مناظرة ابن عباس لهم
٢١٧	٢٤٦	» الإمام لهم

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢١٨	٢٤٧	صورة أخرى
٢٢١	٢٤٨	مناظرة ابن عباس لهم
٢٢٢	٢٤٩	خطبة يزيد بن عاصم المحاربي
٢٢٣	٢٥٠	» عبد الله بن وهب الراسبي
٢٢٤	٢٥١	» حرقوص بن زهير السعدي
٢٢٤	٢٥٢	» حمزة بن سنان الأسدي
٢٢٤	٢٥٣	» شريح بن أوفى العبسي
٢٢٥	٢٥٤	مقال زيد بن حصين الطائي
٢٢٦	٢٥٥	خطبة الإمام في تخويف أهل النهروان
٢٢٨	٢٥٦	صورة أخرى
٢٢٩	٢٥٧	خطبة المستورد بن علفة
خور أصحاب الإمام وتقاعسهم عنه		
٢٣٠	٢٥٨	خطبة ابن عباس في أهل البصرة
٢٣١	٢٥٩	» الامام وقد أراد الانصراف من النهروان
٢٣١	٢٦٠	مقال الأشعث بن قيس
٢٣٢	٢٦١	خطبة الامام يستنفر لقتال معاوية
٢٣٣	٢٦٢	» » » » »
٢٣٤	٢٦٣	صورة أخرى
٢٣٦	٢٦٤	خطبة أبي أيوب الأنصاري
٢٣٦	٢٦٥	» الامام وقد أعار النعمان بن بشير على عين التمر
٢٣٧	٢٦٦	صورة أخرى
	٢٦٧	خطبة الإمام وقد أعار الضحاك على الخيرة
٢٨٩		» » وقد أعار سفيان بن عوف على الانبار

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة للحسن بن عليّ في يوم الجمعة	٢٦٩	٢٤٣
» معاوية وقد بلغه هلاك الأشتر	٢٧٠	٢٤٣
فتنة البصرة		٢٤٤
تسيير معاوية عبد الله بن عامر الحضرمي إليها ومقتله		٢٤٤
خطبة عبد الله بن عامر الحضرمي	٢٧١	٢٤٤
» الضحاك بن عبد الله الهلالي	٢٧٢	٢٤٥
» عبد الرحمن بن عمير القرشي	٢٧٣	٢٤٦
» زياد بن أبيه	٢٧٤	٢٤٧
» شيان الأزدي	٢٧٥	٢٤٧
» صبرة بن شيان	٢٧٦	٢٤٧
» الامام عليّ	٢٧٧	٢٤٨
» أعين بن ضبيعة	٢٧٨	٢٤٩
» جارية بن قدامة	٢٧٩	٢٥٠
» زياد	٢٨٠	٢٥٠
» أبي صبرة شيان	٢٨١	٢٥١
» صبرة بن شيان	٢٨٢	٢٥١
» خنفر الحاماني	٢٨٣	٢٥٢
صعصة بن صوحان ومعاوية	٢٨٤	٢٥٣
خطبة عبد الله بن مسعود	٢٨٥	٢٥٧
وصية دريد بن الصمة	٢٨٦	٢٥٨
» عمير بن حبيب الصحابي لبنيه	٢٨٧	٢٥٩
» قيس بن عاصم المنقري لبنيه	٢٨٨	٢٥٩
» العباس بن عبد المطاب لابنه عبد الله	٢٨٩	٢٦٠

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢٦٠	٢٩٠	خطبة أكرم بن صيفي يدعو قومه إلى الاسلام
٢٦٢	٢٩١	وصية أبي طالب لوجوه قريش عند موته
٢٦٣	٢٩٢	خطبة مالك بن نمط بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٦٤	٢٩٣	سفانة بنت حاتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٦٥	٢٩٤	خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء
٢٦٦	٢٩٥	أبو زيد الطائي يصف الأسد
٢٦٩	٢٩٦	تتمة في الحكم

بقية العصر الجاهلي

٢٧٢	٢٩٧	خطبة هاشم بن عبد مناف في قريش وخزاعة
٢٧٣	٢٩٨	منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية
٢٧٤	٢٩٩	مقال قبيصة بن نعيم لامرئ القيس بن حجر
٢٧٥	٣٠٠	رد امرئ القيس عليه
٢٧٦	٣٠١	بين مهلهل بن ربيعة ، ومرة بن ذهل الشيباني
٢٧٨	٣٠٢	مادار من الحديث بين المنذر بن النعمان الأكبر وبين عامر بن جوين الطائي
٢٨٢	٣٠٣	قيس بن رفاعه والحارث بن أبي ثمر الغساني
٢٨٣	٣٠٤	قس بن ساعدة عند قيصر
٢٨٣	٣٠٥	رواد مذحج يصفون ما ارتادوا من المراعي
٢٨٥	٣٠٦	إحدى ملكات اليمن وحاطبوها
٢٨٦	٣٠٧	خطبة عامر بن الظرب العدواني وقد خطبت ابنته
٢٨٧	٣٠٨	وصية عامر بن الظرب العدواني
٢٨٨	٣٠٩	» دويد بن زيد لبنيه
٢٨٩	٣١٠	» زهير بن جناب الكلبي
٢٩٠	٣١١	» النعمان بن ثواب العبدي لبنيه

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٢٩١	٣١٢	وصية قيس بن زهير لبني النمر بن قاسط
٢٩٢	٣١٣	نصيحة الجمالة بنت قيس بن زهير لجدّها الربيع بن زياد
٢٩٣	٣١٤	وصية حصن بن حذيفة لبنيه
٢٩٤	٣١٥	وصف عصام الكندية أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني
٢٩٦	٣١٦	وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس
٢٩٧	٣١٧	لبيد بن ربيعة يصف بقلة
٢٩٨	٣١٨	مخالس بن مزاحم ، وفاصر بن سلمة عند النعمان بن المنذر
٣٠٠	٣١٩	ضمرة بن ضمرة عند النعمان بن المنذر
٣٠١	٣٢٠	وصية لأكثم بن صيفي
٣٠٥	٣٢١	» أكثم بن صيفي لطبي
٣٠٦	٣٢٢	أمثال أكثم بن صيفي وبزر جهر الفارسي
٣١٢	٣٢٣	كلمات هند بنت الحس الأيادية

خطب الكهان

٣١٦	٣٢٤	الكاهن الخزاعي ينفر هاشم بن عبد مناف على أمية بن عبد شمس
٣١٧	٣٢٥	عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حاجر بن الحارث
٣١٨	٣٢٦	كاهن بني الحارث بن كعب يحذرهم غزو بني تميم
٣١٩	٣٢٧	أحد كهان اليمن يفصل في أمر هند بنت عتبة
٣٢٠	٣٢٨	خمسة نفر من طي* يمتحنون سواد بن قارب الدوسي
٣٢٤	٣٢٩	حديث مصاد بن مذعور القيني
٣٢٦	٣٣٠	» خنافر بن التوهم الحميري مع رثيه شصار
٣٢٨	٣٣١	شافع بن كليب الصدفي يتكهن بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
٣٢٩	٣٣٢	سطيح الذئبي يعبر رؤيا ربيعة بن نصر اللخمي
٣٣١	٣٣٣	شق أعمار يعبر رؤيا ربيعة بن نصر أيضاً

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وفود عبد المسيح بن ببيعة على سطيح	٣٣٤	٣٣٢
شق وسطيح ينبئان بأصل ثقيف	٣٣٥	٣٣٥
تنافر عبد المطلب بن هاشم والثقيفين إلى عزي سلامة الكاهن	٣٣٦	٣٣٦
ما أمر به عبد المطلب بن هاشم في منامه من حفر زمزم	٣٣٧	٣٣٨
خطب الكواهر		
الشعناء الكاهنة تصف سبعة إخوة	٣٣٨	٣٣٩
طريقة الخير تتكهن بسيل العرم ، وخراب سد مأرب	٣٣٩	٣٤٢
حديث زبراء الكاهنة مع بي رثام	٣٤٠	٣٤٧
كاهنة ذى الخلصة تتكهن بما في بطن رقية بنت جشم	٣٤١	٣٤٩
رأى سلمى الهمدانية في حريم المرادى	٣٤٢	٣٥٠
تنافر المعجفاء بنت علقمة وصواجاتها إلى الكاهنة السعدية	٣٤٣	٣٥٠
عفراء الكاهنة تعبر رؤيا مرثد بن عبد كلال	٣٤٤	٣٥٢



فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

- أ -	امرؤ القيس ٢٧٥
أبو أيوب الأنصاري ص ٢٣٦	أوس بن حارثة ٤٥
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٦٢ - ٦٣ -	- ب -
٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -	بسطام الشيباني ١٢
٧٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٧٨ - ٢٦٩	بشير بن سعد ٦٥
أبو زيد الطائي ٢٦٦	بشير بن عمرو ١٥٤
أبو زينب بن عوف ١٤٦	- ث -
أبو طالب بن عبد المطلب ٣٨ - ٢٦٢	ثابت بن قيس بن الشماس ١٠٦
أبو موسى الأشعري ١٣٠ - ١٣١ - ٢١٢	- ج -
أبو الهيثم بن التيهان ١٧٦	جارية بن قدامة ٢٥٠
الأحنف بن قيس ١١٢ - ٢٠٤ - ٢١٠	جرير بن عبد الله البجلي ١٣٨
الأشتر النخعي ١٤٣ - ١٨٢ - ١٨٣ -	جماعة بن أفلح ٣٠
١٨٤ - ٢٠٦	الجمانة بنت قيس ٢٩٢
الأشعث بن قيس الكندي ١٢ - ١٣٩ -	- ح -
٢٠٦ - ٢٣١	حاجب بن زرارة ١٣ - ٢٢
أعين بن ضبيعة ٢٤٩	الحارث بن ذيبيان ٥
أكثم بن صيفي ٢١ - ٣١ - ٤٦ - ٤٧ -	الحارث بن ظالم المزني ٢٨
٢٦٠ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١١	الحارث بن عباد ٢٣
أمامة بنت الحارث ٢٩٦	الحارث بن كعب ٤٩
أم الخير بنت الحريش ١٩٣	

— ذ —

ذو الأصبع المدواني ٤٦

ذو الكلاع الحيرى ١٦٤

— ر —

ربيع بن عامر ١١٦

— ز —

زبراء الكاهنة ٣٤٧

الزبير بن العوام ٩٨

الزرقاء بنت عدى ١٩٧

زفر بن قيس ١٢٩ - ١٣٨

زهير بن جناب الكلبي ٢٨٩

زياد بن أبيه ٢٤٧ - ٢٥٠

زياد بن كعب ١٣٩

زياد بن النضر ١٤٧

زيد بن جبلة ١١١

زيد بن حصين الطائي ١٤٦ - ٢٢٥

زيد بن صوحان ١٣٢

— س —

سبيع بن الحارث ٢

سطيح الذئبي ٣٢٩ - ٣٣٢ - ٣٣٥

سعد بن أبي وقاص ٩٩

سعد بن عبادة ٦١

سعيد بن العاص ١٢٠

الحباب بن المنذر ٦٤

حبیب بن مسلمة ١٦٠

حجر بن عدى ١٥٠

حذيفة بن بدر الفزارى ١٢

حرقوص بن زهير ٢٢٤

• حويث بن جابر ١٩٩

الحسن بن على ١٣٣ - ١٥٣ - ٢١٤ - ٢٤٣

الحسين بن على ١٥٣

حصن بن حذيفة ٢٩٢

الحصين بن المنذر ٢٠٠

حمزة بن سنان ١٢٤

حمزة بن رافع الدوسي ٣٤

— خ —

خالد بن جعفر الكلبي ٢٥

خالد بن معمر ١٨٦ - ٢٠٠

خالد بن الوليد ١١٧

خنثر بن عبدة ١٨٧

الخنساء ١٢٠

خنفر الحماي ٢٥٢

د

دريد بن الصمة ٢٥٨

دويد بن زيد ٢٨٨

- ط -

- طريف بن العاصي ٥
طريفة الكاهنة ٣٤٢
طلحة بن عبيد الله ١٢٧
طهفة بن أبي زهير النهدي ١٠٧

- ظ -

- ظبيان بن حداد ١٠٩

- ع -

- عائشة رضى الله عنها ١٢٣ - ١٢٥ -
١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٦
عامر بن جوين ٢٧٨
عامر بن الطفيل ٨ - ٢٧
عامر بن الظرب ٢٨٦ - ٢٨٧
عبد الرحمن بن الحارث ٢٠٧
عبد الرحمن بن عمير ٢٤٦
عبد الرحمن بن عوف ٩٧
عبد الله بن بديل بن ورقاء ١٤٨ - ١٧٦
عبد الله بن جعفر ٢١٥
عبد الله بن حجل ٢٠٣
عبد الله بن الزبير ١٢١
عبد الله بن عامر الحضرمي ٢٤٤
عبد الله بن عباس ١٧٤ - ٢٠٨ -
٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢١ - ٢٣٠ - ٢٧١

- سعيد بن عبيد الطائي ١٣٠
سفانة بنت حاتم ٢٦٤
سفيان بن ثور ١٩٩
سلمى الهمدانية ٣٥٠
سهل بن حنيف ١٤٢
سواد بن قارب ٣٢١
سيحان بن صوحان ١٣٣

- ش -

- شافع بن كليب الصدفي ٣٢٨
شيث بن ربيعي ١٥٥
شرحبيل بن السمط ٢١٢
شريح بن أوفى ٢٢٤
شريح بن هانيء ٢٠٩
الشعثاء الكاهنة ٣٣٩
شق أنمار ٣٣١ - ٣٣٥
شيان الأزدي ٢٤٧ - ٢٥١

- ص -

- صبرة بن شيان ٢٤٧ - ٢٥١
صمصعة بن صوحان ٢٠٣ - ٢٥٣

- ض -

- الضحاك بن عبد الله الهلالي ٢٤٥
ضمرة بن ضمرة ٣٠٠

٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -	٢٧٢ - ٢٥٧	عبد الله بن مسعود
٢٢٩ - ٢٤٩	٢٢٣	عبد الله بن وهب
٢٠٧ - ١٨١ - ١٤١	٣٣٨ - ٣١	عبد المطلب بن هاشم
٧٩ - ٦٤ - ٧٩	١١٩	عتبة بن غزوان
٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٨٦ -	٢٠٠	عثمان بن حنيف
٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ -	١٠٠ - ٩٨	عثمان بن عفان رضي الله عنه
٩٣ - ٩٥ - ٢٧٠	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ٢٧١	عجفاء بنت علقمة
١٠٦ عمرو بن الأهثم	٣٥٠	عدي بن حاتم
٢٠٦ - ١٤٩ عمرو بن الحقيق	١٢٨ - ١٤٥ - ١٥٦ - ٢٠٢ - ٢٠٥	عري سلمة
٢٤ عمرو بن الشريد	٣٣٦	عصام الكندي
٢١٢ - ٢١١ - ١٦٣ - ١٦٢ عمرو بن العاص	٢٩٤	عطارد بن حاجب بن زرارعة
٤٨ - ٣٧ عمرو بن كلثوم	٣٥٢	غفيرا الكاهنة
٢٨ عمرو بن معديكرب الزبيدي	١٨٧	عقبة بن حديد النمرى
٢٥٩ عمير بن حبيب	١٩١	عكرشة بنت الأطرش
٢٠٥ عمير بن عطارد	٢٥ - ٨	علقمة بن علاثة
٣١٧ عوف بن ربيعة الأسدي	على بن أبى طالب كرم الله وجهه	٩٩ - ١٣٦ - ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٤ -
— ق —	١٤٩ - ١٥٢ - ١٦١ - ١٦٩ - ١٧٠ -	١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ -
٢٩٨ فاصر بن مسامة	١٨٥ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢١٣ - ٢١٧ -	٢١٨ - ٢٢٨ - ٢٣١ - ٢٣٢ -
٢٧٤ قبيصة بن نعيم		
٢٨٣ - ٣٥ قس بن ساعدة		
١٣٤ - ١٣٢ القعقاع بن عمرو		
٤٣ قيس بن خفاف البرجمي		
٢٨٢ قيس بن رفاعة		

مصاد بن مذعور القيني ٣٢٤
معاوية بن أبي سفيان ١٥٥ - ١٥٦ -
١٥٧ - ١٦٣ - ١٨٨ - ٢١١ - ٢٤٣
المغيرة بن زرارة ١١٥
المغيرة بن شعبة ١١٧
الملبب بن عوف ٣٠
المنذر بن الجارود ٢٠٤
ميثم بن مثوب ٣

— ن —

النعمان بن بشير ١٨٩
النعمان بن ثواب العبدى ٢٩٠
النعمان بن مقرن ١١٤
النعمان بن المنذر ١٦ - ٢٧٨
نقيل بن عبد العزى ٢٧٣

— ه —

هاشم بن عبد مناف ٣٢ - ٢٧٢
هاشم بن عتبة ١٤٠ - ١٥٠ - ١٨٠
هاني بن قبيصة الشيباني ٣٧
هلال بن بشر ١١١
هند بنت الحس الإيادية ٣١٢

— ي —

يزيد بن أسد البجلي ١٦٧
يزيد بن عاصم الحارثي ٢٢٢٠
يزيد بن قيس ١٤٧ - ١٥٧ - ١٧٩

تم فهرس أعلام الخطباء

قيس بن زهير ٢٩١
قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ - ١٩٠
قيس بن عاصم السعدى ١٤
قيس بن عاصم المنقرى ٢٥٩
قيس بن مسعود الشيباني ٢٦

— ل —

كاهن بنى الحارث بن كعب ٣١٨
كاهنة ذى الخلصة ٣٤٩
الكاهن الخزاعي ٣١٦
الكاهن النبي ٣١٩
كردوس بن هاني ١٩٩
كعب بن لؤى ٣٣

— ل —

لبيد بن ربيعة ٢٩٧

— م —

المأمون الحارثي ٣٦
مالك بن النبط ٢٦٣
المثنى بن حارثة الشيباني ٨٨
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -
٥٦ - ٦٧ - ٦٠ - ١٠٨ - ٢٦٥
مخالس بن مزاحم ٢٩٨
مرة بن ذهل ٢٧٦
مرثد الخير ٥٢ - ٥٤
المستورد بن علفة ٢٢٩

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
الرَّحَاب	الرَّحَاب	٨	٧
نَكَدُ	نَكَدِ	١٢	٩
رَجَالُهَا	رَجَالَهَا	٩	١٢
لَغِيَاث	لَغِيَاث	١٦	١٢
تُنَازِع	تَنَازِع	٦	١٦
أُمَّة	أُمَّة	٨	١٦
وَجَنَّتُهُمْ ، وَعَدَّتُهُمْ	وَجَنَّتُهُمْ ، وَعَدَّتُهُمْ	١٣	١٦
وَأُصُولُهَا	وَأُصُولُهَا	١٨	١٦
الذَّاقَةُ الْمُسْنَةُ	الذَّاقَةُ : الْمُسْنَةُ	١ ١/٨	١٧
تَخْفَرُ	تَخْفَرُ	٣	١٨
كَلَّ	كَلَّ	١١	٢٠
شَرَّ	شَرَّ	٢	٢٢
وَأَتْرَكَ	وَأَتْرَكَ	٦	٢٤
وَيَسْتَطَابُ	وَيَسْتَطَابُ	١٦	٢٤
يَعْرِضُ	يَعْرِضُ	٥	٢٧
تَفْجَأُ	تَفْجَأُ	١٠	٣٠
الْحَرِيصُ	الْحَرِيصُ	١١	٣٤
الْأَيْرُ	الْأَيْرُ	١	٣٧

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٣	الثائرة	الذائرة
٥٠	٨	الدعة	الرعة (١)
٥٥	٣	الضعيف	الضعف
٦٨	٩	استعطتم	استطعتم
٨٧	٩	اتقصه	اتقصه
٩٤	٩	الطلائع	الطلائع
١٥٠	٨	وأهها	وأهلها
١٥٠	١٠	وأزمتنا	وأزمتنا
١٥٠	١٢	اكل	اكل
١٨٠	٩	عقبة	عتبة
١٩٧	١	حتم	حتم
١٩٨	٦	أعجب	أعجب
٢٠٤	١	فأسر	فأسر
٢٤٠	٢	على	على
٢٦٧	١٦	الغلل : العطش أو شدته الخ	الغلل : الماء الذي يجرى بين الشجر

[١] يقال : هو حسن الرعة والتورع ، أى حسن الطريقة .

To: www.al-mostafa.com

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

فِي عَصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

الشيخ الثاني

العصر الأموي

تأليف

ایمڈز کی صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

كل الحقوق محفوظة

بشرطیہ : محمد امین عثمان

إِنْ شَاءَ اللَّهُ

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبدأ بحمدك اللهم على ما أوليتني من جزيل تفضلتك ، ومزيد تطولك ، وأصلى
وأسلم على رسولك الأمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
وبعد : فهذه « الجزء الثانى - من جمهرة خطب العرب » أصدره حاوياً
ما وصل إلينا من خطب العصر الأموى ووصاياه ، وما دار بمجالس الخلفاء
والأمراء والرؤساء من حوار ومجاوبة ، وهو كما ستراه أحفل أجزاء الكتاب
الثلاثة ، وأغزرها مادة ، لتوافر دواعى الخطابة فى هذا العصر ، وتفاق سوقها .
وقد نهجت فيه نهجى فى سالفه ، من التوفيق بين الروايات ، وتحرير
الألفاظ وضبطها وشرحها ، والتعليق عليها بما يعيط اللثام عن خفايا مراميها ،
وغوامض مغازيها ، فجاء بحمده تعالى وافياً مرضياً ، والله نسأل أن يكلاًنا
برعايته ، وأن يمنّ علينا بالتوفيق للعمل الصالح ، إنه خير مرتجى ، فنعم المولى
ونعم النصير مـ

أحمد زكى صفوت

حرر بالقاهرة فى رجب سنة ١٣٥٢
نوفبر سنة ١٩٣٣

فهرس مأخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهاني : « الثانى - السابع - الثالث عشر -
الخامس عشر - السابع عشر - الثامن
عشر - العشرون - الحادى والعشرون
صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - التاسع
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « الخامس - السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
المقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث
البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث
نهج البلاغة : للشريف الرضى : « الأول
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول
جمهرة الأمثال ، لأبى هلال العسكري : « الأول
مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الأول - الثانى
تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « السادس - السابع - الثامن - التاسع
تاريخ الكامل : لابن الأثير : « الثالث - الرابع
مروج الذهب : للمسعودى : الجزء الثانى

الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : الجزء الأول - الثاني
معجم البلدان : لياقوت الحموي : « الثالث
أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير : « الثالث
النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة : « الأول
لابن تغري بردى :

وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثاني
معاهد التنصيص : لعبد الرحيم العباسي : « الأول -
نفح الطيب ، المقرئ : « الأول
بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
مواسم الأدب : للسيد جعفر بن السيد : « الثاني
محمد البيهقي العلوي

سيرة عمر بن عبد العزيز : لأبى الفرج بن الجوزى .
» » » » : لابن عبد الحكم

شرح العيون : شرح رسالة ابن زيدون : لابن نباتة المصرى
أنباء نجباء الأنباء : لابن ظفر المكي
الحسن البصرى : لابن الجوزى
الفخرى : لابن طباطبا

بلاغات النساء : لابن أبى طاهر طيفور
دستور معالم الحكم : للقضاعى
إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى
المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى
مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٠	٨	بر	بر
٤٧	٢٠	البراءة من على له	البراءة من على واللعن له
٩٣	٥	لا يفل	لا يفل
١١٥	٤	القارة	القارة
١٢٢	٢	آخى	أخى
١٢٤	١١	مثلكم	مثلكم
١٤١	١١	شهرت	شهرت
١٤٢	١٥	يرثى	يرثى
١٥٥	٢٠	رفق	رنق
١٦٢	١	وصلى نبيه	وصلى على نبيه
٢٠٨	١٠	بإحياء	بإحياء
٢١٩	٩	وولى	وولى
٢٥٤	٢٠	جماعة	حمامة
٢٦٤	١١	زياداً	زياد
٢٦٤	١٤	معرتنا	معرتنا
٢٦٩	١٣	يها	بها
٢٦٩	٢٤	بين بين	بين
٢٧٠	٣	خاتم	خاتم

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٧١	١١	باللرجال	باللرجال
٢٨٥	١٧	محمد وأخيه	محمد أخيه
٣٠٣	١٥	فُضُول	فُضُول
٣١١	١٢	تُجَمَّرُوا	تُجَمَّرُوا
٣٢٩	١	الْقَرْيَّة	الْقَرْيَّة
٣٥٥	٥	بيدك	بيد
٣٦٠	٧	الحروبُ	الحروبَ
٣٦٥	٧	عَرَضَتَانِي	عَرَضَتَانِي
٣٦٧	٥	يَا لِلرَّجَالِ	يَا لِلرَّجَالِ
٣٩٢	١٧	تُوبَة	تَوْبَة
٣٩٧	١	جحرها	حجرها
٤١٢	٤	أُمِيَة	أُمِيَة
٤١٥	٩	أُمِيَة	أُمِيَة
٤١٦	٨	غَلَامًا	غَلَامًا
٤١٦	١٦	أُمِيَة	أُمِيَة
٤٢٤	١٥	جِبْهَة	جِهَة
٤٤٥	١٣	لَا يَرَوْنَ	لَا يَرَوْنَ
٤٤٨	١٤	الثروية	التروية

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٦٢	٣	فِي ظُلُمَتِهَا	فِي ظُلُمَتِهَا
٤٦٧	٧	حَسَنَاتِهِمْ	حَسَنَاتِهِمْ
٤٧٧	٨	بِشكَايَتِهِ	بِشكَايَتِهِ
٤٨٨	٩	شَاعَت	شَاعَت



الباب الثالث

الخطبة الوصايا

في

العصر الأموي

خطب بنى هاشم وشيعتهم وما يتصل بها

١ - خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه (١)

خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة أبيه فنعاها فقال :

« لقد قتلت الليلة رجلا في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفِعَ عيسى بن مريم

عليه السلام ، وفيها قتل يوشع بن نون ، فتى موسى عليهما السلام ، والله ما سبقه

أحدٌ كان قبله ، ولا يُذكره أحد يكون بعده ، والله إن كان رسول الله صلى الله

[١] في السنين لابن الأثير (٣ : ١٩٧) أن الحسن بن علي توفي سنة ٤٩ هـ وفي ابن أبي الحديد (م : ٤ ص ٤) أنه توفي سنة ٥٠ هـ وفي الإمامة والسياسة (١ : ١٢٧) أنه توفي سنة ٥١ هـ .

عليه وسلم ليعثه في السَّريَّة^(١) ، وجبريلُ عن يمينه ، وميكائيلُ عن يساره ، والله ! ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ، ثم خنقته العبرة فبكى ، وبكى الناس معه ، ثم قال :

« أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، أنا من أهل البيت ، الذين أذهب الله عنهم الرجس^(٢) وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : « وَمَنْ يَتَّقِرْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا » ، فاقرافُ الحسنة مودتنا أهل البيت . »

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة ، قام عبيد الله بن العباس بين يديه ، فدعا الناس إلى بيعته ، فاستجابوا وقالوا ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة ! فبايعوه ثم نزل من المنبر .

(تاريخ الطبري ٦ : ٩١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ ص ١١ ، والعقد العربد ٢ : ٦)

تعبثته الجيوش لقتال معاوية

سار معاوية بجيوشه فاصداً إلى العراق ، وبلغ الحسن خبره ، ومسيره نحوه ، فأمر بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى : الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يشوبون ويجمعون ، فخرج الحسن ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

٢ — خطبة الحسن بن عليٍّ في الحثِّ على الجهاد

أما بعد : فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كُرْهاً^(٣) ، ثم قال لأهل

[١] السرية من خمسة أناس إلى ثلثمائة أو أربعمائة . [٢] الرجس : العذر والمأثم ، وكل ما استغندر من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .

[٣] يشير إلى قوله تعالى « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ »

الجهاد من المؤمنين : « أَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » فاستم إليها الناس نائمين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ، بلغنى أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه ، فتحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وترى » - وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له - فسكتوا ، فما تكلم منهم أحد ، ولا أجابه بحرف ، فلما رأى ذلك عدى بن حاتم ، قام فقال :

٣ — مقال عدى بن حاتم

« أنا ابن حاتم ، سبحان الله ! ما أقبح هذا المقام ! لا تُجيبون إمامكم ، وابن بنت نبيكم ! أين خطباء مُضَرَّ الذين أَلْسِنَتْهُمْ كَلَمَخَارِيقَ فِي الدَّعَةِ ^(١) ، فإذا جَدَّ الْجِدُّ فَرَوَّاغُونَ كَالثَّعَالِبِ ، أما تخافون مقت الله ! وَلَا عَيْبَهَا وَعَارَهَا ^(٢) ! » . ثم استقبل الحسن بوجهه فقال : « أصحاب الله بك المرشد ، وجَنَّبَكَ المكاره ، ووفَّقَكَ لما تحمد وروده وصدوره ، قد سَمِعْنَا مَقَالَاتِكَ ، وَاثْبَهْنَا إِلَى أَمْرٍ ، وسمِعْنَا لَكَ ، وَأَطَعْنَاكَ فِيمَا قُلْتَ وَمَا رَأَيْتَ ، وَهَذَا وَجْهِي إِلَى مَعْسَكِرِي . فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤَافِقَنِي فليؤَافِ » ثم مضى لوجهه ، إلى النخيلة .

وقام ثلاثة آخرون من أصحاب الحسن ، فَأَنْبَأُوا النَّاسَ وَلَا مَوْهَمَ وَحَرَضَوْهُمْ . وكلوا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم ، فقال لهم : صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرِّفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ، ثم تزل ، وخرج الناس فعسكروا ونشيطوا للخروج ، وسار الحسن في عسكر عظيم ، وعدة حسنة .

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٤)

[١] جمع محراق بالكسر : السيف (وهو أيضاً المنديل ياف ليضرب به) وفي الدعاء : أى و وقف الدعاء : أى الحفض والسلم . [٢] أى عار فملتكم هذه : وهى تناصهم عن إجابة الحسن إلى مادعاهم إليه ، وفى الأصل : « وعاريتها » وأراه محرّفاً إذ العارة هى العارية ولا معنى لها .

٤ — خطبة الحسن وقد جنح إلى مصالحة معاوية

ثم نزل الحسن ساباط^(١) ، فلما أصبح نادى فى الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر ، فخطبهم فقال :

« الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أرسله بالحق ، وأتمنه على الوحى ، صلى الله عليه وآله ، أما بعد ، فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خاقه لخاقه ، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة^(٢) ، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة . ألا وإنى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله » ثم نزل . فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا نظنه يريد أن يصالح معاوية ويكل الأمر إليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه ، حتى أخذوا مَصَلَّاه من تحته ، وشد عليه بعضهم ، فنزع مُطْرَفَه^(٣) عن عاتقه ، فبقى جالسا متقلدا سيفا بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحرق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراد ، ولا موه وضَّعَفوه لما تكلم .

فلما مرَّ فى مُظْلِم^(٤) ساباط ، قام إليه رجل من بنى أسد يقال له جَرَّاح بن سِنان ، ويده مِعْوَل^(٥) ، فأخذ بلجام فرسه وقال : الله أكبر يا حسن ! أشرك أبوك ،

[١] ساباط كسرى بالمدائن . [٢] المائلة : الشر والفساد والدامية . [٣] رداء من خز مربع ذو أعلام . [٤] مظلم مضاف إلى ساباط التى قرب المدائن : موضع هناك . [٥] المعول : الفأس العظيمة التى يقر بها الصخر ،

ثم أشركت أنت ! وطعنه بالمعول ، فوقعت في فخذه فشقته ، حتى بلغت أُرَيْيَّةَ^(١) ،
وسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه بسيف كان بيده واعتنقه
نخرا جميعاً إلى الأرض . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٤)

٥ — خطبته يبرر مصالحته لمعاوية

لما رأى الحسن رضى الله عنه تفرق الأمر عنه ، بعث إلى معاوية يطلب
الصلح ، فبعث معاوية إليه رسولين ، قدما عليه بالمداين ، فأعطياه ما أراد ،
وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف - في أشياء
اشتراطها - ثم قام الحسن في أهل العراق فقال :

« يا أهل العراق ، إنه سخى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى ، وطعنك

إيائى ، وانتهابكم متاعى » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٩٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٥٣)

٦ — خطبته في الصلح بينه وبين معاوية

وقدم معاوية الكوفة لإيقاد الصلح بينه وبين الحسن (سنة ٤١ هـ) ،
وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة ، فدكلم معاوية ، وأمره أن يأمر
الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال ما تريد إلى أن
أخطب الناس ؟ فقال عمرو : لكنى أريد أن يبدو عيئه للناس^(٢) ، فلم يزل عمرو
بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم نادى الحسن ، فقال :
يا حسن فكلم الناس ، فتشهد في بديهة أمر لم يُرو فيه ، ثم قال :

[١] الأريسة : أصل الفخذ . [٢] روى أبو الفرج الاصبهاني أنه كان في لسان الحسن نعل

أخيه (شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ١١) .

« أما بعد أيها الناس : فإن الله قد هدى أولكم بأولنا ، وَحَقَّنَ دماءكم بآخرنا ، وكانت لى فى رقابكم بيعةٌ ، تحاربون من حاربتُ ، وتسالمون من سالمْتُ ، وفد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دُول ، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » وأشار إلى معاوية ، فلما قالها قَوْل معاوية اجلس ، فلم يزل ضَرِمًا ^(١) على عمرو ، وقال هذا من رأيك » ولحق الحسن بالمدينة .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٩٣ ، ومروج الذهب ٢ : ٥٣ ، والامامة والسياسة ١ : ١٢٠ ،
وأبناء نبينا ، الأبناء ، ص ٥٦)

٧ — خطبة له بعد الصلح

روى المدائنى قال : سأل معاوية الحسن بن علىّ رضى الله عنه بعد الصلح أن يخطب الناس ، فامتنع ، فناشده أن يفعل ، فوضع له كرسى فجلس عليه ، ثم قال : « الحمد لله الذى توحد فى ملكه ، وتفرد فى ربوبيته ، يُؤثّقى الملك من يشاء ، وينزع عمن يشاء : والحمد لله أكرم بنا مؤمنكم ، وأخرج من الشرك أولكم ، وَحَقَّنَ دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء ^(٢) ، إن شكرتم أو كفرتم . أيها الناس : إن ربّ علىّ كان أعلم بعلى حين قبضه إليه ، ولقد اختصه بفضل لم تعتدوا مثله ، ولم تجدوا مثل سابقته ، فهيها تهيها ت ، طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم ، وهو صاحبكم وعدوكم فى بدرو أخواتها ، جرّعكم رَنَقًا ^(٣) ، وسَقاكم عَلَقًا ^(٤) ، وأذلّ رقابكم ، وأشرقكم برّيقكم ، فلستم بملومين

[١] صرم عليه كفرح اخدم غضبا فهو صرم . [٢] البلاء يكون منحة ويكون محنة ، وهو هنا

بالمعى الأول . [٣] ماء رقيق : كعدل وكتف وجبل كدر .

[٤] العلق : الدم ودوية فى الماء تسمى الدم .

على بغضه ، وإيم الله لا ترى أمةً محمد خَفَضًا ما كَانَتْ ساداتهم وقادِثُهم بنى أُمّية ،
ولقد وجه الله إليكم فتنَةً لَنْ تَصْدُرُوا عنها حتى تَهْلِكُوا ، لطاعتكم طواغيتكم ^(١) ،
وانضوائكم ^(٢) إلى شياطينكم ، فعند الله اُخْتَسِبَ ما مضى ، وما ينتظر من سوء
دَعَتكم ، وَحَيْفٌ ^(٣) حَكَمكم ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة لقد فارقتكم بالأمس سهم من مراعى الله ، صائب على أعداء
الله ، نَكَالٌ عَلَى جُفَّارٍ قَرِيش ، لم يزل آخِذًا بجناجرها ، جاثمًا على أنفاسها ، ليس
بالملومة في أمر الله ، ولا بالسُرُوقَةِ لِمَالِ الله ، ولا بالفِرْوَقةِ ^(٤) في حرب أعداء
الله ، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فأجابته ، وقاده فاتبعه ، لا تأخذه في
الله لومة لأئم ، فصلوات الله عليه ورحمته » ثم نزل .

فقال معاوية : أخطأ عَجَلٌ أَوْ كَادَ ، وأصاب متثبت أَوْ كَادَ ، ماذا أردت

من خطبة الحسن ؟ (شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٠)

٨ — خطبة لمعاوية في أهل الكوفة

وروى المدائني قال : خرج على معاوية قومٌ من الخوارج بعد دخوله
الكوفة وَصَلَحَ الحَسَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَرْسَلَ معاوية إلى الحسن يسأله أَنْ
يُخْرِجَ ، فيقاتل الخوارج ، فقال الحسن : سُبْحَانَ اللهِ ! تَرَكْتُ قِتَالَكَ - وهو
لى حلال - لِصَلَاحِ الأَمَةِ وَالْفَتْهِمِ ، أَفْتَرَانِي أَقَاتِلُ مَعَكَ ؟ نَخْطُبُ معاوية أهل
الكوفة فقال :

[١] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال . [٢] انضمامكم .

الحيف : الظلم : [٤] الفروق والفروقة : شديد الفزع .

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَتَرَانِي ، قَاتَلْتُمْ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنْكُمْ تَصَلُّونَ وَتُزَكُّونَ وَتُحْجُّونَ ، وَلَكِنِّي قَاتَلْتُمْ لَا تَأْمُرُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى رِقَابِكُمْ ، وَقَدْ آتَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ ، أَلَا إِنْ كُلُّ مَالٍ أَوْدَمَ أَصِيبَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ فَمَطْلُولٌ ، وَكُلُّ شَرْطٍ شَرَطْتُهُ فَتَحْتَ قَدَمِيَّ هَاتَيْنِ ، وَلَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا ثَلَاثٌ : إِخْرَاجُ الْعِطَاءِ عِنْدَ مَحَلِّهِ ، وَإِقْفَالُ ^(١) الْجُنُودِ لَوَقْتِهَا ، وَغَزْوُ الْعَدُوِّ فِي دَارِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ تَغْزُوهُمْ غَزَوْكُمْ » ثُمَّ نَزَلَ . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ٦)

٩ — رَدُّ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى مُعَاوِيَةَ حِينَ نَالَ مِنْهُ وَمَنْ أَيْبَهُ

وخطب معاوية بالكوفة حين دخلها ، والحسن والحسين رضي الله عنهما جالسان تحت المنبر ، فذكر علياً عليه السلام . فقال منه ثم نال من الحسن ، فقام الحسين ليرد عليه ، فأخذ الحسن بيده فأجلسه ، ثم قام فقال : « أَيُّهَا الذَّاكِرُ عَلِيًّا : أَنَا الْحَسَنُ ، وَأَبِي عَلِيٌّ ، وَأَنْتَ مُعَاوِيَةُ ، وَأَبُوكَ صَخْرٌ ، وَأُمِّي فَاطِمَةُ ، وَأُمُّكَ هِنْدٌ ، وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَدُّكَ عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَجَدَّتِي خَدِيجَةُ ، وَجَدَّتُكَ مُتَيْلَةَ ، فَلَعَنَ اللَّهُ أَخْلَانَا ذَكَرًا ، وَالْأُمْنَا حَسَبًا ، وَشَرْنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَقْدَمْنَا كُفْرًا وَتَفَاقًا »

فقال طوائف من أهل المسجد آمين . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ١٦)

١٠ — خُطْبَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ فِي اسْتِنْكَارِ الصَّلَاحِ

وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق ، وانصرف راجعاً إلى الشام ، أتى سليمان بن صُرَدٍ - وَكَانَ غَائِبًا عَنِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ سَيِّدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَرَأْسَهُمْ -

فدخل على الحسن فقال : السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين ، فقال وعليك السلام ،
اجلس لله أبوك ، جلس سليمان ، ثم قال :

« أما بعد : فَإِنْ تَعَجَّبْنَا لَا يَنْقُضِي مِنْ بَيْعَتِكَ مَعَاوِيَةَ ، وَمَعَكَ مِائَةُ أَلْفٍ
مُقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَكُلُّهُمْ يَأْخُذُ الْعَطَاءَ ، مَعَ ثَلَاثِهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ ،
سِوَى شِيعَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ ، ثُمَّ لَمْ تَأْخُذْ لِنَفْسِكَ بَقِيَّةً فِي الْعَهْدِ ،
وَلَا حَظًّا مِنَ الْقَضِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ ، وَأَعْطَاكَ مَا أَعْطَاكَ بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، كُنْتَ كَتَبْتَ عَلَيْكَ بِذَلِكَ كِتَابًا ، وَأَشْهَدْتَ عَلَيْهِ
شُهُودًا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَكَ مِنْ بَعْدِهِ ، كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْنَا
أَيْسَرَ ، وَلَكِنَّهُ أَعْطَاكَ هَذَا ، فَرَضَيْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَزَعَمَ عَلَى رِءُوسِ
النَّاسِ مَا قَدْ سَمِعْتَ : إِنِّي كُنْتُ شَرَطْتُ لِقَوْمٍ شُرُوطًا . وَوَعَدْتُهُمْ عِدَاتٍ ،
وَمِنْهُمْ أَمَانِي ، إِرَادَةَ إِطْفَاءِ نَارِ الْحَرْبِ ، وَمُدَارَاةَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ ، إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَنَا كَلِمَتَنَا
وَأَلْفَتَنَا ، فَإِنْ كُلُّ مَا هُنَاكَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ . وَوَاللَّهِ مَا عَنَى بِذَلِكَ إِلَّا نَقْضَ
مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَأَعِدَّ الْحَرْبَ جَذْعَةً ^(١) ، وَأُذِنَ لِي أَشْخَصَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَأُخْرِجَ
عَامِلَهُ مِنْهَا ، وَأُظْهِرَ فِيهَا خَلْعَهُ ، وَأَنْبِذَ إِلَيْهِ ^(٢) عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ » .

ثم سكوت ، فتكلم كلٌّ من حضر مجلسه بمثل مقالته ، وكلهم يقول : ابعت سليمان
ابن سرد وابعثنا معه ، ثم الحقنا إذا علمت أننا قد أشخصنا عامله ، وأظهرنا خلعَه .

(الإمامه والسياسة ١ : ١٢٠)

[١] هي في الأصل خدعة ، وصوابها جذعة : أي فيه . [٢] . معناه إذا هادنت قوما ، فعلت منهم
النقض للعهد ، فلا توقع بهم سائبا إلى النقض ، حتى تعلمهم أنك بعصت العهد ، تكونوا في علم النقض مستوين ،
ثم أوقع بهم .

١١ - خطبة الحسن يرد على مستنكرى الصالح

فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال :

« أما بعد فإنكم شيعتنا وأهل مودتنا ، ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا ، وقد فهمت ما ذكرتم ، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا ، وللدنيا أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأأس مني وأشد شكيمة ، ولما كان رأيي غير ما رأيتم ، لكني أشهد الله وإياكم أني لم أريد بما رأيتم إلا حقن دماءكم ، وإصلاح ذات بينكم ، فاتقوا الله ، وارضوا بقضاء الله ، وساموا لأمر الله ، والزموا بيوتكم ، وكفوا أيديكم ، حتى يستريح برّ ، أو يستراح من فاجر ، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سيأتي الأمر ، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر^(١) ، إن الله لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وأما قولك يا مُذِلّ المؤمنين ، فوالله لأن تذلوا وتعافوا أحب إلى من أن تعزّوا وتقتلوا ، فإن ردّ الله علينا حقنا في عافية ، قبلنا وسألنا الله العون على أمره ، وإن صرّفه عنا رضيينا وسألنا الله أن يبارك في صرّفه عنا ، فليكن كل رجل منكم حليساً^(٢) من أحلاس بيته ، مادام معاوية حياً ، فإن يهلك ، ونحن وأنتم أحياء ، سألنا الله العزيمة على رشدنا ، والمعونة على أمرنا ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا : فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ »

(الإمامة والسياسة ١ : ١٢٠)

١٢ - خطبة له في عهد خلافته

ومن خطبه رضى الله عنه في أيامه في بعض مقاماته أنه قال :

[١] يفل . [٢] الحلس بساط البت ، وفلان حلس من أحلاس البيت : للذي لا يبرح البيت ، وفي الحديث : « في الفتنة كن حليساً من أحلاس بينك حتى تأتيك يد خاطئة ، أو منية قاضية » أى لا تبرح

« نحن حزب الله المفلحون ، وَعِترَةُ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون ، أهل بيته الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين ^(٢) اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثاني كتاب الله ، فيه تفصيل كل شيء : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول عليه في كل شيء ، لا يُخْطِئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا ، فأطاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة ^(٣) : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » « وَلَوْ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ أَعْلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » ، وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فتكونون كأولياءه الذين قال لهم : « لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ » ، فلمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ » فَتَلْقَوْنَ الرَّمْحَ أَزْرًا ^(٤) ، وللسيوف جَزْرًا ^(٥) ، وَلِلْعُمُدِ حِطًّا ، وللسهام غَرَضًا ، ثم : لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا .

(مروج الذهب ٢ : ٥٣)

[١] العترة : رهط الرجل وعشيرته الأدنون . [٢] الثقل : كل شيء عس موصون ، وفي الحديث « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » .

[٣] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .

[٤] الأزر : جمع إزار وهو اللبغة وكل ما وارك وسترك : أي فكونون أجربة للرمح تعيب في أبدانكم وتستر ، أو هو الأزر بفتح فسكون وهو الطهر : أي تركبكم الزماح وتعلوكم ، والمراد تقطنون وتضربون بها والأول أوجه . [٥] أي قطعاً .

[٦] عمد بهتئين ، وعمد بضمين : جمع عمود ، وهي من الآلات التي كانت تسعمل في القتال .

١٣ — خطبة أخرى له

ومن خطبه رضى الله عنه :

« اعلموا أن الحلم زين ، والوقار مودة ، والصلة نعمة ، والإكثار صلف ^(١) والعجلة سفة ، والسفة ضعف ، والقلق ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شين ومخالطة أهل الفسوق ريبة » . (صبح الأعشى ١ : ٢١٥)

مخاصمة ومهاجاة

بين الحسن بن علي ، وبين عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ،
وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة بحضرة معاوية

قال ابن أبي الحديد : روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات قال :
« اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ،
وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليه
السلام قوارص ^(٢) ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا يا أمير المؤمنين ، إن الحسن
قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصّدق ، وأمر فأطيع ، وخفقت ^(٣) له النعال ،
وإن ذلك كرافعه إلى ما هو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوئنا . قال
معاوية فما تريدون ؟ قالوا ابعث إليه فليحضر لنفسه ونسب أباه ونعيّره ونوبّخه
ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك ، ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من

[١] الصلف : التكلم بما يكرهه صاحبه والتمدح بما ليس عندك أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا . [٢] القوارص من الكلام التي تنفصك وتؤلمك . [٣] الحق صوت النعل .

ذلك . قال معاوية إني لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين
لَتَفْعَلَنَّ ، فقال ويحكم لا تفعلوا ، فوالله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفت مقامه
وعيبه لي ، قالوا ابعت إليه على كل حال . قال إن بعثت إليه لأنصفه منكم ، فقال
عمر بن العاص : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا ، أو يُرَبِّي قولة على قولنا ؟ قال
معاوية : أما إني إن بعثت إليه لآمرته أن يتكلم بلسانه كله . قالوا مره بذلك ،
قال : أما إذا عصيتُموني وبعثتم إليه وأبستم إلا ذلك ، فلا تَمَرَّضُوا^(١) له في القول ،
واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقفوه بحجره ،
تقولون له إن أباك قتل عثمان ، وَكَرِهَ خلافة الخلفاء من قبله ، فبعث إليه معاوية ،
فجاءه رسوله ، فقال إن أمير المؤمنين يدعوك . قال : من عنده ؟ فسماهم ، فقال
الحسن عليه السلام ما لهم ؟ خَرَّ عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون ، ثم قال : يا جارية ابغيني ثيابي ، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم ،
أدراً^(٢) بك في نحورهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفنيهم كيف شئت ، وأني
كُنتُ بِحَوْلٍ منك وقوة ، يا أرحم الراحمين ، ثم قام ، فلما دخل على معاوية أعظمه
كرمه ، وأجلسه إلى جانبه ، وقد ارتاد^(٣) القوم ، وخطرُوا^(٤) خَطَرَانِ الفحول ،
بيك في أنفسهم وعُلُوا ، ثم قال : يا أبا محمد ، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ، فقال
لحسن عليه السلام : سبحان الله ! الدار دارك ، والإذن فيها إليك ، والله
ن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم ، إني لأستحيي لك من الفُحْشِ ،

[١] تمرض : ضعف في أمره . [٢] أدفع . [٣] الارتداد : الذهاب والمجيء .

[٤] خطر الرجل في مشيته : رفع يديه ووضعهما واهتز وتبخر وخطر بسيفه ورمحه : رفعه مرة
ووضعه أخرى خطراً (بالتحريك) وخطر الفعل بذنبه : ضرب به يميناً وشمالاً .

وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف ، فأَيُّهُمَا تُقِرُّ وَأَيُّهُمَا تُنْكِرُ؟ أما إني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب ، ومالي أن أكون مستوحشاً منك أو منهم؟ إن وليي الله وهو يتولى الصالحين ، فقال معاوية : يا هـذا إني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ، وإن لك منهم النصف^(١) ومنى ، وإنما دعوناك لنقرررك أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ، وأن أباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبههم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك ، فتكلم عمرو بن العاص :

١٤ — مقال عمرو بن العاص

فحمد الله وصلى على رسوله ﷺ ثم ذكر علياً عليه السلام ، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال إنه شتم أبا بكر ، وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرهاً ، وشرك في دم عمر ، وقتل عثمان ظالماً ، وادّعى من الخلافة ما ليس له ، ثم ذكر الفتنة يعيّر بها ، وأضاف إليه مساوى ، وقال : إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك ، على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك ، وإتيانكم ما لا يحل ، ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، وتركك أحق قريش ، يُسخر منك ، ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك ، وإنما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا أمره ، وأما أنت فإنك في أيدينا ، نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ؟

فإن كنت ترى أنا كذّابنا في شيء ، فاردده علينا فيما قلنا ، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان .

١٥ — مقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال :

« يا بني هاشم : إنكم كنتم أخوال عثمان ، فنعم الولدُ كان لكم ، فعرف حقكم ، وكنتم أصهاره ، فنعم الصهرُ كان لكم يُكرمكم ، فكنتم أول من حسده ، فقتله أبوك ظلماً ، لا عذر له ولا حجة ، فكيف ترون الله طلب بدمه ، وأنزلكم منزلتكم ، والله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية ، وإن معاوية خير لك من نفسك .

١٦ — مقال عتبة بن أبي سفيان

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال :

« يا حسن : كان أبوك شرّ قريش لقريش ، لسفكِهِ لدمائِها ، وقطعِهِ لأرحامِها ، طويلَ السيف واللسان ، يقتل الحى ويعيب الميت ، وإنك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به ، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها ^(١) قادحاً ، ولا في ميزانها راجحاً ، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ، وإن في الحق أن تقتلك وأخاك به . فأما أبوك فقد كفانا الله أمره ، وأقاد ^(٢) منه ، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان .

١٧ — مقال المغيرة بن شعبة

ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، فشمع عليا وقال : والله ما أعيبه في قضية يخون ، ولا في حكم يعيل ، ولكنه قتل عثمان ، ثم سكتوا .

[١] الزند : العود الذي يقدح به النار . [٢] أباد القاتل بالقتيل : قتله به .

١٨ - رد الحسن بن عليّ عليهم

فتكلم الحسن بن عليّ عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

« أما بعد يامعاوية ، فما هؤلاء شتموني ، ولكنك شتمتني ، فحُشاً ألفتُهُ ، وسوء رأى عُرِفَتْ به ، وخُلُقاً سيئاً ثَبَتَ عليه ، وبغياً علينا ، عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يامعاوية واسمعوا ، فَلَأَقُولَنَّ فِيكَ وفيهم ما هو دون ما فيكم ، أَنشُدْكُمْ الله أيها الرهط ، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين ^(١) كلتيهما ، وَأَنْتَ يامعاوية بهما كَافِرٌ ، تراها ضلالة وتعبد اللَّاتَ وَالْعُزَّى ^(٢) غَوَايَةَ ، وَأَنشُدْكُمْ الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهما بَيْعَةَ الْفَتْحِ ^(٣) وبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ ^(٤) ، وَأَنْتَ يامعاوية بإحداهما كَافِرٌ ، وبالأخرى ناكثٌ ، وَأَنشُدْكُمْ الله هل تعلمون أنه أَوَّلُ النَّاسِ إِيمَانًا ، وَأَنْتَ يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تُسِرُّونَ الْكُفْرَ وتُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ ، وتُسْتَمَالُونَ بِالْأَمْوَالِ ، وَأَنشُدْكُمْ الله أَلَسْتُمْ

[١] كان صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة وهو بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة أمر أن يستقبل بيت المقدس تألفاً لليهود ، فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول . [٢] اللات : صنم ثقف بالطائف ، والعزى : أكبر صنم لقريش ، وكان يبطن نخلة .

[٣] روى الطبري في تاريخه - بعد أن أورد خبر فتحه صلى الله عليه وسلم مكة سنة ثمان للهجرة ، وخطبته حين وقف على باب الكعبة - قال : « ثم اجتمع الناس بمكة لبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ جُلُسَ لَهُمْ - فيما بلّغنى - على الصفا ، وصمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفل من مجلسه يأخذ على الناس ، فبايع رسول الله على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وكذلك كانت بيعته لمن بايع رسول الله من الناس على الإسلام ، فلما فرغ رسول الله من بيعته الرجال بايع النساء ، واجتمع إليه نساء من نساء قريش فيهن هند بنت عتبة « أم معاوية » . . . إلى آخر القصة - تاريخ الطبري ٣ : ١٢١ - وكان معاوية من أسلم بعد الفتح . [٤] بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ كانت سنة ست هجرية في غزوة الحديبية حين دعا الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للبيعة على القتال فبايعوه دلى الموت تحت شجرة هناك سميت بعد بشجرة الرضوان .

تعلمون أنه كَانَ صَاحِبَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ بَدْرَ ، وَأَنَّ رَايَةَ الْمُشْرِكِينَ كَانَتْ مَعَ مَعَاوِيَةَ وَمَعَ أَبِيهِ ؟ ثُمَّ لَقِيتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ وَمَعَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَعَكُمْ وَمَعَ أَبِيكُمْ رَايَةَ الشَّرْكِ ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ ، وَيُفْلِحُ ^(١) حُجَّتُهُ ، وَيَنْصُرُ دَعْوَتَهُ ، وَيَصْدُقُ حَدِيثُهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا عَنْهُ رَاضٍ ، وَعَلَيْكُمْ وَعَلَى أَبِيكُمْ سَاخِطٌ ، وَأَنْشُدُكَ اللَّهُ يَا مَعَاوِيَةَ أَتَذْكُرُ يَوْمًا جَاءَ أَبُوكَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ ، وَأَنْتَ تَسُوقُهُ ، وَأَخُوكَ عُتْبَةُ هَذَا يَقُودُهُ ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ الْعَنِ الرَّأَكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ » . أَتَنْسَى يَا مَعَاوِيَةَ الشَّعْرَ الَّذِي كَتَبْتَهُ إِلَى أَبِيكُمْ - لَمَّا هَمَّ أَنْ يُسَلِّمَ - تَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ :

يَا صَخْرُ لَا تُسَلِّمَنَّ يَوْمًا فَتَفْضَحَنَا بَعْدَ الَّذِينَ يَبْدُرُ أَصْبَحُوا مِرْقَا ^(٢)
خَالِي وَعَمِّي وَعَمُّ الْأُمِّ ثَالِثُهُمْ وَحَنْظَلُ الْخَيْرِ قَدْ أَهْدَى لَنَا الْأَرْقَا ^(٣)
لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى أَمْرِ تُكَلِّفُنَا وَالرَّاقِصَاتِ بِهِ فِي مَكَّةَ الْخَرْقَا ^(٤)
فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ قَوْلِ الْعُدَاةِ «لَقَدْ حَادَّ ابْنُ حَرْبٍ عَنِ الْعُرَى إِذَا فَرِقَا» ^(٥)
إِلَّا لَمَّا أَخْفَيْتُ مِنْ أَمْرِكَ ، أَكْبَرُ مِمَّا أَبْدَيْتَ ، وَأَنْشُدُكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الرَّهْطُ ،
أَتَعْلَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا حَرَّمَ الشَّهَوَاتِ عَلَى نَفْسِهِ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، فَأَنْزَلَ فِيهِ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ » .
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ أَكْبَرَ أَصْحَابِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَزَلُّوا

[١] يَنْصُرُ . [٢] الْمِرْقَا : جَمْعُ مِرْقَةٍ بِالْكَسْرِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الثَّوبِ وَغَيْرِهِ .
[٣] أَيْ لَشِدَّةِ الْحَزَنِ وَالْأَسَى . [٤] الْخَرْقُ مَحْرُكَةٌ أَلَا يَحْسُنُ الرَّجُلُ الْعَمَلُ وَالنَّصْرُ فِي
الْأُمُورِ ، وَالْمَقْ . [٥] فَرَقَ : فَرَعَ .

من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالرأية ، فاستنزلهم على حكم الله ، وحكم رسوله ، وفعل في خيبر مثلاً ، ثم قال : يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني جذيمة ^(١) ، فبعث إليك ونهأك ^(٢) إلى أن تموت ، وأنتم أيها الرهط ، نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن ، لا تستطيعون ردّها ؟ أولها يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو تقيفاً إلى الدين ، فوقع به ، وسبه ، وسفّهه ، وشتمه ، وكذّبه ، وتوعده ، وهم أن يبطلش به ، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه ، والثانية يوم العير ^(٣) إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام ، فطردها أبو سفيان وساحل ^(٤) بها ، فلم يظفر المسلمون بها ، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه ، فكانت

[١] في الأصل « خريمة » ، وهو تحريف ، وهم بنو جذيمة بن عامر بن عبد مائة بن كدابة ، وقد بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين انتجج مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا ، فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكفروا ، ثم عرصهم على السيف فقتل من قتل منهم — وكان بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن النيرة عم خالد ، وكانا أقبلتا تاجرين من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما — فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده إلى السماء ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثم دعا علي بن أبي طالب ، فقال يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم به فودى لهم الدماء ، وما أصيب من الأموال ، حتى إنه ليدي ميلة الكلب ، (والميلة بالكسر : الإناث يبلغ فيه الكلب) حتى إذا لم يبق شيء من دم أو مال إلا وداه بقيت ممة بقيّة من المال . قال لهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا لا ، قال فإني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال أصبت وأحسنت ، ثم استقبل القلبة فأنما شاهراً يديه ، وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات .

[٢] الذي في كتب اللغة : « نهمة : زجره ، وحذفه بالخصى وغيره » ومراده هنا أنه دعا عليه بالنهم وعدم الشيع ، وقد تقدم الكلام عليه . [٣] العير الإبل تحمل الميرة . [٤] أتى بها ساحل البحر .

وقعة بدر لأجلها ، والثالثة يوم أُحُد ، حيث وَقَفَ تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه ، وهو ينادى **أَعْلُ هُبْلُ** ^(١) مراراً فلغنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مراتٍ ، ولغنه المسلمون ، والرابعة يوم جاء بالأحزاب وَغَطَفَانِ وَالْيَهُودَ ، فلغنه رسول الله صلى الله عليه وآله وابتهل ، والخامسة يوم جاء أبوسفيان في قريش ، فصعدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد والهدى معكوفاً **أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ** ^(٢) ، ذلك يوم الحديبية ، فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أباسفيان ، ولعن القادة والأتباع ، وقال ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن ، فقيل يا رسول الله أفما يُرْجَى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة ؟ فقال لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع ، وأما القادة فلا يُفْلَحُ منهم أحد ^(٣) ، والسادسة يوم اجمل الأحمر ، والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العَقَبَةِ ليستنفروا ناقته ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، منهم أبوسفيان ، فهذا لك يامعاوية .

وأما أنت يابن العاص ، فإن أمرك مشترك ، وضعناك أملك مجهولاً ، من عَمَّهَر ^(٤) وَسِفَاح ، فتحاكم فيك أربعة من قريش ، فغلب عليك جزأرها ، ألا مهم

[١] أى اعل وانتصر يا هبل وهو صنم كان في الكعبة . [٢] والهدى معطوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهدى ما يهدى إلى مكة ، ومعكوفاً أى محبوساً وهو حال . أن يبلغ محله أى مكانه . لا ينحر فيه عادة وهو الحرم . [٣] لا يتعارض مع هذا أن أباسفيان أفلح بعد وأسلم ، إذا التى فيه لا ، وليس النفي بلن . [٤] خور : ذكروا أن البابعة أم عمرو بن العاص كانت أمة لرجل من عزة بالتحريك) فسببت : فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة ، فكانت بغياً ، ثم أعتقها ، فوقع عليها بولهب بن عبد المطاب ، وأممية بن خلف الجهمي ، وهشام بن المغيرة المخزومي ، وأبوسفيان بن حرب ، العاص بن وائل السهمي في طهر واحد ، فولدت حمرا ، فادعاه كلهم ، فحكمت أمة فيه ، فقالت هو من عاص بن وائل ، وذاك لأن العاص كان ينفق عليها كثيراً ، قالوا : وكان أشبه بأبى سفيان ، ووق ذلك فول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا ديك منسه بينات الشمايل

يقال إنه جمل لرجل ألب درهم على أن يسأل حمرا وهو على المنبر : من أمة ، فسأله فقال : أمة السهمي

حسباً ، وأخبتهم منصّباً ، ثم قام أبوك فقال : أنا شاني محمد الأبتري^(١) فأُنزل الله فيه ما أنزل ، وقالت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد ، وهجوته وآذيته بمكة ، وكذّته كيدك كله ، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ، ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة ، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة^(٢) ، فلما أخطأك ما رجوت ، ورجعك الله خائباً ، وأكذبك واشياً ، جعلت حسدك - على صاحبك عمارة بن الوليد ، فوشيت به إلى النجاشي ، حسداً لما ارتكب من حليته^(٣) ، ففضحك الله وفضح صاحبك ، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية

بنت حرمة تلقب بالنابغة من بني عزة أصابتها رماح العرب فبيعت بمكاط ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدها ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت ، فإن كان جعل لك شيء يؤذنه . (ورأى فيما روى من نسب عمرو بن العاص أن الإسلام يجب ما قبله) .

[١] الثاني المبعض ويسهل ، وذلك أن العاص بن وائل سمي النبي صلى الله عليه وسلم أبتري عند موت ابنه الفاسم ، فنزل فيه « إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أي المقطع عن كل خير ، الذي لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، وأما أنت يا محمد فسيقى حسر ذكرك ، وآثار فضلك إلى يوم القيامة وهو الأبتري لا أنت .

[٢] يشير إلى هجرة الحبشة الثانية ، وقد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمان عشرة امرأة ، وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ، ولما رأته قریش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، بهدايا إلى النجاشي وبطارقته ، ليسلم المسلمين ، فرجعا خائبين ، وأبى النجاشي أن يخفر ذمته .

[٣] وذلك أن حمرا وعمارة ركبوا البحر إلى الحبشة كما قدمنا — وكان حمارة جليلاً وسيماً تهواه النساء ، وكان مع عمرو بن العاص امرأته — فلما صاروا في البحر ليالى أصابا من غمر معهما ، فانتشى عمارة فقال لامرأة عمرو قبلي ، فقال لها عمرو قبلي ابن عمك ، فقبلته ، بهويها حمارة ، وجعل يراودها عن نفسها ، فامتنعت منه ، ثم إن حمراً جلس على منجاف السفينة يبول « منجاف السفينة هو سكاها الذي تعدل به » فدفعه حمارة إلى البحر ، فلما وقع عمرو سبوح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، ووضعه عمرو عليه في نفسه وعلم أنه كان أراد قتله ومضياً حتى نزل الحبشة ، فلما اطمأن بها لم يلبث حمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته ، فاختلف إليها - وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر حمرا بما كان من أمره ، فيقول عمرو : لا أصدقك أنك قدرت على هذا ، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك ، فلما أكثر عليه حمارة بما كان يخبره ، ورأى عمرو من حاله وهيئته ومبيته عندها حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك ، قال له إن كنت صادقاً فقل لها فاندعك يدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره ، فأبى أعرفه وأبى بشيء منه حتى أصدقك ، قال أفعل فسلها ذلك فدعته منه وأعطته شيئاً في فارورة ، فقال عمرو أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله قط ، امرأة الماك ! ما سمعنا بمثله هذا ، ثم سكنت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشي فأعلمه شأن حمارة وقدم إليه الدهن ، فلما أثبت أمره دعا بعمارة ، ودعا نسوة آخر فخردهن من ثيابه ثم أمرهن ينفضن في إحليله ثم خلى سبيله ففرج هارباً .

والإسلام ، ثم إنك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون ، أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم إني لأقول الشعر ولا ينبغي لي ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة . فعليك إذن من الله ما لا يُحصى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سَعَرْتَ^(١) عليه الدنيا ناراً ، ثم لحَقْتَ بِفِلَسْطِينِ ، فلما أتاك قتله قلت : « أنا أبو عبد الله إذا نَكَأْتُ قَرْحَةً أَدْمَيْتُهَا » ثم حبست نفسك إلى معاوية ، وبعث دينك بديناه ، فإسنا نلومك على بغضٍ ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حياً ، ولا غَضِبْتَ له مقتولا ، ويحك يا بن العاص ! أأست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي :

تقول ابنتي : أين هذا الرحيل ؟	وما السَّيْرُ مني بِمُسْتَنْكَرٍ
فقلت : ذريني فإني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لَأَكْوِيَهُ عَنْده كِيَّةً	أقيم بها نَحْوَةَ الْأَصْعَرِ ^(٢)
وَشَانِي أَحَدَ مِنْ بَيْنِهِمْ	وَأَقُولُهُمْ فِيهِ بِالْمُنْكَرِ
وَأَجْرِي إِلَى عُتْبَةَ جَاهِداً	ولو كَانَ كَالذَّهَبِ الْأَحْمَرِ ^(٣)

[١] سعر النار : كنع أوقدها . وكان عمرو أول خلافة عثمان والياً على مصر - منذ خلافة عمر بن الخطاب - ثم إن عثمان ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخو عثمان من الرضاع - خراج مصر ولي عمرو بن العاص على الجند فلم ينفقا ، فجمع لعبد الله الحراج والجند وعزل عمرأ ، فلما قدم عمرو دينة جعل يطعن على عثمان ويؤاب عليه ، وخرج عمرو بعدئذ حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين ، وكان قول : أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها ، والله إن كنت لألقى الراعي وأحرضه عليه (نكأ قرحة : قعرها قبل أن تبرأ فنديت) . [٢] الصعر : محرمة الليل في الحد ، صعر : كفرح وهو صعر ، وصعر خده تصغيراً : أماله من الكبر . [٣] كان من بين المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة تبة بن غزوان ، وهو من بني نوفل بن عبد مناف ، وعتبة بن مسعود (وهو أخو عبد الله بن مسعود) من هذيل من حلفائهم ، وأظنه يعنى عتبة بن غزوان ، وقوله : ولو كان كالذهب الأحمر : أى في صعوبة وصول إليه .

ولا أنتنى عن بنى هاشم وما أسطعنت في الغيب والمحضر
فإن قيل العتب منى له وإلا لوئنت له مشفري (١)

فهذا جوابك ، هل سمعته ؟

وأما أنت يا وليد ، فوالله ما ألومك على بغض عليّ ، وقد جلدك ثمانين في
الحجر (٢) ، وقتل أباك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله صبراً (٣) ، وأنت
الذي سماه الله الفاسق ، وسمى عليّاً المؤمن ، حيث تفاخرتما ، فقلت له اسكت
يا عليّ ، فأنا أشجع منك جناناً ، وأطول منك لساناً ، فقال لك عليّ اسكت
يا وليد ، فأنا مؤمن وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى في موافقة قوله : « أَفَمَنْ كَانَ

[١] المشفر للبعير : كالشعة للإنسان ، وقد يستعمل في الناس . [٢] وذلك أن عثمان
رضي الله عنه بعد أن عزل سعد بن أبي وقاص من إمارة الكوفة ، ولى عليها الوليد بن دحية - وهو
أخوه لأبيه - ورووا أنه شرب الخمر بالكوفة وسكر حتى دخل عليه ، وأخذ خاتمه من أصبعه وهو لا يعلم
وأنه تكلم في الصلاة والفت إلى من يقتدون به فيها وهو سكران وقال لهم : أأزيدكم ؟ قالوا لا قد قضينا
صلواتنا ، وشهد الشهود عليه بذلك عند عثمان في وجهه فأدخله بيتاً وأراد أن يحده فدخل إذا بعث إليه
رجلاً من قريش ليضربه ناشده الوليد ألا يقطع رحمه ، فلما رأى عليّ ذلك أخذ السوط ودخل عليه فجلده به
[٣] القتل صبراً : أن يحبس الرجل ويرمى حتى يموت ، وكان عقبة بن أبي معيط شديد الإيذاء لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عظيم الاستهزاء به . صنع مرة وليمة ودعا إليها كبراء قريش وفيهم رسول الله
الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : والله لا آكل من طعامك حتى تؤمن بالله ، فتشهد ، فبدا
ذلك أبي بن خلف الجحى ، وكان صديقاً له ، فقال ماشى . بلاني عنك ؟ قال لا شئ . دخل منزله
شرب ، فأبى أن يأكل طعامي حتى أنههد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فتشهدت له ، ف
أبى : وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأ عنقه ، وتبزيق في وجهه ، وتلطيم عينه ، فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل به ذلك ، فأنزل الله فيه : « وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَكِينًا » وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلى في حجر الكه
مأقبل عقبة فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فآخذ
بمكبه ودفعه عن الرسول ، وقال : « أَتَقْتُلُون رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ » فلما كانت غزوة بدر كان عقبة من أسراما وقد قتله عليه الصلاة والسلام
وهو راجع .

مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً :
« إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ^(١) » ويحك يا وليد ! مهما نسيت فلا تنس قول
الشاعر فيك وفيه :

أنزل الله (والكتابُ عزيزٌ) في عليّ وفي الوليد قرأنا ^(٢)

فتَّبُوا الوليد إذ ذاك فسقاً وعليّ مُبَوِّأً إيماناً ^(٣)

ليس من كان مؤمناً (عَمَرَكَ اللهُ) كمن كان فاسقاً خَوَّاناً

سوف يُدْعَى الوليد بعد قليل وَعَلِيٌّ إِلَى الْحِسَابِ عِيَاناً

فَعَلَى يُجْزَى بِذَاكَ جِنَاناً ووليدٌ يَجْزَى بِذَاكَ هَوَاناً

رب جدّ لعقبة بن أبان لابس في بلادنا ثِيَابَنَا ^(٤)

وما أنت وقريش ، إنما أنت عِلْجٌ من أهل صفّورية ^(٥) ، وأقسم بالله لأنت
أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة : فوالله ما أنت بِحَصِيفٍ ^(٦) فأجيبك ، ولا عاقلٍ

فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خيرٌ يرجى ، ولا شرٌّ يُنتَقَى ، وما عقلك وعقل

[١] وذلك أن النبيّ عليه الصلاة والسلام كان قد بعث الوليد بن دقبة إلى بني المصطلق لأخذ
الصدقات — وكان بينه وبينهم ثرة في الجاهلية — فلما سمعوا به استقبلوه لحسبهم مقاتليه فرجع ، وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فأتوه منكربين مافله عنهم ، فزلت
الآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُضْضِعُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » . [٢] مهمل عن « قرأنا » . [٣] فتَّبُوا مهمل

عن « فتَّبُوا » . [٤] أبان : هو والد أبيه عقبة ، وهو الوليد بن دقبة بن أبي معيط أنان بن أبي عمرو
ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، والتبان سراويل صغير مقدار شهر يستر العورة المغلطة فقط يكون للملاحين .

[٥] صفورية بلد بالأردن (بضم الهمزة والدال وتشديد النون) ، والعليج : الرجل من كفار العجم ، وذلك
أن جدّه ذكوان كان يلقب بالصفوري ، ذكر جماعة من النساء أن ذكوان هذا كان مولى لأمية بن عبد
شمس فتبناه وكناه أبا عمرو ، فبنوه موال وليسوا من بني أمية أصله (شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٥٤)

[٦] حصيف : ككرم استحكمت دقله فهو حصيف .

أَمَتِكَ إِلَّا سِوَاءَ ، وَمَا يَضُرُّ عَلِيًّا لَوْ سَبَبْتَهُ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ ؟ وَأَمَّا وَعِيدُكَ إِيَّايَ بِالْقَتْلِ ، فَهَلَا قَتَلْتَ الْأَحْيَانِيَّ إِذْ وَجَدْتَهُ عَلَى فِرَاشِكَ ؟ أَمَّا تَسْتَحْيِي مِنْ قَوْلِ نَصْرِ ابْنِ حِجَابٍ فِيكَ :

يَا لِلرَّجَالِ وَحَادِثِ الْأَزْمَانِ وَلِسُبَّةٍ تُخْزِي أَبَا سُفْيَانَ ^(١)

نُبِّئْتُ عُتْبَةَ خَانَهُ فِي عَرْسِهِ جِنْسٌ لَتَيْمِ الْأَصْلِ مِنْ لِحْيَانِ ^(٢)

وَبَعْدَ هَذَا مَا أَرَبَأُ بِنَفْسِي عَنْ ذِكْرِهِ لِفَحْشِهِ ، فَكَيْفَ يَخَافُ أَحَدٌ سَيْفَكَ وَلَمْ تَقْتُلْ فَاصِحَكَ ، وَكَيْفَ أَلُومُكَ عَلَى بَغْضِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ قَتَلَ خَالَكَ الْوَلِيدَ مَبَارِزَةً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَشَرِكَ حِمَزَةَ فِي قَتْلِ جَدِّكَ عُتْبَةَ ^(٣) ، وَأَوْحَدَكَ مِنْ أَخِيكَ حَنْظَلَةَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ .

وَأَمَّا أَنْتَ يَا مَغِيرَةَ : فَلَمْ تَكُنْ بِخَلِيقٍ أَنْ تَقَعَ فِي هَذَا وَشِبْهِهِ ، وَإِنَّمَا مِثْلُكَ مِثْلُ الْبَعُوضَةِ إِذْ قَالَتْ لِلنَّخْلَةِ : « اسْتَمْسِكِي فَإِنِّي طَائِرَةٌ عَنْكَ » . فَقَالَتِ النَّخْلَةُ وَهَلْ عَلِمْتُ بِكَ وَاقِعَةً عَلِيٍّ ، فَأَعْلَمَ بِكَ طَائِرَةٌ عَنِّي ؟ وَاللَّهِ مَا نَشَعَرُ بِعِدَاوَتِكَ إِيَّانَا ، وَلَا اغْتَمَمْنَا إِذْ عَلِمْنَا بِهَا ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيْنَا كَلَامُكَ ، وَإِنْ حَدَّثَكَ اللَّهُ فِي الزَّنا لِثَابِتٍ عَلَيْكَ ، وَاقْدِرْ أَمْرَ عُنْكَ حَقًّا ، اللَّهُ سَأَلَهُ عَنْهُ ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هَلْ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ؟ فَقَالَ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا مَغِيرَةَ مَا لَمْ يَنْتُ الزَّنا ، لَعَلَّهُ بِأَنْتَ زَانٌ ، وَأَمَّا نَفَرُكُمْ عَلَيْنَا بِالْإِمَارَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا ^(٤) مُتَرَفِّعِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا نَاكِهَا تَذْمِيرًا » .

[١] السُّبَّةُ : الدَّارُ . [٢] هَرَسَ الرَّجُلُ : امْرَأَتُهُ ، وَبَنُو لِحْيَانَ : حَيٌّ مِنْ هَذِيلٍ ، وَهُوَ لِحْيَانُ ابْنِ هَذِيلِ بْنِ مَدْرَكَةَ . [٣] أَيْ كَثَرْنَا ، أَمْرُهُ : كُنْصَرُهُ ، وَأَمْرُهُ : كَثْرُهُ ، (وَفِي قِرَاءَةٍ : أَمْرُنَا) أَوْ الْمَعْنَى أَمْرُنَا بِالطَّاعَةِ فَفَسَقُوا وَعَصَوْا ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِمَارَةِ أَيْ جَعَلْنَا أَمْرًا .

ثم قام الحسن فنفض ثوبه فانصرف ، فتعلق عمرو بن العاص بثوبه وقال
يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في وقذه أئى بالزنا ، وأنا مطالب له بحد القذف .
فقال معاوية : خل عنه ، لاجزالك الله خيراً ! فتركه ، فقال معاوية : قد أنبأتكم
أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتُموني ، والله ما قام حتى أظلم
على البيت ، قوموا عني ، فلقد فضحككم الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدواكم
عن رأى الناصح المشفق ، والله المستعان . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ ص ١٠١)

١٩ — رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن

لما مات الحسن بن علي رضي الله عنهما ، أدخله قبره الحسين ومحمد بن
الحنفية ^(١) ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد على قبره ،
وقد اغرورت عيناه ، وقال :

« رحمك الله أبا محمد ، فلئن عزت حياتك ، لقد هددت وفاتك ، ولنعم
الروح روح تضمته بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمته كفنك ، ولنعم
الكفن كفن تضمته لحذك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ،
خامس أصحاب الكساء ^(٢) ، وخلف أهل التقوى ، وجدك النبي المصطفى ،

[١] هو محمد بن علي بن أبي طالب ، والحنفية أمه ، وهي امرأة من بني حنيفة بن الجهم وتسمى خولة بنت
جعفر ، وتوفى سنة ٨١ ، وقيل سنة ٨٣ ، وقيل سنة ٧٢ ، وقيل سنة ٧٣ . [٢] الكساء : هو
كساء آل محمد صلى الله عليه وسلم الذي يصافون إليه ، يقال : « آل الكساء » وهم النبي عليه الصلاة
السلام ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين رضي الله عنهم ، قال ديك الجن :
والخمس الفر أصحاب الكساء معاً خير البرية من عجم ومن عرب
قال أبو عثمان الخالدي :

أعاذل إن كساء التقى كسانه جي لأهل الكساء
ومن قصة هذا الكساء ما روت الرواة من أن وفدا من نصارى نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
فكان ماجرى بينهم وبينه أن قالوا : يا محمد لم نعيب عيسى وتسميه عبداً ؟ فقال : أجل عبد الله ورسوله

وأبوك على المرتضى ، وأملك فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر ^(١) الطيار في الجنة

وروحه وكلته ألقاها إلى مريم ، قالوا : فأرنا مثله ، يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ، وبإذننا على أنه ابن الله ونحن نبأيمك على أنك رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يكون لله ولد أو شريك ، فما زالوا يحاجونه ويلاعنونه ، حتى أنزل الله : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ (أى فى عيسى) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ »

فقال لهم : إن الله أمرنى إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم — والمباهلة الملائنة — فقالوا يا أبا القاسم : بل نرجع فنسطر فى أمرنا ثم نأتيك ، فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان دا رأيهم « وهو أحد رؤسائهم ، قال يا قوتى ومعجبه : ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران وفيهم السيد واسمه وهب ، والعاقب واسمه عبد المسيح ، والأسقف وهو أبو حارثة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مباہلتهم فامتنعوا ... الخ » يا عبد المسيح ماترى ؟ فقال « والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمداً نبيّ مرسل ، ولقد جاءكم بالكلام الحق فى أمر صاحبكم « أى عيسى » والله ما باهل قوم نبياً قط ، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، واتق فاعلم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل واصرفوا إلى بلادكم » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود « والمرط بالكسر كساء من صوف أو خز » وفد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشى خلفه ، وعلى رضى الله عنه خلفها ، وهو يقول « إذا دعوت فأصروا » فقال أسقف نجران : « يامعشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألتوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله لها ، فلا تماهلوا فتهلكوا ، ولا يبق على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة » ثم قالوا يا أبا القاسم : « رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك » فقال عليه الصلاة والسلام : « فإذا أبيتم المباہلة فاسلموا ، يكن لكم مالمسلمين وعليكم ما على المسلمين » فأبوا ، فقال : فإني أناجزكم القتال ، فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ، ولكن نصلحك على أن لا تنزونا ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدى إليك فى كل عام ألى حلة ، ألفاً فى صفر ، وألفاً فى رجب ، وثلاثين دراهمية من حديد ، فصالحهم على ذلك ، وقال : « والذي نفسى بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولاء والمسحوا قردة وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ، ولاستأصل الله نجران وأهله ، حتى الط على رءوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ، وروى أنه عليه الصلاة والسلام لما خرج فى المرط الأسود جاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله ، ثم فاطمة ، ثم على رضى الله عنهم ، ثم قال : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » فمن ذلك الوقت سمي الخمسة أصحاب الكساء (أنظر كتاب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للشماعلى ص ٤٨٣ وتفسير الفخر الرازى مفاتيح الغيب ٢ : ٦٩٩)

[١] هو جعفر بن أبى طالب ، وقد استشهد فى غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة ، وكان يقول حين آخر الراية من زيد بن حارثة الذى استشهد قبله فى هذه الغزوة :

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها

ولقب بالطيار لما روى عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة

المأوى ، وغذّتك أكفّ الحق ، ورُيّت في حِجْرِ الإسلام ، ورضعت ثدى
الإيمان ، فطِبتَ حياً وميتاً ، فلئن كانت الأنفس غيرَ طيبةٍ لفراقك ، إنها غير
شاكّةٍ أن قد خيرَ لك ^(١) ، وإنك وأخاك لسيدا شبابِ أهلِ الجنة ، فعليك
أبا محمد منا السلام .

(زهر الآداب ١ : ٦٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٥١ ، والعقد الفريد ٢ : ٧)

مقتل الحسين بن علي

رضى الله عنه

تأبّيه عن بيعة يزيد وخروجه إلى مكة

لما ولى الخلافة يزيدُ بن معاوية (في هلال رجب سنة ٦٠ هـ) كتب إلى أمير
المدينة الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سُفْيَان أن يأخذ الحسين ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن
عمر بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رُخْصَةٌ ^(٢) ، فبعث الوليد إلى الحسين رضى الله عنه
ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة ، فقال الحسين : « إن مثلي لا يعطى بيعته سراً ،
ولا أراك تجتزئ بها منى سراً ، دون أن تُطهرها على رموس الناس علانيةً ، فاذا خرجتَ
إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس ، فكان أمراً واحداً » فقال له الوليد - وكان
يحب العافية - « فأنصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس » .

فلما كان من الغد بعث الرجال إلى الحسين عند المساء ، فقال : « أَصْبَحُوا ثم ترون
ونرى » فكفوا عنه تلك الليلة ولم يُلْحُوا عليه ، فخرج الحسين من تحت ليلته (ليومين
بقيا من رجب سنة ٦٠ هـ) ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجُلُّ أهل بيته إلا محمد بن
الحنفية ، فانه قال له :

البارحة ، فرأيت جعفرأ يطير مع الملائكة وجناحاه مفرجان بالدم » - راجع الروض الأنف شرح السيرة
النبوية لابن هشام ٢ : ٢٥٨ - . [١] خار الله لك في الأمر : جعل لك فيه الخير .
[٢] الرخصة : التسهيل .

٢٠ — نصيحة محمد بن الحنفية للحسين رضى الله عنهما

« يا أخى : أنت أحب الناس إلى ، وأعزهم علىّ ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها منك ، تنحّ بِتَبَعَتِكَ ^(١) عن يزيد بن معاوية ، وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رُسُلاً إلى الناس ، فادعهم إلى نفسك ، فإن بايعوا لك حمّدت الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك ، إني أخاف أن تدخل مصرا من هذه الأمصار ، وتأتى جماعة من الناس ، فيختلفوا بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتتلوا ، فتكون لأوّل الأسنة ، فإذا خیرُ هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً ، وأذلها أهلاً » .

قال له الحسين : « فإني ذاهب يا أخى » . قال : « فانزل مكة ، فإن اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وإن نبت ^(٢) بك لحقت بالرمال ، وشعف ^(٣) الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر إلّام يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأى ، فإنك أصوب ما يكون رأياً ، وأحزمه عملاً ، حتى تستقبل الأمور استقبالا ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكلاً منها حين تستدبرها استدباراً » ، قال : « يا أخى قد نصحت فأشفقت ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً مؤفقاً » وسار إلى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ورسلمهم ، إنا قد حبسنا أنفسنا عليك : ولسنا نحضر الجمعة مع الوالى فاقدم علينا ^(٤) — وكان النعمان بن بشير الأنصارى على الكوفة —

[١] تبعة جمع تابع . [٢] ضاقت . [٣] الشعف جمع شعبة محرّكة ، وهى رأس الجبل .
[٤] اجتمعت الشيعة بالكوفة فى منزل سليمان بن صرد ، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه ، وقال سليمان : « إن معاوية قد هلك ، وإن حسيناً قد تقبض على اقوم بيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنه

بعثه مسلم بن عقيل إلى الكوفة

فبعث الحسين إلى ابن عمه مسلم بن عقيل ، فقال له :
« سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلى » ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم ،
نخرج مسلم إلى الكوفة ، ونزل دار المختار بن أبي عبيد ، وأقبلت الشيعة تختلف
إليه ، فقرأ عليهم كتاب الحسين فأخذوا يكون .

٢١ — خطبة عابس بن أبي شبيب الشاكري

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

شيعة وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوه فكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهل
(بالتحريك : الصعف والفزع والقتل) فلا تعرفوا الرجل من نفسه » قالوا « لا » بل نقاتل عدوه وقتل
أنفسنا دونه » قال : فكتبوا إليه ، فكتبوا إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحسين بن علي من
سليمان بن صرد ، والمسيب بن نجبة ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين
من أهل الكوفة ، سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي قصم عدوك
الجبار العنيد الذي اتزى (وثب) على هذه الأمة ، فأبترها أمرها ، وغصبها فيهما ، وتأمر عليها بغير رضا
منها ، ثم قتل خيارها ، واستنقى شرارها ، وحل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعدت
ثمود ، لأنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ،
غسنا نجمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه ، حتى تلحقه
نام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك » وكتبوا إليه أيضاً : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحسين بن
علي من شيعة من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد : خيم لا (أي أقبل) فإن الناس ينتظرونك ، ولا رأى
م في غيرك ، فالمعجل العجل والسلام عليك » وكتبوا : « أما بعد : فقد اخضر الجنب ، وأبنت
نار ، وطمت الجمام ، (الجمام : بالكسر جمع جم بالفتح وهو معظم الماء ، وطمى الماء : علا ، وطم :
ر) فإذا شئت فاقدم على جندك محمد ، والسلام عليك » فكتب إليهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ،
حسين بن علي إلى الملائمة من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد : فإن هاشماً وسعيداً (وهما هاشم بن هاني
وسعيد بن عبد الله) قدما على بكتبتكم ، وكانا آخر من قدم على من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي
صصتم وذكرتم ، ومقالة جالسكم لأنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ،
مد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ورأىكم ،
ن كتب إلي أنه قد أجمع رأى ملتكم وذوى الفضل والحجا منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم
فراأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ، فاعمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط
لداث بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله والسلام . »

« أما بعد ، فإنني لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما في أنفسهم ، وما أغرك منهم ، والله أحذثك عما أنا موطن نفسي عليه ، والله لأجيدنكم إذا دعوتكم ، ولأقاتلن معكم عدوكم ، ولأضربن بسيفي دونكم ، حتى ألقى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله »

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال :

« رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجب من قولك » ثم قال : « وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه » وقال غيرها مثل قولهما .
فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فخرج فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٢٢ — خطبة النعمان بن بشير

« أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيهما يهلك الرجال ، وتُسْفَك الدماء ، وتُنْصَب الأموال - وكان حليما ناسكا يحب العافية - قال : إني لم أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب على ، ولا أشتكم ، ولا أتحرش بكم ، ولا آخذ بالقرفة ^(١) ولا الظنة ولا الشهمة ، ولكنكم إن أبديتهم صفحتكم ^(٢) لي ، ونكثتم بيعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمته في يدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر ، أما إنني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يورديه الباطل »

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية ، فقال ^{عليه السلام}

[١] القرنة : التهمة ، وقرفه بالشيء : اتهمه . [٢] أي جاهرتموني بالمداوة .

« إنه لا يُصْلِح ما ترى إلا الغشم ^(١) ، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المُسْتَضْعَفِينَ » فقال : « أن أكون من المُسْتَضْعَفِينَ في طاعة الله أَحَبُّ إِلَيَّ من أن أكون من الْأَعَزِّين في معصية الله » ثم نزل .

وكتب عبد الله بن مسلم وغيره إلى يزيد أن يبعث إلى الكوفة رجلاً قوياً غير النعمان ، فبعث إلى عبيد الله بن زياد - وكان على البصرة - وضم إليه الكوفة ، فسار إليها ، فلما نزل القصر نودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم .

٢٣ — خطبة عبيد الله بن زياد

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين (أصلحه الله) وَلَانِي مِصْرَكُمْ وَتَغْرَكُمْ ^(٢)

وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدة على مُرِيبيكم وعاصيكم ، وأنا مُتَّبِعٌ فيكم أمره ، وَمُنْفَذٌ فيكم عهده ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وَسَوْطِي وسيفي على من ترك أمري ، وخالف عهدي ، فليُبْقِ امرؤ على نفسه ، الصدق يُنْبِئُ عنك لا الوعيد » .

نزل فأخذ العُرْفاء ^(٣) والناس أخذاً شديداً ، وبلغ ذلك مسلم بن عقيل ، فخرج ، دار المختار ، حتى انتهى إلى دارهاني بن عُرْوَةَ المُرَادِيّ لا تُدْأَبُهُ ، وَنَحَى خبره إلى زياد ، فبعث إلى هاني فجاءه ، فأمره أن يأتيه بمسلم ، فقال لا والله لا أجيئك أبداً ، أنا أجيئك بضيفي تقتله ! وطال بينهما اللجاج في ذلك ، فضربه ابن زياد ضيَب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده ، حتى كسر أنفه ، وَسَيَّلَ الدماء

[١] الغشم : الظلم ، والمراد الشدة . [٢] الثغر : موضع الخافة من فروج البلدان .

[٣] جمع عريف ، وهو رئيس القوم سمي لأنه عرف بذلك أو القريب وهو دون الرئيس .

على ثيابه ، وثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، حتى كسر القضيب ، ثم أمر بحبسه .

٢٤ — خطبة أخرى له

ولما ضرب عبيد الله هائناً وحبسه ، خَشِيَ أَنْ يَثِبَ النَّاسُ بِهِ ، فَخَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ وَشُرَطُهُ وَحَشَمُهُ ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَمَا بَعْدَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : فَاعْتَصِمُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَمَّتِكُمْ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا وَلَا تَفَرَّقُوا ، فَتَهْلِكُوا وَتَذَلُّوا وَتُقْتَلُوا ، وَتُجَفَّوْا وَتُحْرَمُوا ، إِنْ أَخَاكَ مِنْ صَدَقَكَ ، وَقَدْ أَعْذَرَ مِنْ أَنْذَرَ »

وبلغ مسلم بن عقيل خبر ضرب هاني وحبسه ، فأمر أن ينادى في أصحابه وكان قد بايعه من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، وأقبل نحو القصر ، فتحرز فيه ابن زياد ، وغلق الأبواب ، وبعث إلى الأشراف فجمعهم إليه ، ثم قال : « أَشْرِفُوا عَلَى النَّاسِ ، فَتَنُّوا أَهْلَ الطَّاعَةِ الزِّيَادَةَ وَالْكَرَامَةَ ، وَخَوْفُوا أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ الْحَرَمَانَ وَالْعُقُوبَةَ ، وَأَعْلَمُوهُمْ فُضُولَ ^(١) الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِمْ » .

٢٥ — خطبة كثير بن شهاب

فتكلم كثير بن شهاب أول الناس فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ : الْحَقُّوْا بِأَهَالِكُمْ ، وَلَا تَعَجَّلُوا الشَّرَّ ، وَلَا تُعَرِّضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْأَمِيرُ عَهْدًا أَتَمَّمْتُمْ ^(٢) عَلَى حَرْبِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يَحْرِمَ ذُرِّيَّتَكُمْ الْعَطَا وَيَفْرِقَ مُقَاتِلَتَكُمْ فِي مَغَازِي أَهْلِ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ طَمَعٍ ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبِرَّ

[١] فصل من البلد فصولا خرج منه . [٢] يقال : تمت على الأمر ، أى استمرت عليه .

بالسقيم ، والشاهد بالغائب ، حتى لا يبقى له فيكم بقيةٌ من أهل المعصية إلا أذاقها وبالَ ما جرّت ^(١) أيديها .

وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا ، فلما سمع الناس مقاتلهم أخذوا يتفرقون وينصرفون عن ابن عقيل ، حتى أمسى وما معه إلا ثلاثون نفساً ، فخرج متوجهاً نحو أبواب كِنْدَةَ ، فبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان ، فمضى على وجهه في أزقة الكوفة ، حتى انتهى إلى باب عجوز فسألها أن تؤويه ، فأوته في دارها .

٢٦ — خطبة عبيد الله بن زياد

ولما انفضت جموع ابن عقيل ، خرج عبيد الله بن زياد إلى المسجد ، وأمر فنودي : « أَلَا بَرَأْتُ الذمة من رجل صَلَّى الْعَتَمَةَ ^(٢) إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ » ، فلم يكن إلا ساعة حتى امتلأ من الناس ، فصلى بهم ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فَإِنَّ ابْنَ عَقِيلِ السَّفِيهِ الْجَاهِلِ ، فَدَأَى مَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنَ الْخِلَافِ الشَّقَاقِ ، فَبَرَأْتُ ذِمَّةَ اللَّهِ مِنْ رَجُلٍ وَجَدْنَاهُ فِي دَارِهِ ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَلَهُ دِيَّتُهُ ، يَا اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالزَّمُوا طَاعَتَكُمْ وَبِيعَتَكُمْ ، وَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا .

يَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ ^(٣) ، ثَكَلْتُكَ ^(٤) أَمَكَ إِنْ صَاحَ ^(٥) بَابَ سِكَّةٍ مِنْ بَيْتِكَ الْكُوفَةِ ، أَوْ خَرَجَ هَذَا الرَّجُلُ وَلَمْ تَأْتِنِي بِهِ ، وَقَدْ سَلَّطْتُكَ عَلَى دُورِ أَهْلِ

[حَرَجُ جَرَّةٍ : اجترم جريمة . [٢] العتمة : وقت صلاة المشاء .

[وَكَانَ عَلَى شَرَطِ ابْنِ زِيَادٍ . [٤] ثَكَلْتُكَ : فقدته .

[صَاحَهُ يَصُوحُهُ فَانصَحَ : أَيِ شَعْبَةٍ فَانْشَقَّ ، وَالْمُرَادُ : فَتَحَ بَابَ سِكَّةٍ وَهَرَبَ .

الكوفة ، فابتعت مُرَاصِدَةً على أفواه السكك ، وَأَصْبَحَ غَدًا وَأَسْتَبِرَ^(١) الدُّورَ وَجُسْنَ خِلَالَهَا ، حتى تَأْتِنِي بهذا الرجل . ثم نزل .

وأصبح ابن تلك العجوز التي آوت مسالماً ، فدل على مكانه ، فبعث ابن زياد محمد بن الأشعث في ستين أو سبعين رجلاً فأتى به ، وأمر به ، فأصعد إلى أعلى القصر ، وضرب عنقه ، فَهَوَى رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَتْبَعَ جَسَدُهُ رَأْسَهُ ، ثم أمر بهاني بن عروة ، فأخرج إلى السوق ، فضربت عنقه .

وكان مسلم حيث تحول إلى دار هاني ، كتب إلى الحسين : « إني قد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعَجَّلَ الإِفْبال حين يَأْتِيكَ كتابي ، فإن الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هوى » .

فسار الحسين من مكة (في ٨ من ذي الحجة سنة ٦٠ هـ) متوجهاً إلى الكوفة ، وهو لا يعلم بحال مسلم .

خروج الحسين إلى الكوفة

٢٧ — نصيحة ابن عباس له

ولما أجمع الحسين بن عليّ رضي الله عنه المسير إلى الكوفة ، أتاه عبد ابن عباس ، فقال : « يَا بْنَ عَمِّ إِنَّكَ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسَ أَنَّكَ سَائرٌ إِلَى الْعِراءِ فَيَنْتَ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ » قال : « إني قد أجمعت المسير في أحد يوميها إن شاء الله تعالى » ، فقال له ابن عباس : « فَإِنِّي أَعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، أَخْبِرْنِي - رَحِمَ اللَّهُ - أَتَسِيرُ إِلَى قَوْمٍ قَدْ قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ ، وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ ، وَنَفَوْا عَدُوَّهُمْ ؟ فَإِنْ قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَسِرْ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ ، قَاهِرُهُمْ

[١] سبر الجرح وغيره واستبره : امتنع غوره .

وَعَمَّالُهُ تَجِبِي بِلَادِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا دَعَوْكَ إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ يَغْرُوكَ وَيَكْذِبُوكَ وَيُخَالِفُوكَ وَيَخْذُلُوكَ ، وَأَنْ يُسْتَنْفَرُوا إِلَيْكَ ، فَيَكُونُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ » فَقَالَ لَهُ حُسَيْنٌ : « وَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ » .

فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَتَاهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، فَخَدَّتهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : « مَا أَدْرِي مَا تَرَكْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَكَفَّضْنَا عَنْهُمْ ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، وَوُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ دُونَهُمْ ، خَبَّرَنِي مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ » فَقَالَ الْحُسَيْنُ : وَاللَّهِ لَقَدْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِإِتْيَانِ الْكُوفَةِ ، وَاقْدَ كُتُبٍ إِلَى شِيعَتِي بِهَا وَأَشْرَافُ أَهْلِهَا ، وَأَسْتَخِيرُ اللَّهَ » فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ : « أَمَا لَوْ كَانَ لِي بِهَا مِثْلُ شِيعَتِكَ مَا عَدَلْتُ بِهَا » ، ثُمَّ إِنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَتَّبِعَهُ فَقَالَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَقَمْتَ بِالْحِجَازِ ، ثُمَّ أَرَدْتَ هَذَا الْأَمْرَ هَاهُنَا مَا خُوفَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ : « هَا ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ يُؤْتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَخْرَجَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ مَعِيَ شَيْءٌ ، وَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْدِلُوهُ ^(١) بِي ، فَوَدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا لَتَخْلُوَ لَهُ » .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَشِيِّ أَوْ مِنَ الْغَدِ ، أَتَى الْحُسَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : « يَا بَنَ عَمِّ ، إِنِّي أَتَصَبَّرُ وَلَا أَصْبِرُ ، إِنِّي أَتَخَوِّفُ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ الْوَجْهَةِ الْهَلَاكَ لِاسْتِئْصَالِ ، إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَوْمٌ غُدُرٌ ^(٢) ، فَلَا تَقَرَّبْنَهُمْ ، أَقِمْ بِهَذَا الْبَلَدِ ، كَيْ سَيَدُ أَهْلُ الْحِجَازِ ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَرِيدُونَكَ كَمَا زَعَمُوا ، فَارْتَبِطْ بِهِمْ فَلْيَنْفُؤْا عَدُوَّهُمْ ، ثُمَّ اقْدَمْ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ أُبِدْتَ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ ، فَسِرْ إِلَى الْيَمَنِ ، بِهَا حَصُونًا وَشِعَابًا ^(٣) ، وَهِيَ أَرْضٌ عَرِيضَةٌ طَوِيلَةٌ ، وَلَا يُبَالِي بِهَا شِيعَةٌ » ،

[١] أَي لَمْ يَسُووهُ . [٢] جَمْعُ غَدُورٍ كَصَبُورٍ .

[٣] الشَّعْبُ بِالْكَسْرِ : الطَّرِيقُ فِي الْجَلِّ ، وَمَا انْفَرَجَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .

وأنت عن الناس في عزلة ، فكتب إلى الناس وترسل وتبث دُعَاتِكَ ، فَإِنِ
أرجو أن يأتيك عند ذلك ، الذي تحبُّ في عافية .

فقال له الحسين : « يابن عم ، إني والله لأعلم أنك ناصح مُشفق ، ولكني
قد أزمعت وأجمعت ^(١) على المسير » فقال له ابن عباس : « فَإِن كُنت سائراً .
فلا تَمِرْ بنسائك وصبيتك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قُتِلَ عثمان ، ونساؤه
وولده ينظرون إليه » ، ثم قال ابن عباس : « لقد أقررت عينَ ابن الزبير بتخليتك
إياه والحجاز ، والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك ^(٢) ، والله الذي
لا إله إلا هو ، لو أعلم أنك ، إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع على
وعليك الناس أطعنتي ، لفعلتُ ذلك » ثم خرج ابن عباس من عنده ، فمرَّ
بعبد الله بن الزبير ، فقال : قرأت عينك يابن الزبير ! ثم قال :

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَاكَ الْجَوْفِيُّ وَاصْفَرِي
وَنَقَرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي ^(٣)

هذا حسين يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز .

[١] يقال : أجمعت السفر ، وأجمعت عليه ، وأزمعت السفر ، وعليه ، عزمت عليه ونبثت عليه هي
[٢] أي مع وجودك .

[٣] القبرة واحد القبر : ضرب من الطير ، ويقال القنبراء : بضم القاف والباء ، والجمع قنابر .
صاحب القاءوس : ولا تقل قبرة (كقعدة) أي هي لينة ، وقال صاحب اللسان والصحاح : « و
تقول : القبرة وقد جاء ذلك في الرجز » ورويا شاهداً عليه أنشد أبو عبيدة ، والمعر : المنزل الكثير
والكلأ ، وهو مثل وأول دن فله طرفة بن العبد ، وذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو صبي ،
على ماء ، فذهب طرفة بهنج له ، فنصبه قنابر وفي عامة يومه فلم يصمد شيئاً ، ثم حمل نخله ورج
عمه ، وتحملوا من ذلك المكان ، فرأى القابر يلطعن ما نثر لهن من الحب ، فقال ذلك ، يضرب في
يمكن منها صاحبها .

٢٨ - نصيحة أبي بكر بن عبد الرحمن المخزومي له

ودخل أبو بكر عمر بن الرحمن بن الحارث بن هشام ^(١) على الحسين رضى الله عنه ، فقال :

« يا بن عمِّ ، إن الرَّحِمَ يُظَاثِرُنِي ^(٢) عليك ، ولا أدري كيف أنا في النصيحة لك ، فقال يا أبا بكر : ما أنت مِمَّنْ يُسْتَغَشَّ ، فقال أبو بكر :

« كَانَ أبوك أَشَدَّ بَأْسًا ، وَالنَّاسُ لَهُ أَرْجَى ، وَمَنْهُ أَسْمَعُ ، وَعَلَيْهِ أَجْعُ ، فَسَارَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، وَالنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ - إِلَّا أَهْلَ الشَّامِ - وَهُوَ أَعَزُّ مِنْهُ ، فَخَذَلُوهُ وَتَنَاقَلُوا عَنْهُ حَرَصًا عَلَى الدُّنْيَا وَضِنًا بِهَا ، فَجَرَّعُوهُ الْغَيْظَ وَخَالَفُوهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ، ثُمَّ صَنَعُوا بِأَخِيكَ بَعْدَ أَبِيكَ مَا صَنَعُوا ، وَقَدْ شَهِدْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَرَأَيْتُهُ ، ثُمَّ أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الَّذِينَ عَدَّوْا عَلَى أَبِيكَ وَأَخِيكَ ، تَقَاتِلَ بِهِمْ أَهْلَ الشَّامِ وَأَهْلَ الْعِرَاقِ ، وَمَنْ هُوَ أَعَدُّ مِنْكَ وَأَقْوَى ، النَّاسُ مِنْهُ أَخَوْفٌ ، وَلَهُ أَرْجَى ، فَلَوْ بَلَغَهُمْ مَسِيرُكَ إِلَيْهِمْ لَاسْتَطَفَعُوا النَّاسَ مَوَالٍ ، وَهُمْ عَبِيدُ الدُّنْيَا ، فَيَقَاتِلُكَ مَنْ قَدْ وَعَدَكَ أَنْ يَنْصُرَكَ ، وَيَخْذُلُكَ مَنْ أَلَّفَ إِلَيْهِ مِمَّنْ يَنْصُرُهُ ، فَاذْكُرِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ » .

١ - عمر بن مخزوم القرشي .

٢٩ - خطبة للحسين رضى الله عنه

ولما بلغ عبيد الله بن زياد أمير الكوفة إقبال الحسين بعث الحصين ابن تميم النخعي ، فأمره أن ينزل القادسية ، وأن يضع المسالِح^(١) ، وقدم الحرّ ابن يزيد التميمي بين يديه ، في ألف فارس من القادسية ، فيستقبل حسينا ، وكان الحسين قد سبقه إلى ذى حُصم ، ونزل به ، فسار إليه الحرّ حتى وقف هو وخيله مُقابله في حر الظّهيرة ، وحضرت صلاة الظهر ، فخرج الحسين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس : إنها معذرة إلى الله عز وجل وإليكم : إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ، وقدمت على رُسلكم أن أقدم علينا ، فإنه ليس لنا إمام ، لعل الله يجمعنا بك على الهدى . فإن كنتم على ذلك فقد جئتمكم ، فإن تُعطوني ما أطمئنُ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مني عليكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين ، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم » فسكتوا عنه ، ثم أقيمت الصلاة ، فقال الحسين للحر : أتريد أن تصلي بأصحابك ؟ قال : لا بل تصلي أنت ونصلي بصلاتك ، فصلى بهم الحسين .

٣٠ - خطبة أخرى له

فأما كان وقت العصر ، أمر^١

مناديه ، فنادى بالعص

وأثنى عليه ، ثم قال

[١] المسالِح جمع مس

« أما بعد : أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله ، يكن أَرْضَى
 اللهُ ، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس
 لهم ، والسائرين فيكم بالجورِ والعُدوان ، وإن أنتم كَرِهْتُمونا وجهَلْتُم حَقّا ، وَكَانَ
 رأيكم غيرَ ما أَتْنِي كَتَبُكُمْ ، وَقَدِمْتُ بِهِ عَلَى رَسَلِكُمْ انصرفت عنكم » .
 فقال له الحر : إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر ؟ فأخرج له
 الحسين خُرُجَيْن مملوئين صُحُفًا ، فنشرها بين أيديهم ، ثم سار الحسين في أصحابه
 والحرُّ يسايره .

٣١ — خطبة أخرى له

وقام الحسين رضى الله عنه بذى حُسْم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
 « إنه قد نزل من الأمر ما قد تَرَوْنَ ، وإن الدنيا قد تَغَيَّرَتْ وتَنَكَّرَتْ ،
 وأَذْبَرَ معروفها ، واستمرَّت^(١) جدًّا ، فلم يبق منها إلا صُبابَةٌ كصُبابَةِ الإِنَاءِ ،
 وخسيسٌ عيشٍ كالمرعى الوَيْيل ، ألا تَرَوْنَ أن الحق لا يُعْمَلُ بِهِ ، وَأَنَّ الباطل
 لا يُتْنَاهَى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحِقًّا ، فَإِنِى لا أرى الموت إلا شهادة ،
 ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا^(٢) » .

٣٢ — خطبة زهير بن القين البجلي

فقام زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ الْبَجَلِيُّ ، فقال لأصحابه : تَكَاثُمُونَ أَمْ أَتَكَلَّمُ ؟ قالوا : لا ،
 ن تَكَلَّمُ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] في كتب اللغة : « مرَّ الشيء يمرَّ بضم الميم وفتحها مرارة وأمر » ولم أر فيها بناء « استمرَّ »
 مانع منه على أن الهززة والسين والتاء للصيرورة أى صارت مرّة ، ونظيره استعجر الطين ، واستحصن
 ر (صار حصاناً) واستعرب القوم ، وفي الأمثال : « إن البغاث بأرضنا يستنسر » « كان حراً
 ستيس » « قد استنوق الجمل » . [٢] البرم : السامة والضجر برم به كفرح .

« قد سمعنا (هداك الله) يابن رسول الله مقاتلك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مُخَلَّدِينَ ، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك ، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها » فدعا له الحسين ، ثم قال له خيراً .

٣٣ — خطبة للحسين أيضاً

وخطب الحسين أصحابه وأصحاب الحرّ بالبيضة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطاناً جائراً مُستجِلاًً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله » . ألا وإن هؤلاء قد لزِموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحقّ من غيري ، وقد أتتني كتبكم وقدِمت علىّ وسلّمكم ببيعكم ، أنكم لا تُساموني^(١) ولا تخذلوني ، فإن تَمَمْتُمْ على بيعكم تُصيبوا رُشدكم ، وأنا الحسين بن عليّ ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسى مع أنفسكم ، وأهلى مع أهليكم ، فلكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا وتقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتى من أعناقكم ، فلعمرى ما هى لكم بُكر^(٢) ، لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم ، والمغرور من اغترّبكم فخطبكم أخطأتم ، ونصبتكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغزو الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

[١] أسلمه : خذله . [٢] النكر بضم وبضمتين : المنكر .

٣٤ — خطبته ليلة قتله

وسير إليه ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف ، فعدل الحسين إلى كره بلاء ، وكانت بينهما مقابلات غير مُجَدِّية ^(١) ، فنهض عمر إليه عشية الخميس (٩ من المحرم سنة ٦١ هـ) فجمع الحسين أصحابه عند قرب المساء فقال :

« أَتُنِي عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنَّبُوَّةِ ، وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ ، وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ، وَلَمْ تَجْعَلْنَا مِنَ الْمَشْرِكِينَ ، أَمَا بَعْدَ : فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْلَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي ، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبْرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَجَزَاكَمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعًا خَيْرًا ، أَلَا وَإِنِّي أَظُنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُكُمْ ، فَاَنْطَلِقُوا جَمِيعًا فِي حِلٍّ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا ، ثُمَّ لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِّنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ بَيْتِي ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ ، حَتَّى يَفَرِّجَ اللَّهُ ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا الْمَبُونِي ، وَلَوْ قَدْ أَصَابُونِي لَهَوُوا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي »

[١] التني عمر بن سعد والحسين مراراً ثلاثاً أو أربعاً ، وكتب عمر بعدها إلى عبيد الله بن زياد : أما بعد : فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر هذه الأمة ، هذا حين قد أعطاني أن أجمع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن أسيره إلى أي ثمر من ثغور المسلمين شئاً ، فيكون رجلاً من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، هذا لكم رضا وللأمة صلاح » فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأمره وفق على قومه نعم قد قبلت ، ولكن شمر بن ذي الجوشن ثناء عن القبول ، فكتب إلى عمر بن سعد تائباً يقول فيه : « أما بعد ، فإنني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتنيه السلامة قاء ، ولا لتعقد له عندى شافعاً ، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابست بهم إلى ما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قتل حسين فأوط بل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم » .

٣٥ رد أهل بيته عليه

فقال له أهل بيته : « لِمَ نَفْعَلُ ؟ لِنَبْقَى بِمَعْدِكَ ؟ لَا أَرَانَا اللَّهَ ذَلِكَ أَبَدًا »
فقال الحسين : « يَا بَنِي عَقِيلِ حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمَسْلَمٍ ، اذْهَبُوا قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ »
قالوا : « فَمَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ يَقُولُونَ إِنَّا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عَمُومَتِنَا خَيْرَ
الْأَعْمَامِ ، وَلَمْ نَزِمْ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ ، وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرُمَحٍ ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُمْ
بِسَيْفٍ ، وَلَا نَدْرِي مَا صَنَعُوا ، لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ ، وَلَكِنْ تَقْدِيكَ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا
وَأَهْلُونَا ، وَنُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ ، فَقَبِّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بِمَعْدِكَ . »

٣٦ — رد أصحابه

وقام إليه مسلم بن عَوْسَجَةَ الْأَسَدِي فَقَالَ :
« أَنْحَنُ تُخَلِّي عَنْكَ وَلَمَّا تُعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ ؟ أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْسِرَ
فِي صَدُورِهِمْ رِمْحِي ، وَأَضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَلَا أَفَارِقُكَ ، وَلَوْ لَمْ
يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ ، لَقَذَفْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ . »
وَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيُّ : « وَاللَّهِ لَا تُخَلِّيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّنَا
حَفِظْنَا غَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ ، وَاللَّهُ لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ ، لَمْ
أَحْيَا ، ثُمَّ أُحْرَقُ حَيًّا ، ثُمَّ أُذَرَّ ، يُفْعَلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً ، مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى أَلْقَى
حِمَامِي دُونَكَ ، فَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ قَتْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ هِيَ الْكِرَامُ
الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا . »

وَقَالَ زَهْرِبْنُ الْقَيْنِ : « وَاللَّهِ لَوْ دِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ، ثُمَّ نُشِرْتُ ^(١) ، ثُمَّ قُتِلْتُ

حتى أقتل كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتلَ عن نفسك ، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك .

وتكلم جماعة أصحابه بكلام يُشبه بعضه بعضاً في وجه واحد ، فقالوا : « والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء ، نتيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتلنا كنّا وفيّنا ، وقضينا ما علينا » .

٣٧ — خطبته غداة يوم قتله

« وخطب الحسين غداة اليوم الذي أَسْتُشْهِدَ فيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا عبادَ الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حَذَرٍ ، فإن الدنيا لو بَقِيَتْ على أحد ، أو بقي عليها أحد ، لكانت الأنبياء أحقَّ بالبقاء ، وأولى بالرضا ، وأرضى بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بالٍ ، ونعيمها مُضْمَحِلٌّ ، وسرورها مكفهرٌ ، والمنزل تَلْمَعَةٌ ^(١) ، والدار قُلْمَةٌ ^(٢) ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

٣٨ — دعاؤه وقد صبحته الخيل

ولما صَبَّحَتْهُ الخيل رفع يديه فقال :

« اللهم أنتِ ثَقَّتِي في كل كرب ، ورجأْتِي في كل شِدَّةٍ ، وأنتِ لِي في كل أمرٍ نزل بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ ، كَمِ مِنْهُمْ يَضْعُفُ فِيهِ الْفَوَادُ ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ ،

[١] التلمعة : مجرى الماء ، من أعلى الوادى الى بطون الأرض ، والنزول بالتلمعة محوف ، لأن من نزلهما فهو على خطر ان جاء السيل جرفه . [٢] الدنيا دار قلعة أى انقلاع ، وهو على قلعة أى رحلة ، ومنزلنا منزل قلعة أى ليس بمستوطن ، أو لا نملكه أو لا ندرى متى تتحول عنه .

وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ ، أَنْزَلَتْهُ بِكَ ، وَشَكَوَتْهُ إِلَيْكَ ، رَغْبَةً
مَنْى إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ، فَفَرَّجَتْهُ وَكَشَفَتْهُ ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ
كُلِّ حَسَنَةٍ ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ .

٣٩ — خُطْبَتُهُ وَقَدْ دَنَا مِنْهُ الْقَوْمُ

ولما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اسْمَعُوا قَوْلِي ، وَلَا تُعْجَلُونِي حَتَّى أُعْظِمَ كُمْ ، بِمَا لَحِقَ لَكُمْ
عَلَيَّ ، وَحَتَّى أَعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عَذْرِي ، وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي ،
وَأَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا
مَنْى الْعَذْرَ ، وَلَمْ تَعْطُوا النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ . فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ
لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ، إِنْ وَلَّيَ اللَّهُ
الَّذِي نَزَلَ السَّكِّتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ » .

فَلَمَّا سَمِعَ أَخَوَاتُهُ كَلَامَهُ هَذَا صَحْنُ وَبَكِينَ وَبَكَى بَنَاتُهُ ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِنَّ أَخَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَلِيًّا ابْنَهُ ، وَقَالَ لهُمَا : أَسْكِتَاهُنَّ ، فَلَعَمْرِي
لَا يَكْثُرَنَّ بَكَاءُهُنَّ .

٤٠ — خُطْبَةٌ أُخْرَى

فَلَمَّا سَكَنَ حَمْدُ اللَّهِ وَاثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَّا بَعْدُ : فَانْسِبُونِي فَاَنْظُرُوا مَنْ أَنَا ؟ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوا هَا ،
فَاَنْظُرُوا هَلْ يَحِلُّ لَكُمْ قَتْلِي ، وَاتَّهَاكَ حُرْمَتِي ؟ أَلَسْتُ ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَابْنُ وَصِيَّهِ وَابْنُ عَمِّهِ ! وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ، وَالْمُصَدِّقِ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ أَوَلَيْسَ حِمْرَةُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ عَمُّ أَبِي ؟ أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الشَّهِيدِ الطَّيَّارِ ذُو الْجَنَاحَيْنِ عَمِّي ؟ أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِيضٍ فِيكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي وَلِأَخِي : هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ - وَهُوَ الْحَقُّ - وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدَتْ كَذِبًا مَذْعَمَتِ أَنْ اللَّهَ يَمُوتَ عَلَيْهِ أَهْلُهُ ، وَيَضُرُّ بِهِ مَنْ اخْتَلَقَهُ ، وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ : سَلُّوا جَابِرَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ ، أَوْ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، أَوْ سَهْلَ بْنَ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ ، أَوْ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ، أَوْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِي وَلِأَخِي ، أَفَمَا فِي هَذَا حَاجَزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكَ دَمِي ؟ »

ثُمَّ قَالَ : « فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ، أَفْتَشْكُونُ أَثْرًا ^(١) مَا أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي مِنْكُمْ ، وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ ، أَنَا ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ خَاصَّةً ، أَخْبِرُونِي أَتَطْلُبُونَنِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتَهُ ! أَوْ مَالٍ لَكُمْ اسْتَهْلَكْتَهُ ؟ أَوْ بِقِصَاصٍ مِنْ جِرَاحَةٍ ؟ »

فَأَخَذُوا لَا يَكْلُمُونَهُ ، فَنَادَى يَاسَبَّثُ بْنُ رَبِيعٍ ، وَيَا حَجَّارُ بْنُ أَبِي جَرٍّ ، وَيَافِيسُ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، وَيَا زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثَّمَارُ ، وَأَخْضَرَ الْجَنَابُ ، وَطَمَّتِ الْجِمَامُ ، وَإِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جَنْدَلِكِ مَجْنَدٌ ، فَأَقْبِلْ ؟ قَالُوا لَمْ نَفْعَلْ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! بَلَى ، وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : إِذْ كَرِهْتُمُونِي فَدَعُونِي أَنْصَرِفَ عَنْكُمْ إِلَى مَا أَمَنِي مِنَ الْأَرْضِ » . فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ :

[١] أَثْرًا مَنْصُوبٌ عَلَى نَزْعِ الْخَاضِ ، أَيْ أَفْتَشْكُونُ فِي أَثَرٍ ، وَمَا زَائِدَةٌ ، وَأَيُّ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ بَدَلٌ مِنْ أَثَرٍ .

أَوَلَا تنزل على حكم بنى عمك ؟ فإنهم لن يُرؤوك إلا ما تحبُّ ، ولن يصل إليك منهم مكروه ، فقال له الحسين : « أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنوهاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل ، ولا أقرّ إقرار العبيد ، عباد الله ، إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ » ، فأقبلوا يرحفون نحوه .

٤١ — خطبة زهير بن القين

فلما زحفوا قبّله خرج إليهم زهير بن القين على فرس له ذنوب ^(١) شاكٍ ^(٢) في السلاح فقال :

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، نَذَارٍ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ نَذَارٍ ، إِنَّ حَقّاً عَلَى الْمُسْلِمِ نَصِيحَةُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، وَنَحْنُ حَتَّى الْآنَ إِخْوَةٌ ، وَعَلَى دِينٍ وَاحِدٍ ، وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، مَا لَمْ يَقَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ السَّيْفُ ، وَأَنْتُمْ لِلنَّصِيحَةِ مِنْ أَهْلِ ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ ^(٣) ، وَكُنَّا أُمَّةً وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ ، إِنْ اللَّهُ قَدْ ابْتَلَانَا وَإِيَّاكُمْ بِذَرِيَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيَنْظُرَ مَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ ، إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى نَصْرِهِمْ ، وَخِذْلَانِ الطَّائِفَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَإِنَّكُمْ لَا تُدْرَكُونَ مِنْهُمْ إِلَّا بِسُوءٍ ، تُحْمَرُ سُلْطَانُهُمَا كُلَّهُ ، لَيْسَ مُلَانٍ ^(٤)

[١] الذنوب : الفرس الوافر الذنب . [٢] يقال رجل شاكٍ السلاح وشاكٍ في السلاح (بتشديد الكاف فيهما) وهو اللابس السلاح التام ، من شكَّ في السلاح أى دخل ، شكَّ فيه (كرد) شكاً أى لبسه تماماً ، لم يدع منه شيئاً ، ويقال : رجل شاكٍ السلاح ، وشاكٍ السلاح ، وشاكٍ في السلاح (كراض) وهو ذو الشوكة والحد في سلاحه ، والشاك : من شكَّ الرجل يشاك شوكاً (كلام نوياً) أى ظهرت شوكته وحدته — والشوكة : حدة السلاح — والشاكى مقلوب من شاك ، ويقال أيضاً رجل شاك ، السلاح (بضم الكاف) فإن أردت معنى فاعل قلت شاكٍ (كراض) وإن أردت معنى فعل (كفرح) قلت شاكٍ (بضم الكاف) وهو مثل حرف هار (كراض) وهار (كنار) كما يقال رجل إمال وذل (بالضم) من المال والوال واعما هو مائل ونائل . [٣] العصمة : الفلادة ، أى تفرّمت وحدتها ، وانقرط عقد جماعتنا . [٤] سمل عينه : فقأها بمحديدة عمّاة .

أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، وَيُمَثِّلَانِ بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ،
ويقتلان أمثالكم وقرءاءكم ، أمثال حُجْرِ بن عَدِيٍّ ^(١) وأصحابه ، وهانئ بن عروة
وأشباهه .

فسبّوه ، وأثنوا على عبيد الله بن زياد ، ودعّوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى
نقتلَ صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سِلَماً .

فقال لهم : « عباد الله ، إن ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر
من ابن سُمَيَّة ، فإن لم تنصروهم ، فأُعِذْكم بالله أن تقتلوهم ، نخّلوا بين هذا الرجل
وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلعمري إن يزيدَ آيرُضَى من طاعتكم بدون
قتل الحسين » .

فرماه شمر بن ذى الجَوْشَنَ بسهم وقال : « اسكت أسكت الله نَأْمَتَكَ ^(٢) ،
أبرمتنا بكثرة كلامك » فقال له زهير : « يا ابن البوّال على غُقبِيه ، ما إياك
أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحْكِمُ من كتاب الله آيتين ، فأبشِر
بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم » فقال له شمر : « إن الله قاتلك وصاحبك

[١] هو حجر بن عدى بن جبلة الكندى من كهراء الشيعة بالكوفة ، وذلك أن زياد بن أبيه لما
جمعت له الكوفة والبصرة بلعه أن حجراً يجتمع إليه الشيعة ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فكتب إلى
معاوية في أمره ، فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد ثم أحمله إلى ، فشده في الحديد وحمل إلى معاوية ،
وأشهد عليه شهوداً أنه خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجعل إليه
الجنود يدعو إلى نكث البيعة وخلع معاوية ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ، وحمل
معه كبار أصحابه ، فكانوا أربعة عشر رجلاً ، فلما قدموا على معاوية شفع في بعضهم ثلثي سبيلهم ، وقال
رسول معاوية للباقيين : إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من على له ، فإن دعتم تركناكم ، وإن أبيتم
قتلناكم ، فابعدوا من هذا أرجل نخل سبيلكم ، فأبوا وقالوا بل تتولاه وتبشروا ممن تبرأ منه ، فقتلوا وقتل
حجر وستة معه ، وكان ذلك سنة ٥١ هـ . [٢] البأمة : الصوت

عن ساعة » قال : « أفبالموت تخوِّفني ؟ فوالله أَلَمَوْتُ معه أحبُّ إليَّ من الخلد معكم » .

ثم أقبل على الناس رافعاً صوته فقال : « عباد الله ، لا يَغَرُّكُمْ مِنْ دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهُ ، فوالله لا تنال شفاعَةُ محمد صلى الله عليه وسلم قومًا هَرَأَوْا دماء ذرِّيَّته وأهل بيته ، وقتَلُوا من نصرهم ، وذَبَّ عن حريمهم » .
فناداه رجل فقال له : « إن أبا عبد الله يقول : « أَقْبِلْ ، فلعمري لئن كَانَ مؤمِّن آل فرعون نصَّح لقومه ، وأبلغ في الدعاء ، لقد نصَّحت لهؤلاء وأبلغت لو تقع النصَّح والإبلاغ » .

٤٢ — خطبة الحرِّ بن يزيد

ولما زحف عمر بن سعد قال له الحرُّ بن يزيد : « أصلحك الله : مقاتلُ أنت هذا الرجل ؟ » قال : « إِي والله قتالا أيسرُهُ أن تسقط الرؤوس ، وتطيح الأيدي » قال : « أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا ؟ » قال عمر : « أما والله لو كان الأمر إلىَّ لفعلت ، ولكن أميرك قد أبى ذلك » .
ثم ضرب الحر فرسه ، ولحق بالحسين عليه السلام وانحاز إليه ، واستقدم أمام أصحابه ثم قال :

« أيها القوم : ألا تقبلون من حسين خَصْلَةً من هذه الخصال التي عرض عليكم ، فيعافىكم الله من حربه وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكأَمه فكأَمه بمثل ما كَلِمه به من قبل ، وبمثل ما كَلِم به أصحابه » فقال عمر : « قد حَرِصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً ففعلت » .

فقال : « يَأْهْل الكوفة : لِأُمَّكُمْ الْهَبْلَ وَالْعَبْرَ ^(١) إِذْ دَعَوْتُمُوهُ ، حَتَّى إِذَا أَنَاكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ ^(٢) ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ قَاتَلُوا أَنْفُسَكُمْ دُونَهُ ، ثُمَّ عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ لَتَقْتُلُوهُ ، أَمْسَكْتُمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَخَذْتُمْ بِكَظْمِهِ ^(٣) ، وَأَحْطَمْتُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَتَنَعْتُمُوهُ التَّوْجَةَ فِي بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيشَةَ ، حَتَّى يَأْمَنَ وَيَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ ، وَأَصْبَحَ فِي أَيْدِيكُمْ كَالْأَسِيرِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ، وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا ، وَحَلَّائِمُوهُ ^(٤) وَنَسَاءَهُ وَأَصْيَبْتُمُوهُ ^(٥) وَأَصْحَابُهُ عَنْ مَاءِ الْفَرَاتِ الْجَارِي ، الَّذِي يَشْرَبُهُ الْيَهُودِيُّ وَالْمَجُوسِيُّ وَالنَّصْرَانِيُّ ، وَتَمَرَّغُ فِيهِ خَنَازِيرُ السَّوَادِ وَكَلَابُهُ ، وَهَامُّ قَدْ صَرَعَهُمُ الْعَطَشُ ، بَنَسًا خَلَفْتُمْ مُحَمَّدًا فِي ذَرِيَّتِهِ ، لَا أَسْقَاكُمْ اللَّهُ يَوْمَ الظَّمَاءِ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا ، وَتَنْزِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي سَاعَتِكُمْ هَذِهِ . »

ثُمَّ نَشِبَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَاسْتَمَاتَ أَصْحَابُ الْحُسَيْنِ فِي الْقِتَالِ ، حَتَّى فَنُوا ، وَقَتَلَ الْحُسَيْنَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، قَتَلَهُ سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ (وَكَانَ قَتَلَهُ بِالطَّفِّ ^(٦) يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةِ ٦١ هـ) وَأَمْرُ ابْنِ سَعْدٍ أَصْحَابَهُ أَنْ يُوْطِئُوا خِيْلَهُمُ الْحُسَيْنِ ، فَوْطِئُوهُ بِخِيْلِهِمْ ، ثُمَّ حَمَلَ النِّسَاءَ وَرَأْسَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بِدِمَشْقٍ .

(تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٦ : ١٨٨ إِلَى ٢٧٠ ، وَمَرْوِجُ الدِّهْلِ ٢ : ٨٦ ، وَزَهْرُ الْآدَابِ ١ : ٧١)

[١] الْهَبْلُ : الشَّكْلُ ، هَبَلَتْهُ أُمُّهُ كَفَرَحَ ثِيَابِهِ وَفَقَدَتْهُ ، وَالْعَبْرُ وَالْعَبْرُ (كَسَبَبَ وَقَهْلَ) سَجَنَةٌ فِي الْعَيْنِ تَبْكِيهَا ، عَبَرَتْ الْعَيْنُ كَفَرَحَ حَرَى دَمْعِهَا ، يُقَالُ لَأُمِّهِ الْهَبْلُ ، وَلَأُمِّهِ الْعَبْرُ ، وَالْعَبْرُ : دَعَاءٌ عَلَيْهِ .
[٢] خَدَلْتُمُوهُ . [٣] الْكَظْمُ : مَحْرَجُ النَّفْسِ . [٤] حَلَّاءُ عَنْ الْمَاءِ تَحْلِيئًا وَتَحْنُثًا طَرْدَهُ وَمَمْعَهُ .
[٥] مَصْعَرٌ صَبِيحَةٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ . [٦] الطَّفُّ : أَرْضٌ مِنْ صَاحِبَةِ الْكُوفَةِ فِي طَرِيقِ الْبَرِيَّةِ ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَحْمَرِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَأُضْحِي «حُسَيْنٌ» لَارْمَاحَ دَرِيئَةً وَغَوْدَرُ مَسْلُوبًا لَدَى الطَّيْلِ ثَاوِيَا
دِيَالِيَتِي إِذْ ذَاكَ كُنْتُ شَهِيدَةً فَصَارِبَتْ عَنْهُ الشَّائِئِينَ الْأَعَادِيَا
سَقَى اللَّهُ قَبْرًا ضَمِنَ الْمَجْدَ وَالنَّقَى بِعَرِيضَةِ الدَّاءِ الْغَمَامِ الْغَوَادِيَا

طلب التوايين بدم الحسين رضى الله عنه

وفى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا الاجتماع بالنخيلة للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن عليّ رضى الله عنهما ، وذلك أنهم بعد مقتله تلاقوا بالتلاؤم والتندثم ، ورأوا أنهم قد أخطئوا خطأ كبيراً بدعائهم إياه إلى النصرة وتركهم إجابته ، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه ، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم فى مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه وتابوا مما فرط منهم فى ذلك ، « فسمّوا التوايين » وفزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة : إلى سليمان بن صرد الخزاعى - وكانت له صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم - وإلى المسيب بن نجبة الفزارى ، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيّل الأزديّ ، وإلى عبد الله بن وال التيمى ، وإلى رفاعه بن شداد البجليّ ، ثم إن هؤلاء نفر اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجههم ، فبدأ المسيب بن نجبة بالكلام فتكلم :

٤٣ - خطبة المسيب بن نجبة الفزارى

حميد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أما بعد ، فإننا قد ابتلينا بطول العمر ، والتعرض لأنواع الفتن ، فترغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً : « أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مِمَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ الذِّكْرُ » فإن أمير المؤمنين قال : « العمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة » وليس فىنا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مغرّمين بتزكية أنفسنا ، وتقريظ شيعتنا ، حتى بلا الله أختيارنا ، فوجدنا كاذبين فى مواطن من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغتنا قبل ذلك كئيبه ،

وَقَدِمْتُ عَلَيْنَا رَسَلَهُ ، وَأَعَذَرْنَا إِلَيْنَا نَصْرَهُ ، عَوْدًا وَبَدْءًا ، وَعِلَانِيَةً وَسِرًّا ، فَبَخِلْنَا عَنْهُ بِأَنْفُسِنَا ، حَتَّى قُتِلَ إِلَى جَانِبِنَا ، لَا نَحْنُ نَصْرُنَاهُ بِأَيْدِينَا ، وَلَا جَادُنَا عَنْهُ بِأَلْسِنَتِنَا ، وَلَا قَوَّيْنَاهُ بِأَمْوَالِنَا ، وَلَا طَلَبْنَا لَهُ النُّصْرَةَ إِلَى عَشَائِرِنَا ، فَمَا عَذَرْنَا إِلَى رَبِّنَا ، وَعِنْدَ لِقَاءِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَقَدْ قُتِلَ فِينَا وَلَدُهُ وَحَبِيبُهُ وَذَرِيَّتُهُ وَنَسْلُهُ ، لَا وَاللَّهِ لَا عُذْرَ دُونَ أَنْ تَقْتُلُوا قَاتِلَهُ وَالْمُؤَالِينَ عَلَيْهِ ، أَوْ تُقْتَلُوا فِي طَلَبِ ذَلِكَ ، فَعَسَى رَبَّنَا أَنْ يَرْضَى عَنَّا عِنْدَ ذَلِكَ ، وَمَا أَنَا بَعْدَ لِقَائِهِ لِعَقُوبَتِهِ بِآمِنٍ ، أَيُّهَا الْقَوْمُ وَلُّوْا عَلَيْكُمْ رِجَالًا مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ لَكُمْ مِنْ أَمِيرٍ تَفَزَعُونَ إِلَيْهِ ، وَرَايَةَ تَحْفُوتٍ بِهَا ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

فَبَدَرَ^(١) الْقَوْمَ رِفَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ بَعْدَ الْمَسِيبِ الْكَلَامَ .

٤٤ — خطبة رفاعه بن شداد

فَحَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكَ لِأَصْوَابِ الْقَوْلِ ، وَدَعَوْتَ إِلَى أَرْشَادِ الْأُمُورِ ، بَدَأْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَوْتَ إِلَى جِهَادِ الْفَاسِقِينَ ، وَإِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ، فَسَمِعْتُ مِنْكَ ، مُسْتَجَابٌ لَكَ ، مُقْبُولٌ قَوْلُكَ ، قُلْتَ وَلُّوْا أَمْرَكُمْ رِجَالًا مِنْكُمْ تَفَزَعُونَ إِلَيْهِ ، وَتَحْفُوتُونَ بِرَايَتِهِ ، وَذَلِكَ رَأْيٌ ، قَدْ رَأَيْنَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتَ ، فَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ تَكُنْ عِنْدَنَا مَرَضِيًّا ، وَفِينَا مُتَنَصِّجًا ، وَفِي جَمَاعَتِنَا مُحِبًّا ، وَإِنْ رَأَيْتَ (وَرَأَى أَصْحَابُنَا ذَلِكَ) وَلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ شَيْخَ الشَّيْعَةِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَا السَّابِقَةِ وَالْقَدَمِ سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ ، الْحَمُودَ فِي بَأْسِهِ وَدِينِهِ ، وَالْمَوْثُوقَ بِحُزْمِهِ ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

ثم تكلم عبد الله بن وائل ، وعبد الله بن سعد ، فحمدا ربهما وأثنيا عليه ،
وتكاما بنحو من كلام رفاعه بن شداد ، فذكرا المسيب بن نجبة بفضله ، وذكرا
سليمان بن سرد بسابقتهم ورضاها بتوليته ، فقال المسيب بن نجبة : « أصبتم
ووفقتم ، وأنا أرى مثل الذي رأيتم ، فولوا أمركم سليمان بن سرد » .

٤٥ — خطبة سليمان بن سرد

قال حميد بن مسلم : والله إني لشاهد بهذا اليوم يوم ولوا سليمان بن سرد^(١)
وإنا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم في داره ، قال
فتكلم سليمان فشدد ، وما زال يردد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته ،
بدأ فقال :

« أثنى على الله خيراً ، وأحمد آلاءه وبلاءه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ،
وأن محمداً رسول الله ، أما بعد : فإنني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا
الدهر (الذي نكبدت فيه المعيشة ، وعظمت فيه الرزية ، وشمل فيه الجور
أولى الفضل من هذه الشيعة) لما هو خير ، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل
نبينا ، وننمئهم النصر ، ونحتمهم على القدوم ، فلما قدموا ونينا وعجزنا وأذهنا
وتربصنا ، وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدينا ، ولدت نبينا وسلاطه وعصارتها
وبضعة^(٢) من لحمه ودمه ، إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف^(٣) فلا يعطاه ،
اتخذوه الفاسقون غرضاً للنبيل ، ودريئة^(٤) للرماح ، حتى أقصدوه^(٥) ، وعدوا

[١] وقد سمي أمير النوايين . [٢] البضعة بالفتح وقد تكرر : القطعة من اللحم .

[٣] الإناصاف . [٤] مهمل عن دريئة ، والدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

[٥] أقصد السوم : أصاب فقتل مكانه ، وأقصد فلاناً : طعن فلم يخطئه .

عليه فسلبوه ، ألا انهضوا فقد سخطَ ربكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل ^(١) والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تُناجزوا من قتله أو تَبِيرُوا ^(٢) ، ألا لا تهابوا الموت ، فوالله ما هابه امرؤ قطُّ إلا ذلّ ، كونوا كالأولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم : « إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ » فما فعل القوم ؟ جثوا على الرُّكَبِ والله ، ومدّوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبرُ على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعِيتُم إلى مثل ما دُعِيَ القوم إليه ؟ اسخّذوا السيوف ، وركبوا الأسنة « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباطٍ الخيل ^(٣) » حتى تُدْعَوْا وتُسْتَنْقَرُوا .

٤٦ - خطبة خالد بن سعد بن نفيل

فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال : « أما أنا فوالله لو أعلم أن قتلى نفسى يُخرجنى من ذنبى ، ويُرضى عني ربى لقتلتها ، ولكن هذا أمرٌ به قومٌ كانوا قبلنا ونهيننا عنه ، فأشهدُ الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوى صدقةٌ على المسلمين أقوىهم به على قتال القاسطين ^(٤) » .

وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني ، فقال : « وأنا أشهدكم على مثل ذلك » فقال سليمان بن صرد : « حسبكم ، من أراد من هذا شيئاً فليأت بماله

[١] جمع حليلة وهى الزوجة . [٢] بار يبور بواراً : هلك .

[٣] اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول ، أو مصدر سمي به كالمراطة ، أو جمع ربيط

فعليل بمعنى مفعول . [٤] الجائرين ، قسط بكس قسوطاً جار وعدل عن الحق .

عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كل ما يريدون إخراجهُ من أموالكم ، جهّزنا به ذوى الخَلَّة^(١) والمسكنة من أشياعكم .

٤٧ — خطبة سعد بن حذيفة بن اليمان

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن كتاباً يستنهض فيه همهم إخوانه هنالك ، ويدعوهم أن يَجِدُوا ويستعدّوا ، وضرب لهم غرة ربيع الآخر سنة ٦٥ أجلاً يلقونه فيه ، والنخيلة موطناً يوافونه إليه ، فبعث سعد إلى من كان بالمدائن من الشيعة ، فقرأ عليهم كتاب سليمان بن صرد ، ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فإنكم قد كنتم مجتمعين مُزْمَعِينَ على نصر الحسين ، وقتالِ عدوه فلم يَفْجَأْكم أولُ من قتله ، وَاللهُ مُثِيبُكُمْ على حُسن النية ، وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المَثُوبَةِ ، وقد بعث إليكم إخوانكم يستنجدونكم ويستمدونكم ، ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجؤون لكم به عند الله أفضلَ الأجرِ والحظ ، فماذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ »

فقال القوم بأجمعهم : « نجيبهم ونقاتل معهم ، ورأينا في ذلك مثل رأيهم » .

٤٨ — خطبة عبد الله بن الحنظل الطائي

فقام عبد الله بن الحنظل الطائي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فإننا قد أجبنا إخواننا إلى ما دَعَوْنَا إليه ، وقد رأينا مثل الذي قد رأوا ، فَسَرَّخْنِي إليهم في الخيل » .

فقال له : « رويدا لا تَعْجَلْ ، استعدوا للعدو ، وأعدوا له الحرب ، ثم نسير

[١] الخلة : الحاجة والفقر ، وفي المثل : « الخلة تدعو إلى السلة » بفتح السين أى إلى الاستلال والسرقة .

وتسيرون » وكتب سعد إلى ابن سرد بإجابة دعوته ، وأنهم في انتظار أمره .

٤٩ - خطبة عبيد الله بن عبد الله المري

وحدث رجل من مُزَيِّنَة قال : « ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله المُرِّيِّ في منطق ولا عِظَة ، وكان من دُعاة أهل المصر زمان سليمان بن سرد ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس فوعظهم ، بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول :

« أما بعد : فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته ، وخصّه بالفضل كله ، وأعزّكم باتّباعه ، وأكرمكم بالايمان به ، فحقن به دماءكم المسفوكَة ، وآمن به سبيلكم المَخُوفَة : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ^(١) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » فهل خلق ربكم في الأولين والآخِرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيّها ؟ وهل ذرية أحد من النبيين والمرساين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ؟ لا والله ، ما كان ولا يكون ، لله أنتم ! ألم تروا ويبلغكم ما أختِرم ^(٢) إلى ابن بنت نبيكم ؟ أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرّمته ، واستضعافهم وخذتته ، وترميلهم ^(٣) إياه بالدم ، وتجزّارهموه على الأرض ؟ لم يراقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم ! اتخذوه للنبل غرضاً ، وغادروه للضباع جزّراً ^(٤) ، فالله عيناً من رأى مثله ! والله حسين بن عليّ ! ماذا غادروا به ؟ ذا صدق وصبر ، وذا أمانة ونجدة وحزم ، ابن أول المسلمين إسلاماً ، وابن بنت رسول رب

* [١] الشفا : حرف كل شيء . [٢] ارتكب وانترف . [٣] دمله : لطمه بالدم . [٤] قتلاً .

العالمين ، قَلَّتْ مُحَمَّاتُهُ ، وَكَثُرَتْ عُدَاتُهُ ^(١) حوله ، فقتله عدوه وخذله وليُّهُ ،
فويل للقاتل ، وملامة للخاذل ، إن الله لم يجعل لقاتله حجةً ، ولا لخاذله معذرةً ،
إلا أن يُنَاصِحَ الله في التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذ القاسطين ، فعسى الله
عند ذلك أن يقبل التوبة ، وَيُقِيلَ الْعَثْرَةَ ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه
والطلب بدماء أهل بيته ، وإلى جهاد المُجِلِّين والمارقين ، فَإِنْ قُتِلْنَا فَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خير الأبرار ، وإن ظَهَرْنَا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا »
قال : « وَكَانَ يَعِيدُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَتَّى حَفِظَهُ عَامَّتَنَا » .

وكان الشيعة بالكوفة منذ قتل الحسين رضى الله عنه (سنة ٦١ هـ)
يَجِدُّونَ في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السر من الشيعة
وغيرها إلى الطلب بدمه حتى كثر تبَّعَهُمْ ، وكان الناس إلى اتِّبَاعِهِمْ بعد هلاك
يزيد بن معاوية (في ١٤ ربيع الأول سنة ٦٤ هـ) أسرع منهم قبل ذلك .
وقدم المختار بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ الكوفة في النصف من رمضان سنة ٦٤ ،
وقد اجتمعت رءوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد ، فليس يَعْدِلُونَهُ بِهِ ،
فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين ، قالت له الشيعة :
« هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انتقادوا له واجتمعوا عليه » فأخذ يقول
للشيعة : « إني قد جئتكم من قِبَلِ المهديِّ محمد بن عليٍّ (ابن الحَنَفِيَّةِ) مُؤْتَمِنًا
مَأْمُونًا ، مُنْتَجَبًا ^(٢) ووزيرًا » فما زال بهم حتى انشعبت إِلَيْهِ طائفةٌ تُعَظَّمُهُ
وتجيبُهُ وتنتظر أمره ، وَعَظُمُ الشيعة مع سليمان بن صرد .

[١] العداة جمع عاد ، وهو العدو . [٢] المنتجب : المختار .

وقدم عبد الله بن يزيد الأنصارى من قبل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على حربها وَثَغَرَهَا ، وقدم معه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي أميراً على خراجها ، (وذلك بعد مَقْدَم المختار بثمانية أيام) ، وكان سليمان ابن سرد وأصحابه يريدون أن يَثْبُوهَا بالكوفة ، ونمى إلى عبد الله بن يزيد اعتزام الشيعة الخروج ، فخرج حتى صعد المنبر ثم قام في الناس .

٥٠ — خطبة عبد الله بن يزيد الأنصارى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فقد بلغنى أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عن الذى دعاهم إلى ذلك ماهو ؟ فقل لى زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن على ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد والله ذُلْتُ على أما كنهم ، وأمرت بأخذهم ، وقيل ابدأهم قبل أن يبدءوك ، فأبيت ذلك ، فقلت إن قاتلوني قاتلتهم ، وإن تركوني لم أطلبهم ، وعلام يقاتلوننى ؟ فوالله ما أنا قتلت حسيناً ولا أنا ممن قاتله ، ولقد أصِبتُ بمقتله رحمة الله عليه ، فإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ، لِيَسِيرُوا إلى من قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم ، وأنا لهم على قاتله ظهير ^(١) ، هذا ابن زياد قاتلُ الحسين وقاتلُ خياركم وأما ثلكم ، قد توجه إليكم عَهْدُ العاهد به ^(٢) على مسيرة ليلة من جسر مَنبِج ^(٣) ، فقتاله والاستعداد له

[١] معين . [٢] وذلك أن عبيد الله بن زياد لما هاجت الفتنة بالبصرة بعد وفاة معاوية الثانى (سنة ٦٤ هـ) لحق بالشأم ، وكان مروان بن الحكم قد أراد أن يبايع ابن الزبير لما رأى من إطباق الناس على مبايعته وإجابته له ، وبلغ ابن زياد ذلك ، فقال له : استحييت لك مما تريد ، أنت كبير قریش وسيدها تصنع ما تصنمه ! وشدة من عزيمته حتى نهض فى طلب الخلافة وتمت له فبوج بها ، فلما استوثقت له الشأم بالطاعة بعث جيشا إلى العراق عليه ابن زياد ، وجعل له حين وجهه إلى العراق ماغلب عليه ، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظاهر بأهلها ثلاثاً . [٣] بين حلب والفرات .

أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضهم بعضاً ، وَيَسْفِكَ بعضهم دماء بعض ، فيلقاكم ذلك العدو غداً وقد رَقَّقْتُمْ ^(١) ، وتلك والله أمنيّةُ عدوكم ، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم ، مَنْ وَلِيَ عليكم هو وأبوه سبع سنين لَا يُقْلَعَانِ عن قتل أهل العفاف والدين ، هو الذي قتلكم ، وَمِنْ قَبْلِهِ أُتِيتُمْ ، والذي قتل من تَثَارُون بدمه قد جاءكم ، فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم ، واجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم ، إني لم آلكم نصحاً ^(٢) ، جمع الله لنا كلمتنا ، وأصلح لنا أئمتنا .

٥١ — خطبة إبراهيم بن محمد بن طلحة ^(٣)

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة :

« أيها الناس : لا يغرركم من السيف وَالْغَشَم ^(٤) مقالةٌ هذا المداهن المودع ، والله لئن خرج علينا خارج لقتلنه ، ولئن استيقننا أن قوماً يريدون الخروج علينا ، لَنَأْخُذَنَّ الوالد بولده ، والمولود بوالده ، ولَنَأْخُذَنَّ الحميم ^(٥) بالحميم ، والعريف ^(٦) بما في عرافته ، حتى يَدِينُوا للحق ، وَيَذِلُّوا للطاعة . »

٥٢ — رد المسيب بن نجبة

فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ، ثم قال :

« يا بن الناكثين ^(٧) : أنت تهددنا بسيفك وغشمك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك ^(٨) وجدك ، والله إني لأرجو

[١] ضعفت . [٢] أي لم أقصر في نصحتكم . [٣] مات سنة عشر ومائة عن أربع وسبعين سنة ، وكان يسمى أسد قريش . [٤] الظلم ، والمراد هنا القوة والأخذ بالشدة .
[٥] حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره . [٦] العريف : رئيس القوم ، سمي لأنه عرف بذلك ، أو النقيب ، وهو دون الرئيس ، عرف كسكرم وضرب عراة صار عريفاً . [٧] يشير إلى ما كان من جدّه طلحة بن عبيد الله إذ بايع الإمام علياً ثم نكث ببعته ، وقد اعتذر عن ذلك بأنه بايع والسيف على عقبه . [٨] قتل محمد بن طلحة يوم الجمل مع أبيه وصرّبه على ، فقال هذا رجل قتل به بآبائه وطاعته .

أن لا يُخرجك الله من بين ظَهْرَانِي أهل مصر حتى يثْلُثُوا بك جدك وأباك ،
وأما أنت أيها الأمير ، فقد قلت قولاً سديداً ، إني والله لأظن من يريد هذا
الأمر ^(١) مستنصحاً لك ، وقابلاً قولك »

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : « إِي والله لَيَقْتَتَنَّ وقد أذهَنَ ثم أعلن » .

٥٣ — ردّ عبد الله بن وال التيمي ،

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي ، فقال :

« ما اعتراضك يا أخا بني تميم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا ؟ فوالله ما أنت
علينا بأمير ، ولا لك علينا سلطان ! إنما أنت أمير الجزية ، فأقبل على خراجك ،
فلعمر الله لئن كنت مفسداً ، ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك
الناكثان ، فكانت بهما اليَدَانِ ^(٢) ، وكانت عليهما دائرة السوء » .

ثم أقبل المسيب بن نجبة . وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا :
« أما رأيك أيها الأمير فوالله إنا لنرجو أن تكون به عند العامة محموداً ،
وأن تكون عند الذي عَنَيْتَ واعتريت مقبولا » .

ثم نزل عبد الله بن يزيد ودخل .

فلما استهلّ هلال ربيع الآخر سنة ٦٥ شَخَّصَ سليمان بن صرد في
وجوه أصحابه ، وقد كان واعد أصحابه عامةً للخروج في تلك الليلة للمعسكر
بالنخيلة ، وأقام بها ثلاثاً يبعث ثقاته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكّرهم الله
وما أعطوه من أنفسهم ، فقام إليه المسيب بن نجبة ، فقال : « رحمك الله إنه

[١] أي الطلب بدم الحسين رضي الله عنه . [٢] تقول العرب : كانت به اليَدَانِ ، أي فعل الله
به ما يقول لي ، ومروم من الحوارج يقوم من أصحاب عليّ وهم يدعون عليهم ، فقالوا : بكم اليَدَانِ أي
حاق بكم ماتدعون به وتبسطون أيديكم .

لا ينفعك الكاره ، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النية ، فلا تنتظرن أحداً ،
واكش^(١) في أمرك » قال : « فَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَنِعِمَّا رَأَيْتَ » فقام سليمان بن صرد
في الناس متوكئاً على قوس له عربية فقال :

٥٤ — خطبة سليمان بن صرد

« أَيُّهَا النَّاسُ : مَنْ كَانَ إِنَّمَا أَخْرَجَتْهُ إِرَادَةُ وَجْهِ اللَّهِ وَثَوَابُ الْآخِرَةِ ، فَذَلِكَ
مَنَا وَنَحْنُ مِنْهُ ، فَرَحِمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَمَنْ كَانَ إِنَّمَا يَرِيدُ الدُّنْيَا وَحَرَمُهَا^(٢)
فَوَاللَّهِ مَا نَأْتِي فَيَتِمُّ نَسْتَفِيئُهُ ، وَلَا غَنِيمَةً نَغْنَمُهَا ، مَا خَلَا رِضْوَانُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَمَا مَعْنَا مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَا خَزٍّ ، وَلَا حَرِيرٍ ، وَمَا هُوَ إِلَّا سَيُوفُنَا فِي
عَوَاتِقِنَا ، وَرِمَاحُنَا فِي أَكْفُنَا ، وَزَادُ قَدْرِ الْبُلْغَةِ^(٣) إِلَى لِقَاءِ عَدُونَا ، فَمَنْ كَانَ غَيْرَ
هَذَا يَنْوِي فَلَا يَصْحَبْنَا » .

٥٥ — خطبة صخير بن حذيفة بن هلال

فقام صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني فقال :
« آتَاكَ اللَّهُ رَشْدَكَ ، وَلَقَاكَ حُجَّتُكَ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَالَنَا خَيْرٌ فِي
صَحْبَةٍ ، مَنِ الدُّنْيَا هِمَّتُهُ وَنَيْتُهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا أَخْرَجْتُمَا التَّوْبَةَ مِنْ ذُنُوبِنَا ،
وَالطَّلَبُ بِدَمِ ابْنِ ابْنَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَيْسَ مَعْنَا دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنَّمَا
نَقْدَمُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ وَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ »
فتنادى الناس من كل جانب : « إِنَّا لَا نَطْلُبُ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهَا خَرَجُنَا »

[١] أسرع ، كش ككرم كماشة فهو كش (كشم) وكش ، أى سريع .

[٢] أى كسبها ومتاعها . [٣] ما يبلغ به .

٥٦ - ما أشار به عبد الله بن سعد

وكان رأى بادي الأمر أن يسيروا إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبد الله ابن سعد ، وعنده رءوس أصحابه جلوس^(١) حوله :

« إني قد رأيت رأياً ، إن يكن صواباً فالله وفق ، وإن يكن ليس بصواب فمن قبلي ، فإني ما آلوكم ونفسي نضحاً ، خطأ كان أم صواباً ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقتلة الحسين كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ورءوس الأرباع^(٢) وأشرف القبائل ، فأتى نذهب هاهنا ونُدع الأقتال والأوتار^(٣) ؟ »

فقال سليمان بن صرد : فماذا ترون ؟ فقالوا : « والله لقد جاء برأى ، وإن ما ذكر لكما ذكر ، والله ما نلقى من قتلة الحسين ، إن نحن مضينا نحو الشام غير ابن زياد ، وما طلبتنا إلا هاهنا بالمصر » .

٥٧ - رأى ابن صرد

فقال سليمان بن صرد : « لكن أنا ما أرى ذلك لكم ، إن الذي قتل صاحبكم ، وعبي الجنود إليه ، وقال لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأَمْضِي فيه حكمي ، هذا الفاسق ابن الفاسق ، ابن مَرْجَانة ، عبيد الله بن زياد ، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله ، فإن يُظْهِرَكم الله عليه ، رجونا أن يكون من بعده أهون

[١] كانت الكوفة مقسمة أربعة أقسام لكل ربع رئيس : ربع تميم وهمدان ، وربع ربيعة وكندة ، وربع مذحج وأسد ، وربع أهل المدينة ، (وتنقسم المدينة أرباعاً لا يزال إلى اليوم في بعض بلاد القطر المصري ، وقد كانت مدينة القاهرة قبل اليوم مقسمة ثمانية أقسام كل قسم ثمن ، وحرقتهم العامة فقالوا « ثمن » ، وأطلقوا عليه بالتركية قره قول (كراكون) ويعني أن يستعمل له كلمة مخفر « ككتب » .

[٢] الأقتال جمع قتل بالسكسر وهو العدو والمقاتل ، والأوتار جمع وتر : الجناية والتأثر ، أي وتدع أعداءنا وذوي ثاراتنا .

شوكته منه ، ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية ،
فتنظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشيموا^(١) ، وإن
تستشهدوا فإنما قاتلتم المحلّين ، وما عند الله خير للأبرار والصدّيقين ، إني لأحب
أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحلّين القاسطين ، والله لو قاتلتم غداً أهل
مصركم ، ما عديم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ، أو رجلاً لم يكن
يريد قتله ، فاستخيروا الله وسيروا » فتهيأ الناس للشخص .

وبلغ عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن صرد
وأصحابه فرأيا أن يأتيهم ، فخرجا إليهم في جماعة من أصحابهما ، فلما انتهيا إلى
ابن صرد دخلا عليه .

٥٨ — خطبة عبد الله بن يزيد

حمد الله عبد الله بن يزيد ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن المسلم أخو المسلم ، لا يخنونه ولا يغشّهُ ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا ،
وأحبُّ أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ، ولا تستبدوا علينا
برأيكم ، ولا تنقضوا عدونا بخروجكم من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى نتيسروا نتيهاً ،
فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا ، خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم » .
وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام .

٥٩ — خطبة سليمان بن صرد

حمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ، ثم قال لهما :
« إني قد علمت أنكما قد تحضّتا^(٢) في النصيحة ، واجتهدتما في المشورة ،

فنحن بالله وله ، وقد خرجنا لأمر ، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد ، والتسديد لأصوبه ، ولا ترانا إلا شاخصين ، إن شاء الله ذلك » .

فقال عبد الله بن يزيد : « فأقيموا حتى نعبى معكم جيشاً كشيفاً فتلقوا عدوكم بكثف^(١) ، وجمع وحدٍ » فقال له سليمان : « تنصرفون ونرى فيما بيننا ، وسيأتيكم إن شاء الله رأى » .

وانصرف عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد إلى الكوفة ، وأجمع القوم على الشخوص ، واستقبال ابن زياد .

٦٠ — خطبة أخرى له

ثم إن سليمان بن صرد قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فإن الله قد علم ما تنوون ، وما خرجتم تطلبون ، وإن للدنيا ثجاراً ، وللآخرة تجاراً ، فأما تاجر الآخرة فساع إليها متنصب^(٢) يتطالبا ، لا يشتري بها ثمناً ، لا يرى إلا قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً ، لا يطلب ذهباً ولا فضة ، ولا ديناً ولا لذة ، وأما تاجر الدنيا ، فكيب عليها ، راع فيها ، لا يبتغي بها بدلاً ، فعليكم (يرحمكم الله) في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل ، وبذكر الله كثيراً على كل حال ، وتقرّبوا إلى الله جل ذكره بكل خير قد رتبتم عليه ، حتى تلقوا هذا العدو ، والمحلّ القاسط فتجاهدوه ، فإنكم إن تتوسلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة ، فإن الجهاد سنام العمل ، جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين

[١] الكثيف : الجماعة . [٢] أى قد نصب نفسه طالباً لها ، نصب الشيء رفعه فانتصب وتنصب .

على اللأواء^(١) وإنا مُدْجُون^(٢) الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فأذْجُوا .
فأدْج عَشِيَّة الجمعة لخمس مَضِينَ من ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة ، وما زال
يسير حتى انتهى إلى عَيْنِ الْوَرْدَةِ^(٣) فنزل في غَرِيْبَهَا .

٦١ — خُطْبَةٌ أُخْرَى

وأقبل أهل الشَّام في عساكرهم ، حتى كانوا منها على مسيرة يوم وليلة ، قال
عبد الله بن غَزِيَّة ، فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال ، وأثنى عليه فأطنب ، ثم
ذكر السماء والأرض ، والجبال والبحار وما فيهن من الآيات ، وذكر آلاء الله
ونعمه ، وذكر الدنيا فزهد فيها ، وذكر الآخرة فرغب فيها ، فذكر من هذا ما لم
أُحْصِهِ ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال :

« أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دَأَبْتُمْ في المسير إليه آناء^(٤) الليل
والنهار ، تريدون فيما تظهرون التوبة النَّصُوحَ ، ولقاء الله مُعْذِرِينَ ، فقد جاءوكم
بل جئتموهم أنتم في دارهم وَحَيْزِهِمْ ، فإذا لَقِيتموهم فاصدقوهم ، واصبروا إن الله
مع الصابرين ، ولا يوليَنَّهُمْ امرؤ دُؤْبَرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا^(٥) لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا^(٦) إِلَى
إِلَى فِئَةٍ ، لَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا مِنْ أَهْلِ
دَعْوَتِكُمْ^(٧) إِلَّا أَنْ يِقَاتِلَكُمْ بَعْدَ أَنْ تَأْسِرُوهُ ، أَوْ يَكُونَ مِنْ قِتْلَةِ إِخْوَانِنَا بِالْطَّفِّ
رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ هَذِهِ كَانَتْ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في أهل
هذه الدعوة . »

[١] الشدة . [٢] أَدْج : سار من أول الليل ، فإن سار من آخره فأَدْج بالتشديد .
[٣] هي رأس العين : بلد في وسط الجزيرة . [٤] آناء الليل : ساعاته واحدها لاني (كالي)
أولاني (كحل) أولانو كذلك . [٥] أي منعطفاً يريد الكر بعد الفر وتفرير العدو ، فإنه من
مكايد الحرب . [٦] أي منحاذاً إلى جماعة على القرب ليستنجد بهم . [٧] ملتكم .

ودارت رحى الحرب بينهم وبين جيوش عبيد الله بن زياد واستشهد في المعركة سليمان بن صرد ، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ، وقتل أيضاً من رءوس أصحابه : المسيب بن نجبة ، وعبد الله بن سعد بن نقييل ، وعبد الله بن وال ، فلما رأى من بقي من التوآيين أن لا طاقة لهم بمن يازأهم من أهل الشام انحازوا عنهم وارتحلوا ، وعليهم رفاعة بن شداد البجلي .

(وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ) (١) .

٦٢ — خطبة عبد الملك بن مروان

وأتى عبد الملك بن مروان بیدشارة الفتح ، فصعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله قد أهلك من رءوس أهل العراق مُلَقِّحَ (٢) فتنة ، ورأس ضلالة ، سليمان بن صرد ، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاري (٣) ، ألا وقد قتل من رءوسهم رأسين عظيمين ضالَّين مُضِلَّين : عبد الله بن سعد أخا الأزدي ، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دِفَاعٌ ولا اِمْتِناعٌ . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٤٧ — ٨٣ ، ومروج الذهب ٢ : ١١٠)

[١] وقال المسعودي في مروج الذهب : « وقيل إن وقعة الورد كانت في سنة ٦٦ » .

[٢] أصله : من ألقح النحلة ، وألقح الفحل الناقة ، والريح الشجر . [٣] تركت السيوف رأسه خذاري : أي قطعاً كل قطعة كالحذروف ، والحذروف : كمصفر شيء يدور الصبي بحيط في يديه فيسمع له دوى (النحلة) .

طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي

بدم الحسين رضى الله عنه .

٦٣ - خطبته حين قدم الكوفة

وقدم المختار بن أبي عبيد الثقفي ^(١) الكوفة في النصف من رمضان سنة ٦٤ هـ ، فأثاه بعض الشيعة ليلاً ، فسأله عن أمر الناس ، وعن حال الشيعة ، فقالوا له : إن الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه لن يلبث إلا يسيراً حتى يخرج .

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أما بعد : فإن المهدي بن الوصي ، محمد بن علي ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ،
وَمُتَّخِظاً وأميراً ، وأمرني بقتال المُلحدِّين ، والطلب بدماء أهل بيته ، والدفع
عن الضعفاء » .

[١] هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وقد قدمنا في الجزء الأول أن أول ما عمل به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولي الخلافة أن ندب الناس مع المنى بن حارثة الشيباني لقتال أهل فارس ، وجعل يندبهم ثلاثة أيام ، فلا يندب أحداً من فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود والد المختار ، ولم يكن المختار في تشييعه لآل علي بالخلس ، وكانت الشيعة تنقم عليه ما كان منه في أمر الحسن بن علي رضى الله عنه يوم طعن في ظلم ساباط وحمل إلى المدائن - وكان عم المختار ، وهو سعد بن مسعود عاملاً على المدائن - فقال له المختار : هل لك في الغي والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثقه ! بثس الرجل أنت ، ولما قدم مسلم بن عقيل الكوفة من قبل الحسين رضى الله عنه نزل دار المختار فبايعه المختار فبىن بايعه من أهل الكوفة ، وناصحه ودعا إليه ، ثم ظفر ابن زياد بمسلم وقتله ، وأمر بالمختار فسجن ، وبعث المختار إلى عبد الله بن عمر بالمدينة ، يسأله أن يشفع له عند يزيد بن معاوية - وكانت صفية أخت المختار تحت عبد الله بن عمر - فكتب ابن عمر إلى يزيد يسأله أن يخلي سبيله ، فشفعه فيه ، وخلي ابن زياد سبيله وأخرجه من الكوفة ، فقدم الحجاز وبايع ابن الزبير ، وقاتل معه حين حاصر مكة جيش يزيد - وكان تحت إمرة الحصين بن نمير السكوني - وأقام مع ابن الزبير بهد مهلك يزيد حتى قدم الكوفة في منتصف رمضان سنة ٦٤ هـ .

وأقبل يبعث إلى الشيعة ، فيقول لهم : « إني قد جئتكم من قبل وليّ الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصي الوصي ، والإمام المهدي ، بأمرٍ فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتعمام النعماء ، إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه ، إنما هو عَشَمَة ^(١) من العَشَم ، وحَفَش ^(٢) بال ، ليس بذى تجربة للأمور ، ولا له علم بالحروب ، إنما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، إني إنما أعمل على مثالٍ قد مُثِّل لي ، وأمرٍ قد مُيِّن لي ، فيه عزٌ وليكم ، وقتلٌ عدوكم ، وشفاءٌ صدوركم ، فاسمعوا مني قولي ، وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا وتباشروا ، فإنني لكم بكل ما تأملون خيرٌ زعيم » .

فما زال بهذا القول ونحوه ، حتى استمال طائفة من الشيعة ، وَغَظَمُهم يومئذ مع سليمان بن صرد ، فلما خرج ابن صرد نحو الجزيرة ، خاف عبد الله بن يزيد الأنصاري - أمير الكوفة من قبل ابن الزبير - أن يثب المختار عليه ، فزجّه في السجن . (تاريخ الطبري ٧ : ٦٤)

٦٤ - ما كان يردده على زائريه في سجنه

وكان يردّد على زائريه في سجنه هذا القول :

« أَمَا وَرَبُّ الْبَحَارِ ، وَالنَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ ، وَالْمَهَامَةِ ^(٣) وَالْقِفَارِ ، وَالْمَلَاثِكَةِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، لَأَقْتُلَنَّ كُلَّ جَبَّارٍ ، بِكُلِّ لَذَنٍ خَطَّارٍ ^(٤) ،

[١] العَشَمَة: الشيخ الثاني للذكر والأنثى أو المتقارب الخطو المنحى الطهر ، وكان عمر ابن صرد حين قتل ٩٣ سنة . [٢] احفش : الشيء البالي ، والجوالق العظيم البالي ، وما كان من أسقاط الآنية كالقوارير وغيرها ، وأحفاش البيت : رذال متاعه .

[٣] المهامة : جمع مهمه كجففر ، وهو البلد المقفر ، والمغازة البعيدة . [٤] الرمح اللدن : اللين ، وذلك صفة جودة فيه لأن اللدن لا يقصف ، وقد لدن ككرم لدانة ولدونة ، والرمح : الخطار أي المتهز خطر كضرب خطرانا .

وَمُهَنْدٍ بَتَّارٍ^(١) ، في جموع من الأنصار ، ليسوا بِعَمِيلٍ أَغْمَارٍ^(٢) ، ولا بِعُزْلٍ^(٣) أشرار ، حتى إذا أَقْمَتُ عَمُودَ الدِّينِ ، وَرَأَيْتُ شَعْبَ^(٤) صَدْعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَفِيتُ غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَدْرَكْتَ بَثَّارَ النَّبِيِّينَ ، لَمْ يَكْبُرْ عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا ، وَلَمْ أُحْفَلْ بِالْمَوْتِ إِذَا أَتَى .

ثم خلى عبد الله بن يزيد سبيله ، بشفاعة عبد الله بن عمر فيه ، واختلفت إليه الشيعة بعد خروجه من السجن ، واجتمعت عليه ، واتفق رأيها على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشدد ، حتى عزل ابن الزبير عبد الله ابن يزيد عن الكوفة ، وولى عليها عبد الله بن مطيع العدوي .

(تاريخ الطبري ٧ : ٦٥)

٦٥ — خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة

وقَدِمَ عبد الله بن مطيع العدوي الكوفة (لخمس بقين من رمضان سنة ٦٥) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد : فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عبد الله بن الزبير بعثنى عَلَى مِصْرَكُمِ وَتُغُورَكُمِ ، وَأَمَرَنِي بِجَبَايَةِ فَيْئِكُمْ ، وَأَنْ لَا أَتَّحِلَّ فَضْلَ^(٥) فَيْئِكُمْ عَنْكُمْ إِلَّا بِرِضَا مِنْكُمْ ، وَوَصِيَّةِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ الَّتِي أَوْصَى بِهَا عِنْدَ وَفَاتِهِ^(٦) ، وَبِسِيرَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الَّتِي سَارِبَهَا فِي الْمَسَامِينِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا ، وَخَذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ ،

[١] المهند : السيف المطبوع من حديد الهند ، والبتار : القطاع .

[٢] ميل : جمع أميل ، وهو الجبان ، ومن يعيل على السرج في جانب ، ومن لاترس معه أو لاسيف أولارمح ، والأغمار : جمع غمر (مثلث ويحرك) من لم يجرب الأمور . [٣] العزل : جمع أعزل ، وهو من لاسلاح معه . [٤] الشعب : الصدع أى الشق ، ومن معانيه الإفساد ، وهو المراد هنا ، ورأب الصدع : أصله . [٥] الفضل : الزيادة . [٦] انظر وصيته للخليفة من بعده . ج ١ : ص ٩٥

وَالْأَفْعَالُ فَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَلُمُونِي ، فَوَاللَّهِ لَا أُوقِعَنَّ بِالسَّقِيمِ الْعَاصِي ، وَلَا أُقِيمَنَّ
دَرَأً^(١) الْأَصْعَرَ^(٢) الْمُرْتَاب .

٦٦ - رد السائب بن مالك الأشعري عليه

فقام إليه السائب بن مالك الأشعري - وهو من رءوس أصحاب
المختار - فقال :

« أما أمرُ ابن الزبير إياك ألاَّ تحملَ فضلَ فيئنا عنا إلا برضانا ، فإننا نُشْهَدُكَ
أنا لا نرضى أن تحملَ فضلَ فيئنا عنا ، وأن لا يُقَسَّمْ إلّا فينا ، وأن لا يُسَارَ فينا
إلا بسيرة عليّ بن أبي طالب ، التي سار بها في بلادنا هذه ، حتى هلكَ رحمةُ الله
عليه ، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا ، فإنها إنما كانت
أثرَةً وَهَوًى ، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا ، وإن كانت أهونَ السيرتين
علينا ضرراً ، وقد كَانَ لا يَأْلُو الناسَ خَيْراً » .

فقال يزيد بن أنس الأسدي : صدق السائب بن مالك وَبَرٌّ ، رأينا
مثلُ رأيهِ ، وَقَوَّلُنَا مثلَ قَوْلِهِ ، فقال ابن مطيع : نَسِيرُ فيكم بكل سيرة أحببتموها
وَهَوَيْتُمُوهَا ، ثم نزل . فقال يزيد بن أنس : ذهبتَ بفضْلِها يَا سَائِب ،
لَا يَعْدَمُكَ الْمَسَامُون ! (تاريخ الطبري ٧ : ٩٥)

٦٧ - خطبة عبد الرحمن بن شريح

وبعث المختار إلى أصحابه ، فأخذ يجمعهم في الدور حوله ، وأراد أن يثب

[١] الدرأ : الميل والعوج في القناة ونحوها . [٢] الصعر بحركة : ميل في العنق وانقلاب في الوجه
إلى أحد الشقين ، صعر كفرح فهو أصعر ، وربما كان الإنسان أصعر خافه ، وصعر خذه بالتشديد : أماله
عن الناس إعراضاً وتكبراً .

بالكوفة في المحرم ، فجاء رجل منهم يقال له عبد الرحمن بن شريح ، فلقى جماعة من إخوانه ، واجتمعوا في منزل أحدهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أما بعد ، فإن المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ، ولا ندرى أُرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؟ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به ، وبما دعانا إليه ، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه ، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثرَ عندنا من سلامة ديننا »

فقالوا له : أرشدك الله ، فقد أصبتَ ووُفِّقتَ ، اخرج بنا إذا شئت ، فأجمع رأيهم على أن يخرجوا إليه ، فلما قدموا عليه بدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم :
 (تاريخ الطبري ٧ : ٩٦)

٦٨ - خطبة أخرى له

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أما بعد : فإنكم أهل بيتٍ خصَّكم الله بالفضيلة ، وشرَّفكم بالنبوة ، وعظَّم حقكم على هذه الأمة ، فلا يجهلُ حقَّكم إلا مغبونُ الرأي ، محسوسُ النصيب ، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه ، عظمت مصيبة ! ما قد خصكم بها ، فقد عمَّ بها المسلمون ، وقد قدَّم علينا المختار بن أبي عبيد ، يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والطلب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ، فبايعناه على ذلك ، ثم إنا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ، ونَدَبنا له ، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه . »

ثم تكلموا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبهم وهو يسمع حتى إذا فرغوا
 (تاريخ الطبري ٧ : ٩٦)

٦٩ - خطبة محمد بن الحنفية

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 « أما بعد : فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل ، فإن الله يؤتيه
 من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، فله الحمد ، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا
 بحسين ، فإن ذلك كان في الذكر الحكيم ^(١) ، وهي ملحة ^(٢) كتبت عليه ،
 وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قومٍ عنده ، ووضع بها
 آخرين ، وكان أمر الله مفعولاً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وأما ما ذكرتم من
 دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ، فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا
 بمن شاء من خلقه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم »

فخرجوا من عنده ، وهم يقولون : قد أذن لنا ، قد قال : « لوددت أن الله
 انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه » ولو كره لقال : « لا تفعلوا » .

(تاريخ الطبري ٧ : ٩٧)

٧٠ - خطبة المختار

وبلغ المختار نخرجهم فشق ذلك عليه ، وخشى أن يأتوه بأمر يُخذل الشيعة
 عنه ، فكان يقول :

« إن نُفَيْرَكم منكم ارتابوا ، وتحيرُوا وخابوا ، فإن هم أصابوا ، أقبلوا وأنابوا ، وإن هم
 كبَوْا وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ^(٣) ، فقد تَبَرُّوا ^(٤) وَخَابُوا ^(٥) » وأقبل القوم

[١] يريد أنه سبق به قضاء الله تعالى . [٢] الملحة : الوقعة العظيمة القتل .

[٣] انجابت السحابة : انكشفت ، والمعنى : وإن هم انسأخوا منا وانشقوا علينا . [٤] تبر ، كقعد

تبرراً : هلك . [٥] حاب : أثم ، والحب بالفتح والضم : الإثم ، وفي الأصل خابوا ، وأرى أن
 تكون بالحاء لتقديم كلمة خابوا في أول قوله .

فدخلوا على المختار ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قد فُتنتم وارتبتم ، فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك ، فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحق ! اجمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال :

« يا معشر الشيعة : إن نفرًا منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والنجيب المرتضى ، ابن خير من طشى^(١) ومشى ، حاشا النبي المجتبي^(٢) ، فسألوه عما قدمتُ به عليكم ، فنبأهم أني وزيره وظهيره ، ورسوله وخليله ، وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه ، من قتال المحلّين ، والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين » . (تاريخ الطبري ٧ : ٩٧)

٧١ — خطبة عبد الرحمن بن شريح

فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : يا معشر الشيعة فإننا قد كنا أحيدين أن نستثبت لأنفسنا خاصّةً ، ولجميع إخواننا عامةً ، فقدّمنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعما دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة وموازرتة ، وإجابته إلى مادعانا إليه ، فأقبلنا طيبةً أنفسنا منسرحةً صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغُلّ والرَّيبَ ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتالنا عدونا ، فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا » ثم جلس .

[١] هكذا في الأصل ، ولم أجد كلمة « طشى » في كتب اللغة ، وفي لسان العرب « تطشى المريض يرى » وليست مناسبة هنا ، وأرى أن العبارة « ابن خير من مشى وطشى » بتأخير طشى ، وأنه لا يتبع للفعل قبله لتقويته وتوكيده ، وهو كثير في كلام العرب ، كقولهم : حسن بسن ، وعفريت نفريت ، وعطشان فطشان ، وشحيج بحيج ، وكثير بشير ، وحيالك الله وبياك — وإن قيل إن الإتيان لا يكاد يكون بالواو — انظر باب الإتيان في المزمهر للسيوطي (١ : ٢٤٤) وفي الأمل (٢ : ٢١١) .

[٢] المختار .

وقاموا رجلاً فرجلاً فتكلموا بنحو من كلامه فاستجمعت له الشيعة
وحدبت^(١) عليه . (تاريخ الطبري ٧ : ٩٧)

٧٢ — خطبة المختار في دار إبراهيم بن الأشتر

ومضى المختار في بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه إلى دار إبراهيم
ابن الأشتر^(٢) يدعوهم أن يناصره ، فاستأذن عليه فأذن له ، وألقى لأصحابه وسأله
فجلسوا عليها ، وجلس المختار معه على فراشه ، فقال المختار :
« الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد والسلام عليه ،
أما بعد : فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي ، وهو
خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم ، بعد أنبياء الله
ورسله ، وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن لم تفعل
فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله المهدي محمدًا وأوليائه عنك^(٣) »
فبايعه إبراهيم .

[١] عطف . [٢] وكان أصحاب المختار قد دعوه أن ينضم إلى زمرة من فقال : إني قد أحببتكم إلى
مادعوتوني إليه على أن تولوني الأمر ، فقالوا هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي ، وهو الرسول والمأمور
بالمقاتلة وقد أمرنا بطاعته ، فسكت عنهم ابن الأشتر ، وانصرفوا إلى المختار فأخبروه بما رآه عليهم .
[٣] ثم دعى إليه الكتاب فقبض حاتم وفرأه ، فإذا هو : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى إبراهيم
ابن مالك الأشتر ، سلام عليك ، إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : إني قد بعثت إليك
بوزير ، وأميني ، ونجيب الذي ارتضىته لنفسه ، وقد أمرته بقتال عدوي ، والطلب بدماء أهل بيتي ،
فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإني إن نصرتني وأجبت دعوتي ، وساعدت وزيرى كانت لك
عندي بذلك فضيلة ، ولك بذلك أمة الحيل ، وكل جيش غار ، وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما
بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام ، على الوفاء بذلك على عهد الله ، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل
الكرامة ، وإن أبيت ملكك هلاكاً لا نستقبله أبداً ، والسلام عليك » . فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب ،
قال : قد كتب إلى ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم ، فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه ، قال
له المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ فشهد من
معه بأنه كتاب ابن الحنفية إليه ، فقال إبراهيم : بسط يدك أبايعك فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم .

— وجعل المختار وأصحابه يدبرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ٦٦ ، فثاروا بالكوفة ، ونشب القتال بينهم وبين جند ابن مطيع . (تاريخ الطبري ٧ : ٩٨)

٧٣ — خطبة يزيد بن أنس الأسدي

ولما حملت خيل ابن مطيع على أصحاب المختار ، خطبهم يزيد بن أنس الأسدي محرّضاً ، فقال :

« يا معشر الشيعة : قد كنتم تُقتلون وتُقطع أيديكم وأرجلكم ، وتُسَمَل أعينكم ، وترفعون على جذوع النخل ، في حُبِّ أهل بيت نبيكم ، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم ، فما ظنُّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم ؟ إذن والله لا يدعون منكم عيناً تطرف ^(١) ، وليقتلنَّكم صبراً ^(٢) ، ولاتروُن منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خيرٌ منه ، والله لا ينجيكم منه إلا الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم ، والضرب الدّراك على هامهم ، فتيسروا للشّدة ، وتهيئوا للحملة ، فإذا حركت رايتي مرتين فاحملوا » .

(تاريخ الطبري ٧ : ١٠٤)

٧٤ — خطبة عبد الله بن مطيع

وحمل أصحاب المختار على جند ابن مطيع فكشفوهم وهزموهم ، فخرج ابن مطيع فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إن من أعجب العجب عجزكم عن غضبة منكم ، قليل عددها ، خبيث دينها ، ضالة مضلة ، اخرجوا إليهم ، فامنعوا منهم حريمكم ، وقاتلوهم عن

[١] طرف البصر (كضرب) تحرك ، وطرف بصره (كضرب أيضاً) أطبق أحد جفنيه على الآخر .

[٢] قتل صبراً : هو أن يحبس ويرى حتى يموت .

مصركم ، وامنعوا منهم فيثكم ، وإلا ليشارككنكم في فيثكم من لا حق له فيه ، والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم ، وإنما ذهاب عزكم وسلطانكم ، وتغيّر دينكم حين يكثرون . ثم نزل .
(تاريخ الطبرى ٧ : ١٠٦)

٧٥ - تحريض ابن الأشر أصحابه

واستنفر ابن مطيع الناس لقتال المختار وصدّه ، وأقبل إبراهيم بن الأشر في أصحابه فقال لهم :

« قرّبوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مُصْلِتِينَ ^(١) السيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شَبَثُ بن رُبْعِي ، وآل عَتَيْبَةَ بن النَّهَّاس ، وآل الأشعث ، وآل يزيد بن الحارث ، وآل فلان - فسمي بيوتات من بيوتات أهل الكوفة - ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا بهم حر السيوف قد انصفقوا ^(٢) عن ابن مطيع انصفاق المَعزى عن الذئب » ثم قال لأصحابه شدّوا عليهم ، فِدَا لَكُمْ عَمِي وَخَالِي .

فما لبثهم أن هزمهم ، فركب بعضهم بعضاً ، ومضى بأصحابه في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً . (تاريخ الطبرى ٧ : ١٠٧)

٧٦ - خطبة ابن مطيع وهو محصور

فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه ، أشار عليه شَبَثُ بن رُبْعِي أن يخرج من القصر لا يشعر به أحد ، حتى ينزل منزلاً بالكوفة عند من يستنصحه ، ويثق به ، ولا يعلمُ بمكانه إلى أن يخرج فيلحق بصاحبه (ابن الزبير) .

[١] أصوات السيوف : جرده من غمده [٢] انصفق : انصرف .

وفي مساء اليوم الثالث دعا ابن مطيع أصحابه فذكر الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال :

« أما بعد : فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم مَنْ هُمْ ، وقد علمت إنما هم أراذلكم وسُفهاؤكم وطغامكم وأخسأؤكم ، ماعدا الرجل أو الرجلين ، وأنَّ أشرافكم ، وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مُبلغ ذلك صاحبي ، ومُعَلِّمه طاعتكم وجهادكم عدوّه ، حتى كَانَ الله الغالبَ على أمره ، وقد كَانَ من رأيكم وما أشرتُم به على ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعة » فقال له شَبَتَ : « جزاك الله من أمير خيراً ، فقد والله عَفَقْتَ عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصَّحت لصاحبك ، وقضيت الذي عليك ، والله ما كنا لنفارقَكَ أبداً ، إلا ونحن منك في إذن » فقال : جزاكم الله خيراً ، ثم خرج ، وخلي القصر ، وفتح أصحابه الباب ، فقالوا : يا ابن الأشر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ، فخرجوا فبايعوا المختار . (تاريخ الطبري ٧ : ١٠٨)

٧٧ — خطبة المختار بعد هرب ابن مطيع

وجاء المختار حتى دخل القصر فبات به ، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : « الحمد لله الذي وعد وليّه النصرَ ، وعدوّه الخُسْرَ ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وعداً مفعولاً ، وقضاء مَقْضِيّاً ، وقد خاب من اقترى ، أيها الناس : إنه رُمِعت لنا رايةٌ ، ومُدَّت لنا غاية ، فقليل لنا في الراية أن ارفعوها ولا تَضَعُوهَا ، وفي الغاية أن أَجْرُوا إليها ولا تَعْدُوهَا ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواعي ، فكم

من ناعٍ وناعيةٍ ، لِقَتْلِي فِي الْوَاعِيَةِ ^(١) ، وَبُعْدًا لِمَنْ طَفَى ، وَأَدْبِرْ وَعَصَى ،
وَكَذَّبْ وَتَوَلَّى ، أَلَا فَادْخُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ فَبَايَعُوا بَيْعَةَ هَدَى ، فَلَا وَالَّذِي جَعَلَ
السَّمَاءَ سَقْفًا مَكْفُوفًا ^(٢) ، وَالْأَرْضَ جَنَاجًا ^(٣) سُبُلًا ، مَا بَايَعْتُمْ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيٍّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَآلِ عَلِيٍّ أَهْدَى مِنْهَا .

ثم نزل فدخل ، ودخل عليه أشرف الناس ، فبسط يده وابتدره الناس
فبايعوه ، وجعل يقول : تبايعونني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء
أهل البيت ، وجهاد المُحَلِّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا ، وسِلم من
سالمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لَا تُقِيلُكُمْ وَلَا نُسْقِيلُكُمْ « فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ نَعَمْ : بَايَعَهُ .
ثم وثب المختار بمن كَانَ بالكوفة من قتلة الحسين رضى الله عنه والمشايعة
على قتله ، فقتل من قَدَرُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَهَرَبَ مِنَ الْكُوفَةِ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ،
وَكَانَ مِمَّنْ قَتَلَهُمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَابْنُهُ . وَبَعَثَ بِرَأْسَيْهِمَا إِلَى مُحَمَّدِ
ابْنِ الْحَنْفِيَةِ . (تاريخ الطبري ٧ : ١٠٨)

٧٨ — خطبة المختار وقد استنصره ابن الحنفية

ولما كتب محمد بن الحنفية رضى الله عنه إلى المختار يعلمه بما ناله هو ومن
معه من ابن الزبير من سَجَنَهُمْ وتوعدهم بالقتل والتحريق بالنار إن لم يبايعوا له ^(٤)

[١] الواعية : الصراخ على الميب ونعيه (ولا فعل له) والمعنى : كم من ناع وناعية لأناس قتلوا بسبب
نعيهم وصراخهم على من قتل من الحسين وأصحابه ، فهو يستثيرهم لطلب الدار من أعدائهم الذين لم تكفهم
ما اقترفوه من قتل الحسين وشيعته ، بل ضموا إلى جرمهم أن قتلوا من نعى هؤلاء الشهداء وبكهم .
[٢] الكفة بالكسر ويضم : حباله الصائد ، وكل مستدير . [٣] الفجاج : جمع فج ، وهو
الطريق الواسع .

[٤] وذلك أن محمد بن الحنفية كان قد أتى أن يبايع ابن الزبير إذ ذكره البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة —
وكان ابن الزبير يبغيه ويحسده على أيده وقوته — حبسه مع أربعة عشر رجلا من بني هاشم في سجن عارم
وقال : لتبايعن أو لأحرقنكم ، وأعطى الله عهداً لمن لم يبايعوا أن ينفذ بهم ما توعدهم به ، وضرب لهم في

نادى المختار في الناس ، وقرأ عليهم الكتاب وقال :

« هذا كتاب مهديكم ، وصريح ^(١) أهل بيت نبيكم ، وقد تركوا
مَحْظُوراً ^(٢) عليهم كما يُحْظَرُ على الغنم ، ينتظرون القتل والتحريق بالنار ، في آناء
الليل وتارات ^(٣) النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مُؤَزَّراً ^(٤) ، وإن لم
أسرّب إليهم الخيل في إثر الخيل ، كالسَّيْلِ يتلوه السيل ، حتى يَحُلَّ بابن
الكاھلية ^(٥) الويلُ » . (تاريخ الطبري ٧ : ١٣٦)

ذلك أجلا ، فكتب ابن الحمية إلى المختار مستصرخا ، فوجه إليه جماعة من أصحابه ، وكانوا يسرون الليل
ويكمنون النهار ، حتى انتهوا إلى مكة ، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم ، وكان قد بقي من الأجل
يومان . فكسروا سجن عارم واستخرجوا منه ابن الحنفية ومن معه ، وقالوا له : خل بيننا وبين عدو الله
ابن الزبير ، فقال لهم : لاني لأستحل القتال في حرم الله ، وخرج هو وأصحابه إلى شعب على .
[١] الصريح : الخالس من كل شيء . [٢] حظر الشيء وتليه (كقتل) منعه وحجر ، ويقال لما
حظر به على العم وغيرها ليمسها ويحفظها خطيرة . [٣] جمع تارة وهي هنا الحين .
[٤] نصر : مؤزر أى بالغ شديد من انتأزير وهو التقوية .

[٥] ابن الكاهلية ، هو عبد الله بن الزبير ، والكاھلية أم أبي جده ، فهو عبد الله بن الزبير بن العوام
ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، والكاھلية أم خويلد بن أسد ، واسمها زهرة بنت
صمرو بن خنثر بن ربيعة بن هلال من بني كاهل بن أسد بن خزيمه ، وروى أن عبد الله بن فضالة بن شريك
الوالي الأسدي — من بني أسد بن خزيمه — أتى ابن الزبير فقال له : « بغدت نفقتي ، ونفقت راحلتي
(نقب الحب كفرح رق) قال : أحضرها فأحضرها ، فقال : أقبل بها أدبر بها ففعل ، فقال : « ارفعها
بسبت ، واخصفها بلب ، وأنحد بها يبرد خفها ، وسر البردين تصح » (والسبت كحمل كل جلد مدبوغ
والهلب كقفل الشعر أو ماعلظ منه أو شعر الدب أو شعر الخنزير الذي يغرز به ، والبردان بفتح الباء
وسكون الراء ، والأبردان : الغداة والعشي) فقال ابن فضالة : إني أتيتك مسحلا ، ولم آتاك مستوصفاً
فلعن الله ناقة حملتني إليك (مستحلا أى طالباً أن تحملني على ناقة أخرى تعطينيها) قال ابن الزبير : « إن
وراكها » (وإن هنا حرف جواب بمعنى نعم كأنه إقرار بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :
ويقلن شيب قد صلا لك وقد كبرت فقلت إنه)

فانصرف عنه ابن فضالة ، وقال فيه شعراً منه قوله :

أقول لعلني شدوا ركابي أجاوز بطن مكة في سواد

فألى حين أقطع دات عرق إلى ابن الكاهلية من معاد

فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر : « علم أنها شر أمهاتي فغيرني بها وهي خير صماته » — انظر الأفاقي
« ١ : ٨ » وشرح ابن أبي الحديد « م ٤ : م ٤٩٥ » وجمع الأمثال للبيداني (١ : ٧٥) وفيه

٧٩ — خطبته وقد شيع ابن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد^(١)

وخرج يشيع^(٢) إبراهيم بن الأشتر حين شخص لقتال عبيد الله بن زياد^(٣)

فقال للناس :

« فلما بلغ الشعر ابن الزبير قال : لو علم لي أما الأم من عمته لسبي بها » وبهذه المناسبة يقول : إن ابن الزبير كان شديد البخل وكان ذلك من أعظم أسباب إخفاقه وانفضاض الناس من حوله ، رووا أنه كان يطعم جنده تمرأ ويأمرهم بالحرب ، فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم : أكلتم تمرى ، وعصيتم أمرى ، فقال بعضهم :

ألم تر عبيد الله والله غالب على أمره يغي الخلافة بالتمر

وكسر بعض جنده حمة أرماع في صدور أصحاب الحجاج ، وكلما كسر رماً أعطاه رماً ، فشق عليه ذلك ، وقال : خمسة أرماع ! لا يمتل بيت مال المسلمين هذا ، وجاءه أعرابي سائل فردده ، فقال له : لقد أحرقت الرمضاء قديمي فقال : بل عليهما يبردا ، (ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٨٧) وقدم عليه معن بن أوس بمكة ، فأنزله دار الصيقلان — وكان ينزلها الغرباء وأناء السبيل والصيقلان — فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل ، فقال : كلوا من هذا وهم ذيف وسبعون رجلاً ، فغضب معن وخرج من عنده ، فأتى ابن عباس فقراه وحمله وكساه ثم أتى عبد الله بن جعفر فأعطاه حتى أرساه ، وأقام عنده ثلاثاً حتى رحل ، فقال معن في ذلك :

رما أبو بكر (وقد طال يومنا) بئس من الساء الحجارى أعفر

وقال : اطعدوا منه « ونحن ثلاثة وسبعون إنساناً » فبالؤم محبر !

فقلنا له : لا تقربا ، فأماننا جعان ابن عباس العسلا وابن جعفر

وكى آماً وارفق بتيسك إنه له أعز ينزو عليها ، وأبشر

« الأغاني ج ١٠ : ص ١٥٧ »

وقال عبد الملك بن مروان : « ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى ، وإن ابن الزبير لطويل

الصلاة كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائساً » « تاريخ الطبرى ج ٨ : ص ٥٨ »

[١] قدمنا لك أن مروان بن الحكم لما تمت له البيعة بعث إلى العراق جيشاً عليه عبيد الله بن زياد ،

وعلمت ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الورد من أرض الجزيرة ثم التقى به ابن الأشتر على

شاطئ نهر خازر من أرض الموصل . [٢] وقد خرج يشيعه ماشياً ، فقال له إبراهيم : اركب يا أبا

إسحاق ، فقال : إني أحب أن تغبر قدمي في نصرته آل محمد صلى الله عليه وسلم مشيعه فرسحين .

[٣] وكان قد دفع إلى قوم من خاصته حمماً بيضاً ضحماً ، وقال : إن رأيتم الأمر لنا ودعواها ، وإن

رأيتم الأمر علينا فأرسلوها ، فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم الدائرة في أول النهار ، فأرسل أصحاب المختار

الطير ، فنصائح الناس : الملائكة ! فتراجعوا واقتتل الناس حتى اختلط الدلام ، وأسرع القتل في أصحاب

ابن زياد ثم انكشفوا ، ووضع السيف فيهم حتى أفنوا ، وقال ابن الأشتر : لقد صربت رجلاً على شاطئ

هذا النهر ، فرجع إلى سبي فوجدت منه رائحة المسك ، ورأيت إقداماً وجراًة نصرته ، فدهبت يده قبل

المشرق ورجلاه قبل المغرب ، فانظروا فالتسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وكان مقتله سنة ٦٧ هـ .

« إن استقمتم فبصر الله ، وإن حصتم حِيَصَةً ^(١) فَإِنِّي أَجِدُ فِي مُحْكَمِ الْكِتَابِ ، وَفِي الْيَقِينِ وَالصَّوَابِ ، أَنَّ اللَّهَ مُؤَيِّدُكُمْ بِمَلَائِكَتِهِ غَضَابٍ ، تَأْتِي فِي صُورِ الْحَمَامِ دُورِينَ ^(٢) السَّحَابِ » . (الكامل للبهرد ٢ : ١٦٩)

٨٠ — خطبته وقد سار إليه مصعب بن الزبير

ولما بلغ المختار مسير مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ إِلَيْهِ مِنَ الْبَصْرَةِ ^(٣) ، قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يَا أَهْلَ الدِّينِ ، وَأَعْوَانَ الْحَقِّ ، وَأَنْصَارَ الضَّعِيفِ ، وَشِيعَةَ الرَّسُولِ ، وَآلَ الرَّسُولِ ، إِنْ قُرَّارَكُمْ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْكُمْ أَتَوْا أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْفَاسِقِينَ فَاسْتَغَوْوهُمْ عَلَيْكُمْ ، لِيَمْصَحَ ^(٤) الْحَقُّ ، وَيَنْتَعِشَ الْبَاطِلُ ، وَيُقْتَلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْ تَهْلِكُونَ مَا عُبِدَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِالْفَرَى ^(٥) عَلَى اللَّهِ ، وَاللَّعْنُ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ، أَنْتَدِبُوا ^(٦) مَعَ أَحْمَرَ بْنِ شَمِيطَ : فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ لَقِيتُمُوهُمْ لَقَدْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَتْلَ حَادٍ ^(٧) وَإِرَمَ » .

وتراحف الجندان ، وانهزم أصحاب المختار ، وقتل (في رمضان سنة ٦٧) ^(٨) (تاريخ الطبري ٧ : ١٤٨)

[١] حاص يحبس حيصاً : عدل وهرب . [٢] مصغر دون : أي قريباً منه .

[٣] وكان أخوه عبد الله بن الزبير معه فلما (سنة ٦٧ هـ) بعد عزل التابع عنها (والقباع كشجاع هو الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي أخو صهر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر) فقدم على مصعب شبت بن ريمي ، وجاءه أشرف الناس من أهل الكوفة ، وأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ، ووثوب عبيدهم ومواليهم ، وشكوا إليه وسألوه النصر لهم ، والسير إلى المختار معهم .

[٤] مصح كنع : ذهب وانقطع ، والثوب أخلق ، والنبات ولي لون زهره ، والذل قصر .

[٥] فرى الكذب كرمى : اختلقه كفتراه . [٦] انتدب إليه : أسرع .

[٧] أي أبدتوهم كما باد هؤلاء .

[٨] قال أبو العباس المبرد في الكامل (٢ : ١٦٧) وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجياً ، ثم صار رافضياً في ظاهره ، وكان يدعي أنه يلهم ضرباً من السجاعة لأمر تكون ، ثم يحتال فيوقعها ،

٨١ - خطبة محمد بن الحنفية

يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام

« خطب ابن الزبير فنال من الإمام على كرم الله وجهه ، فبلغ ذلك ابنه

فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل ، فن ذلك قوله ذات يوم : « لَتَنْزِلَنَّ مِنَ السَّمَاءِ ، نَارٌ دَهْمَاءٌ ، فَتَحْرِقَنَّ دَارَ أَسْمَاءِ » فذكر ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال : أوقد سبع أبو إسحق ؟ هو والله عرق داري ، فتركه والدار وهرب من الكوفة ، وقال في بعض سجمه : « أَمَا وَالَّذِي شَرَعَ الْأَدْيَانَ ، وَجَنَّبَ الْأَوْثَانَ ، وَكَرَّهَ الْعَصِيَانَ ، لِأَقْتَانٍ أَزْدُ دُعْمَانَ ، وَجُلَّ قَيْسٍ عَيْلَانَ ، وَتَمَيَّا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، حَاشَا النَّجِيبَ ظَبْيَانِ » وكان ظبيان النجيب يقول : لم أزل في صمر المختار أُنْقَلَبُ آمَاءً .

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢ : ٢٦٥) : « ثم إن المختار لما قتل ابن مرجانة ، وصر ابن سعد جعل ينتقم قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم أجمعين ، فلما أدناهم دانت له العراق ، ولم يكن صادق النية ، ولا صحيح المذهب ، وإنما أراد أن يستأصل الناس ، فلما أدرك نغيته أظهر للناس قبح نيته ، فادّعى أن حبريل ينزل عليه ، ويأتيه بالوحي من الله ، وكتب إلى أهل البصرة « بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسلي ، وقد كذبت الأنبياء من قبلي ، ولست بخير من كثير منهم » فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير (يعني مصعباً) وهو بالبصرة فخرج إليه ، وبرز إليه المختار فأسلمه إبراهيم بن الأشتر ووجوه أهل الكوفة ، فقتله مصعب وقتل أصحابه .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل (١ : ١٥٣) : « ومن مذهب المختار أنه يجوز البدء على الله تعالى ، والبدء له معان ، البدء في العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبدء في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبدء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعكسه بخلاف ذلك ، وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبدء ، لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال ، لما يوحى يوحى إليه ، ولما برسالة من قبل الإمام (ابن الحنفية) ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وقد تبرأ ابن الحنفية منه حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس بأنه من دعائه ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدئها من التأويلات الفاسدة ، والمخاريق الموهمة ، فن مخاريقه أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة النابوت لبي إسرائيل ، فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ، ويقول : فاتلوا ولكم الظفر والنصرة ، وهذا الكرسي عمل فيكم محل النابوت في بني إسرائيل ، وفيه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم يرلون مدداً لكم (أخذاً من

محمد بن الحنفية رضى الله عنه ، فأقبل حتى وُضِعَ لَهُ كُرْسِيٌّ قَدَامَهُ ، فعلاه وقال :
 « يا معشر قریش ، شاهت الوجوه ^(١) ، أَيْنَتْقَصَ عَلَى وَأَنْتُمْ حُضُورٌ ؟ إِنْ عَلِيًّا كَانَ
 مَعَهُمَا صَادِقًا ، أَحَدًا مَرَأَى اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، يَقْتُلُهُمْ لِكُفْرِهِمْ ، وَيُهَوِّعُهُمْ ^(٢)
 مَا كَلِمَتُهُمْ ، فَتَقُلَّ عَلَيْهِمْ ، فَرَمَوْهُ بِصِرْفَةٍ ^(٣) الْبَاطِلِ ، وَإِنَّا مَعْشَرُ لَهُ عَلَى نَهْجٍ ^(٤)
 مِنْ أَمْرِهِ بِنَوَاحِشِيبَةِ ^(٥) مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَإِنْ تَكُنْ لَنَا الْأَيَّامُ دَوْلَةً نَشْرُ عِظَامَهُمْ ،
 وَنَحْسِرُ ^(٦) عَنْ أَجْسَادِهِمْ ، وَالْأَبْدَانُ يَوْمُئِذٍ بِأَلِيَّةٍ : وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
 يَنْقَلِبُونَ » .

فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال : « عذرت بنى الفواطم يتكلمون ، فما
 بال بنى الحنفية ؟ » فقال محمد : « يابن أم رومان ^(٧) ، ومالى لأتكلّم ؟ أليست
 فاطمة بنت محمد حليّة ^(٨) أبى وأمّ إخوتي ؟ أليست فاطمة ^(٩) بنت أسد

قوله تعالى : « وَفَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ » ، إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . ويقال إنه اشتراه بدرهمين من نجار - انظر قصته في تاريخ
 الطبرى (٧ : ١٤٠)

[١] شاه وجهه : قبح . [٢] هو عه ما أكل : قيام إياه . [٣] مؤنث صرف ، والصرف :
 الخالص من كل شئ . وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والباطيل : جمع أطولة بضم الهمزة أو
 إبطالة بكسرهما أو هو جمع باطل على غير قياس . [٤] النهج : الطريق الواضح .

[٥] الحسبة : الاحتساب (طلب الأجر) فى الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات دو البدار إلى
 طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً
 للثواب المرجو بها . [٦] حصره كنصر وضرب : كشفه . [٧] أم رومان بنت عامر من زوج
 أبى بكر رضى الله عنه وأم السيدة عائشة . [٨] زوجته .

[٩] هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أمّ الإمام على كرم الله وجهه ، وقد أسلمت بعد
 عشر من المسلمين فكانت الحادى عشر ، وهى أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء .

ابن هاشم جدّتي ؟ أو ليست فاطمة ^(١) بنت عمرو بن عائذ جدّة أبي ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد ^(٢) ما تركت في بني أسد عظماً إلا هشمته ، وإن نالتني فيه المصائب صبرت . (مروج الذهب ٢ : ١٠٢)

٨٢ — عبد الله بن عباس ومعاوية

ودخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس ، قال له معاوية : « إني أريد أن أسألك عن مسائل » قال : « سل عما بدا لك » . قال : « ما تقول في أبي بكر ؟ » قال : « رحم الله أبا بكر ، كان والله للقرآن تالياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبذنبه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وعن الشبهات زاجراً ، وبالمعروف آمراً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً ^(٣) ، وسادهم زهداً وعفافاً ، فغضب الله على من أبغضه وطعن عليه » . قال معاوية : « إيهيأ ^(٤) يابن عباس ، فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ » قال : « رحم الله أبا حفص عمر ، كان والله حليف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، ومنتهى الإحسان ، ومحل الإيمان ، وكهف ^(٥) الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ^(٦) ، قام بحق الله عز وجل صابراً محتسباً ^(٧) ، حتى أوضح الدين ، وفتح البلاد ، وأمن العباد ، فأعقب الله على من ينقضه اللعنة إلى يوم الدين » . قال : « فما تقول في عثمان ؟ » قال : « رحم الله أبا عمرو وكان والله أكرم الجعدة ^(٨) ، وأفضل البرّة ، هجّاداً ^(٩)

[١] هي فاطمة بنت عمرو بن عمران بن مخزوم أمّ أبي طالب ، وهي أمّ عبد الله والد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . [٢] هي زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعمّة الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . [٣] أي رضا بالكفاف ، والكفاف من الرزق ما كفّ عن الناس وأغنى . [٤] أمر بالسكوت أي حسبك . [٥] الكهف : الملجأ ، وكذا المعقل . [٦] جمع خنيف ، وهو الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه . [٧] احتسب بكذا أجراً عند الله : اعتدّه ينوي به وجه الله . [٨] الكرام ، يقال للكرام : جسد بفتح فسكون ، فأما إذا قيل فلان جعد اليسدين أو جعد الأنامل فهو البخيل ، وربما لم يذكروا معه اليد . [٩] الهجّاد والهجود : بفتح الهاء ، والمتهجّد : المصلّي بالليل .

بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهائاً عند كل مكرمة ، سباقاً إلى كل منحة ، حياً أياً وفيها ، صاحب جيش العسرة^(١) ، وختن^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأعقب الله على من يلعبه لعنة اللاعنين ، إلى يوم الدين » قال : « فما تقول في علي ؟ » قال : « رضى الله عن أبي الحسن ، كان والله علم الهدى ، وكهف الثقي ، وتحمل الحجا^(٣) ، وبحر الندى ، وطود النهي^(٤) ، وكهف العلا ، للورى داعياً إلى المحجة^(٥) ، متمسكا بالعروة الوثقى ، خير من آمن واتقى ، وأفضل من تقمّص وارتنى ، وأبرّ من اتعل وسعى^(٦) ، وأفصح من تنفّس وقرا ، وأكثر من شهد النجوى - سوى الأنبياء والنبي المصطفى - صاحب القبلتين ، فهل يوازيه أحد ؟ وأبو السبطين^(٧) فهل يقارنه بشر ؟ ، وزوج خير النسوان^(٨) ، فهل يفوقه قاطن بلد ؟ للأسود قتال ، وفي الحروب ختال^(٩) ، لم ترعيني مثله ولن ترى ، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد ، إلى يوم التناد^(١٠) » قال : « إيهما يا بن عباس ، لقد أكثرت في ابن عمك . قال : « فما تقول في أليك العباس ؟ » قال : « رحم الله العباس - أبا الفضل ، كان صنو^(١١) نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقرّة عين صفي الله ، سيد الأعمام ، له أخلاق آباءه الأجواد ، وأحلام أجداده الأعجاد ، تباعدت

[١] تقدم شرحه في خطبة ذي الكلاع الجبرى . راجع الجزء الأول ص ١٦٤

[٢] أى صهره وقد تزوج السيدة رقية والسيدة أم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[٣] الحمل في الأصل : شقان على البير يحمل فيهما العديلان ، والحجا : العقل والفتنة .

[٤] الطود : الجبل ، والنهى العقل . [٥] الطريق الواضح . [٦] في الأصل « واسعا »

وهو تحريف . [٧] الحسن والحسين رضى الله عنهما وهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(والسبط ولد الولد) . [٨] السيدة فاطمة رضى الله عنها . [٩] خداع من الحمل وهو الخداع

والمراد أنه ذو بصير بالحروب . [١٠] يوم القيامة .

[١١] الأصل فيه أنه إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو والاثنان

صنوان والجمع صنوان برفع النون .

الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت والسّقاية والمّشاعر ^(١) والتلاوة ، ولم لا يكون كذلك ، وقد ساسه أكرم من دبّ ^(٢) ؟ فقال معاوية : « يابن عباس ، أنا أعلم أنك كلّما نيتي ^(٣) أهل بيتك » قال : « ولم لا أكون كذلك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم فقّهه في الدين ، وعلمه التأويل » .

ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام : « يا معاوية ، إن الله جل ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه ، خصّ محمداً صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال : « رَحْمَاءُ يَنْتَهُمُ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُكُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » ، قاموا بمعالم الدين ، وناصحوا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تهذبت طرقه ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء ^(٤) الله ، واستقرّ دينه ، ووضّحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال رُوحه ، ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء أصحياء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها » ، فقطع عليه معاوية الكلام ، وقال : إياها ابن عباس ، حديثاً في غير هذا .

(مروج الذهب ٢ : ٨٤)

[١] شمار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشعيرة والشعارة بالفتح ، والمشر : موضعها ، والمشر الحرام بالمزدلفة . [٢] في الأصل : « من دبّ » أى مشى والمعنى عليه صحيح ، ولكنى أرجح أنه « من أدب » لقوله « وقد ساسه » . [٣] رجل كلماني بسكون اللام وفتحها وكلماني بكسرتين مشدد اللام ، وبكسرتين مشدد الميم ، وتكلام وتكلام بكسرفسكون وتشدد لاهما : جيد الكلام فصيح . [٤] الآلاء : النعم جمع إلى (بفتح أوله وكسره) وألو (بفتح أوله) وألى (بفتح ثانيه وفتح أوله او كسره) .

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية ، وفيهم عبد الله بن عباس ، وكان جريئاً على معاوية حَقَّاراً له ^(١) ، فبلغه عنه بعض ما غمه ، فقال معاوية :

٨٣ - مقال معاوية

رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صَفِيَّيْنِ ^(٢) دون الناس ، خَفِظْتُ المِيتَ في الحى ، والحي في الميت ، استعملك علىّ يابن عباس على البصرة ، واستعمل عُبَيْدُ اللَّهِ أَخَاكَ على اليمن ، واستعمل أَخَاكَ ^(٣) على المدينة ، فلما كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا كَانَ ، هَنَأْتُكُمْ ^(٤) ما في أيديكم ، ولم أَكْشِفْكُمْ عما وَعَتَ غُرَائِرُكُمْ ^(٥) ، وقلت آخذ اليوم وأعطى غداً مثله ، وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيأتكم ما أَكَلْتُمْ ، لا يزال يبلغني عنكم ما تبرُّك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم ، خذاتم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحرار بتموني بِصِفِّيْنِ ، ولعمرى لَبَنُوتَيْمٍ وَعَدِيَّ ^(٦) أعظم ذنوباً منا إليكم ، إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنُّوا فيكم هذه السُّنَّةَ ، فحتى متى أَغْضَى الجفون على الْقَذَى ^(٧) ، وأسحب الذبول على الأذى ، وأقول لعلَّ الله وعسى ! ما تقول يابن عباس ؟

[١] أى كثير التحقير له . [٢] الصق : الحبيب المصافي . [٣] لما جاء عليا الخبر عن طلحة والزبير وعائشة أُمَرَ على المدينة تمام بن العباس ، وبعث إلى مكة فثم بن العباس (فثم كعمر) وخرج إليهم [٤] هنأهم كمنع وصرب : أطعمه وأعطاه . [٥] جمع غرارة بالكسر وهى الجوالق (الشوال) . [٦] يعنى يبنى تيم أبابكر الصديق (وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى) ويعنى يبنى عدى صمر بن الحطاب (وهو من عدى بن كعب بن لؤى) . [٧] القذى : ما يقع فى العين والشراب .

٨٤ — مقال ابن عباس

فتكلم ابن عباس فقال :

« رحم الله أبانا وأباك ، كنا صفيين متفاوضين ^(١) ، لم يكن لأبي من مال إلا ما فَضَلَ لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنا أبي بإخاء أبيك ، نصر أبي أباك في الجاهلية ، وَحَقَنَ دمه في الإسلام ^(٢) ، وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك ، منهم ابن الحضرميّ على البصرة فقتل ، وبُسْر بن أرطاة على اليمن نخان ، وحبيب بن مرة على الحجاز فرُدَّ ، والضَّحَّاك بن قيس الفهري على الكوفة فحُصِبَ ، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغنا عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وُضِعَ أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمَحَقَّهَا ، ولو وُضِعَ أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحَسَنَّاها ، وأما خذلنا عثمان فلو لَزِمْنَا نَصْرَهُ لَنَصَرْنَاهُ ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفين ، فعلى تركك الحقَّ وادِّعائك الباطل ، وإما إغراؤك إيانا بتيمة وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها » وسكت . (العقد الفريد ٢ : ١١٠)

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٨٥ — مقال معاوية لابن عباس

أقبل معاوية يوما على ابن عباس ، فقال :

« لو وليتمونا ما أتيتم إلينا ما أتيتمنا إليكم من الترحيب والتقريب وإعطائكم

[١] التفاوض : الاشتراك في كل شيء والمساواة . [٢] يشير إلى ما كان من العباس إذ شـمـع عند النبي عليه الصلاة والسلام في أبي سفيان يوم فتح مكة .

الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبرى على ما صَبَرْتُ عليه منكم ، إني لا أريد أمراً إلا أَظْمَأْتُمْ صَدْرَهُ ^(١) ، ولا آتى معروفاً إلا صَغَرْتُمْ خَطَرَهُ ^(٢) ، وأعطيتكم العطية فيها قضاءٌ حقوقكم ، فتأخذونها متكارهين عليها ، تقولون قد نَقَصَ الْحَقُّ دون الأمل ، فأى أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم ، ثم أكون أَسْرَءَ بِإِعْطَائِهَا ، منه بأخذها؟ والله أئن انخدعت لكم فى مالى ، وذَلَلْتُ لكم فى عرضى ، أرى انخداعى كرماً ، وذَلَّى حِلماً ، ولو وليتمونا رضىنا منكم بالانتصاف ، ولا نسألكم أموالكم لعلمنا بحالكم وحالنا ، ويكون أَبْغَضُهَا إلينا أَحَبُّهَا إِلَيْكُمْ أَنْ نُعْفِيَكُمْ .

٨٦ — مقال ابن عباس

فقال ابن عباس :

« لو وَلَيْنَا أَحْسَنًا الْمَوَاسَاةَ ، وامْتَنَنَّا بِالْآثَرَةِ ^(٣) ، ثم لم نَفْشِمِ ^(٤) الحى ، ولم نَشْتُمِ الْمَيِّتَ ^(٥) ، فلستم بأَجْوَدَ مِنَّا أَكْفًا ، ولا أَكْرَمَ أَنْفُسًا ، ولا أَصَوْنَ لَأَعْرَاضِ الْمَرْوَةِ ، ونحن والله أُعْطِيَ لِلْآخِرَةِ مِنْكُمْ لِلدُّنْيَا ، وَأُعْطِيَ فِي الْحَقِّ مِنْكُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَأُعْطِيَ عَلَى التَّقْوَى مِنْكُمْ عَلَى الْهَوَى ، وَالْقَسَمُ بِالسُّوِيَّةِ وَالْعَدْلُ فِي الرِّعْيَةِ يَأْتِيَانِ عَلَى الْمَنَى وَالْأَمَلِ ، مَا أَرْضَاكُمْ مِنَّا بِالْكَفَافِ ، فلو رَضِيتُمْ مِنَّا لَمْ نَرْضَ بِأَنْفُسِنَا بِهِ لَكُمْ ، وَالْكَفَافُ رِضًا مِنْ لَاحِقٍ لَهُ ، فَلَا تُبَخِّلُونَا ^(٦) حَتَّى تَسْأَلُونَا ، وَلَا تَلْفُظُونَا حَتَّى تَذُوقُونَا . »

(العقد الفريد ٢ : ١١١)

[١] يقال ورد الماء ليستقى ثم صدر عنه أى رجع ، صدرأ « يسكون الدال » وصدورأ والاسم منه الصدر « بفتحيتين » أى أصدرتم ورددتم وارده ظمآن لاريان ، يريد أنهم دائبون على مخالفته فى كل أمر ، يرون ضد رأيه . [٢] قدره وشأه . [٣] استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة والاسم الأثرة ، والمعنى وامتننا أى وتفضلنا وأنعمنا بما نستأثر به . [٤] غشمة غشما : ظلمه . [٥] يعرض به فى سبه عليا على المنابر . [٦] لانزومونا بالبخل (بجمله بالنشديد : رماه بالبخل ، وأبخله : وجده بخيلاً) .

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً

٨٧ — مقال معاوية لبني هاشم

اجتمع بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال :

« يا بني هاشم : والله إن خيري لكم لمنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ، فلا يقطع خيري عنكم علةٌ ، ولا يُوصدُ^(١) بابي دونكم مسألةٌ ، ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفاً ، إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي متى ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدرنا ، فصرت كالملسوب ، والملسوب لا حمد له ، وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم »

٨٨ — مقال ابن عباس

فأقبل عليه ابن عباس فقال :

« والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك ، لله أوسع منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفرن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسامين ، ولنا في كتاب الله حَقٌّ : حق في الغنيمة ، وحق في النية . فالغنيمة : ما غلبنا عليه ، والنية : ما اجتبيناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر ، يحمله خُفٌ ولا حافر ، أكفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاني فإنك لا تُعزُّ^(٢) ، ولا تُشجُّ^(٣) . »

(العقد الفريد ٢ : ١١١)

[١] أي ولا يفتق « وفي الأصل ولا يوجد » وهو تحريف . [٢] لا تعز أي لا تغلب ، عزّه

يعزّه (كنصره) عزّا (بالفتح) غلبه « وفي الأصل لا تعز » وهو مصحف .

[٣] شج رأسه : جرحه ، والمراد لا تغلب ولا تهزم .

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً

٨٩ — مقال معاوية

وقال يوماً معاوية وعنده ابن عباس : « إذا جاءت بنوهاشم ^(١) بقديعها وحديثها ، وجاءت بنو أمية ^(٢) بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد ^(٣) بن عبد العزى بوافدها وديانها ، وبنو عبد الدار ^(٤) بحجابتها ولوائها ، وبنو مخزوم ^(٥) بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم ^(٦) بصديقتها وجوادها ، وبنو عدي ^(٧) بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم ^(٨) بأرائها ودهائها ، وبنو جهم ^(٩) بشرفها وأنوفها ^(١٠) ، وبنو عامر ابن لؤى بفارسها وقريعتها ^(١١) فمن ذا يحمل مضارها ، ويجرى إلى غايتها ، ما تقول يا ابن عباس ؟

-
- [١] بنوهاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة الخ . [٢] بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
 [٣] بنو أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب .
 [٤] بنو عبد الدار بن قصي ، والحجابة سدانة البيت الشريف أى تولى مفاتيحه وخدمته ، واللواء راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للمسكر إذا توجهوا إلى محاربة عدو فيجتمعون تحتها ويقاثلون عندها ، وكان قصي بن كلاب قد ولى البيت الحرام وأمر مكة والحكم بها ، وابني داراً بها وهى دار الندوة ، وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها ، وقد ولد له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد ، فلما كبر قصي ورق ، مال لابنه عبد الدار — وهو أكبر ولده ، وكان فيما يزعمون ضعيفاً ، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعد العزى ، وعبد — « أما والله لألقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك ، لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ، ولا يعقد لقريش لواء الحربهم إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورهم إلا في دارك ، فأعطاء داره دار الندوة ، وأعطاء الحجابة ، واللواء والندوة ، والسقاية ، والرفادة ، (وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي به فيصنع طعاماً للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم) . [٥] بنو مخزوم بن يقظة (بالتحريك) بن مرة بن كعب بن لؤى . [٦] بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤى .
 [٧] بنو عدي بن كعب بن لؤى . [٨] بنو سهم بن مهيص (كزير) بن كعب بن لؤى ، ونسبهم عمرو بن العاص السهمي . [٩] بنو جهم بن مهيص بن كعب . [١٠] جمع أنف وهو السيد .
 [١١] التريع : المقارع .

٩٠ — مقال ابن عباس

قال : « لا أقول ليس حتى يَفْخَرُونَ بأمرٍ إلا وإلى جنبهم من يَشْرَكُهم إلا قُرَيْشًا ، فإنهم يَفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها ، ولا يُساوَوْنَ بها ، ولا يُدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمدًا من قریش إلا وقریش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إنَّ بنا فُتِحَ الأمر و بنا يُخْتَم ، ولك مُلْكٌ مُعْجَل ، ولنا ملكٌ مُؤَجَّل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا ، فليس بعد ملكنا ملك ، لأنَّ أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين . (العقد الفريد ٢ : ١١٢)

٩١ — عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

لما بلغ معاوية نَعَى الحسن بن عليّ رضي الله عنه أظهر الفرح والسرور ، حتى سجد وسجد من كان معه ، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس ، وكان بالشام يومئذ ، فدخل على معاوية ، فلما جلس قال معاوية : يا بن عباس هلك الحسن ابن عليّ ، فقال ابن عباس :

« نعم هلك ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ترجيعاً مُكْرَرًا ، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لو فاته ، أما والله ماسد جسده حفرتك ، ولا زاد نقصان أجله في عمرك ، ولقد مات وهو خير منك ، ولئن أُصِبتنا به لقد أُصِبتنا بمن كان خيراً منه ، جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نجبر الله مصيبتَه ، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة » ثم شهق وبكى ، وبكى من حضر في المجلس ، وبكى معاوية . (الإمامة والسياسة ١ : ١٢٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٥٢)

٩٢ - عبد الله بن عباس وعتبة بن أبي سفيان

قال عُتْبَةُ بن أبي سَفْيَانَ لابن عباس : « ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحَكَمين ؟ » قال : « منعهُ والله من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدة ، ومحنة الابتلاء ، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت له في مَدَارَجِ نَفْسِهِ ، نَاقِضًا لما أبرم ، ومبرمًا لما نقض ، أُسِفٌ ^(١) إِذَا طَارَ ، وَأَطِيرُ إِذَا أَسَفَ ، ولكن مضى قدر ، وبقي أسف ، ومع يومنا غد ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الأولى » . (معجز القرآن ١٢٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٩٥ ، وأمالى المرتضى ١ : ٢٠٧)

مخاصمة

بين عبد الله بن عباس وبين معاوية وأصحابه

قال ابن أبي الحديد : « روى المدائني قال : وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة ، فقال معاوية لابنه يزيد . ولزياد بن سُمَيَّةَ . وعُتْبَةُ بن أبي سفيان . ومَرْوَانَ بن الحكم . وعمر بن العاص . والمغيرة بن شُعْبَةَ . وسعيد بن العاص . وعبد الرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس . وما كان شَجَرٌ ^(٢) بيننا وبينه وبين ابن عمه ، ولقد كان نَصَبُهُ للتحكيم فدُفِعَ عنه ^(٣) ، فخرَّ كوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ، ونَقِفَ على كُنْه معرفته ، ونعرف ما صُرف عنا من شَبَابٍ ^(٤) حدّه . ووُورِي عنا من دهاء رأيه ، فربما وُصِفَ المرء بغير ما هو فيه . وأُعْطِيَ من النعت والاسم مالا يستحقه . ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس . فلما دخل واستقر به المجلس . ابتدأه ابن أبي سفيان فقال : يا ابن عباس ما منع عليا أن يُوجَّه بك حكما ؟

[١] أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .

[٢] شجر بينهم الأمر : تنازعوا فيه . [٣] لما رأى على إصرار من قبلوا التحكيم من قومه وتشبههم

قبوله أشار عليهم أن يختاروا ابن عباس أو الأشتر النخعي حكماً من قبلهم فأبوا إلا أبا موسى الأشعري .

[٤] الشبا جمع شبابة ، وهي حد كل شيء .

٩٣ — جواب ابن عباس

فقال : « أما والله لو فعل لقرن عمرًا بصعبة من الإبل ، يُوجع كتفيه مِرأسها ^(١) ، ولأذهلت عقله ، وأجرصته بريقه ^(٢) ، وقد حث في سويداء قلبه ، فلم يُبرم أمرًا ، ولم ينفض ترابًا إلا كنت منه برأى ومسمع ، فإن نكته أَرَمْتُ ^(٣) قواه ، وإن أَرَمَه فَصَمْتُ ^(٤) عُراه ، بِغَرَبٍ ^(٥) مَقُولٍ لَا يُفْلَحُ حَدُّهُ ، وَأَصَالَ رَأْيٍ كَمَتَّاحٍ ^(٦) الْأَجَلَ لَا وَزَرَ مِنْهُ ، أَصْدَعُ ^(٧) بِهِ أُدِيمُهُ ، وَأَفْلُ بِهِ شَبَا حَدُّهُ ، وَأَشَحَذَ بِهِ عِزَائِمَ الْمُعْتَزِ ^(٨) ، وَأَزِيحُ بِهِ شُبَهَ الشَّاكِّينَ » .

٩٤ — مقال عمرو بن العاص

فقال عمرو بن العاص : « هذا والله يا أمير المؤمنين نُجُومٌ ^(٩) أول الشر ، وأقول آخر الخير ، وفي حَسَمِهِ قَطْعُ مَا دَتَهُ ، فَبَادِرُهُ بِالْحَمَلَةِ ، وَانْتَهَزَ مِنْهُ الْفُرْصَةُ ، وَارْدَعُ بِالْتَنكِيلِ بِهِ غَيْرَهُ ، وَشَرَّدَ بِهِ مَنْ خَلْفَهُ » .

٩٥ — جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « يَا بَنَ النَّابِغَةِ ، ضَلَّ وَاللَّهِ عَقْلُكَ ، وَسَفِهَ حُلْمُكَ ، وَنَطَقَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ ، هَلَّا تَوَلَّيْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ يَوْمَ صِفِّيْنِ ، حِينَ دُعِيْتَ

[١] أى علاجها وقيادتها . [٢] جرض بريقه كمرح ابتاعه بالجهد على م ، وأجرصه بريقه : أغصه . [٣] أرم الجبل : قتله شديداً . [٤] حلت . [٥] الغرب : حد كل شيء ، والمقول : اللسان . [٦] من إضافة الصفة للموصوف أى كالأجل المتاح أى المندر والوزر الملجأ . [٧] أشق ، والأديم : الجلد ، وهو كناية عن غلبته إياه وانتصاره عليه . [٨] فى الأصل « انتقيز » وقد بحث فى كتب اللغة عن مادة « قيز » فلم أجده هذه المادة ، فقلبت الكلمة على الأوجه التى يظن أنها بحرفة عنها ، ورجح لدى أنها بحرفة عن « المعتز » من اعتز : أى تنحى وانفرد ، يريد الذين تنحوا عن الفتنة والنزاع بين على ومعاوية وكانوا محايدين . [٩] ظهور (مصدر نجم) .

نَزَالٍ^(١) وتكافَحَ الأبطال ، وكثرت الجِراح ، وتقصَّفت الرماح ، وبرزت إلى أمير المؤمنين مُصَاوِلًا ، فأَنكَفَأَ نحوكَ بالسيف حاملاً ، فلَمَّا رَأَيْت الكواثر^(٢) من الموت ، أعددت حيلة السلامة قبل لِقَائِهِ ، والآنكَفَاءَ عنه بعد إجابة دَعَائِهِ ، ففَنَحَتْه رجاء النجاة عورتك ، وكشفت له خوفَ بأسه سوءتك ، حذراً أن يصطامك^(٣) بسطوته ، أو يلتهمك بحملته ، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته ، وحسَّنت له التعرض لمكاحته ، رجاء أن تكتفي بثوته ، وتعدَمَ صورته ، فعلم غِلَّ صدرك ، وما انحنت عليه من النفاق أضلُّعك ، وعرف مقرَّ سهمك في غرضك ، فأكفَّفَ غَرَبَ لسانك ، وأقَمَعَ عَوْرَاءَ^(٤) لفظك ، فَإِنَّكَ بين أسد خادر^(٥) ، وبحرٍ زاخر ، إن تبرزت للأسد افترسك ، وإن عُثِمْتَ في البحر قَسَكَ^(٦) .

٩٦ — مقال مروان بن الحكم^(٧)

فقال مروان بن الحكم : « يابن عباس إنك لتَصْرِفَ^(٨) بنابك ، وتُورِي نارك ، كأنك ترجو الغلبة ، وتؤمِّلُ العاقبة ، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم ، لتناولكم بأقصر أنامله ، فأوردكم منهلاً بعيداً صدره^(٩) ، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقه منكم ، ولئن عفا عن جرأركم لقديماً ما نُسِبَ إلى ذلك » .

[١] نزال اسم فعل بمعنى انزل أى حين قال الأبطال بعضهم لبعض نزال . [٢] جمع كوثر ، وهو الكثير من كل شيء والنهر . [٣] اصطله : استأصله . [٤] العوراء : الكلمة أرفعلة الفيعة . [٥] الخدر : أجمة الأسد ومنه قيل أسد خادر . [٦] غمسك وأغرناك . [٧] هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة ، واستعمل معاوية على المدينة ومكة والطائف ، وولى الخلافة بعد موت معاوية الثاني سنة ٦٤ هـ ومات بالشام في ٣ رمضان سنة ٦٥ هـ ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . [٨] صرفت البكرة تصرف كضرب صريفاً : صوتت عند الاستقاء وهو أيضاً صرير الباب وناب البعير . [٩] الصدر : الرجوع .

٩٧ — جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « وإنك لتقول ذلك يا عدو الله ، وطريد رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم ، والمباح دمه ^(٢) ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه ^(٣) ، وركوب أثباجه ^(٤) ، أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظرت في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره ، وأما قولك لي : إنك لتصرف بنابك ، وتورى نارك ، فسل معاوية وعمرأ يخبراك ليلة الهريز ^(٥) كيف ثباتنا للمثلات ^(٦) ، واستخفافنا بالمعضلات ، وصدق جلاذنا عند المصاولة ، وصبرنا

[١] يريد « وياطريد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيك » أو « ويا بن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإن المحقق أن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبوه الحكم بن أبي العاص ، وذلك أنه قدم المدينة بعد الفتح — وكان قد أسلم يوم الفتح — فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وقال : « لانسأكن في بلد أبداً » لوقيته فيه ، قيل : كان يتسمع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطلع عليه من باب بيته ، وإنه هو الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقأ عينه بمدري في يده لما اطلع عليه من الباب ، وقيل كان يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حركاته — وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته — فالتفت يوماً فرآه وهو يتحلمج في مشيته ، فقال « كن كذلك » فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ وطرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنه وأبعده حتى صار مشهوراً بأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يزل منفيّاً حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة ، فقال : « ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكذلك عمر فلما ولي عثمان الخلافة — والحكم صم — رده ، وقال : « كنت قد شغعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده » وقد توفي في خلافة عثمان . أما مروان فلم ير النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنه خرج إلى الطائف طعلاً لايقل لما نبي النبي أباه — وقد ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة — وقيل إنه ولد بالطائف لابان نبي أبيه بها .

[٢] أي في فتنة عثمان ، وذلك أن الثور بعد أن هدا الإمام على ثأرتهم خرجوا عن المدينة ، ولكنهم في أثناء رجوعهم ضبطوا غلام عثمان ، ومعه كتاب إلى طائل مصر يأمره فيه بقتلهم ، فعدوا إلى المدينة ثانية وكانوا يعتقدون أن مروان هو الذي كتب ذلك الكتاب ، وقد سألوا عثمان أن يسلم إليهم مروان فأبى أن يسلمه وخشى عليه القتل . [٣] جمع ودج (محرقة) وهو عرق الأخدع الذي يقطعه الداح ، فلا يبقى منه حياة . [٤] جمع نيج (محرقة) وهو ما بين السكاهل إلى الظهر . [٥] هي ليلة العاشر من صفر سنة ٣٧ ، وفيها حمل جيش على جيش معاوية في وقعة صفين حملة عنيفة ، واقتتلوا تلك الليلة كلها حتى الصباح ، وأوشك جيش على أن تكون له الغلبة . [٦] جمع مثلة (كفرقة) من مثلت بالقتل إذا نكلت به .

على اللأواء^(١) والمطاولة ، ومصأخنتنا يجباهنا السيوف المرهفة^(٢) ، ومباشرتنا بنحورنا حدّ الأسنّة ، هل خننا^(٣) عن كرائم تلك المواقف ؟ أم لم نبذل مهجنا^(٤) للمتالف ؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود ، ولا يوم مشهود ، ولا أثر معدود ، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلّك ، فازبغ على ظلمك^(٥) ، ولا تتعرض لما ليس لك ، فإنك كالمغروز في صفد^(٦) ، لا يهبط برجل ، ولا يرقأ^(٧) بيد .

٩٨ - مقال زياد

فقال زياد : « يابن عباس ، إني لأعلم ، ما منع حسنًا وحسينًا من الوفود معك على أمير المؤمنين إلا ماسوت لهما أنفسهما ، وغرهما به من هو عند البأساء يسألهما^(٨) ، وإيم الله لو وليتهما لأدأبا^(٩) في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ، ولقل بمكانهما كبئهما » .

٩٩ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « إذن والله يقصّر دونهما بأعك ، ويضيق بهما ذراعك ، ولورمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقاً صبراً^(١٠) على البلاء ، لا يخيمون عن اللقاء ، فلعرّكوك بكلاكلهم^(١١) ووطئوك بمناسمهم^(١٢) وأوجرّوك^(١٣) مشق رحاحهم ، وشفّار^(١٤) سيوفهم ، ووخز أسننتهم ، حتى تشهد بسوء ما أتيت ،

[١] اللأواء : الشدة . [٢] المرقة . [٣] حام عه يخيم : جبن ونكس .
[٤] جمع مهجة وهي الدم أو الروح . [٥] ربح كنع وقف وانتظر وتعيس ، وظلع ظالماً كنع غمز في مشيه ، واربح على ظلمك أي أنك ضعيف فانتبه عملاً تطيقه واسكت على ما فيك من عيب .
[٦] الصفد : القيد ، وفي الأصل « كالمغروز في صفد » وأراه « كالمغروز في صفد » .
[٧] أي يصعد ويعلو : رقاء في الدرجة صعد : يقال رقات ورقيت (كرضيت) وترك الهمزة أكثر .
[٨] أسأله : خذله . [٩] أجهدا وأتعبا . [١٠] أي ذات صدق وصبر على البلاء أو هو « صدقاً صبراً » بضمين جمع صدوق وصبور . [١١] جمع كل شكل وهو الصدر . [١٢] جمع منسم (كعجلس) وهو خف البعير . [١٣] أوجره الرمح : طعنه به في فيه ، والمشق سرعة في الطعن والضرب أو هو بمعنى مفعول ، قديب مشوق أي طويل دقيق . [١٤] جمع شفرة وهي حد السيف .

وتتبن ضياع الحزم فيما جنيت ، فَحَذَارِ حَذَارٍ مِنْ سُوءِ النِّيَّةِ ، فَإِنَّهَا تَرُدُّ الْأُمْنِيَّةَ ،
وتكون سبباً لفساد هذين الحَيِّين بعد صلاحهما ، وسعيًا في اختلافهما بعد
اتلافهما ، حيث لا يضرهما إِنْسَاسُكَ ^(١) ، ولا يُغْنِي عَنْهُمَا إِيْنَاسُكَ .

١٠٠ — مقال عبد الرحمن بن أم الحكم

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم :

« لله درُّ ابن مُلْجَمٍ ^(٢) ، فقد بَلَغَ الْأَمَلَ ، وَأَمَّنَ الْوَجَلَ ، وَأَحَدُ الشَّفَرَةِ ،
وَأَلَانَ الْمُهْرَةَ ، وَأَدْرَكَ النَّارَ ، وَتَنَّى الْعَارَ ، وَفَازَ بِالْمَنْزِلَةِ الْعُلْيَا ، وَرَقِيَ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى .

١٠١ — جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كَرَعَ ^(٣) كَأْسَ حَتْفِهِ يَدَهُ ، وَعَجَّلَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ بِرُوحِهِ ،
ولو أَبَدَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَفْحَتَهُ ، لَخَالَطَهُ الْفَحْلُ الْقَطِيمُ ^(٤) ، وَالسَّيْفُ الْخَذِيمُ ،
وَلَا لَعَقَهُ صَابًا ^(٥) ، وَسَقَاهُ سِمَامًا ^(٦) ، وَالْحَقُّهُ بِالْوَلِيدِ وَنُتِبَهُ وَحَنْظَلَةً ^(٧) ، فَكَلَهُمْ
كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ شَكِيمَةً ^(٨) ، وَأَمْضَى عَزِيمَةً ، فَقَرَى بِالسَّيْفِ هَامَهُمْ ^(٩) ،
وَرَمَلَهُمْ ^(١٠) بِدِمَائِهِمْ ، وَقَرَى الذَّنَابَ أَشْلَاءَهُمْ ^(١١) ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحِبَّائِهِمْ ،

[١] الإِْنَسَاسُ : التلطف بالنافة وقت حلبها بأن يقال لها بس بس (بفتح فسكون) فكأنها لها .

[٢] هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله قاتل الإمام عليّ . [٣] كرع في الماء : تناوله بفيه

من مودعه . [٤] قطم الفحل كفرح فهو قطم اشتغى الضراب . [٥] عصارة شجر مرّ .

[٦] جمع سم مثلث السين . [٧] الوليد بن عتبة خال معاوية ، وعتبة بن ربيعة جده لأمه ، وحَنْظَلَةُ

ابن أبي سفيان أخوه ، وقد قتلهم عليّ يوم بدر . [٨] الشكيمة : الأنفة ، وهو شديد الشكيمة أي

أنف أبي لاسقاد . [٩] هام جمع هامة وهي الرأس .

[١٠] رمل الثوب : أطعه بالدم ، ويموز أن يكون وزملهم أي لفهم بدمائهم (على المجاز) .

[١١] أشلاء جمع شلو وهو العضو ، وقري الضيف قري (بالكسر) : أضافه .

أولئك حصَّب^(١) جهنم لها واردون ، فهل تحسُّ منهم من أحدٍ أوتسمع لهم
ركزاً^(٢) ؟ ولا غزو إن ختل ، ولا وصمة إن قُتل ، فإنَّا لَكَمَا قال دُرَيْد
ابن الصَّمَّة :

فإنَّا لِلَّحْمِ السَّيْفِ غيرَ مُكرِهٍ ونُلجِمه طوراً وليس بذي نُكرٍ^(٣)
يفار علينا وارين فيشْتَقِي بنا إن أصبنا أو نُغير على وترٍ^(٤)

١٠٢ - مقال المغيرة بن شعبة

فقال المغيرة بن شعبة :

« أما والله لقد أشرتُ على عليٍّ بالنصيحة ، فأثر رأيه ، ومضى على غلوائه^(٥) ،
فكانت العاقبة عليه لاله ، وإني لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه » .

١٠٣ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« كَانَ والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلمَ بوجوه الرأي ، ومعاقد الحزم ،
وتصريف الأمور ، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه ، وعَنَّفَ عليه ، قال سبحانه
وتعالى : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ^(٦) اللَّهَ

[١] الخطب وما يرمى به في النار . [٢] الصوت الخفى . [٣] ألجمه : أطعمه اللحم .

[٤] الوتر : الثأر ، وقد وتره يتره .

[٥] الغلواء : الغلو ، وذلك أن المغيرة جاء علياً بعد مقتل عثمان ، وقال له : ان النصيح رخيص وأنت
بقية الناس وأنا لك ناصح ، وأنا أشير عليك أن ترد عمال عثمان عامك هذا ، فاكتب إليهم بآبائهم على أعمالهم
فإذا بايعوا لك ، واطمأن أمرك عزلت من أحببت ، وأقررت من أحببت ، فقال له : والله لا أداهن في
دينى ، ولا أعطى الرياء فى أمرى ، قال : فإن أبيت فأتزع من شئت وارتك معاوية فإن له جراءة وهو فى
أهل الشام مسدوع منه ، ولك حجة فى إثباته فقد كان عمر ولاء الشام كلها ، فقال له : لا والله لا أستعمل
معاوية يومين أبداً . (وقد كان ابن عباس يرى إثبات معاوية حتى يبايع ، وقال لعلى : فإن بايع لك فعلى
أن ألقه من منزله ، فقال على : لا والله لا أعطيه إلا السيف) . [٦] حاده : غاضبه وعاداه وخالفه .

وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » ولقد وقفك على ذكر مبين ، وآية متلوّة ، قوله تعالى : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا » . وهل كان يسوغ له أن يُحكّم في دماء المسلمين ، وفى المؤمنين ، من ليس بمأمون عنده ، ولا موثوق به في نفسه ؟ هيهات هيهات ، هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يُبطن خلاف ما يُظهر إلا للثقيّة ^(١) ، ولات حين تقيّة ، مع وضوح الحق ، وثبوت الجنان ، وكثرة الأنصار ، يمضى كالسيف المصلّت ^(٢) في أمر الله ، مؤثرا اطاعة ربه والتقوى ، على آراء أهل الدنيا .

١٠٤ — مقال يزيد بن معاوية

فقال يزيد بن معاوية :

« يا بن عباس ، إنك لتنطق بلسان طليق ^(٣) ، ينبئ عن مكنون قلب حرق ^(٤) ، فاطو على ما أنت عليه كشحا ^(٥) ، فقد محاضوء حقا ظلمة باطلكم » .

١٠٥ — جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« مهلاً يزيد ، فوالله ما صفت القلوب لكم ، منذ تكدرت بالعداوة عليكم ، ولا دنت بالمحبة إليكم ، مذ نأت بالبغضاء عنكم ، ولا رضيت اليوم منكم ، ماسخطت بالأمس من أفعالكم ، وإن تُدل ^(٦) الأيام نستقضي ما شدنا عنا ، ونسترجع

[١] النقية : المحافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء إذا كانت المداوة بسبب الدين .

[٢] السلول . [٣] لسان طلق : (بسكون اللام وكسرها) ذلق .

[٤] الحرق المحروق : وفي الحديث « الحرق شهيد » وفي رواية « الحريق » أى الذى يقع في حرق

النار (بفتحين) فيلتهب ، والحرق محرّكة النار ولهبا ، وفي الحديث « الحرق والدرق والشرق شهادة » وحرّق شعره كفتح تقطع ونسل :

[٥] الكشج ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلاب ، وطوى كشجه على الأمر أضمره وستره .

[٦] أداله الله بن عدوه : نصره عليه .

ما ابْتَزَّ^(١) منا ، كَيْلًا بِكَيْلٍ ، ووزنًا بوزن ، وإن تكن الأخرى ، فكفى بالله وليًا لنا ، ووكيلًا على المعتدين علينا .

١٠٦ — مقال معاوية

فقال معاوية :

« إن في نفسى منكم لَحَزَازَاتٍ يابنى هاشم ، وإنى لخليق أن أدرك فيكم الثَّار ، وأنفى العار ، فإن دماءنا قَبْلَكُمْ ، وظلامتنا فيكم » .

١٠٧ — جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« والله إن رمتَ ذلك يا معاوية ، لَتُشِيرَنَّ عَلَيْكَ أُسْدًا مُخْدَرَةً^(٢) ، وأفاعى مُطْرِقَةً ، لَا يَفْشَوْهَا^(٣) كثرة السلاح ، وَلَا تَعَضُّهَا نكاية الجراح ، يضعون أسيافهم على عواتقهم ، يضربون قُدُمًا قُدُمًا من ناوَأهم^(٤) ، يهون عليهم ثُبَاح الكلاب ، وعُواء الذئاب ، لَا يُفَاتُونَ بوتر ، وَلَا يُسْبِقُونَ إلى كريم ذكر ، قد وطَّنوا على الموت أنفسهم ، وسمت بهم إلى العلياء همهمهم ، كما قالت الأزدية .

قومٌ إِذَا شَهِدُوا الْهِجَابَ فَلَا ضَرْبَ مُيَنِّهِمْ وَلَا زَجْرَ^(٥)

وكانهم آسادٌ غِيْنَةٌ قَدْ غَرِثَتْ وَبَلَّ مُتُونَهَا الْقَطْرُ^(٦)

فَلَتَكُونَنَّ مِنْهُمْ بِحَيْثُ أَعْدَدْتَ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ لِلْهَرَبِ فَرَسَكَ ، وَكَانَ أَكْبَرُ هَمِّكَ سَلَامَةُ حُشَّاشَةٍ^(٧) نَفْسِكَ ، وَلَوْ لَا طَعَامُ^(٨) مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَقَوَّكَ بِأَنْفُسِهِمْ ،

[١] ما سلب . [٢] أخدر للأسد : لزم الأجمة ، وأخدر العرين الأسد ستره فهو مخدر (بكسر

المدال وفتحها) . [٣] فَنَأَ الْفَضْبُ كَنَعَ سَكَّهُ وَكَسَرَهُ ، والقدر سكن غليانها .

[٤] القدم : الشجاع والمضى أمام أمام ، وناوَأهم عاداهم .

[٥] نهيه عن الأمر : كفه وزجره . [٦] النينة : بالكسر الأجمة ، والغينة بالفتح الأشجار الملتفة

في الجبال وفي السهل بلاماء ، فإذا كانت بماء فهي غيضة ، وغرث : كفرح جاع فهو غرثان .

[٧] الحشاشة : بقية الروح في الرئس والجريح . [٨] الطعام : أوغاد الناس .

وبذلوا دونك مُهَجِّهم ، حتى إذا ذاقوا وخز الشُّقَار ، وأيقنوا بحلول الدَّمار ،
رفعوا المصاحف مستجيرين بها ، وعائذين بعصمتها ، لكنك شلواً مطروحاً
بالعرء^(١) ، تسنى عليك رياحها^(٢) ، ويعتورك ذئابها ، وما أقول هذا أريد
صَرْفَكَ عن عزيمة ، ولا إزالتك عن معقود نيِّتك ، لكن الرِّحِم التي تعطف
عليك ، والأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك .

فقال معاوية : « لله درك يا بن عباس ، ما تكشف الأيام منك إلا عن
سيف صقيل ، ورأى أصيل ! وبالله لو لم يلد هاشم غيرك ، لما نَقَصَ عددهم ، ولو لم
يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثَّرهم » ! ثم نهض فقام ابن عباس وانصرف .
(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ١٠٥)

عبد الله بن عباس وعمر بن العاص

قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبنى
أمية ، وتناول بنى هاشم ، وذكر مَشَاهِدَهُ بِصِفَيْن ، واجتمعت قريش فأقبل عبد الله
ابن عباس على عمرو فقال :

١٠٨ - مقال ابن عباس

« يا عمرو إنك بعت دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيدك ، وَمَنَّاكَ ما بيد
غيره ، فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون
الذي أعطيته ، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى^(٣) ، فاما صارت مصر في يدك كدَّرها

[١] العراء : الفضاء لا يستتر فيه شيء . [٢] سفت الريح الغراب تسفيه ذرته أو حمله .

[٣] وذلك أن عمراً لما لحق بمعاوية بعد أن بلغه مقتل عثمان سأله معاوية أن يتبعه ، قال عمرو فاكتب
لي مصر وكورها طعمة فكتب له ، وقال عمرو في ذلك :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطيني مصرأ فأرجح صفته أخذت بها شيعا يضر وينفع

عليك بالعزل والتنغيص^(١) ، حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها ، وذكرت يومك مع أبي موسى ، فلا أراك نَحَرْتَ إِلَّا بِالْعَدْرِ ، وَلَا مَنَنْتَ إِلَّا بِالْفَجُورِ والغش ، وذكرت مشاهدك بِصِفَتَيْنِ ، فوالله ما ثقلت علينا وَطْأَتُكَ ، ولقد كَشَفْتَ فِيهَا عَوْرَتَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِيهَا لَطَوِيلَ اللِّسَانِ ، قَصِيرَ السِّنَّانِ ، آخِرَ الْخَلِيلِ إِذَا أَقْبَلْتَ ، وَأَوَّلَهَا إِذَا أَدْبَرْتَ ، لك يدان : يد لا تَبْسُطُهَا إِلَى خَيْرٍ ، وَأُخْرَى لَا تَقْبِضُهَا عَنْ شَرٍّ ، وَلِسَانٌ غَرَّورٌ ذُو وَجْهَيْنِ : وَجْهٌ مُوَحِّشٌ ، وَوَجْهٌ مُؤْنِسٌ ، وَلِعَمْرِي إِنْ مِنْ بَاعٍ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ لَحَرِيٍّ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهَا نَدَمُهُ ، لك لسان وفيك خَطَالٌ ، ولك رأى وفيك نَكَدٌ ، ولك قدر وفيك حَسَدٌ ، وَأَصْغَرَ عَيْبَ فَيْكَ أَعْظَمَ عَيْبٍ فِي غَيْرِكَ .

١٠٩ - رد ابن العاص

فأجابه عمرو بن العاص : « وَاللَّهِ مَا فِي قَرِيشٍ أَثْقَلُ عَلَى مَسْأَلَةٍ ، وَلَا أَمْرٌ جَوَابًا مِنْكَ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَلَّا أَجِيبَكَ لَفَعَلْتُ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَبْعِدْ دِينِي مِنْ مَعَاوِيَةَ ، وَلَكِنْ بَعَثَ اللَّهُ نَفْسِي ، وَلَمْ أَنْسَ نَصِيبِي مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا مَا أَخَذْتَ مِنْ مَعَاوِيَةَ

ثم إنه سنة ٣٨ في حيش لغزو مصر ، وكان عليها محمد بن أبي بكر من قبل الإمام عليّ فهزمه وقتله ، وصارت مصر في حوزة معاوية فولاها عليها أميراً .

[١] روى ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٤ : ص ٥) قال :

« لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر لعمرو ما عاش ، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتيديره وعنائه وسميه فيه ، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر ، فلم يفعل معاوية ، فتنكر عمرو لمعاوية فاختلفا وتغالظا . وتميز الناس ، وظنوا أنه لا يجمع أمرهما ، فدخل بينهما معاوية بن حديج وأصلح أمرهما ، وكتب بينهما كتاباً ، وشرط فيه شروطاً لمعاوية ، وعمرو خاصة ، وللناس عليه ، وأن لعمرو ولاية مصر سبع سنين وعلى أن على عمرو السمع والطاعة لمعاوية ، وتوافقا وتماهدا على ذلك ، وأشهدا عليهما به شهوداً ، ثم مضى عمرو بن العاص على مصر والياً عليها ، وذلك في آخر سنة تسع وثلاثين ، فوالله ما مكث بها إلا سنتين أو ثلاثاً حتى مات . »

وأعطيته فإنه لا تُعَلَّمُ الْعَوَانُ الْحِمْرَةُ ^(١) . وأما ما أتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك لم يغيرني له ، وأما خفة وطأتي عليكم بصفين ، فلما استثقتكم حياتي واستبظأتكم وفاتي . وأما الجبن فقد علمت قريش أني أول من يبارز ، وآخر من ينازل . وأما طول لساني ، فإنني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

لساني طويل فاحترس من شذائِهِ عليك ، وسيفي من لساني أطول ^(٢)
وأما وجهاي ولساناي ، فإنني ألقى كل ذي قدر بقدره ، وأرى كل ناجح بحجره ، فمن عرف قدره كفاني نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسه ، ولعمري ما لأحد من قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما ينفعني ذلك عندك ، وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشمٍ مالى أراكم كأنكم	بى اليوم جهالٌ؟ وليس بكم جهل
ألم تعلموا أنى جسور على الوغى	سريعٌ إلى الداعى إذا كثر القتل
وأول من يدعو «نزالٍ» . طبيعةٌ	جُبِلْتُ عليها ، والطَّبَاعُ هو الجبلُ ^(٣)
وأنى فصَلْتُ الأمر بعد اشتباهه	بدومةٍ إذ أعياء على الحكم الفصلُ ^(٤)
وأنى لا أعياء بأمرٍ أريده	وأنى إذا عَجَّتْ بَكَارُكُمْ فَخْلُ ^(٥)

(العقد الفريد ٢ : ١١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٩٦)

١١٠ — عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص أيضاً

حج عمرو بن العاص فمرَّ بعبد الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من

[١] فى المثل « إن العوان لا تعلم الحمرة » والعوان من النساء التى كان لها زوج ، والحمرة اسم من الاختمار ، واختمرت المرأة لبست الحمار بكسر الحاء (الطرحة) يضرب للرجل ا رب .

[٢] الشذاة : الحدة ، والشذا والشذا بالذال والذال حد كل شئ .

[٣] أى نازلونى أيها الأقران ، والطباع : الطبيعة والسجية جبل عليها الإنسان ، والجبل : مصدر جبل .

[٤] هى دومة الجندل التى اجتمع فيها الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعرى .

[٥] البكار : جمع بكرة (بالفتح) وهى الناقة الفتية ، وعجت أى صاحت ورفعت صوتها .

هَيْبَةُ النَّاسِ لَهُ، وَمَوْقِعُهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ يَابْنَ عَبَّاسَ : « مَا لَكَ إِذَا رَأَيْتَنِي وَلَيْتَنِي الْقَصْرَةَ ^(١) ، وَكَأَنَّ بَيْنَ عَيْنَيْكَ دَبْرَةً ^(٢) ، وَإِذَا كُنْتَ فِي مَلَأَ مِنَ النَّاسِ كُنْتُ الْهُوَاهَاةَ ^(٣) الْهُمَزَةَ ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسَ : « لَأَنَّكَ مِنَ اللَّثَامِ الْفَجْرَةِ ، وَقَرِيشُ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، لَا يَنْطَقُونَ بِبَاطِلٍ جَهْلَوَهُ ، وَلَا يَكْتُمُونَ حَقًّا عَلمَوْهُ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا ، وَأَرْفَعُ النَّاسِ أَعْلَامًا . دَخَلْتَ فِي قَرِيشٍ وَلَسْتَ مِنْهَا ، فَأَنْتَ السَّاقِطُ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ ، لَا فِي بَنِي هَاشِمٍ رَحْلُكَ ، وَلَا فِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ رَاحِلَتُكَ ، فَأَنْتَ الْأَثِيمُ الزَّئِيمُ ^(٤) الضَّالُّ الْمُضِلُّ ، حَمَلْتَ مَعَاوِيَةَ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَنْتَ تَسْطُو بِحَمَلِهِ ، وَتَسْمُو بِكِرْمِهِ » فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُسْرُورٌ بِكَ ، فَهَلْ يَنْفَعُنِي عِنْدَكَ ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ : حَيْثُ مَالُ الْحَقِّ مِلْنَا ، وَحَيْثُ سَلَكُ قَصَدْنَا .

(النقد الفريد ٢ : ١١٢)

١١١ — مفاخرة عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس

تَرَوِجُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ أُمَّ عَمْرُو بَدَتْ مِنْظُورُ بْنُ زَبَانَ الْفَزَارِيَّةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ بِهَا قَالَ لَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ : أَتَذَرِينَ مِنْ مَعَكَ فِي حَجَلَتِكَ ^(٥) ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى . قَالَ : لَيْسَ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَتْ : فَمَا الَّذِي تَرِيدُ ؟ قَالَ : مَعَكَ مِنْ أَصْبَحٍ فِي قَرِيشٍ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا بَلْ بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ . قَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ

[١] القصرة : أصل العنق في مركبه في الكاهل ، ويقال لعنق الإنسان كله قصرة ، والمعنى وإيتني عتقك لإعراضاً عني . [٢] الدبرة : يسكون الباء وفتحها الهزيمة في القتال وهو اسم من الأدبار والمراد بها هنا الاغضاء وعدم الاقبال . [٣] قال صاحب اللسان ، وفي حديث عمرو بن العاص : « كنت الهوامة الهمة » الهرواة الأحمق ، وقال أيضاً : « رجل هوام وهوامة وهوامة بفتح الأول ضعيف الفؤاد جبان ، ورجل هومة بضم الأول جبان أيضاً . [٤] الزئيم المستلحق في قوم ليس منهم والدعي . [٥] الحجلة كالقبة ، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس .

حَضَرَكَ ، لَقَالَ لَكَ خِلَافٌ قَوْلِكَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى حَرَامٍ حَتَّى أُخْضِرَكَ الْهَاشِمِيِّينَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَذَلِكَ إِنكَارًا ، قَالَتْ : إِنْ أَطَعْتَنِي لَمْ تَفْعَلْ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ وَشَأْنُكَ ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى حَلْقَةً فِيهَا قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَصِينِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَقَالَ لَهُمُ ابْنُ الزَّيْبِرِ : أُحِبُّ أَنْ تَنْطَلِقُوا مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ، فَقَامَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَى بَابِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ : يَا هَذِهِ اطْرَحِي عَلَيْكَ سِتْرَكَ ، فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ دَعَا بِالْمَاءِ ثَلَاثَةً (١) فَتَغَدَّى الْقَوْمُ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا قَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا جَمَعْتُكُمْ لِحَدِيثٍ رَدَّتهُ عَلَى صَاحِبَةِ السِّتْرِ ، وَزَعَمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ بَعْضُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ حَضَرَني لَمَّا أَقَرُّ لِي بِمَا قُلْتُ ، وَقَدْ حَضَرْتُمْ جَمِيعًا ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا تَقُولُ ؟ إِنِّي أَخْبَرْتُهَا أَنَّ مَعَهَا فِي خِدْرِهَا مَنْ أَصْبَحَ فِي قُرَيْشٍ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ ، لَا يَلُ بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ ، فَردَّتْ عَلَى مَقَالَتِي .

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَرَأَيْكَ قَصَدْتَ قَصْدِي ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَقُولَ قُلْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَكْفَّ كَفَفْتُ . قَالَ : بَلْ قُلْ ، وَمَا عَسَى أَنْ تَقُولَ ؟ أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ أَبِي الزَّيْبِرَ حَوَارِيُّ (٢) رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَأَنْ أُمِّي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ (٣) ؟ وَأَنْ عَمَّتِي خَدِيجَةُ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؟

[١] تَغَدَّى : أَكَلَ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَالْغَدَاءُ : الطَّعَامُ الَّذِي يُؤْكَلُ أَوَّلَ النَّهَارِ ضِدَّ الْعِشَاءِ ، (وَسُمِّيَ السَّحُورُ غَدَاءً ، لِأَنَّهُ لِلصَّائِمِ بِمَنْزِلَةِ الْغَدَاءِ لِلْمَغْطَرِ) . [٢] الْحَوَارِيُّ : الْبَاصِرُ أَوْ نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَّامِ ابْنُ عَمَّتِي ، وَحَوَارِيُّ مِنْ أُمَّتِي » .

[٣] كَانَ يُقَالُ لِأَسْمَاءَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَاتِ النُّطَاقَيْنِ ، قِيلَ : لِأَنَّهَا كَانَتْ تَطَارِقُ نَطَاقًا عَلَى نَطَاقٍ (تَطَارِقُ بَيْنَ ثَوْبَيْنِ : طَابِقٌ) وَقِيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ لَهَا نَطَاقَانِ تَلْبَسُ أَحَدَهُمَا ، وَتَحْمِلُ فِي الْآخَرِ الزَّادَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهِيَ فِي النَّارِ . قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَهَذَا أَصَحُّ

وَأَنْ صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدَّتِي ^(١) ؟ وَأَنْ عَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ خَالَتِي ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ لِهَذَا إِنْكَارًا ؟

قال ابن عباس : لا ، ولقد ذكرتَ شرفًا شريفًا ، ونفراً فاخراً ، غيرَ أنك تفاخر من يفخره نفرت ، وبفضله سموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تذكر نفراً إلا برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا أُولَى بالفخر به منك . قال ابن الزبير : لو شئتُ لفخرتُ عليك بما كان قبل النبوة . قال ابن عباس : قد أنصف القارة من رامها ^(٢) ، نشدتكم الله أبها الحاضرون ، أعبدُ المطلب أشرفُ أم خويلد في قريش ؟ قالوا : عبد المطلب . قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد ؟ قالوا : بل هاشم . قال : أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى ؟ قالوا : عبد مناف ، فقال ابن عباس :

تُنَافِرُنِي يَا بْنَ الزَّبِيرِ ! وَقَدْ قَضَى عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ لَا قَوْلَ هَازِلٍ

القوانين ، وقيل : لأنها شقت نطاقها نصفين ، فاستعملت أحدهما وجعلت الآخر شداداً لرادهما ، وجاء في المقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠) أن الحجاج لما حصر ابن الزبير بمكة ناداه وبك يابن ذات النطاقين ، أقبل الأمان ، وادخل في طاعة أمير المؤمنين ، فدخل على أمه أسماء ، فقال لها سمعتَ رحمة الله ما يقول النجوم ، وما يدعوني إليه من الأمان ؟ قالت : سمعتهم لعنهم الله ! فما أجملهم ! وأعجب منهم إذ يعيرونك بذات النطاقين ، ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم نورك عندهم ، قال : وما ذك يا أمام ؟ قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أنى بكر (وروى عن عائشة رضي الله عنها أنه خرج معه مهاجرين كما جاء في لسان العرب) فهيأت لها سفرة ، فطبا شيثا يربطانها به فما وجداه ، فقطعت من ثزري لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن لك به نطاقين في الجنة ، وفي القاموس المحيط : لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى عصماً لقربته . [١] هي جدته لأبيه .

[٢] القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة ، وبزعمون أن رجلين النقا ، أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئتَ صارحك ، وإن شئتَ سابقتك ، وإن شئتَ راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المراماة ، فقال القارى : قد أنهتني ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا قُتِلْنَا نلقاها
نرد أولاهنا على أخراها

ثم انتزع له بسهم ، فشك به فؤاده .

ولو غيّرنا يابن الزبير فخرته وَلَكِنَّا سَامَيْتَ شَمْسَ الْأَصَابِلِ^(١)
 قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل في قوله : « ما افترقت فرقتان إلا
 كنتُ في خيرهما » فقد فارقناك من بعد قُصَيٍّ^(٢) بن كلاب ، أفنحن في فرقة
 الخير أم لا ، إن قلت نعم خُصِمْتَ ، وإن قلت لا كفرت ، فضحك بعض
 القوم ، فقال ابن الزبير : أما والله لولا تحرُّمُك^(٣) بطعامنا يابن عباس لأعرت^(٤)
 جبينك قبل أن تقوم من مجلسك . قال ابن عباس : وَلِمَ أَيْبَاطِل ؟ فالباطل
 لا يغلب الحق ، أم بحق ؟ فالحق لا يخشى من الباطل .

فقالت المرأة من وراء الستر : إني والله لقد نهيتَه عن هذا المجلس فأبى إلا
 ماتَرُون ، فقال ابن عباس : مَهْ أيتها المرأة ، اقْنَعِي بِبَعْلِكَ ، فما أعظمَ الخطَرَ ،
 وما أكرمَ الخبرَ ، فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمى ، فقالوا : انهض أيها
 الرجل فقد أفحمتَه غير مرة ، فنهض وقال :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القَطَا لَغَفَا وناما^(٥)

فقال ابن الزبير : يا صاحب القَطَا أَقْبِلْ عَلَيَّ ، فما كنتَ لِتَدَعَنِي حتى أقول :
 وَأَيُّمُ الله لقد عَرَفَ الأَقْوَامُ أَنِّي سابق غير مسبوق ، وابن حَوَارِيٍّ وصِدِّيق ،
 مُتَّبَجِّحٌ^(٦) في الشرف الأنيق ، خيرٌ من طَلِيق^(٧) وابن طليق ، فقال ابن عباس

[١] الأصائل جمع أصيل وهو الشيء « ما بعد صلاة العصر إلى الغروب » .

[٢] كان من أولاده عبد العزى بن قصي (ومن سلالة ابن الزبير) وعبد مناف بن قصي
 (ومن سلالة بنو هاشم) . [٣] تحرم منه بجمرة تمتع وتحمي بدمه .

[٤] أي لذكرت لك من المساوي ما يهرك له جبينك ويندى خجلا . [٥] عفا وأغنى : نام نومة
 خفيفة . [٦] من تبجح به إذا افتخر وتعظم ، وأرجح أنه « متبجح » من تبجح أي تمكن في المقام والمحل
 [٧] يمرض بأبيه العباس بن عبد المطلب ، وكان خرج مع المشركين في غزوة بدر الكبرى ووقع أسيرا ،

وقد أطلقه عليه الصلاة والسلام بعد أن أخذ منه الفدية « ويروى أنه لما طلب منه الفداء قال : علام يؤخذ
 مني البداء ، وكنت مسلما ؟ ولكن القوم استكروهني ، فقال له صلى الله عليه وسلم : الله أعلم بما تقول
 إن يك حقا ، فإن الله يحزبك ، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا » .

رُسِغْتَ بِجُرَّتِكَ^(١) فلم تُبْقَ شيئاً ، هذا الكلام مردود ، من امرئ حَسُودٍ ، فإن كنتَ سابقاً فإلى من سبقتَ ؟ وإن كنتَ فاعزاً فبمن نخرتَ ، وإن كنتَ أدركتَ هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا ، فالفخر لك علينا . وإن كنتَ إنما أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك ، وَالْكَشْكُ^(٢) في فك ويديك ، وأما ما ذكرت من الطَّمِيقِ ، فوالله لقد ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ ، وَإِنْ كَانَ وَاللهُ لَوْفِيًّا كَرِيمًا ، غيرَ نَاقِضٍ بَيِّنَةٍ بعد توكيدها ، ولا مُسْلِمٍ كَتِيبَةً بعد التأثر عليها^(٣) ، فتعال ابن الزبير : أتعير الزبير بالجبين ؟ والله إنك لتعلم منه خِلافَ ذلك ، قال ابن عباس : والله إني لأعلم إلا أنه فرّ وما كرّ ، وحارب فما صبر ، وباع فما تئّم ، وقطع الرَّحِمَ ، وأنكر الفضلَ ، ورام ما ليس له بأهل^(٤) :

وأدرك منها بعض ما كان يرتجى وقصر عن جرئ الكرام وبلداً

وما كان إلا كالهجين أمامه عتاق ، فجراه العتاق فأجهداً^(٥)

فقال ابن الزبير : لم يَبْقَ يابني هاشم غيرُ المشاة والمضاربة ، فقال عبد الله بن الحصين بن الحرث ، أقناه عنك يابن الزبير ، وتأبى إلا منازعته ؟ والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ، ما كنت إلا كَالسَّغَبِ^(٦) الظمآن ، يفتح فاه

[١] الجرة بالضم والفتح : عصا تربط إلى حباله ، تغيب في التراب للظي يصطاد بها ، فيها وتر ، فإذا دخلت يده في الحباله انعقدت الأوتار في يده ، فإذا وثب ليفك فدى يده ، ضرب بتلك العصا يده الأخرى ورجله فكسرها ، ورسغ البعير شد رسغ يديه بخيط ، والمعنى وقعت في حبالك ، وعاد ما نخرت به حجة عليك لا لك ، وفي الأصل « رسعت » بالعين ، ولا يستقيم المعنى بذلك (يقال : رسع الصبي كنع : شد في يده أو رجله خرزا لدفع العين ، ورسعت أعضاؤه : فسدت واسترخت) وربما كان الأصل « رصعت بجرتك » من رصعه بالرمح إذا طعنه طعنا شديداً غيب السنان كله فيه ، أي طعنت بسهمك وارتدت إليك حجتك ، ومعناه كالأول . [٢] الكشك (بفتح الكافين وكسرهما) : التراب وفنات الحجارة .

[٣] يعرض بالزبير وقد بايع الامام ثم نكث ببعته ، وخرج لقتاله مع أصحاب الجمل ثم اعتزلهم .

[٤] أي رام الخلافة ، وقد قال للإمام حين حاوره قبل ندوب وقعة الجمل : « لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا » . [٥] فرس هجين : إذا لم يكن عتيقاً ، وفرس عتيق أي كريم والجمع عتاق ، وفي الأصل « عتاق » بالون ، وهو تصحيف . [٦] الجائم .

يستزيد من الرِّيح ، فلا يَشْبَع من سَعْب^(١) ، ولا يَرْوَى مِنْ عَطَش ، فقل إن شئت أوقدع ، وانصرف القوم . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ٥٠١)

ابن عباس وابن الزبير في مجلس مروان بن الحكم

وكان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم - وهو يومئذ أمير المدينة - سرير آخر أصغر من سيره ، فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل ، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك ، فأذن مروان يوماً للناس ، وإذا سرير آخر قد أُحْدِثَ تَجَاهَ^(٢) سرير مروان ، فأقبل ابن عباس فجلس على سيره ، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المُحْدَث ، وسكت مروان والقوم ، فإذا يد ابن الزبير تتحرك ، فعلم أنه يريد أن ينطق ، ثم نطق فقال :

١١٢ - مقال ابن الزبير

« إن ناساً يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطاً وفلانة ومُغَالَبَةً ، ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ! ويزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ أثبت إيماناً ، ولا أعظم سابقةً من أبي بكر ، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله ، فأين هم حين عقَد أبو بكر لعمر فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ ، وجَدَّهم في جدود ، فقسمت تلك الحظوظ ، فأخر الله سَمَهُم ، وأدحض جَدَّهم ، وولى الأمر عليهم من كان أحقَّ به^(٣) منهم ، فخرجوا عليه خروج اللصوص

[١] جوع . [٢] تَجَاهَهُ ووجهه مثلثين : تلقاء وجهه .

[٣] يشير إلى اختيار عمر رضى الله عنه أصحاب الشورى السنة ، وفيهم الامام على كرم الله وجهه ، وما كان من مبايعة عثمان رضى الله عنه بالخلافة .

على التاجر خارجاً من القرية ، فأصابوا منه غيرة ^(١) فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قتيلا ، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب .

١١٣ — مقال ابن عباس

فقال ابن عباس : « على رسلك ^(٢) أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة ، أما والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئاً ، إلا وصاحبنا خيرٌ ممن نالا ، وما أنكرنا تقدم من تقدّم لعيب عِبناه عليه ، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل ، ولولا أنك إنما تذكر حظَّ غيرك ، وشرف امرئ سواك لكامتك ، ولكن ما أنت وما لاحظ لك فيه ؟ اقتصر على حظك ، ودع تيمناً لتيم ، وعدياً لعدى ^(٣) وأمية لأمية ، ولو كامن تيمى أو عدوى أو أموى ، لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر ، لا خبر غائب عن غائب ، ولكن ما أنت وما ليس عليك ؟ فإن يكن في أسد بن العزى شئ ، فهو لك ، أما والله لنحن أقرب بك عهداً ، وأبيض بك يداً ، وأوفر عندك نعمة ، ممن أمسيت تظن أنك تصول به علينا ، وما أخلق ثوبُ صفة بعد ، والله المستعان على ما تصفون . »

(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٤٩٠)

١١٤ — خطبة عبد الله بن عباس

يرد على عبد الله بن الزبير وقد عاب بنى هاشم

لما كشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم ، وأظهر بغضهم وعابهم ، وهم بما هم به في أمرهم ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبه ، لا يوم الجمعة ولا غيرها ، عاتبه على ذلك قوم من خاصته ، وتشاءموا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ،

[١] غفلة . [٢] الرسل : الرفق والتؤدة . [٣] تيم رهط أبى بكر الصديق ، وعدى رهط عمر الفاروق .

فقال : « والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سرّاً وأكثير منه ، لكنني رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره ، أشرباً^(١)وا^(٢)واحمراً ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنت لآتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه ، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ، ثم أضرمها عليهم ناراً ، فإني لا أقتل منهم إلا أنما كفاراً سحاراً ، لا أنعام الله ، ولا بارك عليهم ! بيت سوء لا أول لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً ، استفرغ^(٣) نبي الله صدقهم ، فهم أكذب الناس ، فقام إليه محمد بن سعد ابن أبي وقاص فقال : « وفقتك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أول من أعانك في أمرهم » . فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال : « والله ما قلت صواباً ، ولا هممت برشد ، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب ، وإياهم تقتل ، والعرب حولك ؟ والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسامين ، ما سوغته الله لك ، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره ، فقال : اجلس أبا صفوان فلست بناموس^(٤) ، فبلغ الخبر عبد الله بن العباس ، فخرج مغضباً ومعه ابنه ، حتى أتى المسجد ، فقصد قصد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : « أيها الناس : إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر ! فإعجبوا كل العجب ، لاقتراؤه وتكذيبه^(٥) ! والله إن أول من أخذ الإيلاف^(٥)

[١] اشرباً إليه : مد عنقه لينظر أوارتفع . [٢] في الأصل « استفرغ » وهو تحريف . يقال استفرغ فلان مجهوده إذا لم يبق من جهده وطاقته شيئاً ، والمراد أنه حوى ما فيهم من صدق فلم يبق لهم منه شيء ، فهم أكذب الناس (كذا) . [٣] الناموس : الحاذق ، وهو أيضاً صاحب السر المطلع على باطن أمرك . [٤] تكذب : تكاف الكذب .

[٥] روى أبو طي القالي في أماليه قال :

« كانت قریش تجاراً ، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ، إنما تقدّم عليهم الأعاجم

وَحَتَّى عِيَرَاتٍ^(١) قَرِيشَ لَهَا شِمٌّ ، وَإِنْ أَوَّلَ مَنْ سَقَى بِمَكَّةَ عَذْبًا ، وَجَعَلَ بَابَ

بِالسَّلْعِ ، فَيَشْتَرُونَهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ يَتْبَاعُونَهَا بَيْنَهُمْ ، وَيَبِيعُونَهَا عَلَى مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، فَكَانُوا كَذَلِكَ ، حَتَّى رَكِبَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ إِلَى الشَّامِ ، فَزَلَّ بِقَيْصَرٍ ، فَكَانَ يَذْخُ كُلَّ يَوْمٍ شَاةً ، وَيَصْنَعُ جَفْنَةً تَرِيدُ ، وَيَجْمَعُ مِنْ حَوْلِهِ فَيَأْكُلُونَ ، وَكَانَ هَاشِمٌ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ وَأَتَمَّهُمْ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لَقَيْصَرٍ ، فَقِيلَ لَهُ : هَاهُنَا رَجُلٌ مِنْ قَرِيشَ يَهْتِمُّ بِالْخَبْزِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَرْقَ وَيُفَرِّغُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ — وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَجْمُ تَصُبُّ الْمَرْقَ فِي الصَّحَافِ ثُمَّ تَأْتِدُمُ بِالْخَبْزِ — فَدَعَا بِهِ قَيْصَرٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَكَلَّمَهُ أُعْجِبَ بِهِ ، فَكَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ وَيَحَادِثُهُ ، فَلَمَّا رَأَى نَفْسَهُ تَمَكَّنَ عِنْدَهُ ، قَالَ لَهُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنْ قَوْمِي تِجَارُ الْعَرَبِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَكْتُبُ لِي كِتَابًا تُؤَمِّنُ تِجَارَتَهُمْ فَيَقْدَمُوا عَلَيْكَ بِمَا يُسْتَطَرَفُ مِنْ أَدَمِ الْحَبَّازِ وَثِيَابِهِ فَتُبَاعَ عِنْدَكُمْ فَهُوَ أَرْخَصُ عَلَيْكُمْ » فَكَتَبَ لَهُ كِتَابَ أَمَانٍ لِمَنْ يَقْدَمُ مِنْهُمْ ، فَأَقْبَلَ هَاشِمُ بِذَلِكَ الْكِتَابِ ، فَجَعَلَ كُلُّهُمْ رَجُلًا بِحَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ بِطَرِيقِ الشَّامِ أَخَذَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِيْلَافًا — وَالْإِيْلَافُ أَنْ يَأْمِنُوا عِنْدَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ بِغَيْرِ حِلْفٍ ، إِنَّمَا هُوَ أَمَانُ الطَّرِيقِ — وَعَلَى أَنْ قَرِيشًا تَحْمِلُ إِلَيْهِمْ بَضَائِعَ ، فَيَكْفُونَهُمْ نُحْمَلَانَهَا ، وَيُؤَدُّونَ إِلَيْهِمْ رَسْمًا وَأَمْوَالَهُمْ وَرَبْحَهُمْ ، فَأَصْلَحَ هَاشِمُ ذَلِكَ الْإِيْلَافَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَأَتَاهُمْ بِأَعْظَمِ شَيْءٍ أُتُوا بِهِ بِرَكَّةٍ ، فَخَرَجُوا بِتِجَارَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَخَرَجَ هَاشِمٌ مَعَهُمْ بِجَوْزِهِمْ ، يُؤَفِّقُهُمْ إِيْلَافَهُمُ الَّذِي أَخَذَ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، حَتَّى أَوْرَدَهُمُ الشَّامَ ، وَأَحْلَاهُمْ قَرَاهَا ، وَمَاتَ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ بِغَزَّةَ ، وَخَرَجَ الْمَطْلَبُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ إِلَى الْيَمَنِ ، فَأَخَذَ مِنْ مَلُوكِهِمْ عَهْدًا لِمَنْ تَجَرَّ إِلَيْهِمْ مِنْ قَرِيشَ ، وَأَخَذَ الْإِيْلَافَ كَفَعَلَ هَاشِمٍ ، وَكَانَ الْمَطْلَبُ أَكْبَرُ وَلَدِ عَبْدِ مَنْفٍ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْفَيْضَ ، وَهَلَكَ بِرَدْمَانَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَخَرَجَ عَبْدُ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ إِلَى الْحَبَشَةِ فَأَخَذَ إِيْلَافًا كَفَعَلَ هَاشِمٍ وَالْمَطْلَبِ ، وَهَلَكَ عَبْدُ شَمْسٍ بِمَكَّةَ فَقُتِلَ بِالْحَبَشَةِ ، وَخَرَجَ نُوفَلُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ ، وَكَانَ أَصْغَرَ وَلَدِ أَبِيهِ ، فَأَخَذَ عَهْدًا مِنْ كَسْرَى لِتِجَارَةِ قَرِيشَ ، وَإِيْلَافًا مِنْ مَرَّةَ مِنَ الْعَرَبِ ، ثُمَّ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَجَعَ إِلَى الْعِرَاقِ فَمَاتَ بِسَلْمَانَ ، وَاتَّسَعَتْ قَرِيشُ فِي التِّجَارَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهَا ، فَبَنَوْا عَبْدِ مَنْفٍ أَعْظَمَ قَرِيشَ عَلَى قَرِيشَ مِثْلَ مِثَّةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ » — ذِيلُ الْأُمَالِ ص ٢٠٤ .

[١] الْعِيرُ بِالْكَسْرِ الْإِبِلُ تَحْمِلُ الْمِيرَةَ : بِلَا وَاحِدٍ مِنْ لَفْظِهَا ، أَوْ كُلُّ مَا امْتَرَّ عَلَيْهِ لِإِبِلَا كَانَتْ أَوْ هَجَرَا أَوْ بَنَالَا وَجَعَهُ كَعْنَبَاتٍ وَيَسْكُنُ .

الكعبة ذهباً ، لَعَبْدُ الْمَطْلَبِ ^(١) والله لقد نشأت ناشتتنا مع ناشئة قريش ، وَإِنْ كُنَّا لَقَالَتْهُمْ ^(٢) إِذَا قَالُوا ، وخطباءهم إِذَا خَطَبُوا ، وَمَا عُدَّ مَجْدُ كَمَجْدِ أَوْلَانَا ، وَلَا كَانَ فِي قَرِيشٍ مَجْدٌ لغيرنا ، لأنها في كفر ماحقٍ ، ودين فاسقٍ ، وَضِلَالَةٌ ^(٣) ، وَضَلَالَةٌ ، فِي عَشَوَاءٍ ^(٤) عَمِيَاءٍ ، حَتَّى اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا نُورًا ، وَبَعَثَ لَهَا سِرَاجًا ، فَانْتَجَبَهُ ^(٥) طَيِّبًا مِنْ طَيِّبِينَ ، لَا يُسَبِّحُ بِمَسَبَّةٍ ، وَلَا يُبَغِّى عَلَيْهِ غَائِلَةٌ ، فَكَانَ أَحَدَنَا وَوَلَدَنَا وَهَمْنَا وَابْنُ عَمْنَا ، ثُمَّ إِنَّ أَسْبَقَ السَّابِقِينَ إِلَيْهِ ، مِنَّا وَابْنُ عَمْنَا ^(٦) ، ثُمَّ تَلَاهُ فِي السَّبْقِ أَهْلُنَا وَلُحْمَتُنَا ^(٧) وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، ثُمَّ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَهُ أَكْرَمُهُمْ أَدَبًا ، وَأَشْرَفُهُمْ حَسَبًا ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ رَجَمًا .

واعجباً كلِّ العجب لابن الزبير ! يعيب بنى هاشم ، وإنما شَرَفَ هو وأبوه وَجَدَهُ بِمَصَاهِرْتِهِمْ ، أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِمَصْلُوبُ قَرِيشٍ ، وَمَتَى كَانَ الْعَوَّامُ بْنُ خُوَيْلِدٍ يَطْمَعُ فِي صَفِيَّةِ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ؟ قِيلَ لِلْبَغْلِ : مَنْ أَبُوكَ يَا بَغْلُ ؟ فَقَالَ : خَالِي الْفَرَسُ » ثُمَّ نَزَلَ . (شرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٤٨٩)

١١٥ — خطبة ابن الزبير يتنقص ابن عباس

وخطب ابن الزبير بمكة على المنبر ، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ،

[١] قال الطبري : « وعبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بثراً لسميع بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدوناً ، وذلك غزالان من ذهب كانت جرحم دفنهما فيما ذكر حين أخرجت من مكة وأسياف قلعية » و مرج القلعة محرقة موضع بالبادية إليه تنسب السيوف » وأدراع ، فجعل الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب النزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حلقة فيما قيل الكعبة « تاريخ الطبري ٢ : ١٧٩ » [٢] القالة جمع فائل . [٣] الضلالة والضلالة ضد الهدى . [٤] أى في جهالة وفتنة عشاء ، من العشى (كعصا) وهو سوء البصر بالليل والنهار ، وقيل ذهب البصر . عشى يعشى (كفرح) فهو أعشى وهي عشاء (والعشاء أيضاً الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخط بيدها كل شيء ، لأنها ترفع رأسها فلا تنهد . واقع أخفافها) . [٥] انتجبه : اختاره . [٦] جنى الإمام علياً كرم الله وجهه [٧] اللحمة القرابة .

فقال : « إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا قَدْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ . كَمَا أَعْمَى بَصَرَهُ ، يَزْعِمُ أَنْ مُتْعَةَ النِّسَاءِ حَلَالٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَيُفْتِي فِي الْقَمَلَةِ وَالنَّمْلَةِ ، وَقَدْ احْتَمَلَ بَيْتَ مَالِ الْبَصْرَةِ ^(١) بِالْأَمْسِ ، وَتَرَكَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا يَرْضَخُونَ ^(٢) النَّوَى ، وَكَيْفَ أَلَوْمُهُ فِي ذَلِكَ : وَقَدْ قَاتَلَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ وَقَاهُ يَدُهُ ^(٣) » .

١١٦ — رد ابن عباس عليه

فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير مولى بني أسد بن خزيمه — وكان

[١] ذكر بعض المؤرخين أن ابن عباس كان من أحب الناس إلى عمر ، وكان يقدمه على أكابر الصحابة ، ولم يستعمله قط ، فقال له يوماً : كدت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحل النوى على التأويل ، فلما صار الأمر إلى علي استعمله على البصرة ، فاستحل النوى على تأويل قوله تعالى « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى » ، واستعمله لقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ومصر ابن عباس على أبي الأسود الدؤلي فقال : لو كنت من البهائم لكنت رجلاً ، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى ولا أحسنت مهنته في المشي ، فكتب أبو الأسود إلى علي كتاباً يقول فيه : « إِنْ ابْنُ عَمَلِكَ قَدْ أَكَلَ مَا تَحْتَ يَدَيْهِ بَعِيرَ عَمَلِكَ ، فَلَمْ يَسْمَعْ كِتَابَكَ ذَلِكَ ، فَاظْطَرَّ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيهَا هَذَا » فكتب علي إلى ابن عباس « أَنْ أَرْفَعُ إِلَى حَسَابِكَ » فرد عليه ابن عباس : « إِنْ كُلَّ الَّذِي بَلَغَكَ بِاطِلَ » . فكتب إليه علي : « إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ تَرْكَكَ ، حَتَّى تَعْلِمَ مَا أَخَذْتَ مِنَ الْجُزْئَةِ ، مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ ، وَمَا وَضَعْتَ مِنْهَا ، أَيْنَ وَضَعْتَهُ » . فلما رأى أن علياً غير مقلع عنه كتب إليه « ابْثْ إِلَى عَمَلِكَ مِنْ أَحْبَبْتَ ، فَإِنِّي ظَاعِنٌ عَنْهُ » ورحل عن البصرة ، وقد حمل ما كان في بيت مالها حتى قدم الحجاز فزل مكة ، وتبذلت الكتب بين علي وبينه ثانية ، وكانت خاتمتها أن كتب إليه ابن عباس : « وَاللَّهِ إِنِّي لَمْ تَدْعُ مِنْ أَسَاطِيرِكَ لِأَحْلَنَهُ إِلَى مَعَارِيَةِ يِقَاتِلُكَ بِهِ » فكف عنه علي ، — انظر النقد الفريد ج ٢ : ص ٢٤٢ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٨١ ، ونهج البلاغة ج ٢ : ٤٦ —

وقال آخرون : إن ابن عباس مافارق علياً ولا يابنه ، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل علي وبعد مقتل علي حتى صالح الحسن معاوية ، ثم خرج حيثئذ إلى مكة ، وليس هذا موضع بحث تلك المسألة — انظر كلمة عنها في شرح ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٦٤ ، وأمالى السيد المرتضى ج ١ ص ١٢٣ .

[٢] رضح النوى (كنع وضرب) كسره ، وفي لسان العرب : « فَظَلُّوا يَرْضَخُونَ أَيْ يَكْسِرُونَ الْحِزْبَ قِيًّا كَلُونَهُ وَيَتَنَاولُونَهُ » ولم أجد في كتب اللغة « يرتضخ » بهذا المعنى ، وإنما الذي جاء « وهو يرتضخ لكفة عجمية إذا نشأ معهم ثم صار إلى العرب ، فهو ينزع إلى العجم في ألفاظه ولو اجتهد » وقول ابن الزبير كناية عن شدة الفحط والمأفة . [٣] كان طلحة بن عبيد الله ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحامى عنه في وقعة أحد وقد انهزم المسلمون ، ووقاه بيده من سيوف المشركين ، وقد رمى بسهم في يده فبيست ، وقال عليه الصلاة والسلام يومئذ « الْيَوْمَ أَوْجِبَ طَلْحَةُ الْجَنَّةَ » .

ابن عباس قد كُفَّ بصره - استقبلَ بي وجهَ ابن الزبير وارفع من صدرى ،
فاستقبل به قائدُه وجه ابن الزبير وأقام قامته ، فَحَسَرَ عن ذراعيه ، ثم قال :
« يا ابن الزبير :

قد أنصف القارة من راماها إِنَّا إِذَا مَافِئَةً نَلَقَاها
نَرُدُّ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا حَتَّى تَصِيرَ حَرَصًا دَعَوَاهَا ^(١)

يا ابن الزبير : أما العمى ، فَإِنَّ الله تعالى يقول : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ
وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ، وأما فُتْيَايَ فِي الْقَمَلَةِ وَالنَمْلَةِ ، فَإِنَّ فِيهَا
حُكْمَيْنِ لَا تَعْلَمُهُمَا أَنْتَ وَلَا أَصْحَابُكَ ، وَأَمَّا تَحْمِلُ الْمَالَ ، فَإِنَّهُ كَانَ مَالًا جَبِينَاهُ ،
فَأَعْطَيْنَا كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ، وَبَقِيتَ بَقِيَّةً هِيَ دُونَ حَقِّنَا فِي كِتَابِ اللهِ ، فَأَخَذْنَاهَا
بِحَقِّنَا ، وَأَمَّا الْمُتَمَتُّةُ فَسَلِّ أَمْكِ أَسْمَاءَ إِذْ نَزَلَتْ عَنْ بُرْدَى عَوْسَجَةَ ، وَأَمَّا قِتَالُنَا أُمَّ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِنَا سُمِّيَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا بِكَ وَلَا بِأَيِّكَ ، فَاَنْطَلَقَ أَبُوكَ وَخَلَائِكَ ^(٢)
إِلَى حِجَابِ مَدَّةِ اللهِ عَلَيْهَا ، فَهَتَكَاهُ عَنْهَا ، ثُمَّ اتَّخَذَاهَا فِتْنَةً يَقَاتِلَانِ دُونَهَا ، وَصَانَا
حِلَالَهُمَا فِي بَيْوتِهِمَا ، فَمَا أَنْصَفَا اللهُ وَلَا مُحَمَّدًا مِنْ أَنْفُسِهِمَا أَنَّ أَبْرَزَا زَوْجَةَ نَبِيهِ
وَصَانَا حِلَالَهُمَا ، وَأَمَّا قِتَالُنَا إِيَّاكُمْ ، فَإِنَّا لَقِينَاكُمْ زَحْفًا ، فَإِنْ كُنَّا كُفَرَاءَ فَقَدْ
كُفِرْتُمْ بِفِرَارِكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ فَقَدْ كُفِرْتُمْ بِقِتَالِكُمْ إِيَّانَا ، وَإِيمَ اللهُ لَوْلَا
مَكَانُ صَفِيَّةَ فَيْكُمْ ، وَمَكَانُ خَدِيجَةَ فِينَا ، لَمَا تَرَكْتُ لِبْنِي أَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى
عَظْمًا إِلَّا كَسَّرْتَهُ .

[١] الحرص : الفساد في المذهب والمقل والبدن . [٢] يعني طلحة وهو ابن عم جده أبي بكر
الصديق ، فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب
ابن لؤي ، وأبو بكر هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب . . . الخ ، وإنما جله
خاله باعتبار القرابة النسوية .

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألتها عن بُرْدَى عَوْسَجَةَ ، فقالت : ألم أنْهَكَ
عن ابن عباس ، وعن بنى هاشم ؟ فإنهم كُفُّوا^(١) الجواب إذا بُدِّهوا^(٢) » فقال :
بَلَى وَعَصِيْتُكَ ، فقالت : يا بني احذر هذا الأعمى الذى ما أطاقته الإنس والجن ،
واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها ، فأياك وإياه آخر الدهر .
ورواية صاحب العقد : « أن ابن عباس قال لِعِكْرِمَةَ : أقم وجهى نحوه
يا عكرمة ، ثم قال :

إن يأخذ الله من عَيْنَيَّ نورهما ففى فؤادى وعقلى منهما نور
وأما قولك يا بن الزبير : إني قاتلت أم المؤمنين ، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ،
وبنا سميت أم المؤمنين ، فكنا لها خير بنين ، فتجاوز الله عنها ، وقاتلت أنت
وأبوك علياً ، فإن كان على مؤمناً فقد ضللتكم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً فقد
بؤتكم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فإنى سمعت على بن أبى طالب
يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيت بها ، ثم سمعته
ينهى عنها فنهيت عنها^(٣) .

[١] كم البعير كنع شد فاه لكلا يعص أو يأكل ، والكمام ككتاب : ما يعمل على فيه ، والجمع كم
ككتب ، والمعنى أنهم ذور أجوبة مسكتة مخرسة تلجم أفواه مناظرهم . [٢] بدمه بأمر كنعته :
استقبله به أو بدأه به .

[٣] جاء فى المصباح النير : « المتعة اسم التمتع ، ومنه متعة الحج ، ومتعة النكاح ، ومتعة الطلاق ،
ونكاح المتعة هو الوقت فى العقد ، وقال فى العباب : كان الرجل يشارط المرأة شرطاً على شيء إلى أجل
معلوم ، ويعطيها ذلك فيستحل بذلك فرحها ، ثم يخلى سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ، وقيل فى قوله تعالى
« فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ » المراد نكاح المتعة ، والجمهور على تحريم نكاح
المتعة ، وقالوا معنى قوله : « فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ » فما نكحتم على الصريضة التى فى قوله تعالى : « أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ » أى عاقدين النكاح ، واستمتعت بكذا وتمتعت : انتفعت ،
ومنه تمتع بالعمرة إلى الحج ، إذا أحرم بالعمرة فى أشهر الحج وبعد تمامها يحرم بالحج فإنه بالفراغ من

وأول مجمر^(١) سَطَعَ في الْمُتَعَةِ مَجْمَر آل الزبير^(٢) .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ٤٨٩ ، والعقد المريد ٢ : ٢٦٩ - ١١٣ ، ومروج الذهب ٢ : ١٠٣)

١١٧ — عبد الله بن جعفر (المتوفى سنة ٨٠ هـ) وعمرو بن العاص

قال ابن أبي الحديد : روى المدائني قال :

« بينا معاوية يوماً جالساً وعنده عمرو بن العاص إذ قال الآذن : قد جاء

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال عمرو : والله لأسوأُ أنه اليوم ، فقال معاوية :

لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تتقصف منه ، ولعلك أن تُظهر لنا من مَنْقَبته^(٣)

ما هو خفي عنا ، وما لا نحب أن نعلمه منه ، وغشَّيهم عبد الله بن جعفر ، فأدناه

معاوية وقربه ، فقال عمرو إلى بعض جلساء معاوية ، فقال من على عليه السلام

جهاراً غير سائر له ، وَثَلَبَهُ ثَلَباً^(٤) قبيحاً ، فامْتَقِعَ^(٥) لون عبد الله ، واعتراه أَفْكَالٌ^(٦) ،

حتى أُرْعِدَتْ خصائله^(٧) ، ثم نزل عن السرير كالْفَنِيْقِ^(٨) ، فقال عمرو : مه

يا أبا جعفر ، فقال له عبد الله : مه لا أم لك ، ثم قال :

أظن الحلمَ دَلَّ على قومي وقد يتجهل الرجل الحليم

ثم حَسَرَ عن ذراعيه ، وقال :

أعمالها يحل له ما كان حرم عليه ، فن ثم يسمى متمتعاً « اه وجاء في التفسير : « وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أناحها ، ثم أصبح يقول : « يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ، ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة » وهي النكاح الموقت بوقت معلوم ، سمي بها إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما تعطى ، وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه .

[١] الحجر : العود ، واستحمر بالحجر : تبخر بالود . [٢] قال المسعودي في مروج الذهب : « وقد تنازع الناس في ذلك ، فمنهم من رأى أنه عني متعة النساء ، ومنهم من رأى أنه أراد متعة الحج ، لأن الزبير تزوج أسماء بكراً في الإسلام ، وزوجه أبو بكر معلماً ، فكيف تكون متعة النساء ؟ »

[٣] المنقبة : المفخرة . [٤] ثابه : عابه . [٥] تغير لونه . [٦] الأفكَل : الرعدة .

[٧] جمع خصيلة وهي لحم الفخذين والعضدين والذراعين أو كل عصبية فيها لحم غليظ .

[٨] الفنيق : الفعل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

« يا معاوية خَتَامَ نتَجَرَّعَ غِيظَكَ ، وَإِلَى كَمِ الصَّبْرِ عَلَى مَكْرُوهِ قَوْلِكَ ،
 وَسِيءُ أَدَبِكَ ، وَذَمِيمُ أَخْلَاقِكَ ، هَبَلْتِكَ الْهَبُولَ ^(١) ، أَمَا يَزْجُرُكَ ذِمَامُ ^(٢)
 الْمَجَالِسَةِ عَنِ الْقَذْعِ ^(٣) لَجْلِسِكَ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ لَكَ حُرْمَةٌ مِنْ دِينِكَ تَنْهَاكَ عَمَّا
 لَا يَجُوزُ لَكَ ، وَاللَّهُ لَوْ عَطَفْتُكَ أَوْاصِرُ ^(٤) الْأَرْحَامِ ، أَوْ حَامَيْتُ عَلَى سَهْمِكَ مِنَ
 الْإِسْلَامِ ، مَا أَرَعَيْتَ بَنِي الْإِمَاءِ الْمُتُّكَ ^(٥) ، وَالْعَبِيدِ السُّكَّ ^(٦) أَعْرَاضَ قَوْمِكَ ،
 وَمَا يَجْهَلُ مَوْضِعَ الصَّفْوَةِ ^(٧) إِلَّا أَهْلُ الْجَفْوَةِ ، وَإِنَّكَ لَتَعْرِفُ وَشَائِجَ ^(٨) قَرِيشَ ،
 وَصَفْوَةَ غَرَائِزِهَا ، فَلَا يَدْعُوَنَّكَ تَصْوِيبُ مَا فَرَطَ مِنْ خَطِيئَتِكَ فِي سَفْكَ دِمَاءِ
 الْمَسَامِينِ ، وَمَحَارِبَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى التَّمَادَى فِيمَا قَدْ وَضَحَ لَكَ الصَّوَابُ فِي
 خِلَافِهِ ، فَاقْصِدِ لِمَنْهَجِ الْحَقِّ فَقَدْ طَالَ عَمَهُكَ ^(٩) عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ ، وَخَبَطْتُكَ فِي
 دَيْجُورٍ ^(١٠) ظَامَةِ الْغَى ، فَإِنْ أُبَيَّتَ أَنْ لَا تَتَابَعَنَا فِي قَبْحِ اخْتِيَارِكَ لِنَفْسِكَ ، فَأَعْفِنَا
 عَنْ سُوءِ الْقَالَةِ ^(١١) فِينَا ، إِذَا ضَمَّنَا وَإِيَّاكَ النَّدَى ^(١٢) ، وَشَأْنُكَ وَمَاتَرِيدُ إِذَا خَلُوتَ ،
 وَاللَّهُ حَسِيبُكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا مَا جَعَلَ اللَّهُ لَنَا فِي يَدَيْكَ لِمَا أَتَيْنَاكَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ
 كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أَطُقْ ، سَاءَ كَمَا سُبِّرَ مِنِّي مِنْ خَلْقٍ . »

[١] هَبَلْتُهُ أَمَهُ : تَكَلَّمْتُهُ ، وَالْهَبُولُ : الْمَرَأَةُ لَا يَعْشَى لَهَا وَلَدٌ . [٢] الذِّمَامُ : الْحُرْمَةُ .

[٣] قَذَعَهُ وَأَفْذَعَهُ رَمَاهُ بِالْمَحْشِ وَسُوءِ اقْوَالٍ . [٤] جَمْعُ آصَرَةٍ وَهِيَ الْقِرَابَةُ وَحِلٌّ صَغِيرٌ يَشْدُ بِهِ
 أَسْفَلَ الْحَبَاءِ . [٥] الْمُتُّكَ جَمْعُ مُتَكَّاءٍ (كُحْمَاءٍ) وَهِيَ الْبُظْرَاءُ وَالْمَقْصَاةُ وَالَّتِي لَا تَمْسُكُ الْبُولَ .

[٦] السُّكَّ جَمْعُ أَسْكَتٍ مِنَ السُّكَّ (مَرْكَةٍ) ، وَهُوَ صَفَرُ الْأُذُنِ وَلِزْوَقِهَا بِالرَّأْسِ أَوْ صَغَرُ فَوْفِ الْأُذُنِ
 وَضِيقُ الصَّمَاخِ . [٧] أَى صَفْوَةِ الْقَوْمِ وَسَادَتِهِمْ .

[٨] فِي الْأَصْلِ « وَشَائِجٌ » وَقَدْ بَحِثْتُ فِي مَادَةِ « وَشَكَّ » فَوَجَدْتُ نَبِيهَا « وَالْوَشِيكَ السَّرِيعُ
 وَالْقَرِيبُ ، وَامْرَأَةٌ وَشِيكَ أَى سَرِيعَةٌ » فَلَوْ جَاءَنَا وَشَائِجٌ جَمْعُ وَشِيكَةٍ « أَوْ وَشِيكَ عَلَى الْبَآئِثِ » لَمْ يَسْتَقِمْ
 مَعْنَى الْعِبَارَةِ ، وَأَرَاهُ مُحَرَّفًا عَنْ « وَشَائِجٍ » بِالْجَمِّ . جَمْعُ وَشِيجَةٍ وَهِيَ عَرَقُ الشَّجَرَةِ ، فَمَعْنَى وَشَائِجٍ قَرِيشَ
 أَصُولُهَا وَعُرُوقُهَا « وَالْعَرَقُ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ » أَى وَإِنَّكَ يَا مُعَاوِيَةَ لَتَعْرِفُ أَصُولَ قَرِيشِ الْكَرِيمَةِ الزَّائِكَةِ
 الَّتِي تَأْتِي الضَّمِيمَ وَلَا تَحْتَمِلُ الثَّلَبَ وَالْإِمَامَةَ « وَالْوَشِيحُ أَصْلُ شَجَرِ الرِّمَاحِ » وَنَظِيرُ هَذَا التَّعْبِيرِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ
 « مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ » — وَالسَّبْعُ شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الْقَمِي وَالسَّهَامُ .

[٩] الْعَمَةُ مُحَرَكَةٌ : التَّرَدُّدُ فِي السَّلَالِ . [١٠] الدَّيْجُورُ : الظَّلَامُ . [١١] انْقَرَلَ فِي الْحَيَرِ وَالْقَالَ
 وَالْقِيلِ وَالْقَالَةِ فِي الشَّرِّ . [١٢] النَّادَى .

فقال معاوية : يا أبا جعفر نغیر الخطأ ، أقسمت عليك لتجلسن^(١) ، لعن الله من أخرج ضبَّ صدرك من وِجَارِهِ^(٢) ، محمول لك ماقلت ، ولك عندنا ماأملت ، فلو لم يكن تحتدك^(٣) ومنصبك لكان خلقتك وخلقتك شافعين لك إلينا ، وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم ، فقال عبد الله : كلا بل سيد بنى هاشم حسن وحسين لا ينازعهما فى ذلك أحد ، فقال أبا جعفر : أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كائنة ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملك ، فقال : أما فى هذا فى المجلس فلا ، ثم انصرف ، فأتبعه معاوية بصره فقال : والله لكانه رسول الله صلى الله عليه وآله مشيه وخلقه وخلقه ، وإنه لمن مشكاته^(٤) ، لو ددت أنه أخى بنفيس ما أملك .

ثم التفت إلى عمرو فقال : أبا عبد الله ما تراه منعه من الكلام معك ؟ قال : ما لا خفاء به عنك . قال أظنك تقول : إنه هاب جوابك ؟ لا والله ولكنه ازدراك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلا ، أما رأيت إقباله على دونك ، ذاهبا بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه ؟ قال معاوية : أرغب إليك أبا عبد الله ، فلات حين جواب فيما يرى اليوم ، ونهض معاوية وتفرق الناس . (شرح ابن أبى الحديد ٢ : ص ١٠٤)

١١٨ — الحسن بن على وعمر بن العاص

وَوَفَدَ الحسن بن على رضى الله عنه على معاوية ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : يا أمير المؤمنين إن الحسن رجل أفه^(١) ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع

[١] جعره . [٢] أصلاك . [٣] المشكاة : الكوة التى ليست بنافذة .

[٤] أفه : وصف من الفهامة وهى الهى ، وفعله فهو كفرح ، وقياس الوصف منه أنه على أفضل لأنه يدل على خلقه « عيب » كعور وهى وعرج ، ولكن الذى فى كتب اللغة : أنه كعذب وفهيه وفهقه

الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم ففعل ، فصعد على المنبر وتكلم فأحسن ، ثم قال : أيها الناس لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين جابرُس إلى جابلَق ^(١) لم تجدوه غيرى وغير أخى : وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فساء ذلك عمراً ، وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : أبا محمد ، هل تنعت الرُّطَب ^(٢) ؟ فقال : « أَجَلٌ تُلْقِيهِ الشَّمَالُ ، وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ ، وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ ، بِحَرِّ النَّهَارِ ^(٣) » قال : أبا محمد ، هل تنعت الخِزَاءة ^(٤) ؟ قال : « نعم ، تُبْعِدُ الْمَعَشَى فِي الْأَرْضِ الصَّخْصَح ^(٥) ، حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل الأقبلة ، ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالروثة ، ولا العظم ، ولا تبك في الماء الراكد » وأخذ في كلامه .

(العقد الفريد ٢ : ١١٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ١٧٢ ، ومعجم البلدان ٣ : ٢٢)

١١٩ — الحسن بن علي ومروان بن الحكم

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالبَاب ، فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ، فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ، فإنى أسأله ما ليس عنده فيه جواب ، قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام ، وأذن له ، فلما دخل وجلس ، قال له مروان : أسرع الشيب إلى

[١] جابرُس : مدينة بأقصى المشرق ، وجابلَق : مدينة بأقصى المغرب ، وضبطها ياقوت في معجمه بسكون اللام ، وفي القاموس ولسان العرب بفتحها ، قال ياقوت : « وفي رواية : جابلص » وضبطها صاحب اللسان بفتح اللام ، وفي القاموس بفتح اللام أو سكونها : بلد بالمغرب ليس وراءه أنى ، وفي العقد الفريد : « لو طلبتم أبناء أبيكم ما بين لابتها » ولابتا المدينة : حرتان تكتنفانها .

[٢] يسأله هذا وما بعده تمجيذاً له . [٣] وفي العقد : « وتنضجه الشمس ، ويصبغه القمر » .

[٤] خرى كسمع خراءة بفتح الخاء وكسرهما : سلاح . [٥] الصخصح : ما استوى من الأرض ،

وفي العقد الفريد « للصحيح » وهو تحريف .

شاربك يا حسن، ويقال إن ذلك من الخرق^(١)، فقال الحسن : ليس كما بلغك ،
ولكننا معشر بني هاشم ، أفواهنا عذبة شفاهاها ، ففساؤنا يُقبلن علينا بأنفاسهن
وقبلهن ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر^(٢) شديد ، ففساؤكم يصرفن أفواههن
وأنفاسهن عنكم إلى أصدائكم ، فإنما يشيب منكم موضع العذار^(٣) من أجل
ذلك . قال مروان ؟ إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء . قال : وما هي ؟ قال :
الغامة^(٤) . قال : أجل ، نُرعت الغامة من نساءنا ، ووُضعت في رجالنا ، ونُرعت
الغامة من رجالكم ، ووضعت في نسائكم ، فاقام لاموية إلا هاشمي ، فغضب
معاوية وقال : قد كنت أخبرتم ، فأيتتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم ، وأفسد
عليكم مجلسكم . (العقد الفريد ٢ : ١١٥)

١٢٠ — عقيل بن أبي طالب ومعاوية

وكان عقيل بن أبي طالب قد خرج إلى معاوية ، مُغاضباً لأخيه الإمام عليّ
كرم الله وجهه^(٥) ، فأكرمه معاوية ، وقرّبه إليه ، وقضى حوائجه ، وقضى عنه
دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : « والله إن عليّاً غيرُ حافظ لك ، قطع قرابتك ،
وما وصلك ، ولا اصطنعك » قال له عقيل : « والله لقد أجزل العطية وأعظمها ،
ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنه بالله إذ ساء به ظنك ، وحفظ أمانته ،
وأصلح رعيته ، إذ خُتم وأفسدت وجُرّتم ، فاكفف لأبائك ، فإنه عما
تقول بمعزل . »

[١] الحرق كسبب : الحق وألا يحزن الرجل العمل والتصرف في الأمور والاسم الحرق كقفل .
[٢] البخر : التثني في الهم وغيره . [٣] العذار : جانب اللحية . [٤] الغامة : شدة الصهوة كالشبق بالتحريك .
[٥] وكان قد قدم عليه بالكوفة ، فسأله أن يقضى عنه دينه ، قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفاً ،
قال : ما هي عندي ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك ، قال : بيوت المال بيدك
وأنت تسوفني بعتائك ؟ قال : أنا أمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتموني عليها ؟ قال : فإني آت
معاوية ، فأذن له فقدم عليه « انظر أسد الغابة ٣ : ٤٢٣ والمحرى ص ٧٦ » — اقرأ أيضاً كلمة في هذا
لصدد في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ٨٢ وفي ترجمة عليّ بن أبي طالب للمؤلف ص ٨٣ .

وقال له معاوية يومًا : « أبا يزيد ، أنا لك خير من أخيك عليّ » قال : « صدقت ، إن أخى آثرَ دينَه على دنياه ، وأنت آثرتَ دنياك على دينك ، فأنت خير لى من أخى ، وأخى خير لنفسه منك ^(١) » .

وقال له مرة : « أنت معنا يا أبا يزيد » قال : « ويوم بدر قد كنت معكم ! » وقال له يومًا : إن عليًّا قد قَطَعَكَ ووصلتَكَ ، ولا يُرضينى منك إلا أن تلعنه على المنبر . قال : أفعلُ ، فأصعدُ فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعنَ عليَّ بن أبى طالب ، فآلَعَنُوهُ ، فعليه لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والناس أجمعين » ثم نزل ، فقال له معاوية : إنك لم تبين - أبا يزيد - مَنْ لعنتَ بيدى ويده . قال : والله لا زدتُ حرفًا ، ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نيّة المتكلم .

ودخل عقيل على معاوية ، وقد كف بصره ، فأجلسه على سريرهِ ، ثم قال له : « أنتم معشرَ بنى هاشم تُصابون فى أبصاركم » قال : « وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم » .

وقال له يومًا : ما أبينَ الشَّبَقَ فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم أبينُ يا بنى أمية .

وقال معاوية يومًا : « يا أهل الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى فى كتابه : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ^(٢) وَتَبَّ » ؟ قالوا : نعم ، قال : فإن أبا لهب عمه ،

[١] وفى البيان والتبيين أن معاوية قال : هذا أبو يزيد ، لولا أنه علم أنى خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : « أخى خير لى فى دينى ، وأنت خير لى فى دنياى » .

[٢] هو أبو لهب بن عبد المطلب عمّ الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان شديد الازدراء له ، يرمى القدر على بابه .

فقال عقيل : « فهل سمعتم قول الله عز وجل : « وَأَمْرًا تُهْجِمَالَهُ الْحَطَبُ ^(١) » ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنها عمته ، ثم قال : « يا معاوية ، إذا دخلت النار ، فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمي أبا لهب ، مفترشاً عمتك حمالة الحطب ، فانظر أيهما خير ؟ »

وقال له معاوية يوماً : والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم . قال : وما هي ؟ قال : لين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تُعَيِّر يا معاوية ؟ أجل والله إن فينا لليناً من غير ضعف ، وعِزاً من غير جبروت ، وأما أنتم يا بني أمية ، فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد .

وقال معاوية لعقيل : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول ؟
إني امرؤ مني التكرُّمُ شِيمةٌ إذا صاحبي يوماً على الهُون أضْمِراً
ثم قال : « وايم الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مَهْدَتِكَ مَهَادَهَا ، وأظَلَّتْكَ بِحَذَافِيرِ ^(٢) أهلها ، ومدَّت عليك أطنابَ سلطانها ، ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة ، ولا تخشعاً لرغبة » قال معاوية : « لقد نَعَتَهَا أبا يزيد نَعْتًا هَشًّا لها قلبي ، وإني لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما رَدَّاني برداء ملكها ، وحبَّاني بفضيلة عيشها ، إلا لكرامةٍ أدَّخرها لي ، وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكاً ، وإنما هو المِثَالُ يُحْتَذَى عليه ، والأمورُ أشباه ، وايم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريماً ، وإلينا حبيباً ، وما أصبحتُ أضْمِرُ لكَ إِسَاءَةً » .

(العقد الفرید ٢ : ١١٠ - ١١٩ ، البيان والتبيين ٢ : ١٧٤)

[١] هي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، وقيل لها حمالة الحطب ، لأنها كانت تحمل الشوك والسعدان وتلقيه في طريق النبي عليه الصلاة والسلام إيذاء له وكانت جارته ، أو هو النيمة ، إذ كانت تسمى عليه بالنائم وتوقد بذلك نار الخصومة ، أو حطب جهنم ، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداته ، وتحمل زوجها على إيذائه . [٢] الحذاير جمع حذفور أو حذفار (كصفور وقرطاس) وهو الجانب .

١٢١ — خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة

بعد مقتل الحسين عليهم السلام

لما قُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وأُدخِلَ النَّسوة من كَرْبَلَاءَ إلى الكوفة ، جعلت نساؤها يَلْتَدِمْنَ ^(١) ، وَيَهْتِكُنَّ الْجُيُوبَ عليه ، فرفع عليّ بن الحسين عليهما السلام رأسه ، وقال بصوت ضئيل — وقد نُحِلَ ^(٢) من المرض — :
يأهل الكوفة إنكم تبكون علينا، فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرَكم ؟ وأومأت أم كلثوم بنت عليّ عليهما السلام إلى الناس أن اسكتوا ، فلما سكنت الأنفاس ، وهَدَّأتِ الأجراس ^(٣) ، قالت :

« أبدأ بِحَمْدِ اللَّهِ ، والصلاة والسلام على أَبِيهِ ^(٤) ، أما بعد : يأهل الكوفة ،
يأهلِ الْخَرْ ^(٥) وَالْخَذَلِ ، لا ، فلا رَقَاتٍ ^(٦) الْعَبْرَةَ ، ولا هَدَّأتِ الرِّئَةَ ^(٧) ، إنما
مَثَلَكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ^(٨) ، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ
دَخْلًا ^(٩) يَنْسِكُكُمْ ، أَلَا وهل فيكم إِلَّا الصَّلَافُ ^(١٠) وَالشَّنَفُ ^(١١) ، وَمَلَقُ ^(١٢)

- [١] لدمت المرأة (كضرب) ، والتدمت : لطمت وصربت صدرها في النياحة ، ويهتك : يمزقن ،
والجيوب جمع حيب : وهو طرق القميص . [٢] كنع وعلم وصر وكرم .
[٣] الأجراس جمع حرس كشمس : وهو الصوت . [٤] تريد جدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وفي رواية : « والصلاة على جدى سيد المرسلين » . [٥] الغدر والخديعة ، أو أُنْبِج
الغدر . [٦] رقاً الدمع : جف وسكن ، والعبرة : الدمعة قبل أن تفيض .
[٧] الرنة : الصوت . [٨] أنكاثاً جمع مكث كحمل وهو ما نقض ليعزل ثانياً — حال من غزلها ،
أو مفعول ثانٍ لنقصت لأنه بمعنى صيرت — وقيل هي ربطة بنت سعد بن تيم انقرشية ، وكانت خرقاء تزل
طول يومها ثم تنقصه . [٩] الدخل : ما يدخل في الشيء وليس منه ، وما داخل من فساد في عقل أو
جسم ، والغدر والمكر والخديعة . [١٠] الصاف : التمدح بما ليس عندك ، أو مجاوزة قدر الظرف
والإدعاء فوق ذلك تكبرا . [١١] الشنف : النظر بمؤخر العين ، أو النظر إلى الشيء كالمترض عليه ،
أو كالمتعجب منه ، أو كالكاره له ، وشنف له كفرح فرحا : أبغضه وتنكره .
[١٢] ملق الجارية : مجامعتها ، أو هو ملق بالتحريك ، والملق : التملق .

الأماء ، وَغَمَزُ الْأَعْدَاءِ ، وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا كَمَرَعَى عَلَى دِمْنَةٍ ^(١) ، وَكَفِضَةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ ^(٢) ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ ، أَتَبْكُونَ ؟ إِي وَاللَّهِ فَابْكُوا ، وَإِنْكُمْ وَاللَّهِ أَحْرِيَاءُ ^(٣) بِالْبُكَاءِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا ، وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَزْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا ^(٤) ، وَلَنْ تُرْحِضُوهَا ^(٥) بِغَسَلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَأَنْتِ تُرْحِضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النَّبُوَّةِ ، وَمَعَدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسِيدِ شَبَّانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنَارِ مُحَجَّجَتِكُمْ ، وَمِذْرَةٍ ^(٦) حُجَّتِكُمْ ، وَمُفْرَخٍ ^(٧) نَازِلَتِكُمْ ، فَتَعَسَا وَنُكْسَا ^(٨) ، لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَخَسِرَتِ الصِّفْقَةُ ^(٩) ، وَبُؤْتُمْ ^(١٠) بِغَضَبِ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ^(١١) ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ^(١٢) مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا ، أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَرَيْتُمْ ، وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرَزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ ؟ لَقَدْ جِئْتُمْ بِهَا شَوْهَاءَ خَرَقَاءَ ^(١٣) ، شَرَّهَا طِلَاعُ ^(١٤) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ، فَلَا يَسْتَخَفُّنَكُمْ الْمَهْلُ ، فَإِنَّهُ لَا تَحْفَرُهُ الْمِبَادَرَةُ ^(١٥) ، وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِ قَوْتُ النَّارِ ،

-
- [١] الدمنة : آثار الدار بعد الرحيل عنها من البعر والرماد وغيرهما ، أخذت هذا القول من قول جدها عليه الصلاة والسلام : « إياكم وخضراء الدمن » وهي المرأة الحسناء في منبت السوء .
- [٢] ملحودة : مدفونة في لحدها ، تريد أنهم لا ينتفع بهم . [٣] جديرون .
- [٤] السنار : أقبح العيب . [٥] رحضه كنعمه وأرحضه : غسله . [٦] دره : عن القوم كنعه إذا تكلم عنه ودفع فهو مدره . [٧] أي مذهب ومزيل ، يقال : « أفرخ روعك » — على الأمر وبضم الراء من روعك — أي اسكن وأمن ، والروع : القلب . [٨] التمس : الهلاك ، ونكسه نكسًا : قلبه على رأسه ، والنكس بالضم عود المرض بسد النقه ، ويقال : تعسا له ونكسا ، بضم النون وقد يفتح ازدواجا . [٩] البيعة . [١٠] رجعتكم . [١١] أي فظيماً منكراً .
- [١٢] ينشققن ، وتخِر : تسقط ، هذا : أي تهد هذا . [١٣] بيا أي بقلعتكم هذه ، وخرقاء من الحرق : وهو ألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور . [١٤] طلاع الشيء : ملؤه .
- [١٥] أي لا تدفعه إلى العقوبة المبادرة إلى الذنب ، والضمير لله تعالى .

كلا ، إن ربك لنا ولهم لبا لمِرصاد^(١) » ثم ولّت عنهم ، فظل الناس حيّارى ، وقد ردّوا أيديهم إلى أفواههم ، وقال شيخ كبير من بنى جُفّى - وقد أخضلت^(٢) لحيته من دموع عينيه - :

كُھولُهُم خَيْرُ الكھولِ ، وَنَسْلُهُمْ إِذَا عُدَّ ، نَسْلٌ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْزَى

(بلاغات النساء : ص ٢٧)

١٢٢ - خطبة السيدة زينب بنت عليّ عليهما السلام بين يدي يزيد ولما وجّه عبّيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يزيد بدمشق ، ومثّلوا بين يديه أمر برأس الحسين فأبرز في طست ، فجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده ، وهو يقول من أبيات^(٣) :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ^(٤)

لَأَهْلُوا وَأَسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا : يَا يَزِيدُ لَا تَشَلْ^(٥)

فَجَزَيْنَاهُمْ بِبَدْرٍ مِثْلَهَا وَأَقْمْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدِلْ^(٦)

فقالت زينب بنت عليّ عليهما السلام : صدق الله ورسوله يا يزيد ! « ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ » أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ أَنَّهُ حِينَ أَخَذَ عَلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَكْنَفِ السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا

[١] المرصاد : الطريق والمكان يرصد فيه العدو ، ورصده : رقبه ، أى يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء . [٢] ابتلت . [٣] تمثل يزيد بهذه الأبيات وهى لعبد الله بن الزاعرى ، قالها فى غزوة أحد ، وهو يومئذ مشرك ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش فى شعره ، ثم أسلم بعد فتح مكة . [٤] كانت العلبة يوم بدر للمسلمين ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والنبل ، والخرج قبيلة من الأنصار . [٥] كلّ من رفع صوته فقد أهل إهلا ولا يستهل استعمالا ، وشلت يده تشل كتمعب يتعب ، وأشلت وشلت مبذين المجهول : يبست وهى جملة دعائية ، يقال فى الدعاء : « لا تشل يدك ولا تشال » - والبيت من قول يزيد - . [٦] لانفس ما قدمناه لك من أن عليا كرم الله وجهه كان قد وتر آل أبى سفيان بيدر ، فقل حظظة بن أبى سفيان أبا معاوية ، والوليد بن عتبة خله ، وعتبة بن ربيعة جده لأمه .

نَسَاقَ كَمَا يَسَاقُ الْأُسَارَى ، أَنْ بَنَاهَوَانَا عَلَى اللَّهِ ، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ ؟ وَأَنْ هَذَا
لِعَظِيمِ خَطَرِكَ ؟ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ ، وَنَظَرْتَ فِي عِطْفَيْكَ ^(١) ، جَذْلَانِ فَرَحًا ، حِينَ
رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُسْتَوْسِقَةً لَكَ ^(٢) ، وَالْأُمُورَ مُتَّسِقَةً عَلَيْكَ ، وَقَدْ أُمِّهَلْتَ وَنُقِصْتَ ^(٣)
وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمُ تُغْلِبُونَ » ^(٤) لَهُمْ خَيْرٌ
لِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّكُمُ تُغْلِبُونَ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ » أَمِنْ الْعَدْلِ ، يَا بَنِي
الطُّلُقَاءِ تَخْدِيرُكَ ^(٥) نِسَاءً لَكَ وَإِمَاءً لَكَ ، وَسَوَقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
قَدْ هَتَكَتَ سِتُورَهُنَّ ، وَأَصْحَلْتَ ^(٦) صَوْتَهُنَّ ، مَكْتَبَاتِ تَخْدِي ^(٧) بَيْنَ الْأَبَاعِرُ ،
وَيَحْدُو ^(٨) بَيْنَ الْأَعَادِي ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، لَا يُرَاقِبُنَّ وَلَا يُؤَوِّقُنَّ ، يَتَشَوَّفُهُنَّ ^(٩)
الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ ، لَيْسَ مَعَهُنَّ وَلِيٌّ ^(١٠) مِنْ رَجَالِهِنَّ ، وَكَيْفَ يُسْتَبْطَأُ فِي بَغِضَتِنَا
مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنْفِ ^(١١) وَالشَّنَّانِ ، وَالْإِخْنِ وَالْأَضْغَانَ ؟ أَتَقُولُ :
« لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا » غَيْرَ مُتَأَمِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ ؟ وَأَنْتَ تَنَكَّتَ ثَنِيَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
بِمَخْصَرَتِكَ ^(١٢) ، وَلَمْ لَا تَكُونَ كَذَلِكَ وَقَدْ نَكَاتَ ^(١٣) الْقَرْحَةَ ، وَاسْتَأْصَلْتَ
الشَّافَةَ ^(١٤) ، بِإِهْرَاقِكَ دِمَاءَ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَنُجُومِ الْأَرْضِ

[١] أَيْ جَانِبِيكَ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ إِجْجَابِهِ بِنَفْسِهِ . [٢] مِنْ اسْتَوْسَقَتِ الْإِبِلُ : أَيْ اجْتَمَعَتْ ،
وَمُتَّسِقَةٌ : مُنْتَظِمَةٌ . [٣] أَيْ أَسْجَحَ لَكَ فِي أَمْرِكَ ، مِنْ نَفْسِ اللَّهِ كَرِهَتْهُ : فَرَّجَهَا .
[٤] تُغْلِبُونَ . [٥] صَوْتَهُنَّ فِي خَدُورِهِنَّ . [٦] أَبْجَحَتْهُ ، صَحَلَ صَوْتُهُ كَفَرَحَ : بِجَحٍّ .
[٧] خَدَى الْبَعِيرَ وَالْمَرْسَ كَجَرَى : أَسْرَعَ وَزَجَّ بِقَوَائِمِهِ ، أَوْ هُوَ صَرَبَ مِنْ سِيرِهِمَا .
[٨] يَسُوقُ . [٩] يَتَطَاوَلُ وَيَنْظُرُ إِلَى الْبَيْنِ وَيَشْرَفُ عَلَيْهِ . [١٠] قَرِيبٌ أَوْ نَصِيرٌ .
[١١] سَبَقَ تَفْسِيرُهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « بِالشَّنْقِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ (وَالشَّنْقُ : أَنْ تَكْفُفَ الْبَعِيرَ بِزِمَامِهِ حَتَّى
تَلْزُقَ ذَنْرَاهُ بِقَادِمَةِ الرَّحْلِ ، وَالذَّفْرَى بِكَسْرِ الدَّالِ : الْعَظْمُ الشَّخِصُ خَلْفَ الْأُذُنِ) ، وَالشَّنَّانُ : السُّكْرَاهِيَّةُ ،
وَالْإِخْنُ : الْأَحْقَادُ . [١٢] الْمَخْصَرَةُ : مَا يَأْخُذُهُ الْمَلِكُ يَشِيرُ بِهِ إِذَا خَاطَبَ . [١٣] نَكَاتُ الْقَرْحَةِ
كَنَحَ : قَشَرَهَا قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَ فَنَدِيتُ ، كُنَايَةٌ عَنْ نَبَشِهِ حَمَّا كَادَ يَنْبِىءُ مِنَ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي أُمَيَّةٍ .
[١٤] الشَّافَةُ : قَرْحَةٌ تَخْرُجُ فِي أَسْفَلِ الْقَدَمِ فَتُكْوَى فَتُذْهَبُ ، وَاسْتَأْصَلْتُ اللَّهَ شَافَتَهُ : أَذْهَبَهُ كَمَا تَذْهَبُ
تِلْكَ الْقَرْحَةُ

من آل عبد المطلب ، وَلَتَرِدَنَّ عَلَى اللَّهِ وَشِيكَاً ^(١) مَوْرِدَهُمْ ، وَلَتَوَدََّنَّ أَنَّكَ نَحِمْتِ
وَبَكِمْتِ وَأَنَّكَ لَمْ تَقُلِ : « فَاسْتَهْلُوا وَأَهْلُوا فَرِحًا » اللَّهُمَّ خذْ بِحَقِّنَا ، وَانْتَقِمِ
لَنَا مِمَّنْ ظَلَمْنَا ، وَاللَّهُ مَا فَرَيْتَ إِلَّا فِي جِلْدِكَ ، وَلَا حَزَزْتَ إِلَّا فِي لَحْمِكَ ،
وَسَتَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِرَغْمِكَ ^(٢) ، وَعِثْرَتُهُ وَلُحْمَتُهُ فِي حَظِيرَةِ
الْقُدُسِ ^(٣) ، يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ مَأْمُومِينَ مِنَ الشَّعْتِ ^(٤) ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ » وَسَيَعْلَمُ مِنْ بَوَّأِكَ ^(٥) وَمَكْنُوكِ مِنَ رِقَابِ الْمُؤْمِنِينَ - إِذَا كَانَ الْحَكَمُ
لِلَّهِ ، وَالْخَصَمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَجَوَارْحُكَ شَاهِدَةٌ عَلَيْكَ ، فَبَيْتُ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا - أَيُّكُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جَنْدًا ، مَعَ أَنِّي وَاللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ
وَابْنَ عَدُوِّهِ ، أَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَأَسْتَغْظِمُ تَقْرِيعَكَ ^(٦) ، غَيْرَ أَنَّ الْعَيُونَ عَبْرَى ^(٧) ،
وَالصُّدُورَ حَرَّى ، وَمَا يَجْزِي ذَلِكَ أَوْ يُغْنِي عَنَّا ، وَقَدْ قَتَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ ^(٨) يَقْرَبُنَا إِلَى حِزْبِ السُّفْهَاءِ ^(٩) ، لِيُعْطُوهُمْ أَمْوَالَ اللَّهِ عَلَى انْتِهَاكَ
مَحَارِمِ اللَّهِ ، فَهَذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفِ ^(١٠) مِنْ دِمَائِنَا ، وَهَذِهِ الْأَفْوَاهُ تَتَحَلَّبُ ^(١١) مِنْ
لَحُومِنَا ، وَتَتَلَكَّ الْجِثَّتُ الزَّوَاكِي ^(١٢) ، يَعْتَامُهَا عَسَلَانُ الْفَلَوَاتِ ، فَلَنْ نَتَّخِذْتَنَا
مَعْنَا لِنَتَّخِذَنَّ مَعْرَمًا ، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، تَسْتَصْرِخُ ^(١٣) :

[١] سريعاً . [٢] الرعم : الدل . [٣] العترة : رهط الرجل وعشيرته الأدنى ، واللحمة :
القراية ، والقدس : الطهر ، - أي في الجنة - . [٤] التفرق . [٥] أي أهلك في كرمي
الحلافة وهو معاوية . [٦] التقريع : التأنيب . [٧] عين عبري : حرت عبرتها ، والصُّدُورُ حَرَّى :
شديدة الحرارة ، كناية عن شدة الحزن . [٨] تريد عبيد الله بن زياد ورجاله .
[٩] أي إلى يزيد وشيعته . [١٠] نطف الماء كنصر وضرب : سال ، ونطف كفرح وعنى :
تلتطح ببعب . [١١] تحلب العرق : سال ، وتحلب بدنه عرقاً : سال عرقه . [١٢] الزواكي جمع
زأكية من زكا إذا صلح وتنعم ، واعتام : أخذ العيمة بالكسر وهي خيار المال ، وعسل الذئب عسلاً لا يجري
جرياناً : أعنى وأسرع ، والعاصل : الذئب وجمعه كركع وفوارس ، والراد هنا معنى الجمع لا المصدر ، أي
ذؤبان الفلوات ، ولم أجد في كتب اللغة لعاصل جمعاً غير هذين ، إلا أن يراد بالمصدر الوصف .
[١٣] تستعيث .

يا بن مرجانة ، وَيَسْتَصْرِخُ بِكَ ، وَتَتَعَاوَى وَاتَّبَاعُكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ ، وَقَدْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ زَادٍ زَوْدَكَ مَعَاوِيَةَ قَتَلَكَ ذُرِّيَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا اتَّقَيْتُ^(١) غَيْرَ اللَّهِ ، وَلَا شَكَاوَى إِلَّا إِلَى اللَّهِ ، فَكَيْدُ كَيْدِكَ ، وَأَسْعَى سَعْيِكَ ، وَنَاصِبُ جُهْدِكَ^(٢) ، فَوَاللَّهِ لَا يُرْخَضُ عَنْكَ عَارٌ مَا أَتَيْتَ إِلَيْنَا أَبَدًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَتَمَ بِالسَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِسَادَاتِ شَبَّانِ الْجِنَانِ ، فَأَوْجَبَ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ ، وَأَنْ يُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّهُ وَلِيُّ قَدِيرٍ .

(بلاغات النساء ص ٢٥)

١٢٣ — رثاء الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عِنْدَ قَبْرِ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ :
« رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنْ كُنْتَ لِنَاصِرِ الْحَقِّ مَظَانَهُ^(٣) ، وَتَوْثُرِ اللَّهِ عِنْدَ تَدَاخُضِ^(٤) الْبَاطِلِ ، فِي مَوَاطِنِ الثَّقِيَّةِ بِحُسْنِ الرُّوِيَّةِ ، وَتَسْتَشِفِّ^(٥) جَلِيلِ مَعَازِمِ الدُّنْيَا بَعِينَ لَهَا حَاقِرَةٌ ، وَتُفِيضُ عَلَيْهَا يَدًا طَاهِرَةً الْأَطْرَافِ ، نَقِيَّةَ الْأَسْرِ^(٦) ، وَتَرْدَعُ بِادِرَةِ غَرْبِ أَعْدَائِكَ ، بِأَيْسَرِ الْمُتُونَةِ عَلَيْكَ ، وَلَا غَرَوَ وَأَنْتَ ابْنُ سُلَالَةِ النَّبَوَةِ ، وَرَضِيعُ لِبَانِ الْحِكْمَةِ ، فَإِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ ، أَعْظَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ الْأَجْرَ عَلَيْهِ ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ السَّلَوةَ وَحُسْنَ الْأَسَى^(٧) عَنْهُ . »
(عيون الأخبار م ٢٠ : ص ٣١٤)

[١] أَيْ لَا أَخَافُ إِلَّا اللَّهَ . [٢] نَاصِبُهُ الْعَدَاوَةُ : أَظْهَرَهَا لَهُ .

[٣] فِي الْأَصْلِ « لِنَبَاصِرِ » بِأَلْيَاءٍ وَأَرَاءٍ بِالنُّونِ ، وَقَوْلُهُ « مَظَانَهُ » أَيْ فِي مَظَانِهِ ، أَوْ هُوَ بَدَلُ .

[٤] هِيَ تَفَاعُلٌ مِنَ الدَّخْضِ ، دَخَضَ بَرَجْلُهُ كَنَحَسَ : خَسَّ بِهَا ، وَدَخَضَتْ رَجْلُهُ : زَلَقَتْ ، وَالْمَعْنَى : عِنْدَ تَطَاخُنِ

الْبَاطِلِ وَمَدَالِبَةِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ . [٥] اسْتَشَفَّه : نَظَرَ مَا وَرَاءَهُ . [٦] الْأَسْرَةُ جَمْعُ سَرَارٍ كَكِتَابٍ :

الْحَطَاوِطِ الَّتِي تَبْدُو فِي ظَاهِرِ الْيَدِ وَالْجِهَةِ . [٧] الْأَسَى بضم الهمزة وكسرهما جمع أسوة بالضم والكسر أَيْضًا : يَمَّا يَتَعَزَّى بِهِ .

١٢٤ — عبدالله بن هاشم بن عتبة وعمر بن العاص في مجلس معاوية

روى المسعودي في مروج الذهب قال :

« لما قُتِلَ على كَرَمِ الله وجهه ، كَانَ في نفس معاوية من يوم صَفَيْنَ على هاشم بن عُتْبَةَ بن أَبِي وَقَّاصِ المِرْقَالِ وولده عبد الله بن هاشمٍ إِحْنٌ ، فاما استعمل معاويةُ زياداً على العراق ، كتب إليه : « أما بعد : فانظر عبد الله بن هاشم ابن عُتْبَةَ فشدَّ يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى » ؛ فحمله زياد من البصرة مُقَيَّدًا مَغْلُولًا إلى دِمَشْقَ ، وقد كَانَ زيادُ طَرَقَه بالليل في منزله بالبصرة ، فدخل إلى معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمر بن العاص : هل تعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا الذي يقول أبوه يوم صفين ^(١) :

إِنِّي شَرَيْتُ النَّفْسَ لَمَّا اعْتَلَا وَأَكْثَرَ اللَّوْمَ وَمَا أَقْلَا ^(٢)
أَعُورُ يَبْنِي أَهْلَهُ مَحَلًّا قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا ^(٣)
لَا بَدَّ أَنْ يَقْلَ أَوْ يُفْلَا يَتْلَهُمُ بَذَى الْكُؤُوبِ تَلَا ^(٤)
لا خيرَ عندي في كريمٍ وَلَّى

[١] وذلك أن عمار بن ياسر جاء إلى هاشم بن عتبة (وكان هاشم أعور ، فقُتِلَ عينه يوم اليرموك بالشَّام) فقال : يا هاشم ، أعورا وجننا لا خير في أعور لا يغشى البأس ، اركب يا هاشم ، فركب ومضى معه وهو يرتجز : إني شريت النفس . . . الخ . وعمار يقول : تقدم يا هاشم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت تحت أطراف الأسل ، وقد فتحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين ، اليوم ألقى الأخبة محمدا وحزبه . [٢] شريت النفس : أي بستها في سبيل الله ، واعتله : تجنى عليه (أي ادعى ذنبا لم يفعله) ، وفاعله ضمير عمار بن ياسر ، فعني لما اعتلَّ أي لما رمانى عمار بالجبن . [٣] يبنى أهله محلا أي يبنى محل أهله أي يطلب مصير أهله الذين استشهدوا في سبيل الله فسكنوا جنات الخلد ، فهو يبنى إمامهم والاجتماع بهم هنالك . [٤] يفل : يهزم ويغلب ، وتله صرعه أو ألقاه على عنقه وخذه (وفي الأصل : أسلمهم بذى الكؤوب سلا وهو تحريف ، إذ رواية الطبري ، وابن الأثير يتلهم بالناء ، أو هر صحيح على معنى : أسل أرواحهم وانتزعها) ، وذو الكؤوب : الرمح ، وكؤوب الرمح : النواشر في أطراف الأنايب .

فقال عمرو متمثلاً :

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا ^(١)
« دونك يا أمير المؤمنين الضبُّ الضبُّ » ^(٢) ، فاشْخُبْ أَوادجَه ^(٣) على أسباجه ^(٤) ،
ولا تردّه إلى أهل العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق ، وحزبُ
إبليسَ ليومِ هَيَجَانِه ، وإن له هَوًى سيُؤدِيه ^(٥) ، ورأياً سيُطْغِيه ^(٦) ، وَبِطَانَةٌ
سَتُقَوِيه ، وَجَزَاءٌ سَيَّئَةٌ سَيَّئَةٌ مِثْلُهَا .

فقال عبد الله : « يا عمرو إن أُقْتِلَ فَرَجُلٌ أَسْلَمَهُ ^(٧) قَوْمُهُ ، وأدركه يومُهُ ،

[١] الدمن جمع دمنة وهي ما اسود من آثار الدار بالبحر والرماد وغيرها ، وقد تمثل بهذا البيت زفر بن الحارث السكلاي في قصيدة قالها ، وقد قتل ابنه يوم وقعة مرج راهط ، التي نشبت بعد موت معاوية الثاني بين مروان بن الحكم وبين من حالف على الأموية ودعا إلى الزيرية من السجاءك بن قيس الفهري وأتباعه ، ومنهم زفر السكلاي ، وقد دارت عليهم الدائرة ، وقتل الضحاك « انظر تاريخ الطبري ، ومروج الذهب ، والعقد الفريد » .

[٢] الضبُّ : حيوان برى يشبه الورل ، وهو يتلون ألوانا بجزر الشمس كما تتلون الحرباء ، وقد صرب به المثل فقالوا : « أخذع من ضبِّ » ، وذلك أنهم كانوا يصيدونه ، فيأتي الحارث (حرش الضبِّ واحترشه : صاده) ويحرك يده على باب جحره ليظه حية فيخرج ذنبه ليضربها بيأحده ، ولكن الضبُّ شديد الحذر فإنه يعتمد بذنبه باب جحره ليضرب به حية أو شيئاً آخر إن جاءه ، فيجىء المحرش ، فإن كان الضبُّ مجرباً أخرج ذنبه إلى نصف الجحر ، فإن دخل عليه شيء صربه والا بقي في جحره ، وهذا هو خدعه — يعنون به شدة حذره — وقيل إن معناه أن جحره فلما يخلو من عقرب ، لما بينها من الألفة والاستمانة بها على المحترش ، فإذا أدخل المحترش يده لدغته وأشدوا :

وأخذع من ضب اذا جاء حارث أععد له عند الدنابة عقرباً

ويقولون : « فلان خبِّ ضبِّ » (والخبِّ بالفتح ويكسر المحادع) فيشبهون الحقد الكامن في قلبه الذي يسرى صرره ، يخدع الضبُّ في جحره (ومن أمثالهم فيه أيضاً) « أتع من ضبِّ » — يريدون الأثني ، وعقوبتها أنها تأكل أولادها ، وذلك أن الضبة اذا باصت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك ، فإذا نقت أولادها ، وخرجت من البيض ، ظنتها شيئاً يريد بيضها ، فوثبت عليها تقاتلها ، فلا ينجو منها إلا الشريد — وقالوا : « أعقد من ذب الضبِّ » ذكروا أن فيه إحدى وعشرين دقة — « وأجن من ضب » ، « وأبلد من ضب » ، « وأحيا من ضب » — أي أطول عمرا .

[٣] الأوداج جمع وديج بالتحريك : هرق في العنق ، وشخبت أوداج القتل دما من ناني قتل ونفع : جرت ، وشخب اللبن وكل مائع : درّ وساء ، وشخبته أنا يتعدى ولا يتعدى .

[٤] الأسباج جمع سبجه « كفرصة » وسبجة القميص لبسه — بنيقته .

[٥] أي وإن له ميلا إلى آل علي سيهلكه . [٦] طغى : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم . [٧] خذله .

أَفْلا كَانَ هَذَا مِنْكَ إِذْ تَحْيِدُ عَنِ الْقِتَالِ ، وَنَحْنُ نَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ، وَأَنْتَ تَلُودُ بِشَمَالِ النَّطَافِ ^(١) ، وَعَقَائِقُ الرَّصَافِ ^(٢) ، كَالْأَمَةِ السَّوْدَاءِ ، وَالنَّعْجَةِ الْقَوْدَاءِ ^(٣) لَا تَدْفَعُ يَدَ لَامِسٍ .

فَقَالَ عَمْرُو : « أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ وَقَعْتَ فِي لَهَازِمٍ ^(٤) شَدَقَمٍ لِلْأَقْرَانِ ذِي لِبَدٍ ، وَلَا أَحْسَبُكَ مُنْقَلِتًا مِنْ مَخَالِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : « أَمَا وَاللَّهِ يَا بَنَ الْعَاصِ ، إِنَّكَ لَبَطِرٌ فِي الرَّخَاءِ ، جَبَانٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، غَشُومٌ ^(٥) إِذَا وَلِيْتَ ، هَيَّابٌ إِذَا لَقِيتَ ، تَهْدِرٌ ^(٦) ، كَمَا يَهْدِرُ الْعَوْدُ الْمَنْكُوسُ ، الْمُقَيَّدُ بَيْنَ مَجْرَى السَّوْلِ ، لَا يُسْتَعْجَلُ فِي الْمُدَّةِ ، وَلَا يُرْتَجَى فِي الشَّدَّةِ ، أَفْلا كَانَ هَذَا مِنْكَ ، إِذْ غَمَرَكُ أَقْوَامٌ لَمْ يُعْنَفُوا صَغَارًا ، وَلَمْ يُعْزَقُوا كِبَارًا . لَهُمْ أَيْدٍ شِدَادٌ ، وَالسِّنَةُ حِدَادٌ ، يَدْعُمُونَ الْعَوَجَ ^(٧) ، وَيُذْهِبُونَ الْحَرَجَ ^(٨) ، يُكْثِرُونَ الْقَلِيلَ ، وَيَشْفُونَ الْغَلِيلَ ، وَيُعْزُونَ الذَّلِيلَ ؟ »

[١] الطاف جمع نطفة (كمرصة) وهي الماء الصافي ، قل أو أكثر ، وفي الحديث « قطعنا اليهم هذه النطفة » أي البحر وماءه ، وفي حديث عليّ : « وليملها عند النطاف والأصخاب » يعني الإبل والماشية . يريد أنها إذا وردت على المياه والعشب يدعها لترد وترعى .

[٢] الرصفة بالتحريك : الحجارة التي يرصف بعضها إلى بعض في مسيل فيجتمع فيها ماء المطر ، والعقائيق : القدران . يقال لكل مسيل شقه ماء السيل فأنهره ووسعه حقيق ، والجمع أعقة وعقائيق ، وقيل العقائيق هي الرمال الحمر . [٣] مؤنث الأنود وهو الدلول المنقاد .

[٤] جمع لَهْزَم كَجَمْرٍ وهو القاطع من الأسنة ، والشدقم الأسد ، والواسع الشدق ، وشدقم للأقران أي أسد متلع للأقران ، واللبد جمع لبدة بالكسر ، ولبدة الأسد ما تلبد من شعره على منكبيه ، وكنيته « ذو لبدة » ويكنى أيضا أبا الأبطال ، وأبا شبل ، وأبا العباس ، وأبا الحارث ، وأبا حفص ، وأبا الزعفران .

[٥] ظلوم ، عشمه كضربه غشما ظلمه . [٦] هدر البعير وهدير بالشديد صوت ، وفي المثل « كلمهدير في العنة » والعنة بضم العين وتشديد النون : الحظيرة ، يضرب لمن يصيح ويحلب ولا ينفذ قوله ولا فعله ، كالبعير يحبس في الحظيرة ممنوعا من الضراب وهو يهدر ، والعود : المسن من الإبل ، والمنكوس الذي طوده المرض بعد النكه ، والشول جمع شائلة ، وهي من الإبل ما آتى عليها من حملها أو وضعا سبعة أشهر فجف لبنها . [٧] الموج بالفتح في كل ما كان منتصباً مثل الإنسان والعصا والعود وشبهه ، والموج بالكسر ما كان في بساط أو أرض أو مماش أودين ، وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم منه ، ودعاه (كمنه) مال فأقامه .

[٨] حرج صدره كفرح حرجا ضاق .

فقال عمرو : « أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تحفُّق^(١) أحشاؤه ، وتَبُقُّ^(٢) أمعاؤه ، وتضطرب أصلاؤه^(٣) ، كأنما انطبق عليه ضُمدٌ^(٤) »

فقال عبد الله : « يا عمرو ، إنا قد بلَّوْناك ومقالتك ، فوجدنا لسانك كذُوبًا غادرًا ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجندٍ لا يسأمونك ، ولورمت المنطق في غير أهل الشام ، لَجَحَظَ^(٥) إليه عَقْلُكَ ، وتلجلج لسانك ، ولا اضطرب نَحْذَاكَ اضطراب القعود^(٦) الذي أثقله حمله » .

فقال معاوية : « إيهًا^(٧) عنكما ، وأمر بإطلاق عبد الله ، فقال عمرو لمعاوية :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا	فَعَصَيْتَنِي	وَكَانَ مِنَ التَّوْفِيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُ (يَامَعَاوِيَةُ)	الَّذِي	أَعَانَ عَلِيًّا يَوْمَ حَزِّ الْغَلَاظِمِ ^(٨)
فَلَمْ يَنْتَنِي حَتَّى جَرَّتْ مِنْ دِمَائِنَا		بِصِفَتَيْنِ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِمِ ^(٩)
وَهَذَا ابْنُهُ ، وَالْمَرْءُ يُشَبِّهُ سِنَخَهُ		وَيُوشِكُ أَنْ تَقْرَعَ بِهِ سِنَّ نَادِمٍ ^(١٠)

فقال عبد الله يحببه :

مُعَاوِيَ : إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ
صَغِينَةُ صَدْرِ غِشْهًا غَيْرُ نَأْمٍ

[١] تضطرب . [٢] تخرج ، بق البت بقوقا : طلع . [٣] جمع صلا بالفتح وهو وسط الظهر من الانسان ومن كل ذى أربع ، وقيل هو ما انحدر من الوركين . [٤] ضمد جرحه : شده بالضاد والضامة (بالكسر) أى العصابة ، والجمع ضمد ككتب .

[٥] من جحط العين جحوظا إذا برزت مقلتها ، والمراد اضطرب عقلاك وشردد ولم يسلس لك قياد التفكير .

[٦] القعود من الإبل الذى يقتمده الراعى فى كل حاجة . [٧] أمر بالسكوت .

[٨] الغلاصم جمع غاصمة بفتح الغين والصاد ، وهى رأس الحلقوم — الموضع الثانى فى الحاق — أو أصل اللسان . [٩] الخضارم جمع خضرم بكسر الحاء والراء : البحر العظيم . واثبات الياء فى يرمى مع الجازم لغة أو للضرورة أو إشباع والحرف الأصلى محذوف للجازم .

[١٠] قرع فلان سنه : حرقه ندما (حرق نابه — كنصر وضرب — سحقه حتى سمع له صريف) وسكن

الفعل للضرورة ، والسنخ الأصل من كل شىء ، (وفى الأصل شيخه وهو تصحيف)

يَرَى لَكَ قَتْلِي (يَا بَنَ هِنْدٍ) وَإِنَّمَا
عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ
يَرَى مَا يَرَى عَمْرُو مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ
إِذَا مُنِعَتْ مِنْهُ عَهْدُ الْمُسَالَمِ
وَقَدْ كَانَ مِنَّا يَوْمَ صِفِّينَ نَعْرَةً^(١)
قَضَى مَا انْقَضَى مِنْهَا، وَلَيْسَ الَّذِي مَضَى
وَلَا مَا جَرَى إِلَّا كَأَضْغَاثِ حَالِمٍ^(٢)
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنْ ذِي قَرَابَةٍ
وَأِنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَحِلُّ تَحَارِي^(٣)
فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :

أَرَى الْعَفْوَ عَنْ عَلِيٍّ قَرِيشٍ وَسَيْلَةٍ^(٤)
وَلَسْتُ أَرَى قَتْلَ الْعُدَاةِ ابْنَ هَاشِمٍ
إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ الْقُمَاطِرِ^(٥)
بِإِدْرَاكِ تَأْرِي فِي لُؤْيٍ وَعَامِرٍ^(٦)
بَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ بَعْدَ مَا بَانَ جُرْمُهُ
وَزَلَّتْ بِهِ إِحْدَى الْجُدُودِ الْعَوَائِرِ
فَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَ صِفِّينَ جَمْرَةً
عَلَيْنَا فَأَرَدْتَهُ رِمَاحُ نَهَابِرٍ^(٧)
١٢٥ — عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ فِي مَجْلِسِ مَعَاوِيَةَ

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية ، فقال معاوية :
« مَنْ يُخْبِرُنِي عَنِ الْجُودِ وَالنَّجْدَةِ وَالْمُرُوءَةِ » ؟ فقال عبد الله : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَمَّا الْجُودُ : فَابْتِذَالُ الْمَالِ ، وَالْعَطِيَّةُ قَبْلَ السُّؤَالِ ؛ وَأَمَّا النَّجْدَةُ : فَالْجَرَاءَةُ عَلَى

[١] نمر القوم كنع ماجوا واجتمعوا في الحرب ، ونمر الرجل خالف ، وفي الأصل « نقرة » وهو تصحيف . [٢] قضى : مات وذهب ، وأضغاث حالم : رؤيا لا يصح تأويلها لاحتلاطها .

[٣] كان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية إذ هو ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ماث بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، فهو يجتمع مع معاوية في جده كلاب .

[٤] يوم عصيب : شديد ، ويوم قاطر وقطير شديد أيضا . [٥] العداة جمع طاد وهو العدو ولؤي هو الجد التاسع لمعاوية وعبد الله بن هاشم (والجد الثامن للنبي عليه الصلاة والسلام) وطاسر هو ، طاسر بن لؤي . [٦] النهابر : الممالك جمع نهيرة بضم النون والباء ، وكذا النهاير جمع نهيرة .

الإقدام ، والصبر عند ازْوَرار الأقدام^(١) . وأما المروءة فالصلاح في الدين ،
والإصلاح للحال ، والمحاماة عن الجار » . (مروج الذهب ٢ : ٥٧)

قيس بن سعد بن عبادة ومعاوية

ودخل قيسُ بن سعد بن عبادة بعد وفاة عليٍّ ووقوع الصلح ، في جماعة من الأنصار
على معاوية ، فقال لهم معاوية :

١٢٦ - مقال معاوية

« يا معشر الأنصار ، بِمَ تطلبون ما قَبَلِي ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي ،
كثيراً مع عليٍّ ، ولقد فَلَلْتُمْ حَدِّي يومَ صِفِين ، حتى رأيت المنايا تَلْظِي^(٢) في
أَسِنَّتِكُمْ ، وهجوتموني في أسلافي بأشدَّ من وقع الأَسِنَّة ، حتى إذا أقام الله منا
ما حاولتم مَيْلَهُ ، قَلْتُمْ ارْعَ فِينا وصيةَ رسول الله^(٣) صلى الله عليه وسلم ، هيهات
يأبى الحَقِير الغَدْرَةَ » .

١٢٧ - رد قيس بن سعد

فقال قيس : « نطلب ما قَبَلَك بالإسلام الكافي به الله ، لا بما نَمَتُ
به إليك من الأحزاب . وأما عداوتنا لك فلو شئت كَفَفْتَهَا عَنْكَ . وأما هجاؤنا
إياك فقولُ يزول باطله ، ويثبت حقه . وأما استقامة الأمر فَعَلَى كُرْهِ كَانْ منا .
وأما فَلَلْنَا حَدَّكَ يومَ صِفِين ، فَإِنَّا كُنَّا مع رجل نرى طاعته لله طاعةً ، وأما وصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ، فمن آمَنَ به رعاها بعده . وأما قولك يا بَنِي الحَقِير

[١] أى عند انحرافها وترزُلها . [٢] تَلْظِي أى تَتَلَبَّسُ . [٣] وقد وصى عليه الصلاة والسلام
بأن يحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم .

الغدرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية .

فقال معاوية يمّوه : « ارفعوا حوائجكم » .

(مروج الذهب ٢ : ٦٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٢١)

١٢٨ — معاوية وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن الكواء

روى المسعودي في مروج الذهب قال :

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدى ، وعبد الله بن الكواء اليشكري .
ورجالاً من أصحاب على ، مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية يوماً ، فقال :
« نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقاً وصدقاً ، أى الخلفاء رأيتمونى ؟ فتال ابن
الكواء : « لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله فى
قتل الأخيار ، ولكننا نقول : إنك - ما علمنا - واسع الدنيا ضيق الآخرة ^(١) ،
قريب الثرى بعيد المرعى ^(٢) ، تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات » . فقال
معاوية : « إن الله أكرم هذا الأمر بأهل الشام ، الذابّين عن بيضته ، التاركين
لمحارمه ، ولم يكونوا كأمثال أهل العراق ، المنتهكين لمحارم الله ، والمُحلّين ما حرّم
الله ، والمحرمين ما أحل الله » . فقال عبد الله بن الكواء : « يابن أبى سفيان ،
إن لكل كلام جواباً ، ونحن نخاف جبروتك ، فإن كنت تُطلق ألسنتنا ذبّنا
عن أهل العراق ، بألسنة حداد ، لا يأخذها فى الله لومة لائم ، وإلا فإننا صابرون
حتى يحكم الله ويضعنا على فرجه » . قال : « والله لا يُطلق لك لسان » .

ثم تكلم صعصعة فقال : « تكلمت يابن أبى سفيان فأبلغت ، ولم تُقصّر

[١] أى إنك ذو حظ وافر فى الدنيا وليس لك من ثواب الآخرة من نصيب .

[٢] قريب الثرى : قريب الحول فى الثرى : أى قريب الأجل ، وبعيد المرعى كناية عن أنه بعيد

الأمل ، والمعنى أنك واسع الآمال بعيد مرعى الأمانى ، مع يمينك أن الارتحال عن هذه الدار وشيك .

عما أردت ، وليس الأمر على ما ذكرت ، أئنّى يكون الخليفةَ مَنْ مَلَكَ النَّاسَ قهراً ، ودانهم ^(١) كِبَرًا ، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرًا ؟ أما والله مالك في يوم بدر مَضْرَب ولا مَرَمَى ^(٢) ، وما كنت فيه إلّا كما قال القائل : « لَا حُلَى وَلَا سِيرَى » ، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ^(٣) ممن أَجْلَب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أنت طليق بن طليق ^(٤) ، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأئنّ تصلح الخلافة لطليق ؟ ، فقال معاوية : « لولا أئنّى أرجع إلى قول أبي طالب حيث يقول :

قَابِلَتْ جَهْلَهُمْ حِمَامًا وَمَغْفِرَةً وَالْعَفْوُ عَنْ قُدْرَةٍ ضَرَبَ مِنَ الْكَرَمِ لَقَتَلْتُمْ » . (مروج الذهب ٢ : ٧٨)

١٢٩ — صعصعة بن صوحان ومعاوية

ودخل صعصعة بن صُوحان على معاوية ، فقال له : « يا بن صوحان ، أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها ، فأخبرني عن أهل البصرة ، وإياك والجل على قوم لقوم » قال : « البصرة واسطة ^(٥) العرب ، ومُنْتَهَى الشرف

[١] دانه : ملكه وأذله واستعده . [٢] أى مالك ضرب ولا رمى .

[٣] العير الابل تحمل الميرة ، والمراد بها هنا عير قريش التي كان يقودها أبو سفيان بن حرب — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تعين انصرافها من الشام — فلما دنا أبو سفيان من المدينة ، وعرف أن عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم ترصده ساحل بعيره (أى بها الساحل) وترك بدرا يسارا ، وقد كان يهت إلى قريش حين فصل من الشام يخبرهم بما يخافه من محمد ، فأقبلت قريش من مكة ، فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير (أى حصنها) ويأمرهم بالرجوع ، فأبت قريش أن ترجع ، ورحمت بنو زهرة وعدلوا إلى الساحل منصرفين إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال : يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير (فذهبت مثلا) قالوا أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ، ومضت قريش إلى بدر فقاتلهم النبي وأظفره الله بهم ، والنفير القوم يستنفرون للحرب وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنفذون العير ، وكان رئيسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس جد معاوية لأمه .

[٤] الطلقاء هم الذين عفا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة ، فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

[٥] هو على التشبيه بواسطة القدر وهي الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطه .

والسُّودَدَ ، وهم أهل الخِطَط^(١) في أول الدهر وآخره ، وقد دارت بهم سرّوات^(٢) العرب كدَوْران الرّحى على قُطْبِها » ، قال : فأخبرني عن أهل الكوفة ، قال : « قُبّة الإسلام ، وذُرْوَة الكلام ، وَمَصَانُ ذوى الأعلام - إلا أن بها أجلافاً^(٣) تمنع ذوى الأمر الطاعة ، وتخرجهم عن الجماعة - وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقناعة » . قال : فأخبرني عن أهل الحجاز ، قال : « أسرع الناس إلى فتنة ، وأضعفهم عنها ، وأقلّهم غناء^(٤) فيها ، غير أن لهم ثباتاً في الدين ، وتمسكاً بعُرْوَة اليقين ، يتبعون الأئمة الأبرار ، ويخلعون الفسقة الفُجّار » فقال معاوية : مَنْ البرّة والفسقة ؟ فقال : « يابن أبي سُفيان ، ترك الخِداع ، مَنْ كَشَفَ القِناع ، على أصحابه من الأئمة الأبرار ، وأنت وأصحابك من أولئك » . ثم أحب معاوية أن يمضى صعصعة في كلامه ، بعد أن بان فيه الغضب ، فقال : أخبرني عن القُبّة الحمراء في ديار مُضَرَ^(٥) ، قال : « أَسَدُ مُضَرَ بُسْلَاءَ بين غَيْلَيْنِ^(٦) ، إذا

- [١] الخطط جمع خطة بالكسر : وهي الأرض تنزل من غير أن ينزلها نارل قبل ذلك ، ومنه خطط الكوفة والبصرة ، وقد خطها لنفسه واختطها وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها .
- [٢] السرو بالفتح : المروعة في شرف ، سرو فهو سرى وجمعه أسرياء وسرواء كفضلاء والسرارة بالفتح اسم جمع وجمعه سرّوات . [٣] جمع جلف بالكسر وهو الرجل الجاف . [٤] غناء : كفاية [٥] ذكروا أن نزار بن ممد لما حضرته الوفاة جمع بنيته : مضر ، وإياد ، وربيعة ، وأنمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء - وكانت من آدم - لمضر - وهذا الفرس الأدهم والحباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم - وكانت شمطاء - لإياد ، وهذه البدرية (بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار) والمجلس لأنمارا يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف تقنسمون ، فأتوا الأدهم الجرهمي ، ومنزله بنجران ، فتشاجروا في ميراثه ، فاختصموا إلى الأدهم الجرهمي ، وهو حكم العرب ، فقصوا عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوه فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والابل الجر ، فسمى مضر الحمراء لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والحباء الأسود ، فله كل شيء أسود ، فصارت لربيعة الحيسل الدم ، فقبل ربيعة الفرس ، وما أشبه الخادم الشمطاء وهو لإياد ، فصار له المشاية البلق من الحباقي والنقد (الحلقى : بفتح الحاء والياء وتشديد اللام : غنم صفار لا تكبر ، أو قصار اللز ودمامها ، والنقد كسبب : جنس من الغنم قبيح الشكل) فسمى إياد الشمطاء ، وقضى لأنمار بالدراهم وبما فضل ، فسمى أنمار الفضل فصدروا من عنده على ذلك . - مجمع الأمثال ١ : ١٠ .
- [٦] بسلاء جمع باسل : وهو الأسد والشجاع والغيل بالكسر ويفتح : الشجر الكثير الملتف والأجعة .

أَرْسَلْتَهَا افْتَرَسَتْ ، وَإِذَا تَرَكْتُهَا احْتَرَسَتْ . فقال معاوية : « هنالك يابن صوحان ، العز الراسى ، فهل فى قومك مثْلُ هذا » ؟ قال : « هذا لأهله دونك يابن أبى سفيان ، ومن أحب قوماً حُشِرَ معهم » قال : فأخبرنى عن ديار ربيعة ، ولا يَسْتَخِفُّنَكَ الْجَهْلُ ، وسابقة الحمية بالتعصب لقومك ^(١) ، قال : « والله ما أنا عنهم براص ، ولكنى أقول فيهم وعليهم ، هم والله أعلام الليل ، وأذئاب فى الدين والميل ، لن تُغْلَبَ رايته إذا زُشِّحَتْ ، خوارج الدين ، برازخ اليقين ، من نصره فَلَجَ ^(٢) ، ومن خذله زَلَجَ ^(٣) » . قال : فأخبرنى عن مضر ، قال : « كِنانة ^(٤) العرب ، وَمَعْدِنُ العز والحسب ، يقذف البحر بها آذِيَهُ ^(٥) ، وَالْبَرْءُ رَدِيَهُ » ، ثم أمسك معاوية ، فقال له صعصعة : سَلْ يا معاوية ، وإلا أخبرتك بما تحميد عنه ، قال : وما ذاك يابن صوحان ؟ قال : « أهل الشام » ، قال : « فأخبرنى عنهم » ، قال : « أطوع الناس لمخلوق ، وأعصاهم للخالق ، عُصَاة الجَبَّار ، وخِلْفَةُ ^(٦) الأشرار ، فعليهم الدمار ، ولهم سوء الدار » . فقال معاوية : « والله يابن صوحان ، إنك لحامل مُدَّتِكَ منذ أزمان ^(٧) » . إلا أن حلم ابن أبى سفيان يردُّ عنك » ، فقال صعصعة : « بل أمر الله وقدرته ، إن أمر الله كَانَ قَدَرًا مقدورًا » .

(مروج الذهب ٢ : ٧٨)

١٣٠ — صعصعة بن صوحان وعبد الله بن عباس

وروى المسعودى فى مروج الذهب أيضاً ، قال :

« عن مصقلة بن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي قال : سمعت صَعْصَعَةَ بنَ صُوحَانَ وقد

[١] وكان صعصعة من بنى عبد القيس بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .
[٢] فلج على خصمه : ظفر وفاز . [٣] زلق وزل . [٤] الكناية فى الأصل : جعبة السهام
[٥] الآذَى : الموج . [٦] الحلقة فى الأصل : ما عاقى خلف الراكب ، والمراد بها هنا أتباع .
[٧] كناية عن مجاهرته بالعداوة .

سأله ابن عباس : ما السُّودَدُ ^(١) فيكم ؟ فقال : « إِيْطَعَامُ الطَّعَامِ ، وَلِيْنِ الْكَلَامِ ، وَبَذْلُ النُّوَالِ ، وَكَفُّ الْمَرْءِ نَفْسَهُ عَنِ السُّؤَالِ ، وَالتَّوَدُّدُ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ عِنْدَكَ شَرَعًا ^(٢) » . قال : فما المُرُوءَةُ ؟ قال : « أَخَوَانُ اجْتِمَعَا ، فَإِنْ لَقِيََا قَهْرًا ^(٣) ، (وَإِنْ كَانَ) حَارِسُهُمَا قَلِيلٌ ، وَصَاحِبُهُمَا جَلِيلٌ ، مُحْتَاجَانِ ^(٤) إِلَى صِيَانَةٍ ، مَعَ تَزَاهَةٍ وَدِيَانَةٍ » . قال : فهل تحفظُ في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، أما سمعتَ قولَ مُرَّةَ بِنِ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ حيث يقول :

إِنْ السِّيَادَةُ وَالْمُرُوءَةُ عُثْلَقَا حَيْثُ السَّمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ ^(٥)

وَإِذَا تَقَابَلَ مُجْرِيَانِ لِنَايَةٍ عَثَرَ الْمَجْبِيْنُ وَأَسْلَمَتْهُ الْأَرْجُلُ ^(٦)

وَيَجِي الصَّرِيحُ مَعَ الْعَتَاقِ مُعَوِّدَا قَرَبَ الْجِيَادِ فَلَمْ يَجِئْهُ الْأَفْكَلُ ^(٧)

في أبيات . فقال له ابن عباس : لو أن رجلاً ضرب آباط ^(٨) إبله ، مُشَرِّقًا وَمُغَرِّبًا لِفَائِدَةٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا عَنَّفَتْهُ ، إِنْ أَمِنَكَ يَابْنَ صُوحَانَ أَعْلَى عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَاسْتِنْبَاطٍ مَا قَدْ عَفَا ^(٩) مِنْ أَخْبَارِ الْعَرَبِ ، فَمَنْ الْحَلِيمُ فِيكُمْ ؟ قال : « مَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَسُمِّيَ إِلَيْهِ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَوَجَدَ قَاتِلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، فَصَفَحَ وَلَمْ يَقْتُلْ ، ذَلِكَ الْحَلِيمُ يَابْنَ عَبَّاسَ » . قال : فهل تجد ذلك فيكم كثيراً ؟ قال : « ولا

[١] السودد بفتح الدال غير مهموز ، والسودد بضم الدال مهموزاً والسيادة والسرد .

[٢] شرعاً بسكون الراء وفتحها أى سواء . [٣] أى أنهما قوتان عظيمتان لصاحبهما ، تقهران ما يلقاه من الشدائد والصعاب وقوله « وإن كان » أى وإن كان ما لقيه عظيماً ، ولله زيادة من خطأ النسخ أو الطباع . [٤] فى الأصل « لحاحان » وهو تحريف . [٥] السما كان الأعزل والرامي : نجمان نيران ، وسمى أعزل لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذى لا سلاح له كما كان مع الرامي . [٦] فرس مجين إذا لم يكن عتيقاً كريماً ، وأسلمته : خذلته . [٧] لم يجئه الأفكل أى لم تصبه الرعدة « ويلاحظ أن فى هذا الشعر عيباً من عيوب الغافية وهو الإقواء ، لأن حركة الروى فى البيت الأول كسر ، وفى الثانى والثالث ضم ، وقد وقع فى شعر النابغة الذبياني ، وحسان بن ثابت ، وشر بن أبى خازم . . . » . [٨] آباط جمع إبط كمل : إبل : باطن المنكب . [٩] درس واحي .

قليلًا ، وإنما وصفت لك أقوامًا ، لا تجدهم إلا خاشعين راهبين ، لله مُريدِينَ ، يُنِيلُونَ ولا يَنَالُونَ ، فأما الآخَرُونَ فَإِنَّهُمْ سَبَقَ جَهْلُهُمْ حِلْمَهُمْ ، ولا يَبَالِي أَحَدُهُمْ (إِذَا ظَفِرَ بِبُعَيْتِهِ) حِينَ الْحَفِيزَةِ ^(١) مَنْ كَانَ ، بعد أن يُدْرِكَ زَعْمَهُ ، وَيَقْضَى بُعَيْتُهُ ، وَلَوْ وَتَرَهُ أَبُوهُ لَقَتَلَ أَبَاهُ ، وَأَخُوهُ لَقَتَلَ أَخَاهُ ، أما سمعت إلى قول رِيَّانَ ابنِ عَمْرِو بْنِ رِيَّانَ ، وذلك أن عمرًا أباه قتله مالكُ بن كُومَةَ ، فأقام رِيَّانُ زمانًا ثم غزا مالكا ، فأناه في مائتي فارس صَبَاحًا ، وهو في أربعين بيتًا ، فقتله وقتل أصحابه وقتل عمه فيمن قتل ، - ويقال بل كَانَ أَخَاهُ - وذلك أنه كَانَ جَاوِرَهُمْ ، ففَقِيلَ لِرِيَّانَ فِي ذَلِكَ : قَتَلْتَ صَاحِبَنَا ، فَقَالَ :

فَلَوْ أُمِّي ثَقِفْتُ بِحَيْثُ كَانُوا لَبَلَّ ثِيَابَهَا عَلَقٌ صَبِيبٌ ^(٢)
 وَلَوْ كَانَتْ أُمِّيَّةٌ أُخْتُ عَمْرٍو بِهَذَا الْمَاءِ ، ظَلَّ لَهَا نَحِيبٌ
 شَهَرَتْ السِّيفُ فِي الْأَذْنَيْنِ مِنِّي وَلَمْ تَعْطِفْ أَوْاصِرَنَا قُلُوبٌ ^(٣)

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَمِنْ الْفَارِسُ فَيَكُم ؟ حُدِّ لِي حَدًّا أَسْمِعُهُ مِنْكَ ، فَإِنَّكَ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا يَا بَنَ صَوْحَانَ ، قَالَ : « الْفَارِسُ مَنْ قَصُرَ أَجَلُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَضَعَمَ ^(٤) عَلَى أَمَلِهِ بِضِرْسِهِ ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْسِهِ ، ذَلِكَ الْفَارِسُ إِذَا وَقَدَتْ ^(٥) الْحُرُوبُ ، وَاشْتَدَّتْ بِالْأَنْفُسِ الْكُرُوبُ ، وَتَدَاعَوْا لِلنَّزَالِ ، وَتَرَاخَفُوا لِلْقِتَالِ ، وَتَخَالَسُوا الْمُهْجَ ^(٦) ، وَاقْتَحَمُوا بِالسِّيُوفِ اللَّجَجَ » ، قَالَ :

[١] الجمية والنصب . [٢] ثقفه كسمعه : صادفه ، والعلق : الدم أو الشديد الجرة ، وصبيب : أى مصبوب . [٣] أواصر جمع أصرة وهى القرابة وحبل صغير يشد به أسفل الخباء . [٤] ضغبه كنع عضه . [٥] وقدت النار (كوعد) توقدت . [٦] المهج جمع مهجة وهى الروح ، وتخالسوها تبادلوا اختلاسها واستلابها .

أحسنَتَ والله يا بن صُوحان ، إنك لَسَلِيلُ أَقْوَامٍ كِرَامٍ ، خُطْبَاءُ فُصَحَاءَ ، مَاوَرِثْتَ
هذا عن كَلَالَة ^(١) ، زِدْنِي ، قال : « نعم ، الفارس كثير الحذر ، مُدِيرُ النَّظَرِ ،
يَلْتَفِتُ بقلبه ، ولا يدير خَرَزَاتِ صُلْبِهِ ^(٢) » . قال : أحسنَتَ والله يا بن صُوحان
الوصَفَ ، فهل في مثل هذه الصفة من شعر ؟ قال : نعم ، لزهير بن جَنَاب
الكَلْبِيِّ ^(٣) يرثي ابنه عمرًا حيث يقول :

فَارِسٌ تُكَلَّلُ الصَّحَابَةُ مِنْهُ بِحُسَامٍ يَمُرُّ مَرَّ الْحَرِيقِ ^(٤)
لَا تَرَاهُ لَدَى الْوَغَى فِي مَجَالٍ يُغْفِلُ الضَّرْبَ لَا وَلَا فِي مَضِيقٍ
مَنْ يَرَاهُ يَخْلُهُ فِي الْحَرْبِ يَوْمًا أَنَّهُ أَخْرَقَ مُضِلُّ الطَّرِيقِ ^(٥)

في أبيات ، فقال له ابن عباس : فأين أخواك منك يا بن صوحان ؟ صِفْهُمَا لِأَعْرِفَ
وَرِثَتَهُمْ ، قال : أما زيد فكما قال أخو غَنَى ^(٦) .

فَتَى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بَوَجهه (إِذَا نَالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ) شُحُوبٌ ^(٧)
إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمْ يَنْطَقُوا الْعَوْرَاءَ وَهُوَ قَرِيبٌ ^(٨)

[١] تقول العرب : لم يرثه كلاله أى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق ، قال الفرزدق :

ورثتم قناة الملك عسير كلاله عن ابني مناف عدد شمس وهاشم

والكلالة ما لم يكن من النسب لحا ، وبنو العم الأبعد ، وحكى عن أعرابي أنه قال : مالى كثير ويرثي كلاله
متراخ نسبهم ، كل وارث ليس بوالد البيت ولا ولده فهو كلاله موروثه . [٢] أى فقرات ظهره .

[٣] شاعر جاهلي وهو أحد المعمرين . [٤] كلاله : حفظه وحرسه .

[٥] الأخرق : الأحمق ، أما قوله في أول البيت « من يراه » فهو مثل : « ألم بأتبك والأنباء تنمى »
ومثل : « كأن لم ترى قلى أسيرا يمانيا » . الخ ، وقد قال النحويون في ذلك إن لإثبات حرف الملة
مع الجازم لمة ، وقيل ضرورة ، وقيل هو حرف إشباع ، والحرف الأصلي محذوف للجازم ، وعندى أنه
ربما كان الأصل « من رآه » وعليه فلا محذور ، مع استقامة وزن البيت .

[٦] هو كعب بن سعد الغنوي (شاعر جاهلي) والأبيات المذكورة من قصيدة له يرثي بها
أخاه أبا المغوار وأرسلها :

تقول سليمان ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الطعام طيب

(انظرها في الأمالي ٢ : ١٥٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٩) .

[٧] خللات جمع حللة بالفتح وهى الحصلة ، وشعب لونه كجمع ونصر وكرم وعنى شحوبا : تغير من هزال
أو جوع أو سفر . [٨] العوراء : الكلمة الغريبة .

حَلِيفُ النَّدَى، يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُهُ قَرِيبًا، وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ (١)

يَبِيتُ النَّدَى (يَأْتُمُّ عَمْرِي) ضَجِيعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقِيَّاتِ حُلُوبٌ (٢)

كَأَنَّ يُيُوتَ الْحَيَّ (مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا) بَسَابِسُ مَا يُلْفَى بِهِنَ غَرِيبٌ (٣)

فِي آيَاتٍ، كَانَ وَاللَّهُ يَا بَنَ عَبَّاسٍ، عَظِيمُ الْمُرُوءَةِ (٤)، شَرِيفُ الْأَخُوَّةِ، جَلِيلُ

الْخَطَرِ، بَعِيدُ الْأَثَرِ، كَمِيشُ (٥) الْعُرُوءَةِ، أَلِيفُ النَّدْوَةِ (٦)، سَلِيمُ جَوَانِحِ الصَّدْرِ،

قَلِيلُ وَسَاوِسِ الدَّهْرِ، ذَا كِرَاءٍ لِلَّهِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُفَاءً (٧) مِنَ اللَّيْلِ، الْجَوْعُ وَالشَّبَعُ

عِنْدَهُ سَيَّانٍ، لَا يُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا، وَأَقْلُّ أَصْحَابِهِ مَنْ يُنَافِسُ فِيهَا، يُطِيلُ

السَّكُوتَ، وَيَحْفَظُ الْكَلَامَ، وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بِعُقَامٍ (٨)، يَهْرُبُ مِنْهُ الدُّعَارُ (٩)

الْأَشْرَارُ، وَيَأْلَفُهُ الْأَحْرَارُ الْأَخْيَارُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « مَا ظَنَنْتُكَ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ

الْجَنَّةِ، رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا، فَأَيْنَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُ؟ »، قَالَ: « كَانَ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدًا

شَجَاعًا، مُؤَلَّفًا (١٠) مُطَاعًا، خَيْرُهُ وَسَاعٌ (١١)، وَشَرُّهُ دُفَاعٌ، قَلْبِي النَّحِيزَةُ (١٢)،

أَحْوَذِي (١٣) الْغَرِيزَةُ، لَا يُنْهَنِيهِ (١٤) مُنْهَنِيهِ عَمَّا أَرَادَهُ، وَلَا يَرْكَبُ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا

[١] الندى : الجود . [٢] المنقيات : دوات البقي (بالكسر) وهو الشحم ، ناقة منقية أى

سمينة . [٣] بسابس جمع بسبس كجعفر وهو الفقر الحالى (وفى الأصل بسائس وهو تصحيف) .

[٤] مسهل عن المروءة . [٥] يقال رجل كميّش الازار : أى مشر جاد ، ورجل كميّش : عزوم

ماض سريع فى أموره . [٦] الندوة والنادى والمتندى والندى : مجلس الموم ومتحدثهم ، وفى

الأصل « البدوة » وأراء مصحفا ، أو هو فعلة من البدو وهو الظهور ، أى ذو مظهر حسن يؤلف

ولا يبعج . [٧] جمع زلفة بالضم وهى الطائفة من الليل . [٨] داء عقام : لا يبرأ ، أى نطق

بقوارص من الكلام جارحة مؤلمة لادواء لها . [٩] جمع داعر وصف من الدعارة بفتح الدال وكسرهما

وهى الحبث والفسق . [١٠] ألفتة وآلفتة : أسست به فهو مألوف ومؤلف .

[١١] على التشبيه بالفرس الوساع : وهو الجواد الواسع الخطو والذرع ، والدفاع : السيل العظيم ،

والشئ العظيم يدفع به مثله « وفرس دفاع كشداد . إذا تدافع جريه » . [١٢] القلب محض كل شئ ،

والنحيزة الطبيعة ، أى خالص الطبيعة صانها . [١٣] الأحوذى : الحقيف الحاذق والمشمس للأمور

القاهر لها لا يشذ عليه شئ . [١٤] نهنيه كفه وزجره .

عَتَادَهُ ^(١) ، سِمَامُ عِدَاً ^(٢) ، وَبَاذِلُ قِرْيَى ^(٣) ، صَعْبُ الْمَقَادَةِ ، جَزَلُ الرَّفَادَةِ ^(٤) ،
أَخُو إِخْوَانٍ ، وَفَتَى فِتْيَانٍ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْبُرْجُمُجِيُّ عَامِرُ بْنُ سَنَانٍ :

سِمَامُ عِدَاً ، بِالنَّبْلِ يَقْتُلُ مَنْ رَحَى وَبِالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّذَيْنِيَّ يَشْعَبُ ^(٥)
مَهِيْبٌ مُفِيدٌ لِلنَّوَالِ مُعَوَّدٌ بِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ مُجَرَّبٌ

فِي أَبِيَات ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنْتَ يَا بَنَ صُوحَانَ بَاقِرٌ ^(٦) عِلْمُ الْعَرَبِ .

(مروج الذهب ٢ : ٨٠)

١٣١ — صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ

وَوَقَفَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ عَلَى صَعْصَعَةَ ، فَأَسْمَعَهُ كَلَامًا (مِنْهُ) :

« بَسَطْتُ لِسَانَكَ يَا بَنَ صُوحَانَ عَلَى النَّاسِ فَتَهَيَّبُوكَ ، أَمَّا لَنْ شَدْتُ لِأَكُونَنَّ
لَكَ لِصَاقًا ^(٧) ، فَلَا تَنْطِقْ إِلَّا جَدَدْتُ ^(٨) لِسَانَكَ بِأَذْرَبٍ ^(٩) مِنْ ظُبَةِ السَّيْفِ ،
بِعَضْبٍ قَوِيٍّ ، وَلِسَانٍ عَلِيٍّ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ حَلٌّ وَلَا تَرْحَالُ » فَقَالَ
صَعْصَعَةُ : « لَوْ أَجِدَ غَرَضًا ^(١٠) مِنْكَ لَرَمَيْتُ ، بَلْ أَرَى شَبَحًا ، وَلَا إِخَالَ مِثَالًا
إِلَّا كَسْرَابٍ ^(١١) بَقِيْعَةٍ ، يَحْسَبُهُ الظُّمَأَنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ،

[١] العتاد : العدة . [٢] سمام جمع سم مثلث السين ، والعدا بالكسر والضم اسم جمع عدو أى هو
للأعداء سم قاتل . [٣] قرى الصيف (كرمى) قرى : أصابه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .
[٤] رَفَدَهُ (كضربه) أعطاه ووصله ، والرفادة فى الأصل خرج كانت تخرجه قريش فى كل موسم من
أموالها فيصنع به طعام للحاج ، والمراد بها هنا العطية . [٥] الرذيني نسبة إلى ردينة امرأة سمير ،
وكانا يقومان الرماح بخطط حجر ، ويشعب : أى يمزق ويصدع . [٦] أصل البقر : الفتح والشق
والتوسعة ، وكان يقال لمحمد بن على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهم محمد الباقر : لأنه بقى العلم
وعرف أصله واستنبط مرجه .

[٧] اللصاق : ما يلصق به ، والمعنى لأكون لك ملاصقا ملازما . [٨] جدت الشيء من باب رد :
قطعه . [٩] أذرب : أهدت من ذرب كفرح صار حديدا ماضيا ، والظبة : حده السيف .

[١٠] الغرض الهدف . [١١] السراب : ما يرى نصف النهار كأنه ماء ، والقيعة جمع قاع وهو أرض
سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، ويجمع أيضا على قيع (بالكسر) وقيعان وأقواع وأقوع

أَمَّا لَوْ كُنْتَ كُفْتًا لَرَمَيْتُ حَصَائِكَ ^(١) بِأَذْرَبَ مِنْ ذَاقِ ^(٢) السَّانِ ، وَلَرَشَقْتُكَ
بِنَبَالٍ ، تَرَدُّعُكَ عَنِ النَّضَالِ ، وَلَخَطَمْتُكَ بِخِطَامِ ^(٣) ، يَحْزِمُ مِنْكَ مَوْضِعَ الزَّامِ ^(٤) .
فَاتَّصَلَ الْكَلَامُ بِابْنِ عَبَّاسٍ ، فَاسْتَضْحَكَ ^(٥) مِنْ الْفَزَارِيِّ ، وَقَالَ : « أَمَّا لَوْ كَلَّفَ
أَخُو فَزَارَةَ نَفْسَهُ نَقْلَ الصَّخُورِ مِنْ جَبَلِ شَمَامٍ ^(٦) إِلَى الْهَضَابِ ، لَكَانَ أَهْوَنَ
عَلَيْهِ مِنْ مَنَازَعَةِ أَخِي عَبْدِ الْقَيْسِ ، خَابَ أَبُوهُ ، مَا أَجْهَلَهُ ! يَسْتَجْهَلُ أَخَا عَبْدِ الْقَيْسِ
وَقُوَاهُ الْمَرِيرَةَ ^(٧) ! ثُمَّ تَمَثَّلَ :

صُبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ أُمَّمٍ إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْنُوبٌ ^(٨)

(مروج الذهب ٢ : ٨٢)

١٣٢ — رَجُلٌ مِنْ آلِ صُوحَانَ يَجِبُهُ ^(٩) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَهُوَ يَخْطُبُ

وَيَخْطُبُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْغِلَظَةَ ، قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ آلِ
صُوحَانَ ، فَقَالَ : « مَهْلًا مَهْلًا يَا بَنِي مَرْوَانَ ، تَأْمُرُونَ وَلَا تَأْتِمُرُونَ ، وَتَنْهَوْنَ وَلَا
تَنْهَوْنَ ، وَتَعْظُونَ وَلَا تَعْظُونَ ، أَفْتَقْدَى بِسِيرَتِكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَمْ نَطِيعُ أَمْرِكُمْ
بِالْإِسْنَتِكُمْ ؟ فَإِنْ قَتَمْتُمْ اقْتَدُوا بِسِيرَتِنَا ، فَأَنْتِ وَكَيْفَ ؟ وَمَا الْحُجَّةُ ؟ وَمَا الْمَصِيرُ مِنْ
اللَّهِ ؟ أَتَقْتَدَى بِسِيرَةِ الظَّلَمَةِ الْفَاسِقَةِ ، الْجَوْرَةِ الْخَوْنَةِ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَالَ اللَّهِ

[١] الحَصَائِلُ جَمْعُ حَصِيلَةٍ ، يُقَالُ حَصَلَ الشَّيْءُ تَحْصِيلًا ، وَالْإِسْمُ الْحَصِيلَةُ ، قَالَ لَبِيدٌ :

وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ غَيْبُهُ إِذَا حَصَلَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَصَائِلُ

وَالْمَعْنَى : لَرَمَيْتُ مَا حَصَلَتْهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ . [٢] ذَلَقِ السَّانَ وَالْإِسْنَ كَفَرَحَ : ذَرَبَ فَهُوَ ذَلَقٌ
وَأَذَلَقَ ، وَذَاقِ السَّانَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ . [٣] الْخِطَامُ كُلُّ مَا وَضَعَ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ
لِيَقْتَادَ بِهِ ، وَخَطَمَهُ بِالْخِطَامِ جَهْلَهُ عَلَى أَنْفِهِ ، أَوْ جَرَّ أَنْفَهُ لِيَضَعَ عَلَيْهِ الْخِطَامَ ، وَخَطَمَهُ بِالْكَلامِ قَهْرَهُ وَمَنْعَهُ
حَتَّى لَا يَبْسُ . [٤] خَزِمَ الْبَعِيرُ : جُمِلَ فِي جَانِبٍ مَنَعَهُ الْخِزَامَةَ (كَكِتَابَةِ) وَالزَّامُ مَا يَزِمُ بِهِ .

[٥] اسْتَضْحَكَ الرَّجُلُ وَتَضَاحَكَ بِمَعْنَى . [٦] جَبَلٌ بِالْعَالِيَةِ . [٧] أَيْ الْقُوَّةُ ، يُقَالُ رَجُلٌ

مَرِيرٌ أَيْ قَوِيٌّ ذُو مَرَةٍ « وَالْمَرَةُ بِالْكَسْرِ الْقُوَّةُ » . [٨] الْأُمُّ : الْقَرَبُ .

[٩] جَبَّهَ كَقَطْعِهِ لِقِيهِ بِمَا يَكْرَهُ .

دُولًا^(١)، وعبيده خَوْلًا^(٢)؟ وإن قلتم اسمعوا نصيحتنا، وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لغيره مَنْ يَغُشُّ نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العِظَةَ ممن سمعتموها، فعَلَامَ وَلِينَاكم أمرنا، وَحَكَمْنَاكم في دِمَائِنَا وأَمْوَالِنَا؟ أما علمتم أن فينا من هو أَنْطَقُ منكم باللغات، وأفصح بالعظات؟ فتخلَّوا عنها^(٣)، وأطلقوا عقالها، وخلَّوا سبيلها، يَنْتَدِبُ^(٤) إليها آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين شرَّدتموهم في البلاد، ومزقتموهم في كل واد، بل تَثَبَّتْ في أيديكم لا تقضاء المدة، وبلوغ المهلة، وعظم المحنة، إن لكل قائم قدرًا لا يعدوه، ويومًا لا يخطوه، وكتابًا بعده يتلوه: «لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ». ثم التمس الرجل فلم يوجد. (نهاية الأرب ٧ : ٢٤٩)

١٣٣ — وصف عقيل بن أبي طالب لآل صوحان

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: «مَيِّزْ لِي أَصْحَابَ عَلِيٍّ، وابدأ بآل صُوحَان، فإنهم مخارقُ الكلام^(٥)». قال: «أما صَعَصَعَةُ فعظيم الشأن، عَضْبُ اللسان^(٦)، قَائِدُ فُرْسَانٍ، قَاتِلُ أَقْرَانٍ، يَرْتُقِي^(٧) مَا فُتِقَ، وَيَفْتُقِي مَا رُمِيقَ، قليل النظير. وأما زيد وعبد الله، فإنهما

[١] جمع دولة بالضم، أى جعلوه متداولًا بينهم.

[٢] الحول ما أعطاك الله تعالى من النعم (محركة) والعبيد والاماء وغيرهم من الحاشية للواحد والجميع والذكر والأنثى، ويقال للواحد خائل. [٣] أى عن الحلاوة. [٤] انتدب إليه: أسرع.

[٥] مخارق جمع مخراق بالكسر وهو السيف، والسيد، والمتصرف في الأمور الذى لا يقع في أمر إلا خرج منه (والثور البرى يسمى مخراقًا لأن الكلاب تطلبه فيقتل منها، وفلان مخراق حرب أى صاحب حروب يخف فيها). [٦] العضب: القاطع. [٧] الرنق ضد الفتق.

هران جاريان ، يصب فيهما الخُلجان ^(١) ، وَيُنْكَثُ بهما البُلدان ، رجلا جِدِّ
لَا لَعِبَ معه ، وأما بنو صُوحان فكما قال الشاعر :

إذا نزل العدو فإن عندى أسوداً تَخْلِسُ الأسدَ النفوسا ^(٢)

(مروج الذهب ٢ : ٧٥)

١٣٤ — وصية محمد الباقر ^(٣) لعمر بن عبد العزيز

دخل أبو جعفر ، محمد الباقر ، بن عليّ زين العابدين ، بن الحسين عليهم السلام ،

على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : يا أبا جعفر ، أوصني ، قال :

« أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وكبيرهم أباً ،

فأرحم ولدك ، وصِلْ أخاك ، وَبِرَّ أباك ، وإذا صنعت معروفًا فَرَبَّهُ ^(٤) .

(الأمال ٢ : ٣١٢)



[١] الخليج نهر في شق من النهر الأعظم . [٢] خلس الشيء كضرب خلصا استلبه .

[٣] توفي سنة ١١٣ هـ . [٤] أى أدبه ، يقال رب بالمكان وأرب : ألام به ودام .

خطب الزبيريين وما يتصل بها^(١)

خطب عبد الله بن الزبير (قتل سنة ٧٣ هـ)

عبد الله بن الزبير ومعاوية

دخل الحسين بن علي رضي الله عنه يوما على معاوية ، ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش ، فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين ، وأجلسه على سريره ، وقال : ترى هذا القاعد (يعني ابن الزبير) فإنه ليذكره الحسد لبني عبد مناف^(٢) ، فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أيك أبي سفيان فعلت ، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي ، فقال :

١٣٥ — مقال ذكوان

« يا بن الزبير : إن مولاي ما يمنعه من الكلام إلا أن يكون طلق اللسان ، رابطاً الجنان ، فإن نطق نطق بعلم ، وإن صمت صمت بحلم ، غير أنه كف الكلام ، وسبق إلى السنام ، فأقرت بفضله الكرام ، وأنا الذي أقول :

فِيمَ الكلامِ لِسَاقِي في غايةِ والناس بين مُقَصِّرٍ ومُبَلِّدٍ^(٣)

إن الذي يَجْرِي لِيُذْرِكُ شَأْوَهُ يُنْمَى لِغَيْرِ مُسَوِّدٍ ومُسَدَّدٍ^(٤)

[١] تقدم لك في باب خطب بني هاشم وشيعتهم ، خطب أمراء الكوفة من قبل ابن الزبير — انظر خطب عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وعبد الله بن مطيع في ص ٥٧ — ٥٨ — ٦٢ — ٦٨ — ٧٤ — ٧٥ . [٢] عبد مناف جد يجمع بني هاشم وبني أمية . فالرسول عليه الصلاة والسلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ومعاوية هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأما عبد الله بن الزبير فن بن أسد أبوه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي . [٣] بلد تبليدا : لم يتجه لشيء ، والفرس : لم يسبق ، والسعاية : لم تمطر . [٤] الشأو : الغاية ، وينمى : ينسب .

بل كيف يُدْرِك نورَ بَذْرِ ساطع خيرِ الأنامِ وَفَرَّجِ آلِ محمد
فقال معاوية : صدق قولك يا ذكوان ، أكثر الله في موالى الكرام مثلك ، فقال
ابن الزبير : إن أبا عبد الله ^(١) سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ، أو
لكفّفنا عن جوابه إجلالا له ، ولا جوابَ لهذا العبد . قال ذكوان : هذا العبد
خير منك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْهُمْ » ، فأنا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن العوام بن خويلد ، فنحن أكرم ولأخ ،
وأحسن فعلا . قال ابن الزبير : إني لست أجيب هذا ، فهات ما عندك .

١٣٦ — مقال معاوية

فقال معاوية :

« قاتلك الله يا ابن الزبير ! ما أعْيَاكَ ^(٢) وأبغاك ! أَتَفَخَّرُ بين يَدَيَّ أمير المؤمنين
وأبي عبد الله ! إنك أنت المتعدى لطَوْرِكَ ، الذى لا تعرف قدرك ، فقس شِبرَكَ
بِفِترِكَ ^(٣) ، ثم تَعَرَّفْ كيف تقع بين عرّانين ^(٤) بنى عبد مناف ، أما والله لئن
دَفَعْتَ فى بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس ، لَتَقَطَعَنَّكَ بأمواجها ، ثم لَتُوهِينَ ^(٥)
بك فى أُجَاجِهَا ، فما بقاؤك فى البحور إذا غَمَرَتْكَ ، وفى الأمواج إذا بهَرَتْكَ ^(٦) ؟
هنالك تَعْرِفُ نفسك ، وتندم على ما كان من جُرْأتِكَ ، وَتُمَسَّى ^(٧) ما أصبحت

[١] كنية الحسين . [٢] ما أعجزك . [٣] الفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة .
[٤] جمع عرين بكسر العين ، وهو السيد الشريف ، (وفى الأصل : الأنف أو ما صلب من عظمه) .
[٥] أوهاه : أسقطه ، والأجاج : الملح المر . [٦] بهره بهرا (بالفتح) : غلبه .
[٧] مساء تمسية : قال له كيف أمسيت ، أو مساك الله بخير ، والمراد : وتودع ما كنت فيه من أمان
نادما أسفا عليه ، وربما كان الأصل « وتمنى » بحذف إحدى التاءين أى وتتمنى ، أو الأصل « ويتمنى »
من تمى إذا تقطع أى يحى ويندثر ما كنت فيه من أمان .

إليه من أمان ، وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزْوَانِ^(١) . فَأُطْرِقَ ابنُ الزَّيْبِرِ مَلِيًّا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

١٣٧ — مقال ابن الزبير

« أَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ : أَتَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي حَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّ أَبَاهُ أَبَا سَفْيَانَ حَارِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ وَأَنَّ أُمِّي أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَأُمُّهُ هِنْدُ آكِلَةُ الْأَكْبَادِ ؟ وَجَدَّتِي الصِّدِّيقُ ، وَجَدَهُ الْمَشْدُوحُ^(٢) بِبَدْرٍ ، وَرَأْسَ الْكُفْرِ ، وَعَمَّتِي خَدِيجَةُ ذَاتِ الْخَطَرِ^(٣) وَالْحَسْبُ ، وَعَمَّتَهُ أُمُّ جَمِيلَ حَمَّالَةُ الْخَطَبِ ؟ وَجَدَّتِي صَفِيَّةُ^(٤) ، وَجَدَتْهُ حَمَامَةُ^(٥) ؟

[١] البير : الحمار وغلب على الوحشى ، والنزوان : الثوب ، وهو مثل يضرب للتوى تغور قواه ، وأول من قله صخر بن عمرو أخو الحنساء ، وذلك أنه غزا بني أسد ، فاكتسح إبلهم ، فجاءهم الصريح فركبوا ، فالتقوا ، فظمن أبو ثور الأسدي صخرا طعنة في جنبه ، وحوى منها فرض حولا حتى مله أهله ، وسمع امرأة تقول لامرأته سلمى : كيف بعلك ؟ فقالت : لا حتى يبرجى ، ولا ميت فينبى ، لقد لقينا منه الأمرين ، وفي رواية أخرى فرض زمانا حتى ملته امرأته ، وكان يكرمها ، فربها رجل وهى قائمة ، وكانت جميلة ، فقال لها : يباع الكفل ؟ فقالت : نعم عما قليل ، وكان ذلك يسمعه صخر ، فقال : أما والله لئن قدرت لأقدمك قتل ، ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر إليه ، هل تقله يدي ؟ فتأولته ، فاذا هو لا يقله ، فقال :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بأمر حليلة فلا طاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحرم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال به البلاء ، وقد نثأت قطعة من جنبه فى موضع الطعنة ، قيل له : لو قطعها لرجونا أن تبرأ ، فقال شأ نكم ، وأشفق عليه قوم فهو فأنى ، فأخذوا شفرة فقطعوها فمات .

[٢] هو حمد معاوية لأنه عتبه بن ربيعة قتله على يوم بدر ، والمشدوخ المكسور أى المقتول .

[٣] اقدر والمنزلة ، وهى السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية حمة أبيه ، وزوج الرسول عليه الصلاة

والسلام . [٤] هى صفية بنت عبد المطلب أم الزبير وعممة الرسول عليه الصلاة والسلام .

[٥] روى ابن أبي الحديد (م ١ : ص ١٥٧) قال :

« لما ارتحل ذقيل بن أبي طالب عن عليّ عليه السلام أتى معاوية ، فكان فى مجلسه يوما وجلساء معاوية حوله ، فقال : يا أبا يزيد : أخبرنى عن عسكرى وعسكر أخيك ، فقد وردت عليهما ، قال : « أخبرك : مررت والله بمسكر أخى ، فإذا ليل كليل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونهار كهزار رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فى الغوم ، مارأيت إلا مصليا ، ولا سمعت إلا فارثا ، ومررت بمسكرك ، فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نقر برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة

وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ؟ وخالتي عائشة أم المؤمنين ، وخالته أشقى الأَشْقَيْنِ ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية .

١٣٨ — مقال معاوية

قال له معاوية :

« وَيُحْكُ يَا بَنَ الزَّيْبِرِ ! كَيْفَ تَصِفُ نَفْسَكَ بِمَا وَصَفْتُهَا ، وَاللَّهِ مَا لَكَ فِي الْقَدِيمِ مِنْ رِيَاةٍ ، وَلَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ سِيَاسَةٍ ، وَلَقَدْ قُدْنَاكَ وَسُدْنَاكَ : قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، لَا تَسْتَطِيعُ لَذَلِكَ إِنْكَارًا ، وَلَا عَنْهُ فِرَارًا ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْحُضُورُ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ قَرِيشًا قَدْ اجْتَمَعَتْ يَوْمَ^(١) الْفَجَّارِ عَلَى رِيَاةِ حَرْبِ بَنِ أُمَيَّةٍ ، وَأَنَّ أَبَاكَ

العقبة » ثم قال : من هذا عن عيبك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص ، قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نمر ، فغلب عليه جرار قریش ، فمن الآخر ؟ قال الصحاح بن قيس الفهري ، قال : أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعصب التبوس « وكان يسع نسب الفحول في الجاهلية ، والعصب كعذب : الكراء الذي يؤخذ على ضراب الفحل ، أو ضراجه ، أو ماؤه ، وعصب الرجل كضرب أعطاه الكراء على الضراب ، وفي الحديث : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عصب الفحل فإن إطارة الفحل مندوب إليها » ، فمن هذا الآخر ؟ قال أبو موسى الأشعري ، قال : هذا ابن السراقة ، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه ، علم أنه إن استجبره عن نفسه قال فيه سوءا ، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يلمحه من سوء ، فيذهب بذلك غضب - أسائه ، قال : يا أبا يزيد ، فما تقول في ؟ قال : دعني من هذا ، قال : اتقولن ، قال : أعترف حماة ؟ قال : ومن حماة يا أبا يزيد ؟ قال : قد أخبرتك ، ثم قام فضي ، فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه ، فقال : من حماة ؟ قال : ولي الأمان ؟ قال : نعم ، قال : حماة جدك أم أبي سفيان ، كانت بنيا في الجاهلية صاحبة راية ، فقال معاوية لجلسائه : قد ساويتكم وزدت عليكم . فلا تمضبوا . »

[١] حرب الفجار : هي حرب هاجت بين قریش وكنانة ، وبين هوازن (من قيس هيلان) وسببها أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كن يبعث إلى سوق شكاظ في كل عام لطيفة (واللطيمة كصحيفة : المير التي تحمل الطيب والبز للتجارة) لتباع له هناك ، ويشتري له بضمن ذلك آدم من آدم الطائف ، وكان يرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشراف العرب ، فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب فيهم البراء ابن قيس - وهو من بني كنانة ، والبراء كشداد - وعروة الرِّحَالِ بن عتبة - وهو من بني هوازن ، والرياح كشداد أيضا - فقال : من يحيرها ؟ قال البراء : أنا أجيرها على بني كنانة يعني قومه ، فقال له النعمان : ما أريد إلا من يحيرها على أهل نجد وتهامة ، فقال له عروة الرِّحَالِ : أنا أجيرها لك على أهل

وأُسرَتك تحت رايته ، راضون بإِمَارته ، غير منكرين لفضله ، ولا طامعين في عزله ، إن أمرَ أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فأنزل فينا القيادة ، وعزَّ الولاية ، حتى بعث الله عزَّ وجل محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أُسْرَتِي لَا أُسْرَتِكَ ، وبنى أبى لا بنى أيبك ، فجحدته قريش أشد الجحود ، وأنكرته أشد الإنكار ، وجاهدته أشد الجهاد ، إلّا من عصم الله من قريش ، فما ساد قريشًا وقادهم إلّا أبوسفيان بن حرب ، فكانت الفُتْنان تلتقيان ، ورئيسُ الهدى منا ، ورئيسُ الضلالة منا ، فمَهْدِيكُمْ تحت راية مهدينا ، وضالّكم تحت راية ضالنا ، فنحن الأرباب ، وأنتم الأذئاب ، حتى خلّص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شره ، وعصمه بالإسلام ، من عبادة الأصنام ، فكان في الجاهلية عظيمًا شأنه ، وفي الإسلام معروفًا مكانه ، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يُعْطَ أحد من آبائك ، وإن مُنَادَى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، وكانت داره حرّما ، لدارك ولا دار أيبك ، وأما هند فكانت امرأة من قريش ، في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريّة الخبر ، وأما جدك الصّدّيق

الشيخ والقيصوم من أهل نجد وتبالة ، فقال البراض : أعلى بنى كنانة تحيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان إلى عروة ، فخرج بها ، وتبعه البراض ، وتربص به وقتله ، فهاجت الحرب بين كنانة وهوازن ، وعاونت قريش كنانة ، وكان على كل قبيلة من قريش وكنانة سيدهما ، والفائد العام للجبيع حرب بن أمية والد أبى سفيان ، وقد قتل في هذه الحرب العوام بن خويلد والد الزبير ، وقد حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وله من العمر أربع عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، وقيل عشرون ، والعجار بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة ، سميت قريش هذه الحرب فجارا ، لأنها كانت في الأشهر الحرم فقالوا : قد فجرنا إذ قاتلنا فيها أى فسقنا ، وقيل لأنها لم تكن في الشهر الحرام ، وإنما سببها كان في الشهر الحرام ، وهو قتل البراض لعروة الرحال ، وهذا هو الفجار الرابع ، وهو الأكبر ، وكان قبله ثلاثة أجرة أخرى — انظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٢ ، والمقد الفريد ٣ : ٩١ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١١٦ ، وجمع الأمثال ٢ :

فبتصديق عبد مناف سُمِّيَ صديقاً ، لا بتصديق عبد العُزَّى ، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ ببدر ، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه ، فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ، ولا رَأَوْكُمْ لهم أكفَاء ، كما قد طلب ذلك غيركم ، فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفأؤهم من بنى أبيهم ، فقضى الله مناياهم بأيديهم ، فنحن قَتَلْنَا ، ونحن قَتَلْنَا ، وما أنت وذاك ؟ وأما عمك أم المؤمنين فبنا شَرُفْتَ ، وسميت أم المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهي أَدَّتْكَ من الظِّلِّ ، ولولا هي لكنت ضاحياً ^(١) ، وأما ما ذكرت من ابن عمك وخال أهلك ^(٢) سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، ونفخهم وإرثهم لى دونك ، ولا نفرك فيهم ولا إرث بينك وبينهم . وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قریش أئبنا أجود في الإِزَم ^(٣) ، وأحزم في القدم ، وأمنع للحُرَم ، لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بنى عبد مناف مارام أبوك ، فقد طألهم الذُّحُول ^(٤) ، وقدم إليهم الخيول ، وخذعتم أم المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مددتم على نسائكم السُّجُوف ^(٥) ، وأبرزتم زوجته للختوف ، ومُقَارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً ، فلم يُنْجِه ذلك أن طَحَنه أبو الحسين بِكُلِّ كَلِه طَحْن الحَصِيد ^(٦) ، بأيدي العبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن

[١] ضحا كسى ورضى : أصابته الشمس ، والظل : العزّ والمنعة ، أى أن شرفهم جاء من مصاهرة العوام لبني هاشم ، وزواجه بصفية بنت عبد المطلب . [٢] ابن عمه : هو عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام ، وقد قتل يوم الدار ، وخال أبيه هو حمزة بن عبد المطلب ، وقتل يوم أحد . [٣] الأزمة (بالفتح ويحرك) الشدة ، وجمعها أزم (كشمس وعنب) . [٤] جمع ذحل (بالفتح) وهو الثأر ، والعداوة ، والحق : أى كشفهم بذلك . [٥] جمع سجع (بالفتح ويكسر) الستر . [٦] الحصيد : الزرع المحصود .

خَشْتِكَ^(١) بِرَأْيِنَهُ ، ونالتك مخاليبه ، وإيم الله ليقوّمك بنوعبد مناف بِثِقَافِهَا^(٢) ،
أولتُصبحنّ منها صباح أليك بوادي السّباع^(٣) ، وما كان أبوك المذهن حَذَهُ^(٤) ،
ولكنه كما قال الشاعر :

تناول سِرْحَانٌ فريسةً ضيّعَ فققضقضه بالكفّ منه وحطّما^(٥)

(العقد الفريد ٢ : ١١٣)

١٣٩ — عبد الله بن الزبير ومعاوية أيضاً

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال :

« يا أمير المؤمنين ، لا تدعنّ مروان يرمى جواهر قريش بمشاقصه^(٦) ،
ويضرب صفاتهم بمعوله ، أما والله لولا مكانك ، لكان أخفّ على رقابنا من فراشة ،
وأقلّ في أنفسنا من خشاشة^(٧) ، وإيم الله لئن ملك أعنة خيل تنقاد له ، لتركب^(٨)
منه طبقة^(٩) تخافه . فقال معاوية : « إن يطلب مروان هذا الأمر ، فقد
طمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن فوقه ، وما أراكم بمُنتهين حتى
يبعث الله عليكم من لا يعطى عليكم بقرابة ، ولا يذكركم عند مليّة ، يسومكم
خسفاً^(١٠) ، ويسوقكم عسفاً^(١١) . فقال ابن الزبير : « إذن والله يُطلق عقال الحرب

[١] خشته : خدشه . [٢] الثّفاف : مانسوى به الرماح . [٣] مقتل أبيه الزبير .

[٤] حدّه : بأسه ، والمدمن : الغشوش ، من أدهن أى غش ، والمعنى أنه كان شديد البأس لم تشب
بسالته شائبة خور ولسكنه . . . الخ « وفي الأصل « المدمن خده » بالخاء وأراه مصحفاً » .

[٥] السرحان : الذئب ، والضيغم : الأسد ، وقققضه فققضقض : كسره ودقه ، والفضقضة : صوت
كسر العظام . وفي الأصل فققضقضه بالفاء ، وهو تصحيف .

[٦] المشاقص جمع مشقص كبير وهو النصل الطويل أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

[٧] الخشاشة : واحدة الخشاش بتثنية الخاش ، وهي حشرات الأرض والعصافير ونحوها (وفي الأصل

خشاشة وهو تصحيف) . [٨] الطبق : الحال ومنه قوله تعالى : « لتركب^(٨) من طبقة عن طبق »

[٩] أى يوليكم ذلاً . [١٠] السّف : الظلم ، وسلوك الطريق على غير هداية .

بكتائب تَمُور^(١) كَرَجَل الجراد ، حَافَتُهَا الْأَسَلُ ، لها دوى كدوى الريح ،
تتبع غَطْرِيفاً^(٢) من قریش ، لم تكن أُمُّهُ رَاعِيَةً ثَلَّةً^(٣) . فقال معاوية : « أنا
ابن هند ، أطلقت عِقَالَ الحرب ، فأكلتُ ذِرْوَةَ السَّنام ، وَشَرِبْتُ عُنْفُوانَ
المَكْرَعِ^(٤) ، وليس لآكل بعدى إِلَّا الفِلْدَةُ^(٥) ، ولا للشارب إِلَّا الرُّنْقُ^(٦) .
فسكت ابن الزبير . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٩٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١١٥)

١٤٠ — عبد الله بن الزبير ومعاوية وعمر بن العاص

قَدِمَ عبد الله بن الزبير على معاوية وافداً ، فَرَحَّبَ به وأدناه ، حتى أجلسه
على سريره ، ثم قال : حاجتك أبا خُبَيْبٍ^(٧) ؟ فسأله أشياء ، ثم قال له : سَلْ
غير ما سألت قال :

« نعم ، المهاجرون والأنصار تَرُدُّ عليهم فَيَهِّمُهم ، وتحفظ وصية نبيِّ الله
فيهم ، تَقْبَلُ من مُحْسِنِهِم ، وتتجاوز عن مُسِيئِهِم » فقال معاوية : « هيهات
هيهات ؟ لا والله ما تأمن النعجة الذئب وقد أكل أَلْيَتَهَا^(٨) . فقال ابن الزبير :
« مهلاً يا معاوية ، فَإِنَّ الشَّاةَ لَتَدِرُ^(٩) للحالب ، وَإِنَّ المُدْيَةَ في يده ، وَإِنَّ الرجل
الأريب ليصانع ولده الذي خرج من صُلْبِهِ ، وما تدور الرِّحَاءُ إِلَّا بِقُطْبِهَا^(١٠) ،
وَلَا تَصْلُحُ القوسُ إِلَّا بِعَجَبِهَا^(١١) . فقال : « يا أبا خُبَيْبٍ ، لقد أجزرت
الطَّرُوقَةَ قبل هبابِ الفَعْلِ^(١٢) ، هيهات ! وهى لا تَصْطَلِكُ لِحْيَاهَا اصْطَكَاكَ

[١] تمور : تضطرب . [٢] الفطريف : السيد الشريف .
[٣] الثلثة : جماعة الغنم أو الكثيرة منها . [٤] عفوان الشيء : أوله أو أول بهجته ، والمكراع
المورد ، مغل من كراع في الماء أو في الإغناء . [٥] الفلدة : القطعة من اللحم .
[٦] ماء رفق كعدل وكنف وجبل : كدر . [٧] هي كنية ابن الزبير كنى بابنه خبيب ، وكان أسن
ولده ، ويكنى أيضاً أبا بكر . [٨] الألية : ماركب العجز من شحم ولحم . [٩] در اللبن وغيره
من بابى صرب وقتل ، ودرت الناقة بلبنها أدركته . [١٠] قطب الرحا : ماتدور عليه ، والرحاء ممدود
الرحا . [١١] العجب : مؤخر كل شيء . [١٢] ناقة طروقة الفحل : بلغت أن يضربها الفحل ،
وأجره رسنه : جملة يحرمه ، وهب الفحل من الإبل وغيرها هباباً وهيباً : أراد السفاد .

الْقُرُومِ السَّوَامِي^(١) . فقال ابن الزبير : « الْعَطَنُ بَعْدَ الْعَلِّ^(٢) ، وَالْعَلُّ بَعْدَ التَّهْلِ ، وَلَا بَدَّ لِلرَّحَاءِ مِنَ الثَّقَالِ^(٣) » . ثم نهض ابن الزبير ، فَلَمَّا كَانَ الْعِشَاءُ أَخَذَتْ قَرِيشٌ مَجَالِسَهَا ، وَخَرَجَ مَعَاوِيَةُ عَلَى بَنِي أُمِيَّةَ ، فَوَجَدَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ فِيهِمْ ، فَقَالَ : وَيَحْكُمُ يَا بَنِي أُمِيَّةَ ! أَفِيكُمْ مَنْ يَكْفِينِي ابْنَ الزَّبِيرِ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : أَنَا أَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا أَظْنُكَ تَفْعَلُ قَالَ : « بَلَى ، وَاللَّهِ لَا زُبَيْدَنَّ^(٤) وَجْهَهُ ، وَلَا أُخْرِسَنَّ لِسَانَهُ ، وَلَا أُرْدَنَّهُ أَلَيْنُ مِنْ خَمِيلَةٍ^(٥) » . فَقَالَ : دُونَكَ فَأَعْرِضْ لَهُ إِذَا دَخَلَ ، فَدَخَلَ ابْنُ الزَّبِيرِ - وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ كَلَامُ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرُو - فَجَلَسَ نَضَبَ عَيْنَيْ عَمْرُو ، فَتَحَدَّثُوا سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ عَمْرُو :

وَإِنِّي لَنَارٌ مَا يُطَاقُ اصْطِلَاؤُهَا لَدَيَّ كَلَامٌ مُعْضِلٌ مُتَّفَاقِمٌ^(٦)

فَأُتْرِقُ ابْنَ الزَّبِيرِ سَاعَةً يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ، وَقَالَ :

وَإِنِّي لِبَحْرٌ مَا يُسَامَى عِبَابُهُ مَتَى يَلْقَ بِحَرِي حَرُّ نَارِكَ تَحْمُدُ

فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ يَا ابْنَ الزَّبِيرِ إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ لَمُتَجَلِّبٍ جَلَّابِيبَ الْفِتْنَةِ ،

مُتَآزِرٍ بَوَصَائِلِ^(٧) التِّيهِ ، تَتَعَاطَى الذَّرَى الشَّاهِقَةَ ، وَالْمَعَالَى الْبَاسِقَةَ ، وَمَا أَنْتَ

مِنْ قَرِيشٍ فِي لُبَابِ جَوْهَرِهَا ، وَلَا مُؤْتَقٍ^(٨) حَسَبِهَا . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : « أَمَا

مَا ذَكَرْتَ مِنْ تَعَاطَى الذَّرَى ، فَإِنَّهُ طَالَ بِي إِلَيْهَا وَسَمَا ، مَا لَا يَطُولُ بَكَ مِثْلُهُ :

[١] تصطك : تضطرب . والقروم جمع قرم بالفتح وهو الفحل ، والسوامى جمع سام : وصف من سما

الفحل سماوة : تطاول على شؤله « والشؤل كركع جمع شائل وهي النافة تشول بذنبها لاقاح » .

[٢] العطن : مبرك الابل حول الحوض ، والعل والعلل : الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول .

[٣] الثقال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرمح ليقع عليه الطحين . [٤] أى لأصيرنه أربد ، من

الربدة بالضم : وهى لون إلى الغبرة . [٥] الخيلة : الفطيفة ، وفى الأصل : « ولأوردنه » وهو

تحريف . [٦] تنافم الأمر : عظم . [٧] الوصائل جمع وصيلة : وهى ثوب مخطط يعان .

[٨] آتقى الشيء ليناقا : أعجبني ، فهو مؤثق وأيتق أى حسن معجب .

أنف حمي ، وقلب ذكي ، وصارم مشرفي ، في تليد فارع ^(١) ، وطريف مانع ،
 إذ قعد بك انتفاخ سحر ك ^(٢) ، ووجيب ^(٣) قلبك ، وأما ما ذكرت من أني
 لست من قريش في لباب جوهرها ، ومؤنق حسبها ، فقد حضرتني وإياك
 الأ كفاء ، العالمون بي وبك ، فاجعلهم بيني وبينك ، فقال القوم : قد أنصفك
 يا عمرو ، قال : قد فعلت ، فقال ابن الزبير : « أما إذ أمكنتني الله منك فلا ريدن
 وجهك ، ولأخرسن لسانك ، ولترجعن في هذه الليلة ، وكأن الذي بين
 منكبيك مشدود إلى عروق أخدعيك ^(٤) » ، ثم قال : أقسمت عليكم يا معاشر
 قريش ، أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو ؟ فقالوا : اللهم أنت ، قال : فأبي
 أفضل أم أبوه ؟ قالوا : أبوك حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمته ،
 قال : فأبي أفضل أم أمه ؟ قالوا : أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وذات
 النطاقين ، قال : فعمتي أفضل أم عمته ؟ قالوا : عمتك سأمي ابنة العوام ، صاحبة
 رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عمته ، قال : نخالتي أفضل أم خالته ؟
 قالوا : خالتك عائشة أم المؤمنين ، قال : فجذتي أفضل أم جدته ؟ قالوا : جدتك
 صفية بنت عبد المطلب عممة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فجذتي أفضل
 أم جده ؟ قالوا : جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :
 قضت العطارف من قريش بيننا فاصبر لفصل خصامها وقضائها
 وإذا جريت فلا ثجار مبرزا بذ الجياد على احتفال جرأها ^(٥)

[١] فارع : عال . [٢] السحر وبحرك ويضم : الرئة ، وانتفخ سحره : عدا طوره وجاوز قدره .

[٣] حنقان واضطراب .

[٤] الأخدطان : عرقان في موضع الحجابة . [٥] برز تبرزا : فاق أصحابه وبذ : فاق وغلب ،

واحتفل النوم : اجتمعوا ، والجراء والمجارات : مصدر جاري .

أَمَّا وَاللَّهُ يَا بَنِي الْعَاصِ ، لَوْ أَنَّ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا وَاجَهْتَنِي بِمِثْلِهِ ، لَقَصَّصْتُ إِلَيْهِ مِنْ سَامِي بَصَرِهِ ، وَاتْرَكَتُهُ يَتَلَجَّجُ لِسَانُهُ ، وَتَضَطَّرَمُ النَّارُ فِي جَوْفِهِ ، وَلَقَدْ اسْتَعَانَ مِنْكَ بِغَيْرِ وَافٍ ، وَلَجَأَ إِلَى غَيْرِ كَافٍ . ثُمَّ قَامَ نَخْرَج .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٩٣)

١٤١ — خطبة ابن الزبير لما قتل الحسين عليه السلام

لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ ، وَعَظَّمَ مَقْتَلَهُ ، وَعَابَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَاصَّةً ، وَلَامَ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَامَّةً ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ غُدُرٌ فُجِّرَ إِلَّا قَلِيلًا ، وَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ شِرَارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَإِنَّهُمْ دَعَاوَا حُسَيْنًا لِيَنْصُرُوهُ وَيُؤَلُّوهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ ثَارُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِمَّا أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي أَيْدِينَا ، فَتَبْعَتْ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادِ بْنِ سُمَيَّةَ سَلَمًا ، فَيَمُضِيَ فِيكَ حُكْمُهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَحَارِبَ ، فَرَأَى وَاللَّهُ أَنَّهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ . وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُطْلِعْ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا — أَنَّهُ مُقْتُولٌ ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ الْمَيِّتَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الذَّمِيمَةِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ حُسَيْنًا ، وَأَخْزَى قَاتِلَ حُسَيْنٍ ، لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ مِنْ خِلَافِهِمْ إِيَّاهُ وَعِصْيَانِهِمْ مَا كَانَ فِي مِثْلِهِ وَاعْظُ وَنَاهِ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُ مَا حُمَّ^(١) نَازِلٌ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا لَنْ يُدْفَعَ .

أَفَبَعْدَ الْحُسَيْنِ نَظْمُنُّ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَنَصَدِّقُ قَوْلَهُمْ ، وَتَقْبَلُ لَهُمْ عَهْدًا ؟ لَا ، وَلَا نَرَاهُمْ لَذَلِكَ أَهْلًا ، أَمَّا وَاللَّهُ لَقَدْ قَتَلُوهُ ، طَوِيلًا بِاللَّيْلِ قِيَامُهُ ، كَثِيرًا فِي النَّهَارِ صِيَامُهُ ، أَحَقُّ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْهُمْ ، وَأَوْلَى بِهِ فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ ، أَمَّا وَاللَّهُ

ما كَانَ يَبْدُلُ بِالْقُرْآنِ الْغِنَاءَ ، وَلَا بِالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ الْحُدَاءَ ، وَلَا بِالصِّيَامِ شَرِبَ الْحَرَامَ ، وَلَا بِالْمَجَالِسِ فِي حَلَقِ الذِّكْرِ الرِّكْضَ فِي تَطْلَابِ الصَّيْدِ (يعرض يزيد) فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ^(١) .

فثار إليه أصحابه ، فقالوا له : أيها الرجل أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد ، إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر ، وقد كان يبايع الناس سرا ، ويظهر أنه عائد بالبيت . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٧٣)

١٤٢ — مناظرة ابن الزبير للخوارج

اجتمعت الخوارج حين ثار عبد الله بن الزبير بمكة (سنة ٦٤) وسار إليه مسلم بن عقبة المُرِّي في جيش من أهل الشام ، بعد أن غزا المدينة ، وكان منه في وقعة الحرّة ما كان ، فقال لهم نافع بن الأزرق : اخرجوا بنا نأت البيت ، ونلق هذا الرجل ، فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا ، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير ، فسُرَّ بمقدمهم وتبأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش ، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشام عن مكة .

ثم إن القوم لقي بعضهم بعضاً فقالوا : إن هذا الذي صنعتُم أُمس بغير رأي ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم ، إنما

[١] أى شرا وخسرانا ، وكل شر عند العرب غي ، وكل خير رشاد ، وقيل هو على حذف مضاف أى جراء غي كقوله تعالى : « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا » ، والأثام الإثم أى يلقى جزاء إثمه (والأثام أيضا جزاء الإثم)

كَانَ أَمِيسُ يُقَاتِلُكُمْ هُوَ وَأَبُوهُ ، يَنَادِي بِالنَّارَاتِ عِثْمَانُ ، نَدَخِلُ إِلَيْهِ فَتَنْظُرُ مَا عِنْدَهُ
فَإِنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَبَرِيءٌ مِنْ عِثْمَانَ وَعَلَى ، وَكَفَّرَ أَبَاهُ وَطَلْحَةَ بَايَعْنَاهُ ، وَإِنْ
تَكُنِ الْآخَرَى ، ظَهَرَ لَنَا مَا عِنْدَهُ ، فَتَشَاغَلْنَا بِمَا يُجَدِّي عَلَيْنَا .

فَدَخَلُوا عَلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ وَهُوَ مُبْتَذِلٌ ، ^(١) وَأَصْحَابُهُ مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : إِنَّا
جِئْنَاكَ لِتُخْبِرَنَا بِرَأْيِكَ ، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى الصَّوَابِ بَايَعْنَاكَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِهِ
دَعَوْنَاكَ إِلَى الْحَقِّ ، مَا تَقُولُ فِي الشَّيْخَيْنِ ؟ قَالَ : خَيْرًا . قَالُوا : فَمَا تَقُولُ فِي عِثْمَانَ
الَّذِي أَحْمَى ^(٢) الْحِمَى ، وَآوَى الطَّرِيدَ ^(٣) ، وَأَظْهَرَ لِأَهْلِ مِصْرَ شَيْئًا وَكَتَبَ
بِخِلَافِهِ ، وَأَوْطَأَ آلَ أَبِي مُعَيْطٍ ^(٤) رِقَابَ النَّاسِ ، وَآثَرَهُمْ بَنَى الْمَسَامِينَ ، وَفِي
الَّذِي بَعْدَهُ ، الَّذِي حَكَّمَ فِي دِينِ اللَّهِ الرِّجَالَ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ تَائِبٍ وَلَا نَادِمٍ ،
وَفِي أَبِيكَ وَصَاحِبِهِ ، وَقَدْ بَايَعَا عَلِيًّا وَهُوَ إِمَامٌ عَادِلٌ مُرَضًى لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُ كُفْرٌ ،
ثُمَّ نَكَثَا بِعَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا ، وَأَخْرَجَا عَائِشَةَ تَقَاتِلَ ، وَقَدْ أَمَرَهَا اللَّهُ وَصَوَّاحِبَهَا
أَنْ يَقْرَنَ ^(٥) فِي بَيْوتِهِنَّ ، وَكَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُوكَ إِلَى التَّوْبَةِ ، فَإِنْ أَنْتَ
قُلْتَ كَمَا نَقُولُ فَلَكَ الزُّلْفَى ^(٦) عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّصْرُ عَلَى أَيْدِينَا ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ التَّوْفِيقَ ،
وَإِنْ أُيِّدْتَ إِلَّا نَصَرَ رَأْيُكَ الْأَوَّلَ ، وَتَصَوَّيْبَ أَبِيكَ وَصَاحِبِهِ ، وَالتَّحْقِيقَ بِعِثْمَانَ
وَالْتَوَلَّى فِي السَّنِينَ السَّتِ الثَّتِي أَحَلَّتْ دَمَهُ ، وَنَقَضَتْ أَحْكَامَهُ ، وَأَفْسَدَتْ إِمَامَتَهُ ،
خَذَلَكَ اللَّهُ وَانْتَصَرَ مِنْكَ بِأَيْدِينَا ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ : « إِنْ اللَّهُ أَمَرَ (وَلَهُ الْعِزَّةُ

[١] المبتذل لابس البذلة (بالكسر) أو المبتذلة وهي الثوب الخلق وما لا يصاب من الثياب .

[٢] أحمى المكان جعله حمى لا يقرب — انظر تفسير الحمى الجزء الأول ص ١٢٦ .

[٣] هو الحكم بن أبي العاص — انظر ص ٩٥ . [٤] ممن ولاهم عثمان الوليد بن عقبة بن أبي

معيط ولده الكوفة ، وهو أخو عثمان لأمه . [٥] من قرّ بالمكان بقرّ (بالكسر والفتح) قرّاراً

أى استقر . أصله يقررن حذف الأولى من الرائين ونقل حركتها إلى القاف .

[٦] الزلفة والزلى : التربة والمنزلة .

والقدرة) في مخاطبة أكفر الكافرين ، وأعتى العتاة ، بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولأخيه صلى الله عليهما : « أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْمَوْتَى » . فنهى عن سب أبي جهل من أجل عِكرمة ابنه ، وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول ، والمقيم على الشرك ، والجاذ في المحاربة ، والمتبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنبًا ! وقد كَانَ يُغْنِيكُمْ عن هذا القول الذى سمِيت فيه طلحة وأبي أن تقولوا : « أَتَبْرَأُ مِنَ الظَّالِمِينَ ؟ » فَإِنْ كَانَا مِنْهُمْ دَخَلَا فِي غُمار^(١) المسلمين ، وإن لم يكونا منهم لم تُخَفِطُونِي^(٢) بسب أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون أن الله جلَّ وعزَّ قال للمؤمن فى أبويه : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » ، وقال جلَّ ثناؤه : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » وهذا الذى دعوتم إليه أمرٌ له ما بعده ، وليس يُقْنِعْكُمْ إِلَّا التَّوْقِيفُ والتصریح^(٣) ، ولعمري إن ذلك لأخرى بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى أن يعرف كل صاحبته من عدوه ، فرُوحوا^(٤) إلى من عَشَيْتُمْ هذه ، أكشِفْ لَكُمْ ما أنا عليه إن شاء الله تعالى .

فأما كان العشيُّ راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نَجْدَةٌ^(٥) . قال : هذا خروج منابذ^(٦) لكم ، فجلس على رفيع من الأرض ، فحمد

[١] بالضم وينتج جماعتهم . [٢] تغضبونى . [٣] تبين الأمر . [٤] الروح العشى ، وراح إلى القوم : ذهب إليهم رواحا . [٥] هو نجدة بن عامر الحننى من كبار زعمائهم . [٦] نابذه : كاشفه بالمداوة .

الله، وأثنى عليه، وصلى نبيه، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته، ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها، فجعلها كالمأضية، وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأن القوم استعتبوه من أمور، وكان له أن يفعلها أولاً مُصيباً، ثم أعتبهم بعد ذلك محسناً، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه، بعد أن ضمن لهم العتيبي^(١)، ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتاب بقتلهم، فدفعوا الكتاب إليه، حلف بالله أنه لم يكتبه، ولم يأمر به، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله، ومكانه من الإمامة، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه^(٢)، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين، لو حلف عليها لحلف على حق، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض». فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه، وأنا وليُّ وليِّه، وعدوُّ عدوِّه، وأبي وصاحبه صاحب رسول الله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله عزَّ وجلَّ يوم أُحُد، لما قُطِعَتْ إصْبَعُ طَلْحَةَ: «سَبَقَتْهُ إِلَى الْجَنَّةِ»، وقال: «أَوْجَبَ طَلْحَةَ^(٣)»، وكان الصديق إذا ذكر يوم أُحُد قال: «ذاك يومٌ كله أَوْجُلُهُ لَطَلْحَةَ». والزبير حواريّ

[١] العتيبي: الرضا.

[٢] وذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية اخار عثمان بن عفان رسولا من قبله إلى قريش، يعلمهم بمقصده، وأنه أنى مكة. معتمرا، فقالوا: إن محمداً: لا يدخلها علينا غزوة أبداً، ثم لأنهم حبسوه. فشاع عند المسلمين أنه قتل. فقال عليه الصلاة والسلام حينما سمع بذلك: لا تبرح حتى نأجرهم الحرب. ودعا المسلمين إلى البيعة على التال وبأيدىء هناك تحت شجرة سميت بعد شجرة الرضوان.

[٣] الموجبة من الحسنات التي توجب الجنة. وأوجب: أنى بها.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته ، وقد ذكر أنهما في الجنة ، وقال جل وعز : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » . وما أخبرنا بعد أنه سَخِطَ عليهم ، فإن يكن ما سَعَوْا فيه حقاً ، فأهل ذلك هُم ، وإن يكن زلةً في عفو الله تحيُّصُها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموها فقد بدأتُم بأمكم عائشة رضى الله عنها ، فإن أبى أب أن تكون له أمّاً نبذ اسم الإيمان عنه ، وقد قال الله جل ذكره ، وقوله الحق : « النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » . فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم انصرفوا عنه . (الكامل للمبرد ٢ : ١٧٣ ، والقدر الفريد ١ : ٢١٢ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٥٥)

١٤٣ — أبو صخر الهذلي وعبد الله بن الزبير

وروى أبو الفرج الأصبهاني قال :

لما ظهر ابن الزبير بالحجاز ، وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم ، في مَرَجٍ راهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهذلي ، في هُذَيْل ، وقد جاءوه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهَوَاهُ في بني أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال : عَلَامَ تَمْنَعُنِي حَقّاً ؟ وأنا امرؤ مُسْلِمٌ ما أحدثتُ في الإسلام حَدَثًا ، ولا أخرجت من طاعةٍ يداً . قال : عليك بني أمية ، فاطلب عندهم عطاءك . قال :

« إِذْنِ أَجْدَمِ سِبَاطًا ^(١) أَكْفَهُمْ ، سَمْحَةً أَنْفُسَهُمْ ، بُذْلَاءَ لَأَمْوَالِهِمْ ، وَهَائِينَ لِمُجْتَدِيهِمْ ^(٢) ، كَرِيمَةً أَعْرَاقَهُمْ ، شَرِيفَةً أَصُولَهُمْ ، زَاكِيَةً فُرُوعَهُمْ ،

[١] رجل سبط اليمين : سخي (وسبط كشمس) .

[٢] المجتدي : طالب الجدوى وهي العطية .

قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نَسَبَهُمْ وَسَبَّاهُمْ ، ليسوا إذا نُسِبُوا بِأَذْنَابٍ ولا وَشَائِظٍ ^(١) ولا أَتْبَاعٍ ، ولا هم في قريش كَفَقَعَةٍ ^(٢) القاع ، لهم السُّودَدُ في الجاهلية ، والمَلِكُ في الإسلام ، لا كمن لا يُعَدُّ في عِيَرِهَا ولا تَقِيرُهَا ^(٣) ، ولا حَكَمَ آبَاؤُهُ في تَقِيرِهَا ولا قِطْمِيرِهَا ^(٤) ، ليس من أَحْلَافِهَا ^(٥) المُطَيِّينَ ، ولا من ساداتها المُطْعَمِينَ ، ولا من جُودَائِهَا ^(٦) الوَهَّائِينَ ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسوِّدين ، وكيف تقاتل الرءوس بالأذنان ، وأين النُّصْلُ من الجَفْنِ ^(٧) ، والسَّنَانُ من الزُّجِّ ^(٨) ، والذُّنَابِيُّ ^(٩) من القُدَامَى ^(١٠) وكيف يُفْضَلُ الشَّحِيحُ على الجَوَادِ ، والسُّوْقَةُ على المَلِكِ ، والجامع بُخْلًا على المُطْعِمِ فضلاً ؟ .

فغضب ابن الزبير ، حتى ارتعدت فرائصه ^(١١) ، وعَرِقَ جبينه ، واهتز من قرنه إلى قدمه ، وأَمْتَقَعَ لونه ، ثم قال له : يا ابن البوالة على عَقِيْبِهَا ، ويا جِلْفَ ^(١٢) ، يا جاهل ، أما والله لولا الحُرُمَاتُ الثلاث : حُرْمَةُ الإسلام ، وحُرْمَةُ الحَرَمِ ، وحُرْمَةُ الشهر الحرام ، لأخذت الذي فيه عيناك ، ثم أمر به إلى سجن « عَارِمِ »

[١] وشائظ جمع وشيطة ، يقال : هم وشيطة في قومهم أي حشودهم ، وفي الأصل : « وسائظ » وهو تصحيف . [٢] الققع (بالفتح والكسر) البيضاء الرخوة من السكأة وجمعه فقعة كعسة ، والقاع : أرض سهلة مطمئنة ، قد انفرجت عنها الجبال والآكام . ويصرب المثل بالققع في الدل ، لأنه لا عتق على من احتياه ، أو لأنه بوطاً بالأرجل . [٣] أخذ من المثل وهو « لا في العير ولا في الدفير » وأول من قاله أبو سريان بن حرب ، يصرب للرجل : يحط أمره ، ويصغر قدره . وقد تقدم شرحه . [٤] الدفير : الكتنة في ظهر النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة بين النواة والنمرة .

[٥] الأحلاف في قريش ست قبائل : عبد الدار ، وكعب ، وجح ، وسهم ، ومخزوم ، وعدي ، لأنهم لما أراد بنو عبد مناف أخذ ما في أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية ، وأبت عبد الدار ، عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتعادلوا ، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فوضعها لأحلافهم وهم أسد ، وزهرة ، وتيم عند الكعبة ، فغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا ، وتعاهدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفاً آخر مؤكداً فسموا الأحلاف ، وقوله المطيين : لغرس أيديهم في الطيب .

[٦] جوداء جمع جواد : وهو السخى ، ويجمع أيضاً على أجواد وأجاود . [٧] غمد السيف .

[٨] الحديدية في أسفل الرمح . [٩] الذئب . [١٠] أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح .

[١١] جمع فريضة وهي اللحمة بين الجنب والسكتف . [١٢] الجلف : الرجل الجأى .

فجُبِسَ به مدة ، ثم استوهبته هذيل ، ومن له من قریش خُثُولَةٌ في هذيل ، فأطلقه بعد سنة ، وأقسم ألا يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً .

فلما وليَ عبد الملك ، أمر له بما فاتَه من العطاء ، ومثله صِلَةٌ من ماله ، وكساه وحمله . (الاغانى ٢١ : ٩٤)

١٤٤ — خطبته وقد قدم عليه وفد العراق

قَدِمَ وفد من العراق على عبد الله بن الزبير ، فَأَتَوْهُ في المسجد الحرام ، في يوم الجمعة ، فساموا عليه ، فسألهم عن مُصْعَبِ أَخِيهِ ، وعن سيرته فيهم ، فقالوا : أحسنُ الناس سيرةً ، وأقضاه بحق ، وأعدله في حكم ، فصلى عبد الله بالناس الجمعة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

قد جرّبوني ثم جرّبوني من غلوتين ومن المئين^(١)

حتى إذا شابوا وشيّبوني خلّوا عِنَانِي ثم سيّدوني^(٢)

أيها الناس : « إني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق ، عن عاملهم مصعب ابن الزبير ، فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحب ، ألا إن مصعباً أطبى^(٣) القلوب ، حتى ما تعدل به ، والأهواء حتى ما تحول عنه ، واستمال الألسن بثنائها ، والقلوب بنصحتها ، والنفوس بمحبتها ، فهو المحبوب في خاصته ، المحمود في عامته ، بما أطلق الله به لسانه من الخير ، وبسَطَ يده من البذل » . ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٩٢ ، والأمالى ١ : ٢٨٦)

١٤٥ — خطبته لما بلغه قتل مصعب

لما قتل عبد الملك بن مروان مُصْعَبَ بن الزبير (سنة ٧١ هـ) ، وانتهى

[١] الغلوة : الداية : وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال هي قدر ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة .
[٢] تركوني . [٣] أطبى : استمال .

خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياما ، حتى تحدث به إمام مكة في الطريق ، ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لا يتكلم ، والكأبة على وجهه ، وجبينه يرشح عرقا ، فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ، أترأه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه لليبب الخطباء . قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه وغير مألوم ، ثم تكلم فقال .

« الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، ومُلك الدنيا والآخرة ، يُؤثقي الملك من يشاء ، وَيَنْزِع الملك ممن يشاء ، وَيُعِزُّ من يشاء ، وَيُذِل من يشاء ، أما بعد : فإنه لم يُعِزَّ الله مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ معه ، وإن كان معه الْأَنَامُ طُرَا ^(١) ، ولم يُذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ معه ، وإن كان مُفْرَدًا ضَعِيفًا ، ألا وإنه قد أتانا خبر من العراق ، بلد العُدْر والشقاق ، فسأنا وسرنا ، أتانا أن مصعبا قتل رحمة الله عليه ومغفرتة ، فأما الذي أحزننا من ذلك ، فإن لفراق الحميم لدعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأي والدين ، إلى جميل الصبر ، وكريم العزاء ، وأما الذي سرنا منه فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه عز وجل جاعل لنا وله في ذلك الحيرة إن شاء الله تعالى .

أسلمه الطغام ^(٢) ، الضم الآذان ، أهل العراق ، إسلام النعم المخطمة ^(٣) ، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه ^(٤) ،

[١] جميعا . [٢] الأوغاد . [٣] خطم البعير بالحطام : جعله على أنفه ، والحطام ككسب : ما وضع في أف البعير ليقناده به .

[٤] بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل ، انصرف إلى وادي السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله في الصلاة ، ويعني بعمه عبد الرحمن بن العوام بن خويلد ، وقد استشهد يوم اليرموك ، وفي رواية « وابن عمه » ويعني به عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام ، وقد قتل يوم الدار « انظر أسد الغابة

وكانوا الخيار الصالحين ، إنا والله لانموت حَتَفَ آناً^(١) ، ولكن قَعَصَا^(٢) بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِلَ منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قط ، ألا وإنما الدنيا عَارِيَّةٌ من الملك القَهَّار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يَبِيدُ ملكه ، فإن تُقْبِلَ الدنيا على لم آخذها أخذَ الأشر البَطِر^(٣) ، وإن تُدْبِرْ عني لم أهلك عليها بكاء الخرق المَهين^(٤) . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » ثم نزل .

(الأعاني ١٧ : ١٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٢٠ — م ٤ ص ٤٩٢ ، والعقد الفريد ٢ : ص ١٥٠ و ٢٦٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٩٠ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٠ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٨ ، ومروج الذهب ٢ : ١٢٣)

١٤٦ — خطبة أخرى له

وقال الجاحظ : لما جاءه قتل أخيه مصعب ، قام خطيباً بعد خطبته الأولى ، فقال :

وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير ، وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع بأهل المدينة في وقعة الحرة كما قدمنا ، سار إلى مكة لنزو ابن الزبير ، فقال لأخيه المنذر : ما لهذا الأمر ولدع هؤلاء القوم غيري وغيرك — وكان أخوه المنذر ممن شهد الحرة . ثم لحق به — مجرد إليهم أخاء في الناس ، فقاتلهم ساعة قتالا شديداً ، ثم إن رجلاً من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ، فخرج إليه ، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خرواً صاحبه لها ميتاً . وكان مقتله سنة ٦٤ هـ — تاريخ الطبري ٧ : ١٤ — .

[١] الحنف : الموت ، ويقال مات حنف أنفه : أي على فراشه من غير قتل ، ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخمس الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتناع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه ، والجريح من جراحته . [٢] القعص : الموت الوحى (أي السريع كغنى) ومات بعضاً : أصابته ضربة ، أو رمية ، فمات مكانه ، وفي الكامل ، وعيون الأخبار : « إنا والله ما نموت حباً » وزاد الكامل « كيتة آل أبي العاص » والحجج محررة : انتفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج (كجعفر) ، وربما قتله ذلك ، يعرض ببني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا ، وأنهم يموتون بالتخمة . [٣] الأشر : البطر . [٤] من الخرق محررة وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يهت فاتها عينيه ينظر ، والمهين : الحقير ، ويروى : « بكاء الخرق المهتر » والخرف : من فسد عقله من الكبر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر ، أو مرض ، أو حزن ، من المهتر بالضم ، وقد أهتر فهو مهتر (بضم الميم وفتح التاء) : شاذ .

« إن مصعباً قدّم أئره ، وأخر خيرَه ، وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة ^(١) ، وترك حلبة ^(٢) أهل الشام ، حتى غشيتَه في داره ، ولئن هلك مُصْعَبُ إن في آل الزبير خلفاً منه » . (البيان والتبيين ٢ : ٤٧)

١٤٧ — خطبته وقد بلغه قتل عمرو الأشدق

وروى الجاحظ أيضاً أنه لما بلغه قتلُ عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق ، قام خطيباً فقال :

« إن أبا ذِبان ^(٣) ، قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ^(٤) ، كَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » . (البيان والتبيين ٢ : ٤٧)

١٤٨ — عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر

دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر ، في اليوم الذي قتل فيه ، وقد رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال :

يا أمه : خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدِي ^(٥) وَأَهْلِي ، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطَوْنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟ فَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ

[١] كان تحته عقيلنا قريش عائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين .

[٢] الحلبة : خيل تجتمع للسباق من كل أوب لانصرة . [٣] الذبان : الذباب ، والعرب تكنو الأبخر « أبا ذباب » وبعضهم يكتبه « أبا ذبان » وقد علب ذلك على عبد الملك بن مروان ، لفساد كان في فيه ، وقيل لأن لثته كانت تدمى فيقع عليها الذباب . [٤] هو عمرو بن سعيد الأشدق ، سمي بذلك لميل كان في فيه ، فقيل له من أجله : « لطيم الشيطان » قال اوزير الكاتب ابن عبدون في مرثيته المشهورة لدولة بني الأمطس بالأندلس التي مطلعها :

« الدهر ينجع بعد المين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور »

ولم تدع لأبي الذبان فاضيه ليس اللطيم لها عمرو بمتصر

[٥] وكان قد خرج إلى الحجاج ابنه حمزة وخبيب فأخذاه منه لأنفسهما أمانا .

على حق وإليه تدعو ، فامضِ له ، فقد قُتل عليه أصحابك ، ولا تمكّن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أُمّية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ، وأهلكت من قُتل معك ، وإن قلتَ كنتُ على حق ، فلما وهن أصحابي ضعفتُ ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، وكم خلودك في الدنيا ؟ القتلُ أحسن ، والله لَضَرْبَةٌ بالسيف في عزٍّ ، أحبُّ إلىَّ من ضربة بسوطٍ في ذلٍّ ، قال : إني أخاف إن قتلوني أن يُمَثِّلُوا بي ، قالت : يا بني إن الشاة لا يضرها سُلْخُها بعد ذبحها .

فدنا منها وقبل رأسها ، وقال : هذا والله رأيي ، والذي قتت به داعياً إلى يومي هذا ، ما ركنْتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضبُ لله أن تُستحل حُرْمَتُهُ ، ولكنني أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتني بصيرةً مع بصيرتي ، فانظري يا أمه ، فإنني مقتول من يومي هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسألمي لأمر الله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان مُنْكَرٍ ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجر في حكم الله ، ولم يَغْدِر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به ، بل أنكرته ، ولم يكن شيء آثراً عندي من رضا ربّي ، اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً مني لنفسي - أنت أعلم بي - ولكن أقوله تعزيةً لأُمّي لتسلو عني ، فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدّمتني ، وإن تقدمتك ففي نفسي حرجٌ حتى أنظر إلام يصير أمرك . قال : يا أمه جزاك الله خيراً ! فلا تدعى الدعاء لي قبلُ وبعْدُ ، فقالت : لا أدعه أبداً ، فمن قُتل على باطل فقد قُتلت على حق ، ثم قالت : « اللهم ارحمه طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النّحيب والظّمأ في هواجر المدينة

ومكة ، وبرّه بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . ثم ودّعها وخرج .

(تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ ، والفجرى ١١١ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٧١ ، وبلاغات النساء من ١٣٠)

١٤٩ — خطبته يوم قتله

وخرج من عندها فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس ، إن الموت قد تغشّاكم سحابه ، وأحذق بكم ربّاه ^(١) ، واجتمع
بعد تفرّق ، وارجحنّ بعد تمشّق ^(٢) ، ورجس ^(٣) نحوكم رعدّه ، وهو مُفرّغ
عليكم ودّقه ^(٤) ، وقائد إليكم البلايا ، تتبعها المذايا ، فاجعلوا السيوف لها غرّصا ،
واستعينوا عليها بالصبر . وتمثل بأيات ، ثم اقتحم يقاتل وهو يقول :

قد جدّ أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب لها على ساق ^(٥)

(العقد الفريد ٢ : ٢٧١)

١٥٠ — خطبة أخرى

وروى الطبرى قال :

« لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ
وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب ، صلى بأصحابه الفجر ، ثم قام فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا آل الزبير : لو طيتم لى نفسا عن أنفسكم ، كنّا أهل بيت من العرب
اصطلمنا ^(٦) فى الله ، لم تُصبنا زبّاء بنة ^(٧) ، أما بعد يا آل الزبير : فلا يرغكم

[١] الراب : السحاب الأبيض . [٢] ارجحن : مال من ثقله واهتز ، وتمشّق ثوبه : تمزق .

[٣] رجست السماء : رعدت شديدا وتمحضت . [٤] الودق : المطر .

[٥] هو من مشطور السريع الموقوف . [٦] أى استؤصلنا . [٧] الزبّاء من الدوامى :

الشديدة ، ويقال لا أفعله ألبنة ، وبنة لكل أمر لا رجعة فيه .

وقع السيوف ، فإنني لم أحضر موطنًا قط إلا أرتُثِتُ^(١) فيه من القتل ، وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقمها ، صُونُوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كسر سيفه ، واستبقى نفسه ، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ عن البارقة^(٢) ، وَلْيَشْغَلْ كُلُّ امْرِئٍ قِرْنَهُ ، ولا يُلْهِينَكُمْ السَّوَالُ عَنِّي ، ولا تقولنَّ : أين عبد الله بن الزبير ، إلا من كان سائلاً عني فإنني في الرِّعِيلِ^(٣) الأول :

أَبَى لَابِن سَأْمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ مُلَاقِي الْمَنَآيَا أَيُّ صَرْفٍ تَيْمَمًا
فَلَسْتُ بِمَبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَامًا

احملوا على بركة الله . ثم قاتل حتى أُنْخِنَ بِالْجِرَاحَاتِ وَقُتِلَ . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٤)

١٥١ — خطبة مصعب بن الزبير

بعث عبد الله بن الزبير أخاه مُضْعَبًا وَايًّا عَلَى الْبَصْرَةِ سَنَةَ ٦٧ هـ ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسِيم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ « وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْحِجَازِ « وَنُمْكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُزِّلْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْعِرَاقِ .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥٩ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، وتاريخ الطبري ٧ : ١٤٦)

[١] ارتث (مبنا المجهول) حمل من المعركة رثيثا أى جريحاً وبه رفق .

[٢] البارقة : السيوف . [٣] الرعيل : القطعة من الحبل القليلة ، أو مقدمتها .

خطب الأمويين

خطباء البيت الأموي

خطب معاوية (توفي سنة ٦٠ هـ)

١٥٢ - خطبته بالمدينة عام الجماعة

قدم معاوية المدينة عام الجماعة (سنة ٤١ هـ) فتلقاه رجال قریش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرک ، وأعلى کعبک ، فارد عليهم شيئاً حتى صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإنی والله ما وليتُها بحجة علمتُها منكم ، ولا مسرةً بوليّتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدةً ، ولقد رُضت ^(١) لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سُنَيّات ^(٢) عثمان ، فأبت عليّ ، فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة : مؤاكلةً حسنة ، ومشاركةً جميلةً ، فإن لم تجدوني خيركم ، فإنني خير لكم ولأيةً ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائلُ بلسانه ،

[١] من راض المهر إذا ذلّه . [٢] سنية مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

فقد جعلت ذلك له دَبْرٌ^(١) أذنى ، وتحت قدمي ، وإن لم تجدونني أقوم بحقكم كله ، فاقبلوا مني بعضه ، فإن أتاكم مني خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا جاد يُثْرى ، وإذا قل أغنى ، وإياكم والفتنة ، فإنها تُفْسِدُ المعيشة ، وتكدر النعمة . ثم نزل .
(العنق الفريد ٢ : ١٣٩)

١٥٣ — خطبة أخرى له بالمدينة

وخطب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون ، فإن أعطوا منها رَضُوا وإن لم يُعْطُوا منها إذا هم يَسْخَطُونَ ، ولست واسعاً كل الناس ، فإن كانت مُحَمَّدٌة ، فلا بد من مَدَمَّة ، فلو ما هَوْنًا إذا ذكر غفر ، وإياكم والتي إن أخفيت أُوْبِقت ، وإن ذُكِرَتْ أُوثِقت » . ثم نزل .
(العنق الفريد ٢ : ١٤٠)

١٥٤ — خطبة له بالمدينة

وصعد منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق ، يعيبون الشيء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعَةٌ نفسه ، فاقبلونا بما فينا ، فإن ما وراءنا شر لكم ، وإن معروف زماننا هذا مُنْكَرٌ زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالرَّتَقُ خير من الفَتَق ، وفي كلِّ بلاغٍ ، ولا مُقَام على الرِّزِيَّة » .
(العنق الفريد ٢ : ١٤٠)

[١] حمل كلامك دبر أذنه : لم يصنع لآليه ، ولم يرجع عليه .

١٥٥ — خطبته حين ولى المغيرة بن شعبة الكوفة

ولما ولى معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ هـ دعاه ،
فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

«أما بعد : فإن لى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا^(١) ، وقد قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا وما علمَ الإنسانُ إلا ليعلمًا

وقد يُجزى^(٢) عنك الحكيمُ بغير التعليم ، وقد أردتُ إيصاءك بأشياء كثيرة ،

فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يُرضيني ، ويُسعد سلطانى ، وتصلح به رعتى ،

ولست تاركاً إيصاءك بخصلة : لا تتحم^(٣) عن شتم على وذمه ، والترحم على

عثمان ، والاستغفار له ، والعيب على أصحاب على ، والإقصاء لهم ، وترك الاستماع

منهم ، وإيطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ، والاستماع منهم .

فقال المغيرة : « قد جرّبتُ وجرّبتُ ، وعمّلتُ قبلك لغيرك ، فلم يذمم

بى دفعٌ ، ولا رفعٌ ، ولا وضعٌ ، فسبّلو^(٤) فتحمد ، أو تذم . قال : « بل

نحمد إن شاء الله . (تاريخ الطبرى ٦ : ١٤١)

١٥٦ — خطبة له فى يوم صائف

وخطب الجمعة فى يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على

[١] من أمثال العرب المشهورة : « إن العصا قرعت لى الحلم » وهو مثل يضرب لمن إذا نه انقبه ،
وأول من قرعت له العصا طاسر بن الطرب العدوانى ، وقيل هو قيس بن خالد ، وقيل ربيعة بن مخاشن ،
وقيل عمرو بن حمزة الدوسى ، وقيل عمرو بن مالك . ذكروا أن طاسر بن الطرب كان أحد حكام العرب
المشهورين ، لاتعدل بفهمه فهما ، ولا يحكمه حكماً ، فلما طعن فى السن أنكسر من عقله شيئاً ، فقال لبيته :
إنه قد كبرت سننى ، وعرض لى سهو ، فإذا رأيتمنى خرجت من كلالى ، وأخذت فى غيره ، فاقرعوا لى
الجن بالعصا ، وقال المتلمس يريد : لى الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا البيت .

[٢] يجزى مسهل عن يجزى أى ينفى ، يقال : أجزأت عنك مجزاً فلان : أى أغنيت دنك مقناه .

[٣] احتنى وتحنى : امتنع . [٤] أى تخنبر .

رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . قوموا إلى صلاتكم . (العقد الفريد ٢ : ١٤٠)

١٥٧ — آخر خطبة له

صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته ، وقال :

« أيها الناس : إني من زرع قد استحصد^(١) ، وقد طالت عليكم إمرتي ، حتى مللتكم ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ، وإنه لا يأتيكم بعدى إلا من هو شر منى ، كما لم يأتيكم قبلى إلا من كان خيراً منى ، وإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم إني قد أحببت لقاءك ، فأحبب لقاءى » . ثم نزل ، فصار صعد المنبر حتى مات^(٢) . (الأمالي ٢ : ٣١٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٦)

١٥٨ — خطبته وقد حضرته الوفاة

ولما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قریش يتباشرون بموتك ، فقال : ويحك ! ولم ؟ قال : لا أدري . قال فوالله ما لهم بعدى إلا الذى يسوءهم ، وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وأوجز ، ثم قال :

« أيها الناس : إنا قد أصبحنا فى دهر عنود^(٣) ، وزمن شديد^(٤) ، يُعَدّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا ، لا ننتفع بما عامناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوف قارعة^(٥) حتى تحمل بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من

[١] استحصد الزرع وأحصد : حان أن يحصد . [٢] سيرد عليك بقية خطبه بعد فى موضعها .

[٣] جائر . من عند من الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : إذا مال . . [٤] وفى نهج البلاغة : وزمن كنود وهو الكفور . [٥] الداهية التى تفرغ أى تصيب .

لا يمنع من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه، وكلال حده، ونضيض وفره،^(١)
ومنهم المصلت^(٢) لسيفه، المجلب بخيله ورجله، المعلن بشره، قد أشرط^(٣)
نفسه، وأوبق دينه، لحطام ينتهزه، أو مقنب^(٤) يقوده، أو منبر يقرعه^(٥)،
ولبئس المتجرأن تراها لنفسك ثمنا، ومما لك عند الله عوضا، ومنهم من يطلب
الدنيا بعمل الآخرة، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا، قد طامن من شخصه،
وقارب من خطؤه، وشمر من ثوبه، وزخرف نفسه للأمانة، واتخذ ستر الله
ذريعة للمعصية، ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه، وانقطاع
سببه، فقصرت به الحال عن أماله، فتحلى باسم القناعة، وتزين بلباس الزهاد،
وليس من ذلك في مراح ولا مغدئ، وبقي رجال غص أبصارهم ذكر المرجع،
وأراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نافر، وخائف منقيع^(٦)،
وساكت مكعوم^(٧)، وداع مخلص، وموجع تكلان، قد أخلتهم التقية^(٨)،
وشملتهم الذلة، فهم بحراجاج^(٩)، أفواههم ضامزة^(١٠)، وقلوبهم قرحة، قد
وعظوا حتى ملوا، وقهروا حتى ذلوا، وقتلوا حتى قلا، فلتكن الدنيا في أعينكم
أصغر من خثالة القرظ^(١١) وقراضة الجلمين، واتعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن

[١] أى قلة ماله . [٢] أصلت السيف : سله . [٣] هيأها وأعدّها (من الشرط (مركبة)
وهو العلامة) أى هيأها للفساد في الأرض . وأوبقته : أهلسكه . والحطام : المال . وأصله ما تكسر من اليبس .
[٤] القنب من الخيل : بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلثمائة . [٥] يعلوه .
[٦] مقهور . [٧] من كهم البعير كنهم : شدّ فاه لثلا يعض أو يأكل . وفي البيان والتبيين
مكعوم من عكم الماع يعكمه شدّه بثوب . [٨] التقية : المداراة . [٩] الأجاج : الملح .
[١٠] ساكنة من ضمز كنصر وضرب : سكت ولم يتكلم . والبعير أمسك جرتة في فيه ولم يجترّ .
[١١] القرظ : ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به ، والجلم : مقراض يجزبه الصوف . والقراضة :
ما يسقط منه عند الجز .

قال الجاحظ : « وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب . منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب

مظ بكم من بعدكم، فارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت من كان أشغف بها منكم».
 البيان والتبيين ٢ : ٢٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤١ ، ونهج البلاغة ١ : ٤٠ ، وإيجاز القرآن ١٢٣

١٥٩ - وصيته لابنه يزيد

لما حضرت معاوية الوفاة ، ويزيدُ غائبٌ ، دعا معاوية مُسْلِمَ بن عُقْبَةَ المُرِّيَّ ، والضَّحَّاكَ بن قيس الفِهْرِيَّ ، فقال : أبلغا عني يزيد وقولا له :
« يا بني ، إني قد كفيتك الشَّدَّ والارَّحَالَ ، ووطأت لك الأمور ، وذللَّت لك الأعداء ، وأخضعت لك رِقَابَ العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحدٌ ، فانظر أهل الحجاز ، فإنهم أصلك وَعِترَتُكَ ^(١) ، فمن أتاك منهم فأكرِّمْه ، ومن قعد عنك فتعهَّده ، وانظر أهل العراق ، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فإنَّ عَزَلَ عاملٍ ، أهونُ عليك من سلِّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علامَ أنت عليه منهم ؟ ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم الشعار ^(٢) دون الدُّنَّار ، فإن رَأَبَكَ من عدوك رَيْنَبٌ ، فارْمِهِمْ ^(٣) بِهِمْ ، فإن أظفرك الله بهم ، فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، ولا يُتَمِيمُوا في غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير أدبهم .

وإني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .

الذي من أجله دعا معاوية . ومنها أن هذا المذهب — في تصنيف الناس ، وفي الأخبار عنهم ، وعماهم عليه من الفهر والإدلال ، ومن النقية والخوف — أشبه بكلام علي وبعثانيه ، وبحال معاوية . ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه . سلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد ، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم .

ونسبها الفريد الرضي إلى الإمام عليّ ، وقال في من كلامه الذي لا يشك فيه .

[١] عترة الرجل : عشيرته الأدبون . [٢] الشعار : الثوب يلبس على شعر الجسد ، والدُّنَّار : الذي يلبس فوق الشعار . [٣] الصمير العدو ، وهو للواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، وقد يثنى ويجمع ويؤنث .

فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وَقَّذَهُ^(١) الورع ، وإذا لم يبق أحدٌ غيرُهُ بايعك ؛
وأما الحسين بن عليٍّ ، فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفِيكَه الله بمن قَتَلَ أباه ،
وخَذَلَ أخاه ، ولا أَظُنُّ أهل العراق تاركِيه حتى يُخْرِجوه ، فإن خرج وظفِرت
به ، فاصفح عنه ، فإن له رَحِمًا^(٢) ماسَّةً ، وحقًا عظيمًا ، وقرابة من محمد صلوات الله
عليه وسلامه ؛ وأما ابن أبي بكر ، فإن رأى أصحابه صنعوا شيئًا صنع مثلهم ،
ليست له همَّةٌ إلا في النساء واللَّهوَ ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خَبَّ ضَبَّ^(٣) ، فإن
ظفِرت به فقطعُهُ إِرْبًا إِرْبًا^(٤) . « أوقال » : وأما الذي يَجِثُّمُ لك جُثُومُ
الأسد ، ويراوذك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته فُرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ،
فإن هو وثب عليك ، فظفِرت به فقطعُهُ إِرْبًا إِرْبًا ، واحقِنِ دماء قومك
ما استطعت .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٦ وتاريخ الطبري ١٧٩ : ٦ ، العقد الفريد ٢ : ١٤١ - ٢٤٩ ، البخري ص ١٠٢)

خطب يزيد بن معاوية (توفي سنة ٦٤ هـ)

١٦٠ - خطبته بعد موت معاوية

« الحمد لله الذي ما شاء صنع : من شاء أعطى ، ومن شاء منع ، ومن شاء
خَفَضَ ، ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كَانَ حَبْلًا من حبال الله ، مدَّه ما شاء
أن يمدَّه ، ثم قطعهُ حين أراد أن يقطعه ، وَكَانَ دون مَنْ قَبْلَهُ ، وخيرًا ممن يَأْتِي
بعده ، ولا أَزْكِيه عند ربه وقد صار إليه ، فإن يعفُ فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه ،
وقد وَايَت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أَشتغل^(٥) بطلب علم ،

[١] وقَّذَه : صرعه وغلبه ، وتركه على أوقده . [٢] قرابة .

[٣] الخار تفسيرها في صفحة ١٣٩ . [٤] أى تضوا عسوا .

[٥] في العقد الفريد : ولا آسى على طلب علم ، ولا أى عن طلب علم .

وعلى رِسْلِكُمْ ، إذا كره الله شيئاً غيرَه ، وإذا أحب شيئاً يَسْرَه .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٢ - ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٣ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٨)

١٦١ - خطبة أخرى له

« الحمد لله أحمدَه وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللَّ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاه لوجيه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فضله وأعزه وأكرمه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال ، وحرَّم فيه الحرام ، وشرع فيه الدين إعداراً وإنذاراً ، لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، ويكون بلاغاً لقوم عابدين ^(١) . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، واقطاع مدتها ، وتصرُّم دارها ، ثم إني أحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ^(٢) ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفاني ، وتحببت بالعاجل ، لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعتها ، أكالة غوالة غرارة ، لا تبقى على حال ، ولا يبقى لها حال . ان تعدوا الدنيا إذا تناهت إلى أمنيَّة أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله عزَّ وجلَّ : « وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا » نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزيع يومئذ آمنين ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ^(١) ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » . (البقرة الفريد ٢ : ١٤٢)

١٦٢ — خطبة معاوية بن يزيد ^(٢) (توفي سنة ٦٤)

أمر معاوية بن يزيد بن معاوية بعد ولايته ، فنودي بالشأم : الصلاة جامعة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإنني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه ، فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فرع إليه أبو بكر ، فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختروا له من أحببتم ، فما كنت لأتزوّدّها ميتاً ، وما استمتعت بها حياً » .

ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس ، وتغيّب حتى مات ^(٣) .

(تاريخ الطبري ٧ : ٣٤ ، والتهذيب ص ١٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٧)

خطب عبد الملك بن مروان (توفي سنة ٨٦ هـ)

١٦٣ — خطبته بمكة

خطب بمكة فقال في خطبته :

« أيها الناس : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يريد عثمان بن عفان)

[١] أي عنتكم (مشقتكم) . [٢] استخلف في شهر ربيع الأول سنة ٦٤ هـ ، ولم يلبث في الخلافة إلا ثلاثة أشهر وقبل أربعين يوماً . [٣] قيل دس إليه فسق سما ، وقال بعضهم داس ، وتوفي وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً وقيل ابن إحدى وعشرين سنة .

ولا بالخليفة المداهن (يريد معاوية بن أبي سفيان) ولا بالخليفة المأفون^(١)
(يريد يزيد بن معاوية) فمن قال برأسه كذا ، قلنا له بسيفنا كذا . ثم نزل^(٢) .
(المقد الفريد ٢ : ١٤٢ و ٢٦٣)

١٦٤ — خطبة له موجزة

وخطب على المنبر فقال :

« أيها الناس إن الله حدّ حدوداً ، وفرض فروضاً ، فما زلتُم تزدادون في
الذنب ، وتزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف » .
(المقد الفريد ٢ : ٢٦٣)

١٦٥ — خطبته حين قتل عمرا الأشدق بن سعيد بن العاص^(٣)

« ارمؤا بأبصاركم نحو أهل المعصية ، واجعلوا سلفكم لمن غبر^(٤) منكم عظة ،
ولا تكونوا أغفالاً من حسن الاعتبار ، فتنزل بكم جائحة^(٥) السطّوات ، وتجوس

[١] المأفون : الصعيب الرأي والعقل . [٢] قل أبو إسحق الظاهر : « أما والله لولا نسك من
هذا المستضعف وسبك من هذا المداهن لكنت منها أبعد من العروق (افتح العين وتشدد الداء نعم أحمر
مضى يتلو الزما) والله ما أخذتها بوراثته ، ولا ساقته ، ولا قرابته ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوعية » .
[٣] وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني ، وانحاز السجاني بن قيس الهجري عن مروان بن
الحكم ، واستمال الناس ودعا إلى ابن الزبير ، اتقى مروان وعمرو بن سعيد الأشدق (وهو عمرو بن سعيد
ابن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف) فقال الأشدق لمروان : دلّك فيما
أقولك لك ؟ فهو خير لي ولك ، فقال مروان : وما هو ؟ قال : أدعو الناس إليك وآخذها لك على أن
تكون لي من بعدك . فقال مروان : لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية ، مرض الأشدق بذلك ودعا الناس
إلى بيعة مروان فأجابوا ، وباع مروان بعده لخالد بن يزيد ، وعمرو بن سعيد بعد خالد ، ثم مات مروان وخلفه
ابنه عبد الملك ، ولما اعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير بنفسه . قل له عمرو :
إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك حاضمت معه ، وقد كان
من بلائي معه ما لم يحف عليك ، فأجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يحبه عبد الملك إلى شيء ، فلما كان
من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى
صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ففتح له ، ثم إن عبد الملك احتال له حتى قتله سنة ٦٩ .
[٤] بقي ، وأغفال جمع غفل كقفل . [٥] الجوح والاحتياج : الإهلاك والاستئصال .

خلالكم بواذرُ النِّقَمَات ، وتطأ رقابكم بثقلها العتوبة ، فتجعلكم همدًا^(١) رُفَاتًا ،
وتشتمل عليكم بطون الأرض أمواتًا ، فإياي من قول قائل ، وَرَشَقَةٌ جاهل ،
فإعما بيني وبينكم أن أسمع النِّعْوَةَ^(٢) ، فأصمِّ تصميم الحُسام المطرور^(٣) ،
وأصول صِيَال الحَنْقِ الموتور^(٤) ، وإنما هي المصاحفة والمكافخة ، بظُّبَات
السيوف وأسنة الرماح ، والمعاودة لكم بسوء الصُّباح ، فتاب تائب ، وهَدِلْ
خائب^(٥) ، والتوب مقبول ، والإحسان مبدول ، لمن عرف رُشْدَه ، وأبصر حفظه ،
فانظروا لأنفسكم ، وأقبلوا على حظوظكم ، وليكن أهل الطاعة يدًا على أهل
الجهل من سفهائكم ، واستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغيد عيشها ، ونفيس
زينتها ، فإنكم من ذلك بين فضيلتين : عاجل الخَفْض والدَّعَة ، وآجل الجزاء
والمثوبة ، عصمكم الله من الشيطان وقتته ونزَّغَه^(٦) ، وأمدكم بحسن معونته
وحفظه ، انهضوا رحمكم الله إلى قبض أعطياتكم ، غيرَ مقطوعةٍ عنكم ، ولا
مكدرةٍ عليكم . (صح الأعمى ١ : ٢١٨)

١٦٦ — خطبته لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير^(٧)

لما قتل عبد الملك مُصْعَب بن الزبير سنة ٧١ هـ دخل الكوفة فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

[١] الهامد : البالي من كل شيء ، والرفات : الحطام . [٢] الغوة والنغية : أول الخبر قبل أن
تسببته . [٣] المشحوذ ، من الطرّ وهو تحديد السكين وغيرها . [٤] صاحب الوتر وهو الثَّار .
[٥] هدله يهدله كضربه : أرخاه ، وهمل المشفر كفرح : استرخى أى ضف الحائب وخاره ، وامله حائب
من الحوب بفتح الحاء وضما وهو الاثم . حاب بكذا أثم حوباً أى ضعف الأثيم المذنب .
[٦] نزغ بينهم : أسد وأعزى .

[٧] نسب القلقشندي هذه الخطبة إلى معاوية وذكر أنه خطبها بعينين (صح الأعمى ١ : ٢١٥)
وعزاها القالي في الأمالي إلى عبد الملك بن مروان وهو ما ترجعه لما يدل عليه سياق الخطبة .

« أيها الناس إن الحرب صعبة مُرَّة ، وإن السَّلم أَمْنٌ ومَسَرَّة ، وقد زَبَنَّا^(١) الحرب وزَبَنَّاها ، فَعَرَفْنَاهَا وَأَلْفَنَاهَا ، فَتَحْنُ بَنُوها وَهِيَ أَمْنًا . أيها الناس فاستقيموا على سُبُل الهدى ، ودَعُوا الأهواء المُرْدِيَّة ، وتجنبوا فِراق جماعات المسلمين ، ولا تكلفونا أعمال المهاجرين الأواين ، وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أظنكم تردادون بعد الموعظة إلا شَرًّا ، ولن ترداد بعد الإِغْذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبةً ، فمن شاء منكم أن يعود بعدُ لمثلها فليَعُدْ ، فَإِنَّمَا مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كما قال قيس بن رِفاعَةَ الأنصاري :

يَصِلَ بنار كريمٍ غير غَدَّار ^(٢)	من يَصِلَ ناري بلا ذنب ولا تِرَّة
كي لا أَلَامَ على نهى وإنذار	أنا النذير لكم مَنِي مجَاهِرَّة
أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْيًا ظاهِر العار	فإن عَصَيْتُمْ مَقَالِي اليوم فاعترفوا
لَهُوَ المقيم وهو المَذْلُج السَّارِي ^(٣)	لَتَرْجِعُنَّ أَحَادِيثًا مُلْعَنَةً
عندي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِإِصْحَار ^(٤)	من كَانَ في نفسه حَوَاجٌ يَطْلُبُهَا
كما يَقُومُ قِدَحَ النَّبْعَةِ البَارِي ^(٥)	أُقيم عَوَجَتَهُ إن كَانَ ذا عَوَج
عندي ، وَإِنِّي لَدِرَّاك بِأَوْتَار	وصاحب الوِثْرِ ليس الدهرَ مدرَكه

(الأمل ١ : ١٢)

[١] أي دفعنا ودفعناها ، والزبن : الدفع ، ومنه اشتقاق الزبانية (جمع زبنة أو زبي بكسر الزاي وسكون الباء) لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ومنه أيضا حرب زبون بفتح الزاي .
[٢] الترة والوتر : الثأر . [٣] أذلج : سار من أول الليل فإن سار من آخره فقد أذلج بالتشديد والساري : الذي يسير بالليل . [٤] الحوَجاء : الحاجة . وقوله بإصْحار : أي لا أَسْتُرُ عنه ، ولا أَمْتِنُ في الأمَّاكن الحصينة من أَصْحَرِ القوم : برزوا إلى الصحراء . [٥] العوج بالفتح في كل ما كان منتصبًا مثل الإنسان والعصا والعود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين ، وقبل بالفتح مصدر وبالكسر اسم منه ، والقِدَح : السهم قبل أن يراش وينصل جمعه فِدَاح ، والنْبعة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهام .

١٦٧ — خطبته عام حجة

وحجج عبد الملك في بعض أعوامه ، فأمر للناس بالعطاء ، فخرجت بَذرة ^(١) مكتوب عليها من الصدقة ، فأبى أهل المدينة قبولها ، وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفء ، فقال عبد الملك وهو على المنبر :

« يا معشر قريش ، مثَلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين ، فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة ^(٢) ، فلما دنا الرّواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً ، فألقته إليهما ، فقالا : إن هذا لمن كنز ، فأقاما عليها ثلاثة أيام ، كل يوم تخرج إليهما ديناراً ، فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفِر هذا الكنز فنأخذه ، فنهاء أخوه ، وقال : ماتدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه ، وأخذ فأسأ معة ، ورصد الحية حتى خرجت ، فضربها ضربة ، جرحت رأسها ولم تقتلها ، فثارت الحية فقتلتها ، ورجعت إلى جحرها ، فقام أخوه ، فدفننه وأقام حتى إذا كان من الغد ، خرجت الحية معصوباً رأسها ، ليس معها شيء ، فقال لها : ياهذه ، إني والله ما رضيت ما أصابك ، ولقد نهيت أخى عن ذلك ، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضرينى ولا أضرك ، وترجعين إلى ما كنت عليه ؟ قالت الحية : لا ، قال : ولم ذلك ؟ قالت : إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لى أبداً ، وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبداً ، وأنا أذكر هذه الشجّة ^(٣) ، وأنشدهم شعر النابغة :

فقلت أرى قبراً تراه مُقابلى وضربةً فأس فوق رأسى فاغره

[١] البذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درم أو سبعة آلاف دينار .

[٢] الصفاة : الحجر الصلب الضخم . [٣] راجع مجمع الأمثال للميداني ٢ : ٦١ في اللؤلؤ :

« كيف أعادوك وهذا أثر فاسك » .

فيا معشر قريش وليكم عمر بن الخطاب ، فكان فظاً غليظاً مضيقاً عليكم ، فسيويعم
له وأطعتم ، ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ، فعَدَّوتم عليه فقتلتموه ، وبعثنا عليكم
« مساماً » ^(١) يوم الحرّة فقتلناكم ، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا
أبداً ، وأنتم تذكرون يوم الحرّة ، ونحن لا نحكم أبداً ونحن نذكر قتل عثمان .
(مروج الذهب ٢ : ١٢٩)

١٦٨ - خطبته وقد علم بخروج ابن الأشعث

ولما ورد إليه كتاب الحجاج ينبئُهُ بخروج ابن الأشعث ، خرج إلى الناس
فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن أهل العراق طال عليهم عمرى ، فاستعجلوا قدّرى ، اللهم سلط عليهم
سيوف أهل الشام ، حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك ، لم يجاوزوا إلى سخطك » .
ثم نزل . (تاريخ الطبرى ٨ : ١٠)

١٦٩ وصيته لبعض أمرائه

وأوصى عبد الملك أميراً سيّره إلى أرض الروم ، فقال :
« أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالْمُضَارِبِ الْكَيْسِ الذى إن وجد ربّحاً
اتّجر ، وإلاّ تحفّظ برأس المال ، ولا تطلب النّيمة حتى تُحرّز السلامة ، وكن
من احتيالك على عدوك ، أشدّ حذراً من احتيال عدوك عليك » .
(العقد الفريد ١ : ٤١)

[١] هو مسلم بن عقبة المرتضى صاحب وقعة الحرّة ، وذلك أن أهل المدينة كانوا كرهوا خلافة يزيد بن معاوية
وخلعوه وحسروا من كان بها من بنى أمية وأخافوهم ، فوجه إليها مسلم بن عقبة فحاصرها من جهة الحرّة ،
« موضع بظاهر المدينة » ودحاها ، ودعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم
وأهلهم ما شاء ، وقد أباح المدينة ثلاثاً : فقتل ، ونهب ، وسبي . قيل إن الرجل من أهل المدينة بعد ذلك
كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ، ويقول لعالمها افتصت في وقعة الحرّة . « وكانت في ذى الحجة من
سنة ٦٣ هـ » .

١٧٠ — وصيته للشَّعبِ

وروى المسعودى فى مروج الذهب قال :

ولما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان ، تأقت نفسه إلى محادثة الرجال والأشراف فى أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمناذمته غير الشعبى ، فلما حُمل إليه ونادمه ، قال له :

« يا شعبى ، لا تساعِدْنى على ما قُبِحَ ، ولا تَرُدَّ على الخطأ فى مجلسى ، ولا تكلفنى جوابَ التَّشْمِيتِ ^(١) والتهنئة ، ولا جوابَ السؤال والتعزية ، ودع عنك (كيف أصبح الأمير ، وكيف أمسى) . وكلنى بقدر ما أَسْتَطِيعُكَ ، واجعل بدل المدح لى ، صوابَ الاستماع منى ، واعلم أنَّ صوابَ الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سَمِعْتَنى أتحدث ، فلا يفوتنَّك منه شىء ، وأرِني فهمك من طَرَفِكَ وسَمْعك ، ولا تُجْهِدْ نفسك فى نَظَرِ ^(٢) صوابى ، ولا تستدع بذلك الزيادة فى كلامى ، فإن أسوأ الناس حالا من استكدَّ الملوك بالباطل ، وإن أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم ، واعلم يا شعبى أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ، ويُسْقِطُ حقَّ الحرمة ، فإن الصمت فى موضعه ، ربما كان أبلغ من النطق فى موضعه ، وعند أصابته وفرصته » . (مروج الذهب ٢ : ١٠٩)

١٧١ — وصيته لآخيه عبد العزيز بن مروان

وأوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر فقال :

« ابسُطْ بِشْرِكَ ، وألِنْ كَنَفَكَ ، وآثِرِ الرفق فى الأمور ، فإنه أبلغ بك ،

[١] التَّشْمِيت : الدَّاءُ للعاطس . [٢] فى الأصل « فى نظرية صوابى » وأراء محرفا ، والنظر : الانتظار .

وانظر حاجبك ، فليكن من خير أهلك ، فإنه وجهك ولسانك ، ولا يَقِفَنَّ أحد
ببابك إلا أعلمك مكانه ، لتكون أنت الذى تأذن له أو تُرْده ، وإذا خرجت إلى
مجلسك فابدأ بالسلام ، يأنسوا بك ، وتنبئت في قلوبهم محبتك ، وإذا انتهى إليك
مُشْكِل ، فاستظهر عليه بالمشاورة ، فإنها تفتح مغاليق ^(١) الأمور ، وإذا
سَخِطت على أحد فأخّر عقوبته ، فإنك على العتوبة بعد التوقف عنه ، أقدرُ منك
على رُدّها بعد إمضاءها . (البخارى ١١٣)

١٧٢ — وصيته لولده عند وفاته

نظر عبد الملك إلى ابنه الوليد وهو يبكى عليه عند رأسه ، فقال :
« يا هذا أحنين الحمامة ؟ إذا أنا ميتٌ فشمّر واتّرر ، والبسْ جلدَ نمر ، وضع
سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه لك ، فاضرب عنقه ، ومن سكت مات
بدائه ، ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا ، فقال : « إن طويلكِ لتقصير ، وإن كثيرك
لقليل ، وإن كنا منك لفي غرور » . ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم
بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجُنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المعاد ،
وهى أحسن كهف ، وليعطِف الكبير منكم على الصغير ، ويعرف الصغير حق
الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذِ بِجميل الأمور ، وإياكم والبغى والتحاسد ،
فبهما هلك الملوك الماضون ، وذوو العز المسكين . يا بني : أخوكم مَسْأمة ناكم الذى
تَقْرؤون ^(٢) عنه ، ومَجَنِّكم ^(٣) الذى تستجئون به ، اصدُرُوا عن رأيه ، وأكرموا

[١] جمع مَفْلَق بكسر الميم وهو ما يفلق به الباب . [٢] فرّ الدابة : كشف عن أسنانها لينظر

ما سنها . [٣] المجن : الترس .

الحجّاج ، فإنه الذى وطأ لكم هذا الأمر ، كونوا أولادا أبراراً ، وفى الحروب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، وعليكم السلام . (مروج الذهب ٢ : ١٥٤)

١٧٣ — خطبة للوليد بن عبد الملك بعد دفن أبيه (توفى سنة ٩٦ هـ)

لما رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس : الصلاة جامعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس إنه لا مؤخر لما قدّم الله ، ولا مقدّم لما أخر الله ، وقد كان من قضاء الله ، وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه ، وخملة عرشه من الموت موتٌ ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزاً ، ولا وائياً ، ولا مفرطاً ، فعايكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفذّ ، وهو من الجماعة أبعد ، واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ، ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكّت مات بدائه . »

ثم نزل . (العقد الفرد ٢ : ١٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٨ : ٥٩)

١٧٤ — خطبة لسليمان بن عبد الملك (توفى سنة ٩٩ هـ)

الحمد لله . ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك باكياً ، وتُبكي ضاحكاً ، وتُخيف آمناً ، وتؤمّن خائفاً ، وتُفقر مثرى ، وتُثرى مُقتراً^(١) ، مَيْالَةً غرّارة ، لعبابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماماً ، وارتضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب بعده ، واعلموا

[١] من أقر ، أى اشقر .

عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان ، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفّس ، ظلام الليل إذا عَسَسَ (١) .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٣ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ ، والبيان والتبيين ١ : ١٦٦)

خطب عمر بن عبد العزيز (توفي سنة ١٠١ هـ)

١٧٥ - أولى خطبه

قال المُتَبَيِّن : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله :
« أيها الناس ، أصلحوا سرائركم ، تصلح لكم علائيتكم ، وأصلحوا آخرتكم ،
تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمُعْرِق فى الموت » .
(العقد الفريد ٢ : ١٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢١٧)

١٧٦ - خطبة أخرى

وروى المسعودى فى مروج الذهب ، أنه لما أفضى إليه الأمر ، كان أول
خطبة خطب الناس بها أن قال :
« أيها الناس ، إنما نحن من أصول قد مضت فروعها ، فما بقاء فرع بعد
أصله ؟ وإنما الناس فى هذه الدنيا أغراض (٢) تنتضل فيهم المنايا ، وهم فيها نُصَب
المصائب ، مع كل جرعة شَرَق (٣) ، وفى كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة
إلا بفراق أخرى ، ولا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ منكم يوماً من عمره إلا بهَدْمٍ آخر من أجله » .
وأورد القالى فى الأمالى هذه الخطبة بصورة أطول ، وهى :
« ما الجزع مما لا بُدَّ منه ، وما الطمع فيما لا يُرْجى ، وما الحيلة فيما سيزول ؟

[١] تنفّس المبعج : أسفر ، وعسس الليل : أقبل ظلامه (أو أدبر) . [٢] جمع غرض وهو الهدف واحتضت : تناضت وتبارت فى الرمى . [٣] شرق بريقه : غص .

وإنما الشيء من أصله ، فقد مَضَتْ قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟ إنما الناس في الدنيا أغراض تنتضل فيهم المنايا ، وهم فيها نَهَب للمصائب ، مع كل جرعة شَرَق ، وفي كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمّر مُعَمَّر يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، وأتم أعوان الختوف على أنفسكم ، فأين المَهْرَب مما هو كائن ؟ وإنما نتقلب في قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم ، مع عظيم الفائدة غداً ، وأكبر خيبة الخائب فيه ، والسلام .

(مروج الذهب ٢ : ١٦٨ ، والأمالى ٢ : ١٠٢ ، وسيرة عمر بن العزيز لابن الجوزى ص ٢١٣)

١٧٧ - خطبة أخرى

وروى أنه لما دَفَنَ سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سَمِعَ للأرض رَجَّةً ، فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مَرَاكِبُ الخلافة يا أمير المؤمنين ، قُرِبَتْ إليك لتركبها ، فقال : مَالِي وَلَهَا ؟ نَحْوُهَا عَنِي ، قَرُّبُوا إِلَيَّ بَغْلَتِي ، فقربت إليه فركبها ، وجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال : تنحَّ عني ، مالي ولك ؟ إنما أنا رجل من المسلمين ، فسار وسار معه الناس ، حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فقال :

« أيها الناس : إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأيٍ كان مني فيه ، ولا طَلِبَةٌ له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من يَبِيعَتِي ، فاختاروا لأنفسكم » .

فصاح الناس صيحةً واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فَلَ أَمَرْنَا بِالْيُمْنِ والبركة ، فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضي به الناس جميعاً ،

حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله عز وجل خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه ، وأصلحوا سرائرهم ، يصلاح الله الكريم علايتكم ، وأكثروا ذكر الموت ، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، فإنه هادم اللذات ، وإن من لا يذكر من آباءه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أباحياً لمعرق في الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل ، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم ، ولا في كتابها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطى أحداً باطلاً ، ولا أ منع أحداً حقاً ، إني لست بخازن ، ولكني أضع حيث أمرت . أيها الناس : إنه قد كان قبلي ولاية تجترئون^(١) مودتهم ، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٥٣ - ٢٠١ ، ولابن عبد الحكم ص ٣٩)

١٧٨ — خطبة أخرى

وروى أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها : حمد الله

وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقر بنا : يرفع إلينا حاجة

من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي

إليه ، ولا يفتان عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه .

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل ، حتى يخالف قوله فعله .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٦)

١٧٩ - خطبة أخرى

وصعد المنبر : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس ، إنه ليس بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ، فما أحلّ الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرّم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا إني لست بقاضٍ ، ولكني منفذ لله ، ولست بمبتدع ، ولكني متبّع ، ألا إنه ليس لأحد أن يُطاع في معصية الله عز وجل ، ألا إني لست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً . يا أيها الناس : إن أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم . »

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٥٦ ، وص ١٩٨ ، ولابن عبد الحكم ص ٢٨ ،

ومروج الذهب ٢ : ١٦٨)

١٨٠ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أيها الناس ، إنكم ميتون ، ثم إنكم مبعوثون ، ثم إنكم محاسبون ، فلمعمرى لأن كنتم صادقين لقد قصّرتُم ، وإن كنتم كاذبين لقد هلكتم . يا أيها الناس ، إنه من يقدر له رزق برأس جبل ، أو بحضيض أرض يأتيه ، فأجملوا في

الطلب . (إعجاز القرآن ص ١٢٤ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨)

١٨١ — خطبة أخرى

وخطب فقال :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دارٌ كَتَبَ اللهُ عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظَّعَنَ ، فكم عابِرٍ مُؤْتَقٍ عما قليلٍ يَخْرُبُ ، وكم مُقِيمٍ مُتَعَبِّطٍ عما قليلٍ يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرِّخْلَةَ ، بأحسنِ ما يحضركم من النُّقْلَةِ : وَتَرَوْدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . إنما الدنيا كَفْيٌ^(١) ظِلَالٌ قَلَصَ فذهب ، بينا ابنُ آدم في الدنيا منافس ، وبها قريرُ عينٍ ، إذ دعاه الله بقَدَرِهِ ، ورماه بيوم حَتْفِهِ ، فسلبه آثاره ودياره ودياه ، وصيرَ لقوم آخرين مَصَانِعَهُ وَمَغْنَاهُ^(٢) ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تَصُرُّ ، إنها تسُرُّ قليلاً ، وتَجُرُّ حزناً طويلاً .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٧ و ص ٢٢١)

١٨٢ — خطبة له يوم عيد

وخطب يوم عيد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل ، ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَجَدْتُ هَذَا الْقَلْبَ لَا يَعْبُرُ عَنْهُ إِلَّا اللِّسَانُ ، وَلَعَمْرِي — وَإِنْ لِعَمْرِي مِنْي لِحَقًّا^(٣) — لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ عَبْدٌ ابْتُئِلَ بِسَمْعَةٍ ، إِلَّا نَظَرَ قَطِيعًا مِنْ مَالِهِ ، يَجْعَلُهُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ ، بَدَأَتْ أَنَا بِنَفْسِي وَأَهْلِي بَيْتِي ، ثُمَّ كَانَ النَّاسُ بَعْدُ » .

[١] البؤ : ما كان شمساً فيفسخه الظل ، وقلص الظل كضرب : انقبض . [٢] المصانع : المباني من القصور والحصون ، والمغنى : المنزل . [٣] العمر بالفتح والضم : الحياة ، والتزموا المفتوح في القسم خاصة تخفيفاً ، لكثرة استعماله فيه .

ثم كَانَ آخر كلمة تكلم بها حين نزل : « لولا سُنَّةُ أَحْيَيْتُهَا ، أو بدعة أَمْتُهَا ،
لم أَبَالِ أَنْ لَا أَبْقَى فِي الدُّنْيَا إِلَّا فُؤَادًا ^(١) » . (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٠١)

١٨٣ — خطبة له

وخطب فقال :

« أما بعد : أيها الناس ، فَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ ، وَلَا يَبْعُدَنَّ عَنْكُمُ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ مِنْ زَافَتٍ ^(٢) بِهِ مَنِيَّتُهُ ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ، لَا يَسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئٍ ،
وَلَا يَزِيدُ فِي حَسَنٍ ، أَلَا لَا سَلَامَةَ لِمَرِيٍّ فِي خِلَافِ السُّنَّةِ ، وَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ
فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، أَلَا وَإِنْكُمْ تَعُدُّونَ الْهَارِبَ مِنْ ظُلْمِ إِمَامِهِ عَاصِيًا ، أَلَا وَإِنْ أَوْلَاهُمَا
بِالْمَعْصِيَةِ الْإِمَامُ الظَّالِمُ ، أَلَا وَإِنِّي أَعَالِجُ أَمْرًا لَا يُعِينُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ ، قَدْ فَنِي عَلَيْهِ
الْكَبِيرُ ، وَكَبُرَ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ ، وَفُصِّحَ عَلَيْهِ الْأَعْجَمِيُّ ، وَهَاجَرَ عَلَيْهِ الْأَعْرَابِيُّ ، حَتَّى
حَسِبُوهُ دِينًا ، لَا يَرَوْنَ الْحَقَّ غَيْرَهُ » . ثم قال : « إِنَّهُ لَحَبِيبٌ إِلَى أَنْ أَوْفَرَ أَمْوَالَكُمْ
وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٤٠ ، ولابن الجوزي ص ٢٠٤)

١٨٤ — خطبة أخرى ✓

وصعد ذات يوم المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إِنَّمَا يُرَادُ الطَّيِّبُ لِلْوَجَعِ الشَّدِيدِ ، أَلَا فَلَا وَجَعَ أَشَدُّ مِنْ
الْجَهْلِ ، وَلَا دَاءٌ أَخْبَثُ مِنَ الذَّنُوبِ ، وَلَا خَوْفٌ أَخْوَفُ مِنَ الْمَوْتِ » . ثم نزل .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٠٧)

[١] الفؤاد كخراش ويفتح : ما بين الحلبتين من اوقت أو ما بين يفتح يدك وقبضها على الضرع .

[٢] من زافت المأمة : إذا نشرمت جناحيها وذنبها وسحبتهما على الأرض ، وفي رواية : « وافته »

١٨٥ - خطبة أخرى

وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا ^(١) ، والله ما كان لهم أن يُعْطُونَاهَا ، وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار إلى ، ليس على فيه دون الله محاسبٌ ، إلا وإني قد ردّدتها ، وبدأت بنفسي وأهل بيتي » اقرأ يا مُزَاحِم - وكان مولاه -

وقد جيء قبل ذلك بسفط فيه تلك الكتب ، فقرأ مزاحم كتاباً منها ، ثم ناوله عمر ، وهو قاعد على المنبر وفي يده جَلم ^(٢) ، فجعل يقصّه ، واستأنف مزاحم كتاباً آخر فقرأه ، ثم دفعه إلى عمر فقصّه ، فما زال حتى نُودي بصلاة الظهر .
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٠٨)

١٨٦ - خطبة له

وكان يخطب فيقول :

« أيها الناس : من أَلَمَّ بذنب فليستغفر الله عزَّ وجلَّ وليتُب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإنما هي خطايا مطوّقة في أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرارُ عليها » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٨)

١٨٧ - خطبة له

وخطب الناس بعد أن جمعهم فقال :

« إني لم أجمعكم لأمرٍ أحدثته ، ولكنني نظرت في أمر معادكم ، وما أنتم إليه صائرون ، فوجدت المصدق به أحق ^(٣) ، والمكذب به هالكاً . ثم نزل .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم ص ٣٩)

[١] يريد آباءه وما ورثوه إياه . [٢] مقص . [٣] أي أحق بثواب الله ونعيم جنته .

١٨٨ - خطبة له

وخطب فقال :

« أيها الناس ، لا تستصغروا الذنوب ، والتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهَ ، وقال عز وجل : « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .
(العقد الفريد ٢ : ٢٧٩)

١٨٩ - خطبة له

وخطب فقال :

« إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرغبوا ورهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد ، فتقشروا قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد إمساؤه ، ولا يمسي بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك خطافات المنايا ، فكم رأينا ورأيتم مَنْ كَانَ بالدنيا مغترّاً ، فأصبح في حبائل خطوبها ومناياها أسيراً ، وإنما تقرَّ عين^(١) من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح مَنْ آمِنَ من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ من كَلَمٍ إِلَّا أصابه جرح من ناحية أخرى ، فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي ، فتخسر صفقتي ، وتظهر عورتى ، وتبدو مسكنتى ، فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازن منصوبة ، والجوارح ناطقة ، فلقد عُنيتم بأمر لو عُنيَت

[١] قرت عينه : بردت واتقطع بكاؤها ، أو رأت ما كانت متشوفة إليه .

به النجوم لا تكدرت ، ولو غنيت به الجبال لذابت ، أو الأرض لا تقطرت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى إحداها ؟ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٧٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٩٦)

١٩٠ — خطبة له

وروى أنه قال :

« من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح ديناه ، فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة مُنْجِيَّة في العواقب ، فالزموها ، الرزق مقسوم ، فلن يعدو ^(١) المؤمن ما قُسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع ^(٢) سعة وبلغة ، وكفافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ^(٣) ، وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله ، وعالينتم تعجيل إخراجهم ، وقسمة ثرائهم ، ووجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، كأن لم يخالط إخوان الحفاظ ^(٤) ، ولم يعمّر الديار ، فاتقوا هول يوم لا يحقر فيه مثقال ذرة في الموازين . »

(تاريخ الطبري ٨ : ١٤٠ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٠٥)

١٩١ — خطبة له

وقال : « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعدد

[١] وفي رواية : « فلن يغدر » ، أغدره وغادره : تركه . [٢] الفروع : الرضا بالقسم (وهو أيضا السؤال والتذلل) . [٣] ساق المريض : شرع في نزاع الروح . [٤] أى المراقبة على وده .

كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومُعَوَّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه ، فأعاضه مما انتزع منه الصبر ، إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : « إِنَّمَا يُؤَتَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

(تاريخ الطبري ٨ : ١٤١ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٣)

١٩٢ — خطبة له

وحدث شبيب بن شيبّة ، عن أبي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ، ونبدؤهم بالسلام ، فخرج علينا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه في يوم عيد ، وعليه قميص كَتَّان ، وِعِمَامَةٌ على قلنسوة لاطئة^(١) ، فثَلَّنا بين يديه ، وسامنا عليه . فقال : مَهْ أَنْتُمْ جَمَاعَةٌ وَأَنَا وَاحِدٌ ، السَّلامُ عَلَيَّ ، وَالرَّدُّ عَلَيْكُمْ ، وَسَلَامُ فَرَدَدْنَا ، وَقُرَّبْتُ لَهُ دَابَّتَهُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا ، وَمَشَى وَمَشِينَا ، حَتَّى صَعَدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَدِدْتُ أَنْ أَغْنِيَاءَ النَّاسِ اجْتَمَعُوا ، فَرَدُّوا عَلَى فَقَرَاءَتِهِمْ ، حَتَّى نَسْتَوِيَ نَحْنُ بِهِمْ ، وَأَكُونَ أَنَا أَوْلَهُمْ » ، ثُمَّ قَالَ : « مَالِي وَلِلدُّنْيَا ؟ أَمْ مَالِي وَلِهَا ؟ وَتَكَلَّمُ فَأَرْقُ : حَتَّى يَكِيَ النَّاسُ جَمِيعًا ، يَمِينًا وَشِمَالًا » ، ثُمَّ قَطَعَ كَلَامَهُ وَنَزَلَ ، فَدَنَا مِنْهُ رَجَاءُ ابْنِ حَيَّوَةَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلَّمْتَ النَّاسَ بِمَا أَرْقَى قُلُوبَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ ، ثُمَّ قَطَعْتَهُ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَارَجَاءُ إِنِّي أَكْرَهُ الْمُبَاهَاةَ » .

(العقد الفريد ٢ : ١٤٣)

١٩٣ — آخر خطبة له

وخطب بِمُخَاصِرَةٍ^(٢) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات ! رحمه الله تعالى

[١] لاطئة : لازقة . [٢] مُخَاصِرَةٌ : بلد بالشَّام من عمل حلب .

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنكم لم تُخلَقوا عَبَثًا ، ولم تُتْرَكوا مُدَى ، وإن لكم مَعَادًا يحكم الله فيه بينكم ، نَخَاب وخَسِر من خرج من رَحمة الله ، التي وَسِعَتْ كل شَيْءٍ ، وَحُرِمَ الْجَنَّةُ التي عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ ، وَاَعْلَمُوا أَنَّ الأَمَانَ غَدًا لمن خاف ربه ، وباع قليلًا بكثير ، وفانيًا بيباق ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أُسْلَاب ^(١) المَالِكِينَ ، وسيُخَلَّفُهَا من بَعْدكم الْبَاقُونَ ، كَذَلِكَ حَتَّى تُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ، ثُمَّ أَنتُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشِيعُونَ غَادِيًا وَرَآئِحًا إِلَى اللَّهِ ، قَدْ قَضَى نَحْبُهُ ^(٢) ، وَبَلَغَ أَجَلُهُ ، ثُمَّ تَغِيَّبُونَهُ فِي صَدْعٍ ^(٣) من الأَرْضِ ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ غَيْرَ مُؤَسَّدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ ، قَدْ خَلَعَ الْأَسْبَابَ ، وَفَارَقَ الْأَحْبَابَ ، وَوَاجَهَ الْحِسَابَ ، مَرْتَهَنًا بِعَمَلِهِ ، غَنِيًا عَمَّا تَرَكَ ، فَقِيرًا إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَايْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ ، وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، وَمَا تَبَلَّغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ حَاجَةً ، يَتَسَّعُ لَهَا مَا عِنْدَنَا إِلَّا سَدَدْنَا ، وَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَدِدْتُ أَنْ يَدُهُ مَعَ يَدِي ، وَلُحْمَتِي ^(٤) الَّذِينَ يَلُونَنِي ، حَتَّى يَسْتَوِيَ عَيْشُنَا وَعَيْشُكُمْ ، وَايْمُ اللَّهِ أَنِّي لَوَأْرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ ، ^(٥) لَكَانَ اللِّسَانُ مِنِّي نَاطِقًا ذَلُولًا ، عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ ، لَكِنَّهُ مَضَى مِنْ اللَّهِ كِتَابَ نَاطِقٍ ، وَسُنَّةَ عَادِلَةٍ ، دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَنَهَى فِيهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ » ، ثُمَّ بَكَى ، فَتَلَقَّى دُمُوعَ عَيْنَيْهِ بِطَرْفِ رِدَائِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَلَمْ يُرَ عَلَى تِلْكَ الْأَعْوَادِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٠ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٨ : ١٤٠ ، وشرح

ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٧٠ ، والأعاني ٨ : ١٥٢ ، وعبود الأخبار م ٢ : ص ٢٤٦ ،

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٢٢ ، ولان عبد الحكم ص ٤١ و ١٣٦)

[١] جمع سلب بالتحريك وهو ما يسلب . [٢] الحب : الأجل ، والحاجة ، والنذر .

[٣] شق . [٤] اللحمة : القرابة . [٥] الغضارة : النعمة ، والسمة ، والحطب .

١٩٤ — خطبة أخرى

وروى أن آخر خطبة خطبها رحمه الله : حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس : الحقوا ببلادكم ، فإنى أنساكم عندي ، وأذكركم ببلادكم ، ألا
وإني قد استعملت عليكم رجالا ، لا أقولُ لهم خيارُكم ، ولكنهم خير ممن هم شرٌّ
منهم ، ألا فمن ظلمه عاملُهُ بِمَظْلَمَةٍ فلا إذنَ له عليّ ^(١) ، ألا وإني منعتُ نفسي
وأهل بيتي هذا المالَ ، فإن صدقتُ به عليكم إني إذن لظنين ، والله لولا أن
أنعش ^(٢) سُنَّة ، أو أسير بحق ، ما أحيت أن أعيش فُواقًا .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٠ ، ولابن عبد الحكم ص ٣٩)

١٩٥ — كلامه في مرضه الذي مات فيه

ودخل عليه مَسْلَمَةُ بن عبد الملك في المَرَضَةِ التي مات فيها ، فقال له : يا أمير
المؤمنين : « إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركهم عالة ^(٣) ، ولا
بد من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إلىّ أو إلى نظرائك من أهل بيتك ،
لكفيتك مَثُوتهم إن شاء الله » ، فقال عمر : أجلسوني . فأجلسوه ، فقال :
« الحمد لله ، أبا لله تخوفني يا مَسَامَةَ ! أما ما ذكرت من أني فطمت أفواه
ولدي عن هذا المال ، وتركهم عالةً ، فإنى لم أمنعهم حقًا هولهم ، ولم أعطيهم
حقًا هو لغيرهم ؛ وأما ما سألت من الوَصَاةِ إليك ، أو إلى نظرائك من أهل
بيتى ، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتوَلَّى الصالحين ، وإنما
بنو عمر أجد رجلين : رجل اتقى الله ، فجعل الله له من أمره يُسرًا ، ورزقه من

[١] أى يدخل على بلا إذن ، لا يجوز بيني وبينه حاجب . [٢] نعشه كنع وأنعشه : رضعه .

[٣] قراء جمع حائل من حال يعيل عيلة (بفتح العين) أى افقر .

حيث لا يَحْتَسِب ، ورجل غَيْرٌ وَفَجَّر ، فلا يكون عمرُ أولٍ من أعانه على ارتكابه ، ادعُوا لى بَنِي ، فدَعَوْهم ، وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ، فجعل يصعدُ بصره فيهم ويصوبه ، حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : « بنفسى فِتيةٌ تركتهم ولا مالَ لهم ! يا بَنِي : إني قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حقٌّ واجبٌ إن شاء الله ، يا بني مَيِّلتُ ^(١) رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بَنِي عَصَمَكُم الله ورزقكم . قالوا : فما احتاج أحد من أولاد عمر ، ولا افتقر .

(العقد الفريد ٢ : ٢٨٠ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٨٠)

١٩٦ — مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج

خرج سنة مائة بالجزيرة شَوْذَبُ الخارجيِّ - واسمه بِسْطَام ، من بني يشكر - فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ، ولست أُولَى بذلك مني ، فَهَلُمَّ إِلَيَّ أَنَاظِرْكَ ، فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ بِأَيْدِينَا ، دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كَانَ فِي يَدِكَ ، نظرنا في أمرك ، فكتب بِسْطَام إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثتُ إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حَبَشِيًّا اسمه عاصم ، ورجلا من بني يَشْكُر ، فقدمَا على عمر بِخُنَاصِرَةٍ ، فَأُخْبِرَ بِمَا كَانَهُمَا ، فقال : فَتَشَوْهُمَا لَا يَكُنْ مَعَهُمَا حَدِيدٌ وَأَدْخُلُوهُمَا ، فلما دخلا قالَا : السلام عليك ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبراني ، ما الذي أخرجكم مُخْرَجَكُم هذا ؟ وما نَقَمْتُم علينا ؟ فقال عاصم : ما نقمنا سيرتك ، إنك لتتحرى العدل والإحسان ،

[١] التميل بين الشيئين كالترجيح بينهما ، تقول العرب : إني لأميل بين ذينك الأمرين ، وأمايل بينهما أيهما آتى .

فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ، أعن رضا من الناس ومَشورة ، أم ابتزتم أمرهم ؟ فقال عمر : ماسألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ، وَعَهْدٌ إِلَى رَجُلٍ كَانَ قَبْلِي ، فَقُمْتُ وَلَمْ يَنْكَرْهُ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَمْ يَكْرَهُهُ غَيْرُكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ الرِّضَا بِكُلِّ مَنْ عَدَلَ وَأَنْصَفَ ، مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ ، فَاتْرَكُونِي ذَلِكَ الرَّجُلَ ، فَإِنْ خَالَفتَ الْحَقَّ وَرَغِبْتَ عَنْهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ، فَقَالَا : بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَمْرٌ ، إِنْ أَنْتَ أَعْطَيْتَنَاهُ ، فَجَحَنَ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنَّا ، وَإِنْ مَنَعْتَنَاهُ ، فَلَسْتَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْكَ ، فَقَالَ عُمَرُ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَا : رَأَيْتَ خَالَفتَ أَعْمَالَ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وَسَمِيتَ بِهَا مَظَالِمَ ، وَسَلَكْتَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ ، فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ عَلَى هَدًى وَهُمْ عَلَى ضَلَالٍ ، فَالْعَنْهُمْ وَتَبَرَّأْ مِنْهُمْ ، فَهَذَا الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَوْ يُفَرِّقُ ، فَتَكَلَّمْ عُمَرُ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ لَمْ تَخْرُجُوا تَخْرُجُكُمْ هَذَا لَطْلُبُ دُنْيَا وَمَتَاعِهَا ، وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ الْآخِرَةَ ، فَأَخْطَأْتُمْ سَبِيلَهَا ، إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَانَا ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ». وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ اقْتَدِهْ ». وَقَدْ سَمِيتَ أَعْمَالَهُمْ ظَالِمًا ، وَكُنِيَ بِذَلِكَ ذِمًّا وَنَقْصًا ، وَلَيْسَ لَعْنُ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَرِيضَةً لَا بَدَّ مِنْهَا ، فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّهَا فَرِيضَةٌ ، فَأَخْبِرْنِي مَتَى لَعَنْتَ فِرْعَوْنَ ؟ قَالَ : مَا أَذْكَرَ مَتَى لَعَنْتَهُ ، قَالَ : أَفَيَسَعُكَ أَنْ لَا تَلْعَنَ فِرْعَوْنَ وَهُوَ أَخْبَثُ الْخَلْقِ وَشَرُّهُمْ ، وَلَا يَسْمَعُنِي أَنْ لَا أَلْعَنَ أَهْلَ بَيْتِي وَهُمْ مَصْلُونٌ صَائِمُونَ . قَالَ : أَمَّا هُمْ كَفَّارٌ بِظُلْمِهِمْ ؟ قَالَ : لَا ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَكَانَ مَنْ أَقْرَبَ بِهِ وَبِشْرَائِعِهِ قَبْلَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا نَزَلَ مِنْ

عنده ، قال عمر : فليس أحد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم ، على علم منهم أنه محرم عليهم ، ولكن غلب عليهم الشقاء قال عاصم : فأبرأ ممن خالف عملك ، ورُدَّ أحكامهم . قال عمر : أخبراني عن أبي بكر وعمر : أليْسَ مِنْ أَسْلَافِكَا وَمِنْ تَتَوَلِيَانِ . وتشهدان لهما بالنجاة ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل علمتما أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارتدت العرب ، قاتلهم فسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وسب الذراري ؟ قال : نعم . قال : فهل علمتم أن عمر قام بعد أبي بكر ، فردَّ تلك السبايا إلى عشائرها بفدية ؟ قال : نعم . قال : فهل برئ عمر من أبي بكر ، أو تبرءون أنتم من أحد منهما ؟ قال : لا . قال : فأخبراني عن أهل النهرَوان ، أليسوا من صالحى أسلافكم ، ومن تشهدون لهم بالنجاة ؟ قال : بلى . قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفؤاً أيديهم فلم يسفكوا دمًا ، ولم يُخيفوا آمنًا ، ولم يأخذوا مالا ؟ قال : نعم . قال : فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن قديك ، استعرضوا الناس يقتلونهم ، ولقوا عبد الله بن خبَّاب بن الأرت : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلوه وقتلوا جاريته ؟ ثم صبَّحوا حيًّا من أحياء العرب فاستعرضوهم ، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال ، حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الأَاقِط^(١) ، وهى تفور ؟ قال : قد كان ذلك . قال : فهل برئ أهل البصرة من أهل الكوفة ، وأهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قال : لا . قال : فهل تبرءون أنتم من إحدى الطائفتين ؟ قال : لا . قال : أرايتم الدين واحدًا أم اثنين ؟ قال : بل واحدًا . قال : فهل يسعكم فيه شيء يعجز عنى ؟ قال : لا . قال : فكيف

[١] الأقط بفتح الهمزة وكسرها : شئ ، يتخذ من الخيض الغنمى .

وسِعِمَ أَنْ تَوَلَّيْتُمْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَتَوَلَّيْتُمْ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ ، وَتَوَلَّيْتُمْ أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ ، وَتَوَلَّيْتُمْ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ ، فِي الدِّمَاءِ وَالْفُرُوجِ وَالْأَمْوَالِ ، وَلَا يَسْعُنِي فِيمَا زَعَمْتُمْ إِلَّا لَعْنُ أَهْلِ يَدَيِ وَالتَّبَرُّؤُ مِنْهُمْ ؟ وَتَحْكُمُ ! إِنْكُمْ قَوْمٌ جَهَالٌ ، أَرَدْتُمْ أَمْرًا فَأَخْطَأْتُمُوهُ ، فَأَنْتُمْ تَرُدُّونَ عَلَى النَّاسِ مَا قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ مَنْ خَافَ عِنْدَهُ ، وَيَخَافُ عِنْدَكُمْ مَنْ أَمِنَ عِنْدَهُ . قَالَا : مَا نَحْنُ كَذَلِكَ . قَالَ عُمَرُ : بَلْ سَوْفَ تُقَرِّونَ بِذَلِكَ الْآنَ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ عِبْدَةٌ أَوْثَانٌ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى خَلْعِ الْأَوْثَانِ ، وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ حَقَّقَ دَمَهُ ، وَأَحْرَزَ مَالَهُ ، وَوَجِبَتْ حُرْمَتُهُ ، وَكَانَتْ لَهُ أُسْوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَفَلَسْتُمْ أَنْتُمْ تَلْقَوْنَ مَنْ يَخْلَعُ الْأَوْثَانَ ، وَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَتَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ ، وَتَلْقَوْنَ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَأَبَاهُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ ، فَيَأْمَنُ عِنْدَكُمْ وَتَحْرُمُونَ دَمَهُ ؟ فَقَالَ الْيَشْكُرِيُّ : أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَلِيَ قَوْمًا وَأَمْوَالَهُمْ فَعَدَلَ فِيهَا ، ثُمَّ صَيَّرَهَا بَعْدَهُ إِلَى رَجُلٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ ، أَتَرَاهُ أَدَّى الْحَقَّ الَّذِي يُلْزِمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟ أَوْ تَرَاهُ قَدْ سَلِمَ ؟ قَالَ عُمَرُ : لَا . قَالَ : أَفَتَسَلِّمُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى يَزِيدَ ^(١) مِنْ بَعْدِكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَقُومُ فِيهِ بِالْحَقِّ ؟ قَالَ : إِنَّمَا وَلَاهُ غَيْرِي ، وَالْمُسْلِمُونَ أَوْلَى بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِيهِ بَعْدِي . قَالَ : أَفَتَرَى ذَلِكَ مِنْ صُنْعِ مَنْ وَلَاهُ حَقًّا ؟ فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ : أَنْظِرَانِي ^(٢) ثَلَاثًا ، نَخْرُجَا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ عَادَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ عَاصِمٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ ، فَقَالَ عُمَرُ لِلْيَشْكُرِيِّ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟

[١] هو يزيد بن عبد الملك ، وقد ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠١ - سنة ١٠٥ هـ) .

[٢] أمهلاني .

قال : ما أحسن ما وصفت ، ولكن لا أفئات على المسلمين بأمر ، أعرض عليهم ما قلت وأعلم حجتهم . فأما حاصم فأقام عند عمر ، فأمر له عمر بالعطاء ، فتوفي بعد خمسة عشر يوماً ، فكان عمر يقول : أهلكني أمر يزيد وخصيت فيه ، فاستغفر الله ، نخاف بنو أمية أن يُخرج ما بأيديهم من الأموال ، وأن يخلع يزيد من ولاية العهد ، فوضعوا على عمر من سقاه سماً ، فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثاً ، حتى مرض ومات .

(الكامل لابن الأثير ٥ : ١٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٧١ ، والعقد المريد ١ : ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٨ : ١٣١ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٣٠ ، ولان الجوزي ٧٧)

١٩٧ - تأييده ابنه عبد الملك

ولما دفن عمر بن عبد العزيز ابنه عبد الملك ، وسوى عليه قبره بالأرض ، وجعلوا على قبره خشبتين من زيتون ، إحداها عند رأسه ، والأخرى عند رجله ، استوى عمر قائماً ، وأحاط به الناس ، فقال :

« رحمك الله يا مبنى ، فقد كنت برّاً بأبيك ، والله ما زلتُ مذ وهبك الله لي بك مسروراً ، ولا والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ سروراً بك ، ولا أرجى لحظي من الله فيك ، منذ وضعتك في الموضع الذي صيرك الله إليه ، فغفر الله لك ذنبك ، وجازاك بأحسنِ عملك ، وتجاوز عن سيئاتك ، ورحم الله كل شافع يشفع لك بخير ، من شاهد أو غائب ، رضينا بقضاء الله ، وسلمنا لأمره ، والحمد لله رب العالمين . »

(البيان والتبيين ٢ : ١٨٢ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٢٦٤)

١٩٨ — خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد^(١)

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لظالم لها إن لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غضبا لله ودينه ، داعياً إلى الله ، وإلى سنة نبيه ، لما هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد^(٢) ، المستعجل لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في النسب ، وكفيتي^(٣) في الحسب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته ألا يكلمني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجايني من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس : إن لكم عليّ ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبنّة على لبنّة ، ولا أكرى^(٤) نهراً ، ولا أكنز مالا ، ولا أعطيه زوجاً ، ولا ولداً ، ولا أثقله من بلد إلى بلد ، حتى أسدّ فقر ذلك البلد وخصاصة^(٥) أهله ، فإن فضل فضل ،

[١] قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ليلتين بقيتا من جادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ ، وكان قبل الخلافة منهمكا في اللهو ، وشرب الخمر ، وانتهاك حرمة الله ، فلما أمست إليه الخلافة ، لم يزد إلا اغترافاً في اللذات ، واستهتاراً بالمعاصي ، ذلك إلى ما ارتكبه من إغصاب أكابر أهله ، والإساءة إليهم ، وتهميرهم ، فاحتدموا عليه مع أعيان رعيته ، وهجموا عليه وقتلوه ، وكان المتولى لذلك يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وقد ولى الخلافة بعده ، وتوفي هلال ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ . [٢] يشير إلى ما حدث من الوليد بن يزيد من أنه استفتح فألا في المصحف نخرج « وَأُسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » ، فصبه غرضاً للشباب وأقبل يرميه حتى مزقه ، وهو يقول :

أتوعد كل جبار عنيـد فهأنذاك جبار عنيـد

إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يارب مزقني الوليد

[٣] كفيتك وكفؤك بضم الكاف وكفؤك بكسرهما : مثله . [٤] كرى الزهر : استحدث حفره

[٥] الفقر والحاجة .

نقلته إلى البلد الذي يليه ، ولا أُجْرِكُمْ^(١) في بعوثكم ، فأفْتِنَكُمْ وأفْتِنَ أَهْلِيكُمْ ، ولا أُغْلِقْ بابي دونكم ، فإِذَا كَلَّ قُوَايُكُمْ ضَعِيفُكُمْ ، ولا أَحْمِلْ عَلَى أَهْلِ جَزِيَّتِكُمْ مَا أَجْلِيهِمْ بِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَأَقْطَعْ بِهِ نَسْلَهُمْ ، وَلَكُمْ عَلَى إِذْرَارِ الْعَطَاءِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَالرِّزْقِ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، حَتَّى يَسْتَوِيَ بَكُمْ الْحَالُ ، فَيَكُونَ أَفْضَلُكُمْ كَأَدْنَاهُمْ ، فَإِنْ أَنَا وَفَيْتُ لَكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَحَسَنُ الْمَوَازَرَةِ وَالْمَكَانِفَةِ^(٢) ، وَإِنْ لَمْ أَفِ لَكُمْ ، فَلَكُمْ أَنْ تَخْلَعُونِي إِلَّا أَنْ تَسْتَتِيبُونِي ، فَإِنْ أَنَا تَبَدَّدْتُ قَبْلَتُمْ مِنِّي ، وَإِنْ عَرَفْتُمْ أَحَدًا يَقُومُ مَقَامِي ، مِمَّنْ يُعْرَفُ بِالصَّلَاحِ ، يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِي أُعْطَيْتُكُمْ ، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تَبَايَعُوهُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعُهُ ، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ .

أيها الناس : إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وأقول قولي هذا ، وأستعصر الله العظيم لي ولكم .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٤ — ٢٩١ ، البيان والتبيين ٢ : ٦٩ ، المعرى ص ١٢٠)

١٩٩ لا وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه

لما وَلَّى يزيد بن معاوية سَلَمَ بن زياد بن أبيه على خراسان قال له :

« إن أباك كفى أخاه (يعني معاوية) عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً ، فلا

تَسْكِلْنِ عَلَى عَذْرَ مِنِّي لَكَ ، فَقَدْ اتَّكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مِنْكَ ، وَإِيَّاكَ مِنِّي قَبْلَ أَنْ

أَقُولَ إِيَّايَ مِنْكَ ، فَإِنَّ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ مِنْكَ أَخْلَفَ مِنِّي فِيكَ ، وَأَنْتَ فِي أَدْنَى

حَظِّكَ فَاطْلُبْ أَقْصَاهُ ، وَقَدْ اتَّبَعْتُكَ أَبُوكَ ، فَلَا تُرِيحَنَّ نَفْسَكَ ، وَكُنْ لِنَفْسِكَ

تَكُنْ لَكَ ، وَاذْكُرْ فِي يَوْمِكَ أَحَادِيثَ غَدِكَ تَسْعَدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(البيان والتبيين ٢ : ٧٦)

خطبة عتبة بن أبي سفيان ^(١) (توفي سنة ٤٤ هـ)

٢٠٠ — خطبة له في تهدد أهل مصر

بلغ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ شَيْءً فَأَغْضَبَهُ ، فَقَامَ فِيهِمْ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ :

« يَا أَهْلَ مِصْرَ ، إِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلسَّيْفِ حَصِيداً ^(٢) ، فَإِنَّ اللَّهَ فِيكُمْ ذَيْباً لِعِثْمَانَ ، أَرْجُو أَنْ يُولِّيَنِي نُسْكَهُ ، إِنْ اللَّهُ جَمَعَكُمْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْفِرْقَةِ ، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَكَانَ وَاللَّهِ أَذْكَرَكُمْ إِذَا ذُكِّرَ بِخُطْبَةٍ ، وَأَصْفَحَكُمْ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ عَنْ حَقِّهِ ، نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ ، وَنِعْمَةً ^(٣) مِنْهُ عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ بَلَّغْنَا عَنْكُمْ نَجْمٌ ^(٤) قَوْلٍ ، أَظْهَرَهُ تَقَدُّمُ عَفْوٍ مِنَّا ، فَلَا تَصِيرُوا إِلَى وَحْشَةِ الْبَاطِلِ بَعْدَ أَنْسِ الْحَقِّ ، بِأَحْيَاءِ الْفِتْنَةِ وَإِمَاتَةِ الشُّنَنِ ، فَأَطِئُوا اللَّهَ وَطِئُوا ، لَا رَمَقَ ^(٥) مَعَهَا ، حَتَّى تُنْكِرُوا مِنِّي مَا كُتِمَ تَعْرِفُونَ ، وَتَسْتَخْشِنُوا مَا كُتِمَ تَسْتَلِينُونَ ، وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، ^(٦) وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ » . (العقد الفريد ٢ : ١٥٨)

٢٠١ — خطبة له في تقريرهم وتهدهم

وخطب أيضاً وقد بلغه عن أهل مصر أمور فقال :

[١] ولله أخوه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص (وقد مات عمرو في شوال سنة ٤٣ هـ) وأقام عتبة والياً على مصر سنة واحدة وشهراً واحداً ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٤٤ هـ (هكذا في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة : «أله توفي سنة ٤٤ هـ وقيل سنة ٤٣ هـ» ، ولكني قرأت في تاريخ الطبري أن عتبة حج بالناس سنة ٤٦ هـ ، وقال أيضاً في حوادث سنة ٤٧ هـ «واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة» فقال الواقدي : أقام الحج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان وقال غيره : بل الذي حج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . [٢] أصله الزرع المحصود .

[٣] هكذا في الأصل وقد يكون «ومنة» . [٤] من نجم الشيء إذا ظهر وطلع .

[٥] الرمي : بقية الحياة . [٦] بمسارقتها النظر إلى المحرم .

« يا حاملي الأُمِّ أنوفٍ رُكِّبت بين أعين ، إنما قَلَمْتَ أظفارِي عنكم ، لِيَلِينَ مَسِّي إِيَّاكُمْ ، وسَأَتُكُمْ صِلَاحَكُمْ لَكُمْ ، إِذْ كَانَ فِسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ ، فَأَمَّا إِذَا أُيِّتُمْ إِلَّا الطَّعْنُ عَلَى الْأُمْرَاءِ ، وَالْعَثْبُ عَلَى السَّلَافِ وَالْخُلَفَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَنَ بَطُونَ السَّيِّاطِ عَلَى ظُهُورِكُمْ ، فَإِنْ حَسَمْتَ مُسْتَشْرِي ^(١) دَائِكُمْ ، وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، فَكَمْ مِنْ عِظَةٍ لَنَا قَدْ صَمَّتْ عَنْهَا آذَانُكُمْ ، وَزَجَرَةٌ مَنَا قَدْ مَحَبَّتْهَا قُلُوبُكُمْ ، وَلَسْتُ أَبْخُلَ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ ، إِذَا جَدْتُمْ عَلَيْنَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا مُؤَيِّسًا لَكُمْ مِنَ الْمَرَاةِ إِلَى الْحَسَنِ ، إِنْ صَرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْرُ وَأَتَقِي . »

(صبح الأعشى ١ : ٢١٦ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٩ ، والأُمالي ١ : ٢٤٥)

٢٠٢ — خطبة له فيهم وقد أرجفوا بموت معاوية

واحتبست كتب معاوية حتى أَرْجَفَ أَهْلَ مِصْرَ بِمَوْتِهِ ، ثُمَّ وَرَدَ كِتَابُهُ بِسَلَامَتِهِ ، فَصَعِدَ عَتَبَةَ الْمَنْبَرِ ، وَالْكِتَابُ فِي يَدِهِ فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ مِصْرَ : قَدْ طَالَتْ مَعَايِبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَظُبَاتِ السِّيُوفِ ، حَتَّى صَرْنَا شَجَى ^(٢) فِي لَهَوَاتِكُمْ ، مَا تَسِيغُنَا حُلُوقَكُمْ ، وَأَقْدَاءَ ^(٣) فِي أَعْيُنِكُمْ ، مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جَفُونُكُمْ ، أَخْنَيْنَ أَشَدَّتْ عُزَّى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا ، وَاسْتَرْخَتْ عُتْدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا ، أَرْجَفْتُمْ بِالْخُلِيفَةِ ، وَأَرَدْتُمْ تَوْهِينَ ^(٤) السُّلْطَانِ ، وَخَضَعْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ ، وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثَ ؟ فَارْجَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذْ خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ ، وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى

[١] استشري الداء : دَظِمَ وَتَنَاقَمَ . [٢] هو ما اعترض في الخلق من عظم أو نحوه ، واللاهوات

جمع لهاة وهي الالهة المشرفة على الخلق ، وأساع : ابتاعه . [٣] جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب ، وطرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرف بيمينه : حرك جفنيها .

[٤] لاضعاف .

أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا مآظهم ، نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيراً ، وإن أسررتهم شرّاً ، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون ، وعلى الله تتوكل وبه نستعين . (عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٩ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٩)

٢٠٣ - خطبته فيهم وقد منعوا الخراج

وخطبهم وكانوا قد منعوا الخراج فقال :

« يأهل مصر ، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ، ببعض الجور عليكم ، فقد ولّيتكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ، فإن ردّدتُم ترادّكم^(١) بيده ، وإن استصعبتُم ترادّكم بسيفه ، ثم رجا في الآخرة ما أمّل في الأولى ، إن البيعة متتابعة ، فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأئنا غدر فلا ذمة له عند صاحبه ، والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عتمدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ناجزاً بناجز^(٢) ، ومن حذر كمن بشر » فنادوه سمعاً وطاعة ، فناداهم عدلاً عدلاً . (العقد الفريد ٢ : ١٥٩)

٢٠٤ - خطبته فيهم إذ طعنوا على الولاية

وقدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر أن قبلك قوماً يطعنون على الولاية ويعيبون السلف ، فخطبهم فقال :

« يأهل مصر : خفّ على ألسنتكم مدّح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأنتم تأتونّه ، كالجمار يحمل أسفاراً أثقله حملها ، ولم ينفعه عامها ، وإيم الله لا أداوى أدواءكم بالسيف ما صلّحتُم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتني

[١] يقان : ترادّ البيع : من الرد والفسخ ، ومراده : ردّكم . [٢] الناجز والنجيز : الحاضر ، ومن أمثالهم : ناجزاً بناجز ، أى حاضراً بمحضر ، كقولك يدا بيد ، وطاجلاً بعاجل ، وقالوا أبيعك الساعة ناجزاً بناجز : أى معجلاً .

الدَّرَّةَ ، ولا أبطئ عن الأولى ما لم تسرعوا إلى الأخرى ، فالزموا ما أمركم الله به تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا ، وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال فعل ويفعل ، وكونوا خير قوس سهماً بهذا اليوم الذي ما قبله عقاب ، ولا بعده عتاب .
(العقد الفريد ٢ : ١٦٠ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٢٩ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٣ : ٣٦١)

٢٠٥ — خطبته بمكة

وحج عتبة سنة إحدى وأربعين ، والناس قريب عهدهم بالفتنة ، فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضَاعَفُ فيه للمحسن الأجر ، وعلى المسيء فيه الوزر ، ونحن على طريق ما قصدنا له ، فلا تمُدُّوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع من دوننا ، ورب متمنٍ حَتَفُهُ في أمنيته ، فاقبلونا ما قبلنا العافية فيكم ، وقبلناها منكم ، وإياكم ولوا ، فإن لَوْا قد أتعبت من كَانَ قبلكم ، وإن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كُلاً على كلِّ » .

فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ، فقال : لستُ به ولم تُبْعِد ، فقال : يا أخاه ، فقال : سمعتُ فقل ، فقال : « تالله لأن تُحَسِّنُوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أَحَسَّنَّا ، فإن كان الإحسان لكم دوننا ، فما أحَقَّكم باستتمامه ، وإن كَانَ منا فإِلا أولاكم بمكافأتنا ، رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم بالخُثُولَة ، وقد كثر عياله ^(١) ، ووطئه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر » فقال عتبة : « أستغفر الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بغناك ، فليت إسرأنا إليك يقوم بإبطائنا عنك » .

(الأمالي ١ : ٢٤٠ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٩ — ٨١ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣٠)

[١] العيال جمع عيل كجيد : وهو من يلزم الاتفاق عليه .

٢٠٦ — خطبته في علته التي مات فيها

ولما اشتكى شكاته التي مات فيها تحامل إلى المنبر ، فقال :

« يَـأْهُلْ مِصرَ لَا غنى عَنِ الرَّبِّ ، وَلَا مَهْرَبَ مِنْ ذَنْبٍ ، إِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَتْ مِنْى إِلَيْكُمْ عَقُوبَاتٌ كُنْتُ أَرْجُو يَوْمُئِذٍ الْأَجَرَ فِيهَا ، وَأَنَا أَخَافُ الْيَوْمَ الْوِزْرَ مِنْهَا ، فَلَيْتَنِى لَا أَكُونُ اخْتَرْتُ دُنْيَاى عَلَى مَعَادى ، فَأَصْلَحْتُمْ بِفَسَادى ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَيْكُمْ ، فَقَدْ خَفْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو نَفْعًا عَلَيْهِ ، وَرَجَوْتُ مَا كُنْتُ أَخَافُ اغْتِيَالًا بِهِ ، وَقَدْ شَقِىَ مِنْ هَلَكٍ بَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ مِنْ لَا تَرَوْنَهُ عَائِدًا إِلَيْكُمْ » ، فلم يعد .

(النقد الفريد ٢ : ١٥٩)

٢٠٧ — وصيته لمؤدب ولده

وَقَالَ لِعَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبِ وَلَدِهِ :

« لِيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَبْدَأُ بِهِ مِنْ إِصْلَاحِ بَنِي إِصْلَاحِ نَفْسِكَ ، فَإِنْ أَعَيْنَهُمْ مَعْقُودَةَ بَعِينِكَ ، فَالْحَسَنَ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنْتَ ، وَالْقَبِيحَ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحْتَ ، وَعَلَمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَا تُكْرِهِهُمْ عَلَيْهِ فَيَمْلَوْهُ ، وَلَا تَتْرَكْهُمْ مِنْهُ فَيَهْجُرُوهُ ، ثُمَّ رَوِّهُمْ مِنَ الشَّعْرِ أَعْفَى ، وَمِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَ ، وَلَا تَخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يُخْجَكُمُوهُ ، فَإِنْ أزدَحَامَ الْكَلَامَ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةً لِلْفَهْمِ ، وَتَهْدِذْهُمْ بى ، وَأَدِّبْهُمْ دُونى ، وَكُنْ لَهُمْ كَالطَّبِيبِ الَّذِى لَا يَمُجِّلُ بِالدَّوَاءِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ الدَّاءِ ، وَجَنِّبْهُمْ مُحَادَثَةَ النِّسَاءِ ، وَرَوِّهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ ، وَاسْتَزِدْنِى بِزِيَادَتِكَ إِيَّاهُمْ أَزِدْكَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّكِلَ عَلَى عِذْرِ مَنْى لَكَ ، فَقَدْ اِتَّكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ ، وَزِدْ فِى تَأْدِيبِهِمْ أَزِدْكَ فِى بَرِّى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » . (البياض والتبيين ٢ : ٣٥ ، والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١ : ١٣٩)

٢٠٨ — وصية سعيد بن العاص^(١) لبنيه

لما وُلِدَ لسعيد بن العاص ابنُهُ عمرو وَتَرَعَرَ ع^(٢) ، تَفَرَّسَ فِيهِ النُّجَابَةُ ، وَكَانَ يَفْضِلُهُ عَلَى وَلَدِهِ ، فَجَمَعَ بَنِيهِ ، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا ، وَلَمْ يَدْعُ عُمَرَا مَعَهُمْ ، وَقَالَ :

« يَا بَنِيَّ ، قَدْ عَرَفْتُمْ خَبْرَةَ الْوَالِدِ بَوْلَدِهِ ، وَإِنْ أَخَاكُمْ عُمَرَا ، لَدَوْهَمَةَ وَاعِدَةَ^(٣) ، يَسْمُو جَدَّهُ ، وَيَبْعَدُ صَيْتَهُ^(٤) ، وَتَشْتَدُّ شَكِيمَتُهُ^(٥) ، وَإِنِّي آمُرُكُمْ أَنْ تَزِلُوا بِي مِنَ الْمَوْتِ مَا لَا مَحِيصَ عَنْهُ ، أَنْ تُظَاهِرُوهُ وَتُؤَاوِرُوهُ وَتُعَزِّرُوهُ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَتَأَلَّفَ بِكُمْ الْكِرَامَ ، وَيَخْشَا^(٦) عَنْكُمْ اللَّثَامَ ، وَيُلْبِسُكُمْ عِزًّا لَا تُنْهَجُهُ^(٧) الْأَيَّامُ . فَتَمَلَّوْا جَمِيعًا : « إِنَّكَ تُؤَثِّرُهُ عَلَيْنَا ، وَتَحَابِيهِ دُونَنَا » فَقَالَ : « سَأُرِيكُمْ مَا سَتَرَهُ الْبَغْيُ عَنْكُمْ » ، وَصَرَفَهُمْ ، ثُمَّ أَمَّهُلَهُمْ حَتَّى ظَنَّ أَنْ قَدْ ذَهَبُوا عَمَّا كَانَ ، وَرَاهَقَ^(٨) عَمْرُو الْبُلُوغَ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ دُونَ عَمْرُو ، فَلَمَّا حَضَرُوا قَالَ : « يَا بَنِيَّ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى أَخِيكُمْ عَمْرُو ؟ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُلْجِفُ^(٩) فِي مَسْأَلَتِي مَالِي ، فَأَحْشُ عَيْلَهُ^(١٠) »

[١] هو سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد تقدم لك أن عثمان استعمله على الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وولاه معاوية المدينة ، وكان يوليه إذا عزل مروان بن الحكم عن المدينة ويولي مروان إذا عزله ، ومات سنة ٥٧ وقيل سنة ٥٨ وقيل سنة ٥٩ هـ .
[٢] شب وانتقل عن حد الصفر . [٣] من قولهم شجرة واعدة إذا ظهر لرائيها أن قدحان لثمارها ، وأرض واعدة إذا رعى خيرها من البت ، وظهر لرائيها أن قد قرب لِمَكَانِ الرَّمْعِ بها ، وفرس واعد : يمدك جرياً بعد جرى ، وسحاب واعد كأنه وعد بالمطر ، وبوم واعد يعد بالحر أو بالبرد أوله .
[٤] الصيت (بالكسر) والصات والصوت (بالفتح) : الذكر الحين . [٥] الشكيمة : الأيفة وفي اللجام : الحديدة الممتزعة في فم الفرس ، وهو مثل يصرب للفرامة في الأمور والمضاء فيها .
[٦] أى يمد ويطرد . من خسا الكلب كنع طرده ، وخسا هو بنفسه : بعد .
[٧] أى لا تبليه . أنهج انثوب ونهجه (كنعه) : أخلقه وأبلاه ، ونهج الثوب مثلثة الله ، وأنهج : بلى . [٨] راهق الغلام : قارب الحلم (بضمه) . [٩] يلج .
[١٠] الميل والميلة : الانتقار والفاته ، وأحش أى أقطع وأمحو من حش الحشيش (كرد) : قطعه ، وحش فلانا : أصلح من حاله ، (وفي الأصل فأحسن بالنون أى أجعل فقره حسناً وأزيل قبحه بعطائي إياه والأول أحسن) .

لصغره ، وَأَحْسَبُهُ ^(١) بالشئء دون الشئء من مالى ، إلى أن اسْتَقْبَتُ أَنَّ أُمَّه
بَاغِيَّتُهُ ^(٢) على ذلك ، فزجرتها فلم تكفف ، وهذا تَخْرَجُهُ الآن من عندى ، جاء
يسألنى الصَّمَامَةُ ^(٣) ، كَأَنَّ لَا وَلَدَ لى غَيْرُهُ ، وَقَدْ عَزَمْتُ على أن أقسم مالى
فيكم دونه ، لتعلم أُمُّهُ من يكيد ، فقالوا كلهم : يا أبانا هذا عملك بإيثارك له علينا ،
واختصاصك إياه دوننا ، فقال : « يا بنى ، وَاللَّهِ مَا آثَرْتَهُ دُونَكُمْ بِشئء من مالى
قَطُّ ، وَلَا كَانَ مَا قَلَّمْتَهُ لَكُمْ إِلَّا اخْتِلَافًا تَسَاهَلْتُ فِيهِ ، لِمَا أُمَلِّتُهُ مِنْ صَلَاحِ
أَمْرِكُمْ » ، ثم قال لهم : ادخلوا الْمِخْدَع ^(٤) ، فدخلوا المخدع ، ثم أرسل إلى عمرو
فأحضره ، فلما حضر قال :

« يَا بُنَى : إِنْى عَلَيْكَ حَدِّب ^(٥) مشفق ، لصغرسنك ، وَنَفَاسَةٌ ^(٦) إخوتك
على مكانك منى ، وَإِنْى لَا آمَنَ بَعْتَةُ الْأَجَلِ ، وَلِى كَنْزٌ آذَخَرْتَهُ لَكَ دُونَ إِخْوَتِكَ ،
وَهَآئِنَا مُطَّلَعُكَ عَلَيْهِ ، فَآكْتُمْ أَمْرَهُ . »

فقال : « يَا أَبَت ، طَالُ عُمرُكَ ، وَعَلَا أَمْرُكَ ، إِنْى لَا أَرْجُو أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ

[١] حسبه (بالنشيد) وأحسبه : أطعمه وسقام حتى شبع وروى .

[٢] ساء الشئء : أعانته على طلبه (ولا مانع أن يكون الأصل « أن أُمَّه بادنته على ذلك ») .

[٣] الصمصامة : سيف عمرو بن معديكرب اليربى وكان قد صار إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد
ابن الوليد لما عزا بى زبيد حين ارتدوا ، وكان خالد بن سعيد بن العاص « عم سعيد المذكور » من جملة
أمرائه ، أوقع بهم وأمر رجحانة أخت عمرو بن معديكرب ، فقداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ، ولم يزل
ذلك السيف عند آل سعيد بن العاص حتى اشتراه منهم الخليفة المهدي العباسى بخمسين ألف درهم ، ووهبه
المهدي لابنه الهادى مدطابه بعد ماولى الخلافة فوضعه بين يديه وأذن للشراء ، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا
فى السيف شعرا ، فبذهم ابن ياهين البصرى ، فأعطاه الهادى السيف والجائزة ، ففرقها على الشعراء ،
وقال : دخلتم معى ، وحرمت من أحلى ، وفى السيف عوض ، ثم بعث لى الهادى ، فاشترى منه السيف
بخمسين ألفا ، ثم وصل إلى المتوكل فدفعه إلى ذلامه باغزا الركى ، فقتله به ، ومن عند باغزا انقطع خبره .

« اقرأ خبر الصمصامة فى سرح الميوس ص ٣١٢ ، والأغانى ١٤ : ٢٦ ، وأنباء نجباء الأبناء ص ١٠٣
ومروج الذهب ٢ : ٢٦٢ . [٤] المخدع بضم الميم وكسرها : الخزانة — بيت صغير يحوز فيه الشئء —

[٥] متعطف شقيق . [٦] نفس عليه بخير (كفرح) حسد ، ونفس عليه الشئء نفاسة : لم يره
أهلا له .

عنك الدِّفاع ، ويُطيل بك الإمتاع . فأما ما ذكرته من شأن الكنز ، فما يُعجبني أن أقطع دون إخوتي أمرا ، وأزرع في صدورهم غمرا^(١) .

فقال : « انصرف يا بني ، فإدك أبوك ، فوالله مالي من كنز ، ولكنني أردت أن أبلو رأيك في إخوتك وبنى أهلك » ، فانطلق عمرو ، وخرج إخوته من المخدع ، فاعتذروا إلى أبيهم ، وأعطوه مَوْتَقَهُم على اتباع مشورته . (أنباء نجباء الأنباء ص ١٠٠)

خطب عمرو بن سعيد الأشدق^(٢)

(قتل سنة ٦٩ هـ)

٢٠٩ — خطبة له بالمدينة

قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمده عليه وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ وعليه جُبَّة خَزَّ قَرْمَزٍ^(٣) ، وَمُطَرَفٌ^(٤) خَزَّ قَرْمَزٍ ، وعمامة خَزَّ قَرْمَزٍ ، فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها ، ففتح عينيه ، فإذا الناس ينظرون إليه ، فقال : « ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إليَّ أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟ أغرَّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فَعَفَوْنَا عَنْكُمْ ؟ أَمَا إِنَّهُ لَوْ أُبْتُثُّمُ^(٥) بِالْأَوَّلَى

[١] العمر محرّكة والغمز بكسر الغين : الحفد والصن .

[٢] لقب بالأشدق لفصاحته ، والأشدق في الأصل : من عظمت أشداته (جمع شدق بالكسر ويهتج وهو جانب الفم) مشتق من الشدق (بفتح السين وهو سمة الشدق) وكانوا يقشادقون في الكلام ويمتدحون في الخطيب سمة الفم والشدقين ، وقالوا خطيب أشدق : أي بليغ ، وقال شاعرهم في عمرو بن سعيد هذا : أشادق حتى ماله بالقول شدقه وكلّ خطيب لا أباهك أشدق

وقال آخرون : بل كان أفهم مائل الذقن « والفهم بالتحريك : تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى » . وقد ولى لماوية مكة ولائته يزيد مكة والمدينة ، وكان له الفضل في نيل مروان بن الحكم الخلافة ، وقد قدمنا لك خبر مقتله .

[٣] القرمز : صبغ أحمر . [٤] المطرف : رداء من خزّ مربع ذو أعلام .

[٥] الثواب : الجزاء .

ما كانت الثانية ، أغرَّكم أنكم قتلتم عثمان ، فوافقتم ثأثرنا ^(١) منا رفيقاً ، قد فني غضبه وبقى حمله ، اغتتموا أنفسكم ، فقدوا الله ملكناكم بالشباب المقتبل ، البعيد الأمل ، الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد ^(٢) ، لين شديد ، رقيق كشيء ، رفيق عنيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر ببصره ، واستقبله بأشهره ، فهو إن عَضَّ نَهَس ^(٣) ، وإن سطا فَرَس ^(٤) ، لا يُقْلَقَلْ له الحصى ، ولا تُقْرَعْ له العصا ^(٥) ، ولا يمشي السُّمَّيْ ^(٦) « فما بقي بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قصَّمه الله .

(المقد الفريد ٢ : ١٥٧)

٢١٠ - خطبة له بمكة

واستعمل سعيد بن العاص - وهو وال على المدينة - ابنه عمرو بن سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحرث بن نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حَارِ ، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال : ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به ، والله ما كنيته ، ولا أتممت اسمي ، وإنما أنهاك عن التشذُّر ^(٧) على أكفائك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ، ولا يضعهم لك ، قال : والله ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني لَخَأَق ^(٨) ، فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] الثأر : الآخذ بالثأر ، ووافقتم أي وجدتم .

[٢] رجل حديد يكون في اللسان والفهم والغضب ، وحده عليه : غضب .

[٣] نهس اللحم : أخذه بمقدم أسنانه وتنه . [٤] فرس فريسته : دق عقها .

[٥] يشير إلى المثل المشهور « إن العصا قرعت لذي الحلم » وقد سبق شرحه في ص ١٧٤ .

[٦] السُمَّي والسُمَّي : الباطل والكذب ، يقل : ذهب في السُمَّي أي في الباطل ، وجري فلان

السُمَّي أي جرى إلى غير أمر يعرفه . [٧] تشذَّر : توعد وتهدد وتغضب وتسرع إلى الأمر

والمراد هنا التكبر . [٨] الخأق البالي ، والمراد أنه لا يعود إليه .

« أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكنّاها غبطةً ، وخرجنا عنها رغبةً ،
ولذلك كنا إذا رفعت لنا اللّهوة ^(١) بعد اللّهوة أخذنا أسنانها ، ونزلنا أعلاها ،
ثم شَرِج ^(٢) أمر بين أمرين ، فقتلنا وقتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى
شرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقرع العظم عظماً ، فوالى رسول الله صلى
الله عليه وسلم برسالة الله إياه ، واختياره له ، ثم ولى أبو بكر إيسابقتَه وفضله ، ثم
ولى عمر ، ثم أُجِيبَتْ قِداحُ نَزْعِنَ من شِعَابٍ ^(٣) جَوَلَةَ سَعَةٍ ، ففاز بِمَحْظِيَّهَا ^(٤)
أصْلُهَا وأَعْتَقُهَا ، فكنا بعض قِداحها ، ثم شَرِج أمر بين أمرين فقتلنا وقتلنا ، فوالله
ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى شرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقرع العظم
عظماً ، وعاد الحرام حلالاً ، وَأُسْكِتَ كُلُّ ذِي حِسٍّ عن ضربٍ مُهَنْدٍ ، عَزَّ كَا
عَزَّ كَا ، وَعَسَفًا عَسَفًا ، وَخَزًا وَنَهَسًا ، حتى طابوا عن حقنا نفساً ، والله ما أعطوه
عن هَوَادَةٍ ، ولا رَضُوا فِيهِ بالقضاء ، أصبحوا يقولون : حَقَّنَا غُلِبْنَا عَلَيْهِ ، فجزينا
هذا بهذا ، وهذا في هذا . يَأْهَلُ مَكَّةَ : أَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، وَسُفْهَاءُكُمْ سَفْهَاءُكُمْ ،
فإن معنى سَوَاطٍ ^(٥) نَكَالًا ، وسيفًا وبالا ، وكلٌّ منصوب على أهله » ، ثم نزل .
(العقد الفريد ٢ : ١٥٧)

٢١١ — ملاحاة الوليد بن عقبة معه في مجلس معاوية

تلاحي ^(٦) الوليد بن عُقْبَةَ ، وعمرو بن سعيد بن العاص في مجلس معاوية ،
فتكلم الوليد فقال له عمرو : كَذَبْتَ أَوْ كَذِبْتَ ^(٧) ، فقال له الوليد : اسكت
يا طليق اللسان ، منزوع الحياء ، ويا ألام أهل بيته ، فلعمري لقد بلغ بك البخل

[١] اللّهوة بالصم والفتح : العطية أو أفضل العطايا وأجرها . [٢] من الشرح بالتحريك : وهو
انشقاق الفرس ، قوس شريح : فيها شق ، والمراد حدث وحجم . [٣] الشامب جمع شعبة بالضم : وهي
ما بين النصفين وطرف العصب ، يشير إلى أصحاب الشورى الستة . [٤] الحطى : ذو الخطوة أى
المكانة . [٥] أى سوما ذا نكال . وسيفًا ذا وبال . [٦] تنازع . [٧] كذب الرجل أخبر بالكذب .

الغاية الشائنة المذلة لأهلها ، فسأت خلاثك لبخلك ، فَنَعَمْتَ الحقوق ، ولزمت
 العقوق ، فأنت غير مشيدِ البنيان ، ولا زفيح المكان ، فقال له عمرو : والله إن
 قريشاً لتعلم أني غير حلو المذاقة ، ولا لذيذ الملاكَةِ ^(١) ، وإني لك الشجاء ^(٢) في
 الحلق ، ولقد علمت أني ساكن الليل ، داهية النهار ، لا أتبع الأفياء ، ولا أتمى
 إلى غير أبي ، ولا يُجهل حسبي ، حامٍ لحقائق الدمار ^(٣) ، غير هيوب عند الوعيد ،
 ولا خائف رَعْدِيد ^(٤) ، فلم تُعَيِّرْ بالبخل وقد جُبلت عليه ، فلعمري لقد أورثتك
 الضرورة لوئماً ، والبخل فُحْشاً ، فقطعت رحمتك ، وجُرْتُ في قضيتك ، وأضعت
 حق من وليت أمره ، فلست تُرجي للعظام ، ولا تعرف بالمكارم ، ولا تستعِف
 عن المحارم ، لم تقدر على التوقير ، ولم يُحكَمْ منك التدبير ، فأفْجِم الوليد ، فقال
 معاوية : — وساء ذلك — كُفَّالاً أبا لك ، لا يرتفع بك القول إلى ما لا تريد ،
 ثم أنشأ عمرو يقول :

وليدُ إذا ما كنتُ في القوم جالساً فكن ساكناً منك الوقارُ على بال
 ولا يبدُرَنَّ الدهر من فيك منطق بلا نظر قد كان منك وإغفال ^(٥)
 : (الأمل ٢ : ٤٠)

٢١٢ — خطبته حين غلب على دمشق

ولما غلب على دِمَشق ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أيها الناس : إنه لم يَقُمْ أحد من قريشٍ قبلي على هذا المنبر ، إلا زعم أن
 له جنة ونارا ، يُدْخِلُ الجنة من أطاعه ، والنار من عصاه ، وإني أخبركم أن الجنة

[١] اللوك : أهون المضغ أو مضغ صلب . [٢] ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .
 [٣] ما تجب حمايته . [٤] جبان . [٥] يبدر : يفرط ويسبق .

والذارييد الله ، وأنه ليس إلى من ذلك شيء ، غير أن لكم على حُسنِ المؤاساة والعطية .
(تاريخ الطبرى ٧ : ١٧٦)

٢١٣ — خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

روى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد في أيام عبد الملك فقال : لقد هَمَمْتُ اليوم يا أخى أن أفك بالوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئس والله ما هَمَمْتَ به في ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فما ذاك ؟ قال : إن خيلي مرّت به فعَبَثَ بها وأصغَرَنِي ، فقال له خالد : أنا أكفّيك ، فدخل على عبد الملك ، والوليدُ عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، مرت به خيلُ ابن عمه عبد الله ابن يزيد فعَبَثَ بها وأصغره ، وكان عبد الملك مُطَرِّقاً فرفع رأسه وقال : « إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَمَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » فقال خالد : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، خَفَقَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فَدَمَرْنَاَهَا تَدْمِيرًا » . فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ والله لقد دخل أمس علىّ فما أقام لسانه لِحْنًا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين ؟ قال عبد الملك : إن كان الوليد يَلْحَنُ ، فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يَلْحَنُ ، فإن أخاه خالد ، فالتفت الوليد إلى خالد ، وقال له : اسكت وَيَحْك يا خالد ! فوالله ما تُعَدُّ في العير ولا في النّفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين : ثم التفت إلى الوليد فقال له : ويحك : فمن صاحب العير والنفير غير جدّي أبى سفيان صاحب العير ، وجدى غُتْبَة صاحب النفير^(١) ؟

ولكن لوقلت : غَنِيَّاتٌ وَحُبَيْلَاتٌ وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُمَانَ لَقَلْنَا صَدَقْتَ ^(١) .

(مرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ٣٠٢ وجمع الأمثال ٢ : ١١٥)

٢١٤ — خالد بن عبد الله بن أسيد ^(٢) وعبد الملك بن مروان

جلس يوماً عبد الملك بن مروان ، وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد ، وعند رجله أمية بن عبد الله بن أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج ، حتى وُضِعَتْ بين يديه ، فقال :

« هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ، لَمَا فعل هذا ، (وأشار إلى خالد) استعملته على العراق ، فاستعمل كل مُلِطٍ ^(٣) فاسق ، فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ، واستعملت هذا على خراسان (وأشار إلى أمية ^(٤)) فأهدى إلى بَرْدَوَيْنَ حَطَمَيْنِ ^(٥) ، فإن استعملتكم ضَيَّعْتُمْ ، وإن عزاتكم قلتم استخف بنا ، وقطع أرحامنا »

فقال خالد بن عبد الله : « استعملتني على العراق ، وأهلُه رجلان : سامع مطيع مُنَاصِح ، وعدو مُبْغِضٌ مُكَاشِحٌ ^(٦) ، فأما السامع المطيع المناصح فَإِنَّا جَزَيْنَاهُ ، ليزداد وُدًا إلى وده ؛ وأما المبغض المكاشح ، فَإِنَّا دَارَيْنَاهُ ضِغْنَهُ ،

[١] وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طرد الحكم بن أبي العاص « جدَّ عبد الملك » إلى الطائف — انظر ص ٦٧ — أقام بها ، فكان يرعى غنيمات اغتداها يشرب من لبنها ، ويأري إلى حيلة « مصفر حيلة كفرصة وهي الكرمة » وقوله رحم الله عثمان : أي لرده إياه ، وقد أبى أبوبكر وعمر أن يرداه .
[٢] هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد ولاه عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير على البصرة وأعمالها سنة ٧١ هـ ، وهزله عنها سنة ٧٤ وولاها أخاه بشر بن مروان ، وكان على ولاية الكوفة ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه .

[٣] لَطَّ حَقَّهُ وَأَلَطَهُ : جعده . [٤] هو أمية بن عبد الله أخو خالد هذا ، ولاه عبد الملك على خراسان ، حتى كانت سنة ٧٨ هـ ، فحضره ، وجمع سلطانه للحجاج ، فبعث المهلب بن أبي صفرة إليها .

[٥] فرس حطم ككثف : إذا هزل وأسن فضض وتهدم .

[٦] الكاشح : الذي يصمر لك الدواة ، كشح له بالدواة وكاشحه بمعنى .

وَسَلَّمْنَا حَقَّهُ ، وَكَثَّرْنَا لَكَ الْمَوْدَةَ فِي صَدُورِ رَعِيَّتِكَ ، وَإِنْ هَذَا جَبَى الْأَمْوَالِ ،
وَزَرَعَ لَكَ الْبَغْضَاءَ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ، فَيُوشِكُ أَنْ تَنْبُتَ الْبَغْضَاءُ فَلَا أَمْوَالَ
وَلَا رِجَالَ .

فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : « هَذَا وَاللَّهِ مَا قَالَ خَالِدٌ .

(العقد الفريد ٢ : ١١٧)

٢١٥ — نصيحة لعمر بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان

وَرَأَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلًا يَشْتُمُ رِجَالًا ، وَآخِرُ يَسْمَعُ مِنْهُ

فَقَالَ لِلْمُسْتَمْعِ :

« نَزَّهْ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا ، كَمَا تَنْزَهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ السَّامِعَ

شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَإِنَّمَا نَظَرْتُ إِلَى شَرِّ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ

جَاهِلٍ فِي فِيهِ ، لَسَعِدَ رَأْيُهَا ، كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا » . (البيان والتبيين ٢ : ١٦٠)

٢١٦ — تأديب معاوية لجلسائه

أَذِنَ مَعَاوِيَةُ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - وَقَدْ وَافَى مَعَاوِيَةَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ -

فَقَدَّمَهُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدَ^(١) مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَجَلَسَ بَيْنَ

مَعَاوِيَةَ وَالْأَحْنَفِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :

« إِنَّا وَاللَّهِ مَا أَذِنَّا لَكَ قَبْلَكَ ، إِلَّا لِيَجْلِسَ إِلَيْنَا دُونَكَ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا

يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ ، إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ يَجِدُهَا ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلَ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ

نَفْسِهِ ذِلًّا وَضَعَةً ، وَإِنَّا كَمَا نَمْلِكُ أُمُورَكُمْ ، نَمْلِكُ تَأْدِيبَكُمْ ، فَأَرِيدُوا مِنَّا مَا نُرِيدُهُ

مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لَكُمْ ، وَإِلَّا قَصَرْنَا كَمُكْرُهَا ، فَسَكَانَ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ وَأَعْنَفُ بِكُمْ » .

(البيان والتبيين ٣ : ٢٢٠)

٢١٧ — كلام معاوية وقد سقطت ثنيتاه

ولما سقطت ثنيتًا معاوية لَفَّ وجهه بعمامة ، ثم خرج إلى الناس ، فقال :
 « لئن ابتليتُ لقد ابتلي الصالحون قبلي ، وإنني لأرجو أن أكون منهم .
 ولئن عُوقبتُ لقد عوقب الخاطئون قبلي ، وما آمن أن أكون منهم . ولئن سَقَطَ
 عُضْوَانِ مني ، لَمَا بَقِيَ أَكْثَرُ . ولو أَتَى على نفسي لَمَا كَانَ لي عليه خِيَارٌ تَبَارَكَ
 وتعالى ، فَرحِمَ الله عبدًا دعا بالعافية ، فوالله لئن كَانَ عَتَبَ علىَّ بعضُ خَاصَّتِكُمْ ،
 لقد كُنْتُ حَدِّبًا ^(١) على عامَّتِكُمْ » . (البيان والنبين ٣ : ٢٢١)

٢١٨ — تقرير عبد الملك بن مروان لأحد عماله

وروى الجاحظ قال .

« قال أبو الحسن : كَانَ عبد الملك بن مَرْوَانَ شَدِيدَ الْيَقَظَةِ ، كثير التعاهد
 لولاته ، فبلغه أن عاملاً من عماله قَبِلَ هَدِيَّةً ، فَأمر بِإِشْخَاصِهِ إِلَيْهِ ، فَمَا دَخَلَ
 عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : « أَقْبَلْتَ هَدِيَّةً مِنْذُ وَلِيِّتِكَ ؟ » قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلَدُكَ
 عَامرة ، وَخَرَاجُكَ مَوْفُورٌ ، وَرَعِيَّتُكَ عَلَى أَفْضَلِ حَالٍ » قَالَ : « أَجِبْ فِيمَا سَأَلْتُكَ
 عَنْهُ ، أَقْبَلْتَ هَدِيَّةً مِنْذُ وَلِيِّتِكَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « لئن كُنْتُ قَبِلْتُ وَلَمْ
 تَعُوْضْ إِنَّكَ لَلْأَيْمِ ، وَلئن أَنَلْتَ مُهْدِيكَ لَا مِنْ مَالِكَ ، أَوْ اسْتَكْفَيْتَهُ مَا لَمْ يَكُنْ
 يُسْتَكْفَاهُ ، إِنَّكَ لَجَائِرٌ خَائِنٌ ، وَلئن كَانَ مَذْهَبُكَ أَنْ تَعُوْضَ الْمُهْدِيَّ إِلَيْكَ مِنْ
 مَالِكَ ، وَقَبِلْتَ مَا اتَّهَمَكَ بِهِ عِنْدَ مَنْ اسْتَكْفَاكَ ، وَبَسَطَ لِسَانَ قَائِمِكَ ، وَأَطْمَعُ
 فِيكَ أَهْلَ عَمَلِكَ ، إِنَّكَ لَجَاهِلٌ ، وَمَا فِيهِمْ أَتَى أَمْرًا لَمْ يَخْلُ فِيهِ مِنْ دَنَاءَةٍ ، أَوْ
 خِيَانَةٍ ، أَوْ جَهْلٍ ، مُصْطَنِعٌ ، نَحْيَاهُ عَنْ عَمَلِهِ » . (البيان والنبين ٣ : ٢٣٠)

طلب معاوية البيعة ليزيد

لما كانت سنة ثلاث وخمسين ، أظهر معاوية عهداً مُفْتَعِلاً ، فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده ، فلم يزل يَرُوضُ الناس لبيعته سبع سنين ، ويشاور ، ويُعطى الأقارب ، ويُداني الأبعاد ، حتى استوثق له من أكثر الناس . فقال لعبد الله بن الزبير : « ماترى فى بيعة يزيد ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين ، إني أناديك ولا أناجيك ^(١) ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تتقدم ، وتفكر قبل أن تندم ، فإن النظر قبل التقدم ، والتفكير قبل التندم » فضحك معاوية وقال : « ثعلبٌ رَوَّاعٌ ! تعامت السَّجَاعَةُ ^(٢) عند الكبر ، فى دون ما سَجَعْتَ به على ابن أخيك ما يكفيك » .

ثم التفت إلى الأحنف بن قيس ، فقال : « ماترى فى بيعة يزيد ؟ » . قال : « نخافكم إن صدقناكم ، ونخافُ الله إن كذبتنا » .

فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يَفِدُوا عليه ، فوفد عليه من كل مصر قوم ^(٣) ، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حَزْم ، فخلا به معاوية ، وقال له : « ماترى فى بيعة يزيد ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الأرض أحدٌ هو أحبُّ إلى رشدًا من نفسك سوى نفسى ، وإن يزيد أصبح غنياً فى المال ، وَسَطًا فى الحَسَب ، وإن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عن رعيته ، فاتق الله ، وانظر من تولى أمرَ أمة محمد » فأخذ

[١] ناجيته : ساررتة . [٢] وفى العقد « السَّجَاعَةُ » وهو تصحيف ، ولم أجد « سجاعة » فى كتب اللغة ، وإنما الذى فيها هو « سجع » كشمس مصدر سجع كقطع ، وأرى أنها سجاعة ككتابة ، وقد ورد فى كلام المبرد : « فإن المختار كان يدعى أنه يلهم ضرباً من السجاعة لأمر تكون . . . الخ » [٣] هكذا ورد فى العقد الفريد ، وفى مروج الذهب : أن وفود تلك الوفود كان سنة تسع وخمسين ، والمفهوم مما ورد فى الامامة والسياسة أن وفودها كان قبل سنة ٥٠ ، وفى حياة الحسن بن على رضى الله عنه كما يتبين لك مما سيرد بعد (وقد تولى الحسن سنة ٤٩ ، أو سنة ٥٠ أو سنة ٥١) .

معاوية بهز^(١) حتى تنفس الصعداء^(٢) ، وذلك في يوم شاتٍ ، ثم قال : « يا محمد : إنك امرؤ ناصح ، قلت برأيك ، ولم يكن عليك إلا ذاك . قال معاوية : إنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم ، فابني أحبُّ إليَّ من أبنائهم ، اخرج عني » .

ثم دعا الضحاك بن قيس الفهري^(٣) ، فقال له : « إذا جلست على المنبر ، وفرغت من بعض موعظتي وكلامي ، فاستأذني للقيام ، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى . واذكر يزيد . وقل فيه الذي يَحِقُّ له من حسن الثناء عليه . ثم ادعني إلى توليته من بعدى . فإنني قد رأيت وأُجمعتُ على توليته . فأسألُ الله في ذلك وفي غيره الحيرة^(٤) وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي^(٥) ، وعبد الله بن مسعدة الفزاري^(٦) ، وثور بن معن السلمي^(٧) ، وعبد الله بن عصام الأشعري^(٨) ، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك ، وأن يصدقوا قوله ، ويدعوه إلى يزيد .

وجلس معاوية في أصحابه ، وأذن للوفود فدخلوا عليه ، فخطبهم ، فلما فرغ من بعض موعظته - وهؤلاء النفر في المجلس قد قعدوا للكلام - قام الضحاك بن قيس فاستأذن فأذن له .

٢١٩ — خطبة الضحاك بن قيس الفهري

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ، إنا قد بلوْنَا^(٩) الجماعة والألفة ، فوجدناها أحقنَ للدماء ، وآمنَ للسُّبُل ، وخيراً في العاقبة والآجلة ، ولا خير لنا أن نُترك سُدِّي ، والأيام عُوْج^(١٠) رواجع ، والأنفس يُغْدَى عليها وَيُرَاحُ ،

[١] البهر بالفتح : العجب . [٢] تنفس طويل . [٣] أى أسأله أن يختار لنا الأفضل ، خارهُ على غيره خيرة بكسر الحاء مع سكون الياء وفتحها : فضله وخار الله له في الأمر : جعل له فيه الخير . [٤] خبرنا . [٥] بمعنى رواجع جمع طائفة اسم فاعل من عاج إذا رجع أى أن الأيام تموج على الإنسان ففسله ما أعطى من الحياة ومتع العيش .

والله يقول : « كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » . ولسنا ندري ما يختلف به العصران ^(١) ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت ، كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه ، نسأل الله تعالى بك المتاع ، وقد رأينا من دَعَا يزيد ابن أمير المؤمنين ، وحُسن مذهبه ، وقصد ^(٢) سيرته ، ويُمن تَقِيَّتَه ^(٣) ، مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين ، والشَّبهَ بأمير المؤمنين ، في عقله وسياسته وشيمته المَرْضِيَّة ، مادعانا إلى الرضا به في أمورنا ، والقُنُوع به في الولاية علينا ، فَلْيُؤَلِّهِ أمير المؤمنين - أكرمهم الله - عهدَه ، وليجعلنا لنا ملجأ ومَفْزَعًا بعده ، نَأْوِي إليه إن كَانَ كَوْنٌ ^(٤) ، فإنه ليس أحد أحقُّ بها منه ، فاعزم على ذلك ، عزم الله لك في رشدك ، ووفَّقَكَ في أمورنا .

٢٢٠ — خطبة عبد الرحمن بن عثمان الثقفي

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا في زمانٍ مختلفةٍ أهواؤه ، قد اَحْدَوْذَبَتْ علينا سِيَسَاؤُهُ ^(٥) ، واقْطَوْطَبَتْ ^(٦) علينا أَدْوَؤُهُ ، وأناخت علينا أنباؤه ، ونحن نُشِيرُ عليك بالرشاد ، وندعوك إلى السَّداد ، وأنت يا أمير المؤمنين

[١] العصر : اليوم والليلة والعشى إلى احمرار الشمس والغداة . [٢] القصد : استقامة الطريق .

[٣] الفقيه : النفس ، وهي أيضا العقل ، والمشورة ، وبقاؤ الرأي ، والطبيعة .

[٤] أى إن حدث حدث . [٥] السيئاء : منتظم فقار الطاهر ، وحله على سيئاء الحق أى على حده ، والعرب تضربه مثلا لشدة الأمر ، قال الشاعر :

لقد حملت قيس بن عيلان حربنا على يابس السيئاء بدود الطاهر

يقول : حملناهم على مركب صعب كسيئاء الحمار ، أى حملناهم على مالا يثبت على مثله .

[٦] اقْطَوْطَب : انزعول من قطب ، وقطب القوم : اجتمعوا ، وقطب بين عينيه : جمع ، والمراد :

اجتمعت وتراكمت علينا أدواؤه ، ولم أجِدْ كلمة « اقْطَوْطَب » في كتب اللغة ، وإنما الذى فيها « اقْطَوْطَب » أى قارب في مشيه لإسراها .

أَحَسَدْنَا نَظْرًا ، وَأَبْدَتْنَا ^(١) بَصَرًا ، وَيَزِيدُ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَرَفْنَا سِيرَتَهُ ، وَبَلَّوْنَا عِلَانِيَتَهُ ، وَرَضِينَا وَلَايَتَهُ ، وَزَادْنَا بِذَلِكَ انْبِسَاطًا ، وَبِهِ اغْتِبَاطًا ^(٢) ، مَعَ مَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْبَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحُبَّةِ فِي الْمَسَامِينِ ، فَاعْزِمِ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا تَضِقْ بِهِ ذَرْعًا ^(٣) ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُقِيمُ بِهِ الْأَوَدَ ^(٤) ، وَيُرَدِّعُ بِهِ الْأَلَدَ ^(٥) ، وَيُؤْمِنُ بِهِ السَّبِيلُ ، وَيَجْمَعُ بِهِ الشَّمْلُ ، وَيُعْظِمُ بِهِ الْأَجْرُ ، وَيُحْسِنُ بِهِ الذُّخْرَ . « ثُمَّ جَلَسَ .

٢٢١ — خطبة ثور بن معن السلمي

فَقَامَ ثُورُ بْنُ مَعْنٍ السَّامِيُّ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ ، صَاحِبُهُ مُشَاغِبٌ ^(٦) ، وَظِلُّهُ ذَاهِبٌ ^(٧) ، مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا فِيهِ الشَّقَاءُ وَالسَّعَادَةُ ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَيِّتٌ ، نَسْأَلُ اللَّهَ بِكَ الْمَتَاعَ ، وَيَزِيدُ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَقْدَمُنَا شَرَفًا ، وَأَبْدَلُنَا عُرْفًا ^(٨) ، وَقَدْ دَعَانَا إِلَى الرِّضَا بِهِ ، وَالْقَنُوعِ بِوَلَايَتِهِ ، وَالْحَرَصِ عَلَيْهِ ، وَالِاخْتِيَارِ لَهُ ، مَا قَدْ عَرَفْنَا مِنْ صِدْقِ لِسَانِهِ وَوَفَاءِهِ ، وَحُسْنِ بِلَائِهِ ، فَاجْعَلْ لَنَا بَعْدَكَ خَلَفًا ، فَإِنَّهُ أَوْسَعُنَا كَنَفًا ^(٩) ، وَأَقْدَمُنَا سَلَفًا ، وَهُوَ رَثَقٌ لِمَا فُتِقَ ، وَزِمَامٌ لِمَا شَمِتَ ^(١٠) ، وَنَكَالٌ لِمَنْ فَارَقَ وَنَافَقَ ، وَسَلَمٌ لِمَنْ وَاطَبَ . وَحَافِظٌ لِلْحَقِّ . أَسْأَلُ اللَّهَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلَ الْبَقَاءِ وَالسَّعَادَةِ ، وَالْخَيْرَةِ فِيمَا أَرَادَ ، وَالتَّوْطُنَ فِي الْبِلَادِ ، وَصَلَاحَ أَمْرِ جَمِيعِ الْعِبَادِ . « ثُمَّ جَلَسَ .

[١] لعله « وأثنتنا » . [٢] بسط فلانا فانبسط : سره والاعتباط : المسرة .

[٣] ضاق بالأمر ذرعا : ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا . [٤] الاعوجاج .

[٥] الألد : الحصم الشحيح الذي لا يريغ إلى الحق .

[٦] صاحبه يعنى به معاوية ، أى يشاغبه المشاغبون ، اسم مفعول من الشغب : وهو تهيج الشر .

[٧] كناية عن دنو أجله . [٨] المعروف . [٩] الكنف : الظل والجانب .

[١٠] شعث الأمر ، كفرح شعنا : انتشر وتفرق .

٢٢٢ — خطبة عبد الله بن عصام الأشعري

فقام عبد الله بن عِصَام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إنا قد أصبحنا في دُنْيَا مُنْقَضِيَةٍ ،
 وأهواءٍ منجذمة ^(١) ، نخاف حدّها ، وننتظر جدّها ، شديدٍ مُنَحَدَرُهَا ، كثيرٍ
 وعَرُهَا ، شاحخةٍ مَرَاقِبُهَا ^(٢) ، ثابتةٍ مَرَاتِبُهَا ، صعبةٍ مَرَاكِبُهَا ، فالموتُ يا أمير
 المؤمنين وراءك ووراء العباد ، لا يخلد في الدنيا أحد ، ولا يَبْقَى لنا أمد ^(٣) ،
 وأنت يا أمير المؤمنين مسئول عن رعيتك ، ومأخوذ بولايتك ، وأنت أنظر
 الجماعة ، وأعلى عيناً بحُسنِ الرأى لأهل الطاعة ، وقد هُديت ليزيد في أكمل
 الأمور ، وأفضلها رأياً ، وأجمعها رِضاً ، فاقطع يزيد قالة ^(٤) الكلام ، ونخوة ^(٥)
 المُبطل ، وشعّت المنافق ، واكبت ^(٦) به الباذخ ^(٧) المعادي ، فإن ذلك أَلَمٌ
 للشعّت ، وأسهل للوعث ^(٨) ، فاعزم على ذلك ، ولا تتراعى بك الظنون . »

٢٢٣ — خطبة عبد الله بن مسعدة الفزاري

ثم قام عبد الله بن مَسْعَدَةَ الفزاري ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إن الله قد آثرك بخلافته ، واختصك
 بكرامته ، وجعلك عِصْمةً لأوليائه ، وذا نكايَةٍ لأعدائه ، فأصبحت بأَنْعُمِهِ
 جَذِلاً ، ولِمَا حَمَلَكَ مُحْتَمِلاً ، يكشف الله تعالى بك العمى ^(٩) ، وَيَهْدِي بك

[١] جذمه فانجذم : قطعه . [٢] المراقب : جمع مرقب (بكعفر) المكان المشرف ، يقف
 عليه الرقيب . [٣] الأمد : الغاية والمنتهى .
 [٤] قالة : جمع قائل ، أو مصدر قال كالقول ، والقال ، والقليل . [٥] الكبر والعظمة .
 [٦] كبت : صرعه وأخزاه ، ورد العدو بغيبته ، وأذله . [٧] بذخ كفرح ونصر : تكبر وعلا ،
 وشرف باذخ : حال . [٨] وعث الطريق من بابي تعب وقرب إذا شق على السالك ، فهو وعث
 (يسكون العين وكسرهما) . [٩] العمى هنا : ذهاب بصر القلب .

العِدَا ، ويزيدُ ابنُ أمير المؤمنين أحسنُ الناس برعيتك رَأْفَةً ، وأحقُّهم بالخلافة بعدك ، قد ساسَ الأمورَ ، وأحكمتَه الدهورُ ، ليس بالصغير الفَهِيه ^(١) ، ولا بالكبير السَفِيهِه ، قد احتجَن ^(٢) المكارم ، وارثُ شجَى لُحْلِ العِظائِم ، وأشدَّ الناس في العدو نكايَةً ، وأحسنهم صُنْعاً في الولاية ، وأنت أغنى بأمرِك ، وأحفظُ لوصيتك ، وأحرزُ لنفسك ، أسأل الله لأمير المؤمنين العافيةَ في غير جَهْدٍ ^(٣) ، والنعمةَ في غير تَغْيِيرٍ .

٢٢٤ — خطبة عمرو بن سعيد الأشدق

فقال معاوية لعمر بن سعيد الأشدق : قم يا أبا أمية ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن يزيدَ بن معاوية أَمَلٌ تَأْمُلُونَهُ ، وأَجَلٌ تَأْمَنُونَهُ ، طويلُ الباع ، رَحْبُ الذَّرَاع ، إن استَضَفْتُم إلى حامِه وَسِعِم ، وإن أحتَجْتُم إلى رأيِه أُرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذاتِ يده أَعْذاكم ، جَذَعٌ ^(٤) قَارِحٌ ^(٥) ، سُوْبَقٌ فَسَبَقٌ ، وَمُوجِدٌ فَجَجِدٌ ، وَقُورِعٌ فَفَازَ سَهْمُه ، فهو خَلَفٌ أمير المؤمنين ، ولا خَلَفَ مِنْهُ . فقال له معاوية : اجلس أبا أمية . فلقد أوسعت وأحسننت . »

قال معاوية : « أَوْكَلْكُمْ قَدْ أَجْمَعُ عَلَى هَذَا رَأْيِه ؟ » فقالوا : « كُلُّنَا قَدْ

[١] الفَهِيه والهُة : البهي ، فهو كفرح هامة . [٢] احتجَن المال : ضمه واحتواه .

[٣] المشقة . [٤] الجذع : الشاب الحدث .

[٥] أي شديد مجرب ، وهو في الأصل وصف للفرس ، قرح الفرس قروحا : إذا ألقى أقصى أسنانه (وله أربع أسنان يتحول من بعضها إلى بعض ، يكون جذعا — وذلك إذا كان في السنة الثانية — ثم ثنيا « بفتح فكسر مع تشديد الياء » — في السنة الثالثة — ثم رابعياً « بفتح أوله وثانيه وتخفيف الياء » — إذا سقطت رابعيته ، ونبت مكانها سن وذلك إذا استتم الرابعة — ثم قارحا — إذا سقطت السن التي تلي رابعيته ونبت مكانها ثاية ، وهو قارحه الذي صار به قارحا ، وليس بعد انقروح سقوط سن ، ولا نبت سن ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة) .

أجمع رأيه على ما ذكرنا » قال : « فأين الأحنف ؟ » فأجابه ، قال : « ألا تتكلم ؟ »
فقام الأحنف .

٢٢٥ — خطبة الأحنف بن قيس

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسوا في مُنْكَرٍ زمانٍ قد
سَلَفَ ، ومعروفٍ زمانٍ مُؤْتَنَفٍ ^(١) ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نِعَمَ الخَلَفِ ،
فإن تَوَلَّاهُ عهدك ، فمن غير كِبَرٍ مُفْنٍ ، أو مَرَضٍ مُضِنٍ ، وقد حَلَبْتَ الدهور ^(٢) ،
وجرَّبت الأمور ، فاعْرِفْ من تُسَنِّدُ إليه عهدك ، ومن توليه الأمر من بعدك ،
واعصِ رأى من يأمرُك ، ولا يقدرُك ، ويشير عليك ولا ينظر لك ، وأنت
أنظر للجماعة ، وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون
بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن ^(٣) حياً .

٢٢٦ — خطبة الضحاك بن قيس

فغضب الضحاك بن قيس ، فقام الثانية ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن أهل النِّفاق ، من أهل العراق ، رُؤِوسُهُم في
أنفسهم الشقاق ، وأَلْفُهُم في دينهم النِّفاق ، يَرَوْنَ الحق على أهوائهم ^(٤) ،
كأنما ينظرون بأقْفَاءِهِمْ . اختالوا جهلاً وبَطَرًا . لا يرقُبون من الله راقبةً ، ولا
يخافون وَبَالَ عاقبةٍ ، اتخذوا إبليسَ لهم رَبًّا ، واتخذهم إبليسَ حِزْبًا ، فمن يُقاربوه

[١] مستأف . [٢] هكذا في مروج الذهب ، وفي الامامة والسياسة : « وقد حلبت الدهر أشطره »
وأصله من حلب شطرى الناقة (بفتح الشين) ولها شطران : قادمان وآخران (بكسر الحاء) والشطركل خلفين
من أخلافها ، والخلف (بكسر الحاء) لها كالضرع للبقرة ، وهو مثل يضرب المعجب ، وأشطره بدل من
الدهر منصوب . [٣] هذا وما ورد في كلام الضحاك والأحنف بعد ، يدل على أن تلك الخطب كانت
في حياة الحسن بن علي كما أشرنا إليه قبل . [٤] أى على أغراضهم وميولهم .

لَا يَسْرُوهُ . وَمَنْ يَفَارِقُوهُ لَا يَضُرُّوهُ . فَادْفَعْ رَأْيَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَحْوِهِمْ ، وَكَلَامِهِمْ فِي صَدُورِهِمْ ، مَا لِلْحَسَنِ وَذَوِي الْحَسَنِ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي اسْتَخْلَفَ بِهِ مَعَاوِيَةَ فِي أَرْضِهِ ؟ هِيَ هَاتِ لَا تُورَثُ الْخِلَافَةَ عَنْ كِلَالَةٍ . وَلَا يَحْجُبُ غَيْرُ الذِّكْرِ الْعَصَبَةَ . فَوُطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ عَلَى الْمَنَاصِحَةِ لِإِمَامِكُمْ ، وَكَاتِبِ نَبِيِّكُمْ ^(١) وَصِيهِرِهِ ^(٢) ، يَسْلَمْ لَكُمْ الْعَاجِلُ ، وَتَرْجَحُوا مِنَ الْآجِلِ » .

٢٢٧ — خطبة الأحنف بن قيس

ثُمَّ قَامَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَحَمْدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّا قَدْ فَرَرْنَا ^(٣) عَنْكَ قَرِيشًا ، فَوَجَدْنَاكَ أَكْرَمَهَا زَنْدًا ، وَأَشَدَّهَا عَقْدًا ، وَأَوْفَاهَا عَهْدًا ، وَقَدْ عَامَتَ أَنْكَ لَمْ تَفْتَحِ الْعِرَاقَ عَنُوتَ ^(٤) ، وَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهَا قَعَصًا ^(٥) ، وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ مَا قَدْ عَامَتَ ، لِيَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنْ تَفَّي فَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ ، وَإِنْ تَغَدَّرَ ^(٦) تَعْلَمُ وَاللَّهُ أَنَّ وَرَاءَ الْحَسَنِ خِيُولًا جِيَادًا ، وَأَذْرُعًا شِدَادًا ، وَسَيْوْفًا حِدَادًا ، إِنْ تَدْنُ لَهُ شِبْرًا مِنْ غَدَرٍ ، تَجِدْ وَرَاءَهُ بَاعًا مِنْ نَصْرِ ، وَإِنْكَ تَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَحْبَبُوكَ مِنْذُ أَبْغَضُوكَ ، وَلَا أَبْغَضُوا عَلِيًّا وَحَسَنًا مِنْذُ أَحْبَبُوهُمَا ، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ خَبَرٌ مِنَ السَّمَاءِ ، وَإِنَّ السَّيُوفَ الَّتِي شَهَرُوهَا عَلَيْكَ مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ صَفِّينَ ، لَعَلَى عَوَاتِقِهِمْ ، وَالْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضُوكَ بِهَا ، لَبَيَّنَ جَوَانِحِهِمْ ، وَإِيمَ اللَّهِ إِنَّ الْحَسَنَ لَأَحَبُّ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ عَلِيٍّ » .

[١] وَكَانَ مَعَارِيَةَ مِنْ كِتَابِ الْوَحْيِ . [٢] وَكَانَتْ أُخْتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ زَوْجَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

[٣] فَرَّ الدَّابَّةُ : كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهَا لِيَنْظُرَ مَا سَنَهَا ، وَفَرَّ عَنْ الْأَمْرِ : بَحَثَ عَنْهُ .

[٤] فَتَحَ الْبَلَدَ عَنُوتَ أَيَّ قَهْرًا . [٥] مَاتَ قَعَصًا : أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ أَوْ رَمِيَتْ فَمَاتَ مَكَانَهُ .

[٦] غَدَرَهُ وَغَدَّرَ بِهِ كَصَرَّ وَضَرَبَ وَسَمِعَ .

٢٢٨ — خطبة عبد الرحمن بن عثمان الثقفي

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
«أصلح الله أمير المؤمنين ، إن رأى الناس مختلفين ، وكثير منهم منحرف ،
لا يدعون أحداً إلى رشاد ، ولا يُجيبون داعياً إلى سداد ، مجانبون لرأى الخلفاء ،
مخالفون لهم في السنة والقضاء ، وقد وقفت إيزيد في أحسن القضية ، وأرضاها
لِحَمَلِ الرعية ، فإذا خار الله لك فاعزِم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فإن يزيد أعظمنا
حِماً وعاماً ، وأوسعنا كنفاً ، وخيرنا سلفاً ، قد أحكمته التجارب ، وقصّدت به
سُبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ، ولا يقفن بك دونها واقف ،
ممن هو شاسع^(١) عاصي ، يَبُوص^(٢) للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو ، وفي
صدره داء دوي ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن سكّمت فداء غائل^(٣) ، قد عرفنا من
هم أولئك ، وما هم عليه لك ، من المجانبة للتوفيق ، والتكلف للتفريق ، فاجلُ بيعته
عنا النعمة ، واجمع به شمل الأمة ، ولا تَجِدْ عنه إذ هُديت له ، ولا تَنْبُشْ عنه إذ
وُفِّقَ له ، فإن ذلك الرأي لنا ولك ، والحق علينا وعليك . أسأل الله العون
وحسن العاقبة لنا ولك بمنّه .»

٢٢٩ — خطبة معاوية

فقام معاوية ، فقال :

«أيها الناس : إن إبليس من الناس إخواناً وخُلَائِناً ، بهم يَسْتَعِدُّ ، وإياهم
يستعين ، وعلى ألسنتهم ينطق ، إن رجوا طمعاً أوجفوا^(٤) وإن استغنى عنهم

[١] من شسع المنزل كنع : بد . [٢] ناص مناصاً : تحرك . [٣] من غاله أى أهلكه .

[٤] أسرعوا ، وجف البير والفرس وجيفا : عدا ، وأوجفته : إذا أعديته ، قال تعالى :

«فَمَا أَوْجَقْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» أى ما أعلمتم .

أَرْجِفُوا^(١) ، ثُمَّ يُلْقِحُونَ^(٢) الْفِتْنَ بِالْفُجُورِ ، وَيَشْقُقُونَ لَهَا حَطَبَ النِّفَاقِ ، عِيَابُونَ مَرْتَابُونَ ، إِنْ لَوُوا عُرْوَةَ أَمْرٍ حَنَفُوا ، وَإِنْ دُعُوا إِلَى غِيٍّ أَسْرَفُوا ، وَلَيْسُوا أَوْلَئِكَ بِمُنْتَهَيْنَ وَلَا بِمُقْلَعِينَ وَلَا مَتَّعِظِينَ ، حَتَّى تَصِيبَهُمْ صَوَاعِقُ^(٣) خَزْيٍ وَبِيلٍ ، وَتَحُلَّ بِهِمْ قَوَارِعُ^(٤) أَمْرِ جَلِيلٍ ، تَجْتَثُّ^(٥) أَصُولَهُمْ كَاجْتِثَاتِ أَصُولِ الْفَقْعِ ، فَأَوَّلَى لِأَوْلَئِكَ ثُمَّ أَوْلَى ، فَإِنَا قَدْ قَدَّمْنَا وَأَنْذَرْنَا ، إِنْ أَغْنَى التَّقَدُّمُ شَيْئًا أَوْ نَفَعَ النَّذْرُ^(٦) .

٢٣٠ — خطبة يزيد بن المقنن

ثم قام يزيد بن المقنن ، فقال :

« أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا — وَأَشَارَ إِلَى مَعَاوِيَةَ — ، فَإِنْ هَلَكَ فَهَذَا — وَأَشَارَ إِلَى يَزِيدَ — ، فَمَنْ أَبَى فَهَذَا — وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ » ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : اجْلِسْ فَإِنَّكَ سَيِّدُ الْخُطَبَاءِ .

٢٣١ — خطبة الأحنف

ثم تكلم الأحنف بن قيس ، فقال :

« يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : أَنْتَ أَعَامَنَا يَزِيدَ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَسَرَّهُ وَعَلَانِيَتِهِ ، وَمَدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ لِلَّهِ رِضًا وَلِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَلَا تَشَاوِرِ النَّاسَ فِيهِ ،

[١] أَرْجَفَ الْقَوْمَ : خَاضُوا فِي أَخْبَارِ الْفِتَنِ وَنَحَوِهَا ، قَالَ تَعَالَى : « وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ » .

[٢] فِي الْأَصْلِ « يُلْقِحُونَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَصَوَابُهُ : « يُلْقِحُونَ » مِنْ أَلْقَحَ النَّاقَةَ وَالنَّحْلَةَ .

[٣] جَمْعُ صَاعِقَةٍ ، وَهِيَ الْمَوْتُ وَكُلُّ عَذَابٍ مُهِلِكٍ . وَأَرْضٌ وَبَيْلَةٌ : وَخِيْمَةُ الْمَرْتَعِ . [٤] جَمْعُ قَارِعَةٍ ،

وَهِيَ الدَّاهِيَةُ الْفَاجِئَةُ . قَالَ تَعَالَى : « وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ » .

[٥] تَقْتَلَعُ ، وَالْفَقْعُ بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ : الْبَيْضَاءُ الرَّخْوَةُ مِنَ الْكِدَاءِ .

[٦] النَّذْرُ الْإِنْذَارُ . قَالَ تَعَالَى : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي » أَيْ الْإِنْذَارُ ، وَفِي الْإِمَامَةِ

وَالسِّيَاسَةِ عَقِبَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ : « فِدَا مَعَاوِيَةَ الضُّحَاكُ فَوَلَاهُ الْكُوفَةَ ، وَدَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَوَلَاهُ الْجَزِيرَةَ » .

وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَا تَزُوْدُهُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ صَائِرٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْآخِرَةِ إِلَّا مَا طَابَ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ قَدَّمْتَ يَزِيدَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَنْ هُمَا ، وَإِلَى مَا هُمَا ، وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ : « سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

قال صاحب العقد : فتنفرق الناس ، ولم يذكروا إلا كلام الأحنف ، ثم بايع الناس ليزيد بن معاوية ، فقال رجل وقد دُعِيَ إِلَى الْبَيْعَةِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مُعَاوِيَةَ » . فقال لَهُ مُعَاوِيَةُ : « تَعُوذُ مِنْ شَرِّ نَفْسِكَ ، فَإِنَّهُ أَشَدَّ عَلَيْكَ وَبَايِعَ » فقال : « إِنِّي أَبَايَعُ وَأَنَا كَارِهِ لِلْبَيْعَةِ » ، فقال لَهُ مُعَاوِيَةُ : بايع أيها الرجل فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : « فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُهُوَ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .
أما ابن قتيبة فيقول :

قالوا : فاستخار الله معاوية ، وأعرض عن ذكر البيعة ، حتى قدم المدينة سنة خمسين ، فتلقاه الناس ، فلما استقرَّ في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأمر حاجبه ألا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر ، فلما جلسوا تكلم معاوية فقال :

٢٣٢ — خطبة معاوية

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِحَمْدِهِ ، وَوَعَدَنَا عَلَيْهِ ثَوَابَهُ ، نَحْمَدُهُ كَثِيرًا ، كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا كَثِيرًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي قَدْ كَبِرَ سِنِّي ، وَوَهَنَ عَظْمِي ، وَقَرُبَ أَجْلِي ، وَأَوْشَكَتُ أَنْ أُدْغَى فَأُجِيبَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ بَعْدِي يَزِيدُ ، وَرَأَيْتُهُ لَكُمْ

رِضًا ، وأنتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء خيارها ، ولم يمنعني أن أحضر حسنا وحسينا إلا أنهما أولاد أبيهما ، على حُسن رأي فيهما ، وشديد محبتي لهما ، فرُدُّوا على أمير المؤمنين خيرا ، يرحمكم الله .

٢٣٣ — خطبة عبد الله بن عباس

فتكلم عبد الله بن عباس فقال :

« الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده ، واستوجب علينا الشكر على آلائه ، وحُسن بلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وصلى الله على محمد وآل محمد . أما بعد : فإنك قد تكلمت فأنصتنا . وقلتَ فسمعنا ، وإن الله جل ثناؤه ، وتقدَّست أسماؤه ، اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لرسالته ، واختاره لوحيه ، وشرفه على خلقه ، فأشرف الناس من أشرف به ، وأولاهم بالأمرِ أخصَّهم به ، وإنما على الأمة التسليم لنبيها إذ اختاره الله لها ، فإنه إنما اختار محمداً بعلمه ، وهو العليم الخبير ، وأستغفر الله لي ولكم . »

٢٣٤ — خطبة عبد الله بن جعفر

فقام عبد الله بن جعفر فقال :

« الحمد لله أهل الحمد ومُنْتَهَاهُ ، نحمده على إلهامنا حمده ، ونرغب إليه في تأدية حقه ، وأشهد أن لا إله إلا الله واحداً صمداً^(١) ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد : فإن هذه الخِلافة إن أخذ فيها بالقرآن : « فَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » ، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله ، فأُولُو رِسُولِ اللَّهِ ، وإن أخذ بسنة الشيخين أبي بكر

[١] الصمد : السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج أى يقصد ، صمده من باب نصر : قصده .

وعمر، فأى الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول؟ وإيم الله لو ولّوه بعد نبيهم، لوضعوا الأمر موضعه، لحقه صدقه، ولأطيع الله، وعصى الشيطان، وما اختلف في الأمة سيفان، فاتق الله يا معاوية، فإنك قد صرت راعياً ونحن رعية، فانظر لرعتك، فإنك مستول عنها غداً، وأما ما ذكرت من ابني عمي، وتركك أن تحضرهما، فوالله ما أصبت الحق، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما، وإنك لتعلم أنهما معدن العلم والكرم، فقل أودع، وأستغفر الله لي ولكم».

٢٣٥ — خطبة عبد الله بن الزبير

فتكلم عبد الله بن الزبير فقال :

« الحمد لله الذي عرفنا دينه، وأكرمنا برسوله، أحمدده على ما أبلى وأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد : فإن هذه الخلافة لقريش خاصة، تتناولها بآثرها السنيّة، وأفعالها المرصيّة، مع شرف الآباء، وكرم الأبناء، فاتق الله يا معاوية، وأنصف من نفسك، فإن هذا عبد الله ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليّ خلف حسناً وحسيناً، وأنت تعلم من هما، وما هما، فاتق الله يا معاوية، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك » .

٢٣٦ — خطبة عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ٧٤ هـ)

فتكلم عبد الله بن عمر فقال :

« الحمد لله الذي أكرمنا بدينه، وشرّفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم، أما بعد : فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية، ولا قيصرية، ولا كسروية، يتوارثها الأبناء

عن الآباء ، ولو كان كذلك كنتُ القائمَ بها بعد أبي ، فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى ، إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً ، وإنما هي في قریش خاصةً ، لِمَن كَانَ لها أهلاً ، ممن ارتضاه المسامون لأنفسهم ، مَن كَانَ اتَّقَى وأَرْضَى ، فَإِن كنتَ تريد الفتيان من قریش ، فلعمري إن يزيد من فتيانها ، واعلم أنه لا يُغْنِي عنكَ من الله شيئاً .

٢٣٧ — خطبة معاوية

فتكلم معاوية فقال :

« قد قلتُ وقلتم ، وإنه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء ، فابني أحبُّ إليَّ من أبنائهم ، مع أن ابني إنْ قاوَلتموه ^(١) وجد مقالا ، وَإِنما كَانَ هذا الأمر لبني عبد مناف ، لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَّى النَّاسُ أبا بكر وعمر ، من غير مَعْدِنِ الملك وَلَا الخلافة ، غير أنهما سارا بسيرة جميلة ، ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف ، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد أخرجك الله يا بن الزبير وأنت يا بن عمر منها . فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله . ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ، ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطياتهم ^(٢) ، ثم انصرف راجعاً إلى الشام ، وسكت عن البيعة ، فلم يَعْرِضْ لها إلى سنة إحدى وخمسين .

* *

قال ابن قتيبة : ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمة الله (سنة ٥١) إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام ، وكتب يبيعته إلى الآفاق ، وكان عامله على

[١] قاوَل : فاعل من القول ، كحادث وخاطب وكالم . [٢] أعطيات جمع أعطية وهو جمع عطاء .

المدينة مروان بن الحكم ، فكتب إليه بذلك وأمره أن يجمع مَنْ قَبْلَهُ من قریش وغيرهم من أهل المدينة ، ثم يبايعوا يزيد ، فلما قرأ كتاب معاوية أُنْبِئ من ذلك وَأَبْتَهُ قریش ، وكتب إلى معاوية: إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابْنَك ، فَأَرِنِي رأيك ، فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله ، وَيُخْبِرُهُ أَنَّهُ قد وَلَّى المدينة سعيد بن العاص ، فخرج مروان مُغَاضِبًا في أهل بيته وأخواله من بني كِنانة حتى أَتَى دَهْشَق ، ودخل على معاوية ، فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال :

٢٣٨ — خطبة مروان بن الحكم

«إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ خَطَرُهُ ، لَا يَقْدِرُ^(١) قَادِرٌ قَدَرُهُ ، خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ عِبَادًا ، جَعَلَهُمْ لِدَعَائِهِ دِينَهُ أَوْتَادًا ، هُمْ رُقَبَاؤُهُ عَلَى الْبِلَادِ ، وَخَلَفَاؤُهُ عَلَى الْعِبَادِ ، أَسْفَرَ^(٢) بِهِمُ الظُّلْمَ ، وَأَلْفَ بِهِمُ الدِّينَ ، وَشَدَّدَ بِهِمُ الْيَقِينَ ، وَمَنَعَ بِهِمُ الظُّفَرَ ، وَوَضَعَ بِهِمُ مِنْ اسْتِكْبَارٍ ، فَكَانَ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ خَلَفَائِنَا ، يَعْرِفُونَ ذَلِكَ فِي سَالِفِ زَمَانِنَا ، وَكُنَّا نَكُونُ لَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ إِخْوَانًا ، وَعَلَى مَنْ خَالَفَ عَنْهَا أَعْوَانًا ، يُشَدُّ بِنَا الْعَضْدُ ، وَيُقَامُ بِنَا الْأَوْدُ ، وَنُسْتَشَارُ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَنُسْتَأْذَنُ^(٣) فِي أَمْرِ الرِّعْيَةِ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ فِي أُمُورٍ مُسْتَحِيرَةٍ^(٤) ، ذَاتَ وَجْهِ مُسْتَدِيرَةٍ ، تُفْتَحُ بِأَزْمَةِ الضَّلَالِ ، وَتُحْلَسُ^(٥) بِأَسْوَأِ الرِّجَالِ ، يُؤْكَلُ جَزُورُهَا^(٦) ، وَتُتَمَتَّقُ أَحْلَامُهَا^(٧) ، فَمَا لَنَا

[١] قدره من بابى نصر وضرب وقدره نقديرا: عطمه ، قال تعالى: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»

أى ما عظموه حق تعظيمه . [٢] سفر الصبح وأسفر: أضاء وأشرق ، أو هو متد من سفرت الحرب أى ولت ، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها ، فالعنى كشف بهم الظلم . [٣] الاستئذان المشاورة . [٤] فى الأصل «مستخيرة» أى مستخير صاحبها من استأذنه الله فى أمره : طلب أن يجعل له فيه الخير ، وأرى أنها «مستخيرة» بالحاء أى مستخير صاحبها أى متخير ، من استأذنه إذا نظر إلى الشيء ، دعشى عليه ولم يهتد لسبيله ، ويؤيد هذا قوله بعد «ذات وجوه مستديرة» أى مستغلقة مبهمة ليست مسقيمة .

[٥] جلس البعير كضربه : غشاه بحلس (بكسر الحاء) وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة « وفى الأصل » وتجلس بأسوأ الرجال « بجمعين وهو تصحيف » . [٦] الجزور : البعير أو خاص بالناقة المجزورة . [٧] امتق الفصيل مالى الفرع شربه كله ، والأحلاب جمع حلب (بفتحين) وهو اللبن المحلوب .

لَا نَسْتَأْمَرُ فِي رِضَاعِهَا ، وَنَحْنُ فِطَامُهَا وَأَوْلَادُ فِطَامِهَا ، وَآيُمُ اللَّهِ لَوْلَا عَهْدُ مُوَكَّدَةٍ ، وَمَوَائِقُ مُعَقَّدَةٍ ^(١) ، لَأَقَمْتُ أَوْدَ وَلِيَّيْهَا ، فَأَقَمَ الْأَمْرُ يَابْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، وَاعْدَلَ عَنْ تَأْمِيرِكَ الصَّبِيَّانَ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ لَكَ فِي قَوْمِكَ نُظَرَاءَ ، وَأَنَّ لَهُمْ عَلَى مَنَاوَأَتِكَ وَزَرَاءَ .

فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً ، ثم كظم غيظه بحلمه ، وأخذ بيد مروان ، ثم قال :

٢٣٩ — خطبة معاوية

« إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَصْلاً ، وَجَعَلَ لِكُلِّ خَيْرٍ أَهْلاً ، ثُمَّ جَعَلَكَ فِي الْكَرَمِ مَنَى مُحْتِداً ^(٢) ، وَالْعَزِيزِ مَنَى وَالِدًا ، اخْتَرْتَ مِنْ قُرُومٍ ^(٣) قَادَةً ، ثُمَّ اسْتَلَيْتَ سَيِّدَ سَادَةٍ ، فَأَنْتَ ابْنُ يَنَابِيعِ الْكَرَمِ ، فَعَرَّحَبَّا بِكَ وَأَهْلًا مِنْ ابْنِ عَمٍّ ، ذَكَرْتَ خُلَفَاءَ مَفْقُودِينَ ، شُهَدَاءَ صِدِّيقِينَ ، كَانُوا كَمَا نَعْتُ ، وَكَانَتْ لَهُمْ كَمَا ذَكَرْتَ . وَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي أُمُورٍ مُسْتَحِيرَةٍ ، ذَاتِ وُجُوهِ مُسْتَدِيرَةٍ ، وَبِكَ وَاللَّهِ يَابْنَ الْعَمِّ نَرْجُو اسْتِقَامَةَ أَوْدِهَا ، وَذُلُولَةَ ^(٤) صَعُوبَتِهَا ، وَسُفُورَ ظُلُمَتِهَا ، حَتَّى يَتَطَاطَأَ ^(٥) جَسِيمُهَا ، وَيُرْكَبَ بِكَ عَظِيمُهَا ، فَأَنْتَ نَظِيرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغُدَّتُهُ فِي كُلِّ شِدِيدَةٍ وَعَضُدُهُ ، وَالثَّانِي بَعْدَ وَلِيِّ عَهْدِهِ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ قَوْمَكَ ، وَأَعْظَمْتُ فِي الْخِرَاجِ سَهْمَكَ ، وَأَنَا مُجِيزٌ وَفْدُكَ ، وَمُحْسِنٌ رِفْدُكَ ^(٦) ، وَعَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غِنَاكَ ، وَالنَّزُولُ عِنْدَ رِضَاكَ ^(٧) . »

[١] اسم مفعول من عقد بالتشديد مضعف عقد الحبل والبيع والعهد إذا شده .

[٢] المختد : الأصل . [٣] جمع قرم بالفتح وهو السيد . [٤] هكذا في الأصل ، وفي كتب

اللافة : « الدل بالكسر والضم اللين وهو ضد الصعوبة ، ذل فهو ذلول ، يكون في الإنسان والداية » .

[٥] طأطأ رأسه خفضه فتطأطأ . [٦] الرد : العطاء والصلة .

[٧] قال المسعودي : « وجعله ولي عهد يزيد وردّه إلى المدينة ، ثم لانه عزله عنها ، وولاه الوليد بن

عتبة بن أبي سفيان ، ولم يف مروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد » ، وقال ابن قتيبة : « فكان أول

مارزق ألف دينار في كل هلال ، وفرض له في أهل بيته مائة مائة » .

٢٤٠ — مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر

وروى أن مروان لما ورد عليه كتاب معاوية ، قرأه على أهل المدينة وقال :
« إن أمير المؤمنين قد كبر سنّه ، ودَقَّ عظمه ، وقد خاف أن يأتيه أمر الله
تعالى ، فيَدَعَ الناس كالغنم لاراعى لها ، وقد أحب أن يُعَلِّمَ علماً ، ويُقيم إماماً » ،
فقالوا : وفَّق الله أمير المؤمنين وسدَّده ، لِفَعْلٍ ، فكتب بذلك إلى معاوية ، فكتب
إليه أن سَمَّ يزيدَ ، فقرأ الكتاب عليهم وسَمَّى يزيدَ ، وخطبهم فخصَّهم على الطاعة ،
وحذَّره الفتنة ، ودعاهم إلى بيعة يزيد وقال : سنّة أبي بكر الهادية المهدية ، فقام
عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : « كذبت والله يا مروان ، وكذب معاوية معك ،
إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ، وباع لرجل من بني عديّ رضى دينه وأماته ،
واختاره لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يكون ذلك ، لا تُحَدِّثُوا علينا سنّة
الروم ، كلما مات هرقلُ قام مكانه هرقل » ، فقال مروان : « أيها الناس : إن
هذا المتكلم هو الذى أنزل الله فيه : « وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمَا ، أَعِدَانِي
أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ^(١) » ، فقال له عبد الرحمن :

[١] أخرج : أبث ، قال صاحب الأملى : « فسمعت ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت : ألا بن الصديق
يقول هذا ؟ استرونى فستروها ، فقالت : كذبت والله يا مروان إن ذلك لرجل معروف نسبه » ، وقال
المفسرون في هذه الآية : « والمراد (بالذى قال) الجنس القائل ذلك القول ، وعن الحسن : هو في الكافر
العاق لوالديه ، المكذب بالبعث ، وعن قتادة : بعث عبد سوء : عاق لوالديه ، فاجر لربه ، وقيل نزلت في
عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ، وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام ، فأفف بهما ،
وقال : ابعثوا إلى حدعان بن عمرو ، وعثمان بن عمرو — وهما من أجداده — حتى أسألهما عما يقول محمد ،
ويشهد ببطلانه أن المراد بالذى قال الجنس القائلين ذلك ، وأن قوله : « الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ »
هم أصحاب النار ، وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ، وعن عائشة رضى الله عنها إنكار نزولها
فيه ، وحين كتب معاوية إلى مروان أن يبايع الناس ليزيد ، قال عبد الرحمن : لقد بعثتم بها هرقلية ، أتبايعون
لأبنائكم ، فقال مروان : يأبى الناس هو الذى قال الله فيه « وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ ... الآية » فسمعت
عائشة فغضبت ، وقالت : « والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته » ، أما أنت يا مروان ، فأشهد أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت فضض من لعنة الله » اهـ

«يا بن الزرقاء»^(١)، أفينا تتأول القرآن؟» وتكلم الحسين بن عليّ، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وأنكروا بيعة يزيد، وتفرق الناس، فكتب مروان إلى معاوية بذلك.

قال ابن قتيبة: فقدم معاوية المدينة حاجاً، ثم أرسل إلى الحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس فحضرا، وابتدأ معاوية قتال:

٢٤١ — خطبة معاوية

«أما بعد: فالحمد لله وليّ النعم، ومُنزل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله، المتعالي عما يقول الملحّدون علواً كبيراً، وأن محمداً عبده المختصّ المبعوث إلى الجن والإنس كافّة، لينذّرهم بقرآن: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»، فأدّى عن الله، وصدّع^(٢) بأمره، وصبر على

(وقولها قصص كجبل ويروى كعنق وغراب أى قطعة منها).

وجاء في السيرة الحلبية (١: ٣٠٢): «عن الواقدي، استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف صوته، فقال: «أندنوا له لعله الله ومن يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم — ونليل ما هم — دوو مكر وخديعة، يعطون الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق»، وكان لا يولد لأحد ولد بالمدينة إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى إليه بمروان لما ولد، فقال: «هو الوزع بن الوزع، للمعون بن للمعون» وعن جبير بن مطعم: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الحكم بن أبي العاص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وبل لأمتي مما في صلب هذا». وجاء في أسد الغابة في ترجمته: «ذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، في هجائه لعبد الرحمن بن الحكم، فقال:

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلصاً مجنوناً

وقد روى في لعمري ونفيه أحاديث كثيرة لا حاجة إلى ذكرها، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي صلى الله عليه وسلم، مع حلمه وإغصائه على ما يكره، ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم، وجاء في الفخرى ص ١٠٨ «ورويت أحاديث وأخبار في لعنة الحكم بن أبي العاص، ولعنة من في صلبه، وضعفها قوم».

[١] في الفخرى ص ١٠٨ «وكان من أراد ذم مروان وعييه يقول له «يا بن الزرقاء» قالوا: وكانت الزرقاء جدتهم من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهلية، فلذلك كانوا يذمون بها».

[٢] قوله تعالى: «فأصدع بما تؤمر» أى شقّ جماعاتهم بالتوحيد أو أجهر بالقرآن أو أظهر

أو احكم بالحق وأصل بالأمر أو أقصد بما تؤمر أو افرق به بين الحق والباطل.

الأذى في جنبه ، حتى أوضح دين الله ، وأعزَّ أوليائه ، وقمع المشركين ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ففضى صلوات الله عليه ، وقد ترك من الدنيا ما بُذِلَ له ، واختار منها الترك لما سُخِّرَ له ، زَهَادَةً واختياراً لله ، وَأَنْفَةً واقتداراً على الصبر ، وَبَغْيًا لما يدوم وَيَبْقَى ، وهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم خَلَفَهُ رجُلان محفوظان ، وَثَالِثٌ مشكوك ، وَبَيْنَ ذَلِكَ خَوْضٌ طالما عالجناه ، مشاهدةً ومكافأةً ، ومعاينةً وَسَمَاعًا ، وما أَعْلَمُ منهُ فوق ماتعلمان ، وقد كَانَ من أمر يزيد ما سَبَقْتُمْ إِلَيْهِ وَإِلَى تجويزه ، وقد علم الله ما أُحَاوِلَ به من أمر الرعية ، من سَدِّ الخَلَلِ ، وَلَمْ يَصْدَعْ ، بولاية يزيد ، بما أَيْقَظَ العَيْنَ ، وَأَحْمَدَ الْفِعْلَ ، هذا مَعْنَايَ في يزيد ، وَفِيكَما فَضْلُ القِرَابَةِ ، وَحِظُّوْهُ العلم ، وَكَمَالُ المُرُوءَةِ ، وقد أَصَبْتُ مِنْ ذَلِكَ عند يزيد على المناظرة والمقابلة ، ما أَعْيَانِي مِثْلُهُ عندكما ، وعند غيركما ، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن ، وَالْحِلْمُ الذي يَرْجَحُ بِالضَّمِّ ^(١) الصَّلاب ، وقد علمتما أَنَّ الرسول المحفوظَ بِعِصْمَةِ الرِّسَالَةِ ، قَدَّمَ على الصَّدِّيقِ وَالْفَارُوقِ ، وَمَنْ دُونَهُمَا مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ ، وَأَوَائِلِ الْمُهَاجِرِينَ ، يوم غزوة ذات السَّلاسل ^(٢) ، مَنْ لم يقارب

[١] الضم جمع أصم ، وهو الحجر الصلب المصمت .

[٢] غزوة ذات السلاسل وهي وراء وادي الفري من أرض بني عذرة : غزاهما سرية عمرو بن العاص سنة ثمان للهجرة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام ، فلما كَانَ على ماء بأرض حذام ، يقال له السلسل — وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل — خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه رسول الله أَنَا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأوابين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مدداً لي قال أبو عبيدة : لا ، ولكني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه — وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا — فقال له عمرو : بل أنت مدد لي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعك ، قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مدد لي ، قال : فدوتك ، فصلى عمرو بالناس .

القوم ، ولم يمانِذْهم^(١) ، برتبة في قرابة موصولة ، ولا سُنَّة مذكورة ، فقادهم الرجل بأمره ، وجمع بهم صَلَاتهم ، وَحَفِظَ عليهم فيهم ، وقال ولم يُقَلْ معه ، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، فهلا بنى عبد المطلب ، فإننا وأنتم شَعْبًا نَفَعٌ وَجِدٌ ، وما زلت أرجو الإِنصاف في اجتماعكما ، فما يقول القائل إلا بِفَضْلٍ قولكما ، فَرُدَّا على ذِي رَحِمٍ مُسْتَعِيبٍ ، ما يَحْمَدُ به البصيرة في عِتَابكما ، وأستغفر الله لي ولكما .

فتيسَّر ابن عباس للكلام ، ونَصَبَ يده للمخاطبة ، فأشار إليه الحسين وقال : على رِسْلِكَ ، فَأَنَا المراد ، وَنَصِيبِي في التَّهْمَةِ أَوْفَرُ ، فَأَمْسِكْ ابن عباس ، فقام الحسين :

٢٤٢ - خطبة الحسين

فحمد الله ، وصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أما بعد يا معاوية ، فلن يُؤَدِّيَ القائلُ - وإن أطنبَ - في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميعِ جزءٍ ، قد فهمتُ مَا أَلْبَسْتَ^(٢) به الخلفَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من إنجاز الصفة ، والتَّكْبُثِ عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ! فَضَحَ الصَّبْحُ فَحْمَةَ الدُّجَى ، وَبَهَرَتْ^(٣) الشمسُ أنوارَ الشُّرُجِ ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أَجَحَفْتَ ، ومنعت حتى بَخِلْتَ ، وَجَرْتَ حتى جاوزت ، ما بذلتَ لذي حقٍّ مِنْ أُمَّةٍ حقٍّ بنصيبٍ ، حتى أَخَذَ الشَّيْطَانُ حَظَّهُ الأَوْفَرَ ، ونصيبه الأَكْمَلَ ، وفهمت ما ذكرته عن يزيد ،

[١] المعاندة : المفارقة ، أى ولم يمتز عليهم برتبة .

[٢] أَلْبَسَهُ : غَطَاهُ . [٣] يقال بهر القمر كمنع : غلب ضوءه ضوء الكواكب ، والسرَج جمع

سراج ، وهو المصباح .

من اكتماله وسياسته لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصيف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، نخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه^(١) الكلاب المتهاشمة^(٢) عند التحارش، والهام السبق لأتراهين، والقيّنات^(٣) ذوات المعازيف، وضروب الملاهي، تجذّه ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدّم باطلا في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدّم على عمل محفوظ. في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعنا عن آبائنا ثرائاً، ولقد - لعمر الله - أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام ولادة، وجئت لنا بما حججتم به القائم عند موت الرسول عليه الصلاة والسلام، فأذعن للحجة بذلك. وردّه الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعايل، وفعلتم الأفاعيل، وقتلتم كان ويكون، حتى أتاك الأمر يامعاوية، من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك^(٤)، فاعتبروا يا أولى الأبصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة، بصحبة الرسول وبيعته له، وما صار لعمر يومئذ حتى أنف القوم إنرتته، وكرهوا تقديمه، وعدّوا عليه أفعاله، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا جرم»^(٥) معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري.

[١] استقرأ الأشياء : تتبع أفرادها . [٢] المهارشة : تحرّش بعضها على بعض .

[٣] جمع قينة : وهي الجارية المنية أو أعم ، والمعارف الآلات التي يضرب بها كالعود، جمع معزف كنبر .

[٤] مسهل عن هنا ، يقال هنا الطعام إذا ساع ولد ، أي فنهيشاك ماثلت من الخلقة .

[٥] لا جرم : قال الفراء « هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت حتى

فكيف يُحْتَجَّ بالمنسوخ من فعل الرسول ، في أوْ كَد الأحوال ، وأولاها بالمتَّع عليه من الصواب ؟ أم كيف صاحبت بصاحبٍ تابعاً ، وحولك مَنْ لا يُؤْمَنُ في صحبته ، ولا يُعْتَمَدُ في دينه وقرابته ، وتتخطاهم إلى مُسْرِفٍ مَفْتُونٍ ؟ تريد أن تلبس الناسَ شُبُهَةً ، يَسْعَدَ بها الباقي في دنياه ، وَتَشْقَى بها في آخرتك ، إن هذا لهُوَ الْخُسْرَانُ الْمَبِينُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

فنظر معاوية إلى ابن عباس ، فقال : ما هذا يا ابن عباس ؟ وَلَمَّا عِنْدَكَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ! فقال ابن عباس : لعمرُ الله ، إنها لَدُرِّيَّةُ الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأحد أصحاب الكِساء^(١) ، ومن البيت المُطَهَّر ، فالهُ عَمَّا تريد ، فَإِنَّ لَكَ فِي النَّاسِ مَفْنَعًا ، حتى يحكم الله بأمره ، وهو خير الحاكمين ، فقال معاوية : أَعُوذُ^(٢) الْحِلْمَ التَّحَلُّمَ ، وخيرُهُ التحلُّمُ عن الأهل . انصرفا في حفظ الله . ثم أرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، وإلى عبد الله بن عمر ، وإلى عبد الله بن الزبير ، فجلسوا .

٢٤٣ — خطبة معاوية

فحمد الله ، وأثنى عليه معاوية ، ثم قال :

« يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو : قد كنتَ تَحَدِّثُنَا أَنَّكَ لَا تَحِبُّ أَنْ تَبِيتَ لَيْلَةً وَلَيْسَ فِي عُنُقِكَ بَيْعَةُ جَمَاعَةٍ ، وَأَنَّ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَإِنِّي أَحْذَرُكَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمَسَامِينِ ، وَتَسْمَى فِي تَفْرِيقِ مَلَكْتِهِمْ^(٣) ، وَأَنْ تَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ ، وَإِنْ أَمَرَ يَزِيدُ قَدْ كَانَ قَضَاءً مِنَ الْقَضَاءِ ، وَلَيْسَ لِلْعِبَادِ خَيْرَةٌ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَقَدْ وَكَّدَ النَّاسُ

تحوَّلَتْ إِلَى مَعَى الْقِسْمِ ، وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ حَقٍّ ، فَلِذَلِكَ يُجَابُ عَنْهَا بِاللَّامِ كَمَا يُجَابُ بِهَا عَنْ الْقِسْمِ ، أَلَا تَرَامُ يَقُولُونَ : « لَا جَرَمَ لَأَتِيَنَّكَ » . [١] انظر ص ٢٥ . [٢] أَعُوذُ : أَنْفَعُ ، وَالْمَائِدَةُ : الْمَنَفْعَةُ . [٣] الْمَلَأَ : الْجَمَاعَةُ .

يَعْتَمِدُ فِي أَعْنَاقِهِمْ . وَأَعْطَوْا عَلَى ذَلِكَ عُهْدَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ » . ثُمَّ سَكَتَ .

٢٤٤ — خطبة عبد الله بن عمر

فَتَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَّا بَعْدُ : يَا مَعَاوِيَةُ ، لَقَدْ كَانَ قَبْلَكَ خُلَفَاءُ ، وَكَانَ لَهُمْ بَنُونَ ، لَيْسَ ابْنُكَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَلَمْ يَرَوْا فِي أَبْنَائِهِمْ مَا رَأَيْتَ فِي ابْنِكَ ، فَلَمْ يُحَاجُّوا فِي هَذَا الْأَمْرِ أَحَدًا ، وَلَكِنْ اخْتَارُوا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ عَالِمُوهُمْ ، وَأَنْتَ تَحْذَرُنِي أَنْ أَشُقَّ عَصَا الْمَسَامِينِ ، وَأُفَرِّقَ مَلَأَهُمْ ، وَأَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَكِنْ إِنْ اسْتَقَامَ النَّاسُ ، فَسَادَ خُلُوفُ صَالِحٍ مَا تَدْخُلُ فِيهِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ » .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، لَيْسَ عِنْدَكَ خِلَافٌ ، ثُمَّ قَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ نَحْوَمَا قَالَهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنْ نَكِلَكَ إِلَى اللَّهِ فِيمَا جَمَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ يَزِيدَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَجْعَلَنَّهَا سُورَى ، أَوْ لِأُعِيدَنَّهَا جَذْعَةً ، ثُمَّ قَامَ لِيُخْرِجَ ، فَتَعَلَّقَ مَعَاوِيَةُ بِطَرْفِ رِدَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ ، اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ ، لَا تَظْهَرَنَّ لِأَهْلِ الشَّامِ ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِبْنِ الزَّيْرِ نَحْوَمَا قَالَهُ لِبْنِ عُمَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ ثَعْلَبٌ رَوَّاعٌ ، كَمَا خَرَجْتَ مِنْ جُحْرٍ أَنْجَحَرْتَ^(١) فِي آخِرٍ ، أَنْتَ أَلْبَتَ^(٢) هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَخْرَجْتَهُمَا إِلَى مَا خَرَجَا إِلَيْهِ . فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ : أَتُرِيدُ أَنْ تَبَايَعَ لِيَزِيدَ ؟ أَرَأَيْتَ إِنْ بَايَعَنَاهُ أَيُّكُمَا نَظِيعٌ ؟ أَنْظِيعُكَ أَمْ نَظِيعُهُ ، إِنْ كُنْتَ مَلَيْتَ الْخِلَافَةَ فَاخْرُجْ مِنْهَا ، وَبَايِعْ لِيَزِيدَ ، فَنَحْنُ نَبَايَعُهُ ، فَكَثُرَ كَلَامُهُ وَكَلَامُ ابْنِ الزَّيْرِ ، حَتَّى قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ

[١] أَيْ دَخَلَ ، جَعَرَ الضَّبَّ كَمَنْعَ : دَخَلَ الْجَعْرَ ، وَجَعَرَ فَلَانَ الضَّبَّ : أَدْخَلَهُ فِيهِ ، هَانِجَر .

[٢] التَّأْلِبُ : التَّعْرِيزُ وَالْإِسَادُ .

في بعض كلامه : والله ما أراك إلا قاتلاً نفسك ، وأكأننى بك قد تخبّطت في الحباله . ثم أمرهم بالانصراف ، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ، ثم خرج فأمر المنادى أن ينادى في الناس ، أن يجتمعوا لأمر جامع . فاجتمع الناس في المسجد ، وقعد هؤلاء حول المنبر .

٢٤٥ — خطبة معاوية

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر يزيدَ وفضله وقراءته للقرآن ، ثم قال :
 « ي أهل المدينة ، لقد هممت ببيعة يزيد ، وما تركتُ قريةً ولا مدرة^(١) إلا بعثت إليها ببيعته ، فبايع الناس جميعاً وسلموا ، وأخرت المدينة بيعته ، وقلتُ بِيَضْتُهُ^(٢) ، وأصله ومن لا أخافهم عليه ، وكان الذين أبوا البيعة ، منهم من كان أجدر أن يصله . ووالله لو علمتُ مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له .
 فقام الحسين فقال : « والله لقد تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً !
 فقال معاوية : « كأنك تريد نفسك ؟ » فقال الحسين : « نعم . أصلحك الله !
 فقال معاوية : « إذن أخبرك ، أما قولك : خير منه أما ، فاعمرى أمك خير من أمه ، ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش ، لكان نساء قريش أفضلهن ، فكيف وهى ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها ؟ فأملك لعمر الله خير من أمه^(٣) ، وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ، ففضى لأبيه على أيك » . فقال الحسين : « حَسْبُكَ جَهْلُكَ . آثرت العاجل على الآجل » .
 فقال معاوية : « وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً ، فيزيد والله خير لأمة محمد منك » . فقال الحسين : « هذا هو الإفك والزور ! يزيد شارب الخمر .

[١] المدرة : المدينة . [٢] جماعته وأصله . [٣] وأم يزيد هي ميسون بنت بحدل الكلبية .

ومشترى اللهو . خبرني » فقال معاوية : « مهلاً عن شتم ابن عمك . فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتُمك » ، ثم التفت معاوية إلى الناس . وقال : « أيها الناس : قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف أحداً ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، وكانت بيعته بيعه هدى ، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر ، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين ، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر ، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين ، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد ، لما وقع الناس فيه من الاختلاف ، ونظراً لهم بعين الانصاف . »



وروى من طريق آخر : أن معاوية لما خرج إلى المدينة ودنا منها ، استقبله أهلها ، فيهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسن بن علي ، وعبد الرحمن ابن أبي بكر ، فأقبل على عبد الرحمن بن أبي بكر ، فسبّه وقال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » ؛ فلما دخل الحسين عليه قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، بدنة^(١) يتفرق دُمها والله مُهرِيقه » ؛ فلما دخل ابن الزبير قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، ضَبُّ تَلْعَةٍ ، مُدْخِلُ رَأْسِهِ تَحْتَ ذَنْبِهِ » ؛ فلما دخل عبد الله بن عمر قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، وسبّه » ، فقال : « إني لست بأهل لهذه المقالة » قال : « بلى ، ولما هوش منها » ، فدخل معاوية المدينة وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرّهط معتمرين ، فلما كان وقت الحجّ خرج معاوية حاجاً ، فأقبل بعضهم على بعض ،

[١] البدنة من الابل والبقر كالأضحية من الغنم تهدي إلى مكة ، للذكر والأنثى .

[٢] التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها .

فقالوا : لعله قد ندم ، فأقبلوا يستقبلونه ، فلما دخل ابن عمر ، قال : « مرحباً بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الفاروق ، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابة » ، وقال لابن أبي بكر : « مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق ، هاتوا له دابة » ، وقال لابن الزبير : « مرحباً يا ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، هاتوا له دابة » ، وقال للحسين : « مرحباً يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب المسلمين ، قربوا لأبي عبد الله دابة ، وجعلت أظافُهُ ^(١) تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس ، وَيُحَسِّنُ إِذْنَهُمْ وَشَفَاعَتَهُمْ وَحَمْلَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ ، وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ ، فَقَضَى حَجَّهُ ، وَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْصُوصَ أَمَرَ بِأَثْقَالِهِ فَقُدِّمَتْ ، وَأَمَرَ بِالْمِنْبَرِ فَقَرَّبَ مِنَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَنْ يَكَلِّمُهُ ؟ فَأَقْبَلُوا عَلَى الْحُسَيْنِ فَأَبَى ، فَقَالُوا لابن الزبير : هات ، فَأَنْتَ صَاحِبُنَا . قَالَ : عَلَى أَنْ تَعْطُونِي عَهْدَ اللَّهِ أَنْ لَا أَقُولَ شَيْئاً إِلَّا تَابِعْتُمُونِي عَلَيْهِ . قَالُوا : لَكَ ذَلِكَ ، فَأَخَذَ عَهْدَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ ، وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُمْ نَظْرِي لَكُمْ ، وَتَعَطْفِي عَلَيْكُمْ ، وَصِلَتِي أَرْحَامَكُمْ ، وَيَزِيدُ أَخَوَكُمْ وَابْنَ عَمِّكُمْ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقْدِمَهُ بِاسْمِ الْخُلَافَةِ ، وَتَكُونُوا أَنْتُمْ تَأْمُرُونَ وَتَنْهَوْنَ ، فَسَكْتُوا ، فَقَالَ : أَجِيبُونِي ، فَسَكْتُوا ، فَقَالَ : أَجِيبُونِي ، فَسَكْتُوا ، فَقَالَ : لَا ابْنَ الزَّيْبِرِ : هَاتِ فَأَنْتَ صَاحِبُهُمْ . قَالَ :

٢٤٦ - خطبة عبد الله بن الزبير

« نَحْيَرُكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ ، أَيُّهَا أَخَذْتَ فَهِيَ لَكَ رَغْبَةٌ ، وَفِيهَا خِيَارٌ ، إِنْ شَدَّتْ فَاصْنَعْ فِينَا مَا صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْضَةُ اللَّهِ وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ

[١] الأظلاف جمع لطفة بالتحريك وهي الهدية .

أحدًا ، فرأى المسامون أن يستخلفوا أبا بكر ، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم ، وإن شئت فاصنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأذننين من كان لها أهلا ، وإن شئت ، فما صنع عمر ، جعلها شورى في ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم ، وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا .

فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا ، ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير ، فقال معاوية : « إني أتقدم إليكم ، وقد أعذر من أنذر ، إني قائم فقاتل مقالة ، فأياكم أن تعترضوا علي حتى أتمها ، فإن صدقت فعلي صدقي ، وإن كذبت فعلي كذبي ، وأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامى هذا ، لا ترجع إليه كلمته ، حتى يضرب رأسه ، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يُبقي إلا عليها ، وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفهما ، فإن تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه ، وخرج وأخرجهم معه ، حتى رقي المنبر ، وحف به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقام خطيبا فقال :

٢٤٧ خطبة معاوية

قال بعد حمد الله ، والثناء عليه ، إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار^(١) ، قالوا إن حسينًا ، وابن أبي بكر ، وابن عمر ، وابن الزبير لم يبايعوا يزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسامين وخيارهم ، لا نُبرِم أمرًا دونهم ، ولا نقضى أمرًا إلا عن مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وساموا وأطاعوا » فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ؟ ائذن لنا فنضرب أعناقهم ،

لا نرضى حتى يبايعوا علانية ، فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر ، وأحلى دماءهم عندهم ، أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا ، ثم قرّبت رواحله ، فركب ومضى ، فقال الناس للحسين وأصحابه : قلتم لا نبايع ، فلما دُعيتُم وأرَضِيتُم بايعتم . قالوا : لم نفعل . قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ؟ قالوا : خِفْنَا القتل وكَادَكُم بنا وكَادَنَا بكم .

(المقد الفريد ٢ : ٢٤٧ — ١٥٧ ، الإمامة والسياسة ١ : ١٢١ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٩ ، والأمالى ٢ : ٧٣ ، وذيل الأمالى ص ١٧٧ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٢١٠ ، والبيان والبيان ١ : ١٦٣ — ١٦٤)

تهنئة وتعزية

٢٤٨ — خطبة عبد الله بن همام السلولى

لما توفى معاوية واستخلف يزيد ابنه (سنة ٦٠) اجتمع الناس على بابه ، ولم يقدرُوا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولى فدخل عليه فقال :

« يا أمير المؤمنين ، آجَرَكَ الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، وأعانَكَ على الرعية ، فلقد رُزئت عظيمًا ، وأعطيت جسيمًا ، فاشكر الله على ما أُعطيت ، واصبر له على ما رُزيت ، فقد فُتدت خليفة الله ، ومُنحت خلافة الله ، ففارقت جليلًا ، ووُهِبت جزيلاً ، إذ قَضَى معاوية نَحْبَهُ ، فغفر الله ذنبه ، ووُلِّيت الرئاسة ، فأُعطيت السياسة ، فأورَدَكَ الله موارد السرور ، ووفَّقَكَ لصالح الأمور ، وأنشد :

فاصبر يزيد فقد فارقت ذا ثِقَةٍ واشكر حِباء الذى بالملك أصفاك^(١)

لا رُزءٌ أصبح في الأقوام نعامه كما رُزئت ، ولا عُقبى كعقبا كما
أصبحت وإلى أمر الناس كلهم فأنت ترعاهم والله يرعاكما
وفي معاوية الباقي لنا خلفاً إذا نُعيت ، ولا نسمع بمنعاً كما (١)
» وعبد الله بن همام هو أول من فتح الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية ، فولجّه
الناس ، كما روى من غير وجه .

(زهر الآداب ١ : ٦١ ، ونهاية الأرب ٥ : ٢١٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٦ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤١)
— ٣٥ — ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٦)

٢٤٩ — خطبة عطاء بن أبي سفيان الثقفى

وروى المسعودى أن يزيد بعد موت أبيه أذن للناس ، فدخلوا عليه لا يدرون
أيهنثونه أم يعزونه ، فقام عطاء بن أبي سفيان ، فقال :
« السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أصبحت وقد رُزئت
خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، ومُنحت هبة الله ، وقد قضى معاوية نحبّه ،
فغفر الله له ذنبه ، وأعطيت بعده الرياسة ، ووليت السياسة ، فأحتسب (٢) عند
الله أعظم الرزية ، وأحمدّه على أفضل العطية » .

(مروج الذهب ٢ : ٩٣ ، البيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ، تهذيب الكامل ١ : ١٦ ،
وصحح الأعشى ٩ : ٢٧٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٣٥)

٢٥٠ — خطبة عبد الله بن مازن

ثم قام عبد الله بن مازن ، فقال :

« السلام عليك يا أمير المؤمنين ؟ رُزئت خير الآباء ، وُسِّميت خير الأسماء ،
ومُنحت أفضل الأشياء ، فهناك الله بالعطية ، وأعانك على الرعية ، فقد أصبحت

[١] هو أبو ليلى معاوية بن يزيد . [٢] احتسب به أجراً عند الله : اعتدّم ينوى به وجه الله
(واحتسب ابنه إذا مات كبيراً ، فإن مات صغيراً قبل أن ترطه) .

قريش مفجوعةً يُعَدُّ ساستها ، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك ،
وَالْعُقْبَى من بعده ، ثم أنشأ يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد المُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عنك فيأبى الله إلا سَوْقَهَا إليك ، حتى قَلَدُوكَ طَوْقَهَا

ثم قام عبد الله بن همام فخطب خطبته السالفة . (مروج الذهب ٢ : ٩٣)

٢٥١ — خطبة غيلان بن مسلمة الثقفي

وروى الجاحظ : أنه لما توفي عبد الملك ، وجلس ابنة الوليد دخل عليه
الناس وهم لا يدرون أيهنثونه أم يعزونه ، فأقبل غيلان بن مسامة الثقفي ، فسلم
عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رزأتَ خيرَ الآباء ، وَسُمِّيتَ خيرَ الأسماء ،
وَأَعْطِيتَ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ ، فَعَظَمَ اللَّهُ لَكَ عَلَى الرِّزْيَةِ الصَّبْرَ ، وَأَعْطَاكَ فِي ذَلِكَ
نَوَافِلَ ^(١) الْأَجْرِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى حَسَنِ الْوَلَايَةِ وَالشُّكْرِ ، ثُمَّ قَضَى عَبْدَ الْمَلِكِ ^(٢)
بِخَيْرِ الْقَضِيَةِ ، وَأَنْزَلَهُ بِأَشْرَفِ الْمَنَازِلِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الرِّعْيَةِ » .
(البيان والتبيين ٢ : ١٠٣)



[١] النافلة في الصلاة وغيرها الزيادة . [٢] أى قضى على عبد الملك باستقاط الجار .

خطب ولاية الأمويين وقوادهم

خطب زياد بن أبيه المتوفى سنة ٥٣

٢٥٢ - خطبته بفارس وقد كتب إليه معاوية يتهدده

كان الإمام عليّ عليه السلام وليّ زياداً فارس - أو بعض أعمال فارس - فضبطها ضبطاً صالحاً ، وجبّ خراجها وحماها ، فلما قتل الإمام بقي زياد في عمله ، وخاف معاوية جانبه ، وعلم صعوبة ناحيته ، وأشفق من ممالأته الحسن بن عليّ ، عليه السلام ، فكتب إليه يتهدده ^(١) ، فغضب زياد غضباً شديداً ، وجمع الناس ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، ثم قال :

« العجب من ابن آكلة الأكباد ^(٢) ، وقاتلة أسد الله ، ومُظهر الخلاف ، ومُسرّ النفاق ، ورئيس الأحزاب ، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله ، كتب إليّ يُرْعِدُ وَيُيْرِقُ ^(٣) عن سحابة جَفَلٍ ^(٤) لا ماء فيها ، وعمّا قليل تصيرها الرياح قَزَعاً ^(٥) ، والذي يدئني على ضعفه تهْدُدُه قبل القدرة ، أفمن إشفاقٍ علىّ تُنْذِرُ

[١] ومما ورد في كتابه إليه قوله : « أمس عبد ، واليوم أمير ! خُطّة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية ، وإذا أتاك كتابي هذا ، نخذ اللباس بالطاعة والبيعة ، وأسرع الإجابة ، فأنت إن فعلت فدمك حققت ، ونفسك تداركت ، وإلا اختطفتك بأضعف ريش ، ونلتك بأهون سمي ، وأقسم قسماً مبروراً أن لا أوتى بك إلا في زمارة ، نحمي حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك في السوق ، وأبيعك عبداً ، وأردك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه » . [٢] هي هند أم معاوية ، وذلك أنها بعد انتهاء غزوة أحد بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذت كبده لتأكلها ، فلا كتبها ثم أرسلتها ، وكان قد قتله وحشى مولى جبير بن مطعم ، دعاه سيده وقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة بعني طعيمة فأنت حرّ . [٣] رعد الرجل وبرق (كنصر) وأرعد وأبرق : تهّدّد وتوعد . [٤] الجفل : السحاب هراق ماءه ومضى . [٥] الفزع : قطع من السحاب رقيقة .

وَتُعْذِرُ؟ كَلَّا ، وَلَكِنْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ مَذْهَبٍ ، وَقَعَقَعَ^(١) لِمَنْ رَوَى بَيْنَ صَوَاعِقِ تِهَامَةَ^(٢) ، كَيْفَ أَرْهَبُهُ وَيَبْنِي وَيَبْنِي ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَبْنُ ابْنِ عَمِّهِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؟ وَاللَّهُ لَوْ أَذِنَ لِي فِيهِ أَوْ نَدَبَنِي إِلَيْهِ ، لَأَرَيْتُهُ الْكَوَاكِبَ نَهَارًا ، وَلَأَسْعِطَنَّهُ^(٣) مَاءَ الْخُرْدَلِ دُونَهُ ، الْكَلَامُ الْيَوْمَ ، وَالْجَمْعُ غَدًا ، وَالْمَشُورَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ثُمَّ نَزَلَ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ٦٨ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٩٧)

٢٥٣ — خطبته وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبة يستقدمه

وكتب إلى معاوية يردّ عليه ردّا شديد اللهجة^(٤) ، فغمّ ذلك معاوية وأحزنه ، وأوفد إليه المغيرة بن شعبة بكتاب يتلطّف به فيه ، ويستدنيه منه ، ويستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان^(٥) ، وجعل المغيرة يترفق به ، وينصح له أن يصل حبله

[١] انقعقة صوت الرعد ، وتحرك النوى الياس الصلب مع صوت ، ومه « مايقعق له بالشان » وسيأتي تفسيره في خطبة الحجاج . [٢] روى : ارتوى ، والمراد نشأ وترعرع بينها ، ولعله (ربي) وذكروا أنه لما نصب الحجاج الخليفة لقتال عبد الله بن الزبير ، أطلتهم سحابة فأرعدت وأرقب وأرسلت الصواعق ، هرع الناس وأمسكوا عن القتال ، فقام بهيم الحجاج ، فقال : « أيها الناس لا بهولكم هذا فأني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصبح لربي ، فلو ركبنا عطيما لحال بينا وبينه ، ولكننا حبال تهمامة لم نزل الصواعق نزل بنا » . [٣] سعطه الدواء كعبه ونصره وأسعطه إياه : أدخله في أمه .

[٤] ونس كتابه إليه : « أما بعد ، فقد وصل إلى كتابك يا معاوية ، وذهمت مامنه ، فوجدتك كالعريق يغطي الموح فيتشث بالطعالب ، ويتعلق بأرجل الضعاع طمعا في الحياة ، إنما يكفر النعم ويستدعي النقم من حادّ الله ورسوله ، وسمى في الأرض فسادا . فأما سنك لي فلولا حلم ينهاني عنك ، وحوي أب أدعى سفيها لأثرت لك محازي لا يغسلها الماء . وأما تعييرك لي بسمية ، فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة وأما رعمك أنك تختطمني بأصعف ريش وتتناوأي بأهون سمي ، فهل رأيت بازيا يصرعه صغير القنابر ؟ أم هل سمعت بدث أكله خروف ؟ فامض الآن لطيتك ، واجهد جهدك ، فليست أنزل إلا بحيث تكره ، ولا أحتج إلا فيما يسوءك ، وستعلم أيما الخاضع لصاحبه الظالم إليه والسلام » .

[٥] وكانت ديباجة كتابه إليه : « من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان » وبه يقول : « وحملك سوء ظنك بي ، وفضك لي على أن عقلت قرابتي ، وقطعت رحمي ، وبقت نسي وحرمتي ، كأنت استأخى ، وليس صخر بن حرب أباك وأبي ! » وفي آخره يقول : « فإن أحببت جانبي ووثقت بي ، فإمرة بإمرة ، وإن كرهت جانبي ، ولم تثق بقولي ، ففعل جميل ، لاعلى ولا لى والسلام » .

بحبله ، ولا يقطع رَحْمَه ، فترثت زياد يومين أو ثلاثة يروى في أمره ، ثم جمع الناس ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم ، فقد نظرتُ في أمور الناس منذُ قتل عثمان ، وفكرتُ فيهم فوجدتهم كالأضاحي . في كل عيدٍ يُذبحون ، ولقد أفتى هذان اليومان : يوم الجمل وصفين ما يُنْيف على مائة ألف ، كُلُّهُمْ يزعمُ أنه طالبُ حقٍّ ، وتابعُ إمامٍ ، وعلى بصيرةٍ من أمره ، فإن كان الأمر هكذا ، فالقاتلُ والمقتولُ في الجنة ، كلاً : ليس كذلك ولكن أشكل الأمر ، والتبسَ على القوم ، وإني خائفٌ أن يرجع الأمر كما بدا ، فكيف لأمريَّ بِسَلامةٍ دينه ؟ وقد نظرتُ في أمر الناس ، فوجدتُ أحمَدَ العاقبتين العافيةً ، وسأعملُ في أموركم ما تحمدون عاقبته ومغيبته ، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله » ثم نزل .

وكتب إلى معاوية يستوثق منه ^(١) ، فأعطاه معاوية جميع ماسأله ، وكتب إليه بخط يده ما وثق به ، فدخل إليه الشام ، فقربه وأدناه ، وأقره على ولايته ، ثم استعمله على العراق . (شرح ابن أبي الحديد ٤ : ٦٩)

٢٥٤ — خطبته وقد استلحقه معاوية

ولما أراد معاوية استلحاق زياد ، وقد قدم عليه الشام ، جمع الناس وصعد المنبر ، وأصعد زياداً معه ، فأجلسه بين يديه على المِرْقاة ^(٢) التي تحت مرقاته ،

[١] وفي كتابه يقول : « إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، ونية حسنة ، وأردت بذلك براً فسأزعم في قلبي مودة وقبولا ، وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكراً وفسادية ، فإن النفس تأبى ما فيه العطب ، ولقد قت يوم قرأت كتابك مقعماً بعباً به الخطيب المدره ، فتركت من حضر ، لا أهل ورد ، ولا صدر ، كالمُتَحِيرِينَ بجهلهم ضل بهم الدليل ، وأنا على أمثال ذلك قدير » .

[٢] المِرْقاة بفتح الميم وتكسر : الدرجة .

وحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد ، فمن كان عنده شهادة فليقيم بها » ، فقام ناس ، فشهدوا أنه ابن أبي سفيان ، وأنهم سمعوا ما أقر به قبل موته ^(١) ، فلما انقضى كلام معاوية ومنأشدته ، قام زياد وأنصت الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] فقام أبو مريم السلولي — وكان خواراً في الجاهلية فقال : أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف ، فأثاني ، فاشتريت له لحماً وحمراً وطعاماً ، فلما أكل قال يا أبا مريم : أصيب لي نعيماً ، ففرحت فأثبتت سمية ، فقلت لها : إن أبا سفيان من قد عرفت شره وجوده ، وقد أمرني أن أصيب له نعيماً ، فهل لك ؟ فقلت : نعم يحيى الآن عبيد معه — وكان راعياً — فإذا تعشى ووضع رأسه أثبتته ، فرحمت إلى أبي سفيان فقلت لم أحد إلا جارية الحرث بن كلدة سمية ، يقال : اثني بها على ذفرها وقدرها ، فقال له زياد : مهلاً يا أبا مريم ، إنما بعثت شاهداً ، ولم تمت شاهداً ، فقال أبو مريم : لو كنتم أعفيتموني لكان أحب إلي ، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت ، والله لقد أخذ بكم درعها ، وأعافت الالب عليها ، فلم ألبث أن خرج عليّ يسح حبيبه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ، يقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ، وذو في إاطيها » — والدور بالتحريك ويسكن : الثن ، والذفر بالتحريك : كل ريش ذكية من طيب أو ثن ، أو يخص رائحة الإبط للثنية — وكانت أمه سمية قد وهبها أبو الخير بن عمرو السكندی للحارث بن كلدة — وكان طليماً يعالجه — فولدت له على فراشه نافعاً ، ثم ولدت أبا بكره ، فأنكر لونه ، وقيل له إن جارينك بنى ، فأتى من أبي بكره ومن نافع ، وزوجها عبيداً وكان عدداً لابنته ، فولدت على فراشه زيادا .

وذكروا أن عمر بن الخطاب كان قد بعث زيادا في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع بمثناها ، وهو شلام حدث ، وأبو سفيان حاضر ، وعليّ عليه السلام ، وعمرو ابن الناص ، فقال عمرو : لله أبو هذا الغلام لو كن قرشياً لساق العرب بمصاه ، فقال أبو سفيان : أما والله إنه لقرشي ، ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله وضعت في رحم أمه ، قال : فهلا تستلحقه ، قل : أخاف هذا العير الجالس أن يخرق علي إمامي .

ومن كتاب لعليّ عليه السلام إلى زياد ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديمته باستلحاقه : « وقد كن من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النمس ، ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ، ولا يستحق بها إرث » فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة ، ولم تزل في نفسه حتى ادطام معاوية ، وكان يقال له : زياد بن عبيد ، وزياد بن أبيه ، وزياد بن سمية ، وزياد بن أمه ، ولما استلحق قال له أكثر الناس : زياد بن أبي سفيان ، قال العاصمي : « وفي سنة ٤٤ استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان فيما قيل » .

« أيها الناس : هذا أمرٌ لم أشهدْ أوَّلَه ، ولا عِلْمَ لى بآخِرِه ، وقد قال أمير المؤمنين ، ما بلغكم ، وشهدت الشهود بما سمِعتم ، فالحمد لله الذى رفع مِنّا ما وضع الناس ، وحفظ مِنّا ما ضَيّعوا ، فأما عُيَيْدُ فَإِنَّا هُوَ والد مَبْرُور ، أَوْ رَيْبٌ^(١) مشكور » ثم نزل . (شرح ابن أبى الحديد ٤ : ص ٧٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥١ ، ٣ : ٣ ، ومروج الذهب ٢ : ٥٦ ، وذيل الأمل ١٨٩)

٢٥٥ . خطبته حين ولى البصرة (وهى البتراء)

وقدم زياد البصرة « غرة جمادى الأولى سنة ٤٥ هـ » والياً لمعاوية ابن أبى سفيان ، وضم إليه خراسان وسجستان ، والفُسُق بالبصرة كثير فاشي ظاهر ، فخطب خطبةً بَتْرَاء لم يحمَد الله فيها ، وقيل بل قال :

« الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمه وإكرامه . اللهم كما زِدْنَا نِعَمًا ، فَالْهِمْنَا شُكْرًا » أما بعدُ : فَإِنَّ الْجَهْلَةَ الْجَهْلَاءَ^(٢) ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حَمَاؤُكُمْ^(٣) ، من الأمور العظام ، ينبُت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تَقْرءُوا كتابَ الله ، ولم تَسْمَعُوا ما أَعَدَّ اللهُ من الثواب الكريم لأهل طَاعَتِهِ ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السَّرْمَدِيَّ^(٤) الذى لا يزول ، أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ^(٥) عَيْنِيهِ الدُّنْيَا ، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ الشَّهَوَاتُ ، واختار الفانية على الباقية ، وَلَا تَذْكُرُونَ أَنْكُمْ أَحْدَثْتُمْ فى الإسلامَ الحَدَثَ الذى لم

[١] الريب هنا : روج الأم .

[٢] هذا الوصف تأكيد للبالغة ، ومثله : وتد واتد ، ومهج هامج ، ولبلة ليلاء ، ويوم أيوم (أى شديد ، أو آخر يوم فى الشهر) . [٣] عقلاؤكم . [٤] الدائم . [٥] طرف عينه : أصابه بشئ ، فدمعت ، وطرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرفه عنه كضربه : صرفه وردء .

تَسْبِقُوا إِلَيْهِ ، مِنْ تَرْكِكُمْ الضَّعِيفَ يُقَهَّرُ وَيُؤْخَذُ مَالُهُ ، هَذِهِ الْمَوَاقِيرُ ^(١)
 المنصوبة ، والضعيفة المسلووبة في النهار المُبْصِر ، والعدد غير قليل ، ألم يكن
 منكم مُنْهَأَةٌ ^(٢) ، تمنع الغَوَاةَ عن دَلَجٍ ^(٣) الليل ، وغارة النهار ؟ قَرَّبْتُمْ الْقَرَابَةَ ،
 وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وَتُغْضُونَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ ، كلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ
 يَذُبُّ ^(٤) عَنْ سَفِيهِهِ ، صَنِيعٌ مِنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً ، وَلَا يَرْجُو مَعَادًا ، مَا أَنْتُمْ
 بِالْحَمَاءِ ، وَلَقَدْ اتَّبَعْتُمُ السُّفَهَاءَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ ، حَتَّى
 انْتَهَكُوا حُرْمَ ^(٥) الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ ، كُنُوسًا ^(٦) فِي مَكَائِسِ الرِّيبِ ،
 حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، حَتَّى أُسَوِّيَهَا بِالْأَرْضِ هَذْمًا وَإِحْرَاقًا .
 إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْأَحُ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهُ ، لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ،
 وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ غُنْفٍ ، وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَخَذَنَّ الْوَلِيُّ ^(٧) بِالْمَوَالِي ، وَالْمُقِيمَ بِالظَّاعِنِ ،
 وَالْمُقْبِلَ بِالْمُذْبِرِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالصَّحِيحَ مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ ، حَتَّى يَلْقَى
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ ، فَيَقُولُ : « أَنْجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ » ^(٨) أَوْ تَسْتَقِيمُ لِي

[١] جمع ماخور : وهو بيت الرية معرب أو عرر من محرت السفينة لتردد الناس إليه .
 [٢] جمع ناه ، وغواة جمع غاو . [٣] السير من أول الليل ، وقد أدلجوا ، فإن ساروا من آخره
 فادلجوا بالشديد . [٤] يدوم . [٥] جمع حرمة ، وهي ما لا يحل انتهاكه ، روى الشعبي قال :
 « لما خطب زياد خليفته التراء بالصرّة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يستعارسون ، فقال :
 ما هذا ؟ قالوا : إن البلد مفرّج ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ، ويقال لها : زدى
 ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم عليهما فيما نصنع ! » [٦] كنوس جمع كنس أى
 مستتر كعمود وجلس جمع فاعد وجالس ، وأصله من كنس الطي كضرب : دخل في كناسه (ككنات)
 وهو مستتره من الشجر ، ويجمع كناس على كدس (كركع) ومنه الجوارى الكدس (وهي الحفص)
 وهي الكواكب السيارة ، أو النجوم الخمسة : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد . لأنها
 تكس في الغيب كالظباء في الكدس (ككنات) ، أو هي كل المحوم لأنها تبدو ليلاً وتختفي نهاراً (وخومها أنها
 تنفيس كما يخفّس الشيطان إذا ذكر الله عز وجل) ومكاس الريب : مكانها المستتر جمع مكس كجداس .
 [٧] الولي : السيد ، والمولى هنا : العبد .

[٨] سعد وسعيد هما ابنا صبة بن أدّ خرجا في طلب إبل لأبيهما ، فوجدها سعد فردها وقتل سعيد ،
 فكان ضربة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ؟ .

قَنَّا تُكُم، إِنْ كَذِبَ الْمَنِيرَ بَلَقَاءُ^(١) مشهورة ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَى بَكْذِبَةٍ فَقَدْ حَلَلْتُمْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي^(٢) ، فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاعْتَمِرُوا^(٣) فِيَّ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثَالَهَا ، مَنْ ثَقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ^(٤) ، فَإِيَّايَ وَدَاجِ اللَّيْلِ ، فَإِنِّي لَا أُوتِي بِمُدْجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَقَدْ أَجَلْتُكُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْدَارِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ^(٥) ، وَإِيَّايَ وَدَعَايَ الْجَاهِلِيَّةِ^(٦) ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ ، وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ أَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً ، فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ ثَقَبَ بَيْتًا نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَّا حَيًّا فِيهِ ، فَكَفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنَّتُمْ ، أَكْفَفْ عَنْكُمْ يَدَيَّ وَلِسَانِي ، وَلَا تَظْهَرِ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيبةٌ بِخِلَافِ^(٧) مَا عَلَيْهِ عَامَّتْكُمْ ، إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ^(٨) ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ

[١] من الملق بالتحريك وهو ارتفاع التحجيل في الفرس إلى المحدثين (والجحيل : داس في قوائم الفرس) ، والفرس البلقاء مشهورة لتغيرها عما سواها ببلقاءها . [٢] في الطبري « قال الشعبي : فوالله ما تعلموا عليه بكذبة ، ولا وعدا خيرا ولا شرا إلا أعمده » . [٣] عدوها من عيوني ، واعتمره : طعن عليه . [٤] في الطبري : « وكان زياد أول من سد أمر السلطان ، وأكبد الملك معاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم في العقوبة ، وجرّد السيف ، وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة ، وحده الناس في سلطانته خوفاً شديدًا ، حتى أمس الناس بعضهم بعضاً ، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة ، ولا يعرض له أحد . حتى يأتيه صاحبه ، فأحده ، وتبيت المرأة . ولا تعلق عليها لها ، وساس الناس سياسة لم يرمثها ، وهابه الناس هبة لم يهابوها أحداً قبله ، وكان يقول : « لو صاع جبل يبي وبين خراسان حلت من أخذه » . [٥] في الطبري : « استعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن ، وأهل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وطاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة ، وذن يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصلي ، ثم يصلي ، يأمر رجلاً يقرأ سورة البقرة ومثلها ، يرتل القرآن ، فإذا فرغ أهل بدر ما يرى أن إنساناً يبالغ الحربية (بكثينة موضع بالبصرة يسمى البصيرة الصعري) ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج ، ولا يرى إنساناً إلا قتله فأخذ ليلة أعرايا ، وأتى به زياد ، فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : لا والله ، قدمت بحلوبة لي ، وعشيتني الليل ، فاضطرتهم إلى موضع ، فأقت لأصبح ، ولا علم لي بما كن من الأمير ، قال : أظنك والله صادقاً ، ولكن في فذلك صلاح هذه الأمة ، ثم أمر به فضربت عنقه » . [٦] قولهم : يا فلان ، والفرس مناصرة العصبية . [٧] أي تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم . [٨] جمع إحمة ، وهي الحقد والضينة .

دَبَّرَ أَذْنِي ^(١) وَتَحْتَ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ عَنِ إِسَاءَتِهِ ، إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ الشَّيْءَ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ^(٢) ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ ، فَاسْتَأْنَفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرُبَّ مُبْتَلِئٍ سَيُدْخِلُهُ اللَّهُ فِي سَيِّئَاتِهِ ، وَمَسْرُورٍ بِقُدُومِنَا سَيُثَبِّتُ .

— أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا ^(٣) ، فَلَنَا عَلَيْكُمُ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلَيْنَا ، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا ، وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَّرْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَقْصِرْ عَنْ ثَلَاثٍ : لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ ، وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا بَلِيلٌ ، وَلَا حَاسِبًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا عَنْ إِبَائِهِ ^(٤) ، وَلَا مُجَمَّرًا ^(٥) لَكُمْ بَعَثًا ، فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّلَاحِ لِأَعْمَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمُ الْمُؤَدِّبُونَ لَكُمْ ، وَكَهَفُكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا ، وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بِبُغْضِهِمْ ، فَيَشْتَدَّ لَذَلِكَ غَيْظُكُمْ ، وَيَطُولَ لَهُ حَزْنُكُمْ ، وَلَا تُذَرِّكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنِي كُلًّا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفِذْ فِيكُمْ الْأَمْرَ ، فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ ^(٦) ، وَابْتَغُوا اللَّهَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ لَصْرَعِي كَثِيرَةً ، فَلْيَحْذَرِ كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَائِي .

[١] أى خلف أذنى وقد اقتبسها من كلام معاوية كما مر بك .
[٢] أى يجاهرني بالعداوة . [٣] ملكنا ، والى ما كان شمساً فينسخه الظل ، والحراج ، أى تدفع عنكم بطل الله ونعمته التى وهبنا أو ندفع عنكم بما صارى أيدينا من أموال الحراج .
[٤] وقته وموعده . [٥] جر الجهد : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفلهم .
[٦] أى وحومه وطرقه جمع ذل بالكسر ، وذل الطريق : محبته ، وأمور الله جارية على أذلالها أى مجاريها .

فقام إليه عبد الله بن الأهتمام فقال : « أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ لَقَدْ أُوتِيَتْ الْحِكْمَةُ وَفَصَّلَ الْخُطَابُ » ، فقال له : « كَذَبْتَ . ذَاكَ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ »
فقام الأحنف بن قيس ، فقال : « إِنَّمَا الثَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ » ، والحمد بعد العطاء ،
وإنا لن نُثْنِي حَتَّى نَبْتَليَ » ، فقال له زياد : صدقت ، فقام أبو بلال مرْدَاس^(١)
ابن أَدِيَّةٍ وَهُوَ يَهْمِسُ وَيَقُولُ : أَنَبَأَنَا اللَّهُ بغير ما قلت . قال الله تعالى : « وَإِبْرَاهِيمَ
الَّذِي وَفَّى ، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى »
وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ تَأْخُذُ الْبِرَّ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبِلَ بِالْمُدْبِرِ ،
فَسَمِعَهَا زِيَادٌ ، فَقَالَ : « إِنَّا لَا نَبْلُغُ مَا نُرِيدُ فِيكَ وَفِي أَصْحَابِكَ حَتَّى نَخْوَضَ إِلَيْكُمْ
الْبَاطِلَ خَوْضًا » .

(البيان والنبين ٢ : ٢٩ ، والعقد القربد ٢ : ١٥٠ ، وصحح الأعشى ١ : ٢١٦ ،
وتاريخ الطبري ٦ : ١٢٤ ، والكامل لابن الأثير ٣ : ٢٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد
م ٤ : ص ٥٧ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤١ ، ودل الأمل ١٨٨)

٢٥٦ — خطبته بالكوفة وقد ضمت إليه

ولما مات المغيرة بن شُعْبَةَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ سَنَةَ ٥٠ هـ ، ضم معاوية الكوفة
إلى زياد ، فكان أول من جُمِعَ لَهُ الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ^(٢) ، فاستخلفَ على البصرة ،
وشَخَّصَ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَتَاهَا ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« إِنْ هَذَا الْأَمْرُ أَتَانِي وَأَنَا بِالْبَصْرَةِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشَخَّصَ إِلَيْكُمْ فِي أَلْفِينَ مِنْ
شُرْطَةِ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنَّكُمْ أَهْلُ حَقٍّ ، وَأَنْ حَقَّكُمْ طَالَمَا دَفَعَ الْبَاطِلُ ،
فَأَتَيْتُكُمْ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ مِنِّي مَا وَضَعَ النَّاسُ ، وَحَفِظَ مِنِّي
مَا ضَيَّعُوا حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْخُطْبَةِ^(٣) » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٣١)

[١] وهو من رؤساء الحوارج .

[٢] وكان يقيم ستة أشهر بالكوفة ، وستة أشهر بالبصرة . [٣] قال الطبري : خُصِبَ عَلَى الْمَنِيرِ ،
(أَيْ رُمِيَ بِالْحَصْبَاءِ ، وَهِيَ الْحَصَى) فَجَلَسَ حَتَّى أَمْسَكُوا ، ثُمَّ دَعَا قَوْمًا مِنْ حَاصَتِهِ ، وَأَمْرَهُمْ ، فَأَخَذُوا أَبْوَابَ

٢٥٧ — خطبة أخرى له بالكوفة

وروى الطبري أيضاً قال :

« جُمِعَت الكوفة والبصرة لزياد بن أبي سفيان ، فأقبل حتى دخل القصر

بالكوفة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا قد جُرِّبْنَا وَجَرَّبْنَا ، وَنُسِّنَا وَسَاسَنَا السَّائِسُونَ ، فوجدنا

هذا الأمر لا يَصْلُحُ آخره إلا بما صلح أوله ، بالطاعة اللينة المشبهة سرها

بعلانياتها ، وغيب أهلها بشاهدهم ، وقلوبهم بألسنتهم ، ووجدنا الناس لا يَصْلِحُهم

إلا لين في غير ضعف ، وشدة في غير عُنف ، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا

أمضيته على أذلاله ، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من

كذبة إمام على المنبر ، ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرظهم ، وذكر قتلته واعنهم .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٤٢)

٢٥٨ — خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة

وكان زياد قد وَلَّى الكوفة عمرو بن الحرِيث ، ورجع إلى البصرة ، فبلغه

أن حُجْر بن عديّ يجتمع إليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ،

وأنهم حصَّبوا عمرو بن الحرِيث ، فَشَخَّصَ إلى الكوفة ، حتى دخلها ، فأتى

القصر ، ثم خرج فصعد المنبر ، وعليه قباء سُندُس ، ومُطَرَف خَزٍّ أخضر ، قد

فَرَّقَ شعره ، وحجر جالس في المسجد حوله أصحابه أكثر ما كانوا ، فحمد الله ،

وأثنى عليه ، ثم قال :

المسجد . ثم قال : ليأخذ كل رجل منكم مجلسه ، ولا يقولان لا أرى من جاحي ، ثم أس ، بكرسي فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعة أربعة ، يحلفون بالله ما منا من حصبك ، فن حاب خلاه ، ومن لم يخلف حبسه وعرله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال بل كانوا ثمانين فقطع أيديهم على المكان .

« أما بعد : فَإِنْ غِيبَ الْبَغْيَ وَالنَّغْيَ وَخَيَّمَهُ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ جَعُوا ^(١) فَأَشِيرُوا ،
وَأَمِينُونِي فَاجْتَرُوا عَلَيَّ ، وَايْمُ اللَّهِ لَأَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِيْنَكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَقَالَ :
مَا أَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعْ بَاحَةً ^(٢) الْكَوْفَةِ مِنْ حُجْرٍ ، وَأَدْعُهُ نَكَالًا لِمَنْ بَعْدَهُ ،
وَيَلُ أَمَّاكَ يَا حَجْرٌ ، سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى سِرْحَانٍ ^(٣) » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٤٣)

٢٥٩ — خطبة أخرى له

وخطب زياد فقال :

« استوصُوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتيني
شيخ بشابٍ قد استخفَّ به إلا أوجعته ، ولا يأتيني عالم بجاهل استخفَّ به إلا
نكَلْتُ به ، ولا يأتيني شريف بوضيع استخفَّ به إلا انتقمْتُ له منه » .
(البيان والتبيين ٢ : ٧٣ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥١ ، شرح ابن أبي م ٤ ص ٧٤)

٢٦٠ — خطبة أخرى

وخطب على المنبر فقال :

« أيها الناس : لا ينعنكم سوء ما تعامون منا أَنْ تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمَعُونَ
منا ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

اعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصُرْتُ فِي عَمَلِي يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

٢٦١ — وصية لزياد

وروى الجاحظ عن عمرو بن عُبيدٍ أَنَّهُ قَالَ : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ
وصية زيادٍ بيده ، وأمر الناس بحفظها وتدبُّر معانيها وهي :

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِعِبَادِهِ عَقُولًا ، عَاقَبَهُمْ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَأَثَابَهُمْ

[١] من جم الماء جوما : كثر واجتمع . [٢] الباحة : الساحة . [٣] هو مثل : وأصله أن
رجلا خرج يلتبس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله ، يضرب في طلب الحاجة يؤدي بصاحبها إلى الف .

بها على طاعته ، فالناس بين مُحْسِنٍ بنعمة الله عليه ، ومُسِيءٍ بخِذلان الله إياه ، والله
النعمةُ على المحسن ، والحجةُ على المسيء ، فما أولى مَنْ تَمَّتْ عليه النعمةُ في نفسه
ورأى العِبرةَ في غيره ، بأن يضع الدنيا بحيثُ وضعها الله ، فيعطى ما عليه منها ،
ولا يتكثَّر بما ليس له منها ، فإن الدنيا دار فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بد من
لقاء الله ، فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العَجَزَةُ ،
قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا إليها ، فلا تقدِّرون على توبة ، وليس لكم
منها أَوْبَةٌ ، وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

قال الجاحظ : وقد روى هذا الكلام عن الحجاج ، وزيادٌ أحق به منه .
(البيان والتبيين ١ : ٢٠٦)

٢٦٢ — ما كان يقوله لمن ولّاه عملاً

وكان زياداً إذا ولى رجلاً عملاً قال له :

« خذ عهدك ، وسير إلى عمالك ، واعلم أنك مصروفٌ رأس سَنَتِكَ ، وأنتك
تصير إلى أربع خِلال ، فاختر لنفسك . إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً ، استبدلنا
بك لضعفك ، وسلمتُك من معرَّتنا أمانتُك ، وإن وجدناك قوياً خائناً استهنا
بقوتك ، وأوجعنا ظهرك ، وثقلنا غرْمك ، وإن جمعت علينا الجرْمين ، جمعنا
عليك المضرَّتين ، وإن وجدناك أميناً قوياً ، زدنا في عمالك ، ورفعنا ذكرك ،
وكثرتنا مالك ، وأوطأنا عقيبك » . (الأمل ٢ : ٨٢)

٢٦٣ — خطبة الضحّاك بن قيس الفهري بالكوفة ^(١) (قتل سنة ٦٤ هـ)

وخطب الضحّاك بن قيس الفهريّ على منبر الكوفة — وقد كان بلغه أن

[١] ولّاه معاوية الكوفة سنة ٥٥ إلى سنة ٥٨ ثم جعله على شرطته ، ولما مات معاوية الثاني بايعه
أهل دمشق على أن يعلى بهم ، ويقيم لهم أمرهم ، حتى يجتمع أمر الأمة ، وكان يهوى هوى ابن الزبير ،

قوماً من أهلها يشتمون عثمان وَيَبْرءون منه ، فقال :

« بلغني أن رجلاً منكم ضلّلاً يشتمون أئمة الهدى ، ويعيبون أسلافنا الصالحين ، أما والذي ليس له نِدٌّ ولا شريك ، لئن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم ، لأضعنّ فيكم سيف زياد ، ثم لا تجدوني ضعيف السّورة ^(١) ، ولا كليل الشّفة ^(٢) ، أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم ^(٣) ، فكنت أول من غزاها في الإسلام ، وشرب من ماء الشّعلبيّة ومن شاطئ الفرات ، أعافب من شدّت ، وأعفو عن شدّت ، لقد ذعرت المخدّرات في خدورهن ، وإن كانت المرأة ليبيكي أبناً فلا ترهبه ولا نسكته إلا بذكر اسمي ، فاتقوا الله يا أهل العراق ، أنا الضحّاك بن قيس ، أنا أبو أنيس ، أنا قاتل عمرو بن محمّس . »

فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد ، فقال : « صدق الأمير ، وأحسن القول ! ما أعرفنا والله بما ذكرت ! ولقد لقيناك بعربيّ تدّمّر فوجدناك شجاعاً مجرباً صبوراً ^(٤) ! » ثم جلس ، وقال : أيفخر علينا بما صنّع ببلادنا أوّل ما قدّم ؟

ويجمعه من إظهار ذلك أن بي أمية كانوا يحضرته ، وكان يعمل في ذلك سرا ، ثم نشبت الحرب بينه وبين مروان بن الحكم في مرج راهط ، ودائرة الدائرة على جيش الضحّاك وول منتصف دي الحجة سنة ٦٤ هـ .

[١] سورة السطان : سطوته واعتداؤه . [٢] الشّفة : حد السب ، وكليل : عر فاطم .

[٣] وكان ذلك سنة ٣٩ هـ ، دماه معاوية ، وقال : سر حتى تمر بباحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ وأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً وأغر عليها فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، فأقبل الضحّاك فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب وصر بالثعلبية فأطار على مسالح عليّ وأخذ أمتعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى النطفانة ، وأتى عمرو بن عميس ابن مسعود — وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود — وكان في خيل عليّ ، وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فقتله وقتل ناساً من أصحابه ، فلما بلغ ذلك علياً سرّح حجر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، فلم يزل مغداً في أثر الضحّاك حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه ، فاقتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب الضحّاك تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلاً ، وحجز الليل بينهم ، فمهرّب الضحّاك وأصحابه ، فلما أصبحوا لم يجدوا لهم أثراً — شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٤ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٧٨ — .

[٤] هذا القول تهكم به كما ترى .

وايمُ الله لأذْكُرَّنه أبغضَ مواطنه إليه ، فسكت الضحاك قليلا ، وكأنه خزى واستحيا ، ثم قال : نعم ، كان ذلك اليوم بأخرة^(١) - بكلام ثقيل - ثم نزل .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٥٥)

٢٦٤ - خطبته عند موت معاوية

ولما مات معاوية (سنة ٦٠ هـ) خرج الضحاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شُرطته - حتى صعد المنبر ، وأكفان معاوية على يديه تلوح ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن معاوية كان عمودَ العرب ، وحدَّ العرب ، قطع الله عزَّ وجلَّ به الفتنة ، ومَلَّكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قد مات ، فهذه أكفائه ، فنحن مُدْرِجوه فيها ، ومُدْخِلوه قبره ، ومُخْلَوْنَ بينه وبين عمله . ثم هو في البرزخ^(٢) إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضرْ عند الأولى^(٣) » .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٨٢ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٥٠)

٢٦٥ - خطبة النعمان بن بشير بالكوفة^(٤) (قتل سنة ٦٤ هـ)
خطب النعمان بن بشير على منبر الكوفة ، فقال :

[١] يقال : جاء أخرة وبأخرة بالجرم : أى آخر كل شيء .

[٢] البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت إلى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

[٣] وفى العقد « فمن أراد حضوره صلاة الطهر فليحضره » .

[٤] ولى الكوفة وحصص لمعاوية وبزبد ، وكان هراة معهما ، وميله إليهما ، فلما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلىبيعة عند الله بن الزبير بالنشام ، وكان أول من حالف من أمراء الأجناد - وكان والياً على حمص - وانضم إلى الصالح بن قيس الفهري ، وأمدّه بحيش من أهل حمص عليه شرحبيل بن ذى الكلاع وشبث الحرب بين الصالح ، وبين مروان بن الحكم فى مرج راهط ، ودارت الدائرة على جيش الصالح وقيل كما قدما ، فلما بلغ الخبر النعمان بن بشير خرج من حمص هارباً ليلاً ومعه امرأته وولده ونقله ، فسار ليلته جماعاً متعبراً لا يدرى أين يأخذ ، فاتبعه خالد بن عدي الكلابي فيمن خف معه من أهل حمص ، فليحقه وقلة وامت رأسه إلى مروان ، وكان قتله فى ذى الحجة سنة ٦٤ هـ .

« يَأْهَلُ الْكَوْفَةِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ مَثْلِي وَمِثْلَكُمْ إِلَّا الضَّبَّعَ وَالشَّعْلَبَ ،
أَتَيَا الضَّبَّ فِي جُجْرِهِ ، فَقَالَا : أَبَا الْحَسَنِ ^(١) . قَالَ : أَجَبْتُكُمَا . قَالَا : جِئْنَاكَ
نَخْتَصِمُ . قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمَ . قَالَتِ الضَّبَّعُ : فَتَحَتْ عَيْنِي . قَالَ : فَعَلَّ
النِّسَاءَ فَعَلَّتْ . قَالَتْ : فَلَقَطْتُ تَمْرَةً . قَالَ : حُلُوا اجْتَنِبْتِ . قَالَتْ : فَاخْتَطَفَهَا
ثُعَالَةٌ ^(٢) . قَالَ : لِنَفْسِهِ بَغَى الْخَيْرَ . قَالَتْ : فَطَمَتَهُ لَطْمَةً . قَالَ : حَقًّا قَضَيْتِ .
قَالَتْ : فَلَطَمَنِي أُخْرَى . قَالَ : كَانَ حَرًّا فَاتَّصَرَ . قَالَتْ : فَافْضِ الْآنَ بَيْنَنَا . قَالَ :
حَدَّثْتُ حَدِيثَيْنِ امْرَأَةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْهَمْ فَأَرْبَعَةٌ ^(٣) » .

(المعجم المريد ١ : ٢٦٩ - ٢ : ١٥٨ ، مجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٣)

٢٦٦ — خطبة عبيد الله بن زياد بن أبيه بين يدي معاوية

(قتل سنة ٦٧ هـ)

قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد ، فجعل يتصدى منه
بخلوة ، ليدبر من رآه ما كره أن يُشرك في علمه ، فاستأذن عليه بعد انصداع
الطلاب ، واشتغال الخاصة ، واقتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو
فيه بنفسه ، ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد وإلى مروان بن الحكم
وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا
مجالسهم أذن له ، فسلم ، ووقف واجماً يتصفح وجوه القوم ثم قال :

[١] أبو حنبل وأبو حنبل : كنية الضب ، وفي مجمع الأمثال أن المتخاصمين : الأرنب والشعلب .
[٢] ثعالة : اسم الثعلب الذكر والأنثى . [٣] وقد ذهب أفعال السب كلها أملاً ، قال الميداني في
شرح المثل الأخير (١ : ١٣٠) : « أي زد ، وأراد بالحدثين حديثاً واحداً تكرر مرتين ، فكأنك
حدثتها بحديثين ، والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف فهما ، فإن لم تفهم فاجعلها أربعة ، وقال أبو
سعيد : فإن لم تفهم بعد الأربعة ، فالربعة (والربعة كككنسه : العصا) وبروى : فاربع « أمر من ربع
دفع » أي كف ، يضرب في سوء السمع والإجابة » .

« صَرِيحُ الْمُقَوِّقِ مُكَاتَمَةُ الْأَذْنَيْنِ ، لَا خَيْرَ فِي اخْتِصَاصِي وَإِنْ وَفَّرَ ،
أَحْمَدُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ عَلَى الْآلَاءِ ^(١) ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى اللَّأْوَاءِ ^(٢) ، وَأَسْتَهْدِيهِ مِنْ عَمِّي
مُجْهَدٌ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى عَدُوِّ مُرْصِدٍ ^(٣) ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمُنْقِذُ بِالْأَمِينِ
الصَّادِقِ مِنْ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ^(٤) ، وَمِنْ بَدِّ غَارٍ ^(٥) ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الزَّكِيِّ نَبِيِّ
الرَّحْمَةِ ، وَنَذِيرِ الْأُمَّةِ ، وَقَائِدِ الْهَدْيِ ، أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : فَقَدْ عَسَفَ بِنَا ظَنُّ
فَرَعٍ ^(٦) ، وَقَذَعُ ^(٧) صَدْعٌ ، حَتَّى طَمَعَ السَّحِيقُ ^(٨) ، وَيَتَسَّ الرِّفِيقُ ، وَدَبَّ
الْوُشَاهُ بِمَوْتِ زِيَادٍ ، فَكُلُّهُمْ مُسْتَحَقِرٌ ^(٩) لِلْعَدَاوَةِ ، وَقَدْ قَلَصَ الْآزَرَةُ ^(١٠) ، وَشَمَّرَ
عَنْ عِطَافِهِ ^(١١) لِيَقُولَ : مَضَى زِيَادٌ بِمَا اسْتُلْحِقَ بِهِ ، وَدَلَّ عَلَى الْأَنَاءَةِ ^(١٢) مِنْ
مُسْتُلْحِقِهِ ، فَلَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَلِمَ فِي دَعْتِهِ ^(١٣) ، وَأَسْلَمَ ^(١٤) زِيَادًا فِي ضِيَعَتِهِ ،
فَكَانَ تَرَبُّبًا ^(١٥) عَامَّتَهُ ، وَأَحَدَرَعِيَّتَهُ ، فَلَا تَشْخَصَ ^(١٦) إِلَيْهِ عَيْنُ نَازِرٍ ، وَلَا إَصْبَعُ

[١] الهم . [٢] الشدة . [٣] ارصدت له : أعددت . [٤] الشنا : حرف كل شيء ،
والجرف كعرق وقيل ما تحرقه السيول وأكاته من الأرض ، وهار الجرف اصدع ولم يسقط فهو هار
كقاش ، وهو مقلوب من هائر ، فإذا سقط فقد انهار وتهور . [٥] البد : السب ، والعارى :
اللازم الشامل ، من عرا السمن قابله لرق به وعطاه . [٦] فرع بين العوم وفرق بمعنى واحد ، أى
أن هذا الظن فرق بيننا وبينك خافيتنا . [٧] هى فى الأصل « فرع » وأراها محرفة عن ودع وهى
التي تناسب المقام . ودعه ودعا (بالسكون) رماء بالفحش وسوء القول كأودعه ، والذع محرك الحنا
والفحش والعدو ، وصدع شقق وفرق أى أن مارمانا به الوساة لديك من سوء القول فرق بيننا وبينك .
[٨] البعيد . [٩] فى الأصل هكذا بمعنى محقر ، أى محقر لما لمعادناه إيانا ، أو أنه لا يزال
بمعادتنا لما تابنا من الضعف بموت زياد ، وربما كان « متحقر للعداوة » أى متوثب مستوهر أو « مسحقر
للعداوة » من اسحقر إذا مضى مسرعا . [١٠] الآزرة والأزر بضمين جمع إزار وهو الماحج .
[١١] العطاف : الرداء ، وجمعه عطف بضمين ، وأعطفه ، وكذا المطف بالكسر ، وهو مل إزار ،
ومئزر ، ولحاف ، وملحف .

[١٢] فى الأصل « الأية » وأراه محرفا عن « الأناءة » وهى الحلم . [١٣] الدعة الحفض .

[١٤] أسلمه : خذله أى وليته ترك زيادا ضائع النسب مغمورا ولم يستلحقه .

[١٥] الترب : من ولد معك . أى فكان تربا لأحد عامة الناس ، ولم يكن تربا لك فلا تعد له قدر .

[١٦] أى فلا ترتفع .

مُشِير، وَلَا تَنْدَلِقْ^(١) عَلَيْهِ أَلْسُنُ كَلَمَتِهِ حَيًّا ، وَنَبَشْتَهُ مَيْتًا ، فَإِنْ تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَايِدَتَ زِيَادًا بِأَوَّلِ رُفَاتٍ ، وَدَعَاةِ أَمْوَاتٍ ، فَقَدْ حَابَكَ زِيَادٌ بِجِدِّ هَضُورٍ ، وَعَزَمَ جَسُورٍ ، حَتَّى لَانَتْ شَكَاؤُ الشَّرْسِ ، وَذَلَّتْ صَعْبَةُ الْأَشْوَسِ^(٢) ، وَبَذَلَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينَهُ وَيَسَارَهُ ، تَأْخُذُ بِهِمَا الْمَنِيْعَ ، وَتَقَهَّرُ بِهِمَا الْبَدِيْعَ ، حَتَّى مَضَى وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، فَإِنْ يَكُنْ أَخَذَ بِحَقِّ أَنْزَلِهِ مَنَازِلَ الْأَقْرَبِينَ ، فَإِنْ لَنَا بَعْدَهُ مَا كَانَ لَهُ ، بِدَالَةِ الرَّحِمِ ، وَقَرَابَةِ الْحَمِيمِ ، فَمَا لَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَعْمَى الضَّرَاءِ^(٣) ، وَنُشْتَفُ النَّضَارَ^(٤) ؟ وَلَكَ مِنْ خَيْرِنَا أَكْمَلُهُ ، وَعَلَيْكَ مِنْ حُوبِنَا^(٥) أَثْقَلُهُ ، وَقَدْ شَهِدَ الْقَوْمَ ، وَمَا سَاءَ نِي فَرَبِّهِمْ لِيُقَرَّرُوا حَقًّا ، وَيُرَدُّوا بَاطِلًا ، فَإِنْ لِلْحَقِّ مَنَارًا وَاضِحًا ، وَسَبِيلًا قَصْدًا^(٦) . فَقُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ أَمْرٍ لَكَ شَيْءٌ ، فَمَا نَارِزُ^(٧) إِلَى غَيْرِ جُحْرِ نَا ، وَلَا نَسْتَكْثِرُ بِغَيْرِ حَقِّنَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

٢٦٧ — رَدِّ معاوية على ابن زياد

فَنَظَرَ مُعَاوِيَةُ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ كُلِّهِمْ ، فَتَصَفَّحَهُمْ بِلِحْظِهِ رَجُلًا رَجُلًا وَهُوَ يَتَسَمَّى ، ثُمَّ أَتَجَّهُ تِلْقَاءَهُ ، وَعَقَدَ حُبُوتَهُ^(٨) ، وَحَسَرَ عَنْ يَدِهِ ، وَجَعَلَ يُومِيئُ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ مُعَاوِيَةُ :

-
- [١] اندلق السيل : اندفع ، والسف اسلّ بلاسل أو شقّ جمعه نخرج منه ، وكلته جرحته وآدته .
 [٢] وصف من السوس بالتحريك ، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا ، أو تغيظا .
 [٣] الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال توارى الصيد منه في ضراء ، وفلان يمشي الضراء إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر . [٤] اشتف ما في الإماء : شربه كله ، والصار : الذهب أو الفضة ، والمراد : نفع منه ، ولا تمكن من أحده ، أي يحال بيننا وبين الولاية .
 [٥] الحوب بضم الحاء وفتحها : الإثم ، أي وعليك من آثامنا التي ارتكبتها في سبيل تأييد سلطانك انقلها ، وفي بعض النسخ : « من جوابنا » أي من جوابنا حين يسألنا المولى عما أتينا من أخذ الناس بالعسف والإرهاق لتمكين ملكك [٦] القصد : استقامة الطريق .
 [٧] من أرزت الحية أي لاذت بجحرها ورجعت إليه . [٨] احتى بالثوب : اشتعل ، أو جمع بين بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم : الحبوّة ، وحسر : كشف .

« الحمد لله على ما نحن فيه ، فكلُّ خيرٍ منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ،
فكل شيء خاضعٌ له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، دَلَّ على نفسه بما بَانَ عن عجزِ
الخلق أن يأتوا بمثله ، فهو خاتمُ النبيين ، ومُصدِّقُ المرسلين ، وحجَّةُ رب العالمين ،
صلوات الله عليه وبركاته ، أما بعد : فربُّ خيرٍ مستور ، وشرٌّ مذكور ، وما هو
إلا السَّهم الأخبى لمن طاربه ، والخطُّ المرغِب لمن فاز به ، فيهما التفاضلُ
وفيهما التغاينُ ، وقد صَفَقَتْ ^(١) يداي في أيك صَفْقَةً ذى الخَلَّة من رواضع
الْفُصْلان ، عامِلَ اصطناعى ^(٢) له بالكفر لما أوليته ، فما رهيتُ به إلا اتصل ^(٣) ،
ولا انتضيت ^(٤) إلا غُلِقَ جَفْنُهُ ، ولزَّت ^(٥) لَسَعَتُهُ ، ولا قُلْتُ إلا عانَدَ ، ولا قُتُّ
إلا قعد ، حتى اختَرَمه ^(٦) الموت ، وقد أَوْفَع بِخَتَرِهِ ^(٧) ، ودَلَّ على حِقْدِهِ ، وقد
كنت رأيتُ في أيك رأياً حَضَرَهُ الخَطَل ، والتبس به الزَّلَل ، فأخذ منى بحَظِّ
الْغَفلة ، وما أَرَى نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوء ، فما بَرِحَتْ هَنَاتٌ ^(٨)
أيك تَحْطِبُ فى جبل القَطِيعَةِ ، حتى انتكثت ^(٩) المَبرَم ، وأنحلَّ عِقْدُ الوداد ،
فيالها تَوْبَةٌ تُؤْتِنَف ^(١٠) من حَوْبَةٍ أَوْرَثَتْ نَدما ، أَسْمَعَ بها الهَاتِفُ ، وشاعتُ
للشامت ، فليهنأ ^(١١) الواشِمَ ما به احتَقَرَ ، وأراك تحمَد من أيك جدًّا

[١] صفق له بالبيع ، وصبقت يده ، وعلى يده صففا وصبقة : صرب يده على يده ، وذلك عند وجوب
البيع ، والفصلان جمع فصيل : وهو ولد الباقة إذا فصل عن أمه ، والخلة : الحاجة .

[٢] اصطنعه لنفسه : اختاره لخاصة أمر استكفاه لِيَا . [٣] انصل السهم : سقط لصله .

[٤] انتضى السف : استله ، والجفن : عمدة السيف . [٥] لزت : طعه .

[٦] أهلكه . [٧] الحتر : العدر والحديعة ، أو أوجع العدر ، وأوقع به : أهلكه .

[٨] أعماله وسبائنه جمع هه . [٩] انحل وانقص . [١٠] تؤتنب : تستأنب ، والحوبة :

الايثم والدنب . [١١] من هاء الطعام أى ساع ولد ، والواشم فاعل من الوشم ، وشم يده إذا غرزاها
بأبرة ثم در عليها النيلج ، والمراد به هنا المعادى — والوشيمة : العداوة — أى فهديتا لأعدائه الذين حفروا
ونالوا من عرضه ، فهو أهل لما قيل فيه : « يرد معاوية بذلك على قول عبيد الله قبل : » ولا تندلق عليه
ألسن كلته حيا ، ونبشه ميتا » .

وجُسُورا ^(١) هما أَوْفِيَا به على شَرَفِ التَّقَحُّمِ ^(٢) ، وَغَبَطِ النِّعْمَةَ ، فدَعَهُمَا فَقَدِ
أَذْكُرْتَنَا مِنْهُ مَا زَهَّدَنَا فِيكَ مِنْ بَعْدِهِ ، وبهما مشيتَ الضراء ، واشتفتَ النضار ،
فاذهب ، إليك ، فَأَنْتَ نَجَلُ الدَّغَلِ ^(٣) ، وَنَثْرُ النَّغَلِ ^(٤) ، والأجرُ شَرٌّ .

٢٦٨ - مقال يزيد بن معاوية

فقال يزيد : « يا أمير المؤمنين إن للشاهد غيرَ حكم الغائب ، وقد حضرَكَ
زياد ، وله مواطنٌ معدودةٌ بخير ، لا يُفْسِدُهَا التَّظَنِّي ^(٥) ، ولا تَنْفِيْرُهَا التُّهْمُ ، وأهلوه
أهلوك التحقوا بك ، وتوسَّطُوا شَأْنَكَ ، فسافرتُ به الرُّكبانُ ، وسمِعتُ به أهل
البلدان ، حتى اعتقده الجاهلُ ، وشكَّ فيه العالمُ ، فلا تَتَحَجَّرْ ^(٦) يا أمير المؤمنين
ما قد اتسم ، وكثرت فيه الشَّهاداتُ ، وأعانَكَ عليه قوم آخرون .

فانحرف معاوية إلى من معه ، فقال : هذا وَقَدْ ^(٧) نَفْسُهُ يَبِيعُهُ ، وطعن في إمْرَتِهِ ،
يعلم ذلك كما أَعْلَمَهُ ، يا لَرَجَالٍ مِنْ آلِ أَبِي سَفِيَّانٍ ! لَقَدْ حَكَمُوا وَبَذَلَهُمْ ^(٨) يَزِيدُ
وَحْدَهُ ، ثم نظر إلى عبيد الله . فقال : يا بن أخى ، إِنْى لَأَعْرِفُ بِكَ مِنْ أَيْيِكَ ،
وكأننى بك فى غَمْرَةٍ لا يَخْطُوهَا ^(٩) السابح ، فالزَمْ ابن عمك . فَإِنْ لِمَا قَالَ حَقًّا ،
نُفِرْجُوا وَلِزِمَ عبيد الله يَزِيدُ يَرِدُ مَجْلِسَهُ ، وَيَطَأُ عَقِبَهُ أَيَّامًا ، حتى رَمَى بِهِ معاوية
إلى البصرة واليا عليها ^(١٠) .

(العدد الفريد ٢ : ١٤٠)

[١] الجسور : الجسارة . [٢] تقحمت به دابته : نذت به وربما طوحت به فى وهدة أو وقفت
به ، والعجمة كمرقة : الورطة والمهلكة ، والمراد التعرّض للهلاك .
[٣] الدخل والفساد . [٤] نمل الأدم فعلا : فسد فى الدباع ، والجرح فسد .
[٥] التظنى : إعمال الظن ، وأصله الظنن . [٦] أى فلا تصيق ، عجر عليه : ضيق ، ونحجر
ما وسعه الله : حرّاه وضيقه ، وفى الحديث : « امد تحجرت واسعا » أى صيقت ما وسعه الله ، وفى
الأصل « فلا يتحجر » وهو تصحيف . [٧] فى الأصل « وود » وأعله وقد ، يقال وقده أى عليه
وسكنه . [٨] فافهم . [٩] فى الأصل « لا يحطرها » وأراء « لا يخطوها » .
[١٠] قال الطبرى : « ولى معاوية عبيد الله بن زياد البصرة سنة ٥٥ هـ » .

٢٦٩ — وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه عند موته (١)

روى الطَّبَرِيُّ قال :

لَمَّا كَانَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ بَزَاغُولَ مِنْ مَرْوِ الرُّوذِ (مِنْ خُرَاسَانَ)
أَصَابَتْهُ الشَّوْصَةُ (٢) (وَقَوْمٌ يَقُولُونَ الشَّوْكَةُ (٣)) فَدَعَا حَبِيبًا وَمِنْ حَضْرِهِ مِنْ
وَلَدِهِ ، وَدَعَا بِسِهَامٍ فَحُزِمَتْ ، وَقَالَ : أَتَرَوْنِكُمْ كَأَسْرِهَا مَجْتَمِعَةً ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ :
أَفَتَرَوْنِكُمْ كَأَسْرِهَا مُتَفَرِّقَةً ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَهَكَذَا الْجَمَاعَةُ ، فَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ
وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تُنْسِي (٤) فِي الْأَجَلِ ، وَتُثْرِي الْمَالَ ، وَتُكَثِّرُ الْعَدَدَ ،
وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْقَطِيعَةِ ، فَإِنَّ الْقَطِيعَةَ تُعْقِبُ النَّارَ ، وَتُورِثُ الذُّلَّةَ وَالْقِلَّةَ ، تَبَاذَلُوا
وَتَوَاصَلُوا تَحَابُّوا ، وَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَلَا تَخْتَلَفُوا ، وَتَبَارَثُوا تَجْتَمِعَ أُمُورُكُمْ ، إِنْ بَنَى
الْأُمَمُ يَخْتَلِفُونَ ، فَكَيْفَ بَيْنَ الْعَلَاتِ (٥) ؟ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَلِتَكُنْ فِعَالُكُمْ
أَفْضَلُ مِنْ قَوْلِكُمْ ، فَإِنِّي أَحَبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ لِعَمَلِهِ فَضْلٌ عَلَى لِسَانِهِ ، وَاتَّقُوا
الْجَوَابَ ، وَزَلَّةَ اللِّسَانِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَزَلُّ قَدَمُهُ فَيَنْتَعِشُ مِنْ زَلَّتِهِ ، وَيَزُلُّ لِسَانُهُ
فِيهِ سَلَكٌ ، اعْرِفُوا مَنْ يَغْشَاكُمْ حَقُّهُ ، فَكُنْ بِغَدُوِّ الرَّجُلِ وَرَوَاجِهِ إِلَيْكُمْ تَذَكُّرَةً
لَهُ ، وَآثِرُوا الْجُودَ عَلَى الْبَخْلِ ، وَأَحْبِبُوا الْعَرَبَ ، وَاصْطَنِعُوا الْعَرَبَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنَ
الْعَرَبِ تَعِدُّهُ الْعِدَّةَ فَيَمُوتُ دُونَكَ ، فَكَيْفَ الصَّنِيعَةُ عِنْدَهُ ؟ وَعَلَيْكُمْ فِي الْحَرْبِ
بِالْأَنَاقَةِ وَالْمَسْكِدَةِ ، فَإِنَّهَا أَنْفَعُ فِي الْحَرْبِ مِنَ الشَّجَاعَةِ ، وَإِذَا كَانَ اللَّقَاءُ نَزَلَ
الْقِضَاءُ ، فَإِنْ أَخَذَ رَجُلٌ بِالْحَزْمِ فَظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ . قِيلَ : أَتَى الْأَمْرُ مِنْ وَجْهِهِ ،

[١] سترد خطبه إن شاء الله في باب « خطب الحوارج وما ينصل بها » وذكر الطبري أنه توفي سنة ٨٢ هـ ، وابن خلكان أنه توفي سنة ٨٣ هـ ، وكان الحجاج قد ولاء بعد فراغه من حرب الأزارقة على خراسان ، فوردها واليا عليها سنة ٧٩ هـ ولم نزل واليا عليها حتى أدركته الوفاة هناك .

[٢] الشوصة بالفتح وقد تصم الشين : وجع في البطن . [٣] الشوكة : حمرة تعلو الجسد .

[٤] تؤخر وتطيل . [٥] بنو العلات : بنو أمهات شتى من رجل واحد .

ثم ظفر فحميد ، وإن لم يظفر بعد الأناة ، قيل : ما فرط ولا ضيع ، ولكن القضاء غالب ، وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنين وأدب الصالحين ، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجمعت حبيبا على الجند ، حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيد « فقال له الفضل : لو لم تقدمه لقد مناه . (تاريخ الطبري ٨ : ١٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٨)

وعهد إلى ولده يزيد ، فكان من جملة ما قال له :

« يا بُنَيَّ ، استعقل الحاجب ، واستظرف الكاتب ، فإنَّ حاجِبَ الرجل وجهه ، وكاتبه لسانه » ، وكان يقول لبنيه : « يا بُنَيَّ أحسنُ ثيابكم ما كان على غيركم » ، ومن كلماته الماثورة قوله : « الحياة خيرٌ من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو أعطيت ما لم يُعْطَه أحد ، لأحببتُ أن تكون لي أذنٌ أسمع بها ما يُقال في غدٍّ إذا مِتُّ » ، وقوله : « عجبتُ لمن يشتري العبيد بماله ، ولا يشتري الأحرار بإفضاله » . (وفيات الأعيان ٢ : ١٤٦ ، وشرح العيون ١٢٧)

خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

(المتوفى سنة ٩٥ هـ)

٢٧٠ — خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير (سنة ٧٣ هـ)

لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ، ارتجعت مكة بالبكاء ، فصعد المنبر ، فقال : « ألا إن ابن الزبير كان من أحبار ^(١) هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة

[١] جمع خبر بفتح الحاء وكسرهما وهو العالم أو الصالح .

ونازع فيها ، وخلع طاعة الله ، واستكنَّ بحَرَمِ الله ، ولو كان شئٌ مانعاً للعصاة ، لمنع آدمَ حُرمةَ الجنة ، لأن الله تعالى خلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأباحه جنته ، فلما عصاه أخرجهُ منها بِخَطِيئَتِهِ ، وآدمُ على الله أَكْرَمُ من ابن الزير ، والجنةُ أعظمُ حُرمةً من الكعبة . (سرح العيون ص ١٢٢)

٢٧١ — خطبته حين ولي العراق (سنة ٧٥ هـ)

حدَّث عبد الملك بن عمير الليثي قال :

بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة ، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مَوَالِيهِ ، إذ أتى آتٍ ، فقال : هذا الحجاج قد قَدِمَ أميراً على العراق ، فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمِلاً بِعِمَامَةٍ قد غَطَّى بِهَا أَكْثَرَ وَجْهِهِ ، متقلداً سيفاً ، متنكباً ^(٢) قوساً ، يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قَبَّحَ اللهُ بَنِي أُمِيَّة ، حيث تستعمل مثل هذا على العراق ! حتى قال عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيُّ : أَلَا أَحْصِيهِ لَكُمْ ؟ فقالوا : أَمْهَلْ حَتَّى نَنْظُرَ ^(٣) ، فلما رأى عيون الناس إليه ، حَسَرَ الْأَثَامَ عَنْ فِيهِ وَنَهَضَ ، فقال :

« أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا متى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي ^(٤) »

[١] و يروى : أنه خرج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راكبا على الحائب ، حتى دخل الكوفة فجأة حين انتشر النهار ، وبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر فقال : على بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به . [٢] تنكب قوسه : ألقاها على منكبيه . [٣] قال ابن نباتة : « فلما سمعوا هذه الحطة — وكان بعضهم قد أخذ حصي أراد أن يحصبه به — تساقط من أيديهم حزنا ورعبا » . [٤] البيت لسحيم ابن وثيل الرياحي قاله الحجاج متمثلا ، وقوله « أنا ابن جلا » أى الواضح الأمر المنكشفه ، وقبل ابن جلا الصبح ، لأنه يجلو الظلمة ، وهو مثل يضرب المشهور المتعالم ، أى أنا الظاهر الذى لا يخفى ، وكل أحد يعرفنى ، ولم ينون جلا لأنه أزداد الفعل ، فحكى على ما كان عليه قبل التسمية كقول الشاعر :

وَاللَّهِ مَا زِيدُ بِنَامٍ صَاحِبُهُ وَلَا تُخَالِطِ الْإِيَّانَ جَانِبُهُ

ثم قال : يا أهل الكوفة ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَجِلُّ الشَّرَّ بِحَمَلِهِ ، وَأَحْذَوْهُ بَنَعْلِهِ ، وَأَجْزِيهِ بِعَيْلِهِ ، وَإِنِّي لَا أَرَى أَبْصَارًا طَامِعَةً ، وَأَعْنَاقًا مَتَطَاوِلَةً ، وَرءُ وَسًا قَدْ أَيُّعَتَ وَحَانِ قِطَافُهَا ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدَّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَائِمِ وَاللَّحَى تَتَرَقَّرُ ،
ثم قال :

هذا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمٍ
ليس بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهَرٍ وَصَمٍ ^(١)
ثم قال : قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلِيٍّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ ^(٢)
ثم قال : قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَافِهَا فَشَدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فُجْدُوا
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرَّ عُرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ ^(٣)

وتقديره أنا ابن الذي يقال له جلا الأمور وكشفها ، وقال بعضهم : ابن جلا - وإن أحلى - رجل عينه ، قال في اللسان : « وكان ابن جلا هذا صاحب متك يطلع في العارات من ثنية الجبل على أهلها » والسايا جمع ثنية : وهي الطريق في الجبل ، أراد به أنه حلد يطلع السايا في ارتفاعها وصعوتها ، والعمامة : المعفر واليضة قال ثعلب : العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم . [١] الشعر لرويشد بن رميمس العنبري والشد : العدو ، وزيم اسم فرس أو ناقة ، وفيل اسم للحرب ، والحطم ، والحطمة : الراعي السالم الماشية يهشم بعضها بعض ، ولا يبقى من السير شيئا ، وقد ضرب المثل برعاة الغنم في الحق فقل : « أحق من راعي ضأن ثمانين » قال الجاحظ في البيان والنبين ١ : ١٣٩ « فأما استحقاق رعاة الغنم في الحلة فكيف يكون ذلك صوابا ؟ وقد رعى الغنم عدة من جلة الأنبياء عليهم السلام » والوصم : كل ما قطع عليه اللحم . [٢] العصلي : الشديد القوى ، والأروع : الذكي ، أو من يعجبك شجاعته ، والدو والدوية والدواية ويخوف : الغلاة المتسعة التي تسمع لها دويا بالليل « وإنما ذلك الدوى من أخفاف الإبل ، تنفسح أصواتها فيها ، وتقول جهلة الأعراب : إن ذلك عزيز الجى » أى خراج من كل غنم شديدة ، وهجر الرجل : خرج من البدو إلى المدن ، والأعرابي بطبيعته غر ساذج ليس في تجربته كآمل المدن . وسيرد عليك إن شاء الله في الجزء الثالث في خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة :

« إني لست أناوتيا أعلم ، ولا بدوتيا أفهم » .

[٣] جدبه الأمر : اشتد ، وعرد : أى شديد ، والبكر : الفقى من الإبل ، ولا بد من كذا : أى لا يحيد عنه .

إني والله يا أهل العراق ، وَمَعْدِنَ الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ،
 ما يَقْمَقَعُ لى بالشَّنَانِ ^(١) ، ولا يُغْمَزُ جانبى كَتَغْمَازِ التين ، ولقد فُرْتُ ^(٢) عن
 ذَكَاءٍ ، وفُتِّشْتُ عن تجرِبةٍ ، وَجَرَيْتُ إلى الغاية القُصْوَى ، وإن أمير المؤمنين
 - أطال الله بقاءه - تَثَرَكِنَاتُهُ ^(٣) ، بين يديه ، فَعَجَمَ ^(٤) عِيدَانَهَا ، فوجدنى
 أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً ^(٥) فرماكم بى ، لأنكم طالما أوضعتم ^(٦) فى الفتن ،
 واضبطعتم فى مَرَاقِدِ الضلال ، وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ النِّى ، أما والله لَأَلْحُوْزُكُمْ ^(٧) لَحْوُ
 العصا ، وَلَأَقْرَعُنْكُمْ قَرَعَ المَرْوَةِ ^(٨) ، وَلَأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلْمَةِ ^(٩) ، وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ
 ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ ^(١٠) ، فَإِنَّكُمْ لَكَأَهْلُ قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ، يَأْتِيهَا
 رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
 وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ، وإني والله لا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ ، ولا أَهْمُّ إِلَّا
 أَمْضَيْتُ ، ولا أَخْلُقُ ^(١١) ، إِلَّا فَرَيْتُ ، فَإِيَاىَ وَهَذِهِ الشُّفَعَاءُ ، وَالزَّرَّافَاتِ ^(١٢)
 وَالْجَمَاعَاتِ ، وَقَالَ وَقِيلَا ^(١٣) ، وما تقول ؟ وفيم أنتم وذاك ؟ أما والله لَتَسْتَقِيمَنَّ

[١] الققعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره ، والشان جمع شنّ بالفصح :
 وهو القرية الدالية ، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفرع فتسرع ، مثل يضرب لمن
 لا يروعه ما لا حقيقة له ، وقد تمثل به معاوية من قبله .

[٢] فر الدابة : فتح حكامها وكشف أسنانها ليظهر سننها ، ومرت عن الأمر : بحث فيه .
 [٣] الكنانة جمع السهام ، وفى رواية : « كبّ كنانته » أى قلبها . [٤] عجم العود : عضه
 ليعرف صلابته من خوره . [٥] وفى رواية « وأصلبها عموداً » . [٦] أوسع إيصاعاً : أسرع
 فى سيره كوضع . [٧] لما العصا : قشرها ، وفى رواية : « لحو البود » .

[٨] المرو : حجارة بيض برّاقة تورى النار . [٩] السلّة : شجر كثير الشوك . قال الجاحظ فى
 البيان والدين « لأن الأشجار تعصب أغصانها ، ثم تحبّط بالعصى اسقوط الورق وهشيم العيدان »
 (٣ : ٢١) . [١٠] قال الجاحظ أيضاً : (٣ : ٢٧) « وهى تضرب عند الحرب ، وعند الحلاط ،
 وعند الحوض أشد الصرب » وقال الحارث بن صحر :

بضرب يرذل الهام عن سسكناته كما ذيد عن ماء الحياض العرائب .

[١١] أخلق : أفدّر ، وفريت : قطعت . [١٢] الشفعاء جمع شفع ، وكانوا يجتمعون إلى السلطان
 فيشفعون فى أصحاب الجرائم ، فنهام عن ذلك ، والزرافات جمع زرافة بفتح الزاى وضمها : الجماعة من
 الناس . [١٣] القول فى الخير ، والقال ، والقليل ، والقال فى الشر .

على طريق الحق ، أولادَ عَنِّ لكل رجل منكم شُغلاً في جسده ، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم^(١) ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة^(٢) ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطاءه بثلاثة أيام إلا سَفَكَتُ دمه ، وأنْهَيْتُ^(٣) ماله ، وهدمت منزله .

(الكامل المبرد ١ : ١٨١ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٣ — ٣ : ٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢١٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٢١٨ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٤ ، ومروج الذهب ٢ : ١٣٢ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١١٥ ، والكامل لابن الأثير ٤ : ١٥٦ ، وشرح العيون ١١٦)

✓ ٢٧٢ — خطبته وقد سمع تكبيراً في السوق

فلما كَانَ اليوم الثالث خرج من القصر ، فسَمِعَ تكبيراً في السوق ، فزاعه ذلك ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :
« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِيِّ الْأَخْلَاقِ ، وَنَبِيِّ الْأَكِيمَةِ^(٤) ، وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ بِالْقَرْقَرِ^(٥) ، إني سمعت تكبيراً لا يُراد الله به ، وإنما يُراد به الشيطان^(٦) أَلَا إِنَّهَا عَجَاجَةٌ تَحْتَهَا قَصْفٌ^(٧) ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ عَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ الْهَمْدَانِي :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فَمَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهْمْدَانَ ظَالِمٌ !
مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارِمًا وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ

[١] أعطيات جمع أعطية ، وهي جمع عطاء . [٢] قائد الجيوش : الذي حارب الحوارج الأزارقة ، وفل شوكتهم ، وسيأتي . [٣] جعلته نهباً يفار عليه .
[٤] اللثيمة . [٥] الفرق : أرض مطمئنة ليئة ، والفقع ويكسر : البيضاء الرخوة من الكهانة ، ويقال للذليل هو أذل من فقع بقرقر ، لأنه لا يمتنع على من اجتناءه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .
[٦] وفي رواية : « إني سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد الله به في التزغيب ، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب » . [٧] العجاج : النبار ، والقصف : شدة الريح .

أما والله لا تَقْرَعُ عَصًا عَصًا إِلَّا جعلتها كأمس الذَّابِرِ^(١) .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٩ — ١ : ٢٠٩ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٢ ، وإعجاز القرآن ١٢٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١١٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢١٢ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٩٠)

٢٧٣ — خطبته وقد قدم البصرة

وخطب لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم فقال :

« أيها الناس : من أعياه داوؤه ، فعندى داوؤه ، ومن استطال أجله ، فعلى أن أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه . وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطال ماضِي عمره ، قصرتُ عليه باقيه ، إن للشيطان طَيْفاً ، وللسلطان سَيْفاً ، فمن سَقِمتُ سريره ، صحَّتْ عُقُوبَتُهُ ، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه ، ومن لم تَسْعه العافية ، لم تَضِقْ عنه الهَلَكَةُ ، ومن سبقته بِادِرَةٍ فِيهِ ، سبق بدنه بِسَفَكِ دمه ، إني أُنذِرُ ثم لا أُنْظِرُ^(٢) ، وأحذِرُ ثم لا أعذِرُ ، وأتوعد ثم لا أعفو ، إما أفسدكم تَرْيِيقُ^(٣) ، ولآتكم ، ومن استرخى لَبَبُهُ^(٤) ، ساء أدبه ، إن الحزم والعزم سلباني سَوَاطِي^(٥) ، وأبدلاني به سيفي ، فَنَاءُئُهُ في يدي ، ونَجَادُهُ^(٦) في عُنْقِي ، وذُبَابُهُ^(٧) قِلَادَةُ لِمَنْ عَصَانِي ، والله لا أَمُرُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ ، فيَخْرُجَ مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ ، إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٤٤ ، صبح الأعشى ١ : ٢٢٠ ، وشرح العيون ١٢٢)

[١] وفي رواية الطبري خاصة : « ألا يربح رجل منكم على ظلمه ، ويحسن حقن دمه ، ويعبر موضع قدمه ، وأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها ، وأدبا لما بعدها » — يربح (كيمتع) يقف ويبتظر ، والطلع (كشمس) : الغمز في المشي ، ويقال : اربح على ظلمك ، أى إياك ضعيف ، فاته عما لا تطيقه . [٢] أنظره : أمهله .

[٣] الترييق : الصعق في الأمر (وفي البدن والبصر أيضا) . [٤] الآب : ما شهد في صدر الذبابة ليمتع استئثار الرجل ، والمراد أن الهوادة واللين تفسد أدب الرعية . [٥] هكذا في نهاية الأرب ، وفي صبح الأعشى : « سكنا في وسطى » والأول أصح ، أى أنه رأى من الحزم ، والعزم : المبالغة في استعمال الشدة ، والقوة في التأديب ، فطرح السوط ، واستبدل به مامو اشد منه وهو السيف . [٦] النجاد : علاقه السيف . [٧] ذباب السيف : حده .

٢٧٤ - خطبته بعد وقعة دير الجماجم^(١)

وخطب أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم فقال :

« يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم ، نغاط اللحم والدم والعصب ، والمسامع والأطراف ، والأعضاء^(٢) والشغاف^(٣) ، ثم أفضى إلى المخاخ^(٤) والأصمخ ، ثم ارتفع فعمشش^(٥) ، ثم باض وفرخ ، فحشاكم نفاقا وشقاقا ، وأشعركم خلافا ، اتخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤمرا^(٦) تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظمكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ أستم أصحابي بالأهواز^(٧) ؟ حيث رُمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ،

[١] وقعة دير الجماجم : هي وقعة نشبت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب الكوفة سنة ٨٣ هـ هزم فيها ابن الأشعث ، وذلك أن عبد الله بن أبي بكره عامل الحجاج على سجستان كان قد غزا رتبيل ملك الترك ، وأوغل في بلاده وأصبرا ، وهلك أكثرهم ، توجه الحجاج إلى رتبيل ابن الأشعث على رأس جيش عظيم لمحارته ، فسار إليه وامتلكت بعض بلاده ، وكان يرى أن يتدرج في الفتح ، فينتقمهم في كل عام طائفة من أرضهم ، ولا يتوغل في بلادهم لكيلا يعرض جيشه للدمار والهلكة ، وكتب إلى الحجاج بذلك ، وأتى عليه الحجاج ، وكتب إليه يصغف رأيه ويأمره بانوغل في أرضهم وإلا عزله ، وكان من جراء ذلك أن بايع الجند ابن الأشعث على خلع الحجاج وقتاله ثم حلق عبد الملك بن مروان ، وسار ابن الأشعث بهم من سجستان إلى العراق ، وتحجز الحجاج للقائه ، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر (مدينة الأهواز) فانهزمت مقدمته ، فرجع إلى البصرة حتى نزل الزاوية (موضع قرب البصرة) ودارت رحى الحرب بين الفريقين فهزم أهل العراق أهل الشام . لجأ الحجاج على ركبته واتصى نحو شبر من سيفه ، واستمد للقاء الموت كريما ، فقويت بذلك قلوب حنذه واستبسلوا حتى كان لهم النصر . وانهزم ابن الأشعث ، فأقبل نحو الكوفة ، حتى هزم مريعة منكرة بدير الجماجم وتبدد أمره ، وورث إلى فارس حتى نزل مدينة بست ، فسمع رتبيل بمقدمه وأمره عزده وأكرمه ، فكتب الحجاج إلى رتبيل يأمره أن يمت إليه بابن الأشعث ويتوعده إن لم يفعل ، وأراد رتبيل أن يرسله إليه ، فقتل ابن الأشعث نفسه بأن أتى نفسه من فوق قصر ، فقات فاحتز رتبيل رأسه ، وبعث به إلى الحجاج سنة ٨٥ هـ . [٢] في المقد الفريد (والأعضاء) .

[٣] الشغاف : غلاف القلب أو جيبته .
[٤] رواية نهاية الأرب « المخاخ » وهو الوارد في كتب اللغة : مع يجمع على مخاخ ومخخة (كمنبة) ، أما سائر المصادر التي روت هذه الخطبة ، ونزويها (الأنخاخ) ، وهو ما لم أره في كتب اللغة . وقد روت جميع المصادر « الأصمخ » بهذا الص ، والذي في كتب اللغة : « الصمخ من الأذن الحرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس جمع أصمخ وصمخ ، ومثل الصمخ الأصمخ كصمغور ، وجمعه أصمخ ، فصواب الكلمة « الصمخ » أو « الأصمخ » .

[٥] أمره في كذا مؤامرة : شاوره . [٦] يشير إلى وقعة « تستر » .

واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يَخْذُلُ دينَهُ وَخِلافَتَهُ ، وأنا أرميكم بطَرْفِي ، وأنتم تتسلَّلون لَوِاذًا^(١) ، وتنهزمون سِرَاعًا ؟ ثم يوم الزَّاوية ، وما يوم الزَّاوية ! بها كَانَ فَشَلُكُمْ وتنازُعُكم وتخاذلكم ، وَبَرَاءَةُ الله منكم ، وَنُكُوصُ وَلِيَّكُمْ عنكم ، إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أوطانها ، النوازعِ إِلَى أعطانها^(٢) ، لا يسأل المرء عن أخيه ، ولا يَلْوِي^(٣) الشيخ على بَنِيهِ ، حتى عضَّكُمْ^(٤) السلاح ، وقصَّكُمْ الرماح ، ثم يوم دَيْرِ الجِماجِمِ ، وما يوم دَيْرِ الجِماجِمِ ! بها كَانَتْ المِعارِكُ والملاحِمُ^(٥) ، بضربِ يُزِيلُ الهَامَ^(٦) ، عن مَقِيلِهِ^(٧) ، وَيُذْهِلُ الخليلَ عن خَلِيلِهِ ، يَأْهَلُ العِراقَ ، وَالْكَفَرَاتِ بَعْدَ الْفَجَرَاتِ ، وَالْعَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ^(٨) ، وَالنِّزَوَاتِ^(٩) بعد النِّزَوَاتِ ، إِنْ بَعَثْتُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ^(١٠) وَخُتِمْتُمْ ، وَإِنْ أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ ، وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ ، لَا تَذْكُرُونَ حَسَنَةً ، وَلَا تَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، هل استخفكم نَاكِثٌ ، أَوْ اسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ ، أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ ، أَوْ اسْتَعَضَدَكُمْ^(١١) خَالِعٌ ، إِلَّا تَبِعْتُمُوهُ وَأَوْيْتُمُوهُ ، وَنَصَرْتُمُوهُ وَزَكَّيْتُمُوهُ ؟ يَأْهَلُ العِراقَ ، هل شَغَبَ شَاغِبٌ ، أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ ، أَوْ زَفَرَ زَاوِيٌّ ، إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعُهُ وَأَنْصَارُهُ ؟ يَأْهَلُ العِراقَ : أَلَمْ تَنْهَكُمُ المَوَاعِظَ ، أَلَمْ تَرْجُرْكُمُ الْوَقَائِعَ ؟ » .

ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر ، فقال : « يَأْهَلُ الشَّامَ ، إِنَّمَا أَنَا

[١] أى يلوذ بعضهم ببعض : لاوذ لوذا وملاوذة . [٢] أعطان جمع عطن كسب : مبرك الابل حول الحوض كالعطن ، ونوازع : أى متناقة . [٣] لا يلوى على أحد ، أى لا يقف ولا ينتظر . [٤] فى نهاية الأرب « عضَّكُمْ » بالطاء ، عطفته الحرب كعضته بالصاد . [٥] جمع ملحمة وهى الوقمة العظيمة القتل . [٦] جمع هامة ، وهى الرأس . [٧] موضعه ، أى الأعناق ، قال الشاعر :
بضرب بالسيوف رهوس قوم أزلنا هامهن عن القيل
[٨] جمع خترة ، والخترة كشمس : العدر والحديعة أو أقبح الغدر . [٩] جمع نزوة من نزا نزوانا أى ونب . [١٠] عل كنصر غلولا : خان . [١١] استعضده : سأله أن يعضده .

لكم كالظَّليم^(١) الرامح عن فراخه ، يَنْفِي عنها المَدَر^(٢) ، ويباعد عنها الحجر ، وَيُكَيِّسُها من المطر ، ويحميها من الضَّبَاب^(٣) ، ويحرُسُها من الذُّنَاب ، يأهل الشام ، أنتم الجَنَّة والرِّداء ، وأنتم العُدَّة والحذاء .

(البيان والتبيين ٢ : ٧١ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٥ ، والعقد المريد ٢ : ١٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١١٤ ، ومروج الذهب ٢ : ١٣٥)

٢٧٥ — خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام

وخطب فقال :

« يأهل الكوفة ، إن الفتنة تُلْقَح بالنَّجْوَى^(٤) ، وتُتَجَّ بالشكوى ، وتحصد بالسيف ، أما والله إن أبغضتموني لا تضروني ، وإن أحببتموني لا تنفعوني ، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ، ولا المستريح إلى موَدَّتكم ، زعمتم أني ساحر ، وقد قال الله تعالى : « وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ » . وقد أفلحت ، وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر ، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون ؟ » .

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : « لَأَزْوَاجُكُمْ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْك ، وَلَا بَنَاؤُكُمْ أَنَسُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَلَد ، وما أنتم إلا كما قال أخو بني ذُبْيَان :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فَجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

هُمْ دِرْعِي الَّتِي اسْتَلَّامْتُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مَحْجَنِي^(٥)

ثم قال : « بل أنتم يأهل الشام كما قال الله سبحانه : « وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد ١ : ١١٥)

[١] ذكر النعام ، والرامح أي المدافع من رمح أي طعنه بالرمح . [٢] قطع الطين اليابس .

[٣] جمع ضب ، وهو حيوان كالوزغة والحرباء . [٤] النجوى : المسارة .

[٥] استلام : لبس اللأمة ، وهي الدرع ، النصار : ماء لبني عامر له يوم ، والمجن : النرس .

٢٧٦ - خطبة له بالبصرة

وخطب بالبصرة ، فقال :

قال الله تعالى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » ، فهذه لله ، وفيها مَثُوبَةٌ ^(١) ، وقال : « وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا » ، وهذه لعبد الله ، وخليفة الله ، وحبيب الله ، عبد الملك ابن مروان ، أما والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد ، فأخذوا في باب غيره ^(٢) ، لكانت دماؤهم لي حلالا من الله ، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالا . « عَذِيرِي ^(٣) من أهل هذه الحُمَيْرَاء ، يرمى أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خير ^(٤) » ، والله لأجعلنهم كالرَّسَمِ ^(٥) الدَّائِرِ ، وكالأمس الغابر ، عذيري من عبد هُذَيْل يقرأ القرآن كأنه رَجَزُ الْأَعْرَابِ ، أما والله لو أدركته لضربت عنقه - يعني عبد الله بن مسعود ^(٦) - ، عذيري من سليمان بن داود ، يقول لربه : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » كان والله - فيما عامت - عبداً حَسُوداً بخيلاً .

(مروج الذهب ٢ : ١٤٣ ، والعقد المريد ٢ : ١٥٢)

٢٧٧ ✓ - خطبة أخرى له بالبصرة

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله كفانا مَثُوبَةَ الدُّنْيَا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، فليته كفانا مَثُوبَةَ الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا ، مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجُهالكم لا يتعلمون ،

[١] ثواب . [٢] وفي مروج الذهب : « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب ، فدخلوا في غيره » والذهب بالكسر : مسيل الماء في بطن الأرض ، والطريق في الجبل . [٣] العذير : العاذر والنصير ، والحال التي تحايلها تعذر عليها . [٤] وفي مروج الذهب : « يلقى أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول : إلى أن يبلغها يكون فرج الله » . [٥] الرسم : الاثر أو بقيته ، والدائر : الدارس الممحو . [٦] هو من بني هذيل .

وَشِرَارِكُمْ لَا يَتُوبُونَ؟ مَالِي أَرَأَيْكُمْ تَحْرَصُونَ عَلَى مَا كُفَيْتُمْ ، وَتَضِيعُونَ مَا بِهِ أُمِرْتُمْ؟
 إِنَّ الْعِلْمَ يَوْشِكُ أَنْ يُرْفَعَ ، وَرَفَعُهُ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ ، أَلَا وَإِنِّي أَعْلَمُ بِشِرَارِكُمْ مِنَ
 الْبَيْطَارِ بِالْفَرَسِ ، الَّذِينَ لَا يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا هَجَرًا ^(١) ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا
 دُمْرًا ^(٢) ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، أَلَا وَإِنَّ
 الْآخِرَةَ ، أَجَلَ مُسْتَأْخِرٍ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، أَلَا فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ ،
 وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ مُلَاقُوهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحُسْنَى ، أَلَا وَإِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّرَّ كُلَّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي
 النَّارِ ، أَلَا وَإِنْ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ،
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ^(٣) . (العقد الفريد ٢ : ١٥٣)

٢٧٨ — خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية

وخطب أهل العراق ، فقال :

«يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ : إِنِّي لَمْ أَجِدْ دَوَاءً أَدْوِي لِدَائِكُمْ ، مِنْ هَذِهِ الْمَغَازِي وَالْبَعُوثِ ،
 لَوْلَا طَيْبُ لَيْلَةِ الْإِيَابِ ، وَفَرَحَةُ الْقَفْلِ ^(١) ، فَإِنَّهَا تُعْقِبُ رَاحَةً ، وَإِنِّي لَا أُرِيدُ
 أَنْ أَرَى الْفَرَحَ عِنْدَكُمْ ، وَلَا الرَّاحَةَ بِكُمْ ، وَمَا أَرَأَيْكُمْ إِلَّا كَارْهِينَ لِمَقَالَتِي ، وَأَنَا
 وَاللَّهِ لَرَأَيْتُكُمْ أَكْرَهُ ، وَلَوْلَا مَا أُرِيدُ مِنْ تَنْفِيزِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ ، مَا حَمَلْتُ
 نَفْسِي مِقَاسَاتِكُمْ ، وَالصَّبْرَ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ حَسْنَ الْعَوْنِ عَلَيْكُمْ » ،
 ثُمَّ نَزَلَ . (العقد الفريد ٢ : ١٥٣)

[١] أَيْ هَجَرَ آلَهُ وَتَرَكَهُ ، وَبَعَا أَنَّهُمْ لَا يَقْرءُونَهُ ، وَلَا يَتَلَوْنَهُ . [٢] الدُّبُرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : عَقِبُهُ
 وَمُؤْخِرُهُ ، أَيْ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا فِي آخِرِ وَقْتِهَا .
 [٣] وَذَكَرَ صَاحِبُ الْعَقْدِ أَيْضًا هَذِهِ الْخُطْبَةَ مِنْ قَوْلِهِ : « أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ » إِلَى آخِرِهَا
 وَعَزَاَهَا إِلَى شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ الطَّائِي . انظر العقد الفريد ٢ : ١٥٨ .
 [٤] الرُّجُوعُ .

٢٧٩ — خطبة أخرى

وخطب أهل العراق ، فقال :

« يَ أَهْلَ الْعِرَاقِ ، بَلَّغْنِي أَنْكُمْ تَرَوُونَ عَنْ نَبِيِّكُمْ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَلَكَ عَلَى عَشْرِ رِقَابٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، جِيءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، حَتَّى يَفْكَهُ الْعَدْلُ ، أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ » . وَابْتَغِ اللَّهُ إِنِّي لِأَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُخْشَرَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مَغْلُولًا ، مِنْ أَنْ أُخْشَرَ مَعَكُمْ مُطْلَقًا » . (الْمَقْدُ الْعَرِيدُ ٣ : ١٧)

٢٨٠ — خطبته لما مات عبد الملك بن مروان

ولما مات عبد الملك بن مروان ، قام فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَعَى نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِيَّاهُمْ مَيِّتُونَ » ، وَقَالَ : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » . فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ الْمَهْدِيُونَ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُمَانُ الشَّهِيدُ الْمَظْلُومُ ، ثُمَّ تَبِعَهُمْ مُعَاوِيَةُ ، ثُمَّ وَلِيَكُمْ الْبَازِلُ ^(١) الَّذِي كَرِهَ الَّذِي جَرَّبَتْهُ الْأُمُورُ ، وَأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ، مَعَ الْفَقْهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْمُرُوءَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَاللِّينِ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، وَالْوَطْءِ لِأَهْلِ الزَّيْغِ ، فَكَانَ رَابِعًا مِنَ الْوَلَاةِ الْمُهْدِيَةِ الرَّاشِدِينَ ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ ، وَأَلْحَقَهُ بِهِمْ ، وَعَهَّدَ إِلَى شَبْهِهِ فِي الْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْحَزْمِ وَالْجَلَدِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَخِلَافَتِهِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَالزَّيْغَ ، فَإِنَّ الزَّيْغَ لَا يَحْقِيقُ إِلَّا بَاطِلًا ، وَرَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيكُمْ ، وَعَرَفْتُمْ خِلَافَكُمْ وَطَيْبَكُمْ ، عَلَى مَعْرِفَتِي بِكُمْ ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا أَقْوَى

عليكم مني ، أو أعرف بكم ، ما وليتكم ، فإياي وإياكم ، من تكلم قتلناه ، ومن سكت مات بدائه غمًّا » ثم نزل . (العقد الفريد ٢ : ١٥٤)

٢٨١ — خطبته حين أراد الحج

وأراد الحجاج أن يحج ، فاستخلف محمداً ولده على أهل العراق ، ثم خطب فقال :

« يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني محمداً ، هذا وما كنتم له بأهلٍ ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُقبل من مُحْسِنِهِمْ ، وأن يُتجاوز عن مُسيئِهِمْ ، وإني أمرته ألا يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وإنكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى : ألا وإنكم ستقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة ، ألا وإني مُعجل لكم الإجابة : لا أحسن الله الخلافة عليكم » ثم نزل . (عبون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٥ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٣ — ٣ : ١٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢٠٦ ، ومروج الذهب ٢ : ١٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٤)

٢٨٢ — خطبته لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد

قال صاحب العقد : فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج ، فلما كان بالعشي أتاه برّيد من اليمن بوفاة محمد وأخيه ، ففرح أهل العراق ، وقالوا : انقطع ظهر الحجاج وهيض^(١) جناحُه ، فخرج فصعد المنبر ، ثم خطب الناس ، فقال :

« أيها الناس : محمدان في يوم واحد ! أما والله ما كنت أحبُّ أنهما معي في الحياة الدنيا ، لما أرجو من ثواب الله لهما في الآخرة ، وإيمُ الله ليوشكنَّ

الباقى منى ومنكم أن يَفْنَى ، والجديدُ أن يَبْلَى ، والحى منى ومنكم أن يموت ، وأن تُدَال (١) الأرض مِنَّا كما أدلنا منها ، فتأكل من لحومنا ، وتشرب من دمائنا ، كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ، ثم نكون كما قال الله تعالى : « وَتُفْخَخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ » (٢) ثم تمثل بهذين البيتين :

عَزَائِي نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا فَإِنْ سُرُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَاكَ

(العقد المرید ٢ : ١٥٤ - ٣ : ١٨ ، وشرح العيون ص ١٢٢)

٢٨٣ — خطبته وقد أرجف أهل العراق بموته

ومرض الحجاج ففرح أهل العراق ، وأرجفوا بموته ، فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

« إن طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، تزغ (١) الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فهُ ؟ وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرني ألا أموت ، وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت الله رضىَ بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال : أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ، قال : إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ، ولقد دعا الله العبد الصالح ، فقال : « رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْزِعْنِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » فأعطاه ذلك إلا البقاء ، فما

[١] أداله الله منه : نصره عليه . [٢] الصور : القرن ينفخ فيه ، وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتي بانبعث الجيش إذا نفخ في البوق ، وقيل : هو جمع صورة مثل بسرة وبسر (والبسر بالضم : التمر قبل إرطابه) أى نفخ في صور الموتي الأرواح ، وقرأ الحسن : « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ » . والأجداث جمع حدث كسبب وهو القبر ، ونسل كفر ب ونصر : أسرع . [٣] نزغ : أسد وأغرى .

هسي أن يكون أيها الرجل ؟ وكلكم ذلك الرجل ، كَأَنِّي وَاللَّهِ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ
مَيِّتًا ، وَبِكُلِّ رَطْبٍ يَابِسًا ، وَنُقِلَ فِي ثِيَابٍ أَكْفَانُهُ إِلَى ثَلَاثِ أَذْرَعٍ طَوِيلًا ،
فِي ذِرَاعٍ عَرْضًا ، وَأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ ، وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وَانصرفت الحبيب
من ولده يَقْسِمُ الْخَيْثَ مِنْ مَالِهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ يَعَامُونَ مَا أَقُولُ » ، ثم نزل .
(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٤ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥٤ ، ٣ : ١٧ ، وشرح العيون ١٢٢ ،
ومروج الذهب ٢ : ١٤٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٥)

خطبه الوعظية

وخطب الحجاج يومًا فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي أَجَلٍ مَنَّقُوصٍ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ ، رُبُّ دَائِبٍ
مُضِيعٌ ، وَسَاعٍ لَغِيرِهِ ، وَالْمَوْتُ فِي أَعْنَاقِكُمْ ، وَالنَّارُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ ،
خَذُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ، وَمَنْ غَنَّاكُمْ لِفَقْرِكُمْ ، وَمِمَّا فِي أَيْدِيكُمْ لِمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ،
فَكَأَنَّ مَا قَدْ مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ ، وَكَأَنَّ الْأَمْوَاتَ لَمْ يَكُونُوا أَحْيَاءَ ، وَكُلُّ
مَا تَرَوْنَهُ فَإِنَّهُ ذَاهِبٌ ، هَذِهِ شَمْسٌ عَادِيَةٌ وَتَمُودٌ وَقُرُونٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ ذَلِكَ ، هَذِهِ
الشَّمْسُ الَّتِي طَلَعَتْ عَلَى التَّبَابَةِ وَالْأَكَابِرَةِ ، وَخَزَائِنِهِمُ السَّائِرَةِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ،
وَقُصُورِهِمُ الْمَشِيدَةِ ، ثُمَّ طَلَعَتْ عَلَى قُبُورِهِمْ ، أَيْنَ الْمُلُوكُ الْأَوَّلُونَ ، أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ
الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ الْحَاسِبُ اللَّهُ ، وَالصَّارِطُ مَنْصُوبٌ ، وَجَهَنَّمُ تَرْفِرُ ^(١) وَتَتَوَقَّدُ ، وَأَهْلُ
الْجَنَّةِ يَنْعَمُونَ ، فِي رَوْضَةٍ يُخَبِّرُونَ ^(٢) ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْهَانًا . »

[١] زفرت النار كضرب : سمع لتوقدها صوت . [٢] أحبره : سره ، والجبور : السرور .

فكان الحسن البصري رحمه الله يقول : « ألا تعجبون من هذا الفاجر ؟
يَرْقَى عَتَبَاتِ المنبر ، فيتكلم بكلام الأنبياء ، وينزل فيفتك فتك الجبارين ، يوافق
الله في قوله ، ويخالفه في فعله » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ١٥٠)

وقال مالك بن دينار ؟ غَدَوْتُ إلى الجمعة ، فجلست قريباً من المنبر ، فصعد
الحجاج ، ثم قال :

« أَمُرُّوْهُ حَاسِبَ نَفْسِهِ ، أَمُرُّوْهُ رَاقِبَ رَبِّهِ ، أَمُرُّوْهُ زَوَّارٌ ^(١) عَمَلُهُ ، أَمُرُّوْهُ فَكَّرٌ
فِيمَا يَقْرَؤُهُ غَدَاً فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، أَمُرُّوْهُ كَانَ عِنْدَ هَمِّهِ آمِرّاً ، وَعِنْدَ
هَوَاهُ زَاجِرّاً ، أَمُرُّوْهُ أَخَذَ بَعِنَانِ قَلْبِهِ ، كَمَا يَأْخُذُ الرَّجُلُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى
حَقِّ تَبِعَةٍ ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهَ ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا
خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ ، وَإِنَّمَا نَنْتَقِلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ » .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٥٢١ ، المقدم المريد ٢ : ١٥٢ ، البيان والتبيين ٢ : ٨٨ ،
شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٠)

وخطب يوماً ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، أَقْدَعُوا ^(٢) هَذِهِ الْأَنْفُسَ ، فَإِنَّهَا أَسْأَلُ ^(٣) شَيْءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ ،
وَأَعْصَى ^(٤) شَيْءٍ إِذَا سُئِلَتْ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لِنَفْسِهِ خِطَامًا وَزِمَامًا ، فَقَادَهَا
بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَعَظَفَهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنْ

[١] زَوَّارُهُ : حَسَنُهُ .

[٢] قَدَعَهُ كَمَعَهُ وَأَقْدَعَهُ : كَفَّهُ وَكَبَحَهُ . [٣] وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، احْفَظُوا
فِرَاجَكُمْ ، وَخَذُوا الْأَنْفُسَ بِسَمِيرِهَا ، فَإِنَّهَا أَسْأَلُ شَيْءً » وَأَسْأَلُ : أَعْصَى ، مِنْ سَأَلَ
الرَّجُلُ سِوَاكَ : سَأَلَ سِوَاكَ ضَعِيفًا . [٤] وَفِي رَوَايَةٍ « رَأَيْتُ شَيْءً » وَهُوَ مُحْرِيفٌ .

مَحَارِمِ اللَّهِ ، أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ ^(١) .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٠ ، وشرح العيون ١٢١ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ ، والبيان والتبيين ١ : ٢٠٦ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٩)

وخطب فقال :

« اللَّهُمَّ ارِنِي الْغَىَّ فَأَجْتَنِبَهُ ، وَارِنِي الْهُدَىَّ فَاتَّبِعْهُ ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَأُضِلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَاللَّهُ مَا أَحِبُّ أَنْ مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِي بِعِمَامَتِي هَذِهِ ، وَلَمَّا بَقِيَ مِنْهَا أَشْبُهُ بِمَا مَضَى مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ » .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٢ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٩ ، ١ : ٢٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٠ ، وشرح العيون ص ١٢٢)

ومن كلامه :

« إِنْ أَمْرًا أَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مِنْ عَمْرِهِ ، لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا رَبَّهُ ، وَيَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَيَفْكُرُ فِي مَعَادِهِ ، لَجْدِيرٌ أَنْ يَطُولَ حَزْنُهُ ، وَيَتَضَاعَفَ أَسْفُهُ ، إِنْ اللَّهُ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ ، وَعَلَى الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ ، فَلَا بَقَاءَ لِمَا كَتَبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ ، وَلَا فَنَاءَ لِمَا كَتَبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءَ ، فَلَا يَغُرُّ نَكْمَ شَاهِدٍ ^(٢) الدُّنْيَا ، عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ ، وَاقْتَهَرُوا طُولَ الْأَمَلِ ، بِقِصَرِ الْأَجَلِ ^(٣) » .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ١٤٨ ، و البيان والتبيين ٢ : ٩٩ ، شرح العيون ١٢١ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٩)

[١] قال ابن أبي الحديد : « وأكثر الناس يروون هذا الكلام عن علي عليه السلام » .

[٢] أي حاضرها . [٣] قال الشعبي : سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه إليه أحد ، سمعته يقول : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ . . . الخ » ، وروى الجاحظ عن أبي عبد الله الثقي عن عمه قال : سمعت الحسن البصري يقول : لقد وقفت بكلمة سمعتها من الحجاج ، قلت : وإن كلام الحجاج ليقذك ؟ قال : نعم ، سمعته على هذه الأعواد يقول : « إِنْ أَمْرًا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنْ عَمْرِهِ فِي غَيْرِ مَا خَلَقَ لَهُ الْحُرَى أَنْ تَطُولَ عَلَيْهَا حَسْرَتُهُ » .

خطب قتيبة بن مسلم الباهلي (قتل سنة ٩٦ هـ)

٢٨٩ - خطبته يحث على الجهاد وقد تهيأ لغزو « طَخَارُسْتَان »

قدم قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِي خُرَاسَانَ والياً عليها من قبل الحجاج ^(١) سنة ٨٦ هـ ، فلما تهيأ لغزو أَخْرُوتَ وشُومان - وهما من بلاد طَخَارُسْتَان ^(٢) - خطب الناس وحثهم على الجهاد ، فقال :

« إِنَّ اللَّهَ أَحَلَّكُمْ هَذَا الْمَحَلَّ لِيُعِزَّ دِينَهُ ، وَيَذِبَ بِكُمْ عَنِ الْحُرْمَاتِ ، وَيَزِيدَ بِكُمْ الْمَالَ اسْتِفَاضَةً ، وَالْعَدُوَّ وَقَمًا ^(٣) ، وَوَعَدَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ النَّصْرَ بِحَدِيثٍ صَادِقٍ ، وَكِتَابٍ نَاطِقٍ ، فَقَالَ : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » وَوَعَدَ الْمَجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ أَحْسَنَ النُّوَابِ ، وَأَعْظَمَ الذُّخْرِ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا فُخْمَصَةٌ ^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَمَّن قُتِلَ فِي سَبِيلِهِ أَنَّهُ حَيٌّ مَرْزُوقٌ ، فَقَالَ : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ

[١] ولي قتيبة خراسان بعد يزيد بن المهلب ، وغزا بلاد ما وراء النهر ، وافتتح بخارى ، وسمرقند ، وخرارزم ، ووصل في فتوحه إلى كاشغر من بلاد الصين ، وقتل سنة ٩٦ هـ .

[٢] ناحية كبيرة شرق خراسان على نهر جيحون ، وقد ضبطها ابن خلكان هكذا - انظر وفيات الأعيان ١ : ٩٠ في ترجمة بشار بن برد - وضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح الطاء .

[٣] وقه : تهمة وأذله . [٤] مجاعة .

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فتنَجَّزُوا موعودَ ربِّكم ، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر ،
وأَمْضَى أَلَمٍ ، وإياكم والهَوَيْنِي . (تاريخ الطبري ٨ : ٥٩)

٢٩٠ — خطبته وقد تهيأ لغزو بلاد السغد

ولما صالح قُتَيْبَةُ أَهْلَ خُوارِزْمَ ، وسار إلى السَّغْدِ^(١) سنة ٩٣ هـ خطب
الناس ، فقال :

« إن الله قد فتح لكم هذه البَلْدَةَ في وقت الغزو فيه مُمَكِّنٌ ، وهذه
السَّغْدُ شَاغِرَةٌ^(٢) برجلها ، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ، ومنعونا ما كُنَّا
صالحنا عليه طَرِخُونَ ، وصنعوا به ما بلغكم ، وقال الله تعالى : « فَنَنْكَتْ
فَأِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ » ، فسيروا على بركة الله ، فإنِّي أرجو أن يكون خُوارِزْمُ
وَالسَّغْدُ كَالنَّضِيرِ^(٣) وَقَرِيظَةٍ^(٤) ، وقال الله تعالى : « وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا
قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا » . (تاريخ الطبري ٨ : ٨٥)

[١] وكان قتيبة حين فتح بخارى سنة ٩٠ هـ ، وأوقع بأهلها ، هابه أهل السد « وهي بين نهري
سيحون وجيحون ، وكانت قصبتها سمرقند ، وهي بالسبيل ، وربما قلت بالصاد » وأره طرخون ملك
السغد ، وسأله الصلح على فدية يؤديها إليه ، فأجاب قتيبة إلى ما طاب وصالحه ، ثم نقضوا عهدهم .

[٢] شجر السك كنع : رفع إحدى رجله لايبول . [٣] بنو النضير : حي من يهود خيبر ، وكان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد يأمن بها كل فريق الآخر ، ولكنهم لم يهوا بها حسداً
منهم ونغيأ ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه في ديارهم ، إذا ائتمر جماعة منهم على قتله
بأن يلقى عليه أحدهم صخرة من علوة ، فاطلع عليه الصلاة والسلام على قصدهم ، فرجع ، ثم أرسل إليهم يأمرهم
بالجلاء ، لما تقدم منهم من الغدر ، فتجهتوا للرحيل ، فأرسل إليهم إخوانهم المواقفون يقولون : لا تخرجوا من
دياركم ونحن معكم ، فسار عليه الصلاة والسلام لقتالهم ، وتحصن بنو النضير في حصونهم ، وظلوا أنها
ما اعتهم من افقه ، فحاصروهم ست ليال ، ثم أمر بقطع نخيلهم كي يسلموا ، فحذف الله في قلوبهم الرعب ،
فسألوه أن يجلبهم ويكف عن دمائهم ، وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا آلة الحرب ، ففعل ، وصار
اليهود يخرجون بيوتهم بأيديهم ، اثلاً يسكنها المسلمون .

[٤] كان يهود بنى قريظة يساكنون المسلمين في المدينة ، فاتهموا فرصة اشتغال المسلمين بصد جوع
الأحزاب — في غزوة الخندق — ونقضوا عهدهم معهم ، وذلك أن حي بن أخطب سيد بنى النضير الذين

٢٩١ — خطبته وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة

وأتى قتيبة الشَّغْدَ فحصرها شهراً ، وخاف أهلها طول الحصار ، فكتبوا إلى ملك الشاش وَفَرَّغَانَةَ ^(١) «إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب ، فإن وُصِّلَ إلينا كنتم أضعف وأذل ، فمهما كَانَ عندكم من قوة فابذُلوها» ، فجمعوا جموعهم ، وولَّوا عليهم ابناً لخاقان ^(٢) ، وساروا وقد أجمعوا أن يبيتوا عسكر قتيبة ، وَنَمَى ذلك إليه ، فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس ، وخطبهم فقال :

«إن عدوكم قد رَأَوْا بَلَاءً ^(٣) الله عندهم ، وتأيدته إياكم في مُزاحفتكم ومُكَاتَرَتِكُمْ ^(٤) ، كل ذلك يُفْلِحُكُمْ ^(٥) الله عليهم ، فَأَجْمَعُوا على أن يحتالوا غِرَّتكم وَيَبَايَاكُمْ ، واختاروا دَهَاقِينَهُمْ ^(٦) وملوكهم ، وأنتم دهاقين العرب وَفَرَسَانَهُمْ ،

أجلوا عن ديارهم ، توجه إلى كعب بن أسد الفرطى ، فحسن له نقض العهد ، ولم يزل به حتى أحابه لقتال المسلمين ، فاشتدَّ وحل المسلمين ، وزلزلوا لرلالا شديداً ، وأرسل الله على الأعداء رجلاً بارداً في ليلة مظلمة وحبوداً لم يروها ، فأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ، وكفى الله المؤمنين شر الأحزاب ، ولم يعم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سار إلى بنى قريظة ، فتحصنوا بمحسونهم ، وحاصرهم المسلمون حمساً وعشرين ليلة ، فلما صاقوا بالحصار ذرعاً ، طلبوا أن ينزلوا على منازل عليه بنو النضير ، من الجلاء بالأموال وترك السلاح ، فأبى الرسول إلا أن ينزلوا على ، حكمه ففعلوا ، فتوثبت الأوس فقالوا : يارسول الله ، إنهم كانوا موالينا دون الحرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأوس ما قد علمت — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع ، وكانوا حلفاء الحرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله لإيام عبد الله بن أبي بن سلول فوجههم له — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الأوس : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذاك إلى سعد بن معاذ — وكان جريحاً من سهم أصيب به في غزوة الخندق — وأرسل من يأتي به ، فقال : إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبي النساء والذراري ، فقال عليه الصلاة والسلام : فقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد ، ثم أمر بتنفيذ الحكم ، فنفذ فيهم .

- [١] الشاش وفرغانة : كورتان وراء نهر سيحون متاخمتان للصين . [٢] خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك ، وقد خفونوه على أنفسهم : أى رأسوه (بالتشديد) . [٣] أى نعمته . [٤] كاثروهم فكثروهم : غالبوهم فغلبوهم . [٥] أى ينصركم عليهم ، ويظفركم بهم . [٦] جمع دهاقان بكسر الدال وضمها : زعيم فلاحى المعجم ، ورئيس الاقليم . معرب .

وَقَدْ فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِدِينِهِ ، فَأَبْلُوا^(١) لِلَّهِ بَلَاءً حَسَنًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ ، مَعَ الذَّبِّ
عَنْ أَحْسَابِكُمْ . (تاريخ الطبري ٨ : ٨٧)

٢٩٢ — خطبه حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك

وقام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك^(٢) ، ودعا الناس إلى خلعه
فقال للناس :

« إني قد جمعتكم من عين التَّمَر^(٣) ، وَفَيْضِ الْبَحْرِ ، فَضَمَمْتُ الْأَخَ إِلَى
أَخِيهِ ، وَالْوَلَدَ إِلَى أَبِيهِ ، وَقَسَمْتُ بَيْنَكُمْ فَيْئَكُمْ ، وَأَجَرَيْتُ عَلَيْكُمْ أَعْطِيَا تَكُم
غَيْرَ مُكَدَّرَةٍ وَلَا مُؤَخَّرَةٍ ، وَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْوُلَاةَ قَبْلِي ، أَتَاكُمْ أُمِّيَّةٌ^(٤) ، فَكُتِبَ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ خَرَجَ خَرَّاسَانَ لَا يَقُومُ^(٥) بِمَطْبَخِي ، ثُمَّ جَاءَكُمْ أَبُو سَعِيدٍ^(٦)
فَدَوِّمَ^(٧) بِكُمْ ثَلَاثَ سِنِينَ ، لَا تَدْرُونَ أَفِي طَاعَةِ أَنْتُمْ أَمْ فِي مَعْصِيَةٍ ، لَمْ يُجِبْ فَيَّئًا ،
وَلَمْ يَنْكَأ^(٨) عَدَا ، ثُمَّ جَاءَكُمْ بَنُوهُ بَعْدَهُ ، يَزِيدُ ، فَخُلْتُ تَبَارَى إِلَيْهِ الْفَسَاءُ ، وَإِنَّمَا
خَلِيفَتُكُمْ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ هَبْنَقَةُ الْقَيْسِي^(٩) » فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ فغضب ، فقال :

[١] الْإِبْلَاءُ : الْإِيْعَامُ وَالْإِحْسَانُ ، يُقَالُ : أَبْلَيْتُ عِنْدَهُ بِلَاءً حَسَنًا ، وَأَبْلَيْتُهُ
مَعْرُوفًا ، وَالْمَعْنَى : فَاصْطَقُوا الْقِتَالَ ، وَقَدِمُوا مَعْرُوفًا تَبْغُونَ بِهِ ثَوَابَ اللَّهِ .
[٢] وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلِيَّ عَهْدِهِ ، وَدَسَّ فِي ذَلِكَ إِلَى
الْقَوَادِ وَالشُّعْرَاءِ ، فَبَايَعَهُ عَلَى خُلْعِ سُلَيْمَانَ الْحَجَّاجِ وَقَتِيْبَةٍ ، ثُمَّ مَاتَ الْوَلِيدُ وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، خَافَهُ
قَتِيْبَةُ وَخَشِيَ أَنْ يُولِيَ سُلَيْمَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ خَرَّاسَانَ . [٣] بِلْدٌ عَلَى الْفَرَاتِ قَرِبَ الْكُوفَةِ .
[٤] هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكَانَ عَامِلًا عَلَيْهَا
لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حَتَّى كَانَتْ سَنَةُ ٧٨ فَغَزَلَهُ وَجَعَ سُلْطَانِهِ لِلْحَجَّاجِ ، فَبِعَتْ الْمُهَلَّبُ إِلَيْهَا .
[٥] فِي الْأَصْلِ « لَا يَقِيْمُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَوْ « لَا يَقِيْمُ مَطْبَخِي » . [٦] أَبُو سَعِيدٍ كُنْيَةُ الْمُهَلَّبِ
ابْنِ أَبِي صَفْرَةَ . [٧] مِنْ دَوَّامَتِ الْكَلَابِ أَيْ أَمَعَتْ فِي الْمَسِيرِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى « فَدَوِّخَ بِكُمْ الْبِلَادَ »
وَسَتَأْتِي . [٨] نَكَأَ الْعَدُوَّ وَنَكَاهُ نَكَايَةً : قَتَلَ وَجَرَحَ .

[٩] هُوَ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ هَبْنَقَةُ ذُو الْوَدْعَاتِ ، وَبَكَى أَبَا ذَفْعٍ أَحَدَ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَمَالَةَ ، يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي
الْحَقِّ فَيُقَالُ : « أَحَقُّ مِنْ هَبْنَقَةٍ » وَلَهُ نَوَادِرٌ فِي الْحَقِّ مِنْهَا أَنَّهُ جَعَلَ فِي عُنُقِهِ قِلَادَةً مِنْ وَدَعٍ وَعِظَامٍ وَخَرْفٍ
وَهُوَ ذُو لَحْيَةٍ طَوِيلَةٍ ، فَسُئِلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لِأَعْرِفَ بِهَا نَفْسِي ، وَلَوْلَا أَضَلُّ ، فَبَاتَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَأَخَذَ

« لَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ نَصْرْتُمْ ، وَاللَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى عَزِّ مَا كَسَرْتُمْ قَرْنَهَا ، يَا أَهْلَ السَّافِلَةِ ، وَلَا أَقُولُ أَهْلَ الْعَالِيَةِ . يَا أُوبَاشُ ^(١) الصَّدَقَةُ ، جَمْعُكُمْ كَمَا تُجْمَعُ إِبِلُ الصَّدَقَةِ مِنْ كُلِّ أُوْبٍ ^(٢) . يَا مَعْشَرَ بَكْرِبْنِ وَائِلٍ ، يَا أَهْلَ النَّفْخِ ^(٣) وَالْكَذْبِ وَالْبَخْلِ ، يَا أَيُّ يَوْمِيَّكُمْ تَفْخَرُونَ : يَوْمَ حَرَبِكُمْ ، أَمْ يَوْمَ سَلَمِكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَا أَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ ، يَا أَصْحَابَ مُسَيِّمَةِ . يَا بَنِي ذَمِيمٍ ، وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ . يَا أَهْلَ الْخَوَرِ ^(٤) وَالْقَصْفِ ^(٥) وَالْعَدْرِ ، كُنْتُمْ تُسَمُّونَ الْعَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَةِ « كَيْسَانُ » ^(٦) » يَا أَصْحَابَ سَجَّاحٍ ^(٧) ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْفَيْسِ الْقُسَاةَ ، تَبَدَّلْتُمْ بِأَبْرِ النَّخْلِ ^(٨) أَعِنَّةَ الْخَيْلِ . يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَّلْتُمْ بِقُلُوسٍ ^(٩) الشُّفْنِ ، أَعِنَّةَ الْخَيْلِ وَالْحِصْنِ ^(١٠) ، إِنْ هَذَا لَبِدْعَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ؟ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ، يَا كُنَاسَةَ الْمِصْرَيْنِ ، جَمْعُكُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْحِ وَالْقَيْصُومِ ، ^(١١) وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ ^(١٢) ، تَرْكَبُونَ الْبَقَرَ

أُخُوهُ فَلَادَهُ فَتَقَلَّدَهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، وَرَأَى الْفَلَادَةَ فِي عُنُقِ أَحِيهِ ، قَالَ يَا أَحَى : أَنْتَ أَمَّا ، فَهِيَ أَنَا ؟ وَمِنْهَا : أَنَّهُ ضَلَّ لَهُ بَعِيرٌ ، فَخَلَّ يَنَادِي : مَنْ وَحْدٌ يَبْرِي دَهْرَ لِي ، فَقِيلَ لَهُ دَلِمَ تَنْشُدُهُ ؟ قَالَ : فَأَيْنَ حَلَاوَةُ الْوُجْدَانِ ؟ وَمِنْهَا : أَنَّهُ اخْتَصَمَتْ الْخَفَاوَةُ وَبَوْرَاسٌ فِي رَجُلٍ ادَّعَاهُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ، ثُمَّ قَالُوا : رَضِينَا بِأَوَّلِ مَنْ يُطْلَعُ عَلَيْنَا ، مِمَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طُلِعَ عَلَيْهِمْ هَبْقُهُ ، فَقَصَّوْا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ ، فَقَالَ : الْحَكْمُ عِنْدِي فِي ذَلِكَ أَنْ يَدْفَعَهُ بِهِ إِلَى نَهْرِ الْحَصْرَةِ ، فَيَلْقَى فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ رَاسُهَا رَسَبَ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ طَفَاوِيهَا طَفَا ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَحَدٍ هَذَيْنِ الْحَبِيصَيْنِ .

وَقَوْلُ قَتِيْبَةٍ : « إِنَّمَا خَلِيفَتُكُمْ هَنْتَةُ » ذَلِكَ لِأَنَّ هَبْقَةَ كَانَتْ يَحْسُنُ إِلَى السَّمَانِ مِنْ إِبِلِهِ ، فَيَرْعِيهَا فِي الشَّجَرِ ، وَيَنْجِي الْمَاهِزِيلَ ، فَقِيلَ لَهُ : وَنَحْكُ مَا تَصْنَعُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَكْرَمُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ ، وَأَهْنِ مَا أَهَانَ اللَّهُ ، وَكَذَلِكَ كَانَ سَلِيمَانُ يُعْطِي الْأَشْيَاءَ ، وَلَا يُعْطِي الْعُقَرَاءَ وَيَقُولُ : « أَصْلَحْ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ ، وَأَفْسِدْ مَا أَفْسَدَ اللَّهُ » — انْظُرْ تَجْمَعُ الْأَمْثَالَ ١ : ١٤٦ ، وَالْبَيَانُ وَالنَّبِيْنِ ١ : ١٢٦ .

- [١] الْأُوْبَاشُ السَّفَلَةُ ، جَمْعُ وَبَشٍ كَسْبٍ . [٢] الطَّرِيقُ وَالْجَهَّةُ . [٣] الْفَجْرُ وَالْكَبَرُ .
[٤] الصَّعْفُ . [٥] الْإِهْوُ . [٦] كَيْسَانُ ، عَلِمَ لِلْعَدْرِ . [٧] هِيَ سَجَّاحٌ بَنَتْ الْحَارِثَ
ادْعَى الدَّوَةَ مَعَ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَرِيرَةِ فِي بَيْتِ أَغْلَبَ .
[٨] أَرِ الْجِلَّ أَبْرًا : أَصْلَحَهُ . [٩] الْقُلُوسُ جَمْعُ فَلَسٍ كَشَمْسٍ ، وَهُوَ حَبْلٌ ضَحْمٌ مِنْ لَيْفِ أَوْ
خَوْصٍ أَرْفِيرِهِمَا مِنْ قُلُوسِ سَفْنِ الْبَحْرِ . [١٠] جَمْعُ حَصَانٍ . [١١] مِنْ نَبَاتِ الْبَادِيَةِ زَهْرُهُ مَرَّجِدًا .
[١٢] نَبَتْ لَهُ حَبُّ أَسْوَدَ حَسَنِ الشَّمِّ .

والحمر في جزيرة ابن كاوان ^(١) ، حتى إذا جمعتكم كما يُجمع قزح الخريف ^(٢) قلم : كيت وكيت ، أما والله إنى لأبئ أبيه ^(٣) وأخو أخيه ، أما والله لأعصبنكم عصب السامة ، إن حوّل الصليان الزمزمة ^(٤) ، يأهل خراسان ، هل تدرون من وإيشكم ؟ وليكم يزيد بن ثروان ، كأنى بأمر مزجاء ^(٥) ، وحكم قد جاءكم ، فغلبكم على فيئكم وأطالكم ، إن هاهنا ناراً ، أرموها أرم معكم ، ارموا غرضكم الأقصى ، قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات ، إن الشام أب مكفور ، حتى متى ينبطح أهل الشام بأفئيتكم وظلال دياركم ؟ يأهل خراسان انسبونى تجدونى عراق الأم ، عراق الأب ، عراق المولد ، عراق الهوى والرأى والدين ، وقد أصبحتم اليوم فيما ترّون من الأمن والعافية ، قد فتح الله لكم البلاد ، وآمن سبلكم ، فالظعينة ^(٦) تخرج من مرو إلى بلخ بغير جوار ، فاحمدوا الله على النعمة ، وسألوه الشكر والمزيد » ثم نزل . (تاريخ الطبرى ٨ : ١٠٥)

وورد كلام قتيبة في هذا الصدد في العقد الفريد ، والبيان والتبيين في ثلاث خطب هذا نصها :

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] هي جزيرة في الخليج الفارسي بين عمان والبحرين . [٢] القزح : كل شيء يكون قطعاً منفردة (ومنه قيل لقطع السحاب في السماء قزح) وخرت النمار أخرفها كنصر : احتبتها ، والتمر مخروف وخريف ، وفي كلام سيدنا علي رضي الله عنه « كما يجمع قزح الخريف » . [٣] أى ابن أبي . [٤] الصليان : نبت من أفضل المرعي يغزى (يجز) للحيل التي لا تفارق الحى ، والزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم ، يهوى صوت الفرس (بالتحريك) إذا رآه ، وأصلها صوت الجوس عند أكلهم — يتراطنون على الأكل ، وهم صوت لا يستعملون لساناً ، ولا شفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلقها ، فيفهم بعضها عن بعض — وهو مثل يضرب للرجل يحوم حول الشيء ولا يظهر مرامه ، والمعنى في المثل : أن ما تسمع من الأصوات والجلب ، لطاب ما يؤكل ويتمتع به ، قال الميداني : ويروى « حول الصليان الزمزمة » الصليان جمع صليب ، والزمزمة : صوت عابديها . [٥] هو مزجاء اللطى أى كثير الأزجاء لها ، زجاء وأزجاء : ساقها ودفعها : والمراد أنه قاس ظلوم . [٦] الظعينة : المرأة ما دامت في الهودج .

«أتدرون من ثُبَايعُونَ؟ إِنَّمَا ثُبَايعُونَ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ - يَعْنِي هَبْنَقَةَ الْقَيْسِي -
كَأَنِّي بِأَمِيرِ مِزْجَاءَ، وَحَكَمَ قَدْ أَتَاكُمْ، يَحْكُمُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَدِمَائِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ
وَأَبْشَارِكُمْ»^(١)، ثُمَّ قَالَ: الْأَعْرَابُ وَمَا الْأَعْرَابُ؟ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ، جَمَعْتُمْ
كَمَا يَجْمَعُ قَرْعُ الْخَرِيفِ^(٢) مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ، وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ،
وَجَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ، تَرْكَبُونَ الْبَقَرَ، وَتَأْكُلُونَ الْهَيْدِ^(٣)، خَمَلْتُمْ عَلَى الْخَيْلِ،
وَأَلْبَسْتُمْ السِّلَاحَ، حَتَّى مَنَعَ اللَّهُ بِكُمْ الْبِلَادَ، وَأَفَاءَ بِكُمْ النَّيْءَ» قَالُوا: مَرْنَا
بَأَمْرِكَ. قَالَ: غُرُّوا غَيْرِي. (العقد الفريد ٢: ١٥٥، والبيان والتبيين ٢: ٦٧)

وخطب مرة أخرى، فقال:

«يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، أَلَسْتُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُمْ؟ أَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ،
فَنَعَمُ الصَّدَقَةُ، وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَعَلَجَةٌ^(٤) بَظْرَاءَ، لَا تَجْمَعُ
رَجُلِيهَا، وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ عَبْدُ الْقَيْسِ فَمَا ضَرَبَ الْعَيْرَ بِذَنْبِهِ، وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ
الْأَزْدِ، فَعَلُوجُ^(٥) خَلَقَ اللَّهُ وَأَنْبَاطُهُ^(٦)، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ مَلَكَتْ أُمْرُ النَّاسِ لَنَقَشْتُ
أَيْدِيَهُمْ، وَأَمَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونُ الْغَدَرَ فِي الْجَاهِلِيَةِ كَيْسَانَ»
(العقد الفريد ٢: ١٥٥، والبيان والتبيين ٢: ٦٧)

وخطب مرة أخرى، فقال:

«يَا أَهْلَ خِرَاسَانَ، قَدْ جَرَّبْتُمُ الْوَلَاةَ قَبْلِي، أَنَا كَمْ أُمِيَّةٌ، فَكَانَ كَاسِمُهُ أُمِيَّةَ
الرَّأْيِ، وَأُمِيَّةُ الدِّينِ، فَكُتِبَ إِلَيَّ خَلِيفَتُهُ: إِنْ خَرَجَ خِرَاسَانَ وَسَجِسْتَانَ لَوْ كَانَ

[١] أبشار جمع بشر وهو جمع بشرة وهي ظاهر الجلد. [٢] في العقد الفريد: «كما يجمع قرع الحريق» وفي البيان والتبيين والطبري «قرع الخريف» والصواب ما ذكرنا.
[٣] المنظل. [٤] مؤنث العليج، وهو حمار الوحش السمين الأقوى، وأمة بظراء: طويلة النظر
كشمس وهو ما بين شفرى الرحم. [٥] جمع عليج (بالكسر) وهو الرجل من كفار العجم.
[٦] جيل من الناس كانوا يزلون سواد العراق ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم.

في مطبخه لم يكفِّه ، ثم أتاكم بعده أبو سعيد ، فدوَّخ بكم البلاد ، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته ، ثم لم يحبَّ فينَّا ، ولم ينكأ عدوًّا ، ثم أتاكم بنوه بعده ، مثل أطباء^(١) الكلبة ، منهم ابن الرِّحمة^(٢) ، حصان يضرب في عانة^(٣) ، ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ، ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، وأمن لكم السُّبُل ، حتى إن الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جوار^(٤) (العقد الفريد ٢ : ١٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٧)

٢٩٦ - كلمات حكيمة لقتيبة بن مسلم^{*}

وخرَّجت خارجةً بخُرَّاسان ، ف قيل لِقُتَيْبَةَ بن مسلم : لو وَجَّهْت إليهم وكيع ابن أبي سُودٍ^(٥) ، قال : - وكان وكيع رجلاً عظيم الكبر ، في أنفه خنزروانة^(٦) ، وفي رأسه نُعْرَة^(٧) - وإنما أنفه في أسلوب^(٨) ، ومن عظم كبره اشتدَّ عُجْبُهُ ، ومن أُعْجِبَ برأيه لم يُشَاوِرْ كَفِيًّا^(٩) ، ولم يُؤامر نصيحاً ، ومن تفرَّد بالنظر لم يكمل له الصواب ، ومن تبجَّح^(٩) بالانفراد ، وفخر بالاستبداد ، كان من الصواب

[١] جمع طبي كقفل والطبي : لدات الحف والطف كأيدي المرأة . [٢] يريد به يزيد بن المهلب .

[٣] العانة : الأذن ، والقطيع من حمر الوحش ، والمراد بها النساء .

[٤] هو وكيع بن أبي سود التيمي ، أحد الأبطال البواسل ، كان مع قتيبة في فتح بخارى وأبلى في القتال بلاء محموداً - انظر خبره في الطبري ٨ : ٦٨ - وولاه الناس أمرهم حين ثاروا بقتيبة وقتلوه .

[٥] الخنزوان ، والخنزوانة ، والخنزوانية : الكبر ، يقال : هو ذو خنزوانات .

[٦] العرة : الحيلة والكبر .

[٧] الأسلوب : الشموخ في الأنف ، ويقال : إن أنفه لى أسلوب إذا كان متكبراً ، قال الرازي :

أنوفهم ملفخر في أسلوب وشعر الأستاء في الجيوب

(وهو في معنى المثل المشهور : أنف في السماء واست في الماء ، والجيوب كصور : الأرض ، والأستاء

جمع سته كشمس وسبب وهو الاست ، وقوله : ملفخر أصله : من الفخر ، ونظيره قول جيل بئنة :

وما أنس ملأ شيا لا أنس قولها (وقد قربت فضوى) أمصر تريد ؟

أى من الأشياء ، وقول قطري بن العجاء :

غداة طفت هلماء بكر بن وائل وعجنا صسدور الحيل نحو تميم

أى على الماء) . [٨] الكفى : الكافي ، ويؤامر : يشاور . [٩] تبجَّح به : افتخر وتباهى .

بعيدا ، ومن الخذلان قريبا ، والخطأ مع الجماعة ، خير من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تُصيب ، ومن تكبر على عدوه حقره ، وإذا حقره تهاون بأمره ، ومن تهاون بخصمه ، ووثق بفضل قوته قل احتراسه ، ومن قل احتراسه كثُر عثاره ، وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب ، إلا كان منكوبا ، فلا والله حتى يكون عدوه عنده ، وخصمه فيما تغلب عليه ، أسمع من قرس ، وأبصر من عقاب ، وأهدى من قطاة ، وأحذر من عقق^(١) ، وأشد إقداما من الأسد ، وأوثب من الفهد ، وأحقّد من جمل ، وأروغ من ثعلب ، وأغدر من ذئب ، وأسخر من لافظة^(٢) ، وأشحّ من صبي ، وأجمع من ذرّة^(٣) ، وأحرس من كلب ، وأصبر من ضبّ ، فإن النفس تسمح من العناية على قدر الحاجة ، وتحفظ على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب .

(جهرة الأمثال ١ : ١١٧)

[١] العقق : نوع من العرمان ، وهو دولوين : أبيض وأسود طويل الدب ، يشبه صوته العين وانقاف — ولدا سمى عققا ، وقيل لأنه يمتق فراخه ، فيتركهم بلا طعام ، وجميع العرمان يفعل ذلك — وقد ضربوا به المثل في الحذر ، فقالوا : « أحذر من عقق » — انظر جهرة الأمثال — كما قالوا : « أحذر من غراب » وقالوا أيضا : « ألس من عقق » لأن في طعمه شدة الاختطاف لما يراه من الحلي — وقالوا : « أحق من عقق » لأنه كالنعامة التي تصيح بيضا وأفراخها ، وتشتمل ببس غيرها ، وإياها على هدبة بقوله :

كتاركة بيضا بالعراء ومليسة ببس أخرى جناحا

— انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢ : ٢٠٩ ، وجمع الأمثال — .

[٢] رواه الميداني : « أسمع من لافظة » وقال : قد اختفوا فيها فقال بعضهم : هي العنز التي تشلي للحلب — أشلي دابته : أراها الخلالة لتأتيه ، وأشلاها دحاها للحلب — فتحي لافظة بحرتها فرحا بالحلب ، وقال بعضهم : هي الحمامة لأنها تخرج ما في بطنها لفرخها ، وقال بعضهم : هي الديك ، لأنه يأخذ الحبة بمقاربه فلا يأكلها ، ولكن ياقبها إلى الدجاجة ، والهاء فيها المبالغة هاها ، وقال بعضهم : هي الرحى لأنها تلفظ ما تطحنه أي تقذف ، وقال بعضهم : هي البحر لأنه يلفظ بالذرة ، قال الشاعر :

تجود تجرل قل السؤال وكفك أسمع من لافظة .

[٣] الدر : صغار النمل ، وفي كلام عمر بن عبد العزيز : فإل الله زيادا جمع لهم (أى لأهل الدراق) كما تجمع الذرة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرة » ، وقال الشاعر :

تجمع للوارث جمعا كما تجمع في قربتها الذرة .

ومن كلماته البليغة قوله حين قدِم خُراسان :

« من كَانَ في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم ^(١) فَنُيْبِذْهُ ، وإن كَانَ في فِيهِ فَلْيَلْفِظْهُ ، وإن كَانَ في صدره فَلْيَنْفُثْهُ » فَعَجِبَ الناس من حسن ما فَصَّلَ وقسم .

(البيان والتبيين ٢ : ٥٤)

٢٩٧ — خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس

لما دانت بلاد المغرب لموسى بن نُصَيْر - وكان والياً عليها من قبل الوليد بن عبد الملك - طَمَحَ بَصَرَهُ إلى فتح بلاد الأندلس ، فبعث مَوْلاهُ طارق بن زياد على جيش جُلَّهُ من البربر سنة ٩٢ هـ ، فعَبَّرَ بهم البحر ، وَنَمَى خبره إلى لُدْرِيْق ملك القُوط ، فأقبل لمحاربتَه بجيش جرّار ، وخاف طارق أن يستحوذ الرعب على جنده لقلّتهم ، فأحرق السفن التي أَقْلَتَهُمْ ، حتى يقطع من قلوبهم كل أمل في العودة ، وقام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم حثهم على الجهاد ، ورغبهم في الشهادة ، فقال :

« أيها الناس ، أين المفرُّ ؟ البحر من ورائكم ، والعدوُّ أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق ^(٢) والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيّع من الأيتام

[١] وكان من أمره أنه لما مات يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم ، وعل كل قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وعلب عبد الله بن خازم على خراسان ، ثم كتب إليه عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير - وقيل قبله - بدعوه إلى الدخول في طاعته على أن يطعمه خراسان عشر سنين ، وأبى وحلف ألا يعطيه طاعة أبداً ، وكان ابن خازم يهازل بحير بن ورقاء الصرمي بأبرشهر ، وخليفته على مرو بكير بن وشاح ، فكتب عبد الملك إلى بكير بعهده على خراسان ، ووعدته ومناه ، ودعا إلى عبد الملك ، وأحابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم تخاف أن يأتيه بكير ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر ، فترك بحيراً وأقبل إلى مرو ، فاتبعه بحير ملحقه ، ودارت بينهما الحرب فقتل ابن خازم في المعركة - انظر تاريخ الطبري ٧ : ص ٤٤ ، وص ١٩٦ .

[٢] أي الصدق في القتال ، والصدق : العدة ، يقال صدقه القتال .

فِي مَادِبٍ ^(١) اللَّثَامُ ، وَقَدِ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ ، وَأَسْلَحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ ،
وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ ^(٢) لَكُمْ إِلَّا سِوْفُكُمْ ، وَلَا أَقْوَاتَ إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي
عَدُوِّكُمْ ، وَإِنْ أَمْتَدَّتْ بِكُمْ الْأَيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ ، وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ، ذَهَبَتْ
رِيحُكُمْ ، وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُغْبِهَا مِنْكُمْ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ ، فَادْفَعُوا عَنْ
أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانَهُ هَذِهِ الْعَاقِبَةُ مِنْ أَمْرِكُمْ ، بِمُنَاجَزَةِ ^(٣) هَذَا الطَّائِغِيَّةِ ، فَقَدْ أَلَقْتُ
بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتَهُ الْحَصِينَةَ ، وَإِنْ أَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ فِيهِ لَمْ تُسَكِّنْ ، إِنْ سَمَحْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ
بِالْمَوْتِ ، وَإِنِّي لَمْ أَحْذَرُكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ ^(٤) ، وَلَا خَمَلَتْكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ
مَتَاعَ فِيهَا النَّفُوسُ ، أَرْبَأُ ^(٥) فِيهَا بِنَفْسِي ، وَاعْلَمُوا أَنْكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ
قَلِيلًا ، اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَةِ الْأَلَدِّ طَوِيلًا ، فَلَا تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي ، فِيمَا
حَظَّكُمْ فِيهِ أَوْفَرُ مِنْ حَظِّي .

وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنَ الْحُورِ ^(٦) الْحِسَانِ ، مِنْ بَنَاتِ
الْيُونَانِ ، الرَّافِلَاتِ ^(٧) فِي الدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ ، وَالْحُلَلِ الْمَنَسُوجَةِ بِالْعِقْيَانِ ^(٨) ،
الْمَقْصُورَاتِ ^(٩) فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ ذَوِي التَّيْجَانِ ، وَقَدْ اتَّخَبَكُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ عُزْبَانَا ^(١٠) ، وَرَضِيَكُمْ لِمُلُوكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ
أَصْهَارًا ^(١١) وَأَخْتَانًا ^(١٢) ، ثِقَّةً مِنْهُ بَارْتِيَا حُكْمَ لِلطَّعَّانِ ، وَإِسْمَا حُكْمَ ^(١٣) بِمَجَالِدَةِ

[١] جمع مأدبة بالفتح والضم وهي طعام صنع لدعوة أو عرس . [٢] لا ملجأ . [٣] أي مبارزته .

[٤] النجوة : ما ارتفع من الأرض . [٥] ربأ بنفسه : علا بها وارتفع أي أتجنى عن مشاركتكم .

[٦] جمع حوراء من الحور بالتحريك وهو شدة سواد العين وبياضها .

[٧] رفلت : جرت ذيلها وتبحرت ، أو خطرت بيدها . [٨] الذهب . [٩] المخدرات : المخبوءات

[١٠] جمع عزيز والعزيب والعزب والأعزب : من لازوجة له . [١١] جمع صهر كحل وهو زوج

بنت الرجل ، وزوج أخته . [١٢] جمع ختن كسبب ، وهو الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة

كألاب والايخ . [١٣] سمح وأسمح : جاد وكرم .

الأبطال والفُرسان ، ليكون حَظُّهُ منكم ثوابَ الله على إعلاءِ كَلِمَتِهِ ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مَنَعْمُهَا خالصاً لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ على ما يكون لكم ذكراً في الدارين .
واعلموا أني أول محبب إلى ما دعوتكم إليه ، وَأَنِّي عند مُلْتَقَى الجَمْعين ، حاملٌ بنفسى على طاغية القوم لُذْرِيْق ، فقاتله إن شاء الله ، فاحملوا معى ، فإن هَلَكْتُ بعده ، فقد كُفَيْتُمْ أَمْرَهُ ، ولن يُعَوِّزَكُم بَطْلٌ عاقلٌ تُسْنِدُونَ أموركم إليه ، وإن هَلَكْتُ قبل وصولى إليه ، فاخلقُونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المَهْمُ من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يُخْذَلُونَ » .

(نفع الطيب ١ : ١١٢ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٣٥)

٢٩٨ - نص آخر لخطبة طارق

وروى ابن قُتَيْبَةَ هذه الخطبة فى الإمامة والسياسة بصورة أخرى ، قال :
لما بلغ طارقاً دُثُوْ لُذْرِيْق ، قام فى أصحابه ، فحمد الله ، ثم حض الناس على الجهاد ، وَرَغَّبَهُمْ فى الشهادة ، وَبَسَطَ لَهُمْ فى آمالهم ، ثم قال :
« أيها الناس : أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، فليس ثمَّ والله إلا الصدق والصبر ، فإنهما لا يُغْلَبَانِ ، وهما جندان منصوران ، ولا تَضُرُّ معهما قِلَّةٌ ، ولا تنفع مع الخَوَرِ والكَسَلِ والفَشَلِ ، والاختلاف والعُجْبُ كثرةٌ ، أيها الناس : ما فعلت من شىء فافعلوا مثله ، إن حملتُ فاحملوا ، وإن وَقَفْتُ فَقِفُوا ، ثم كونوا كهيئة رجل واحد فى القتال ، ألا وإني عامِدٌ إلى طاغيتهم ، بحيث لا أتهيبُهُ حتى أخالِطَهُ ، وَأُقْتَلَ دُونَهُ ، فَإِنْ قُتِلْتُ فلا تَهِنُوا ^(١) ولا تحزنوا ،

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ . وَتَوَلَّوْا الذُّبُرَ لَعَدُوكُمْ ، فَتَبَدَّدُوا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ ، وَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَرْضَوْا بِالذَّنْبِ ، وَلَا تَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ ، وَارْغَبُوا فِي مَا مُجَلِّ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالرَّاحَةِ ، مِنَ الْمِهْنَةِ وَالذَّلَّةِ ، وَمَا قَدْ حُلَّ لَكُمْ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَلَّوْا ^(١) (وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَمُعِيزُكُمْ) تَبَوُّؤُا بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ ، وَسُوءَ الْحَدِيثِ غَدًا بَيْنَ مَنْ عَرَفَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَآنَذَا حَامِلٌ حَتَّى أَغْشَاهُ ، فَاحْمِلُوا بِحِمْلَتِي . (الإمامة والسياسة ٢ : ٥٣)

٢٩٩ — خطبة عثمان بن حيان المرى بالمدينة

وولي الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المرى المدينة سنة ٩٤ هـ ، وقد خطب على المنبر ، فقال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَجَدْنَاكُمْ أَهْلَ غَشٍّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ ، وَقَدْ ضَوَى ^(٢) إِلَيْكُمْ مَنْ يَزِيدُكُمْ خَبَالًا : أَهْلُ الْعِرَاقِ ، هُمْ أَهْلُ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، هُمْ وَاللَّهِ عَشْرُ النِّفَاقِ ، وَيَبْضِئَتِ الَّتِي تَفَلَّقَتْ عَنْهُ ، وَاللَّهُ مَا جَرَّبَتْ عِرَاقِيًّا قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُ أَفْضَلَهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ ، الَّذِي يَقُولُ فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ مَا يَقُولُ ، وَمَا هُمْ لَهُمْ بِشَيْعَةٍ ، وَإِنَّهُمْ لَأَعْدَاءُ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ ، وَلَكِنْ لِمَا يَرِيدُ اللَّهُ مِنْ سَفَكِ دِمَائِهِمْ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُوتِي بِأَحَدٍ آوَى أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ أَكْرَاهَ مَنْزِلًا ، أَوْ أَتَزَلَّهُ ، إِلَّا هَدَمْتُ مَنْزِلَهُ ، وَأَتَزَلَّتْ بِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ ^(٣) .

ثم إن البلدان لما مَصَّرَهَا عمر بن الخطاب ، وهو مجتهد على ما يصلح رعيته ،

[١] إن تلبوا وتهرموا . [٢] ضوى كرمى : انضم ولجا ، والخبال : الفساد .

[٣] ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ، ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يخرجوا ، وحبس بعضهم وعاقبهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف .

جعل يمر عليه من يريد الجهاد ، فيستشيرهُ : الشَّامُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْعِرَاقُ ؟
فيقول : الشَّامُ أَحَبُّ إِلَيَّ .

إِنِّي رَأَيْتَ الْعِرَاقَ ذَا عَضَالٍ ، وَبِهَا فَرَّخَ الشَّيْطَانُ ، وَاللَّهُ لَقَدْ أَعْضَلُوا بِي ^(١) ،
وَإِنِّي لَأَرَانِي سَافِرًا قُهُمَ فِي الْبُلْدَانِ ، ثُمَّ أَقُولُ : لَوْ فَرَّقْتَهُمْ لَأَفْسَدُوا مِنْ دَخَلُوا
عَلَيْهِ بِمَحْدَلٍ وَحِجَاجٍ ، وَكَيْفَ ؟ وَلَمْ ؟ وَسُرْعَةً وَجِيفَ ^(٢) فِي الْفِتْنَةِ ، فَإِذَا خُبِرُوا
عِنْدَ السُّيُوفِ ، لَمْ يُخْبَرْ مِنْهُمْ طَائِلٌ ^(٣) ، لَمْ يَصْلُحُوا عَلَى عَثْمَانَ . فَلَقِيَ مِنْهُمْ
الْأَمْرَيْنِ ^(٤) ، وَكَانُوا أَوَّلَ النَّاسِ فَتَقَ هَذَا الْفَتَقَ الْعَظِيمَ ، وَتَقَضُّوا عُرَا
الْإِسْلَامِ عُرْوَةً غُرْوَةً ، وَانْغَلَوْا ^(٥) الْبُلْدَانَ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِكُلِّ مَا
أَفْعَلُ بِهِمْ ، لَمَّا أَعْرِفَ مِنْ رَأْيِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ ، ثُمَّ وَلِيَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ ،
فَدَا مَجْهَمَهُمْ ^(٦) فَلَمْ يَصْلَحُوا عَلَيْهِ ، وَوَلِيَهُمْ رَجُلَ النَّاسِ ^(٧) جَلَدًا ، فَبَسَطَ عَلَيْهِمُ
السَّيْفَ وَأَخَافَهُمْ ، فَاسْتَقَامُوا لَهُ ، أَحَبُّوا أَوْ كَرَهُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَبَرَهُمْ وَعَرَفَهُمْ .
أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَاللَّهُ مَا رَأَيْنَا شِعَارًا قَطُّ مِثْلَ الْأَمْنِ ، وَلَا رَأَيْنَا جَلْسًا ^(٨)
قَطُّ شَرًّا مِنَ الْخَوْفِ ، فَالْزَمُوا الطَّاعَةَ ، فَإِنْ عِنْدِي يَأْهَلُ الْمَدِينَةِ خَيْرَةٌ مِنْ
الْخِلَافِ ، وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ بِأَصْحَابِ قِتَالٍ ، فَكُونُوا مِنْ أَحْلَاسِ بِيوتِكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى
النَّوَاجِذِ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ فِي مَجَالِسِكُمْ مَنْ يَسْمَعُ فَيُبَلِّغُنِي عَنْكُمْ ، إِنَّكُمْ فِي فُضُولِ

[١] عضل به الأمر ، وأعضل : اشتد ، وأعضله أيضاً .

[٢] وجب يحف وحيفاً : اضطرب . والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل .

[٣] الطائل والطائلة والطول : المضل والفسرة . [٤] الأمران : الفقر والهرم ، وهو كناية عن

اشتداد الأمر . [٥] أفسدوا ، من نفل الاديم كفرح : فسد في الدباغ ، وأنتنه : أفسده .

[٦] المداجنة مثل المداجنة وداجه عليه : وافقه . [٧] يريد الحاج بن يوسف .

[٨] المجلس : بساط البيت ، وكساء على ظهر البعير تحت رحله ، والمراد : مارأيا مركباً شراً من الخوف

وفلان جلس من أحلاس البيت : لاندى لا يبرح البيت .

كلامٍ غيرُهُ أَلْزَمُ لَكُمْ ، فَدَعُوا عَيْبَ الْوُلَاةِ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا يُنْقَضُ شَيْئًا شَيْئًا
حتى تكون الفتنة ، وإن الفتنة من البلاء ، والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد .
(تاريخ الطبري ٨ : ٩٢)

٣٠٠ — وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد (قتل سنة ١٠٢ هـ)

ولما وَلِيَ يزيد بن المهلب خُرَاسَانَ في عهد سليمان بن عبد الملك ، فتح
جُرْجَانَ ^(١) وطَبْرَسْتَانَ ^(٢) (سنة ٩٨) ، وقد أوصى ابنه مَخْلَدًا حين استخلفه
على جُرْجَانَ ، فقال :

« يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَاظْهَرْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْيَمِينِ ،
فَكَنْ لَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ فَرِشْ وَأَصْطَنِعْ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْحَى ^(٣)
وانظر هذا الْحَيَّ من ربيعة ، فَإِنَّهُمْ شِيعَتُكَ وَأَنْصَارُكَ ، فاقضِ حَقَّوْقَهُمْ ، وانظر
هذا الْحَيَّ من تميم ، فامْطُرْهُمْ ^(٤) ، وَلَا تُزَرَّهُ ^(٥) لَهُمْ ، وَلَا تُدْنِهِمْ فَيَطْمَعُوا ، وَلَا
تُقْصِرْهُمْ فَيَقْطَعُوا ، وانظر هذا الْحَيَّ من قيس ، فَإِنَّهُمْ أَكْفَاءُ قَوْمِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَمُنَاصِفُوهُمْ الْمُنَابِرَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَرِضَاهُمْ مِنْكَ الْبِشْرُ .

يَا بُنَيَّ : إِنْ لِأَيِّكَ صَنَائِعٌ فَلَا تُفْسِدْهَا ، فَإِنَّهُ كَفَى بِالْمَرْءِ نَقْصًا أَنْ يَهْدِمَ
مَا بَنَى أَبُوهُ ، وَإِيَّاكَ وَالْدمَاءَ فَإِنَّهَا لَا بَقِيَّةَ مَعَهَا ، وَإِيَّاكَ وَشَتَمَ الْأَعْرَاضِ ، فَإِنَّ
الْحَرْءَ لَا يُرْضِيهِ عَنْ عِرْضِهِ عَوْضٌ ، وَإِيَّاكَ وَضَرْبَ الْأَبْشَارِ ، فَإِنَّهُ عَارٌ بَاقٍ ،

[١] في الجنوبي الشرقي من بحر قزوين . [٢] جنوبي بحر قزوين .

[٣] راش السهم يرشه : ألزق عليه الريش ، وراش الصديق : أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله

ونقعه ، واصطنع عنده صنيعه : اتخذها ، والبيت لأبي دؤاد الإيادي . [٤] مطرهم السماء : أصابتهم

بالمطر ، ومطرهم غير : أصابهم ، وما مطر منه خيراً — وبغير — : أي ما أصابه منه خير

[٥] الزمو : السكبر والذية ، زهمى كعنى ، وكدما : قليلة .

وَوَثَرُ مَطْلُوبٍ ، وَاسْتَعْمِلْ عَلَى النَجْدَةِ وَالْفَضْلِ دُونَ الْهَوَى ، وَلَا تَعَزِلْ إِلَّا عَنْ عِزٍّ أَوْ خِيَانَةٍ ، وَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ اصْطِنَاعِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَكَ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا تَصْطَنِعُ الرِّجَالَ لِفَضْلِهَا ، وَلِيَكُنْ صَنِيعُكَ عِنْدَ مَنْ يَكْفُتُكَ عَنْهُ ، أَحْمِلِ النَّاسَ عَلَى أَحْسَنِ أَذْبَكَ يَكْفُوكَ أَنْفُسَهُمْ ، وَإِذَا كَتَبْتَ كِتَابًا فَأَكْثِرِ النَّظَرَ فِيهِ ، وَلِيَكُنْ رَسُولُكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ يَفْقَهُ عَنِّي وَعَنْكَ ، فَإِنْ كَتَبَ الرَّجُلُ مَوْضِعَ عَقْلِهِ ، وَرَسُولُهُ مَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَأَسْتَوْدَعَكَ اللَّهُ ، فَلَا بَدْءَ لِلْمَوَدَّعِ أَنْ يَسْكُتَ ، وَلِلْمَشِيعِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَا عَفَّ مِنَ الْمَنْطِقِ ، وَقَلَّ مِنَ الْخَطِيئَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْيُكَ ، وَكَذَلِكَ سَلَكَ هَذَا الْمَسَلَكُ الْمَحْمُودُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٥٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ١٧٣)

٣٠١ — نصيحة عمر بن هبيرة لبعض بنيهِ

وقال عمر بن هبيرة^(١) يؤدّب بعض بنيهِ :

« لَا تَكُونَنَّ أَوَّلَ مُشِيرٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْهَوَى وَالرَّأْيَ الْفَطِيرَ^(٢) ، وَتَجَنَّبِ ارْتِجَالَ الْكَلَامِ ، وَلَا تُشِرْ عَلَى مُسْتَبَدٍّ ، وَلَا عَلَى وَغْدٍ ، وَلَا عَلَى مُتَلَوِّنٍ ، وَلَا عَلَى لَجْوَجٍ ، وَخَفِ اللَّهَ فِي مُوَافَقَةِ هَوَى الْمُسْتَشِيرِ ، فَإِنَّ التَّمَّاسَ مُوَافَقَتَهُ لَوْثٌ ، وَسُوءُ الْاسْتِمَاعِ مِنْهُ خِيَانَةٌ . »

وقال : « مِنْ كَثَرِ كَلَامِهِ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ . »

(البيان والبيان ٢ : ٩٨)

[١] هو عمر بن هبيرة الفزارى ، وكان عاملاً على الجريفة لعمر بن عبد العزيز ، وولى العراق (وأضيفت إليه خراسان) ليزيد بن عبد الملك . [٢] كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير — والمعجب الفطير : ضد الخير أى الذى لم يختبر — « وكان عبد الله بن وهب الراسي أمير الحوارج يقول : نعوذ بالله من رأى الدبرى — والدبرى بالتحريك وتسكن الباء : الذى يعرض من بعد وقوع الشيء — ولا تقل دبرى بضمين فإنه من لحن الحديثين »

خطب خالد بن عبد الله القسري^(١)

(توفي سنة ١٢٦ هـ)

٣٠٢ - خطبته بمكة يدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة

خطب خالد بن عبد الله القسري بمكة ، فقال :

«يأيها الناس ، إنكم بأعظم بلاد الله حرمة ، وهي التي اختار الله من البلدان فوضع بها بيته ، ثم كتب على عباده حجه ، من استطاع إليه سبيلا ، أيها الناس : فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ، فإنني والله ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم ، إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها ، فسلموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كَيْتَ وَكَيْتَ ، إنه لا رأى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه بلغني أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ، ويقيمون في بلادكم ، فأياكم أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائع عن الجماعة ، فإنني لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله ، فانظروا ممن تنزلون في منازلكم ، وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإن الفرقة هو البلاء العظيم .
وسمع يوماً يقول : « والله لو أعلم أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة ، لأخرجتها من الحرم ، إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة زار^(٢) عليهم » .
(تاريخ الطبري ٨ : ٨٠)

[١] ولاء الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ هـ ، وولى العراقيين في عهد هشام بن عبد الملك ، وكانت أمه نصرانية ، قالوا وكان يتهم في دينه ، وهو من خطباء العرب الممدودين المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، توفي سنة ١٢٦ هـ . [٢] زرى عليه : عابه .

٣٠٣ — خطبة أخرى يشيد فيها بفضل الوليد

ومن غُلُوّه أنه خطب على منبر مكة ، فقال :

« أيها الناس ، أيُّهما أعظم ؟ أخليفةُ الرجل على أهله ، أم رسولُه إليهم ؟
والله لو لم تعلموا فضلَ الخليفة إلا أن إبراهيم خليلَ الرحمن استسقى ربّه ، فسقاه
مِلْحًا أَجَاجًا ^(١) ، واستسقاه الخليفة فسقاه عَذْبًا فُرَاتًا » يعني برًّا حفرها الوليد
ابن عبد الملك بالثَنِيَّتَيْنِ : ثَنِيَّة طُوًى ^(٢) ، وثَنِيَّة الْحَجُّونِ ، فكان يُنقل ماؤها ،
فيوضع في حَوْض من أَدَمٍ إلى جنب زمزم ، ليعرف فضله على زمزم .

(تاريخ الطبري ٨ : ٦٧ ، وشرح العيون ص ٢٠٥)

٣٠٤ — خطبته بمكة في الحجاج

وَصَعِدَ خالد المنبر في يوم الجمعة - وهو على مكة - فذكر الحجاج ، فحمد طاعته ،
وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك ،
يأمره فيه بِشَتْمِ الحجاج ، ونَشْرِ عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، فصعد المنبر ،
فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن إبليسَ كَانَ مَلَكًا من الملائكة ، وَكَانَ يُظْهِرُ من طاعة الله ما كَانَتْ
الملائكة تَرَى له به فَضْلاً ، وَكَانَ الله قد عَلِمَ من غِيْثِهِ وَخُبَيْثِهِ مَا خَفِيَ على ملائِكَته ،
فلما أَرَادَ الله فضيحتَه أمره بالسجود لآدَمَ ، فظهر لهم ما كَانَ يُخْفِيهِ عنهم ، فلعنوه ،
وإن الحجاج كَانَ يُظْهِرُ من طاعة أمير المؤمنين ما كُنَّا تَرَى له به فَضْلاً ، وَكَانَ
الله قد أَطْلَعَ أمير المؤمنين من غِيْثِهِ وَخُبَيْثِهِ على مَا خَفِيَ عَلَيْنَا ، فلما أَرَادَ الله فضيحة

[١] ماء أجاج : ملح مرّ ، والفرات : الماء العذب جداً .

[٢] ذو طوى ثلاث الطاء وينون : موضع قرب مكة ، والحجون : جبل مشرف بمكة ، وفي شرح العيون
أنه قال : « قد جئكم بماء العاذبة ، لاتشبه ماء أم الحنافس » يعني زمزم .

أَجَزَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعْنُهُ ، فَالْعَنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ « ثُمَّ نَزَلَ .
(المقدّميريد ٢ : ١٥٨ - ٣ : ١١)

٣٠٥ — خطبة له في الحث على مكارم الأخلاق

وقام على المنبر بواسط ، فحمد الله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ ، وَسَارِعُوا إِلَى الْمَغَانِمِ ، وَأَشْتَرُوا الْحَمْدَ
بِالْجُودِ ، وَلَا تَكْسِبُوا بِالْمَطْلِ ذِمًّا ، وَلَا تَعْتَدُوا بِالْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تَعْجَلُوهُ ، وَمَهْمَا
يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدَ أَحَدٍ نِعْمَةٌ فَلَمْ يَبْلُغْ شُكْرَهَا ، فَاللَّهُ أَحْسَنُ لَهَا جَزَاءً ،
وَأَجْزَلُ عَلَيْهَا عَطَاءً ، وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ ، نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، فَلَا
تَمَلُّوا النَّعَمَ فَتَحْوِلُوهَا نَقْمًا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا أَكْسَبَ أَجْرًا ، وَأَوْرَثَ
ذِكْرًا ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ
الْبَخْلَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ مُشَوَّهًا قَبِيحًا تَنْفِرُ عَنْهُ الْقُلُوبُ ، وَتُغْضِي عَنْهُ الْأَبْصَارُ .
أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَجْوَدَ النَّاسُ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ ، وَأَعْظَمَ النَّاسُ
عَفْوًا مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ ، وَأَوْصَلَ النَّاسُ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَطِيبْ
حَرَّتَهُ ، لَمْ يَزَلْ^(١) نَبْئُهُ ، وَالْأَصُولُ عَنْ مَغَارِبِهَا تَنْمُو ، وَبِأَصُولِهَا تَسْمُو .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

(صح الأعمش ١ : ٢٢٣ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٥ ، وشرح العيون ص ٢٠٥)

٣٠٦ — خطبة له يوم عيد

خطب فذكر الله وَجَلَّالَهُ ، ثم قال :

« كُنْتَ كَذَلِكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ ، لَا يَعْلَمُ كَيْفَ أَنْتَ إِلَّا أَنْتَ ، ثُمَّ

ارتأيت أن تَخْلُقَ الخَلْقَ ، فإذا جئتَ به من عجائب صنْعِكَ ؟ والكبيرُ والصغيرُ مِنْ خَلْقِكَ ، والظاهرُ والباطنُ مِنْ ذَرِّكَ ، من صُنُوفِ أَفْوَاجِهِ ^(١) ، وأفراده وأزواجه ، كيف أدجبتَ ^(٢) قوائِمَ الذَّرَّةِ والْبَعُوضَةِ ، إلى ما هو أعظم من ذلك ، من الأشباح ، التي امتزجت بالأرواح . (عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٦)

٣٠٧ — قوله وقد سقطت جرادة على ثوبه

وكان خالد إذا تكلم يظن الناس أنه يصنع الكلام ، لعدوبة لفظه ، وبلاغة منطقته ، فبينما هو يخطب يوماً إذ سقطت جَرَادَةٌ على ثوبه ، فقال : «سبحانَ مَنْ الجَرَادَةُ مِنْ خَلْقِهِ ، أدمجَ قوائِمَها ، وطوَّقَها جَنَاحَها ، وَوَشَّى ^(٣) جلدها ، وسلَّطَها على ما هو أعظم منها » .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٣)

٣٠٨ — خطبة يوسف بن عمر الثقفي ^(٤) (قتل سنة ١٢٧ هـ) قام خطيباً ، فقال :

اتقوا الله عبادَ الله ، فكم من مُؤَمِّلٍ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ ، وجامعٍ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ ، ومَانِعٍ عَمَّا سَوْفَ يتركه ، وَلَعَلَّهُ مِنْ باطلٍ جَمَعَهُ ، ومن حقٍّ مَنَعَهُ ، أَصَابَهُ حَرَامًا ، وَأورثه عَدُوًّا ، فاحتمل إضره ^(٥) ، وباءَ بِوِزْرِه ، وورد على ربه آسِفًا لَاهِفًا ، قد خَسِرَ الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، والبيان والنبين ٢ : ٧١ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٥)

[١] جمع فوج كشمس ، وهو الجماعة . [٢] من أدمج الحبل : أحكم قتله في رقة .
[٣] نقش ونغم وزين . [٤] هو ابن ابن عم الحجاج ، ولاء هشام بن عبد الملك اليميني سنة ١٠٦ هـ ، ثم ولاء العراق سنة ١٢٠ هـ بعد عزل خالد بن عبد الله القسري ، وقتل سنة ١٢٧ هـ .
[٥] الإضر : الذنب .

خطب الفتن والأحداث

فتنة المدينة ووقعة الحرّة

٣٠٩ - خطبة عبد الله بن حنظلة الأنصاري

وقد علم بقدوم جيش الشام إلى المدينة (قتل سنة ٦٣ هـ)

لما كره أهل المدينة خلافة يزيد بن معاوية ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الأنصاري على خلعهم ، ووثبوا على من كان بالمدينة من بني أمية وحصلهم وأخافوهم ، وجه إليهم يزيد جيشاً من أهل الشام بقيادة مسلم بن عقبة المرّي ، ونمى إليهم خبر مقدمه عليهم ، فجمعهم عبد الله بن حنظلة ، فقال : « تبايعوني على الموت ، وإلا فلا حاجة في بيعتكم » فبايعوه على الموت ، ثم صعد المنبر : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنما خرجتم غصباً لدينكم ، فأبُلُوا إلى الله بلاءً حسناً ، ليُوجب لكم به الجنة ومغفرتَه ، ويُحِلَّ بكم رضوانَه ، واستعِدُّوا بأحسنِ عُدَّتكم ، وتأهَّبُوا بأَكملِ أهْبَتكم ، فقد أُخْبِرْتُ بأن القوم نزلوا بِذِي خُشْب^(١) ومعهم مروان بن الحَكَم ، والله إن شاء مُهْلِكُه بِنَقْضِهِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ عِنْدِ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) » .

[١] ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة . [٢] وذلك أن أهل المدينة كانوا قد أخرجوا مروان بن الحكم وكبراء بني أمية عن المدينة ، وحلفوا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يلقوا جيش يزيد أيردّونهم عنهم إن استطاعوا ، فان لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ، ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك .

فتصايح الناس ، وجعلوا ينالون منه ويسبُّونه ، فقال لهم : « إن الشتم ليس بشيء ، نصدُقهم اللقَاء ، والله ما صدق قوم قط إلا نصِّروا » ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال : « اللهم إنا بك واثقون ، وعليك متوكلون ، وإليك أَلْجَأنا ظهورنا » ثم نزل . (الامامة والسياسة ١ : ١٥٤)

٣١٠ — خطبة مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام

وأقبل مسلم بجيشه إلى المدينة ، فحاصرها من جهة الحرَّة^(١) ، ودعا أهلها إلى الطاعة ومراجعة الحق ، وأجلَّهم ثلاثاً فلم يُذعنوا لقوله ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، وحملت خيل ابن حنظلة على أهل الشام فانكشفوا ، وقُتِل صاحب رأيهم ، فأخذ مسلم الراية ، ونادى :

« يا أهل الشام ، أهذا القتالُ قتال قومٍ يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ؟ وأن يُعزِّوا به نصرَ إمامهم ؟ قَبِّحَ اللهُ قتالكم منذُ اليوم ، ما أوجعَ لقلبي ، وأغیظَه لنفسي ! أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُحرِّمُوا المَطاءَ ، وأن تَجَمَّروا في أقاصي الثغور ، شُدُّوا مع هذه الراية ، تَرَحَّحَ^(٢) اللهُ وجوهكم إن لم تُعتَبُوا^(٣) » .
(تاريخ الطبری ٧ : ٩)

٣١١ — خطبة مسلم يحرضهم

ثم إن خيل مُسلمٍ ورجاله أقبلت نحو ابن حنظلة ورجاله حتى دَنَوْا منه ، وأخذ مسلم يسير في أهل الشام ويحرضهم ، ويقول :

« يا أهل الشام ، إنكم لستم بأفضلِ العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا

[١] الحرَّة : أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة . [٢] ترحا ترحا كفرح فرحا : حزن ، وترَّحه تترَّحها : أحزنه . [٣] أعتبه : أعطاه العتي (كقربي) وهي الرضا ، أى إن لم ترضوني بصدقكم القتال .

أَكْثَرَهَا عَدَدًا ، وَلَا أَوْسَعَهَا بَلَدًا ، وَلَمْ يَخْصُصْكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي خَصَّكُمْ بِهِ مِنَ
النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَحُسْنِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أُمَّتِكُمْ ، إِلَّا بِطَاعَتِكُمْ وَاسْتِقَامَتِكُمْ ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ غَيَّرُوا ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِمْ ، فَتِمُّوا ^(١) عَلَى أَحْسَنِ مَا كُنْتُمْ
عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ ، يُثِمِّمَ اللَّهُ لَكُمْ أَحْسَنَ مَا يُذِيلُكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْفَلَجِ ^(٢) .
(تاريخ الطبري ٧ : ٩)

٣١٢ - خطبة ابن حنظلة يحرّض أصحابه

وَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ فِي أَصْحَابِهِ حِينَ رَأَوْهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا يَمْشُونَ تَحْتَ
رَايَاتِهِمْ ، فَقَالَ :

« يَا هَؤُلَاءِ : إِنْ عَدُوَّكُمْ قَدْ أَصَابُوا وَجْهَ الْقِتَالِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ
بِهِ ، وَإِنِّي قَدْ ظَنَنْتُ أَلَّا تَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً ، حَتَّى يَفْصِلَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، إِمَّا
لَكُمْ وَإِمَّا عَلَيْهِمْ ، أَمَّا إِنْكُمْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ وَدَارِ الْهَجْرَةِ ! وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رَبَّكُمْ
أَصْبَحَ عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْمَسَامِينِ بِأَرْضِي مِنْهُ عَنْكُمْ ، وَلَا عَلَى أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ
بُلْدَانِ الْعَرَبِ بِأَسْخَطَ مِنْهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ ، إِنْ لَكُلِّ امْرَأٍ مِنْكُمْ
مَيْتَةٌ هُوَ مَيِّتٌ بِهَا ، وَاللَّهِ مَا مِنْ مَيْتَةٍ بِأَفْضَلَ مِنْ مَيْتَةِ الشَّهَادَةِ ، وَقَدْ سَاقَهَا اللَّهُ
إِلَيْكُمْ ، فَاعْتَنِمُوهَا ، فَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَا أَرَدْتُمُوهَا وَجَدْتُمُوهَا . »

وَدَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَقَتِلَ ابْنُ حَنْظَلَةَ فِيمَنْ قَتَلَ ، وَدَخَلَ مُسْلِمُ
الْمَدِينَةِ ^(٣) ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ الْحَرَّةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ٦٣ هـ .
(تاريخ الطبري ٧ : ١٠)

[١] تَمَّ عَلَى الْأَمْرِ وَتَمَّ عَلَيْهِ كَضَرْبِ أَيْ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ .

[٢] الْفَلَجُ : الْظَفَرُ وَالنَّصْرُ . [٣] انْظُرْ ص ١٨٥ .

اضطراب الأمر بعد موت يزيد

٣١٣ - خطبة عبید الله بن زياد بن أبيه

قام عبید الله بن زياد بن أبيه خطيباً بعد موت يزيد بن معاوية - وهو يومئذ أمير العراق - فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، انْسُبُونِي ، فوالله ما مهاجرٌ أبى إلا إليكم ، وما مولدي إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم ، ولقد وَاَيْتَكُمْ وما أَحْصَى ديوانُ مُقَاتِلَتِكُمْ إلا سبعين ألفَ مُقَاتِلٍ ، ولقد أَحْصَى اليومَ ديوانُ مُقَاتِلَتِكُمْ ثمانينَ ألفاً ، وما أَحْصَى ديوانُ عُمَّالِكُمْ إلا تسعينَ ألفاً ، ولقد أَحْصَى اليومَ مِائَةَ وأربعينَ ألفاً ^(١) ، وما تركتُ لكم ذا ظَنَّةٍ ^(٢) أخافُه عليكم ، إلا وهو في سِجْنِكُمْ هذا ، وإن أمير المؤمنين : يزيدَ بن معاوية قد تَوَفَّى ، وقد اختلف أهل الشام ، وأنتم اليومَ أَكْثَرُ الناسِ عَدَدًا ، وَأَعْرَضُهُ فِتَاءٌ ، وَأَغْنَاهُ عَنِ النَّاسِ ، وَأَوْسَعُهُ بِلَادًا ، فَاخْتَارُوا أَنْفُسَكُمْ رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم ، يُجَاهِدَ عَدُوَكُمْ ، وَيُنْصِفَ مَظْلُومَكُمْ مِنْ ظَالِمِكُمْ ، وَيَكْفَ سَفَهَاءَكُمْ ، وَيَجْنِي لَكُمْ فَيْئَكُمْ ، وَيَقْسِمُهُ فيما بينكم ، فَأَنَا أَوَّلُ رَاضٍ مَنْ رَضِيْتُمُوهُ وَتَابِعَ ، فَإِنْ اجْتَمَعَ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى رَجُلٍ تَرْتَضُونَهُ ، دَخَلْتُمْ فِيهِ دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ كُنْتُمْ عَلَى جَدِيلَتِكُمْ ^(٣) حَتَّى تُعْطُوا حَاجَتَكُمْ ، فإِذَا بَكُم إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبُلْدَانِ حَاجَةٌ ، وَمَا يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْكُمْ » .

[١] وفي البيان والتبيين : « والله لقد وليكم أبى وما مقاتلتكم إلا أربعون ألفاً ، فبلغ بها ثمانين ألفاً وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً ، وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ، وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثر جنوداً وأبعد مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . . . الخ » . [٢] الطنة : التهمة .
[٣] الجديلة : الطريقة ، يقال : ما زال على جديلة واحدة ، أى على حال واحدة ، وطريقة واحدة .

فقامت خطباء أهل البصرة ، فقالوا : قد سمعنا مَقَالَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّا
وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْهَا مِنْكَ ، فَهَلُمَّ فَلْنُبَايِعْكَ ، فقال : لا حاجة لى فى
ذلك ، فاختراروا لأنفسكم ، فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث
مرات ، فلما أبوا بسط يده فبايعوه .

فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أ كْفَهُم بِالْحِيطَانِ وَبَاب الدار ،
ويقولون : ظن ابن مَرْجَانَةَ أَنَّا نُؤَيِّيه أَمْرًا فى الْفُرْقَةِ ! وأقام عبيد الله أسيراً غير
كثير ، حتى جعل سلطانه يَضْعُفُ ، ويأْمُرُ بِالْأَمْرِ فَلَا يُقْضَى ، وَيَرَى الرَّأْيَ
فَيُرَدُّ عَلَيْهِ ، ويأْمُرُ بِحَبْسِ الْمَخْطِئِ فَيُحَالِ بين أعوانه وبينه .

(تاريخ الطبرى ٧ : ١٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٥ ، ومروج الذهب ٢ : ١٠٥)

٣١٤ — خطبة أخرى له

وبلغنى أن سَامَةَ بن ذُوَيْبٍ يدعو الناس إلى ابن الزبير ، فأمر فنُودى :
الصلاة جامعة ، فتجمع الناس ، فأنشأ عبيد الله يَقْضِ أول أمره وأمرهم ، وما قد
كان دعاهم إلى من يرتضونه ، فبايعه معهم ، وقال : « وإنيكم أَيْتَمٌ غَيْرى ، وإني
بلغنى أنكم مسحتُم أ كُفَّكُمْ بِالْحِيطَانِ وَبَاب الدار ، وقلتم ما قلتم ، وإني أَمُرُ
بالأمر فلا يُنْفَذُ ، وَيُرَدُّ عَلَى رَأْيى ، وَتَحُولُ الْقِبَائِلُ بين أعوانى وَطَلِبَتى ^(١) ، ثم
هذا سَامَةُ بن ذُوَيْبٍ يدعو إلى الخلاف عليكم ، إرادة أن يُفَرِّقَ جماعتكم ،
ويضربَ بعضُكم جِبَاهَ بعض بالسيف » .

فقال الأحنف بن قيس والناس جميعاً : نحن نأْتِيكَ بِسَامَةَ ، فَأَتَوْهُ ، فَإِذَا

[١] طلبتك : ما طلبته .

جَمْعُهُ قَدْ كُثِفَ ، وَإِذَا الْفَتْقُ قَدْ اتَّسَعَ عَلَى الرَّاتِقِ ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ ، فَقَعَدُوا عَنْ
ابْنِ زِيَادٍ فَلَمْ يَأْتَوْهُ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ : « يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ لَبِسْنَا الْخَزْنَ وَالْيُمْنَةَ ^(١)
وَاللَّيْنَ مِنَ الثِّيَابِ ، حَتَّى لَقَدْ أَجْمْنَا ^(٢) ذَلِكَ ، وَأَجْمْتُهُ جُلُودُنَا ، فَمَا بَنَا إِلَى أَنْ
نُعْقِبَهَا الْحَدِيدَ ؟ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، وَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى ذَنْبٍ عَيْرٍ لَتَكْسِرُوهُ
مَا كَسَرْتُمُوهُ » . (تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٧ : ٢٠)

٣١٥ - خُطْبَةُ عَمْرِو بْنِ حَرِيثٍ

وَلَمَّا بَايَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ - وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ
حُرَيْثٍ - بَعَثَ وَافِدَيْنِ مِنْ قَبْلِهِ إِلَى الْكُوفَةِ : عَمْرُو بْنُ مِسْمَعٍ ، وَسَعْدُ بْنُ الْقَرَّحَاءِ ^(٣)
الْتِمِي ، لِيُعْلَمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مَا صَنَعَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَيَسْأَلَانِهِمُ الْبَيْعَةَ لِابْنِ زِيَادٍ ،
حَتَّى يَصْطَلِحَ النَّاسُ ، فَجَمَعَ النَّاسَ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ ، فَحَمْدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ :

« إِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَدْ أَتَيَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَمِيرِكُمْ ، يَدْعُوَانَكُمْ إِلَى أَمْرٍ يَجْمَعُ اللَّهَ
بِهِ كَلِمَتَكُمْ ، وَيُصْلِحَ بِهِ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، فَاسْمَعُوا مِنْهُمَا ، وَاقْبَلُوا عَنْهُمَا ، فَإِنَّهُمَا
بِرُّشْدٍ مَا أَتَيَاكُمْ » .

٣١٦ - خُطْبَةُ عَمْرِو بْنِ مِسْمَعٍ

فَقَامَ عَمْرُو بْنُ مِسْمَعٍ ، فَحَمْدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ ، وَاجْتِمَاعَ
رَأْيِهِمْ عَلَى تَأْمِيرِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، حَتَّى يَرَى النَّاسُ رَأْيَهُمْ ، فَيَمْنُ يُولُونَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ :

[١] اليمنة : برد يمي . [٢] أجمه : أراحه ، وأصله من أجم الفرس : تركه فلم يركبه فغفا من تعبته ،
والجام بالفتح : الراحة . [٣] القرعاء في الأصل : الروضة في وسطها نور أبيض .

« قد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم ، فيكونَ أميرُنا وأميركم واحداً ، فإنما الكوفة من البصرة ، والبصرة من الكوفة » .

وقام ابن القرهاء ، فتكلم نحواً من كلام صاحبه ، فقام يزيد بن الحارث الشَّيباني فَحَصَّبَهُمَا أولَ الناس ، ثم حصَّبهما الناس بعدُ ، ثم قال : أنحن نبائع لابن مَرْجَانة ؟ لا ولا كرامة ! ورجع الوفد إلى البصرة ، فأعلم الناس الخبر ، فقالوا : أهل الكوفة يخلعونهُ ، وأنتم تُؤلُّونهُ وتبايعونه ؟ فَوَثَّبَ به الناس ، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي فأجاره ومنعه ، ثم خرج إلى الشام في خُفَّارةٍ رجال من الأزد وبكر بن وائل . (تاريخ الطبري ٧ : ٣٠)

٣١٧ — خطبة الأحنف بن قيس

واستخلف ابن زياد مسعود بن عمرو الأزدي على البصرة ، فقالت بنو تميم وقيس : لا نولى إلا رجلاً ترضاه جماعتنا ، فقال مسعود : قد استخلفني ، فلا أدع ذلك أبداً ، وبينما هو على المنبر يبائع من أتاه ، إذ رماه رجل من الخوارج فقتله ، فخرجت الأزد إلى الخوارج ، فقتلوا منهم وجرحوا ، وطردهم عن البصرة ، وجاءهم الناس ، فقالوا لهم : تعلمون أن بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ؟ فبعثت الأزد تسأل عن ذلك ، فإذا أناس منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزد عند ذلك ، وازدلفوا إلى بني تميم ، وخرجت مع بني تميم قيس ، وخرج مع الأزد بكر بن وائل ، فالتقى القوم ، واقتتلوا أشد القتال ، فقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، فقالت لهم بنو تميم : الله الله يا معشر الأزد في دماننا ودمائكم ، بيننا وبينكم القرآن ، ومن شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيِّنة أنا قتلنا صاحبكم ، فاختاروا أفضل رجل فينا ، فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن لكم بيِّنة ، فإننا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم تريدوا ذلك ، فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم ، فاصطلحوا ، فاتاهم الأحنف بن قيس ، فقال :

« يا معشر الأزد : أنتم جِئْتُمْنا في الدار ، وإِخْوَتنا عند القتال ، وقد أَتيناكم في رِحالكم ، لِإِطفاء حَشِيشَتكم ^(١) ، وَسَلَّ سَخِيْمَتكم ^(٢) ، ولكم الحُكْمُ مُرْسَلًا ^(٣) ، فَقُولُوا ، على أَحلامنا وأموالنا ، فَإِنَّه لَا يَتَعَاظَمُنَا ^(٤) ذهاب شَيْءٍ من أموالنا كَانَ فيه صلاح بيننا » ، فقالوا : أَتَدُون صَاحِبَنَا عَشْرَ دِيَّاتٍ ؟ قال : هي لكم ، فانصرف الناس واصطلحوا ^(٥) .

وروى الجاحظ وابن عبد ربّه هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما هي ذى : قال بعد حمد الله والثناء عليه : « يا معشر الأزدِ وَرَبِيعَة ، أنتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الصَّهْر ، وَأَشِقَّاؤُنَا في النَّسَب ، وجيراننا في الدار ، وَيَدُنَا على العدو ، وَاللهِ لَا أَزْدُ البصرة أَحَبُّ إلينا من تميم الكوفة ، وَلَا أَزْدُ الكوفة أَحَبُّ إلينا من تميم الشام ، فَإِنْ أَسْتَشَرَفَ شَنَاؤُكُمْ ^(٦) ، وَأَبَى حَسَدُ صدوركم ، ففى أموالنا ، وَسَعَة أَحلامنا ، إنا ولكم سَعَة » .

(تاريخ الطبرى ٨ : ٣١ ، والبيان والبيان ٢ : ٦٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٧)

٣١٨ — خطبة روح بن زنباع الجذامى بالمدينة ^(٧)

لما نَحَى هلاك يزيد بن معاوية إلى الحَصَيْنِ بن ثَمَيْر - وهو على حرب ابن

[١] أى زركم الموقدة . من حش النار : أوقدها ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة (وإن كانت لم ترد فى كتب اللغة بهذا المعنى ، لكن القياس لا يمنعها ، والوارد : الحشيشة طاقة الكلاء) . [٢] السحيمة : الحقد . [٣] أى مطلقا كما تشاءون . [٤] تعاطفه : عظم عليه .

[٥] واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميرا يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهرا . ثم جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وهو بيته - فصلى بهم شهرين ، ثم قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر من قبل ابن الزبير ، فكث شهرًا ، ثم قدم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المدروف باقباغ ، ثم مصعب بن الزبير ، أما أهل الكوفة فإنهم لما ردّوا وفد البصرة ولوا عليهم عامر بن مسعود القرشى ، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصارى من قبل ابن الزبير كما تقدم . [٦] استشرف : انتصب ، أى زاد واستحكم ، والشنا : البغض والكراهية . [٧] هو روح بن زنباع سيد جذام - إحدى قبائل اليمن - وقد خلفه مسلم بن عقبة الرامى ، على المدينة بعد فراغه من قتال أهلها - فى وقعة الحرة - وشخصه إلى مكة لقتال ابن الزبير - وقد نزل الموت

الزبير بمكة - انصرف يجيشه إلى الشام ، فلما صاروا إلى المدينة ، جعل أهلها يَهْتَفُونَ^(١) بهم ، ويتوعدونهم ، ويدكرون قتلاهم بالحرّة ، فلما أكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وهيجّجها ، صعد رَوْح بن زُبَاع الجُدَامِيّ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان في ذلك الجيش - فقال :

يُسلم في الطريق ، وولى أمر الجيش الحصين بن نعيم - ولما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني ، دعا حسان ابن مالك بن مجدل الكلابي - وكان على فلسطين والأردن - روح بن زُبَاع فاستعلمه على فلسطين ، ونزل هو الأردن ، فوثب نائل بن قيس الجُدَامِيّ على روح ، وخرجه من فلسطين ، وبايع لابن الزبير . « الطبري ج ٧ : ص ١٣ و ٣٤ ، والأغاني ١٧ : ١١١ » ، وكان لروح اليد الطولى في ظفر مروان ابن الحكم بالخلافة ، قال صاحب العقد « ج ٢ : ص ٢٥٩ » لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن ، وبايع أهل مصر أيضا ابن الزبير ، واستحلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الهجري على أهل الشام ، فلما رأى ذلك رحل بنو أمية وناس من أشرف الشام ووجوههم منهم روح بن زُناع وغيره ، قال بعضهم لبعض : إن الملك كان بيننا أهل الشام ، فانتقل عما إلى الحجاز ، لا نرضى بذلك هل لكم أن تأخذوا رجلا ما يسيطر في هذا الأمر ؟ فقال : استحيروا الله ، وأتوا عمرو بن سعيد بن العاص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فرأوه حدثا ، خأوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فرأوه حدثا حريصا على هذا الأمر ، فلما خرجوا من عنده فلو : هذا حديث وأتوا مروان بن الحكم ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر ، فقال : استحيروا الله ، واسألوه أن يختار لأمة محمد صلى الله عليه وسلم خيرا وأعد لها ، فقال له روح بن زُبَاع : إن ممي أربع مائة من جذام ، فأنا أتمهم أن يقدموا في المسجد قدامي ، وصر أنت انك عبد العزيز أن يخطب الناس ويدعوهم إليك ، فإذا فعل ذلك تبادوا من جانب المسعد : صدقت صدقت ! فيطر الناس أن أمرهم واحد ، فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز حمد الله وأثنى عليه ، ثم قل :

« ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان ، كبير قریش وسيدها ، والذي نفسى بيده لقد

شاب شعر ذراعيه من السكبر » فقال الجُدَامِيّون : صدقت صدقت ! فقال خالد بن يزيد : أمر دبر بليل ! وبايعوا مروان بن الحكم اه . ومن أجل ذلك كان روح أنيرا عند عبد الملك بن مروان « كما يقول المبرد في الكامل ٢ : ١٢٢ » ، ويقول ابن نباتة في سرح العيون ص ١١٣ : « وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك » ويقول صاحب العقد : « وكان روح بن زُبَاع وزير عبد الملك » - ٢ : ٧٠ ، ٣ : ٦ - قال ابن طباطبا في الفجرى ص ١٣٦ : « والوزارة لم تتهد قواعدا ، وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس ، وأما قبل ذلك ، فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية ، فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجى والآراء الصائبة ، فكل منهم يجرى مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقرر قوانين الوزارة ، وسمى الوزير وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً ، وأول وزير ووزر لأول خليفة عباسي حفص بن سليمان أبو سامة الحلال وزير السفاح » .

« يَأهل المدينة : ما هذا الإيعادُ ^(١) الذي توعِدُوننا ؟ إنا والله ما دعوناكم إلى « كَلْب » لمبايعة رجل منهم ، ولا إلى رجل من « بَلَقَيْن » ^(٢) ولا إلى رجل من « نَلَم » أو « جُذَام » ولا غيرهم من العرب ، ولكن دعوناكم إلى هذا الحَيِّ من قريش - يعنى بنى أمية - ثم إلى طاعة يزيد بن معاوية ، وعلى طاعته قاتلناكم ، فَإِنَّا نُوْعِدُون ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَأَبْنَاءُ الطَّعْنِ والطَّاعُونَ ، وَفَضَلَاتُ المَوْتِ والمُنُون ، فَمَا شِئْتُمْ » ^(٣) ، ومضى القوم إلى الشام .

(مروج الذهب ٢ : ١٠٤ ، والبيان والتبيين ١ : ٢٠٨)

٣١٩ - خطبته يؤيد مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة

ولما اجتمع الرأى على البيعة لمروان بن الحكم ، قام رَوْح بن زَيْنَاع ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ عبد الله بن عُمر بن الخطاب ، وَصُحْبَتَهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَقَدَمَهُ في الإسلام ، وهو كما تذكرون ، ولكن ابن عمر رجل ضعيف ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف ؛ وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ، وَيَدْعُونَ إليه من أمره ، فهو والله كما يذكرون ، إنه لَأَبْنُ الزبير : حَوَارِيَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَأَبْنُ أَسْمَاء بنت أبي بكر الصديق ذات النَطَاقَيْن ، وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله ، ولكن ابن الزبير

[١] يقال : وعده خيرا وبه ، ووعدته شرا وبه - ومن هذا قوله تعالى :

« النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَيَّسَ الْمَصِيرُ » فإذا أسقطوا الخير والشر ، قالوا في الخير وعد وفي الشر أُرُند ، وقالوا أوعده خيرا وشرا بالألف أيضا ، وأدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة ، فقالوا أوعده بالسجن ونحوه . [٢] أصله بنو الدين كما قالوا : بلحارث في بنى الحارث ، وبلعنبر في بنى العنبر . قال المبرد في الكامل ٢ : ١٨٣ « وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظاهر فيه لام المعرفة ، فإنهم يميزون معه حذف النون التي في قولك (بنو) اقرب يخرج النون من اللام ، وذلك قولك فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجين » أى بنى الهجين كزبير .

[٣] وروى الجاحظ أن روحا خطب هذه الخطبة يدعو إلى بيعة يزيد بن معاوية ، وفي آخرها يقول :

« وعندنا إن أجبتهم وأطعتم من المعونة والفائدة ما شئتم » .

منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد وابنه معاوية بن يزيد ، وَسَفَكَ الدماء ، وشقَّ عَصَا المسلمين ، وليس صاحبَ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم المنافق ؛ وأما مروان بن الحكم ، فوالله ما كَانَ في الإسلام صَدْعٌ قَطُّ ، إِلَّا كَانَ مروان ممن يَشْعَبُ ^(١) ذلك الصَّدْع ، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار ^(٢) ، والذي قاتل على بن أبي طالب يوم الجَمَل ، وإنا نرى للناس أن يُبايعوا الكبير ، وَيَسْتَشِبُّوا ^(٣) الصغير - يعنى بالكبير مروان بن الحكم ، وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية - .

فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان . ثم لخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمر و ابن سعيد بن العاص من بعد خالد . (تاريخ الطبرى ٧ : ٣٨)

٣٢٠ خطبة الغضبان بن القبعثرى يحض على قتل الحجاج

لما هلك بشر بن مروان ، وَوَلِيَ الحجاج العراق ، بلغ ذلك أهلَ العراق ، فقام الغضبان بن القَبْعَثَرِى الشَّيْبَانِى بالمسجد الجامع بالكوفة خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاق ، وَيَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، إِنْ عَبْدَ الْمَلِكِ قَدْ وَلى عَلَيْكُمْ مِنْ لَا يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِكُمْ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئَتِكُمْ ، الظُّلُومَ الْغَشُومَ ^(٤) الْحَجَّاجَ ، أَلَا وَإِنْ لَكُمْ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ مَنْزِلَةٌ ، بِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ خِذْلَانٍ مُصْعَبٍ ^(٥)

[١] يصلح . [٢] يوم تسور الثوار عليه داره وقتلوه .

[٣] ينتظروه حتى يشب . [٤] الظلوم .

[٥] وذلك أن مصعب بن الزبير لما كان على العراق حج سنة ٧١ ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ، ومعه وحوه أهل العراق ، وسأله أن يعطيهم ، فأبى وقضى يده ، فلما حرمهم ابن الزبير ما عنده فسدت قلوبهم ، فراسلوا عبد الملك بن مروان ، حتى خرج إلى مصعب وقاتله ، فما هو إلا أن التفوا حتى حولوا وجوههم ، وصاروا إلى عبد الملك ، ونفى مصعب في شردمة قليلة ، فجاءه عبيد الله بن ظبيان - وكان مع

وَقَتْلِهِ ، فاعترضوا هذا الخبيثَ في الطريق فاقتلوه ، فإن ذلك لا يُعَدُّ منكم خُلُماً ، فإنه متى يعلو على مَتْنٍ مِنْكُمْ ، وصدر سَرِيرِكُمْ ، وقاعة قَصْرِكُمْ ، ثم قتلتموه عُدَّ خُلُماً ، فأطيعوني وتغَدَّوا به ، قبل أن يتعشَّى بكم .

فقال له أهل الكوفة : « جَبُنْتَ يا غَضْبَانُ ، بل ننتظر سيرته ، فإن رأينا مُنْكَرًا غَيْرَ نَاهِ » قال : ستماعون ، فلما قَدِمَ الحجاج الكوفة بلغته مقالته ، فأمر به ، فأقام في حبسه ثلاث سنين . (مروج الذهب ٢ : ١٤٦)

فتنة ابن الأشعث

جهَّز الحجاج عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، لمحاربة رُتَيْلِ مَلِكِ التُّرْكِ^(١) ، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، فخرج بهم حتى قَدِمَ سَجِسْتَانَ (سنة ٨٠ هـ) فجمع أهلها حين قَدِمَها وخطبهم فقال .

٣٢١ ... خطبة ابن الأشعث بسجستان

صَعِدَ المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس ، إن الأمير الحجاج ولأني تُغَرِّكُمْ ، وأمرني بجهاد عدوكم الذي

مصعب — فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرتم بأهل العراق ! فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعبا ، فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة ، فنش السيف في البيضة ، فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعبا بالسيف فقتله ، ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان ، فلما انظر إلى رأس مصعب خر ساجدا ، قال عبيد الله بن ظبيان — وكان من ذاك العرب — ما ندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك ابن مروان ، إذ أنيته برأس مصعب ، فخر ساجدا ، أن لا أكون ضربت دنقه ، أو أكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد . [١] انظر ص ٢٧٩

استباح بلادكم ، وأباد خياركم ، فأياكم أن يتخلف منكم رجلٌ فيُحِلَّ بنفسه العقوبة ،
اخرجوا إلى مُسَكركم ، فمسكروا به مع الناس » . (تاريخ الطهري ٨ : ٤)

٣٢٢ — خطبته يعرض على الجند رأى الحجاج

فلما حاز من أرض رُبَيْل أرضاً عظيمةً ، وملاً يديه من الغنائم والأسلاب ، حبس
الناس عن الوُغُول في أرضه ، وقال : نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم ، حتى نجُمِيها ونعْرِفها
ويجتري المسلمون على طرقها ، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم في
كل عام طائفة من أرضهم ، ثم لا نُزِيل بلادهم حتى يهلكهم الله ، وكتب إلى الحجاج
بذلك ، فورد عليه كتاب الحجاج يضعف رأيه ، ويأمره بالوُغُول في أرضهم ، ويتهدده
بالعزل إن لم يفعل ، فدعا ابن الأشعث الناس إليه .

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم مُحِبٌّ ، ولكم - في كل ما يُحِيط
بكم نفعُهُ - ناظرٌ ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأيٌ ، أُسْتَشِرْتُ فيه
ذوى أحلامكم ، وأولي التجربة للحرب منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم في
العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبتُ إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب
يعجزني ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الوُغُول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد
التي هلك إخوانكم فيها بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم ، أمضي إذا مضيتُم ، وآبى
إذا أبيتُم » .

فثار إليه الناس ، فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

٣٢٣ — خطبة عامر بن واثلة الكِنَانِي

فقام عامر بن وَاثِلَةُ الْكِنَانِي - وكان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً - فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه :

« أما بعد : فَإِنَّ الْحِجَابَ وَاللَّهِ مَا يَرَى بِكُمْ إِلَّا مَا رَأَى الْقَائِلُ الْأَوَّلُ ، إِذْ قَالَ لِأَخِيهِ : « احْمِلْ عَبْدَكَ عَلَى الْفَرَسِ ، فَإِنْ هَلَكَ هَلَكَ ، وَإِنْ نَجَا فَالَكَ » . إِنْ الْحِجَابَ وَاللَّهُ مَا يَبَالِي أَنْ يُخَاطِرَ بِكُمْ ، فَيَقْضِيَكُمْ بِلَادًا كَثِيرَةَ الْهُوبِ ^(١) وَاللَّصُوبِ ^(٢) ، فَإِنْ ظَفَرْتُمْ فَغَنِمْتُمْ أَكُلَ الْبِلَادِ ، وَحَازَ الْمَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي سُلْطَانِهِ ، وَإِنْ ظَفَرَ عَدُوُّكُمْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَعْدَاءُ الْبُغْضَاءُ الَّذِينَ لَا يَبَالِي عَنْتَهُمْ ، وَلَا يُبْقِي عَلَيْهِمْ ، اخْلَعُوا عَدُوَّ اللَّهِ الْحِجَابَ ، وَبَايَعُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أَوَّلُ خَالِعٍ . فَنَادَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ : فَعَلْنَا فَعَلْنَا ، قَدْ خَلَعْنَا عَدُوَّ اللَّهِ .

(تاريخ الطبري ٨ : ٨)

٣٢٤ — خطبة عبد المؤمن بن شُبَّث بن رُبَيْعٍ

وقام عبد المؤمن بن شُبَّث بن رُبَيْعٍ التِّيمِيُّ ثَانِيًا ، فَقَالَ :

« عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُمُ الْحِجَابَ ، جَعَلَ هَذِهِ الْبِلَادَ بِلَادَكُمْ مَا بَقِيْتُمْ ، وَجَعَلَ كُمْ تَجْمِيرَ فِرْعَوْنَ الْجُنُودَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَرَّ الْبَعُوثَ ، وَلَنْ تَعَايِنُوا الْأَحِبَّةَ فِيمَا أَرَى أَوْ يَمُوتَ أَكْثَرُكُمْ ، بَايَعُوا أَمِيرَكُمْ ، وَانصَرَفُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ ، فَانْفَوْهُ عَنْ بِلَادِكُمْ » ، فَوَثَبَ النَّاسُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَبَايَعُوهُ . (تاريخ الطبري ٨ : ٨)

[١] اللُّهُوبُ جمع لُهب ككمل ، وهو مهواة ما بين كل جبلين ، أو الصدع في الجبل ، أو الشعب الصغير فيه (والشعب ككمل : الطريق في الجبل) . [٢] جمع لُصب ككمل أيضاً ، وهو الشعب الصغير في الجبل أضيق من اللُهب وأوسع من الشعب .

٣٢٥ — خطبة ابن الأشعث بالمربد

ولما كانت الحرب بينه وبين الحجاج بالمربد ^(١) خطب الناس ، فقال :
« أيها الناس : إنه لم يبقَ من عدوِّكم إلا كما يبقَى من ذنب الوزغة ^(٢)
تضرب به يميناً وشمالاً ، فما تلبث إلا أن تموت ^(٣) » .

(البيان والبيان ٢ : ٨٧ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢١)

٣٢٦ — خطبته حين أراد عبد الملك أن يترضى أهل العراق

ولما نزل ابن الأشعث بدير الجاجم ، واجتمع أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل
الثغور والمسالح ^(٤) بدير الجاجم والقراء من أهل المصرين ، واجتمعوا جميعاً على حرب
الحجاج - جمعهم عليه بغضهم وكرهيتهم له - وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ، ممن يأخذ
العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم ، واشتد القتال بين الفريقين ، بعث عبد الملك بن مروان
ابنه عبد الله وأخاه محمداً ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن
يجري عليهم أعطياتهم ، كما تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن الأشعث أى بلد من العراق
شاء ، يكون عليه والياً ما دام حياً ، وكان عبد الملك والياً ، فعرضاً ذلك على أهل العراق ،
فقالوا : نرجع العشيّة ، فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ، ولا رأس قوم ، ولا
فارس إلا أتاه .

فحمد الله ابن الأشعث ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فقد أعطيتكم أمراً ، انتهزكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن
يكون على ذى الرأي غداً حسرة ، وإنكم اليوم على النصف ، وإن كانوا اعتدوا
بالزاوية ، فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم ، وأنتم أعزاء

[١] موضع بالبصرة . [٢] الوزغة : سمّ أبرص سميت بها لحقتها وسرعة حركتها .

[٣] قال الجاحظ : فرّ به رجل من بنى شير فقال : « حج الله هذا ورأيه ، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس

ويعدم الأضاليل ، ويمنيهم الباطل » وناس كثير يرون أن ابن الأشعث هو الحسن دون المشيرى .

[٤] جمع مسلحة بالفتح وهي الثغر .

أقوياء ، والقوم لكم هائبون ، وأنتم لهم منتقِصُونَ ، فلا والله لازتم عليهم أجرِ ثَاءً ، ولازتم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم .

فوثب الناس من كلِّ جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا في الأزل ^(١) والضيَّنك والمجاعة والقِلَّة والذَّلَّة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسَّعر الرفيع ، والمادَّة القرية ، لا والله لا تقبل ، فأعادوا خلع عبد الملك ثانيةً ، وكان ما كان مما أسلفنا لك ذكره . (تاريخ الطبري ٨ : ١٥)

٣٢٧ — عامر الشعبيّ والحجاج

وكان عامر الشعبيّ ^(٢) ممن خرج مع ابن الأشعث ؛ فلما أتى الحجاج بأمرى الجماجم ، أتى فيهم بالشعبيّ مؤثّقاً - وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج في أمرى الجماجم أن يعرضهم على السيف ، فمن أقرّ منهم بالكفر في خروجهم علينا فيُخلّى سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه - قال الشعبيّ : فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن أبي مُسلم كاتبه ، فقال : إنا لله يا شعبيّ لما بين دفتيّك من العلم ، وليس اليوم يوم شفاعة . قلت له : فما المخرج ؟ قال : بُؤ ^(٣) للأمير بالشُّرك والنفاق على نفسك ، وبالحرى أن تنجو ، ثم لقيني محمد بن الحجاج ، فقال لي مثل مقالة يزيد ، فلما دخلت على الحجاج قال لي : وأنت يا شعبيّ ممن ألّب علينا مع ابن الأشعث ؟ أشهد على نفسك بالكفر . قلت : « أصلح الله الأمير ، نَبَا بنا المنزل ^(٤) ، وأجذب بنا الجنابُ ، وأستحلّسنا ^(٥) الخوفُ ،

[١] الضيق والشدة . [٢] هو أبو عمرو عامر بن شراحيل (بفتح الشين) الشعبي (نسبة إلى شعب وهو بطن من همدان) وهو كوفيّ تميميّ جليل القدر وافر العلم ، توفى سنة ١٠٥ هـ ، وكانت أمه من بني جلولاء . [٣] ارجع . [٤] نبأ . نزل به : لم يراقبه . [٥] أى لم يفارقنا .

وَكَتَحَلْنَا السَّهْرَ ، وَضَاقَ الْمَسَلَكُ ، وَخَبَطْتُنَا فِتْنَةً لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةً أَتْقِيَاءَ ، وَلَا
نَجْرَةً أَقْوِيَاءَ » قَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ مَا بَرَزْتُمْ بِخُرُوجِكُمْ عَلَيْنَا وَلَا قُوَيْتُمْ ، خَلُّوا
سَبِيلَ الشَّيْخِ . (مروج الذهب ٢ : ١٤٤ ، والعقد الفريد ١ : ١٥١ - ٣ : ١٢)

٣٢٨ — أيوب بن القرية والحجاج

وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ بَعَثَ أَيُوبَ بْنَ الْقُرَيْيَّةِ ^(١) رَسُولًا إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ ، حِينَ
خَلَعَ الطَّاعَةَ بِسِجِسْتَانَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : لَتَقُومَنَّ خُطِيبًا ، وَلَتَخْلَعَنَّ
عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَلَتَسُبَّنَّ الْحَجَّاجُ ، أَوْ لَأُضْرِبَنَّ عَنْقَكَ ، قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّمَا أَنَا
رَسُولُ ! قَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ ، فَقَامَ وَخَطَبَ وَخَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَشَتَمَ الْحَجَّاجَ ،
وَأَقَامَ هُنَالِكَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ابْنُ الْأَشْعَثِ مَهْزُومًا ، كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عُمَّالِهِ
بِالرِّيِّ وَأُصْبَهَانَ وَمَا يَلِيهِمَا ، يَأْمُرُهُمُ إِلَّا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ مِنْ قِبَلِ ابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَّا
بَعَثُوا بِهِ أَسِيرًا إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ ابْنُ الْقُرَيْيَّةِ فِيمَنْ أُخِذَ .

فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى الْحَجَّاجِ ، قَالَ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ ؟ قَالَ : سَلْنِي عَمَّا شِئْتَ ،
قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، قَالَ : أَعْلَمُ النَّاسَ بِحَقِّ وَبَاطِلٍ ، قَالَ : فَأَهْلُ
الْحِجَازِ ، قَالَ : أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى فِتْنَةٍ ، وَأَعْجَزُهُمْ فِيهَا ، قَالَ : فَأَهْلُ الشَّامِ ، قَالَ :
أَطْوَعُ النَّاسِ لَخُلَفَائِهِمْ ، قَالَ : فَأَهْلُ مِصْرَ ، قَالَ : عَبِيدٌ لِمَنْ غَلَبَ ، قَالَ : فَأَهْلُ
الْبَحْرَيْنِ ، قَالَ : نَبَطٌ ^(٢) اسْتَعْرَبُوا ، قَالَ : فَأَهْلُ عُومَانَ ، قَالَ : عَرَبٌ اسْتَنْبَطُوا ،
قَالَ : فَأَهْلُ الْمَوْصِلِ ، قَالَ : أَشْجَعُ فُرْسَانَ ، وَأَقْتَلُ لِلْأَقْرَانِ ، قَالَ : فَأَهْلُ الْيَمَنِ ،
قَالَ : أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ ، وَلِزُومٍ لِلْجَمَاعَةِ ، قَالَ : فَأَهْلُ الْيَمَامَةِ ، قَالَ : أَهْلُ جَفَاءَ ،

[١] هو أبو سليمان أيوب بن زيد الهلالي ، والقرية جدته ، وكان أعرابيا أميا معدودا من جملة خطباء

العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة . [٢] النبط : جيل من الناس ، كانوا ينزلون سواد العراق .

واختلاف أهواء ، وأصبرُ عند اللقاء ، قال : فأهل فارس ، قال : أهل بأسٍ شديد ،
 وشرٌّ عَتيد ، وريف ^(١) كبير ، وقرى يسير ، قال : أخبرني عن العرب ، قال :
 سَلَنِي ، قال : قريش ، قال : أعظمُها أحلامًا ، وأكرمها مقامًا ، قال : فبنو عامر
 ابن صعصعة ، قال : أطولها رِمَاحًا ، وأكرمها صَبَاحًا ، قال : فبنو سُليَم ، قال :
 أعظمها مجالسَ ، وأكرمها محابِسَ ^(٢) ، قال : فَثَقِيف ، قال : أكرمها جُدودًا ،
 وأكثرها وفودًا ، قال : فبنو زُبَيد ، قال : ألزُمُها للرَّايَات ، وأدرَكُها لِلتَّرات ^(٣) ،
 قال : فَقُضَاعَة ، قال : أعظمها أخطارًا ، وأكرمها نِجارًا ^(٤) ، وأبعدها آثارًا ،
 قال : فالأنصار ، قال : أثبتُها مقامًا ، وأحسنُها إسلامًا ، وأكرمها أَيَّامًا ، قال :
 فَتَمِيم ، قال : أظهرها جَلَدًا ، وأثراها عَدَدًا ، قال : فَبَكْر بن وائل ، قال : أثبتُها
 صفوفًا ، وأحدُها سيوفًا ، قال : فعبد القَيْس ، قال : أسبقُها إلى الغايات ،
 وأصبرُها تحت الرَّايَات ، قال : فبنو أسَد ، قال : أهل عَدَد وجَلَد ، وَعُسْر
 وَنَسَكَد ، قال : فَلَخْم ، قال : مُلُوكٌ ، وفيهم نُوكٌ ^(٥) ، قال : فَجُدَام ، قال :
 يُوقِدُون الحربَ وَيَسْعَرُونَهَا ^(٦) ، وَيُلْقِحُونَهَا ثم يَمْرُونَهَا ^(٧) ، قال : فبنو الحارث
 قال : رُعَاةٌ لِلْقَدِيم ، وَحِمَاةٌ عَنِ الْحَرِيم ، قال : فَعَلَكٌ ، قال : لُيُوثٌ جَاهِدَة ، في
 قُلُوبٍ فَاسِدَة ، قال : فَتَغْلِب ، قال : يَصْدُقُونَ - إِذَا لَقُوا - ضَرْبًا ، وَيَسْعَرُونَ
 لِلْأَعْدَاءِ حَرْبًا ، قال : فَفَعَسَان ، قال : أكرمُ العربِ أَحْسَابًا ، وأثبتُها أَنْسَابًا ، قال :
 فَأَيُّ العربِ فِي الجَاهِلِيَّة كانت أَمْنَع من أن تُضَامَ ؟ قال قريش ، كانوا أهل

[١] الريف : أرض فيها زرع وخصب . [٢] المحابس جمع محبس كقعد وهو الشجاعة .

[٣] الزنات جمع ترة : وهي الثَّار . [٤] النجار : الأصل . [٥] النوك بالضم والفتح : الحق .

[٦] سحر الحرب كنع ، وأسعرها : أوقدها . [٧] مري الناقة كرمي : مسح ضردها لتدير .

وَكَتَحَلْنَا السَّهْرَ ، وَضَاقَ الْمَسَلَكُ ، وَخَبَطْتُنَا فِتْنَةً لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَرَةً أَتْقِيَاءَ ، وَلَا
نَجْرَةَ أَقْوِيَاءَ » قَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ مَا بَرَرْتُمْ بِخُرُوجِكُمْ عَلَيْنَا وَلَا قَوَيْتُمْ ، خَلُّوا
سَبِيلَ الشَّيْخِ . (مروج الذهب ٢ : ١٤٤ ، والعقد الفريد ١ : ١٥١ - ٣ : ١٢)

٣٢٨ - أيوب بن القرية والحجاج

وَكَانَ الْحَجَّاجُ قَدْ بَعَثَ أَيُوبَ بْنَ الْقُرَيْيَةِ^(١) رَسُولًا إِلَى ابْنِ الْأَشْعَثِ ، حِينَ
خَلَعَ الطَّاعَةَ بِسِجِسْتَانَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : لَتَقُومَنَّ خُطِيبًا ، وَلَتَخْلَعَنَّ
عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَلَتَسُبَّنَ الْحَجَّاجُ ، أَوْ لَا ضَرْبَ نَعْنَقِكَ ، قَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّمَا أَنَا
رَسُولُ ! قَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ ، فَقَامَ وَخَطَبَ وَخَلَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَشَتَمَ الْحَجَّاجَ ،
وَأَقَامَ هُنَالِكَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ابْنُ الْأَشْعَثِ مَهْزُومًا ، كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى مُعَمَّالِهِ
بِالرَّمَّى وَأُضْبَهَانَ وَمَا يَلِيهِمَا ، يَأْمُرُهُمُ إِلَّا يُعْرَبَهُمْ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ ابْنِ الْأَشْعَثِ إِلَّا
بَعَثُوا بِهِ أَسِيرًا إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ ابْنُ الْقُرَيْيَةِ فِيمَنْ أُخِذَ .

فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى الْحَجَّاجِ ، قَالَ : أَخْبِرْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ ؟ قَالَ : سَلْنِي عَمَّا شِئْتَ ،
قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، قَالَ : أَعْلَمُ النَّاسَ بِحَقِّ وَبَاطِلٍ ، قَالَ : فَأَهْلُ
الْحِجَازِ ، قَالَ : أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى فِتْنَةٍ ، وَأَنْعَجُزُهُمْ فِيهَا ، قَالَ : فَأَهْلُ الشَّامِ ، قَالَ :
أَطْوَعُ النَّاسِ لَخُلَفَائِهِمْ ، قَالَ : فَأَهْلُ مِصْرَ ، قَالَ : عَبِيدُ لِمَنْ غَلَبَ ، قَالَ : فَأَهْلُ
الْبَحْرَيْنِ ، قَالَ : نَبِطٌ^(٢) اسْتَعْرَبُوا ، قَالَ : فَأَهْلُ عُحْمَانَ ، قَالَ : عَرَبٌ اسْتَنْبَطُوا ،
قَالَ : فَأَهْلُ الْمَوْصِلِ ، قَالَ : أَشْجَعُ فُرْسَانَ ، وَأَقْتَلُ لِلْأَقْرَانِ ، قَالَ : فَأَهْلُ الْيَمَنِ ،
قَالَ : أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ ، وَلِزُومٍ لِلْجَمَاعَةِ ، قَالَ : فَأَهْلُ الْيَمَامَةِ ، قَالَ : أَهْلُ جَفَاءَ ،

[١] هو أبو سليمان أيوب بن زيد الهلالي ، والقرية جدته ، وكان أعرايا أميا معدودا من جملة خطباء

العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة . [٢] النبط : جيل من الناس ، كانوا ينزلون سواد العراق .

واختلاف أهواء ، وأصبرُ عند اللقاء ، قال : فأهل فارس ، قال : أهل بأسٍ شديد ،
 وشَرٌّ عَتِيد ، وريِّف ^(١) كبير ، وقرى يسير ، قال : أخبرني عن العرب ، قال :
 سَلَنِي ، قال : قریش ، قال : أعظمُها أخلامًا ، وأكرمها مقامًا ، قال : فبنو عامر
 ابن صعصعة ، قال : أطولها رِمَاحًا ، وأكرمها صَبَاحًا ، قال : فبنو سُلَيم ، قال :
 أعظمها مجالِسَ ، وأكرمها محابِسَ ^(٢) ، قال : فَثَقِيف ، قال : أكرمها جُدودًا ،
 وأكثرها وُفودًا ، قال : فبنو زُبَيد ، قال : ألزُمها للرَّايَات ، وأدرَكُها للثَّرات ^(٣) ،
 قال : فَفَضَاعَة ، قال : أعظمها أخطارًا ، وأكرمها نِجارًا ^(٤) ، وأبعدها آثارًا ،
 قال : فالأنصار ، قال : أثبتها مقامًا ، وأحسنها إسلامًا ، وأكرمها أَيَّامًا ، قال :
 فَتَمِيم ، قال : أظهرها جَلَدًا ، وأثراها عَدَدًا ، قال : فَبَكْرِبَن وائل ، قال : أثبتُها
 صفوفًا ، وأحدُها سيوفًا ، قال : فعبد القَيْس ، قال : أسبقُها إلى الغايات ،
 وأصبرُها تحت الرَّايَات ، قال : فبنو أُسَد ، قال : أهل عَدَد وجَلَد ، وَعُسْر
 وَنَسَكَد ، قال : فَلَخَم ، قال : مُلُوكٌ ، وفيهم نُوك ^(٥) ، قال : فَجُذَام ، قال :
 يُوقِدُونَ الحربَ وَيَسْعَرُونَهَا ^(٦) ، وَيُلْقِحُونَهَا ثم يَمْرُونَهَا ^(٧) ، قال : فبنو الحارث
 قال : رُعَاةٌ للقديم ، ومُحَاةٌ عن الحَرِيم ، قال : فَعَلَكٌ ، قال : لُيُوثٌ جاهِدَة ، في
 قُلُوبٍ فاسدة ، قال : فَتَغْلِب ، قال : يَصْدُقُونَ - إِذَا لَقُوا - ضَرْبًا ، وَيَسْعَرُونَ
 لِلْأَعْدَاءِ حربًا ، قال : فَفَعَسَان ، قال : أكرمُ العرب أحسابًا ، وأثبتُها أنسابًا ، قال :
 فأى العرب في الجاهلية كانت أَمْنَع من أن تُضَامَ ؟ قال قریش ، كانوا أهل

[١] الريف : أرض فيها زرع وخصب . [٢] المحابس جمع عبس كقعد وهو الشجاعة .
 [٣] الزنات جمع ترة : وهي الثَّأر . [٤] النجار : الأصل . [٥] النوك بالضم والفتح : الحق .
 [٦] سحر الحرب كنع ، وأسعرها : أوقدها . [٧] مري الناقة كرمي : مسح ضرعها لتدبر .

رَهْوَة ^(١) لَا يُسْتَطَاع ارتقاؤها ، وَهَضْبَة لَا يُرَامُ انتزاؤها ^(٢) ، فِي بِلْدَةِ حَمَى اللَّهِ ذِمَارَهَا ، وَمَنْعُ جَارَهَا ، قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ مَآثِرِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ : خَيْرَ أَرْبَابِ الْمُلْكِ ، وَكِندَة لُبَابِ الْمُلُوكِ ، وَمَذْحِجُ أَهْلِ الطَّعَامِ ، وَهَمْدَانُ أَخْلَاسِ ^(٣) الْخَيْلِ ، وَالْأَزْدُ آسَادُ النَّاسِ ، قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْأَرْضَيْنِ ، قَالَ : سَلْنِي ، قَالَ : الْهِنْدُ ، قَالَ : بِحَرِّهَا دُرٌّ ، وَجِبَالُهَا يَا قُوتُ ، وَشَجَرُهَا عُودٌ ، وَوَرَقُهَا عِطْرٌ ، وَأَهْلُهَا طَعَامٌ ، كَقَطْعِ الْحَمَامِ ^(٤) ، قَالَ : فَخُرَّاسَانُ ، قَالَ : مَاؤُهَا جَامِدٌ ، وَعُدُوهُهَا جَا حِدٌ ، قَالَ : فَعُمَّانُ ، قَالَ : حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَصَيْدُهَا عَتِيدٌ ، قَالَ : فَالْبَحْرَيْنِ ، قَالَ : كُنَاسَة بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ ، قَالَ : فَالْيَمَنِ ، قَالَ : أَصْلُ الْعَرَبِ ، وَأَهْلُ الْبُيُوتَاتِ وَالْحَسَبِ ، قَالَ : فَمَكَّةُ ، قَالَ : رَجَالُهَا أَعْلَمَاءُ جُفَاءٌ ، وَنِسَاؤُهَا كِسَاءُ عُرَاةٍ ، قَالَ : فَالْمَدِينَةُ ، قَالَ : رَسَخَ الْعِلْمُ فِيهَا ، وَظَهَرَ مِنْهَا ، قَالَ : فَالْبَصْرَةُ ، قَالَ : شَتَاؤُهَا جَلِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَمَاؤُهَا مِلْحٌ ، وَحَرِّبُهَا صُلْحٌ ، قَالَ : فَالْكُوفَةُ ، قَالَ : ارْتَفَعَتْ عَنْ حَرِّ الْبَحْرِ ، وَسَفَلَتْ عَنْ بَرْدِ الشَّامِ ، فَطَابَ لَيْلُهَا ، وَكَثُرَ خَيْرُهَا ، قَالَ : فَوَاسِطُ ، قَالَ : جَنَّةٌ ، بَيْنَ حِمَاةٍ وَكِنَّةٍ ، قَالَ : وَمَا حِمَاتُهَا وَكِنَّتُهَا ^(٥) ؟ قَالَ : الْبَصْرَةُ وَالْكُوفَةُ يَحْسُدَانِهَا ، وَمَا ضَرُّهَا ، وَدِرَجَلَةُ وَالزَّابُ ^(٦) يَتَجَارِيَانِ بِإِفَاضَةٍ الْخَيْرِ عَلَيْهَا ، قَالَ : فَالشَّامُ ، قَالَ : عَرُوسٌ ، بَيْنَ نِسْوَةٍ جُلُوسٍ ، قَالَ : تَسْكِلَتُكَ أُمُّكَ يَا بَنَ الْقَرِيَّةِ ، لَوْلَا اتِّبَاعُكَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ ! وَقَدْ كُنْتَ أَنْهَاكَ عَنْهُمْ أَنْ تَتَّبِعَهُمْ ، فَتَأْخُذَ مِنْ تَفَاقِهِمْ ، ثُمَّ دَعَا بِالسَّيْفِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى السَّيَافِ أَنْ أُمْسِكُ ،

[١] الرهوة : المكان المرتفع (والمنخفض أيضاً ، ضد) . [٢] أي اعتلاؤها نزا نزوا ونزوا ما : وثب ، وانترى : افعل من النزو ، وفي حديث وائل بن حجر : « إن هذا انتزى على أرضي فأخذها » [٣] كناية عن إدامتهم ركوبها . [٤] الطعام : أوغاد الناس ورذال الطير ، والقطع بالكسر : اسم ما قطع من الشيء ، ويقال : ثوب قطع وأقطع أي مقطوع ، أو هو قطع بالضم جمع قطع . [٥] الكنة : امرأة الابن أو الأخ . [٦] الزاب الأسفل ، والزاب الأعلى : نهيران يصبان في دجلة

فقال ابن القُرَيْبَةِ : ثلاث كلمات أصلح الله الأمير كأنهن رَكْبٌ وَقُوفٌ ، يَكُنْ مَثَلًا بَعْدِي ، قال : هات ، قال : لكل جَوَادٌ كَبُوءَةٌ ، ولكل صَارِمٌ نَبُوءَةٌ ، ولكل حلِيمٌ هَفُوءَةٌ ، قال الحجاج : ليس هذا وَقْتُ المَزَاحِ ، يا غلام أَوْجِبْ جَرْحَهُ ، فَضْرِبْ عُنُقَهُ .

وقيل إنه لما أراد قتله قال له : العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال : صدقت العرب ، أصلح الله الأمير ، قال : فما آفة الحلم ؟ قال : الغضب ، قال : فما آفة العقل ؟ قال : العُجْبُ ، قال : فما آفة العلم ؟ قال : النسيان ، قال : فما آفة السخاء ؟ قال : المَنُّ عند البَلَاءِ ^(١) ، قال : فما آفة الكرام ؟ قال : مجاورة اللئام ، قال : فما آفة الشجاعة ؟ قال : البغى ، قال : فما آفة العبادة ؟ قال : الفُتْرَةُ ، قال : فما آفة الذهن ؟ قال : حديث النَّفْسِ ، قال : فما آفة الحديث ؟ قال : الكذب ، قال : فما آفة المال ؟ قال : سوء التدبير ، قال : فما آفة الكامل من الرجال ؟ قال : العُدْمُ ، قال : فما آفة الحجاج بن يوسف ؟ قال : أصلح الله الأمير ، لَا آفَةَ لِمَنْ كَرُمَ حَسَبُهُ ، وطاب نسبه ، وزكا فرغه ، قال : امتلأت شِقَاقًا ، وأظهرت نِفَاقًا ، اضربوا عنقه ، فلما رآه قتيلاً ندم ، وكان قتله سنة ٨٤ هـ .

وفي رواية أخرى أنه لما دخل على الحجاج ، قال له : يا ابن القُرَيْبَةِ ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « أصلح الله الأمير ، ثلاثة حروف ، كأنهن رَكْبٌ وَقُوفٌ ، دنيا وآخرة ومعروف ، قال : اخرج مما قلت ، قال : « أَفْعَلُ ، أما الدنيا فإلّا حاضر ، يأكل منه البرُّ والفاجر ، وأما الآخرة فيزان عادل ، وَمَشْهَدٌ ليس فيه باطل ،

[١] الإيلاء : الإيعام والإحسان ، بلوت الرجل ، وأبليت عنده بلاء حساً ، وأبلاه الله بلاء حسناً .

وأما المعروف فإن كان على اعترفت ، وإن كان لي اعترفت^(١) » قال : أما لي فاعترف بالسيف إذا وقع بك ، قال : « أصلح الله الأمير ، أقلني عثرتي ، وأسغني ريق ، فإنه لا بد للجواد من كبوة ، ولل سيف من نبوة ، وللحليم من هفوة ؟^(٢) » قال : كلا والله حتى أوردك جهنم ، ألسنت القائل برستقباد : تغدوا الجدوى قبل أن يتعشاكم ؟ قال : فأرخني فإني أجد حرها ، قال : قدمه يا حرسى فاضرب عنقه ، فلما نظر إليه يتشخط^(٣) في دمه ، قال : لو كنا تركنا ابن القرية ، حتى نسمع من كلامه ! ثم أمر به فأخرج فرمى به^(٤) .

(وفيات الأعيان ١ : ٨٣ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٩ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٣٧)

٣٢٩ — كلمة لابن القرية

وقال ابن القرية : « الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فالعاقل : الدين شريعته ؛ والحليم طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ، إن سئل أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن حدث روى ؛ وأما الأحمق : فإن تكلم مجل ، وإن حدث وهل^(٥) ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حمل على القبيح حمل ؛ وأما الفاجر فإن ائتمته خائلك ، وإن حدته شائلك ، وإن وثقت به لم يرعك ، وإن استكثمت لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه لم يفقه » .

(زهر الآداب ٢ : ٨٦)

[١] أى وأعطيت الناس منه . [٢] وفي رواية : « فإنه ليس جواد إلا له كبوة ، ولا شجاع إلا له هبوة » والهبوة : النبوة . [٣] يضطرب . [٤] وروى أبو الفرج الإصطهباني أنه قيل : « ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن الفرية ، ومجنون بنى طامر » — انظر الأغانى ج ١ ص ١٦٣ . [٥] ضعف وفرع .

فتنة يزيد بن المهلب

٣٣٠ - أيوب بن سليمان بن عبد الملك يسأل عمه الوليد

أن يؤمن يزيد بن المهلب ^(١)

لما فرَّ يزيدُ بنُ المهلب من سِجْنِ الحجاج وعذابه (سنة ٩٠ هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك) نزل على أخيه سليمان متعوّذاً به ، وكتب سليمان إلى الوليد يطلب له الأمان ، فكتب إليه يُقسِم أنه لا يؤمنه حتى يبعث به إليه ، فأرسل ابنه أيوب معه ، وكتب معه كتاباً ، فلما دخل به على عمه ، قال :

« يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك ، لا تُخَفِّر ^(٢) ذِمّة أبي ، وأنت أحقّ من منّعهما ، ولا تقطع منا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا ، لِمَ كاننا منك ، ولا تُذِلّ من رجاء العزّ في الانقطاع إلينا لعزّنا بك » . (تاريخ الطبري ٨ : ٧٣)

[١] وخبر ذلك أن الحجاج كان وقد على عبد الملك ، فر في مصرفه بدير فتره ، فقبل له : إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكتب عالماً ، فدعا به وسأله : أتعلم ما إلىّ ، من يليه بعدى ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، ووقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، إذ كان لا يرى من هو أهل لذلك سواء ، وكان يكرهه لما يرى فيه من النجاسة ، وبخشي منه ، وكان قد ولاء خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٢ ، فكتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، ويتهوهم بأهم زبيريّة الهوى ، وبخوفه غدرهم ، وما زال به حتى أجابه إلى ما سأل ، فعزل يزيد سنة ٨٥ ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم ، وفي سنة ٨٧ حبس الحجاج يزيد وإخوته وعذبهم وأغترهم ، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً ، وكان الحجاج يغيظه ذلك ، فقبل له : إنه رمى بنشابة ، فثبت نصلها في ساقه ، فهو لا يمشي شيئاً إلا صاح ، فأمر أن يعذب ويدهق ساقه (أي تعمز شديداً) فلما فعل به ذلك صاح - وأخته هذ بنت المهلب عند الحجاج - فلما سمعت صياح أخيها صاحت وناحت فطلقها ، ثم إن يزيد وإخوته أعملوا الحيلة في الفرار من سجن الحجاج (سنة ٩٠) ولحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به ، وكتب الحجاج إلى الوليد : إن آل المهلب خابوا ما الله ، وهرّبوا مني ، ولحقوا بسليمان ، واستنقذ سليمان أخاه الوليد ، وما زال به حتى شفّعه فيه ، فلما ولى الخلافة سليمان سنة ٩٦ ولى يزيد أمر العراق ، ثم ولاء خراسان سنة ٩٧ . [٢] خفر به كضرب ، وأخفره : نقض عهده وغدره .

وأما المعروف فإن كان على اعترفت ، وإن كان لي اعترفت^(١) قال : أما لي فاعترف بالسيف إذا وقع بك ، قال : « أصلح الله الأمير ، أقلني عثرتي ، وأسغني ريقى ، فإنه لا بد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة ؟^(٢) » قال : كلا والله حتى أوردك جهنم ، ألسنت القائل برستقأباز : تغدوا الجدوى قبل أن يتعشاكم ؟ قال : فأرخني فإني أجد حرها ، قال : قدّمه يا حرسى فاضرب عنقه ، فلما نظر إليه يتشحط^(٣) في دمه ، قال : لو كنا تركنا ابن القرية ، حتى نسمع من كلامه ! ثم أمر به فأخرج فرمى به^(٤) .

(وفيات الأعيان ١ : ٨٣ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٩ ، وتاريخ الطبري ٨ : ٣٧)

٣٢٩ — كلمة لابن القرية

وقال ابن القرية : « الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فالعاقل : الدين شريعته ؛ والحليم طبيعته ، والرأى الحسن سجيته ، إن سئل أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن حدث روى ؛ وأما الأحمق : فإن تكلم مجل ، وإن حدث وهل^(٥) ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حمل على القبيح حمل ؛ وأما الفاجر فإن ائتمته خائنه ، وإن حدثته شائنه ، وإن وثقت به لم يرعاك ، وإن استسكتيم لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه لم يفقه » .

(زمر الآداب ٢ : ٨٦)

[١] أى وأعطيت الناس منه . [٢] وفي رواية : « فإنه ليس جواد إلا له كبوة ، ولا شجاع إلا له هبوة » والمهوبة : النبوة . [٣] يضطرب . [٤] وروى أبو الفرج الإصبهاني أنه قيل : « ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن الفرية ، ومجنون بنى حامر » — انظر الأغانى ج ١ ص ١٦٣ . [٥] ضعف وفرع .

فتنة يزيد بن المهلب

٣٣٠ - أيوب بن سليمان بن عبد الملك يسأل عمه الوليد

أن يؤمن يزيد بن المهلب ^(١)

لما فرَّ يزيدُ بنُ المُهَلَّب من سِجْن الحِجَاج وعذابه (سنة ٩٠ هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك) نزل على أخيه سليمان متعوّذاً به ، وكتب سليمان إلى الوليد يطلب له الأمان ، فكتب إليه يُقَسِّم أنه لا يؤمنه حتى يبعث به إليه ، فأرسل ابنه أيوب معه ، وكتب معه كتاباً ، فلما دخل به على عمه ، قال :

« يا أمير المؤمنين نفسي فِدَاؤُكَ ، لَا تُخَفِّر ^(٢) ذِمَّةَ أَبِي ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ مَنَعَهَا ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ رَجَاءِ مَنْ رَجَا السَّلَامَةَ فِي جِوَارِنَا ، لِمَا كَانْنَا مِنْكَ ، وَلَا تُذِلَّ مَنْ رَجَا الْعِزَّ فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا لِعِزِّنَا بِكَ » . (تاريخ الطبري ٨ : ٧٣)

[١] وخبر ذلك أن الحجاج كان ومد على عبد الملك ، فرى مصرفه بدير فزله ، فقبل له : إن في هذا الدبر شيخاً من أهل الكتب علماً ، ودعا به وسأله : أتعلم ما إلى ، من يليه بعدى ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، فرقى في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، إذ كان لا يرى من هو أهل لذلك سواء ، وكان يكرهه لما يرى فيه من النجاسة ، وبجشى منه ، وكان قد ولاء خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٢ ، فكتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، ويتهمهم بأهم زبيريّة الهوى ، وبخوفه غدرهم ، وما زال به حتى أجابه إلى ما سأل ، وعزل يزيد سنة ٨٥ ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم ، وفي سنة ٨٧ حبس الحجاج يزيد وإخوته وعذبهم وأغرمهم ، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً ، وكان الحجاج يغيظه ذلك ، فقبل له : إنه رمى بنشابة ، فنبت فصلها في ساقه ، فهو لا يمسه شيء إلا صاح ، فأمر أن يعذب ويدهق ساقه (أى تعمّر شديداً) فلما فعل به ذلك صاح - وأخته هذبت المهلب عند الحجاج - فلما سمعت صياح أخيها صاحت وناحت فظلتها ، ثم إن يزيد وإخوته أعملوا الحيلة في الفرار من سجن الحجاج (سنة ٩٠) ولحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به ، وكتب الحجاج إلى الوليد : إن آل المهلب خانوا مال الله ، وهرّبوا مني ، ولحقوا بسليمان ، واستشفع سليمان أخاه الوليد ، وما زال به حتى شفه فيه ، فلما ولى الخلافة سليمان سنة ٩٦ ولى يزيد أسمر المراق ، ثم ولاء خراسان سنة ٩٧ . [٢] خفر به كضرب ، وأخفره : نقض دمه وغدره .

٣٣١ — خطبة يزيد بين يدي الوليد

وتكلم يزيد ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« يا أمير المؤمنين ، إنَّ بلاءكم عندنا أحسنُ البلاء ، فمن ينس ذلك فلستنا
ناسيه ، ومن يكفر فلستنا كافرين ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم ،
والطعن في أعين أعدائكم ، في المواطنِ العظام ، في المشارق والمغرب ، ما إنَّ
المنة علينا فيها عظيمة . »

فأمنه الوليد وكف عنه . (تاريخ الطبري ٨ : ٧٤)

٣٣٢ — خطبة مخلد بن يزيد بن المهلب بين يدي

عمر بن عبد العزيز

ولما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب^(١) ، أقبل ابنه مخلد من
خراسان ، ودخل على الخليفة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] وسبب ذلك : أن يزيد بن المهلب لما فتح جرجان وطبرستان سنة ٩٨ ، كتب بالفتح إلى سليمان
ابن عبد الملك ، وفي كتابه يقول : « وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين ، بعد أن صار
إلي كل ذي حق حقه من الوء والعينة ، ستة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء
الله » وقد قال له كاتبه المعيرة بن أبي ترادة : لا تكتب بتسمية ما ، فإياك من ذلك بين أمرين ، إما استكبره
فأمرك بحمله ، وإما سحت نفسه لك به وسوء عكك فتكلفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله ،
فكأنني بك قد استفرقت ما سميت ، ولم يقع منه موقفاً ، ويبقى المال الذي سميت محلاً عندهم عليك في
دواوينهم ، فإن ولي وال بعده أخذك به ، وإن ولي من يتعامل عليك لم يرس منك بأضعافه ، ولا تمس
كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، وسله المدوم ، فتشاهه بما أحببت مشافهة ونقصر ، فإياك أن
تقصر عما أحببت أخرى من أن تكثر ، فأبي يزيد ، وأمضى الكتاب ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز
(سنة ٩٩) — وكان عمر يبعث يزيد وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء حبايرة ولا أحب مثلهم — دعا
يزيد وسأله عن تلك الاموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنت من سليمان بالمكان
الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به (والتسميع : إزالة الجول بنشر الذكر) ، وقد
علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت به ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجدي أمرك إلا
حبسك ، فاق الله ، وأد ما قللك ، فإنها حقوق المسلمين ، ولا يسعى تركها ، ولم يزل يزيد في بيته ،
حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل للهرب مخافة يزيد بن عبد الملك ، لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي

« إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكن أشقى الناس بولايتك ، عَلَامَ تحبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمّل ما عليه ، فَصَالِحُنِي على ما إياه تسأل » فقال عمر : لا ، إِلَّا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك يَدْنَةٌ نخذ بها ، وإن لم تكن يَدْنَةٌ فَصَدَّقْ مقالة يزيد ، وإِلَّا فَاسْتَحْلِفْهُ ، فإن لم يفعل فصالحه ، فقال له عمر : ما أجد إِلَّا أَخَذَهُ بجميع المال .
(تاريخ الطبري ٨ : ١٣٢)

٣٣٣ — خطبة يزيد بن المهلب يحرض أصحابه على القتال

وقد سير يزيد بن عبد الملك العباس بن الوليد بن عبد الملك
ومسلمة بن عبد الملك لقتاله

قام في أصحابه فخرّضهم ورجبهم في القتال ، فكان فيما قال :
« إن هؤلاء القوم لن يردّهم عن غيِّهم إِلَّا الطعن في عيونهم ، والضربُ
بِالمَشْرِفِيَّةِ ^(١) على هامهم ، ثم قال : إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء
— يعنى مسلمة بن عبد الملك ، وعافر ناقة ثمود ^(٢) — يعنى العباس بن الوليد —

عقيل (إذ كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أختي الحجاج بن يوسف عبد يزيد بن عبد الملك ، فولدت له ابنة الوليد) وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله أن لا يملكه الله من يزيد بن المهلب ، ليقطعن منه طابعا (بفتح الباء وكسرها أى عصوا) نخشى ذلك فهرب من السجن سنة ١٠١ ، ومات عمر وأفضت الحلافة إلى يزيد بن عبد الملك ولحق ابن المهلب بالبصرة ، فملب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها (وهو عدى بن أوطاة الفزارى) حسه وخلع يزيد ، فسير إليه الخليفة العباس بن الوليد بن عبد الملك ، ومسلمة بن عبد الملك لحربه فقتل ابن المهلب في أثناء المعركة سنة ١٠٢ هـ .

[١] المشرفية سوف منسوبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، والمهام جمع هامة وهي الرأس .

[٢] هو قدار (كشجاع) بن سالف ، ويلقب بأحمر ، قال زهير في وصف الحرب :

فَتَمْتَنِجْ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمُ

(قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عافر الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود ، وقال المبرد : لا غلط ، ، لأن ثمود يقال لهم عاد الآخرة ، ويقال لقوم هود عاد الأولى) ويضرب به المثل في الشؤم ،

(وكان العباس أزرق^(١) أحمر، كانت أمه رومية) والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه، حتى كلمته فيه، فأقره على نسبه، فبلغني أنه ليس هههما إلا التماسي في الأرض، والله لو جاءوا بأهل الأرض جميعاً، وليس إلا أنا، ما برحت العرصة^(٢) حتى تكون لي أولهم»، قالوا: نخاف أن تعيننا^(٣) كما عثانا عبد الرحمن بن محمد^(٤)، قال: إن عبد الرحمن فضح الذمار^(٥) وفضح حسبه، وهل كان يعدو أجله؟»، ثم نزل.

(تاريخ الطبري ٨ : ١٥٢)

٣٣٤ — خطبة أخرى له

ورويت له خطبة أخرى في هذا الغرض، وهاكها:

عن خالد بن صفوان قال: خطبنا يزيد بن المهلب بواسط، حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال:

«أيها الناس: إني أسمع قول الرعاع، قد جاء العباس، قد جاء مسامة، قد جاء أهل الشام! وما أهل الشام إلا تسعة أسياف، منها سبعة معي، واثان علي، وما مسامة إلا جرادة صفراء، وأما العباس فنسطوس^(٦) بن نسطوس،

فيقال: «أشأم من أحمر عاد» لأن الله أهلك بقله ثمود، وذلك أنهم قالوا لبيهم صالح حين دعاهم إلى الإيمان: يا صالح إن كنت صادراً فأطهر لنا من هذه الصخرة ناقة، وصفوها له، فأخرجها الله بإذنه من الصخرة (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَاضْطَبِرْ). فآمن بعضهم عند ظهور هذه الآية، ثم قال لهم: (هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ، وَلَا تَمَسُّوهَا بُسُوءً فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ، فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ). (والشرب: النصيب من الماء).

[١] أي أزرق العينين. [٢] العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

[٣] عنه: أتعبه. [٤] هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث السالف الذكر.

[٥] ما يلزمك حفظه وحايته. [٦] هو في المقد، ومروج الذهب بالباء، وفي البيان والتبيين

بالنون، وليس من ألقاظ العربية، وأقول: هو إما علم رومي، فهو يشير إلى أصل العباس بن الوليد لأنه

أتاكم في برابرة^(١) وصقالبة^(٢) وجراجمة^(٣) ، وأقباط وأنباط^(٤) ،
وأخلاق من الناس ، إنما أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء^(٥) اللحم ،
والله ما لقوا قطّ حدّاً كحكمكم ، ولا حديداً كحديكم ، أعيروني سواعيدكم ساعة
من نهار تصفّقون^(٥) بها خراطيمهم ، فإنما هي غدوة أو روضة ، حتى يحكم الله
بيننا ، وهو خير الحاكمين .

(البيان والتبيين ١ : ١٦٠ ، العقد العريد ٢ : ١٥٥ ، ومروج الذهب ٢ : ١٧٧)

٢٣٥ — خطبة أخرى له

وقال مقاتل : سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط ، فقال :
« يا أهل العراق ، يا أهل السبق والسباق ، ومكارم الأخلاق ، إن أهل
الشام في أفواههم لُقمة دسمة^(٦) ، قد رتبت^(٦) لها الأشداق ، وقاموا لها على ساق ،
وهم غير تاركها لكم بالمرء والجِدال ، فالبسوا لهم جلود النمر^(٧) » .

(البيان والتبيين ١ : ٢١٨)

٢٣٦ — خطبة الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد بن المهلب
وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة ، يحث الناس على حرب أهل الشام ،
ويسرّحهم إلى يزيد ، وكان الحسن البصري يثبط الناس عنه ، وكان يقول
في تلك الأيام :

كانت أمه رومية ، أو محرف عن « نسطوري بن نسطوري » أي نصراني نسطوري من الساطرة
لإحدى فرق المسيحية نسبة إلى نسطوريوس صاحب المذهب ، وكان أسقفاً بانفسطيطية . توفي حول
سنة ٤٥٠ م . [١] البرابرة : جيل بالمغرب ، والصقالبة : جيل بلادهم تناخم بلاد الحرر « شمالي بحر
الجزر ، وهو بحر قروين » أي جنوبي روسيا . [٢] الجراجمة : قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل
الإسلام ، والجراجمة : قوم من العجم بالجزيرة ، أو نبط الشام . [٣] أنباط جمع نبط كجبل
وقد تقدم . [٤] أشلاء جمع شلو كحمل ، وهو العضو ، وكل مسلوخ أكل منه شيء ، وبقيت
منه بقية . [٥] صفقه بالسيف : ضربه ، والخراطيم جمع خرطوم ، وهو الأنف .
[٦] رتبت : أي ثبتت ولم تتحرك « وذلك لامتناء الأفواه » . [٧] أي تنكروا لهم ،
واستعدوا لمناضلتهم .

« أيها الناس : الزموا رِحالكم ، وكفّوا أيديكم ، واتّقوا الله مَوْلاكم ، ولا يَقْتُل بعضُكم بعضاً على دُنيا زائلةٍ ، وطمعٍ فيها يسير ، ليس لأهلها بياقٍ ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براصٍ ، إنه لم يكن فتنةٌ إلاّ كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء ، وأهل التّيه والخيلاء ، وليس يسلم منها إلاّ المجهول الخفيّ ، والمعروف التّقيّ ، فمن كان منكم خفياً فَلْيَلْزَمْ الحَقَّ ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ، وكفى له به من الدنيا خلفاً ، ومن كان منكم معروفًا شريفًا ، فترك ما يتنافس فيه نُظْرَاؤُه من الدنيا - إرادةً الله بذلك - فواهاً لهذا ، ما أَسْعَدَه وَأَرْشَدَه ، وَأَعْظَمَ أَجْرَه ، وَاهْدَى سَبِيلَه ! فهذا غدا - يعنى يوم القيامة - الْقَرِيرُ عَيْنًا ، الْكَرِيمُ عند الله مَا بَا .

(تاريخ الطبري ٨ : ١٥٣)

٣٣٧ - خطبة مروان بن المهلب

فلما بلغ ذلك مَرْوان بن المَهْلَب ، قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجد والاحتشاد ، ثم قال لهم :

« لقد بلغني أن هذا الشيخ الضالّ المرائي - ولم يُسمَّه - يثبط الناس ، والله لو أن جاره نَزَعَ من خُصِّ داره قَصَبَةً ، لَظَلَّ يَرْعُفُ ^(١) أَنْفَهُ ، أَيْنُكِرُ عَلَيْنَا ، وعلى أهل مصرنا ، أن نطلب خيرنا ، وأن نُنْكَرَ مَظْلَمَتَنَا ؟ أَمَا وَالله ليكفّن عن ذكرنا ، وعن جمعه إلينا سُقَّاط ^(٢) الْأُبُلَّةِ ، وَعُلُوجُ فُرَاتِ البصرة ، قوما ليسوا من أنفسنا ، ولا ممن جرت عليه النعمة من أحدٍ منا ، أَوْ لَا نُحْيِيَنَّ عَلَيْهِ مَبْرَدًا خَشِينًا .

[١] رَعَف : خرج من أنفه الدم . [٢] جمع ساقط وهو اللّثيم في حسبه ونفسه ، والأبلة : موضع بالبصرة .

فأما بلغ ذلك الحسن ، قال : والله ما أكره أن يُكرمني الله بهوانه ، فقال
ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك ، فقال لهم : قد خالفكم إذن إلى ما
مانهيتكم عنه ، أمرُكم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري ، وأدعوكم إلى أن يقتل
بعضكم بعضاً دوني ؟ فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتد عليهم وأخافهم ،
وطلبهم حتى تفرقوا ، ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكف عنه مروان .

(تاريخ الطبري ٨ : ٥١٣)

خطب الأحنف بن قيس التميمي^(١)

٣٣٨ — الأحنف ومعاوية

كَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، قَدْ شَهِدَ مَعَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَقَعَةَ
صِفِّينَ ، فَأَمَّا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمَعَاوِيَةَ ، دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : « وَاللَّهِ
يَا أَحْنَفُ مَا أَذْكُرُ يَوْمَ صِفِّينَ إِلَّا كَأَنَّكَ حَزَازَةٌ^(٢) فِي قَلْبِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ،
فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ تَرُدُّ الْأُمُورَ عَلَى أَعْقَابِهَا ؟ أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ الْقُلُوبَ الَّتِي
أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبِئْنَ جَوَانِحُنَا ، وَالسُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا لَعَلَى عَوَاتِقِنَا ، وَلَئِنْ

[١] هو أبو بحر الضحاك بن قيس سيد بني تميم ، والضروب به المثل في الحلم ، وهو من سادات
التابعين ، أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ، وشهد بعض فتوح خراسان في زمن عمر
وعثمان رضي الله عنهما ، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين ، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ،
وبقي إلى زمن مصعب بن الزبير ، فخرج معه إلى الكوفة ، فمات بها سنة ٦٧ هـ (وقيل له الأحنف ، لأنه
كان أحنف الرجل — مائلها — يطأ على وحشيها) . [٢] الحزازة : وجم في القلب من غيظ ونحوه .

مَدَدْتُ بِشَبْرٍ مِنْ غَدَرٍ، لَمْ تُدَنَّ بَاعًا مِنْ خَيْرٍ^(١)، وَلَئِنْ شَدَّتْ لَتَسْتَصْفِينَ كَدَرَ قُلُوبِنَا بِصَفْوِ حُلْمِكَ»، قَالَ مَعَاوِيَةُ: فَإِنِّي أَفْعَلُ.

ثُمَّ قَامَ وَخَرَجَ، وَكَانَتْ أُخْتُ مَعَاوِيَةَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ تَسْمَعُ كَلَامَهُ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَهَدَّدُ وَيَتَوَعَّدُ؟ قَالَ: هَذَا الَّذِي إِذَا غَضِبَ، غَضِبَ لِعُضْبِهِ مِائَةَ أَلْفٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، لَا يَذُرُونَ فِيمَ غَضِبَ.

(وفيات الأعيان لابن خلكان ١: ٢٣٠، ونهاية الأرب ٧: ٢٣٧، والعقد الفريد ٢: ١١٨)

٣٣٩ — الأحنف ومعاوية أيضا

جَلَسَ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا، وَعِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ، وَفِيهِمُ الْأَحْنَفُ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَامَ خُطِيبًا، فَكَانَ آخِرَ كَلَامِهِ أَنْ لَعَنَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاطْرَقَ النَّاسُ، وَتَكَلَّمَ الْأَحْنَفُ، فَقَالَ:

«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ هَذَا الْقَائِلَ مَا قَالَ آتِفًا، لَوْ عَلِمَ أَنَّ رِضَاكَ فِي لَعْنِ الْمُرْسَلِينَ لِلْعَنَنَّهُمْ، فَاتَنَّى اللَّهُ، وَدَعَى عَلِيًّا، فَقَدْ لَقِيَ اللَّهَ، وَأُفْرِدَ فِي خُفْرَتِهِ، وَخَلَا بِعَمَلِهِ، وَكَانَ وَاللَّهِ — مَا عَلِمْنَا — الْمُبَرِّزَ بِشِقِّهِ^(٢)، الطَّاهِرَ فِي خُلُقِهِ: الْمَيْمُونِ النَّقِيبَةَ^(٣) الْعَظِيمَ الْمُصِيبَةَ».

قَالَ مَعَاوِيَةُ: «يَا أَحْنَفُ، لَقَدْ أَغْضَيْتَ الْعَيْنَ عَلَى الْقَدَى، وَقُلْتَ بَغِيرَ مَا تَرَى، وَإِيْمُ اللَّهِ لَتَصْعَدَنَّ الْمَنْبِرَ فَلَتَلْعَنَنَّهُ طَائِعًا أَوْ كَارِهًا»، فَقَالَ الْأَحْنَفُ: «إِنْ تُعَفِّنِي فَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ تَجْبِرْنِي عَلَى ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَجْرِي بِهِ شَفَتَايَ»، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: قُمْ فَاصْعَدْ. قَالَ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا نُصِيفَنَّكَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ»، قَالَ

[١] الباع: قدر مد اليدين، والحر: أفتح الصدر.

[٢] الشن الجانب، ورواية العقد «المبرز سيفه» وبرز تبريزا فاق أصحابه فضلا أو شجاعة.

[٣] النقيب: النفس.

معاوية : « وما أنت قائل إن أنصفتني ؟ » ، قال : « أصعد فأحمد الله ، وأثنى عليه ، وأصلى على نبيه ، ثم أقول :

« أيها الناس : إن معاوية أمرني أن ألعن عليا ، ألا وإن عليا ومعاوية اختلفا واقتتلا ، وادّعى كل واحد أنه مبغى عليه ، وعلى فنته ، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله ! » ثم أقول : « اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ، والفئة الباغية على المبغى عليها ، اللهم ألعنهم لعنا كبيرا ، أمّنوا ، رحمكم الله » ، يا معاوية ، لا أزيد على هذا ، ولا أنقص منه حرفا ، ولو كان فيه ذهابُ نفسى .

فقال معاوية : « إذن نَعْفِيكَ يا أبا بحر . »

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ ، والعقد الفريد ٢ : ١١٨)

٣٤٠ . قوله فى مدح الولد

ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيدُ بين يديه ، وهو ينظر إليه إعجابا به ، فقال : يا أبا بحر ما تقول فى الولد ؟ فعلم ما أراد ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، هم عمادُ ظهورنا ، وتمرّ قلوبنا ، وقرّة^(١) أعيننا ، بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلفُ منا لمن بعدنا ، فكن لهم أرضا ذليلة ، وسما ظلميلة ، إن سألوك فأعطهم ، وإن استعتبوك^(٢) فأعْتَبِهِمْ ، لا تمنعهم رِفْدك^(٣) ، فيمَلُّوا قُرْبَكَ ، ويكرهوا حياتك ، ويستبْطِئوا وفاتك . »

فقال : لله دَرَكُ يا أبا بحر ! هم كما وصفت . (الأمل ٢ : ٤٣)

[١] قرّت عينه : بردت ، وانقطع بكاؤها ، أو رأت ما كانت متشوفة إليه .

[٢] استعتبه : طلب إليه العتي (أى الرضا) وأعتبه : أعطاه العتي .

[٣] الرُفْد : العطاء .

٣٤١ — شفاعته لدى مصعب بن الزبير

وَأَتَى مَصْعَبَ بْنَ الزَّبِيرِ يَكْلِمُهُ فِي قَوْمِ حَبْسِهِمْ ، فَقَالَ : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ،
إِنْ كَانُوا حُبِسُوا فِي بَاطِلٍ ، فَالْحَقُّ يُخْرِجُهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا حُبِسُوا فِي حَقٍّ ، فَالْعَفْوُ
يَسَعُهُمْ » ، نِفْلَاهُمْ ^(١) . (نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٣٨)

٣٤٢ — نصيحته لقومه

وَقَالَ بَخْرَاسَانُ : « يَا بَنِي تَيْمٍ تَحَابُّوا تَجْتَمِعْ كُلَّتْكُمْ ، وَتَبَاذَلُوا تَعْتَدِلْ أُمُورُكُمْ ،
وَابْدِءُوا بِجِهَادِ بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ ، يَصْلُحْ أَلْكُمُ دِينَكُمْ ، وَلَا تَغْلُوا ^(٢) يَسْلَمْ أَلْكُمُ
جِهَادُكُمْ » . (نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٣٩ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٢ : ٤٦)

٣٤٣ — خطبته في قوم كانوا عنده

وَحَدَّثَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، وَعِنْدَهُ
قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ فِي أَمْرِ لَهُمْ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« إِنْ الْكِرْمُ يَمْنَعُ الْحُرْمَ ^(٣) ، مَا أَقْرَبَ النَّقْمَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ، لَا خَيْرَ فِي
لَذَّةِ تَعْقِبٍ نَدْمًا ، لَنْ يَهْلِكَ مَنْ قَصَدَ ^(٤) ، وَلَنْ يَفْتَقِرَ مَنْ زَهَّدَ ، رُبَّ هَزَلٍ قَدْ
عَادَ جِدًّا ، مِنْ أَمِنْ الزَّيْمَانِ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانُهُ ، دَعَا الْمِزَاحَ ، فَإِنَّهُ
يُورَثُ ^(٥) الضُّغَائِنَ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعْلُ ، احْتَمَلُوا لِمَنْ أَدَلَ ^(٦) عَلَيْكُمْ ،
وَاقْبَلُوا عَذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ ، أَطِيعْ أَخَاكَ وَإِنْ عَصَاكَ ، وَصِلْهُ وَإِنْ جَفَاكَ ،
أَنْصِفْ مَنْ نَفْسُكَ قَبْلَ أَنْ يُنْتَصَفَ مِنْكَ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ، وَاعْلَمْ

[١] وَفِي وَبَيَاتِ الْأَعْيَانِ لِابْنِ حَالِكَانَ ١ : ٢٤٤ ، أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لِلشَّيْخِ ، كَلَّمَ بِهِ عُمَرَ بْنَ هَبِيرَةَ
الْمُزَارِي أَمِيرَ الْعِرَاقِ . [٢] أَيْ لَا تَخُونُوا .
[٣] الْحُرْمُ جَمْعُ حَرَمَةٍ بِالْفَعْمِ : وَهِيَ مَا لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهُ . [٤] الْقَصْدُ وَالْاِقْتِصَادُ : ضِدُّ الْإِفْرَاطِ .
[٥] التَّارِثُ : إِبْقَادُ النَّارِ . [٦] تَدَلُّ .

أن كُفِرَ النعمة لؤم ، وَصُحِبَ الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذِّمِّ ، ما أقبح القطيعةَ بعد الصِّلة ، والجفاء بعد اللَّطَفِ ^(١) ، والعداوة بعد الودِّ ! لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ^(٢) ، فأنفق في حقِّ ، ولا تكونن خازناً لغيرك ، وإذا كَانَ الغدرُ في الناس موجوداً ، فالثقة بكل أحد تجز ، اعرف الحق لمن عَرَفَه لك ، واعلم أن قطيعةَ الجاهل تعدل صِلةَ العاقل . (الأماي ٢ : ٢٢)

٣٤٤ — كلمات حكيمة للأحنف

قال : « في ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر مُعتبر : ما دخلت بين اثنين قطُّ حتى يُدْخِلَانِي بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء - يعني الملوك - ما لم أَدْعَ إليه ، وما حَلَلْتُ حُبُوتِي ^(٣) إلى ما يقوم الناس إليه . » وقال : « ألا أدلكم على المَحْمَدة بلا مرزئة ^(٤) ؟ الخلق السَّجِيح ^(٥) والكف عن القبيح ، ألا أخبركم بأذوا الداء ؟ الخلقُ الدني ، واللسانُ البذي ، وقال : « ما خان شريف . ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب مؤمن . » وقال : « ما ادخرتِ الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من اصطناع معروف عند ذوى الأحساب والآداب ، وقال : « كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لَزِمَ شيئاً عُرِفَ به . » وسمع رجلاً يقول : ما أبالي أُمِدِّحتُ أم ذممت . فقال له : « لقد استرحت من حيثُ تعب الكرام » ، وقال : « جنبوا مجلسنا ذِكر الطعام والنساء ، فأني لا بغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه

[١] لطف : اسم من اللطف بالصم . [٢] آخرتك . [٣] احتبى الرجل : جمع بين طهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم : الحبوة بالفتح ويضم . [٤] رزأه مرزئة : أصاب منه خيراً ، والشئ نفسه ، أى دون أن تغرموا في سبيلها مالا . [٥] اللب السهل .

وإن المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيهِ . وكان يقول : إذا عَجِبَ الناس من حِلْمِهِ : « إني لأجد ما تجدون ولكني صبور » . وكان يقول : « وجدت الحلم أنصر لي من الرجال » . وقال : « الكذب لاحيلة له ، والحسود لراحة له ، والبخيل لامروءة له ، والمملول لاوفاء له ، ولا يسود سيئ الأخلاق ، ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم ذلك ويتجمل » . وقال : « أربع من كنَّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق بخصلة منهن كان من صالحى قومه : دينٌ يُرشده ، أو عقل يُسدده ، أو حسَب يصونه ، أو حياء يقنانه ^(١) » . وقال : « المؤمن بين أربع : مؤمن يحسده ، ومنافق يُبغضه ، وكافر يجاهده ، وشيطان يفتنه ؛ وأربع ليس أقل منهن : اليقين ، والعدل ، ودرهم حلال ، وأخ في الله » . وقال : « لأن أدعى من بعيد ، أحب إليّ من أن أقصى من قريب » . وكان يقول : « إياك وصدر المجلس ، وإن صدرك صاحبه ، فإنه مجلس قلعة ^(٢) » . وقال : « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات » . وقال : « رب غيظ تجرّعه نخافة ما هو أشد منه » . وقال : « من كثّر كلامه كثرت سقطته ، ومن طال صمته كثرت سلامته » . وقال : « ثلاث لا أناة فيهن عندي » . قيل : « وما هنّ يا أبا بحر ؟ » . قال : « المبادرة بالعمل الصالح ، وإخراج ميتك ، وأن تُسكب الكفء أيمك ^(٣) » . وكان يقول : « لأفعى تحكك في ناحية بيتي ، أحب إليّ من أيم رددت عنها كفئاً » . (وفيات الأعيان ١ : ٢٣١ ، وجمع الأمثال للميداني ١ : ١٤٨ ، والأمالى ٢٣٦ : ١ ، والبيان والبيان ٢ : ص ٣٧ ، ٥٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥)

[١] قى الحياء كرمى ورمى : لزمه كأتى . [٢] مجلس قلعة : يحتاج صاحبه إلى أن يقوم مرة بعد مرة . [٣] الأيم : من لا زوج لها بكرا ، أو نيبا . قال الجاحظ : وكان يقال : « ما بعد الصواب إلا الخطاء ، وما بعد منعهن من الأكفاء ، إلا بذهن للسفلة والموغاء » .

٣٤٥ — صفية بنت هشام المنقرية تؤبن الأحنف

وروى أنه لما حُمِلَتْ جَنَازَةُ الْأَحْنَفِ، وَدُلِّيَ فِي قَبْرِهِ، أَقْبَلَتْ ابْنَةُ عَمِّهِ صَفِيَّةُ بِنْتُ هِشَامِ الْمُنْقَرِيَّةِ عَلَى نَجِيبٍ لَهَا مُحْتَصِرَةً^(١)، فَوَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ، فَقَالَتْ :
« لِّلّهِ دَرَكٌ مِنْ مُجَنٍّ^(٢) فِي جُنَنٍ، وَمُدْرَجٌ^(٣) فِي كَفَنٍ ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! نسأل الله الذي جَمَعَنَا بِمَوْتِكَ، وَابْتَلَانَا بِفَقْدِكَ، أَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، وَأَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ، وَدَلِيلَ الرِّشَادِ دَلِيلَكَ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ بِوَجْهِهَا عَلَى النَّاسِ، فَقَالَتْ : « مَعَشَرَ النَّاسِ، إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، شُهُودٌ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِنَّا قَائِلُونَ حَقًّا، وَمُثْنُونَ صِدْقًا، وَهُوَ أَهْلُ الْحُسْنِ التَّنَاءِ، وَطَيِّبُ الدُّعَاءِ، أَمَّا وَالَّذِي كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ، وَمِنْ الْمِضْمَارِ^(٤) إِلَى غَايَةٍ، وَمِنْ الْحَيَاةِ إِلَى نَهَايَةٍ، الَّذِي رَفَعَ عَمَلَكَ، عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ، لَقَدْ عِشْتُ حَمِيدًا مَوْدُودًا، وَلَقَدْ مُتُّ فَقِيدًا سَعِيدًا، وَإِنْ كُنْتُ لِعَظِيمِ السَّلَمِ، فَاضِلَ الْحِلْمِ، صَاحِبِ الْأَدِيمِ^(٥)، مَنِيْعِ الْحَرِيمِ، وَارِيَّ الزَّيْنَادِ، رَفِيعِ الْعِمَادِ، وَإِنْ كُنْتُ فِي الْمَحَافِلِ لَشَرِيفًا، وَعَلَى الْأَرَامِلِ لَعَطُوفًا، وَفِي الْعَشِيرَةِ مُسَوِّدًا، وَإِلَى الْخُلَفَاءِ مُؤَفِّدًا، وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمْعِينَ، وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ » ثُمَّ انصرفت .

(ذيل الأملی ص ٢٨ ، وبلاغات النساء ص ٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٦٠)

[١] النجيب : الجمل السريع الخفيف في السير القوي ، واختصر : أمسك المحصرة ، « والمحصرة كككنسة : عما يسكها الخطيب يشير بها إذا خطب » ، وتخصر بالقضيب أيضا : أمسك .
وفي رواية الجاحظ : « وقامت مرعاة بنت أوس بن حجر على قبر الأحنف بن قيس وهي على راحلة فقالت . . . » ، وفي رواية أبي علي الفاي : « جاءت امرأة من قومه من بني مقرر عليها قبول من النساء ، فوقفت على قبره فقالت . . . » — وانقبول بالفتح ويضم : الحسن .
[٢] من أجنبته إذا ستره ، والجانب جمع جنة كقبة وهي الوقاية ، والمائن كسبب : القبر والكفن .
[٣] مطوى . [٤] في الأملی : « ومن الضمان » ، وفي بلاغات النساء : « ومن الضمار » وأرى أن صوابه « ومن الضمار » نقوله بعد : « إلى غاية » . [٥] الأديم : الجلد ، والمراد صحيح العرض .

خطب الوفود

وما ألقى بحضرة الخلفاء والأمراء والرؤساء

الوافدون على معاوية

٣٤٦ - وفود الأحنف بن قيس والنمر بن قطبة على معاوية

دخل الأحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه النمر بن قُطْبَة ، وعلى النمر عباءة قَطَوَانِيَّة ^(١) ، وعلى الأحنف مِذْرَعَةٌ ^(٢) صوف وشَمْلَةٌ ^(٣) ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقْتَحَمَتَهُمَا ^(٤) عَيْنُهُ ، فقال النمر : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها ، فأوَمَأَ إليه فجلس ، ثم أقبل على الأحنف ، فقال : ثم مَه ؟ فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أهلُ البصرة عدد يسير ، وَعَظُمَ كَسِيرٌ ، مع تتابع من المُحُول ^(٥) ، واتصالٍ من الذُّحُول ^(٦) ، فأكْثَرَ فيها قد أطرق ، والمُقِلَّ قد أملق ، وبلغ منه المَخْنَق ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنْعِشَ الفقير ، ويَجْبُرَ الكَسِير ، ويسهِّلَ العَسِير ، ويصفح عن الذُّحُول ، ويُدَاوِيَ المُحُول ، ويأمر بالعطاء ، ليكشفِ البلاء ، ويُزِيلَ اللَّأْوَاءَ ^(٧) ، وإن السيدَ مَنْ يَعُمُّ ولا يَخُصُّ ، ومن يدعو الجَفَلَى ^(٨) ولا يدعو النَّفَرَى ، إن أحسن إليه شكر ، وإن أسى إليه غفر ،

[١] نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة منه الأكسية . [٢] المدرعة : ثوب ولا يكون إلا

من صوف . [٣] الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به . [٤] ازدترتها .

[٥] جمع محل كشمس وهو القحط والجذب . [٦] جمع ذحل كشمس أيضاً وهو الثأر .

[٧] الشدة . [٨] الدعوة العامة ، والنقري : الدعوة الخاصة .

ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عِماداً ، يدفع عنهم المِمَّاتِ ، ويكشف عنهم المَغْضِلاتِ » ، فقال له معاوية : هاهنا يا أبا بجر ، ثم تلا : « وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ^(١) » . (زمر الآداب ١ : ٥٧)

٣٤٧ — وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف

ولما قَدِم وفد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف ، خرج الآذن ، فقال : إن أمير المؤمنين يَعْزِمُ عليكم ألاَّ يتكلم أحد إلا لنفسه ، فاما وصلوا إليه قال الأحنف :

« لولا عَزْمَةُ أمير المؤمنين لأخبرته أن دافَّةً ^(٢) دَفَّتْ ، ونازلة نزلت ، ونايئة نابت ، ونايئة نَبَّتَتْ ، وكلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه » ، فقال : حَسْبُكَ يا أبا بجر فقد كَفَيْتَ الغائبَ والشاهد .

(نهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٣)

وفد أهل العراق على معاوية ومعهم زياد وفيهم الأحنف

وفد أهل العراق على معاوية ، ومعهم زياد بن أبيه ، وفيهم الأحنف بن قيس ، فقال زياد :

٣٤٨ — خطبة زياد

« يا أمير المؤمنين : أَشْخَصْتُ إليك أقواماً الرغبةُ ، وأفعمدُ عنك آخَرين العُدْرُ ، فقد جعل الله تعالى في سَعَةِ فضلك ما يُجْزِي بِرُّ به المتخلف ، ويُكَافَأ به الشاخصُ » .

[١] أى فى معناه وخوام . [٢] الدافة : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد ، يقال : دفت علينا من بنى فلان دافسة ، والدافة أيضا ، قوم من الأعراب يريدون مصر ، والدافة : الجيش يدعون نحو العدو أى يدبون .

٣٤٩ — خطبة معاوية

فقال معاوية : « مَرَحِبًا بِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لئن فَرَّقْتُ بَيْنَكُمْ الدَّعْوَةَ ، لَقَدْ جَمَعْتُكُمْ الرَّحِيمَ ، إِنْ اللَّهُ اخْتَارَكُمْ مِنَ النَّاسِ لِيُخْتَارَنَا مِنْكُمْ ، ثُمَّ حَفِظَ عَلَيْكُمْ نَسَبَكُمْ ، بَأَنْ تَخَيَّرَ لَكُمْ بِلَادًا يُجْتَازُ عَلَيْهَا الْمَنَازِلُ ، حَتَّى صَفَّاهُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا تُصَفَّى الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ خَبَثِهَا ، فَصُونُوا أَخْلَاقَكُمْ ، وَلَا تُدْنَسُوا أَنْسَابَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ مِنْكُمْ أَحْسَنُ لِقَرَبِكُمْ مِنْهُ ، وَالْقَبِيحُ مِنْكُمْ أَقْبَحُ لِبَعْدِكُمْ عَنْهُ » .

٣٥٠ — خطبة الأحنف بن قيس

فقال الأحنف : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَعْدَمُ مِنْكُمْ قَائِلًا جَزِيلًا ^(١) ، وَرَأْيَا أَصِيلًا ، وَوَعْدًا جَمِيلًا ، وَإِنْ أَخَاكَ زِيَادًا لَمْ تُبْعِ آثَارَكَ فِينَا ، فَتَسْتَمْتِعَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ وَالْمَأْمُورِ ، فَإِنَّكُمْ كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ — فَإِنَّهُ أَلْقَى عَلَى الْمَدَائِحِينَ فُصُولَ الْقَوْلِ — :

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتَغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ ^(٢)
(زهر الآداب ١ : ٥٨)

٣٥١ — وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل النسابة

قدم وفد العراق على معاوية ، وفيهم دغفل ^(٣) ، فقال له معاوية : يَا دَغْفَلُ أَخْبِرْنِي عَنْ ابْنِي زُرَّارٍ : رِبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ ، أَيُّهُمَا كَانَ أَعَزَّ جَاهِلِيَّةً وَعَالَمِيَّةً ؟ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُضَرٌّ بِنِ تَزَارَكَانَ أَعَزَّ جَاهِلِيَّةً وَعَالَمِيَّةً . قال معاوية : وَأَيُّ مُضَرٍّ كَانَ أَعَزَّ ؟ قال : بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ ، كَانُوا أَكْثَرَ الْعَرَبِ أَمْجَادًا ، وَأَرْفَعَهُمْ عَمَادًا ،

[١] الجزيل : العاقل الأصيل الرأي . [٢] الخطي : الراجح نسبة إلى الخط : مرفأ السفن بالبحرين
تنسب إليه الرماح لأنها تباع به لا أنه منبتها ، والوشيح : شجر الرماح جمع وشيعة .
[٣] هو دغفل بن حنظلة النسابة من بني شيبان .

وأعظمهم رماداً . قال : فأى بنى كِنانة كان بعدهم أعز ؟ قال : بنو مالك بن كِنانة ، كانوا يَعْلُونَ من سَامَاهُمْ ، وَيَكْفُونَ من نِوَاهُمْ ، وَيَصْدُقُونَ من عَادَاهُمْ . قال : فمن بعدهم ؟ قال : بنو الحارث بن عبد مناة بن كِنانة ، كانوا أعز بنينيه وأمنعهم ، وأجودهم وأنفعهم . قال : ثم من بعدهم ؟ قال : بنو بكر بن عبد مناة ، كان بأسهم رهوباً ، وعدوهم منكوباً ، وثأرهم مطلوباً . قال : فأخبرني عن مالك بن عبد مناة بن كِنانة ، وعن مُرَّة وعامر ابني عبد مناة . قال : كانوا أشرفاً كراماً ، وليس للقوم أكفاء ولا نُظَرَاء . قال : فأخبرني عن بني أسد . قال : كانوا يُطْعِمُونَ السَّديف^(١) ، وَيَكْرَهُونَ الضيوف ، وَيَضْرِبُونَ في الزُّحُوف^(٢) ، قال : فأخبرني عن هُذَيْل ، قال : كانوا قليلاً أكياس^(٣) ، أهل مَنعة وبأس ، ينتصفون من الناس ، قال : فأخبرني عن بني ضَبَّة ، قال : كانوا جَحرَة من جَحرَات العرب الأربع^(٤) ، لَا يُصْطَلَى بنارهم ، وَلَا يُفَاتُونَ بشارهم ، قال : فأخبرني عن مُزينة ، قال : كانوا في الجاهلية أهل مَنعة ، وفي الإسلام أهل دَعَة . قال : فأخبرني عن تميم ، قال : كانوا أعز العرب قديماً ، وأكثرها عظيماً ، وأمنعها حرِيماً ، قال : فأخبرني عن قيس . قال : كانوا لا يفرحون إذا أُدِيلُوا^(٥) ، ولا يحزّعون إذا ابْتُلُوا ، وَلَا يَبْخَلُونَ إذا سُئِلُوا ، قال : فأخبرني عن أشرفهم في الجاهلية ، قال : غَطَفَان ابن سعد ، وعامر بن صعْصعة وسُلَيم بن منصور ؛ فأما غطفان فكانوا كراماً

[١] شحم السنام . [٢] مصدر زحف أو جمع زحف كشمس وهو الجيش يزحفون إلى العدو .
[٣] جمع كيس وهو الماقل . [٤] قال صاحب العقد : « جرات العرب ، هم بنو نعيم بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد بن طابخة ، وبنو عبس بن بغيض ، وإنما قيل لهذه القبائل جرات ، لأنها تحممت في أنفسها ، ولم يدخلوا معهم غيرهم ، والتجوير : التجميع ، ومنه قيل : جرة العتبة لاجتماع الحصى فيها ، ومنه قيل : لا تحمروا المسلمين فتقتلوه ، وتفتنوا نساءهم ، يعني لا تجمعوهم في الغازي . . الخ » — العقد ٢ : ٥٧ . [٥] أداله الله من عدوه : نصره عليه .

سَادَةٌ ، وَلِلْخَمِيسِ ^(١) قَادَةٌ ، وَعَنِ الْبَيْضِ ذَادَةٌ ^(٢) ؛ وَأَمَّا بَنُو عَامِرٍ فَكَثِيرٌ سَادَتُهُمْ ،
مَخْشِيَةٌ سَطَوَتُهُمْ ، ظَاهِرَةٌ نَجَدَتُهُمْ ؛ وَأَمَّا بَنُو سُلَيْمٍ فَكَانَ يُدْرِكُونَ النَّارَ ،
وَيَمْنَعُونَ الْجَارَ ، وَيُعْظَمُونَ ^(٣) النَّارَ ، قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنْ قَوْمِكَ بِكَرِ بْنِ
وَائِلٍ وَاصْدُقْنِي ، قَالَ : كَانُوا أَهْلَ عَزٍّ قَاهِرٍ ، وَشَرَفٍ ظَاهِرٍ ، وَمَجْدٍ فَاحِرٍ ، قَالَ :
فَأَخْبَرَنِي عَنْ إِخْوَتِهِمْ تَغْلِبَ ، قَالَ : كَانُوا أَسْوَدًا تُرْهَبَ ، وَسِمَامًا ^(٤) لَا تُقْرَبَ ،
وَأَبْطَالًا لَا تُكْذَبُ ، قَالَ : فَأَخْبَرَنِي كَمْ أُدِيلُوا عَلَيْكُمْ فِي قَتْلِكُمْ كُلِّيًّا ؟ قَالَ : أَرْبَعِينَ
سَنَةً ، لَا نَنْتَصِفُ مِنْهُمْ فِي مَوْطِنٍ نَلْقَاهُمْ فِيهِ ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ التَّحَالِيقِ ، يَوْمَ الْحَرْثِ
ابْنُ عُبَادٍ بَعْدَ قِتْلَةِ ابْنِهِ بُجَيْرٍ ، وَكَانَ أَرْسَلَهُ فِي الصَّلَاحِ بَيْنَ الْقَوْمِ ، فَتَتَلَّهُ مُهْلَهْلٌ ،
وَقَالَ : بُؤْ بِشِئْنِ ^(٥) نَعْلِ كَلِيبٍ ، فَقَالَ الْغَلَامُ : إِنْ رَضِيتَ بِهَذَا بَنُو بَكْرٍ رَضِيتُ ،
فَبَلَغَ الْحَرْثَ ، فَقَالَ : نَعَمْ الْقَتِيلُ قَتِيلًا إِنْ أَصْلَحَ اللَّهُ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبٍ وَبَاءَ بِكَالِيبِ ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا قَالَ مُهْلَهْلٌ مَا قَالَ (الْكَلَامَةُ ^(٦)) ، فَتَشَمَّرَ الْحَرْثُ لِلْحَرْبِ ، وَأَمَرْنَا
بِحُلُقٍ رءُوسَنَا أَجْمَعِينَ ، وَهُوَ يَوْمُ التَّحَالِيقِ ، وَلَهُ خَبَرٌ طَوِيلٌ ، وَقَالَ :

قَرَّبَا مَرْبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَائِلٍ عَنِ حِيَالٍ ^(٧)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا - عِلِمَ اللَّأْسَةِ - وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي
قَرَّبَا مَرْبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي إِنْ يَبِيعَ الْكَرَامَ بِالشَّيْنِ غَالِي

فَأَدْرَيْنَا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ ، فَلَمْ نَزَلْ مِنْهُمْ مَمْتَنِعِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . قَالَ : فَمَنْ ذَهَبَ يَذْكُرُ

[١] الخَمِيسُ : الجَيْشُ . سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حَمْسُ فِرْقٍ : الْقَدَمَةُ ، وَالْقَلْبُ ، وَالْمِيمَةُ ، وَالْمِيسَرَةُ ، وَالْمَوْحَرَةُ .

[٢] الْبَيْضَةُ : حَوْزَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَسَاحَةُ الْقَوْمِ ، وَبَيْضَةُ الدَّارِ : وَسْطُهَا : [٣] كُنَايَةُ عَنِ الْكَرَمِ .

[٤] جَمْعُ سَمٍ مِثْلُ السَّيْنِ . [٥] الشَّيْنُ : سَبٌّ يَشْدُ بِهِ النَّاسُ .

[٦] هِيَ قَوْلُهُ (بُؤْ بِشِئْنِ نَعْلِ كَلِيبٍ) . [٧] النِّعَامَةُ : اسْمُ فَرَسٍ ، وَاقْتَحَتِ النَّاقَةُ ، قَبْلَ الْفَاحِ

وَحَالَتِ حِيَالًا لَمْ تَنْفَحْ سَنَةً ، أَوْ سَفْتَيْنِ ، أَوْ سَنَوَاتٍ .

ذلك اليوم ؟ قال : الحرث بن عباد ، أسرمه لهما في ذلك اليوم ، وقال له : دُلّني على مهلهل بن ربيعة ، قال : مالي إن دَلَلْتُكَ عليه ؟ قال : أُطْلِقْكَ ، قال : على الوفاء ؟ قال : نعم ، قال له : أنا مهلهل ، قال : وَيَحْك ! دُلّني على كفء كريم ، قال : امرؤ القيس ^(١) ، وأشار بيده إليه عن قُرب ، فأطلقه الحرث ، وانطلق إلى امرئ القيس فقتله ، وبكر كلها صَبَرَتْ وَأَبْلَتْ فحَسُنَ بِلَاؤُهَا ، إلا ما كَانَ من ابني لُجَيْم : حَدِيفَةُ وَنَجْل ، وَيَشْكُرُ بن بكر ، فإن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ جَدَّ طَرْفَةَ بن العبد ، هجَاهُ في ذلك اليوم ، فقال :

إِنَّ لُجَيْمًا عَجَزَتْ كُلُّهَا أَنْ يُرْفِدُونِي فَارِسًا وَاحِدًا ^(٢)

وَيَشْكُرُ الْعَامَ عَلَى خَتَرِهَا لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ لَهُمْ حَامِدًا ^(٣)

وقال فيهم أيضاً :

يَا بُؤْسَ لِلْعَرَبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطًا فَاسْتَرَا حُوا ^(٤)

إِنَّا وَإِخْوَتُنَا غَدًا كَشْمُودٍ حَجْرٍ يَوْمَ طَا حُوا ^(٥)

بِالْمَشْرِفِيَّةِ لَا تَقِرَّ وَلَا تُبَاحُ وَلَنْ تُبَاحُوا ^(٦)

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ ^(٧)

فقال معاوية : أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبةً بأخبار العرب .

(ديل الأمل ٢٦)

[١] هو امرؤ القيس بن أمان التغلبي . [٢] الإرقاد : الإغاة والإعطاء .

[٣] الحتر : المدر أو أقبه . [٤] أراهط جمع الجمع لرهط . [٥] الحجر : واد بين المدينة

والشام : مساكن قوم صالح . [٦] مشارف الشام : قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها

السيوف المشرفية ، وفي ذيل الأمل « ولا نباح ولن نباحوا » بالنون وقد أصلحته « ولن تباحوا » بالتاء

على الالتفات من التكلم إلى الخطاب ، أي ولن تباحوا يا قوم مادونا لكم حماة ، وقال مصحح الأمل :

« ولن نباحوا » كذا في الأصل ، ولعل هنا تحريماً ، ووجه الكلام « كن بياح » .

[٧] قولهم لا براح كنولهم لا ريب ، ويجوز رفعه فتكون لا بمنزلة ليس .

٣٥٢ - دغفل وجماعة من الانصار

ووقف جماعة من الأنصار على دَغْفَل بعد ما كَفَّ ، فسأموا عليه ، فقال :
مَنْ الْقَوْمُ ؟ قالوا : سَادَةُ الْيَمِين ، فقال : « أَمِنْ أَهْلِ مَجْدِهَا الْقَدِيم ، وشرفها
الْعَمِيم ، كِنْدَةَ ؟ » ، قالوا : لا ، قال : « فَأَنْتُمْ الطَّوَالِ قَصَبًا ، الْمُحَصَّنُونَ نَسَبًا ،
بنو عبد المَدَان ؟ » قالوا : لا ، قال : « فَأَنْتُمْ أَقْوَدُهَا لِلزُّخُوف ، وأخرقها
لِلصَّفُوف ، وأضرِبُهَا بِالسِّيُوف ، رَهْطُ عَمْرُوبِ بْنِ مَعْدِيكَرِب ؟ » قالوا : لا ،
قال : « فَأَنْتُمْ أَحْضَرُهَا قَرَاءً ^(١) ، وَأَطْيَبُهَا فَنَاءً ، وأشدّها لِقَاءً ، رَهْطُ حَاتِمِ بْنِ
عبد الله ؟ » قالوا : لا ، قال : « فَأَنْتُمْ الْغَارِسُونَ لِلنَّخْلِ ، وَالْمَطْعَمُونَ فِي الْمَحَلِّ ^(٢) ،
وَالْقَائِلُونَ بِالْعَدَل ، الأنصار ؟ » قالوا : نعم . (الأماي ٢ : ٢٨٧)

٣٥٣ - وفد أهل العراق على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خَبَرُونِي عَنْ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ
العرب ، فِيهِمْ أَشَدُّ النَّاسِ ، وَأَسَخَى النَّاسِ ، وَأَخْطَبُ النَّاسِ ، وَأَطْوَعُ النَّاسِ فِي
قُوَّةِهِ ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ ، وَأَحْضَرُهُمْ جَوَابًا .

قالوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَعْرِفُ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ فِي
قُرَيْشٍ ، قال : لا ، قالوا : فِي جَحْمِيرٍ وَلَوْ كُفَّهَا ، قال : لا ، قالوا : فِي مِزْرٍ ، قال :
لا ، قال مَصْقَلَةُ بْنُ رُقِيَّةَ الْعَبْدِيُّ : فَهِيَ إِذْنٌ فِي رِبِيعَةٍ ، وَنَحْنُ هُمْ ، قال : نعم ،
قال جُلَسَاؤُهُ : مَا نَعْرِفُ هَذَا فِي عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَّا أَنْ تَخْبِرَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قال : نعم .

[١] قرى الصيف كرمى قرى بالكسر ، والفصر : وقراء بالفتح والمد : أضافه .

[٢] المحل : الجذب والشدة .

أَمَّا أَشَدُّ النَّاسِ ، فَحَكِيمُ بْنُ جَبَلٍ ، كَانَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقُطِعَتْ سَاقُهُ ، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ الَّذِي قَطَعَهَا ، فَرَمَاهَا بِهَا فَجَدَّاهُ^(١) عَنْ دَابَّتِهِ ، ثُمَّ جَثَا إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ ، فَمَرَّ بِهِ النَّاسُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا حَكِيمُ ، مَنْ قَطَعَ سَاقَكَ ؟ قَالَ : وَسَادِي^(٢) هَذَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا سَاقُ لَا تُرَاعِي^(٣) إِنَّ مَعِيَ ذِرَاعِي أَتَّحِي بِهَا كُرَاعِي

وَأَمَّا أَسَخَى النَّاسِ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُورٍ ، اسْتَعْمَلَهُ مَعَاوِيَةُ عَلَى السُّنْدِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَكَانَتْ تَوْقَدُ مَعَهُ نَارَ حَيْثُمَا سَارَ ، فَيُطْعِمُ النَّاسَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَبْصَرَ نَارًا ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالُوا : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ، اعْتَلَّ^(٤) بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، فَاشْتَهَى خَبِيصًا^(٥) ، فَعَمِلْنَا لَهُ ، فَأَمَرَ خَبَّازَهُ أَلَّا يُطْعِمَ النَّاسَ إِلَّا الْخَبِيصَ ، حَتَّى صَاحُوا وَقَالُوا : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ . رُدُّنَا إِلَى الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ ، فَسُمِّيَ مُطْعِمُ الْخَبِيصِ .

وَأَمَّا أَطْوَعُ النَّاسِ فِي قَوْمِهِ ، فَالْجَارُودُ بْنُ بَشْرٍ بْنُ الْعَلَاءِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، خَطَبَ قَوْمَهُ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ مَاتَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ ، فَمَنْ ذَهَبَ لَهُ فِي هَذِهِ الرَّدَّةِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ أَوْ بَعِيرٌ أَوْ شَاةٌ ، فَلَهُ عَلَى مِثْلَاهُ »

فَمَا خَالَفَهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ .

وَأَمَّا أَحْضَرُ النَّاسِ جَوَابًا ، فَصَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ ، دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فِي وَفْدٍ

[١] جدَّاه : صرعه على الجدالة (كسـحابة) وهي الأرض . [٢] الوساد : المتكأ ، والنخدة

كالوسادة ويثث . [٣] لا تراعي : لا تفزعى ، والكراع : جماعة الحيل .

[٤] الخبيص : نقي الدقيق يخلط بالعسل ، والخبيصة : أخص منه ، وخبيص الخلواء كضرب ، وخبيصها :

بالتشديد خلطها وعملها .

أهل العراق ، فقال معاوية : مَرَحَبًا بكم يا أهل العراق ، قَدِمْتُمْ أَرْضَ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةَ ،
منها المَنْشَرُ ، وإليها المَحْشَرُ ، قَدِمْتُمْ عَلَى خَيْرِ أُمِيرٍ يَبْرُؤُكُمْ كَبِيرَكُمْ ، وَيَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ ،
ولو أن الناس كلَّهم ولد أبي سفيان لكانوا حُلَمَاءَ عَقْلَاءَ ، فَأُشَارَ النَّاسَ إِلَى
صَعَصَعَةِ قَتَامٍ :

فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أَمَا قَوْلُكَ يَا مُعَاوِيَةُ : إِنَّا قَدِمْنَا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، فَلَعُمْرِي ، مَا الْأَرْضُ
تَقْدَسَ النَّاسَ ، وَلَا يَقْدَسَ النَّاسَ إِلَّا أَعْمَالُهُمْ ، وَأَمَا قَوْلُكَ : مِنْهَا الْمَنْشَرُ ، وَإِلَيْهَا
الْمَحْشَرُ ، فَلَعُمْرِي ، مَا يَنْفَعُ قَرِيبُهَا ، وَلَا يَضُرُّ بُعْدُهَا مُؤْمِنًا ، وَأَمَا قَوْلُكَ : لَوْ أَنَّ
النَّاسَ كُلَّهُمْ وَلَدُ أَبِي سَفْيَانَ لكَانُوا حُلَمَاءَ عَقْلَاءَ ، فَقَدْ وَلَدَهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَفْيَانَ
آدَمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَهُمْ الْحَلِيمُ وَالسَّفِيهِ ، وَالْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ » .

وأما أحلم الناس ، فَإِنَّ وَلَدَ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِصَدَقَاتِهِمْ وَفِيهِمُ الْأَشْجُ^(١) ، ففَرَّقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَوَّلُ
عَطَاءٍ فَرَّقَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَشْجُ ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ فِيكَ
خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْأَنَاءَةُ وَالْحِلْمُ » وَكَفَى بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدًا ،
وَيُقَالُ : إِنَّ الْأَشْجَ لَمْ يَغْضَبْ قَطُّ^(٢) . (المقد الفريد ٢ : ٥٦)

٣٥٤ — وفود العرب ومعاوية

عن عمرو بن عُثْبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، قَالَ :
عَقُمْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ عَمِّي ! شَهِدْتُهُ يَوْمًا ، وَقَدْ قَدِمَتِ عَلَيْهِ وَفُودُ

[١] هو عبد الله بن عوف الأشج . [٢] هذا المقال يزيد على العنوان الذي عنوانته به ، وقد أردت

من ذلك استيفاء حديث عبد الملك .

العرب ، فتمضى حوائجهم ، وأحسنَ جوائزهم ، فلما دخلوا عليه ليشكروه ، سبقهم إلى الشكر ، فقال لهم :

« جزاكم الله يا معشرَ العرب عن قریش أفضلَ الجزاء ، بتقدّمكم إياهم في الحرب ، وتقديكم لهم في السلم ، وحَقْنِكُم دماءَهُم بِسَفْكِهَا مِنْكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يُؤْثِرُ عَلَيْكُمْ غَيْرَكُمْ مِنْهُمْ حَازِمٌ كَرِيمٌ ، وَلَا يَرِغِبُ عَنْكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا عَاجِزٌ لَثِيمٌ ، شَجَرَةٌ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ ، فَتَفَرَّعَ أَعْلَاهَا ، وَاجْتَمَعَ أَصْلُهَا ، عَضَدَ اللَّهُ مَنْ عَضَدَهَا ، فَيَا لَهَا كَلِمَةً لَوْ اجْتَمَعَتْ ! وَأَيَّدِ لَوْ ائْتَلَفَتْ ! وَلَكِنْ كَيْفَ بِإِصْلَاحِ مَا يَرِيدُ اللَّهُ إِفْسَادَهُ ؟ » .
(العقد الفريد ٢ : ٤١)

٣٥٥ — وفود عبد العزيز بن زُرارة على معاوية

وفد عبد العزيز ^(١) بن زُرارة على معاوية ، وهو سيد أهل الكوفة ، فلما أذن له وقف بين يديه ، وقال :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لَمْ أَزَلْ أَهْزُ ذَوَائِبَ ^(٢) الرِّحَالِ إِلَيْكَ ، إِذْ لَمْ أَجِدْ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ ، أَمْتَطِي اللَّيْلَ بَعْدَ النَّهَارِ ، وَأَسِمِ ^(٣) الْمَجَاهِلَ بِالْآثَارِ ، يَقُودُنِي إِلَيْكَ أَمَلٌ ، وَتَسُوقُنِي بَلَوَى ، وَالْمُجْتَهِدُ يُعَذِّرُ ، وَإِذْ بَلَغْتُكَ فَقَطَّنِي ^(٤) » ، فقال معاوية : أَحْطُطْ عَنْ رَاحِلَتِكَ رَحَلَهَا .

وروى الجاحظ هذا القول بصورة أخرى ، فقال :

« وَلَمَّا وَصَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ زُرَّارَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ

[١] في صبح الأعشى « عبد المزى » وفي الامالى : « قل رجل لعبد الملك بن مروان . . . الخ » .

[٢] جمع ذؤابة : وهي الجلدة المعلقة على آخرة الرجل ، وفي صبح الأعشى « ذؤائب الرجاء » .

[٣] وسمه بسمة : علمه بعلامة . [٤] خشي .

أزل أَسْتَدِلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطي النهار إليك ، فإذا أُلوى ^(١) بي الليل ،
فَقَبَضَ البصرَ ، وعَنَى الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أُملى ، والنفس تُلوم ، والاجتهاد
يَعْذِرُ ، وإذ بلغتكَ فَقَطَّنِي .

وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصَّائفة ^(٢) ، فهلك
هناك ، فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك ، فقال معاوية لزرارة : أتاني اليوم نَعْيُ
سيد شباب العرب ، قال زرارة : يا أمير المؤمنين هو ابني أو ابنك ؟ قال : بل
ابنك ، قال : للموت ما تَلِدُ الوالدة .

(المقد الفريد ١ : ١١٨ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٧ ، والبيان والنبين ٢ : ٣٧ ، والأُملى ١ : ٢٠١)

٣٥٦ — وفود زيد بن مُنِيَّة على معاوية

قدم زيد بن مُنِيَّة على معاوية من البصرة ، (وهو أخو يَعْلَى بن منية ^(٣)
صاحب جمل عائشة ، ومتولّى تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة ، وكان عتبة بن
أبي سفيان قد تزوج ابنة يعلى بن مُنِيَّة) ، فاما دخل على معاوية شكاً إليه ديناً
لزمه ، فقال : يا كعبُ ، أَعْطِهِ ثلاثين ألفاً ، فاما وَلَّى قال : وليوم الجمل ثلاثين
ألفاً أخرى ، ثم قال له : الْحَقَّ بِصِهْرِكَ ، (يعني عتبة ، وكان يومئذ عامل مصر)
فَقَدِمَ عليه مصر ، فقال :

« إني سرت إليك شهرين أخوضُ فيهما المتآلفَ ، ألبَسَ أُرْدِيَةَ الليل مرةً ،

[١] المراد جن على ، وأحدثت بي ظلمته ، يقال : أُلوى به : ذهب به ، وألوت به العقاء : طارت
به ، وألوى بما في الإياء : استأثر به .

[٢] الصائفة : غزوة الروم ، لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج .

[٣] في صبح الأعشى والعقد « منه » بالباء وهو تصحيف والصواب « منية » وهو اسم أمه ، واسم
أبيه أمية ، والتصحيح من تاريخ الكامل لابن الأثير . وكان يعلى عاملاً لعثمان رضى الله عنه على اليمن ، فلما
ولى على رضى الله عنه الخلافة عزله ، وولى على اليمن عبيد الله بن عباس ، فانصرف يعلى إلى مكة ومعه
مال كثير ، وانضم إلى السيدة عائشة رضى الله عنها في قتال على في واحة الجمل .

وَأَخُوْضُ فِي لُجَجِ السَّرَابِ ^(١) أُخْرَى ، مُوقَرًّا ^(٢) مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ ، وَهَارِبًا مِنْ دَهْرِ فَطَمٍ ^(٣) ، وَدَيْنِ لَزِمٍ ^(٤) ، بَعْدَ غِنَى جَدَّ عُنَا بِهِ أَنْوَفَ الْحَاسِدِينَ ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا إِلَيْكَ مَهْرَبًا ، وَعَلَيْكَ مَعْوَلًا ، فَقَالَ عَتَبَةٌ : « مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا ، إِنْ الدَّهْرَ أَطَارَكُمْ غِنَى ، وَخَلَطَكُمْ بِنَا ، ثُمَّ اسْتَرَدَّ مَا أَمَكْنَهُ أَخْذُهُ ، وَقَدْ أَتَى لَكُمْ مِنْهَا مَا لَا ضَيْقَةَ ^(٥) مَعَهُ ، وَأَنَا وَاضِعٌ يَدِي وَيَدَكَ بِيَدِكَ اللَّهُ » ، فَأَعْطَاهُ سَتِينَ أَلْفَا كَمَا أَعْطَاهُ مَعَاوِيَةَ . (العقد الفريد ١ : ١١٨ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٥٧)

٣٥٧ — وفود ضرار بن حمزة الصَّدَائِيَّ عَلَى مَعَاوِيَةَ

دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ حَمَزَةَ الصَّدَائِيَّ ^(١) (وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ) عَلَى مَعَاوِيَةَ وَافِدًا ، فَقَالَ لَهُ : يَا ضِرَارُ ، صِفْ لِي عَلِيًّا ، قَالَ : أَعْفَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَتَصِفَنَّهُ ، قَالَ : « أَمَّا إِذَا لَا بُدَّ مِنْ وَصْفِهِ ، فَكَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى ^(٢) ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَضْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا خَشُنَ ، كَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيُنَبِّئُنَا إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ ، وَنَحْنُ مَعَ تَقْرِيْبِهِ إِيَّانَا ، وَقُرْبِهِ مِنَّا ، لَا نَكَادُ نَكَلْمَهُ لَهَيْبَتِهِ ، وَلَا نَبْتَدِّئُهُ لِعِظَمَتِهِ ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ،

[١] السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

[٢] محلا . من الوقر بالكسر وهو الحمل الثقيل أو أعم ، وأوقر الدابة إيقاراً .

[٣] يروى بالفاء والفاء ، فطمه وقطمه : قطعه ، وصبط في صبح الأعشى بالفاء ، وبالطاء المكسورة

وصف من قطم كفرح : اشهى اللحم أو غيره . [٤] وفي صبح الأعشى : « ودَيْنُ لَزِمٍ » وأزم

كضرب وفرح : عض بالقم كله شديداً . [٥] الضيقة : الفقر وسوء الحال ، ويفتح .

[٦] صداء كفراب : حى بالين . [٧] الغاية .

لا يطمع القَوِيُّ في باطله ، ولا يَيْئَسُ الضَّعِيفُ من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سُدُوْلَهُ ^(١) ، وغارت نجومُه ، وقد مثَّل في مخْرابه قابضاً على لحيته ، يتملَّمل تَمَلُّمَ السَّليْمِ ^(٢) ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يادنيا غُرِّى غِرى ، ألى تَعَرَّضْتِ ، أم إلى تَشَوَّقْتِ ؟ هيهات هيهات ! قد باينتكَ ثلاثاً لا رَجْعَةَ فيها ، فَعُمُرِكَ قصير ، وَخَطَرُكَ ^(٣) حَقِير ، آه من قلة الزَّاد ، وَبُعْدُ السفر ، وَوَحْشَةُ الطريق ! « فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كَانَ كَذَلِكَ ، فكيف حزنُكَ عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذُبِحَ وَاحِدُهَا في حجرها . (الأمل : ٢ : ١٤٩ ، وسراج الذهب : ٢ : ٤٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٢٧٦ ، وزهر الآداب : ١ : ٤٧)

الوافدات على معاوية

٣٥٨ — وفود سودة بنت عمار على معاوية

وَفَدَتْ سَوْدَةُ ابْنَةُ عِمَارَةَ بْنِ الْأَشْثَرِ الْهَمْدَانِيَّةِ ، عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَاسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَأَلَتْ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتَ الْأَشْثَرِ ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ لَهَا : أَنْتِ الْقَائِلَةُ لِأَخِيكَ يَوْمَ صَفِين ؟ :

شَمَّرَ كَفِيعُ أَبِيكَ يَا بِنْتَ عِمَارَةَ يَوْمَ الطَّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ
وَأَنْصُرَ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ وَأَقْصِدْ لِهِنْدٍ وَابْنِهَا بِهِوَانِ
إِنَّ الْإِمَامَ أَخُو النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلِمَ الْهَدَى وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ

[١] السدول جمع سدل بالضم والكسر : وهو السر . [٢] السليم : اللدوغ ، وسمى بذلك تفاؤلاً له بالسلامة ، كما تسمى البيداء مفارة : تفاؤلاً بالفوز . [٣] الخطر : القدر .

فَقَدِ الْجِيُوشَ وَسِرَّ أَمَامَ لَوَائِهِ قُدُّمَا بِأَبْيَضَ صَارِمٍ وَسِنَانٍ ^(١)

قالت : إى والله ، ما مثلى مَنْ رَغِبَ عن الحق ، أو اعتذر بالكذب ، قال لها : فما حَمَلَكَ على ذلك ؟ قالت : حُبُّ عَلَى عليه السلام ، واتباع الحق ، قال : فوالله ما أرى عليكِ من أثرٍ عَلَى شيئاً ، قالت : أُنْشِدُكَ الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى ، وتذكراً ما قد نُسِيَ ، قال : هيهات ! ما مثْلُ مَقَامِ أَخِيكَ يُنْسَى ، وما لقيتُ من أحدٍ ما لقيتُ من قومك وأخيك ، قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كَانَ أَخِي خَفِيَ المَقَامَ ، ذليلَ المَكَانِ ، ولكن كما قالت الخنساء :

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ^(٢)

قال : صدقتِ ، لقد كَانَ كذلك ، فقالت : مات الرأسُ ومُتِرَ الذَّنْبُ ، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما اسْتَعْفَيْتُ منه ، قال : قد فعلتُ ، فقولى حاجتك ، قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أصبحت للناس سَيِّداً ، ولأُمُورهم مُتَقَادماً ، والله سَأَلْتُكَ عن أَمْرِنَا ، وما افترض عليك من حَقِّنا ، ولا تَرَالِ تُقَدِّمُ عَلَيْنَا مَنْ يَنْهَضُ بِعِزِّكَ ، وَيَدَسُّطُ سَاطِطَانِكَ ، فيَحْصِدُنَا حِصَادَ السُّذُبُلِ ، ويدوسنا دِيَامَ ^(٣) البقر ، وَيَسُومُنَا ^(٤) الْحَسِيدَةَ ، وَيَسْلُبُنَا الْجَلِيلَةَ ، هذا ابن أُرطاة ^(٥) قَدِمَ بِلَادِي ، وقتل

[١] القدم : الشجاع ، وى بلاغات النساء : « فقه الحنوف وسر أَمَامَ لَوَائِهِ » .

[٢] العلم : الجبل . [٣] الدوس والدياس والدياسة : الوطء بالرجل . [٤] يكفنا .

[٥] هو بسر بن أُرطاة ، وقيل ابن أبى أُرطاة ، وكان معاوية فى أيام عَلَى سيره إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة عَلَى ويأخذ البيعة له ، فسار إلى المدينة ، ففعل بها أفعالا شنيعة ، وسار إلى اليمن ، وكان عليها عبيد الله ابن العباس من قبل عَلَى ، فهرب عبيد الله فزَلَّهَا بسر وذبح عبد الرحمن ، وقُتِلَ ابْنُ عبيد الله وهما صعيبران بين يدي أمهما عائشة بنت عبد المَدَانِ ، فأصابها من ذلك حزن عظيم ، فأنشأت تقول :

يا من أحس بني اللذين هما كالدريتين تشظى عنهما الصدق

يا من أحس بني اللذين هما سمى وقلبي ، فقلبي اليرم مختطف

يا من أحس بني اللذين هما منح العظام ، فحنى اليوم مزدھف

رجالى، وأخذ مالى، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة، فإمّا عزلته عنا فشكرناك، وإمّا لا، فعرفناك، فقال معاوية: إيتاي تهديدين بقومك؟ والله لقد هممت أن احملك على قتب^(١) أشرس فأردك إليه، يُنفذُ فيك حكمه، فأطرقت تبكى، ثم أنشأت تقول:

صَلَّى الْإِلَٰهُ عَلَى رُوحٍ تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا
قَدْ خَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْغِي بِهِ ثَمَنًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال: ومن ذلك؟ قالت: على بن أبي طالب، رحمه الله تعالى، قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت: أتيتهُ يوما في رجل ولأه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغت^(٢) والسّمين، فوجدته قائما يُصلي، فانقتل من الصلاة، ثم قال برأفةٍ وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم إنك أنت الشاهد علىّ وعليهم، إني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيها:

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قَدْ جَاءَ ثَكْمُ يَدْنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ،^(٣) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْمُوا^(٤) فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ، إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاحْفَظْ بِمَا فِي يَدِكَ مِنْ عَمَلِنَا، حَتَّى يَأْتِيَ مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ وَالسَّلَامُ. »

فأخذته منه والله ما خزّمه بخزام، ولا ختمه بختام^(٥) فقرأته، فقال معاوية:

[١] القتب: الإيكاف الصغير على قدر سنام البير، والمراد به هما البعير لوصفه بالأشرس ففيه مجاز أو الأشرس: الحشن الغليظ. [٢] الغت: المهزول. [٣] القسط: العدل. [٤] دثا يعثو عثوا: أفسد. [٥] الخزام جمع خزيمة بالكسر، وهي في الأصل: حلقة تجمل في أحد جانبي منخري البعير، وخزيمة الرمل: سبير رقيق يجرم بين الشراكين، الختام: الطين يحتم به على الشيء، (والخاتم: ما بوضع على الطية).

اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها ، فقالت : ألي خاصة ، أم لقوى عامة ؟ قال : وما أنتِ وغيركِ ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاء واللوم ، إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا يسعني ما يسع قومي ، قال : هيهات ! لمظكم^(١) ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تُفطمون ، وغرركم قوله :

فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ لقلتُ لهمدانِ ادخلوا بسلامٍ
وقوله : ناديتُ همدانَ والأبوابُ مُغلقةٌ ومثلُ همدانِ سني فتحة الباب^(٢)
كالهندواني لم تُقللْ مضاربهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجاب^(٣)
اكتبوا لها ولقومها . (المقد الفريد ١ : ١٢٩ ، وبلاغات النساء ص ٣٥)

٣٥٩ — وفود أم سنان بنت خيشمة على معاوية

حبس مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة ، في خلافة معاوية ، غلاماً من بني ليث في جناية جناها ، فأنته جدّة الغلام ، وهي أم سنان بنت خيشمة^(٤) المذحجية ، فكأتمته في الغلام فأغاظ لها مروان ، فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت فعرفها ، فقال لها : مرحباً بك يا بنت خيشمة ، ما أقدمكِ أرضنا ، وقد عهدتْكِ تشتميننا^(٥) ، وتخصين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأعلاماً ظاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا

[١] التلظ : الذوق ، وأن يحرك الانسان لسانه في فمه بعد الأكل ، يتبع به بقية من الطعام بين أسنانه ، ويخرجه فيمسح به شفتيه ، واسم ما بقي في الفم اللماظة بالضم ، ويقال : لمط فلانا (بالتشديد) لماظة : أي شيئاً يتلظّه ، ولمطه من حقه شيئاً : أعطاه (والمامة تبدل الظاء ضادا) .

[٢] سناء تسنية : سهله وفتح . [٣] سيف هندواني بكسر الهاء ، ويجوز ضمها لإتباطا للدال منسوب إلى الهند ، ووجاب من وجب القلب وجيباً إذا خفق .

[٤] في صبح الأعشى « جشمية » ، وهو تحريف ، وتحريره : ما ذكرنا .

[٥] وفي بلاغات النساء : « تشتمين قربي » أي تبغضين .

يَسْفَهُونَ بعدِ حِلْمٍ ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتِّباع ما سَنَّ آبَاؤُهُ
لَأَنْتَ ، قال : صدقت ، نحن كذلك ، فكيف قولك ؟

عَزَبَ الرُّقَادُ ، فَفَقَلْتِي لَا تَرَقُدُ وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ^(١)

بِآلِ مَذْحِجٍ ، لَا مُقَامَ ، فَشَمَّرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لِيَآلٍ أَحْمَدَ يَقْصِدُ

هَذَا عَلَى كَالْهَلَالِ تَحْفُهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ^(٢)

خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنَّ يَهْدِيكُمْ بِالْأَنْوَارِ مِنْهُ تَهْتَدُوا

مَا زَالَ مُذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مُظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده ، فقال
رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ؟ وهى القائلة :

إِذَا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تزلْ بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيَا مَهْدِيَا

فَاذْهَبْ ، عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةٌ قُمْرِيَا^(٣)

قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا كَمَا أَوْصَى إِلَيْكَ بَنَا ، فَكُنْتَ وَفِيَا

وَالْيَوْمَ لَا خَافَ يُؤَمِّلُ بَعْدَهُ هِيَهَاتَ نَأْمُلُ بَعْدَهُ إِنْ سِيَا

قالت : يا أمير المؤمنين لسانُ نطقٍ ، وقول صدق ، ولئن تحقَّقَ فيك ما ظنَّناهُ ،
لَحَظْتُكَ الْأَوْفَرَ ، وَاللَّهِ مَا أَوْثَرَكَ الشَّيْئَانُ^(٤) فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَوْلًا ،
فَأَدْحِضْ مَقَالَتَهُمْ ، وَأَبْعِدْ مَنَزِلَتَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ تَرَدَّدَ مِنَ اللَّهِ قُرْبًا ،
وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ حُبًّا ، قال : وإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذَلِكَ ؟ قالت : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ

[١] عزب : بعد .

[٢] سعود النجوم عشرة : سعد بلع (بضم ففتح) وسعد الأخبية ، وسعد الذابح ، وسعد السعود ،
وهذه الأربعة من منازل القمر ، وسعد ناشرة ، وسعد الملك ، وسعد البهام ككتاب ، وسعد الهما ،
كشجاع ، وسعد البارح ، وسعد مطر ، وهذه الستة ليست من المنازل .

[٣] ضرب من الحمام والجمع قاري . [٤] البغض .

مَامِثْلَكَ مَنْ مُدِّحٌ بِبَاطِلٍ ، وَلَا اعْتُذِرُ إِلَيْهِ بِكَذِبٍ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا ، وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا ، كَانَ وَاللَّهُ عَلَى أَحَبِّ إِلَيْنَا مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِكَ .
 قَالَ : يَمُنُّ ؟ قَالَتْ : مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ . قَالَ : وَبِمَ اسْتَحَقَّقْتَ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ بِسَعَةِ حِلْمِكَ ، وَكَرِيمِ عَفْوِكَ ، قَالَ : وَإِنِّهِنَّمَا يَطْمَعَانِ فِي ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : هُمَا وَاللَّهُ لَكَ مِنَ الرَّأْيِ عَلَى مِثْلِ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ لِعِثْمَانَ ابْنِ عِفَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) . قَالَ : وَاللَّهُ لَقَدْ قَارَبْتَ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ مَرَّوَانَ تَبَنَّاكَ ^(٢) بِالْمَدِينَةِ تَبَنَّاكَ مِنْ لَا يَرِيدُ مِنْهَا الْبَرَّاحَ ، لَا يَحْكُمُ بَعْدَكَ ، وَلَا يَقْضِي بِسُنَّةٍ ، يَتَّبِعُ غَثَرَاتِ الْمَسَاهِينِ ، وَيَكْشِفُ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَبَسَ ابْنُ ابْنِي ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَأَلْقَمْتُهُ أَخْشَنَ مِنَ الْحَجَرِ ، وَأَلْعَقْتُهُ أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي بِاللَّامَةِ ، وَقُلْتُ : لَمْ لَا أَصْرِفُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالْعَفْوِ مِنْهُ ، فَأَتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَتَكُونَ فِي أَمْرِي نَظَرًا ، وَعَلَيْهِ مُعَدِّيًا ^(٣) ، قَالَ : صَدَقْتَ ، لَا أَسْأَلُكَ عَنْ ذَنْبِهِ وَلَا عَنِ الْقِيَامِ بِحُجَّتِهِ ، اكْتُبُوا لَهَا بِإِطْلَاقِهِ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْتَى لِي بِالرَّجْعَةِ ، وَقَدْ نَفِدَ زَادِي ، وَكُلْتُ رَاحَتِي ؟ فَأَمْرُ لَهَا بِرَاحِلَةِ مَوْطَأَةٍ ، وَخَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .

(العقد الفريد ١ : ١٣١ ، وصحح الأعرشي ١ : ٢٥٧ ، وبلاغات النساء ص ٦٧)

٣٦٠ - وفود بكاره الهلالية على معاوية

اسْتَأذَنْتِ بَكَّارَةَ الْهَلَالِيَةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَأُذِنَ لَهَا وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً قَدْ أَسْنَتْ ، وَعَشِي ^(٤) بَصْرَهَا ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا ، تَرَعَشَ بَيْنَ خَادِمِينَ لَهَا ، فَسَامَتْ وَجَلَسَتْ فَرَدَ عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ السَّلَامَ ،

[١] تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان . [٢] تبناك به : أقام .

[٣] أعداء عليه : نصره ، وأعاناه ، وقواه . [٤] ضعف .

وقال : كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال غَيْرِكَ الدهرُ ،
قالت : كذلك هو ذو غَيْرٍ^(١) ، من عاش كبير ، ومن مات قُبِرَ ، قال عمرو بن
العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيدُ دونك فاحتر من دارنا سيفاً حُساماً في التراب دفينا
قد كنتُ أذخرُهُ ليوم كَريهةٍ فاليوم أبرَزَه الزمان مَصُونَا

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابنَ هَندٍ للخِلافة مالكا ! هيهات ، ذاك - وإن أراد - بَعِيدُ
مَتَيْتُكَ نَفْسَكَ في الخِلاءِ ضَلَالَةً أغراك عمرو للشَّقَا وسَعِيدُ

قال سعيد بن العاص هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أُمِّيَّةَ خاطبا
فَاللَّهُ أَخَّرَ مُدَّتِي فَتَطَاوَلت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كلِّ يوم للزمانِ خَطِيبُهُم بين الجميع لآلِ أَحْمَدَ عابِبا

ثم سكّ القوم ، فقالت بكارة : نبحتي كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني^(٢) ،
فقصُرَ مَحْجَنِي ، وكثُرَ عَجْجِي ، وَعَشَى بَصَرِي ، وَأَنَا وَاللَّهِ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، لا أدفعُ
ذلك بتكذيب ، وما خَفِيَ عليك مني أكثر ، فامضِ لشأنك ، فلا خيرَ في
العيش بعد أمير المؤمنين ، فضحك معاوية وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك ،
اذكري حاجتك ، قالت : أما الآن فلا .

وقيل : إنه قد قضى حوائجها وردّها إلى بلدها .

(العقد الفريد ١ : ١٣٠ ، وبلاغات النساء ص ٣٩)

[١] ذو أحداث . [٢] تناوبتي وتداولني ، والمحجن : المعصاة المعطوفة الرأس .

٣٦١ - وفود أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبير ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمّة ، فكيف كنت بعدنا ؟ فقالت : « يابن أخى ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصّحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فأتعسّ الله منكم الجُدود ^(١) ، وأضرع ^(٢) منكم الخُدود ، وردّ الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فولّيتم علينا من بعده - وتحتجّون بقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر - فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون ، وكان على بن أبي طالب رحمة الله بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بمنزلة هرون من موسى ^(٣) ، فغايتنا الجنة ، وغايتكم النار » .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، وأقصري من قولك ، وغضّي من طرفك ، قالت : ومن أنت ، لا أمّ لك ؟ قال : عمرو بن العاص ، قالت : يابن الأخناء ^(٤) النابغة تتكلم ، وأملك كانت أشهر امرأة تغنى

[١] جمع حد وهو الخط . [٢] أدلّ ، وفي بلاغات النساء « وأصغر » .

[٣] ورواية بلاغات النساء : « فكما أهل البيت أعظم الناس في الدين خطا ، وانصبا وقدرا ، حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، مغمورا ذنبه ، مردوعا درجته ، شريفا عند الله مرضيا ، فصرنا أهل البيت مكّهم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون ، يدبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى حيث يقول : « يابن أمّ إنّ القوم استضعفوني ،

وكادوا يقتلُوني » ولم يجمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شمل ، ولم يسهل لنا وعمر .

[٤] رجل الخن وأمة الخناء : لم يحننا ، ولحن السقاء ، وغيره كفرح : أنتن ، والجوزة فسدت ، ومن

بمكة ، وآخذهن لأجرة ! اربّع على ظلمك ، واعنّ بشأن نفسك ، فوالله ماأنت
من قريش في اللّباب من حسّبها ، ولا كريم منّصّبها ، ولقد ادعاك خمسة ^(١)
نفر من قريش ، كلهم يزعم أنه أبوك ، فسئلت أمك عنهم ، فقالت : كلهم أتاني ،
فانظروا أشبههم به ، فألحقوه به ، فغلّب عليك شبّه العاص بن وائل ، فلحقّت به ،
ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبّدها ^(٢) ، فأتمّ بهم ، فإنك بهم أشبه .
فقال مروان : كفى أيتها العجوز ، وأقصرى لما جئت له ، ساخ ! بصرك مع
ذهاب عقلك ، فلا تجوز شهدادتك ، فقالت : وأنت أيضاً يا بن الزرقاء تتكلم ؟
فوالله لاأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم ، وإنك لشبّهه
في زُرقة عينيك ، ومُحرّة شعرك ، مع قصر قامته ، وظاهر دَمَامته ^(٣) ، ولقد
رأيت الحكم ماذ ^(٤) القامة ، ظاهر الإمة ^(٥) ، سبط ^(٦) الشعر ، وما بينكما
قراية إلا كقراية الفرس الضامر من الأتان المُقرب ^(٧) ، فامدأل أمك تخبرك
بشأن أهلك إن صدقت ، ثم التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ما جرأ على
هؤلاء غيرك ، وإن أمك للاقالة يوم أُحد في قتل حمزة رحمة الله عليه :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سَعُر ^(٨)
ما كان عن عتبة لي من صبر أبي وعمي وأخي وصهرى ^(٩)

شتم العرب « يا بن اللخناء » كأنهم يقولون يا دنيء الأصل ، أو يالكيم الأم ، والذابغة أم عمرو ، وقد تقدمت
— انظر ص ١٩ . [١] وفي بلاغات النساء « ستة » . [٢] فاجر .
[٣] الدمامة : الفحيح . [٤] ممتدا . [٥] الإمة بالكسر ويفهم : الشأن والنعمة والهيئة .
[٦] طويله . [٧] الأتان : الحمار ، والمقرب التي قرب ولادها (فيكون بطنها كبيرا) .
[٨] السعر بالفتح مصدر سمر الحرب أي أوقدها ، وبالفهم : الجنون . [٩] قتلوا أربعتهم يوم
بدر : أبوها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس — قيل اشترك في قتله عليّ ، وحمزة ، وعبيدة بن الحارث بن
عبد المطلب — وعمها شبة بن ربيعة — قتله حمزة — وأخوها الويلد بن عتبة — قتله عليّ — وابن زوجها
حنظلة بن أبي سفيان — وليست هند أمه ، قيل اشترك في قتله حمزة ، وعليّ ، وزيد بن حارثة — .

شَفَيْتَ (وَحْشِيٌّ) غَلِيلَ صَدْرِي شَفَيْتَ نَفْسِي وَقَضَيْتَ نَذْرِي ^(١)
فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عَلَى دَهْرِي حَتَّى تَرِمَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي ^(٢)

فَأَجَبْتُهَا :

يَا بِنْتَ جَبَّارٍ عَظِيمِ الْكَفْرِ خَزَيْتِ فِي بَدْرِ وَغَيْرِ بَدْرِ
صَبَّحَكَ اللَّهُ قُبَيْلَ الْفَجْرِ بِالْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالِ الزُّهْرِ ^(٣)
بِكُلِّ قِطَاعٍ حُسَامٍ يَقْرِي حِمْزَةَ لَبْنِي ، وَعَلَى صَقْرِي

فقال معاوية لروان وعمر : ويلكما ! أنتما عَرَضْتُمَانِي لَهَا ، وَأَسْمَعْتُمَانِي مَا أَكْرَهُ ،
ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا عَمَّةُ اقْصِدِي قَصْدَ حَاجَتِكَ ، وَدَعِي عَنْكَ أَسَاطِيرَ النِّسَاءِ ، قَالَتْ :
تَأْمُرُنِي بِأَلْفِي دِينَارٍ ، وَأَلْفِي دِينَارٍ ، وَأَلْفِي دِينَارٍ ، قَالَ : مَا تَصْنَعِينَ يَا عَمَّةُ بِأَلْفِي
دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : أَشْتَرِي بِهَا عَيْنًا خَرْخَارَةً ^(٤) فِي أَرْضٍ خَوَّارَةٍ ^(٥) ، تَكُونُ لَوْلَدِ
الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قَالَ : نَعَمْ الْمَوْضِعُ وَضَعْتُهَا ، فَمَا تَصْنَعِينَ بِأَلْفِي دِينَارٍ ؟
قَالَتْ : أَزَوِّجُ بِهَا فَتَيَانًا عَبْدَ الْمَطْلَبِ مِنْ أَكْفَأِهِمْ ، قَالَ : نَعَمْ الْمَوْضِعُ وَضَعْتُهَا ،
فَمَا تَصْنَعِينَ بِأَلْفِي دِينَارٍ ؟ قَالَتْ : أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى غُسْرِ الْمَدِينَةِ ، وَزِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ
الْحَرَامِ ، قَالَ : نَعَمْ الْمَوْضِعُ وَضَعْتُهَا ، هِيَ لَكَ نَعْمٌ وَكَرَامَةٌ ^(٦) ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ
لَوْ كَانَ عَلَيَّ مَا أَمَرَ لَكَ بِهَا ، قَالَتْ : صَدَقْتَ ، إِنْ عَلِيًّا أَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَعَمِلَ بِأَمْرِ
اللَّهِ ، وَأَخَذَ بِهِ ، وَأَنْتَ ضَيَعْتَ أَمَانَتَكَ ، وَخُنْتَ اللَّهَ فِي مَالِهِ ، فَأَعْطَيْتَ مَالَ اللَّهِ
مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْحَقُوقَ لِأَهْلِهَا وَيَدَّهَا ، فَلَمْ تَأْخُذْ بِهَا ،

[١] وَحْشِيٌّ غُلَامٌ حَبِيرٌ بْنُ مَطْعَمٍ قَاتَلَ حِمْزَةَ يَوْمَ أُحُدٍ . [٢] رَمَى الْعَظَمُ كَضْرَبَ وَأَرَمَ : بَنِي فَهْرٍ رَمِيمٍ

[٣] الزُّهْرُ : الْحَسَنُ الْبَيْضُ الْوَجُوه . [٤] الْمَرْحَارُ : الْمَاءُ الْجَارِي ، أَيْ دِينَ مَاءٍ جَارِيَةٍ .

[٥] الْمُرَادُ أَرْضٌ سَهْلَةٌ تَصْلُحُ لِلزَّرَاعَةِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : خَوَّارَ الْعَنَانِ ، أَيْ سَهْلَ الْمُعْطَفِ ، كَثِيرِ الْجَرَى .

[٦] يُقَالُ : نَعِمَ عَيْنٌ وَنَعِمَةٌ وَنَعَامٌ وَنَعِيمٌ بَفَتْحِهِمْ ، وَنَعِمَى وَنَعَامَى وَنَعَامٌ وَنَعِمٌ وَنَعِمَةٌ بِضَمِّهِمْ ، وَنَعْمَةٌ وَنَعَامٌ بِكَسْرِهَا : أَيْ أَعْمَلُ ذَلِكَ لِإِنْعَامِ لَبْنِكَ وَلِإِكْرَامِهِ .

ودعانا (أى على) إلى أخذ حقنا ، الذى فَرَضَ الله لنا ، فَشْغِلْ بِحَرْبِكَ عَنْ وَضْعِ
الْأُمُورِ مَوَاضِعَهَا ، وَمَا سَأَلْتُكَ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا فَتَمَنَّ بِهِ ، إِنَّمَا سَأَلْتُكَ مِنْ حَقِّنا ،
وَلَا نَرَى أَخْذَ شَيْءٍ غَيْرِ حَقِّنا ، أَتَذْكَرُ عَلِيًّا ؟ فَضَّ اللَّهُ فَالِكَ ^(١) ، وَأَجْهَدُ بِلَاءَكَ ،
ثُمَّ عَلَا بِكَأُوهَا وَجَعَلَتْ تَنْدُبُ عَلِيًّا ، فَأَمَرَ لَهَا بِسِتَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَقَالَ لَهَا :
يَا عَمَّةُ ، أَنْفَقِ هَذِهِ فِيمَا تَحِبِّينَ ، فَإِذَا احْتَجَجْتَ فَاكْتُبِي إِلَى ابْنِ أَخِيكَ يُحْسِنُ
صَفَدَكَ ^(٢) وَمَعُونَتَكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (المقدّم القريد ١ : ١٣٤ ، بلاغات النساء ص ٣٢)

٣٦٢ — أم البراء بنت صفوان ومعاوية

استأذنت أم البراء بنت صفوان على معاوية فأذن لها ، فدخلت عليه وعليها
ثلاثة دروع ^(٣) (بُرُودٍ) تَسَحَّبُهَا ذِرَاعًا ، قَدْ لَاثَتْ ^(٤) عَلَى رَأْسِهَا كَوْرًا
كَالْمَنْسَفِ ، فَسَأَمْتُ وَجَلَسْتُ ، فَقَالَ لَهَا معاوية : كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتَ صَفْوَانَ ؟
قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : ضَعُفْتُ بَعْدَ جَلْدٍ ،
وَكَسَلْتُ بَعْدَ نَشَاطٍ ، قَالَ : شَتَّانَ بَيْنَكَ الْيَوْمَ وَحِينَ تَقُولِينَ :

يَا زَيْدُ دُونَكَ صَارِمًا ذَا رَوْحٍ	عَضْبَ الْمَهْزَةِ لَيْسَ بِالْخَوَارِ ^(٥)
أَسْرَجَ جَوَادِكَ مُسْرِعًا وَمُسَمَّرًا	لِلْحَرْبِ غَيْرَ مُعَرَّدٍ لِفِرَارٍ ^(٦)
أَجِبِ الْإِمَامَ وَذُبْ تَحْتَ لَوَاهُ	وَالْقَ الْعَدُوَّ بِصَارِمٍ بَتَّارٍ
يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ لَسْتُ قَعِيدَةً	فَأَذُبُ عَنْهُ عَسَاكِرَ الْفُجَّارِ

قَالَتْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَمِثْلُكَ مِنْ عَفَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ ،

[١] تدعو عليه أى نثر الله أسنالك . [٢] الصفد : العطاء .

[٣] درع المرأة قميصها (مذكر) ودرع الحديد مؤنث وقد يذكر .

[٤] اللوث عصب العمامة ، والكور لوث العمامة وإدارتها ، والمنسف ما ينفض به الحب : شئ طویل
منصوب الصدر ، أعلاه مرتفع . [٥] العصب : السيف القاطع ، والخوار من خار : إذا ضعف وكل .

[٦] عرّد تعريداً ، وعرد كسمع : هرب .

وَمَنْ عَادَ فَيَذْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ » قَالَ : هيهات ، أما والله لو عاد لعُدْتِ ، ولكنه
اخْتَرِمَ^(١) منك ، قالت : أجل ، والله إني لعلی بيّنة من ربّي ، وَهُدًى من أمرى ،
قال : كيف كَانَ قولك حين قتل ؟ قالت : أنْسَيْتُهُ ، قال بعض جلسائه : هو والله
حين تقول :

يا للرجال لعظم هول مصيبة فدَحْتُ ، فليس مُصَابِئُهَا بِالْحَائِلِ^(٢)
الشمس كآسفةً لفقدِ إمامنا خير الخلائق والإمامِ العادل
ياخيرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطْيَ وَمَنْ مَشَى فوق الترابِ لمُحْتَفٍ أَوْ نَاعِلِ
حاشا النبيّ . لقد هَدَدْتُ قُورَاءَنَا فالحق أصبح خاضعاً للباطل^(٣)

فقال معاوية : قَاتِلْكَ اللَّهُ ! فَا تَرَكْتُ مَقَالاً لِقَائِلِ ، اذ كرى حاجتك ، قالت :
أما الآن فلا ، وقامت فَعَثَرْتُ ، فقالت : تَعِسَ شَانِي عَلَى^(٤) ، فقال : زَعَمْتُ أَنْ
لَا ، قالت : هو كما علمت ، فلما كَانَ من الغد بعث إليها بجائزة . وقال : إذا
ضِيعْتُ الحِلْمَ فَمَنْ يَحْفَظُهُ ؟ (صحح الأعشى ١ : ٢٦١ ، بلاغات النساء ص ٧٨)

٣٦٣ - دارمية الحجونية ومعاوية

وَحَجَّ معاوية سَنَةً من سِنِيهِ ، فسأل عن امرأة من بنى كِنَانَةَ كَانَتْ تنزل
بالحجون^(٥) ، يقال لها دَارِمِيَّةُ الْحَجُونِيَّةُ ، وَكَانَتْ سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر
بسلامتها ، فبعث إليها فجىء بها ، فقال : مَا حَالُكِ يَا بَنَّةَ حَامٍ ؟ فقالت : لست
لِحَامٍ إِنْ عِبْتَنِي ، إنما أنا امرأة من بنى كِنَانَةَ ، ثُمْتُ من بنى أَيْيَكُ ، قال :
صَدَقْتُ ، أَتَدْرِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قالت : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، قال : بَعَثْتُ

[١] هلاك . [٢] المتحوّل : المتغير . [٣] جمع القوة قوى ، وإنما قلت قواء بالمد للضرورة .
[٤] أى مبعوضه . [٥] الحجون : جبل بمكة .

إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ : عَلَامَ أَحْبَبْتَ عَلِيًّا وَأَبْغَضْتَنِي ، وَوَالَيْتِهِ وَعَادَيْتَنِي ؟ قَالَتْ : أَوْ
تُعَفِّنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أُعْفِيكَ ، قَالَتْ : « أَمَا إِذَا أُبَيْتُ فَإِنِّي أَحْبَبْتُ
عَلِيًّا عَلَى عَدْلِهِ فِي الرِّعَايَةِ ، وَقَسَمَهُ بِالسُّوِيَّةِ ، وَأَبْغَضْتُكَ عَلَى قَتَالِ مَنْ هُوَ أَوْلَى
مَنْكَ بِالْأَمْرِ ، وَطَلَبْتُكَ ^(١) مَا لَيْسَ لَكَ بِحَقِّ ، وَوَالَيْتُ عَلِيًّا عَلَى مَا عَقَدَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوِلَايَةِ ^(٢) ، وَعَلَى حُبِّهِ الْمَسَاكِينَ ، وَإِعْظَامِهِ
لَأَهْلِ الدِّينِ ، وَعَادَيْتُكَ عَلَى سَفْكَكَ الدَّمَاءَ ، وَشَقِّكَ الْعَصَا ، وَجَوْرِكَ فِي الْقَضَاءِ ،
وَحُكْمِكَ بِالْهَوَى » .

قَالَ : فَلِذَلِكَ انْتَفَخَ بَطْنُكَ ، وَعَظُمَ ثَدْيَاكَ ، وَرَبَّتْ عَجِيزَتُكَ ، قَالَتْ : يَا هَذَا
بِهِنْدٍ ^(٣) وَاللَّهِ كَانَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي ذَلِكَ لِأَبِي ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا هَذِهِ ارْبَعِي ^(٤) ،
فَإِنَّا لَمْ نَقْلُ إِلَّا خَيْرًا ، إِنَّهُ إِذَا انْتَفَخَ بَطْنُ الْمَرْأَةِ تَمَّ خَلْقُ وَلَدِهَا ، وَإِذَا عَظُمَ ثَدْيَاهَا
تَرَوَّى ^(٥) رَضِيعُهَا ، وَإِذَا عَظُمَتْ عَجِيزَتُهَا رَزُنَ مَجْلِسُهَا ، فَرَجَعْتَ وَسَكَنْتَ ،
فَقَالَ لَهَا : يَا هَذِهِ هَلْ رَأَيْتَ عَلِيًّا ؟ قَالَتْ : إِي وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ ، قَالَ : فَكَيْفَ
رَأَيْتَهُ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُهُ وَاللَّهِ لَمْ يَفْتِنْنِيهِ الْمَلِكُ الَّذِي فَتَنَّاكَ ، وَلَمْ تَشْغَلْهُ النِّعْمَةُ الَّتِي شَغَلَتْكَ ،
قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ فَكَانَ يَجْلُو الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى ، كَمَا
يَجْلُو الزَّيْتُ الطُّسْتُ مِنَ الصَّدَأِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَتْ :
أَوْ تَفْعَلْ إِذَا سَأَلْتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : تَعْطِينِي مِائَةَ نَاقَةٍ حُمْرَاءَ فِيهَا خُلُهَا ،
وَرَاعِيهَا ، قَالَ : تَصْنَعِينَ بِهَا مَاذَا ؟ قَالَتْ : أَغْذُو بِأَلْبَانِهَا الصَّغَارَ ، وَأَسْتَحْيِي بِهَا
الْكِبَارَ ، وَأَكْتَسِبُ بِهَا الْمَكَارِمَ ، وَأُصْلِحُ بِهَا بَيْنَ الْعَشَائِرِ ، قَالَ : فَإِنِ أُعْطِيتُكَ

[١] الطَّلِبَةُ : الطَّلَب . [٢] تشير إلى قوله : « اللَّهُمَّ وَالِاهِ مِنْ وَالِيَاهِ ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهِ » .

[٣] هي أمه هند بنت عتبة . [٤] رُبِعَ : وَقَفَ وَانْتَظَرَ وَتَحَبَّسَ . [٥] ارْتَوَى .

ذلك ، فهل أحلّ عندك محلّ عليّ بن أبي طالب ؟ قالت : ماء ولا كصداء^(١) ،
ومرعى ولا كالسعدان^(٢) ، وفتي ولا كالك^(٣) ، سبحان الله أو دونه ، فأنشأ
معاوية يقول :

إذا لم أعذ بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً ، واذكري فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم
ثم قال : أما والله لو كان عليّ حياً ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا وبرّة
واحدة من مال المسلمين (المعاليهريدي : ١ : ١٣٢ ، وصح الأعرشي : ١ : ٢٥٩ ، وبلاغات النساء ص ٦٧)

٣٦٤ — شداد بن أوس ومعاوية

وأمر معاوية شداد بن أوس الطائي أن يتنقّص عليّاً ، فقام فقال :
« الحمد لله الذي افترض طاعته على عباده ، وجعل رضاه عند أهل التقوى
آثر من رضا خلقه ، على ذلك مضى أولهم ، وعليه يمضي آخرهم ، أيها الناس :

[١] صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . ويروى عن ابنة هانيء بن قبيصة : أنه لما قتل
لقيط بن زرارة (من دارم) تزوجها رجل من أهلها ، وكان لا يزال يراها تذكّر لقيطاً ، فقال لها ذات
مرة : ما استحضنت من لقيط ؟ قالت : كل أموره حس ، ولكي أحدثك أنه خرج إلى الصيد مرة وقد
اتقى بي ، فرجع إليّ ، وقميصه اضح من دماء صيد ، والمسك يصوع من أعطافه ، ورائحة الشراب من
فيه ، فصنيت ضمة ، وشميت شمة ، فليتني ممتنة ، فعمل روحها مثل ذلك ثم صمها ، وقال لها : أين أنا
من لقيط ؟ قالت : ماء ولا كصداء .

[٢] السعدان : بنت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعي الابل ، ولا نحسن على بنت حسنها عليه ،
وأول من قال ذلك الحسناء بنت عمرو بن الشريد ، وذلك أنها أقبلت من الموسم ، فوجدت الناس مجتمعين
على هند بنت عتبة بن ربيعة ، ففرحت عندها وهي تشارهم مرأتى في أهل بيتها ، فلما دنت منها قالت : على من
تبكين ؟ قالت : أبكي سادة مضوا ، قالت : فأشدني مضى ما قلت ، فأشدتها ، فقالت الحسناء : مرعى
ولا كالسعدان ، ثم أشدتها ما رئت به أخاها صحرا . وقيل إن المثل لامرأة من طيء كان تزوجها امرؤ
القيس بن حجر الكندي ، وكان مفرّجاً كما (بتح الرأى تبعصه الذاء) فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟
فقلت : مرعى ولا كالسعدان . [٣] قاله متم بن نويرة في أخيه مالك لما قتل في الردة . والأمثال الثلاثة
تضرب للشيء يفضل على أقرانه .

إِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدُ صَادِقٍ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، وَإِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَإِنَّ السَّامِعَ الْمَطِيعَ لِلَّهِ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ السَّامِعَ الْعَاصِيَ لِلَّهِ لَا حُجَّةَ لَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِالْعِبَادِ صَلَاحًا عَمِلَ عَلَيْهِمْ صَلَاحًاوَهُمْ ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ فَقَهَاوَهُمْ ، وَمَلَكَ الْمَالَ مُمَحِّدًاوَهُمْ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَرًّا ، عَمِلَ عَلَيْهِمْ سُفَهَاوَهُمْ ، وَقَضَى فِيهِمْ جَهْلًاوَهُمْ ، وَمَلَكَ الْمَالَ بُخْلًاوَهُمْ ، وَإِنْ مِنْ صَلَاحِ الْوَلَاةِ أَنْ يَصْلُحَ قُرْنَاوُهَا ، وَنَصَحَ لَكَ يَا مَعَاوِيَةُ مَنْ أَسْخَطَكَ بِالْحَقِّ ، وَغَشَّكَ مَنْ أَرْضَاكَ بِالْبَاطِلِ .
قال : اجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال ، قال : « إِنْ كَانَ مِنْ مَالِكَ الَّذِي تَعَهَّدْتَ جَمْعَهُ مَخَافَةَ تَبِعَتِهِ ، فَأَصْبَتَهُ حِلَالًا ، وَأَنْفَقْتَهُ إِفْضَالًا ، فَنَعَمْ ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا شَارَكَكَ فِيهِ الْمَسَامُونَ ، فَاحْتَجَجْتَهُ ^(١) دُونَهُمْ فَأَصْبَتَهُ اقْتِرَافًا ، وَأَنْفَقْتَهُ إِسْرَافًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : « إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » .

(البيان والتبيين ٣ : ٢٢٠)



وروى أن معاوية قال له : « يا شداد ، أنا أفضل ، أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ » ، فقال : « عَلَى أَقْدَمُ هِجْرَةٍ ، وَأَكْثَرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ سَابِقَةً ، وَأَشْجَعُ مِنْكَ قَلْبًا ، وَأَسْلَمُ مِنْكَ نَفْسًا ، وَأَمَّا الْحُبُّ ، فَقَدْ مَضَى عَلِيٌّ ، فَأَنْتَ الْيَوْمَ عِنْدَ النَّاسِ أَرْجَى مِنْهُ » .
(صيون الأخبار م ٢ : ص ٢١١)

٣٦٥ — معاوية ورجل من أهل سبأ

وقال معاوية لرجل من أهل سبأ : « مَا كَانَ أَجْهَلَ قَوْمِكَ ، حِينَ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ امْرَأَةً » ، فقال : « بَلْ قَوْمِكَ أَجْهَلُ ، قَالُوا حِينَ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَرَاهُمُ الْيَدْنَائِ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ

فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا بَعِذَابٍ أَلِيمٍ » ، أَلَا قَالُوا : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَاهْدِنَا لَه ! » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٢٠)

٣٦٦ — حديث معاوية مع عبد الله بن عبد الحاجر بن عبد الممدان

سأل معاوية بعد الاستقامة ^(١) عبد الله بن عبد الحاجر بن عبد الممدان فقال له :

كيف علمك بقومك ؟ قال : كعلمي بنفسي ، قال : ما تقول في مُرَاد ؟ قال :

مُدْرِكُ الْأَوْتَارِ ^(٢) ، وَحِمَاةُ الذَّمَارِ ، وَنَحْرُزُو الحِطَارِ ، قال : فما تقول في النَّخَع ؟

قال : مَا نَعُو السَّرْبَ ^(٣) ، وَمُسْعِرُو الحرب ، وَكَاشِفُو الْكَرْبِ ، قال : وما تقول

في بنى الحَرِثِ بن كَعْب ؟ قال : فَرَّاجُو اللَّسَاكِ ^(٤) ، وَفُرْسَانُ الْعِرَاكِ ، وَلِزَازُ

الضُّكَاكِ ، تَرَاكِ تَرَاكِ ، قال : فما تقول في سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ؟ قال : مَا نَعُو الضَّيْمِ ،

وَبَانُو الرَّيْمِ ^(٥) وَشَافُو الْغَيْمِ ، قال : ما تقول في جُعْفِيٍّ ؟ قال : فُرْسَانُ الصَّبَاحِ ^(٦) ،

وَمُعَلِّمُو الرَّمَاكِ ، وَمُبَارِزُو الرِّيَّاحِ ، قال : ما تقول في بنى زَيْدٍ ^(٧) ؟ قال : كُمَاةُ

أَنْجَادٍ ، سَادَاتُ أَحْمَادٍ ، وَقُرْمُ ^(٨) عِنْدَ الدِّيَادِ ، صُبْرُ عِنْدَ الطَّرَادِ ، قال : ما تقول في

جَنْبٍ ؟ قال : كُفَاةُ يَمْنَعُونَ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَيَقْرِجُونَ عَنِ الْكَظِيمِ ^(٩) ، قال : فما

[١] أى بعد استقامة الأمر له : عام الجماعة . [٢] جمع وتر : وهو الثَّار ، والذمار : ما يلزمك

حفظه وحمايته ، والخطار جمع خطر بالتحريك : وهو السبق يتراهن عليه .

[٣] السرب : ما رعى من المال . [٤] اللسك : الرعام ، ومثلها الضكك ، ولره كرده : شدة

والعقة ، والاراز ككتاب : خشبة يلز بها الباب ، وفلان لراز العظام : أى يلز بها ويقرن ليندلاها ، ومنه

قول لبيد :

إنا إذا التفت المحامع لم يزل مما لراز عظيمه حشامها

وتراك : اسم فعل بمعنى اترك ، والأمر هنا للتعظيم ، أى دع هؤلاء ولا تتحدث بشأنهم ، فلم يزلهم فى أسنى

مكان . [٥] الريم : الدرجة والفصل والزيادة ، والعيم : العطش . [٦] الغارة .

[٧] ضبط فى الأمالى بفتح الراء ، وهو خطأ ، زيد كريب : بطن من منجح ، رهط عمرو بن

معديكرب ، وكأماير بلد باليمن ، وككة جمع ككى : وهو الشجاع أو لاس السلاح ، والأنجاد جمع نجد كشيهم

وكتف ورجل : الشجاع الماضى فيها يعجز غيره . [٨] وتر جمع وقور ، وصبر جمع صبور ، والذباد

والذود : الذم . [٩] الكظيم والمكطوم : المكروب .

تقول في صُدَاء؟ قال : سِمَامُ الأَعْدَاء ، وَمَسَاعِيرُ الهَيِّجَاء ^(١) ، قال : فما تقول في رَهَاء؟ قال : مُيَنِّهِنُونَ ^(٢) عادية الفوارس ، وَيَرِدُونَ الموتَ وَرَدَ الْخَوَامِسَ ^(٣) ، قال : أنت أعلم بقومك . (الأمل ١ : ١٦٠)

٣٦٧ — حديث الخيار بن أوفى النهدي مع معاوية

دخل الخيار بن أوفى النهدي على معاوية ، فقال له : يا خيار كيف تجدك ، وما صنع بك الدهر؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتي ، وأثسكتني لداتي ^(٤) ، وأوهى عمادي ، وشيَّب سَوَادِي ، وأسرع في تِلَادِي ^(٥) ، ولقد عشتُ زمناً أصبى الكعاب ^(٦) ، وأسُرَّ الأصحاب ، وأجيد الضراب ^(٧) ، فبان ذلك عني ، ودنا الموت مني ، وأنشأ يقول :

غَبَرْتُ زَمَانًا يَرْهَبُ الْقِرْنُ جَانِي	كَأَنِّي شَتِيمٌ بِاسِلُ الْقَلْبِ خَادِرُ ^(٨)
يَخَافُ عَدُوِّي صَوَاتِي وَيَهَابُنِي	وَيُكْرِمُنِي قِرْنِي وَجَارِي الْمَجَاوِرُ
وَتُصْنِي الْكَعَابَ لِمَتِي وَشِمَائِلِي	كَأَنِّي غُصْنٌ نَاعِمِ النَّبْتِ نَاضِرُ ^(٩)
فَبَانَ شِيبَابِي ، وَاعْتَرَتْنِي رَثِيَّةٌ	كَأَنِّي قَنَاةٌ أَطْرَتْهَا الْمَاطِرُ ^(١٠)
أَدِبٌ إِذَا رُمْتُ الْقِيَامَ كَأَنِّي	لَدَى الْمَشْيِ قَرْمٌ قَيْدُهُ مُتَقَاصِرُ ^(١١)
وَقَصُرَ الْفَتَى شَيْبٌ وَمَوْتُ كِلَاهِمَا	لَهُ سَائِقٌ يَسْعَى بِذَاكَ وَنَاطِرُ
وَكَيْفَ يَلْكَدُ الْعَيْشُ مَنْ لَيْسَ زَائِلًا	رَهِينَ أُمُورٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَادِرُ

[١] الهيجاء : الحرب ، وهو مسعر حرب (كدرهم) أي موقد نارها . [٢] يكفون .

[٣] المحس بالكسر : أي ترمي الإبل ثلاثة أيام ، وترد الرابع ، وهي لابل خوامس .

[٤] اللدة : من ولد معك . [٥] الثلاث : المال القديم . [٦] كعب ثدي الجارية : نهدي ،

وهي كاعب وكعاب . [٧] ضرب الفحل صراباً : نكح . [٨] القرون : كفؤك في الشجاعة أو

حلم ، والشقيم : الأسد العابس ، والحدر : أجرة الأسد . ومنه أسد خادر . [٩] اللمة : الشعر المجاوز

شعمة الأذن . [١٠] الرثية : وجع المفاصل واليدين والرجلين . والأطر والتأطير : عطف الشيء ،

وتأطر الريح : تلى واعوج . [١١] القرم : الفحل .

فقال معاوية : أحسنت القول ! واعلم أن لها مصادر ، فنسأل الله أن يجعلنا من
الصادرين بخير ، فقد أوردنا أنفسنا مواردَ نرغب إلى الله أن يُصدرنا عنها وهو راض .
(الأمل ٢ : ٩٤)

٣٦٨ — حديث عرابة بن أوس بن حارثة مع معاوية

قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري : بأى شئ سُدَّتْ قومك
يا عرابة ؟ قال : أخبرك يا معاوية بأنى كنت لهم كما كان حاتم لقومه . قال :
وكيف كان ؟ فأنشدته :

وأصبحتُ في أمرِ العشيرةِ كلّها كَذَى الحِلْمِ يُرْضَى ما يقول ويُعرَف
وذاك لأنّى لا أعادى سرّاتهم ولا عن أخى ضرّاءهم أتَنكّفُ^(١)
وإني لأُعطي سائلي ، ولربّما أَكَلَفْتُ ما لا أستطيع فأَكَلَفُ
وإني لمذمومٌ إذا قيل : حاتم نبا نبوةً ، إن الكريم يُعَنّفُ
ووالله إني لأعفو عن سفيهم ، وأحلم عن جاهلهم ، وأسعى في حوائجهم ، وأعطى
سائلهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى ،
ومن قصر عن فعلى فأنا خير منه ، فقال معاوية : لقد صدق الشّماخ حيث
يقول فيك :

رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا مارايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عرابةٌ باليمين
(الأمل ١ : ٢٧٧)

٣٦٩ — سعيد بن عثمان بن عفان ومعاوية

دخل سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه على معاوية ، وابنه يزيد إلى

[١] أى أمتنع منه وآنف .

جانبه ، فقال له : « ائتمنك أبى واصطنعك ، حتى بلغك باصطناعه إياك المدى الذى لا يُجَارَى ، والغاية التى لا تُسَامَى ، فاجازيت أبى بالآله ، حتى قدّمت هذا على » ، وجعلت له الأمر دونى - وأوماً إلى يزيد - والله لأبى خير من أبيه ، وأبى خير من أمه ، ولأنا خير منه » ، فقال معاوية : « أمّا ما ذكرت يا بن أخى من تواتر آلائكم على » ، وتظاهر نعمائكم لدى » ، فقد كان ذلك ، ووجب على المكافأة والمجازاة ، وكان شكرى إياه أن طلبت بدمه ، حتى كابدت أهوال البلاء ، وغشيت عساكر المنايا ، إلى أن شفيت حَزَازات الصدور ، وتجلّت تلك الأمور ، واستلّ لنفسى باللائم فى التشمير ، ولا الزّارى ^(١) عليها فى التقصير ، وذكرت أن أباك خير من أبى هذا - وأشار بيده إلى يزيد - فصدقت ، لعمر الله لعثمان خير من معاوية ، أكرم كريماً ، وأفضل قديماً ، وأقرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم رَحِمَاً ، وذكرت أن أمك خير من أمه ، فلعمري إن امرأة من قريش خير من امرأة من بنى كلب ، وذكرت أنك خير من يزيد ، فوالله يا بن أخى ما يسرنى أن الغُوطَة ^(٢) عليها رجال مثل يزيد .

فقال له يزيد : مه يا أمير المؤمنين ، ابن أخيك استعمل الدالة عليك ، واستعبتك لنفسه ، واستزاد منك فزده ، وأنجل له فى ردك ، وأنجل على نفسك ، وولّه خراسان بشفاعتى ، وأعنه بمال يُظهر به مؤروته » ، فولاه معاوية خراسان ، وأجازه بمائة ألف درهم ، فكان ذلك أعجب ما ظهر من حلم يزيد .

(صبح الأعشى ١ : ٢٥٦ . والإمامة والسياسة ١ : ١٣٩)

٣٧٠ — مصقلة بن هبيرة ومعاوية

مرض معاوية مرضاً شديداً ، فأرجف به مصقلة بن هبيرة ، وساعده قوم

[١] زرى عليه : طابه . [٢] مدينة دمشق أو كورتها .

على ذلك ، ثم تَمَّأَل (١) ، وهم في إرجافهم ، فحمل زيادٌ مصقلةً إلى معاوية ، وكتب إليه أنه يجمعُ مرَّاقاً من مُراقِ العراق ، فيُرْجِفون بأمير المؤمنين ، وقد حملتهُ إليه ليرى رأيه فيه ، فقَدِمَ مصقلة ، وجلس معاوية للناس ، فلما دخل عليه ، قال : ادنُ مني ، فدنا منه ، فأخذ بيده فجذبه فسقط مصقلة ، فقال معاوية :

أَبَقِيَ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيلِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَّاجِمِ (٢)

صُلْبًا إِذَا خَارَ الرِّجَالُ لُ أَبَلٌ مَمْتَنِعِ الشَّكَاثِمِ (٣)

قد رامني الأعداء قبلك فامتنعتُ من المظالم

فقال مصقلة : « يا أمير المؤمنين ، قد أبقي الله منك ما هو أعظم من ذلك بَطْشًا وَجِلْمًا راجحًا ، وَكَلاَّ وَمَرَعَى لأوليائك ، وَسَمًّا نَاقِعًا لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين ، وأصبح الناس مساميين وأنت أمير المؤمنين » وقام ، فوصله معاوية ، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة ، فقيل له : كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمتم أنه كبير وضعف ، والله لقد غمزني غمزة كَادَ يَحْطِمُنِي ، وجذبني جذبة كَادَ يَكْسِرُ عَضْوًا مِنِّي .

(زهر الآداب ١ : ٥٧ ، والأمالى ٢ : ٣١٥)

٣٧١ — روح بن زنباع ومعاوية

وَوَلَّى معاوية رَوْحَ بْنَ زَنْبَاعٍ ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ فِي جَنَائِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بِالْقَدُومِ ، فلما قدِمَ أمر بضربه بالسَّيَّاطِ ، فلما أقيم ليضرب قال : « نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَهْدِمَ مِنِّي رَكْنًا أَنْتَ بَنَيْتَهُ ، أَوْ أَنْ تَضَعَ مِنِّي خَسِيسَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا

[١] تَمَّأَلُ اللَّيْلُ : قارب البرء . [٢] الْجَنْدَلُ : الْحَجَارَةُ ، وَالْوَاحِدَةُ جَنْدَلَةٌ .

[٣] الْأَبَلُ : الْمَمْتَنِعُ ، وَالْأَلَذُّ : الْجَدَلُ ، وَالشَّكَاثِمُ جَمْعُ شَكِيمَةٍ : وَهِيَ مِنَ اللَّجَامِ الْحَدِيدَةِ الْمُعْتَرِضَةُ فِي فَمِ الْفَرَسِ ، وَفُلَانٌ شَدِيدُ الشَّكِيمَةِ : أَنْفٌ أَبِي لَا يَتَّقَادُ .

أَوْ تَشْمِثَ بِي عَدُوا أَنْتَ وَقَتَهُ ^(١) ، وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِلَّا أَتَى حَامُكَ وَعَفْوُكَ دُونَ
إِفْسَادِ صَنَائِعِكَ » ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِذَا اللَّهُ سَتَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرَا ، خَلُّوا سَبِيلَهُ .
(الأُمَالِي ٢ : ٢٥٩ ، وَزَهْرُ الْآدَابِ ٢ : ١٩٤)

٣٧٢ - مُخَاصِمَةُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ وَامْرَأَتِهِ بَيْنَ يَدَيِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ
جَرَى بَيْنَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ كَلَامٌ ، فِي ابْنِ كَانَ لَهَا مِنْهُ ، وَأَرَادَ
أَخْذَهُ مِنْهَا ، فَسَارَ إِلَى زِيَادٍ وَهُوَ وَالِي الْبَصْرَةِ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَذَا ابْنِي ، كَانَ بَطْنِي وَِعَاءَهُ ، وَحَجَرِي
فِنَاءَهُ ، وَتَذْنِي سِقَاءَهُ ^(٢) ، أَكَلَوُهُ ^(٣) إِذَا نَامَ ، وَأَحْفَظُهُ إِذَا قَامَ ، فَلَمْ أَزَلْ
بِذَلِكَ سَبْعَةَ أَعْوَامَ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَيْ فِي فِصَالِهِ ^(٤) ، وَكُمِلَتْ خِصَالُهُ ، وَاسْتَوَكَمَتْ ^(٥)
أَوْصَالُهُ ، وَأَمَلْتُ نَفْعَهُ ، وَرَجَوْتُ دَفْعَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي كَرْهًا ^(٦) ، فَأَدِنِي ^(٧)
أَيُّهَا الْأَمِيرَ ، فَقَدْ رَامَ قَهْرِي ، وَأَرَادَ قَسْرِي ^(٨) . »

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : « أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، هَذَا ابْنِي حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ ، وَوَضَعْتُهُ
قَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ ، وَأَنَا أَقُومُ عَلَيْهِ فِي أَدْبِهِ ، وَأَنْظُرُ فِي أَوْدِهِ ، وَأَمْنَحُهُ عِلْمِي ، وَأُلْهِمُهُ
حِلْمِي ، حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ ، وَيَسْتَحْكَمَ قَتْلُهُ . »

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : « صَدَقَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، حَمَلَهُ خِفًّا ^(٩) ، وَحَمَلْتُهُ ثِقَلًا ، وَوَضَعُهُ
شَهْوَةً ، وَوَضَعْتُهُ كَرْهًا . »

فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : ارْجِعْ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلِدْهَا ، فَهِيَ أَحَقُّ بِكَ مِنْكَ ، وَدَعْنِي مِنْ

[١] وَقْتُهُ : قَهْرُهُ وَأَذَلُهُ . وَفِي زَهْرِ الْآدَابِ : « كَبْتُهُ » . [٢] السِّقَاءُ : جَلْدُ السَّحْلَةِ يَكُونُ
لِلْعَاءِ وَاللَّابِنِ . [٣] أَرْعَاهُ . [٤] فَطَامَهُ . [٥] اشْتَدَّتْ وَمَنْفَعٌ . [٦] الْإِيَاءُ وَالْمَشَقَّةُ
بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ ، أَوْ بِالْفَتْحِ مَا أَكْرَهَكَ غَيْرَكَ عَلَيْهِ ، وَبِالضَّمِّ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ .
[٧] آدَامَ عَلَى فُلَانٍ : أَعْدَاهُ وَأَطَانَهُ . [٨] الْإِكْرَامُ . [٩] الْخَفِيفُ .

سجعتك . أو قال : « إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فادفع ابنها إليها ، فأخلق
أن تحسن أدبه » . (الأمل ٢ : ١٤ ، وأمل السيد المرتضى ١ : ٢١٤)

٣٧٣ — صورة أخرى

وروى أحمد بن أبي طاهر طيفور هذا الخبر بصورة أطول وهاكها :
قال أبو محمد القشيري : كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن
أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم ، فيينا هو
ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشرف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود
الدؤلي ، حتى حاذت معاوية ، وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله
وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورقيباً على العباد ، يُستسقى بك المطر ،
وَيُسْتَنْبَتُ بك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، وَيُرَدَعُ
بك الجانف ^(١) ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فاسأل الله لك النعمة
في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير ^(٢) . قد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ
ضاق عليّ فيه المنهج ، وتفاقم عليّ منه المخرج ، لأمر كرهت عاره ^(٣) ، لما
خشيت إظهاره ، فليُنصِفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بعقوته ^(٤)
من العار الويل ، والأمر الجليل ، الذي يشتد على الحرائر ، ذوات البعول
الأجائر ^(٥) ، فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ،
ومن فعله المشهر ^(٦) ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلي ، فالتفت إليه فقال : يا أبا

[١] المائل : الجائر . [٢] أي من غير نقص ، من عذر في الأمر تعذيراً : إذا قصر ولم يجتهد
(أو من غير تشويه من عذر الشيء : لطفه بالمعذرة كفرحة) . [٣] تكى بذلك عن طلاقها .
[٤] العقوة : ماحول الدار . [٥] البعول والبعولة جمع بعل وهو الزوج ، والأجائر جمع أجور ،
أفعل تفضيل من جار . [٦] شهره كنعته ، وشهره بالتشديد : أظهره في شناعة .

الأسود: ما تقول هذه المرأة؟ فقال أبو الأسود: هي تقول من الحق بعضاً، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً؛ أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق، وأنا أخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق، والله يا أمير المؤمنين ما طَلَّقْتُها عن رِيبةٍ ظهرت، ولا لأى هفوةٍ حضرت، ولكنى كرهت شمائلها، فقطعتُ عنى حبائلها، فقال معاوية: وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت؟ قال: يا أمير المؤمنين: إنك مهيجها على بجواب عتيد^(١)، ولسان شديد، فقال معاوية: لأبدلك من محاورتها، فاردد عليها قولها عند مراجعتها، فقال أبو الأسود: «يا أمير المؤمنين، إنها كثيرة الصخب، دائمة الذرب^(٢)، مهيئة للأهل، مؤذية للبعل، مسيئة إلى الجار، مظهره للعار، إن رأيت خيراً كتمته، وإن رأيت شراً أذاعته»، فقالت: «والله لولا مكانُ أمير المؤمنين، وحضورُ من حضره من المسامين، لرددتُ عليك بَوادرِ كلامك، بنوافذِ أقرعُ بها كلَّ سِهامك^(٣)، وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بَعلاً، ولا أن تُظهر لأحدٍ جهلاً، فقال معاوية: عَزَمْتُ عليك لِمَا أَجَبْتِهِ، فقالت: «يا أمير المؤمنين، ما عَلِمْتُهُ إِلَّا سَتُولاً جَهُولاً، مُلِحّاً بخيلاً^(٤)، إن قال فَشَرُّ قَائِلٍ، وإن سَكَتَ فذو دَغَائِلٍ^(٥)، لَيْتَ حِينَ يَأْمَنُ، وَثَعْلَبَ حِينَ يَخَافُ، شَحِيحٌ حِينَ يُضَافُ^(٦)،

[١] حاصر مهيأ . [٢] الصخب : شدة الصوت ، والذرب : حدة اللسان وبداءته .

[٣] البوادر جمع بادرة ، وهي ما يبدو من حدتك في الغضب من قول أو فعل ، بنوافذ أى بمجيج نافذة ماضية ، وكل السيف وغيره فهو كل وكليل : لم يقطع .

[٤] وكان أبو الأسود معروفًا بالبعل ، ومن طريف ما روى عنه أن رجلاً قال له : « أنت والله ظرف لفظ ، وظرف علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل » فقال : « وما خير ظرف لا يمسك ما فيه ؟ » وسلم عليه أدراني يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة بقوله ، فقال له : أتأذن في الدخول ؟ قال : وراءك أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قل : نعم ، قل : أطمئني ، قال : عيالي أحق منك ، ول : ما رأيت ألام منك ! قال : نسيت نفسك . « أمالي المراتفى ١ : ٢١٤ » . [٥] دغائل : جمع دغيلة كدغينة والدغيلة والدغل بالتحريك : دخل في الأمر مفيد . [٦] ضافه يضيقه : نزل عليه ضيقاً .

إن ذكر الجود انقَمَعَ^(١) ، لِمَا يَعْرِفُ من قِصَرِ رِشَاءِهِ^(٢) ، ولو لم آباءه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحفظ جاراً ، ولا يحمي ذمّاراً ، ولا يُدرك ثاراً ، أكرم الناس عليه من أهانه ، وأهونهم عليه من أكرمه » ، فقال معاوية : سبحان الله لِمَا تَأْتِي به هذه المرأة من السجع ! فقال أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطابقة ؟ فقال لها معاوية : إذا كان رَوَاحاً^(٣) فتعالى أَفْصِلْ بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنتها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينزع ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لا تُعْجِلِ المرأة أن تنطق بحجتها ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود دَعِهَا تَقُلْ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله ، ووضعت قبل أن تضعه » ، فقالت : « صدق والله يا أمير المؤمنين : حمّله خِفّاً ، وحملته ثِقَلًا ، ووضعه شهوة ووضعت كرهاً ، إن بطني لَوِعاؤه ، وإن ثديي لَسِقاؤه ، وإن حجري لفِناؤه » ، فقال معاوية : سبحان الله لِمَا تَأْتِي به ! فقال أبو الأسود : إنها تقول الأبيات من الشعر فتجيدها ، فقال معاوية : إنها قد غلبتك في الكلام ، فتكلّف لها أبياتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ أبو الأسود يقول :

مَرْحَبًا بالتي تجورُ علينا ثم سهلاً بالحامل المحمولِ
أغلقتُ بابها على^١ وقالت : إن خير النساء ذاتُ البُعُولِ
شغلتُ نفسَهَا على^٢ فراغاً هل سمِعتم بالفارغ المشغولِ ؟

[١] انقمع : دخل البيت مستحياً . [٢] الرشاء في الأصل : الحبل .

[٣] أي إذا كان الوقت رواحاً ، والرواح : العشى .

فأجابته وهي تقول :

ليس من قال بالصَّواب وبالْحَقِّ كَمَنْ جَارَ عَنْ مَنَارِ السَّبِيلِ
كَانَ تُدْنِي سِقَاءَهُ حِينَ يُضْعَى ثُمَّ حَجَرِي فَنَاوُهُ بِالْأَصِيلِ
لَسْتُ أَبْنَى بِوَاحِدِي يَا بَنَ حَرْبٍ بَدَلًا مَا عَلِمْتُهُ وَالْخَلِيلِ^(١)
فأجابها معاوية :

ليس مَنْ غَذَاهُ حِينًا صَغِيرًا وَسَقَاهُ مِنْ تُدْنِيهِ بِخَذُولِ
هِيَ أَوْلَى بِهِ وَأَقْرَبُ رُحْمًا مِنْ أَيْيِهِ بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ^(٢)
أُمُّهُ مَا حَنَتْ عَلَيْهِ وَقَامَتْ هِيَ أَوْلَى بِحَمَلِ هَذَا الضَّئِيلِ^(٣)

فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت . (بلاغات النساء ص ٥٣)

٣٧٤ — وفد أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير

لما قَدِمَ الْأَحْنَفُ فِي وَجْهِهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، تَكَلَّمَ
أَبُو حَاضِرِ الْأَسِيدِيِّ - وَكَانَ خَطِيبًا جَمِيلًا - فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : اسْكُتْ
فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، صَرَفَ
الدينار بالدرهم ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ لَنَا وَلَكَ مَثَلًا ، أَفْتَأَذُنُ فِي ذِكْرِهِ ؟ »
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « مَثَلُنَا وَمَثَلُكَ وَمِثْلُ أَهْلِ الشَّامِ قَوْلُ الْأَعَشَى حَيْثُ يَقُولُ :
عُلَّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلَّقَتْ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(٤)
أَحَبُّكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَأَحَبُّتْ أَهْلَ الشَّامِ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ مَرْوَانَ » (البيان والنبين ١ : ١٦٤)

[١] أي أقسم بخليل الله وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . [٢] الرحم : الرحمة والرفقة والنعطف .

[٣] في الأصل : « أم ما حنت عليه . . . » وهو تحريف ، إذ يختل وزن البيت .

[٤] علنى فلان امرأة (بالبناء للمجهول . مشدداً) : أحبها .

٣٧٥ — كلام خطيب الأزدي عبد الملك بن مروان

بعث الحجاج خطباء من الأحماس^(١) إلى عبد الملك بن مروان ، فتكلموا ، فلما انتهى الكلام إلى خطيب الأزدي ، قام فقال :

« قد علمت العرب أنا حتى فعال ، ولسنا بحى مقال ، وأنا نجزى بفعلنا عند أحسن قولهم ، إن السيوف لتعرف أكرهنا ، وإن الموت ليدستعذب أرواحنا ، وقد علمت الحرب الزبون ، أنا نقرع جراحها ، ونحلب صراها^(٢) » ثم جلس^(٣) .
(الأمل ٢ : ٢٥٩)

٣٧٦ — سؤال عبد الملك للحجاج وما أجاب به

ودخل العجاج^(٤) على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عجاج بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية ، أمكنه إخراج الأخبية ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظلم ، وإن لنا حملاً يمنعنا من أن نُظلم ، فعلام الهجاء ؟ فقال : لكلماتك أشعر من شعرك ! فأتى لك عز يمنعك من أن تُظلم ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، قال : فما الحلم الذى يمنعك من أن تُظلم ؟ قال : الأدب

[١] الحس كفل : الأمكنة الصلبة جمع أحس ، واقب به قرش ، وكسانة ، وجديلة ، ومن تابعهم فى الجمالية لمحبهم فى دينهم ، أو لاتباعهم بالحساء وهى الكعبة ، وأحاس العرب : من أمهاتهم من قرش ، وكانوا يتشددون فى دينهم ، وكانوا شعبان العرب لا يطاقون . [٢] الصرى : بقية اللبن .

[٣] وفى رواية الجاحظ : « قاوا : ولما قدمت خطباء نزار عند معاوية ، فذهبت فى الخطب كل مذهب ، قام صبرة بن شيان فقال : « يا أمير المؤمنين : إنا حتى فعال ، واسنا حتى مقال ، ونحن نبلي بفعالنا أكثر من مقال غيرنا (البيان والتبيين ١ : ١٦٤) ، وروى المبرد فى الكامل هذا القول عن صبرة أيضاً . انظر تهذيب الكامل ١ : ١٦٤ - ، وقد تقدم لك أن صبرة بن شيان من الأزدي - انظر الجزء الأول ص ٢٠٧ . [٤] هو العجاج بن ربيعة راجز مجيد مشهور مات سنة ٩٠ هـ .

المُسْتَظَرَف ، والطَّبْع التَّالِد ، قال : يا عجاج لقد أصبحتَ حكيماً . قال : وما
يعننى وأنا نَجِيٌّ ^(١) أمير المؤمنين ؟ . (الأمل ٢ : ٤٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٦٤)

٣٧٧ - وفود الحجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان

لما وَلِيَ الحجاج بن يوسف الحَرَمَيْن بعد قتله ابن الزبير ، استَخَصَّ إبراهيم
ابن محمد بن طَلْحَة ، فَقَرَّبَهُ وعَظَّمَ مَنَزَلَتَهُ ، فلم تزل تملك حاله عنده ، حتى خرج
إلى عبد الملك بن مَرْوَان ، فخرج معه مُعَادِلًا ، لا يَقْصُرُ له في بَرٍّ وإِعْظَام ، حتى
حضر به عبد الملك ، فلما دخل عليه لم يبدأ بشيء بعد السلام ، إِلَّا أن قال له :
« قَدِمْتُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَجُلِ الْحِجَازِ ، لم أَدْعُ له بها نَظِيرًا في الفضل
والأَدَب ، والمُرُوَّة ، وحسن المذهب ، مع قرابة الرَّحِم ، ووجوب الحق ،
وعِظَم قدر الأبوة ، وما بلوتُ منه في الطاعة والنصيحة ، وحُسن المؤازرة . وهو
إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وقد أحضرته بآبِكَ ، لِيَسْهَلُ عليه إِذْنُكَ ، وتعرف له
مَاعَرَفَتُكَ » . فقال : أَذْكَرْتَنَا رَحِمًا قَرِيبَةً ، وَحَقًّا وَاجِبًا ، يا غلامُ : ائذن لإبراهيم
ابن محمد بن طلحة ، فلما دخل عليه أدناه عبد الملك ، حتى أجلسه على فراشه ، ثم
قال له : يَا بْنَ طَلْحَة ، إِنْ أَبَا مُحَمَّدَ (الحجاج) ذَكَرْنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُكَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ
وَالْأَدَب ، والمُرُوَّة ، وحسن المذهب ، مع قرابة الرحم ، ووجوب الحق ، وعِظَم
قدر الأبوة ، وما بَلَآهُ مِنْكَ في الطاعة والنصيحة ، وحسن المؤازرة ، فلا تدعَنَّ
حاجةً في خَاصَّةِ نَفْسِكَ وعَامَتِكَ إِلَّا ذَكَرْتَهَا . فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَوَّلَ
الْحَوَائِجِ ، وَأَحَقُّ مَا قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا ، وَلِحَقِّ نَبِيِّهِ صَلَّى

الله عليه وسلم أداء ، ولك فيه ولجاعة المسامين نصيحة ، وعندى نصيحة لا أجد
بُذًا من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك إلا وأنا خالٍ ، فأخلىنى يا أمير المؤمنين تَرِد
عليك نصيحتى ، قال : أدونَ أبى محمد ؟ قال : نعم ، دون أبى محمد ، قال عبد الملك :
للحجاج قم ، فلما خَطَرَفَ ^(١) السَّترَ أقبل على إبراهيم ، فقال : يا بن طلحة قل
نصيحتك ، قال : بالله يا أمير المؤمنين لقد عهدت إلى الحجاج فى تَغَطُّرُسه
وتَعَجُّرُفه ، وَبُعْده من الحق ، وَقُرْبُه من الباطل ، فوليته الحرمين ، وهما ما هما
وبهما مَنْ بهما من المهاجرين والأنصار ، والمَوَالِى الأَخيار ، يسومُهم الخَسَفَ ^(٢) ،
ويحكم فيهم بغير السُّنة ، بعد الذى كَانَ من سَفَكِ دماءهم ، وما انتَهَك من حُرْمهم ،
وَيَطَوُّهم بِطَغَامِ أهل الشام ، وَرَعاعٍ لَا رَوِيَّةَ لهم فى إقامة حق ، ولا فى إراحة
باطل ، ثم تظن أن ذلك ينجيك من عذاب الله ؟ فكيف بك إذا جأناك محمد صلى
الله عليه وسلم غدًا للخصومة بين يدي الله تعالى ؟ أما والله إنك لن تنجو هناك
إلا بِحُجَّةٍ تَضُمَّن لك النجاة ، فاربِعْ على نفسك أو دَعْ ، وكان عبد الملك مُتَكَرِّمًا ،
فاستوى جالسًا ، وقال : كذبتَ وَمِنْتَ ^(٣) فيما جئت به ! ولقد ظن بك الحجاج
ظنا لم نجده فيك ، وقد يُظَن الخيرُ بغير أهله ، قم فأنت المائِن الحاسد ! قال :
فقممت والله ما أبصر شيئًا ، فلما خطرَفَ السَّترَ لحِقْنى لاحق ، فقال للحاجب :
امنع هذا من الخروج ، وأذن للحجاج ، فدخل فلبث مَلِيًّا ، ولا أشكُ أنهما فى
أمرى ، ثم خرج الإذن لى ، فدخلت ، فلما كشف لى السَّترَ ، إذا أنا بالحجاج
خارج ، فاعتنقنى ، وقبل ما بين عَيْنَيْ ، وقال : أما إذا جزى الله المتواخيئين خيرًا

[١] المراد أرخى من خطرَفَ جلد المرأة إذا استرخى . [٢] يوليه الم دل .

[٣] مان مينا : كذب .

بفضل تواصلهما ، فجزاك الله عنى أفضل الجزاء ، فوالله لئن سلمتُ لك لأرفعنَّ ناظريك ، ولأُعَلِّينَ كَعْبِكَ ، ولأَتْبِعَنَّ الرجال غُبَارَ قَدَمَيْكَ ، قال : فقلت في نفسي إنه ليسخرَ بى ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدنانى حتى أدنانى مجلسى الأول ، ثم قال : يا بن طلحة : هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شارك أحد فى نصيحتك ؟ فقلت : لا والله ، ولا أعلم أحداً أظهرَ يدًا عندى من الحجاج ، ولو كنت محايياً أحداً بدنى لكان هو ، ولكنى آثرتُ الله ورسوله والمسلمين ، قال : قد علمت أنك لم ترد الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك فى الحجاج ، ولكن أردت الله والدار الآخرة ، وقد عزلته عن الحرمين : لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما : استقلالاً لهما ، ووليته العراقين وما هنالك من الأمور ، التى لا يُدَحِّضُهَا إلا مثله ، وإنما قلت له ذلك ليوَدَى ما يلزمه من ذمامك ، فإنك غير ذام لصحبته مع يدك عنده ، فخرجت مع الحجاج ، وأكرمنى أضعاف إكرامه .

(العقد الفريد ١ : ١٢١ ، وشرح البيون ص ١١٩)

٣٧٨ — قدوم الحجاج مع أشرف المصرين على عبد الملك

لما فرغ الحجاج من دير الجماجم ، وقدم على عبد الملك ومعه أشرف أهل المصرين - البصرة والكوفة - أدخلهم عليه ، فبينما هم عنده إذ تذاكروا البلدان ، فقال محمد بن عُمَيْر بن عَطَّارِد : « أوصح الله الأمير ، إن الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرَّها وغمَّقها ^(١) ، وسفلت عن الشام ووبَّأها ، وجاورها الفُرات ، فعذب ماؤها ، وطاب ثمرها » ، فقال خالد بن صَفْوَان الأهمى : « أوصح الله الأمير ، نحن أوسعُ منهم برِّيَّةً ^(٢) ، وأسرعُ منهم فى السَّريَّة ^(٣) ، وأكثرُ منهم

[١] العنق : ركوب النسي الأرض ، أرض غمقة كفرجة : ذات ندى وثقل ، أو قريبة من المياه ، وفى الأصل : « وعمَّقها » وهو تصحيف . [٢] السرية : من خمسة أنفس إلى ثمانية ، أو أربعائة ، والمراد فى النهوض القتال .

قَنداً^(١)، وعاجاً، وساجاً،^(٢) وناساً^(٣)، ماؤناصفو، وخيرُنا عفو، لا يخرج من عندنا إلا قائدوسائق وناعق^(٤)»، فقال الحجاج : «أصلح الله أمير المؤمنين ! إني بالبلدين خير، وقد وطَّئتهما جميعاً» ، فقال له : قل فأنت عندنا مُصدِّق ، فقال . «أما البصرة فمعجوزُ شَمَطَاء، دَفْرَاء، بَحْرَاء، أُوتِيتُ من كل حَلِي وزينة ؛ وأما الكوفة ، فشابة حسناء جميلة ، لا حَلِي لها ولا زينة » . فقال عبد الملك : فضلت الكوفة على البصرة . (مروج الذهب ٢ : ١٤٨)



وروى الجاحظ قال :

قال خالد بن صفوان^(٥) - وَسُئِلَ عن الكوفة والبصرة - : « نحن مَنَابِئُهَا قَصَبٌ ، وأنهارنا عَجَبٌ ، وسماؤنا رُطَبٌ^(٦) ، وأرضنا ذهب » .
وقال الأحنف : « نحن أبعد منكم سَرِيَّةً ، وأعظم منكم تَجَرِيَّةً^(٧) ، وأكثر منكم ذُرِّيَّةً ، وأغذى منكم بَرِّيَّةً » .
وقال أبو بكر الهذلي : « نحن أكثر منكم ساجاً ، وعاجاً ، ودِيباجاً ، وخِراجاً ، ونهراً عَجَاجاً^(٨) » . (البيان والتبيين ٢ : ٤٦)

[١] القند : عسل قصب الكر . [٢] الساج : خشب أسود رزين يحل من الهند ، ولا تكاد الأرض تبليه ، وهو يشبه الآبنوس . [٣] في الأصل : « وباسا » بالياء ، وأراه بالنون .
[٤] يريد بالسائق : الأمير ، وبالناعق : الخطيب .
[٥] أي يصف البصرة ، وكذا ما بعده . [٦] السماء : كل ماعلاك ، يشير إلى كثرة النخيل في مشان البصرة ، « مشان كسحاب : قرية قريبة منها » ، وأن التمر لكثرتة ووفرته يظللهم .
[٧] تَجَر كُنْصَر تَجَرًا وتجارة : انحر ، وأرى أن « تجرية » مصدر صناعي لنحر يريد أن أهل البصرة أعظم وأطول باطاً من أهل الكوفة في التجارة - لأن البصرة ثغر على الخليج الفارسي ، فهي متصلة ببلاد الهند والشرق - . [٨] العجاج : العياح من كل ذي صوت .

٣٧٩ — وفود مالك بن بشير على الحجاج بقتل الأزارقة

لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة : صاحب الأزارقة . بعث إلى مالك بن بشير ، فقال له : إني مؤفدك إلى الحجاج ، فسر ، فإنما هو رجل مثلك ، وبعث إليه بجائزة فردها ، وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق ، وتوجه فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير ، قال : ملك وبشارة ! كيف تركت المهلب ؟ قال : أدرك ما أمثل ، وأمن من خاف ، قال : كيف هو لجنده ؟ قال : والد رءوف ، قال : فكيف رضاهم عنه ؟ قال : وسعهم بالفضل ، وأقنعهم بالعدل ، قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم بجِدِّنا فنطمع فيهم ، ويلقوننا بجِدِّهم فيطمعون فينا ، قال : كذلك الجِدُّ إذا لقي الجِدَّ . قال : فما حال قطري ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه . قال : فما منعكم من اتباعه ؟ قال : رأينا المُقام من ورأئه خيراً من اتباعه ، قال : فأخبرني عن ولد المهلب ، قال : أعباء القتال بالليل ، حُماة السَّرح^(١) بالنهار ، قال : أيهم أفضل ؟ قال ذلك إلى أيهم ، قال : لتقولن ، قال : هم كحلقة مضروبة لا يُعرف طرفاها ، قال : أقسمت عليك هل رَوَّأت^(٢) في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً ، فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

(المقد الفريد ١ : ١٢٢ ، ومروج الذهب ٢ : ١٤٨)

٣٨٠ — وفود كعب الأشقرى على الحجاج

أوفد المهلب بن أبي صفرة كعب بن معدان الأشقرى - ومعه مِرة بن تليد الأزدي - إلى الحجاج بعد هزيمة الأزارقة ، وقَتَلَ أميرهم عبْد رَبَّة الصغير ، فلما دخلا عليه بَدَرَ كعبٌ ، فأنشده قصيدته التي مطلعها :

[١] السرح في الأصل : الدال السالم . [٢] رَوَّأت في الأمر : نظر فيه وتعبه ، ولم يعجل بجواب .

يا خَفْصُ: إني عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ وقد سَهَرْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ
فقال له الحجاج : أشاعر أم خطيب ؟ قال : كلاهما ، ثم أقبل عليه ، فقال له :
أخبرني عن بني المهلب ، قال : « الْمُغِيرَةُ فَارِسُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ ، نَارُ ذَاكِيَّة ^(١) ،
وَصَعْدَةُ ^(٢) عَالِيَّة ، وَكَفَى يَزِيدَ فَارِسًا شَجَاعًا ، لَيْثُ غَابٍ ، وَبَحْرُ جَمِّ عُباب ،
وَجَوَادُهُمْ وَسَخِيهِمْ قَبِيصَةٌ ، لَيْثُ الْمُغَارِ ^(٣) ، وَحَامِي الدِّمَارِ ، وَلَا يَسْتَحْيِي الشُّجَاعُ
أَنْ يَفِرَّ مِنْ مُدْرِكٍ ، فَكَيْفَ لَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ الْحَاضِرِ ، وَالْأَسَدُ الْخَادِرِ ؟ وَعَبْدُ
الْمَلِكِ سَمٌّ نَاقِعٌ ، وَسَيْفٌ قَاطِعٌ ، وَحَبِيبُ الْمَوْتِ الزُّعَافُ ، إِمَّا هُوَ طَوْدٌ ^(٤)
شَامِخٌ ، وَنَخْرٌ بِاذِخٍ ، وَأَبُو عَيْيَنَةَ الْبَطَلِ الْهُمَامُ ، وَالسَّيْفُ الْحَسَامُ ، وَكَفَاكَ بِالْمُفَضَّلِ
نَجْدَةٌ ، لَيْثُ هَذَارٍ ، وَبَحْرُ مَوَّارٍ ^(٥) ، وَمُحَمَّدُ لَيْثُ غَابٍ ، وَحُسَامُ ضِرَابٍ ، قال :
فكيف كانوا فيكم ؟ قال : كَانُوا حُمَاةَ السَّرْحِ نَهَارًا ، فَإِذَا أَلْيَلُوا ^(٦) فَفَرُّسَانِ الْبِيَاتِ ،
قال : فَأَيُّهُمْ كَانَ أَجَدُّ ؟ قال : كَانُوا كَالْحَلَقَةِ الْمُفْرَغَةِ : لَا يُدْرِي أَيْنَ طَرَفُهَا ، قال :
فكيف كَانَ لَكُمْ الْمَهْلَبُ وَكُنْتُمْ لَهُ ؟ قال : كَانَ لَنَا مِنْهُ شَفَقَةُ الْوَالِدِ ، وَلَهُ مِنْنا بَرٌّ
الْوَلَدِ ، قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ : أَدْرَكُوا مَا رَجَوْا ،
وَأَمِنُوا مِمَّا خَافُوا ، وَأَرْضَاهُمُ الْعَدْلُ ، وَأَغْنَاهُمُ النَّفْلُ ^(٧) ، قال : فكيف كنتم أنتم
وعدوكم ؟ قال : كُنَّا إِذَا أَخَذْنَا عَفْوَنَا ، وَإِذَا أَخَذُوا يَدِيْنَا مِنْهُمْ ، وَإِذَا اجْتَهَدُوا
وَاجْتَهَدْنَا طَمَعِنَا فِيهِمْ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، قال : كيف أفلتكم
قطري ؟ قال : كَدْنَاهُ بِيَعْضِ مَا كَادَنَا بِهِ ، فَصَرْنَا مِنْهُ إِلَى الَّذِي نَحْبُ ، قال : فهلا
اتبعتموه ؟ قال : كَانَ الْحَدُّ عِنْدَنَا آثَرُ مِنَ الْفَلِّ ^(٨) ، قال : أَكُنْتُ أَعْدَدْتُ لِي

[١] ذَكَتِ النَّارُ : اشْتَدَّ لَهَبُهَا . [٢] الصَّعْدَةُ : الْفَنَاءُ الْمُسْتَوِيَّةُ تَبَيَّنَ كَذَلِكَ . [٣] أَغَارَ عَلَى
الِدَوِّ إِغَارَةً وَمَغَارًا . [٤] الطَّوْدُ : الْجَبَلُ ، وَبِاذِخٍ : عَالٍ . [٥] مَارَ : مَاجَ وَاضْطَرَبَ .
[٦] أَلْيَلُوا رَأَلُوا : دَخَلُوا فِي اللَّيْلِ . [٧] الْغَنِيمَةُ وَالْهَبَةُ . [٨] الْهَزِيهَةُ .

هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

(الكامل المبرد ٢ : ٢٣٢ ، والأغانى ١٣ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٠٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٩٣)

٣٨١ — سليك بن سلكة والحجاج

دخل على الحجاج سليك بن سلكة^(١) ، فقال :

« أصلح الله الأمير ! أعزني سمعك ، واغضض عني بصرك ، واكفف عني حزبك ، فإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة ، فقال : قل ، فقال : عصى عاص من عرض العشيرة ، فخلق على اسمي ، وهديمت دارى ، وحزمت عطائى ، قال . هيهات ، أما سمعت قول الشاعر :

جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَرَبَّمَا تُعْدِي الصَّحَّاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ^(٢)
وَلَرُبَّ مَا خُوذِ بِذَنْبِ عَشِيرِهِ وَتَجَا الْمُقَارِفِ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قال أصلح الله الأمير ، سمعت الله قال غير هذا ، قال : وما ذاك ؟ قال : قال : « يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا ، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذْنُ أَظَاِلُمُونَ » .

[١] هو غير سليك بن سلكة الذى صرب به المثل فى العدو ، فقيل : « أعدى من السليك » ، فإن سليكا العداء جاهلى ، (وهو سايك بن عمرو التيمى ، والسلكة أمه ، وهى أمة سوداء ، وكان أحد صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين لا يلحقون ، ولا تتعلق بهم الخيل إذا عدوا ، وهم : السليك بن السلكة ، والشنفرى ، وتأبط شرًا ، وعمرو بن براق ، ونفيل بن براق) ، قال صاحب القاموس فى مادة غرب : « وأغربة العرب سودانهم ، والأغربة فى الجمالية : عنقرة ، وخفاف بن ندبة ، وأبو عمير ابن الحباب ، وسليك بن السلكة ، وهشام بن عقبة بن أبى معيط ، إلا أنه مخضرم قد ولى فى الإسلام ... الخ » ، وقال ابن نباتة فى سرح العيون « وهو جاهلى قديم » — انظر ترجمته فى سرح اليون ص ٨٠ والأغانى ١٨ : ١٢٣ .

[٢] فى الأصل « جانيك من يعنى عليك وقد » على أن العروض حذاء كالضرب وهو صحيح ، ولكن رأى العروض فى البيت الذى يليه تامة ، فوضعت « وربما » بدل « وقد » للمشاكلة بين العروضين .

قال الحجاج : على يزيد بن أبي مسلم ^(١) ، فأُتِيَ به فقتل بين يديه ، فقال :
افكك لهذا عن اسمه ، واصكك ^(٢) له ببطائه ، وابن له منزله ، ومر مناديا
ينادى فى الناس ، صدق الله ، وكذب الشاعر . (العقد الفريد ٣ : ٦)

٣٨٢ - جامع المحاربى والحجاج

شكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ، وتنقم مذهبهم ، وتسخط طريقتهم ،
فقال له جامع المحاربى - وكان شيخا صالحا خطيبا سينا - : « أما إنهم لو أحبوك
لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، فدع
ما يبعدهم منك ، إلى ما يقر بهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تُعطها ممن فوقك ،
وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك . قال الحجاج : « إني والله
ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعنى إلا بالسيف » ، فقال : « أيها الأمير ، إن
السيف إذا لاقى السيف ذهب الحيار » ، فقال الحجاج : « الحيار يومئذ لله » ،
قال : « أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله » ، فغضب الحجاج وقال :
« يا هنام ^(٣) إنك من محارب » ، فقال جامع :

وللحرب سميننا ، وكان محاربا إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرنا
فقال الحجاج : « والله لهممت أن أخلع لسانك ، فأضرب به وجهك » ، فقال
جامع : « إن صدقناك أغضبتك ، وإن غششتناك أغضبنا الله ، فغضب الأمير
أهون علينا من غضب الله » قال : أجل ، وسكن ، وشغل الحجاج ببعض الأمر ،

[١] كاتب الحجاج . [٢] صك له كقتل : كتب له صكا ، وهو الكتاب الذى يكتب فى
المعاملات : (الشيك) . [٣] هن : كلمة يكى بها عن اسم الإنسان ، فإذا ناديت مذكرا بغير التصريح
باسمه قلت : ياهن أقبل ، وقد تزايد الألف والهاء فى آخره فى النداء خاصة ، فيقال ياهنام أقبل ، أى
نافلان ، وهذه الهاء تصير تاء فى الوصل ، وتضم على تقدير أنها آخر الاسم وتكسر لاجتماع الساكنين .

فانسِلْ جامع ، فمرَّ بين صفوف خيل الشام ، حتى جاوز إلى خيل أهل العراق - وكان الحجاج لا يَخْلِطُهُمْ - فأبصر كَبْكَبَةً^(١) فيها جماعةٌ من بكر العراق ، وتيمم العراق ، وأزد العراق ، وقيس العراق ، فلما رآوه أشرأثوا إليه ، وبلغهم خروجه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك ، فقال : وَيُحْكَمْ ! عُثْمُوهُ بالخلع كما يَعْثُمُكُمْ بالعداوة ، وَدَعُّوا التعادى ما عاداكم ، فإذا ظفرت به تراجعتم وتعاقبتهم ، أيها التيميّ : هو أعدى لك من الأزدى ، وأيها القيسىّ : هو أعدى لك من التغلبيّ ، وهل ظفّر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقي معه منكم ؟ » وهرب جامع من قوره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزُفَر بن الحارث .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥١ - ١ : ١٥٢ ،
وعيون الأخبار م ٢ ص : ٢١٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٣٠)

٣٨٣ - ليلي الأخيلية والحجاج

عَنْ مَوْلَى لَعْنَبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ :

كنت أدخل مع عَنَبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوماً ، فدخلت إليهما ، وليس عند الحجاج أحد إلا عنبسة ، فأقعدني ، فجيء الحجاج بِطَبَقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ، ثم جىء بطبق آخر ، حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه شيء ، حتى ظننت أن ما بين يديّ أكثر مما عندهما ، ثم جاء الحاجبُ فقال : امرأة بالباب ، فقال له الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه ، حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرت فإذا امرأة قد أسنت ، حَسَنَةُ الْخَلْقِ ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ ، فسألها

الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلى ، ما أتى بك ؟ فقالت :
 « إِيْخْلَافُ النُّجُومِ ^(١) ، وَقَلَّةُ الْغُيُومِ ، وَكَلَبُ ^(٢) الْبَرْدِ ، وَشِدَّةُ الْجَهْدِ ، وَكُنْتُ
 لَنَا بَعْدَ اللَّهِ الرَّفْدَ ^(٣) » ، فقال لها : صِفِي لَنَا الْفِجَاجَ ^(٤) ، فقالت : « الْفِجَاجُ
 مُنْزَبَرَةٌ ، وَالْأَرْضُ مُقْشَعِرَّةٌ ، وَالْمَبْرُكُ ^(٥) مُعْتَلٌّ ، وَذُو الْعِيَالِ مُخْتَلٌّ ^(٦) ، وَالْهَالِكُ
 لِلْقُلِّ ^(٧) ، وَالنَّاسُ مُسْنِتُونَ ^(٨) ، رَحْمَةُ اللَّهِ يَرْجُونَ ، أَصَابَتْنَا سِنُونُ مُجْحِفَةٌ ^(٩)
 مُبْلِطَةٌ ، لَمْ تَدَعْ لَنَا هَبْعًا ^(١٠) وَلَا رُبْعًا ، وَلَا عَافِطَةً وَلَا نَافِطَةً ^(١١) ، أَذْهَبَتْ
 الْأَمْوَالَ ، وَمَزَقَّتِ الرِّجَالَ ، وَأَهْلَكَتِ الْعِيَالَ » ، ثم قالت : إني قلت في الأمير
 قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أَحْجَاجٌ لَا يُفْلَلُ سِلَاحُكَ ، إِنِّهَا أَلْمَنِيَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا ^(١٢)
 أَحْجَاجٌ لَا تُعْطَى الْعُصَاةُ مُنَاهِمٌ وَلَا اللَّهُ يُعْطَى لِلْعُصَاةِ مُنَاهَا
 إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَأْبِهَا فَشَفَاهَا
 شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
 سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهِ دَمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ مَالُ حَشَاهَا ^(١٣)

[١] أى أخلفت الجيوم التى يكون بها المطر ، فلم تأت بمطر . [٢] كلب البرد : شدته ، وأصل
 الكلب : السعار (بالضم) الذى يصيب الكلاب والذئاب . [٣] الرفد (بالفتح) : المعونة ، مصدر رفده
 كضربه : أعانه وأعطاه ، وبالكسر : العطاء والملة . [٤] الفجج جمع فجج : بالفتح ، وهو الطريق
 الواسع بين جبلين . [٥] أرادت به الإبل الباركة فيه . [٦] محتل : محتاج من الحلة بالفتح
 وهى الحاجة . [٧] للقل : أى هالك من أجل القلة . [٨] أى مقحطون ، والسة القحط .
 [٩] مجحفة : قاشرة ، ومبليطة : ملزقة بالبلاط ، والبلاط : الأرض الملساء ، والحجارة التى تفرش فى الدار ،
 وأبليط الرجل فهو مبليط : إذا لُزق بالأرض . [١٠] الهبع : الفصيل ينتج فى الصيف (فى آخر التاج)
 والريع : الفصيل ينتج فى الربيع (وهو أول التاج) . [١١] العافطة : الضائنة (النعجة) ، من العطف ، وهو
 الضرط ، عطف كضرب : ضربت ، فهى عافطة ، والعطف أيضاً : شير الضأن ، تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار ،
 والنافطة العنز ، من النقط ، نطقت الذئب كضرب نثرت بأنفها ، أو عطست ، فهى نافطة ، أو لانها تنقط
 ببولها أى تدفعه دفعا ، أو النافطة لاتباع للعافطة ، أو العافطة الامة الراعية ، والنافطة الشاة .
 [١٢] السلاح مذكر ويؤنث كما فى هذا البيت . [١٣] السجال جمع سجيل كشمس وهو الدلو العظيمة .

إِذَا سَمِعَ الْحِجَابُ رِزًّا كَتِيبَةً أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا ^(١)
 أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا ^(٢)
 فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارُ وَالْعُونُ مِثْلَهُ يَبْخَرُ وَلَا أَرْضٍ يَحِفُّ ثَرَاهَا ^(٣)

قال : فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قَاتَلَهَا اللَّهُ ! والله ما أصاب صِفَتِي شاعرٌ منذُ دخلتُ العراقَ غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إني لأَعِدُّ للأمر عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حَسْبُكَ ! قالت : إني قد قلتُ أكثرَ من هذا ، قال : حسبك ، وَيَحْكُ ! حسبك ، ثم قال يا غلام ، اذهب إلى فلان فقل له : اقطع لسانها ، فذهب بها ، فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، فأمر بإحضار الحجام ، فالتفت إليه ، فقالت : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! أما سمعتَ ما قال ؟ إنما أَمْرُكَ أن تقطع لسانى بالصِّلَة ، فبعث إليه يَسْتَثْبِتُهُ ، فاستشاط الحجاج غَضَبًا ، وهمَّ بقطع لسانه ، وقال : ارْزُدْهَا ، فلما دخلت عليه ، قالت : كَادَ وَأَمَانَةُ اللَّهِ يَقْطَعُ مِقْوَلِي ! ثم أنشأت تقول :

حَجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ ^(٤)
 حَجَّاجُ أَنْتَ شِهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتُ وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَى يَقْدُ ^(٥)
 ثم أقبل الحجاج على جلسائه ، فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلا أنا لم نَرَ قَطُّ أَفْصَحَ لِسَانًا ، ولا أَحْسَنَ مَحَاوِرَةً ، ولا أَمْلَحَ وَجْهًا ، ولا أَرْضَنَ شعراً منها ، فقال : هذه ليلي الأَخِيلِيَّةُ ، التي ماتت تُوْبَةً الْخَفَاجِيَّ من حُبِّهَا ، ثم

[١] الرِّزُّ: الصوت تسمعه من بعيد. [٢] الصرى : بقية اللبن. [٣] العون جمع عوان كسحاب،

وهي التي كان لها زوج . [٤] الصمد : الذي يصمد أى يقصد في قضاء الحاجج .

[٥] لقيت : أصله من لقيت الناقة أى قبلت اللقاح ، والشهاب : شعلة من نار ساطعة ، ويقد يتوقد

التفت إليها فقال : أنشدينا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة ، قالت : نعم أيها الأمير هو الذي يقول :

وهل تبكين ليلى إذا مت قبلها وقام على قبري النساء النوائح ؟
كما لو أصاب الموت ليلي بكيثها وجاد لها دمع من العين سافح^(١)
وأغبط من ليلى بما لا أناله بلى ، كل ما قررت به العين طامح
ولو أن ليلي الأخيلية سامت على ، ودوني جندل وصفاح^(٢)
لسامت تسليم البشاشة أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح^(٣)

فقال : زیدینا من شعره يا ليلي ، قالت : هو الذي يقول :

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من العر الغواذى مطيرها^(٤)
أيدي لنا ، لا زال ريشك ناعما ولا زلت في خضراء غصن نصيرها
وكنت إذا ما زرت ليلي تبرقعت فقد رايتني منها الغداة سفورها
وقد رايتني منها صدود رأيت وإعراضها عن حاجتي وبسورها^(٥)
وأشرف بالقور اليفاع اعلمني أرى نار ليلي أويراني بصيرها^(٦)
يقول رجال : لا يضيرك نأياها بلى ، كل ما شفت النفوس يضيرها
بلى ، قد يضير العين أن تكثير البكا ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلي بأننى فاجر لنفسي ثقاها ، أو عليها فجورها

[١] سافح : منصب . [٢] الجندل : الحجارة ، والصفايح : حجارة القبر العراس .
[٣] زقا : صاح ، والصدى - وهو الهامة - طائر يخرج من رأس المقتول ، تزعم الأعراب أن روح القتيل تخرج ، فتصير هامة إذا لم يدرك بثأره ، فيصيح على قبره : اسقوني اسقوني حتى يثأر به ، وهذا مثل يراد به تحريض ولى القتيل على طلب دمه ، فجعله جهالة الأعراب حقيقة . [٤] الغواذى جمع غاوية : وهى السحابة تنشأ غدوة . [٥] بسر كدخل : عبس وكبح . [٦] القور جمع قارة : وهى الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، واليفاع : الل .

فقال الحجاج : يا ليلي ، ما الذي رآه من سُفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ، كان
مُيَلِّمٌ بي كثيراً ، فأرسل إليَّ يوماً : إني آتيكِ ، وفَطِن الحى ، فأرصدوا له ، فلما
أتاني سَفَرْتُ عن وجهي ، فعلم أن ذلك لِشَرٍّ ، فلم يزد على التسليم والرجوع ،
فقال : لله درك ! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ فقالت : لا والله الذي أسأله
أن يُصْلِحَك ، إنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأت أقول :

وذى حاجةٍ قلنا له لا تبُخ بها فليس إليها ما حَيَّت سبيلُ
أنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ، ما رأيت منه شيئاً ، حتى فرَّق الموت بيني
وبينه ، قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاة له ، فأوصى ابن عم له ،
إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ، هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسرى إلى خيالها ؟
وأنا أقول :

وعنه عفا ربِّي وأحسن حاله فعزَّت علينا حاجةٌ لا ينالها
قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن مات ، فأتانا نعيه ، فقال : أنشدنا بعض
مراثيك فيه ، فأنشدت :

لِتَبْكِ الْعَذَارَى مِنْ خَفَاجَةِ نِسْوَةٍ بماءِ شُثُونِ الْعَبْرَةِ المتحدِّر^(١)
قال لها : فأنشدنا ، فأنشدته :

[١] الشثون جمع شآن : وهو مجرى الدمع إلى العين ، وكتب مصحح الأماشي قال : « قوله المتحدِّر ،
كذا في النسخ ، وكتب بهامش بعض النسخ بالالف قبل الدال ، لتستقيم القافية ، وفي هامش بعض
النسخ بعد البيت الآتي :

ففي لا تخطاه الرفاق ، ولا يرى لقد رعى عيالا دون جار مجاور » اهـ

كَأَنَّ فِي الْفَتِيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْبَخْ قَلَائِصَ يَفْخَصُنَ الْحَصَى بِالْكَرَّاكِ^(١)
 فلما فرغت من القصيدة ، قال مُحْصَنُ الْفَقْمَعِيِّ : - وكان من جلساء الحجاج -
 مَنْ الَّذِي تَقُولُ هَذِهِ هَذَا فِيهِ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأُظَنُّهَا كَاذِبَةً ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ هَذَا الْقَائِلَ لَوْ رَأَى تَوْبَةً لِسِرِّهِ أَنْ لَا تَكُونَ فِي دَارِهِ عَذْرَاءُ إِلَّا هِيَ
 حَامِلٌ مِنْهُ ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : هَذَا وَأَيُّكَ الْجَوَابُ ، وَقَدْ كُنْتَ عَنْهُ غَنِيًّا ، ثُمَّ قَالَ
 لَهَا : سَلِي يَا لَيْلَى تُعْطَى ، قَالَتْ : أَعْطِ ، فَمَثَلَتْ أَعْطَى فَأَحْسَنَ ، قَالَ : لَكَ
 عَشْرُونَ ، قَالَتْ : زِدْ فَمَثَلَتْ زَادَ فَأَجَمَلَ ، قَالَ : لَكَ أَرْبَعُونَ ، قَالَتْ : زِدْ ، فَمَثَلَتْ
 زَادَ فَأَكْمَلَ ، قَالَ : لَكَ ثَمَانُونَ ، قَالَتْ : زِدْ ، فَمَثَلَتْ زَادَ فَتَمَّتْ ، قَالَ : لَكَ مِائَةٌ ،
 وَاعْلَمِي أَنَّهَا غَنِمَتْ ، قَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَنْتَ أَجْوَدُ جُودًا ، وَأَعْجَدُ مَجْدًا ،
 وَأَرْوَى زَنْدًا ، سَنَ أَنْ تَجْعَلَهَا غَنَمًا ، قَالَ : فَمَا هِيَ ؟ وَتَحَكَّ يَا لَيْلَى ؟ قَالَتْ : مِائَةٌ
 مِنَ الْإِبِلِ بَرْحَاتِهَا ، فَأَمَرَ لَهَا بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَلَاكِ حَاجَةٌ بَعْدَهَا ؟ قَالَتْ : تَدْفَعُ إِلَى
 النَّابِغَةِ الْجَعْدَى ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَقَدْ كَانَتْ تَهْجُوهُ وَيَهْجُوها ، فَبَلَغَ النَّابِغَةُ
 ذَلِكَ ، فَخَرَجَ هَارِبًا عَائِدًا بَعِيدَ الْمَلِكِ ، فَاتَّبَعَتْهُ إِلَى الشَّامِ ، فَهَرَبَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ
 بِخُرَاسَانَ ، فَاتَّبَعَتْهُ عَلَى الْبَرِيدِ بَكْتَابِ الْحَجَّاجِ إِلَى قُتَيْبَةَ ، فَمَاتَتْ بِقَوْمَسَ^(٢) ،
 وَيُقَالُ بِحُلُوانَ .

(الْأَمَالِيُّ ١ : ٨٦ ، وَزَهْرُ الْأَدَابِ ٣ : ٢٦٥)

٣٨٤ - الْغَضْبَانُ بْنُ الْقُبْعَثَرِيِّ وَالْحَجَّاجُ

وَرَدَ عَلَى الْحَجَّاجِ كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِثَلَاثِينَ جَارِيَةً ،
 عَشْرًا مِنَ النِّجَائِبِ ، وَعَشْرًا مِنْ قَعَدِ النِّسْكَاحِ ، وَعَشْرًا مِنْ ذَوَاتِ الْأَحْلَامِ ، فَلَمَّا

[١] الْفَلَائِصُ جَمْعُ قُلُوصَ كَعَبُورَ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الشَّابَّةُ ، أَوْ الْبَاقِيَةُ عَلَى السَّيْرِ ، يَفْخَصُ : يَقْلِبُ ، مِنْ
 خَفَسَ الْمَطَرُ التُّرَابَ قَلْبَهُ ، وَخَفَسَ لِقَطَا التُّرَابِ : اتَّخَذَ فِيهِ أَخْوَصًا وَهُوَ مَجْمُوعُهُ ، وَالْكَرَّاكِرُ جَمْعُ كَرَّاكِرَةٍ
 بِالْكَسْرِ : وَهِيَ زُورُ الْبَيْرِ . [٢] قَوْمَسَ : صَقْعٌ كَبِيرٌ بَيْنَ خُرَاسَانَ وَبِلَادِ الْجَبَلِ .

نظر إلى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى ، فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه ، فقال له بعضهم : أصلح الله الأمير ، ينبغي أن يعرف هذا من كان في أوليته بدويًا ، فله معرفة أهل البدو ، ثم غزا فله معرفة أهل الغزو ، ثم شرب الشراب ، فله بداء أهل الشراب ، قال : وأين هذا ؟ قيل : في حبسك ، قال : ومن هو ؟ قيل الغضبان الشيباني ، فأحضر فلما مثل بين يديه ، قال : أنت القائل لأهل الكوفة يتغذون بي قبل أن أتعشى بهم^(١) ؟ قال : أصلح الله الأمير ، ما نفعت من قالها ، ولا ضرت من فلت فيه ، قال : إن أمير المؤمنين كتب إلى كتاباً لم أدر ما فيه ، فهل عندك شيء منه ؟ قال : يقرأ على ، فقرأ عليه ، فقال : هذا بين ، قال : وما هو ؟ قال : « أمّا النجيبية من النساء : فالتى عظمت هامتها ، وطال عُنقها ، وبعد ما بين منكبيها وئديها ، واتسعت راحتها ، وثخنّت ركبتيها ، فهذه إذا جاءت بالولد جاءت به كالليث ؛ وأما قعد النكاح ، فهن ذوات الأعجاز ، منكسرات الثدي ، كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض ، فأولئك يشفين القرم ، ويروين الظمان ؛ وأما ذوات الأحلام ، فبنات خمس وثلاثين إلى الأربعين^(٢) .

قال الحجاج : أخبرني بشر النساء ، قال : أصلح الله الأمير : شرهن الصغيرة الثقبية^(٣) ، الحديدة الركببة ، السريعة الوثبة ، الواسطة^(٤) في نساء الحى ، التى إذا غضبت غضب لها مائة ، وإذا سميت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها

[١] انظر خطبته فى ص ٣٢٠ . [٢] القرم محرّكة : شدة شهوة اللحم ، وكثر حتى قيل فى الشرق إلى الحبيب . [٣] هنا سطر أسقطناه ، فلينظره فى الأصل من شاء . [٤] الوجه . [٥] وسطهم (كوعد) : جلس وسطهم ، كتوسطهم .

قَرَارَهَا ، التي في بطنها جارية ، ويتبعها جارية ، وفي حجرها جارية ، قال الحجاج :
 على هذه لعنة الله ، ثم قال : وَيَحْك ، فأخبرني بخير النساء ، قال : خيرهن القرية
 القائمة من السماء ، الكثيرة الأخذ من الأرض ، الودود الولود ، التي في بطنها غلام ،
 وفي حجرها غلام ، ويتبعها غلام ، قال : ويحك فأخبرني بشر الرجال ، قال : شرهم
 السنوط ^(١) الربوط ، المحمود في حرم الحى ، الذى إذا سقط لإحداهن دلو في
 بئر ، انحط عليه حتى يُخرجه ، فهن يَجْزِيْنَهُ الخير ، ويقلن عاقى الله فلاناً ، قال :
 على هذا لعنة الله ، فأخبرني بخير الرجال ؟ قال : خيرهم الذى يقول فيه الشَّامُخ التغلبي :
 فتي ليس بالراضى بأذنى معيشة ولا فى بيوت الحى بالمتولج ^(٢)
 فتي يَمْلَأُ الشَّيزَى وَيُرْوِي سِنَانَهُ ويضرب فى رأس الكمي المدجج ^(٣)
 فقال له : حَسْبُكَ ، كم حَبَسْنَا عطاءك ؟ قال : ثلاث سنين ، فأمر له بها
 وخلي سبيله . (مروج الذهب ٢ : ١٤٧)

٣٨٥ — ابن القرية يعدد مساوى المزاح

وقال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زالت الحكماء تكره المزاح وتنهى
 عنه ، فقال : « المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أوله
 فرح وآخره ترح ، المزاح نقائص السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح
 يُوغِر صدر الصديق ، وينقُر الرفيق ، والمزاح يُبْدِي السرائر ، لأنه يُظهر المعابر ،
 والمزاح يُسْقِطُ المروءة ، وَيُبْدِي الخنا ، لم يجر المزاح خيراً وكثيراً ما جرّ شراً ،

[١] السنوط : الذى لا شعر في وجهه ألبنة « الكوسج » كجعفر ، وفي الأصل « السبوط » بالباء ،
 ولم أجده في كتب اللغة ، وإنما الذى فيها من هذه المادة : « أسبط بالأرض : لصق » فالوصف منه
 « مسبط » ومعناه على هذا : السكل المتقاعد عن السعى ، والربوط ، يريد به الملازم لبيته الذى لا يخرج
 منه للتصرف والعمل كأنه قد ربط نفسه فيه . [٢] الداخل .
 [٣] الشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع ، يكى عن كرمه ، والمدجج : الشاك في السلاح .

الغالبُ بالمزاح وإثره ، والمغلوب به ثائر ، والمزاح يجلبُ الشتمَ صغيره ، والحربَ كبيره ، وليس بعد الحرب إلا عفوه بعد قدرة » ، فقال الحجاج : « حسبك ، الموت خير من عفوه معه قدرة » . (زهر الآداب ٢ : ٨٥)

٣٨٦ — يزيد بن أبي مسلم وسليمان بن عبد الملك

لَمَّا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، أَتَى يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ : مَوْلى الْحَجَّاجِ ، فِي جَامِعَةٍ ^(١) ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيًّا تَقْتَحِمُهُ ^(٢) الْعَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سُلَيْمَانُ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ أَمْرًا أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(٣) ، وَوَلَّى مِثْلَكَ ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ عَنِّي مُذْبِرًا ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرَ عَلَى مُقْبِلٍ ، لَاسْتَعْظَمْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَصْغَرْتَ ، وَلَا سَتَجَلَلْتَ مَا اسْتَحْقَرْتَ » ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : « أَيْنَ تَرَى الْحَجَّاجَ ، أَيَّهْوَى فِي النَّارِ ، أَمْ قَدْ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِهَا ؟ » ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَا تَقُلْ هَذَا ، إِنَّ الْحَجَّاجَ قَمَعَ لَكُمْ الْأَعْدَاءَ ، وَوَطَّأَ لَكُمْ الْمَنَابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمْ الْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، وَبَعْدُ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ أَبِيكَ . وَشِمَالِ أَخِيكَ الْوَلِيدِ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شِئْتَ » ، فَصَاحَ سُلَيْمَانُ : أَخْرَجْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ :

[١] الجامعة : القيد . [٢] تدر به . [٣] الرسن : الحبل ، وأجره رسنه : تركه يصنع ماشاء ، يعنى الحجاج ، وكان سليمان يكتب إلى الحجاج في أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتباً فلا ينظر له فيها ، فحقد عليه ، وكتب إليه كتاباً شديد اللهجة ، وفيه يقول « وایم الله لئن أ مكى الله منك لأدوسنك دوسة تلین منها فرائسك ، ولأحعلنسك شريدا في الجبال ، تلوذ بأطراف الشمال » ويقول : « فرويدك حتى تنظر كيف يكون مصيرك إن كانت بی وبك مسدة أعلق بها » فرد عليه الحجاج بكتاب يقول فيه : « ولعمري إنك لصبي حديث السن تعذر بقلّة عقلك ، وحدائث سنك ، ويرقب فيك غيرك » ويقول : « جمعت أموراً دلاك فيها الشيطان على أسوأ أمرك ، فكان الجفاء من خليقتك ، والحق من طبيعتك ، وأقبل الشيطان بك وأدبر . . . الخ » انظر العقد الفريد ج ٣ ص ١٦ ، وقد مات الحجاج قبل أن يتولى سليمان الخلافة بسنة .

قَبَّحَهُ اللَّهُ مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْتِيبَهُ لِنَفْسِهِ وَلصَاحِبِهِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَكَافَأَةَ ،
أَطْلَقُوا سَبِيلَهُ . (أُمَالِي السَّيِّدِ الْمَرْفُوعِيِّ ١ : ٢١٥ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ١ : ١٥٠ ،

وَمَرْجُوهُ الذَّهَبُ ٢ : ١٦٤ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ ١ : ٢١٠)

٣٨٧ — وفود العراق على سليمان بن عبد الملك

وقد تمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما اسْتُخْلِفَ ، فَأَمَرَهُمْ بِشْتِمِ
الْحِجَابِ ، فَقَامُوا يَشْتِمُونَهُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : « إِنْ عَدُوَّ اللَّهِ الْحِجَابُ كَانَ عَبْدًا زَبَابًا ^(١) » ،

[١] بَاطِعٌ زَبِيبٌ ، قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَبِيعُ الزَّبِيبَ بِالطَّائِفِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ يَعْلَمُ الصَّبِيَّانَ مَعَ أَبِيهِ
بِالطَّائِفِ — وَيُسَمَّى كَلْبِيًّا — وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ .

أَيْنَسَى كَلْبِ زَمَانِ الْهَزَالِ وَتَعْلِيمِهِ سُورَةَ الْكَوْثَرِ ؟
رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَ دَائِرٌ وَآخِرُ كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ

« يَشِيرُ إِلَى خَبَرِ الْمَعْلَمِينَ ، فَإِنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي الصَّفَرِ وَالْكَبْرِ عَلَى قَدَرِ بَيُوتِ الصَّبِيَّانِ » وَيَقُولُ آخِرُ :

فَلَوْلَا بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يَوْسُفَ كَمَا كَانَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ الْيَادِ
زَمَانٌ هُوَ الْعَبْدُ الْقَمَرُ بَدَلُهُ يَرْوَحُ صَبِيَّانَ الْقَرَى وَيَغَادِي

« رَاحَهُمْ وَرَوَّحَهُمْ : ذَهَبَ إِلَيْهِمْ رَوَّاحًا » ، ثُمَّ صَارَ دَبَاغًا كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ هَجَاءُ كَعْبِ الْأَشْقَرِيِّ لَهُ ،
وَذَلِكَ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صَمْرَةَ لَمَّا أَطَالَ قِتَالَ الْأَزَارِقَةَ ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْحِجَابُ يَسْتَبْطِئُهُ وَيَضْعِفُهُ وَيُحْجِرُهُ فِي
تَأْخِيرِ مُنَاجَرَتِهِمْ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِرَسُولِهِ : « قُلْ لَهُ : إِنْ السَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْعَائِبُ ، فَإِنْ كُنْتُ أَنْصِبْتِي
لِحَرْبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى أَنْ أُدِيرَهَا كَمَا أُرَى ، فَإِنْ أُمَكَّنْتِي الْفُرْصَةَ أَنْتَهَزْتُهَا ، وَإِنْ لَمْ تَمَكَّنِي فَأَنَا أُدَبِّرُ ذَلِكَ
بِمَا يَصْلَحُهُ ، وَإِنْ أَرَدْتَ مِنِّي أَنْ أَعْمَلَ بِرَأْيِكَ وَأَنْتَ غَائِبٌ ، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَعَلَيَّْ » ،
فَابْتِثَ مِنْ رَأْيِ مَكَانٍ « وَقَامَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ إِلَى الْمُهَلَّبِ ، فَأَشْتَدَّ بِحَضْرَةِ رَسُولِ الْحِجَابِ أَيْبَاتًا مِنْهَا :

إِنْ ابْنُ يَوْسُفَ عَرَّهَ مِنْ غَزْوِكُمْ خَفَضَ الْمَقَامَ بِمَجَانِبِ الْأَمْصَارِ
لَوْ شَاهَدَ الصَّفِينَ حِينَ تَلَاقِيَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ رَحِيْبَةُ الْأَقْطَارِ
وَرَأَى مَعَاوِدَةَ الدَّبَاغِ غَنِيمَةً أَزْمَانُ كَانَ مُحَالَفَ الْإِقْتَارِ

فَبَدَأَتْ أَيْبَاتُهُ الْحِجَابُ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بِأَمْرِهِ بِإِشْخَاصِ كَعْبِ الْأَشْقَرِيِّ إِلَيْهِ ، فَأَعْلَمَ الْمُهَلَّبُ كَعْبًا بِذَلِكَ ،
وَأَوْفَدَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْتَوْهِبُهُ مِنْهُ فَقَدَّمَ كَعْبًا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَاسْتَنْشَدَهُ ، فَأَعْجَبَهُ
مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَأَوْفَدَهُ إِلَى الْحِجَابِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقْسِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : إِلَيْهِ يَا كَعْبُ ،
« وَرَأَى مَعَاوِدَةَ الدَّبَاغِ غَنِيمَةً » ؛ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَدَدْتُ فِي بَعْضِ مَا شَاهَدْتُهُ فِي تِلْكَ
الْحُرُوبِ وَأَزْمَاتِهَا ، وَمَا يَوْرِدُنَا مِنَ الْمُهَلَّبِ مِنْ خَطَرٍ ، أَنْ أَنْجُوَ مِنْهَا ، وَأَكُونُ حِجَابًا ، أَوْ حَائِكًا ، فَقَالَ
لَهُ الْحِجَابُ : أَوَّلَى لَكَ ، لَوْلَا قَسَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا نَفَعَكَ مَا أَسْمَعُ ، فَالْحَقُّ بِصَاحِبِكَ ، وَبَعْضُ الرِّوَاةِ يَشْكُرُ
هَذَا الْقَوْلَ ، وَيَقُولُ : هَذِهِ مِنْ أَكْذَابِ الشُّعْرَاءِ ، — انْظُرِ الْأَغَانِي ج ١٣ ص ٥٧ ، وَسَرَحَ الْعَيُونُ
ص ١١٢ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣ : ٦ — .

قَنُورُ بْنُ قَنُورٍ^(١) ، لَا نَسَبَ لَهُ فِي الْعَرَبِ » قَالَ سُلَيْمَانُ : أَيْ شَتَمَ هَذَا !
 إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الْحِجَابُ كَتَبَ إِلَيَّ : « إِنَّمَا أَنْتَ نَقْطَةٌ مِنْ مِدَادٍ ، فَإِنْ رَأَيْتَ
 فِيَّ مَا رَأَى أَبُوكَ وَأَخُوكَ كُنْتَ لَكَ كَمَا كُنْتَ لهُمَا ، وَإِلَّا فَأَنَا الْحِجَابُ وَأَنْتَ
 النُّقْطَةُ ، فَإِنْ شِئْتَ مَحَوْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَثْبَتُكَ » فَالْعَنُوهُ لَعْنَهُ اللَّهُ ، فَأَقْبَلَ
 النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ ، فَقَامَ ابْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا نَخْبِرُكَ عَنْ عَدُوِّ اللَّهِ بِعِلْمٍ » قَالَ : هَاتِي ، قَالَ : « كَانَ عَدُوَّ اللَّهِ
 يَتَزَيَّنُ تَزْيِينَ الْمُؤْمِسَةِ^(٢) ، وَيَصْعَدُ الْمَنْبِرَ فَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْأَخْيَارِ ، فَإِذَا نَزَلَ عَمِلَ
 عَمَلِ الْفِرَاعِنَةِ ، وَأَكْذَبُ فِي حَدِيثِهِ مِنَ الدَّجَالِ » ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِرَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ :
 « هَذَا وَأَبْيُكَ الشَّتْمُ ، لَا مَا تَأْتِي بِهِ السَّفِيلَةُ^(٣) » . (الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ ١ : ٢١١)

٣٨٨ — كَلَامُ أَبِي حَازِمٍ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

حَجَّ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لِلزِّيَارَةِ بَعَثَ إِلَى أَبِي حَازِمٍ
 الْأَعْرَجِ ، وَعِنْدَهُ ابْنُ شِهَابٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : تَكَلِّمْ يَا أَبَا حَازِمٍ . قَالَ : فِيمَ
 أَتَكَلِّمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : فِي الْمَخْرَجِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ : يَسِيرُ إِنْ أَنْتَ
 فَعَلْتَهُ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا تَأْخُذْ الْأَشْيَاءَ إِلَّا مِنْ حِلِّهَا ، وَلَا تَضَعُهَا إِلَّا فِي
 أَهْلِهَا . قَالَ : وَمَنْ يَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : مَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ الرِّعْيَةِ مَا قَلَّدَكَ ،
 قَالَ : عَظَنِي أَبَا حَازِمٍ . قَالَ : اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَصِرْ إِلَيْكَ إِلَّا بِمَوْتِ مَنْ كَانَ
 قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ يَدَيْكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : يَا أَبَا حَازِمٍ أَشْرَعَ عَلَيَّ ، قَالَ
 إِنَّمَا أَنْتَ سَوْقٌ ، فَمَا نَفَقَ^(٤) عِنْدَكَ مُجِئٌ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَاخْتَرِ أَيُّهُمَا شِئْتَ .

[١] القنور : الشرس الصعب من كل شيء وكسَنُور : العبد . [٢] امرأة مومس ومومسة :
 فاجرة ، أو مجاهرة بالفجور « من الومس كوعد : وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد ، وأومست :
 أمكنت من الومس » . [٣] سفلة الناس كنقمة وفرحة : أسافلهم وغواظهم . [٤] راج .

قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدنيتني فتنتني ، وإن أقصيتني أخزيتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندي ما أخافك عليه . قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطاني منها قبلتُ ، وما منعتني منها رَضِيتُ .

(العقد الفريد ١ : ٣٠٦ ، والبيان والتبيين ٣ : ٧٢)

٣٨٩ — أبو حازم وسليمان بن عبد الملك أيضاً

ودخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال يا أبا حازم : ما لنا نكره الموت ؟ فقال : لأنكم عمَّرتُم دنياكم ، وأخر بتم آخرتكم ، فأنتم تكَرَّهون النُّقْلةَ مِنَ الْعُمُرَانِ إلى الخراب ، قال : فأخبرني ، كيف القدوم على الله ؟ قال : أما الْمُحْسِنُ فكَالْغَائِبِ يَأْتِي أَهْلَهُ مَسْرُورًا ، وأما الْمُسِيءُ فَالْكَالْعَبْدِ الْآبِقِ ^(١) يَأْتِي مَوْلَاهُ مَحْزُونًا ، قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأى القول أعدل ؟ قال : كلمة حق عند من تخاف وترجو ، قال : فأى الناس أعقل ؟ قال : مَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، قال : فأى الناس أجهل ؟ قال : مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، قال : عِظْنِي وَأَوْجِزْ ، قال : يا أمير المؤمنين ، نَزَّهْ رَبَّكَ ، وَعَظِّمَهُ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ ، فَبَكَى سُلَيْمَانُ بَكَاءً شَدِيدًا ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : أَسْرَفْتَ وَيُحْكُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ : أَسْكُتْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيَبْدِيذُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانَ بِمَالٍ ، فَرَدَّهُ وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَرْضَاهُ لَكَ ، فَكَيْفَ أَرْضَاهُ لِنَفْسِي ؟ (مروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١٤٧)

[١] الآبق : المارِب .

٣٩٠ — وفد أهل الحجاز عند عمر بن عبد العزيز

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، قَدِمَ عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فأشرب منهم غلام للكلام ، فقال عمر : مهلاً يا غلام ، ليتكلم من هو أسنُّ منك ، فقال الغلام : مهلاً يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبدَ لساناً لافِظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجاد له الحليّة ، ولو كان التقدم بالسنّ لكان في هذه الأمة مَنْ هو أحقّ بمجلسك منك ، فقال عمر : صدقت ، تكلم ، فهذا السّحر الحلال ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وفد التهنة لا وفد المُرزئة ^(١) ، قدِمنا إليك من بلدنا ، نحمد الله الذي مَنَّ بك علينا ، لم يُخرجنا إليك رغبةً ولا رهبةً ، لأننا قد أمنا في أيامك ما خِفنا ، وأدركنا ما طلبنا ، فقال : عِظْنا يا غلام وأوجِز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن أناساً غرَّهم حِلْمُ الله عنهم ، وطولُ أَمَلِهِمْ ، وحسنُ ثناء الناس عليهم ، فلا يفرّونك حِلْمُ الله عنك ، وطولُ أَمَلِك ، وحسنُ ثناء الناس عليك ، فتزِلْ قَدَمُكَ ، فنظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بضعة عشرة سنة ^(٢) ، فأنشأ عمر يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا عِلْمَ عنده صغيره إذا التفّت عليه المحافل

(مروج الذهب ٢ : ١٦٩ ، وزهر الآداب ١ : ٩)

٣٩١ — خالد بن صفوان يعزى عمر بن عبد العزيز ويهنته

وعزى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة ، فقال :

[١] رزأه ماله كجعل وعلم : أصاب منه شيئاً ، ورزأه مرزئة : أصاب منه خيراً ، أى لساناً وافدين للعزاء . [٢] وفي زهر الآداب : « فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين » .

« الحمد لله الذى مَنَّ على الخلق بك ، والحمد لله الذى جعل موتكم رحمة .
وخلافتكم عِصْمة ، ومصائبكم أُسْوَةً ، وجعلكم قدوة » . (زمر الآداب ٣ : ٣٤٧)

٣٩٢ . خطبة عبد الله بن الأَهم

دخل عبد الله بن الأَهم على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - تعالى مع العامة ، فلم يفجأ عمر إلا وهو مائل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أما بعد ، فإن الله خَلَقَ الخلق ، غنيًا عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، والناسُ يومئذٍ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعربُ بشرٌ تلك المنازل ، أهلُ الوبرِ وأهلُ المدَر ، تُحتازُ دونهم طيباتُ الدنيا ورَفَاغَةٌ ^(١) عيشتها ، مَيتهم فى النار ، وحيثهم أعمى ، مع ما لا يُحصى من المرغوب عنه . والمزهود فيه ، فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته ، بعث إليهم رسولا منهم « عَزِيزٌ عَلِيمٌ مَّا عَتَمْتُ حَرِيصٌ عَلَيكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » ، فلم يمنعهم ذلك أن جرّحوه فى جسمه ، ولقبوه فى اسمه ^(٢) ، ومعه كتاب من الله لا يرحل إلا بأمره ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار ، فلما أمر بالعزيرة أسفَرَ لأمر الله لوته ، فأفلج ^(٣) الله حُجَّتَه ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا نقيّاً تقيّاً ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله ، وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الذى كَانَ قابلاً منهم ، فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران من شعلها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يَبْرَحْ يفصل أوصالهم ، ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الذى خرجوا منه ، وقرّهم بالذى نفرّوا منه ، وقد كَانَ

[١] الرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب . [٢] فوصفوه بأنه ساحر ، وكذاب ، وكاهن ،

وشاعر . [٣] نصر .

أصاب من مال الله بَكْرًا^(١) يرتوى عليه ، وَحَبَشِيَّةٌ تُرْضِعُ وَلَدًا لَهُ ، فرأى ذلك غُصَّةً عند موته في حلقه ، فأدَّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وَبَرِيءٌ إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وفارق الدنيا نقيًا تقيًا ، على منهاج صاحبه ، رضى الله تعالى عنه ، ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمَضَّرَ الْأَمْصَارَ ، وَخَلَطَ الشَّدَّةَ بِاللِّينِ ، فَخَسَّرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِيهِ ، وَأَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا^(٢) ، وَلِلْحَرْبِ آلَتَهَا ، فلما أَصَابَهُ قِنٌّ^(٣) الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُ النَّاسَ : هَلْ يُثَبِّتُونَ قَاتِلَهُ ؟ فلما قِيلَ لَهُ قِنُّ الْمَغِيرَةِ ، اسْتَهْلَ^(٤) بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْ لَا يَكُونَ أَصَابُهُ ذَوْحٌ فِي الْفِيءِ ، فَيَسْتَحِلُّ دَمَهُ بِمَا اسْتَحِلَّ مِنْ حَقِّهِ ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللَّهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ أَلْفًا ، فَكَسَّرَ بِهَا رِبَاعَهُ^(٥) ، وَكَرِهَ بِهَا كَفَالَةَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، وفارق الدنيا نقيًا تقيًا على منهاج صاحبه ، رضى الله تعالى عنهما ، ثم إِنَّا وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعْنَا بَعْدَهَا إِلَّا عَلَى ظُلْمٍ^(٦) ، ثُمَّ إِنَّكَ يَا عُمَرُ ابْنَ الدُّنْيَا ، وَلَدْتُكَ مَلُوكُهَا ، وَأَلْقَمْتُكَ ثَدْيَهَا ، فَلَمَّا وَلَّيْتُهَا أَلْقَيْتُهَا حَيْثُ أَلْقَاهَا اللَّهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَّا بِكَ حَوْبَتَهَا^(٧) ، وَكَشَفَ بِكَ كُرْبَتَهَا ، امْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ ، فَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ عَلَى الْحَقِّ شَيْءٌ ، وَلَا يَعِزُّ عَلَى الْبَاطِلِ شَيْءٌ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ » ، وَلَمَّا أَنْ قَالَ : « ثُمَّ إِنَّا وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعْنَا بَعْدَهَا إِلَّا عَلَى ظُلْمٍ » سَكَتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا هَشَامًا فَإِنَّهُ قَالَ : « كَذَبْتَ » .

(البيان والتبيين ٢ : ٥٩ . والعقد الفريد ٢ : ١٤٣ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٣٦) .

- [١] الفتي من الإبل . [٢] أسبابها التي تقاد بها ، جمع قرن كسبب وهو الحبل يجمع به البعيران .
[٣] الفن : عبد ملك هو وأبوه ، أو الذي ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك .
[٤] صاح . [٥] الرباع جمع ربع كشس وهو الدار . [٦] جمع ظالم : وهو المتهم والمائل ، وأصله من ظلم البعير كنع : غمز في مشيه . [٧] الحوبة : الهمة والحاجة .

٣٩٣ — مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز، فقال :
 « إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
 وكم من قوم قد غرهم مثلُ الذي أصبحنا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستوعبهم ،
 فخرجوا من الدنيا مُرَمِلِينَ ^(١) ، لم يأخذوا لما أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ، ولا لما
 كَرِهوا جُنَّةً ، واقتسم ما جمعوا مَنْ لم يَحْمَدْهم ، وصاروا إلى من لا يَعْذِرْهم ،
 فانظر الذي تحبُّ أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمْه بين يديك حتى تخرج
 إليه ، وانظر الذي تكره أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فابتغِ به البَدَلَ ، حيث
 يجوز البذل ، ولا تذهبنَّ إلى سِلْمَةٍ قد بَارَتْ على غيرك ، ترجو جَوَازَها عنك ،
 يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسَهِّلِ الحِجَابَ ، وانصر المظلوم ، وَرُدِّ الظالم .
 (عيون الاخبار م ٢ ص ٣٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٣٤)

٣٩٤ — وفد أهل الحجاز على هشام بن عبد الملك

وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفيهم محمد
 ابن أبي الجهم ^(٢) بن حذيفة العدوي ، وكان أعظمهم فدرًا ، وأكبرهم سنًا ،
 وأفضلهم رأيًا وحِلْمًا ، فقام متوكِّئًا على عصا ، فقال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطبَّتْ ،
 وأثنت عليك فأحسنْتَ ، ووالله ما بلغ قائلهم قدرَكَ ، ولا أحصى مُثْنِيهم
 فضلك ، أفتأذن لي في الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : أفاأوجز أم أطنب ؟ قال :
 بل أوجز ، قال : « تولاك الله أمير المؤمنين بالحُسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك

[١] أرمل : فقد زاده وافقر . [٢] في الأمل « اسمعيل بن أد ، الحمد » .

خير الآخرة والاولى ، إن لى حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتها ، قال : كبرت سنّى ، وضعفت قواى ، واشتدت حاجتى ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وَيَنْفِي فَقْرِي » ، قال : يا بن أبى الجهم ، وما الذى يجبر كسرك ، وينفى فقرك ؟ قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار ، فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيهات يا بن أبى الجهم ، بيتُ المال لا يحتمل ما سألت ! فقال : أما إن الأمر لواحد ، ولكن الله آثرك لمجلسك ، فإن تُعطينا فحقنا أدّيت ، وإن تمنعنا نسأل الذى بيده ما حوت ، إن الله جعل العطاء محبةً ، والمنع مبغضةً ، ولأن أحببك أحبُّ إلىَّ من أن أبغضك ، قال : فألف دينار لماذا ؟ قال : أقضى بها ديناً قد حمّ^(١) قضاؤه ، وقد حنى^(٢) حمّله ، وأرهتني^(٣) أهله ، قال : نعم المسلك أسلكها ، ديناً قضيت ، وأمانة أدّيت ، وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوّج بها من أدرك من ولدى ، فأشدّ بهم عضدى ، ويكثر بهم عددى ، قال : ولا بأس أغضضت طرفاً ، وحصّنت فرجاً ، وأمّرت^(٤) نسلاً ، وألف دينار لماذا ؟ قال : اشتري بها أرضاً يعيدش بها ولدى ، وأستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون ذخراً لمن بعدى ، قال : ولا بأس ، أردت ذخراً ، ورجوت أجراً ، ووصلت رجماً ، قد أمرنا لك بما سألت ، قال : فالحمودُ الله على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحمَ خيراً ، وخرج ، فقال هشام : تالله ما رأيت رجلاً أطف في سؤال ، ولا أرفق في مقال ، من هذا ، هكذا فليكن القرشى ، وإنا لنعرف الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نُعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقشيراً ، وما نحن إلاّ خزّان الله فى بلاده ، وأمناءه على عبادِهِ ، فإن أذن أعطينا ، وإذا

[١] حمّ الأمر : قضى وقدر . [٢] أثقلنى .

[٣] الإرهاق : أن تحمل الإنسان على مالا يطيقه . [٤] كثرت .

منع أَيْبُنَا ، ولو كَانَ كل قائل يَصْدُق ، وكل سائل يَسْتَحَق ، مَا جَبَّهْنَا ^(١) قَائِلًا ، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا ، فَنَسْأَلُ الَّذِي يِيده مَا اسْتَحْفَظْنَا أَنْ يُجْزِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ^(٢) ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مُبْتَدَى ، وَلَيْسَ الْمُبْتَدَى كَالْمُتَبَدَّى .

(صبح الأعشى ١ : ٢٦٤ ، والأمالى ١ : ١٤٧ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٨٥)

٣٩٥ — مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد بن صفوان : وفدت على هشام فوجدته قد بدأ يشرب الدُّهْن ، وذلك في عام بَاكَرٍ وَشَمِيٍّ ، وَتَتَابَعُ وَلِيَّهُ ^(٣) ، وَأَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ، فَهِيَ كَالزَّرَابِيِّ ^(٤) الْمَبْثُوثَةِ ، وَالْقَبَاطِيَّ ^(٥) الْمَنْشُورَةِ ، وَثَرَاهَا كَالْكَافُورِ ، لَوْ وُضِعَتْ بِهِ بَضْعَةٌ ^(٦) لَمْ تُتْرَبْ ^(٧) ، وَقَدْ ضُرِبَتْ لَهُ سُرَادِقَاتُ حَبَرٍ ^(٨) ، بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْيَمَنِ ، تَتْلَأُ كَالْعَقِيَانِ ^(٩) ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ أَزَلْ وَاقِفًا ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُسْتَنْطِقِ لِي ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ ، وَدَفَعَ عَنْكَ نِقَمَهُ ، وَجَعَلَ مَا قَلَدَكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ رُشْدًا ، وَعَاقِبَةً مَا يُثَوِّلُ إِلَيْهِ تَحَمُّدًا ، وَأَخْلَصَهُ لَكَ بِإِثْقَى ، وَكَثَّرَهُ لَكَ بِالنِّمَاءِ ، وَلَا كَدَّرَ عَلَيْكَ مِنْهُ مَا صَفَا ، وَلَا خَالَطَ سُرُورَهُ بِالرَّوْدَى ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ ثِقَةً وَمُسْتَرَاحًا ،

[١] حبه كمنعه : افيه بما يكره . [٢] يقبض ويضيق . [٣] الوسمى : مطر الربيع الأول ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض ، والولى : المطر بعد الوسمى . [٤] جمع زربى بالكسر ويضم : التمارق والبسط ، أو كل ما بسط واتكى عليه (والتمارق : الوسائد المغيرة) . [٥] قاطى بضم الأول مع تشديد الآخر ، وقباطى بفتح الأول مع تخفيف الآخر جمع قبطية بالغم على غير قياس ، وقد تكسر : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر . [٦] البضعة وقد تكسر : انقطعة من اللحم . [٧] أنزبه وترّبه جعل عليه التراب . [٨] حبر جمع حبرة كغنية : ضرب من برود اليمن . [٩] العقيان : الذهب .

إليك يتصدون في مظالمهم ، ويفزعون في أمورهم ، هذا مقام زين الله به ذكرى ، وأطاب به نشري^(١) ، إذ أراني وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامي هذا شيئاً هو أفضل من أن أنبئه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ، ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث سلف لملك من ملوك العجم ، إن أذن لي فيه حديثه به ، قال : هات ، قلت : « كان رجل من ملوك الأعاجم ، جمع له فتاء^(٢) السن ، وصحة الطباع ، وسعة الملك ، وكثرة المال ، وذلك بالخوزنق ، فأشرف يوماً ، فنظر ما حوله ، فقال لمن حضره : هل عامتم أحداً أوتي مثل الذي أوتيت ؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجّة : إن أذنت لي تكلمت . فقال : قل ، فقال : رأيت ما جمع لك ، شيء هو لك ، لم يزل ولا يزول ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه ، وصار إليك ، وكذلك يزول عنك ؟ قال : لا . بل شيء كان لمن قبلي ، فزال عنه ، وصار إليّ ، وكذلك يزول عني ، قال : فسمرت بشيء تذهب أدته ، وتبقى تبعته ، تكون فيه قليلاً ، وترتهن به طويلاً ؟ فبكي وقال : أين المهرب ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تُقيم في ملكك ، فتعمل فيه بطاعة ربك ، وإما أن تُلقى عليك أمساحاً^(٣) ، ثم تلتحق بجبل ، تعبد فيه ربك ، حتى يأتي عليك أجلك ، قال : فإلى إذا أنا فعلت ذلك ؟ قال : حياة لا تموت ، وشباب لا يهرم ، وصحة لا تسقم ، وملك جديد لا يبلى ، قال : فإذا كان السحر فاقرع على بابي ، فإنني مختار أحد الرأيين ، فإن اخترت ما أنا فيه ، كنت وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد ، كنت رفيقاً لا يخالف ، فقرع عليه عند السحربابه ، فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس أمساحه ، وتهياً

[١] النشر : الرائحة الطيبة . [٢] الفتاء كساء : الشباب .

[٣] الأمساح جمع مسح كحل وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان .

للسياحة ، فلزما والله الجبل ، حتى أتاهما أجلهما » ، وأنشده قول عديّ بن زيد :

وتفكرُ ربَّ الخورنقِ إذ أصبح يوماً وللهدي تفكيرُ
سرّه حاله وكثرة ما يملك والبحرُ مُعرِضاً والسدير^(١)
فارعوى قلبه ، فقال : وما غبطةٌ حَيٍّ إلى الممات يصير؟^(٢)

فبكى هشام وقام ودخل ، فقال لى حاجبه : لقد كسبت نفسك شراً ، دعاك
أمير المؤمنين لتحديثه وتلمهيته ، وقد عرفت علته ، فما زدت على أن نعتت إليه
نفسه ، فأقت أياماً أتوقع الشر ، ثم أتانى حاجبه ، فقال : قد أمر لك بجائزة ،
وأذن لك فى الانصراف . (بيون الأخبار م ٢ : ص ٣٤١ ، الأغاني ٢ : ٣٣)

٣٩٦ — خالد بن صفوان يصف جريراً والفرزدق والأخطل

قال هشام بن عبد الملك لشيبة بن عقال — وعنده جرير والفرزدق والأخطل ،
وهو يومئذ أمير — ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغرّوا بين عشائهم ، فى غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر؟ فقال
شيبة : « أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينجح من صخر ، وأما
الأخطل فيجيد المدح والفخر » ، فقال هشام : ما فسررت لنا شيئاً نحصله ، فقال :
ما عندى غير ما قلت . فقال لخالد بن صفوان : صفهم لنا يا بن الأهتم ، فقال :

« أما أعظمهم نخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عُذراً ، وأسيرهم مثلاً ،
وأقلهم غزلاً ، وأحلام عِللاً ، الطامى إذا زخر ، والحامى إذا زأر^(٣) ، والسامى
إذا خطر ، الذى إن هدر قال ، وإن خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل

[١] معرِضاً : من أعرض الشيء إذا ظهر وبرز . [٢] الغبطة : السرة .

[٣] وفى رواية زهر الآداب : « إذا زعر » .

العِنان ، فالفرزدق ؛ وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم قوتاً ، الذى إن هجا وصنع ، وإن مدح رفع ، فالأخطل ؛ وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوه سترأ ، الأغرأ الأبلق ، الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق ، فخير ، وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العماد ، وارى الزناد .

فقال له مسامة بن عبد الملك : ماسمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ، ولا رأينا فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفهم مقالا ، وأكرمهم فعالا .

فقال خالد : « أتم الله عليكم نعمته ، وأجزل لديكم قسمته ، وآنس بكم الغربة ، وفرج بكم الكربة ، وأنت والله ما علمت أيها الأمير كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد فى المخل^(١) ، بسام فى البذل ، حلیم عند الطيش ، فى ذروة قريش ، ولباب عبد شمس ، ويومك خير من أمس . »

فضحك هشام وقال : « ما رأيت كتخلصك يابن صفوان فى مدح هوؤلاء ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً ، وسأمت منهم . »

(الأغانى ٧ : ٦٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٦٣)

٣٩٧ — خالد بن صفوان وبلال بن أبى بردة

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلال بن أبى بردة^(٢) جلدا حين ابتلى ، أحضره يوسف بن عمر فى قيوده ، لبعض الأمر ، وهم بالحيرة ، فقام خالد بن صفوان ، فقال ليوسف : « أيها الأمير ، إن عدو الله بلالاً ضربنى وحبسنى ، ولم أفارق جماعة ، ولا خلعت يداً من طاعة » ، ثم التفت إلى بلال

[١] المخط والمجدب . [٢] هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري .

فقال : « الحمد لله الذى أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وأزال جمالك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنتَ شديدَ الحِجاب ، مستخفياً بالشريف ، مظهرًا للعصبيَّة ^(١) » .

فقال بلال : « يا خالد ، إنما استطلمتَ على بثلاث ، هن معك على ، الأمير مُقبل عليك ، وهو عنى مُعرض ؛ وأنت مُطلق ، وأنا مأسور ؛ وأنت فى طينتك وأنا غريب » ، فأخمه .

وكان سبب ضرب بلالٍ خالدًا فى ولايته ، أن بلالا مرَّ بخالد فى مؤكَب عظيم ، فقال خالد : سحابةٌ صيف عن قليل تَقشَعُ ^(٢) ، فسمعه بلال ، فقال : والله لا تَقشَعُ أو يصيبك منها شؤبوب ^(٣) برِّد ، وأمر بضربه وحبسه .

(زهر الآداب ٣ : ١٩٠)

٣٩٨ — خطبة الكميّ بن زيد بن بين يدي هشام يستعطفه

روى صاحب العقد قال :

كَانَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ يَمْدَحُ بَنِي هَاشِمٍ وَيَعْرِضُ بَيْنِي أُمِيَّةَ ، فَطَلَبَهُ هِشَامُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَشْرِينَ سَنَةً ^(٤) ، لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ الْقَرَارُ ، مِنْ خَوْفِ هِشَامٍ ، وَكَانَ مَسَامَةً بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَهُ عَلَى هِشَامٍ حَاجَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْضِيهَا لَهُ ، وَلَا يَرُدُّهُ فِيهَا ، فَلَمَّا خَرَجَ مَسَامَةً يَوْمًا إِلَى بَعْضِ صُيُودِهِ ، أَتَى النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُ الْكُمَيْتُ ابْنُ زَيْدٍ فِيمَنْ أَتَى ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَمَا بَعْدَ :
قِفْ بِالْdiارِ وَقُوفْ زَائِرٌ وَتَأَنَّ ، إِنَّكَ غَيْرُ صَاحِرٍ ^(٥)

[١] وكان أصل من العرب اليمانيين . [٢] تنكشف وتنفرق . [٣] الشؤبوب : الدقعة من المطر .

[٤] يلاحظ أن مدة خلافة هشام كانت عشرين سنة من سنة ١٠٥ — إلى سنة ١٢٥ هـ .

[٥] صاغر : ذليل .

حتى انتهى إلى قوله :

يَا مُسْلِمَ بْنَ أَبِي الْوَلِيدِ لِمَ لَيْتَ إِنْ شِئْتَ نَاشِرٌ^(١)
عَلِقْتَ حِبَالِي مِنْ حَبَا لِكَ ذِمَّةَ الْجَارِ الْمُجَاوِرِ
فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أَمِيَّةَ، وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَايِرِ
وَالآنَ كُنْتُ بِهِ الْمَصِيبَ كَمُتَدِّ، بِالْأَمْسِ حَاطِرٌ

فقال مسامة : سبحان الله ! مَنْ هَذَا الْهِنْدِيَّ^(٢) الْجُلْحَابُ^(٣) ، الذي أقبل من
أَخْرِيَاتِ النَّاسِ ، فبدأ بالسلام ، ثم أمّا بعدُ ، ثم الشعر ؟ قيل له : هذا الكميت
ابن زيد ، فأعجب به لفصاحته وبلاغته ، فسأله مَسَامَةَ عَنْ خَبْرِهِ ، وَمَا كَانَ فِيهِ
طَوْلٌ غَيْبَتِهِ ، فَذَكَرَ لَهُ مُخْطَطُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ، فَضَمِنَ لَهُ مَسَامَةَ أَمَانَهُ ،
وَتَوَجَّهَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى هِشَامٍ - وَهْشَامٌ لَا يَعْرِفُهُ - فَقَالَ الْكَمِيتُ : السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ هِشَامُ : نَعَمْ ،
الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ الْكَمِيتُ : مَبْتَدِئُ الْحَمْدِ وَمَبْتَدِعُهُ ، الَّذِي خَصَّ بِالْحَمْدِ نَفْسَهُ ،
وَأَمَرَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ ، جَعَلَهُ فَاتِحَةَ كِتَابِهِ ، وَمُنْتَهَى شُكْرِهِ ، وَكَلَامَ أَهْلِ جَنَّتِهِ ،
أَحْمَدَهُ مُحَمَّدٌ مِنْ عِلْمٍ يَقِينًا ، وَأَبْصَرَ مُسْتَبِينًا ، وَأَشْهَدُ لَهُ بِمَا شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ
« قَائِمًا بِالْقِسْطِ »^(٤) وَحَدَّثَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْعَرَبِيُّ ،
وَرَسُولُهُ الْأُمِّيُّ ، أَرْسَلَهُ وَالنَّاسَ فِي هَفَوَاتِ خَيْرَةٍ ، وَمُذْلِمَاتِ ظُلُمَةٍ ، عِنْدَ
اسْتِمْرَارِ أَهْلِيَّةٍ^(٥) الضَّلَالِ ، فَبَلَغَ عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ، وَجَاهَدَ فِي
سَبِيلِهِ ، وَعَبَدَ رَبَّهُ ، حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

[١] اشهر وأشهره : أحياء . [٢] رجل هندي : من أهل الهند ، (وهو هنا على التنبيه) .
[٣] الجُلْحَاب : الشيخ الكبير ، والضمخ الأجلح ، (والاجلح : الذي انحصر الشعر عن جانبي رأسه) .
[٤] العدل . [٥] الابهة : العظلة والهبهة والكبر .

ثم إني يا أمير المؤمنين ، تَهْتُ في حَيْرَةٍ ، وَحِرْتُ في سَكْرَةٍ ، اذْلَامٌ ^(١)
 بي خطرُها ، وأهاب ^(٢) بي داعيها ، وأجاني غاويها ، فاقطَوْ طَيْتُ ^(٣) إلى الضلالة ،
 وتسكَّعت ^(٤) في الظُّلْمَةِ والجَهَالَةِ ، جائراً عن الحق ، قائلاً بغير صدق ، فهذا مقامُ
 العائذِ ^(٥) ، وَمَنْطِقُ التَّائِبِ ، ومُبْصِرِ الهدى بعد طول العمى ، يا أمير المؤمنين
 كم من عائرٍ أَقْلَتمْ عَثْرَتَهُ ، ومَجْتَرِمٍ ^(٦) عَفَوْتُم عن جُرْمِهِ .
 فقال له هشام - وأيقن أنه الكميت - وَيَحْك ! مَنْ سَنَ لك النِّوَايَةَ ،
 وأهاب بك في العَمَايَةِ ^(٧) ؟ قال : الذي أخرج أبي آدم من الجنة : فَتَسَى وَلَمْ
 يَجِدْ لَهُ عَزْماً ، وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً ، فَلَفَقَتْ ^(٨)
 بعضه إلى بعض ، حتى التحم ، فاستحکم هَذْرُ ^(٩) رَعْدِهِ ، وتلألؤُ برقه ، فنزل
 الأرضَ فَرَوَيْتُ ، واخْضَلَّتْ ^(١٠) واخْضَرَّتْ ، وأُسْقِيتْ ، فَرَوَى ظمآنُها ، وامتلأ
 عطشَانُها ، فكذلك نَعُدُّكَ أنت يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الدَّاجِيَةَ ^(١١)
 بعد العُمُوسِ ^(١٢) فيها ، وَحَقَّنَ بك دمَاء قوم أشعرَ خَوْفُكَ قُلُوبَهُمْ ^(١٣) ، فهم يكون
 لما يعمون من حَزْمِكَ وبصيرتك ، وقد عاموا أَنَّكَ الحرب وابن الحرب إذا
 احمَرَّتِ الحَدَقُ ، وَعَضَّتِ المَنَافِيرُ ^(١٤) بالهَامِ ، عَزَّ بِأَمْسِكَ ، واستربط جَأَشُكَ ^(١٥) ،

- [١] ادْلَامٌ الليل : ادلهم أى اسودَّ وأظلم ، وفي الأصل « اذْلَامٌ » وهو تصحيف .
 [٢] أى دعاني ، وفي الأصل « وأهاب » وهو تحريم ، (ويقال أيضاً هببت به أى دعوته لينزو) .
 [٣] اقطوطى : قارب في مشيه إسراعاً . [٤] تسكع : مشى مشياً متعسفاً لا يدرى أين يأخذ من
 بلاد الله ، وتخير . [٥] اللاجئ : المستعير . [٦] حرم فلان وأحرم واجترم : أذنب .
 [٧] العماية : الفواية . [٨] من لفق الثوب كضرب : صم شقة إلى أخرى نياطهما .
 [٩] من هدر البعير كضرب هدرأ وهديرأ : صوت ، وفي الأصل « هدار » وهو تحريم .
 [١٠] ابتلت . [١١] المظلمة . [١٢] فى الأصل : « العموس » بالفين ، وهو تحريف ،
 والصواب : « العموس » من حمس ككرم وفرح عماسة وعموساً : اشتدَّ واسودَّ وأظلم .
 [١٣] أشعر الحوف والهم قلبي : لثق به ، وكل ما ألزقته بشئ : أشعرته به . [١٤] الدفر ككبر ،
 وبهاء ، وككتابة : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها المتسلح .
 [١٥] أى صار رابطاً من ربط جأشه رباطة (بالكسر) اشتد قلبه .

مِسْعَارٌ^(١) هَتَانُ ، وَكَافٌ بَصِيرٌ بِالْأَعْدَاءِ ، مُغْرِي الْخَيْلِ بِالنَّكْرَاءِ^(٢) ، مُسْتَفْنِي
بِرَأْيِهِ عَنْ رَأْيِ ذَوِي الْأَلْبَابِ ، بَرَأَى أَرِيبٌ ، وَجِلْمٌ مُصِيبٌ ، فَأَطَالَ اللَّهُ
لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْبَقَاءَ ، وَتَمَّمَ عَلَيْهِ النِّعْمَاءَ ، وَدَفَعَ بِهِ الْأَعْدَاءَ ، فَرَضَى عَنْهُ هِشَامٌ ،
وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

وَرَوَى صَاحِبُ الْأَغَانِي خُطْبَةَ السَّكْمِيَّةِ^(٣) فَقَالَ :

[١] فلان مسر حرب ومسعار : أى موقد نار الحرب ، ومطر هتان : هطال ، ووكان كذلك ، وهما
كناية عن الجود . [٢] السكراء : الأمر الشديد .
[٣] وكان سبب غضب هشام على السكيت : أن حكيم بن عباس السكبي كان ولما بهجاء مضر
والسكيت مضرى — فكانت شعراء مصر تهجوهم ويحییهم ، وكان السكيت يقول هو والله أشهر منكم
فالوا فأجب الرجل ، قال إن خالد بن عبد الله القسرى — والى العراق وهو عيسى — محسن إلى ، فلا أقدر
أن أرد عليه ، فالوا فاسمع بأذنك ما يقول فى بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ، وأنشدوه ذلك لحفى
السكيت لمشيرته ، فقال قصيدته المدهشة ، وبلغ ذلك خالداً ، فقال والله لأقتلنه ، ثم اشترى ثلاثين حارية
بأغلى ثمن ، وعيبرهن نهاية فى حسن الوجوه والكمال والأدب ، فرواهن الهاشميات — وهى قصائد فلهما
السكيت فى مدح بى هاشم ، وكان معروفاً بالتمشيع لهم مشهوراً بذلك ، وتعد هذه القصائد من جيد شعره
ومحتاره وهى مطبوعة مشهورة — وودعهم مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهم جميعاً ، ولما أسس
بهن استنظهن ، قرأ فى فصاحة وأدباً ، فاستقرأهن انقرآن فقرأن ، واستنشدن الشعر ، فأشدنه قصائد
السكيت الهاشميات ، فقال : ويلكن ! من فائل هذا الشعر ؟ قال السكيت بن زبد الأسدى ، قال وفى أى
بلد هو ؟ قال : فى العراق ثم فى الكوفة ، مكنب إلى خالد عامله بالعراق : ابعت إلى رأس السكيت ، فبعث
إليه خالد فى الليل ، فأخذنه وأودعه السجن ، وعزم لينفذن أمر الخليفة فيه ، وأعمل السكيت الحيلة فى
الفرار ، فبعث إلى زوجته بى (بضم) ففتح الباب المشددة) فلما دخلت عليه لمس ثيابها ، وتنفق ثيابها ، وأقامها مكانه ،
وخرج متنكرأ ، وظل مسوارياً مدة ، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه ، خرج ليلاً فى جماعة من بى أسد ،
وما زال سير حتى بلغ الشام ، واستجار بمسلمة بن هشام ، فأجاره واحتال له فى عفو الخليفة عنه ، فقال له
إن معاوية بن هشام مات قريباً ، وقد حرع عليه جزاً شديداً ، فإذا كان الليل فاصرب روافك على قبره ،
وأنا أبعت إليك بنيه يكونون معك فى الرواق ، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ،
ويقولوا : هذا استجار بقبر أبينا ، ونحن أحق من أجاره ، فأصبح هشام على عادته متظلماً من قصره إلى
القبر ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ، فقال : يجار من كان إلا السكيت فإنه لا جوار له
فقال : فإنه السكيت ، قال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعى به ربط السبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر
هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر ، وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا ، وقد مات ومات
حظه من الدنيا ، فاجعله هبة له ولنا ، ولا تفضحننا فيما استجار به ، فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على
السكيت ، فقال له : يا سكيت : أمت القاتل كذا وكذا مما أوردته فى هاشمياته ؟ فقال : لا والله ، ولا أنا
من أن الحجاز وحشية ، ثم خطب بين يديه يستعطفه ، فعفا عنه وأجازه ، وتوفى السكيت سنة ١٢٦ هـ .

« حمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : « أما بعد : فإنى كنت أتدهدى ^(١) فى غمرة ، وأعمى فى بحر غواية ، أخنى على خطلها ، واستفزنى وهلمها ^(٢) ، فتحيرت فى الضلالة ، وتسكعت فى الجهالة ، مهرعا عن الحق ، جأراً عن القصد ، أقول الباطل ضللاً ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ ، مبصر الهدى ، ورافض العماية ، فاغسل عنى يا أمير المؤمنين الحوبة ^(٣) بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجريمة ^(٤) ، ثم قال :

كم قال قائلكم لعماء لك ، عند عثرته لعائر ^(٥)
وغفرتهم لذوى الذنوب ب من الأكاير والأصاغر
أبني أمة : إنكم أهل الوسائل والأوامر
ثقتي لكل ملة وعشيرتي دون العشائر
أنتم معاديت للخلافة كابرًا من بعد كابر
بالنسمة المتتابعين خلائفًا وبخير عاشر ^(٦)
وإلى القيامة لا ترا ل إشايع منكم وواتر

ثم قطع الإنشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : « إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ^(٧) ، ومناط المنتجعين بحبله ، من لا تحل حبوته لإساءة المذنبين ، فضلاً عن استشاطه غضبه بجهل الجاهلين ، فقال له : ويلك يا كميته ! من زين لك الغواية ، ودلاك فى العماية ؟ قال ! الذى أخرج أبانا من الجنة ، وأنساه

[١] دهدى الحبر فندهدى : دحرجه ، كدهدهه ، والغرة : الانهماك فى الباطل ، والشدة .

[٢] الوهل : الضعف والفرع . [٣] الحوبة : الإثم . [٤] الجريمة : الجريمة .

[٥] يقال للعائر : لعلك ، وهو دعاء له بأن ينتمش . [٦] هشام بن عبد الملك هو عاشر خلفاء .

بنى أمة . [٧] الصبابة : الجمال ، صبح ككرم فهو صبيح .

العهد ، فلم يجد له عَزَمًا « فرضى عنه ، وأمر له بجائزة .

(المقد الفريد ١ : ١٥٤ ، والأطاني ١٥ : ١١٣)

٣٩٩ — مخاصمة عدى بن أرطاة لامرأته عند شريح القاضي

دخل عدى بن أرطاة على شريح ^(١) القاضي يخاصم امرأة له ، فقال : السلام عليكم ، قال : وعليكم ، قال : استمع منى ، قال : قل أسمع ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : من مكان سحيق ، قال : وإني قدِمْتُ إلى بلدكم هذا ، قال : خير مقدّم ، قال : وإني تزوجت امرأة ، قال : بالرفاء ^(٢) والبنين ، قال : وإنيها ولدت غلامًا ، قال : ليَهْنِكَ الفارس ، قال : وقد كنتُ شرطتُ لها صداقها ، قال : الشرط أملكُ ، قال : وقد أردت الخروج بها إلى بلدي ، قال : الرجل أحقُّ بأهله ، قال : فاقضِ بيننا . قال : قد فعلت ، قال : فعلى مَنْ حكمت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة مَنْ ؟ قال بشهادة ابن أخت خالتك .

(البيان والنبين ٣ : ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٤)

٤٠٠ — كلمة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان

وقد تشاحَّ بنو هاشم ، وبنو أمية في ميراث بينهم

عن سُفْيَان بن عَمْرٍو بن عُتْبَةَ بن أَبِي سَفْيَانَ قال : وقع ميراث بين بني هاشم وبين بني أمية ، تشاحُّوا فيه ، وتضايقوا ، فلما تفرقوا أقبل علينا أبونا عمرو ، فقال : « يَا بَنِيَّ : إن لقريشَ دَرَجَاتٍ لُ عنها أقدامُ الرجال ، وأفعالاً تخشع لها

[١] هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة ، وقد أقام قاضياً خمساً وسبعين سنة ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ، ومعرفة ، وعقل ، وإصابة ، توفي سنة ٨٧ هـ ، وهو ابن مائة سنة ، وقيل ابن مائة وعشرين .

[٢] أى بالانتماء وجمع الشمل ، رفاً الثرب كنوع : لأم خرقة ، وضم بضمه إلى بعض .

رَقَابُ الْأَمْوَالِ ، وَغَايَاتِ تَقْصُرُ عَنْهَا الْجِيَادُ الْمُسَوِّمَةُ ^(١) ، وَالْأُسْنَا تَكِلُ عَنْهَا الشَّفَارَ الْمَشْحُودَةَ ، وَلَوْ اخْتَلَفَتِ الدُّنْيَا مَا تَرَيْنَتْ إِلَّا بِهِمْ ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ ضَاقَتْ بِسَمَةِ أَخْلَاقِهِمْ ، ثُمَّ إِنَّهُ لِيُخَيَّلَ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ نَاسًا تَخْلَقُوا بِأَخْلَاقِ الْعَوَامِّ ، فَصَارَ لَهُمْ رِفْقٌ فِي اللَّوْثِ ، وَخَرَقٌ ^(٢) فِي الْحَرِصِ ، وَلَوْ أَمَكَّنَهُمْ لَقَاسَمُوا الطَّيْرَ فِي أَرْزَاقِهَا ، إِنْ خَافُوا مَكْرُوهًا تَعَجَّلُوا لَهُ الْفَقْرَ ، وَإِنْ مُجِّلَتْ لَهُمْ نِعْمَةٌ أَخَّرُوا عَلَيْهَا الشُّكْرَ ، أُولَئِكَ أَنْضَاءُ ^(٣) الْفِكْرِ ، وَعَجَزَةُ حَمَلَةِ الشُّكْرِ .

(الْأَمْوَالُ ٢ : ٢٣٨ ، وَالْمَقْدُ الْفَرِيدُ ٢ : ٤٠)

٤٠١ — رَجُلٌ يَمْدَحُ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِي

وَقَالَ رَجُلٌ لَخَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِي : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَبْذُلُ مَا جَلَّ ، وَتَجْبُرُ مَا انْقَلَّ ، وَتُكْثِرُ مَا قَلَّ ، فَفَضْلُكَ بَدِيعٌ ، وَرَأْيُكَ جَمِيعٌ ، تَحْفَظُ مَا شَدَّ ، وَتَوَلِّفُ مَا نَدَّ » . (زَهْرُ الْأَدَبِ ٣ : ١٦٧)

خَطْبُ الْخَوَارِجِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا

٤٠٢ — خُطْبَةُ حَيَّانَ بْنِ ظَبْيَانَ السُّلَمِيِّ

رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ قَالَ :

كَانَ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ السُّلَمِيُّ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ — وَكَانَ مِمَّنْ ارْتَمَتْ ^(٤) يَوْمَ النَّهْرَوَانِ ، فَعَفَا عَنْهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي الْأَرْبَعِمِائَةِ الَّذِينَ كَانَ عَفَا عَنْهُمْ ، مِنْ

[١] الْحِيلُ الْمُسَوِّمَةُ : الْمُرْسَلَةُ وَعَلَيْهَا رُكْبَانُهَا ، أَوْ الْمَعْلَمَةُ ، أَيْ الَّتِي جُعِلَ عَلَيْهَا سُومَةٌ (بِالضَّم) أَيْ سِمَةٌ وَعَلَامَةٌ ، أَوْ الْمُرْهِيَّةُ . [٢] كَقَفْلٍ وَسَبَبٌ : ضِدُّ الرَّفَقِ ، وَأَنْ لَا يَحْسُنَ الرَّجُلُ الْعَمَلَ وَالتَّصَرُّفَ فِي الْأُمُورِ . [٣] جَمْعُ أَنْضُو كَمَلٍ وَهُوَ الْمَهْرُولُ . [٤] ارْتَمَتْ : حَمَلَ مِنَ الْمَعْرَكَةِ رَثِيئًا ، أَيْ جَرِيحًا وَبِهِ رُمِيَ .

المرتثين يوم النهر - فكان في أهله وعشيرته : فلبث شهراً أو نحوه ، ثم إنه خرج إلى الرئي ، في رجال كانوا يرون ذلك الرأي ، فلم يزالوا مقيمين بالرى حتى بلغهم قتل على كرم الله وجهه ، فدعا أصحابه أولئك ، وكانوا بضعة عشر رجلاً ، فأتوه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الإخوان من المسلمين : إنه قد بلغنى أن أخاكم ابن ملجم أخا مراد قعد لقتل على بن أبي طالب عند أغباش ^(١) الصبح ، مُقابل السدة ^(٢) التى فى المسجد مسجد الجماعة ، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجه ، حتى خرج عليه حين أقام المقيم الصلاة : صلاة الصبح ، فشدّ عليه ، فضرب رأسه بالسيف ، فلم يبق إلا ليلتين حتى مات » .

فقام سالم بن ربيعة العبسى : لا يقطع الله يميناً عدت قذالاه ^(٣) بالسيف ، فأخذ القوم يحمدون الله على قتله عليه السلام ، ورضى الله عنه ولا رضى عنهم ولا رحمهم ، ثم إن حيان بن ظبيان قال لأصحابه :

« إنه والله ما يبقى على الدهر باقٍ ، وما يلبث الليالى والأيام ، والسّنون والشهور على ابن آدم ، حتى تُذيقه الموت ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدع الدنيا التى لا يبكى عليها إلا العجزة ، ولم تزل ضارّة لمن كانت له همّاً وشجناً ^(٤) ، فانصرفوا بنا رَحِمَكُمُ اللهُ إلى مِصْرِنَا ، فلنأتِ إخواننا ، فلندعهم إلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فإنه لا عذرَ لنا فى القعود ، ولا تُنا ظلمةٌ ، وسنة الهدى متروكة ، ونأرنا ^(٥) الذين قتلوا إخواننا فى المجالس آمِنون ، فإن يُظفرنا اللهُ بهم نَعْمِدُ بَعْدُ إلى التى هى أهدى وأرضى وأقوم ، وَيَشْنِي

[١] أغباش جمع غبش بالتحريك : وهو ظلمة آخر الليل . [٢] السدة : باب الدار ، وهى هنا مابقى من الطاق السدود . [٣] القنال : جماع مؤخر الرأس . [٤] الشجن : الهم والحزن . [٥] الثأر : قاتل حميك .

اللَّهُ بِذَلِكَ صُدُّورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ تُقْتَلْ فَإِنَّ فِي مَفَارِقَةِ الظَّالِمِينَ رَاحَةً لَنَا ، وَلَنَا بِأَسْلَافِنَا أُسُوةٌ .

فَقَالُوا لَهُ : كُلُّنَا قَائِلٌ بِمَا ذَكَرْتَ ، وَحَامِدٌ رَأْيِكَ الَّذِي رَأَيْتَ ، فَرِذْ بِنَا الْمِصْرَ ، فَإِنَّا مَعَكَ رَاضُونَ بِهِدَاكَ وَأَمْرِكَ ، فَخَرَجَ وَخَرَجُوا مَعَهُ مَقْبِلِينَ إِلَى الْكَوْفَةِ ، حَتَّى نَزَلُهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَدِمَ مَعَاوِيَةَ ، وَبَعَثَ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ وَالْيَا عَلَى الْكَوْفَةِ .
(تاريخ الطبري ٦ : ٩٩)

اثتار الخوارج

ثم إن الخوارج في أيام المغيرة فزعوا إلى ثلاثة نفرٍ منهم : المُسْتَوْدِدُ بْنُ عُلْفَةَ التَّيْمِيُّ ، وَحَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ السَّامِيُّ ، وَمُعَاذُ بْنُ جُوَيْنٍ بْنُ حُصَيْنِ الطَّائِي ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ حَيَّانِ بْنِ ظَبْيَانَ ، فَتَشَاوَرُوا فِيمَنْ يُؤْتَوْنَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُسْتَوْدِدُ :

٤٠٣ — مقال المستورد بن علفة

« يَا أَيُّهَا الْمَسَامُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ ، أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْبِثُونَ ، وَعَزَلْ عَنْكُمْ مَا تَكْرَهُونَ ، وَلَوْ أَنَّكُمْ عَلِمْتُمْ مَنْ أَحْبَبْتُمْ ، فَوَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ^(١) وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، مَا أَبَالَى مَنْ كَانَ الْوَالِي عَلَى مَنْكُمْ ، وَمَا شَرَفَ الدُّنْيَا نَزِيدٌ ، وَمَا إِلَى الْبَقَاءِ فِيهَا مِنْ سَبِيلٍ ، وَمَا نَزِيدٌ إِلَّا الْخُلُودَ فِي دَارِ الْخُلُودِ » .

٤٠٤ — مقال حيان بن ظبيان

فَقَالَ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ : « أَمَا أَنَا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا ، وَأَنَا بِكَ وَبِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ إِخْوَانِي رَاضٍ ، فَانْظُرُوا مَنْ شِئْتُمْ مِنْكُمْ فَسَمُّوهُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَبَايِعُهُ » .

[١] بمسارقتها النظر إلى المحرم .

٤٠٥ — مقال معاذ بن جوين

فقال لهم معاذ بن جوين : « إذا قلتما أنما هذا ، وأنما سيدا المسلمين ، وذو أنسابهم ، في صلاحكما ودينكما وقدركما ، فمن يرأس المسلمين ؟ وليس كلكم يصلح لهذا الأمر ، وإنما ينبغي أن يلي على المسلمين - إذا كانوا سواء في الفضل - أبصرهم بالحرب ، وأفقههم في الدين ، وأشدّهم اضطلاعاً ^(١) بما حمّل ، وأنما بحمد الله ممن يرضى لهذا الأمر ، فليتولّه أحدكما . »

قالا : فتولّه أنت : فقد رضييناك ، فأنت - والحمد لله - الكامل في دينك ورأيك ، فقال لهما : أنما أسنّ مني ، فليتولّه أحدكما ، فقال حينئذ جماعة من حضر : قد رضيينا بكم أيها الثلاثة ، فولّوا أيكم أحببتم ، وكانت خاتمة ذلك النقاش أن بايعوا المستورد ، واتّعدوا أن يتجهّزوا ويتيسّروا ويستعدّوا ، ثم يخرجوا هلال شعبان سنة ٤٣ هـ . (تاريخ الطبري ٦ : ١٠٠)

٤٠٦ — خطبة المغيرة بن شعبه أمير الكوفة

يحذر أهلها من إيواء الخوارج ونصرتهم

ونفخى إلى المغيرة بن شعبه أن الخوارج خارجة عليه ، فقام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحبّ لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وإني والله لقد خشيتُ أن يكون ذلك أدبَ سوءٍ لسفهاءكم ، فأما العلماء الأتقياء فلا ، وإيمُ الله لقد خشيتُ أن لا أجد بُدّاً من أن يُعصّب الحليم

التقى ، بذنب السفية الجاهل ، فكفؤوا أيها الناس سفهاءكم ، قبل أن يشمل البلاء عوامكم ، وقد ذكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن يظهرُوا في المصر بالشقاق والخلاف ، وأيئهم الله لا يخرجون في حيٍّ من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدئهم ، وجعلتهم نكالا لمن بعدهم ، فنظر قومٌ لأنفسهم قبل الندم ، فقد قت هذا المقام إرادة الحجّة والإعذار .

ثم نزل ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم : « إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتم ، فليكن في كل امرئ من الرؤساء قومه ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأنحوأنَّ عما كنتم تعرفون ، إلى ما تنكرون ، وعما تحبون إلى ما تكرهون ، فلا يلُمُّ لأئمٍّ إلا نفسه ، وقد أعذر من أنذر . »

فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشدوهم الله والإسلام إلا دلوهم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة ، أو يفارق جماعة ، وجاء صعصعة بن صوحان ، فقام في عبد القيس ، فقال :

٤٠٧ — خطبة صعصعة بن صوحان

يا معشر عباد الله : إن الله - وله الحمد كثيراً - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم ، فأجبتكم إلى دين الله ، الذي اختاره الله لنفسه ، وارتضاه للملائكة ورُسُلُه ، ثم أقمت عليه حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعده ، فثبتت طائفة ، وارتدت طائفة ، وأذهنت طائفة ، وتربصت طائفة ، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله ، وقاثلتم المرتدين ، حتى قام الدين ، وأهلك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء ، وعلى

كل حال، حتى اختلفت الأمة بينها، فقالت طائفة : نريد طلحة والزبير وعائشة، وقالت طائفة : نريد أهل المغرب^(١)، وقالت طائفة : نريد عبد الله بن وهب الراسبي : راسب الأزد، وقتلتم : أنتم لا نريد إلا أهل البيت، الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامة، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً، فلم ترالوا على الحق لازمين له، آخذين به، حتى أهلك الله بكم، وبمن كان على مثل هداكم ورأيكم، الناكثين يوم الجمل، والمارقين يوم النهر، (وسكت عن ذكر أهل الشام لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم)، ولا قوم أعدى لله ولكم، ولأهل بيت نبيكم، ولجماعة المسلمين، من هذه المارقة الخاطئة، الذين فارقوا إمامنا^(٢)، واستحلوا دماءنا، وشهدوا علينا بالكفر، فإياكم أن تؤؤؤوهم في دؤؤكم، أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغي لحيٍّ من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي، وأنا باحث عن ذلك وسائل، فإن كان حكي لي ذلك حقاً، تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، فإن دماءهم حلال، ثم قال : يا معشر عبد القيس : إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلاً، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم .

وأقبل أصحاب المستورد يأتونه، فليس منهم رجل إلا يُخبره بما قام به المغيرة بن شعبه في الناس، وبما جاءهم رؤسائهم وقاموا فيهم، وقالوا له : اخرج بنا فوالله ما نأمن أن نؤخذ في عشائرنا، نفرج بهم من الكوفة، ووجه المغيرة لقتالهم معقل بن قيس الرياحي، فلما علم المستورد بمسير معقل إليه جمع أصحابه .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠٦)

[١] أي معاوية، وكان والياً على الشام، وهي بالنسبة للعراق في المغرب .

[٢] أي علياً عايه السلام .

٤٠٨ — خطبة المستورد

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن هذا الخرف معقل بن قيس قد وُجّه إليكم ، وهو من السَّبئية ^(١) المفترين الكاذبين ، وهو الله ولكم عدو ، فأشيروا على رأيكم . فقال له بعضهم : والله ما خرجنا نريد إلا الله ، وجهاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ؟ بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين ، وقالت طائفة أخرى : بل نعتزل ونتخفى ، ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء .

فقال : « يا معشر المسلمين : إني والله ما خرجت ألتبس الدنيا ، ولا ذكرها ، ولا نخرها ، ولا البقاء ، وما أحبُّ أنْها لي بحذاقيرها ، وأضعاف ما يُتنافس فيه منها ، بقبال ^(٢) تعلى ، وما خرجت إلا التماس الشهادة ، وأن يهدينى الله إلى الكرامة ، بهوان بعض أهل الضلالة ، وإني قد نظرت فيما استشرتكم فيه ، فرأيت أن لا أقيم لهم حتى يقدّموا على ، وهم حامون متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمعن ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا ، فتقطعوا وتبدّدوا ، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل .

فخرجوا فمضوا على شاطئ دجلة ، فعبروه ومضوا في أرض جُوخى ، حتى

[١] السبئية : أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو يهودى من صنعاء أسلم زمن عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم ، وغلا في على ، وزعم أنه نبي . ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وآتى قوم منهم إلى على ، فقالوا له : أنت هو ، قال : ومن هو ؟ قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر ، وأمر بنار ، فأججت في حفرتين ، وأحرقتهما بها ، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار : الآن صبح عندنا أنه الله ، لأنه لا يعذب بالنار إلا الله ، ثم إن علياً خاف من إحراق الباقيين منهم شحنة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فبنى ابن سبأ إلى ساباط المدائن ، فلما باغىه مقتل على قال : لو أتيتمونا بدماعه سبعين مرة ما صدقنا موته ، وزعم أن المقتول لم يكن علياً ، وإعما كان شيطانا تصور للناس في صورة على ، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ، ومن ابن سبأ انتشبت أصناف الغلاة . [٢] قبال الفعل : زمام بين الأصبع الوسطى والى تليها .

بلغوا المذار فأقاموا فيها ، وأقبل معقل بن قيس ، فأقام بالمدائن ثلاثاً ، ثم جمع أصحابه ، فقال :
(تاريخ الطبرى ٦ : ١١٠)

٤٠٩ — خطبة معقل بن قيس

« إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم ، إرادة أن تتعجلوا في آثارهم ، فتقطعوا وتتبددوا ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تعبتم ونصبتكم^(١) ، وإنه ليس شئ يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله » ، فخرج في آثارهم حتى لحقهم بالمذار مقيمين .

ودارت بينهما رحى الحرب بشدة ، ودعا المستورد معقلاً للمبارزة فتبارزا ، وطعنه المستورد حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه أم الدماغ ، فوقع ميتاً ، وقتل معقل ، وشده أصحابه على الخوارج ، فما لبثوا أن قتلوه .
(تاريخ الطبرى ٦ : ١١١)

٤١٠ — كلمات حكيمة للمستورد

كان المستورد يقول : إذا أفضيتُ بسِرِّي إلى صديق فأفشاه لم أُلْمَ ، لأنى كنت أولى بحفظه ، ويقول : لا تُفشِ إلى أحدٍ سرّاً ، وإن كان مخلصاً ، إلا على جهة المشاورة ، ويقول : كن أحرص على حفظ سِرِّ صاحبك ، منك على حَتْنِ دمك ، ويقول : أوّل ما يدلُّ عليه عائبُ الناس معرفته بالعيوب ، ولا يعيب إلا معيبٌ ، ويقول : المال غير باقٍ عليك ، فاشترِ من الحمد ما يبقى عليك ، ويقول : بذلُ المال فى حقِّه استدعاءٌ للمزيد من الجواد^(٢) ، وكان يُكثِرُ أن يقول : لو ملكتُ الأرض بحذافيرها ، ثم دُعيت إلى أن أمتفيد بها خطيئة ما فعلت .

(الكامل للبرد ٢ : ١٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٥٣)

[١] تعبتم . [٢] أى من المولى الكريم جل وعلا .

اثمار الخوارج ثمانية

٤١١ - خطبة حيان بن ظبيان

فلما كانت سنة ٥٨ هـ ، جمع حيان بن ظبيان السلمي أصحابه إليه ، ثم إنه حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال لهم :
« أما بعد ، فإن الله عز وجل كتب علينا الجهاد ، فَمِنَّا مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ^(١) ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَظِرُ ، وأولئك الأبرارُ الفائزون بفضلهم ، ومن يكن مِنَّا مَنْ ينتظر ، فهو من سلفنا القاصين نحبهم ، السابقين بإحسان ، فمن كان منكم يريد الله وثوابه ، فليَسْلُكْ سبيلَ أصحابه وإخوانه ، يُؤْتِهِ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ مَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

٤١٢ - خطبة معاذ بن جوين

قال معاذ بن جوين الطائي : « يَأْهَلُ الْإِسْلَامَ : إنا والله لو علمنا أننا إذا تركنا جهادَ الظَّلمة ، وإنكارَ الجور ، كَانْ لَنَا بِهِ عِنْدَ اللهِ عُذْرٌ ، لَكَانَ تَرْكُهُ أَيْسَرَ عَلَيْنَا ، وَأَخْفَ مِنْ رُكُوبِهِ ، وَلَكِنَّا قَدْ عَلِمْنَا وَاسْتَيْقَنَّا أَنَّهُ لَا عُذْرَ لَنَا ، وَقَدْ جَعَلَ لَنَا الْقُلُوبَ وَالْأَسْمَاعَ ، حَتَّى تُشْكِرَ الظُّلْمَ ، وَتُغَيِّرَ الْجُورَ ، وَتُجَاهِدَ الظَّالِمِينَ » .
ثم قال : ابْسُطْ يَدَكَ نَبَايَعُكَ ، فَبَايَعِهِ ، وَبَايَعِ الْقَوْمَ ، فَضَرْبُوا عَلَى يَدِ حَيَّانٍ فَبَايَعُوهُ ، وَذَلِكَ فِي إِمَارَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَثْمَانَ الثَّقَفِيِّ ^(٢) .



ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين ، فقال لهم

[١] النعب : الأجل والنذر . [٢] وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان .

حيان : عباد الله ، أشيروا برأيكم ، أين تأمروننى أن أخرج ؟ فقال مُعَاذ : إني أرى أن تسير بنا إلى خُلُوان^(١) حتى ننزلها ، فإنها كُورَة بين السهل والخيّل ، وبين المِصر والثَّغَر - يعنى بالثَّغَر الرّىّ - فمن كَانَ يرى رأينا من أهل المِصر والثَّغَر والجبال والسَّوَاد^(٢) لِحَقِّ بنا .

٤١٣ - رد حيان بن ظبيان

فقال له حيان : « عَدُوُّكَ مُعَاذُكَ قبل اجتماع الناس إليك ، لعمري لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم ، ولكن قد رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسَّبَّخَة ، أو زُرَّارَة^(٣) والحيرة ، ثم نقاتلهم حتى نلحق برنا ، فإني والله لقد علمت أنكم لا تقدرُون - وأنتم دون المائة رجل - أن تهزِمُوا عدوكم ، ولا أن يشتد نكايتُكم فيهم ، ولكن متى علم الله أنكم قد أجهدتم أنفسكم في جهاد عدوه وعدوكم ، كَانَ لكم به العُذْرُ ، وخرجتم من الإِثْمِ » قالوا : رأينا رأيك .

٤١٤ - مقال عتريس بن عرقوب

فقال لهم عتريس بن عُرْقُوب : ولكن لا أرى رأى جماعتكم ، فانظروا في رأى لكم ، إني لا إخالكم تجهلون معرفتى بالحرب ، وتجربتى للأُمُور ، فقالوا له : أجل ، أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصر ، إنكم قليل في كثير ، والله ما تريدون على أن تُحْزِرُوهم^(٤) أنفسكم ، وَثَقِرُوا أعينهم بقتلكم ، وليس هكذا تكون المِساكيدة ، إذ آثرتم أن تخرجوا على قومكم ، فكيّدوا عدوكم ما يضرهم » قالوا : فما الرأى ؟ قال : تسيرون إلى الكُورَة التي

[١] بلد بفارس . [٢] أى سواد العراق . [٣] حملة بالكوفة . [٤] أى تملكونهم .

أشار بنزولها مُعَاذِ بْنِ جُوَيْنٍ ، يَعْنِي حُلُوَانَ ، أَوْ تَسِيرُونَ بِنَا إِلَى عَيْنِ التَّمْرِ ، فَتَقِيمُ بِهَا ، فَإِذَا سَمِعَ بِنَا إِخْوَانَنَا أَتَوْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَوْبٌ ^(١) »

٤١٥ — رد حيان

فَقَالَ لَهُ حَيَّانُ : « إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ سِرَرْتَ بِنَا أَنْتَ وَجَمِيعُ أَصْحَابِكَ نَحْوَ أَحَدٍ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ ، مَا أَطْمَأْنَنْتُمْ بِهِ حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ خِيُولُ أَهْلِ الْمِصْرِ ، فَأَنْتِ تَشْفُونَ أَنْفُسَكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ مَا عِدَّتُكُمْ بِالْكَثِيرَةِ ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَطْمَعُوا مَعَهَا بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الظَّالِمِينَ الْمُعْتَدِينَ ، فَاخْرَجُوا بِجَانِبٍ مِنْ مِصْرِكُمْ هَذَا ، فَقَاتِلُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ مَنْ خَالَفَ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَلَا تَرَبَّصُوا وَلَا تَنْتَظِرُوا ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تَبَادِرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَتَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ بِذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ » . قَالُوا : أَمَا إِذَا كَانَ لَا بَدَأَ لَنَا ، فَإِنَّا لَنُخَالِفُكَ ، فَاخْرَجْ حَيْثُ أَحْبَبْتَ .

٤١٦ — خطبة حيان

ثُمَّ إِنْ أَصْحَابُ حَيَّانِ بْنِ ظَبْيَانَ اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : « يَا قَوْمُ : إِنْ اللَّهُ قَدْ جَمَعَكُمْ لِحَيْرٍ ، وَعَلَى خَيْرٍ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، مَا سُرَرْتُ بِشَيْءٍ قَطُّ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ مَا أَسَامَتْ ، سُرُورِي لِمُخْرِجِي هَذَا عَلَى الظُّلْمَةِ الْأَثَمَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ الدُّنْيَا بِحُذَافِيرِهَا لِي ، وَأَنَّ اللَّهَ حَرَمَنِي فِي مُخْرِجِي هَذَا الشَّهَادَةَ ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ نَخْرُجَ حَتَّى نَنْزِلَ جَانِبَ دَارِ جَرِيرٍ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَيْكُمْ الْأَحْزَابُ نَاجِزَتَهُمْ » . فَقَالَ عَتْرِيسُ بْنُ عُرْقُوبٍ : أَمَّا أَنْ نَقَاتِلَهُمْ فِي جُوفِ الْمِصْرِ ، فَإِنَّهُ يِقَاتِلُنَا الرِّجَالُ ، وَتَصْعَدُ النِّسَاءُ وَالصَّبَبِيَّانَ وَالْإِمَاءَ فَيَرْمُونَنَا بِالْحِجَارَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ : انْزِلُوا بِنَا إِذْنًا مِنْ وَرَاءِ الْمِصْرِ الْجِسْرِ - وَهُوَ مَوْضِعُ زُرَّارَةَ ، وَإِنَّمَا بَنِيَتْ

زرارة بعد ذلك إلا أياتاً يسيرة كانت منها قبل ذلك - فقال لهم معاذ بن جوين : لا . بل سيروا بنا فلننزل بآتيكاً^(١) ، فما أسرع ما يأتكم عدوكم ، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم بوجوهنا ، وجعلنا البيوت في ظهورها ، فقاتلناهم من وجه واحد ، نخرجوا ، فبُعِثَ إليهم جيشٌ ، فَقَتِلُوا جميعاً . (تاريخ الطبري ٦ : ١٧٢)

٤١٧ - خطبة مسلم بن عبيدس

حين خرج لقتال الأزارقة

١١١ ملك نافع بن الأزرق - زعيم الأزارقة^(٢) - بلاد الأهواز ، وفشا عماله في السَّوَاد ، ارتاع لذلك أهلُ البصرة ، فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس ، فشكَّوْا ذلك إليه ، وقالوا : ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان ، وسيرتهم مأتري ، فقال الأحنف : إن فعلهم في مصركم إن ظفروا به كِفَعْلِهِمْ في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوكم ، فاجتمع إليه عشرة آلاف ، فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل^(٣) أمير البصرة ، فسأله أن يؤمر عليهم ، فاختر لهم مُسْلِمُ بن عُبيس ، وكان ديناً شجاعاً ، فأمره عليهم وشيَّعه .

فأما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال : « إني ما خرجت لامتيار^(٤) »

[١] بآتيكاً : ناحية من نواحي الكوفة .

[٢] قدما لك في « مناظرة عبد الله بن الزبير للخوارج » أن الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ ليمنعوا الحرم من جيش يزيد ، وناصروا ابن الزبير ، وقاتلوا معه ، ثم ناظروه ، فلم يرقهم ما سمعوا منه ، ففارقوا عنه ، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى البصرة ، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفي ، وسموه أمير المؤمنين ، وخرج بهم إلى الأهواز ، فغلبوا عليها وعلى ما وراءها من أرض فارس وكرمان ، ونسبوا إليه ف قيل لهم : الأزارقة ، وهذه الفرقة من أشد فرق الخوارج بأساً ، وأصلها عوداً ، وأكثرها عدداً وأحفلها حوادث وأنباء .

[٣] انظر هامش ص ٢٠٣ . [٤] أي الجلب ، وأصله من امتار لأهله : جلب لهم الميرة بالكسر وهي الطعام .

ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فساوراءهم إلا سيوفهم
ورماحهم ، فمن كان شأنه الجهاد فلينهمض ، ومن أحب الحياة فليرجع » .
فأما صاروا « بِدُولَابَ » خرج إليهم نافع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل في
المعركة ابن عبيس وابن الأزرق سنة ٦٥ هـ . (الكامل للبدر ٢ : ١٨٠)

خطب المهلب بن أبي صفرة

٤١٨ — خطبته في حث جنده على قتال الأزارقة

وكان المهلب بن أبي صفرة — وهو على قتال الأزارقة — يأمر أصحابه بالتحرز
ويخوفهم البيات ، وإن بعد منهم العدو ، ويقول : « احذروا أن تُسكادوا كما
تَكيدون ، ولا تقولوا هزَمنا وغلبنا . فإن القوم خائفون وجِلون ، والضرورة
تفتح باب الحيلة ، ثم قام فيهم خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إنكم قد عرفتم
مذهب هؤلاء الخوارج ، وأنهم إن قَدَرُوا عليكم فتَنوكم في دينكم ، وسفكوا
دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولههم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقد
لَقِيهم قبلكم الصابر المحتسب مُسْلِم بن عُيَيْس ، والعَجَل المفرط عثمان بن
عُبَيْد الله ^(١) ، والمعصي المخالف حارثة بن بدر ، فَقَاتِلُوا جميعاً وقتلوا ، فالقوهم بِجِدِّ

[١] هو أخو عمر بن عبيد الله بن معمر الذي ولاه ابن الزبير البصرة (تولاهما بعد عبد الله بن الحرث
ابن نوفل) ، وولى عثمان محاربة الأزارقة بعد مسلم بن عبيس ، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً ، فلما دبروا
إليهم دحيلة نهرض إليهم الخوارج — وذلك قبيل الظهر — فقال عثمان بن عبيد الله حارثة بن بدر : أما
الخوارج إلا ما أرى ؟ فقال له حارثة : حسبك هؤلاء ، فقال : لا جرم ، والله لا أتدنى حتى أمأجرهم ،
فقال له حارثة : إن هؤلاء لا يقاتلون بالتسلف ، فأبقى على نفسك وجندك ، فقال : أبيتهم أهل المراق إلا
جنباً ، وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب ؟ أنت والله بغير هذا أعلم (يعرض له بالشراب) فغضب حارثة فاحتزل
وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس ، فأجلت الحرب عنه قليلاً ، وانهمز الناس ، وولى حريهم بعده
حارثة بن بدر فهزموه أيضاً ، فهرب يركض حتى أتى دحيلة ، فركب سفينة هو وجماعة من أصحابه ، وأقام

وَحَدَّثَ ، فَإِنَّمَا هُمْ مَهَنَتُكُمْ ^(١) وَعِيدُكُمْ ، وَعَارٌ عَلَيْكُمْ ، وَنَقْصٌ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَدْيَانِكُمْ
أَنْ يَغْلِبَكُمْ هَؤُلَاءُ عَلَى فَيْتِكُمْ ، وَيَطْئُوا حَرِيمَكُمْ .

(الكامل للبرد ٢ : ١٨٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٨٥)

٤١٩ — خطبة أخرى له في جنده

وخطب أصحابه ، وقد مال الخوارج بأجمعهم على العسكر ، وانهزم الناس
بسؤلاف فقال :

« وَاللَّهِ مَا بَكُم مِّن قَلَّةٍ ، وَمَا ذَهَبَ عَنْكُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَبَنِ وَالضَّعْفِ ، وَالطَّمَعِ
وَالطَّبَعِ ^(٢) ، فَإِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ ^(٣) فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ، فَسِيرُوا إِلَى
عَدُوِّكُمْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ » . (الكامل للبرد ٢ : ١٩١ ، وشرح ابن أبي م ١ : ص ٣٨٦)

٤٢٠ — نص آخر

وروى الطبري خطبة المهلب في أصحابه يوم هزموا فقال :
ثم إن الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرا ، فأجفل الناس ،
وانصاعوا ^(٤) منهزمين ، لا تلوي ^(٥) أمّ على ولد ، حتى بلغ البصرة هزيمة الناس ،
وخافوا السبأ ^(٦) ، وأسرع المهلب حتى سبقهم إلى مكان يفأج ^(٧) ، في جانب عن
سنن المنهزمين ، ثم إنه نادى الناس : إلىّ إلىّ عباد الله ، فتاب إليه جماعة من

رجل من بني تميم ، وعليه سلاحه ، والخوارج وراءه ، فصاح به : يا حارث ليس مثلي ضيع ، فقال للملاح :
قرب ، فاقرب إلى جرف ، فطفر بسلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعاً ، فماتوا عرقاً ، وتوجه الخوارج
نحو البصرة ، فضج الناس ، وخافوهم خوفاً شديداً ، واختاروا لقتالهم المهلب بن أبي صفرة ، فولاه القبايع
(وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وإلى البصرة من قبل ابن الزبير بعد عمر بن عبيد الله) .

[١] جمع ما هن ، وهو العبد والحامد . [٢] الشين والعيب .

[٣] القرح ويضم عض السلاح ونحوه مما يخرج بالبدن ، أو بالفتح : الآثار ، وبالضم : الألم .

[٤] انصاع : انقل راجعاً مسرعاً . [٥] مرّ لا يلوي على أحد : أي لا يقف ولا ينتظر .

[٦] السبي . [٧] يفأج : ما ارتفع من الأرض .

قومه ، فاجتمع إليه منهم نحو من ثلاثة آلاف ، فلما نظر إلى من قد اجتمع رضى جماعتهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن الله ربنا يَكِلُ الجمع الكثير إلى أنفسهم فيُهْزَمُونَ ، ويُنْزِلُ النصر على الجمع اليسير فيَظْهَرُونَ ، ولعمري ما بكم الآن من قلة ، إني لجماعتكم لراضٍ ، وإنكم لأنتم أهل الصبر ، وفُرسان أهل المِصر ، وما أحبُّ أن أحداً ممن انهزم معكم ، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خَبَالاً ^(١) ، عَزَمْتُ على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار ^(٢) . ثم امشوا بنا نحو عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم ، حتى تستبيحوا عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم » . (تاريخ الطبرى ٧ : ٨٨)

٤٢١ — خطبته في جنده وقد استخلف عليهم ابنه المغيرة

ولما كتب إليه مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ أَنْ أَقْدَمَ عَلَى ، واستخلف ابنك المغيرة ، جمع الناس فقال لهم : « إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم : رِقَّةٌ ورَحمةٌ ، وابنٌ كبيركم : طاعةٌ وبرٌّ وتبجيلاً ، وأخو مثله : مؤاساةٌ ومناصحةٌ ، فَلتَحْسُنْ له طاعتُكم ، ولْيَلِنْ له جانبُكم ، فوالله ما أردت صواباً قط إلا سَبَقَنِي إليه » ، ثم مضى إلى مصعب .

(الكامل للبرد ٢ : ١٩٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٨٩)

٤٢٢ — خطبة الزبير بن علي في الأزارقة

وكان نافع بن الأزرق قبل قتله استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز

[١] فسادا . [٢] وفي الكامل للبرد : وقال المهلب لأصحابه : أعدوا مخالي فيها حجارة ، وارموا بها في وقت الغفلة ، فإنها تصد الفارس ، وتصرع الراجل ، وقال رجل من الخوارج : أنا ما بأحـجار ليقتلنا بها . وهل تقتل الأبطال وبمحك بالحجر ؟

السليطي ، وقتل ابن الماحوز يوم سِليّ وسِلْبَرِي^(١) ، فاجتمعت الخوارج بأرّجان ، فبايعوا الزبير بن عليّ السليطي ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، وضعفاً بيننا ، فقال لهم : اجتمعوا .

لحميد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليهم فقال : « إن البلاء للمؤمنين تمحيصٌ وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبة وخزى ، وإن يُصَبَّ منكم أمير المؤمنين ، فما صار إليه خيرٌ مما خلفَ ، وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيّس ، وربيعة الأجدم^(٢) ، والحجاج بن باب ، وحارثة بن بدر ، وأشجيتهم المهلب ، وقتلتم أخاه المَعَارِك^(٣) ، والله يقول لإخوانكم من المؤمنين : « إِنَّ يَمَسُّنَكُمُ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا يَبِينُ النَّاسِ » ، فيوم سِليّ كان لكم بلاء وتمحيصاً ، ويوم سُولاف^(٤) كان لهم عقوبة ونكالا ، فلا تُغْلَبُنَّ على الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثِقُوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبة للمتقين » .

(الكامل للمبرد ٢ : ١٩٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ م : ص ٣٨٨)

[١] مجموع اللفظين موضع واحد بالاهواز قرب جند بسابور ، وقعت فيها وقعة بين الخوارج والمهلب ، وقتل فيها ابن الماحوز رئيس الخوارج ، وفي ذلك يقول رجل منهم :

سليّ وسلبري مصارع فتية كرام وجرحى لم توسد خدودها

[٢] كان مسلم بن عبيس تقدم إلى أصحابه « يوم دولاب » فقال : إن أصبت فأميرم الربيع بن عمرو الاجذم ، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية ، فلم يزل يقاتلهم نيفاً وعشرين يوماً حتى قتل ، ثم أخذها الحجاج بن باب الحميري ، فلم يزل يقاتلهم زهاء شهر حتى قتل أيضاً ، البقي هو ، وعمران بن الحارث الراسبي فاختلفا ضربين ، فسقطا ميتين .

[٣] وكان ابن الماحوز وجه بعض جيشه إلى نهر تيرى ، وبها المَعَارِك بن أبي صفرة ، يقتلوه وصلبوه ، فنمى الخيل إلى المهلب ، فوجه ابنه المغيرة ، فدخل نهر تيرى ، فاستنزله ودفنه ، وسكن الناس ، واستخلف بها ورجع إلى أبيه . [٤] وفي ذلك اليوم يقول رجل من الخوارج :

وكأن تركنا يوم سولاف منهم أسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

٤٢٣ — خطبة عتاب بن ورقاء الرياحي وقد طال عليه الحصار

وانحط الزبير بن عليّ على أصفهان^(١) ، فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر ، وعتاب يحاربه في بعضهن ، فلما طال به الحصار ، وأصابه الجهد الشديد ، دعا أصحابه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس ما تنتظرون وقد أصابكم من الجهد ما قد ترون ؟ فوالله إن^(٢) بقي مع هذا الحصار إلا أن يموت أحدكم على فراشه ، فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ، وبالحرى أن يضعف عن ذلك ، ثم يموت هو ، فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه ، فاتقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لفرسان أهل مصر ، وإنكم لصلحاء من أنتم منه ، ولقد حاربتموه مراراً فانتصفتهم منهم ، أخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم ، وبكم حياة وقوة ، قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يتشى إلى عدوه من الجهد ، وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته ، فقاتل رجلاً عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إني لأرجو إن صدقتموه أن يظفركم الله بهم ، وأن يظهوركم عليهم » .

فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ، ثم خرج إلى الخوارج ، وهم غارئون ، فلم يشعروا بهم حتى غشوه ، فقاتلوهم بجده لم يرا الخوارج منهم مثله ، فمقرؤوا منهم خلقاً ، وقتلوا رئيسهم الزبير بن عليّ ، وانهزمت الخوارج .

ثم أدار الخوارج أمرهم بينهم ، فولوا عليهم قطريّ بن الفجاءة المازنيّ وبايعوه .
(تاريخ الطبري ٧ : ١٦٦ ، والكامل للبرد ٢ : ٢٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : م ٣٩١)

[١] أصبهان : بفتح الهمزة والباء ، وقد كسر هزتها ، وقد تبدل باؤها فاء .

[٢] إن هنا نافية .

٤٢٤ — نصيحة عرهم العدوى لخالد بن عبدالله

ولما بعث خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد^(١) أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة^(٢) ، قام إليه عرهم أخو بني العدوية ، فقال :
 « أصلح الله الأمير ، إن هذا الحى من تميم تَطِطُ^(٣) بقریش منهم رَحِمٌ دَاسَةٌ مَاسَةٌ ، وإن الأزارقة ذوؤبان العرب وسبأعها ، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكر ، المَجْرَبُ^(٤) ، الذى أَرْضَعَتْهُ الحربُ بِلِبانِنا ، وَجَرَّسَتْهُ^(٥) وَضَرَّسَتْهُ ، وذلك أخو الأزدي المهلب بن أبي صفرة ، والله إن غنمك أحب إلينا من سمينه ، ولكنى أخاف عدوات الدهر وغدره ، وليس المَجْرَبُ كمن لا يُعْلَمُ ، ولا الناصح المشفق ، كالغاشي المُنْتَهَمُ » ، قال له خالد : اسكت ، ما أنت وذا ؟ .
 وقد هزمت الأزارقة عبد العزيز ، وأخذوا امرأته^(٦) وَفَرَّ عَنْهَا . (ذيل الأمل من ٣٣)

[١] كان والى البصرة وأعمالها من قبل عبد الملك بن مروان من سنة ٧١ إلى سنة ٧٤ (انظر من ٢٢٠) .
 [٢] قال أبو العباس المبرد فى الكامل (٢ : ٢٠٧) : « ومضى قطرى إلى كerman ، فاصرف خالد إلى البصرة ، فأقام قطرى بكرمان أشهراً ، ثم عمد لفارس ، وخرج خالد إلى الاهوار ، وندب الناس رجلاً فغفلوا يطلبون المهلب ، فقال خالد : « ذهب المهلب بحط هذا المصر ، لئنى قد وليت أخى قتال الأزارقة » فولى أخاه عبد العزيز ، واستحلف المهلب على الاهواز فى ثمانمائة ، ومضى عبد العزيز فى ثلاثين ألفاً ، فحمل ضد العريز يقول فى طريقه : « يزعم أهل البصرة أن هذا الاسر لا يتم إلا بالمهلب وسيمامون ! » إلى أن قال : فهاهم عبد العزيز ، فواقفوه ساعة ، ثم انهزموا عنه مكيدة ، فاتبعهم ، فقال له الناس : لاتبعهم فإننا على غير تعب فأتى ، فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا ناقة ، فاقترعها وراءهم ، والناس ينهونه ويأبى وكان لهم فى طعن العقبة كمين ، فلما صاروا وراءهم خرج عليهم السكينة ، وانحاز عبد العزيز ، واتبعهم الخوارج يقتلونهم كيف شاؤوا .

[٣] أصله من أطّ الرجل أطيطاً : صوت . [٤] من حرب السنان : حذده .

[٥] التجريس : التحكيم والتجربة ، وضرسته الحرب تضريساً : حربته وأحكامته أيضاً .

[٦] وكان عبد العزيز قد خرج بامرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود ، فسبى الخوارج النساء يومئذ وكانت أم حفص ممن سبين ، قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد (٢ : ٧٥) : « فأقاموها فى السوق حاسرة بأذى الخاسن ، فاعترضوها وقلبوها ، وكانت من أكل الناس كلاً وحسناً ، فتزايدت فيها العرب ، والموالى ، حتى بلغها تسعين ألفاً ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها ، فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطرى بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفاً من بيت

٤٣٥ — خطبة قطري بن الفجاءة^(١)

وصعد قطري بن الفجاءة منبر الأزارقة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أما بعد : فإني أحذركم الدنيا ، فإنها خلوة خضيرة^(٢) ، خفت^(٣)
 بالشهوات ، وراقت^(٤) بالقليل ، وتحببت بالعاجلة^(٥) ، وحليت^(٦) بالآمال ،
 وتزيّنت بالغرور ، لاتدوم حبرتها^(٧) ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ،
 خوانة غدّارة ، وحائلة^(٨) زائلة ، ونافذة^(٩) بائدة ، أكالة غوالة^(١٠) ، بدالة
 نقالة ، لا تعدّو إذا هي تناهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن
 تكون كما قال الله تعالى : « كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ،

الماء ، وقتل أمة من إماء المؤمنين ، فقال له : ماتقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيت هؤلاء قد
 تازعوا عليها ، حتى ارتفعت الأصوات ، واحمرت الحدى ، فلم يبق إلا الخط بالسيرف ، ورأيت أن تسعين
 ألفاً في جنب ماخشيت من الفسة بين المسلمين هبة ، فقال قطري : حلوا عنه ، عين من عيون
 الله أصابتها » اه .

[١] أورد الشريف الرضى رحمه الله هذه الخطبة في نرج البلاء ، وعراها إلى الإمام على كرم الله
 وجهه ، وكذلك الغضائى في دستور معالم الحكم ، وقال ابن أبى الحديد في شرحه (م ٢ : ص ٢٤٢) :
 « وهذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والنبين ، ورواها لقطري بن الفجاءة ،
 والناس يروونها لأمر المؤمنين عليه السلام ، وقد رأيتها في كتاب المواقى لأبى عبيد الله المرزبانى ، مروية
 لأمر المؤمنين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه ، وليس يبعد عندى أن يكون قطري قد خطب
 بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأصاره ، وقد
 لقي قطري أكثرهم » .

[٢] أى ناضرة ، من حضر الزرع كفرح ، فهو أخضر وخضر ، وهو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — انظر خطبته في الجزء الأول ص ٥٥ : [٣] أى أطافت بها الشهوات .

[٤] أعجبت أهلها بمناع قليل ليس بدائم . [٥] أى وتحببت إليهم باللذة العاجلة ، (والفس مولاة
 بحب العاجل) . [٦] حليت المرأة فهى حال وحالية كتحتل « وفي رواية : وتعلمت » .

[٧] الخبرة : السرور ، وفي رواية : « لاتقوم بضرتها » ، لاتقوم : لاثبت ، والنصرة : النعمة
 والغنى والحسن . [٨] أى متحولة متغيرة من حال يحول ، وفي رواية « خاتلة » أى خادعة .
 [٩] أى هالكة فانية من فقد ينفد كفرح . [١٠] أى مهلكة من عاله ينوله .

فَأَصْبَحَ هَشِيماً ^(١) تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ، مع أن
امراً لم يكن منها في حَبْرَةٍ ، إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةٌ ، ولم يَلْقَ من سَرَّاءِهَا بَطْناً ،
إِلَّا مَنَحَتْهُ من ضَرَّاءِهَا ظَهْراً ^(٢) ، ولم تَطْلُغْ غَيْثَةٌ ^(٣) رِخَاءً ، إِلَّا هَطَلَتْ ^(٤) عليه مُزْنَةٌ
بَلَاءً ، وَحَرَىٰ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ ، أَنْ تُنْسِيَ لَهُ خَاذِلَةً مُنْكَرَةً ، وإن جَانِبُ
مِنْهَا اعْدَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى ^(٥) ، أَمْرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ وَأَوْبَى ^(٦) ، وإن آتَتْ امراً
من غَضَارَتِهَا ^(٧) وَرَفَاهَتِهَا نِعَمًا ، أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا ، ولم يُنْسِ امراً مِنْهَا
فِي جَنَاحِ أَمْنٍ ، إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمٍ ^(٨) خَوْفٌ ، غَرَّارَةٌ ، غُرُورٌ مَا فِيهَا ،
فَانِيَةٌ ، فَإِنْ مَا عَلَيْهَا ، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى ، من أَوَّلَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ
مِمَّا يُؤْتَمَنُ ، وَمِنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبَقُ ^(٩) ، وَيُطِيلُ حُزْنَهُ ، وَيُبْسِكِي
عَيْنِيهِ ، كَمَ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ لَجَعَتْهُ ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ^(١٠) ، وَذِي
اخْتِيَالٍ ^(١١) فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ ، وَكَمَ مِنْ ذِي أُبْهَةِ فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَحْوَةٍ

- [١] الهشيم : ما تهشم وتخطم ، وتذروه : أى نظيره . [٢] كنى بالبطن والظاهر عن إقالتها عليه وإدارها عنه لأن الملاق لك بالصدر ملاق بالوجه ، فهو مقبل عليك ، والمعطيك ظهره مدبر عنك .
[٣] طله السحاب يطله : إذا أمطره مطراً قليلاً ، وربما كانت « غيثة » مصحفة عن « غيبة » والغيبة
بفتح الغين : المطرة غير الكثيرة ، وفي رواية « ديمة » والديمة بالكسر : مطر يدوم في سكون بلا
رعد وبرق . [٤] هطلت السماء بكس هطلا : تابع مطرها ، وفي رواية : « هتفت » هتفت السماء
بكس أيضاً هتأ : انصبت ، أو هو فوق الهطل ، والمرنة : السحابة أو ذات الماء .
[٥] أى صار عدواً حلوا . [٦] أمر : صار مرا ، وأوى : مسهل عن أوباً ، أى صار ويطأ ،
وبثت الأرض كعرج وكرم وعى ، وأوبأت : صارت كثيرة الوباء ، وهو الطاعون أو كل مرض عام .
[٧] النصار : العمة والسعة والحصب ، وأرهقه : حمله على مالا يطيقه ، وفي رواية : « لا ينال امراً
من غضارتها رعا » والرغب بالتحريك ما ترغب فيه ، وفي رواية : « فإن آتت امراً من غصونها ورقا » ،
وفي رواية : « وإن لبس امراً من غضارتها ورفاهيتها نعمة ، أرهقه من نوائبها غما » .
[٨] القوادم : أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح ، الواحدة قادمة ، وخس الخوف بالفوادم لأنها
مقاديم الريح ، والراكب عليها بعرض سقوط قريب . [٩] يهلكه . [١٠] وفي رواية : « وذى
حكم نثته إليها قد صرعه » . [١١] الاختيال : الكبر والعجب ، والأبهة : المظلة ، والبهجة
والكبر والنحوه .

قد رَدَّتْهُ ذَلِيلًا ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ ^(١) لِلدِّينِ وَالْفَمِ ، سُلْطَانُهَا دُؤْلٌ ،
وَعِيشُهَا رَتْقٌ ^(٢) ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ ، وَخُلُوهَا صَبْرٌ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا ^(٣)
رِمَامٌ ، وَقِطَافُهَا سَلَعٌ ^(٤) ، حَيْثُهَا بَعَرَضُ مَوْتٍ ، وَصَحِيحُهَا بَعَرَضُ سُقْمٍ ، وَمَنْعِيهَا
بَعَرَضُ اهْتِضَامٍ ، مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيمُهَا مَنْكُوبٌ ،
وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ^(٥) ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ ، وَهَوَلُ الْمُطْلَعِ ،
وَالْوَقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » .

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَارًا ، وَأَعَدَّ
عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ^(٦) ، وَأَطْوَلَ عِمَادًا ؟ تُعْبِدُوا ^(٧) لِلدُّنْيَا
أَيَّ تَعْبُدُوا ! وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ ! وَظَنُّوا عَنْهَا بِالْكَرْهِ وَالصَّغَارِ ! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتَهُمْ بِخَطْبٍ ^(٨) ؟ بَلْ قَدْ
أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ ^(٩) ، وَضَعُضَتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ، وَعَقَرْتَهُمْ بِالْمَصَائِبِ ^(١٠) ، وَقَدْ

[١] صرخته وقلبه . [٢] ريق الماء كفرح وبصر : كدر ، فهو ريق كمدل وكتب وجبل ،
وأجاج : ملح مر ، وسام جمع سم مثلث السين . [٣] أسباب جمع سبب : وهـ الحبل ، ورمام :
بالية ، حل أرمام ، ورمام : أى بال . [٤] السلاع : شجر مر ، أو سم ، أو صرب من الصبر ، أو
بقلة خبيثة الطعم . [٥] مسلوب ، من حره حرما كمله طلباً : سلب ماله فهو محروب وحريب ، وفي
رواية : « وجارها محروب » . [٦] العتاد : العدة ، وقد عتد ككرم عتاداً فهو عتيد : أى حاصر
مهماً ممد ، وفي رواية : « وأشدّ عنوداً » من عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنوداً : أى مال ،
وفي رواية : « وأشدّ عقوداً » . [٧] أى استعبدتهم الدنيا ، تعبدوه : اتخذوه عبداً .

[٨] أى بشان وأسر . [٩] الفوادح : النوائب المثقلة ، من مدحه الدين إذا أثقله ، وفي رواية :
« الفوادح » والفوادح جمع فادح : وهو أكل يقع في الشجر والأشنان ، وفي رواية : « وأوهقهم »
أى جعلتهم في الوهق بفتح الهاء وتسكينها : وهو حبل كالطول .

[١٠] وفي رواية : « وعقرتهم بالفجائع » وفي رواية : « وعقرتهم الماخر ، ووطئهم بالماسم » ،
عقرتهم للماخر : ألصقت أنوفهم بالعقر (كسبب وسكن) وهو الزناز ، والماخر جمع منجر بفتح الميم
والهاء ، وبكسرهما ، وبضمهما ، وكلمة : الأناب ، والماسم جمع منسم كجلس وهو خب البعير .

رَأَيْتُمْ تَنْكَرُهَا لِمَنْ دَانَ^(١) لَهَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْآبَدِ ، إِلَى آخِرِ الْمُسْنَدِ^(٢) ، هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ^(٣) ، وَأَحْلَتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلُمَةَ ، أَوْ أَعَقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ أَفَهَذِهِ تُؤْتِرُونَ ، أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ، فَبُئِست الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا .

فَاعَاهُوا - وَأَنْتُمْ تَعَاهُونَ - أَنْكُمْ تَارْكُوهَا لَا بُدَّ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّعِيبِ وَاللَّهْوِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ^(٤) آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ » ، وَاتَعَطُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ » ، مُحْمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَانْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ^(٥) ضَيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْنَانٌ^(٦) ، وَمِنَ النَّارِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ ، فَهُمْ جِيرة لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْفًا ، وَلَا يَبَالُونَ مَنْدَبَةً^(٧) ، إِنْ أَخْصَبُوا^(٨) لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحَطُوا^(٩) لَمْ

[١] أَيْ خَصَّصَ لَهَا وَدَلَ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « لِمَنْ رَادَمَا » أَيْ طَلَبَهَا ، رَادَهُ رَوَدَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا : مَالَ .
[٢] الْمُسْنَدُ : الْاَهْرُ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ » . [٣] الْجَوْعُ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « الشَّقَاءُ » وَالصَّكُّ : الصِّيقُ . [٤] نَزَلَ فِي عَادَ قَوْمِ هُودَ ، الرِّيعُ : الْمُرْتَمِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، آيَةٌ : أَيْ أَبْنِيَةٌ وَقَصُورًا يَفْتَخِرُونَ بِهَا ، وَيَعْبَثُونَ بِالْفُقَرَاءِ ، وَيَتَطَاوَلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِهَا ، وَالْمَصَانِعُ : الْمَبَانِي مِنَ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . [٥] وَفِي رَوَايَةٍ : « فَلَا يَرْعُونَ » أَيْ فَلَا يَرْعَاهُمْ أَحَدٌ .
[٦] الْأَكْنَانُ جَمْعُ كَنٍّْ بِالْكَسْرِ : وَهُوَ وَفَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَسِتْرُهُ ، وَالضَّرِيحُ : اقْبَرُ أَوْ الدَّقُّ وَسَطُهُ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانُ » ، وَالْأَجْنَانُ جَمْعُ جَنْفٍ كَسَبَبٍ وَهُوَ : الْقَبْرُ ، وَالصَّفِيحُ : الْحَجَارَةُ الْعَرَاضُ ، وَالرُّفَاتُ : الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ . [٧] الْمَنْدَبَةُ : الدَّبُّ عَلَى الْمَيْتِ . [٨] وَفِي رَوَايَةٍ : « إِنْ حِيدُوا » مِنْ جَادِهِمُ الْعَيْثُ إِذَا أَمْطَرُوا . [٩] قَحَطَ النَّاسُ كَسَمْعَ ، وَقَحَطُوا وَأَنْحَطُوا مَبْذِينَ لِلْمَجْهُولِ (قَلِيلَتُنْ) ، وَبِكُلِّ رَوَى .

يَقْنُطُوا ، جَمْعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مَتْنَاءُ وَنَ لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ،
حُمَلَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ ، وَلَا
يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « قَتَلْتَ مَسَاكِينَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » ، اسْتَبَدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا ،
وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَفَارَقُوهَا كَمَا دَخَلُوهَا ، حُفَاةً عُرَاهُ فُرَادَى ، غَيْرَ
أَنْ ظَنُّوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، وَإِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « كَلَّا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمْ
اللَّهُ ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَرَزَقَنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ . (البيان والتبيين ١ : ٦٣ ، وَصَبْحُ الْأَعْنَى ١ : ٢٢٣ ، وَالْفَقْدُ الْفَرِيدُ

٢ : ١٦٠ ، عِيُونُ الْأَخْبَارِ م ٢ : ص ٢٥٠ ، وَنَهْيَةُ الْأَرْبِ ٧ :
٢٥٠ ، وَنَهْجُ الْبَلَاغَةِ ١ : ١٢٢ ، دُسْتُورُ مَمَالِكِ الْحَكَمِ ص ٥١)

٤٣٦ — خُطْبَةُ عَبْدِ رَبِّهِ الصَّغِيرِ

وَلَمَّا دَبَّتْ عَقَارِبُ الْخِلَافِ بَيْنَ الْأَزَارِفَةِ ، وَلَعِبَتْ بِهِمْ يَدُ الشَّقَاقِ ، خَلَعُوا
قَطْرِيَّ بْنَ الْفَجَاءَةِ ، وَوَلَّوْا عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ ، فَانْفَصَلَ إِلَى عَبْدِ رَبِّهِ أَكْثَرَ مِنْ^(١)
الشَّطْرِ ، وَنَشِبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَهْلَبِ ، فَأَجَلَّتِ الْوَقْعَةُ عَنْهُ قَتِيلًا ، وَقَدْ جَمَعَ
أَصْحَابَهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَتَلَ فِي صَبِيحَتِهَا ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ : إِنْ قَطَرِيًّا وَعُيَيْدَةً^(٢) هَرَبَا طَلَبَ الْبَقَاءَ ، وَلَا سَبِيلَ
إِلَيْهِ ، فَالْقُوا عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ غَلَبَكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ ، فَلَا يَغْلِبُكُمْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَتَلَقُّوا

[١] أَمَّا قَطْرِي فَقَدْ ارْتَحَلَ وَمِنْ مَعِهِ إِلَى طَبْرِسَ-تَنْ ، فَوَحَهُ الْحِجَابُ إِلَيْهِ حَيْشًا عَلَيْهِ سَسْفِيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ
فَقَاتَلُوهُ ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَقَتْلُ سَنَةِ ٧٨ هـ ، وَبَقِيَّتُهُ انْتَهَتْ حُرُوبُ الْأَزَارِقَةِ .

[٢] هُوَ عُبَيْدَةُ بْنُ هَلَالٍ الْبَشْكِرِيُّ مِنْ كِبَرَاءِ الْأَزَارِقَةِ .

الرماح بنحوركم ، والسيوف بوجوهكم ، وهبوا أنفسكم لله في الدنيا ، يهبها لكم في الآخرة » . (الكامل المبرد ٢ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٥)

٤٢٧ — خطبة صالح بن مسرّح^(١)

وروى الطبرى في تاريخه قال :

كان صالح بن مسرّح يرى رأى الصُفْريّة^(٢) ، وكان رجلاً ناسكاً مُحْبِتاً^(٣) ، مصفراً الوجه ، صاحب عبادة ، وكان بذاراً^(٤) وأرض الموصل والجزيرة ، له أصحاب يُقرئهم القرآن ، ويفقههم ويَقْصُّ عليهم ، وكان قصصه :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْدِلُ بِكَ ، وَلَا نَحْفِدُ^(٥) إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَمَنْتَ النِّفْعَ وَالضَّرَّ ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ ، وَرَسُولُكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ وَارْتَضَيْتَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِكَ ، وَنُصِيحَةِ عِبَادِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَنُصَحَ لِلأُمَّةِ ، وَدُعِيَ إِلَى الْحَقِّ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ ، وَنَصَرَ الدِّينَ ، وَجَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَالرَّغْبَةِ فِي الآخِرَةِ ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَفِرَاقِ الْفَاسِقِينَ ، وَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا تَرْغَبُ الْعَبْدُ

[١] هو صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس ، وهو زعيم فرقة من الخوارج الصفريّة ، تسمى : « الصالحية » نسبة إليه ، وقد خرج على بني أمية سنة ٧٦ هـ ، فبعث إليه محمد بن مروان أمير الجزيرة جيشاً بقيادة عدى بن عدى بن عميرة ، فهزمه صالح ونزل عسكره وحوى ما فيه ، وبعث محمد بن مروان إليهم جيشاً آخر فقاتلهم ، وخرجوا من أرض الجزيرة إلى الموصل ، فشرح إليهم الحاج جيشاً يقوده الحارث ابن عميرة فخاربهم ، وقتل في المعركة صالح . [٢] الصفريّة : فرقة من الفرق الرئيسية للخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصم ، وقيل نسبوا إلى عبد الله بن صفار ، وقيل لأنهم نهكهم العبادة ، أو لخلوهم من الدين ، وليس هذا موضع تفصيل عقائدهم . [٣] أخبت لله : خضع وتواضع . [٤] داراً : بلد بين نصيبين وماردين من أرض الجزيرة . [٥] حقد كفرّب : خفّ وأسرع .

فيما عند الله ، وتفرغ بدنه لطاعة الله ، وإن كثرة ذكر الموت تُخيف العبد من ربه ، حتى يجأر^(١) إليه ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين ، قال الله في كتابه : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » ، وإن حب المؤمنين للسبب الذي يُنال به كرامة الله ورحمته وجنته ، جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ، ألا إن من نعمة الله على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ، وفقهم في دينهم ، وكان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً ، حتى قبضه الله ، صلوات الله عليه ، ثم ولي الأمر من بعده التقي الصديق ، على الرضا من المساميين ، فاقتدى بهديه ، واستن بسنته ، حتى لحق بالله رحمه الله ، واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية ، فعمل بكتاب الله ، وأحيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يحنق في الحق على جرته^(٢) ، ولم يخف في الله لومة لائم ، حتى لحق به رحمة الله عليه ، وولى من بعده عثمان ، فاستأثر بالنبي ، وعطل الحدود ، وجار في الحكم ، واستذل المؤمن ، وعزز المجرم ، فسار إليه المسلمون فقتلوه ، فبرئ الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، وولي أمر الناس من بعده علي بن أبي طالب ، فلم يذشب أن حكم في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال ، وركن^(٣) وأذهن ، فنحن من علي وأشياعه برأوا ، فتيسروا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة ، وأئمة الضلال الظالمة ، وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ، واللاحاق بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين

[١] جأر إليه كنع : رفع صوته بالدعاء ، وتضرع واستغاث . [٢] أحنق الصلب : لرق بالبطن ، والجرّة : ما يخرج البعير من جوفه ويمصه ، كنى بذلك عن عدم إضماره الحقد والدغل . [٣] ركن إليه : مال .

باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالهم التماسَ رضوان الله في العاقبة ، ولا تجزَعوا من القتل في الله ، فإن القتل أيسرُ من الموت ، والموت نازل بكم - غيرَ ما ترَجُمُ الظنون - ففرِّقْ بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحَلالِكم ودنياكم ، وإن اشتدَّ لذلك كُرْهُكُمْ وجَزَعُكُمْ ، أَلَا فَبِيعُوا اللَّهَ أَنْفُسَكُمْ طَائِعِينَ وَأَمْوَالَكُمْ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ آمِنِينَ ، وَتُعَاتِقُوا الْحُورَ الْعِينِ ، جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِبَائَكُمْ مِنَ الشَّاكِرِينَ الذَّاكِرِينَ ، الَّذِينَ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ » . (تاريخ الطبري ٧ : ٢١٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٠٩)

٤٢٨ — خطبة أخرى له

وروى الطبري أيضاً قال :

« بينا أصحابُ صالحٍ يختلفون إليه ، إذ قال لهم ذاتَ يوم : « ما أَدْرَى ما تنتظرون ؟ وحتى متى أنتم مُقيمون ؟ هذا الجَوْرُ قد فَشَا ، وهذا العَدْلُ قد عَفَا ، ولا ترداد هذه الوُلاة على الناس إلا غُلُوءًا وَغُتُوءًا ، وتباعُدا عن الحق ، وَجُرْأَةً على الرب ، فاستعِدُّوا ، وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكارِ الباطل والدعاء إلى الحق ، مثلَ الذي تريدون ، فيأتوكم فلتتق ، وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون » .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢١٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٠٩)

٤٢٩ — خطبة أخرى

وقال لأصحابه ليلة خرج : « اتقوا الله عبادَ الله ، ولا تَعَجَلُوا إلى قِتالِ أحد من الناس إلا أن يكونوا قومًا يريدونكم وَيَنْصِبُونَ^(١) لكم ، فإنكم إنما خرجتم غضبًا لله ، حيث انشَبَكْتُمُ حَارْمُهُ ، وَعَصَيْتُمُ فِي الْأَرْضِ ، فَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ بِغَيْرِ

حِلِّهَا ، وَأَخَذَتِ الْأَمْوَالَ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، فَلَا تَعْيَبُوا عَلَى قَوْمِ أَعْمَالٍ ثُمَّ تَعْمَلُوا بِهَا ، فَإِنْ كُلُّ مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مَسْتُولُونَ ، وَإِنْ عَظُمَ كُمْ رَجَالَةً ، وَهَذِهِ دَوَابُّ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ فِي هَذَا الرُّسْتَاقِ ^(١) ، فابْدِءُوا بِهَا فَشُدُّوا عَلَيْهَا ، فَاحْمِلُوا أَرْجُلَكُمْ ، وَتَقَوُّوا بِهَا عَلَى عَدُوِّكُمْ .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٠)

٤٣٠ — خطبة زائدة بن قدامة

وَحَلَفَ عَلَى رِيَاسَةِ الْخَوَارِجِ الصُّفَرِيَّةِ بَعْدَ مَقْتَلِ صَالِحِ بْنِ مُسَرَّحٍ أَحَدِ أَصْحَابِهِ ، وَهُوَ شَبِيبُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِي ، فَكَتَبَ الْحِجَاجُ لِقِتَالِهِ الْكِتَابَ ، وَكَانَ أَمِيرَهَا فِي بَعْضِ الْوَقَعَاتِ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ ، وَجَاءَ شَبِيبٌ حَتَّى وَقَفَ مُقَابِلَ الْقَوْمِ ، فَخَرَجَ زَائِدَةُ يَسِيرُ بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمِيسَرَةِ ، يَحَرِّضُ النَّاسَ وَيَقُولُ :

« عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ الطَّيِّبُونَ الْكَثِيرُونَ ، وَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْخَبِيثُونَ الْقَلِيلُونَ ، فَاصْبِرُوا جُعِلَتْ لَكُمْ الْفِدَاءُ ، إِنَّهَا تَحْمِلَتَانِ أَوْثَلَاتُ ، ثُمَّ هُوَ النَّصْرُ لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ ، أَلَا تَرَوْنَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَكُونُونَ مَائِئِي رَجُلٍ ؟ إِنَّمَا هُمْ أَكَلَةُ رَأْسٍ ، وَهُمْ السُّرَّاقُ الْمُرَّاقُ ، إِنَّمَا جَاءَ وَكَمْ لِيُهَرِّقُوا دِمَاءَكُمْ ، وَيَأْخُذُوا فِيئَكُمْ ، فَلَا يَكُونُوا عَلَى أَخْذِهِ ، أَقْوَى مِنْكُمْ عَلَى مَنْعِهِ ، وَهُمْ قَلِيلٌ وَأَنْتُمْ كَثِيرٌ ، وَهُمْ أَهْلُ فُرْقَةٍ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ جَمَاعَةٍ ، غَضُّوا الْأَبْصَارَ ، وَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالْأَسِنَّةِ ، وَلَا تَحْمِلُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى آمُرَكُمْ » ، فَمَا بَرِحَ يَقَاتِلُهُمْ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ، حَتَّى قُتِلَ . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٥ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٥)

٤٣١ — خطبة الحجاج بن يوسف

وَلَمَّا هَزَمَ شَبِيبُ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ الْحِجَاجُ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

[١] الرستاق . يستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ، (معرب) .

ابن محمد بن الأشعث ، أقبل نحو المدائن ، وبلغ ذلك الحجاج ، فقام في الناس ،
فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : والله لَتُقَاتِلُنَّ عن بلادكم وعن فيئكم ، أو لَأُبْعَثَنَّ إلى قوم
هم أطوع وأسمع ، وأصبر على اللأواء والنيظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون
فيئكم - يعني جند الشام - . »

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ، وَنُعْتِبُ الأَمِيرَ ،
فَلْيَنْدُبْنَا الأَمِيرَ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّا حَيْثُ سَرَّه .

(تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٨)

٤٣٢ - خطبة أخرى للحجاج

وبعث الحجاج إلى عَتَّاب بن وَرْقَاء ليأتيه - وكان مع المهلب - ووجهه
في جيش لقتال شبيب ، وخطب الناس حين وجهه فقال :

« يَأْهْلُ الكُوفَةِ اخرجوا مع عَتَّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أَرْخَصُ لأحد
من الناس في الإقامة ، إلا رجلاً قد وَلِيَّناه من أعمالنا ، ألا إن للصابر المجاهدِ
الكرامة والأثرة ، ألا وإن للنَّاكِيلِ الهاربِ الهوانَ والجفوةَ ، والذي لا إله
غيرُهُ ، لئن فعلتم في هذا المَوْطِنِ ، كفعلكم في المِوَاطِنِ التي كانت ، لأُولِيَنَّكُمْ
كَنْفًا خَشِينًا ، وَلَأَعْرُ كُنْكُمْ بِكُلِّ كَلٍّ ثَقِيلٍ » ، ثم نزل .

(تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٥)

٤٣٣ - خطبة شبيب بن يزيد الشيباني

وعرض شبيب أصحابه بالمدائن فكانوا ألف رجل ، فخطبهم ، فحمد الله ،

وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر المسلمين : إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان ، وأكثروا من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، وأنتم اليوم مِثُون ومِثُون ، ألا إني مُصَلِّي الظهر ، ثم سأثر بكم إن شاء الله . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٩)

٤٣٤ — خطبة عتاب بن ورقاء

ولما تواقف الفريقان للقتال ، جعل عتاب يسير فيما بين الميمنة إلى الميسرة ، يمرّ بأهل راية راية ، فيحثهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ، ويقص عليهم قَصَصاً كثيراً منه قوله :

« يا أهل الإسلام : إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، ألا تَرَوْنَ أنه يقول : « وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » ، فمن حَمِدَ اللهُ فَعَلَهُ مَا أعظمَ دَرَجَتَهُ ، وليس الله لأحدٍ أَمَقَّتْ منه لأهل البغي ، ألا تَرَوْنَ أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ؟ لا يَـوْنُ إلا أن ذلك لهم قُرْبَةً عند الله ، فهم شِرَارُ أهل الأرض ، وكلاب أهل النار . »

فلم يجبه أحد ، فقال : أين القُصَّاصُ يَقْصُونَ على الناس ويحرضونهم ؟ فلم يتكلم أحد ، فقال : أين من يَروى شعر عنترة فيحرك الناس ؟ فلم يجبه أحد ، ولا رد عليه كلمة ، فقال : إنا لله ! والله لكأنني بكم وقد قرّرتهم عن عتاب بن ورقاء ، وتركتموه تَسْنِي في استهـ الریح ، وحمل عليه شبيب فتفرّق عنه كثير من أصحابه وخذّلوه ، وثبت في عصابة قليلة صبرت معه ، وقاتل حتى قتل .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٢٠)

٤٣٥ — خطبة الحجاج

ولما رأى الحجاج نَجْزَ أهل الكوفة عن قتال شبيب في مواطن كثيرة ، في كلِّها يقتل أمراءهم ، ويُفْلَ جنودهم ، كتب إلى عبد الملك يستعده ، فبعث إليه سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ الْكَلْبِيُّ ، في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحَكَمِيُّ من مَذْحِجٍ ، في ألفين ، ودخلا فيمن معهما من أهل الشام الكوفة ، فشدُّوا للحجاج ظهره ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبرها ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : يا أهل الكوفة ، فلا أعزَّ اللهُ من أراد بكم العزَّ ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا ، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة ، فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا ، إلا من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيد قنال عَتَّاب بن وَرْقَاء ^(١) . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٢٠)

٤٣٦ — خطبة عبد الله بن يحيى الإيباضية ^(٢)

لما استولى عبد الله بن يحيى الكِنْدِيُّ على بلاد اليمن سنة ١٢٩ ، خطب

[١] ولم تن همة شبيب عن القتال ، وقد هاجم الكوفة ودخلها ، ونهض الحجاج لمداغته ، فشنت جموعه ، فانصرف عن الكوفة ، وأتبعه الحجاج جيشاً عليه سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ ، فالتقيا على جسر دجيل ، وحمل بينهما وطيس القتال ، حتى جنَّ الليل ، فقال شبيب لأصحابه : اعبروا مفاصل المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم ، فعبروا أمامه ، وزلَّ حافر فرسه عن حرف السفينة ، فسقط في الماء ، وكان هلاكه سنة ٥٧٧ هـ .

[٢] هو عبد الله بن يحيى الكِنْدِيُّ ، كان من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً من رؤساء الخوارج الإيباضية (والإيباضية : فرقة من فرق الخوارج الرئيسة تنسب إلى زعيمها عبد الله بن إيباض — بكسر الهمزة —) وقد خرج ابن يحيى باليمن في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، إذ رأى جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً ، وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : إنه لا يعمل لنا المقام على ماري ، ولا الصبر عليه ، وكتب إلى جماعة من الإيباضية بالبصرة وغيرها يشاؤهم في الخروج ، فوافقوه ، وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ، وبلغ بن عقبة المسعودي في رجال من الإيباضية ، فغرضوه على الخروج ، وكثر

الناس ، فحمد الله جلَّ وعزَّ ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ووعظ وذكر وحذر ، ثم قال :

« إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما ،
الإسلام ديننا ، ومحمد نبيُّنا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال
حلالا ، لا نبغى به بدِلا ، ولا نشترى به تمنا قليلا ، وحرَّمنا الحرام ونبذناه
وراء ظهورنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعوَّل ،
من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شكَّ
في أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى فرائض يثبات ، وآياتٍ مُحْكَمات ، وآثارٍ
مُقْتَدَى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدل فيما حَكَم ، وندعو إلى توحيد
الرب ، واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن
المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعداوة لأعداء الله .

أيها الناس : إن من رحمة الله أن جعل في كلِّ فترة بقايا من أهل العلم ،
يدْعُون من ضلَّ عن الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى ، يُقْتَلُونَ
على الحق في سالف الدهور شُهَدَاء ، فما نسيهم ربُّهم ، وما كان ربُّك نسيًّا ،
أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به ، فأبلموا الله بلاء
حسنا في أمره وذكره ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

(الأغانى ٢٠ : ٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٥)

جمعه . وسموه طالب الحق ، وتوجه إلى صنعاء سنة ١٢٩ (وكان عامل مروان على صنعاء القاسم بن عمر)
فجرت بينه وبين ابن يحيى حروب ومناوشات كانت البصرة فيها لابن يحيى ، فدخل صنعاء ، وأحرز ما فيها
من الخزان والأموال .

خطب أبي حمزة الشاربي

٤٣٧ - خطبته حين دخل المدينة

ولما دخل أبو حمزة المدينة ^(١) سنة ١٣٠ ، رقي المنبر ، فحمد الله ، وأثنى

عليه ، وقال :

« يا أهل المدينة : سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء ، فأسألتكم - لعمرُ الله - فيهم القول ، قاتم والله ما فيهم الذي يعلم ، أخذوا المال من غير حِلِّه ، فوضعوه في غير حقِّه ، وجاروا في الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله ، واستأثروا بفيئتنا ، فجعلوه دولةً بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مَقاسِمَنا وحقوقنا في مهور النساء ، وفُرُوج الإماء ^(٢) ،

[١] بعد أن استولى عبد الله بن يحيى على اليمن سنة ١٢٩ ، أقام بصنعاء أشعرا يحسن السيرة في الناس ويلين جانبه لهم ، ويكفّ الأذى عنهم ، وكثر جمعه ، وأنته الشراة من كل جانب (والشراة كقصاة جمع شاركوا فيهم الحوارج ، من شري يشري كرمى أى باع ، سموا بذلك أقولهم : شربنا أسننا في طاعة الله أى نعمناهم وبهبنامنا ، أخذنا من قوله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ » أو أقولهم : شربنا الآخرة بالدنيا ، أى اشتربنا) فلما كان وقت الحج وجه ابن يحيى أبا حمزة « وهو المختار بن عوف الأردى ثم السلمي » من أهل البصرة « إلى مكة ، فأقلل إليها يوم الثروبة « وهو ثامن ذى الحجة » وعليها وعلى المدينة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فكره عبد الواحد قتالهم ، ثم خلى مكة لهم ، فدخلها أبو حمزة بغير قتال ، ومعنى عبد الواحد إلى المدينة ، جهر جشاً لقتالهم أمر عليه عبد العزيز ابن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فسار حتى نزل قديداً « وقديد كزير » وبلغ أبا حمزة لإقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة ، وشخص إليهم ، وبعث إليهم يسألهم أن يكفوا عنهم ، ويقول لهم : خلوا سبيلنا إلى الشام لنسير إلى من ظلمكم ، وحار في الحكم عليكم ، ولا تجعلوا حدنا بكم ، فإننا لا نريد قتالكم ، فشتبهم أهل المدينة ، وقالوا يا أعداء الله : أئمن بحليكم وتدعكم تفسدون في الأرض ؟ فقال الحوارج يا أعداء الله : أئمن نفسد في الأرض ؟ إنما خرجنا لنكف أهل الفساد ، ونقاتل من قاتلنا ، واستأثر باليء ، فانطروا لأنفسكم ، واخاعوا من لم يجعل الله له طاعة ، فإنه لا طاعة لمن عصى الله ، فادخلوا في السلم ، وعادوا أهل الحق ، فأثروا عليهم ، ونشب القتال بينهم ، فهزمهم أبو حمزة هزيمة لم يبق بعدها منهم باقية ، وقد بلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ، منهم من قريش أربعة مائة وخمسون ، ودخل أبو حمزة المدينة ثلاث عشرة بقية من صفر سنة ١٣٠ هـ ، وهرب عبد الواحد بن سليمان إلى الشام [٢] وفي رواية : « وسألناكم : هل يقتلون بالطن ؟ فقلتم : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام والفروج الحرام ؟ فقلتم نعم » .

فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وجاروا في الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله ، نؤاخذهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ، ليختار المسامون لأنفسهم ، فقلتم : لا يفعلون ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم ، فإن نظهر نحن وأنتم ، نأت بمن يُقيم فينا وفيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلتم : لا تقوى على ذلك ، فقلنا لكم : نخلوا بيننا وبينهم ، فإن نظفر نعدل في أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ونقسم فيكم بينكم ، فأبيتهم وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم وقتلناكم ، فأبعدكم الله وأسحقكم .
(تاريخ الطبري ٩ : ١٠٧ ، والأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٢)

٤٣٨ - خطبة أخرى له

وروى أنه لما دخل المدينة قام فخطب ، فقال في خطبته :
« يا أهل المدينة مررتُ بكم في زمن الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة بشاركم ، وكتبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب إليكم بوضعه عن قوم من ذوى اليسار منكم ، فزاد الغنى غنى ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتم : جزاك الله خيراً ، فلا جزاكم الله خيراً ، ولا جزاه خيراً » .
(ربح الطبري ٩ : ١٠٨ ، والأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٨)

٤٣٩ - خطبته وقد بلغه أن أهل المدينة يعيرون أصحابه (١)

وبلغ أبا حمزة أن أهل المدينة يعيرون أصحابه ، لحداثة أسنانهم ، وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر ، وعليه كساء غليظ ، وهو متنكب قوساً عربية ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم قال :

[١] روى الجاحظ أن هذه الخطبة كانت بمكة ، وذكر أن اسم أبي حمزة « يحيى بن المختار » .

« يا أهل المدينة ، قد بلغتني مقالتيكم لأصحابي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم ، لأحسنت أدبكم ، ويُحَكِّم ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب ، وُيِّت له فيه السنن ، وشُرِع له فيه الشرائع ، وُيِّت له فيه ما يأتي وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يُخْجِم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم ، وقد أدى الذي عليه ، وعَلَّمَ المسامين معالِم دينهم ، ولم يدعهم من أمرهم في شُبْهة ، وولَّى أبا بكر صلاتهم ، فولاه المسامون أمر دينهم ، حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر دينهم ، فعمل بالكتاب والسنة ، وقابل أهل الرِّدة ، وشمر في أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ، ثم ولي بعده عمر بن الخطاب فصار بسيرة صاحبه ، وعمل بالكتاب والسنة ، وجنّد الأجناد ، ومَصَّر الأمصار ، وجبى الفِئ ، وفَرَض الأعْطِيَّة ، وشمر عن ساقه ، وحَسَرَ عن ذراعه ، وجلّد في الحُرثمانين ، وجمع الناس في شهر رمضان ^(١) ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان ، فسارست سنين بسيرة صاحبيه - وكان دونهما - ثم سار في الست الأواخر بما أَحْبَطَ به الأوائِل ، واضطرب جبل الدين بعدها ، فطلبها ^(٢) كل امرئ لنفسه ، وأسرَّ كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه ، حتى مضوا على ذلك ، ثم ولي علي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قَصْداً ، ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله .

[١] أى لصلاة القيام ، وفي رواية : « وقام في شهر رمضان » .

[٢] أى الحلة ، يشير إلى تطلع طلعة والزيد إليها ، وطمع معارية فيها .

ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه^(١) ، وجلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق ، فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا^(٢) ، ومال الله دولا^(٣) ، وبغى دينه عوجا ودغلا^(٤) ، وأحل الفرج الحرام ، وعمل بما يشتهي ، حتى مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله ، ثم ولي بعده ابنه يزيد ، يزيد الخمر ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القروود^(٥) ، الفاسق في بطنه ،

[١] انظر ص ١٧ و ١٨ . [٢] عبيدا . [٣] جمع دولة بالضم أى مداولا بين عشيرته دون سائر المسلمين . [٤] الدغل : الفساد كالدخل .

[٥] روى المسعودى فى مروج الذهب - ج ٢ : ص ٩٤ - قال :

« وكان يزيد صاحب طرب ، وجوارح ، وكلاب ، وقروود ، ومهود ، ومداومة على الشراب ، وجلس ذات يوم على شرابه ، وعن عينه ابن زياد - وذلك بعد قتل الحسين - وأقبل على ساقيه ، فقال :

اسمنى شربة روى مشاشي ثم صل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي واتسديد معى وجهادى

« والمشاش كعرب : النفس والطبيعة » ، ثم أمر المغنين فغوا ، وعاب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعل من الصوق ، وفى أيامه طهر العناء بككة والمدينة ، واستعملت الملاهي ، وأطهر الناس شرب الشراب ، وكان له قرد يكى بأبى قيس ، يحضره مجلس منادمتيه ، وي طرح له متكأ ، وكان قردا خبيثا ، وكان يحمله على أمان وحشية ، قد ريصت وذلك لذلك بسرج ولجام ، ويساق بها الخيل يوم الخلة ، خاء فى بعض الأيام سابقا فتناول القصة ، ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى أبى قيس قاء من الحرير الأحمر والأصفر مشهور (مخطط) وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق (أى مصممة بمثل الشقائق) وعلى الأذن سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان . فقال فى ذلك بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفصل عانها فليس عليها إن سقطت صم
ألا من رأى القرد الذى سبقت به حياء أمير المؤمنين أنان ١

وروى ابن طباطبا فى الفخرى ص ٤٩ قال : « كان يزيد بن معاوية أشد الناس كلما بالصيد لا يزال لاهيا به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والجلال المنسوجة منه » الجلال بالكسر جمع جل بالضم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به « ويهر لكل كلب عبدا يخدمه ، قيل أن عبيد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفة أربع مائة ألف دينار جناية وجعلها فى خزائن بيت المال ، ورحل ذلك الرجل من الكوفة ، وقصد دمشق ليشكو حاله إلى يزيد ، وكانت دمشق فى تلك الأيام فيها سرير الملك - فلما وصل إلى ظاهر دمشق ، سأل عن يزيد فعرفوه أنه فى الصيد ، فكره أن يدخل دمشق ، وليس يزيد حاضرا فيها ، ففرب مخيمه ظاهر المدينة ، وأقام به ينتظر عود يزيد من الصيد ، فبنا هو فى بعض الأيام جالس فى خيمته ، لم يشعر إلا بكابة قد دخلت عليه ، وفى قوائمها الأساور من الذهب ، وعليها جل يساوى مبالغا

المأبون^(١) في فرجه ، يخالف القرآن ، واتبع الكهَّان ، ونادم القرد ، وعمل بما يشنَّهيه ، حتى مضى على ذلك لعنه الله ، وفعل به وفعل ، ثم ولي مروان بن الحكم ، طَريدُه لعينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وابن لعينه ، فاسقٌ في بطنه وفرجه ، فالعنوه والعنوا آباءه .

ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهلُ بيت اللعنة ، طُرَدَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وقومٌ من الطُّلَقَاء ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا التابعين بإحسان ، فأكلوا مال الله أَكْلًا ، وَلَعِبُوا بدين الله لعبًا ، واتخذوا عباد الله عبيدًا ، يورث ذلك الأكبرُ منهم الأصغرَ ، فيألفها أمة ! ما أضعفها وأضعفها ! والحمد لله رب العالمين ، ثم مضوا على ذلك من سيئ أعمالهم ، واستخفاهم بكتاب الله تعالى ، قد نَبَذُوهُ وراء ظهورهم ، لعنهم الله ، فالعنوهم كما يستحقون ، وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ، فبلغ ولم يَكْذُ ، وَعَجَزَ عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله - ولم يذكره بخير ولا شر -

ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلامٌ ضعيف سَفِيه ، غير مأمون على شيء من أمور المسامين ، لم يبلغ أشده^(٢) ، ولم يؤنس رُشدُه ، وقد قال الله عز وجل :

كبيراً ، وقد بلغ منها العطش والتعب ، وكادت تموت ، فعلم أنها ليزيد وأنها قد شذت منه ، فقام إليها وقدم لها ماء وتعهدها بنفسه ، فما شعر إلا بشاب حسن الصورة على فرس جميل ، وعليه زيُّ الملوك ، وقد علتة غبرة ، فقام إليه وسلم عليه ، فقال له ، أ رأيت كلبة عابرة بهذا الموضع ؟ فقال : نعم يا مولانا ، ها هي في الحية ، قد شربت ماء واستراحت ، وقد كانت على غاية من العطش والنعب ، فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الحيمة ، ونظر إلى الكلبة وقد استراحت ، فحُذِبَ بحبالها ليخرج ، فشكا الرجل إليه حاله وعرفه ما أخذ منه ابن زياد ، فطلب دواة وكتب إليه برد ماله وخلعة سنية ، وأخذ الكلبة وخرج ، فردَّ الرجل من ساعته إلى الكوفة ، ولم يدخل دمشق .

[١] أبته بشيء كعصر وضرب : اتهمه ، فهو مأبون ، بخير أو شر ، فإن أطلقت فقلت مأبون فهو للشر والأبنة كعقدة : العيب . [٢] بلغ أشده أى قوته ، وهو ما بين ثمانى عشرة إلى ثلاثين سنة ، وقد

« فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ^(١) » ، فَأَصْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فِي أَحْكَامِهَا وَفَرُوجِهَا وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، غُلَامٌ مَأْبُونٌ فِي بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ ، يَشْرَبُ الْحَرَامَ ، وَيَأْكُلُ الْحَرَامَ ، وَيَلْبَسُ الْحَرَامَ ، يَلْبَسُ بُرْدَتَيْنِ قَدْ حِيكَتَا لَهُ ، وَقُومَتَا عَلَى أَهْلِهِمَا بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَكْثَرُ وَأَقْلَ ، قَدْ أَخَذَتْ ^(٢) مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا ، وَصُرِفَتْ فِي غَيْرِ وَجْهِهَا ، بَعْدَ أَنْ ضُرِبَتْ فِيهَا الْأَبْشَارُ ^(٣) ، وَحُلِقَتْ فِيهَا الْأَشْعَارُ ، وَهَتَكَتْ فِيهَا الْأَسْتَارَ ، وَاسْتُحِلَّ مَالُ يُحِلُّ اللَّهُ لِعَبْدٍ صَالِحٍ ، وَلَا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ ، ثُمَّ يُجْبَسُ حَبَابَةٌ عَنْ يَمِينِهِ ، وَسَلَامَةٌ عَنْ شِمَالِهِ ، تَغْنِيَانِهِ بِمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ الصُّرَاحَ الْحَرَمَةَ نَصًا بَعِينَهَا ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ مَأْخُذَهَا ، وَخَالَطَتْ رُوحَهُ وَلَحْمَهُ وَدَمَهُ . وَغَابَتْ سَوْرَتُهَا عَلَى عَقْلِهِ ، مَزَّقَ حُلَّتِيهِ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ : أَتَأْذَنَانِ لِي أَنْ أَطِيرَ ^(٤) ؟ نَعَمْ ، فَطَرَأَ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ،

اختلف المؤرخين في مقدار سن بريد ، فقيل إنه توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وقيل إن سبع وثلاثين ، وكانت ولايته أربع سنين وشهرا ، والمراد أنه لم يبلغ أشده لسفهه وعكوفه على اللذات والشهوات .

[١] الآية الكريمة في الدنأى ، وأولها : « وَأَبْتَلُوا الْيَمَانَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ . . . » . [٢] أى الدنأى . [٣] فيها : أى فى نخصيلها ، والأشار جمع شر وهو جمع بشره : ظاهر الجلد ، والمراد صرب الداس فى حباة الأموال .

[٤] ذكر ذلك ابن طاطا فى المعرى ص ١١٧ قال : « كان يزيد بن عبد الملك خليف بنى أمية شعب بجاريته اسم إحداهما سلامة ، والأخرى حباة ، فقطع معهما زمانه ، قالوا : فعت يوما حباة : بين التراقى واللهاة حرارة ما تظمن ولا يسوع فتبرد

فأهوى يزيد ليطير ، فقالت يا أمير المؤمنين : لا فىك حاجة ، فقال : والله لأطيرن ، قالت : على من تدع الأمة ؟ قال : عليك وقبل يدها ، فخرج بعس خدمه وهو يقول : « سحبت عىك فا أسدتك » وروى أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى « ج ١٣ ص ١٤٨ » قال : « كانت حباة مولدة من مولدات المدية ، حلوة جميلة اوجه طريفة حسنة العاء ، وقد قال يزيد بن عبد الملك : ما تقرعنى بما أرتبت من الخلافة حتى أشتري سلامة وحباة ، فأرسل فاشترىها له ، فلما اجتمعنا عنده قال : أنا الآن كما قال القائل :

فألت عصاما واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسامر

وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك أقبل على يزيد يلومه فى الإلحاح على العناء والشراب ، وقال له : إلك

وحريق ناره ، وأليم عذابه ، طرء إلى حيث لا يردك الله .

ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرهم فقال : « أصابوا إمرة ضائعة ، وقوما طغاما جهالا ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أرباب لهم ، فملكوا الأمر ، وتسائطوا فيه تسلط رؤوبية ، بطشهم بطش الجبارة ، يحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، يأخذون بالظنة ، ويعطون الحدود بالشفاعات ، ويأمنون الخونة ، ويقصون ذوى الأمانة ، يأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها فى غير أهلها ، وقد بين الله أهلها ، فجعلهم ثمانية أصناف ، فقال : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاعت بهذه الأمة عن النظر فى الأمور ، والودود بابك ، وأصحاب العلامات سيحون ، وأنت عاقل عنهم ، فقل : صدقت والله وأعتبه ، وهم بترك الشراب ، ولم يدخل على حبابه أياما ، فسدت حبابه إلى الأحوس أن يقول أبياتا فى ذلك ، وقالت له : إن رددته عن رأيه ، فلك ألف دينار ، فقال :

ألا لاتلمه اليوم أنت يتبلدا فقد علب الخزوت أن يتعلدا
بكيت الصبا جهدى من شاء لامي ومن شاء آسى و البكاء وأسعدا
وإنى وإن فندت فى طلب الغنى لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا
إذا أنت لم تمشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر ساعدا
فما العيش إلا ما تلذت وشتهى وإن لام فيه ذو الشأن ومدا

ومكث يريد جمعة لارى حبابه ، ولا بدعو بها ، فلما كان يوم الجمعة ، قالت لبعض جواربها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلمبى ، فلما أراد الخروج أعلمتها ، فتلقتة والعرد فى يدها ، فمئت البيت الأول ، فغطى وجهه ، وقال : مه لا تفعلى ، ثم عمت : فما العيش إلا ما تلذت وشتهى : فعدل إليها ، وقال : صدقت والله فمع الله من لامننى فىك ، بإعلام من مسلمة أن يصلى بالداس ، وأقام معها يشرب ونفنيه ، وعاود ما كان فيه ، ثم قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوس ، فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها ، فقال له : ارفع حوائجك ، فكنت إليه فى نحو أربعين ألف درهم من دين وغيره ، فأمر له بها . انظر أيضا تاريخ الطبرى ٨ : ١٧٩ ، ومروج الذهب ج ٢ : ص ١٧٥ ، ومما ذكره المسعودى : أن حبابه اعتلت فأقام يزيد أياما لا يطهر للداس ، ثم ماتت ، فأقام أياما لا يدونها حتى جيف فقبل له : إن الناس يتحدثون بمجوعك وإن الخلافة تجل عن ذلك ، ودفعها وأقام على قبرها ، فقال :

فإن نسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالياس تسلو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياما ولائل ومات .

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ، وَالنَّارِ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ^(١) » ، فأقبل صَنَفٌ تاسع ليس منها ، فأخذ كلُّها ، تلکم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله ، فالعنوهم لعنهم الله .

وأما إخواننا من هذه الشيعة - وليسوا بإخواننا في الدين ، لكنى سمعت الله عزَّ وجلَّ قال في كتابه : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » - فإنها فرقة تظاهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ، لا يرجعون إلى نظير نافذ في القرآن ، ولا عقل بالغ في الفقه ، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلَّدوا أمورهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم العصبيَّة لحزبٍ لزيموه ، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم ، غيًّا كان أو رشدًا ، ضلالةً أو هدى ، ينتظرون الدُّول في رَجْعَةِ الموتى ^(٢) ، وَيُؤْمِنُونَ بالبعث قبل الساعة ، ويدَّعون علمَ الغيب لمخلوق ، لا يعلم أحدهم ما في بيته ، بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه ، أو يحويه جسمه ، ينقمون المعاصي على أهلها ، ويعملون

[١] الصدقات : الزكاة ، العاملين عليها : الساعين في تحصيلها وجمعها ، والمؤلفة قلوبهم : الذين أسلموا وبنيتهم ضعيفة في الاسلام ، فتستألف قلوبهم ، وفي الرقاب : أى وفي فك رقاب المكاتبين ، فيعاونون بشيء منها ، والعارمين : أى المدينين لأنفسهم في غير معصية ، ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء .
[٢] كان بعض الشيعة يعتقدون في أنهم الذين ماتوا ، أنهم أحياء لم يموتوا ، إلا أنهم غائبون عن أعين الناس ، فالشيعة الكيسانية يقولون أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه لم يمت ، وإنه في جبل رضوى (بالحجاز) بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان فذاختان تحريان بماء وعسل ، وإنه يعود بعد النية فيملا الأرض عدلا كما كانت جورا ، وفيه يقول كثير من أبيات :

غيب ولا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء

— انظر الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٥٥ والفصل لابن حزم ٥ : ١٣٧ والفرق بين الفرق ص ٢٨ والاثنا عشرية » وهى إحدى فرقتي الشيعة الامامية ، سموها بذلك لوقوفهم عند الامام الثاني عشر وهو محمد ابن الحسن العسكري ، ويلقبونه بالمهدي المنتظر » يزعمون أنه دخل في سرداب بسر من رأى ، وغاب هناك ، وأنه يخرج في آخر الزمان فيملا الأرض عدلا وهم ينتظرونه - ويسمونه المنتظر لذلك - ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا ، فيهتفون باسمه ، ويدعونه للخروج ، حتى تشبك النجوم ، ثم ينفذون ويرجعون الأمر إلى الليلة الآتية - انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٠ - .

إذا ولّوا بها ، يُصِرُّون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، جُفَاءً في دينهم ، قليلة عتولهم ^(١) ، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن موالاتهم لهم تُغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ^(٢) .

فأى هؤلاء الفرق يأهل المدينة تتبعون ، أم بأى مذاهبهم تقتدون ؟ وقد بلغنى أنكم تَتَقَصِّصُونَ أصحابي ! قلتُ هم شباب أحداث ، وأعراب جُفَاء ، ويُحَكِّمُ يأهل المدينة ! وهل كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله المذكورون في الخير إلا شباباً أحداثاً ؟ أما والله إنى لعالم بتأبُعِكُمْ فيما يضركم في معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم . شبابٌ والله مُسَكِّتُهُلُونَ ^(٣) في شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن الشر أعينُهُم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجلُهُم ، أنضاء ^(٤) عبادة ، وأطلاحٌ سَهَرٌ ^(٥) ، باعوا أنفُساً تموت غداً ، بأنفس لا تموت أبداً ، قد نظر الله إليهم في جَوْفِ الليل ، منحنيةً أصلابُهُم على أجزاء القرآن ، كلما مرَّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرَّ بآية من ذكر النار شهِقَ شهقةً ، كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أَكَلَتِ الأرضُ رُكَبَهُم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كَلَالَ ^(٦) الليل بكلال النهار ، مُصْفَرَّةً ألوانهم ، ناحلة أجسامهم ، من طول القيام ، وكثرة الصيام ، مستقلون لذلك في جَنبِ الله ، مُؤَفُّون بعهد الله ، مُنْجِزُونَ لوعده الله ، حتى إذا رأوا سهام العدو وقد فُوتَتْ ^(٧) ،

[١] وفي البيان والتبيين « جُفَاءً عن القرآن ، أتباع كهان » . [٢] أفكته عنه كضرب : صرفه

وقلب رأيه . [٣] أى قد أحرزوا رزائة الكهول وسداد رأيهم .

[٤] جمع نضو كحل وهو المهزول . [٥] جمع طاح وهو كنضو وزنا ومعنى .

[٦] الكلال : النعب والإعياء . [٧] فُوتَتْ السهم : جعل له دوقاً (بالضم) وهو موضع الوتر

من السهم ، أى أعدت للرمى .

ورماحهم وقد أشرعت^(١) ، وسيوفهم وقد انثضيت^(٢) ، وبرقت الكتيبة
ورعدت بصواعق الموت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ولم يستخفوا
بوعيد الله لوعيد الكتيبة ، ولقوا شبا^(٣) الأسنة ، وشائك السهام ، وظبات
السيوف بنحورهم ، ووجوههم وصدورهم ، ففضى الشاب منهم قُدماً ، حتى
اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعُفّر^(٤)
جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير السماء ، وتمزقته سباع الأرض ، فطوبى لهم
وحسن مأب ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف
الليل من خوف الله ، وكم من يد قد أبيضت عن ساعدها ، طالما اعتمد عليها
صاحبها راعماً وساجداً ، وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق^(٥) ، قد فُلق بعمد
الحديد ، ثم بكى ، وقال : آه ، آه على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ،
وأدخل أرواحهم الجنان . (الأغانى ٢٠ : ١٠٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٩ ،
والبيان والتبيين ٢ : ٦١ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦١)

٤٤٠ — خطبة أخرى

ورقى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه . وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم ، وصلة الرحم ، وتعظيم ما صغرت الجبارة من حق الله ، وتصغير
ما عظمت من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ،
وأن يطاع الله ، ويُعصى العباد في طاعته ، فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا
طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم

[١] سددت . [٢] استلت . [٣] جمع شبابة : وهى حد كل شيء ، والطبات جمع ظبة ،
وهى حد السيف . [٤] أصابه العفر : وهو التراب . [٥] كريم .

بالسَّوِيَّةَ ، والعدلِ في الرعية ، ووضع الأُخماسِ في مواضعها التي أمر الله ^(١) بها ، تعلمون يا أهل المدينة أننا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أَشْرًا وَلَا بَطَرًا ، وَلَا عَبَثًا ، وَلَا لَهْوًا ، وَلَا لدولة مُلْك نريد أن نخوض فيه ، وَلَا لثأر قديم نيل منا ، ولكننا لما رأينا مصاييحَ الحقِّ قد أَطْفِئَتْ ، ومعالم العدل قد عُطِّلَتْ ، وكثُرَ الادِّعاء في الدين ، وعَمِلَ بالهوى ، وَعُذِّفَ القائلُ بالحق ، وَقُتِلَ القائمُ بالقِسْط ، ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وسمعنا داعيًا ^(٢) يدعو إلى طاعة الرحمن ، وَحُكْمِ القرآن ، فَأَجَبْنَا داعِيَ الله ، وَمَنْ لَا يَجِبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ ^(٣) في الأرضِ ، فَأَقْبَلْنَا من قبائلِ شَتَّى ، النفرُ ^(٤) منا على بعير واحد ، عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورونَ لحافًا واحدًا ، قليلون مُستضعفون في الأرض ، فأَوانا الله وأَيَّدنا بنصره ، وأصبحنا والله جميعًا بنعمته إخوانًا ، وَعَلَى الدين أعوانًا ، ثم لقينا رجالكم بقُدَيْدٍ ، فدَعَوْنَاهُمْ إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، ودَعَوْنَاهُمْ إلى طاعة الشيطان ، وحكم مروان وآل مروان ، فشتَّانَ لعمرُ الله ما بين النقي والرشد ! ثم أَقبلوا يُهْرَعُونَ وَيَرْفُونَ ^(٥) ، قد ضرب الشيطان بِجِرَانِهِ ^(٦) ، وغلت بدمائهم مَرَاجلُهُ ، وَصَدَّقَ عَلَيْهِمُ إبْلِيسُ ظَنَّهُ ، وَأَقْبَلَ أَنْصارُ الله عصائبَ وكتائبَ ، بكل مُهَنَّد ذِي رَوْنَقٍ ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المَبْطَلُونَ .

وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يُسْحِثْكُمْ ^(٧) الله بِعَذَابٍ

[١] قال الله تعالى : « وَأَعْلَهُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » . [٢] يريد عبد الله بن يحيى الكندي .

[٣] أى لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته . [٤] النفر : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة .

[٥] زف الظليم وغيره كضرب زفا وزفيًا وزفوفًا وأزف : أسرع .

[٦] جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره أى استولى عليهم . [٧] أسحطه : استأصله .

من عنده أو بأيدينا ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ إِنْ أُولَئِكَم
خَيْرٌ أَوَّلُ ، وَآخِرُكُمْ شَرٌّ آخِرُ ، يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ : النَّاسُ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ ، إِلَّا مُشْرِكًا
عَابِدَ وَثْنٍ ، أَوْ كَافِرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، أَوْ إِمَامًا جَائِرًا أَوْ شَادًّا عَلَى عِضْدِهِ ،
يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّفَ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ، أَوْ سَأَلَهَا مَا لَمْ يُؤْتِهَا ،
فَهُوَ لِلَّهِ عَدُوٌّ وَلَنَا حَرْبٌ ^(١) . (تاريخ الطبري ٩ : ١٠٨ ، الأغانى ٢٠ : ١٠٤ ، وشرح
ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٥٨ ، والمقداد هريد ٢ : ١٦١)

٤٤١ — خطبة له في سبِّ أهل المدينة وتقرير عهم

وخطب بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ : مَا لِي رَأَيْتَ رَسْمَ الدِّينِ فِيكُمْ بَاقِيًا ، وَآثَارَهُ دَارِسَةً ، لَا تَقْبَلُونَ
عِظَتَهُ ، وَلَا تَفْقَهُونَ مِنْ أَهْلِهِ حُجَّةً ، قَدْ بَلَّيْتُ فِيكُمْ جِدَّتَهُ ، وَانْطَمَسَتْ عَنْكُمْ
سُنَّتُهُ ، تَرَوْنَ مَعْرُوفَهُ مُنْكَرًا ، وَالْمُنْكَرَ مِنْ غَيْرِهِ مَعْرُوفًا ، إِذَا انْكَشَفَتْ
لَكُمْ الْعِبَرُ ، وَأَوْضَحَتْ لَكُمْ النُّذُرَ ^(٢) ، نَحَمَيْتُ عَنْهَا أَبْصَارَكُمْ ، وَصَمَّمْتُ عَنْهَا
أَسْمَاعَكُمْ ، سَاهَيْنَ فِي غَمْرَةٍ ، لَاهَيْنَ فِي غَفْلَةٍ ، تَنْبَسِطُ قُلُوبُكُمْ لِلْبَاطِلِ إِذَا
نُشِرَ ، وَتَنْقَبِضُ عَنِ الْحَقِّ إِذَا ذُكِرَ ، مُسْتَوْحِشَةً مِنَ الْعِلْمِ ، مُسْتَأْنَسَةً
بِالْجَهْلِ ، كَلِمًا وَقَعَتْ عَلَيْهَا مَوْعِظَةٌ زَادَتْهَا عَنِ الْحَقِّ نُفُورًا ، تَحْمِلُونَ قُلُوبًا فِي
صُدُورِكُمْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ ، أَوْ لَمْ تَلِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَوْ
أُنْزِلَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ ، مَا تُغْنِي

[١] روى أنه قال غيب ذلك : « يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ أَخْبَرُونِي عَنْ ثَمَانِيَةِ أَسْهُمٍ فَرَصَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَلَى
الْعَوَى ، عَلَى حَبِّهِ لِلضَّعِيفِ ، لِحُجَاءِ تَاسِعٍ ، لَيْسَ لَهُ مِنْهَا وَلَا سَهْمٌ وَاحِدٌ ، فَأَخَذَ جَمِيعَهَا لِنَفْسِهِ مَكَابِرًا شَارِبًا
لِرَبِّهِ ، مَا يَقُولُونَ فِيهِ وَفِيمَنْ عَاوَنَهُ عَلَى فِعْلِهِ ؟ يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ بَلَّغْنِي أَنْتُمْ تَنْتَقِصُونَ أَصْحَابِي . . . الخ » وقد
حذفته هنا لوروده في الخطبة السالفة . [٢] النذر : جمع نذير وهو المنذر .

عنكم صحة أبدانكم إذا سَقِمت قلوبكم ، إن الله قد جعل لكل شيء سبباً غالباً ينقاد له ، ويطيع أمره ، وجعل القلوبَ غالبَةً على الأبدان ، فإذا مالت القلوب ميلاً ، كانت الأبدان لها تبعاً ، وإن القلوب لا تَلين أهلها إلا بصحتها ، ولا يصححها إلا المعرفةُ بالله ، وقوةُ النية ، ونفاذُ البصيرة ، ولو استشعرت تقوى الله قلوبُكم ، لاستعملت في طاعة الله أبدانكم ، يأهل المدينة : دارُكم دارُ الهجرة ، ومثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نبت به دارُه ، وضاق به قرارُه ، وآذاه الأعداء ، وتجهمت ^(١) له ، فنقله الله إليكم ، بل إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم ، مُتَوَازِينَ مع الحق على الباطل ، مختارين الآجلَ على العاجل ، يصبرون للضراء رجاء ثوابها ، فنصروا الله ، وجاهدوا في سبيله ، وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ، واتبعوا النورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ، وآثروا الله على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ^(٢) . قال الله تعالى لأمثالهم ولمن أهتدى بهداهم : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، وأنتم أبناؤهم ومن بقى من خلفهم ، تتركون أن تقتدوا بهم ، أو تأخذوا بسنتهم ، عُنى القلوب ، صُمَّ الآذان ، اتبعتم الهوى ، فأرداكم عن الهدى وأسهاكم ، فلا موعظُ القرآن ترجركم فتزدجرون ، ولا تعظكم فتعتبرون ، ولا توقظكم فتستيقظون ، لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ، ماسرتم بسيرتهم ، ولا حفظتم وصيتهم ، ولا احتذيتهم مثالهم ، لو شُقَّت عنهم قبورهم ، فَعُرِضَتْ عليهم أعمالكم ، لعجبوا كيف صُرف العذاب عنكم ! » .

(الأغانى ٢٠ : ١٠٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٨)

[١] تحفه وتعهه له : استقبله بوجه كريمة . [٢] الخصاصة : الفقر

وجاء في رواية العقد الفريد :

« يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ : أَوَّلُكُمْ خَيْرُ أَوَّلٍ ، وَآخِرُكُمْ شَرُّ آخِرٍ ، إِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ قُرَاءَكُمْ وَفَقَهَاءَكُمْ فَاخْتَانُوكُمْ ^(١) عَنْ كِتَابٍ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ ، بِتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، فَأَصْبَحْتُمْ عَنِ الْحَقِّ نَاكِيبِينَ ^(٢) ، أَمْوَاتًا غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا تَشْعُرُونَ ، يَأْهَلُ الْمَدِينَةَ : يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ، مَا أَصَحَّ أَصْلَكُمْ ، وَأَسْقَمَ فَرْعُكُمْ ! كَانَ آبَاؤُكُمْ أَهْلَ الْيَقِينِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْدِينِ ، وَالْبَصَائِرِ النَّافِذَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْوَاعِيَةِ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ ، اسْتَعْبَدْتُمْ الدُّنْيَا فَأَذَلَّتْكُمْ ، وَالْأَمَانِيَّ فَأُضَلَّتْكُمْ ، فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ بَابَ الدِّينِ فَسَدَدْتُمُوهُ ، وَأَغْلَقَ عَنْكُمْ بَابَ الدُّنْيَا فَفَتَحْتُمُوهُ ، سَرَّاعًا إِلَى الْفِتْنَةِ ، بِطَائِفٍ عَنِ السُّنَّةِ ، عُحْمَى عَنِ الْبِرْهَانِ ، صُمٌّ عَنِ الْعَرِيفَانِ ، عَبِيدُ الطَّمَعِ ، خُلَفَاءُ الْجَزَعِ ، نِعَمَ مَا وَرَّثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ ، وَبُئْسَ مَا تَوَرَّثُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِنْ تَمَسَّكَوْا بِهِ ، نَصَرَ اللَّهُ آبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ، كَانَ عِدَدُ آبَائِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا ، وَعِدَدُكُمْ كَثِيرًا خَبِيثًا ، اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى ، فَأَرَدَاكُمْ ، وَاللَّهُوُ فَاسَّهَاكُمْ ، وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ تَرْجُرُكُمْ فَلَا تَرْتَدِّجِرُونَ ، وَتَعْبُرُكُمْ ^(٣) فَلَا تَعْتَبِرُونَ .

(العقد الفريد ٢ : ١٦١)

٤٤٢ — خطبة أخرى

وخطب فقال : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ فِي نَاشِئَةٍ فِتْنَةٍ ^(٤) ، وَقَائِدُ ضَلَالَةٍ ، قَدْ طَالَ بَشُومُهَا ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكَ غُمُومُهَا ، وَتَلَوَّنتَ ^(٥) مَصَايِدُ عَدُوِّ اللَّهِ فِيهَا ، وَمَا

[١] خَاتُوكُمْ . [٢] أَيْ عَادِلِينَ عَنْهُ مَنْصَرِفِينَ . [٣] الْمُرَادُ : تَمَطُّكُمْ ، مِنَ الْعَبْرَةِ ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَلِأَنَّمَا الَّذِي فِيهَا : « عِبْرُ الدِّرَاهِمِ : وَزْنُهَا » . [٤] مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ الْمَوْصُوفِ أَيْ فِي فِتْنَةٍ نَاشِئَةٍ ، أَيْ حَيَاةٍ شَابَةِ . [٥] تَعَدَّدَتْ وَصَارَتْ ذَاتَ أَوَانٍ أَيْ نَعَبَ الْعَدُوِّ لَنَا الْمَصَايِدُ ، وَدَبَّرَ الْمَكَايِدَ لِلْإِيقَاعِ بِنَا .

نَصَبَ مِنَ الشِّرْكَ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ عَمَّا فِي عَوَاقِبِهَا ^(١) ، فَلَنْ يَهْدَّ عَمُودَهَا ، وَلَنْ يَنْزِعَ أَوْتَادَهَا ، إِلَّا الَّذِي بِيَدِهِ مُلْكُ الْأَشْيَاءِ ، وَهُوَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، أَلَا وَإِنَّ لِلَّهِ بَقَايَا مِنْ عِبَادِهِ لَمْ يَتَحَيَّرُوا فِي ظُلُمَتِهَا ، وَلَمْ يُشَايِعُوا أَهْلَهَا عَلَى شُبُهَيْهَا ، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَرَّهَوْا ، وَأَلْسِنَتُهُمْ بِحُجَجِ الْكِتَابِ تَنْطِقُ ، رَكَبُوا مَنَهْجَ السَّبِيلِ ، وَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ ^(٢) الْأَعْظَمِ ، هُمْ خُصَمَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِهِمْ يُصْلَحُ اللَّهُ الْبِلَادَ ، وَيُدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ ، فَطُوبَى لَهُمْ وَلَهُمْ مُسْتَصْبِحِينَ ^(٣) . وَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ ^(٤) . (العقد الفريد ٢ : ١٦٢)

٤٤٣ — خطبته حين خرج من المدينة

وخطب حين خرج من المدينة ، لقتال جيش مروان ^(٥) فقال :
« يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : إِنَّا خَارِجُونَ لِحَرْبِ مَرْوَانَ ، فَإِنْ نَظَّهَرْنَا نَعْدِلُ فِي أَحْكَامِكُمْ ، وَنَحْمِلُكُمْ عَلَى سَنَةِ نَبِيِّكُمْ ، وَنَقْسِمُ بِبَنِيكُمْ فِيئُكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ مَا تَتَمَنَّوْنَ لَنَا : فَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .
(تاريخ الطبري ٩ : ١١٠ ، والأعاني ٢٠ : ١١٠ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٦١)

[١] أي ولسنا منهم . [٢] العلم : الجل ، والمراد أنهم لا يستحقون في دعوتهم .
[٣] أي المستصيين . [٤] ذكر الجاحظ هذه الخطبة ، وقال : ذهب عن إسنادها ، وهي لأبي حمزة كما في العقد الفريد .
[٥] وذلك أن مروان بن محمد جهز جيشاً من أهل الشام ، واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ، وأمره أن يخفى فيقاتلهم ، فإن هو ظفر بهم مضى حتى يبلغ اليمن ، ويقال عبد الله بن يحيى ، فسار إليهم ، وخرج أبو حمزة للقائه ، فقاتلهم ابن عطية حتى قتلهم ، وقتل أبا حمزة ، وبعث برأسه إلى مروان ، وصلبه هو وكبار أصحابه (سنة ١٣٠) ولم يزالوا مصلبين حتى أفضى الأمر إلى بني العباس ، ثم سار ابن عطية إلى اليمن ، فقاتل عبد الله بن يحيى وقتله ، وبعث برأسه إلى مروان .

٤٤٤ — عمران بن حطان والحجاج

ولما ظفر الحجاج بعمران ^(١) بن حطان الشَّارِي . قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ، فقال عمران : لبئس ما أذَّبكَ أَهْلُكَ يا حَجَّاج ! كيف أُمِنْتَ أَنْ أَجِيبَكَ بِمِثْلِ مَا لَقَيْتَنِي بِهِ ؟ أَبَعَدَ الْمَوْتِ مَنْزِلَةُ أَصَانَعِكَ عَلَيْهَا ؟ فَأُطْرَقَ الْحَجَّاجُ اسْتَحْيَاءً وَقَالَ : خَلُّوا عَنْهُ ، فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا أَطْلَقَكَ إِلَّا اللَّهُ ، فَارْجِعْ إِلَى حَرْبِهِ مَعَنَا ، فَقَالَ : هِيَهَات ! غَلَّ يَدًا مُطْلِقُهَا ، وَأَسَرَّ رَقَبَةً مُعْتِقُهَا .
(زهر الآداب ٣ : ١٧٨)

الخطب الوعظية والوصايا

٤٤٥ — خطبة سحبان بن زفر الوائلي ^(٢) (توفي سنة ٥٤ هـ)

خطب فقال :

« إن الدنيا دارُ بَلاغ ، والآخرة دارُ قَرَار ، أيها الناس : تَخُذُوا مِنْ دَارِ

[١] كان رأسُ التَّمَدُّدِ من الحوارج الصمرية وخطيبهم وشاعرهم .

[٢] هو سحبان بن زفر الوائلي ، وقد ضرب به المثل في الفصاحة والبيان ، فَمِثْلُ : « أَخْطَبُ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ » ومع ذلك لم يؤثر عنه إلا هذه الخطبة الموحدة ، على أنها تعزى إلى الإمام عليّ — انظر نهج البلاغة ١ : ٢٦٠ — وذكر المبرد في الكامل عن الأصمعي أن أعرابيا خطبها بالبادية — تهذيب الكامل ١ : ٢٨ — وكذا ذكر أبو علي القالي — في الأمالي ١ : ٢٥٨ — وابن عبد ربه — في العقد الفريد ٢ : ١٦٤ — وأبو الفضل الميداني — في مجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وابن قتيبة في عيون الأخبار م ٢ : ٢٥٣ — والحصري — في زهر الآداب ٢ : ٤ — قال ابن أبي الحديد : « وأكثر الناس على أن هذا الكلام لأُمير المؤمنين علي عليه السلام ، ويجوز أن يكون الأعرابي حفظه ، فأورده كما يورد الناس كلام غيرهم » — م ٣ : ٢ — .

وقد روى ابن نباتة في سرح العميون أنه قدم على معاوية وفد من خراسان ، فيهم سعيد بن عثمان ابن عفان ، فطلب سحبان فلم يوجد في منزله ، فاقتضب من ناحية اقتضابا ، وأدخل عليه ، فتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ، ما تنحنج ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى ، فخرج منه ، وقد بقي عليه منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان أن لا تقطع كلامي فقال معاوية : الصلاة ، قال : هي أمامك : نحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، فقال سحبان : « والعجم والجن والإنس » اه ، ولعل هذه الإطالة هي التي عافت الرواة عن حفظ ما يقول .

مَمَرُّكُمْ لِدَارِ مَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ،
وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا حَيَاتُكُمْ وَلَغَيْرُهَا ،
خُلِقْتُمْ ، إِنْ الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ ، قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ ؟
قَدَّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ ، وَلَا تَخْلَفُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ .

(سِرْحَانُ الْعَيْنِ ص ٩٥)

٤٤٦ — خطبة معاوية

وخطب معاوية بدمشق ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : سَافِرُوا بِأَبْصَارِكُمْ فِي كَرِّ الْجَدِيدِينَ ^(١) ، ثُمَّ ارْجِعُوا هِيَ كَلِيلَةً
عَنِ بُلُوغِ الْأَمَلِ ، فَإِنَّ الْمَاضِيَ عِظَةٌ لِلْبَاقِي ، وَلَا تَجْعَلُوا الْغُرُورَ سَبِيلَ الْعِجْزِ عَنِ
الْجِدِّ ، فَتَنْقَطِعَ حُجَّتُكُمْ فِي مَوْقِفِ اللَّهِ سَائِلِكُمْ فِيهِ ، وَمَحَاسِبُكُمْ فِي مَا أَسْلَفْتُمْ ،
أَيُّهَا النَّاسُ : أَمْسِ شَاهِدٌ فَاحْذَرُوهُ ، وَالْيَوْمَ مُؤَدَّبٌ فَاعْرِفُوهُ ، وَغَدًا رَسُولٌ
فَأَكْرِمُوهُ .

(مَوَاسِمُ الْأَدَبِ ٢ : ١١٦)

٤٤٧ — خطبة عبد الملك بن مروان

وخطب عبد الملك بن مروان ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : اعْمَلُوا لِلَّهِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ، فَإِنَّكُمْ نَبَاتُ نِعْمَتِهِ ، وَحَصِيدُ
نِقْمَتِهِ ، وَلَا تَغْرِسْ لَكُمْ الْآمَالَ ، إِلَّا مَا تَجْتَنِيهِ الْآجَالُ ، وَأَنْلُوا الرِّغْبَةَ فِي مَا يَوْرَثُ
الْعَطَبَ ، فَكُلْ مَا تَرْعَى الْعَاجِلَةُ ، تَقْلَعَهُ الْآجِلَةُ ، وَاحْذَرُوا الْجَدِيدِينَ ، فَهَمَا
يَكْرَهُانَ عَلَيْكُمْ ، إِنْ عُمَقِي مِنْ بَقِي لِحُوقِ بَعْنِ مَضَى ، وَعَلَى أَثَرِ مَنْ سَلَفَ ،
يَمْضِي مَنْ خَلَفَ ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . (مَوَاسِمُ الْأَدَبِ ٢ : ١١٨)

٤٤٨ - خطبة لعمر بن عبد العزيز^(١)

قال أبو العباس المبرد : حَدَّثْتُ فِي بَعْضِ الْأَسَانِيدِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وَأَجَلٌ مُنْتَقَصٌ ، وَبَلَغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسَيْرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ، فَارْحِمِ اللَّهَ أَمْرًا فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ، وَرَاقِبِ رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ ، وَنَوَّرْ قَلْبَهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَبَاكُمْ قَدْ أَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ رَبَّكُمْ وَعَدَ عَلَى التَّوْبَةِ ، فَلْيَكُنْ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَمَنْ رَبَّهُ عَلَى أَمَلٍ » . (تهذيب الكامل ١ : ٢٧)

كلام الحسن البصري (المتوفى سنة ١١٠ هـ)

٤٤٩ - خطبة له

قال الحسن البصري رحمه الله^(٢) :

« يَا بَنَ آدَمَ : بِعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبَحَهُمَا جَمِيعًا ، وَلَا تَبِيعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ فَتَخْسِرَ هُمَا جَمِيعًا ، يَا بَنَ آدَمَ : إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ فَنَافِسْتَهُمْ فِيهِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي الشَّرِّ فَلَا تَغْبِطَهُمْ عَلَيْهِ ، الشَّوَاءُ^(٣) هَاهُنَا قَلِيلٌ ، وَالْبَقَاءُ هُنَاكَ طَوِيلٌ ، أَمَّتْكُمْ آخِرُ الْأُمَمِ ، وَأَنْتُمْ آخِرُ أُمَّتِكُمْ ، وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟

[١] هذه الخطبة مختلف في قائلها أيضا ، فقد عزاها المبرد إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كما ترى وروى الميداني في مجمع الأمثال (٢ : ٢٧٧) الشطر الأول منها ، وعزا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد أوردته في الجزء الأول ص ٢٧٠ .

[٢] هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، من سادات التابعين ، وأورع العباد والمتنسين وإمام أهل العلم والرأى في عصره ، وأستاذ واصل بن عطاء شيخ المعتزلة . [٣] الإقامة .

المعاينة ؟ فكأن قد . هيهات هيهات ! ذهبت الدنيا بحالها ^(١) ، وبقيت الأعمال
قلائد في أعناق بني آدم . فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ! أما إنه والله
لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون
الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم ، من رأى
محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد رآه غاديًا رائحًا ، لم يضع لينة على لبنة ، ولا
قصبة على قصبة ، رفع له علم فشم إليه ^(٢) ، فالوحاء الوحاء ^(٣) ، والنجاء النجاء ،
علام تعرجون ؟ أتيتهم ورب الكعبة ! قد أسرع بخياركم : وأنتم كل يوم
ترذلون ^(٤) ، فماذا تنتظرون ؟ إن الله تبارك وتعالى بعث محمدًا عليه الصلاة
والسلام على علم منه ، اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان
صفوته من خلقه ، ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعًا ينظر إليه
أهل الأرض ^(٥) ، وآتاه منها قوتًا وبلغته ، ثم قال : « لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة » . فرغب أقوام عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له
ربه ، فأبعدهم الله وأسحقهم ^(٦) .

يا بن آدم : طأ الأرض بقدميك ، فإنها عن قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل
في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . رحم الله رجلا نظر ففكر ،
وتفكر فاعتبر ، وأبصر فصبر ، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا ، فذهب الجزع
بقلوبهم ، ولم يذكروا ما طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا .

[١] أى بزمنها الحالى ، من حليت المرأة كرضى دهي حال وحالية : لبست الحلى ، والمعنى ذهبت بزخرفها
الذى تزيفت به للناس فأضلتهم وأغوتهم ، وهى فى نسخة : « بحال بمالها » وفى أخرى : « بحال بالها » .
وهو تحريف . [٢] وفى نسخة : « سما إليه » . [٣] الوحاء وحيد : العجلة والإسراع
[٤] أى تصيرون أردالا جمع رذل وهو اللون الحسيس .
[٥] أى موضعًا ساميًا . [٦] أى أبعدهم ، وفى نسخة : « وسحقهم » أى أهلكهم

يا بن آدم : اذكر قوله : « وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ^(١) » فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ، اقرأ كِتَابَكَ ، كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » . عَدَلَ وَاللَّهِ عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ ، خذوا صفا الدنيا ، وَذَرُّوا كَدَرَهَا ، فليس الصفو ما عادَ كَدَرًا ، ولا الكدَر ما عادَ صَفْوًا ، دَعُوا مَا يُرِيكُمْ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيكُمْ ، ظَهَرَ الْجَفَاءُ وَقَلَّتِ الْعُلَمَاءُ ، وَعَفَّتِ ^(٢) السُّنَّةُ ، وشاعت البدعة ، لقد صَحِبْتُ أَقْوَامًا مَا كَانَتْ صَحْبُهُمْ إِلَّا فُرَّةَ الْعَيْنِ ، وَجِلَاءَ الصَّدُورِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانُوا - مِنْ حَسَنَانِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ - أَشْفَقَ ^(٣) مِنْكُمْ - مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذِّبُوا عَلَيْهَا - ، وَكَانُوا فِيهَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا ، مَالِي أَسْمَعُ حَسِيسًا ، وَلَا أَرَىٰ أُنَيْسًا ، ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ النَّسْنَسُ ^(٤) ، لو تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغْتُمْ ، تَهَادَيْتُمُ الْأَطْبَاقَ ، وَلَمْ تَتَهَادَوْا النَّصَائِحَ ، قَالَ ابْنُ الْخَطَّابِ : « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَىٰ إِلَيْنَا مَسَاوِينَا » أَعِدُّوا الْجَوَابَ ، فَإِنَّكُمْ مُسْئِلُونَ ، الْمُؤْمِنُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قِبَلِ رَبِّهِ ، إِنْ هَذَا الْحَقُّ قَدْ جَهَّدَ أَهْلَهُ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِهِمْ ، وَمَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ ، وَرَجَا عَافِيَتَهُ ، فَمَنْ حَمِدَ الدُّنْيَا ذَمَّ الْآخِرَةَ ، وَلَيْسَ يَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ إِلَّا مُقِيمٌ عَلَىٰ سُخْطِهِ .

[١] أى عمله يحمله في عنقه ، والتعبير به لما كانوا يقيمون ويقشاهون بالطائر السائح والبارح ، استعير لما هو سبب الخير والشر . [٢] بحيث . [٣] أخوف . [٤] في حديث أبي هريرة رضى الله عنه : « ذهب الناس وبقى النسناس » قيل : فما النسناس ؟ قال : « الذين يتشبهون بالناس ، وليسوا من الناس » ولهم في تفسير النسناس كلام كثير منه : أنهم خلق على صورة الناس خالفوم في أشياء ، وليسوا بهم .

يا بن آدم : الإيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقر في القلوب ،
وصدقه العمل .

(البيان والتبيين ٣ : ٦٨ ، وعيون الأخبار م ٢ ص ٣٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٦٩)

٤٥٠ — خطبة أخرى

وكان إذا قرأ : « أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ^(١) » قال :

« عَمَّ أَلْهَاكُمْ ؟ عن دار الخلود ، وَجَنَّةٍ لَا تَبِيدُ ^(٢) ، هذا والله فَضَحَ القومَ ،
وَهَتَكَ السَّترَ ، وأبدى العوار ^(٣) ، تُنفِقُ مثل دينك في شهواتك سرفاً ، وتمنع في
حق الله درهما ! ستعلم يا أُلْكَع ^(٤) ، الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق ؛
فأما المؤمن : فقد أُلْجِهَ الخوفُ ، وَقَوَّاهُ ذِكْرُ العَرَضِ ؛ وأما الكافر : فقد قَمَّاهُ
السيفُ ، وشرَّدهُ الخوفُ ، فأذعنَ بِالْجِزْيَةِ ، وَسَمَحَ بِالضَّرْبَةِ ؛ وأما المنافق : ففي
الحُجُرَاتِ والطَّرِيقَاتِ ، يُسِرُّونَ غَيْرَ مَا يُعْلِنُونَ . وَيُضْمِرُونَ غَيْرَ مَا يُظْهِرُونَ ،
فاعتبروا إنكارهم ربهم ، بأعمالهم الخبيثة ، ويملك ؟ قتلت وانيه ، ثم تمنى عليه
جَنَّتُهُ ؟ » . (البيان والتبيين ٣ : ٦٩)

٤٥١ — خطبة أخرى

وكان يقول : « رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله ، فَعَرَضَ عليه نفسه ، فإن
وافقه حمد ربّه ، وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أَعْتَبَ وأناب ، وراجع من
قريب ، رحم الله رجلاً وَعَظَ أخاه وأهله فقال : « يَا أَهْلِي : صَلَاتُكُمْ صَلَاتُكُمْ ،
زَكَاتُكُمْ زَكَاتُكُمْ ، جِيرَانُكُمْ جِيرَانُكُمْ ، إِخْوَانُكُمْ إِخْوَانُكُمْ ، مَسَاكِينُكُمْ مَسَاكِينُكُمْ »

[١] التباهى بالكثرة . [٢] لا تنفى . [٣] العوار مثلث العين : الميب .

[٤] اللكع : اللئيم والأحمق .

مسا كينسكم ، لعل الله يرحمكم ، فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده ، فقال : « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » يابن آدم : كيف تكون مسلماً ولم يسلم منك جارُّك ، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمّنك الناس ؟ » (البيان والتبيين ٣ : ٦٩)

٤٥٢ — خطبة أخرى

وكان يقول : « لا يستحق أحد حقيقة الإيمان ، حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر بإصلاح عيوبهم ، حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه ، فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له أن يصلحه ، فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره ، وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر ، فإنك إذا رأيت سرّاً مكانه ، ولا تحقرن شيئاً من الشر وإن صغر ، فإنك إذا رأيت ساءاً مكانه » . (البيان والتبيين ٣ : ٧٠)

٤٥٣ .. خطبة أخرى

وكان يقول : « رحم الله عبداً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً ، وجّهوا هذه الفضول ^(١) حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ، ويؤثرون بالفضل ، ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذولب فيها قرحاً ، فأياكم وهذه السبل المتفرقة ، التي جماعها الضلالة ، وميعادها النار ، أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفتشون خدودهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم في فكاك

[١] جمع فضل وهو الزيادة من المال وغيره .

رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سَرَّتْهم ، وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم ، وسألوا الله أن يَغْفِرَها لهم ، يابن آدم : إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ، فليس هاهنا شيء يُغْنِيكَ ، وَإِنْ كَانَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ ، فالقليل من الدنيا يكفيك ، يابن آدم : لَا تَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْحَقِّ رِيَاءً ، وَلَا تَتْرُكْهُ حَيَاءً . (البیان والتبيين ٣ : ٧٠)

٤٥٤ — خطبة أخرى

وكان يقول : « إِنْ الْعُلَمَاءُ كَانُوا قَدْ اسْتَغْنَوْا بِعَامِهِمْ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَكَانُوا يَقْضُونَ بِعَامِهِمْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، مَا لَا يَقْضِي أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ فِيهَا ، وَكَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَبْذُلُونَ دُنْيَاهُمْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ رَغْبَةً ، فِي عَامِهِمْ ، فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَبْذُلُونَ عَامَهُمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا رَغْبَةً فِي دُنْيَاهُمْ ، فَرِغَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْهُمْ ، وَزَهَدُوا فِي عَامِهِمْ ، لَمَّا رَأَوْا مِنْ سُوءِ مَوْضِعِهِ عِنْدَهُمْ » ، وَكَانَ يَقُولُ : « لَا أَذْهَبُ إِلَى مَنْ يُوَارِي عَنِي غَنَاهُ ، وَيُبْدِي لِي فَقْرَهُ ، وَيُعْلِقُ دُونِي بَابَهُ ، وَيَمْنَعُنِي مَا عِنْدَهُ ، وَأَدْعَى مَنْ يَفْتَحُ لِي بَابَهُ ، وَيُبْدِي لِي غَنَاهُ ، وَيَدْعُونِي إِلَى مَا عِنْدَهُ » .

(البیان والتبيين ٣ : ٧٠)

٤٥٥ — خطبة أخرى

وكان يقول : « يابن آدم ، لَا غِنَى بِكَ عَنْ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ إِلَى نَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَفْقَرُ ، مُؤْمِنٌ مُهْتَمٌّ ، وَعَاجِزٌ غَتَمٌ ، وَأَعْرَابِي لَا فِقْهَ لَهُ ، وَمَنَافِقٌ مَكْذُوبٌ ، وَدُنْيَاوِيٌّ ^(١) مُتَرَفٌّ ، نَعَقَ بِهِمْ نَاعِقٌ فَاتَّبَعُوهُ ، فَرَّاشُ نَارٍ ^(٢) ، وَذِبَّانٌ طَمَعَ ، وَالَّذِي نَفْسُ الْحَسَنِ بِيَدِهِ ، مَا أَصْبَحَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ مُؤْمِنٌ إِلَّا أَصْبَحَ مَهْمُومًا حَزِينًا ، وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ رَاحَةٌ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ ، النَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَافِيَةِ

[١] نسبة إلى دنيا . [٢] أي هم كالفراس يتهاوت على النار يحسبها نائمة له ، فتحرقه .

مستوردون ، فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم ، فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه ، أي قوم : إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم ، فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همّة . (البيان والتبيين ٣ : ٧٠)

٤٥٦ — خطبة أخرى

وقال في يوم فطر — وقد رأى الناس وهيئاتهم — : « إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه ، يستبِقُون فيه بطاعته إلى مرّضاته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب ، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطّلون ، أما والله أن لو كشف الغطاء ، لشغل محسن بإحسانه ، ومُسيء بإساءته ، عن ترجيل ^(١) شمر ، أو تجديد ثوب . (البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٠٣)

٤٥٧ — مقام الحسن البصري عند عمر بن هبيرة

لما ولي عُمر بن هُبَيْرَة الفَزَارِي العِراق — وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك — استدعى الحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، والشَّعْبِيّ ، سنة ثلاث ومائة ، فقال لهم : إن يزيد خليفة الله ، استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولّاني ما ترّون ، فيكتب إليّ بالأمر من أمره ، أعرف في تنفيذ هذه المهلكة ، فأخاف إن أطعته غضب الله ، وإن عصيته لم آمن سَطَوته ، فما ترّون ؟ فقال ابن سيرين والشَّعْبِيّ قولاً فيه تقيّة ، وكان ابن هُبَيْرَة لا يستشفي دون أن يسمع قول الحسن ، فقال : قل ما عندك يا أبا سعيد ، فقال :

[١] وفي رواية الكامل للبرد : « ترطيل » بالطاء ، والترطيل : تليين الشعر بالدهن وتكثيره وإدراؤه وإرساله .

« يابن هبيرة : خَفِ الله في يزيد ولا تَخَفْ يزيدَ في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك مَلَكًا ، فيُزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سَعَةِ قصرك ، إلى ضيق قبرك ، ثم لا يُنجيك إلا عملك ، يابن هبيرة : إن تَعَصَى الله ، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركبَنَّ دين الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وفي رواية أخرى قال : « أقول والله إنه يُوشِكُ أن ينزل بك مَلَكٌ من ملائكة الله فَظٌّ غليظ ، لا يَعْصِي اللهَ ما أَمَرُهُ ، فيخرجك من سَعَةِ قصرك ، إلى ضيق قبرك ، فلا يُغْنِي عنك ابن عبد الملك شيئاً ، وإني لأرجو أن الله عز وجل سيعصمك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، فاتق الله أيها الأمير ، فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك ، وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد ، نظرةً يَمُتُّكَ بها ، فيُغْلِقَ عنك باب الرحمة ، واعلم أنني أخوَّفُك ما خوَّفُك الله سبحانه حين يقول : « ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ » وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كفالك بَوَائِقَ ^(١) يزيد ، وإن كنت مع يزيد على معصية الله وكَلَمَكَ الله إلى يزيد حين لا يُغْنِي عنك شيئاً » .

فبكى عمر بن هبيرة بكاء شديداً ، ثم أجازهم ، وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين : سَفَسَفْنَا ^(٢) له فَسَفَسَفَ لَنَا .

(وفيات الأعيان ١ : ١٢٨ ، الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٢ ، مروج الذهب ٢ : ١٧٨ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٤٣ ، شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٩ ، أمالي السيد المرتضى ١ : ١١٠)

٤٥٨ — مقام الحسن عند النضر بن عمرو

وأحضر النضر بن عمرو - وكان والياً على البصرة - الحسن البصري يوماً ، فقال :

[١] جمع بائقة وهي الداهية . [٢] سفسف عمله : لم يبالغ في إحكامه .

يا أبا سعيد إن الله عز وجل : خلق الدنيا وما فيها من ريشها ^(١) ، وبهجتها ، وزينتها لعباده ، وقال عز وجل : « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » ، وقال عز من قائل : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ، فقال الحسن : « أيها الرجل : اتق الله في نفسك ، وإياك والأمانى التي ترجعت ^(٢) فيها فتهلك ، إن أحداً لم يُعْطَ خيراً من خير الدنيا ، ولا من خير الآخرة بأمنيتها ، وإنما هي داران ، مَنْ عَمِلَ فِي هَذِهِ أَدْرَكَ تِلْكَ ، ونال في هذه ما قُدِّرَ له منها ، ومن أَهْمَلَ نَفْسَهُ خَسِرَهَا جَمِيعاً ، إن الله سبحانه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لنفسه ، وبعثه برسالته ورحمته ، وجعله رسولا إلى كافة خلفه ، وأنزل عليه كتاباً مُهِيمًا ، وحدَّ له في الدنيا حدوداً ، وجعل له فيها أجلاً ، ثم قال عز وجل : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » وأمرنا أن نأخذ بأمره ، ونهتدى بهديه ، وأن نسلك طريقته ، ونعمل بسنته ، فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته ، وما قصّرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر ، فذلك باب مخرجنا ، فأما الأمانى فلا خير فيها ، ولا في أحدٍ من أهلها »

فقال النضر : والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا ، فقال الحسن :

« لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » . فجعل سبحانه أتباعه صلى الله عليه وسلم علماً للمحبة ، وأكذب من خالف ذلك ، فاتق

[١] الرياش : اللباس الفاخر والمد والخصب والمعاش . [٢] أى ملت إليها ، من ترجعت به الأرجوحة : مالت .

الله أيها الرجل في نفسك ، وإيّم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك ،
يَعْلُون المنابر ، وتهتزّ لهم المراكب ، ويجرّون الذبول بطراً ورياء الناس ،
يبنون المدر ^(١) ، ويؤثرون الأثر ^(٢) ، ويتنافسون في الثياب ، أخرجوا من
سلطانهم ، وسلبوا ما جمّعوا من دنياهم ، وقدموا على ربهم ، ونزلوا على أعمالهم ،
فالويل لهم يوم التغابن ^(٣) ، ويا ويحهم - يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

(الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٠)

٤٥٩ — مقام آخر له عند النضر

ودخل عليه يوما آخر فقال :

« أيها الأمير أيّدك الله ، إن أخاك من نصّحك في دينك ، وبصرك عيوبك ،
وهذاك إلى تراشدك ، وإن عدوك من غرك ومناك ، أيها الأمير اتق الله فإنك
أصبحت مخالفا للقوم في الهدى والسيرة ، والعلائية والسريرة ، وأنت مع ذلك
تتمنى الأمانى ، وترجع في طلب العذر ، والناس أصالحك الله طالبان ، فطالب
دنيا ، وطالب آخرة ، وإيّم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح ، وتعب الآخر
واخترم ^(٤) ، فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفانى ، وترك الباقي ، فتكون من
النادمين ، واعلم أن حكيمًا قال :

أين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقيا

[١] المدر : قطع الطين اليابسة ، والمراد يبنون القصور .

[٢] استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة واستبد بها ، والاسم : الأثرة بالتحريك ، والأثرة
بالضم والكسر ، والجمع أثر كفرصة وفرص . [٣] غبنه في البيع يغبنه ، والتغابن : أن يغبن بعض
القوم بعضاً ، وسمى يوم القيامة يوم التغابن ، لأن أهل الجنة تغبن أهل النار بأخذ منازلهم في
الجنة لو آمنوا . [٤] هلك .

نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر^(١) ، ومن الضَّلالة بعد الهدى ، لقد حَدَّثت
أيها الأمير عن بعض الصالحين أنه كَانَ يقول : « كفى بالمرء خيانةً أَنْ يكون
للخَوَنة أَمِينًا ، وعلى أَعْمَالهم مَعِينًا » . (الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥١)

٤٦٠ — مقال الحسن حين رأى دار الحجاج التي بناها بواسط
وروى أن الحجاج بنى داراً بواسِط^(٢) ، وأحضر الحسن ليراها ، فلما
دخلها قال :

« الحمد لله : إن الملوك لَيَرَوْنَ لأنفسهم عزًا ، وإنا آنَرَى فيهم كل يوم عِبرًا ،
يَعْمِدُ أحدهم إلى قصر فيشيِّده ، وإلى فرش فينَجِّده^(٣) ، وإلى ملابس ومراكب
فيحسِّنُها ، ثم يحْفُ به ذُبابُ طَمَعٍ ، وفرَّاشُ نارٍ ، وأصحابُ سوءٍ ، فيقول : أنظروا
ما صنعتُ ! فقد رأينا أيها المغرور ، فكان ماذا يا أفسق الفاسقين ؟ أمَّا أهل
السموات فقد مقتوك ، وأمَّا أهل الأرض فتد لعنوك ، بنيت دار الفناء ، وخرَّبت
دار البقاء ، وغرَّرت في دار الغرور ، لتَدِلَّ في دار الجُبور ، ثم خرج وهو يقول :
إن الله سبحانه أخذ عهدَه على العلماء ، لَيَبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يَكْتُمُونَهُ » .

و بلغ الحجاج ما قال ، فاشتدَّ غضبه ، وجمع أهل الشام ، فقال : يا أهل
الشَّام أَيْشْتَمْنِي عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تُنكرون ! ثم أمر
بإحضاره فجاء وهو يحرك شفَّتيه بما لم يُسَمَّع ، حتى دخل على الحجاج ، فقال :
يا أبا سعيد ، أمَّا كَانَ لِإِمَارَتِي عَلَيْكَ حقٌّ حين قلت ما قلت ؟ فقال : يرحمك الله

[١] الحور : القصان ، والكور : الزيادة ، وهو حديث شريف : « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »
أى من القصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وأصله من كور الدامة وهو
لحمها وجمعها . [٢] واسط : مدينة بالعراق من الجنوب بين دجلة والفرات ، بناها الحجاج ومات بها .
[٣] التنجيد : الترين ، والنجاد : الذى يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما .

أيها الأمير، إن من خَوْفِكَ حتى تبلغَ أَمْنَكَ أرفقُ بك وأحبُّ فيك ممن أَمَّنَكَ حتى تبلغَ الخوفَ ، وما أردتُ الذي سبق إلى وهمك ، والأمران بيدك : العفو والعقوبة ، فافعل الأولى بك ، وعلى الله فتوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فاستحيا الحاجاج منه ، واعتذر إليه وأكرمه وحبَّاه .

وفي رواية أخرى : « فلما دخل ، قال له الحاجاج : هاهنا ، فأجلسه قريباً منه ، وقال : ما تقول في عليّ وعثمان ؟ قال : أقول قول من هو خيرٌ مني عند من هو شرٌّ منك ، قال فرعون لموسى : « فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ؟ قال : عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى » عِلْمُ عليّ وعثمان عند الله . قال : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ، ودعا بغالية^(١) وغلَّف بها لحيته ، فلما خرج تبعه الحاجاج فقال له : ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه ؟ قال : قلتُ : « يا عُدَّتِي عند كُرْبَتِي ، ويا صاحبي عند شِدَّتِي ، ويا وليَّ نعمتي ، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ، أرزقني مودَّته ، واصرف عني أذاه » ، ففعل ربي عز وجل .

(الحسن البصري لابن الجوري ص ٥٣ ، والمية والأمل لابن يحيى المرتضى ص ١٤ ،

وأمان السيد المرتضى ١ : ١١٢)

٤٦١ — صفة الإمام العادل^(٢)

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قِوَامَ كل مائل ، وقَصْدَ^(٣) كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، وَنَصْفَةَ^(٤) كل مظلوم ،

[١] طيب . [٢] أوردت هذا الكتاب هنا ، والكتابين التاليين له لانتظامها في سلك الوصايا .

[٣] هداية ورشاد . [٤] اسم من الإنصاف .

وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَالْإِمَامُ الْعَدْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى إِبْلِهِ ،
الرَّفِيقِ الَّذِي يَرْتَادُ لَهَا أَطِيبَ الْمَرْعَى ، وَيَذُودُهَا عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ ، وَيَحْمِيهَا
مِنَ السَّبَاعِ ، وَيَكْتَفُهَا مِنْ أَذَى الْحِرِّ وَالْقُرِّ ^(١) ، وَالْإِمَامُ الْعَدْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
كَالْأَبِ الْحَانِي عَلَى وَلَدِهِ ، يَسْعَى لَهُمْ صِغَارًا ، وَيَعْلَمُهُمْ كِبَارًا ، يَكْتَسِبُ لَهُمْ فِي
حَيَاتِهِ ، وَيَدَّخِرُ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ ، وَالْإِمَامُ الْعَدْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْأُمِّ الشَّفِيقَةِ ،
الْبَرَّةِ الرَّفِيقَةِ بَوْلَدِهَا ، حَمَلَتْهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ، وَرَبَّتْهُ طِفْلًا ، تَسْهَرُ بِسَهَرِهِ ،
وَتَسْكُنُ بِسَكُونِهِ ، تُرْضِعُهُ تَارَةً ، وَتَقْطِمْهُ أُخْرَى ، وَتَفْرَحُ بِعَافِيَتِهِ ، وَتَنْتَمُّ
بِشِكَايَتِهِ ، وَالْإِمَامُ الْعَدْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصِيَّ الْيَتَامَى ، وَخَازِنُ الْمَسَاكِينِ ، يَرْبِي
صَغِيرَهُمْ ، وَيَعْمُونَ كَبِيرَهُمْ ، وَالْإِمَامُ الْعَدْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْقَلْبِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ ،
تَصْلُحُ الْجَوَانِحُ بِصَلَاحِهِ ، وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ ، وَالْإِمَامُ الْعَدْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ
الْقَائِمُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ ، يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ وَيُسْمِعُهُمْ ، وَيَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ وَيُرِيهِمْ ،
وَيَنْقَادُ إِلَى اللَّهِ وَيَقُودُهُمْ ، فَلَا تَكُنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا مَلَكَكَ اللَّهُ كَعَبْدٍ ائْتَمَنَهُ
سَيِّدُهُ ، وَاسْتَحْفَظَهُ مَالَهُ وَعِيَالَهُ ، فَبَدَّدَ الْمَالَ ، وَشَرَّدَ الْعِيَالَ ، فَأَفْقَرَ أَهْلَهُ ، وَفَرَّقَ
مَالَهُ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْحُدُودَ لِيُزْجِرَ بِهَا عَنِ الْخُبَائِثِ وَالْفَوَاحِشِ ،
فَكَيْفَ إِذَا أَتَاهَا مَنْ يَلِيهَا ؟ وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقِصَاصَ حَيَاةَ لِعِبَادِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا
قَتَلَهُمْ مَنْ يَقْتَصُّ لَهُمْ ؟ وَاذْكُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ ، وَفَلَةَ أَشْيَاءِكَ
عِنْدَهُ ، وَأَنْصَارِكَ عَلَيْهِ ، فَزَوِّدْ لَهُ ، وَلَمَّا بَعْدَهُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَكَ مَنْزِلًا غَيْرَ مَنْزِلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، يَطُولُ فِيهِ ثَوَاؤُكَ ، وَيَفَارِقُكَ
أَحْبَاؤُكَ ، يُسَلِّمُونَكَ فِي قَعْرِهِ فَرِيدًا وَحِيدًا ، فَزَوِّدْ لَهُ مَا يَصْحَبُكَ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ

مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، وَاذْكُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مُبْعَثٌ مَا فِي الْقُبُورِ ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ، فَلَأَسْرَارُ ظَاهِرَةٌ ، وَالْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، فَلَا أَنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ فِي مَهَلٍ ، قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَلِ ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ ، لَا تَحْكُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِحُكْمِ الْجَاهِلِينَ ، وَلَا تَسْلُكْ بِهِمْ سَبِيلَ الظَّالِمِينَ ، وَلَا تَسْلُطِ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا^(١) وَلَا ذِمَّةً ، فَتَبُوءَ بِأَوْزَارِكَ ، وَأَوْزَارٍ مَعَ أَوْزَارِكَ ، وَتَحْمِلَ أَثْقَالَكَ ، وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِكَ ، وَلَا يَغْرَتَكَ الَّذِينَ يَتَنَعَّمُونَ بِمَا فِيهِ بؤْسُكَ ، وَيَأْكُلُونَ الطَّيِّبَاتِ فِي دَنْيَاهُمْ بِإِذْهَابِ طَيِّبَانِكَ فِي آخِرَتِكَ ، لَا تَنْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ الْيَوْمَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى قُدْرَتِكَ غَدًا ، وَأَنْتَ مَأْسُورٌ فِي حَبَائِلِ الْمَوْتِ ، وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فِي مَجْمَعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقَدْ عَنَتِ^(٢) الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ، إِنْى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ أَبْلُغْ بَعْضَتِي مَا بَلَّغَهُ أَوَّلُو النُّهْيِ مِنْ قَبْلِي ، فَلَمْ آلَأَ^(٣) شَفَقَةً وَنُصْحًا ، فَأَنْزِلْ كِتَابِي إِلَيْكَ كَمَا دَاوَى حَبِيبِهِ ، يَسْقِيهِ الْأَدْوِيَةَ الْكَرِيمَةَ ، لِمَا يَرْجُو لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالصَّحَّةِ ، وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(العقد الفريد ١ : ١٢ ، الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٦)

٤٦٢ — موعظته لعمر بن عبد العزيز

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز رحمه الله : اكتب إلى يا أبا سعيد بموعظة فأوجز ، فكتب إليه :

« أما بعد يا أمير المؤمنين : فكأن الذي كان لم يكن ، وكأن الذي هو

كَأَنَّ قَدْ نَزَلَ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الصَّبْرَ ، وَإِنْ أَذَاقَكَ تَعَجُّيلَ مَرَارَتِهِ ، فَلْنَعْمَ
مَا أَعْقَبَكَ مِنْ طَيِّبِ حَلَاوَتِهِ ، وَحُسْنِ عَاقِبَتِهِ ، وَأَنْ الْهَوَى ، وَإِنْ أَذَاقَكَ طَعْمَ
حَلَاوَتِهِ ، فَلْبُئْسَ مَا أَعْقَبَكَ مِنْ مَرَارَتِهِ ، وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ ، وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ
الْفَائِزَ مَنْ حَرَّصَ عَلَى السَّلَامَةِ فِي دَارِ الْإِقَامَةِ ، وَفَازَ بِالرَّحْمَةِ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ .

(الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٤)

٤٦٣ - موعظته لعمر بن عبد العزيز أيضا

وَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : اكِتُبْ إِلَيَّ يَا أَبَا سَعِيدٍ بِذِمَّةِ الدُّنْيَا ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

« أَمَا بَعْدَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ ^(١) وَانْتِقَالٍ ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ
إِقَامَةٍ عَلَى حَالٍ ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْهَا آدَمُ عَقُوبَةً ، فَاحْذَرُهَا فَإِنَّ الرَّاعِبَ فِيهَا تَارِكٌ ،
وَالْغَنَى فِيهَا فَقِيرٌ ، وَالسَّعِيدُ مِنْ أَهْلِهَا مَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا ، إِنَّهَا إِذَا اخْتَبَرَهَا اللَّيِّيبُ
الْحَازِقُ ، وَجَدَهَا تُذِلُّ مَنْ أَعَزَّهَا ، وَتَفَرِّقُ مَنْ جَمَعَهَا ، فَهِيَ كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ
لَا يَعْرِفُهُ ، وَيَرْغَبُ فِيهِ مَنْ يَجْهَلُهُ ، وَفِيهِ وَاللَّهِ حَتْفُهُ ، فَكُنْ فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
كَالْمَدَاوِي جَرِاحُهُ ، يَحْتَمِي قَلِيلًا ، مَخَافَةَ مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا ، الصَّبْرُ عَلَى لَأَوَائِهَا ^(٢) ،
أَيْسَرُ مِنْ احْتِمَالِ بَلَائِهَا ، وَاللَّيِّيبُ مَنْ حَذَرَهَا ، وَلَمْ يَغْتَرَّ بِزِينَتِهَا ، فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ
خِتَالَةٌ ^(٣) خِدَاعَةٌ ، قَدْ تَعَرَّضْتَ بِأَمَالِهَا ، وَتَرَيَنْتَ لُحُطَّابَهَا ، فَهِيَ كَالْعَرُوسِ ،
الْعَيُونُ إِلَيْهَا نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا وَالِهَةٌ ^(٤) ، وَهِيَ ، وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ،
لِأَزْوَاجِهَا قَاتِلَةٌ ، فَاتَّقِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَرَغَتَهَا ، وَاحْذَرِ عَثْرَتَهَا ، فَالْرَّخَاءُ فِيهَا
مَوْصُولٌ بِالشَّدَةِ وَالْبَلَاءِ ، وَالْبَقَاءُ مَوْدٍ إِلَى الْهَلَكَةِ وَالْفَنَاءِ .

[١] ارتحال . [٢] شدتها . [٣] خداعة . [٤] من الوله بالتجريك وهو ذهاب العقل
من شدة الوجد .

وَاعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ أَمَانِيَّهَا كَاذِبَةٌ ، وَآمَالُهَا بَاطِلَةٌ ، وَصَفْوُهَا كَدْرٌ ،
وَعِيشُهَا نَكْدٌ ، وَتَارِكُهَا مُوَفَّقٌ ، وَالْمَتَمَسِّكُ بِهَا هَالِكٌ غَرِيقٌ ، وَالْفُطْنُ اللَّيْبُ
مِنْ خَافَ مَا خَوَّفَهُ اللَّهُ ، وَحَذَرُ مَا حَذَّرَهُ ، وَقَدَّرُ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ،
فَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيهِ الْيَقِينُ ، الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَارُ عَقُوبَةٍ ، لَهَا يَجْمَعُ مِنْ
لَا عَقْلَ لَهُ ، وَبِهَا يَغْتَرُّ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ، وَالْحَازِمُ اللَّيْبُ مَنْ كَانَ فِيهَا كَالْمَدَاوِي
جِرَاحِهِ ، يَصْبِرُ عَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ ، لِمَا يَرْجُو مِنَ الْعَافِيَةِ ، وَيَخَافُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ
الدَّارِ ، وَالدُّنْيَا وَآيِمُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُلْمٌ ، وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ ، وَالْمَتَوَسُّطُ بَيْنَهُمَا
الْمَوْتُ ، وَالْعِبَادُ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ ، وَإِنِّي قَائِلٌ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَالَهُ الْحَكِيمُ :
فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فِإِنِّي لَا إِخْلَاكَ نَاجِيَا «

وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَى عَمْرِ ، بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى رَحِمَهُ مِنْ كَانَ عِنْدَهُ ، وَقَالَ : يَرْحَمُ
اللَّهُ الْحَسَنَ ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَوْقِظُنَا مِنَ الرَّقْدَةِ ، وَيُنْذِرُنَا مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَلِلَّهِ هُوَ مِنْ
مُشْفِقٍ مَا أَنْصَحَهُ ! وَوَاعِظٍ مَا أَصْدَقَهُ وَأَفْصَحَهُ !

(الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لَانِ الْجَوْزِيِّ ص ٥٤ ، وَسِيرَةُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَابْنِ الْجَوْزِيِّ ص ١٢١)

٤٦٤ — كَلِمَاتُ حَكِيمَةٍ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

وَقَالَ : احْذَرِ مَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ حَدِيثَ غَيْرِكَ ، فَإِنَّهُ سَيَنْقُلُ إِلَى غَيْرِكَ حَدِيثَكَ .
أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّكُمْ لَا تَنَالُونَ مَا تَحِبُّونَ إِلَّا بِتَرْكِ مَا تَشْتَهُونَ ، وَلَا تُدْرِكُونَ
مَا تَأْمَلُونَ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ . الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ، وَصَبْرٌ
عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ نَالَ أَفْضَلَ الصَّبَرِينَ . أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ
الْهَوَى . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَجْمَعُ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ وَحِكْمَ الْحُكَمَاءِ ، وَيَجْرِي فِي الْحَقِّ مَجْرَى
السُّفَهَاءِ . مَنْ خَافَ اللَّهَ أَخَافَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ

أخافه الله من كل شيء . لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه : الموت ، والمرض ، والفقر ، وإنه بعد ذلك لو تائب . احذروا العابد الجاهل ، والعالم الفاسق ، فإن فيهما فتنة لكل مفتون . ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة . لا تكن شاة الراعى أعقل منك ، تجرها الصيحة ، وتطردها الإشارة . المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان ، بأمر واحد ، ووجه واحد ، ونصيحة واحدة ، وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم . المؤمن صدق قوله فعله ، وسرّه علانيته ، ومشهدّه مغيبه . لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت الفكرة من عمله ، والدّكر من شأنه ، والمحاسبة من همّه ، ولا يزال بشرّ ما استعمل التسويّف ، واتّبع الهوى ، وأكثر الغفلة ، ورجّع في الأمانى . الحق مرّ لا يصبر عليه إلا من عرف حسن العافية ، ومن رجا الثواب خاف العقاب . حادّثوا هذه القلوب ، فإنها سريعة الدّثور ^(١) ، واقدّعوا ^(٢) هذه النفوس ، فإنها طلّمة ^(٣) ، وإنكم إلّا ترعوها ^(٤) تنزع بكم إلى شرّ غاية . يابن آدم : نهارك ضيفك ، فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمّلك ، وإن أسأت إليه ارتحل يذمّك ، وكذلك ليّلك . إنما أنت أيها الإنسان عدّد ، فإذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك . وقيل له يا أبا سعيد : من أشدّ الناس صراخاً يوم القيامة ؟ فقال : رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله . وكان يقول : لو قتّ الليل حتى ينحني ظهرك ، وصمّت النهار حتى يسقم جسمك ، لم ينفعك ذلك إلا بورع صادق . وسمع

[١] دثور القلوب : اتّحاء الذّكر منها . [٢] كبوها واكبوها .

[٣] ممس طلّمة : تكثر التطلع إلى الشيء ، وفي رواية : « فإنها طامحة » .

[٤] وزعه كوضع : كفه ، وفي رواية : « تمنعوا » .

رجلا يُكثر الكلام ، فقال : يا بن أخى أمسيك عليك لسانك ، فقد قيل : ماشىء
أحقّ بسجن من لسان . وكان يقول : لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء
إلى أحب خلق الله إلى الله فأفسده ، لكان ينبغي للعاقل أن يتركه (يعنى العقل)
ويقول : ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل ، وما أساء العمل إلا ذلّ
وقال : «يا عجباً لقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذوا بالرحيل ، وأقام أولهم على آخرهم ،
فليت شعري ! ما الذى ينتظرون ؟ وقال : اجعل الدنيا كالقنطرة : تجوز عليها ، ولا
تعمرها ، وقال : ليس العجب ممن عطّب كيف عطّب ، إنما العجب ممن نجا
كيف نجا » ، وقال : « من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وحرص على العلم ،
وقناعة فى فقر ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء فى حق ، وبرّ فى استقامة ، وفقه فى
يقين ، وكسب فى حلال » .

(الحسن البصرى لابن الجوزى فى مواضع متفرقة ، واليان والتبيين ٣ : ٧٦ — ٨٣ ، أمالى السيد المرتضى
١ : ١١٠ — ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٩ ، وزهر الآداب ١ : ١٧٨ ، ٢ : ٢٠٥)

٤٦٥ — خطبة واصل بن عطاء ^(١) المنزوعة الرأ

الحمد لله القديم بلا غاية ، والباقي بلا نهاية ، الذى علا فى دُنُوّه ، ودنا فى
عُلُوّه ، فلا يحويه زمان ، ولا يُحيط به مكان ، ولا يثُوده ^(٢) حِفْظُ ما خلق ، ولم
يخلقه على مثالٍ سبق ، بل أنشأه ابتداء ، وعدّله اصطناعاً ، فأحسن كل شىء

[١] هو أبو حذيفة واصل بن عطاء شيخ المعرّين ، وأحد الأئمة المتكاملين ، وكان يلثغ بالراء ، فيجعلها
عيناً ، فاستطاع بمهارته أن يخلص منها كلامه ، خطب يوماً عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وإلى العراق
سنة ١٢٦ شبيب بن شبة ، وخالد بن صفوان ، والفصل بن عيسى ، ثم قفاهم واصل ، فارتحل هذه الخطبة
وعراها من حرف الرأ ، وأبدع فى القول :

ففضل عبد الله خطبة واصل وصوغف فى قسم الصلوات له الشك

(والشك بالضم: المعطاء) وتوفى واصل سنة ١٣١ هـ . [٢] يثقه ، آده أودا (كنصر) بلغ منه المجهود .

خلقه ، وتعم مشيئته ، وأوضح حكمته ، فدل على ألوهيته ، فسبحانه لا معقب^(١) لحكمه ، ولا دافع لقضائه ، تواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لسلطانه ، ووسع كل شيء فضله ، لا يعزب عنه مثقال حبة ، وهو السميع العليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، إلهاً تقدست أسماؤه ، وعظمت آلاؤه ، وعلا عن صفات كل مخلوق ، وتنزه عن شبيه كل مصنوع ، فلا تبلغه الأوهام ، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام ، يعصى فيحلم ، ويدعى فيسمع ، ويقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون ، وأشهد شهادة حق ، وقول صدق ، بإخلاص نية ، وصحة طوية ، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه ، وخالسته^(٢) وصفيه ، ابتعثه إلى خلقه بالبينّة والهدى ودين الحق ، فبلغ ما ألكته^(٣) ، ونصح لأئمة ، وجاهد في سبيل الله ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يصدّه عنه زعم زاعم ، ماضياً على سنته ، مؤفياً على قصده ، حتى أتاه اليقين ، فصلى الله على محمد ، وعلى آل محمد أفضل وأزكى ، وأتم وأنى ، وأجل وأعلى صلاة صلاحها على صفوة أنبيائه ، وخالصة ملائكته ، وأضعاف ذلك ، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله ، والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته ، وأحضّكم على ما يُدّنيكم منه ، ويُزلفكم لديه ، فإن تقوى الله أفضل زاد ، وأحسن عاقبة في معاد ، ولا تلهيّنكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها ، وفوات لذاتها ، وشهوات آمالها ، فإنها متاع قليل ، ومدة إلى حين ، وكل شيء منها يزول ، فكم عاينتم من أعاجيبها ، وكم نصبت لكم من حبالها ، وأهلكّت من جنح إليها ، واعتمد

[١] لارادّ له . [٢] هذا الذى خاصة لك : أى خاصة .

[٣] المألّكة : يضم اللام وتفتح : الرسالة .

عليها ! أذاقتهم خلواً ، ومزجت لهم سمّاً ، أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وشيدوا المصانع ، وأوثقوا الأبواب ، وكاثفوا الحجاب ، وأعدّوا الجياد ، ومَلَكُوا البلاد ، واستخدموا التّلال ، قَبَضَتْهُمْ بِمَحْمِلِهَا ^(١) ، وطحنتهم بَكَلِكِهَا ^(٢) ، وعَضَّتْهُمْ بِأَنْيَابِهَا ، وعَضَّتْهُمْ مِنَ السَّعَةِ ضَيْقاً ، وَمِنَ الْعِزَّةِ ذُلّاً ، وَمِنَ الْحَيَاةِ فَنَاءً ، فسكنوا اللّحود ، رَأَوْا كُلَّهُم الدُّودَ ، وَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ، وَلَا تَجِدُ إِلَّا مَعَالِمَهُمْ ، وَلَا تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ نَبْشاً ، فتزودوا عافاكُم الله ، فإنّ أفضل الزاد التقوى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه ، ويعمل لحظّه وسعادته ، وَمَنْ يَسْتَمِعِ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعْ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ . إن أحسن قصص المؤمنين ، وأبلغ مواعظ المتقين ، كتاب الله ، الزّكية آياته ، الواضحة بيناته ، فإذا تُبْلِي عَلَيْكُمْ فَأَنْصِتُوا لَهُ ، واسْمَعُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، أعوذ بالله القوي ، من الشيطان الغوي ، إن الله هو السميع العليم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، ثم قال :

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، والوحي المبين ، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم ، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم . (مفتاح الأفكار ص ٢٧٠)

٤٦٦ — وصية عبد الملك بن مروان لبني أمية

وقال عبد الملك بن مروان : « يا بني أمية : ابدلوا نذاكم ، وكفّوا أذاكم ، وَاغْفُوا إِذَا قَدَرْتُمْ ، وَلَا تَبْخَلُوا إِذَا سُئِلْتُمْ ، فإن خير المال ما أفاد حمداً ، أو نفقاً

[١] انحمل : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان ، والمراد احتوت عليهم .

[٢] الكسكل : الصدر .

ذما ، ولا يقولنَّ أحدُكم : ابدأ بمن تَعُولُ ، فإنما الناس عِيَالُ الله ، قد تكفلَ الله بأرزاقهم ، فمن وسَّعَ أخلفَ الله عليه ، ومن ضَيَّقَ ضَيَّقَ الله عليه .

(الأمالي ٢ : ٢٢)

٤٦٧ — وصية عبد الله بن شداد لابنه ^(١)

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة ، دعا ابناً له يقال له محمد ، فقال :
« يا بُنَيَّ ، إني أرى داعيَ الموت لا يُقْلَعُ ، وأرى من مَضَى لا يرجع ،
ومن بقي فإليه يَنزِعُ ^(٢) ، وإني مُوصِيكَ بوصية فاحفظها ، عليك بتقوى الله
العظيم ، وأبِئْكَ أَوْلىَ الأمور بك شُكْرُ الله ، وَحُسْنُ النية في السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ،
فإن الشُّكْرَ يَزِدُّ ، وَالتَّقْوَى خَيْرُ زاد ، وَكُنْ كما قال الحُطَيْيئة :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلَكِنْ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتِقِ مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبُ وَلَكِنَّ الَّذِي يَعْضِي بَعِيدُ

ثم قال : أَيُّ مُبْنَى ، لَا تَرَهَدَنَّ فِي مَعْرُوف ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوف ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ
نَوَائِب ، عَلَى الشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ ، فَكُنْ مِنْ رَاغِبٍ أَصْبَحَ مَطْلُوبًا مَا لَدَيْهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ
الزَّمَانَ ذُو أَلْوَانٍ ، وَمَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرِ الْهَوَانَ ، وَكُنْ أَيُّ مُبْنَى كَمَا قَالَ
أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِي :

وَعُدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَنِعْمَةً عَلَيْكَ ، إِذَا مَا جَاءَ لِلْعُرْفِ طَالِبُ ^(٣)
وَإِنْ أَمْرًا لَا يُرْتَجَى الْخَيْرُ عِنْدَهُ يَكُنْ هَيِّنًا ثِقَلًا عَلَى مَنْ يَصَاحِبُ

[١] هو عبد الله بن شداد بن المهدي ، واسمه أسامة الليثي ، خرج مع القراء في فتنة ابن الأشعث
على الحجاج ، قيل : إنه غرق بدجيل ، وقيل : هلك هو وعبد الرحمن بن أبي ليلى في الجاهم ، اقتحم بهما
فرسهما الماء فذهبا . [٢] يشتاقي . [٣] العرف : المعروف .

فلا تمنعنَ ذا حاجةٍ جاء طالباً فإنك لاتدري متى أنت راغبٌ
 رأيتُ التوا هذا الزمانَ بأهله وبينهم فيه تكونُ النوائبُ^(١)
 ثم قال : أي بني ، كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع
 الخلق ، فإن أحمدَ جود المرء الإنفاقُ في وجه البرِّ ، وإن أحمدَ بُخل الحرِّ الضنُّ^(٢)
 بمكتوم السر ، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري :
 أجودُ بمكنون التلاد ، وإنني بسرِّك عمن سألني أضنينُ^(٣)
 إذا جاوز الاثنين سرٌّ فإنه بنثٌ ، وتكثير الحديثِ قينُ^(٤)
 وعندي له يوماً إذا ما ائتمنتني مكانُ بسوءاء الفؤادِ مكينُ^(٥)
 ثم قال : أي بني ، وإن غلبتَ يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن
 الكريم يَحْتال ، والدنيءُ عيال^(٦) ، وكن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً ، أقلُّ
 ما تكون في الباطن مالا ، فإن الكريم من كُرِّمت طبيعته ، وظهرت عند
 الإنفاق^(٧) نِعْمته ، وكن كما قال ابن خذّاق العبدي^(٨) :
 وجَدْتُ أبا قَدَ أورثه أبوه خِلاً لا قد تُعدُّ من المعالي^(٩)
 فأكرم ما تكونُ على نفسى إذا ما قلَّ في الأزْماء مالى
 فتَحْسُنْ سِيرَتِي وأصونُ عِرْضِي ويحْمِلُ عند أهل الرأى حالى

[١] التوا أصله التواء قصره لضرورة الشعر ، التوى به الزمان : اعوج .

[٢] الصن بالكسر والصنّانة بالفتح : البخل .

[٣] سال يسال من باب خاف لغة في سأل المهموز ، وائس مسهلاً للوزن كما ظن بعضهم .

[٤] نث الحديث : أفشاء ، وقين : جدير ، وقطع همزة الاثنين للضرورة .

[٥] سواداء الفؤاد ، وسويداؤه ، وسواده ، وأسوده : حَبْته . [٦] العيال جمع عيل بكيد :

وهو من يلزم الانفاق عليه ، ويكون اسماً للواحد (كما استعمله هنا) . [٧] الفقر .

[٨] هو يزيد بن خذّاق شاعر قديم . [٩] بنقل حركة الهمزة من أورثه إلى الدال من قد .

وإن نلتُ الغنى لم أغلُ فيه ولم أخصُصن بِجَفَوَتِي المَوَالِي^(١)
ثم قال : أى بنى ، وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ،
فإنك إن أمضيتها حيالها^(٢) ، رجع العيب على من قالها ، وكان يقال : الأريب
العاقل ، هو الفطن المتعافل ، وكن كما قال حاتم الطائي :

وما من شيمتى شتم ابن عمى وما أنا مُخْلِفٌ من يَرْتَجِبِنِي
وَكَلِمَةٍ حاسِدٍ فى غير جُرْمٍ سمعتُ فَقُلْتُ رُئِى فأنفُذِنِي^(٣)
فعاْبُوها عَلَى ولم تَسُوْنِي ولم يَمَرِّقْ لها يوما جَبِينِي
وذو اللَوْنين يَلْقَانِي طَلِيقًا وليس إذا تَغَيَّبَ يَأْتَلِينِي^(٤)
سمعتُ بِعَيْبِهِ فصفحتُ عنه مُحَافِظَةً عَلَى حَسْبِي وَدِينِي

ثم قال : أى بنى ، لا تُؤَاخِ امرأً حتى تعاشره ، وتنفقَ مَوَارِدَه ومَصَادِرَه ،
فإذا استطعت العشرة ، ورضيت الخيرة^(٥) ، فواخِه عَلَى إقالة العُثْرَة ، والمواساة
فى العُثْرَة ، وكن كما قال المقنّع الكِنْدِي :

أَبْلُ الرجال إذا أردت إِياءَهُم وَتَوَسَّمَنْ فِعَالَهُم وَتَفَقَّدْ
فإذا ظَفَرْتَ بذي اللَّبَابَةِ وَالثَّقَى فَبِهِ اليَدَيْنِ (قَرِيرَعَيْنِ) فاشدُدْ^(٦)
وإذا رأيت (ولا مُحَالَةً) زَلَّةً فعلى أخيك بِفَضْلِ حَامِكِ فَارْدُدْ

ثم قال : أى بنى ، إذا أحببت فلا تُفْرِطْ ، وإذا أبغضت فلا تُشْطِطْ^(٧) ، فإنه
قد كان يقال : أَحْبَبُ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أن يكون بَغِيضَكَ يَوْمًا مَّا ،

[١] الموالى جمع مولى وهو هنا القريب . [٢] قعد حياه وبجياه : بازائه ، أى إن تركتها
تجرى فى مجراها . [٣] نفذم : جازم . [٤] اثتلى : قصر ، أى لا يقصر فى نهش عرضى .
[٥] الخير والخبرة بكسر الخاء فيهما ، ويضمّان : العلم بالشيء . كالاختبار .
[٦] لبّ من باب تعب ، وفى لغة كقرب مع الفتح فى المضارع لبابة : أى صار ذا لب بالضم
وهو العقل . [٧] شط فى حكمه وأشط : جار .

وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَّا ، عسى أن يكون حبيبك يومًا مَّا ، وكن كما قال هُذْبَةُ
ابن الخَشَرَمِ العُذْرَى :

وكن مَعْقِلًا لِلْحَلَمِ وَاصْفَحْ عَنِ الْخَنَاءِ فَإِنَّكَ رَأَى مَا حَيَّيْتَ وَسَامِعُ^(١)
وَأَحْبِبْ إِذَا أُحْبِبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتِ نَازِعُ^(٢)
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتِ رَاجِعُ
وعليك بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَإِيَّاكَ وَصَحْبَةَ الْأَشْرَارِ ، فَإِنَّهُ عَارٌ ،
وكن كما قال الشاعر :

أَفْحَبِ الْأَخْيَارَ وَارْغَبْ فِيهِمْ رُبَّ مَنْ صَاحِبَتَهُ مِثْلُ الْجَرْبِ
وَدَعْ النَّاسَ فَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا شَانَمْتَ فَاشْتُمِ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ شَاتَمَ وَغَدَا كَالَّذِي يَشْتَرِي الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ^(٣)
وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ وَدَعْ النَّاسَ فَمَنْ شَاءَ كَذَبِ

(الأمل : ٢ : ٢٠٤ ، والبيان والنبين ٢ : ٥٧ ، ١٣٨)

٤٦٨ — وصية أسماء بن خارجة لابنته^(٤)

زَوْجِ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ بِنْتَهُ هِنْدًا مِنْ الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَلَمَّا
كَانَتْ لَيْلَةً أَرَادَ الْبِنَاءُ بِهَا ، قَالَ لَهَا أَسْمَاءُ : « يَا بِنْتِي ، إِنْ الْأَمَهَاتِ يُوَدِّبْنَ الْبَنَاتِ ،
وَإِنْ أُمَّكَ هَلَكْتَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ ، فَعَلَيْكَ بِأَطْيَبِ الطَّيِّبِ الْمَاءِ ، وَأَحْسَنِ
الْحُسْنِ الْكُحْلِ ، وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْمَعَاتِبَةِ ، فَإِنَّهَا قَطِيعَةٌ لِلوَدِّ ، وَإِيَّاكَ وَالْغَيْرَةَ ،
فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ الطَّلَاقِ ، وَكُونِي لَزُوجِكَ أُمَّةً ، يَكُنْ لَكَ عَبْدًا ، وَاعْلَمِي أَنِّي
الْقَائِلُ لَأُمِّكَ :

[١] المعقل : الملجأ ، والحناء : الفحش . [٢] نزع عن الشيء : انتهى عنه .
[٣] الصفر كقفل ، وكسر الصاد لغة : النحاس . [٤] أورد الجاحظ هذه الوصية بصورة أَوْحَزَ ،
وذكر أنها وصية عبد الله بن جعفر لابنته .

خذي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيحِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ^(١)
وَلَا تَنْقُرِي نَقْرَةَ الدَّفِّ مَرَّةً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمَغِيبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
(الأغاني ١٨ : ١٢٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٥)

٤٦٩ — رجل ينصح لهشام بن عبد الملك

وخرج الزُّهْرِيُّ يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيتُ
كاليوم ، ولا سمعتُ كأربع كلمات ، تكلم بهن رجلٌ عند هشام ، دخل عليه فقال :
« يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاحٌ مُلْكِكَ ،
وَاستقامةُ رِعْيَتِكَ » . قال : وما هنَّ ؟ قال : « لَا تَعِدْ عِدَّةً لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ
بِإِنْجَازِهَا ، وَلَا يَغُرُّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا ، إِذَا كَانَ الْمُتَجَدِّرُ وَعَرًّا ، وَاعْلَمْ
أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً ، فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَاتٍ ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ » .
قال عيسى بن دأب : فحدثتُ بهذا الحديث المهدى ، وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ
رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ ، فَأَمْسَكَهَا ، وَقَالَ : وَيَحْكُ ! أَعِدْ عَلَيَّ ، فَمَلَّتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَسِغْ^(٢) لِقَمَتِكَ ، فَقَالَ : حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ . (زهر الآداب ٣ : ١٨٠)

٤٧٠ — وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكتاب

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب^(٣) رسالة إلى الكتاب يوصيهم فيها ، قال :
« أَمَّا بَعْدُ حَفِظْكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، وَحَاطْكُمْ وَوَفَّقْكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ ،
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ،
وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ أَصْنَافًا ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصَرَّفَهُمْ فِي

[١] السورة : الحدة . [٢] ابتلع . [٣] هو عبد الحميد بن يحيى العامري ، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ، قتله السفاح سنة ١٣٢ هـ

صنوف الصناعات ، وَضُرُوب المحاولات ، إلى أسباب مَعَايشهم ، وَأَبْوَاب أَرْزاقهم ،
فَجَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ ، أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ ،
بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مُحَاسِنُهَا ، وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا ، وَبِنِصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلخَلْقِ
سُلْطَانَتَهُمْ ، وَتَعْمُرُ بِلَادَهُمْ ، لَا يَسْتَعْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوَجِّدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ،
فَوْقَكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعَ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ،
وَأَلْسِنَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَنْطَقُونَ ، وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ ، فَأَمْتَعَكُمْ اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ
مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا نَزَعَ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ ^(١) مِنَ النِّعَةِ عَلَيْكُمْ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ
الْمَعْدُودَةِ ، مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ ، إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنْ
الْكَاتِبُ يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ ،
أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مُقَدِّمًا فِي مَوْضِعِ
الْإِقْدَامِ ، مُجْتَبِمًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ، مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ ، وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ،
كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ ، يَضَعُ الْأُمُورَ
مَوَاضِعَهَا ، وَالطَّوَارِقَ أَمَا كُنْهَا ، قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ،
فَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ ، أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارٍ يَكْتَفِي بِهِ ، يَعْرِفُ بَغْرِيزَةَ عَقْلِهِ ، وَحَسَنَ أَدَبِهِ ،
وَفَضْلَ تَجْرِبَتِهِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ وَرُودِهِ ، وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ، فَيُعِدُّ
لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ ^(٢) ، وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ ، فَتَنَافَسُوا يَا مَعَشَرَ
الْكِتَابِ ، فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَابْدِءُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا ثِقَافٌ ^(٣) أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ ،

فإنه حلية كُتِبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب
والعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك مُعينٌ لكم على ما تسمو إليه هممكم ، ولا
تضيّعوا النظر في الحساب ، فإنه قوام كُتّاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن
المطامع سنيها ^(١) ، ودنييها ، وسفساف ^(٢) الأمور ومحاورها ، فإنها مذلة للرقاب ،
مفسدة للكتاب ، ونزّهوا صناعتكم عن الدنّاءات ، وأزبّوا ^(٣) بأنفسكم عن
السّعاية والنّيمة ، وما فيه أهل الجهالات ، وإياكم والكبر والصّلف والعظمة ،
فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة ، وتحابوا في الله عز وجلّ في صناعتكم ، وتواصوا
عليها بالذي هو أليقُ بأهل الفضل والعدل والنّبل من سلفكم .

وإن نبأ الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع إليه حاله ،
ويثوب ^(٤) إليه أمره ، وإن أقعد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه ،
فزوروه وعظّموه وشاوروه ، واستظهروا ^(٥) بفضل تجربته ، وقدم معرفته ،
وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به اليوم حاجته إليه ، أحفظ منه
على ولده وأخيه ، فإن عرّضت في الشغل مَمْدّة ، فلا يُضيفها إلا إلى صاحبه ،
وإن عرّضت مَدَمّة ، فليحملها هو من دونه ، وليحذر السّقطة والزّلة ، والمَلَل
عند تغير الحال ، فإن العيب إليكم معشر الكتاب ، أسرع منه إلى الفراء ، وهو لكم
أفسد منه لها .

فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبهُ الرجل ، يَبْذُل له من نفسه ما يجب له
عليه من حقّه ، فواجبٌ عليه أن يعتدّ له من وفائه ، وشكره ، واحتماله وصبره ،

[١] رفيها . [٢] الردىء من كل شيء . [٣] رباً : تلا وارفع .

[٤] يرجع . [٥] تقوّوا .

ونصيحته ، وكتمان سره ، وتدير أمره ، ماهو جزأه لحقه ، ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه ، والاضطرار إلى ماله .

فاستشعروا ذلكم - وفقكم الله من أنفسكم - في حالة الرخاء والشدة ، والحِرمَانِ والمواساة والإحسان ، والسرَّاء والضَّرَّاء ، فنعمت الشَّيْمَةُ هذه لمن وُسِمَ بها : من أهل هذه الصناعة الشريفة ، فإذا وُلِّيَ الرجل منكم ، أو صيِّرَ إليه من أمر خلق الله وعياله أمرٌ ، فليراقب الله عز وجل ، وليؤثِّرْ طاعته ، وليكن على الضعيف رفيقاً ، وللمظلوم منصفاً ، فإن الخلق عيال الله ، وأحبُّهم إليه أرققُهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مُكرِّماً ، وللنَّيء موفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألِّفاً ، وعن إيدائهم متخلفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سجَّلات خراجهِ واستقضاء حقوقهِ رفيقاً ، وإذا صَحِبَ أحدكم رجلاً فليختبر خلائقته ، فإذا عَرَفَ حَسَنَهَا وقبيحها ، أعانه على ما يوافقهِ من الحَسَنِ ، واحتال لصرفهِ عما يهواه من القبيح ، بالطف حيلة ، وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها ، التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رَمُوحاً^(١) لم يهيجها إذا ركبها ، وإن كانت شَبُوباً^(٢) اتَّقَاها من قبل يديها ، وإن خاف منها شُرُوداً توقَّأها من ناحية رأسها ، وإن كانت حَرُوناً قَمَعَ برفقِ هواها في طريقها ، فإن استمرت عَطَفَهَا يسيراً ، فيَسَلَّسَ له قيادُها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم ، وخدمهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه ، وشريف صنعتِهِ ، ولطيف حيلته ، ومعاملته لمن يُحَاوَرُه من الناس وينظره ، ويفهم عنه أو يخاف سطوته ، أولى بالرفق بصاحبه

[١] رعه الفرس كنع : رفسه . [٢] شب الفرس كضرب ونصر : رفع يديه .

وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِ ، مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي لَا تُحِيرُ ^(١) جَوَابًا ، وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا ، وَلَا تَفْهَمُ خَطَابًا ، إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا الرَّكْبُ عَلَيْهَا ، أَلَا فَأَمْنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ ، وَأَعْمَلُوا فِيهِ مَا أَمَكُنْكُمْ مِنَ الرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ ، تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحَبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ ، وَالْأَسْتِثْقَالَ وَالْجَفَوَةَ ، وَيَصِيرُ ^(٢) مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَافَقَةِ ، وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاخَاةِ وَالشَّفَقَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَا يَجَاوِزَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ - فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ ، وَمَلْبَسِهِ ، وَمَرْكَبِهِ ، وَمَطْعَمِهِ ، وَمَشْرَبِهِ ، وَبِنَائِهِ ^(٣) وَخَدَمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَنُونِ أَمْرِهِ - قَدْرَ حَقِّهِ ، فَإِنَّكُمْ - مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ صَنَعْتُمْ - خَدَمَةٌ لَا تُحْمَلُونَ فِي خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَحَفَظَةٌ لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْذِيرِ ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتَهُ لَكُمْ ، وَقَصَصْتَهُ عَلَيْكُمْ ، وَاحْذَرُوا مَتَالِفَ السَّرَفِ ، وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ ، فَإِنَّهُمَا يُمَقْبَانِ الْفَقْرَ ، وَيُذِلَّانِ الرَّقَابَ ، وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا ، وَلَا سِيَّاهُ الْكِتَابِ ، وَأَرْبَابُ الْآدَابِ ، وَلِلْأُمُورِ أَشْبَاهُ ، وَبَعْضُهَا دَلِيلُ عَلَى بَعْضٍ ، فَاسْتَدِلُّوا عَلَى مُؤْتَنَفٍ ^(٤) أَعْمَالِكُمْ ، بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرِبَتُكُمْ ، ثُمَّ اسْلُكُوا مِنْ مَسَالِكَ التَّدْيِيرِ أَوْضَحَهَا مُحَجَّةً ، وَأَصْدَقَهَا حُجَّةً ، وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً .

وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدْيِيرِ آفَةً مُتَلِفَةً ، وَهِيَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ لِصَاحِبِهِ عَنْ إِنْقَازِ عَمَلِهِ وَرُؤْيَتِهِ ، فَلْيَقْصِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ مَنْطِقَتِهِ ، وَلْيُوجِزْ فِي ابْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ ، وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَجِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَصَاحِحَةٌ لِفَعْلِهِ ، وَمَدْفَعَةٌ

[١] لَا تَرُدُّ . [٢] تَأْمَنُوا ، يَجْزُومُ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى جَوَابُ لَشَرْطٍ مَحْذُوفٍ مَعَ فِعْلِ الشَّرْطِ أَيْ إِنْ تَعْمَلُوا تَأْمَنُوا ، وَمَنْ ثُمَّ يَجُوزُ فِي « وَيَصِيرُ » ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ الْجُزْمُ ، وَالنَّصْبُ وَالرَّفْعُ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ . فَقَوْلُ بَعْضِهِمْ : « وَلَعَلَّ ثُبُوتَ الْبَاءِ قَبْلَ الرَّاءِ مِنْ زِيَادَةِ النَّاسِحِ » مُرَدُّودٌ . [٣] بَنَى عَلَى أَهْلِهِ ، وَبِهَا بِنَاءٌ ، وَابْتَنَى : زَفَّهَا . [٤] مُبْتَدَأٌ

للتشاغل عن إكثاره ، وَلِيَضْرَعَ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ ، وَإِمْدَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ ،
مَخَافَةً وَقَوْعَهُ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِيَدْنِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا ، أَوْ قَالَ
قَائِلًا : إِنْ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صُنْعَتِهِ ، وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ ، إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ ،
وَحَسَنِ تَدْيِيرِهِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ بظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ ،
فِيصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَلَا يَقُلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرُ بِالْأُمُورِ ، وَأَحْمَلُ لِعِبَاءِ التَّدْيِيرِ مِنْ مُرَافِقِهِ فِي
صِنَاعَتِهِ ، وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ ، فَإِنْ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْ رَحَى
بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَرَأَى أَنْ صَاحِبَهُ أَعْقَلَ مِنْهُ ، وَأَحْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ ، وَعَلَى كُلِّ
وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، مِنْ غَيْرِ اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ ، وَلَا
تَرْكِيَةٍ لِنَفْسِهِ ، وَلَا تَكَاثُرٍ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ ، وَحَمْدُ اللَّهِ
وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ ، وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ .
وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ : « مَنْ يَلْزِمِ النَّصِيحَةَ ^(١) يَلْزَمَهُ
الْعَمَلُ » وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِزِّ
وَجَلِّ ؛ فَإِنَّكَ جَعَلْتَهُ آخِرَهُ ، وَتَمَمْتَهُ بِهِ ، تَوَلَّاهُ اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ ،
بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ عَالَمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَدُهُ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(صَبْحُ الْأَعْمَى ١ : ٨٥)



[١] فِي نَسْخَةٍ : « الصَّحَّة » ، وَذَكَرَ الْجَاحِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (٢ : ٤٦) أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ
كَلَامِ الْأَخْنَفِ السَّائِرِ فِي أَيْدِي النَّاسِ .

الصراع بين الأموية والعباسية

٤٧١ - خطبة قحطبة بن شبيب الطائي^(١)

لما دخل أبو مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية مدينة مرو سنة ١٣٠ هـ هرب منها نصر بن سيار - أمير خراسان من قبل مروان بن محمد الأموي - ثم سار إلى نبتة بن حنظلة : عامل جرجان^(٢) ، فوجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب في جيش لقتاله^(٣) ، وقدم قحطبة ، فنزل بإزاء نبتة ، وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلها ، فلما رأهم أهل خراسان هابوهم ، حتى تكلموا بذلك وأظهروه ، وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً ، فقال :

« يا أهل خراسان : هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين ، وكانوا يُنصرون على عدوهم ، لعدوهم وحسن سيرتهم ، حتى بدّلوا وظاموا ، فسخط الله عز وجل عليهم ، فانتزع سلطانهم ، وسلط عليهم أذلّ أمة ، كانت في الأرض عندهم ، فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحو نساءهم ، واسترقّوا أولادهم ، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ، ويوفون بالعهد ، وينصرون المظلوم ، ثم بدّلوا وغيرُوا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البرّ والتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

[١] هو أحد البقاء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ١٠٣ ، أو ١٠٤ ، وكان قدم على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم الامام ، ومعه لواؤه الذي عقده له إبراهيم .

[٢] من قبل يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق . [٣] وكان قحطبة قبل ذلك قد تعباً لقتال تميم ابن نصر بن سيار ثم زحف إليه فاقتلوا قتالا شديداً ، وقتل تميم بن نصر في المعركة ، وقتل معه مقتلة عظيمة واستبيح عسكرهم ، ثم توجه إلى نيسابور ، وكان نصر بن سيار نزل بها ، فبلغه ذلك ، فارتحل هارباً ، وتفرق عن أصحابه ، فسار إلى نبتة بن حنظلة بجرجان ، ونزل في آخر أمره ساوة بين همدان والري ، فمات بها كذا .

فسلّطكم عليهم ، لينتقم منهم بكم ، ليكونوا أشد عقوبةً ، لأنكم طلبتموهم بالنار ، وقد عهد إلى الإمام ^(١) أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة ، فينصرمكم الله عز وجل عليهم ، فتَهْزَمونهم وتقتلونهم .

وقد قرئ على قحطبة كتابُ أبي مسلم : « من أبي مسلم إلى قحطبة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فناهضْ عدوك ، فإن الله عز وجل ناصرٌك ، فإذا ظَهَرْتَ عليهم ، فأُخِزْ في القتل » ، فالتقوا في مستهل ذي الحِجَّة سنة ١٣٠ هـ في يوم الجمعة ، فقال قحطبة :

٤٧٢ - خطبة أخرى له

« يَـأْهُل خراسان : إن هذا يوم قد فضّله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام ، والعمل فيه مضاعفٌ ، وهذا شهر عظيم ، فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تُنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالتقوه بجِدِّ واحتسابٍ ، فإن الله مع الصابرين » ثم ناهضهم فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فانهزم أهل الشام ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقتل نباتة ، وبعث قحطبة برأسه ورأس ابنه حَيَّة إلى أبي مسلم . (تاريخ الطبري ٩ : ١٠٦)

[١] هو إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عاص ، وكان نصر بن سيار حين أظهر أبو مسلم الدعوة العباسية في خراسان وقويت شوكته . كتب إلى مروان يعلمه بحال أبي مسلم ومن معه ، وأن الذي تدعو الدعاة إليه هو إبراهيم الإمام ، فأرسل مروان إلى عامل البلقاء (في أطراف الشام) أن يسير إلى الحيمة (كجھينة) حيث يقيم إبراهيم فيشده وثاقاً ، يحمل إلى مروان فحبسه في حرّان ثم قتله في سجنه ، ولما قبض على إبراهيم الإمام حاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم ، فهدّوا إلى الكوفة ، فأخلى لهم أبو سلمة الحلال داراً بالكوفة ، وكتب أمرهم حتى وصل أبو مسلم بالجنود من خراسان إلى الكوفة ، ودخل على بني العباس ، وسلم على السفاح بالخلافة ، ويومع بها سنة ١٣٢ هـ .

تتمة في خطب الحجاج

٤٧٣ - خطبته بعد قتل ابن الزبير

وصعد الحجاج بعد قتله ابن الزبير متاثماً ، فخطب اللثام عنه ثم قال :
« مَوْجُ لَيْلِ التَّطْمِ ، وَانْجَلَى بَضْوَاءُ صُبْحِهِ ، يَا أَهْلَ الْحِجَازِ ، كَيْفَ رَأَيْتُمُونِي ؟
أَلَمْ أَكْشِفْ ظُلُمَةَ الْجَوْرِ ، وَطُخِيَةَ ^(١) الْبَاطِلِ بِنُورِ الْحَقِّ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ وَطَّئْتُكُمْ الْحِجَاجَ
وِطَاءً مُشْفِقٍ ، وَعَظْفَةً رَحِمٍ ، وَوَصَّلَ قَرَابَةً ، فَأَيُّكُمْ أَنْ تَزِلُّوا عَنْ سَنَنِ أَقْنَانَا كَمْ
عَلَيْهِ ، فَأَقْطَعَ عَنْكُمْ مَا وَصَلْتُهُ لَكُمْ ، بِالصَّارِمِ الْبِتَّارِ ، وَأَقِيمَ مِنْ أَوْدِكُمْ مَا يَقِيمُ
الْمُثَقَّفُ ^(٢) مِنْ أَوْدِ الْقَنَازَةِ بِالنَّارِ » ، ثُمَّ نَزَلَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضًّا وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمْرًا
(مواسم الأدب ٢ : ١٢٣)

انتهى الجزء الثانى ، ويليه : الجزء الثالث ، وأوله : الباب الرابع فى خطب ووصايا
العصر العباسى الأول

[١] الطخية : الظلمة ، ويثلك . [٢] مقوم الرماح والأود : الاعوجاج .
سقط من هامش ص ٢٤ ما يأتى :

جاء فى مقال الحسن بن على رضى الله عنهما للمغيرة بن شعبة ص ٢٤ : « وَإِنْ حَدَّثَ اللَّهُ فِي الزَّانَا لَثَابَتِ
عَلَيْكَ ، وَلَقَدْ دَرَأَ صَرَّ عَمَكَ حَقًّا اللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ » وخبر ذلك أن المغيرة بن شعبة كان عاملاً على البصرة لعمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ، فاتهمه أبو بكر - أخو زياد - هو ورفقه معه بأنه زنى بأُم جليل بنت الأرقم ،
وكتبوا بذلك إلى عمر ، فمزل المغيرة وولى مكانه أبا موسى الأشعرى - وكان ذلك سنة ١٧ هـ - وارتحل
المغيرة وأبو بكر - ومن معه حتى قدموا على صمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، وقد أقسم بين يدي عمر أنه ما أتى
إلا أمر أنه ، وكان الشهود عليه : أبو بكر ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن كلفة ، وزيادا ، فبدأ صمر
بأبي بكر ، فشهد عليه أنه زنى بأُم جليل ، وشهد شبل ونافع بتلك ذلك ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ،
إذ سأله هل تعرف المرأة ؟ قال : لا ، ولكن أشبهها فتعاه ، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد ، وقرأ :
« فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ » فقال المغيرة : اشفنى من الأعباء
فقال : أسكت ، أسكت الله نأمتك ، أما والله لو تمت الشهادة لرجتك بأحجارك .

- اقرأ القصة فى تاريخ الطبرى ٤ : ٢٠٧ - .

فهرس

الجزء الثاني

من جمهرة خطب العرب

الباب الثالث

الخطب والوصايا في العصر الأموي

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطب بني هاشم وشيعتهم وما يتصل بها	١	١
خطب الحسن بن علي رضي الله عنه		
خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه	١	١
تعبئة الجيوش لقتال معاوية	٢	٢
خطبة الحسن بن علي في الحث على الجهاد	٢	٢
مقال عدى بن حاتم	٣	٣
خطبة الحسن وقد جنح إلى مصالحة معاوية	٤	٤
خطبته يبرر مصالحته لمعاوية	٥	٥
« في الصلح بينه وبين معاوية	٦	٥
خطبة له بعد الصلح	٧	٦
« لمعاوية في أهل الكوفة	٨	٧
رد الحسن بن علي على معاوية حين نال منه ومن أبيه	٩	٨
خطبة سليمان بن صرد في استنكار الصلح	١٠	٨

خطبة الحسن يرد على مستنكرى الصالح	١١	١٠
» له في عهد خلافته	١٢	١٠
» أخرى له	١٣	١٢

مخاصمة ومهاجاة

بين الحسن بن عليّ ، وبين عمرو بن العاص ، والوليد
ابن عقبة ، وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ،
بمحاضرة معاوية

مقال عمرو بن العاص	١٤	١٤
» الوليد بن عقبة بن أبي معيط	١٥	١٥
» عتبة بن أبي سفيان	١٦	١٥
» المغيرة بن شعبة	١٧	١٥
رد الحسن بن عليّ عليهم	١٨	١٦

رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن رضي الله عنهما	١٩	٢٥
---	----	----

مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه

تأنيبه عن بيعه يزيد وخروجه إلى مكة

نصيحة محمد بن الحنفية للحسين رضي الله عنهما	٢٠	٢٨
---	----	----

بعثه مسلم بن عقيل إلى الكوفة

خطبة عابس بن أبي شبيب الشاكري	٢١	٢٩
» النعمان بن بشير	٢٢	٣٠
» عبيد الله بن زياد	٢٣	٣٠
» أخرى له	٢٤	٣٢

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

خطبة كثير بن شهاب	٢٥	٣٢
» عبید الله بن زياد	٢٦	٣٣
خروج الحسين رضى الله عنه إلى الكوفة		
نصيحة ابن عباس له	٢٧	٣٤
» أبى بكر بن عبد الرحمن المخزومى له	٢٨	٣٧
خطبة للحسين رضى الله عنه	٢٩	٣٨
» أخرى له	٣٠	٣٨
» » »	٣١	٣٩
» زهير بن القين البجلي	٣٢	٣٩
» للحسين أيضاً	٣٣	٤٠
خطبته ليلة قتله	٣٤	٤١
رد أهل بيته عليه	٣٥	٤٢
» أصحابه	٣٦	٤٢
خطبته غداة يوم قتله	٣٧	٤٣
دعاؤه وقد صبحته الخيل	٣٨	٤٣
خطبته وقد دنا منه القوم	٣٩	٤٤
خطبة أخرى	٤٠	٤٤
» زهير بن القين	٤١	٤٦
» الحر بن يزيد	٤٢	٤٨
طلب التوابين بدم الحسين رضى الله عنه		
خطبة المسيب بن نجبة الفزارى	٤٣	٥٠

الخطبة أو الوصية

رقسم
الصفحة .
الخطبة

خطبة رفاعة بن شداد	٤٤	٥١
» سليمان بن صرد	٤٥	٥٢
» خالد بن سعد بن نفيل	٤٦	٥٣
» سعد بن حذيفة بن اليمان	٤٧	٥٤
» عبد الله بن الحنظل الطائي	٤٨	٥٤
» عبيد الله بن عبد الله المرتضى	٤٩	٥٥
» عبد الله بن يزيد الأنصاري	٥٠	٥٧
» إبراهيم بن محمد بن طلحة	٥١	٥٨
رد المسيب بن نجدة	٥٢	٥٨
رد عبد الله بن وال التيمي	٥٣	٥٩
خطبة سليمان بن صرد	٥٤	٦٠
» صخير بن حذيفة بن هلال	٥٥	٦٠
ما أشار به عبد الله بن سعد	٥٦	٦١
رأى ابن صرد	٥٧	٦١
خطبة عبد الله بن يزيد	٥٨	٦٢
» سليمان بن صرد	٥٩	٦٢
» أخرى له	٦٠	٦٣
» »	٦١	٦٤
» عبد الملك بن مروان	٦٢	٦٥
طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي بدم الحسين		٦٦
رضى الله عنه		
خطبته حين قدم الكوفة	٦٣	٦٦
ما كان يردده على زائريه في سجنه	٦٤	٦٧

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة	٦٥	٦٨
رد السائب بن مالك	٦٦	٦٩
خطبة عبد الرحمن بن شريح	٦٧	٦٩
» أخرى له	٦٨	٧٠
» محمد بن الحنفية	٦٩	٧١
» المختار	٧٠	٧١
» عبد الرحمن بن شريح	٧١	٧٢
» المختار في دار إبراهيم بن الأشتر	٧٢	٧٣
» يزيد بن أنس الأسدي	٧٣	٧٤
» عبد الله بن مطيع	٧٤	٧٤
تحريض ابن الأشتر أصحابه	٧٥	٧٥
خطبة ابن مطيع وهو محصور	٧٦	٧٥
» المختار بعد هرب ابن مطيع	٧٧	٧٦
» » وقد استنصره ابن الحنفية	٧٨	٧٧
» » وقد شيع ابن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد	٧٩	٧٩
خطبته وقد سار إليه مصعب بن الزبير	٨٠	٨٠
خطبة محمد بن الحنفية يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام	٨١	٨١
عبد الله بن عباس ومعاوية	٨٢	٨٣

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

مقال معاوية	٨٣	٨٦
» ابن عباس	٨٤	٨٧

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٨٧	٨٥	مقال معاوية لابن عباس
٨٨	٨٦	» ابن عباس

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٨٩	٨٧	مقال معاوية لبني هاشم
٨٩	٨٨	» ابن عباس

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٩٠	٨٩	مقال معاوية
٩١	٩٠	» ابن عباس
٩١	٩١	عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً
٩٢	٩٢	عبد الله بن عباس وعتبة بن أبي سفيان

مخاصمة بين عبد الله بن عباس وبين معاوية وأصحابه

٩٣	٩٣	جواب ابن عباس
٩٣	٩٤	مقال عمرو بن العاص
٩٣	٩٥	جواب ابن عباس
٩٤	٩٦	مقال مروان بن الحكم
٩٥	٩٧	جواب ابن عباس
٩٦	٩٨	مقال زياد
٩٦	٩٩	جواب ابن عباس
٩٧	١٠٠	مقال عبد الرحمن بن أم الحكم
٩٧	١٠١	جواب ابن عباس

٩٨ ١٠٢ مقال المغيرة بن شعبة

٩٨ ١٠٣ جواب ابن عباس

٩٩ ١٠٤ مقال يزيد بن معاوية

٩٩ ١٠٥ جواب ابن عباس

١٠٠ ١٠٦ مقال معاوية

١٠٠ ١٠٧ جواب ابن عباس

عبد الله بن عباس ، وعمرو بن العاص

١٠١ ١٠٨ مقال ابن عباس

١٠٢ ١٠٩ رد ابن العاص

١٠٣ ١١٠ عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص أيضاً

١٠٤ ١١١ مفاخرة عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس

ابن عباس وابن الزبير في مجلس مروان بن الحكم

١٠٩ ١١٢ مقال ابن الزبير

١١٠ ١١٣ » » عباس

١١٠ ١١٤ خطبة عبد الله بن عباس يرد على ابن الزبير وقد عاب بنى هاشم

١١٣ ١١٥ » ابن الزبير يتنقص ابن عباس

١١٤ ١١٦ رد ابن عباس عليه

١١٧ ١١٧ عبد الله بن جعفر ، وعمرو بن العاص

١١٩ ١١٨ الحسن بن علي ، وعمرو بن العاص

١٢٠ ١١٩ الحسن بن علي ، ومروان بن الحكم

١٢١ ١٢٠ عقيل بن أبي طالب ومعاوية

١٢٤ ١٢١ خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليهم السلام

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

خطبة السيدة زينب بنت عليّ عليهما السلام بين يدي يزيد	١٢٢	١٢٦
رثاء الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام	١٢٣	١٢٩
عبد الله بن هاشم بن عتبة وعمرو بن العاص في مجلس معاوية	١٢٤	١٣٠
عبد الله بن هاشم في مجلس معاوية	١٢٥	١٣٤

قيس بن سعد بن عبادة ومعاوية

مقال معاوية	١٢٦	١٣٥
رد قيس بن سعد	١٢٧	١٣٥
معاوية وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن الكواء	١٢٨	١٣٦
صعصعة بن صوحان ومعاوية	١٢٩	١٣٧
» » » وعبد الله بن عباس	١٣٠	١٣٩
» » » ورجل من بني فزارة	١٣١	١٤٤
رجل من آل صوحان يحبه عبد الملك بن مروان وهو يخطب	١٣٢	١٤٥
وصف عقيل بن أبي طالب لآل صوحان	١٣٣	١٤٦
وصية محمد الباقر لعمر بن عبد العزيز	١٣٤	١٤٧

خطب الزبيريين وما يتصل بها

خطب عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير ومعاوية

مقال ذكوان مولى الحسين	١٣٥	١٤٨
» معاوية	١٣٦	١٤٩
» ابن الزبير	١٣٧	١٥٠
» معاوية	١٣٨	١٥١
عبد الله بن الزبير ومعاوية أيضاً	١٣٩	١٥٤

١٥٥	١٤٠	عبد الله بن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص
١٥٨	١٤١	خطبة ابن الزبير لما قتل الحسين عليه السلام
١٥٩	١٤٢	مناظرة ابن الزبير للخوارج
١٦٣	١٤٣	أبو صخر الهذلي وعبد الله بن الزبير
١٦٥	١٤٤	خطبته وقد قدم عليه أهل العراق
١٦٥	١٤٥	» لما بلغه قتل مصعب
١٦٧	١٤٦	خطبة أخرى له
١٦٨	١٤٧	خطبته وقد بلغه قتل عمر والأشعث
١٦٨	١٤٨	عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر
١٧٠	١٤٩	خطبته يوم قتله
١٧٠	١٥٠	خطبة أخرى
١٧١	١٥١	» مصعب بن الزبير

خطب الأمويين

خطباء البيت الأموي

خطب معاوية

١٧٢	١٥٢	خطبته بالمدينة عام الجماعة
١٧٣	١٥٣	خطبة أخرى له بالمدينة
١٧٣	١٥٤	» له بالمدينة
١٧٤	١٥٥	خطبته حين ولي المغيرة بن شعبة الكوفة
١٧٤	١٥٦	خطبة له في يوم صائف
١٧٥	١٥٧	آخر خطبة له
١٧٥	١٥٨	خطبته وقد حضرته الوفاة

١٧٧ ١٥٩ وصيته لابنه يزيد

خطب يزيد بن معاوية

١٧٨ ١٦٠ خطبته بعد موت معاوية

١٧٩ ١٦١ خطبة أخرى له

١٨٠ ١٦٢ » معاوية بن يزيد

خطب عبد الملك بن مروان

١٨٠ ١٦٣ خطبته بمكة

١٨١ ١٦٤ خطبة له موجزة

١٨١ ١٦٥ خطبته حين قتل عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص

١٨٢ ١٦٦ » لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير

١٨٤ ١٦٧ » عام حجه

١٨٥ ١٦٨ » وقد علم بخروج ابن الأشعث

١٨٥ ١٦٩ وصيته لبعض أمرائه

١٨٦ ١٧٠ » للشعبى

١٨٦ ١٧١ » لأخيه عبد العزيز بن مروان

١٨٧ ١٧٢ » لولده عند وفاته

١٨٨ ١٧٣ خطبة للوليد بن عبد الملك

١٨٨ ١٧٤ » لسليمان بن عبد الملك

خطب عمر بن عبد العزيز

١٨٩ ١٧٥ أولى خطبه

١٨٩ ١٧٦ خطبة أخرى

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

١٩٠	١٧٧	خطبة أخرى
١٩١	١٧٨	» »
١٩٢	١٧٩	» »
١٩٢	١٨٠	» »
١٩٣	١٨١	» »
١٩٣	١٨٢	» له يوم عيد
١٩٤	١٨٣	» أخرى
١٩٤	١٨٤	» »
١٩٥	١٨٥	» »
١٩٥	١٨٦	» »
١٩٥	١٨٧	» »
١٩٦	١٨٨	» »
١٩٦	١٨٩	» »
١٩٧	١٩٠	» »
١٩٧	١٩١	» »
١٩٨	١٩٢	» »
١٩٨	١٩٣	آخر خطبة له
٢٠٠	١٩٤	نص آخر
٢٠٠	١٩٥	كلامه في مرضه الذي مات فيه
٢٠١	١٩٦	مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج
٢٠٥	١٩٧	تأبينه ابنه عبد الملك
٢٠٦	١٩٨	خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد

٢٠٧	١٩٩	وصية يزيد بن معاوية لاسلم بن زياد حين ولاء
		✓ خطب عتبة بن أبي سفيان
٢٠٨	٢٠٠	خطبة له في تهدد أهل مصر
٢٠٨	٢٠١	» » في تقريرهم وتهددهم
٢٠٩	٢٠٢	» » فيهم وقد أرجفوا بموت معاوية
٢١٠	٢٠٣	خطبته فيهم وقد منعوا الخراج
٢١٠	٢٠٤	» فيهم إذ طعنوا على الولاة
٢١١	٢٠٥	» بمكة
٢١٢	٢٠٦	» في علته التي مات فيها
٢١٢	٢٠٧	وصيته لمؤدب ولده
٢١٣	٢٠٨	وصية سعيد بن العاص لبنيه
		✓ خطب عمرو بن سعيد الأشدق
٢١٥	٢٠٩	خطبة له بالمدينة
٢١٦	٢١٠	» بمكة
٢١٧	٢١١	ملاحاة الوليد بن عقبة معه في مجلس معاوية
٢١٨	٢١٢	خطبته حين غلب على دمشق
٢١٩	٢١٣	خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان
٢٢٠	٢١٤	خالد بن عبد الله بن أسيد وعبد الملك بن مروان
٢٢١	٢١٥	نصيحة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان
٢٢١	٢١٦	تأديب معاوية لجلسائه
٢٢٢	٢١٧	كلام معاوية وقد سقطت أنثيته

٢٢٢	٢١٨	تقريع عبد الملك بن مروان لأحد عماله
		طلب معاوية البيعة ليزيد
٢٢٤	٢١٩	خطبة الضحاك بن قيس الفهري
٢٢٥	٢٢٠	» عبد الرحمن بن عثمان الثقفي
٢٢٦	٢٢١	» ثور بن معن السلمي
٢٢٧	٢٢٢	» عبد الله بن عصام الأشعري
٢٢٧	٢٢٣	» عبد الله بن مسعدة الفزاري
٢٢٨	٢٢٤	» عمرو بن سعيد الأشدق
٢٢٩	٢٢٥	» الأحنف بن قيس
٢٢٩	٢٢٦	» الضحاك بن قيس
٢٣٠	٢٢٧	» الأحنف بن قيس
٢٣١	٢٢٨	» عبد الرحمن بن عثمان الثقفي
٢٣١	٢٢٩	» معاوية
٢٣٢	٢٣٠	» يزيد بن المقنع
٢٣٢	٢٣١	» الأحنف
٢٣٣	٢٣٢	» معاوية
٢٣٤	٢٣٣	» عبد الله بن عباس
٢٣٤	٢٣٤	» عبد الله بن جعفر
٢٣٥	٢٣٥	» عبد الله بن الزبير
٢٣٥	٢٣٦	» عبد الله بن عمر
٢٣٦	٢٣٧	» معاوية

خطبة مروان بن الحكم	٢٣٨	٢٣٧
» معاوية	٢٣٩	٢٣٨
مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر	٢٤٠	٢٣٩
خطبة معاوية	٢٤١	٢٤٠
» الحسين	٢٤٢	٢٤٢
» معاوية	٢٤٣	٢٤٤
» عبد الله بن عمر	٢٤٤	٢٤٥
» معاوية	٢٤٥	٢٤٦
» عبد الله بن الزبير	٢٤٦	٢٤٨
» معاوية	٢٤٧	٢٤٩

تهنئة وتعزية

خطبة عبد الله بن همام السلولى	٢٤٨	٢٥٠
» عطاء بن أبي صيفى الثقفى	٢٤٩	٢٥١
» عبد الله بن مازن	٢٥٠	٢٥١
» غيلان بن مسلمة الثقفى	٢٥١	٢٥٢

خطب ولاة الأمويين وقوادهم

خطب زياد بن أبيه

خطبته بفارس وقد كتب إليه معاوية يتهدده	٢٥٢	٢٥٣
» وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبه يستقدمه	٢٥٣	٢٥٤
» وقد استلحقه معاوية	٢٥٤	٢٥٥
» حين ولى البصرة (وهى البتراء)	٢٥٥	٢٥٧
» بالكوفة وقد ضمت إليه	٢٥٦	٢٦١

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

خطبة أخرى له بالكوفة	٢٥٧	٢٦٢
خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة	٢٥٨	٢٦٢
خطبة أخرى له	٢٥٩	٢٦٣
» »	٢٦٠	٢٦٣
وصية لزياد	٢٦١	٢٦٣
ما كان يقوله لمن ولاه عملاً	٢٦٢	٢٦٤
خطبة الضحاك بن قيس الفهري بالكوفة	٢٦٣	٢٦٤
خطبته عند موت معاوية	٢٦٤	٢٦٦
خطبة النعمان بن بشير بالكوفة	٢٦٥	٢٦٦
» عبید الله بن زياد بن أبيه بين يدي معاوية	٢٦٦	٢٦٧
رد معاوية على ابن زياد	٢٦٧	٢٦٩
مقال يزيد بن معاوية	٢٦٨	٢٧١
وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه	٢٦٩	٢٧٢

خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير	٢٧٠	٢٧٣
» حين ولي العراق	٢٧١	٢٧٤
» وقد سمع تكبيراً في السوق	٢٧٢	٢٧٧
» وقد قدم البصرة	٢٧٣	٢٧٨
خطبته بعد وقعة دير الجماجم	٢٧٤	٢٧٩
خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام	٢٧٥	٢٨١
» له بالبصرة	٢٧٦	٢٨٢
» أخرى له بالبصرة	٢٧٧	٢٨٢

٢٨٣ ٢٧٨ خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية

٢٨٤ ٢٧٩ خطبة أخرى

٢٨٤ ٢٨٠ خطبته لما مات عبد الملك بن مروان

٢٨٥ ٢٨١ » حين أراد الحج

٢٨٥ ٢٨٢ » لما أصيب بولده وأخيه محمد في يوم واحد

٢٨٦ ٢٨٣ » وقد أرجف أهل العراق بموته

٢٨٧ ٢٨٤ خطبة له في الوعظ

٢٨٨ ٢٨٥ » أخرى

٢٨٨ ٢٨٦ » »

٢٨٩ ٢٨٧ » »

٢٨٩ ٢٨٨ » »

خطب قتيبة بن مسلم الباهلي

٢٩٠ ٢٨٩ خطبته يحث على الجهاد وقد تهيأ لغزو طخارستان

٢٩١ ٢٩٠ » وقد تهيأ لغزو بلاد السغد

٢٩٢ ٢٩١ » وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة

٢٩٣ ٢٩٢ » حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك

٢٩٥ ٢٩٣ خطبة أخرى

٢٩٦ ٢٩٤ » »

٢٩٦ ٢٩٥ » »

٢٩٧ ٢٩٦ كلمات حكيمة لقتيبة بن مسلم

٢٩٩ ٢٩٧ خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس

٣٠١ ٢٩٨ نص آخر لخطبة طارق

خطبة عثمان بن حيان المرّى	٢٩٩	٣٠٢
وصية يزيد بن الملب لابنه مخلد	٣٠٠	٣٠٤
نصيحة عمر بن هبيرة لبعض بنيّه	٣٠١	٣٠٥
✓ خطب خالد بن عبد الله القسرى		
خطبته بمكة يدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة	٣٠٢	٣٠٦
خطبة أخرى يشيد فيها بفضل الوليد	٣٠٣	٣٠٧
خطبته بمكة في الحجاج	٣٠٤	٣٠٧
» في الحث على مكارم الأخلاق	٣٠٥	٣٠٨
» يوم عيد	٣٠٦	٣٠٨
قوله وقد سقطت جرادة على ثوبه	٣٠٧	٣٠٩
خطبة يوسف بن عمر الثقفى	٣٠٨	٣٠٩

خطب الفتن والأحداث

فتنة المدينة ووقعة الحرة

خطبة عبد الله بن حنظلة الأنصارى	٣٠٩	٣١٠
» مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام	٣١٠	٣١١
» مسلم يحرضهم	٣١١	٣١١
» ابن حنظلة يحرض أصحابه	٣١٢	٣١٢

اضطراب الأمر بعد موت يزيد

خطبة عبيد الله بن زياد بن أبيه	٣١٣	٣١٣
» أخرى له	٣١٤	٣١٤
» عمرو بن حريث	٣١٥	٣١٥
» عمرو بن مسجع	٣١٦	٣١٥

الخطبة أو الوصية

رقم
الخطبة

رقم
الصفحة

خطبة الأحنف بن قيس	٣١٧	٣١٦
» روح بن زنباع الجذامي بالمدينة	٣١٨	٣١٧
خطبته يؤيد مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة	٣١٩	٣١٩
خطبة الغضبان بن القبعثري يحض على قتل الحجاج	٣٢٠	٣٢٠
فتنة ابن الأشعث		
خطبة ابن الأشعث بسجستان	٣٢١	٣٢١
خطبته يعرض على الجند رأى الحجاج	٣٢٢	٣٢٢
خطبة عامر بن وائلة الدكناني	٣٢٣	٣٢٣
» عبد المؤمن بن شدث بن ربيعي	٣٢٤	٣٢٣
» ابن الأشعث بالمربد	٣٢٥	٣٢٤
خطبته حين أراد عبد الملك أن يترضى أهل العراق	٣٢٦	٣٢٤
عامر الشعبي والحجاج	٣٢٧	٣٢٥
أيوب بن القرية والحجاج	٣٢٨	٣٢٦
كلمة لابن القرية	٣٢٩	٣٣٠

فتنة يزيد بن المهلب

خطبة أيوب بن سليمان بن عبد الملك	٣٣٠	٣٣١
» يزيد بين يدي الوليد	٣٣١	٣٣٢
» مخلد بن يزيد بن المهلب بين يدي عمر بن عبد العزيز	٣٣٢	٣٣٢
» يزيد بن المهلب يحرض أصحابه على القتال	٣٣٣	٣٣٣
» أخرى له	٣٣٤	٣٣٤
» » »	٣٣٥	٣٣٥
» الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد بن المهلب	٣٣٦	٣٣٥
» مروان بن المهلب	٣٣٧	٣٣٦

خطب الأحنف بن قيس التيمي

٣٣٧	٣٣٨	الأحنف ومعاوية
٣٣٨	٣٣٩	» » أيضا
٣٣٩	٣٤٠	قوله في مدح الولد
٣٤٠	٣٤١	شفاعته لدى مصعب بن الزبير
٣٤٠	٣٤٢	نصيحته لقومه
٣٤٠	٣٤٣	خطبته في قوم كانوا عنده
٣٤١	٣٤٤	كلمات حكيمة للأحنف
٣٤٣	٣٤٥	صفية بنت هشام المنقرية تؤ بن الأحنف

خطب الوفود

وما ألقى بمحضرة الخلفاء والأمراء والرؤساء

الوافدون على معاوية

٣٤٤	٣٤٦	وفود الأحنف بن قيس والنمر بن قطبة على معاوية
٣٤٥	٣٤٧	وقد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف
٣٤٥	٣٤٨	خطبة زياد
٣٤٦	٣٤٩	» معاوية
٣٤٦	٣٥٠	» الأحنف بن قيس
٣٤٦	٣٥١	وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل النسابة
٣٥٠	٣٥٢	دغفل وجماعة من الأنصار
٣٥٠	٣٥٣	وفد أهل العراق على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان
٣٥٢	٣٥٤	وفود العرب ومعاوية
٣٥٣	٣٥٥	» عبد العزيز بن زرارة على معاوية

٣٥٤	٣٥٦	وفود زيد بن منية على معاوية
٣٥٥	٣٥٧	» ضرار بن حمزة الصدائي على معاوية
		الوافدات على معاوية
٣٥٦	٣٥٨	وفود سودة بنت عمارة على معاوية
٣٥٩	٣٥٩	» أم سنان بنت خيثمة على معاوية
٣٦١	٣٦٠	» بكاره الهلالية على معاوية
٣٦٣	٣٦١	» أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية
٣٦٦	٣٦٢	أم البراء بنت صفوان ومعاوية
٣٦٧	٣٦٣	دارمية الحجونية ومعاوية
٣٦٩	٣٦٤	شداد بن أوس ومعاوية
٣٧٠	٣٦٥	معاوية ورجل من أهل سبأ
٣٧١	٣٦٦	حديث معاوية مع عبد الله بن عبد الحاجر بن عبد المدان
٣٧٢	٣٦٧	حديث الخيار بن أوفى النهدي مع معاوية
٣٧٣	٣٦٨	حديث عرابه بن أوس بن حارثة مع معاوية
٣٧٣	٣٦٩	سعيد بن عثمان بن عفان ومعاوية
٣٧٤	٣٧٠	مصقلة بن هبيرة ومعاوية
٣٧٥	٣٧١	روح بن زنباع ومعاوية
٣٧٦	٣٧٢	مخاصمة أبي الأسود الدؤلي وامراته بين يدي زياد بن أبيه
٣٧٧	٣٧٣	صورة أخرى
٣٨٠	٣٧٤	وفد أهل البصرة إلى عبد الله بن الزير
٣٨١	٣٧٥	كلام خطيب الأزدي بين يدي عبد الملك بن مروان
٣٨١	٣٧٦	سؤال عبد الملك للعجاج وما أجابه به
٣٨٢	٣٧٧	وفود الحجاج بإبراهيم بن محمد بن طاحه على عبد الملك بن مروان

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة	رقم الخطبة	
٣٨٤	٣٧٨	قدوم الحجاج مع أشرف المصرين على عبد الملك
٣٨٦	٣٧٩	وفود مالك بن بشير على الحجاج بقتل الأزارقة
٣٨٦	٣٨٠	« كعب الأشقرى على الحجاج
٣٨٨	٣٨١	سليك بن سلكة والحجاج
٣٨٩	٣٨٢	جامع الحارثي والحجاج
٣٩٠	٣٨٣	ليلي الأخيلية والحجاج
٣٩٥	٣٨٤	الغضبان بن القبعثرى والحجاج
٣٩٧	٣٨٥	ابن القرنة يعدد مساوى المراح
٣٩٨	٣٨٦	يزيد بن مسلم وسليمان بن عبد الملك
٣٩٩	٣٨٧	وفود العراق على سليمان بن عبد الملك
٤٠٠	٣٨٨	كلام أنى حازم لسليمان بن عبد الملك
٤٠١	٣٨٩	أبو حازم وسليمان بن عبد الملك أيضا
٤٠٢	٣٩٠	وفد أهل الحجاز عند عمر بن عبد العزيز
٤٠٢	٣٩١	خالد بن صفوان يعزى عمر بن عبد العزيز ويهنئه
٤٠٣	٣٩٢	خطبة عبد الله بن الأهم
٤٠٥	٣٩٣	مقام محمد بن كعب القرظي بين يدى عمر بن عبد العزيز
٤٠٥	٣٩٤	وفد أهل الحجاز على هشام بن عبد الملك
٤٠٧	٣٩٥	مقام خالد بن صفوان بين يدى هشام
٤٠٩	٣٩٦	خالد بن صفوان يصف جريرا والفرزدق والأخطل
٤١٠	٣٩٧	خالد بن صفوان وبلال بن أبي بردة
٤١١	٣٩٨	خطبة الكميث بن زيد بين يدى هشام يستعطفه
٤١٦	٣٩٩	مخاصمة عدى بن أرطاة لامراته عند شريح القاضي
٤١٦	٤٠٠	كلمة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان
٤١٧	٤٠١	رجل يمدح خالد بن عبد الله القسرى

خطب الخوارج وما يتصل بها	٤١٧	
خطبة حيان بن ظبيان السلمي	٤٠٢	٤١٧
اثمار الخوارج		٤١٩
مقال المستورد بن علفة	٤٠٣	٤١٩
حيان بن ظبيان »	٤٠٤	٤١٩
معاذ بن جوين »	٤٠٥	٤٢٠
خطبة المغيرة بن شعبة	٤٠٦	٤٢٠
صمصعة بن صوحان »	٤٠٧	٤٢١
المستورد بن علفة »	٤٠٨	٤٢٣
معقل بن قيس الرياحي »	٤٠٩	٤٢٤
كلمات حكيمه للمستورد	٤١٠	٤٢٤
اثمار الخوارج ثانية		٤٢٥
خطبة حيان بن ظبيان	٤١١	٤٢٥
معاذ بن جوين »	٤١٢	٤٢٥
رد حيان بن ظبيان	٤١٣	٤٢٦
مقال عتريس بن عرقوب	٤١٤	٤٢٦
رد حيان	٤١٥	٤٢٧
خطبة حيان	٤١٦	٤٢٧
مسلم بن عبيس حين خرج لقتال الأزارقة »	٤١٧	٤٢٨
خطب المهلب بن أبي صفرة		
خطبته في حث جنده على قتال الأزارقة	٤١٨	٤٢٩
خطبة أخرى له في جنده	٤١٩	٤٣٠

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

نص آخر	٤٢٠	٤٣٠
خطبته في جنده وقد استخلف عليهم ابنه المغيرة	٤٢١	٤٣١
خطبة الزبير بن علي في الأزارقة	٤٢٢	٤٣١
« عتاب بن ورقاء ارياحي وقد طال عليه الحصار	٤٢٣	٤٣٣
نصيحة عرهم العدوي لخالد بن عبد الله	٤٢٤	٤٣٤
خطبة قطري بن الفجاءة	٤٢٥	٤٣٥
« عبد ربه الصغير	٤٢٦	٤٣٩
« صالح بن مسرح	٤٢٧	٤٤٠
« أخرى له	٤٢٨	٤٤٢
« »	٤٢٩	٤٤٢
« زائدة بن قدامة	٤٣٠	٤٤٣
« الحجاج بن يوسف	٤٣١	٤٤٣
« أخرى للحجاج	٤٣٢	٤٤٤
« شبيب بن يزيد الشيباني	٤٣٣	٤٤٤
« عتاب بن ورقاء	٤٣٤	٤٤٥
« الحجاج	٤٣٥	٤٤٦
« عبد الله بن يحيى الإباضي	٤٣٦	٤٤٦

خطب أبي حمزة الشاري

خطبته حين دخل المدينة	٤٣٧	٤٤٨
خطبة أخرى له	٤٣٨	٤٤٩
خطبته وقد باغاه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه	٤٣٩	٤٤٩
خطبة أخرى	٤٤٠	٤٥٧
خطبته في سب أهل المدينة وتقريرهم	٤٤١	٤٥٩

خطبة أخرى	٤٤٢	٤٦١
خطبته حين خرج من المدينة	٤٤٣	٤٦٢
عمران بن حطان والحجاج	٤٤٤	٤٦٣

الخطب الوعظية والوصايا

خطبة سحبان بن زفر الوائلي	٤٤٥	٤٦٣
» معاوية	٤٤٦	٤٦٤
» عبد الملك بن مروان	٤٤٧	٤٦٤
» لعمر بن عبد العزيز	٤٤٨	٤٦٥

كلام الحسن البصري

خطبة له	٤٤٩	٤٦٥
» أخرى	٤٥٠	٤٦٨
» »	٤٥١	٤٦٨
» »	٤٥٢	٤٦٩
» »	٤٥٣	٤٦٩
» »	٤٥٤	٤٧٠
» »	٤٥٥	٤٧٠
» »	٤٥٦	٤٧١
مقام الحسن البصري عند عمر بن هبيرة	٤٥٧	٤٧١
مقام الحسن البصري عند النضر بن عمرو	٤٥٨	٤٧٢
مقام آخر له عند النضر	٤٥٩	٤٧٤
مقال الحسن حين رأى دار الحجاج التي بناها بواسط	٤٦٠	٤٧٥
صفة الامام العادل	٤٦١	٤٧٦
موعظته لعمر بن عبد العزيز	٤٦٢	٤٧٨

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

٤٧٩	٤٦٣	موعظة لعمر بن عبد العزيز أيضاً
٤٨٠	٤٦٤	كلمات حكيمة للحسن المصرى
٤٨٢	٤٦٥	خطبة واصل بن عطاء
٤٨٤	٤٦٦	وصية عبد الملك بن مروان لبني أمية
٤٨٥	٤٦٧	» عبد الله بن شداد لابنه
٤٨٨	٤٦٨	» أسماء بن خارجة لابنته
٤٨٩	٤٦٩	رجل ينصح لهشام بن عبد الملك
٤٨٩	٤٧٠	وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكتاب

الصراع بين الأموية والعباسية

٤٩٥	٤٧١	خطبة قطبة بن شبيب الطائى
٤٩٦	٤٧٢	» أخرى له

تتمة فى خطب الحجاج

٤٩٧	٤٧٣	خطبته بعد قتل ابن الزبير
-----	-----	--------------------------



فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

أيوب بن القرية ٣٢٦ - ٣٣٠ - ٣٩٧	- ١ -
- ب -	إبراهيم بن الأشتر ص ٧٥
بكاره الهلالية ٣٦١	إبراهيم بن محمد بن طلحة ٥٨ - ٣٨٢
بلال بن أنى برده ٤٠٠	أبو الأسود الدؤلى ٣٧٦
- ث -	أبو بكر الهذلى ٣٨٥
ثور بن معن السلمى ٢٢٦	أبو حازم الأعرح ٤٠٠ - ٤٠١
- ج -	أبو حاضر الأسيدى ٣٨٠
جامع الحاربى ٣٨٩	أبو حمزة الشارى ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ -
- ح -	٤٥٧ - ٤٥٩ - ٤٦١ - ٤٦٢
الحجاج بن يوسف الثقفى ٢٧٣ - ٢٧٤ -	أبو صخر الهذلى ١٦٣
٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٨٢ -	الأحنف بن قيس ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٣١٦ -
٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ -	٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ -
٢٨٨ - ٢٨٩ - ٣٨٥ - ٤٤٣ - ٤٤٤ -	٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٨٥ -
٤٤٦ - ٤٩٧	أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ٣٦٣
الحرب بن يزيد ٤٨	أسماء بن خارجة ٤٨٨
الحسن البصرى ٣٣٥ - ٤٦٥ - ٤٦٨ -	أم البراء بنت صفوان ٣٦٦
٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٤ -	أم سنان بنت خيثمة ٣٥٩
٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ -	السيدة أم كلثوم بنت على رضى الله عنها ١٢٤
	أيوب بن سليمان بن عبد الملك ٣٣١

روح بن زنباع ٣١٧ - ٣١٩ - ٣٧٥

— ز —

زائدة بن قدامة ٤٤٣

الزبير بن علي ٤٣١

زهير بن القين البجلي ٣٩ - ٤٦

زياد بن أبيه ٩٦ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥

٢٥٧ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٣٤٥

زيد بن منية ٣٥٤

السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها ١٢٦

— س —

السائب بن مالك ٦٩

سحبان بن زفر ٤٦٣

سعد بن حذيفة بن اليمان ٥٤

سعيد بن العاص ٢١٣

سعيد بن عثمان بن عفان ٣٧٣

سليك بن السلكة ٣٨٨

سليمان بن صرد ٨ - ٥٢ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢

٦٣ - ٦٤

سليمان بن عبد الملك ١٨٨

سودة بنت عمارة ٣٥٦

— ش —

شبيب بن يزيد الشيباني ٤٤٤

شداد بن أوس الطائي ٣٦٩

الحسن بن علي رضي الله عنه ١ - ٢ -

٤ - ٥ - ٦ - ٨ - ١٠ - ١٢ - ١٦ -

١١٩ - ١٢٠

الحسين بن علي رضي الله عنه ٣٨ - ٣٩ -

٤٠ - ٤١ - ٤٣ - ٤٤ - ١٢٩ - ٢٤٢

حيان بن ظبيان ٤١٧ - ٤١٩ - ٤٢٥ -

٤٢٦ - ٤٢٧

— خ —

خالد بن سعد بن نفيل ٥٣

خالد بن صفوان ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٤٠٢ -

٤٠٧ - ٤٠٩ - ٤١٠

خالد بن عبد الله بن أسيد ٢٢٠

خالد بن عبد الله القسري ٣٠٦ - ٣٠٧ -

٣٠٨ - ٣٠٩

خالد بن يزيد ٢١٩

الخيار بن أوفى النهدي ٣٧٢

— د —

دارمية الحجونية ٣٦٧

دغفل بن حنظلة ٣٤٦ - ٣٥٠ -

— ذ —

ذكوان ١٤٨

— ر —

رفاعة بن شداد ٥١

شريح القاضي ٤١٦

- ص -

صالح بن مسرح ٤٤٠ - ٤٤٢

صخير بن حذيفة بن هلال ٦٠

صمصمة بن صوحان ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٩ -

١٤٤ - ٣٥٠ - ٤٢١

صفية بنت هشام المنقرية ٣٤٣

- ض -

الضحاك بن قيس ٢٢٤ - ٢٢٩ - ٢٦٤ - ٢٦٦

ضرار بن حمزة الصدائي ٣٥٥

- ط -

طارق بن زياد ٢٩٩ - ٣٠١

- ع -

عابس بن أبي شبيب ٢٩

عامر الشعبي ٣٢٥

عامر بن وائلة الكنانى ٣٢٣

عبد الحميد بن يحيى ٤٨٩

عبد ربه الصغير ٤٣٩

عبد الرحمن بن أبي بكر ٢٣٩

عبد الرحمن بن أم الحكم ٩٧

عبد الرحمن بن شريح ٦٩ - ٧٠ - ٧٢

عبد الرحمن بن عثمان ٢٢٥ - ٢٣١

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٣٢١ -

٣٢٢ - ٣٢٤

عبد العزيز بن زرارة ٣٥٣

عبد العزيز بن مروان ٣١٨

عبد الله بن الأهم ٤٠٣

عبد الله بن جعفر ١١٧ - ٢٣٤

عبد الله بن الحنظل ٥٤

عبد الله بن حنظلة الأنصارى ٣١٠ - ٣١٢

عبد الله بن الزبير ١٠٤ - ١٠٩ - ١١٣ -

١٥٠ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٨ - ١٥٩ -

١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٠ -

٢٣٥ - ٢٤٨

عبد الله بن سعد ٦١

عبد الله بن شداد ٤٨٥

عبد الله بن عباس ٣٤ - ٨٣ - ٨٧ - ٨٨ -

٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٦ -

٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ -

١٠٤ - ١١٠ - ١١٤ - ٢٣٤

عبد الله بن عبد الحاجر ٣٧١

عبد الله بن عصام ٢٢٧

عبد الله بن عمر ٢٣٥ - ٢٤٥

عبد الله بن الكواء ١٣٦

عبد الله بن مازن ٢٥١

عبد الله بن مسعدة ٢٢٧

عقيل بن أبي طالب ١٢١
 عمر بن عبد الرحمن ٣٧
 عمر بن عبد العزيز ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ -
 ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ -
 ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٦٥
 عمر بن هبيرة ٣٠٥
 عمرو بن حريث ٣١٥
 عمرو بن سعيد الأشدق
 ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢٢٨
 عمرو بن العاص ١٤ - ٩٣ - ١٠٢ -
 ١٠٣ - ١٣٠ - ١٥٥
 عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ٢٢١ - ٤١٦
 عمرو بن مسمع ٤١٥
 عمران بن حطان ٤٦٣

— غ —

الغضبان بن القبعثري ٣٢٠ - ٣٩٥
 غيلان بن مسامة الثقفي ٢٥٢

— ق —

قتيبة بن مسلم ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ -
 ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧
 قطبة بن شبيب الطائي ٤٩٥ - ٤٩٦
 قطري بن الفجاءة ٤٣٥
 قيس بن سعد بن عبادة ١٣٥

عبد الله بن مطيع ٦٨ - ٧٤ - ٧٥
 عبد الله بن هاشم ١٣٠ - ١٣٤
 عبد الله بن همام السلولي ٢٥٠
 عبد الله بن وال التيمي ٥٩
 عبد الله بن يحيى الاباضي ٤٤٦
 عبد الله بن يزيد الأنصاري ٥٧ - ٦٢
 عبد المؤمن بن شبت بن رهي ٣٢٣
 عبد الملك بن مروان ٦٥ - ١٨٠ - ١٨١ -
 ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ -
 ٢٢٢ - ٤٦٤ - ٤٨٤
 عبيد الله بن زياد بن أبيه ٣١ - ٣٢ -
 ٣٣ - ٢٦٧ - ٣١٣ - ٣١٤
 عبيد الله بن عبد الله المرسي ٥٥
 عتاب بن ورفاء الرياحي ٤٣٣ - ٤٤٥
 عتبة بن أبي سفيان ١٥ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -
 ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢
 عتريس بن عرقوب ٤٢٦
 عثمان بن حيان المرسي ٣٠٢
 العجاج بن روبة ٣٨١
 عدى بن حاتم ٣
 عرابة بن أوس بن حارثة ٣٧٣
 عرهم العدوي ٤٣٤
 عطاء بن أبي صيفي ٢٥١

- ك -

- كثير بن شهاب ٣٢
كعب بن معدان الأشقرى ٣٨٦
الكيت بن زيد الأسدى ٤١١

- ل -

- ليلي الأخيلية ٣٩٠

- م -

- مالك بن بشير ٣٨٦
محمد بن أبي الجهم العدوى ٤٠٥
محمد الباقر ١٤٧
محمد بن الحنفية ٢٥ - ٢٨ - ٧١ - ٨١
محمد بن عمير بن عطار ٣٨٤
محمد بن كعب القرظى ٤٠٥
المختار بن أبي عبيد الثقفى ٦٦ - ٦٧ -
٧١ - ٧٣ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠
مخلد بن يزيد بن المهلب ٣٣٢
مروان بن الحكم ٩٤ - ٢٣٧ - ٢٣٩
مروان بن المهلب ٣٣٦
المستورد بن علفة ٤١٩ - ٤٢٣
مسلم بن عبيس ٤٢٨
مسلم بن عقبة ٣١١
المسيب بن نجبة ٥٠ - ٥٨
مصعب بن الزبير ١٧١

مصقلة بن هبيرة ٣٧٤

- معاذ بن جوين ٤٢٠ - ٤٢٥
معاوية بن أبي سفيان ٧ - ٨٦ - ٨٧ -
٨٩ - ٩٠ - ١٠٠ - ١٣٥ - ١٤٩ -
١٥١ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٧٢ - ١٧٣ -
١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٧ - ٢٢١ - ٢٢٢ -
٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٤٠ -
٢٤٤ - ٢٤٦ - ٢٤٩ - ٢٦٩ - ٣٤٦ -
٣٥٢ - ٤٦٤
معاوية بن يزيد ١٨٠
معقل بن قيس ٤٢٤
المغيرة بن شعبة ١٥ - ٩٨ - ٤٢٠
المهلب بن أنى صفرة ٢٧٢ - ٤٢٩ -
٤٣٠ - ٤٣١

- ن -

- النعمان بن بشير ٣٠ - ٢٦٦

- و -

- واصل بن عطاء ٤٨٢
الوليد بن عبد الملك ١٨٨
الوليد بن عقبة ١٥ - ٢١٧

- ي -

- يزيد بن أبي مسلم ٣٩٨
يزيد بن أنس الأسدى ٧٤

٣٣٥ - ٣٣٤	يزيد بن معاوية ٩٩ - ١٧٨ - ١٧٩ -
يزيد بن الوليد ٢٠٦	٢٧١ - ٢٠٧
يوسف بن عمر الثقفي ٣٠٩	يزيد بن المقنع ٢٣٢
تم فهرس أعلام الخطباء	يزيد بن المهلب ٣٠٤ - ٣٣٢ - ٣٣٣ -



جوهر خزان العرب

في عصور العرب في الزاهرة

لجنة الثالث

العصر العباسي الأول

ويليه ذيل الجمهرة

تأليف

أحمد زكي صفوت

أستاذ اللغة العربية بدار العلوم

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

شركة مطبعة مطبوعات البان للكتاب والادب

١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م / رقم ٤٩٤

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وفقنتي إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء والنهاية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب العصر العباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ، ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربية .

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

» الثالث : في نثر الأعراب .

» الرابع : في خطب النكاح .

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أبتهل إلى المولى القدير

أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسدد خطانا جميعا إلى سبيل

أحمد زكي صفوت

الرشاد ، إنه الكبير المتعال

ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ

مايس سنة ١٩٣٤ م

حرر بالقاهرة في

فهرس

مأخذ الخطب فى هذا الجزء

الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى

الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : « التاسع

صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : « الأول - التاسع

نهاية الأرب : اشهاب الدين النويرى : « السادس

عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى

الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول

العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث

زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث

البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث

شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى

أمالى السيد المرتضى : « الأول - الرابع

مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الأول

تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « التاسع - العاشر

تاريخ الكامل : لابن الأثير : « السادس

مروج الذهب : للمسعودى : « الثانى

وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيتي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى

~~~~~



## الباب الرابع

# الخطبة الأولى بوصلينا

في

## العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بويع بالخلافة  
( توفي سنة ١٣٦ هـ )

صعد أبو العباس<sup>(١)</sup> السفّاح المنبر حين بويع له بالخلافة ، فقام في أعلاه ،  
وصعد عمه داود بن عليّ فقام دونه ، وتكلم أبو العباس ، فقال :  
« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعَظَمَهُ ، واختاره  
لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ<sup>(٢)</sup> وَحِصْنَهُ ، والقُوَّام به ، والذابّين عنه ،  
والناصرين له ، وألزمنا كلمة التَّقْوَى ، وجعلنا أحقّ بها وأهلها ، وخصنا

---

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بويع بالخلافة  
سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر والملحأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آبَائِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ نَبْعَتِهِ <sup>(١)</sup> ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزاً عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا <sup>(٢)</sup> ، حَرِيصاً عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفاً رَحِيماً ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَاباً يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ <sup>(٣)</sup> أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ <sup>(٤)</sup> اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَإِنَّهُ مِنَ الْقُرْبَى وَلِذَلِكَ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذَلِكَ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » فَأَعَامَهُمْ جُلُ ثَنَاوِهِ فَضَّلْنَا ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حَقَّقْنَا وَمَوَدَّتْنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ الْفَيْ <sup>(٥)</sup> وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبَنَا ، تَكْرِماً لَنَا ، وَفَضْلاً عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبْيِيَّةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيَّرْنَا <sup>(٦)</sup> أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتِ <sup>(٧)</sup> وَجُوهُهُمْ اِجْمَ وَلَمْ أَهْيَا النَّاسَ ؟ وَبَنَّا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهَالَتِهِمْ ، وَأَنْقَذَهُمْ بَعْدَ هَلَكَتِهِمْ ، وَأَظْهَرَ بَنِي الْحَقِّ ، وَأَذْهَضَ بَنِي الْبَاطِلِ ، وَأَصْلَحَ بَنِي مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِداً ، وَرَفَعَ بَنِي الْخَسِيسَةِ ، وَأَتَمَّ بَنِي النَّقِيسَةِ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاطُفٍ وَبِرٍّ ، وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَفَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنَّةً وَمِنْحَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى

[١] النِّبْعُ فِي الْأَصْلِ : شَجَرٌ لِلْفَسَى وَالسَّامِ . [٢] الْعَمْتُ بِالْتَحْرِيكِ : دَخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْإِنْسَانِ .

[٣] الرِّجْسُ ، وَكُلُّ مَا اسْتَقْفِرُ مِنَ الْعَمَلِ . [٤] مَا أَطَاعَهُ عَلَيْهِ أَيْ صِيَرَهُ لَهُ .

[٥] الْغَنِيمَةُ . [٦] يُرِيدُ الْمُلُوكِينَ . [٧] شَاءَ وَجْهَهُ شَوْهَا بِالْفَتْحِ : قَبِجَ .

يَبْنِيهِمْ ، فُخُوا مَوَارِيثَ الْأُمَمِ ، فَعْدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوا مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْهَا أَهْلَهَا ،  
وَخَرَجُوا خَمَاصًا <sup>(١)</sup> مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْوَانُ فَابْتَزُّوْهَا وَتَدَاوَلُوهَا بَيْنَهُمْ ،  
فَجَارُوا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلَى <sup>(٢)</sup> اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ <sup>(٣)</sup> ،  
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا  
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَتَحَ بَنَا ،  
وَإِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَنَا كَمُ الْخَيْرِ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ  
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، أَنْتُمْ مَحَلٌّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلُ مَوَدَّتِنَا . أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْتَبِهُوا عَنْ  
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْقُصِكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَايِكُمْ . حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَنَا كَمُ  
اللَّهِ بِدَوْلَتِنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَهُهُمْ عَايِنَا ، وَفَدَّ زِدْتِكُمْ فِي أَعْطَايَاكُمْ  
مِائَةَ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَإِنَّا السَّفَاحُ الْمُبِيحُ ، وَالنَّائِرُ الْمُبِيرُ <sup>(٤)</sup> ،  
وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعَكُ <sup>(٥)</sup> ، فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ . وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،  
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَّاقٍ <sup>(٦)</sup> الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ :

( تَارِيخُ الطُّبَرِيِّ ٩ : ١٢٥ . وَشَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ : ص ٢١٣ )

## ٢ — خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُونَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِرَائِنَا  
مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعَتْ <sup>(٧)</sup> حَنَادِسُ الدُّنْيَا ،

[١] حَيَاةُ جَمْعٍ حَمِيمٍ مِنْ حَمْسِ الطَّنِّ مِثْلَةُ الْمِمْ أَيْ خَلَا ، وَانْخَمَصَتْ : انْخَمَصَتْ : الْحَاجَةُ ، وَهُوَ جَمْعُ جَمْعٍ بِالْصَمِّ ،  
وَحَمِيمٍ الْمَشَا ضَامِرِ الْبَطْنِ . [٢] أَمَلَهُمْ . [٣] أَعْصَوْهُ . [٤] أَنَارَهُ : أَهْلَكَهُ .  
[٥] الْوَعَكُ : أَدَّى الْجَمَى وَوَجَعَهَا ، وَالْمِنْ مِنْ شِدَّةِ الْعَبَثِ . [٦] جَمْعُ مِرْفَاقَةٍ فَتَتَجَمَّعُ الْمِمْ وَكَمَرُهَا .  
[٧] أَقْشَعَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَأَمْشَعَهُ وَأَقْشَعَتْ وَاقْشَعَتْ وَاقْشَعَتْ ، وَالْحَنَادِسُ جَمْعُ حَنْدَسٍ يَكْسِرُ الْحَاءَ  
وَالدَّالَ ، وَهُوَ الظَّلْمَةُ .

وانكشف غطاؤها ، وأشرق أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ،  
وَبَزَغَ القمر من مَبْزَغِهِ ، وأخذ القوسَ بَاريها ، وعاد السهم إلى النَّزْعَةِ <sup>(١)</sup> . ورجع  
الحق إلى نِصابه <sup>(٢)</sup> ، في أهل بيت نبيكم ، أهلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بكم والمطفِ عليكم .  
أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لِنُكَثِرَ لُجَيْنًا ، ولا  
عِيقِيَانًا <sup>(٣)</sup> ، ولا نَحْفِرَ نَهْرًا ، ولا نَبْنِي قَصْرًا ، وإنما أَخْرَجْنَا الْأَنْفَقَ من ابْتِزَازِهِم  
حَقًّا ، والغضبُ لبني عَمْنَا ، وما كَرِهْنَا <sup>(٤)</sup> من أُمُورِكُمْ ، وَبَهَظْنَا من شَتُونِكُمْ ،  
ولقد كَانَتْ أُمُورُكُمْ تُرْمِضُنَا <sup>(٥)</sup> ونحن على فُرُشِنَا ، ويشد علينا سوء سيرة بني أُمِيَّة  
فيكم ، وَخُرْقُهُمْ بكم ، واستذلَّاهُمْ لَكُمْ ، واستتَارَهُمْ بفيثِكُمْ وصدقاتِكُمْ وَمَغَانِمِكُمْ  
عليكم ، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِمَّةُ الْعَبَّاسِ  
رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ نَحْكُمَ فِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَنَعْمَلَ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَنَسِيرَ فِي الْعَامَّةِ مِنْكُمْ  
وَالْخَاصَّةِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَبًّا تَبًّا لبني حرب بن أُمِيَّة وَبني  
مِرْوَانَ ، آثَرُوا فِي مَدَنِهِمْ وَعَصَرَهُمُ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ ، وَالِدَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الدَّارِ  
الْبَاقِيَةِ ، فَرَكِبُوا الْآثَامَ ، وَظَلَمُوا الْأَنَامَ ، وَانْتَهَكُوا الْمَحَارِمَ ، وَغَشُّوا الْجَرَائِمَ ،  
وَجَارُوا فِي سِيرَتِهِمْ فِي الْعِبَادِ ، وَسُتَّتِهِمْ فِي الْبِلَادِ ، الَّتِي بِهَا اسْتَلْذَوْا تَسَرُّبُلَ الْأَوْزَارِ ،  
وَتَجَلَّبَّبُ الْآصَارِ <sup>(٦)</sup> ، وَمَرَحُوا فِي أَعْيَةِ الْمَعَاصِي ، وَرَكَضُوا فِي مِيَادِينِ النَّعْيِ ،  
جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ ، وَأَمْنًا لِمَكْرِ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمْ بِأَسُّ اللَّهِ بَيَاكَةً وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحُوا  
أَحَادِيثَ ، وَمُزَقَّوَا كُلِّ مُمَزَّقٍ ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدَالْنَا <sup>(٧)</sup> اللَّهُ مِنْ مِرْوَانَ ،

[١] جمع نازع وهو الرامي شد الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى النزعة أي قام بإصلاحه  
أهل الأنفة ، وعاد السهم إلى النزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذمياً .  
[٤] كرهه الغم كضرب وضر : اشتد عليه كأكبره . [٥] أرميه : أوجسه وأحرقه ،  
أرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأذاهم . [٦] جمع لاصركم وهو الذنب . [٧] نصرنا عليه .

وقد غرّه بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عنانه ، حتى عثر في فضل خطامه ،  
فظن عدو الله أن لن نقدر عليه ، فنادى حزبه ، وجع مكايده ، ورمى بكتائبه ،  
فوجد أمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه وتقمته ، ما ألمات  
باطله ، وتحق ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، ورد إلينا  
حقنا وإرثنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر  
بعد الصلاة ، أنه كره <sup>(١)</sup> أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام  
الكلام ، بعد أن أسخن <sup>(٢)</sup> فيه شدة الوعك ، وادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،  
فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان . المنع للسفلة الذين  
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسامين ،  
الشاب <sup>(٣)</sup> المتكهل المنمهل ، المقتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا  
الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ، وناهج التقوى « - فمع الناس له بالدعاء -  
ثم قال :

« ي أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مهجورين على حقنا ، حتى أتاح  
الله لنا شيعةتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج <sup>(٤)</sup> بهم حجتنا ، وأظهر  
بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم  
الخليفة من هاشم ويص به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم  
السلطان وعز الإسلام ، ومن عليكم بإمام منحة العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة <sup>(٥)</sup> ،

[١] أي لأنه كره . [٢] اسجهر الخياط : اتسع في كلامه . [٣] كاتب اسمه حين ولى  
الخلافة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل الملك رعيته إيالا : سامهم ،  
• وآل على القوم إيالا وإيالة : ولى .

نخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخَدَعُوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ماصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

( تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ )

### ٣ — خطبة داود بن علي وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف . فاستحيا فلم يتكلم، فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر، فقال المنصور : فقامت في نفسي : شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه ، فلا يختلف عليه اثنان ، فانتضيت سيفي . وغطيته بنوبي<sup>(١)</sup> ، وقلت : إن فعل ناجزته ، فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن ينفدم هوأه فعله ، ولأثرُ الفِعال أجدي عليكم من تشقيق<sup>(٢)</sup> المقال ، وحسبكم بكتاب الله مُتمثلاً<sup>(٣)</sup> فيكم ، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم ، والله - قسماً برّاً لا أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من علي بن أبي طالب ، وأمير المؤمنين هذا ، فليظن ظانكم ، وليهمس هامسكم » قال أبو جعفر : ثم نزل ، وَشَمْتُ<sup>(٤)</sup> سيفي .

(عيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواهب الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار : « وعظيت ثوبي » وهو تحريف . [٢] شق الكلام : أخرجه أحسن مخرج .  
[٣] إمتثال طريقته : تبعها فلم يعدها . [٤] شام سيفه يشبهه : غمده ( واستله أيضاً : ضد ) .

## ٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أفضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مفترط - فأرتج عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلده الله سياسة رعيته ، عُقل من لسانه ، عند ما يُعهد من بيانه ، ولكل مرتقٍ بهر<sup>(١)</sup> ، حتى تنفسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورعد عيسكم » . ( أمالي السيد المرتضى : ١٦ )

## ٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعِدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأعملن الذين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأُغمدن السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأعطيتكم حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة<sup>(٢)</sup> الملعونة في القرآن ، كانوا لكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها ، ولا يلي عليكم منهم والٍ إلا تمنيتهم من كان قبله ، وإن كان لا خير في جميعهم ، منعوكم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المقبل بالمدبر<sup>(٣)</sup> ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد محق الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبيكم ، فما تؤخر لكم عطاء ، ولا

[١] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الرقوم التي تنب في أصل الحميم ، جعلها

الله فسة للمشركين إذ قالوا : إن الدار تحرق الشجر فكيف تنبت .

[٣] انظر قول زياد بن أبيه في خطبة البراء الجزء الثاني ص ٢٥٧ .

نضيق لأحد منكم حقاً ، ولا تُجْمَرُكم في بَعث ، ولا نَخْطِرُ بكم في قتال ، ولا نَبْذُلُكم دون أنفسنا ، وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»

ثم نزل . ( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣ )

## ٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال :  
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ،  
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » نكصَ بكم ي أهل الشام آلُ حرب وآل مروان ،  
يتسكعون<sup>(١)</sup> بكم الظلم ، ويتهورون بكم مَدَاحِصَ<sup>(٢)</sup> الزَّلَاقِ ، يَطَّشُونَ بكم حَرَمَ  
الله<sup>(٣)</sup> وَحَرَمَ رسوله<sup>(٤)</sup> ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا  
فَأَتَيْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ  
لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد ائتنف<sup>(٥)</sup> بكم التوبة ، واغفر لكم الزَّلة ،  
وَبَسَطَ لَكُمْ الْإِقَالَةَ<sup>(٦)</sup> ، وعاد بفضله على نقصكم ، وبحمه على جهلكم ، فليُفْرِخْ  
رُوعُكُمْ<sup>(٧)</sup> ، ولتطمئن به داركم ، وليُقْطَعَ مَصَارِعُ أَوَائِلِكُمْ ، « فَتِلْكَ يُؤْثِرُهُمْ  
خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » ( العقد الفريد ٢ : ١٤٥ )

## ٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان ، فقال :

[١] تسكع : مشى مشياً متعسفا . [٢] جمع مدحضة : وهي المرة . [٣] يشير إلى ما كان من  
مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان .  
[٤] يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة المري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .  
[٥] استأنهه وابتدأ . [٦] أماله عثرته : رفعه من سقوطه . [٧] الروع بالصم القلب ، أو  
موضع الفزع منه ، والروع بالفتح : الفزع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرج منها ، أى ليخرج الروع  
عن روعكم ولتهدهوا وتطمئنوا .

« الحمد لله الذي لا يفوته من طلب ، ولا يُعجزه من هرب ، خدعت والله الأشقر نفسه ، إذ ظن أن الله مُمهله ، ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كرهتهم العيدان <sup>(١)</sup> التي اقترعوها ، وأمسكت السماء دررها <sup>(٢)</sup> ، والأرض ريعها <sup>(٣)</sup> ، وقحل الضرع <sup>(٤)</sup> ، وجفز الفنيق <sup>(٥)</sup> ، وأسمل <sup>(٦)</sup> جلباب الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ، وكان ربك بالمرصاد ، قد مدم <sup>(٧)</sup> عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها ، وملكنا الله أمركم عباد الله ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ، فإنه من دواعي الزيد ، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء ، وبغئات الفتن ، فإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

## ٨ خطبة داود بن علي بمكة <sup>(٨)</sup>

وخطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال : « شكراً شكرياً ، إنا والله ما خرجنا لنحف فيكم نهراً ، ولا لنبتى فيكم قصراً ، أظن عدو الله أن لن نقدر عليه ، أن رُوخِي <sup>(٩)</sup> له من خطامه ، حتى عثر في فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس باريها ، وعادت النبل إلى النزعة ، ورجع الملك في نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كنا نتوَّجِع لـكم ونحن

[١] أي أعواد المنابر ، واقترعوها : أي علوها . [٢] مطرها . [٣] الريح : النماء والريادة . [٤] قحل : يبس جلده على عظمه . [٥] الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، والجهر : كشمس السرعة في المشي ، ولم تذكر كتب الأمانة صطط فعله ، وحاء في اللسان : « الحفز : سرعة المشي يمانية ، حكاه ابن دريد ، قال : ولا أدري ما صحتها » ، وفي رواية مواسم الأدب : « وحمل فنيق الشرك » . [٦] أسمل الثوب وسمل ، كدخل وكرم : أخلق . [٧] دمدم القوم ، ودمدم عليهم : طعنهم وأهلكهم ، فسواها : أي الدمة ، أي عنهم بها فلم يفلت منهم أحد . [٨] ولاء أبو العباس السكينة وسوادها ، ثم ولاء المدينة ومكة واليمن واليامة سنة ١٣٢ وولاء إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١٤٧) . [٩] أي لأن رُوخِي له ، ظن أن لن نقدر عليه .

فِي فُرُشِنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدَ وَالْأَحْمَرَ<sup>(١)</sup>، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَنْهَيجُ مِنْكُمْ أَحَدًا . ( تهذيب الكامل ١ : ١٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : حَتَّامٌ يَهْتَفُ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ<sup>(٢)</sup> ؟ أَمَا آَنَ لِرِاقِدِكُمْ أَنْ يَهُبَّ مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ<sup>(٣)</sup> عَنِ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَغَرَّكُمْ الْإِهْمَالُ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَاهُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كَفَى ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ<sup>(٤)</sup> ! حَتَّى يُدِيدَ قَبِيلَةً فَقَبِيلَةً وَيَعَضَّ كُلُّ مُثَقَّفٍ بِالْهَامِ<sup>(٥)</sup> وَيُقَمِّنَ رَبَّاتِ الْخُدُورِ حَرَّاسِرًا يَمَسَحْنَ عُرُضَ ذَوَائِبِ الْإِيْتَامِ<sup>(٦)</sup> ( العقد الفريد ٢ : ١٤٦ )

## ١٠ - خطبة أخرى له<sup>(٧)</sup>

وخطب فقال : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، اتَعَظَ أَمْرُو بَغِيرِهِ ، اعْتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ » ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ

[١] الجراء : المعجم لأن الدال على ألوانهم البياض والخرقة .

[٢] الصريح : المستعيت ( والمعيت أيضا ) . [٣] غلب . [٤] شهر سيفه كجع ، وشهره بالقشيد : انتصاه فوقعه على الناس . [٥] تنقف الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويقمن : أى الرماح ، والصمير يعود على ( كل مثقف ) . [٧] هذه الخطبة أوردتها ابن قتيبة ، وعزاها إلى داود بن علي ، وسبها صاحب المقد إلى المصور ، وأنه قالها لما قتل الأيوبيين ( راجع القدرج ٢ : ص ١٤٥ ) .

ونصها كما أوردتها : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، اتَبَهُ أَمْرُو لِحَظِهِ ، نَظَرَ أَمْرُو فِي يَوْمِهِ لِفَدِّهِ ، فَشَى الْقَصْدَ ، وَقَالَ الْفَضْلُ ، وَجَانِبُ الْهَجْرِ » ، ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ بَكِم دَاءُ هَذَا دَوَاؤُهُ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكُمْ بِشَفَاتِهِ ، فَلْيُعْتَبَرِ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَإِنَّمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ الْإِنْقِطَاعُ ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِيبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ » والمهر : الفج من الكلام ..

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

## ١١ - خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس

وبلغه أن قوماً أظهروا شكاة بني العباس ، فافترع المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَغْدَرًا يَا أَهْلَ الْخَتَرِ <sup>(١)</sup> وَالتبديل ؟ أَلَمْ يَرُدَّ عَنْكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ <sup>(٢)</sup> ، عَنْ الْخَوْضِ فِي ذِمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْ زَارَكُمْ وَأَوْ زَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهُكُمْ بِالشَّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ بَعْدَ أَنْ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَانْبَعَثَتْ دِمَاؤُكُمْ فَحَقَّنَهَا ، مَا لَآنَ يَا مَنَازِبَ الدِّمَنِ ، مَشَيْتُمْ الضَّرَاءَ <sup>(٣)</sup> ، وَدَبَّيْتُمْ الْخَمَرَ <sup>(٤)</sup> ، أَمَّا مُحَمَّدٌ وَالْعَبَّاسُ إِنْ عُدْتُمْ لِمَلِّ مَا بَدَأْتُمْ ، لَأَحْضُدَنَّكُمْ بِظُبَّاتِ السَّيُوفِ ، ثُمَّ يُعْنِي رَبُّنَا عَنْكُمْ ، وَنَسْتَبْدِلُ بِكُمْ ، نَحْمَلُكُمْ أَمَّا لَكُمْ .

مَهْلًا يَا رَوَايَا <sup>(٥)</sup> الْإِرْجَافِ ، وَأَبْنَاءَ النِّفَاقِ ، عَنْ الْخَوْضِ فِيمَا كَفَيْتُمْ ، وَالتَّخْطِئِ إِلَى مَا حُدِّرْتُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ نَفُوسٌ ، وَيَقْلَّ عَدَدٌ ، وَيَذُلَّ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتِلْكَ ؟ أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِبْرَاثِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؟ بَلَى وَالْحَجَرِ وَالْحِجْرِ <sup>(٦)</sup> ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ ، وَحَسَاكُ <sup>(٧)</sup> فِي الصَّدُورِ ، فَرَنَمًا لِلْمَعَاطِسِ <sup>(٨)</sup> ، وَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ <sup>(٩)</sup> » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٤ )

[١] الختر : العذر ، أر أقبحه . [٢] في الأصل « أَلَمْ يَرُدَّ عَنْكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ » عن الخوس في دم أمير المؤمنين » وهو تحريف . [٣] الضراء : الشجر المنتف في الوادي ، يقال : توارى الصيد منه في صراء ، وولان يمشى الصراء : إذا مشى مستحياً فيما توارى من الشجر . [٤] في الأصل « وَدَبَّيْتُمْ الْخَمَرَ » وهو تحريف ، وصوابه ما ذكرنا ، والخمر بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو ماء أو غيره ، وجر كهرج : توارى ، ومن أمثالهم : « يدب له الصراء ، ويمشي له الجر » وهو مثل يضرب للرجل يحتمل صاحبه . [٥] الروايات جمع راوية : وهي المزايدة فيها الماء . [٦] الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال . [٧] الحسك : الحقد والعداوة . [٨] المعاطس جمع معطر ، كجاس ومقعد وهو الألب ، والرعم : الدل . [٩] وروى صاحب المعتمد

## ١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال : « أما بعد ، فقد يجِدُ المُعْسِر ، وَيُعْسِرُ المُوسِر ، وَيُقْلُ الحَدِيد ، وَيَقْطَع الكَلِيل ، وإنما الكلام بعد الإخام ، كالإشراق بعد الإظلام ، وقد يعزُب البيان ، وَيُعَقِّم الصواب ، وإعما اللسان ، مُضْغَةٌ من الإنسان ، يَفْتُرُ بِفُتُورِهِ إِذَا نَكَل ، وَيُثَوِّبُ بانبساطه إِذَا رَتَجَلَ ، أَلَا وإنا لا نَنطِق بِطَرًّا ، ولا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بل نسكت مُعْتَبِرِينَ ، وننطق مُرْشِدِينَ ، ونحن بعدُ أمراء القول ، فإِذَا وَشَجَّتْ <sup>(١)</sup> أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَا تَهْدَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَخَيَّرَ مِنْهُ مَا اخْلَوْلَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَرِحَ مِنْهُ مَا ائْتَلَوُلِحَ وَخَبِثَ ، وَمِنْ بَعْدِ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَانِ ، وَفَصْلُ الْخُطَابِ ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانَ » ثم نزل <sup>(٢)</sup> .

( كتاب الصواعقين ص ٢١ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٥ )

بعض هذه الخطبة وعراها إلى أبي جعفر المصور ، فقال : « حطب المنصور حين خروجه إلى الشام فقال :

سِنْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

مهلا مهلا روايا الإرجاف ، وكهوف الفاق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع العقد المريد ٢ : ١٤٥ - والشفقة : الظلمة والعادة ، وهو مثل لأبي أخزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أخزم ، وكان طامًا ، مات وترك بنين ، وثبوا يوما على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال :

إِنْ بِي صَرْجُونِي بِالْدمِ سِنْشِنَةُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

أَيَّ إِنْ هَؤُلَاءِ أَشْبَهُوا أَبَايَ فِي الْعُقُوقِ : يَصْرَبُ فِي قَرَبِ الشَّيْبِ ، وَيَكْلِمُ : يَمْرَحُ .

[١] وشجت العروق والأعصاب كوعد وشحا ووشيجا : اشتبكت ، والواشجة : الرحم المشتبكة .

[٢] وروى المصري في زهر الآداب بعض هذا القول وعراها إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد

المرتضى في أماليه قال :

« صعد أبو العباس السفاح المنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، به بضعه

## ١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي <sup>(١)</sup> عم السفاح ، فقال :

يا أعضاء النفاق ، وعُبد الضلالة ، أغرَّكم لين أساسي ، وطولُ إيناسي ؟  
حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لفلولِ حدٍّ ، وفتورِ جدٍّ ، وخورِ قنائة <sup>(٢)</sup> ، كذَّبتِ  
الظنونُ ، إنها العِترَةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فإذا قد استوليتُم العافية ، فعندي فِطام  
وفِكَاك ، وسيف يُقَدُّ الهامَ ، وإني أقول :

|                                 |                                         |
|---------------------------------|-----------------------------------------|
| أغرَّكم أني بأكرمِ شيمةٍ        | رفيقٌ ، وأنِّي بالفواحشِ أخرقٌ ؟        |
| وهبلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ سعيه  | تَكَلَّمُ نِعْمَاهُ بِفِيهَا فَتَنْطِقُ |
| لعمري لقد فاحشَتَنِي فغلبَتَنِي | هنيئًا مريئًا أنت بالفُحشِ أرفقُ        |

( المقدم المريد ٢ : ١٤٦ )

## ١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب العقد قال :

لما قَدِمَ العَمْرُ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السَّفَّاح في ثمانين

من الإنسان ، يَكِلْ إذا كَلَّ ، وينفسيح بانفساحه إذا فسَّح ، ونحن أمراء الكلام ، منا  
تفرعت فروعه ، وعلينا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هَذرا ، ولا نسكت إلا  
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر ،  
لكان من أخطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن علي « اه .

والبصعة بفتح الباء وقد تكسر : القمامة من اللحم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال  
مصدر هذر في منطقه كصرب وصر .

[١] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاء السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،  
ثم ولاء مصر ثانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره المنصور على  
عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين ، ومات وهو حامل حمص بقنسرين . [٢] ضعف .

رجلا من بنى أمية ، ووضعت لهم الكراسي ، ووضعت لهم تمازق<sup>(١)</sup> ، وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشييعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون<sup>(٢)</sup> ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قوساً ، وكان طويلاً آدم<sup>(٣)</sup> ، فقام خطيباً .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حبّطت<sup>(٤)</sup> أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلم وجم أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصحابة ، دون حقّ ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأكرفاء في الحسب ، الحاصّة في الحياة ، الوفاة<sup>(٥)</sup> عند الوفاة ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الأولى جائعكم ، فكم قصّم الله بهم من جبّار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يسمع بمثل العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبورسول الله صلى الله عليه وسلم بعدأبيه ، وجلدة ما بين عينيه<sup>(٦)</sup> ، أمينته ليلة العقبة<sup>(٧)</sup> ، ورسوله إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين<sup>(٨)</sup> ، لا يرذله رأيا ، ولا يخالف له قسماً ، إنكم والله معاشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث ما اختاره الله لكم ، تيمّني<sup>(٩)</sup> مرّة ، وعدوى<sup>(١٠)</sup> مرة ، وكنتم بين ظهراني قوم فد آثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ،

[١] تمازق جمع تمزقة كقنفذة : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبي العباس السفاح .

[٣] وصف من الأدمة ، وهي كالسمرة ورنا ومعنى . [٤] فسدت . [٥] الوفاة جمع واف .

[٦] خطب الوليد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحاج جلدة

ما بين عيني » ألا وإنه جلدة وجهي كله » - البيان والتبيين ١ : ١٦٠ و ٣ : ٢١ - .

[٧] يوم مبايعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً معهم امرأتان

وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحصر

أمر ابن أخيه ليتوثق له . [٨] كان العباس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة

حنين ، حين انبزم المسلمون أول الموقعة ، وكان آحداً بلجام ملته . [٩] يريد أبا بكر الصديق رضى

الله عنه ، وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من

عدى بن كعب بن لؤى .

وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ، فِي الشَّهَوَاتِ، وَالنِّفَى، فِي اللِّذَاتِ وَالْغَنَاءِ، وَالْمَغَانِمِ، فِي الْحَارِمِ،  
إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ لَمْ يَذْكُرُوا، وَإِذَا قُدِّمُوا بِالْحَقِّ أَذْبَرُوا، فَذَلِكَ زَمَانُهُمْ، وَبِذَلِكَ  
كَانَ يَعْمَلُ شَيْطَانُهُمْ<sup>(١)</sup> . (العقد المريد ٢ : ٣٠١)

## ١٥ خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح<sup>(٢)</sup>، فقال :  
« الحمد لله الذي حمّد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد  
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى . واختاره من خلقه ، نفسه من  
أنفسهم ، وبيته من بيوتهم »، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ،  
وَأَشْهَدَ مَلَائِكَتَهُ عَلَى حَقِّهِ ، قَوْلَهُ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ  
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله في أهل  
بيته ، فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللاأواء<sup>(٣)</sup>  
والشدة ، وَأَغْضَى عَلَى الاستبداد والآثره ، ثم إن فؤاداً من أهل بيت الرسول  
صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان ، من  
عمل بطاعة الشيطان ، وعداوة الرحمن ، بين ظهرائي قوم آثروا العاجل على  
الآجل ، والفانى على الباقي ، إن رُتِقَ جَوْرٌ فَتَقَوْهُ ، أَوْفُتِقَ حَقٌّ رَتَقَوْهُ ، أهل مخمور  
ومآخور ، وطناير<sup>(٤)</sup> ومزامير ، إن ذُكِّرُوا لَمْ يَذْكُرُوا ، أَوْ قُدِّمُوا إِلَى الْحَقِّ  
أَذْبَرُوا ، وجعلوا الصدقاتِ ، في الشُّبُهَاتِ ، والمغانمِ ، في المحارمِ ، والنِّفَى ، في

[١] فقر هذه الخطبة مروية في خطبة أبي مسلم الخراساني الآتية بعدها ، ولكي آثرت إيرادها للوايتين

جميعاً كما وردتا . [٢] وذلك في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة

[٤] الطناير : جمع طنبور كعصفور ، وهو الذي يلعب به

الْفَتَى ، هَكَذَا كَانَ زَمَانُهُمْ ، وَبِهِ كَانَ يَعْمَلُ سُلْطَانُهُمْ ، وَزَعَمُوا أَنَّ غَيْرَ آلِ مُحَمَّدٍ أُولَى بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَجِبْ أَيْهَا النَّاسُ ؟ أَلَكُمْ الْفَضْلُ بِالصَّحَابَةِ ، دُونَ ذَوِي الْقُرَابَةِ ، الشَّرَكَاءِ فِي النَّسَبِ ، وَالْوَرَثَةِ فِي السَّلْبِ <sup>(١)</sup> ، مَعَ ضَرْبِهِمْ عَلَى الدِّينِ جَاهِلَكُمْ ، وَإِطْعَامِهِمْ فِي الْجَذْبِ جَائِعَكُمْ ، وَاللَّهُ مَا اخْتَرْتُمْ مِنْ حَيْثُ اخْتَارَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ سَاعَةَ فِطْرٍ ، وَمَا زَلْتُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِ تَحْتَارُونَ تَيْمِيًّا مَرَّةً ، وَعَدَوِيًّا مَرَّةً ، وَأُمَوِيًّا مَرَّةً ، وَأَسَدِيًّا <sup>(٢)</sup> مَرَّةً ، وَشُفْيَانِيًّا مَرَّةً ، وَمَرْوَانِيًّا مَرَّةً ، حَتَّى جَاءَكُمْ مَنْ لَا تَعْرِفُونَ اسْمَهُ وَلَا بَيْتَهُ <sup>(٣)</sup> ، يَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِهِ ، فَأَعْطَيْتُمُوهَا عَنُوءً ، وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، أَلَا إِنْ

[١] مَايَسْلُبُ ، وَالْمُرَادُ وَرَثَتُهُ فِي الْخِلَافَةِ . [٢] هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ الْعَوَامِ بْنِ حَوِيلَةَ بْنِ أَسَدٍ . [٣] قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ : « يُسَمَّى نَفْسَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومَ النَّسَبِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْوُ مَوْلَى أُمِّ عَرَبٍ » وَقَالَ ابْنُ حُلْكَانَ فِي ( وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ١ : ٢٨٠ ) فِي تَرْجُمَتِهِ : « أَبُو مُسْلِمٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ وَقِيلَ عُثْمَانُ الْحِرَاسَانِيُّ الْقَائِمُ بِالِدَعْوَةِ الْعَاسِيَةِ ، وَقِيلَ هُوَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ إِسَارَ بْنِ سَدُوسَ بْنِ حَوْذَرٍ مِنْ وَلَدِ بَزْرَجَهْرَ بْنِ الْبَحْتِكَانَ الْعَاسِيَّ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي سَبِّهِ ، فَقِيلَ إِنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقِيلَ لَهُ مِنَ الْعَجَمِ ، وَقِيلَ مِنَ الْأَكْرَادِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو دَلَامَةَ :

أَبَا مَحْرَمٍ مَا غَيَّرَ اللَّهُ أَمَّةً عَلَى عَدَمِهِ حَتَّى يَغْيِرَهَا الْعَبْدُ  
أَبَى دَوْلَةَ الْمَنْصُورِ حَاوَلَتْ غَدْرُهُ أَلَا إِنْ أَهْلَ الْغَدْرِ آبَاؤُكَ الْكَرْدُ

وَقَالَ ابْنُ طَبَاطَبَا فِي الْفَرَى ص ١٢٣ : « أَمَّا نَسَبُهُ فَبِهِ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ ، فَقِيلَ : هُوَ حَرٌّ مِنْ وَلَدِ بَزْرَجَهْرَ ، وَأَنَّهُ وَلَدٌ بِأَصْفَهَانَ ، وَنَشَأَ بِالْكُوفَةِ ، فَاتَّصَلَ بِإِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَغَيَّرَ اسْمَهُ وَكَتَبَهُ بِأَبِي مُسْلِمٍ ، وَثَقَفَهُ وَفَقَّهَهُ ، حَتَّى كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ . وَقِيلَ هُوَ عَبْدٌ تَقَلَّ فِي الرِّقِّ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْجَبَهُ سَمِيَّتُهُ وَثَقَلَهُ ، فَأَبَادَهُ مِنْ مَوْلَاهُ وَثَقَفَهُ وَفَقَّهَهُ ، وَصَارَ بِرَسُولِهِ إِلَى شِيعَتِهِ وَأَصْحَابِ دَعْوَتِهِ بِحِرَاسَانَ ، وَمَا زَالَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا كَانَ .

وَأَمَّا هُوَ فَإِنَّهُ لَمَّا قُوِيَ شَوْكَتُهُ ادَّعَى أَنَّهُ ابْنُ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ حَارِيَّةً فَوْقَ عَلَيْهِا مَرَّةً ، ثُمَّ اعْتَرَضَهَا مَدَّةً ، فَاسْتَنْكَحَهَا عَبْدًا قَوْطِيًّا ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ عَلَامًا سَمِيَّتُهُ سَلِيطًا ، ثُمَّ أَلْعَقَتْهُ سَعْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَبْدَاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَلَمْ يَعْتَرَفْ بِهِ ، وَنَشَأَ سَلِيطٌ ، وَهُوَ أَكْرَهُ الْخَلْقِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ نَازَعَ سَلِيطٌ وَرَثَتَهُ فِي مِيرَاثِهِ ، وَأَعْجَبَ ذَلِكَ بَنِي أُمِّيَّةٍ لِيَعْبُضُوا مِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَعَانُوهُ وَأَوْصَوْا قَاصِيَّ دِمَشْقَ فِي الْبَاطِنِ ، فَالَإِيَّاهُ فِي الْحُكْمِ وَحُكْمِهِ بِالْمِيرَاثِ ، فَادَّعَى أَبُو مُسْلِمٍ حِينَ قُوِيَ شَوْكَتُهُ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ سَلِيطَ هَذَا .

وَذَكَرَ ابْنُ خُلْكَانَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لَهُ قَبْلَ قَتْلِهِ ، وَقَدْ عَدَّدَ لَهُ مَسَاوِيَّ وَقَعَتْ مِنْهُ : « تَزْعُمُ أَنَّكَ ابْنُ سَلِيطَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ! لَقَدْ ارْتَقَيْتَ لَا أُمَّ لَكَ مَرْتَقَى صَبَا ! » .

آل محمد أئمة الهدى ، ومَنَارُ سبيل التقى ، القادة الذادة السادة ، بنوعم رسول  
 لله صلى الله عليه وسلم ، وَمُنَزَّلِ جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبَّار طاغ ،  
 فاسق باغ ، شَيَّدَ الله بهم الهدى ، وَجَلَّى بهم العَمَى ، لم يُسمع بمثل العباس ،  
 كيف لا تخضع له الأمم لِواجب حقِّ الحرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 مد أبيه ، وإحدى يديه ، وَجِلْدَة بين عينيه ، أَمِينه يوم العَقَبَة ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّة <sup>(١)</sup> ،  
 رسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يوم حُنَيْن ، عند ملتقى الفَتَتَيْنِ ، لا يخالف له رسماً ،  
 لا يَعْصِي له حكماً ، الشافع يوم نيقِ العُقَاب <sup>(٢)</sup> ، إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ .

( شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٥ )

## ١٦ — خالد بن صفوان وأخوال السفاح .

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْتَمِيُّ مِنْ سُتَمَارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ  
 عِنْدَهُ ، فَفَخَّرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْخَارِث <sup>(٣)</sup> ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :  
 لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَال <sup>(٤)</sup> أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتَهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ  
 أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتَهُ » قَالَ خَالِدٌ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا بَيْنَ  
 نَاسِجٍ بُرْدٍ ، وَدَابِغٍ جِلْدٍ ، وَسَائِسٍ قِرْدٍ ، وَرَاكِبٍ عَرْدٍ <sup>(٥)</sup> ، دَلٌّ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس في عروة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لمحاربة الرسول  
 صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب بعث به إليه عمه العباس الذي  
 لم يخرج معهم في هذه الحرب متجهاً مما أصابه يوم بدر ، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أخبار المشركين ( وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتم إسلامه ) .

[٢] موضع بين مكة والمدينة . وذلك أن العباس شمع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة  
 دعا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] انظر الجزء الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ريطة بنت عبيد الله  
 ابن عبد الله بن عبد المطلب بن الهاشم بن عبد المطلب ، ولذا كان يقال له ابن الحارثية . [٥] العرد : الحمار .

هَذِهِ<sup>(١)</sup> ، وَغَرَّقْتَهُمْ فَأَرَتْ<sup>(٢)</sup> ، وَمَلَكَتَهُمْ امْرَأَةٌ<sup>(٣)</sup> ؟ . ( البيان والتبيين ١ : ١٨٤ )

\* \* \*

وروى الحضري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة<sup>(٤)</sup> الشرف ، وعرينين<sup>(٥)</sup> الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم لِمَا<sup>(٦)</sup> ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طُعْمًا<sup>(٧)</sup> ، وأوفاهم ذِمًّا ، وأبعدهم هِمًّا ، الجَمْرَةُ في الحرب ، والرِّفْد<sup>(٨)</sup> في الجَدْب ، والرأس في كل خَطْب ، وغيرهم بمنزلة العَجَب<sup>(٩)</sup> » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسنْتَ ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

[١] يشير إلى حديث المحدث مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ، فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يرميه المؤرخون من أن سيل العرم الذي خرب اليمن كان سببه قرض الجرد لسد مأرب - انظر الجزء الأول ص ٣٤٣ . [٣] هي بلقيس ( بالكسر ) ملكة سبأ .

[٤] الهامة : رأس كل شيء . [٥] العرينين : الأنف ، أو ماصلب من عظمه ، ومن كل شيء . أوله .

[٦] في الأصل « أمما » وأراء محرفا ، وصوابه « لما » واللم جمع لمة بالكسر ، وهي الشعر المجاوز

شحنة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرِّفْد : العطاء والملة . [٩] العَجَب : أصل

الذنب ، ومؤخر كل شيء .

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدُهد ، وغرّقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . ( زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦ )

## ١٧ — خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهتم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ »<sup>(١)</sup> ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ »<sup>(٢)</sup> ، وأنت ابن الأهتم ، والصحيح خير من الأهتم<sup>(٣)</sup> ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هَشَمَتِكَ هاشم ، وأمَّتِكَ<sup>(٤)</sup> بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجمحتك بنو جمح<sup>(٥)</sup> ؟ فأنت عبْد دارهم<sup>(٦)</sup> تفتح إذا دخلوا ، وتُغْلِقُ إذا خرجوا ، فقام العبدري محموراً . ( أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والتبيين ١ : ١٨٢ )

[١] وتام الآية الكريمة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صفوانة : وهي الحجر الصلب الضخم كالصفواء والصفاء ، والآية الكريمة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ، فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

[٣] هم كفروح : انكسرت ثنياه من أصولها فهو أهتم . [٤] قادتك . [٥] انظر الجزء الثاني ص ٩٠ . [٦] وكات المجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٠ أيضاً

## ١٨ — خالد بن صفوان يرثي صديقاله

وقال الجاحظ : قيل لرجل — أراه خالد بن صفوان <sup>(١)</sup> — مات صديق لك، فقال :  
« رحمة الله عليه ، لقد كَانَ يَمْلَأُ العَيْنَ جَمَالًا ، وَالْأُذُنَ يَبَانًا ، وَلَقَدْ كَانَ يُرْجَى  
فَلَا يَخْشَى ، وَيُنْعَشَى فَلَا يَفْشَى ، وَيُعْطَى فَلَا يُعْطَى ، قَلِيلًا لَدَى الشَّرِّ حُضُورُهُ ،  
سَلِيمًا لِلصَّدِيقِ ضَمِيرُهُ » . ( البيان والديين ٣ : ٢٣١ ، والأمالى ٢ : ١٧٤ )

## ١٩ — خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :  
« كَانَ وَاللَّهِ بَدِيعَ الْمَنْطِقِ ، دَلِقَ <sup>(٢)</sup> الْجُرْأَةُ ، جَزَلَ الْأَفْظَاظَ ، عَرَبَى اللِّسَانِ ،  
ثَابِتَ الْمُقَدَّةِ ، رَقِيقَ الْحَوَاشِي ، خَفِيفَ الشَّقَاتَيْنِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، رَحْبَ الشَّرَفِ ،  
قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، خَفِيَ الْإِشَارَاتِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ ، حَسَنَ الطَّلَاوَةِ <sup>(٣)</sup> ، حَيِّيًا جَرِيئًا ،  
قَتُولًا صَمُوتًا ، يَفْلُ الْحَزَّ <sup>(٤)</sup> وَيُصِيبُ الْمَفَاصِلَ ، لَمْ يَكُنْ بِالْمَعْذَرِ <sup>(٥)</sup> فِي مَنْطِقِهِ ،  
وَلَا بِالزَّمِينِ <sup>(٦)</sup> فِي مُرُوءَتِهِ ، وَلَا بِالْخَرِقِ <sup>(٧)</sup> فِي خَلِيقَتِهِ ، مُتَبَوِّعًا غَيْرَ تَابِعٍ ،  
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ : » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٧ )

## ٢٠ — كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلًّا بِقِسْطِهِ

[١] ورواية القالي : عن الأصمعي قال خالد بن صفوان لقي بين يديه : رحم الله أباك . . . الخ .  
[٢] مأخوذ من : « سيف دلق » أى سهل الخروج من نحره ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،  
واندلق المعيب : أى شق جفنه فخرج منه . [٣] الطلاوة مثناة : القبول . [٤] الحز : القطع .  
[٥] عذر فى الأمر تعذيرا ، إذا قصر ولم يجتهد . [٦] أى المعيب ، والزمانة كسحابة : المامة ،  
زمن كفرح فهو زمن وزمين . [٧] الخرق الذى لا يحسن العمل والتصرف فى الأمور

مَنْ وَجَّهَكَ وَكَرَّامَتَكَ <sup>(١)</sup> ، حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَحَتَّى كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ . (الأُمالي ١ : ٢١٦ ، ، وزهر الآداب ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شَيْبَةَ لخالده بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »  
قال : « مَنْ سَدَّ خَلِّي ، وَغَفَرَ زَلِّي ، وَقَبِلَ عِلِّي » . (الأُمالي ١ : ١٩٨)  
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ ، وَلَا عَدُوٌّ فِي الْعَلَانِيَةِ » . قال الجاحظ : « وَهَذَا كَلَامٌ لَيْسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ إِلَّا الرَّاسْخُونَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ » . (البيان والتبيين ١ : ١٨٤ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « مَا الْإِنْسَانُ ، لَوْلَا اللِّسَانُ ، إِلَّا صُورَةٌ مُمَثَّلَةٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ مُثَمَّلَةٌ » ،  
وفال : « اتَّقُوا مَجَانِيْقَ <sup>(٢)</sup> الضُّعْفَاءِ » يريد الدعاء (البيان والتبيين ١ : ١٩٠)  
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْخَرْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجُلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ ! » . (زهر الآداب ٢ : ٨٥)

## ٢١ — عمار بن حمزة والسفاح

وقال عمار بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوائز نفيسة وكسوة وصيلة ، وأذن مجلسه :

« وَصَلِّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَرَدْنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ <sup>(٣)</sup> صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرَ لَيَقْصُرُ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مَنَازِلِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلاً عَلَيْنَا ، بِالتَّقْصِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْْنَا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ <sup>(٤)</sup> شُكْرُنَا » .  
(زهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زهر الآداب : « مَنْ نَظَرَكَ وَمَجْلَسَكَ فِي صُوتِكَ وَعَدْلِكَ » .

[٢] جمع منجنيق بفتح الميم وكسرهما : آلة ترمى بها الحجارة . [٣] كنه الشيء : حقيقته .

[٤] الأُصْلُ . « أَوَّلُ » .

## خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

### ٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأييده ، وحارسته على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به إذ يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » أن يوفقني للرشد والصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

( العقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠ )

### ٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه <sup>(١)</sup> :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ <sup>(٢)</sup> مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أَمْرٌ مُبْرَمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَضْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ <sup>(٣)</sup> حُجَّتُهُ ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكَعْبَةَ غَرَضًا ، وَالنَّعْيَ إِرْثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عز صاحب العقد هذه الخطبة إلى سليمان بن علي (الطراز ٢ ص ١٤٥) ، وكذا صاحب  
مواسم الأدب (الطراز ٢ ص ١١٥) . [٢] قيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة ، وبالدكر  
اللوح المحفوظ . [٣] نصر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ<sup>(١)</sup> ، لَقَدْ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من بُرِّ  
مُعْطَلَةٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَصْرِ مَشِيدٍ ، أَمَلَهُمُ اللَّهُ حَتَّىٰ بَدَلُوا السَّنَةَ ، واضطهدوا العِترَةَ<sup>(٣)</sup> ،  
وَعَنَدُوا<sup>(٤)</sup> واعتَدَوْا واستَكْبَرُوا ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحِسُّ  
مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟<sup>(٥)</sup> .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ )

## ٢٤ — خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ،  
وظلم ظالم ، لمَشَيْتُ بين أظهركم في أسواقكم ، ولوعلمتُ مكانَ من هو أحقُّ  
بهذا الأمر مني لأتيتُهُ حتى أدفعهُ إليه » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٥١٠ )

## ٢٥ — خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن<sup>(٦)</sup> وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل  
بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ثم قال :

[١] العضة : الفرقة والقطعة والجمع عضون ، وجعل المشركون القرآن عِضِينَ أي فرقا : فرقوا فيه  
القول ، فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة وشعرا ، فهم قد ( عضّوه ) بالنشيد أعضاء ، أي جزءوه أجزاء ،  
وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطّلوا بعض أوامر القرآن بما أتوه من الأعمال ، من رمى الكعبة ،  
واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقي منها هلاك أهلها ، ومشيد : مرفوع ، أو مطلق بالشيد  
( بالكسر ) وهو ما طلى به الحائط من جص ونحوه ، أي معطل خال من ساكنيه أيضا .  
[٣] العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون . [٤] عند (مثلث النون) عن الطريق : مال .  
[٥] الصوت الخفى . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حمله المنصور  
هو وأهل بيته ، من المدينة إلى العراق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في غيايات السجون حتى ماتوا بسجن  
الكوفة ، وكان يتخوف أن يغالبه على الخلافة محمد بن عبد الله هذا ( وهو محمد الملقب بالنفس اللوكية ) وقد  
خرج عليه بالمدينة فوجه المنصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وخرج أخوه إبراهيم على المنصور بالبصرة  
فقتل أيضا في هذه السنة .

« يا أهل خراسان : أتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا ، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب ، تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ، فقام فيها علي بن أبي طالب ، فتلطخ ، وحكم عليه الحكمين ، فافترقت عنه الأمة ، واختلفت عليه الكلمة ، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه ، وبطائنه وثقاته فقتلوه ، ثم قام من بعده الحسن بن علي ، فوالله ما كان فيها برجل ، قد عرضت عليه الأموال فقبلها ، فدرس إليه معاوية : إني أجعلك ولداً عهدى من بعدى ، نخدعه فانسلك له مما كان فيه ، وسلمه إليه ، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً ، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علي ، نخدعه أهل العراق وأهل الكوفة ، أهل الشقاق والنفاق ، والإغراق في الفتن ، أهل هذه المدرة السوداء - وأشار إلى الكوفة - فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسلمها ، فرق الله بيني وبينها ، فخذلوه وأسلموه حتى قتل ، ثم قام من بعده زيد بن علي ، نخدعه أهل الكوفة وغرثوه ، فلما أخرجوه <sup>(١)</sup> وأظهروه أسلموه ، وقد كان أتى محمد بن علي <sup>(٢)</sup> ، فناشده في الخروج ، وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده عمي داود بن علي ، وحذره غدر أهل الكوفة ، فلم يقبل وتم <sup>(٣)</sup> علي خروجه ، فقتل وصلب بالكناسة <sup>(٤)</sup> ، ثم وثب علينا بنو أمية ، فأماوا شرفنا ،

[١] وقد خرج في خلافة هشام بن عبد الملك ، فقاتله يوسف بن عمر الثقفي والى العراق ، وقتل وصلب سنة ١٢١ هـ . [٢] يريد أباه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . [٣] تم على الأمر : استمر عليه . [٤] موضع بقرب الكوفة .

وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا تِرةٌ<sup>(١)</sup> يطلبونها ، وما كان ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فنفونا من البلاد ، فصرنا مرة بالطائف . ومرة بالشَّام ، ومرة بالشَّراة<sup>(٢)</sup> ، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا ، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ، ودَمَعَ بحقكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه ، فقر الحق مَقَرَّه ، وأظهر مناره ، وأعز أنصاره ، وقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فاما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها ، وحُكْمه العادل لنا ، وثبوا علينا ظامًا وحسدا منهم لنا ، وبغيا لما فضلنا الله به عليهم ، وأكرمنا به من خلافته ، وميراثِ نبيه صلى الله عليه وسلم :

جَهْلًا عَلَى وَجْبِنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ  
فَإِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ خِرَاسَانَ مَا أَتَيْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا أَتَيْتُ بِجَهَالَةٍ ، بلغني عنهم بعض السَّقَمِ والتَعَرُّمِ<sup>(٣)</sup> ، وقد دَسَسْتُ لَهُمْ رَجَالًا ، فقلت : قم يا فلان ، قم يا فلان ، نخذ معك من المال كذا ، وحدوتُ لهم مِثَالًا يعملون عليه ، نخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فدسُّوا إليهم تلك الأموال ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير ، إلا بايعهم بيعةً استحلَّتْ بها دماءُهم وأموالُهم ، وحلَّتْ لي عند ذلك بنقضهم بيعتي ، وطلبهم الفتنة ، والتماسهم الخروجَ على ، فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين » ثم نزل وهو يتلو على دَرَجِ المنبر هذه الآية

[١] نأر . [٢] موضع بين دمشق والمدينة (الكرك الآن) .

[٣] الأصار فيه : تعرَّفه ونزعه عما عليه من اللجم .

« وَحِيلَ يَنْتَهُمَ وَيَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُيْلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » . ( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١ )

٢٦ — خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن

ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شنَّ<sup>(١)</sup> المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

مَالِي أَكْفَكِفُ عَنْ سَعْدِي وَتَشْتُمْنِي ؟ وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِئْسَتْ اَلْخَلَاتُ اَلْجَهْلُ وَالْجُبْنُ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزَا عَمَّا قَنَاهُ ، فَا عَضَدُوا اَلْكَافِي ، وَمَا شَكُرُوا اَلْمُنْعِمَ ، فَإِذَا حَاوَلُوا أَشْرَبَ رَتْقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّدَتْ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا رَحِمٍ حَاوِلَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَئِنْ لَمْ يَرْضَ بِالْعَفْوِ لِيَطْلُبَنَّ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيُبْقِ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَمُتْ ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١١٩ )

٢٧ — خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني<sup>(٢)</sup> ، فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ . لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُسِرُّوا غَشَّ الْأَعْمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيده ، وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِإِمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَاءِ حَقِّهِ ، إِنْ

[١] شنَّ عليه درعه : صبَّها . [٢] قتل أبو مسلم سنة ١٣٧ هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله للحرب معه عبد الله بن عليّ — وكان قد خرج عليه بالشأم كما سيأتي — فلما ظفر أبو مسلم ، وغنم جميع ما كان في مكر عبد الله ، وانهمزم عبد الله إلى البصرة ، أرسل المنصور بعض خدمه للحفاظ على ما في المعسكر من الأموال ، فغضب أبو مسلم ، وقال : أمين على الدماء ، خائن في الأموال ! وشتم المنصور ، وعزم على الخلاف ، وأن يتوجه إلى خراسان ، فجعل المنصور يتلفعه به حتى استقدمه إليه وقتله

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقَّكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَازَعَنَا عُرْوَةً هَذَا الْقَمِيصَ أَجْزَرَنَا خَيْرٌ هَذَا الْغِمْدَ ، وَإِنْ أَبَامَسْلَمَ بَايَعَنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ نَكْتِ بَنَا فَقَدْ أَبَاحَ دَمَهُ ، ثُمَّ نَكْتِ بَنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنْفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَنْفَعْنَا رِعَايَةُ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

( تاريخ الطبرى ٩ : ٢١٢ ، وجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٨ — خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعْمَةِ بِقِلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمَةُ ، وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأُتْمَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِعِ نَظْرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقَّكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا نَنْسَى الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمَنْ نَازَعَنَا هَذَا الْقَمِيصَ أَوْ طَأْنَا أُمَّ رَأْسِهِ خَبَاءٌ <sup>(١)</sup> هَذَا الْغِمْدَ ، وَالسَّلَامَ » . ( مواسم الأدب ٢ : ١٢٠ )

## ٢٩ — قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم الجمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَذْكَرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعًا سَمِعًا لِمَنْ فَهَمَ عَنِ اللَّهِ ، وَذَكَرَ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الْقَائِلُ ، فَوَاللَّهِ

ما أردت بها وجه الله ، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فعُوقِبَ فصَبِرْتُ وأهونَ بها ! ويلك لو همتُ <sup>(١)</sup> ! فاهْتَبِلْهَا <sup>(٢)</sup> ! إذ غفرتُ ، وإياك وإياكم معشرَ الناس أختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فرُدوا الأمر إلى أهله ، تُوردوه مَوَارِدَهُ ، وتُضْذِرُوهُ مَصَادِرَهُ » ثم عاد في خطبته ، فكأنه يقرؤها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٦ ،  
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢ )

### ٣٠ - المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما ، فتذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ جَبَّارًا لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ لَحَاقًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ ، وَكَانَ عُمَرُو بْنُ عُمَيَّانَ ، وَكَانَ هِشَامُ رَجُلَ الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَزَلْ بَنَوَ أُمِيَّةَ ضَابِطِينَ لِمَا مُهِدَ لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ ، يَحُوطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْنُتِهِمْ مَعَ أَعْلَى الْأُمُورِ ، وَرَفَضِهِمْ أَدْنَاهَا ، حَتَّى أَفْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَغَمَطُوا <sup>(٣)</sup> النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَشْكُرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرِّعَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النَّقْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمِنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَخَفِّينَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ، ضَعِيفِينَ عَنِ رُسُومِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .

( شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٢١٥ )

[١] أى لو همت بمقابلتك . [٢] اغتنمها . [٣] غمط النعمة : بطرها وحقرها .

### ٣١ — المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صَقْر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :  
 أمير المؤمنين ، الذي راضَ <sup>(١)</sup> الْمَلِكَ ، وَسَكَنَ الزلازل ، وَحَسَمَ الأدواء ، وأباد  
 الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك  
 ابن مَرْوان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن  
 معاوية <sup>(٢)</sup> ، الذي عَبَرَ البحر ، وقطع القَفْر ، ودخل بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فصَرَّ  
 الأمصار ، وَجَنَّدَ الأجناد ، ودوَّن الدواوين ، وأقام مُلْكًا بعد انقطاعه ، بحسن  
 تديره ، وشدة شِكِمته ، إن معاوية نهض بِمَرْكَبٍ حَمَلَهُ عَلَيْهِ عُمرُ وعثمان ،  
 وذَلَّلَا لَهُ صَعْبَهُ ، وعبد الملك بِبَيْعَةٍ تَقْدَمُ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين بِطَلَبِ غِيَرِهِ  
 واجتماعِ شِيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّدٌ بِرَأْيِهِ ، مستصحب لعزمه .  
 ( العقد الفريد ٢ : ٣٠٢ )

### وصايا المنصور لابنه المهدي

#### ٣٢ — وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا بُنَيَّ لَا تُبْرِمَ أَمْرًا حَتَّى تَفَكَّرَ فِيهِ ، فَإِنْ  
 فِكْرُهُ الْعَاقِلُ مِرَاتُهُ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، واعلم أن الخليفة لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا  
 التَّقْوَى ، وَالسُّلْطَانُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى  
 النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ ، وَأَتَقْصُ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُوَ دُونَهُ .  
 ( نهاية الأرب ٦ : ٤٩ ، والعقد الفريد ١ : ١٤ )

[١] ذال . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل  
 مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسيأتي .

### ٣٣ - وصية أخرى له

ووصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك  
بمخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سَفَط فيه دَفَتر علمه ، وعليه  
قُل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرَّ مفتاحه في كُمِّ قيصه - فقال  
للمهدي : انظر هذا السفط فاحتفظ به ، فإن فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن  
إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمرٌ فانظر في الدِّقتر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،  
وإلا فالثاني والثالث حتى بلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فإنك  
واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإياك أن تستبدل بها ،  
فإنها بيتك وعزك ، قد جمعت لك فيها من الأموال ، ما إن كُسر عليك الخراج  
عشر سنين ، كان عندك كفاية لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة  
الشفور ، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً ، وما أظنك  
تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم وتقدمهم ، وتكثر الإحسان  
إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزهم ،  
وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مواليك فأحسن إليهم ، وقربهم ،  
واستكثر منهم ، فإنهم مادّتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،  
وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في  
دوائك ، وديماؤهم دُونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ، أن تُحسن إليهم ،  
وتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في  
أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُتم  
بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سلم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدْخِلَ النساء في مَشُورَتِكَ في أمرك ، وأظنك ستفعل .  
( تاريخ الطبري ٩ : ٣١٩ )

### ٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي<sup>(١)</sup> أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ، يجعل لك فيما كَرَبَكَ وَحَزَنَكَ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقَكَ السَّلامَةَ وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب ، احفظ يا بنى محمد<sup>(٢)</sup> صلى الله عليه وسلم في أمته ، يحفظ الله عليك أمورَكَ ، وإياك والدمَ الحرام ، فإنه حُوبٌ<sup>(٣)</sup> عند الله عظيم ، وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلالَ ، فإن فيه ثوابَكَ في الآجل ، وصلاحك في العاجل ، وأقيم الحدود ، ولا تَعْتَدِ فيها فتبور<sup>(٤)</sup> ، فإن الله لو علم أن شيئاً أصْلَحَ لدينه ، وأزَجَرَ عَن معاصيه من الحدود ، لأمرَ به في كتابه ، واعلم أنه من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً ، مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان يا بنى حَبْلُ الله المتين ، وَعُرْوَتُهُ الْوُثْقَى ، ودين الله القيم ، فاحفظه وَحُطَّهُ ، وحصنه وَذُبُّ عَنْهُ ، وأوقع بالملْحِدِينَ فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، وَالْمَثَلَاتِ<sup>(٥)</sup> بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحْكَمِ الْقُرْآن ، واحكم بالعدل ولا تُشْطِطْ ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجح في

الدواء ، وَعَفَّ عن النَّفْسِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عملك  
بصلة الرَّحِيمِ وَبِرِّ القَرَابَةِ ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ<sup>(١)</sup>  
الذُّمُورَ ، وَاضْبِطِ الأطرافَ ، وَأَمِّنِ السُّبُلَ ، وَخُصَّ الواسِطَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَوَسَّعِ المعاشَ ،  
وَسَكَّنِ العامةَ ، وَأَدْخِلِ المرافقَ عليهم ، وَأَصْرِفِ المَكَارِهَ عنهم ، وَأَعِدِّ الأموالَ  
وَاخْزِنْهَا ، وإياك والتبذيرَ ، فَإِنَّ النَوَائِبَ غيرَ مَأْمُونَةٍ ، والحوادثَ غيرَ مضمونةَ ،  
وهي من شَيْمِ الزَّمانِ ، وَأَعِدِّ الرجالَ وَالْكَرَاعَ<sup>(٣)</sup> والجندَ ما استطعت ، وإياك  
وتأخيرَ عملِ اليومِ إلى غَدٍ ، فَتَدَارِكْ عليك الْأُمُورَ وَتَضِيعَ ، جِدِّ في إِحْكَامِ الْأُمُورِ  
النازلاتِ لأوقاتها أَوْلاً فَأُولَا ، وَاجْتَهِدْ وَشَمِّرْ فِيهَا ، وَأَعِدِّ رَجَالاً بِاللَّيْلِ لمعرفةَ  
ما يكونُ بالنَّهارِ ، وَرَجَالاً بِالنَّهارِ لمعرفةَ ما يكونُ بِاللَّيْلِ ، وَبِأَشْرَ الْأُمُورِ بِنَفْسِكَ  
وَلَا تَضَجَّرَ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْشَلْ ، وَاسْتَعْمِلْ حَسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ ، وَأَسِئْ  
الظَّنَّ بِعَمَالِكَ وَكُتَّابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بِالتَّيْقِظِ ، وَتَفَقَّدْ مَنْ يَبِيتُ عَلَى بَابِكَ ،  
وَسَهِّلْ إِذْنَكَ لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِ النَّزَّاعِ إِلَيْكَ ، وَوَكِّلْ بِهِمْ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ ،  
وَنَفْسًا غَيْرَ لَاهِيَةٍ ، وَلَا تَنْتَمِ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَنْتَمْ مِنْذُ وَلِيَ الْخِلَافَةِ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ  
غَمُضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَيْقِظٌ ، هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ .

( تاريخ الطبري ٩ : ٣٢٠ )

### ٣٥ — خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب  
بالنفس الزكية<sup>(٤)</sup> على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،  
ثم قال :

[١] أى أملاًها بالدافعة . [٢] التوسطة . [٣] الكراع : اسم يجمع الخيل .  
[٤] كان بنو هاشم — الطالبيون والعباسيون — قد اجتمعوا أخريات العصر الأموي ، وتذاكروا ما لهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء ، التي بناها معاندةً لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعونَ حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحقَّ الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأَنْصار المُواسين ، اللهم إنهم قد أحلُّوا حرامك ، وحرَّموا حلالك ، وعَمِلُوا بغير كتابك ، وغيرُوا عهدَ نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنُوا من أخفَّتْ ، وأخافُوا من آمَنْتْ ، فأحصِهِم عدداً ، وأقتلهم بدداً <sup>(١)</sup> ، ولا تُبقِ على الأرض منهم أحداً » . ( ذيل الأمل ص ١٢١ )

### ٣٦ — وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

ووصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمداً النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :  
« أَيُّ بُنَى ، إِنِّي مُؤَدِّحٌ حقَّ الله في تأديبك ، فأدِّ إلى حقَّ الله في الاستماع مني ،

وما هم عليه من الاصطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أمية من الاضطراب ، واتفقوا على أن يدعوا الناس لهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس نأيه ، فاتفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وعلماً ، وشاء القدر أن يعمر العباسيون بالخلافة ، فوليا السداح ثم المنصور ، ولم يكن للمنصور هم منذ تبوأ عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقطعه ، وأغرام بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يمتقدون فيه الفضل والشرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأخاه إبراهيم من أبيهما عبد الله بن الحسن ، فقال : لا علم لي بهما — وكانا قد تغيبا خوفاً منه — فلما أطل عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قدمي ، لما رفعتهما عنهما ، سبحان الله ! آتيك بولدي لثقتاهما ! فقبض عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحبيسهم في سجن السكوفة حتى ماتوا فيه كما تقدّم ، ولم يزل النفس الزكية متغرباً منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفاً منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره ، وتبّه أعيان المدينة ، ثم غلب عليها ، وعزل عنها أميرها ، ورتب عليها طاملاً وقاضياً ، فوجه المنصور لقتاله جيشاً بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت الغلبة لعسكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفَّ الأذى ، وارْقُضْ البَذَا <sup>(١)</sup> ، واستمِمْ عَلَى الكلام بطول الفِكر ،  
 فى المواطن التى تدعوك فيها تقسك إلى الكلام ، فإن للقول سماتٍ يضر فيها  
 الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كَانَ ناصحاً ، كما  
 تحذر مشورة العاقل إذا كَانَ فاشاً ، لأنه يُرَدِّدُكَ بِمَشُورَتِهِ ، واعلم يا بنى أن رأيك  
 إذا احتجت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظاناً ، فإياك أن تستبدَّ بِرَأْيِكَ ،  
 فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فِعْلاً إلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنْ عَاقِبَتَهُ لَا تُرَدِّدُكَ ، وأن  
 تَتَّبِعْتَهُ لَا تَجْنِي عَلَيْكَ . ( زمر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨ )

### ٣٧ — قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً - وكان عبد الله فى السجْن - بَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَيْهِ  
 مع الرِّيع حَاجِبُهُ ، فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ :  
 رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَدْ كُنْتُ مِنْ « الَّذِينَ يُوقُونَ بِسَهْدِ اللَّهِ وَلَا  
 يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،  
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَإِذَا كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ النَّارِ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم التفت إلى الرِّيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن  
 نعيمك مثلها ، والموعِدُ اللَّهُ تَعَالَى » قال الرِّيع : فما رأيتُ المنصور قطُّ  
 أَكْثَرَ انْكَسَاراً مِنْهُ حِينَ أَبْلَغْتُهُ الرِّسَالَةَ . ( زمر الآداب ١ : ٩٥ )

### ٣٨ — امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأة معها صبيّان ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَمَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضَرَّعَهُمَا <sup>(١)</sup> خَوْفُكَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لَهُمَا خَدَّكَ ، فَيُنَايَ عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لِيَتَعَطِّفَكَ عَلَيْهِمَا شَوْابِكُ النِّسْبِ ، وَأَوَاصِرُ <sup>(٢)</sup> الرَّحِمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءً بَنَى هَاشِمٌ . ( زمر الآداب ١ : ٩٦ )

### ٣٩ — جعفر الصادق والمنصور

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمَنْصُورِ وَنَصَرِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا ظَفِرَ الْمَنْصُورُ أَحْضَرَ جَعْفَرًا الصَّادِقَ <sup>(٣)</sup> بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ رَأَيْتَ إِطْبَاقَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى حَرْبِي ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ يَمْعُورٍ <sup>(٤)</sup> عِيُونَهُمْ ، وَيَجْمُرُ <sup>(٥)</sup> نَخْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ سَلِمَانٌ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبُ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفُ قَدِرَ فَغَفَرَ ، فَاقْدِرْ بِأَيِّهِمْ شِئْتَ ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الَّذِينَ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : « إِنْ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ تَهَمَّتُ ، وَلَمْ تَرْنِي فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . ( زهر الآداب ١ : ٩٦ )

\* \*

وروى صاحب العقد قال :

[١] أذلها . [٢] أواصر جمع آصرة ، والآصرة : جبل صغير يشد به أسفل الحباء ( وهي أيضاً الرحم والقراصة ) . [٣] هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام وتوفي سنة ١٤٨ . [٤] في الأصل « ينور » وأراه محرفاً ، وقد أصلحته « يعور » يقال : عور البئر أي طمها ، وسد عيونها التي ينبع منها الماء . [٥] جمر الحل : قطع جواره .

لما حج المنصور صرّ بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : على جعفر بن محمد ، قتلنى الله إن لم أقتله ، فطُل به ، ثم ألح عليه ، فحضر ، فلما كُشِف السترينه وبينه ، ومثل بين يديه ، همس جعفر بِشَفَتَيْهِ ، ثم تقرب وسلم ، فقال : « لاسلم الله عليك يا عدو الله ، تعمل على الغوائل في ملكي ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أُعْطِيَ فشكر ، وإن أيوب ابْتُلِيَ فصَبَرَ ، وإن يوسف ظَلِمَ فَغَفَرَ ، وأنت على إرثٍ منهم ، وَأَحَقُّ مَنْ تَأَسَّى بِهِمْ » ، فنكس أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إلى أبا عبد الله فأنت القريب القربة ، وذو الرحم الواشجة <sup>(١)</sup> ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صاحفه يمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : يا ربيع ، عَجِّلْ لأبي عبد الله كُسُوتَه وجائزته وإذنه . ( العقد الفريد ١ : ١٤٥ )

٤ . - صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله <sup>(٢)</sup> ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رؤس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عَرَفْتُمْ ما كَانَ من إحسانى إليه ، وَحُسْنِ بِلَائِي ، وَقَدِيمِ نِعْمَتِي عَلَيْهِ ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شقِّ العَصَا ، ومعاونة الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : المشبكة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخو النفس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالبصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتال النفس الزكية فقاتله وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .

فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمامَ بلاءه الجليل لديه ، وَرَبَّ<sup>(١)</sup> نَعَمَاتِهِ السابقة عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يومّله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسِيئَتَهُمْ لِمُحْسِنِهِمْ ، وغادِروهم لَوَفِيَّتِهِمْ .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٨٥ )

#### ٤١ — استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي<sup>(٢)</sup> من الشام ، قَدِمَ على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّةٌ منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن النيفاري ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباهاة ، وإنما نحن وفد توبة ، وإنا ابتلينا بفتنة استخفّت كريمنا ، واستفزّت حليمنا ، ونحن بما قدّمنا مُعْتَرِفُونَ ، ومما سَلَفَ منّا مُعْتَذِرُونَ ، فإن تُعَاقِبْنَا بما أَجْرَمْنَا ، وإن تعفُ عَنَّا بِفَضْلِكَ عَلَيْنَا ، فاصْفَحْ عَنَّا إِذْ مَلَكْتَ ، وامْنُنْ إِذْ قَدَرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفِرْتَ ، فطالما أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أُسَاءَ مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال لِلْحَرَمِيِّ : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بِالْعُوطَةِ<sup>(٣)</sup> .

( العقد المرید ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبری ٩ : ٣٠٧ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

[١] رب الشيء : جمعه وزاده ، ورب الصبي : ربه حتى أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السفاح قال لي إن ظهرت على مروان الجعدي — وكان السفاح أرسله لقتال مروان بالشام — فأنت ولي العهد بعدي ، وشهد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أبا مسلم الحراساني لمحاربته فهزله ، وهرب عبد الله إلى البصرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فشفع فيه سليمان إلى المنصور فأمنه ، فلما جاء إليه جُيُوشه ومات في حبسه ، وقيل إنه بنى له بيتا ، وجعل في أساسه ملحا ، ثم أُجْرِى الماء فيه ، وسقط البيت عليه فمات .

## ٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلالهم <sup>(١)</sup> مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أُعْطيتَ فشكرتَ ، وابتُلِيتَ فَصَبَرْتَ ، وَقَدَرْتَ فَعفوتَ » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقامُ عدْلٌ ، والتجاوُزُ فَضْلٌ ، والمتفضّلُ قد جاوزَ حَدَّ المُنْصِفِ ، فنحنُ نُعيِذُ أمير المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوْكَسِ النَصِيدَيْنِ ، دون أن يبلغَ أرفعَ الدَّرَجَتَيْنِ » .

وقال آخر : « من انتقم فقد شقَى غيظَ نفسه ، وأخذَ أَقْصَى حَقِّه ، وإذا انتقمْتَ فقد انتَقِصْتَ <sup>(٢)</sup> ، وإذا عفوت تطوَّلتَ <sup>(٣)</sup> ، ومن أخذَ حقه ، وشقَى غيظَه ، لم يجبْ شكرُه ، ولم يُذكر في العالمين فضله ، وَكَظُمَ الغيظُ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، والتشقى طَرَفٌ مِنَ الْعَجْزِ <sup>(٤)</sup> ، ومن رَضِيَ أَلَّا يكونَ بين حاله وبين حال الظالم إلا سِتْرٌ رقيقٌ ، وحجابٌ ضعيفٌ ، لم يجزَمْ في تفضيلِ الحِلْمِ ، وفي الاستيثاقِ مِنْ تركِ دواعي الظلمِ ، ولم ترأهْلُ النُّهى ، والمنسويين إلى الْحِجَا والتُّقَى ، مَدَحُوا الْحُكَّامَ بِشِدَّةِ الْعِقَابِ ، وقد ذكروهم بحسن الصَّفْحِ ، وبكثرة الغتْفَارِ ، وشِدَّةِ التَّغافلِ ، وبعْدُ فَاْلَمَعَابِ مستعدٌّ <sup>(٥)</sup> لعداوة أَوْلِيَاءِ الْمُذْنِبِ ، والعافى مستدعٍ لشكرهم ، آمِنٌ مِنْ مَكَاْفَاتِهِمْ <sup>(٦)</sup> أَيَّامُ قُدْرَتِهِمْ ، وَلَأَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِاتِّسَاعِ الصَّدْرِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِضِيقِ الصَّدْرِ <sup>(٧)</sup> ، على أن إقالتك عثرةَ عبادِ الله ،

[١] في الأصل « إجلالهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلالهم » أى في فتنتهم وهياجهم من الجلبة بالتحريك وهى الصياح . [٢] من الوكس كودد : وهو التقصا .

[٣] أى انقص حَقَّك بخروجك عليك ، غنى لك الانتقام منا لأخذ حَقَّك .

[٤] تطوَّلت عليه : امتنَّ وتفضل . [٥] وفى زهر الآداب : « من الجزع » .

[٦] وفى زهر الآداب : « مستودع » . [٧] مجازاتهم .

[٨] وفى زهر الآداب : « خير من أن توصف بضيقه » .

مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عِثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابُكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨ )

### ٤٣ — أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ : دعا المنصور بالربيع <sup>(١)</sup> ، فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ، فَقَدْ سَكَتَ حَتَّى نَطَقْتَ ، وَخَفَفْتَ حَتَّى ثَقُلْتَ ، وَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرْتَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَرْهَبُ بِخُلُوكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عَنْكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنِ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُوكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَنِّي بِشُكْرِكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصَحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ » قَالَ : صَدَقْتَ ، عَلِمْتُ بِهَذَا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْحُلَّ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الْفَضْلُ » <sup>(٢)</sup> وَتَوْثِرَهُ وَتَحَبَّهُ ، قَالَ : يَا رَبِيعَ ، إِنْ الْحُبُّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوهَبُ ، وَلَا رَتْبَةٌ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تَوْكُّدُهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْتَفَضُّلِ عَلَيْهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ، لَتَعْلَمَ مَالُهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي ، قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَا رَبِيعَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَّبُ بِهَا عِنْدُكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ ، قَالَ : صَدَقْتَ .

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وزير المنصور ، وكان مهيباً فصيحاً كافياً حازماً فطناً ، ولم يزل وزيراً للمنصور إلى أن مات المنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة المهدي ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وزير للرشيد بعد البرامكة ، ولابنه الأمين كما سيأتي .

#### ٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن عُبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدى ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأمرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يديك ، لو بقى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فأحذر ليلةً تَخْضُ عن يوم لا ليلة بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنةً ، لم يرَ لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتعال وأصحابك فاكفنى ، قال عمرو : « أدعنا بعدلك ، نَسْخُ أنفسنا بعونك ، يبابك ألف مظلمة ، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » .

(مروج الذهب ٢ : ٢٤٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٤٨)

#### ٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض ، وما يحُول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يحُول بين الحق

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتُ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي <sup>(١)</sup> ، قال : يا أمير المؤمنين إن أَمْنَتَنِي عَلَى نَفْسِي ، أَنبَأْتُكَ بِالْأُمُورِ مِنْ أَصُولِهَا ، وَإِلَّا احْتَجَزْتُ مِنْكَ ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَفِيهَا لِي شَاغِلٌ ، فقال : أَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ فَقُلْ ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغى والفساد لَأَنْتَ ، قال : ويحك ، وكيف يدخلكي الطمع ، والصِّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ <sup>(٢)</sup> فِي قَبْضَتِي ، وَالْحُلُوُّ وَالْحَامِضُ عِنْدِي ؟ قال : وهل دخل أحدًا من الطمع ما دَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسامين وأموالهم ، فَأَغْفَلْتَ أُمُورَهُمْ ، وَاهْتَمَمْتَ بِجَمْعِ أُمُورِهِمْ ، وَجَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا مِنَ الْجِصِّ وَالْآجُرِّ ، وَأَبْوَابًا مِنَ الْحَدِيدِ ، وَحَاجِبَةً مَعَهُمُ السِّلَاحُ ، ثُمَّ سَجَنْتَ نَفْسَكَ فِيهَا عَنْهُمْ ، وَبَعَثْتَ عُمَّالَكَ فِي جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمَعَهَا ، وَقَوَّيْتَهُمْ بِالرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ ، وَأَمَرْتَ بِالْأَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، نَفَرٌ سَمَّيْتَهُمْ ، وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِيصَالِ الْمَظْلُومِ وَلَا الْمَلْهُوفِ ، وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي ، وَلَا الضَّعِيفِ الْفَقِيرَ ، وَلَا أَحَدًا إِلَّا وَلَهُ فِي هَذَا الْمَالِ حَقٌّ ، فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ ، وَأَمَرْتَ أَلَّا يُحْجَبُوا عَنْكَ ، تَجَنَّبِي الْأَمْوَالِ وَتَجْمَعُهَا وَلَا تَقْسِمُهَا ، قَالُوا : هَذَا قَدْ خَانَ اللَّهُ ، فَمَا بَالُنَا لَا نَخُونُهُ وَقَدْ سَجَنَ لَنَا نَفْسَهُ ؟ فَأَتَمَّرُوا بِالْأَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا ، وَلَا يَخْرِجُ لَكَ عَامِلٌ ، فَيُخَالِفَ أَمْرَهُمْ إِلَّا قَصَبُوهُ <sup>(٣)</sup> عِنْدَكَ وَنَفَوْهُ ، حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ ، وَيَصْغُرَ قَدْرُهُ ، فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عَنْكَ وَعَنْهُمْ ، أَعْظَمَهُمُ النَّاسَ وَهَابُوهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَانَعَهُمْ عُمَّالُكَ بِالْهُدَايَا وَالْأَمْوَالِ ، لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظِلْمِ رِعْيَتِكَ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُووُ الْقُدْرَةِ وَالْثَرْوَةِ مِنْ

[١] أَوْجَعْنِي وَآلَمْنِي . [٢] الصِّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ : الدنانير والدرام .

[٣] طَابَهُ وَشَتَمُوهُ ، وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « خَوَّنُوهُ » .

رعيتك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلادُ الله بالطمع بغيًا وفسادًا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيلَ بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجَدَكَ قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجال ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفًا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويعتل عليه ، فإذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرّخ بين يديك ، فضرب ضربًا مبرحًا ليكون نكالًا لغيره ، وأنت تنظر فلا تُشكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسمنه ، فبكي يومًا بكاء شديدًا ، فحُثّه جلساؤه على الصبر ، فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكنني أبكي لمظلوم بالباب يصرّخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمعي ، فإن بصرى لم يذهب ، نادوا في الناس ألا يلبس ثوبًا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلومًا ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله ، غلبت رأفته بالمشرّكين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبرًا في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مالًا ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تهويه ، فما يزال الله يَلطّف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، واست بالذي تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتعديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بني أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدُّوا من الرجال والسلاح والكُراع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلتَ إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ ، لا تُدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خوَّلكَ مُلكَ الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في العذاب الأليم ، قد رأى ما قد عُقِدَ عليه قلبك ، وعَمَلَتَه جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه <sup>(١)</sup> يداك ، ومشَّت إليه رجلاك ، هل يُغْنِي عنك ما شحَّحت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك ، ودعاكَ إلى الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أُخْلَق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفْزَعُونَ إليهم في دينهم ، ويرضَوْنَ بهم ، فاجْعَلْهُمْ بِطَاتِكَ يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدُّوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحمِلَهُمْ على طريقَتِكَ ، ولكن افتح بابك ، وسهِّلْ حِجَابَكَ ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النِّيء والصدقات مما حل وطاب ، واقسمهُ بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ويُسعدوك على صلاح الأمة ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وَطَلِبَ الرجل فلم يوجد .

( عون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٤ )

## ٤٦ — مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي <sup>(٢)</sup> : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بطأ بك عني ؟

[١] اكتسبته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه ولد ببلدك سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٧ ببيروت ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من ذئ

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذى تريد منى ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مَكْحُولًا <sup>(١)</sup> » حدثنى عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بَلَغَهُ عن الله نصيحة فى دينه ، فهى رحمة من الله سَيِّقَتْ إليه ، فإن قَبِلَهَا من الله بِشُكْرٍ ، وإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً من الله عليه ، ليزداد إثمًا ، ويزداد الله عليه غَضَبًا ، وإن بَلَغَهُ شَيْءٌ من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السُّخْطُ ، ومن كرهه فقد كَرِهَ اللهَ ، لأن الله هو الحق المبين » فلا تَجْهَلَنَّ ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعى : فسل على الرِّيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فانتهره المنصوو وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعى ، وكان فى كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به ، والله ساءَ ثلك عن صغيرها وكبيرها ، وفَتِيلُهَا ونَقِيرُهَا <sup>(٢)</sup> ، ولقد حدثنى عُرْوَةُ بن رُوَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن رَاجِعٌ يَبِيدُ فامشًا لرعيته إلا حرَّم الله عليه رائحة الجنة » فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرًا ، ولما استطاع من عَوْرَاتِهِم سائرًا ، وبالقِسْط فيما بينهم قائمًا ، لا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُم منه رَهَقًا <sup>(٣)</sup> ، ولا مُسِيئُهُم عُدْوَانًا ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

الكلاع من اليمن ، وقيل : بطن من همدان ، وقيل الأوزاع : قرية بدمشق ، ولم يكن عبد الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، فنسب إليهم ، وهو من سبى اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله الشامي ، معلم الأوزاعى ، وكان من سبى كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ، فوهبه لامرأة من هذيل فأعتقته ، قال الزهرى : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعي بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام ، ولم يكن فى زمنه أبصر منه بالفتيا ، وسمع أنس ابن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفى سنة ١١٨ هـ .

[٢] الفتيل : السحاة التى فى شق النواة ، والنعير : القرعة التى فى ظهر النواة . [٣] ظلمًا .

أَقْدِفْهَا لَا تَمَلَأْ قُلُوبَهُمْ رُغْبًا ، فَكَيْفَ مِنْ سَفَكِ دِمَائِهِمْ ، وَشَقَقِ أَبْشَارِهِمْ ، وَأَنْهَبِ <sup>(١)</sup> أَمْوَالَهُمْ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرُ ، دَعَا إِلَى الْقَصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيَا لَمْ يَتَعَمَّدَهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثَكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونِ أَمَتِكَ » وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرَبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَابُ <sup>(٢)</sup> قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَوْ قُدَّةُ <sup>(٣)</sup> خَيْرُهُ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها » إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ عُلِّقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَذَاهُمْ ، فَكَيْفَ مِنْ يَتَقَمَّصُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ ذَنْوبًا <sup>(٤)</sup> مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ صُبَّ عَلَى مَاءِ الْأَرْضِ لَأَجَنَّهُ <sup>(٥)</sup> ، فَكَيْفَ بَعْنُ يَتَجَرَّعُهُ ؟ وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ سِلَاسِلِ جَهَنَّمَ وُضِعَتْ عَلَى جَبَلٍ لَذَابَ ، فَكَيْفَ مِنْ سُلِّكَ <sup>(٦)</sup> فِيهَا ، وَيُرَدُّ فَضْلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : « لَا يَقُومُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ <sup>(٧)</sup> الْعُقْدَةِ ، بَعِيدِ الْغِرَّةِ <sup>(٨)</sup> لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يُخْنِقُ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ <sup>(٩)</sup> ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأُئِمَّ » .

وَاعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ أَرْبَعَةٌ : أَمِيرُ يَظْلِفُ <sup>(١٠)</sup> نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ لَهُ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَصَلَاتُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ صَلَاةٍ ، وَيَدُ اللَّهِ بِالرَّحْمَةِ عَلَى رَأْسِهِ تُرْفَرُ ، وَأَمِيرُ رَتَعَ وَرَتَعَ عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ يَحْمِلُ أَثْقَالَهُ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِ ، وَأَمِيرُ

[١] جعلها نهباً يعار عليه . [٢] القاب : ما بين المقبض والسية ( وسية القوس كعدة : ما عطف من طرفيها ) . [٣] ريش السهم . [٤] الذنوب : الدلو . [٥] جعله آجناً أى متغير الطعم واللون . [٦] قيد . [٧] حصف الرجل ككرم : استحکم عقله فهو حصيف ، وأحصف الحبل : أحكم فتله . [٨] الغفلة . [٩] أحنق : حقد حقدا لا يشعل ، وأحنق الصلب : لرق بالبطاخ ، والجرة ما يفيض به البعير فيأكله ثمانية ، والمراد أنه لا يضر المقدم والحنق . [١٠] يكف .

يُظْلِفُ نَفْسَهُ، وَيُرْتِعُ عَمَالَهُ، فَذَاكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ، وَأَمِيرٌ يُرْتِعُ وَيُظْلِفُ  
عُمَالَهُ، فَذَاكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات  
والأرض والجبالي ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وقد جاء عن جدك في  
تفسير قول الله عز وجل : « لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أن  
الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، وقال : فما ظنكم بالكلام وما عمَلْتُهُ الأيدي ؟  
فأعذك بالله أن يُخَيَّلَ إليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع  
المخالفة لأمره ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صفيةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ،  
ويا فاطمةُ بنتَ مُحَمَّدٍ ، استوهبَا أنفسكما من الله ، إني لا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،  
وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيْ  
عَمٍّ ، نَفْسُ تُحْيِيهَا ، خَيْرُكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نَظَرًا لِعَمِّهِ ، وَشَفَقَةً  
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَ فِيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا ، وَلَا عَنْهُ  
دَفْعًا ، هَذِهِ نَصِيحَتِي إِنْ قَبِلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ تَحَمُّلَتَ ، وَإِنْ رَدَدْتَهَا فَنَفْسُكَ  
بِخَسْتٍ ، وَاللَّهُ الْمُوفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : بلى ، نَقَبْلُهَا وَنَشْكُرُ عَلَيْهَا ،  
وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ . ( القدر الفريد ١ : ٣٠٥ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ )

#### ٤٧ - نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للمنصور

ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة<sup>(١)</sup> على أمير المؤمنين المنصور ، فقال : يا أمير  
المؤمنين : توسّع توسّعاً قُرْشِيًّا ، وَلَا تَضِيقْ ضَيْقًا حِجَازِيًّا .

[١] ولي قنسرین للوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجمع له مروان بن محمد ولاية البصرة والكوفة ، وكان  
آخر من جمع له العرافان من الولاة ، ولما استظهرت عليه جيوش خراسان ، وهزمت عسكره لحق بمدينة

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدّثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد محضت<sup>(١)</sup> لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأثأره<sup>(٢)</sup> المنصور بصره ، ثم قال : لا يعزّ ملك يكون فيه مثل هذا ! . ( تهذيب الكامل ١ : ٢٨ )

#### ٤٨ — معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن<sup>(٣)</sup> بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنّك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك تجلّد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنّ فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأئ الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ١٠٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦١ )

واسط ، فتحصن بها ، ولما بويغ السفاح بالخلافة وجه أحمأبأ جعفر المنصور لقتله ، فخصره بواسط شهورا ، ثم أمنه وانتح البلد صلحا ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أثأره البصر : أتبعه إياه ، وحدّد إاليه النظر .

[٣] كان جوادا شجاعا جزيل العطاء كثير المعروف ، وكان في أيام بنى أمية متنقلا في الولايات ، مقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قدمنا ، أبلى يومئذ من مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد خاف معن من أبى جعفر المنصور ، فاستتر عنه مدة ، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل خراسان ثاروا على المنصور ، وحجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين أصحاب المنصور بالهاشمية — وهى مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة — وكان معن متواريا بالقرب منهم ، فخرج متنكرا معتما مثلما ، وتقدم إلى القوم ، وقاتل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن نجدة وشهامة وفرقهم ، فلما أخرج عن المنصور ، قال له : من أنت ويحك ؟ فقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه ، وصار من حواصله ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صناع كانوا يعملون في داره بمدينة بست ، فقتلوه وهو يحتجم ، وتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة ، فقتلهم بأسرهم .

## ٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين مَنْ يذكُرُه القلبُ ، وما زال شوقى إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جَفْوَة الحُجَّاب ، وَقَلَّةُ بَشَرِ الْعِلْمَانِ ، منعانى من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابهِ ، وأجزل صلته . ( زهر الآداب ٣ : ١٦١ )

## ٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابى على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبْقِيكَ اللهُ ، وَيَزِيدُ فى سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس فى كل وقت توفّر بذاك ، قال : « ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أستقصِرُ عمرك ، ولا أخافُ بُخْلَكَ ، ولا أغنمُ مالك ، وإن سؤألك لشرف ، وإن عطاءك لزَيْن ، وما بامرى بِذَل وجهه إليك تقصّر ولا شَيْنٌ » . فأحسن جائزته وأكرمه . ( الصاعتين ص ٤٠ ، العقد الفريد ١ : ١٣٩ )

## ٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهنئه

وروى القلقشندى قال : تعرّضت أعرابية للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العباس السّفاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، اختسب الصبر ، وقَدِّم الشكر ، فقد أجزل الله لك الثواب ، فى الحالَيْنِ ، وأعظم عليك المنّة فى الحادِثَيْنِ ، سلّبك خليفة الله ، وأفادك بخلافه الله ، فسلم فيما سلّبك ، واشكر فيما منّحك ، وتجاوز الله عن أمير المؤمنين ، وخار لك فيما ملّكك من أسمى الدنيا والدين »

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأة المنصور عن أبي العباس مَقْدَمَهُ من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلك من مصيبتك ، ولا عَوْض أعظم من خلافتك » . ( صبح الأعشى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥ )

## ٥٢ — خطبة محمد بن سليمان <sup>(١)</sup> يوم الجمعة

( وكان لا يغيّرُها )

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتصم بالله ورسوله ، فقد اعتصم بالنعروة الوثقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلّالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطِيعه وَيُطِيع رسوله ، ويتبع رضوانه ، ويتجنب سُخطه ، فإنما نحن له وبه ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعة الله ، وأرضى لكم ما عند الله ، فإن تقوى الله أفضل ما تحاثّ الناس عليه ، وتداعوا إليه ، وتواصوا به ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٦٥ )

## ٥٣ — وصية مسلم بن قتيبة

وقال مُسْلِم بن قُتَيْبَةَ <sup>(٢)</sup> : « لا تطلبن حاجتك إلى واحد من ثلاثة : لا تطلبها

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استشاره المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لو كان فيهما آلهة

إلا الله لفسدتا » فقال : حسبك يا بن قتيبة ، لقد أودعتها أدنا واعية ( وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ ) .

إلى الكذاب ، فإنه يُقَرَّبُها وهي بعيدة ، ويبعِدُها وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك ، وهو يضرُّك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم مأْكَلَةٌ ، فإنه يجعل حاجتك وقاءً لحاجته . ( الأماي ٢ : ١٩٠ )

#### ٥٤ - خطبة المهدي ( توفي سنة ١٦٩ هـ )

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمدُه على آلائه <sup>(١)</sup> ، وأجَّده لبلائه <sup>(٢)</sup> ، وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المُجْتَبَى <sup>(٣)</sup> ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس <sup>(٤)</sup> العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، غتلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاغن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قُرَناؤهم <sup>(٥)</sup> ، فاستشعروا الردى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن يَدِنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن يَدِنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحسَّكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاز إلى ما يقرب من رحمته ، وينجى من سخطه ، ويُنال به مآلديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوَّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توقفون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَكَلِّمُ

[١] نعمه ، والفرد إلى كمال وشمس ، وألوه كشمس ، وإلى كعبها وإلى كرمنا .

[٢] البلاء : يكون منعة ، ويكون محنة . [٣] المختار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] القرين : المصاحب ، والشيطان : القرون بالإنسان لا يفارقه .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أُنثَىٰ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ  
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ؛  
يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، فَإِنَّ الدُّنْيَا  
دَارُ غُرُورٍ ، وبلاء وشرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال ، قد أَفْنَت  
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وهى عائدة عليكم وعلى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعتَه ،  
وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ ، وَمَنْ أَمْلَهَا <sup>(١)</sup> كَذَبَتْهُ ، وَمَنْ رَجَاها خَذَلَتْهُ ، عِزُّهَا ذُلٌّ ،  
وَعِزُّهَا فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا ، وَالشَّقِيُّ فِيهَا مَنْ آثَرَهَا ، وَالْمَغْبُوتُ فِيهَا مَنْ بَاعَ  
حِظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،  
وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ <sup>(٢)</sup> ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَظَمِ <sup>(٣)</sup> ،  
وَتَنْدَمُوا فَلَا تَنَالُونَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمٍ حَسْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَآبَةٍ وَتَلَهُفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ  
كَأَلْيَامٍ ، وَمَوْقِفُ صَنْتِكَ الْمَقَامَ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابَ اللَّهِ ،  
يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ  
تُرْهَمُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ  
التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ  
بِهِ ، وَأَنَّهَا كَمِ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ »

(المقد الفريد ٢ : ١٤٦)

[١] أمله وأمله بالتخفيف والنشيد . [٢] زكا يزكو : نما وصلاح .

[٣] الكظم : الخلق أو القم ، أو مخرج للنفس ، أى قبل الموت .

## مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

روى ابن عبد ربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأُغْنِفَتْ ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة ، على أن نكثوا بيعتهم ، ونقضوا موثقتهم ، وطرّدوا العمال ، والتّوّوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دأبتهم ، تطوُّلاً بالفضل ، واتساعاً بالعفو ، وأخذاً بالحجة ، ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذكّله الله أعباء الخلافة ، وقلّده أمور الرعية ، رفيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته ، تسكُنْ إلى كنفه ، وتأنّس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأقضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هَوَادَةٌ ، ولا إغضاء ، ولا مدهانة ، أثرَةٌ للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والثقة بعفوه ، أن كَسَرُوا الخراج ، وطرّدوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومةً بإقرار ، وتنصلاً باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلاّته ، وبعث إلى نفر من لحمته <sup>(١)</sup> ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى <sup>(٢)</sup> بالابتداء ، وقال للعباس <sup>(٣)</sup> بن محمد : أي عمّ تعقّب قولنا ، وكن حكماً بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللّحة : القراة . [٢] جمع مولى ، وهو هنا القريب كابن العم ونحوه .

[٣] هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أنحو المنصور .

ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

## ٥٥ — مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غايةً ، ولكل قوم صناعةً ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غايةً ، وطلبت معوانتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وقرسان الهزاهز<sup>(١)</sup> ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها<sup>(٢)</sup> ، وفيأتهم ظلالها ، وعصتهم شدائدُها ، وقرمتهم<sup>(٣)</sup> نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائرَ تؤيدُ أمرَك ، وتجارِبَ توافقُ نظرك ، وأحاديثَ تقوى قلبك ، فأما نحن معاشرَ عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا أن نقوم بشقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حكمك ، وإظهار حقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمةً ، ولكل زمان سياسةً ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسع الرأي ، وثيق العقدة ، قويُّ المنَّة<sup>(٤)</sup> ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محذور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ،

---

[١] الهززة والهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناس . [٢] جمع سجل كشس ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . [٣] قرم الطعام : أكمله ، والنواجذ : أفعى الأرضين . [٤] القوة .

مُعَان بِالظَفَرِ ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ هَمَّتَ فِي عِزْمِكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَعَلَّكَ مَلْتَبِسُ الشَّكِّ ، فَاعْزِمِ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانَكَ ، فَإِنْ جُنُودُكَ جَمَّةٌ ، وَخِزَانَتُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ، وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فَأَجَابَهُ الْمَهْدِيُّ : « الْمَشَاوِرَةُ وَالْمَنَاظِرَةُ بِأَبَا رَحْمَةٍ ، وَمِفْتَاحُا بَرَكَاتٍ ، لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِمَا رَأْيٌ ، وَلَا يَتَفَيَّلُ <sup>(١)</sup> مَعَهُمَا حَزْمٌ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَخْضُرُكُمْ ، فَإِنِّي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

## ٥٦ — مقال الربيع بن يونس <sup>(٢)</sup>

وقال الربيع :

أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَثِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بِيَعِضِ مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خَرَّاسَانُ أَرْضٍ بَعِيدَةِ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ <sup>(٣)</sup> ، مُتَفَارِقَةِ السَّبِيلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَمُبْرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَأُبَابِ الصَّوَابِ ، رَأْيَا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونُهُ مَعْلَقٌ لِحُصُومَةٍ عَائِبٍ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ <sup>(٤)</sup> بِهِ ، وَانْطَوَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَانَ بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِحَقَائِقِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ، وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُحْدِثَ رَأْيَا غَيْرَهُ ، وَتَبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَقَدْ انْفَرَجَتْ الْحَلَقُ ، وَتَحَلَّلَتِ الْعُقَدُ ، وَاسْتَخِي الْحِقَابُ <sup>(٥)</sup> ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ أَعْلِمَ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قَالَ تَرَايُهُ وَتَبِيلُ : أَخْطَأَ وَضَعَفَ . [٢] وَزَرَ لِأَبِي حُمْفَرِ الْمَنْصُورِ وَقَتْلَهُ الْهَادِي سَنَةَ ١٧٠ هـ .

[٣] الْبَعْدُ وَالسَّفَرُ الْبَعِيدُ . [٤] جَمْعُ بَرِيدٍ : وَهُوَ الرِّسُولُ ، وَخَبَّتْ : أَسْرَعَتْ .

[٥] الْحِقَابُ : مَا تَمُدُّهُ الْمَرْءَةُ فِي وَسْطِهَا .

كمصدر الأولى ، ولكن الرأى أيها المهدي وفقك الله ، أن تصرف إجابة النظر ،  
وتقليب الفكر فيما جمعنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم ، والحيل في  
أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس  
موصوفاً بهوى في سواك ، ولا متهماً في أثره عليك ، ولا ظنيناً <sup>(١)</sup> على دخلة <sup>(٢)</sup>  
مكروهة ، ولا منسوباً إلى بدعة محذورة ، فيقدح في ملكك ، ويرى <sup>(٣)</sup>  
الأمور لغيرك ، ثم تسند إليه أمورهم ، وتفوض إليه حربهم ، وتأمره في عهدك  
ووصيتك إياه ، بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأى ،  
عند استحالة الأمور ، واشتداد الأحوال التى ينقض أمر الغائب عنها ، ويثبت  
رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ، فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه  
ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، وأحيد النظر  
إن شاء الله .

## ٥٧ — مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي ، إنَّ ولىَّ الأمور ، وسائسَ الحروب ، ربما نحى جنوده ،  
وفرق أمواله في غير ماضيقٍ أمرٍ حزبه <sup>(٤)</sup> ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعد  
عند الحاجة إليها ، وبعد التفرقة لها ، عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق بقوة ، ولا  
يصول بعدة ، ولا يفزع إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ، أن تُعفى  
خرائنك من الإنفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة

[١] متهما . [٢] دخلة الرجل مثله ، ودخيلته : نيتته ومذهبه .

[٣] فى كتب اللغة : راضه وروضه : هذله ، وأراض الأرض جعلها راضاً . [٤] اشتد عليه .

الأخطار، وتغريير القتال ، ولا تُسرِعْ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والمطاء  
لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعتك غيرهم ، ولكن اغزم  
بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم <sup>(١)</sup> بالرفق ، وأبرق <sup>(٢)</sup>  
لهم بالقول ، وأرعد نحوم بالفعل ، وابتعت البعوث ، وجنّد الجنود ، وكتب  
الكتائب ، واعقد الأولوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك مُوجّهٌ إليهم الجيوش  
مع أخنق قوّادك عليهم ، وأسوّثهم أثراً فيهم ، ثم ادسّس الرسل ، وابثث  
الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضاً على خوف من وعيدك ،  
وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ،  
حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا  
من كل الحذر والهيبه ، فإن مرّام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة <sup>(٣)</sup>  
بالكتب ، والمكايده بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المذخل في القلوب ،  
القوى الموقّع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين  
الذي يستميل القلوب ، ويسترقّ العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ،  
ويستدعي المواتاة <sup>(٤)</sup> ، أنفذ من القتال بطبات السيوف ، وأسنة الرماح . كما  
أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوّه بالمكايده ،  
أحكم عملاً ، وألطف منظرًا ، وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك إلا  
بالقتال ، والإتلاف للأموال ، والتغريير والأخطار <sup>(٥)</sup> ، وليعلم المهدي أنه إن وجّه  
لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم

[١] خادعهم . [٢] رعد وبرق ، وأرعد وأبرق : تهدد وتوعد .

[٣] ناصبه الحرب والعداوة : ألقها . [٤] الموافقة . [٥] المخاطرة .

على أسفارٍ ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَشَة ، إن ائتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كلّ ذى علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه عليّ ، فقال : ما تقول ؟

## ٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال عليّ بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَخْلَعُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَحُ في تغيير ملكك ، وَيُريِضُ الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسرَ ، والشأن أصغرَ ، والحال أدلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند موّعه الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، ويحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفأت نائرة الحرب ، ووفّرت خزائن المال ، وطرحْتَ تغريرَ القتال ، وحمل الناسُ محمَل ذلك على طبيعة جُودك ، وسجيّة حاكمك ، وإسجاح<sup>(١)</sup> خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأمنت أن تُنسَب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَة ، وإن منعتهُم ما طلبوا ، ولم تُجِبْهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميّدان الخطّاب ، فما أربُ المهدي أن يعمِد إلى طائفه من رعيته ،

مقرّين بملكته ، مُذعنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُبرئونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدّ المقارعة ، ومِضمار المخاطرة ، أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمرى لا ينالها ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها ، فَحُمِلت إليه ، وَوُضِعَتْ بخرائطها <sup>(١)</sup> بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسَب ، وبه يُعرَف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قُرّة عينه ، ونَهْمَةً <sup>(٢)</sup> نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد ، في أهل الخراج الذين شكّوا ظلم عمالنا ، وتحامل وُلّاتنا ؛ فأما الجنود الذين نقّضوا موافيق العهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيّد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم ، وعِظة لسواهم ، فيعلم المهدي أنه لو أتی بهم مغلولين في الحديد ، مُقرّنين <sup>(٣)</sup> في الأصفاد <sup>(٤)</sup> ، ثم اتسع لِحَقْنِ دماثهم عفوّه ، ولإقالة عثرتهم صَفْحُهُ ، واستبقاهم لما هم فيه من حربته ، أو لمن يلازمهم من عدوه ، لَمَا كَانَ بِدَعَا من رأيه ، ولا مستنكراً من نظره ، لقد علمت العربُ أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوّاً ، وأشدّها وقماً ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاضمه <sup>(٥)</sup> عفوّه ، ولا يتكأء دُهُ <sup>(٦)</sup> صفحّه ، وإن عَظُم الذنبُ ، وَجَلَّ الخَطْبُ ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يَحُلَّ عُقْدَةَ الغيظ ، بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم ، وَضِيْعَةَ عِيالاتهم ، بِرَأْيِهِمْ ، وتوسّماً لهم ، فإنهم إخوان دولته ،

[١] جمع خريطة وهي وطاء من آدم وغيره يشرح على مافيه . [٢] التهمة : الحاجة وبلوغ العمرة في الشيء . [٣] مقيدون . [٤] الأصفاد : القيود : جمع صفت كسب . [٥] تعاضمه الأمر : عظم عليه . [٦] تكأءه الأمر : شقّ عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجبتهم يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو ثقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازيين ، أصاب أحدهما خبل عارض ، ولهُوَ حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزد أخوه إلا رقة له ، ولطفاً به ، واحتياجاً لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، وبراً به ، ومرة حمة له .

فقال المهدي : أما على فقد نوى ستمت الليان<sup>(١)</sup> ، وفَضَّ القلوب في أهل خراسان ، ولكل نبيٍّ مُسْتَقَرٍّ ، فقال : ماترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه (الهادي) .

### ٥٩ — مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحان من القوم ينادى بمَضْمَرَةٍ شر ، وخَفِيَّةٍ حَقْد ، قد جعلوا المعاذير عليها سِتْراً ، واتخذوا العِلَل من دونها حجاباً ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأُمُور بالتطويل ، فيكسِرُوا حِيَلَ المهدي فيهم ، ويُفْنُوا جنودَه عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مآذيتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قولهم في حالِ غِرَّة ، ولباسِ أَمَنَةٍ ، قد قَتَرَ لها ، وَأَنَسَ بها ، وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وَبَرَدَتْ عليه جلودهم من المناصبَةِ بالقتال ، والإضرار للقِرَاع ، عن داعية ضلال ، أو شيطان

فساد ، لَزِهَبُوا عواقب أخبار الوُلاة ، وَغِيبَ سكون الأمور ، فليشدُّ المهدي وفقه الله أزره<sup>(١)</sup> لهم ، ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خُطة يريد بها صلاحهم ، إلا كانت دُرْبَة إلى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسبباً لفساد مَنْ بِحَضْرَتِهِ من الجنود ، ومن يبابه من الوفود الذين إن أقرَّهم ، وتلك العادة ، وأجرامهم على ذلك الأرب ، لم يبرح في فتقٍ حادث ، وخلافٍ حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدُرْبَة ، لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المُفرطة ، والمثوثة الشديدة ، والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يُقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحِرَّ<sup>(٢)</sup> . ثم القتل ، ويُحدِّق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، وَيُطَبِّق عليهم الدَّل ، فإن فعل المهدي بهم ذلك ، كَانَ مَقْطَعَة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شرٍّ منهم ، واحتمالُ المهدي في مَثْوَنَة غزوتهم هذه ، تضع عنه غزواتٍ كثيرة ، ونفقاتٍ عظيمة .

فقال المهدي : « قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل » .

٦٠ — مقال العباس بن محمد

فقال العباس بن محمد :

« أيها المهدي : أما المَوَالِي فأخذوا بفروع الرأي ، وسلَكوا جَنَابَات الصواب ، وتمعدَّوا أموراً قصَّر بنظرهم عنها ، أنه لم تأت تجارِبُهم عليها ، وأما الفضلُ فأشار بالاموال أن لا تُنفَق ، والجنود ألا تُفَرَّق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا ، ولا

يُبْذَلُ لَهُمْ مَاسْأَلُوا ، وَجَاءَ بِأَمْرِ يَبْنَى ذَلِكَ اسْتَصْغَارًا لَأَمْرِهِمْ ، وَاسْتِهَانَةً بِحَرْبِهِمْ ، وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صَغَارُهَا .

وَأَمَّا عَلَى ، فَأَشَارَ بِاللَّيْنِ وَإِفْرَاطِ الرَّفْقِ ، وَإِذَا جَرَّدَ الْوَالِي لِمَنْ غَمَطَ أَمْرَهُ ، وَسَفَهَ حَقَّهُ ، اللَّيْنُ بَحْتًا ، وَالْخَيْرُ مُحْضًا ، لَمْ يَخْلِطْهُمَا بِشِدَّةٍ تَعَطَّفِ الْقُلُوبَ عَنْ لَيْنِهِ ، وَلَا بِشَرٍّ يَحْبِسُهُمْ إِلَى خَيْرِهِ ، فَقَدْ مَلَّكَهُمْ الْخَلْعَ اعْذَرَهُمْ ، وَوَسَّعَ لَهُمُ الْفُرْجَةَ لِقَتْنِي أَعْنَاقَهُمْ ، فَإِنْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ ، وَقَبِلُوا لَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ اضْطَرَّهُمْ وَلَا شِدَّةٍ ، فَتَرْوَةٌ<sup>(١)</sup> فِي رءِ وَسْهُمْ ، يَسْتَدْعُونَ بِهَا الْبَلَاءَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَيَسْتَصْرِخُونَ بِهَا رَأَى الْمَهْدَى فِيهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ ، وَيَسْرِعُوا لِإِجَابَتِهِ بِاللَّيْنِ الْمَحْضِ ، وَالْخَيْرِ الصُّرَاحِ ، فَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ الظَّنُّ بِهِمْ ، وَالرَّأْيُ فِيهِمْ ، وَمَا قَدْ يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مِثْلِهِمْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمَ ، وَالْمَلِكَ الْكَبِيرَ ، مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَلَا تُذَكِّرُكَ الْفِكْرَ ، وَلَا تَعْلَمُهُ نَفْسٌ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهَا ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهَا ، فَلَوْلَا أَنَّهُ خَلَقَ نَارًا جَعَلَهَا لَهُمْ رَحْمَةً يَسُوقُهُمْ بِهَا إِلَى الْجَنَّةِ ، لَمَا أَجَابُوا وَلَا قَبِلُوا .

وَأَمَّا مُوسَى ، فَأَشَارَ بِأَنْ يُعْصَبُوا بِشِدَّةٍ لَالَيْنَ فِيهَا ، وَأَنْ يُزَمَّوْا بِشَرٍّ لِاخْيَرِ مَعَهُ ، وَإِذَا أَضْمَرَ الْوَالِي لِمَنْ فَارَقَ طَاعَتَهُ ، وَخَالَفَ جَمَاعَتَهُ ، الْخَوْفَ مُفْرَدًا ، وَالشَّرَّ مَجْرَدًا ، لَيْسَ مَعَهُمَا طَمَعٌ ، وَلَا لَيْنٌ يَنْتَنِيهِمْ ، اشْتَدَّتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ، وَانْتَقَطَتْ الْحَالُ مِنْهُمْ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ تَدْخُلَهُمُ الْحَمِيَّةُ مِنَ الشَّدَّةِ ، وَالْأَنْفَةُ مِنَ الذَّلَّةِ ، وَالْإِمْتِعَاضُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى التَّمَادِي فِي الْخِلَافِ ، وَالِاسْتِبْسَالِ فِي الْقِتَالِ ، وَالِاسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ ، وَإِمَّا أَنْ يَنْقَادُوا بِالْكَرْهِ ، وَيُذْعِنُوا بِالْقَهْرِ عَلَى

بِفَضْلة لازمة ، وعداوة باقية ، ثورث النفاق ، وثُعقِب الشقاق ، فإذا أمكتهم فرصة ، أو ثابَّت<sup>(١)</sup> لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشدَّ مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أكنى دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيي ، وحزمت نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

## ٦١ — مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا فِطامَ لما تَكَرَّه ، وعاد اللين أهْدَى قَائِد إلى ماتحِبِّ ، ولكن أرى غير ذلك » .  
قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين بما أدعى ، حتى يأتي بيئته عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة<sup>(٢)</sup> ، والأعاجم قوم مَكْرَة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن مايسرون على ظاهر مايعلمون ، وربما افترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تُبْطِن ، واستسرَّ بمدخولة لا تعلن ، والطبيب الرفيق بطبِّه ، البصير بأمره ، العالم بمقدِّم يده ، وموضع ميسمه<sup>(٣)</sup> لا يتعجل الدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدي « وفقه الله » أن يَفِرَّ<sup>(٤)</sup> باطن أمرهم قرَّ

[١] رجعت . [٢] خدعة بسكون الدال وتثنية الحاء ، وبضم الحاء وفتح الدال ، أى تنقضى بخدعة .

[٣] الميسم : المكواة . [٤] فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف سنها .

المُسْنَةُ ، وَيَخْضُ ظَاهِر حَالِهِمْ فَخْضُ السَّقَاءِ ، بِمُتَابَعَةِ الْكُتُبِ ، وَمُظَاهَرَةِ الرُّسُلِ ،  
وَمُوَالَاةِ الْعِيُونِ ، حَتَّى تُهْتَكَ حُجُبُ عِيُونِهِمْ ، وَتُكْشَفَ أَغْطِيَةُ أُمُورِهِمْ ، فَإِنْ  
انْفَرَجَتْ الْحَالُ وَأَفْضَتْ الْأُمُورُ بِهِ إِلَى تَغْيِيرِ حَالٍ ، أَوْ دَاعِيَةِ ضَلَالٍ اشْتَمَلَتْ  
الْأَهْوَاءَ عَلَيْهِ ، وَانْقَادَ الرِّجَالُ إِلَيْهِ ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ نَحْوَهُ بِدِينٍ يَعْتَقِدُونَهُ ، وَإِثْمٍ  
يَسْتَحِلُّونَهُ ، عَصَبَهُمْ بِشِدَّةٍ لَا لَيْنَ فِيهَا ، وَرِمَاهُمْ بِعَقُوبَةٍ لَا عَفْوََ مَعَهَا ، وَإِنْ  
انْفَرَجَتْ الْعِيُونُ ، وَاهْتَصَرَّتِ السُّتُورُ ، وَرُفِعَتِ الْحُجُبُ ، وَالْحَالُ فِيهِمْ مَرِيعةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَالْأُمُورُ بِهِمْ مُعْتَدِلَةٌ ، فِي أَرْزَاقٍ يُطْلَبُونَ ، وَأَعْمَالٍ يُنْكَرُونَهَا ، وَظُلَامَاتٍ  
يَدْعُونَهَا ، وَحَقُوقٍ يَسْأَلُونَهَا ، بِمَاتَةٍ سَابِقَتِهِمْ ، وَدَالَّةٍ مُنَاصِحَتِهِمْ ، فَالرَّأْيُ لِلْمَهْدَى  
- وَفَقَهُ اللَّهِ - أَنْ يَتَسَعَ لَهُمْ بِمَا طَلَبُوا ، وَيَتَجَانَفَى لَهُمْ عَمَّا كَرِهُوا ، وَيَشْعَبَ <sup>(٢)</sup> مِنْ  
أَمْرِهِمْ مَا صَدَعُوا ، وَيَرْتُقَ مِنْ فَتَقِهِمْ مَا قَطَعُوا ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِمْ مَنْ أَحْبَبُوا ،  
وَيَدَاوِي بِذَلِكَ مَرْضَى قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادَ أُمُورِهِمْ ، فَإِنَّمَا الْمَهْدَى وَأَمْتُهُ ، وَسَوَادُ  
أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الرَّفِيقِ ، وَالْوَالِدِ الشَّفِيقِ ، وَالرَّاعِيِ الْمَجْرَّبِ الَّذِي  
يَحْتَالُ لِمَرَابِضِ غَنَمِهِ ، وَضَوَالِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى يُبْرِئَ الْمَرِيضَةَ مِنْ دَاءِ عِلَّتِهَا ، وَيُرَدِّ  
الصَّحِيحَةَ إِلَى أُنْسِ جَمَاعَتِهَا ، ثُمَّ إِنْ خَرَّاسَانُ بِخَاصَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ دَالَّةٌ مُجْمُولَةٌ ، وَمَاتَةٌ  
مُقْبُولَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مُعْرُوفَةٌ ، وَحَقُوقٌ وَاجِبَةٌ ، لِأَنَّهُمْ أَيْدِي دَوْلَتِهِ ، وَسَيُوفُ دَعْوَتِهِ ،  
وَأَنْصَارُ حَقِّهِ ، وَأَعْوَانُ عَدْلِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمَهْدَى الْإِضْطِغَافُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا  
الْمُؤَاخَذَةُ لَهُمْ ، وَلَا التَّوَعُّرُ <sup>(٣)</sup> بِهِمْ ، وَلَا الْمَكْفَاةُ بِإِسَاءَتِهِمْ ، لِأَنَّ مَبَادِرَةَ حَسْمِ  
الْأُمُورِ ضَعِيفَةٌ قَبْلَ أَنْ تَقْوَى ، وَمَحَاوَلَةُ قَطْعِ الْأَصُولِ ضَثِيلَةٌ قَبْلَ أَنْ تَغْلُظَ ،

[١] مَرِيعُ الْوَادِي كَكْرَمِ مَرَاةٍ : أَخْصَبَ بِكَثْرَةِ السَّكَنِ فَهُوَ مَرِيعٌ .

[٢] شَعَبَ . [٣] تَوَعَّرَ الرَّجُلُ : تَشَعَّدَ .

أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَعَ الحيا <sup>(١)</sup> ، حتى خرج خروج القَدَح من الماء ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بعده هرون ، ولكن مَن لَأَعْنَةُ الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أمعن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدَّالَّةُ ؟ » .

### ٦٢ — مقال صالح بن علي <sup>(٢)</sup>

قال صالح :

« لسنا نبليغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسَةٍ رأيك ، وبعضَ لَحَظَاتِ نظرك ، وليس ينفَضُ عنك من ييوتات العرب ، ورجالاتِ العجم ، ذودين فاضل ، ورأي كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، وَيَضْطَلِع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون المُنْقِيبة <sup>(٣)</sup> ، مبارك العزيمة ، تحبُّور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد تُوليه أمرك ، وتُسند إليه ثغرك ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد . »

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم . »

### ٦٣ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قومٌ ذوو عِزَّةٍ وَمَنَّةٍ ، وشياطينُ خَدَعَةٍ ،

[١] للطر . [٢] هو صالح بن علي بن عبدالله بن عباس . [٣] النفس والطبيعة .

زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة ،  
والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلتهم ، لأنهم بين  
سيفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون إلا بشدة ،  
ولا يقطمون إلا بالمر ، وإن ولي المهدي عليهم وضعاً لم تنقذ له العظماء ، وإن  
ولي أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وإن آخر المهدي أمرهم ، ودافع حربهم ،  
حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ناصحاً ، يتفق عليه  
أمرهم ، وثقةً تجتمع له أملاؤهم<sup>(١)</sup> ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا  
مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من  
الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد ،  
ولا يستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي وفقه  
الله فاطماً عاداتهم ، ولا قارِعاً صفاتهم<sup>(٢)</sup> ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا  
عذل<sup>(٣)</sup> في ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ،  
وصخرة لا تُزعزع ، وبهمة<sup>(٤)</sup> لا تُثنى ، وبازل<sup>(٥)</sup> لا يُفزع صوت الجملجل ،  
نقى العرض ، تزيه النفس ، جليل الخطر<sup>(٦)</sup> ، اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما  
نحو الآخرة بهمة ، وجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً ، والغرض الأدنى لقدمه  
موطئاً ، فليس يقبل عملاً ، ولا يتعدى أملاً ، وهو رأس مواليك ، وأنصح  
بنى أبيك ، رجل قد غذى بلطيف كرامتك ، ونبتت في ظل دولتك ، ونشأ على

[١] جمع ملاك سبب وهو الجماعة . [٢] الصفاة : الحجر الصلد الضخم . [٣] العدل : الظير .

[٤] البهمة : الصخرة ، والشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى . [٥] البازل : الجمل فى السنة

الناسعة ، والرجل الكامل فى تجربته . [٦] انقدر .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتهم أمرهم ، وحمّلتهم ثقلهم ، وأسندت إليهم ثغرهم ، كان قفلاً فتحه أمرك ، وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصفة ، وملك المعدلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذي بين صدورهم ، وأسكن لك في السؤدداء ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متمائلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نفوه ، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدّوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عودٌ من غيضتك <sup>(١)</sup> ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، ويسطّط عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهدي ، فسّطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجوش إليهم ، ولا تمنّك ضراعة <sup>(٢)</sup> سنّه ، وحدّاته مؤلّده ، فإن الحلم والثقة مع الحدّاة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به ، من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراخ عتاق الطير ، المحكّمة لأخذ الصيد بلا تذيب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والتؤدّة ، والرفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مستحكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

[١] الفيضة : الأجمة ومجتمع الشجر في مفيض ماء . [٢] المراد حدّاة .

« أَفْتَاءُ <sup>(١)</sup> أَهْلٍ يَبْتَكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلُ خِرَاسَانَ فِي حَالٍ عَزٍّ عَلَى مَا وُصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمِ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بِنَبِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بِطَوِيلِ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجِيُوشِ ، وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأَعْدَاءَ يَغْتَمِزُونَ بِهَا مِنْهُ ، وَيَحْتَقِرُونَ بِهَا فِيهِ ، وَيَجْتَرِئُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي النَّهْوضِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْإِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخَرُ أَنَّ الْجُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالنَّجْدَةَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ <sup>(٢)</sup> وَالْهَيْبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينَ إِبْتِحَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ ، وَبِبَابِ الْمَهْدِيِّ - وَفَقَّهَ اللَّهُ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيٌّ ، حَنِيكٌ ، <sup>(٣)</sup> صَيِّتٌ ، لَهُ نَسَبٌ زَاكٍ ، وَصَوْتٌ عَالٌ ، قَدْ قَادَ الْجِيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالْمَقَّةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلُّ الثَّقَّةِ ، فَلَوْ لَآهَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبَتَ قَصْدَ الرَّمِيَّةِ ، وَأَيَّنْتَ إِلَّا عَصَبِيَّةً ، إِذْ رَأَيْتُ الْحَدَثَ مِنْ أَهْلِ يَبْتَنَّا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ ؟ » . قَالُوا : « لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَدْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَتَّرَ دُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمَ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةَ مَا تَجْرِي

[١] جمع فتى كيتيم وأيتام . [٢] الصوت والصلوات والصيت : الذكر الحسن . [٣] محنتك .

[٤] هو نسيج وحده : لا نظير له منفرد بخصال محمودة لا يشركه فيها غيره ، كما أن الثوب النفيس

لا يتنسخ على منواله غيره ، أى لا يهرك يده وبين غيره في السدى .

عليه المقاديرُ من حوادث الأمور ، ورَيْبُ المنون <sup>(١)</sup> الْمُخْتَرِمَةُ لِحَوَالِي القرون ، وَمَوَاضِي الملوك ، فِكْرُهَا شُسُوعُهُ <sup>(٢)</sup> عَنْ مَحَلَّةِ الملك ، ودار السلطان ، ومقرّ الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقرّ الجنود ، وَمَعْدِنُ الجُود ، وَتَجْمَعُ الأموال ، التي جعلها الله قُطْبًا لِمَدَارِ الملك ، ومِصْنِيدة لقلوب الناس ، وَمَثَابَةُ لِإِخْوَانِ الطمع ، وثَوَارِ الفتن ، ودَوَاعِي البِدْع ، وفُرْسَان الضلال ، وَأَبْنَاء الموت ، وقلنا إِنْ وَجَّهَ المهدي وَلِيَّ عَهْدِهِ ، فحدث في جيوشه وجنوده ، ما قد حدث بِجُنُودِ الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بغيره ، إِلَّا أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، وهذا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وهول شديد ، إِنْ تَنَفَّسَتْ الأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ، واستدارت الحال بِإِمَامِهِ ، حتى يَقَعَ عِوَضُ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ ، أَوْ يَخْذُلَتْ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، صار ما بعده مما هو أعظم هَوَلاً ، وأَجَلَ خَطَرًا ، له تَبَعًا ، وبه متصلاً .

## ٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وعلى غير ما تصفون الأمرَ عليه ، نحن أهل البيت نَجْرِي من أسباب القضايا ، ومَوَاقِعِ الأمور ، على سَابِقٍ من العلم ، ومَحْتَمٍ من الأمر ، قد أَنبَأَتْ به الكتبُ ، وَتَنَبَّأَتْ عَلَيْهِ الرسلُ ، وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا ، وَتَكَامَلَ بِحَذَافِيرِهِ <sup>(٣)</sup> عِنْدَنَا ، فِيهِ نَدْبَرُ ، وعلى الله تَوَكَّلْ ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لَوَلِيِّ عَهْدِي ، وَلَوِيَّ عَهْدِ عَقْبِي بَعْدِي ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ البِعْوثَ ، وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْجُنُودِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسلَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حِيَلُهُ ،

[١] النوى المنية ( مؤنث ) والمختمة : المهلكة ، والحوالي جمع خالية وهي الماضية .

[٢] شمع كنع شسما وشسوطا : يمد فهو شاسع وشسوع .

[٣] جمع حذفور كمصفورٍ أو حنظار كقرطاس وهو الجاذب .

ثم يخرج نَشِيطًا إليهم ، حَنِقًا عليهم ، يريد أن لا يدعَ أحدًا من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرَّ القتل ، وألبسه قِناع القَهَر ، وقلَّده طوق الذل ، ولا أحدًا من الذين عملوا في قصِّ جَنَاحِ الفتنَةِ ، وإخماد نار البدعة ، ونُصرة وُلاةِ الحق ، إلا أجرى عليهم دِيَمَ فضله ، وجداولَ نَهْلِهِ ، فإذا خرج مُزْمِعًا به ، مُجْمِعًا عليه ، لم يَسِرْ إلا قليلًا حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكَدَحَت كُتبه ، ونَفَذَت مكائده ، فَهَدَّأت نافرَةُ القلوب ، ووقعت طائِرةُ الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظراً لهم ، وبراً بهم ، وتعطفًا عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم ، وفطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيتَ الله الحرام ، وسلب تجارهم رزقَ الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجِّه إليهم ، ثم تعتقد له الحُجَّة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبَذَلِ ما يسألون ، فإذا سَمَحَت الفِرَق بقراباتها له ، وَجَنَحَ أهل النواحي بأعناقهم نحوه ، فَأَصْنَعَت إليه الأفتدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقَدِمَت عليه الوفود ، قَصَدَ لأول ناحية بَحَعَت <sup>(١)</sup> بطاعتها ، وأَلْقَتْ بأزمِئتها ، فألبسها جَنَاحَ نعمته ، وأنزلها ظِلَّ كرامته ، وخصَّها بعظيم حِباءه <sup>(٢)</sup> ، ثم عمَّ الجماعة بِالْمُعْدَلَةِ ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فِرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت إليها منفعتُه ، فأغنى فقيرها ، وَجَبَرَ كَسِيرها ، ورفَعَ وضيعها ، وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وَتُبْطِئُ عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعَث ، وَأَبْطَأ مَنْ يوجِّه ، فيصطلي عليها مَوْجِدَةٌ ، ويبتغى لها عِلَّةٌ ، لا يلبث يَجِدُ <sup>(٣)</sup> بحق يلزمهم ، وأمر يجب عليهم ؟ فتستلحمهم

[١] يجم بالحق بجوعاً : أقربه وخضع له . [٢] عطائه . [٣] يعضب .

الجيش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرق بهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويفنيهم  
التبّع ، حتى يُخرب البلاد ، ويؤتّم الأولاد ، وناحية لا يسطط لهم أماناً ، ولا يقبل  
لهم عهداً ، ولا يحمل لهم ذمّة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرّع جلباب  
الفتنة ، وربّض في شقّ العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب  
هزّابهم ، في أجج البحار ، وقُلل الجبال ، وسحّل<sup>(١)</sup> الأودية ، وبطون الأرض ،  
تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً ، حتى يدع الديار خراباً ، والنساء أيتاماً ، وهذا أمر  
لا نعرف له في كتبنا وقتاً ، ولا نصحّح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولى  
عهدي ، فهذا أوان توجّهه إلى خراسان ، وحلوله بمجرّجان ، وما قضى الله له من  
الشخوص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسامين مغبّة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام  
بحيث يُغمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم  
فضله ، ويتذأب<sup>(٢)</sup> مشرق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فن يصحبه  
من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ » .

## ٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن ولى عهدك أصبح لأمتك ، وأهل ملتك ، علماً قد تثنت  
نحوه أعناقها ، ومدّت ستمته أبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحلّ  
جواره لك ، عطل<sup>(٣)</sup> الحال ، غفل الأمر ، واسع العذر . فأما إذا انفرد بنفسه .  
وخلا بنظره . وصار إلى تدبيره . فإن من شأن العامة أن تتفقّد مخارج رأيه .

[١] الحيل : بطن السيل . [٢] يضطرب .

[٣] عطل ( كفرح ) من المال والأدب خلا فهو عطل كقفل بعثق .

وَتُسْتَنْصِتُ لِمَوَاقِعِ آثَارِهِ ، وَتَسْأَلُ عَنْ حَوَادِثِ أَحْوَالِهِ ، فِي بَرِّهِ وَمَرْحَمَتِهِ وَإِقْسَاطِهِ <sup>(١)</sup> وَمَعْدَلَتِهِ ، وَتَدِيرُهُ وَسِيَاسَتَهُ ، وَوُزْرَانَهُ وَأَصْحَابَهُ . ثُمَّ يَكُونُ مَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ أَغْلَبَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْلَكَ الْأُمُورَ بِهِمْ ، وَأَلْزَمَهَا لِقُلُوبِهِمْ ، وَأَشَدَّهَا اسْتِمَالَةً لِرَأْيِهِمْ ، وَعَظْفًا لَأَهْوَاءِهِمْ . فَلَا يَفْتَأُ الْمَهْدِيُّ - وَفَقَهُ اللَّهِ - نَازِرًا لَهُ فِيمَا يَقْوَى عَمْدُ مَمْلَكَتِهِ ، وَيَسُدُّ أَرْكَانَ وَلَايَتِهِ ، وَيَسْتَجْمَعُ رِضَا أُمَّتِهِ بِأَمْرٍ هُوَ أَزِينُ لِحَالِهِ . وَأَظْهَرُ لِحِمَالِهِ ، وَأَفْضَلُ مَغْبِيَّةٍ لِأَمْرِهِ ، وَأَجَلُ مَوْقِعًا فِي قُلُوبِ رَعِيَّتِهِ ، وَأَحْمَدُ حَالًا فِي نَفُوسِ أَهْلِ مِلَّتِهِ . وَلَا أَدْفَعُ مَعَ ذَلِكَ بِاسْتِجْمَاعِ الْأَهْوَاءِ لَهُ . وَأَبْلَغُ فِي اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، مِنْ مَرْحَمَةٍ تَظْهَرُ مِنْ فَعْلِهِ . وَمَعْدَلَةٍ تَنْتَشِرُ عَنْ أَثَرِهِ . وَمَحَبَّةٍ لِلْخَيْرِ وَأَهْلِهِ ، وَأَنْفٍ يَخْتَارُ الْمَهْدِيَّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - مِنْ خِيَارِ أَهْلِ كُلِّ بَلَدَةٍ . وَفَقَهَاءُ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَقْوَامًا تَسْكُنُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ، وَتَأْنَسُ الرِّعِيَّةُ بِهِمْ إِذَا وُصِفُوا . ثُمَّ تَسَهَّلَ لَهُمْ عِمَارَةُ سُبُلِ الْإِحْسَانِ ، وَفَتَحَ بَابَ الْمَعْرُوفِ . كَمَا قَدْ كَانَ قُتِحَ لَهُ ، وَسُهِّلَ عَلَيْهِ .

قال المهدي : صدقتَ ونصحتَ . ثم بعث في ابنه موسى ، فقال :

## ٦٧ - مقال المهدي

« أَيُّ مُبْنِيٍّ . إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَسَمْتَ وَجْهَ الْعَامَةِ نُصْبًا ، وَلَثْنِيْ أَعْطَافِ الرِّعِيَّةِ غَايَةً ، فَحَسَنُتُكَ شَامِلَةٌ . وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ . فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمَا بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . كَافِيكَ مَنْ أَسْخَطَهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ . وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مَنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَا مَنْ سِوَاهُ . ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ قَتَرَةً مِنْ رِسَالِهِ .

وبقايها من صفوة خلقه ، وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ،  
وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ  
أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْخَلَلَ ، وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَأَنْ  
أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسُيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ  
بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ الْمُظَاهِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَّتِهِمْ ،  
وَنُرَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ  
الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفَحَتُهَا ، وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتْ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ  
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَوَاعِيَ  
الْبِدْعِ . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَّوْا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ،  
وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذِلَّتَهُمْ ، وَرَفَعَ  
بِهَا ضَعْفَتَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ،  
بَعْدَ لِبَاسِ الذِّلِّ ، وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَمُخَالَفَةِ الْأَسَى ، وَجَهْدِ الْبَأْسِ  
وَالضَّرِّ . فَظَاهَرُوا عَلَيْهِمْ لِبَاسَ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ اعْرِفْ  
لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَائِلَتِهِمْ ، وَمَائَتَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحُرْمَةَ مَنَاصِحَتِهِمْ ،  
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِحَسَنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمَسِيئَتِهِمْ .

أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا  
بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَثَّقْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَأَجْعَلْ أَعْمَالَ  
الْعُذْرِ وَوُلَاةَ الْحُجْبِ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَنَصَفَةً مِنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ  
تَأْمُرَ قَاضِيَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ رَجُلًا تَوَلَّيَهُ  
أَمْرُهُمْ ، وَتَجْعَلَ الْعَدْلَ حَاكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ لُحِّسَ مُجِدَّتَ ، وَإِنْ أَسَاءَ عُذْرَتَ .

هؤلاء عمال العذر، وولاة الحجج، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكبت قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا، وبِعُرَا حَبْلِكَ متعلقا، رجلا: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحلم راجح، ودين صحيح، والآ خر له دين غير مغموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العرب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آدابا نافعة، وآثارا باقية، من محاسنك وتحسين أمرك، وتحلية ذكرك، فتستشير في حربك، وتدخله في أمرك، فرجل أصبته كذلك، فهو يأوي إلى محلتى، ويرعى في خضرة جناني، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان، وخيار الأمصار، أقواما يكونون جيرانك ومُمارك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصدر، فَمِرْ على بركة الله، أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يَهْدِي إلى الصواب قلبك، وهاديا يُنطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد (١).

(العقد الفريد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا يتنافى ما ورد في التاريخ: إذ المعروف أن المهدي توفي في المحرم سنة ١٦٩ وأعقبه الهادي، الذي توفي في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى بعد وفاة المهدي والهادي، مع أنه ذكر في سياق خبرها أن المهدي أمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم، وإنبات مقالهم في كتاب، أى أنها كتبت في المجلس الذي حدث فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضا أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وبقيت محفوظة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أى أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أنها تشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الفنية المنسقة .

## ٦٨ — ابن عتبة يعزى المهدي ويهنئه

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة<sup>(١)</sup> مع الخطباء على المهدي ، فسلم فقال :  
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما  
خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عظمى  
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،  
وأحتسب عند الله أفضل الرزية » . ( البيان والنبين ٢ : ١٠٣ ، والقدر المريد ٢ : ٣٥ )

## ٦٩ — يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود<sup>(٢)</sup> أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :  
لبيك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروب لوجدتك ، شري بفضلك ، قال : « ألم أرفع  
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى  
ونعمي ما لم أجِدْ عندك طاقة لحمله ، ولا قياما بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى  
أظهر<sup>(٣)</sup> عليك ، ورد كيذك إليك ! » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ، وإن  
كان بسعاية الباغين ، ونحاش المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا حائذ  
بكرمك ، وعميم شرفك » .

[١] وفي القدر المريد « أبو العيناء المحدث » .

[٢] وكان المهدي قد فوض إليه الأمور كلها ، وسلم إليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط  
عليه . وسبب ذلك أنه دفع إليه رجلا من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفيني أمره ، فلما صار العلوي في  
يده ، قال له : يا يعقوب تلق الله بدمي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة رضي الله عنها ، وليس  
لي إليك ذنب ؟ فرق له ، وخلي سبيله ، ونعمي الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى ظفر به ،  
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله منه أمير المؤمنين ، قال : مات ؟ قال :  
نعم ، فاستحلقت ، خلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يجر جوابا ، فأمر بحبس في بئر مظلمة ، وما زال  
محبوسا حتى هلك عنه الرشيد وتوفي سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أمان عليك .

فَقَالَ : لَوْلَا الْحِنْثُ <sup>(١)</sup> فِي دَمِكَ لَأَبْسْتُكَ قَيْصًا لَا تَشُدُّ عَلَيْهِ أَزْرَارًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ ، فَتَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : « الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ ، وَالْمُودَّةُ رَحِمٌ ، وَمَا عَلَى الْعَفْوِ نَدَمٌ ، وَأَنْتَ بِالْعَفْوِ جَدِيرٌ ، وَبِالْمَحَاسَنِ خَلِيقٌ » ، فَأَقَامَ فِي السَّجْنِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٧ )

## ٧٠ - رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وَقَدِمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، فَقَالَ : « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا قَوْمٌ نَأْيُنَا عَنْ الْعَرَبِ ، وَشَغَلَتْنَا الْحُرُوبُ عَنْ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ، فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ ، دُونَ التَّفْسِيرِ » ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : أَنْتَ أَخْطَبُ مَنْ سَمِعْتَهُ . ( الصناعتين ص ٤٠ )

## ٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دَخَلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذِنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ :

« إِنَّهُ لَمَّا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّجَّ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُنَّا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكَثْمَانِ ، وَلَا سِيَّامًا حِينَ اتَّسَمَّتْ بِمِيسَمِ التَّوَاضُعِ ، وَوَعَدَتِ اللَّهُ وَحْمَلَةَ كِتَابِهِ إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهِ ، فَجَمَعْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمْحِصِ ، إِيْتِمَ مُؤَدِّينَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ يَزِيدُنَا تَحْصِيئُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيُحْلِلُنَا حِلْيَةَ

[١] فِي الْأَصْلِ « الْحَسْبُ » وَأَرَى أَنَّهَا مَعْرِفَةٌ مِنْ « الْحِنْثِ » وَهُوَ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ وَالْإِثْمُ .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَجَّبَ الله عنه العِلْمَ ، عَذَّبَهُ على الجهل ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إليه العلم وأدْبَرَ عنه ، ومن أَهْدَى اللهُ إليه علماً فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هَدْيَةِ الله وقَصَّرَ بها » ، فأَقْبَلَ ما أَهْدَى اللهُ إليك من ألسنتنا ، قبولَ تحقيق وعمل ، لا قبولَ سُمعةٍ ورياء ، فإنه لا يَعْدَمُك منا إعلامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُوَاطَاةٌ على ما تَعْلَمُ ، أو تذْكِيرٌ لك من غفلةٍ ، فقد وَطَّنَ الله عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزيةً عما فات ، وَتَحْصِينًا من التَّماذِي ، ودلالةً على المخرج ، فقال : « وَإِذَا مَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » فَأُطْلِعَ اللهُ على قلبك ، بما يَنُورُ اللهُ به القلوبَ ، من إِيثارِ الحق ، وَمَنَابِذَةِ الْأَهْوَاءِ فَإِنَّكَ إِن لم تفعل ذلك ، يُرْ أَثْرُكَ وَأَثَرُ اللهِ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

( العقد الفريد ١ : ٣٠٣ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٨١ )

## ٧٢ — عظة شبيب بن شيبه للمهدى

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ <sup>(١)</sup> للمهدى : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْأَقْسَامَ فِي الدُّنْيَا ، جَعَلَ لَكَ أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ مِنَ الْآخِرَةِ ، إِلَّا مِثْلَ مَا رَضِيَ لَكَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ، فَأَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَعَلَيْكُمْ نَزَلَتْ ، وَمِنْكُمْ أُخِذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرْجَعُ » . ( العقد الفريد ١ : ٣٠٧ )

## ٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابنته

لَمَّا مَاتَتِ الْبَاثِقَةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ ، جَزَعَ عَلَيْهَا جَزَعًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، فَجَلَسَ لِلنَّاسِ يَمُزُونَهُ ، وَأَمَرَ الْأَئِمَّةَ يُحْجَبُ عَنْهُ أَحَدٌ ، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي التَّمَازِي ،

[١] هو شبيب بن شيبه بن عبد الله بن عمرو بن الأتم الملقب بالتميمي وهو ابن عم خالد بن صفوان .

توفي في حدود سنة ١٧٠ هـ .

وَاجْتَهَدُوا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَنْتَقِدُ هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا تَعْزِيَةً أَوْجَزَ ، وَلَا أَبْلَغَ ، مِنْ تَعْزِيَةِ شُبَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ، فَإِنَّهُ قَالَ :

« أَعْطَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رُزِئْتَ أَجْرًا ، وَأَعْقَبَكَ صَبْرًا ، وَلَا أَجْهَدَ اللَّهُ بِلَاءَكَ بِنِقْمَةٍ ، وَلَا تَزَعُ مِنْكَ نِعْمَةً ، ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرُكَ مِنْهَا ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ خَيْرُهَا مِنْكَ ، وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَسَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ <sup>(١)</sup> » .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢١ )

#### ٧٤ — خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قِيلَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ إِنْ شُبَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ يَسْتَعْمَلُ الْكَلَامَ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمَنْبَرَ فَمَا لَرَجُوتُ أَنْ يَفْتَضِحَ ، فَأَمَرَ رَسُولًا فَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَفَارِقْهُ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَلَا إِنْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةً : الْأَسَدَ الْخَادِرَ <sup>(٢)</sup> ، وَالْبَحْرَ الزَّاخِرَ ، وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ ، وَالرِّيْعَ الْنَاضِرَ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتُهُ وَمَضَاهُ ؛ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ جُودُهُ وَعِطَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورُهُ وَضِيَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الرِّيْعُ الْنَاضِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ مُحْسِنُهُ وَبِهَاءُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
وَمَوْقِفٍ مِثْلَ حَدِّ السِّيفِ قَتُّ بِهِ أَهْمِي الذَّمَّارِ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ <sup>(٣)</sup>  
فَبَا زَلِقْتُ ، وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

( العقد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، زهر الآداب ٣ : ٢٠٩ )

[١] رَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ أَنَّ شُبَيْبًا عَزَى بِهَذَا الْمَقَالَ الْمَنْصُورَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ (العقد الفريد ٢ : ٣٥٠) .

[٢] الْخَادِرُ : أَجْعَلُ الْأَسَدَ وَمِنْهُ يُقَالُ أَسَدٌ خَادِرٌ ، وَأَخْذَرُ الْأَسَدَ لَزِمَ الْأَجْعَلُ . وَأَخْذَرُ الْعَرِينِ الْأَسَدُ :

سُتْرُهُ فَهُوَ مَخْذَرٌ بِكُسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا . [٣] الذَّمَّارُ : مَا تَجِبَ حِمَايَتُهُ .

### ٧٥ — كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في الغربة ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدي يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله

بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . ( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ )

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال :

« رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

( البيان والتبيين ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

### ٧٦ — خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج

هرثمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأقعدته للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد

ابن برمك - وكان محبوباً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد

في تلك الليلة <sup>(١)</sup> ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن

صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة

وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد

صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله بمنه ولطفه ، منّ عليكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

---

[١] وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويخلع أخاه هرون . وسمى إلى الهادي يحيى

ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يفسده يحيى بن خالد ، فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى وأمر بحبسه .

وَمَعْنِدِ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانِ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمَةٍ  
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ التَّامَّةُ ، أَنْ جَمَعَ الْفَتْكُ ،  
وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَضُدَكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوَكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكَنْتُمْ أَوْلَى  
بِهَا وَأَهْلُهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُنْتُمْ أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ الْمَرْضِيِّ ،  
وَالذَّابِّينَ بِسَيْفِهِ الْمُنْتَضِي ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَهُمْ  
مِنْ أَيْدِي الظَّالِمَةِ أُمَّةِ الْجَوْرِ ، وَالنَّاقِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،  
وَالْأَكْلِينَ الْفِيءَ وَالْمُسْتَأَثِّرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،  
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيُرُوا فَيَغْيُرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِي  
الْإِمَامَ ، فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَءُوفًا رَحِيمًا ،  
مِنْ مُحْسِنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسِيئَتِكُمْ بِالْعَفْوِ عَظُوفًا ، وَهُوَ أَمْتَعُهُ اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ  
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،  
يَعِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةَ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةَ لَكُمْ ، وَقَسَمَ أَعْطِيَاكُمْ فِيكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،  
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي بُيُوتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ  
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا شَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِذَلِكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطِيَاكُمْ ،  
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّه أَنْ يَحْدُثَ فِي النُّوَاحِي وَالْأَقْطَارِ  
مِنَ الْعُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى بُيُوتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَامِهَا <sup>(١)</sup>  
وَكَثَرَتِهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدُّوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ  
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ  
عَلَيْكُمْ ، أَيُّدُهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النِّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون ، وأعطوا صَفْقَةَ أيمانكم ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وخاء عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وتولاكم وِلَايَةَ عِبَادِهِ الصالحين .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ٤٨ )

## ٧٧ — خطبة هرون الرشيد (توفى سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، ونتوكل عليه ، مفرّضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه على قَفَرَةٍ من الرسل ، وَدُرُوسٍ<sup>(١)</sup> من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخرة ، بشيراً بالنعيم المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ، فأدّى عن الله وعده ووعيده ، حتى أتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذركم يوماً تشخص<sup>(٢)</sup> فيه الأبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التناوب<sup>(٣)</sup> ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، يوم لا يُسْتَعْتَب من سيئة ، ولا يُزْدَاد من حسنة ، يوم الآزفة<sup>(٤)</sup> .

إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ . يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ<sup>(٥)</sup> وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، وَأَتَقُوا يَوْمَما تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

[١] «دروس : اعماء . [٢] شخص بصره كنع : فتح عينيه ، وجعل لا يطرف .

[٢] يوم القيامة ، وسمى بذلك لأن أهل الجنة تنبئ فيه أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا .

[٣] القيامة ، من أذف كفرح : دنا وقرب . [٤] بمسارقتها النظر إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تُخلَقُوا عبثاً ، ولن تُتْرَكَوا سُدًى ، حصَّنوا إيمانكم بالأمانة ،  
ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا  
زكاة له » . إنكم سَفَرٌ <sup>(١)</sup> مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار  
بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،  
فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهذا للمؤمنين .  
قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ  
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرَّت وأرذت <sup>(٢)</sup> ، وأوبقت كثيراً ، حتى  
أكذبتهم منايهم ، فتناوشوا <sup>(٣)</sup> التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما  
يشتَهُونَ ، فأخبركم ربكم عن المثلات فيهم ، وصرف الآيات ، وضرب الأمثال ،  
فرغب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعهم بالقرون الخوالى جيلاً جديلاً ،  
وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن  
بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ،  
وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،  
« لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن  
الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ  
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جماعة المسافرين . [٢] أهلك وكذا أوبقت . [٣] تناولوا

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . آمُرُكُمْ بِمَا أُمِرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . (العقد الفريد ٢ : ١٤٧)

## ٧٨ — وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :

« يَا أَحْمَرُ<sup>(٢)</sup> ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهْجَةً نفسه ، وَثَمَرَةَ قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطَةً ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيثُ وضعَكَ أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصّره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرّن بك ساعة إلا وأنت مفتنٌ فائدة تُفيده إياها ، من غير أن تُحزّنه ، فتُميت ذهنه ، ولا تُتعبن في مساحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومته ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » . (مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٢)

## ٧٩ — خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي ( قتل سنة ١٨٧ هـ )

وهاجت العصبية بالشأم بين أهلها في عهد الرشيد ( سنة ١٨٠ هـ ) وتفاقم أمرها ، فاغتم لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أفيك بنفسى ، فشخص في جِلَّةِ القواد الكراع والسلاح ، فاتّام فأصلح بينهم ، وقتل زواقيلم<sup>(٢)</sup> والمتلصصة منهم ، ولم يدع بها رحماً ولا فرساً ، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة ، وأطفأ تلك النائرة .

[١] هو عليّ بن المبارك الأحر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالنعو واتساع لفظه ، ومات سنة ٢٠٦ ، أو سنة ٢٠٧ . انظر ترجمته في «نزهة الألبا في طبقات الأدبا» ص ١٢٥ .

[٢] الزواقيل : الصومس .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقبَّل يديه وَرجليه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :  
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذى آنَسَ وَحَشَتِي ، وَأَجابَ دَعَوَتِي ، وَرَحِمَ  
 تَضَرُّعِي ، وَأَنَسَا <sup>(١)</sup> فى أَجَلِي ، حَتَّى أَرانى وَجَهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرمنى بِقُرْبِهِ ، وَامْتَنَّ  
 عَلَيَّ بِتَقْبِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إلى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللهُ إِن كُنْتُ لَأَذْكر غَيْبَتِي عَنْهُ ،  
 وَنَخْرَجِي وَالْمَقاديرَ الَّتِي أَعْجَبَتْنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ بِمَعاصِي لِحَقَّتْنِي ، وَخَطاياا أَحاطَتْ  
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يا أمير المؤمنين - جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ - لَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ  
 عَقْلِي ، إِشْفاقًا على قُرْبِكَ ، وَأَسَفًا على فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَعْجَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ  
 الْاِشْتِياقُ إلى رُؤْيَيْكَ ، وَالْحَمْدُ لله الذى عَصَمَنِي فى حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمْتَعَنِي بِالْعَافِيَةِ ،  
 وَعَرَّفَنِي الْإِجابَةَ ، وَمَسَّكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمالِ الْمَعْصِيَةِ ، فلم  
 أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدَمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ  
 دُونَكَ ، وَاللهُ يا أمير المؤمنين - فلا أعْظَمُ مِنَ اليمينِ باللهُ - لَقَدْ عَايَنْتُ ما لو  
 تُعْرَضُ لى الدُّنْيا كُلُّها ، لَخَتَرْتُ عَلَيْها قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتُها عِوَضًا مِنْ  
 الْمَقامِ مَعَكَ »

ثم قال له بعقب هذا الكلام فى هذا المقام :

« إِنَّ اللهَ يا أمير المؤمنين لم يَزَلْ يُبَلِّغُكَ <sup>(٢)</sup> فى خِلافَتِكَ ، بِقَدْرِ ما يَعْلَمُ مِنْ  
 نِيَّتِكَ ، وَيُؤَيِّدُكَ فى رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أَمْنِيَّتِكَ ، فَيُصْلِحُ لَكَ جَماعَتَهُمْ ، وَيُجْمَعُ  
 أَلْفَتَهُمْ ، وَيَلْمُ شَعَثَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنما هَذَا لِلتَّمَسُّكِ  
 بِطاعَتِكَ ، وَالِاعْتِصامِ بِحَبْلِ مَرْضاتِكَ ، وَاللهُ الْحَمودُ على ذَلِكَ وهو مُسْتَحِقُّهُ ،  
 وَفَارَقْتُ يا أمير المؤمنين أَهْلَ كُورِ الشَّامِ وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ على

ما فرط من معصيتهم لك ، متمسكون بحبلك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلمك ، مؤملون فضلك ، آمنون بادرتك ، حالهم في ائتلافهم كحالهم كانت في اختلافهم ، وحالهم في ألفتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتغمده <sup>(١)</sup> لهم ، سابق لمعذرتهم ، وصلة أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدم عنده لمسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كنت قد شخّصت عنهم ، وقد أخذ الله شرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفى مُراقهم <sup>(٢)</sup> ، وأصلح دهماءهم <sup>(٣)</sup> ، وأولاني الجليل فيهم ، ورزقني الانتصار منهم ، فإذ ذلك كله : إلا يبركتك ويمنك وريحك <sup>(٤)</sup> ، ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدمت إليهم إلا بوصيتك ، وما حاملتهم إلا بأمرك ، ولا سرت فيهم إلا على حد ما مثلته لي ورسمته ، ووقفتني عليه ، والله ما انقادوا إلا لدعوتك ، وتوحد <sup>(٥)</sup> الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سطوتك ، وما كان الذي كان مني ، وإن كنت قد بذلت جهدي ، وبلغت مجهودي ، قاضيا بعض حقك عليّ ، بل ما ازدادت نعمتك عليّ عظما ، إلا ازددت عن شكرك عجزا وضعفا ، وما خلق الله أحدا من رعيته ، أبعد من أن يُطمع نفسه في قضاء حقك مني ، وما ذلك إلا أن أكون باذلا مُهتجتي في طاعتك ، وكل ما يقرب إلي موافقتك ، ولكني أعرف من أيديك عندي ما لا أعرف مثلها عند غيري ، فكيف بشكري ! وقد أصبحت واحد أهل دهرى ، فيما صنعه فيّ وبى ؟ أم كيف بشكري ! وإنما أقوى على شكرك يا كرامك

[١] تغمده الله برحمته : غمره بها . [٢] جمع مارق : وهو الخارج الحائد .

[٣] الدهماء : جماعة الناس . [٤] قوتك .

[٥] توحد الله تعالى بعصمته : عصمه ولم يكله إلى غيره .

إيأي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتني ، لم يأتِ على ذلك عدِّي ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفي دون كل كهف لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت لا ترضي لي ما أَرْضاه لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من نعمتك عندي ما يستغرق كل ما سلف عندك لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تُدسِّبني ما تقدم من إحسانك إلي ، بما تُجدِّده لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت تقدمني بطولك على جميع أكفائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت المكرم لي ؟ وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاقٍ له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ<sup>(١)</sup> من عُشر عَشِيرِهِ - أن يعولِّي مكافأتك عني ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن يَقْضِي عَنِّي حَقَّكَ ، وجيلَ مَنَّتِكَ ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٦٦ )

## ٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد

روى صاحب العقد قال :

« كانت أم جعفر بن يحيى<sup>(٢)</sup> - وهي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قَحْطَبَة - أرضعت الرشيد مع جعفر ، لأنه كان رُبِّي في حِجْرِها ، وغَدِّي بِرِسْلِها<sup>(٣)</sup> ، لأن أمه ماتت عن مهْدِهِ ، فكان الرشيد يشاورها مُظْهِراً لِإِكْرَامِها ، والتبرك بِرَأْيِها ، وكان آلي وهو في كِفَالَتِها أن لا يَحْجُبِها ، ولا استشفَعَتْه لأحد إلا

[١] الشقص : السهم والنصيب ، والعشير : جزء من عشرة كالعشار والعشر .

[٢] كان البرامكة قد استأثروا بشئون الدولة وأموالها ، وغلبوا الرشيد على سلطانه ، ولم يكن لهم معهم تصرف في ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم في ذلك طويل ، ليس هامها موضعه - فمزَّم على نكبتهم ، حتى انتَهز فرصة رجوعه معهم من الحج سنة ١٨٧ ، فقتل جعفرًا ليلاً في طريقه ، وقبض على يحيى وابنه الفضل وبقية البرامكة ، وحبسهم في سجن الرنادقة إلى أن ماتوا فيه .

واستصفي أموالهم وضياعهم . [٣] الرسل : اللب .

شفّعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا دخلت عليه إلا مأذوناً لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فكّت ، ومُبهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرّجت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه <sup>(١)</sup> ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومثّت <sup>(٢)</sup> بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أصر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها ، واضعةً لثامها ، محتفية <sup>(٣)</sup> في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظُر <sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلّب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فربّ كبد غذتها ، وكُرْبَة فرّجتها ، وعَوْرَة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتفياً حتى تلقّاها بين عمّد المجلس ، وأكبّ على تقبيل رأسها ، ومواضع تذيئها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعذّو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحرّدك <sup>(٥)</sup> بنا البهتان ، وقد ريّتك في حجرى ، وأخذت برّضاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : ظنّك يحى ، وأبوك بعد أيبك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرّضه للحنف في شأن موسى أخيه <sup>(٦)</sup> ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمره

[١] أى من الحج . [٢] توسلت . [٣] احتى : مشى حافياً .

[٤] الطّر : العاطفة على ولد غيرها ، المرمّة له ، في الناس وغيرهم ، للذكر وللأنثى .

[٥] يفضبك . [٦] قدّمنا أن الهادى كان قد اعتزم خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى الهادى يحيى بن خالد ، وأنه يفسد عليه أخاه الرشيد ، حبسه وتمّ بقتله ، ويروى أنه قال للهادى في خلع الرشيد لما كلفه فيه : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حملت الناس على نكت الأيمان ، هانت عليهم أمانهم ، وإن تركتهم على بيعة أخيك ، ثم بايعت لجعفر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حُمٍّ <sup>(١)</sup> ، وغضب من الله نَفَذَ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَمْحُورُ  
اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » <sup>(٢)</sup> قال : صدقتِ فهذا مما لم يَمْحُورْ  
اللهُ ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟  
فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

( وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع <sup>(٣)</sup> )

فقالت بغير روية : ما أنا ليحيي بتيممة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول <sup>(٤)</sup>  
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ إليه بوجه آخر الدهر ثقبلي  
فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعمتي عيئك فانظر أي كف تبدل <sup>(٥)</sup>

ذلك أوكد لبيعته « فقال : صدقت ونصحت ، ولى في هذا تدبير ، ولما أمر بحبسه رفع إليه يحيى رقعة .  
إن عندي نصيحة ، فدا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخلى ، وأخلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرأيت  
إن كان الأمر — أسأل الله ألا نبلغه ، وأن يقدمنا قبله — أظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر ، وهو لم  
يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وعزوم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ،  
أفتأمن أن يسموا إليها أهلك ، وجلتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال  
له : نهيتني يا يحيى « وقال له : لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك ؟ أما كان ينبغي أن تمقده له ؟ فكيف بأن  
تحله عنه ، وقد عقده المهدى له ؟ ولكن أرى أن تقر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ جعفر  
وبلغ الله به ، أتيت به بالرشيد تغلق نفسه ، وكان أول من يباعه ويعطيه صفقة يده ، قيل فقبل الهادي قوله  
ورأيه وأمر بإطلاقه . [١] حم : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التمام جمع تيممة : وهي العوذة التي تعلق على الصبي دفعا للعين ، أو الأرض والبيت لأبد ، ذويب الهذلي .  
[٤] هو الأخطل . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لمعن بن أوس المزني مطلعها :  
لمرك ما أدري ، ولاني لأوجل على أينما تعدو المنية أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فتهب لي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجدْهُ <sup>(١)</sup> الله لِفَقْدِهِ » فأكب هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لِّلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أليتك <sup>(٢)</sup> ما استشفعت إلا شفعتني . قال : واذكري يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لمقترف ذنباً ، فلما رآته صرّح بمنعها ، ولاذ <sup>(٣)</sup> عن مطلبها ، أخرجت حُقّاً من زُرْثُودَة <sup>(٤)</sup> خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خَفَضَتَهُ <sup>(٥)</sup> وذوائبه وثناياه ، قد غمست جميع ذلك في المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحيي عبدك ، فأخذ هرون ذلك فليّمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، وصرّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رمى جميع ذلك في الحق ، وقال لها : لَحَسَنٌ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ ، قالت : وأهلٌ للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقبل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت : والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْقُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي به ألا تحجبني ولا تتمتنتني <sup>(٦)</sup> ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحزنه . [٢] الآية : القسم . [٣] أى لم يجبه . [٤] الرمرد والزمرد بالذال والذال . [٥] خفض الجارية كضرب خفضاً ، وهو كالحنان للسلام ، وقيل : خفض الصبي خفته ، فاستعمل في الرجل ، والأعراف أن الحفض للرأى والحنان للصبي ، يقال للجارية خفضت ، والغلام خفن . [٦] امتننه : ابتذله .

أنْ نُشْتَرِيهِ مُحْكَمَةً فِيهِ . قَالَتْ : أَنْصَفْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ فَعَلْتُ غَيْرَ مُسْتَقِيلَةٍ لَكَ ، وَلَا رَاجِعَةٍ عَنْكَ . قَالَ : بَكْم ؟ قَالَتْ : بِرِضَاكَ عَمَّنْ لَمْ يُسْخِطْكَ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الرِّشِيدِ أَمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ ، وَهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ : فَتَحْكُمِي فِي تَمَنِّيَةٍ بغيرِهِمْ ، قَالَتْ : بَلَى قَدْ وَهَبْتُكَ ، وَجَعَلْتُكَ فِي حِلٍّ مِنْهُ ، وَقَامَتْ عَنْهُ ، وَبَقِيَ مَبْهُوتًا مَا يُجِيرُ <sup>(١)</sup> لَفْظَةً .

( العقد الفريد ٣ : ٢٣ )

## ٨١ — خطبة يزيد بن مزيد الشيباني

لَمَّا رَضِيَ الرِّشِيدُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ <sup>(٢)</sup> أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَهَّلَ لِي سَبِيلَ الْكَرَامَةِ بِلِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ النِّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَكَشَفَ عَنِّي ضَبَابَةَ الْكَرْبِ بِإِفْضَالِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَالِ سُخْطِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ الْمُرَاقِبِينَ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ جَزَاءَ الْمُنْعَمِينَ الْمُتَمَتِّعِينَ الْمُتَطَوِّلِينَ ، فَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - تَمَيُّزًا <sup>(٣)</sup> تَحْرُجًا عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَتَمَيُّزًا تَطَوُّلًا بِالنِّعَمِ ، وَتَسْتَبْقِي الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ <sup>(٤)</sup> تَفْضُلًا بِالْعَفْوِ » .

( العقد الفريد ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبري ١٠ : ١١٧ وزهر الآداب ٢ : ٢٨٧ )

[١] يحير : يرد . [٢] وذلك أن الوايد بن طريف الشاري خرج في عهد الرشيد بالجزيرة ، واشتدت شوكته ، وكثر تبعه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني ، فجعل يخاطبه ويتأكده ، وكانت البرامكة منجدة عن يزيد ، فأغروا به الرشيد ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم (لأنه شيباني مثله) وإلا فشوكة الوايد يسيرة وهو يواعد ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مفض ، يقول فيه : « لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناخرة الوايد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حمل يزيد على الوايد وقتله وبعث برأسه إلى الرشيد ، فلما انصرف يزيد بالطفر ، حجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفن وأشتون على فرسي أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل ، فلما رآه الرشيد ضحك وسر ، وأقبل يصيح مرحبا بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وبقائه صمده . ( راجع أخباره في الأغاني ١١ : ٨ ، وابن خلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبري ١٠ : ٦٥ ) .

[٣] وفي رواية الطبري « تنيب » . [٤] وفي الطبري : « وتغفو عن السيء » .

## ٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح<sup>(١)</sup> (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ  
أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ،  
وَأَشْبَاهَكُمْ فِي الْأَجْسَامِ ، فَحَذَرَهُمْ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا  
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ ،  
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرْنَاهُمْ ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ ؟ »  
فَقَاتَلَكُمْ اللَّهُ أَنْتَى تُصْرَفُونَ ؟ جُثَّتْ مَائِلَةً ، وَقُلُوبُ طَائِرَةٍ ، تَشْبَثُونَ<sup>(٢)</sup> الْفِتْنِ ،  
وَتَوْلُونَ الدُّبْرَ ، إِلَّا عَنْ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرِيئَتُكُمْ<sup>(٣)</sup> ، وَحَرَمَ رَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ مَغْزَاكُمْ ،  
أَمَّا وَحُرْمَةُ النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ لِتَنْفِرُنَّ خِيفًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا تُوسِعَنَّكُمْ إِرْغَامًا وَنَكَالًا .

( العقد الفريد ٢ : ١٤٦ )

## ٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
قَدْ أَصِيبَ اللَّيْلَةُ بِابْنِ لَهُ ، وَوُلِدَ لَهُ آخَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَ كَ ، وَلَا سَاءَ كَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بِهَذِهِ ، مَثُوبَةً عَلَى  
الصَّبْرِ ، وَجَزَاءً عَلَى الشُّكْرِ » .

( العقد الفريد ٢ : ٣٥ )

## ٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَبَ<sup>(٤)</sup> لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَاتِبُهُ « قَامَةَ » فَسَمِعَا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ .  
وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ  
وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفِّرُ

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولي للرشيد بلاد الجزيرة والشام وغيرها

[٢] تشبثت . [٣] دويشة : الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها . [٤] طاداه .

بالنعمه ، وَجُحوداً لِّجَلِيلِ الْمِنَّةِ والتَّكْرِيمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُؤِثْتُ<sup>(١)</sup> إذن بالندم ، وتعرَّضْتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بغيُّ حاسِدٍ ، نافَسَنِي فيكَ مودةَ القَرابةِ ، وتقديَمَ الولايةِ ، إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في أُمَّتِهِ ، وأَمِينِهِ على عِثَرَتِهِ ، لك عليها فرضُ الطَّاعةِ وأداءُ النصيحةِ ، ولها عليك العدلُ في حُكْمِهَا ، والتَّثبتُ في حَادِثِهَا ، والغُفرانُ لذُنُوبِهَا » ، فقال له الرشيد : « أَتَضَعُ لِي من لسانك ، وترفعُ لِي من جَنَانِكَ ؟ هذا كَأَتْبُكَ قِامةً ، يُخْبِرُ بِغَلَّتْكَ ، وفسادِ نيتِكَ ، فاسْمَعْ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ<sup>(٢)</sup> ، ولعله لا يقدر أن يَعُضَّهَنِي<sup>(٣)</sup> ولا يَبْهَتَنِي بما لم يَعْرِفْهَ مِنِّي » ، وَأَخْضِرَ قِامةً ، فقال له الرشيد : تكلم غيرَ هَائِبٍ ولا خَائِفٍ ، قال : « أقول إنه عازم على الغدر بك والخِلافِ عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذاك يا قِامة ؟ قال قِامة : نعم ، لقد أردتَ خَتْلَ<sup>(٤)</sup> أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف لا يكذب على من خلفي ، وهو يَبْهَتَنِي في وجهي » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بِعُتُوكَ ، وفسادِ نيتِكَ ، ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فِيمَ تدفعهما عنكَ ؟ » ، فقال عبد الملك : « هو مأمور ، أو عاقٌّ مجبور ، فَإِنْ كَانَ مأموراً : فَعَذُورٌ ، وَإِنْ كَانَ عاقّاً : ففاجر كفور ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بعداوته ، وحذَّرَ منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » ، فنهض الرشيد وهو يقول : « أَمَا أَمْرُكَ فَقَدْ وَضَحَ ، ولكني لا أَعْجَلُ حتى أعلم الذي يُرْضِي الله فيكَ ، فَإِنَّهُ الْحَكَمُ بَيْنِي

[١] رجعت . [٢] أى ما يعتقده . [٣] عضه كنع : كذب ونم ، وعضه فلاتا : بهته وقال فيه ما لم يكن . [٤] ختله : خدعه .

ويعينك » ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه » .

\* \*

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلم لما دخل ، فلم يرد عليه ، فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، ولا أجاذب منازعاً وخصماً . قال : ولم ؟ قال : لأن أوله جرى على غير السنة ، فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم ترد على السلام ، أنصف نصفة العوام ، قال : السلام عليكم اقتداء بالسنة ، وإيثاراً للعدل ، واستعمالاً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال : وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال : « أما والله لكأني أنظر إلى شؤبوبها <sup>(١)</sup> قد جمع ، وعارضها <sup>(٢)</sup> قد لمع ، وكأني بالوعيد قد أوزى ناراً تسطع ، فأقلع عن براجم <sup>(٣)</sup> بلا معاصم ، ورءوس بلا غلاصم <sup>(٤)</sup> فمها متهلا ، فبي والله سهل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدر ، وألقت إليكم الأمور أثناء <sup>(٥)</sup> أزمتها ، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد ، لبوط <sup>(٦)</sup> بالرجل » . فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولأك ، وفي رعيته التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع

[١] الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وجمع : سال واصب .

[٢] العارض : السحاب المعرض في الأفق ، والضير للفتنة المفهومة من سياق الحديث .

[٣] جمع برجة كقنفذة : وهي مفاصل الأصابع ، أو ظهر القصب من الأصابع ، والمعاصم جمع معصم كعبر وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع عاصمة بالفتح وهي رأس الخقوم وهو الموضع النائي في

الحلق . [٥] أثناء الشيء ومثانيه طاقاته ، واحدها ثى كحمل ومثناة بفتح الميم وكسرها .

[٦] لبط به الأرض ضرب ، ولبط البعير كضرب : لبط بيده وهو يبدو .

الثواب ، فقد نَحَلْتُ لَكَ النصيحةَ ، وَتَحَضَّتْ<sup>(١)</sup> لَكَ الطاعةُ ، وَشَدَدْتُ أَوَاخِي<sup>(٢)</sup> مَمْلَكَ بِأَثْقَلٍ مِنْ رُكْنِي يَأْمَلُ<sup>(٣)</sup> ، وَتَرَكْتُ عَدُوَّكَ مُشْتَغِلًا<sup>(٤)</sup> ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي ذِي رَحْمِكَ أَنْ تَقْطَعَهُ - بَعْدَ أَنْ بَلَّغْتَهُ<sup>(٥)</sup> - بِظَنِّي أَفْصَحَ الْكِتَابُ لِي بِعَظْمِهِ<sup>(٦)</sup> ، أَوْ يَبْغِي بَاغٍ يَنْهَسُ<sup>(٧)</sup> اللَّحْمَ ، وَيَأْلَعُ<sup>(٨)</sup> الدَّمَ ، فَقَدْ وَاللَّهِ سَهَّلْتُ لَكَ الْوَعُورَ ، وَذَلَّلْتُ لَكَ الْأُمُورَ ، وَجَمَعْتُ عَلَى طَاعَتِكَ الْقُلُوبَ فِي الصَّدُورِ ، فَكَمْ مِنْ لَيْلٍ تَمَامُ<sup>(٩)</sup> فِيكَ كَأَبْدَتِهِ ، وَمَقَامُ ضَيْقٍ لَكَ قُمَّتُهُ ، كُنْتُ فِيهِ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي جَعْفَرٍ ابْنِ كَلَاب :

وَمَقَامُ ضَيْقٍ فَرَجَّتُهُ      يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلُ  
لَوْ يَقُومُ الْفَيْلُ أَوْ فَيَّالُهُ      زَلَّ عَنْ مِثْلٍ مَقَامِي وَزَحَلُ<sup>(١٠)</sup>  
فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : « أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا الْإِبْقَاءُ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ لَضَرَبْتَ عُنُقَكَ » .  
وَلَمْ يَزَلْ عَبْدُ الْمَلِكِ مَحْبُوسًا حَتَّى تُوفِّيَ الرَّشِيدُ ، فَأَطْلَقَهُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ وَعَقَدَ لَهُ  
عَلَى الشَّامِ<sup>(١١)</sup> .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والعقد الفريد ١ : ١٤٣ ،  
والكمال لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٨٣ )

[١] أَخْلَصْتُ . [٢] جَمَعَ أَخِيَّةَ وَتَشَدَّدَ : عُرْوَةٌ تَرْبُطُ إِلَى وَتَدُ مَدْقُوقٌ وَتَشَدُّ فِيهَا الدَّابَّةُ ، وَأَخِيَّةٌ لِلدَّابَّةِ تَأْخِيَّةٌ : صَنَعَتْ لَهَا أَخِيَّةَ وَرَبَطَتْهَا بِهَا . [٣] يَأْمَلُ أَوْ أَلْمَلُ أَوْ يَرْمَرُمُ : مِيقَاتُ الْيَمِينِ : جَبَلٌ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ مَكَّةَ . [٤] وَفِي رِوَايَةِ الْعَقْدِ : « وَتَرَكْتُ عَدُوَّكَ سَبِيلًا تَتَعَاوَرُهُ الْأَقْدَامُ » .  
[٥] بَلَّغْتُ فَلَانًا : لَزِمْتَهُ . [٦] الْعَضَةُ بِسُكُونِ الضَّادِ وَفَتْحِهَا : الْكَذِبُ وَالنِّمِيَّةُ . [٧] نَهَسَ اللَّحْمَ كَنَعَ وَسَمِعَ : أَخَذَهُ بِمَقْدَمِ أَسْنَانِهِ وَنَفَعَهُ . [٨] وَلَعَّ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ وَمِنْهُ وَبِهِ يَلْعُ كَيْهَبٌ وَيَأْلَعُ : شَرِبَ مَا فِيهِ بِأَطْرَافِ لِسَانِهِ ، أَوْ أَدْخَلَ لِسَانَهُ فِيهِ فَحَرَكَهُ . [٩] لَيْلُ التَّمَامِ أَطْوَلُ لَيَالِي الشِّتَاءِ .  
[١٠] زَحَلَ عَنْ مَقَامِهِ : زَالَ كَتَرَحُولٍ . [١١] وَقَدْ جَعَلَ لِلْأَمِينِ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ : لِئَنْ يُقْتَلَ وَهُوَ حَيٌّ ، لَا يُعْطَى الْمَأْمُونُ طَاعَةً أَبَدًا ، فَاتَّ قَبْلَ قَتْلِ الْأَمِينِ ، فَدُفِنَ فِي دَارٍ مِنْ دُورِ الْإِمَارَةِ ، فَلَمَّا خَرَجَ الْمَأْمُونُ يَرِيدُ الرُّومَ أُرْسِلَ إِلَى ابْنِ لَهُ : حَوْلَ أَبَاكَ فِيهِ دَارِي ، فَتَبَشَّتْ عِظَامُهُ وَحَوَّلَتْ .

## ٨٥ - قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذكر الرشيد فعله به قال :

« والله إن الملك لشيء ما نَوَيْتُهُ ، ولا تَمَنَيْتُهُ ، ولا نَصَبْتُ له ولا أَرَدْتُه ، ولو أَرَدْتُه لكانَ إلىَّ أسرع من الماء إلى الحَدُور<sup>(١)</sup> ، ومن النار إلى يَبَسِ العَرَفِج<sup>(٢)</sup> ، وإني لما خوذ بما لم أَجْنِ ، ومستول عما لا أَعْرِف ، ولكنه حين رَأَى للملك قَيْنَا<sup>(٣)</sup> ، وللخِلافة خَطِيرَا<sup>(٤)</sup> ، ورأى لي يَدَا تَنَالُهَا إذا مُدَّت ، وتَبْلُغُهَا إذا بُسِطَتْ ، ونَفْسًا تَكْمُلُ خِصَالَهَا ، وتستحقها بِفَعَالِهَا ، وإن كنتُ لم أَخْتَرِ تلك الخِصَال ، ولم أَصْطَنِعِ تلك الفِعال ، ولم أَتَرشَّح لها في السَّر ، ولا أَشَرْتُ إليها في الجَهَر ، ورَأَى تَحِيْنُ إلىَّ حَنِينِ الوَالِدَةِ الوَالِهَةِ ، وتَمِيلُ إلى مَيْلِ الهَلُوكِ<sup>(٥)</sup> ، وخاف أن ترغَب إلى خَيْرٍ مَرغَب ، وتَنزِعَ إلى أَخْصَب مَنزِع ، عاقِبَنِي عِقَابَ من سَهَرَ في طلبها ، وجهَدَ في التماسها ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا حَبَسَنِي على أَنِّي أَصْلَحَ لها وتَصْلَحَ لي ، وَأَلِيقُ بها وتَلِيقُ بي ، فليس ذلك بِذَنْبٍ جَنِيته فَاتُوبَ منه ، ولا تَطَاوَلْتُ له فَأَحْطُ نَفْسِي عنه ، وإن زعم أَنه لا صَرَفَ لعقابه ، ولا نَجَاةَ من عذابه ، إلا بَأَن أخرج له من جِدِّ العِلْمِ والحِلْمِ والحَزْمِ ، فكما لا يَسْتَطِيعُ المِضْيَاعُ أن يكون مَصْلَحًا ، كذلك لا يَسْتَطِيعُ العَاقِلُ أن يكون جَاهِلًا ، وسواءَ عليه أَعاقَبَنِي على عِلْمِي وحِلْمِي ، أم عاقَبَنِي نَسَبِي وَسِنِي ، وسواءَ عليه عاقَبَنِي على جَمَالِي ، أم عاقَبَنِي على حُبِّه النَّاسَ لي ، ولو أَرَدْتُهَا لَأَتَعَجَّلْتُهُ عن التَّفَكِيرِ ، وشَفَّلْتُهُ عن التَّدْيِيرِ ، وَلَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الخَطْبِ إِلَّا الِيسِيرُ » .

( العقد الفريد ١ : ١٤٣ )

[١] المكان المنحدر . [٢] شجر . [٣] جديرا . [٤] عظيم القدر . [٥] العاجرة المتساقطة على الرجال .

## ١٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه له فقال :

« أَيْ بَنِي أَحْلَمُ ، فَإِنْ مِنْ حَلُمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمَ اِزْدَادَ ، وَالْقَى أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِنْ لِقَاءَهُمْ عِمَارَةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَعُ بِكَ مَطِيَّةَ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعِصِمُ الْقَلْبَ ، الْمُزَاحُ يورث الضَّغْنَانِ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ ، وَالْاِقْتِصَادُ يُثَمِّرُ <sup>(٢)</sup> الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ <sup>(٣)</sup> الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْحَظُّ الْقَنَاعَةُ ، وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبِّمَا أَبْصَرَ الْعَمَى رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرَ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْحِرْفَةِ <sup>(٤)</sup> خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، اِرْفُقْ فِي الطَّلَبِ ، وَأَعْجَلْ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ <sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا كُلُّ مُلِحٍّ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمَغْبُونُ مِنْ غُيْنٍ نَصِيبُهُ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتَ عُتْبَاهُ ، وَفَاكِهٌ مِنْ أُمِنْتَ بِلَوَاهُ ، لَا تَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَشَاءً إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أَنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنَ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَالِمٍ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرَتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّمَاحِ ، وَتَخْيِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنُهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةُ ، وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ ، وَالصَّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنِ الْفَقْهُ كِتْمَانُ السِّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطَوْلُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقَنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ ، وَالشَّرَفُ التَّقْوَى ، وَالبَلَاغَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَفَتْقِهِ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أَعْتَبَهُ : أَعْطَاهُ الْعَيْنُ أَيْ الرِّصَالَةَ . [٢] يَنْمُو وَيَكْثُرُ . [٣] يَهْلِكُ .

[٤] الْحَرَمَانُ . [٥] حَرْبُهُ حَرْبًا كَطَلَبِهِ : سَلَبَ مَالَهُ . [٦] أَنْجَحَ : صَارَ ذَا نَجْحٍ .

يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّرَ في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقَضَّ بعضُه بعضا ، وَمَنْ سَعَى بالنميمة حَذَرَه البعيد ، وَمَقَّتَه القريب . من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن تواني في نفسه ضاع ، من أسرف في الأمور انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَةُ تورث الضياع للأمور ، غِبَّ الأدب أحمد من ابتدائه ، مُبَادِرَةُ الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُعَقِّبُ العَمَى ، لَا تُحَدِّثُ مَنْ لَا يُقْبَلُ بوجهه عليك ، وَلَا تُنْصِتْ لِمَنْ لَا يَنْمِي <sup>(١)</sup> بحديثه إليك ، البلادة للرجل هُجْنَةٌ ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عَاجِزٌ إِلَّا تَأَخَّرَ ، الإحجام عن الأمور يُورث العجزَ ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء الطُعْمَةُ <sup>(٢)</sup> يُفْسِدُ العِرْضَ ، وَيُخْلِقُ الوجه ، وَيَمَحِّقُ الدين ، الهَيْبَةُ قرين الحرمان ، والجَسَارَةُ قرين الظُّفَرِ ، وَفِيكَ مِنْ أَنْصَفِكَ ، وَأَخُوكَ مِنْ عَاتِبِكَ ، وَشَرِيكَكَ مِنْ وَفَى لَكَ ، وَصَفِيكَ مِنْ آثَرَكَ ، أَعْدَى الْأَعْدَاءِ العَقُوقُ ، اتِّبَاعُ الشهوة يُورث النَّدَامَةَ ، وَفَوَتْ الْفُرْصَةِ يورث الحَسْرَةَ ، جميع أركان الأدب التَّائِي لِلرَّفَقِ ، أَكْرَمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ ، وَإِنْ سَاقَتَكَ إِلَى الرِّغَائِبِ ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ بِهَا تَبْذُلَ مِنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ عِوَضًا ، لَا تَسَاعِدُ <sup>(٣)</sup> النِّسَاءَ فَيَمْلَأَنَّكَ ، وَاسْتَبْقِ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً ، فَإِنَّهُنَّ أَنْ يَرَيْنَ أَنَّكَ ذُو اقْتِدَارٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَطْلُعْنَ مِنْكَ عَلَى انْكَسَارٍ ، لَا تَمْلِكِ الْمَرْأَةُ الشَّفَاعَةَ لغيرها ، فَتَمِيلَ مِنْ شَفَعَتِهَا عَلَيْكَ مَعَهَا ، أَيْ بَنِي ، إِنِّي قَدْ اخْتَرْتُ لَكَ الْوَصِيَّةَ ، وَحَضَّتْكَ النَّصِيحَةُ ، وَأَدَيْتُ الْحَقَّ إِلَى اللَّهِ وَتَأْدِيكَ ، فَلَا تُغْفِلَنَّ الْأَخْذَ بِأَحْسَنِهَا ، وَالْعَمَلَ بِبَيِّهَا ، وَاللَّهُ مَوْفِقُكَ .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

[١] نهي الحديث ونهاه بالتشديد : رفعه . [٢] "طعمة : وجه الكسب . [٣] لعلها « لا تقام

## ٨٧ — وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سَرِيَّة ، ونحن ببلاد الروم فقال له :  
« أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذي إن وجد ربحاً  
تَجَرَّ ، وإلاَّ احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن  
من احتيالك على عدوك ، أشدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك <sup>(١)</sup> » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٤ )

## ٨٨ — كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبح - المعروف بابن السَّمَاك <sup>(٢)</sup> - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبةً ،  
وخير الثناء ما كَانَ على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البَطَرُ ،  
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخير الإخوان من لم يخاصِم ، وخير  
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُخْتَبَرُ ذلَّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .

( رهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ٨٩ — ابن السماك والرشيد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل  
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السَّمَاك كما أمرتني ، قال : أدخِله ،

---

[١] أوردت هذه الوصية في الجزء الثاني ص ١٨٥ معزوة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب  
العقد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ج ٨ : ٣٧ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت عروة عبد الله بن  
عبد الملك بن مروان الروم ، دفتح فيها المصيبة - كسفية - » وعراها الجاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما نرى  
في هذه الرواية . [٢] كان راهباً عابداً حسن الكلام صاحب مواظ ، وهو كوفي قدم بفسداد زمن  
الرشيد ، فمكث بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتَّقِ اللَّهَ وَحَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ ،  
واعلم أنك واقِفٌ غداً بين يدي الله رَبِّكَ ، ثم مصروفٌ إلى إحدى منزلتين ،  
لا ثالثةَ لهما : جنة أو نار ، فبكى هرون حتى اخضَلَّتْ<sup>(١)</sup> لحيته ، فأقبل الفضل  
على ابن السماك ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالجُ أحداً شكٌّ في أن أمير المؤمنين  
مصروفٌ إلى الجنة إن شاء الله ؟ لقيامه بحق الله ، وعدِّله في عباده ، وفضله ،  
فلم يَحْفَلِ بذلك ابن السماك من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ،  
فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا - يعني الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا  
عندك في ذلك اليوم ، فاتق الله وانظر لنفسك ، فبكى هرون حتى أشفقنا عليه ،  
وأفحم الفضل بن الربيع ، فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً ، فبينما هو عنده إذا استسقى ماء ،  
فأتى بِقُلَّةٍ من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السماك : على  
رِسْلِكَ<sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ، بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو  
مُنِمْتَ هذه الشَّرْبَةُ ، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب  
هناك الله ، فلما شربها ، قال له : أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
لو مُنِعْتَ خروجها من بدنك ، بماذا كنت تشتريها ، قال : بجميع ملكي ،  
قال ابن السماك : إن مُلْكاً قيمته شربةُ ماءٍ لَجِدِيرٌ أَلَّا يُنَافَسَ فيه ، فبكى هرون ،  
فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف ، فانصرف .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩ )

## الفتنة بين الأمين والمأمون

### وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد<sup>(١)</sup> ، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبّب أن يكون يقربه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألاّ يدعوا وجهاً من اللين والرفق إلا بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

### ٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثِقلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عبئاً جليلاً ، وقد صدقت نيته في الخير ، فأعوزَه الوزراء والأعوان والكُفأة على العدل ، وقليلٌ ما يأنسُ بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فزع إليك في أموره ، وأملك للموازرة والمكاتبة<sup>(٢)</sup> ،

---

[١] ذكروا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين ، كان قد خاف المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطوس من إحضار جميع ما كان في عسكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به للمأمون ، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، حسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفصل جماعة على ذلك ، قال الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فنهوه عن ذلك وحذروه طاعة البني ونكت اليهود ، وقالوا له : لا تحرى الفواد على الكت للأيمان وعلى الخلع فيخلعوك ، فلم يلتفت إليهم ، وماله إلى رأى الفضل بن الربيع ، وشرع في خلع المأمون باستدعائه إلى بغداد ، فلم ينخبر وكتب يمتدر . [٢] المعاونة .

ولسنا نستبطئك في برّه ، اتهاماً لنضرك له ، ولا نحضّك على طاعة ، تخوّفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، ، وصلاح لدولته وسلطانته ، فأجِبْ أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثِر طاعته ، وأَعِنّه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصِلّة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعزّ الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخيرة والصّلاح في عواقب رأيه .

٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خُرْقٌ ، والاقتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربته من شهيد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عَوْضاً ، والأمير أولى مَنْ بَرَّ أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبتهم ، فإن القدوم عليه فضلٌ وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وَكَفٌ<sup>(١)</sup> في الدين ، وضرر ومكره على المسلمين . »

٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحّد نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ،

[١] الوكف : الميل والجور والعيب والإثم .

وَتَنَاوَلْكَ فَرِعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةُ عَظِيمَةٍ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقْعُدُ يُغْنِ اللَّهُ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْعَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى  
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ .

### ٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلى

وتكلم صالح صاحب المصلى ، فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،  
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،  
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقُهُ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،  
إِذْ أَنْتَ وَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
بِكِتَابِهِ ، وَوَثَّقَ بِمَعَاوَنَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى  
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صَلَاحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسْكَوْنُ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقَّ  
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالَّذِي هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

### ٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمونُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« قَدْ عَرَّفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكِرُهُ ،  
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْثَرَهُ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا لَطَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
مُقَدَّمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَافَقَةُ حَرِيصٌ ، وَفِي الرِّوَايَةِ تَبْيَانُ الرَّأْيِ ، وَفِي  
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نَصْحُ الْإِعْتِزَامِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي دَعَانِي إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

عنه تثبُّطًا ومدافعةً ، ولا أتقدِّم عليه اعتسافًا وعجَلَةً ، وأنا في ثغر<sup>(١)</sup> من ثغور المسلمين ، كَلِبٌ عدوُّه ، شديدٌ شوكتُه ، وإن أهملتُ أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أقمت عليه لم آمن فَوْتَ ما أَحِبَّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتة وإيثار طاعته ، فانصرفوا حتى أنظرَ في أمرى ، ويصحَّ الرأى فيما أعتزمُ عليه من مَسِيرى إن شاء الله .

ثم بعث معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعْفِيَه من الشخوص إليه ، وأن يُقِرَّه على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غناءً على المسلمين .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٤٦ )

#### ٩٥ — وصية السيدة زبيدة لعلى بن عيسى بن ماهان

وَنَحَى الشريرين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشًا كثيفًا بقيادة على بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشًا بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد على الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup> والدة الأمين فودَّعها ، فقالت له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين ، وإن كَانَ ولدى ، إليه تناهت شفقتى ، وعليه تكامل حِذْرِى ، فَإِنِى على عبد الله مُنْعَطِفَةٌ مُشْفِقَةٌ لما يَحْدُثُ عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابْنى مَلِكٌ نَافِسُ أخاه فى سلطانه ، وَغَارَاهُ<sup>(٣)</sup> على ما فى يده ، والكریم يؤثِّرُ كلِّ لُحْمَةٍ ، وَيُحْيِيهِ غَيْرُهُ ، فَاعْرِفْ لعبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تَجْبِهْهُ<sup>(٤)</sup> بالكلام ، فَإِنَّكَ لست نظيره ، ولا تَقْتَسِرُهُ<sup>(٥)</sup> اقتسار العبيد ، ولا تُرْهِنُهُ<sup>(٦)</sup>

[١] الثغر : موضع الحفاة من فروج البلدان . [٢] هى السيدة زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور .

[٣] فى الأصل : « غاره » وأراء محرِّفا عن « غاراه » ، فأرسته « غاراة » وغراء : لاجبته .

[٤] جبَّه كمنعه : لقيه بما يكره . [٥] قسره واقتسره : قهره .

[٦] أرهنه : أضغفه ، وفى الفخرى : « ولا تؤمنه » وأوهنه : أضغفه أيضا ، والفعل : ألقيد .

بقيد ولا غُلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تعنف عليه في السير ، ولا تساور في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سَفِه عليك فلا تراذه .

ثم دفعت إليه قيداً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيّده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٤٩ ، والفخرى ص ١٩٥ )

## ٩٦ — وصية الأمين لابن ماهان

وخرج على بن عيسى بن ماهان من بغداد ( في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ ) وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أَمْنَعُ جُنْدَكَ مِنَ الْعَبَثِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالغَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقُرَى ، وَقَطْعِ الشَّجَرِ ، وَانْتِهَاكِ النِّسَاءِ ، وَوَلِّ الرِّىَّ يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ <sup>(١)</sup> ، وَاضْمُمْ إِلَيْهِ جُنْدًا كَثِيفًا ، وَمُرَّهُ لِيُدْفَعَ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى مِنْ خَرَايجِهَا ، وَوَلِّ كُلَّ كُورَةٍ تَرْحَلُ عَنْهَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوُجُوهُهَا فَأَظْهَرِ إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسِنْ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَعَاقِبْ أَخًا بِأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ رُبْعَ الْخَرَاجِ ، وَلَا تَأْمَنْ أَحَدًا رِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنٍ فِي أَصْحَابِكَ بِرِمْحٍ ، وَلَا تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ، فَإِذَا أَشْخَصْتَهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَنَاصَبَكَ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَأْسِرَهُ أَسْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَاسَانَ ، فَتَوَلَّ إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَفْهَمْتَ كُلَّ أَوْصِيكَ بِهِ ؟ »

قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .  
( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٥٠ )

## ٩٧ — استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز حُلُوانَ ، لَقِيَتْهُ القوافل من خُرَاسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالرِّىِّ ، يَعْرِضُ أصحابه ، وَيَرْمِي<sup>(١)</sup> آله ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثْلُ طاهر يتولَّى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقصف انقصاف الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يبلغه عُبُورُنا عَقَبَةَ<sup>(٢)</sup> هَمْدَانَ ، فَإِنَّ السَّخَالَ<sup>(٣)</sup> لا تقوى على نِطَاح الكِبَاشِ ، والثعالب لا صبرَ لها على لقاء الأسد ، فَإِنْ يُقِمَّ طاهر بموضعه يكن أول معرَضٍ لِظَبَاتٍ<sup>(٤)</sup> السيوف وأُسْنَةِ الرماح » .

وسار حتى صار فى أول بلاد الرِّىِّ ، وأتاه صاحب مقدّمته وقال : « لو كنتَ - أبى الله الأمير - أَذْكِيتَ العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدّت موضعاً تُعَسْكَرُ فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كَانَ ذلك أبلغَ فى الرأى ، وَأَنَسَ للجند » .

قال : « لا ، ليس مثْلُ طاهر يُسْتَعَدُّ له بالمكاید والتحفّظ ، إن حال طاهر تُؤُولُ إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصَّنَ بالرِّىِّ ، فَيَبْهَتَهُ<sup>(٥)</sup> أهلها ، فيكفونامثوثته ،

[١] يصلح . [٢] العتبة : مرق صعب من الجبال . [٣] السخال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد الغنم ذكراً أو أنثى . [٤] الظبات جمع ظبة وهي حد السيف . [٥] بهته كنعته : أخذه بغتة ، قال تعالى : « بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ » ، وفى مروج الذهب : « فيثب به » .

أَوْ يُخَلِّيَهَا وَيُذِيرُ رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيُولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ »

وأناه يحيى بن عليّ ، فقال : « اجمع متفرق العسكر ، واحذر على جندك البيات ، ولا تسرح الخيل إلا ومعها كُثِفُ<sup>(١)</sup> من القوم ، فإن العساكر لا تُسَاسُ بالتواني ، والحروب لا تدبّر بالاغترار ، والثقة أن تحتريز ، ولا تقل : المحارب لي طاهر ، فالشرارة الخفية ربما صارت ضراماً<sup>(٢)</sup> ، والثمة من السيل ربما اغتر بها وثهون ، فصارت بحراً عظيماً ، وقد قرُبَتْ عساكرنا من طاهر ، فلو كان رأيه الهرب لم يتأخر إلى يومه هذا . »

قال : اسكت ، فإن طاهراً ليس في هذا الموضع الذي ترى ، وإنما يتحفظ الرجال إذا لقيت أقرانها ، وتستعد إذا كان المناوى<sup>(٣)</sup> لها أكفاءها ونظراءها .  
( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩ )

## ٩٨ - حزم طاهر وقوة عزمه

وعسكر طاهر على خمسة فراسخ من الرّبيّ ، وأناه محمد بن العلاء ، فقال : « أيها الأمير ، إن جندك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلات قلوبهم خوفاً ورعباً منه<sup>(٤)</sup> ، فلو أقمت بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشامهم<sup>(٥)</sup> أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم » ، فقال :

« لا ، إني لا أوتى من قلة تجربة وحزم ، إن أصحابي قليل ، والقوم عظيم سوادهم ، كثير عددهم ، فإن دافعت القتال ، وأخرت المناجزة ، لم آمن أن يطلّعوا على قلتنا وعورتنا ، وأن يستميلوا من معي برغبة أو رهبة ، فينفرعني

[١] الكثف : الجماعة . [٢] الضرام : اشتعال النار في الحلقاء وغيرها ، ودقاق الخطب الذي يسرع اشتعال النار فيه . [٣] المعادى .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماهان حسين ألفاً ، وذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكراً كان أكثر رجلاً ، وأفره كراعاً ، وأظهر سلاحاً ، وأم عدة ، وأكل هيئة من عسكره ، وروى أن طاهراً كان في أقل من أربعة آلاف . [٥] شاماً وتشاماً : شم أحدهما الآخر ، والمعنى اقترباً .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن ألفت الرجال بالرجال ، وألحم<sup>(١)</sup> الخيل بالخيـل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صبراً محتسب للخير ، حريص على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يرزق الله الظفر والفأج<sup>(٢)</sup> ، فذلك الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فليست أول من قاتل فقتل ، وماعند الله أجزل وأفضل . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥١ )

## ٩٩ - طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتاباً إليه ، وكرّده<sup>(٣)</sup> كراديسه<sup>(٤)</sup> ، وسوّى صفوفه ، وجعل يمرّ بقائد قائد ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل التّكت والغدر ، إن هؤلاء ضيّعوا ما حفظتم ، وصغروا ما عظمتهم ، ونكثوا الأيمان التي رعيتم ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقاتلون على الغدر والجهل ، أصحاب سلب ونهب ، فلو قد غضضتم الأبصار ، وأثبتتم الأقدام ، قد أنجز الله وعده ، وفتح عليكم أبواب عزّه ونصره ، فجالدوا طواغيت<sup>(٥)</sup> الفتنة ، ويماسيب النار عن دينكم ، ودافعوا بحكم باطلهم ، فإنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين . »

ونشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وقتل<sup>(٦)</sup> .

[١] أى أقرن الخيل بالخيـل ، من قولهم : ألحمت الحرب فالتحمت ، والملحم نغم الميم وبفتح الحاء : الملحق بالقوم ، ولاحم الشيء بالشيء : ألصقه به . [٢] البوز والظفر . [٣] الكراديس جمع كردوسة بالضم ، وهى القطعة العظيمة من الخيل ، وكردس الخيل جعلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، واليماسيب جمع يسوب : وهو الرئيس الكبير . [٥] الطواغيت جمع طاغوت : وهو الشيطان وكل رأس ضلال ، واليماسيب جمع يسوب : وهو الرئيس الكبير . [٦] روى أن نبي على بن عيسى ورد إلى الأمين وهو على الشط يصيد السمك ، فقال للذى أخبره : ويحك دعنى ، فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئاً بعد - وكان كوثراً خادماً خصياً له وكان يحبه -

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،  
فهزم وقتل أيضاً . ( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢ )

## ١٠٠ — وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد  
ابن يزيد ، قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده  
رُقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :  
« ينام نوم الظربان <sup>(١)</sup> ، وينتبه انتباه الذئب ، همته بطنه ، ولذته فرجه ،  
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،  
وشغله قدحه ، فهو يجري في لهوه ، والأيام تُسرع <sup>(٢)</sup> في هلاكه ، قد شمر  
عبدُ الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب <sup>(٣)</sup> أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحتف  
النافذ ، والموت القاصد <sup>(٤)</sup> ، قد عي له المنايا على مُتون الخيل ، وناط <sup>(٥)</sup> له البلاء  
في أسنة الرماح ، وشيفار السيوف » .

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث <sup>(٦)</sup> ، ثم التفت إلى فقال :

« يا أبا الحارث ، إنا وإياك لنجری إلى غاية ، إن قصّرنا عنها ذمّنا ، وإن  
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإنما نحن شعب من أصل ، إن قوى قوينا ، وإن

[١] الظربان : دوية فوق حرو الكلب منتنة الريح كثيرة الفس ، يضرب بها المثل فيقال : « أدسى من  
ظربان » . [٢] في الأصل « تسرع » وأراه محرّفاً . [٣] أصيب : أفل من صاب السهم يصيب  
صيباً : أي أصاب ، وسهم صيوب كصبور . [٤] انقاصد أي الكاسر ، من القصد بالفتح : وهو  
الكسر بأي وجه كان ، أو بالنصف ، كالتقصيد ، يقال قصد الخطة وقصدها : كسرهما وفصلها فتقصدت .  
[٥] خلق . [٦] هو خدّاش بن بشر الجاشعي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى جريراً .

ضَعُفُ ضَعْفُنَا ، إن هذا قد أَلْقَى بيده إلقاءَ الأَمَةِ الْوَكْفَاءِ <sup>(١)</sup> ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،  
ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمكن أهلَ اللّهُو والخسارة مِن سمعه ، فهم يَعِدُونَهُ  
الظَّفَرَ ، وَيَعْتُونَهُ عُقْبَ <sup>(٢)</sup> الأَيَّامِ ، والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قِيَمَانِ <sup>(٣)</sup>  
الرمْلِ ، وقد خَشِيتُ وَاللّهِ أَنْ نَهْلِكَ بِهَلَاكِه ، ونعطبَ بِعَطْبِهِ .

وأنت فارس العرب وابن فارسها ، وقد قَزَعَ إليك في لقاء هذا الرجل  
( طاهر ) ، وأطمعته فيما قبلك أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحدهما فَصِدْقُ طاعتك ، وفضلُ  
نصيحتك ؛ والثاني يُمَنُّ نَقِيَّتِكَ <sup>(٤)</sup> ، وشدة بأسك ، وقد أمرني بإزاحة عِلَّتِكَ ،  
وبسْطِ يَدِكَ فيما أَحْبَبْتَ ، غير أن الاقتصاد رأس النصيحة ، ومفتاح اليُمْنِ  
وَالْبَرَكَه ، فَأَنْجِزْ حَوَائِجَكَ ، وَعَجِّلْ المبادرة إلى عدوك ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَلِّيكَ  
الله شرف الفتح ، وَيَلْمَ بِكَ شَعَثَ هذه الخلافة والدولة .

فأجاب بالسمع والطاعة ، غير أنه طلب مطالب لم تَرْمُقْ في عين الأمين  
ففضِيبَ عليه ، وأمر بِسَجْنِهِ . ( تاريخ الطبرى ١٠ : ١٥٨ ، وزهر الآداب ٢ : ١٥٨ )

### ١٠١ — وصية الأمين لأحمد بن مزيد

ثم ندب عمّه أحمد بن مزيد ، فلما أراد الشخصوص دخل على الأمين ، فقال :  
أوصِنِي أَكْرَمَ الله أمير المؤمنين ، فقال :

« أوصيك بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُ عِقَالُ <sup>(٥)</sup> النصر ، ولا تَقْدِّمَ  
رِجْلًا إِلَّا باستخارة ، وَلَا تشهرَ سيفًا إِلَّا بعد إعذار ، ومهما قَدَرْتَ عليه باللين ،

[١] وصف من الوكب بالتحريك : وهو الإثم والعيب والنقص ، وكف كفرح إذا أثم ، روى رواية  
الطبرى « الوكباء » بالعين ، وهى الحقاء . [٢] العقب كقفل وعق : الماقبة .  
[٣] القيمان جمع قاع : وهو أرض مطبنة سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .  
[٤] النقية : النفس والطبيعة . [٥] العقال فى الأول : الحمل الذى تفيد به الدابة .

فلا تتعدّه إلى الخرق والشَّرَه، وأحسن صحابة من معك من الجند ، وطالِعْنِي بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزُّلْفَة <sup>(١)</sup> عندي ، ولا تستقها فيما تخوف رجوعه على ، وكن لعبد الله أخا مصافيا ، وقرينا برّا ، وأحسن مجامعته ، وصحبته ومعاشرته ، ولا تحذله إن استنصرك ، ولا تبطل عنه إذا استنصرتك ، ولتكن أيديكما <sup>(٢)</sup> واحدة ، وكلمتكما متفقة .

وتوجه أحمد بن مزيد في عشرين ألفاً من الأعراب ، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الأبناء ، حتى نزلا خانقين - قريباً من خلوان - ولم يزل طاهر بحتال في وقوع الاختلاف والشغب بينهم ، حتى اختلفوا ، وانتقض أمرهم ، وقاتل بعضهم بعضاً ، فأخلوا خانقين ورجعوا عنها ، دون أن يلقوا طاهراً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٩ )

## ١٠٢ — مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر الأمين تخلية سبيله ، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته ، فاما قوى طاهر ، واستعلى أمره ، وهزم من هزم من قواد الأمين وجيوشه ، دخل عبد الملك على الأمين ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إني أرى الناس قد طمعوا فيك ، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت سماحتك ، فإن تمت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كففت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم ، وليس تملك الجنود بالإمساك ، ولا يبقى ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف ، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم ، وأضعفتهم الحرب والوقائع ، وامتلات

[١] الزلفة والزلى : الفرية . [٢] أي أنت وعبد الله بن حميد بن قحطبة .

قلوبهم هيبةً لعدوهم ، وَنُكُولاً<sup>(١)</sup> عن لقاءهم ومناهضتهم ، فإن سيرتهم إلى طاهر ، غَلَبَ بقليل مَنْ معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضَرَسَتْهم<sup>(٢)</sup> الحروب ، وأدَبَتْهم الشدائد ، وَجَلَّتْهم منقادٌ إلى ، مسارعٌ إلى طاعتي ، فإن وَجَّهني أمير المؤمنين اتخذتُ له منهم جنداً يعظم نِكَايَتهم في عدوه ، ويؤيد الله بهم أولياءه وأهل طاعته .

فقال الأمين : « فَإِنِّي مُؤَلِّكُ أَمْرهم ، ومقويك بما سألت من مال وَعُدَّة ، فمَجَّلْ الشخوصَ إلى ما هنالك ، فاعمل عملاً يظهر أثره ، وَيُحْمَدَ بركته ، برأيك ونظرك فيه إن شاء الله » ، فولاه الشام والجزيرة .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٠٣ )

### ١٠٣ — الشغب في جيش عبد الملك بن صالح

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قَدِمَ الرِّقَّةَ<sup>(٣)</sup> ، كتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة ، فلم يبقَ أحد ممن يُرْجَى ، ويذكَرُ بأسه وَغَنَاؤُه إلا وَعَدَه ، وبَسَطَ لَهُ في أمله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه ، وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشام ، الزَّوَاقِلُ والأعراب من كل فج ، واجتمعوا عنده حتى كَثُرُوا ، يَبْدُو أَنَّهُ شَبَتِ نار الفتنة بين جند أهل خراسان وبين الزَّوَاقِلِ<sup>(٤)</sup> ، وَأَفْضَى الأمر إلى تلاحمهم واقتتالهم ، ثم قام رجل من أهل حِمص ، فقال :

[١] جينا وخوفا . [٢] جربتهم وأحكمتهم .

[٣] بلدة على العرات . [٤] وسبوا أن بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت قد أخذت منه في إحدى الوقعات تحت بعض الزواقل ، فتعلق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ، واجتمعت جماعة من الزواقل والجند فتلاحموا ، وأطاح كل فريق منهم صاحبه ، ثم اتسع لطاق الفتنة فانشقت وحدة الجيش .

« يَأْهَلْ حِمص ، الهَرَبُ أَهْوَنُ مِنَ الْعَطَبِ ، والموت أَهْوَنُ مِنَ الذِّلِّ ،  
إِنكُمْ بَعُدْتُمْ عَنْ بِلَادِكُمْ ، وَخَرَجْتُمْ مِنْ أَقَالِيكُمْ ، تَرْجُونَ الْكَثْرَةَ بَعْدَ الثَّلَّةِ ، وَالْعِزَّةَ  
بَعْدَ الذِّلَّةِ ، أَلَا وَفِي الشَّرِّ وَقَعْتُمْ ، وَإِلَى حَوْمَةِ الْمَوْتِ أُنْخِثُمْ ، إِنْ الْمَنِيَا فِي شَوَارِبِ  
الْمَسْوَدَةِ <sup>(١)</sup> وَقَلَانِسِهِمْ ، النَفِيرَ النَفِيرَ <sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَنْقَطَعَ السَّبِيلُ ، وَيَنْزِلَ الْأَمْرُ  
الْجَلِيلُ ، وَيَفُوتَ الْمَطْلَبُ ، وَيَعْسُرُ الْمَذْهَبُ ، وَيَبْعَدُ الْعَمَلُ ، وَيَقْتَرِبُ الْأَجَلُ .  
وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ كَلْبٍ ، إِنَّهَا الرَايَةُ السَّوْدَاءُ ، وَاللَّهُ مَا وَلَّتْ وَلَا عَدَلَتْ ، وَلَا ذَلٌّ  
نَصَرَهَا ، وَلَا ضَعْفٌ وَلِيَّهَا ، وَإِنكُمْ لَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ سَيُوفِ أَهْلِ خِرَاسَانَ فِي  
رِقَابِكُمْ ، وَآثَارَ أَسْنَنَتِهِمْ فِي صُدُورِكُمْ ، اعْتَزِلُوا الشَّرْقَ قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ ، وَتَخْطُوهُ قَبْلَ  
أَنْ يَضْطُرَّكُمْ ، شَأْمُكُمْ ، دَارَكُمْ دَارَكُمْ ، الْمَوْتُ الْفِلَسْطِينِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْجَزَرِيِّ ،  
أَلَا وَإِنِّي رَاجِعٌ فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مَعِيَ » .  
ثُمَّ سَارَ وَسَارَ مَعَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَقْبَلَتِ الزَّوَاكِلُ حَتَّى أَضْرَمُوا مَا كَانَ  
مُجْمَعًا مِنَ الْأَعْلَافِ بِالنَّارِ ، ( وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩٦ هـ ) .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٢ )

## ١٠٤ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأمين

ومات عبد الملك بن صالح بالرقّة ، وكان معه الحسين بن علي بن عيسى  
ابن ماهان ، فَأَقْبَلَ الْجُنْدَ مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالتَّكْرِيمَةِ وَالتَّعْظِيمِ ،  
وَضَرَبُوا لَهُ الْقُبَابَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوَادِ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْأَشْرَافُ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ  
فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ :

[١] كانت الجيوش الحراسية التي تقاتل الأمويين في سبيل نشر الدعوة العباسية يحملون الرايات السوداء فسدوا من أجل ذلك المسودة . [٢] نفر إلى الأمر كضرب نفيرا : أسرع إليه .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تُجاوز بالبطر ، ونعمه لا تستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمدًا يريد أن يُوتغ<sup>(١)</sup> أديانكم ، وينكث بيمينكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدة ، وراجعه من أمره قوة ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ، وليعرفن ضرره ومكروهه في دوائكم ودعوتكم ، فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قتل ، وما عند الله لأحد هودة ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده ، والحنث بأيمانه .

وخلع الحسين بن علي محمدًا الأمين وجبسه<sup>(٢)</sup> ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .  
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

## ١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى

فلما أصبح الناس من الغد ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :  
« أيها الناس ، والله ما أدري ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سنًا ، ولا أكرمنا حسَبًا ، ولا أعظمنا منزلةً ، وإن فينا من لا يرضى بالدينية ، ولا يُقاد بالمخادعة ، وإني أولكم ، نقض عهده ، وأظهر التغيير عليه ، والإنكار لفعله ، فمن كان رأيُه رأيي ، فليمتزل معي . »  
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتغ دينه بالائتم : أسده ، وأوتغه الله : أهلكه .

[٢] وكان حبس الحسين محمدًا الأمين في قصر أبي جعفر يومين .

## ١٠٦ — إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرّبيّ ، فقال : « يا معشر الحرّبية ، هذا يومٌ له ما بعده ، إنكم قد نمتُم و طال نومكم ، وتأخّرتُم فقدّم عليكم غيرُكم ، وقد ذهب أقوامٌ بذِكر خلعِ محمد وأسرِهِ ، فاذهبوا بذِكر فكّه وإطلاقه » .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكِفاية على فرس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال :

« أيها الناس ، هل تعتدّون على محمد بقطع منه لأرزاؤكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم ، أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزّل أحداً من قوّادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ، قال : فما بالكم خذلتُموه ، وأعتمتُم عدوّه على اضطهادهِ وأسرِهِ ؟ أمّا والله ما قتل قومٌ خليفَتهم قطُّ ، إلا سلّط الله عليهم السيفَ القاتل ، والحتّيفَ الجارِف ، انهضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه ، وقَاتِلُوا من أراد خلعهُ والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً شديداً ، وأكثرُوا في أصحابهِ الجراح ، وأسروا الحسين ، ودخل أسد الحرّبي على محمد فكسّر قيوده ، وأقعده في مجلس الخلافة .

وأتى الأمين بالحسين بن عليّ ، فلامه على خِلافهِ وقال له : ألم أقدّم أباك على الناس ، وأولّهم أعنة الخيل ، وأملاً يده من الأموال ، وأشرف أقداركم في أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد ؟ قال : بلى ، قال : فما الذي استحققتُ به منك أن تخلع طاعتي ، وتؤلّب الناس عليّ ، وتندبهم إلى رقتالي ؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولأك الطلب بثأرك ، ومن قُتِلَ من أهل بيتك ، ثم دعا له بخِلمة ، فخلعها عليه ، وحمله على مرا كِبَ ، وأمره بالمسير إلى خُلوَان ، وخرج الحسين ، فهرب في نَفَرٍ من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . ( تاريخ الطبرى : ١٠ : ١٦٤ )

### ١٠٧ — خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى <sup>(١)</sup> والى مكة والمدينة — وكان خطيباً فصيحاً جهير الصوت — يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :  
« الحمد لله مالِكُ الْمُلْكِ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، قَائِماً بِالْقِسْطِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْدينِ ، وَخَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أفضت الخلافة إليه بعث به والياً على مكة والمدينة ، فأقام والياً عليهما حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكتب الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بمحلب عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وبعث إلى الكتائب الذين كان الرشيد كتبهما وعلقهما في الكعبة ، وأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والفقهاء ، ومن كان شهد على ما في الكتائب من اليهود — وكان داود أحدهم — فقال داود : قد علمتم ما أخذ علينا وعليكم الرشيد من العهد واليثاق ، عند بيت الله الحرام ، حين بايعنا لابنيه لتكونن مع المظلوم منهما على الظالم ، ومع المبني عليه على الباغي ، ومع المغدور به على الغادر ، فقد رأينا ورأيتم أن محمدًا ( الأمين ) قد بدأ بالظلم والبنى والعدر على أخويه عبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن ، وخلصهما ، وبايع لابنه الطفل رضيع صغير لم يقطم ، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصياً ، فخرقهما بالنار ، وقد رأيت خلعه ، وأن أبايح لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً مبيأً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا تبع لرأيك ، ونحن خالموه معك ، فجمع الناس ، وخطبهم هذه الخطبة .

أما بعد ، ي أهل مكة ، فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأشيرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وفد الله<sup>(١)</sup> ، وإلى قبيلتكم يَأْتُم المساهون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبغى عليه على الباغي ، والمغدور به على الغادر ، ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبغى والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاه من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خلعُه من الخلافة وتصييرها إلى المظلوم المبغى عليه ، المغدور به ، ألا وإني أشهدكم أنني قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما خلعت قَلَنْسُوتَ هذه من رَأْسِي - وخلع قَلَنْسُوتَه عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ<sup>(٢)</sup> مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - ثم قال : قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفكم » ، فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

( تاريخ الطبري ١٠ : ١٧٠ )

## ١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حبرة : صرب من البرود اليمانية ، يقال : برود حبرة مثل غلبة على الوصف والإضافة ، وبرود حبرة ، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وثن كقولك : ثوب قرمز ، والقرمز : صبغه

« الحمد لله الذى يرفع ويضع ، وَيُعْطِي وَيَمْنَع ، وَيَقْبِضُ وَيَدْسُط ، وإليه المصير ، أحمده على نوائب الزمان ، وَخِذْلَانِ الأعوان ، وتشتت الرجال ، وذهاب الأموال ، وَخُلُولِ النوائب ، وتوفد المصائب ، حمداً يَدْخُلُ به أَجْزَلُ الجزاء ، وَيَرْفِدُنِي <sup>(١)</sup> أَحْسَنَ العزاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شَهِدَ لنفسه ، وشَهِدَتْ له ملائكتُهُ ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسامنين صلى الله عليه وسلم ، آمينَ ربَّ العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السَّبْقِ إلى الهدى ، فقد عَلِمْتُمْ غَفْلَتِي كَانَتْ أَيَّامَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ وَزِيرٍ عَلَى وَمَشِيرٍ ، فَسَادَتْ <sup>(٢)</sup> بِهِ الْأَيَّامُ بِمَا لَزِمَنِي بِهِ مِنَ النَّدَامَةِ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، إِلَى أَنْ نَبْهَتُمُونِي فَانْتَبَهْتُ ، وَاسْتَعْتَمُونِي فِي جَمِيعِ مَا كَرِهْتُمْ مِنْ نَفْسِي وَفِيكُمْ ، فَبَذَلْتُ لَكُمْ مَا حَوَاهُ مُلْكِي ، وَنَالَتهُ مَقْدَرَتِي ، مِمَّا جَمَعْتُهُ وَوَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي ، فَقَوَّدْتُ <sup>(٣)</sup> مَنْ لَمْ يَجُزْ ، وَاسْتَكْفَيْتُ مَنْ لَمْ يَكْفِ ، وَاجْتَهَدْتُ - عِلْمَ اللَّهِ - فِي طَلَبِ رِضَاكُمْ بِكُلِّ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، وَاجْتَهَدْتُمْ - عِلْمَ اللَّهِ - فِي مَسَاءَتِي فِي كُلِّ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، مِنْ ذَلِكَ تَوْجِيهِي إِلَيْكُمْ عَلَى ابْنِ عِيسَى شَيْخِكُمْ وَكَبِيرِكُمْ ، وَأَهْلِ الرَّأْفَةِ بِكُمْ ، وَالتَّحَنُّنِ عَلَيْكُمْ ، فَكَانَ مِنْكُمْ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، فَغَفَرْتُ الذَّنْبَ ، وَأَحْسَنْتُ وَاحْتَمَلْتُ ، وَعَزَّيْتُ نَفْسِي عِنْدَ مَعْرِفَتِي بِشَذُوزِ الظَّفَرِ ، وَحَرَصِي عَلَى مُقَامِكُمْ مَسْلُحَةً <sup>(٤)</sup> بِخُلُوفَانِ مَعَ ابْنِ كَبِيرٍ صَاحِبِ دَعْوَتِكُمْ ، وَمَنْ عَلَى يَدَيْ أَيْيِهِ <sup>(٥)</sup> كَانَ نَخْرُكُمْ ، وَبِهِ تَمَّتْ طَاعَتُكُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدِ بْنِ قَحْطَبَةَ ، فَصَرْتُمْ مِنَ التَّائِبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، وَلَا صَبْرَ عَلَيْهِ ، يَقُودُكُمْ

[١] رَفَدَهُ وَأَرْفَدَهُ : أَعْطَاه . [٢] طَلَاوَنَهُ وَأَمْلَهْتُهُ . [٣] أَيْ اتَّخَذْتُهُ قَائِداً .

[٤] الْمَسْلُحَةُ : الْقَوْمُ ذُووِ السِّلَاحِ . [٥] أَيْ جَدَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدِ بْنِ قَحْطَبَةَ ، وَهُوَ قَحْطَبَةُ ابْنِ شَيْبَةَ الطَّائِي ، أَحَدُ الدُّعَاةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْقَوَادِ الَّذِينَ قَاتَلُوا الْجِيُوشَ الْأُمَوِيَّةَ - انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّانِي

رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوثبين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين على ، فخلعتموني وشتمتموني ، وانهبتموني وحبستموني وقيدتموني ، وأشياء منعتموني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلكي<sup>(١)</sup> طاعتكم أكبر وأكثُر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون بخراسان .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥ )

## ١٠٩ — استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع<sup>(٢)</sup> لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أيك وعندك أن تثلّبني<sup>(٣)</sup> وتُسبّني وتحرّض علي دمي ؟ أتحبّ أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُذري يُحقّدك إذا كان واضحاً جليلاً ، فكيف إذا خفّته<sup>(٤)</sup> العيوب ، وقبّحته الذنوب ، فلا يضيقُ عني من عفوك ما وسّع غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر<sup>(٥)</sup> فيك :

صَفُوحٌ عن الأجرام حتى كأنّه      من العفولم يَعْرِف من الناس مُجرِماً  
وليس يُبالي أن يكون به الأذى      إذا ما الأذى لم يَغْشَ بالكُره مُسأماً

( زهر الآداب ٢ : ١٦٣ )

[١] مسهل عن تلكؤ . [٢] توفى سنة ٢٠٨ . [٣] ثلّبه كضربه : لأمه وعابه .

[٤] هكذا في الأصل ، وربما كان « أخفته » لقوله قبل : « إذا كان واضحاً » .

[٥] هو الحسن بن رجا بن أبي الضحاك .

## ١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين بغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بني هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مَالِكِ الْمَلِكِ ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمَفْسِدِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرَ غَلَبَتْنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِينَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَافَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَاداً لِدِينِهِ ، وَقَوَاماً لِعِبَادِهِ ، وَضَبَطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ الثُّغُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةَ ، وَجَمَعَ الْفَيْءَ ، وَإِنْفَازِ الْحُكْمِ ، وَنَشَرَ الْعَدْلَ ، وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتُ ، وَالتَّلَذُّ بِمُوبِقِ الشَّهَوَاتِ ، وَالْمُخْلِدُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسَنٌ لِدَاعِي غُرُورِهَا ، مُحْتَلِبٌ دِرَّةً <sup>(١)</sup> نِعْمَتِهَا ، أَلِفٌ لَزَهْرَةٍ رَوْضَتِهَا ، كَلِيفٌ بَرُونِقٍ بَهْجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَاءٍ مُوعودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَقِيَ عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَتَقَمَّتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ <sup>(٢)</sup> عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَهُ نَاهِيَةً ، وَعَظَّمَتْهُ مُؤَدَّبَةً ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ عِصْمِ <sup>(٣)</sup> الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَنَاجِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مِصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ قَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَّعُوا شَعْبَ الْأُلُفَّةِ ، فَأَغْقَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . ( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والمقد الفريد ٢ : ١٥٥ )

[١] الدرة : اللين . [٢] عدل .

[٣] جمع عصام ككتاب ، وعصام القرية : رباطها وسيرها الذي تحمل به .

## خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ — خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرّوحين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :

« إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة ، وتجارة مربية ، فالموت حوضٌ مورود ، وكأس مشروب ، وقد أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فما كان إلا عبداً دعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، وفد سداً أمير المؤمنين ثلمه ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ، واغتنطوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي ، يأهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل طالب ، وأمس واعظ ، واليوم مغتتم ، وغدٌ منتظر » .

١١٢ — خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني جعلتُ لله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً نهداً لا تحيله حدوده ، وتسفك فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالا ، ولا أثاثا ، ولا نخلة<sup>(١)</sup> تحرّم على ، ولا أحكم بهواي ، في غضبي ولا رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلتُ كله لله عهداً مؤكّداً ، وميثاقاً مشهوداً ،

[١] نخلة : أعطاه والامم النخلة .

إِنِّي أَفِي رَغْبَةً فِي زِيَادَتِهِ إِيَّايَ فِي نِعْمَتِي ، وَرَهْبَةً مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّايَ عَنْ حَقِّهِ وَخَلْقِهِ ، فَإِنْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَلْتُ كُنْتُ لِلْغَيْرِ مُسْتَاهِلًا ، وَلِلنَّكَالِ مُعَرَّضًا ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ .

### ١١٣ — خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمدوه وأستمينه ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتنجز لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورعاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جدُّ بكم ، واستعدُّوا للموت فقد أظلمكم ، وكونوا قومًا صيِّحَ بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ، فإن الله لم يخلقكم عبثًا ، ولم يترككم سُدًى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقُصها اللحظة ، وتهدمها الساعة الواحدة ، لجديرة بقصر المدة ، وإن غائبًا يحدُّوه <sup>(١)</sup> الجديدان : الليل والنهار لحريٌّ بسرعة الأوبة ، وإن قادمًا يحلُّ بالفوز أو بالشقوة مستحقٌّ لأفضل المدة ، فاتقِ عبدُ ربِّه ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ، فإن أجله مستورٌ عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكلٌ به ، يزيِّن له المعصية ليركبها ، ويمنيَّه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه

منيته أغفل ما يكون عنها ، فيالها حسرة على ذى غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطرُه نعمة ، ولا تقصّر به عن طاعته غفلة ، ولا تحلّ به بعد الموت فزعة . إنه سميع الدعاء ، وييده الخير ، وإنه فعّال لما يريد . »

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٤ — خطبته يوم الأضحي

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرّمته ، ووفّق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليله ، وفدى فيه من الذّبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المعدودات من النّفر<sup>(١)</sup> ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَادِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُشَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ<sup>(٢)</sup> » فتقربوا إلى الله في

[١] يوم النّفر : اليوم الذي ينفر فيه الناس من مي ، وهو بعد يوم القرّ ( ويوم القرّ بالمتحج : اليوم الذي بعد يوم البحر ، لأنّ الناس يقرّون في منازلهم ) .

[٢] رحالا : أي مشاة ، جمع راجل كقائم وقيام ، وعلى كل ضامر : أي وركبانا على كل ضامر ، أي بعيد مهزول ، يأتين : أي الضواصر ، صفة لضاير حملا على المعنى ، من كل فج عميق : أي طريق بعيد ، ليشهدوا منافع لهم : دينية ودنيوية ، في أيام معلومات : هي عشر ذى الحجة ، وقيل : أيام النجر ، من

هذا اليوم بذبائحكم ، وعظموا شعائر الله ، واجعلوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ ، وارتفع جَزَاهُ الْعَمَلَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، وطالت مدة الفريقين ، اللَّهُ اللَّهُ ، فوالله إنه الْجِدُّ لَا اللَّعِبَ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والقصاص والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشر كله في النار .

( هيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٤ ، والبعد الفريد ٢ : ١٤٨ )

### ١١٥ — خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وَسُنَّةٌ ، وابتهاال ورغبة ، يومُ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وافتتح به حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، فجعله خَاتَمَةَ الشَّهْرِ ، وأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وجعله مُعَقَّبًا لِمَفْرُوضِ صَوْمِكُمْ ، وَمُتَنَفِّلًا قِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حَوَائِجَكُمْ ، واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : « لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عِبَادَ اللَّهِ ، وبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي أَعْتَدَلْ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَخْتَصِرْ<sup>(٣)</sup> الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ ، وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ

بهيمة الأندام : الإبل والبقر والغنم التي تنحر للضحايا ، ثم ليقتضوا قسائمهم : أى يزيلوا أوساخهم وشعرهم من نحو قسَمِ الأظفار ، وحلق العانة ، وغير ذلك . [١] أى يرفع إليه منكم العمل الصالح . .  
[٢] أى عمل الخير وعمل الخير . [٣] يحضر .

إِلا فَوْقَهُ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَغَلَزِهِ <sup>(١)</sup> وَكَرْبِهِ ، وَلَا يَعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ ، وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، فَاللَّهُ أَلَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَكَوْنُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا ، إِذْ مِنْهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهَلُ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ ، فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُعْلِلُ <sup>(٢)</sup> فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةَ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرَطُونَ عِنْدَهَا ، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : « وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وَقَالَ : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ <sup>(٣)</sup> لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » ، وَلَسْتُ أَنَهَا كُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُمْ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهَا ، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يَنْهَى عَنْهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهَا يَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا ، وَأَعْظَمُ مِمَّا رَأَتْهُ أَعْيُنُكُمْ مِنْ عَجَائِبِهَا ذِمَّ كِتَابِ اللَّهِ لَهَا ، وَنَهَى اللَّهُ عَنْهَا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، وَقَالَ : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . . الْآيَةُ » ، فَانْتَفِعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا ، وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهَا ،

[١] الغلز : ما يصيب المريض عند حشرحة الموت من رعدة واضطراب . [٢] يعلى

[٣] القسط : العدل ، مصدر وصف به المبالغة أو ذوات القسط .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائِعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدرَكوا الجنة بما تركوا منها .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٥ ، والمقد الفريد ٢ : ١٤٨ )

## ١١٦ — خطبة ابن طباطبا العلوى

وخطب محمد <sup>(١)</sup> بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، حين انتهب قائدُ جيوشه أبو السرايا السرى ابن منصور قصرَ العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعدُ : فإنه لا يزال يَبْلَغُنِي أن القائل منكم يقول : إن بنى العباس فينا لنا ، نخوضُ في دماءهم ، وَنَرْتَعُ في أموالهم ، وَيُقْبَلُ قولنا فيهم ، وَتُصَدَّقُ دعوانا عليهم ، حُكْمٌ بلا عِلْمٍ ، وَعَزْمٌ بلا رَوِيَّةٍ ! عَجَبًا لِمَنْ يُطْلَقَ بذلك لسانه ، ويحدّث به نفسه ! أ بكتاب الله تعالى حَكَمَ ، أم لِسَنَةِ نبيه صلى الله عليه وسلم أَتَبَعَ ؟ أفي مَيْلِي <sup>(٢)</sup> معه طَمِعَ ، أم بَسْطَ يَدِي له بالجود أُمِّلَ ؟ هيهات ! فازدو الحق بما نَوَى ، وأخطأ ذو الباطل بما تَمَنَّى ، حَقُّ كُلِّ ذِي حَقٍّ في يده ، وكل

[١] خرج بالكوفة امشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القيم بأمره في تدبير الحرب ، وقيادة جيوشه أبا السرايا السرى بن منصور وكان سبب خروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي افتتحتها ، وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل ، فلما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد أنزله قصرًا حجب به عن أهل بيته ، ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وأنه يبرم الأمور على هواه ، ويستبدّ بالرأى دونه ، فعصب لذلك بالعراق من كان بها من بنى هاشم ، ووجوه الناس ، وأنفوا من غلبة الفضل على المأمون ، واجتروا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في عشرة آلاف فواقهم فهزموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة (وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمع ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرز مائتي عسكر زهير منعه أبا السرايا ، وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسهه . [٢] في الأصل : « أى مثلى » وهو تعريف ، والصواب ما ذكرته .

مُدَّعٍ عَلَى حِجَّتِهِ ، وَيَلْ لِمَنْ اغْتَصَبَ حَقًّا ، وادعى باطلا ، أَفْلَحَ مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وَخَافَ مَنْ أَرْغَمَ الْحَقُّ أَنْفَهُ ، الْعَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقِّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْعَدْلِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَرَارَةِ الْحَقِّ ، كُلُّ نَفْسٍ تَسْمُو إِلَى هِمَّتِهَا ، وَنِعَمَ الصَّاحِبُ الْقَنَاعَةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ أَكْرَمَ الْعِبَادَةُ الْوَرَعَ ، وَأَفْضَلَ الزَّادُ التَّقْوَى ، وَاعْمَلُوا فِي دُنْيَاكُمْ ، وَتَزَوَّدُوا لِآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَعْصِيَةَ وَحِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَمْحَقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَمَآوُنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنِ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الْحَقُّ أَوْلَجُ ، وَالسَّبِيلُ مَنْهَجُ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ <sup>(١)</sup> ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ، مِنْ حَارَبَنَا حَارِبُنَاهُ ، وَمَنْ سَاَلَنَا سَاَلَمُنَاهُ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لَنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفُولَ : وَرَجُلٌ قَالَ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكَفَى ، حَسْبُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ «  
(مَوَاسِمُ الْأَدَبِ ٢ : ١١٣)

## ١١٧ — اسْتَعْطَافُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ الْمَأْمُونِ

لَمَّا ظَفِرَ الْمَأْمُونُ بِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ <sup>(٢)</sup> أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ عَلَيْهِ ، فَجِئَ بِإِبْرَاهِيمَ يَحْجُلُ <sup>(٣)</sup> فِي قِيُودِهِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَلَا حَفِظَكَ ، وَلَا رَعَاكَ ، وَلَا كَلَّأَكَ <sup>(٤)</sup>

[١] أبلج : أى واضح بين ، والمنهج : الطريق الواضح ، والباطل الجلج : أى يتردد فيه صاحبه ، فلا يصيب مخرجا . [٢] كان المأمون قد عهد بالخلافة لعلی الرضا بن موسى الكاظم ، فلما سمع العباسيون ببغداد ( وكان المأمون بمرور حاضرة خراسان ) ما فعله المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي ، أنكروا منه ذلك ، وحلوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٩١ هـ ، ولما علم المأمون بذلك جد في المسير إلى بغداد ، وهرب عمه إبراهيم وتوارى . [٣] حجل المفيد كضرب ونصر : رفع رجلا ، وتريت في مشيه على رجله . [٤] كلاءه : حرسه .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ <sup>(١)</sup> يا أمير المؤمنين ، ولى <sup>(٢)</sup> النارِ مُحْكَمٌ في القصاص ، والعَفْوُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، ومن مُدَّة له الاغترار في الأمل ، هَجَمَتْ به الأناةُ على التَّلَف <sup>(٣)</sup> وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل <sup>(٤)</sup> عفو ، فإن تماقِبَ فَبِحَقِّكَ ، وإن تَعَفُّ فبِفَضْلِكَ » ، ثم قال :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ  
نَحْذُ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ  
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني شاورت أبا إسحق <sup>(٥)</sup> والعباس في قتلك فأشارا علىَّ به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لهما : بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيرَ الله يغير ما به ، قال : أمّا أن يكونا قد نصحاك في عِظَم قدر الملك ، وما جَرَّت عليه عادةُ السياسة فقد فعلا ، ولكن أبيتَ أن تستجاب النصر إلا من حيثُ عَوَّدَكَ الله ، ثم استعبر باكيًا ، فقال له المأمون : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : جَدَلًا ، إذ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْإِنْعَام ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرْمِي يَبْلُغُ سَفْكَ دَمِي ، فلم أمير المؤمنين وتفضله يُبَلِّغَانِي عَفْوَهُ ، ولى بعدها شفاعَةُ الإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَبِ بعد الأب ، قال المأمون : « القَدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِيزَةُ <sup>(٦)</sup> ، والندم تَوْبَةٌ ، وعَفْوُ الله يَبْنِيهِمَا ، وهو أكبر ما يَحَاوُلُ ، يا إبراهيم : لقد حَبَبْتُ إِلَى الْعَفْوِ ، حَتَّى خِفْتُ

[١] المهل والتؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفي رواية : « ومن تناوله الاغترار بما مدَّ له من أسباب الرخاء ، أمن طادية الدهر » . [٤] وفي رواية : « وقد أصبحت فوق كل ذى ذنب ، كما أصبح كل ذى عفو دونك » ، وفي أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل كل ذى ذنب دونك » . [٥] أبو إسحق هو المعتمد أخو المأمون ، والعباس هو ابن المأمون . [٦] الحفيظة : العصب ، وفي رواية الأغانى أن هذه الجملة من قول إبراهيم بن المهدي .

أن لا أوجَرَ عليه ، أما لو عَلِمَ الناس مالنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا بالجنایات ، لا تَثریب<sup>(١)</sup> عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك ، لبلغك ما أملت حسن توصلك ، ولطيف تنصلك » ، ثم أمر بردّ ماله وضياعه ، فقال :

رَدَدْتُ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ      وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي  
فَأَبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَفْأُهَا - بِيَدِ      هَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفْرِ وَمِنْ عَدَمِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَامَ عَامُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي      مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمِ  
فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ      وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي  
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَاوِيَةٍ رَجَعَتْ      إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهَبْهَا كُنْتَ لَمْ تُتْلَمْ

(الأغاني ٩ : ٥٧ ، والعقد المبرّد ١ : ١٤٢ ، والأمال ١ : ٢٠٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٩١)

### ١١٨ — إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، في مجلس الحكم ، في عقار بناحية السّواد<sup>(٣)</sup> ، فزرى عليه<sup>(٤)</sup> ابن المهدي ، وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه<sup>(٥)</sup> ذلك ، فقال : « يا إبراهيم إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم ، فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً ، ولا أشرت إليه بيد ، وليكن قصدك أمماً<sup>(٦)</sup> ، وطريقك نهجاً<sup>(٧)</sup> ، وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، ووف مجالس الحكومة حقوقها ، من التوقير والتعظيم والاستكانة والتوجّه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل لمذهبك في

[١] لا لوم . [٢] اليد : النعمة .

[٣] سواد العراق ، والعقار : كل ملك ثابت له أصل كالدار والبخل ، وجمع عقارات .

[٤] عابه . [٥] أغضبه . [٦] الأمم : القصد الوسط . [٧] واضحاً .

تَحْتِدُكَ <sup>(١)</sup> ، وَعَظِيمَ خَطَرِكَ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَعْجَلْ ، قَرُبَ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا <sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهُ يَمْنَعُكَ مِنَ الزَّلَلِ ، وَخَطَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ ، وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .

قال إبراهيم : « أَصْلَحَكَ اللَّهُ أُمِرْتَ بِسَدَادٍ ، وَحَضَضْتَ عَلَى رَشَادٍ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ إِلَى مَا يَشِلُّ <sup>(٤)</sup> مُرُوءَتِي عِنْدَكَ ، وَيُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ ، وَيُخْرِجُنِي مِنْ مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، فَهَآنَا مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ ، اعْتَذَارَ مُقَرَّرٍ بِذَنْبِهِ ، بِاخِيعٍ بِجُرْمِهِ <sup>(٥)</sup> ، فَإِنَّ الْغَضَبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفِرُّنِي بِمَوَادِّهِ ، فَيُرِدُّنِي مِثْلَكَ بِحِلْمِهِ ، وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَنَا مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَقَدْ وَهَبْتَ حَقِّي مِنْ هَذَا الْعَقَارِ لِبَخْتِيشَوْعَ ، فَلَيْتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَعُولُ <sup>(٦)</sup> بِأَرْضِ <sup>(٧)</sup> الْجَنَايَةِ ، وَلَمْ يَتَلَفْ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ . »

( المقد الفرید ١ : ٢٧ ، وزمر الآداب ١ : ٣٣٢ )

## ١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : « لَا تَحْسَبْنِي أَغْفَلْتُ إِجْلَالَكَ مَعَ ابْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَتَأْيِيدَكَ لِرَأْيِهِ ، وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ ، قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَرَجِي أَمْسُ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تَهْرِبَ <sup>(٨)</sup> عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » ، وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْمِنَةِ ، وَتُمَثِّلُ <sup>(٩)</sup> لِحِلَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ . »

قال : هيهات ! تلك أجرام جاهلية ، عفا عنها الإسلام ، وجُرْمُكَ جرم في إسلامك ، وفي دار خلافتك . قال : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ لَلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ

[١] أَمَلَك . [٢] قَدْرُكَ . [٣] إِطَاء . [٤] ذَمِّبْ وَيَقْصُ . [٥] مَر .

[٦] يَزِيدُ وَيَرْجَحُ . [٧] الْأَرْضُ : الدِّينَةُ .

[٨] لَا تَوَلَّ . [٩] امْتَلَأ طَرِيقَتَهُ : تَبِعَهَا فَلَمْ يَمُوتْ .

العترة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله بينى وبينك، يقول الله تعالى :  
 « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ  
 لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سُنَّةٌ دخل فيها  
 المسلم والكافر، والشريف والمشروف » قال : صدقت ، اجلس ، وَرِيتُ بِكَ  
 زِنَادِي ، وَلَا بَرَحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

( العقد الفريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣ )

## ١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير  
 المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعيتك ،  
 تقدمت مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ <sup>(١)</sup> ، وآيسَت أن يُعَايَنَ مِثْلَكَ ، أما فيما  
 مضى فلا نعرفه ، وأما فيما بقي فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى  
 عليك ، خَصِبَ لَنَا جَنَابُكَ ، وَعَذِبَ ثَوَابُكَ ، وَحَسُنْتَ نَظَرْتُكَ ، وَكَرُمْتَ  
 مَقْدَرْتُكَ ، جَبَرْتَ الْفَقِيرَ ، وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ ، فَإِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا  
 قَالَ الْأَوَّلُ :

ما زلتَ في البَذَلِ والنَّوَالِ وإِطْلَاقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ <sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى تَمُنِّي الْبِرَاءَ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَسْرَى فِي الْقَيْدِ وَالْحَلَقِ <sup>(٣)</sup>

( العقد الفريد ١ : ١٣٧ )

[١] إذ أنه يجهد أن يلحق بك فلا يستطيع . [٢] العاني : الأسير ، والعلق : أهله مع غلق  
 الرهن إذا استحقه المرتين ، وذلك إذا لم يملكك في الوقت المشروط . [٣] البراء ككرام جمع برى .

## ١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وقدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يَدُّكَ أَحَقُّ يَدٍ بِتَقْبِيلٍ ، لَعُلَّوْهَا فِي الْمَكَارِمِ ، وَبُعْدَهَا مِنَ الْمَأْثَمِ ، وَأَنْتَ يَوْسُفِيُّ الْعَفْوِ فِي قَلَةِ التَّهْرِيبِ ، مَنْ أَرَادَكَ بِسُوءٍ جَعَلَهُ اللَّهُ حَصِيدَ سَيْفِكَ ، وَطَرِيدَ خَوْفِكَ ، وَذَلِيلَ دَوْلَتِكَ » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، اقضِ حوائجهم . ( مروج الذهب ٢ : ٣١٩ )

## ١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ دَوْلَتِكَ <sup>(١)</sup> ، أَتَأْذَنُ فِي الْكَلَامِ ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَمْنَحُ اللَّهَ حَيَاةَ دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، وَرِعَايَةَ أَدْنَانَا وَأَقْصَانَا بِبِقَائِكَ ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عَمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا ، وَفِي أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا ، وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْمَائِذِ بِفَضْلِكَ ، الْهَارِبُ إِلَى كَنَفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاها . ( العقد الفريد ١ : ١٤٦ )

## ١٢٣ - الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل <sup>(٢)</sup> يوماً للمأمون :

« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وَسَنِيَّ مَا أَعْطَاكَ ، إِذْ قَسَمَ لَكَ الْخِلَافَةَ ، وَوَهَبَ لَكَ مَعَهَا الْحُجَّةَ ، وَمَكَّنَكَ بِالْإِسْلَامِ ، وَخَلَّاهُ لَكَ بِالْعَدْلِ ،

[١] الدوحة : الشجرة المطيبة .

[٢] وذر للمأمون بعد أخيه الفضل بن سهل ، وتزوج أمأمون ابنته بوران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وأيدك بالظفر ، وشفعه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقرنها بالسيادة ، فمن فُسِحَ<sup>(١)</sup> له في مثل عطية الله لك ؟ أم مَنْ ألبسه الله تعالى مِنْ زينة المواهب ما ألبسك ؟ أم من ترادفتْ نعمةُ الله تعالى عليه ترادفها عليك ؟ أم هل حاولها أحدٌ وارتبطها بمثل محاولتك ؟ أم أى حاجة بقيت لرعايتك لم يجدوها عندك ؟ أم أى قيم للإسلام انتهى إلى عنايتك ودَرَجتك ؟ تعالى الله تعالى ، ما أعظم ما خصَّ القرآن الذى أنت ناصِرُهُ ، وسبحان الله ! أى نعمة طبقت<sup>(٢)</sup> الأرض بك إن أدّى شكرها إلى بارئها والمنعم على العباد بها ؟ إن الله تعالى خلق السماء فى فلَكها ضياءً يستنير بها جميع الخلائق ، فكل جوهر زها حسنه ونوره ، فهل لبستَه زينته إلا بما اتصل به من نورك ؟ وكذلك كل وليٍّ من أوليائك ، سَعِدَ بأفعاله فى دولتك ، وحسنت صنائعه عند رعايتك ، فإنما نالها بما أيدته من رأيك وتديرك ، وأسعدته من حسنك وتقويمك . ( زهر الآداب ٣ : ٢٠٠ )

## ١٢٤ — يحيى بن أكرم يمدح المأمون

وقال المأمون ليحيى بن أكرم<sup>(٣)</sup> : صف لى حالى عند الناس ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، قد انقادت لك الأمور بأزممتها ، وملكتك الأمة فُضُولُ أعينتها ، بالرغبة إليك ، والمحبة لك ، والرفق منك ، والعياذ بك ، بعدلك فيهم ، ومنك عليهم ، حتى لقد أنسيَتهم سلفك ، وآيستهم من خلفك ، فالحمد لله الذى جمعنا بك بعد التقاطع ، ورفعنا فى دولتك بعد التواضع . »

[١] أى وسع . [٢] ملأت وعمت ، والاستفهام للتعظيم .

[٣] من ولد أكرم بن صبي التميمي ، وكان فقيها عالما بالفقه بصيراً بالأحكام ، وقد غلب على المأمون ، حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وقلده قضاء القضاة ، وتدير أهل مملكته ، فكانت الوزراء لا تعمل فى تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطامة يحيى بن أكرم ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ ، وعمره ٨٣ سنة .

فقال : يا يحيى ، أتمحييراً أم ارتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو يتعذر على مادحك قول ، أو يُفحَم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟  
( الصناعتين من ٤٠ )

### ١٢٥ — أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فعنّفه المأمون ، فقال :  
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ ذَاتِي ، وَلَبِس ثوب حُرْمَتِي ، وَمَتَّ بِمِثْلِ قِرَابَتِي ، غُفِرَ له فوق زَلَّتِي » فأعجب المأمونَ كَلَامُهُ وصفح عنه .  
( الأمل ٢ : ١٣٦ ، وزمر الآداب ٣ : ٨٩ )

### ١٢٦ — رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من عامل له فقال :  
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَك لي فِضَّةً إِلَّا فُضَّهَا ، ولا ذَهَباً إِلَّا ذَهَبَ به ، ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَا <sup>(١)</sup> ، ولا ضِيعةً إِلَّا أضاعها ، ولا عِلْقاً <sup>(٢)</sup> إِلَّا عَلِقَه ، ولا عَرَضاً إِلَّا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إِلَّا أمتشَّها <sup>(٣)</sup> ، ولا جليلاً إِلَّا أجلاه ، ولا دقيقاً إِلَّا دَقَّه » ، فعجِب من فصاحته وقضى حاجته . ( زمر الآداب ٢ : ١٣٧ )

### ١٢٧ — عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت على نوبة أنوبها في حرس المأمون ، فكنت في نوبتي ليلةً ، نخرج متفقداً من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال : من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك

[١] المراد احتازها ، والأصل فيه غله : أى وضع في عنقه أو يده الغل ( بالضم ) وهو القيد .

[٢] العلق : النعيس من كل شيء ، وعلق به كفرح أحبه ، أو هو « علقه » مشدداً مبنياً

للمجهول ، علق امرأة : أى أحبا . [٣] امتش : مافز الضرع : أخذ جميعه .

الله ، فقال : أنت تَكَلُّوْنَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يكلؤك قبلى ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ يَسْمَعُ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ  
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَّعَكَ بِدَدٍ شَمَلَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكَ

( زهر الآداب ٢ : ١٣٧ )

## ١٢٨ — الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : مَنْ أَنْتَ يَا غَلام ؟ فقال :

« أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْمُؤَمِّلُ لخدمَتِكَ ، خَادِمُكَ وَابْنُ خَادِمِكَ : الحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ » ، فقال : أَحَسَنْتَ يَا غَلام ، وَبِالْإِحْسَانِ فِي الْبَدِيهَةِ تَفَاوَلْتَ الْعُقُولُ ، وَأَمْرٌ بِرَفْعِ مَرَاتِبِهِ .

( زهر الآداب ٢ : ١٧٣ )

## ١٢٩ — سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مُسْلِمٍ بن قُتَيْبَةَ للمأمون :

« لَوْ لَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ قَصْدِهِ إِلَى بَحْدَيْهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطَرَفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ، وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فقال : « يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِدُ عِنْدَكَ مِنْ حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا حُدِّثْتَ ، مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ

مضى ، ولا يظنُّ أنه يجدُ عند أحدٍ مِّن بَقِي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتُخبر بما كنتُ أغفلته منه . ( زمر الآداب ١ : ١٧٣ )

### ١٣٠ — أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بأزمينية ، فغبر<sup>(١)</sup> أبو زهمان العلاني على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مثل بين يدي قائماً بين السماطين<sup>(٢)</sup> وقال : « والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفء التراب يُقيم من أود<sup>(٣)</sup> أصلابهم ، لجعلوه مُسَكَّةً<sup>(٤)</sup> لازماً فيهم ، إشاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطي ، العطفة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ، ولأن أكون مُقِلّاً مقرباً ، أحبُّ إلى من أن أكون مُكثِراً مُبْعِداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ، ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يدك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتجبَّب إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حُبَّ عباد الله موصول بحُبِّ الله ، وبنضهم موصول ببغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورُقباءؤه على من اعوجَّ عن سبيله . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )

### ١٣١ — وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولَّاه المأمون الرِّقَّةَ ومصر وما بينهما<sup>(٥)</sup> سنة ٢٠٦ هـ « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايله سُخْطه وحفظ رعيته ، والزَّم ما ألبسك الله من

[١] مكث . [٢] السماطان من الناس : الجانبان ، يقال : مضى بين السماطين .

[٣] اعوجج . [٤] المسكة : ما عسك الأبدان من الغذاء والشراب ، أو ما يبلغ به منهما .

[٥] أثبتنا هذا الكتاب هنا لأنه في عداد الوصايا .

العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب<sup>(١)</sup> عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيعتهم<sup>(٢)</sup> ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم<sup>(٣)</sup> ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ، ولا يذْهَبْكَ<sup>(٤)</sup> عنه ذاهل ، ولا يَشْغَلَكَ<sup>(٥)</sup> عنه شاغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها ، في إسباغ<sup>(٦)</sup> الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل<sup>(٧)</sup> في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، وتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة<sup>(٨)</sup> الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الدفع . [٢] البيضة : حوزة كل شيء .

[٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لسربهم ، والسرب : النفس . [٤] ذهلت عن الشيء ( كفتح ) غفلت

وقد يتعدى بنفسه . فيقال ذهاتته ، والأكثر أن يتعدى بالهمزة ، فيقال : أذهلني فلان عن الشيء .

[٥] شغله من باب فتح وأشمله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسبغ الوضوء : وفي كل عضو حقه .

[٧] تمهل ولا تمجل . [٨] استخار الله : طلب منه الحيرة .

من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وإتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحبت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملة ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ما ترين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودَرَكا للدرجات العُلا في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بعدلك ، وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أئين نفعا ، ولا أحضر أمنا ، ولا أنجع فضلا من القصد ، والقصد داعية إلى الرشd ، والرشd دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فأثره في دنياك كلها ، ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشd ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعى له ، إذا كان يُطلب به وجه الله ومرضاؤه ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته ، واعلم أن القصد في شأن الدنيا يُورث العز ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوُط<sup>(١)</sup> نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به تتم أمورك ، وتردّ مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل تستقيم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، تستدِم به النعمة عليك ، ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ،

فإن إيقاع النهم بالبُرْآءِ، والظنون السيئة بهم مأثم، واجعل من شأنك حُسنَ  
الظن بأصحابك، واطرد عنك سوء الظن بهم، وارفضه فيهم، يُعينك ذلك على  
اصطناعهم<sup>(١)</sup> ورياضتهم، ولا يحدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرِكَ مَفْخَرًا، فإنه  
إنما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ<sup>(٢)</sup>، فيدخل عليك من النهم في سوء الظن  
ما ينغصك لذّة عيشك، واعلم أنك تجد بحُسنِ الظن قوّة وراحة، وتُكفَى  
به ما أحبت كفايته من أموركَ، وتدعوه به الناس إلى محبتك، والاستقامة  
في الأمور كلها لك، ولا يمنَعُكَ حُسنُ الظن بأصحابك والرأفة برعيتك، أن  
تستعمل المسألة والبحث عن أموركَ، والمباشرة لأُمور الأولياء، والحياطة  
للرعية، والنظر فيما يُقيمها ويُصلحها، بل لتكن المباشرة لأُمور الأولياء،  
والحياطة للرعية، والنظر في حوائجهم وتحمّل مئوناتهم، آثَرَ عندك مما سوى  
ذلك، فإنه أفومٌ للدين، وأحيا للسنّة، وأخلص نيتك في جميع هذا، وتفرّد  
بتقويم نفسك تفرّد من يعلم أنه مسئول عما صنع، ومجزي بما أحسن،  
وماخوذ بما أساء، فإن الله جعل الدين حرزاً وعِزاً، ورفع من اتبعه وعزّزه،  
فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهجَ الدين وطريقة الهدى، وأقيم حدود الله في أصحاب  
الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به، ولا  
تؤخر عقوبة أهل العقوبة، فإن في تفریطك في ذلك لما يُفسد عليك حسنَ  
ظنك، واعزم على أمرِكَ في ذلك بالسنن المعروفة، وجانب الشبهة والبِدعات،  
يسلم لك دينك، وتقم لك مرء وتك، وإذا عاهدت عهداً فف به، وإذا وعدت

[١] اصطنعتك لنفسى : اخترتك لخاصّة أمر استكميك إياه .

[٢] الوهن بسكون الهاء وفتحها : الضعف .

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وَأَغْمِضْ عن عيب كل ذى عيب من رعيّتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وَأَبْغِضْ أهله ، وَأَقْصِ أهلَ النّيمة ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب والجُرْأَة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنّيمة خاتمها ، لأن النّيمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر ، وأحبّ أهل الصدق والصلاح ، وأعزّ الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيّتك ، وأنعم بالعدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسَلِّطُ أَفْعَلُ ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يُعْطِيهِ من يشاء ، وينزعهُ ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة إلى أحد ، أسرع منه إلى حَمَلَة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شرّه نفسك ، ولتكن ذخايرك وكنوزك التى تدّخر وتكثير البرّ والتقوى والمعدّلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموالهم والحفظ لدمائهم <sup>(١)</sup> والإفاعة للمهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت وذُخِرَتْ فى الخزائن لا تُثْمِر ، وإذا

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُوقِهِمْ ، وَكَفِّ الْمَثُونَةِ عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَرَبَّتْ  
وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَّةُ ، وَتَزَيَّنَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعِزُّ  
وَالْمَنْعَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ  
مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقُوقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،  
وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ،  
وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ ، وَكَنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ  
رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمِلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ  
إِطَاعَتَهُمْ ، وَأَطْيَبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أَرَدْتَ ، فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَدْتَ لَكَ فِي  
هَذَا الْبَابِ ، وَلْتَعْظُمَ حِسْبَتُكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أُنْفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ،  
وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْبَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا  
هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاقُوتَ يُوجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطُ  
يُورِثُ الْبَوَارَ ، وَلْيَكُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الثَّوَابَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ  
أَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمِ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ  
فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُشِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةَ  
الْمُحْسِنِينَ ، وَقَضَى الْحَقَّ فِيمَا حَمَلَ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا  
تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَمَالُنَّ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كَافُورًا ، وَلَا  
تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدَقَنَّ نَمَّامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالِجَنَّ فَاسِقًا ، وَلَا  
تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًّا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًّا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرُدَّنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا  
تَجْبِينَ <sup>(١)</sup> بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حِظْنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهَوْنَ نَفَرًا ،

ولا تُظهِرَنَّ غضباً ، ولا تأتين بَذَخاً <sup>(١)</sup> ، ولا تمشين مَرَحاً ، ولا تركبن سَفَهًا <sup>(٢)</sup> ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفع للنام عيناً ، ولا تُغمِضن عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا ، وأكثرن مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب ، وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتك أهل الدقة <sup>(٣)</sup> والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشُّعْ ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك ، بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشُّعْ ، واعلم أنه أول ماعصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل : « وَمَنْ يُوقِ شُعَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعِدْهُ لنفسك خُلُقاً ، وارض به عملاً ومذهباً ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبتهم ، وأذِرْ عليهم أرزاقهم ، ووسّع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوّم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانسراحاً ، وحسبُ ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمةً في عدله ، وحِيطته <sup>(٤)</sup> وإنصافه ، وعنايته وشفقته ، وبره

[١] البذخ : الكبر . [٢] وفي المقدمة : « ولا تركبن سفياً » .

[٣] وفي المقدمة : « أهل الرّفة » . [٤] في القهمة : « وعطيته » .

وتوسعته ، فزایل مكرورة أحد البابين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقَ إن شاء الله نجاحاً وصلاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها يتنجز الحق والعدل في القضاء ، واشتد في أمر الله ، وتورع عن النطف <sup>(١)</sup> ، وامض لإقامة الحدود ، وأفلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، واسد <sup>(٢)</sup> في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيك محابة ولا محاماة <sup>(٣)</sup> ولا لوم لائم ، وثبت وتأان وراقب ، وانظر وتدبر ، وتفكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف <sup>(٤)</sup> بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ( فإن الدماء من الله بمكان عظيم ) انتهها كلها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتاً <sup>(٥)</sup> وغیظاً ، ولأهل الكفر من معاديه ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] النطف : العيب والشر والفساد . [٢] سد يسد كضرب : صار سديداً .

[٣] في المقدمة : « ولا محابة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كبته : صرعه وأخزاه ، ورد العدو بغيظه وأذله .

له ، ولا تَكَلَّفْنِ أَصْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واحمل الناس كلهم عَلَى مَرٍّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْمَعُ لَأَلْفَتِهِمْ ، وَأَلْزَمَ لِرِضَا الْعَامَةِ ، واعلم أَنَّكَ جُعِلْتَ بَوْلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَمَهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُهُ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصِلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ ، فَاسْتَعْمَلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْرِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّجْدِيرِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِفَافِ ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُ وَأُسْنِدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصَحَةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، وَأَعْنَيْتَ عَلَى الصِّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ ، وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ بِنَاحِيَّتِكَ ، وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ ، فَكَثُرَ خَرَاجُكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أَمْوَالِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةٍ وَآلَةٌ وَعُدَّةٌ ، فَنَافِسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدِمْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، تَحْمَدُ مَغْبَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ حَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجُوتَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيحِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وبأشْره بعد عون الله بالقوة ، وأكثِر استخارة ربك في جميع أموراك ، وافرُغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثِر مباشرته بنفسك ، فإن لغد أموراً وحوادث تُلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فَشَغَلَكَ ذلك حتى تُعْرَض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحمتَ نفسك وبدنك ، وأحكمتَ أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طَوِيَّتِهِمْ ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خلَّتَهُمْ <sup>(١)</sup> مَسَا ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظالمته إليك ، والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحنى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يُصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداءً بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليُصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأَجِرِ للأُضْرَاء من بيت المال ، وقَدِّم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية <sup>(٢)</sup> على غيرهم ، وانصِب لِمَرْضَى المسلمين دُوراً تُؤوِيهم ، وقَوِّمًا يرفُقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعِفهم بشهواتهم ، ما لم يؤدِّ ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إذا أعطوا حقوقهم وأفضلَ أمانيتهم ، لم يُرضِهِم ذلك ، ولم تُطِب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وُلاتهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضلِ الرفق منهم ، وربما بَرِم<sup>(١)</sup> المتصفح لأُمور الناس ، لكثرة ما يَرِد عليه ، وَيَشْغَل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، وَيَعْرِف محاسن أُموره في العاجل ، وفضلَ ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقربُبه إلى الله ، ويلتمس رحمته به ، وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، واخفِض لهم جناحك ، وأظهر لهم بِشرك ، وَلِنْ لهم في المسألة والمنطق ، واعطِف عليهم بجدك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعطِ بسماحةٍ وطيب نفس ، واتمس الصنعة والأجر غيرَ مكدر ولا مَنَّان ، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أُمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأُمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه وكتابه ، واجتنِب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع عَمَّا لك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تُثَقِّق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأُمور ومعاليها ، وليكن أكرم دُخلائك وخاصتك عليك ، مَنْ إذا رأى عيباً فيك لم يمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سر ، وإعلامك ما فيه من النقص ، فإن أولئك أنصح أوليائك ، ومظاهريك لك . وانظر عَمَّا لك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقَّت لكل رجل منهم في كل يوم

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبه ومؤامرتة وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر  
كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك  
وعقلك ، وكرّر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق  
فأمضيه ، واستخّر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه  
والمسألة عنه ، ولا تمنّ على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتية إليهم ، ولا تقبل من  
أحدهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف  
إلا على ذلك ، وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله  
على جميع أمورك واستخِرْه ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك  
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة  
والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يُصلح عونك وتوفيقك ورُشدك  
وَكَلَاءَتِكَ ، وأن يُنزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،  
حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسناهم ذكراً وأمرأ ، وأن  
يُهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز  
الشیطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرُك بالعزّ والقوّة والتوفيق ، إنه  
قريب مجيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تنازعه الناس  
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :  
ما بقى أبو الطيب ( يعني طاهراً ) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى  
والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البَيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

( تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩ )

### ١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج <sup>(١)</sup> فقال :  
« إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذائبون عن دينه ، الذائبون عن محارمه ،  
الداعون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاية أمره ، الذين جعلهم  
رعاة الدين ، ونظام <sup>(٢)</sup> المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،  
وأهل معصيته ، الذين أشيروا <sup>(٣)</sup> وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومزقوا  
من الدين ، وسمّوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنْ تَنْصُرُوا  
اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر ممّلككم الذي إليه تلمجئون <sup>(٤)</sup> ،  
وعُدَّتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع ، الذي دلّم الله عليه ، والجنة <sup>(٥)</sup>  
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غُضُّوا أبصاركم ، وأخفّوا أصواتكم في مصافكم ،  
وأمضوا قُدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الفرق » أن المأمون بعث طاهر بن الحسين لقتال حمزة بن أكرح - هكذا فيه - وفي الملل والنحل حمزة بن أدرك بالدال - وهو زعيم فرقة الجزية لأحدى فرق الخوارج العجاردة ، وقد عاث في سجستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ، وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ ، وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فما ازداد إلا هتواً ، فبعث لقتاله طاهر بن الحسين ، فدارت بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من العريقين مقدار ثلاثين ألفاً ، أكثرهم من أتباع حمزة ، وانزح حمزة إلى كرمان ، ثم استدعى المأمون طاهراً من خراسان ، فطمع فيها حمزة ، وأقبل بجيشه من كرمان ، فخرج إليه عبد الرحمن النيسابوري في عشرين ألفاً فهزموه ، وقتلوا الألوف من أصحابه ، وانفلت منهم حمزة جريحاً ، ومات في هزيعته - انظر ص ٧٩ - .

[٢] النظام : السلك ينظم فيه ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] الملجأ والمعصم ، وكذا الوزر . [٥] كل ما بقي .

فإنه يقول : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَبْغُتُوا وَادْعُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »  
أيدكم الله بعز الصبر ، وَوَلَّيَكُمْ بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ . ( العنكبوت ٢ : ١٥٥ )

### ١٣٣ — العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون : لما أفضت الخلافة إلى المعتصم دخلت ، فقال :  
هذا مجلس كنت أكرهه الناس لجلوسى فيه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ، أنت  
تعفو عما تيقنته ، فكيف تعاقب على ما توهمته ؟ » ، فقال : لو أردت عقابك ،  
لتركت عتابك . ( زهر الآداب ٣ : ٩١ )

### ١٣٤ — استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ  
مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَبَعُدَ ذِكْرُهُ ، فَكَتَبَ الْمَعْتَصِمُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ  
فِي النَّهْوِضِ إِلَيْهِ ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ ، فَظَفَّرَ بِهِ ، فَحَمَلَهُ مُوثِقًا إِلَى الْمَعْتَصِمِ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ  
أَبِي دُوَادٍ : مَا رَأَيْنَا رَجُلًا عَيْنَ الْمَوْتِ ، فَمَا هَالَهُ ، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ  
أَنْ يَفْعَلَهُ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَعْتَصِمِ ، فِي  
يَوْمِ الْمَوْكَبِ ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا مَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، دَعَا بِالنَّطْعِ<sup>(١)</sup>  
وَالسَّيْفِ فَأَخْضَرَا ، فَجَلَّ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا ، وَجَعَلَ  
الْمَعْتَصِمُ يَصْعَدُ النَّظَرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ ، وَكَانَ جَسِيًا وَسِيمًا<sup>(٢)</sup> ، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ  
لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَائِهِ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنْظَرِهِ ، فَقَالَ : يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرٌ فَأْتِ بِهِ ،  
أَوْ حِجَّةٌ فَأَدِلْ بِهَا ، فَقَالَ : أَمَّا إِذْ قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَقُولُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ،

[١] النطع كحل وشمس وسبب ونب : هياط من الأديم . [٢] جملا

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ « جَبَر بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ بِكَ شَقَّتَ  
المسلمين ، وأوضح بك سُبُلَ الحق ، وَأَتَّخَذَ بِكَ شِهَابَ الباطل ، يا أمير المؤمنين  
إن الذنوب تُخْرِسُ الألسنة الفصيحة ، وَتُعَيِّي الأفتدة الصحيحة ، ولقد عَظُمَتِ  
الجريرة ، وانقطعت الحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو  
انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني ، وأسرعهما إلي ، أو لاهما بامتنانك ،  
وأشبههما بخلافتك ، ثم أنشأ يقول :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمَّا  
وَأَكْبَرُ ضَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي  
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ  
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَغْلِبٍ مَوْقِفُ  
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي  
وَلَكِنْ خَلَنِي صِدْقَةً قَدْ تَرَكْتَهُمْ  
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ  
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِيْطَةٍ  
فَكَمْ قَائِلٍ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ  
فَتَبَسُّمِ الْمَعْتَصِمِ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَعِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْمَذَلَّ (١) ، أَذْهَبَ

[١] مسلول . [٢] خَشَّ وَجْهَهُ كَنَصَرَ وَضَرَبَ خَدَشَهُ وَلَطَمَهُ وَضَرَبَهُ . [٣] كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ .  
[٤] الْمَذَلُّ كَشَمْسٍ وَسَبَبٌ : اللَّوْمُ ، وَهُوَ مِثْلُ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ ضَبَّةُ بْنُ أَدَّ بْنِ طَابِغَةَ ، وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ  
يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا سَعْدٌ ، وَالْآخَرُ سَعِيدٌ ، فَفُتِرَتْ لِأَبْلِ لُضْبَةَ تَحْتَ اللَّيْلِ ، فَوَجَّهَ ابْنَهُ فِي طَلِبِهَا فَتَفَرَّقَا ، فَوَجَدَهَا  
سَعْدُ فَرَدَّهَا ، وَمَضَى سَعِيدٌ فِي طَلِبِهَا ، فَلَقِيَهِ الْحَرِثُ بْنُ كَعْبٍ ، وَكَانَ عَلَى الثَّلَامِ بَرْدَانِ ، فَسَأَلَهُ الْحَرِثُ إِذَا هِيَ  
فَأَبَى عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ بَرْدِيهِ ، فَكَانَ ضَبَّةُ إِذَا أَمْسَى فَرَأَى تَحْتَ اللَّيْلِ سَوَادًا . قَالَ : أَسَعْدُ أَمْ سَعِيدُ ؟  
فَكَثَّ ضَبَّةُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُنَّ ، ثُمَّ لَمَّ حَجَّ فَوَالَى عَتَاظَ ، فَلَقِيَ بِهَا الْحَرِثُ بْنُ كَعْبٍ ، وَرَأَى عَلَيْهِ

فقد غفرت لك الصبوة<sup>(١)</sup> ، وَوَهَبْتُكَ لِلصَّبِيَّةِ ، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . (المقد الفريد ١ : ١٤٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٩)

### ١٣٥ — بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما ولي المهدي بالله<sup>(٢)</sup> بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حُرْمَتِهِ ، فقال : « أعزَّ الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوي القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المُرتَهَن بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ » . (زهر الآداب ٣ : ١٩٧)

### ١٣٦ — أحمد بن أبي دواد والواثق (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ)

دخل أحمد بن أبي دواد<sup>(٣)</sup> على الواثق فقال : ما زال اليوم قومٌ في ثَلْبِكَ ونقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أُكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبَرُهُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله وليُّ جَزَائِهِ ، وعقابُ أمير المؤمنين من ورأه ، وما ذاك يا أمير المؤمنين من أنت ناصرُهُ ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى ابنه سعيد فعرّفهما ، فقال له : هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك ؟ دل بلى : لقيت غلاماً ، وهما عليه فسأته إياهما ، فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : سيعك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطينيه أنظر إليه فأبى فأظنه صارماً ، فأعطاء الحرت سيفه ، فلما أخذه من يده هره وقال : الحديث ذو شجون ، ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له يا ضبة : أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف العذل . [١] جهلة الفتوة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، وبصراء الاعتراف ، كان مقرباً من المأمون أثيراً عنده ، ولما ولي المعتصم الخلافة جعله قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكثم ، وخصّ به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلاً باطناً ولا ظاهراً إلا برأيه ، ولما مات المعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم فلج في أول خلافة المتوكل ، فقلد ولده محمداً القضاء مكانه ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أى معظمه ، وفي قراءة « كبره » بضم الكاف .

وَسَقَى إِلَى عَيْبِ عَزَّةَ مَعَشَرَ جَعَلَ الْإِلَهُ خَدُودَهُنِ نِعَالَهَا

( رعر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقند العريد ١ : ١٤١ )

### ١٣٧ — ابن أبي دواد والوائق أيضاً

وقال الواثق يوما لاس أبي دواد نضجراً بكثرة حوائجه : قد أحليت بيوت الأموال بطلية تلك اللأثدين بك ، والمتوسلين إليك ، فقال :  
« يا أمة المؤمنين ، تأنح شكرها متصله بك ، وذخاؤها موصوله لك ، ومالي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بخلود المدح » ، فقال « والله لا مسمعناك ما يريد في عشقتك ، ويقوى في همتك فينا ولما » ، وأمر فأخرج له خمسة وثلاثين ألف درهم .  
( رعر الآداب ٢ : ٣١٠ )

### ١٣٨ — ابن أبي دواد وابن الزيات

وكان بين القاصي أحمد بن أبي دواد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١)</sup> منافسة وشحاء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاصي ، ويختص بقضاء حوائجه ، من التردد إليه ، فبلغ ذلك القاصي ، فجاء إلى الوزير فقال له :  
« والله ما أحييتك منكثرة بك من قلة ، ولا متعزاً بك من ذلة ، ولكن أمة المؤمنين رتبك مرتبه أوجبته لك . فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك<sup>(٢)</sup> »  
( وفيات الأعيان ١ : ٢٥ )

[١] ورعر القاصي ، والوائق . بعده ، ثم مكة المتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواثق قد أمر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي دواد إذا رآه قام وأداه في القلة يصلي .

## ١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، فلما نكس ابن الزيات <sup>(١)</sup> ، حمل الجاحظ مفيئاً من البصرة ، وفي عنقه سلسله ، وعليه قيض سمل <sup>(٢)</sup> ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمه ، كفوراً للصيعة ، معديناً للساوئ ، وما فتننتي باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ، لفساد طوييتك ، ورداءة دخیلتك ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ . « خففص عليك - أيذك الله - فوالله لأن يكون لك الأمر على ، خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسيء وتُحسن ، أحسن في الأحدثه عليك ، من أن أحسن وتسيء ، ولأن تعفو عني في حال قدرتك ، أحمل بك من الانتقام مني » .

فقال أحمد : والله ما علمتك إلا كثير ترويق الكلام ، خل عنه الغل والقيد ، وأحسن إليه ، وصدّره في المجلس

( رهر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والمية والأمل ص ٣٩ )

[١] كان في نفس المتوكل من ابن الزيات شيء كثير ، وذلك أنه لما مات الوائق (وهو أخو المتوكل) . أشار ابن الزيات بتولية ولد الوائق ، وأشار ابن أبي داود بحماية المتوكل ، وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألسه البردة ، وقتله بين عينيّه ، وكان المتوكل في أيام الوائق مدخل على ابن الزيات في جهمة ويعلط له في الكلام - يتقرّب بذلك إلى الوائق - فخذ المتوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة ، أمهله أربعين يوماً حتى يطمش إليه ، ثم قص عليه وسجنه ، واستصحب أمواله ، وكان ابن الزيات ينادي وراثة قد اتحد نوراً من حديد ، وأطراف مساميره إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّة ، يعدد فيه من يستحقون العقوبة وكان إذا قال أحدهم أرحمى أيها الورر . قال له : الرحمة حور في الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل أمر نادحاله بالثبور ، وقيدته بحمسة عشر رطلا من الحديد ، وقال : يا أمير المؤمنين أرحمى ، فقال له : الرحمة حور الطايعة ، وتقي في العذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٣٣ هـ .

[٢] السمل : الخلق من الثياب .

١٤٠ - أبو العيّناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيّناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قدِموا إلى  
«سُرْمَنَ رَأَى» يَدَا عَلِيٍّ ، فقال : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرًا ،  
فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :  
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .  
( زهر الآداب ٢ : ٣١٠ ، والعقد الرريد ١ : ١٤١ )

تم الجزء الثالث

ويلىه

ذيل الجمهرة



فهرس

# الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

## الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

| الخطبة أو الوصية                              | رقم الصفحة | رقم الخطبة |
|-----------------------------------------------|------------|------------|
| خطبة أبي العباس السفاح وقد تويع بالخلافة      | ١          | ١          |
| » داود بن عليّ                                | ٣          | ٢          |
| » داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح            | ٦          | ٣          |
| » أخرى له                                     | ٧          | ٤          |
| » » للسفاح بالكوفة                            | ٧          | ٥          |
| » السفاح بالشام حين قتل مروان                 | ٨          | ٦          |
| » عيسى بن عليّ » »                            | ٨          | ٧          |
| » داود بن عليّ بمكة                           | ٩          | ٨          |
| خطبته بالمدينة                                | ١٠         | ٩          |
| خطبة أخرى له                                  | ١٠         | ١٠         |
| خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بني العباس | ١١         | ١١         |
| » وقد أرتج عليه                               | ١٢         | ١٢         |
| خطبة صالح بن عليّ                             | ١٣         | ١٣         |
| » سديف بن ميمون                               | ١٣         | ١٤         |
| » أبي مسلم الحراساني                          | ١٥         | ١٥         |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة  
رقم  
الخطبة

|    |    |                                                 |
|----|----|-------------------------------------------------|
| ١٧ | ١٦ | خالد بن صفوان وأحوال السفاح                     |
| ١٩ | ١٧ | » » » ورجل من بني عبد الدار                     |
| ٢٠ | ١٨ | » » » يرثي صديقاً له                            |
| ٢٠ | ١٩ | » » » يمدح رجلاً                                |
| ٢٠ | ٢٠ | كلمات بليغة لخالد بن صفوان                      |
| ٢١ | ٢١ | عمارة بن حمزة والسفاح                           |
| ٢٢ |    | خطب أبي جعفر المنصور                            |
| ٢٢ | ٢٢ | خطبته بمكة                                      |
| ٢٢ | ٢٣ | » » بعد بناء ببغداد                             |
| ٢٣ | ٢٤ | » ببغداد                                        |
| ٢٣ | ٢٥ | » وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته           |
| ٢٦ | ٢٦ | » حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن |
| ٢٦ | ٢٧ | » وقد قتل أبا مسلم الخراساني                    |
| ٢٧ | ٢٨ | خطبة أخرى                                       |
| ٢٧ | ٢٩ | قوله وقد قوطع في خطبته                          |
| ٢٨ | ٣٠ | المنصور يصف خلفاء بني أمية                      |
| ٢٩ | ٣١ | » » عبد الرحمن الداخل                           |
| ٢٩ |    | وصايا المنصور لابنه المهدي                      |
| ٢٩ | ٣٢ | وصية له                                         |
| ٣٠ | ٣٣ | » أخرى له                                       |
| ٣١ | ٣٤ | » » »                                           |
| ٣٢ | ٣٥ | خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور           |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

|                                                  |    |    |
|--------------------------------------------------|----|----|
| وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه     | ٣٦ | ٣٣ |
| قوله وقد قتل ابنه محمد                           | ٣٧ | ٣٤ |
| امراة محمد بن عبد الله والمنصور                  | ٣٨ | ٣٤ |
| جعفر الصادق والمنصور                             | ٣٩ | ٣٥ |
| صفح المنصور عن سفیان بن معاوية بن يزيد بن المهلب | ٤٠ | ٣٦ |
| استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور               | ٤١ | ٣٧ |
| » » » المنصور أيضاً                              | ٤٢ | ٣٨ |
| أبو جعفر المنصور والربيع                         | ٤٣ | ٣٩ |
| مقام عمرو بن عبید بين يدي المنصور                | ٤٤ | ٤٠ |
| » رجل من الزهاد » » »                            | ٤٥ | ٤٠ |
| » الأوزاعي بين يدي المنصور                       | ٤٦ | ٤٣ |
| نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة المنصور               | ٤٧ | ٤٦ |
| معن بن زائدة والمنصور                            | ٤٨ | ٤٧ |
| » » » وأحد زوّاره                                | ٤٩ | ٤٨ |
| المنصور وأحد الأعراب                             | ٥٠ | ٤٨ |
| أعراية تعزى المنصور وتهنئته                      | ٥١ | ٤٨ |
| خطبة محمد بن سليمان                              | ٥٢ | ٤٩ |
| وصية مسلم بن قتيبة                               | ٥٣ | ٤٩ |
| خطبة المهدي                                      | ٥٤ | ٥٠ |

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان

|                        |    |    |
|------------------------|----|----|
| مقال سلام صاحب المظالم | ٥٥ | ٥٣ |
| » الربيع بن يونس       | ٥٦ | ٥٤ |
| » الفضل بن العباس      | ٥٧ | ٥٥ |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

|                                                           |    |    |
|-----------------------------------------------------------|----|----|
| مقال طليّ بن المهدي                                       | ٥٨ | ٥٧ |
| » موسى بن المهدي                                          | ٥٩ | ٥٩ |
| » العباس بن محمد                                          | ٦٠ | ٦٠ |
| » هرون بن المهدي                                          | ٦١ | ٦٢ |
| » صالح بن طليّ                                            | ٦٢ | ٦٤ |
| » محمد بن الليث                                           | ٦٣ | ٦٤ |
| » معاوية بن عبد الله                                      | ٦٤ | ٦٦ |
| » المهدي                                                  | ٦٥ | ٦٨ |
| » محمد بن الليث                                           | ٦٦ | ٧٠ |
| » المهدي                                                  | ٦٧ | ٧١ |
| ابن عتبة يعزى المهدي ويهنته                               | ٦٨ | ٧٤ |
| يعقوب بن داود يستعطف المهدي                               | ٦٩ | ٧٤ |
| رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي                       | ٧٠ | ٧٥ |
| مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي                    | ٧١ | ٧٥ |
| عظة شبيب بن شيبه للمهدي                                   | ٧٢ | ٧٦ |
| خطبته في تعزية المهدي بابنته                              | ٧٣ | ٧٦ |
| خطبة أخرى له في مدح الخليفة                               | ٧٤ | ٧٧ |
| كلمات لشبيب بن شيبه                                       | ٧٥ | ٧٨ |
| خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرشيد الخلافة | ٧٦ | ٧٨ |
| خطبة هرون الرشيد                                          | ٧٧ | ٨٠ |
| وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين                             | ٧٨ | ٨٢ |
| خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي                                | ٧٩ | ٨٢ |
| استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشيد                            | ٨٠ | ٨٥ |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

|                                         |     |     |
|-----------------------------------------|-----|-----|
| خطبة يزيد بن يزيد الشيباني              | ٨١  | ٨٩  |
| » عبد الملك بن صالح                     | ٨٢  | ٩٠  |
| عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته    | ٨٣  | ٩٠  |
| غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح        | ٨٤  | ٩٠  |
| قوله بعد خروجه من السجن                 | ٨٥  | ٩٤  |
| وصية عبد الملك بن صالح لابنه            | ٨٦  | ٩٥  |
| » أخرى له                               | ٨٧  | ٩٧  |
| كلمات حكيمة لابن السماك                 | ٨٨  | ٩٧  |
| ابن السماك ولرشيد                       | ٨٩  | ٩٧  |
| الفتنة بين الأمين والمأمون              |     | ٩٩  |
| وفد الأمين إلى المأمون                  |     |     |
| خطبة العباس بن موسى                     | ٩٠  | ٩٩  |
| » عيسى بن جعفر                          | ٩١  | ١٠٠ |
| » محمد بن عيسى بن نهيك                  | ٩٢  | ١٠٠ |
| » صالح صاحب المصلى                      | ٩٣  | ١٠١ |
| » المأمون                               | ٩٤  | ١٠١ |
| وصية السيدة زبيدة لعلی بن عيسى بن ماهان | ٩٥  | ١٠٢ |
| » الأمين لابن ماهان                     | ٩٦  | ١٠٣ |
| استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين   | ٩٧  | ١٠٤ |
| حزم طاهر وقوة عزمه                      | ٩٨  | ١٠٥ |
| طاهر يشد عزيمة جنده                     | ٩٩  | ١٠٦ |
| وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين         | ١٠٠ | ١٠٧ |
| وصية الأمين لأحمد بن يزيد               | ١٠١ | ١٠٨ |

|     |     |                                                         |
|-----|-----|---------------------------------------------------------|
| ١٠٩ | ١٠٢ | مقال عبد الملك بن صالح للأمين                           |
| ١١٠ | ١٠٣ | الشغب في جيش عبد الملك بن صالح                          |
| ١١١ | ١٠٤ | خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين |
| ١١٢ | ١٠٥ | » محمد بن أبي خالد                                      |
| ١١٣ | ١٠٦ | إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة              |
| ١١٤ | ١٠٧ | خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين                   |
| ١١٥ | ١٠٨ | » الأمين وقد تولى الأمر عنه                             |
| ١١٧ | ١٠٩ | استعطاف الفضل بن الربيع للأمين                          |
| ١١٨ | ١١٠ | خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين              |

### خطب المأمون

|     |     |                                           |
|-----|-----|-------------------------------------------|
| ١١٩ | ١١١ | خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد             |
| ١١٩ | ١١٢ | » وقد سلم الناس عليه بالخلافة             |
| ١٢٠ | ١١٣ | » يوم الجمعة                              |
| ١٢١ | ١١٤ | » يوم الأضحي                              |
| ١٢٢ | ١١٥ | » يوم الفطر                               |
| ١٢٤ | ١١٦ | خطبة ابن طباطبا العلوي                    |
| ١٢٥ | ١١٧ | استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون         |
| ١٢٧ | ١١٨ | إبراهيم بن المهدي ومختيشوع الطيب          |
| ١٢٨ | ١١٩ | استعطاف إسحاق بن العباس المأمون           |
| ١٢٩ | ١٢٠ | أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها     |
| ١٣٠ | ١٢١ | أحد أهل الكوفة يمدح المأمون               |
| ١٣٠ | ١٢٢ | محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون |

الخطبة أو الوصية

رقم  
الصفحة

رقم  
الخطبة

|                                                                           |     |     |
|---------------------------------------------------------------------------|-----|-----|
| الحسن بن سهل يمدح المأمون                                                 | ١٢٣ | ١٣٠ |
| يحيى بن أكثم يمدح المأمون                                                 | ١٢٤ | ١٣١ |
| أحد بنى هاشم والمأمون                                                     | ١٢٥ | ١٣٢ |
| رجل يتظلم إلى المأمون                                                     | ١٢٦ | ١٣٢ |
| عمرو بن سعيد والمأمون                                                     | ١٢٧ | ١٣٢ |
| الحسن بن رجاء والمأمون                                                    | ١٢٨ | ١٣٣ |
| سعيد بن مسلم والمأمون                                                     | ١٢٩ | ١٣٣ |
| أوزمان يعط سعيد بن مسلم                                                   | ١٣٠ | ١٣٤ |
| وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما | ١٣١ | ١٣٤ |
| خطبة عبد الله بن طاهر                                                     | ١٣٢ | ١٤٦ |
| العباس بن المأمون والمعتصم                                                | ١٣٣ | ١٤٧ |
| استعطاف تميم بن جميل للمعتصم                                              | ١٣٤ | ١٤٧ |
| بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله                                   | ١٣٥ | ١٤٩ |
| أحمد بن أبي دواد والوائق                                                  | ١٣٦ | ١٤٩ |
| ابن أبي دواد والوائق أيضاً                                                | ١٣٧ | ١٥٠ |
| ابن أبي دواد وابن الزيات                                                  | ١٣٨ | ١٥٠ |
| الجاحظ وابن أبي دواد                                                      | ١٣٩ | ١٥١ |
| أبو العيناء وابن أبي دواد                                                 | ١٤٠ | ١٥٢ |

# فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

|                                   |                                  |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| - ح -                             | - ا -                            |
| الحارث بن عبد الرحمن ٣٧           | إبراهيم بن المهدي ١٢٥ - ١٢٧      |
| الحسن بن رجاء ١٣٣                 | ابن السماك ٩٧                    |
| الحسن بن سهل ١٣٠                  | ابن طباطبا العلوي ١٢٤            |
| الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١١ | ابن عتبة ٧٤                      |
| - خ -                             | أبو جعفر المنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ -  |
| خالد بن صفوان ١٧ - ١٩ - ٢٠        | ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦      |
| - د -                             | أبو زهمان العلوي ١٣٤             |
| داود بن علي                       | أبو العباس السفاح ١ - ٧ - ٨      |
| ٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ٢       | أبو مسلم الخراساني ١٥            |
| داود بن عيسى ١١٤                  | أحمد بن أبي دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢ |
| - ر -                             | إسحاق بن العباس ١٢٨              |
| الربيع بن يونس ٣٩ - ٥٤            | أم جعفر بن يحيى ٨٥               |
| - ز -                             | الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥           |
| السيدة زبيدة ١٠٢                  | الأوزاعي ٤٣                      |
| - س -                             | - ت -                            |
| سديف بن ميمون ١٣                  | تميم بن جميل ١٤٧                 |
| سعید بن مسلم ١٣٣                  | - ج -                            |
| سلام (صاحب المظالم) ٥٣            | الجاحظ ١٥١                       |
| - ش -                             | جعفر الصادق ٣٥                   |
| شبيب بن شبة ٧٦ - ٧٧ - ٧٨          | جعفر بن يحيى البرمكي ٨٢          |

- ص -

صالح (صاحب المصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ٦٤ - ١٣

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥ - ١٠٦ - ١١٨ - ١٣٤

- ع -

العباس بن المأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣ - ٣٤

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٧ - ١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفضل بن الربيع ١٠٧ - ١١٧

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

المأمون ١٠١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢

محمد بن أبي خالد ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤ - ٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠ - ٦٨ - ٧١

- ن -

النفيس الزكية ٣٢

- ه -

الهادي ٥٩

هرون الرشيد ٦٢ - ٨٠ - ٨٢

- ي -

يحيى بن أكثم ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة ٤٦

يزيد بن مزيد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صبيح ٧٨

تم فهرس أعلام الخطباء

جدول الخطأ والصواب

| الخطأ       | الصواب   | صفحة | سطر |
|-------------|----------|------|-----|
| أرومض       | وأرومض   | ٤    | ٢١  |
| لأولي       | لأولي    | ١٧   | ٨   |
| ثقلت        | ثقلت     | ٣٩   | ٧   |
| إن          | (تحذف)   | ٤٣   | ١٠  |
| المنصور     | المنصور  | ٤٤   | ٨   |
| سجائها      | سجائها   | ٥٣   | ٩   |
| الخطب       | الخطب    | ٥٧   | ١٠  |
| م.          | م.       | ٦٠   | ١٠  |
| بالمعدلة    | بالمعدلة | ٦٩   | ١٤  |
| حُسْنَه     | محسنه    | ٧٧   | ١٨  |
| الرشد       | الرشيد   | ١٠٠  | ٥   |
| كل ما أوصيك | كل أوصيك | ١٠٣  | ١٩  |

ذَلِكَ

جَمْعُهُمْ خُطْبَةُ الْعَرَبِ

فِي عَصُورِ الْعَرَبِ الزَّاهِرَةِ

وَيَحْوِي خَمْسَةَ أَبْوَابٍ :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة

» الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

» الثالث : في نثر الأعراب

» الرابع : في خطب النكاح

» الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة

لبعض الخطباء .

## فهرس المآخذ

- نفح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمح الأنفس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لمحي الدين بن على المراكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهاني : « الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : « الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : « السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : « الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : « الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : « الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : « الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : « السابع - الثامن
- مروج الذهب : للسعودى : الجزء الثانى

- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري
  - : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
  - : سرح العيون : لابن نباتة المصرى
  - : سيرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزى
  - : مواسم الأدب للسيد جعفر البيهقي العلوى : الجزء الثانى
  - : بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
  - : مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
- 



## الباب الأول

في

### خطب الأندلسيين والمغاربة

١ — خطبة عبد الرحمن الداخل ( المتوفى سنة ١٧١ هـ )

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل<sup>(١)</sup> ، يوم حربه مع يوسف الفهري<sup>(٢)</sup> صاحب الأندلس ، ورأى شدة مُقاساة أصحابه قال :  
« هذا اليوم هو أسُّ ما مُيْتَنِي عليه ، إِمَّا ذَلَّ الدهر ، وإِمَّا عَزَّ الدهر ،  
فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْبَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون » .  
ولما أُنْحِيَ أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قُرْطُبة قال :

---

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمشرق ما أصابها ، وتبع السفاح من بقي من بني أمية بالقتل والإهلاك ، فرّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واستطاع بهيمته أن يؤسس هناك دولة أورثها دقبه حقبة من الدهر ، وهي دولة بني أمية في المغرب من سنة ١٣٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت طاصمة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير .  
[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع باني القيروان ، وأمير معاوية على أفريقية والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ فدانت له تسع سنين وتسعة أشهر ، ومنه انتقل سلطانها إلى بني أمية .

« لا تستأصلوا شأفة <sup>(١)</sup> أعداء ترجون صداقتهم ، واستبقوهم لأشدَّ عداوةً منهم »  
- يشير إلى استبقائهم ، ليُستعان بهم على أعداء الدين - . (نفع الطيب ٢ : ٧٠)

## ٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر الوفود إلى قُرطبة ، فأنثالوا <sup>(٢)</sup> عليه ، ووالى القعود لهم في قصره عدة أيام ، في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم ، بكلامٍ سرهم ، وطيب نفوسهم .  
وفي بعض مجالسهم هذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين <sup>(٣)</sup> يستجديه ، فقال له :

« يا بن الخلائف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك فرزت ، وبك عُذت ، من زمن ظلوم ، ودهرٍ غشوم ، قلل المال ، وكثر العيال ، وشعث <sup>(٤)</sup> الحال ، فصير إلى نذاك المآل ، وأنت وليّ الحمد والمجد ، والمرجوّ للرّفد <sup>(٥)</sup> » .  
فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقالتك ، وقضينا حاجتك ، وأمرنا بعونك على دهرك ، على كُرهننا لسوء مقامك ، فلا تعودن ولا سواك لمثله ، من إراقة ماء وجهك بتصريح المسألة ، والإلحاف في الطلبة <sup>(٦)</sup> ، وإذا ألمّ بك خطب ، أو حز بك <sup>(٧)</sup> أمر ، فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدوك ، كيما نستُر عليك خلتك ، ونكفُ شمت العدو عنك ، بعد رفعك لها إلى مالِكِك ومالِكِنا - عزَّ وجهه - بإخلاص الدعاء ، وصدق النية » .

[١] الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ، واستأصل الله شأفته : أذهب كما تذهب تلك القرحة ، أو معناه أزاله من أصله .

[٢] أنثال : انصب ، أى تابعوا وتوافدوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شعث الأمر : نصره وفرقه . [٥] الرّفد : العطاء والصلة .

[٦] الطلبة : الطلب . [٧] أى اشتدَّ عليك ، والحالة : الحاجة .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون من حسن منطقه ، وبراعة أدبه ، وكفّ فيما بعدُ ذو الحاجات عن مقابله بها شفاهاً في مجلسه .

( نفع الطيب ٢ : ٦٨ )

٣ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة ولما فتح عبد الرحمن الداخل سَرْقُسْطَةَ<sup>(١)</sup> ، وَحَصَلَ في يده ثأرُها الحسين الأنصاري ، وانتهى نصره فيها إلى غايةِ أَمَلِه ، أَقبل خواصُّه يهنئونه ، فجرى بينهم أحدٌ من لا يُؤْبَهُ به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « وَاللَّهِ لَوْ لَا أَن هَذَا الْيَوْمَ يَوْمٌ أَسْبَغَ عَلَيَّ فِيهِ النِّعْمَةُ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، فَأَوْجَبَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَن أُنْعِمَ فِيهِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، لأَصْلَيْتُكَ مَا تَعَرَّضْتَ لَهُ مِنْ سُوءِ النِّكَالِ ، مَنْ تَكُونُ ؟ حَتَّى تُقْبَلَ مُهْنَتًا رَافِعًا صَوْتَكَ ، غَيْرَ مُتَلَجِّجٍ وَلَا مُتَهَيِّبٍ لِمَكَانِ الْإِمَارَةِ ، وَلَا عَارِفٍ بِقِيَمَتِهَا ، حَتَّى كَأَنَّكَ تَخَاطَبُ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ ! وَإِنَّ جَهْلَكَ لِيَحْمِلَكَ عَلَى الْمَوَدِّ لِمِثْلِهَا ، فَلَا تَجِدُ مِثْلَ هَذَا الشَّافِعِ فِي مِثْلِهَا مِنْ عَقُوبَةٍ . فَقَالَ : « وَلَعَلَّ فَتُوحَاتِ الْأَمِيرِ يَقْتَرِنُ اتِّصَالُهَا بِاتِّصَالِ جَهْلِي وَذَنْبِي ، فَتَشْفَعَ لِي مَتَى أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الزَّلَّةِ ، لَا أَعِدُ مِنْهُ لَكَ تَعَالَى » .

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نبهونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينبهنا عليها ، ورفع مرتبته وزاد في عطائه . ( نفع الطيب ٢ : ٧٠ )

٤ - تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كَانَ الْمُنْذِرُ بْنُ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ<sup>(٢)</sup> سَيِّئُ الْخُلُقِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، كَثِيرُ الْإِصْغَاءِ إِلَى أَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، مُفْرِطُ الْقَلَقِ مِمَّا يَقَالُ فِي جَانِبِهِ ، مُعَاقِبًا عَلَى

[١] مدينة على نهر إبرة . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط ( الثاني ) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقةً من ثقاته أن يبنى بجبل منقطع عن العمران بناءً يُسكن فيه ابنه ، وألاً يدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر في ذلك المكان ، وبقى وحده ، ونظر إلى ما سُلِّبَ من الملك ، ضَجَرَ وقال للثقة : عسى أن يصلني غلمانى وأصحابى آتسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه <sup>(١)</sup> بمكانه ، فلما وقف الأمير على رقعته ، وعلم أن الأدب بلغ به حَقَّ استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقعتك ، تشكو ما أصابك من توحش الانفراد ، في ذلك الموضع ، وَتَرَبَّ أن تأتسُ بِخَوَلَك <sup>(٢)</sup> وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سُكناك في ذلك المكان ، وما فعلتُ ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك تُكثر الضَجَرَ والتشكى من القال وَالْقِيل ، فأردنا راحتك بأن نَحْجُبَ عنك سماعَ كلامٍ من يَرَفَعُ لك وَيَنِمُّ ، حتى تستريح منهم » .

فقال له : « سماعُ ما كنت أضجرُ منه ، أخفُّ علىَّ من التوحد والتوحش ، والتخلَّى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهى » .

فقال له : « فَإِذْ قد عَرَفْتَ وتأدَّبْتَ ، فارجع إلى ما اعتدته ، وَعَوِّلْ على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم تَرَ ، وقد قال النبي صلى الله

[١] وس الكتاب : « لاني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه من كنت آسٍ إليه ، وأصبحت مسلوب العز ، فقيد الأمر والنهى ، فإن كان ذلك عقاباً لذنب كبير ارتكبته ، وعلمه مولاي ولم أعلمه ، فإني صابر على تأديبه ، ضارع إليه في عفوه وصفحته .

وإني أمير المؤمنين وفعله كالدهر ، لا طار بما فعل الدهر »

[٢] الحول : مثال الخدم والحشم وزنا ومعنى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقربُ الناسِ إلىَّ ، وأحبُّهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارِ عليَّ ، وسُخْط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لساءني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسَرٍّ بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لذو هِمَّةٍ ومطمَح ، ومن يكن هكذا يَصْبِرُ وَيُنْفِضُ وَيَحْمِلُ ، وَيُبْدِلُ بالعقاب الثوابَ ، ويصيِّرُ الأعداء من قبيل الأصحاب ، ويصبر من الشخص على ما يسوء ، فقد يَرَى منه بعد ذلك ما يَسُرُّ ، ولقد يَخِفُّ علىَّ اليومَ مَنْ قاسيتُ من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لما ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي مِمَّنْ يُحْسِنُ وَيُسِيءُ ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيء يعود محسناً ، والمحسن يعود مسيئاً ، وصرتُ أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أُنْذِمُ على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني معالي الأمور ، وإنَّ جَماعها في التفاضي ، ومن لا يتفاض لا يسلم له صاحب ، ولا يُقَرَّبُ منه جانبٌ ، ولا يَنال ما تترقَّى إليه هِمَّتُه ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُمِيناً حين يَحْتَاجُ إليه .

فقبل المنذريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تخلَّق بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورُفِعَ قدره . (فتح الطيب ٢ : ٣٢٧)

ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضا

وقال له أبوه يوماً : إن فيك أتيها مُفَرِّطاً ، فقال له : حَقُّ لفرع أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن العيون تَمُجُّ التَّيَّاهَ ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال :

يا أبى ، لى من العزّ والنسب وعلو المكان والسلطان ما يَجِلُّ<sup>(١)</sup> عن ذلك ، وإنى لم أر العيون إلا مُقبلةً علىّ ، ولا الأسماع إلا مُصغيةً إلىّ ، وإن لهذا السلطان رَوْناً يُريقه التبذل ، وعلوًا يخفّضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التّيه والانتقباض<sup>(٢)</sup> ، وإن هؤلاء الأندال ، لهم ميزان يسبّرون<sup>(٣)</sup> به الرجل منا ، فإن رأوه راجحاً ، عرّفوا له قدر رجاحته ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه بنقصه ، وصيّروا تواضعه صِغراً ، وتخفّضه خِسةً ، فقال له أبوه : لله أنت ! فابق وما رأيت .  
( نفح الطيب ٢ : ٣٢٩ )

## ٦ — يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كان مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خُدّام يعقوب : هذا اللئيم له دينٌ عندنا يَقْتَضِيهِ ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلّقك مجبولاً على كُرّه ربّ الصنائع ، فاجر على ما جُبِلَتْ عليه فى نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعْدِي غيْرَه ، وإن هذا رجل قَصَدْنَا قبلُ ، فكان منا ما أَسِرَ<sup>(٤)</sup> به ، وحمله على العودة ، وقد ظنّ فينا خيراً ، فلا تخيّب ظنّه ، والحديث أبداً يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهنئة بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يُطِيلَ عمرنا ، حتى يكثر ترّداده ، ويُديم نعمنا حتى

[١] فى الأصل : « يحمل » ، وأرى صوابه : « يحلّ » .

[٢] جرى فى ذلك على سنن أنى مسلم الحراسانى ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تسكّموا الناس الارمزا ، ولا تلحظوهم الاشزرا ، لتمتلى صدورهم من هيبتكم » — انظر العقد الفريد ٢ : ٢٩٩ —

[٣] السبر : امتحان غور الجرح . [٤] أسر : مرج .

نجد ما تُنعم به عليه ، ويحفظ علينا مُرُوءتنا ، حتى يعيننا على التَّجَمُّل معه ، ولا يُبَلِّينا بجلِيس مثلك ، يَقْبِض أَيْدِيَنَا عن إِسْدَاء الأيَادِي .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان

ما دام العمر . ( فتح الطيب ٢ : ٣٣٠ )

## ٧ — وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز

واعذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كَانَ الوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم صديقاً للوزير هاشم بن عبد العزيز ، ثابِتاً على مودته ، فاما قَضَى الله على هاشم بالأَسْر ، أَجْرَى السلطان محمد بن عبد الرحمن الأُمويّ <sup>(١)</sup> ذِكْرَهُ في جماعة من خُدَّامِهِ ، والوليدُ حاضِرٌ ، فنسبه إلى الطيش

وَالْعَجَلَةَ والاستبداد برأيه ، فلم يكن فيهم من اعتذر عنه غير الوليد ، فقال :

« أَصْلَحَ اللهُ تَعَالَى الأمير ، إنه لم يكن على هاشم التَّخِيرُ في الأمور ، ولا

الخروج عن المقدور ، بل قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى حقَّ

الإقدام ، ولم يكن مِلاكُ النصر بيده ، فغذله من وَثِيق به ، وَنَكَلَ عنه من كان

معه ، فلم يُرْزَحْ قَدَمُهُ عن موطن حِفَاظِهِ ، حتى مُلِكَ مُقْبِلاً غيرَ مُدِيرٍ ، مُبَلِّياً

غيرَ فَشِلٍ ، فُجُوزِي خيراً عن نفسه وسلطانهِ ، فإنه لا طريقَ للمَلَامِ عليه ، وليس

عليهِ مَا جَعَلَتْهُ الحربُ النَّشُومَ ، وأيضاً فإنه ما قصد أن يحدود بنفسه إلاًرضاً للأمير ،

واجتناباً لِإِسْخَاطِهِ ، فإذا كَانَ ما أَعْتَمَدَ فيه الرضا جَالِبَ التقصير ، فذلك معدودٌ

في سوء الحظ .

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان غزاه لأهل الشرك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر أو أكثر يحرق وينسف ، وله في العدو وقعة وادي سليط ، وهي من أمهات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها .

فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنفيذ هاشم ، وسمى  
في تخليصه . ( فتح الطيب ٢ . ٢٣٠ )

## ٨ — خطبة منذر بن سعيد البلوطي<sup>(١)</sup> ( المتوفى سنة ٣٥٥ هـ )

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله<sup>(٢)</sup> ، بلغ من عزّة  
الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجية تزّدلف إليه ،  
تطلب مهادنته ، وتهدى إليه أنفس الذخائر ، ومن جعلتهم قسطنطين بن ليون  
صاحب القسطنطينية ، فقد رغب في موادعته ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ  
وفداً من قبله بهدية له ، فتأهب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً  
رائعاً ، أحب أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ،  
وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهباً من توطيد الخلافة في دولته ، وتقدم إلى الأمير  
الحكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحكم  
صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف  
الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ،  
بهّره هولّ المقام ، وأبّهة الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل غشي عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد العارضة  
حاضر الجواب عتيده ، ثابته الحجة ، ولى بقرطبة قضاء الجماعة — المعبر عنه في المشرق بقضاء القضاة —  
لعبد الرحمن الناصر ، ثم لابنه الحكم المستنصر ، ستة عشر عاماً من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥ هـ ، لم يحفظ  
عليه فيها جور في قضية ، ولا قسم بغير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن  
عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أمراء بني  
أمية بالأندلس بأمر المؤمنين عندما التفت أمر الخلافة بالشرق ، وغلب موالى الترك على بني العباس ، وبلغه  
أن المقتدر قتل مولاة مؤنس المظفر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالى - صاحب الأمالى ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من المراق - : قم فارع هذا الوهى <sup>(١)</sup> ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انتقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً فى كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطى - وكان ممن حضر فى زُمرَةِ الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من مِرقاته ، فوصل افتتاح أبى عليّ لأول خطبته بكلام كَانَ يَسُحُه سَحاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، وَالتَّمْدَاد لآلَائِهِ ، والشكر لِنِعْمَائِهِ ، والصلاة والسلام على محمد صَفِيَّهِ وخاتمِ أنبيائه ، فإن لكل حَادِثَةٍ مَقَاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وإنى قد قمتُ فى مقام كريم ، بين يَدَيِّ مَلِكٍ عَظِيمٍ ، فَأَصْنَعُوا <sup>(٢)</sup> إِلَى مَعَشَرَ الْمَلَأِ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَاتَّقِنُوا عَنِي <sup>(٣)</sup> بِأَفْئِدَتِكُمْ ، إن من الحق أن يقال لِلْمُحِقِّ صِدْقَتَ ، وَلِلْمُبْطِلِ كَذَبَتَ ، وإن الجليلَ تعالى فى سَمَائِهِ ، وَتَقَدَّسَ فى صفاته وأَسْمَائِهِ ، أَمْرَ كَلِيمَةِ موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه ، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم ، وفيه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَإِنِّى أَذْكَرُكُمْ أَيَّامَ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّتِي لَمْتُ شَعَثَكُمْ ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ <sup>(٤)</sup> ، ورفعت قوتكم ، بعد أن كنتم قليلاً فكثرَكم ، ومستضعفين فقواكم ، وَمُسْتَذَلِّينَ فنصرَكم ، وَلَاءَ اللَّهِ رِعايَتَكُمْ ، وَأَسْنَدَ

[١] الوهى : الشئ فى الشئ . [٢] الذى فى كتب اللغة : « أصنى إليه سمعه : أماله ، وأصنى

إليه : مالٍ بهمه نحوه » ولعل زيادة الباء فى « بأسماعكم » من النسخ لا من الخطيب .

[٣] هكذا فى نفع الطيب ، وفى مطبع الأنس : « ومنوا على بأفئدتكم » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أيام ضَرَبَتِ الفتنَةُ سُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعَلُ النفاق ، حتى صرتم في مِثْلِ حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء <sup>(١)</sup> ، وانتقلتم بِيَمْنِ سياسته إلى تمهيد كَنَفِ العافية بعد استيطان البلاء .

أَنْشُدْكُمْ بالله معاشرَ المَلَأَ ، ألم تكن الدماء مسفوكة فحَقَّنَهَا ، وَالسُّبُلَ مَخُوفَةً ، فَأَمَّنَهَا ، والأموال منتهبة فأحرزها وحَصَّنَهَا ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمَرَهَا ، وثغور المسلمين مُهْتَزَّمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاءَ الله عليكم بخلافته ، وتلا فيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته ، حتى أذهب الله عنكم غيظكم ، وَشَقَى صدوركم ، وَصَرِّمَ يداً على عدوكم ، بعد أن كَانَ بِأُسُكُمْ بينكم .

فَأَنْشُدْكُمْ الله ، ألم تكن خلافته قُفْلُ الفتنَةِ بعد انطلاقها من عِقَالِهَا ؟ ألم يَتَلَاَفَ صَلاَحُ الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ؟ ولم يَكِلْ ذلك إلى القَوَادِ والأجناد ، حتى باشره بالقُوَّةِ وَالْمُهْجَةِ والأولاد ، واعتزل النسوان ، وهجر الأوطان ، وَرَفَضَ الدَّعَةَ ، وهي محبوبة ، وترك الرُّكُونَ إلى الراحة ، وهي مطلوبة ، بِطَوِيَّةٍ صَحِيحَةٍ ، وعزيمة صريحة ، وبصيرة ثابتة ، نافذة ثاقبة ، وريح هابئة غالبة ، وَنُصْرَةٌ من الله واقعة واجبة ، وَسُلْطَانٌ قاهر ، وَجِدٌّ ظاهر ، وسيف منصور ، تحت عدل مشهور ، متحملاً لِلنَّصَبِ ، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب ، حتى لانت الأحوال بعد شدتها ، وانكسرت شوكة الفتنَةِ عند حَدِيثِهَا ، ولم يبق لها غَارِبٌ إِلَّا جَبَّةُ <sup>(٢)</sup> ، ولا نَجْمٌ <sup>(٣)</sup> لأهلها قَرْنٌ إِلَّا جَدَّةُ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] الغارب : الكاهل ، أو ما بين السنام والعنق ، وجته : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أى ظهر وطلع ، وجده : قطعه .

فأصبحتم بنعمة الله إخواننا ، و بَلَّمَ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواننا ، حتى تواترت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقصيين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فجٍّ عميق ، وبلد سَحِيق <sup>(١)</sup> ، لأخذ حَبْل <sup>(٢)</sup> بينه وبينكم جُمْلَةً وتفصيلاً ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، وإن يُخْلَفَ الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وَجَفَنَّا غير نائم « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَهَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » ، وليس في تصديق ما وَعَدَ اللَّهُ ارتياب ، ولكل نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ ، ولكل أجلٍ كتابٌ ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين <sup>(٣)</sup> خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالعِصْمَةِ والسداد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قراراً ، وأمنعهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تُهاجون ولا تُزادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عمّ نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، وَمَرَقَ من الدين ، فقد خَسِرَ الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سَحِيق : بعيد . [٢] أى معاودة بينه وبينكم . [٣] هكذا في فتح الطيب ، ومطبع الأنفس ، ولعلّ صوابه : « أصبحتم بخلافة أمير المؤمنين » .

وقد عامتم أن في التعلق بِعِصْمَتِهَا ، والتمسك بِعُرْوَتِهَا ، حفظ الأموال ، وَحَقْنُ الدماء ، وصَلاحُ الخاصةِ والدَّهْمَاءِ<sup>(١)</sup> ، وأن بدوام<sup>(٢)</sup> الطاعة تُقام الحدود ، وتوفى العهود ، وبها وُصِلَت الأرحام ، وَوَضَحَت الأحكام ، وبها سَدَّ اللهُ الخلل ، وأَمَّن السبل ، وَوَطَّأ الأكناف ، ورفع الاختلاف ، وبها طاب لكم القرار ، واطمأنت بكم الدار ، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدِّين الساعين في شقِّ عصاكم ، وتفريق مَلَيْكِكُمْ ، الآخذين في مخاذلة دينكم ، وهتكِ حريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، أقول قولي هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين ، مستغفراً الله الغفور الرحيم ، فهو خير الغافرين .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدهم تعجباً منه ، فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم ثوَّفِي محمد بن عيسى القاضي ، فولاه قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء . ( نفح الطيب ١ : ١٧٢ ، ومطمح الأنفس ص ٤٣ )

## ٩ — خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ، أن قال :

« حتى متى ، وإلى متى ، أعِظْ ولا أتعِظْ ، وأزجر ولا أنزجر ؟ أدلَّ الطريق

[١] الدهماء : جماعة الناس . [٢] في الأصل : « بقوام » ، وأظنه : « بدوام » .

إلى المستدئين ، وأُبقِيَ مقيماً مع الحائرین ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إن  
هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما  
تكفلت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك ،  
يا أرحم الراحمين . ( نفع الطيب ١ : ٣٣٣ )

١٠ — أحد حساد الرمادى الشاعر والمنصور بن أبى عامر  
( المتوفى سنة ٣٩٤ هـ )

وقال المنصور بن أبى عامر المَعَاوِرِيُّ <sup>(١)</sup> يوماً لأبى عمر يوسف الرمادى  
الشاعر : كيف ترى حالك معى ؟ فقال : « فوق قدرى ، ودونَ قدرك <sup>(٢)</sup> » ،  
فأطرق المنصور كالغضبان ، فَأَنْسَلَ الرمادى وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَر منه ،  
وجعل يقول : أَخْطَأْتُ ! لا والله ، ما يُفْلِحُ مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كَانَ  
ضَرَّنى لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتمنطقتُ بالجوزاء ! وأنشد :  
متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حَاجَةً لِنَفْسِي إِلَّا قد قَضَيْتُ قضاءها  
وكان فى المجلس من يحسُّده على مكانه من المنصور ، فوجد قُرْصَةً فقال :

[١] هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبى عامر بن الوائد بن يزيد بن عبد الملك  
المعافرى . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عطيماً فى قومه ، وله فى الفتح أثر ، وكان  
الحكم بن الناصر قد استوزر ابن أبى عامر ، وفوض إليه أموره ، وترقت حاله عنده ، ثم توفى الحكم  
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت سنة تسع سنين ، فحدث ابن أبى عامر نفسه بالتغلب عليه  
لصغر سنه ، وتم له ما أُمِل ، فتغلب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يحيا بتحية الملوك ، وتسمى  
بالحاحب المنصور ، ونهدت الكتب والمحاطبات والأوامر باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدماء  
للخليفة ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على المنابر ، وكتابة اسمه فى السكة والطرر ،  
وهلك المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .  
[٢] يريد « ودون ما ينبغي أن يعطيه مثلك مثلى » .

« وَصَلَ اللَّهُ لَمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَ ، إِنَّ هَذَا الصَّنْفَ صَنَفُ زُورٍ وَهَذَيَانٌ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا <sup>(١)</sup> وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابُ مَنْ غَلَبَ ، وَأَصْحَابُ مَنْ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْإِبْتِعَادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسَنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

\*\*\*

فرقع المنصور رأسه - وكان مُحَايِي أَهْلَ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ - وَقَدْ اسْوَدَّ وَجْهُهُ ، وَظَهَرَ فِيهِ الْغَضَبُ الْمَفْرِطُ ، ثُمَّ قَالَ :

« مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسِيئُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَدْرُونَ ، أَيْرُضِي أَمْ يُسْخِطُ ؟ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمُبْتَغِثُ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ عَامَّةً ، وَحَسَدَكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ - لَا عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلُغُ أَحَدًا غَرَضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ <sup>(٢)</sup> ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَغَارًا ، وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَجِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَالِيَةِ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الْإِلَّةُ : الْعَهْدُ .

[٢] مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « تَقْرُبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ » وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ طَمَعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الناصر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،  
والله لو حكمتُه في بيوت الأموال ، لرأيتُ أنها لا ترجع ما تكلم به قلبه ذرةً ،  
وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا  
تحكموا علينا في أوليائنا ، ولو أبصرتم منا التغير عليهم ، فإننا لا نتغير عليهم  
بغضاً لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إبعاده لم نُظهر له  
التغير ، بل نبذنه مرة واحدة ، فإن التغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو  
كنتُ مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لتفرقتم أيدي سباً<sup>(١)</sup> ،  
وجؤنبتُ أنا مجانبة الأجر ، وإني قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا  
عن مرصاتي ، فتجنّبوا سُخطي بما جئتموه على أنفسكم .

\* \* \*

ثم أمر أن يُردّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال :  
الأمرُ على خلاف ما قدّرت ، الثوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن  
لتأنيسه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر حشاً فَمَ النابغة بالدُّر ، لكلام  
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يقصُر عن ذلك ، ما هو أنوّه وأحسن حادثةً ،  
وكتب له بمالٍ وخِلَع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى التكلم في شأن  
الرمادي - وقد كان يغوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلّ به مما رأى وسمع -

[١] من أمثالهم أيضاً : « ذهبوا أيدي سباً ، وتفرقوا أيدي سباً ، وأيادي سباً » ، واليد : الطريق  
أي فرقهم ولحقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سباً في مذاهب مختلفة . ضرب التلبيح ، لأنه لما غرق مكانهم ،  
وذهبت جناتهم ، تبددوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد بنوا أيدي سباً ،  
وأيدي سباً على السكون لكونه مركباً تركيب خمسة عشر .

وقال : « وَالْمَجَبُّ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْإِبْتَعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرُ ، يَرِيدُ تَحْلِيدَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

عَلَى مُكَثَرِيهِمْ رِزْقٌ مَن يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ<sup>(١)</sup> وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو ذُلْفٍ      بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُحْتَضَرِهِ  
فَإِذَا وَلَّى أَبُو ذُلْفٍ      وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ<sup>(٢)</sup>

أَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بَلَى ، وَلَكِنْ مُصْحَبَةُ الشُّعْرَاءِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ ، أَحْيَتْ غَايِرَ ذِكْرَاهُمْ ، وَخَصَّتْهُمْ بِمَفَاخِرِ عَصَرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ تَخْلُدِ الْأَمْدَاحُ<sup>(٣)</sup> مَا ثَرَّهِمْ ، فَدَثَّرَ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَ نَخْرُهُمْ .

( نَقَحَ الطَّيْبُ ٢ : ٢٢٦ )

١١ — ابْنُ اللَّبَانَةِ الشَّاعِرُ وَعِزُّ الدَّوْلَةِ بِنُ الْمُعْتَصِمِ بِنِ صَمَادِحِ

لَمَّا مَاتَ الْمُعْتَصِمُ بِنُ صَمَادِحِ<sup>(٤)</sup> مَلِكُ الْمَرْيَةِ رَكِبَ الْبَحْرَ ابْنُهُ وَوَلَّى عَهْدَهُ الْوَائِقُ عِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَفَارَقَ الْمُلُوكَ كَمَا أَوْصَاهُ وَالِدُهُ الْمُعْتَصِمُ .

[١] الْبَيْتُ لِرَهِيرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ آلِ هَرَمِ بْنِ سَنَانٍ .

[٢] الْبَيْتَانِ لِعَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ الْأَنْبَارِيِّ الْمَلْقَبِ بِالْمَكُوكِ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي مَدْحِ أَبِي ذُلْفٍ أَقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى الْعَجَلِيِّ — وَكَانَ حَوَادِثًا مَمْدُوحًا — وَفِيهَا يَقُولُ :

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ      بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضَرَةٍ

مَسَّ — تَعِيرُ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ      يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَحَرَةٍ

وَهَذَا الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ أَحْفَظًا عَلَيْهِ الْأَمُونُ ، فَطَلَبَهُ حَتَّى ظَفَرَ بِهِ ، فَسَلَّ لِسَانَهُ مِنْ قَمَاهُ ، وَيُقَالُ : بَلَ هَرَبَ وَلَمْ يَزَلْ مَتَوَارِيًا مِنْهُ حَتَّى مَاتَ ، قَالَ صَاحِبُ الْأَعْيَانِ : « وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنَ الْقَوَائِنِ ، وَالْآخِرُ شَاذٌ » .

[٣] لَمْ أَجِدْ هَذَا الْجَمْعَ فِي كِتَابِ اللَّعَةِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي فِيهَا : « الْمَدْحَةُ بِالْكَسْرِ وَالْمَدْحُ وَالْأَمْدُوحَةُ بِالضَّمِّ : مَا يَمْدَحُ بِهِ ، وَالْجَمْعُ مَدْحٌ كَمَا وَمَدَائِحُ وَأَمَادِيحُ » .

[٤] هُوَ أَحَدُ مَلُوكِ الطَّوَاتِفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ صَاحِبَ الْمَرْيَةِ « لِدِّ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى السَّاحِلِ الْجَنُوبِيِّ » ، وَكَانَ مُنَافِسًا لِلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَادٍ صَاحِبِ إِشْبِيلَةَ مُقَاوِنًا لَهُ ، وَقَدْ سَعَى بِهِ لَدَى أَمِيرِ الْمُرَابِطِينَ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ

قال أبو بكر بن اللبانة الشاعر: ما علمت حقيقة جَور الدهر، حتى اجتمعت  
بِجَاية<sup>(١)</sup> مع عز الدولة بن المعتصم، فإنني رأيت منه خير من يُجْتَمَع به، كأنه  
لم يخلقه الله تعالى إلا المُلْك والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تَنِمُّ  
من تحت مُخُوله، كما يَنِمُّ فِرْنْدُ<sup>(٢)</sup> السيف وَكَرْمُهُ من تحت الصَّدَأ، مع حفظه  
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه، ولطافة ذهنه،  
ولقد ذكرته لأحد من صَحْبته من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه  
الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، وَرَغِبَ إلىَّ في أن أستاذِنَه في ذلك، فلما  
أعلمت عز الدولة قال:

« يا أبا بكر، إنك لتعلم أنا اليوم في مُخُول وَضِيق، لا يتسع لنا معهما، ولا  
يحمل بنا الاجتماع مع أحد، لا سيما مع ذى أدب ونباهة، يلقانا بعين الرحمة،  
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا، ونكابد من أَلْفَاف توجّعهِ، وألحاظ تفجّعهِ،  
ما يحدّد لنا همًّا قد بَلَى، وَيُخْني كدًّا قد فَنِي، ومالنا قدرة على أن نجود عليه  
بما يَرْضَى عن همّنا، فدَعْنَا كأننا في قبر، تدرّع لسهام الدهر، بِدِرْع الصبر،  
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،  
فكأننا لم نكشف حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا نحمل غيرك بحملك».

قال ابن اللبانة: فلا والله سمى بلاغة لا تصدُر إلا عن سَدَاد، ونفس أية  
ممكنة من أعنة البيان، وانصرفت متمثلاً:

---

وأفسد ما بينهما، وكان ابن عباد قد استنصر ابن تاشفين لصد غارة الإسبان، فعبّر بحيشه من مراکش  
إلى الأندلس، وأبلى بلاء حسناً في قتالهم حتى دارت عليهم الدائرة في وقعة الزلاقة، ثم مال على ملوك  
الطوائف، فاكسح دولهم، ودانت له الأندلس. [١] بجاية: بلد بالمغرب على ساحل بلاد الجزائر.  
[٢] جوهر.

لسانُ الفتى نصفٌ، ونِصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدمِ  
وَكأَنَّ ترى من صامتٍ لك مُعْجِبٍ زيادتهُ أو نقصُهُ في التكلم<sup>(١)</sup>  
(نفع الطيب ٢ : ٢٢٨)

## ١٢ — دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

### بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حسّون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة<sup>(٢)</sup>،  
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخّار ، فقصد إلى حضرة  
الإمامة « مرّاكش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد  
غصّ بأربابه ، فقال :

« إنه لمقام كريم ، نبدأ فيه بحمد الله على الدنو منه ، ونصلّى على خيرة أنبيائه ،  
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحّابته نجوم الليل البهيم<sup>(٣)</sup> ،  
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفيّ  
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك مما دَهِمّا<sup>(٤)</sup> فى حِمّاك ، ونُبثُ إليك ما لحقنا من  
الضيم ، ونحن تحت ظلّ علاك ، ويأبى الله أن يُذهّم من احتمى بأمر المسلمين ،  
ويُصاب بضيمٍ من أدّرع بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى  
حق أمرك الذى عضّده<sup>(٥)</sup> مؤيّده ، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتَنقُده ، وإن  
قاضيك ابن الوحيدى الذى قدّمته فى مالقة للأحكام ، ورضيت بعدله فيمن بها

[١] البيتان لزمير بن أبى سلمى من معلقته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجنوبى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسمع ومنع : غشيه .

[٥] عضّده كنعصره : أصاب عضده ، والمراد بمؤيده بنو حسون ، والمعنى : إن بنى حسون — وكانوا  
أحقّ بتأييد أمرك وتوطيده — قد أوهنوه وأوهوه بتمرضهم لأحكام القاضى ، والظعن فيها ، أو معنى  
عضّده : نصره ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، والمعنى على ذلك ، إن القاضى القائم بأمرك يدأب على  
نصره ، وتثبيت دعامته ، باتهاجه طريق الحق فى حكمه ، ولو غضب من جراء ذلك فريق من الرعية .

من الخاصة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيُرْضِي الله تعالى وَيُرْضِي الناسَ بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا له موقف خِزْيٍ ، ولم يزل جارياً على مَا يُرْضِي الله تعالى ويرضيك ویرضينا ، إلى أن تعرضت بنو حِثُون للطعن في أحكامه ، والهدَّ من أعلامه ، ولم يعلموا أن اهتضام المقدَّم ، راجع على المقدَّم ، بل جَمَحُوا في لجأهم ، فَعَمُوا وَصَمُوا ، وفعلوا وأمضوا ما به هُمُوا ، وإلى السُّحْبِ يَرْفَعُ الكَفَّ من قد جَفَّ عنه مَسِيلٌ عَيْنٍ ونهرٌ .

فلا سمَّه بلاغة أعقبت نصره ونصر صاحبه . ( فتح الطيب ٢ : ٢٤٠ )

١٣ — موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندقة الطرطوشي<sup>(١)</sup> مرة على الأفضل<sup>(٢)</sup> بن أمير الجيوش

فوعظه ، وقال له :

« إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك ، إنما صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن يدك ، بمثل ما صار إليك ، فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة ، فإن الله عز وجل سألُك عن النقيير والقمطير والفتيل<sup>(٣)</sup> ، واعلم أن الله

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب المهري الطرطوشي ( بضم الطاءين ، وقد تفتح الطاء الأولى ، نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس ) ويعرف بابن أبي رندقة وكان زاهداً عابداً متورطاً متقللاً من الدنيا قوَّالاً للحق ، رحل إلى المشرق ، ودخل بغداد والبصرة ، وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرهه ، فلما ولي بعده المأمون بن البطاحي أكرم الطرطوشي إكراماً كثيراً ، وله ألف الشيخ « سراج الملوك » وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .

[٢] هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكم عكا ، فأرسل إليه الخليفة الفاطمي المستنصر يسأله القدوم إلى مصر لإصلاح أحوالها المضطربة إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولى شئونها ، وأقام معوجها ، وصارت له فيها الكلمة الباقية ، ثم لابنه الأفضل .

[٣] النقيير : النقرة التي في ظهر النواة ، والقامير : القشرة الرقيقة التي بين النواة والتمر ، والفتيل : ما يكون في شق النواة .

عز وجل<sup>(١)</sup> آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها ، فسخر له الإنس والجِن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء<sup>(٢)</sup> حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ<sup>(٣)</sup> أَوْ اُمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فما عدَّ ذلك نعمة كما عدَّتموها ، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنَ<sup>(٤)</sup> أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فافتتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . ( نفع الطيب ١ : ٣٦٣ )

## ١٤ — خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ( المتوفى سنة ٥٣٤ هـ )

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت<sup>(٥)</sup> مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فاما حضروا بين يديه قام :

[١] الرخاء : الريح اللينة . [٢] أى فأعطاه من شئت . [٣] بلاه : اختبره .  
[٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المشرق سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى بغداد ، وقيل إنه اتى أبا حامد العزالي ، ثم رجع إلى المغرب ، وفامت دعوته في أوّل الأمر في صورة أمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، فاتمه بعض القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التدريس والدعاء إلى الخير ، وما زال يستميل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم جعل يذكر المهدي ويشوق إليه ، وجمع الأحاديث التي جاءت فيه ، فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ، ادّعى ذلك لنفسه ، وتسمى بالمهدي ، ورفع نسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وادّعى إنه من نسل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرّح بدعوى العصمة لنفسه ، وأنه المهدي المعصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقرّ عندهم أنه المهدي ، فبايعوه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً — وكانت مراکش تحت إمرة المرابطين — فقال : اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين ، فادعواهم إلى إمامة المنكر ، وإحياء المعروف ، وإزالة البدع ، والإقرار بالإمام المهدي المعصوم ، فإن أجابوكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراکش فلقبهم المرابطون

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على محمد نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أنشأ يترضى عن الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم ، ويدكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم ، والعزيمة في أمرهم ، وأن أحدهم كان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وذكر من حدّ عمر رضى الله عنه ابنة في الحر ، وتصميمه على الحق ، في أشباه هذه الفصول ، ثم قال :

فانقرضت هذه العصابة ، نظر الله وجوهها ، وشكر لها سميتها ، وجزاها خيراً عن أمة نبيها ، وخبّطت الناس فتنة تركت الحليم حيران ، والعالم متجاهلاً مداهناً ، فلم ينتفع العلماء بعلامهم ، بل قصّدوا به الملوك ، واجتلبوا به الدنيا ، وأمالوا وجوه الناس إليهم ، في أشباه لهذا القول ، إلى هلمّ جرأ .

ثم إن الله سبحانه - وله الحمد - منّ عليكم - أيها الطائفة - بتأييده ، وخصّكم من بين أهل هذا العصر بحقيقة توحيده ، وقبض <sup>(١)</sup> لكم من <sup>(٢)</sup> ألفاكم ضلالاً لا تهتدون ، وعمياً لا تبصرون ، لاتعرفون معروفاً ، ولا تشكرون منكراً ، قد فشّت فيكم البدع ، واستهوئكم الأباطيل ، وزين لكم الشيطان أضاليل وتُرّهات <sup>(٣)</sup> ، أنزّه لسانى عن النطق بها ، وأرَبّاً <sup>(٤)</sup> بلفظى عن

قريباً منها بجيش ضخم أمير الزبير بن على بن يوسف بن تاشفين ، فدعوم إلى ما أمرم به ابن تومرت فردوا عليهم أسوأ ردّ ، ثم التفت العشان ، فانهزم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع القوم إلى ابن تومرت جعل يهون عليهم أمر الهزيمة ، ويقرّر في نفوسهم أن قتلام شهداء ، لأنهم ذابون من دين الله ، فزادهم ذلك بصيرة في أمرهم ، وحرصاً على لقاء عدوهم ، وجعلوا يشنون الغارات على نواحي مراکش ويقتلون ويسون ولا يقون على أحد ممن قدروا عليه ، وكثر الداخلون في طاعتهم ، ولم يزل أصحابه ظاهرين ، وأحوال المرابطين تختل ، وانتقاض دولتهم يترايد ، إلى أن توى ابن تومرت سنة ٥٣٤ هـ بعد أن أسس الأمور ، وأحكم التدبير ، وقام بأمر الموحدين من بعده عبد المؤمن بن على . وقد استوثق له الأمر بموت على بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين سنة ٥٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم وسبب وهياً . [٢] يعنى نفسه . [٣] جمع ترعة : وهى الباطل .

[٤] ارتفع

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبَصَّرَكُم بعد العَمَى ، وجمعكم بعد الفُرقة ، وأعزَّكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين <sup>(١)</sup> ، وسيُورثكم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كَسَبَتْه أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

فجدِّدوا لله سبحانه خالص نيَّاتكم ، وأرؤوه من الشكر قولاً وفعلًا ما يُزَكِّي به سعيكم ، ويتقبَّل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفُرقة واختلاف الكلمة ، وَشَتَات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثُر أتباعكم ، وأظهر الله الحقَّ على أيديكم ، وإلَّا تفعلوا شِعَلَكُمْ النَّارُ ، وَعَمَّكُمْ الصَّغَارُ <sup>(٢)</sup> ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفتكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بِمَرْجِ الرَّأْفَةِ بِالْعِلَظَةِ ، واللين بالعُنْفِ ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمرُ آخر هذه الأمة ، إلَّا على الذي صلح عليه أمر أولها .

وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلَّوناه <sup>(٣)</sup> في جميع أحواله ، من ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريرته وعلا نيَّته ، فرأيناه في ذلك كله ثَبَتًا <sup>(٤)</sup> في دينه ، متبصِّراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يُخْلِفَ الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا مادام سامعاً مطيعاً لربِّه ، فإن بدَّل أو نكص على عَقْبِهِ ، أو ارتاب في أمره ، ففي الموحِّدين - أعزَّهم الله - بركةٌ وخير كثير ، والأمرُ أمر الله يقلِّده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعا لهم ابن تومرت .

( المعجب ، في تاريخ أخبار المغرب ص ١٠٨ )

## ١٥ — مقال لسان الدين بن الخطيب ( المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ) في الحُضِّ على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب <sup>(١)</sup> في الحُضِّ على الجهاد <sup>(٢)</sup> .

« أيها الناس — رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى — :

إخوانكُمُ المسلمون بالأندلس قد دَهَمَ العدوُّ — قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى — سَاحَتَهُمْ ،  
ورام الكفرُ — خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى — استِباحَتَهُمْ ، وَزَحَفَتِ أَحْزَابُ الطُّوَاعِيتِ  
إِلَيْهِمْ ، وَمَدَّ الصَّلِيبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ — بَعِزَّةُ اللَّهِ تَعَالَى — أَقْوَى ، وَأَنْتُمْ  
الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ الْقَرِيبُ فَلَا  
تُخْفِرُوهُ <sup>(٣)</sup> ، وَسَبِيلُ الرُّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَلْتَبْصُرُوهُ ، الْجِهَادَ الْجِهَادَ فَقَدْ تَعَيَّنَ ،  
الْجَارَ الْجَارَ فَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أُمَّةِ  
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي  
وَطْنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَدْ اسْتَفْتَاتَ بِكُمْ الدِّينَ فَأَغِيثُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور بابن الخطيب خاتمة أدباء الأندلس ، ولد بقرنطة سنة ٧١٣ هـ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم اصطفاه وجعله وزيره ، وفوّض إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وخلفه ابنه محمد أقره على الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطر أن يبادره إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد محمد إلى ملكه ، وبقى مدة كتب له فيها ابن زمرك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى قرنطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فألهب ذلك نار الحسد في ابن زمرك وأبصاره ، فسعوا به إليه حتى أحفظوه عليه ، فهرب إلى المغرب — وكان في حوزة بني مرين ، وهم من البربر — حكموا المغرب بعد الموحدين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ — فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وخطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه إلى أن مات ( عبد العزيز ) ، وثار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط تسليمه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقبض عليه ، وسجن بفاس ، ونوظر في كلماته في كتابه « الحجة » وأفتى الفقهاء بقتله ، فدفن عليه من خنقه في سجنه سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسفروا إلى ملوك بني مرين يستنجدم على الإسيان .

[٣] أخفروا : غدر به ونقض عهده .

وحاشاكم أن تنكثوه ، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله تعالى عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة <sup>(١)</sup> ، واسئوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تُناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ » ، ومما صح عنه قوله : « من أغبرت قدماءه في سبيل الله حرّمهما الله على النار » ، « لا يجتمع غبار في سبيل الله وذُخان جهنم » ، « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته ، جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنبيكم      وطريق هذا العذر غير مُمهّد  
إن قال : لم فرطتمو في أمّتي      وتركتموهم للعدو المعتدى ؟  
تالله لو أن العقوبة لم تُخف      لكفى الحياء من وجه ذاك السيد

اللهم اعطِ علينا قلوب العباد ، اللهم بُث لنا الحميّة في البلاد ، اللهم دافع عن الحرم والضعيف والأولاد ، اللهم انصرنا على أعدائك ، بأحبائك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً ، وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

( نفح الطيب ٤ : ٣ )

١٦ - ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني  
لما قصد لها عقب ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المَوْلَى الهُمَام ، الذي عرف فضله الإسلام ،  
وأوجبت حقه العلماء الأعلام ، وَخَفَقَتْ بِعِزِّ نصره الأعلام ، وتنافست في  
إنفاذ أمره ونهيه السيوف والأقلام ، السلام عليك أيها المَوْلَى الذي قَسَمَ زمانه  
بين حُكْمٍ فَصْلٍ ، وإمضاء نَصْلٍ ، وإحراز خَصْلٍ <sup>(١)</sup> ، وعبادة قامت من اليقين  
على أَصْلٍ ، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية ، ومُشْبِع البطون الجائعة ،  
وكأسي الظهور العارية ، وقادح زناد العزائم الوارية ، ومكتب الكتائب الغازية ،  
في سبيل الله تعالى والسَّرايا <sup>(٢)</sup> السارية ، السلام عليك يا حُجَّة الصبر والتسليم ،  
ومتلقى أمر الله تعالى بالخلق المرضي والقلب السليم ، ومفوض الأمر في الشدائد  
إلى السميع العليم ، وَمُعْمِل البَنان الطاهر في اكتاب الذكر الحكيم ، كَرَّمَ  
الله تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَّسَهَا ، وطَيَّب رُوحَكَ الزَكِيَّةَ وَأَنَسَهَا ، فلقد كنت للدهر  
جَمَالاً ، وللإسلام ثَمَلاً <sup>(٣)</sup> ، وللمستجير مُجِيراً ، وللمظلوم ولياً ونصيراً ، لقد كنت  
للمحارب صَدْرًا ، وفي المواكب بَذْرًا ، وللمواهب بحرًا ، وعلى العباد والبلاد  
ظِلًّا ظليلاً وَسِتْرًا ، لقد فَرَعْتَ <sup>(٤)</sup> أعلام عِزِّكَ الثنايا ، وأجزأت هِمَّتَكَ لملوك  
الأرض الهدايا ، كأنك لم تَعْرِض الجنود ، ولم تنشُر البُنود <sup>(٥)</sup> ، ولم تبسُط العدل

[١] الحصل : العلبة في الضال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من خمسة أنفس إلى ثلثمائة

أو أربعمائة . [٣] الثمال : النيات الذي يقوم بأمر قومه .

[٤] فرعت : علت ، والثنايا : جمع ثنية كهدية ، وهي العتبة ، أو الجبل ، أو الطريقة فيه .

[٥] البنود جمع بند كشس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تزين الركع السُّجود ، فتوسَّدت الثرى ، وأطلت الكرى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارع<sup>(١)</sup> الخد ، كليل الخد ، سالكاً سنن الأب والجد ، لم تجد بعد انصرام أجلك ، إلا صالح عملك ، ولا صحت لقبرك ، إلا رابح تجرك<sup>(٢)</sup> ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ، فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويجود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفك بصدق اليقين ، ويجعلك من الأئمة المتقين ، ويُعلي درجتك في عليين<sup>(٣)</sup> ، ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين .

وَلِيَهْنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَلَكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارَقَ رَعْدُكَ ، وَمُنْجَزَ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدِكَ ، وَرِيحَانَةَ خَلْدِكَ<sup>(٤)</sup> ، وَشِقَّةَ<sup>(٥)</sup> نَفْسِكَ ، وَالسَّرْحَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ غَرْسِكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَهَوَّضَ عَمَلِكَ الْبَرِّ إِلَى رَمْسِكَ ، فَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ أَثَرُ دَعْوَاتِكَ ، فِي خَلَوَاتِكَ ، وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ ، فَكَامِلَتُكَ وَالْمِنَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى بِأَفِيَّةٍ ، وَحَسَنَتِكَ إِلَى مَحَلِّ الْقَبُولِ رَاقِيَةً ، يَرْعَى بِكَ الْوَسِيلَةَ ، وَيَتِمُّ مَقَاصِدَكَ الْجَمِيلَةَ ، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِبِرَّةٍ رِضَاكَ عَلَى مَا قَلَّدَهُ ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ، وَأَبْعَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَعَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارَ عُدَدَهُ . وَإِنِّي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشَنِي<sup>(٦)</sup> وَبَرَّانِي ، وَتَعَبَّدَنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي اسْتِخْلَاصِي خَطَ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ مَكْفَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ بِرِثَائِكَ ، وَإِغْرَاءَ لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّائِكَ ، وَتَعْفِيرِ

[١] ذليل . [٢] تحر تجراً وتحارة .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخلد : النفس والقلب ،

[٥] الشقة : نصف الشيء إذا شق ، والسرحة : الشجرة العظيمة .

[٦] راش السهم : ألزق عليه الريش ، وراش الصديق : أطعمه وسقاه وكساه وأصلح حاله .

الْوَجَنَةُ فِي حَرَمِكَ ، وَالْإِشَادَةُ بِعَدِّ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، فَفَتَحْتَ الْبَابَ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمَفْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَا تَصَلَّتِ الْغَفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَعَادَتِ ، فَمَا يَدِسَتْ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مُتَحَيِّزًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بَادِئًا بِزِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ رَحْلَةُ الْغَرْبِ ، مَا نَوَيْتَهُ مِنْ رَحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَأَقْطَعَهُ أَثَرُ مَوَاقِعِ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْعَلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيَبْلُغَ فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَتَنَمَّدَ مِنْ ضَاجَعَتِهِ مَنْ سَلَكَكَ الْكِرَامُ بِالْمَغْفِرَةِ الصَّيْبَةِ ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ ، فَتَعْنَمُ الْمُلُوكُ الْكِبَارُ ، وَالْخُلَفَاءُ الْأَبْرَارُ ، وَالْأُمَمَةُ الْأَخْيَارُ ، الَّذِينَ كَرُمَتْ مِنْهُمْ السَّيَرُ وَحَسُنَتْ الْأَخْبَارُ ، وَسَعِدَ بِعَزَمَاتِهِمُ الْجِهَادِيَّةُ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكَفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَوْدًا وَبَدَأًا عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا . ( نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ١٣٥ )

## ١٧ — وَصِيَّةُ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ لِأَوْلَادِهِ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُرَوِّعُهُ الْحِمَامُ الْمَرْقُوبُ ، إِذَا شِيمَ <sup>(١)</sup> نَجْمُهُ الْمُثْقُوبُ ، وَلَا يَبْتَفِتُهُ الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ ، وَلَا يَفْجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَعْتُوبُ ، مُلْهِمُ الْهُدَى الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَمَوْضِعُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبُ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ قِسْمِ الْوَجُوبِ ، لَا سِيَّمَا لِلْوَلِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَالْوَلَدِ الْمَنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الْأَسْلُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ <sup>(٢)</sup> » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] مِنْ شَامِ الْبَرَقِ : نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْصِدُ ، وَأَيْنَ يَمُطِرُ . [٢] وَتَمَامُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :

« إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ

آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ<sup>(١)</sup> ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،  
 أكرم من زُرْتُ على نوره جُيُوبُ الغيوب ، وأشرف من خُلِعَتْ عليه حُلَلُ  
 المهابة والمِصْمَةِ ، فلا تَقْتَحِمُهُ<sup>(٢)</sup> العيونُ ، ولا تَصِمْهُ العيوبُ ، والرضا عن آله  
 وأصحابه المثابرين على لسان<sup>(٣)</sup> الاستقامة بالهَوَى المغلوب ، والأمل المسلوب ،  
 والافتداء الموصِّل المرغوب ، والعز والأمن من اللُّغُوب<sup>(٤)</sup> ، وبعد : فإنى لما  
 علانى المشيب بِقِمَّتِهِ<sup>(٥)</sup> ، وقادنى الكِبَر بِرُمَّتِهِ<sup>(٦)</sup> ، وأدَّ كَرَّتُ الشباب بعد  
 أُمَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، أسِفْتُ لما أضعتُ ، وَنَدِمْتُ بعد الفِطَام على ما رَضَعْتُ ، وتأكدَ  
 وجوبُ نصحى لمن لزمنى رَعِيَّتُهُ ، وتعلقَ بعينى سَعِيَّتُهُ ، وأملتُ أن تتعدى إلى  
 ثمرة استقامته وأنا رهين قوات ، وفى بَرْزَخِ أموات ، ويأمن العثور فى الطريق  
 التى اقتضت عِثَارِي ، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثارى ، فقلت  
 أخاطب الثلاثة الولد ، وثمراتِ الخلد<sup>(٨)</sup> بعد الضَّرَاعَةِ إلى الله تعالى فى توفيقهم ،  
 وإيضاح طريقهم ، وَجَمَعَ تفريقهم ، وأن يَمُنَّ علىَّ منهم بحسن الخلف ،  
 والتلافى من قَبْلِ التَّلَف ، وأن يرزُق خَلْفَهُم التمسك بهدى السَّلَف ، فهو وَلِيّ  
 ذلك ، والهادى إلى خير المسالك : اعلموا هداكم الله تعالى الذى بأنواره تهتدى

[١] وتعالى الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا  
 إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تردديه وتحتقره ، ووصفه : طابه . [٣] اللسان : الرسالة .

[٤] اللغوب : أشد الإعياء . [٥] النمة : أعلى كل شيء .

[٦] الرمة بالضم ويكسر : قطعة من جبل .

[٧] الأمة هنا : الحين ، اقتبسه من قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ »

[٨] الخلد : القلب والفس .

الضلال ، و بِرِضاه تَرْفَع الأغلال ، وبالتماس قُرْبِه يحصل الكمال ، إذا ذهب  
 المال ، وأخْلَقَتِ الآمال ، وتَبَرَّأت من يمينها الشَّمال ، أنى مُودَّعُكم وإن سَأَلْتَنِي  
 الرَّذَى ، ومُفَارِقُكم وإن طال المَدَى ، وما عَدَا مِمَّا بدا ، فكيف وأدواتُ  
 السَّفَرِ تُجْمَع ، ومنادى الرحيل يُسْمَع ، ولا أَقْلٌ للحبيب المودَّع ، من وصية  
 مُحْتَضَرٍ ، وَعَجالة مقتَصِرٍ ، وَرَتِيمة <sup>(١)</sup> تُعْقَدُ في خِنْصِرٍ ، ونصيحة تكون نَشِيدَةً <sup>(٢)</sup>  
 وَاجٍ مُبْصِرٍ ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم من الشفقة  
 والحنو قَصْدِي ، حسبما تَضَمَّن وَعْدُ الله من قبل وَعْدِي ، فهى أَرْبُكم الذى  
 لا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، ولا يَنالُكم المَكْرُوه ما رَفَّ عليكم سَقْفُهُ ، وكأَنى بِشبابكم قد  
 شاخ ، وَبِرَاحِلِكُم قد أَناخ ، وَبِنَاشِطِكُم قد كَسِلَ ، واستبدل الصَّاب <sup>(٣)</sup> من  
 الْعَسَلِ ، وَنُصُولُ <sup>(٤)</sup> الشَّيْبِ تروِّع بِأَسَلٍ ، لا بل السَّامُ <sup>(٥)</sup> من كل حَدَبٍ قد  
 نَسَلَ ، وَالْمَعَادُ اللَّحْدُ ولا تَسَلْ ، فبالأمس كنتم فِرَاحَ حِجْرٍ <sup>(٦)</sup> ، واليوم أبناء  
 عسكِرٍ حَجْرٍ ، وغداً شيوخ مَضِيعةٍ وَهَجْرٍ ، والقبورُ فاغرة <sup>(٧)</sup> ، والنفوس عن  
 المألوفات صاغرة ، والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تَعَقُّبُهَا الآخِرَةُ ، والحازم من لم  
 يَتَمَعَّظْ به فى أَمْرٍ ، وقال : « ييدى لا يَدِ عَمْرُو <sup>(٧)</sup> » ، فاقتنوها من وَصِيَّةٍ ،

[١] الرتيمة : خيط يعقد فى الإصبع للتذكير .

[٢] الصاب : عبارة شجر مرّ . [٣] الصول جمع نصل : وهو جديدة الرمح والسيف ،  
 والأسل : الرماح . [٤] السام : الموت ، والحذب : ما ارتفع من الأرض ، ونسل كضرب : أسرع  
 والمعاد : المرجع . [٥] أى كالفراخ فى حجر أمها وحضنها ، والحجر : الكثير من كل شئ . ، وجيش  
 حمر : كثير جدا . [٦] أى فائحة أفواهاها للوقى .

[٧] هو مثل قالته الزباء ملكة الجزيرة ، وذلك أنها كانت دعت جذيمة الأبرش ملك ما على شاطئ  
 الفرات إلى زواجها ، فلما استقرَّ عندها قتله نأراً بأبيها - وكان جذيمة قد قتله - فاحتال مولاة قصير للنأر  
 منها ، فجذع أنفه وأثر آثاراً بطهره ، ثم خرج إلى الزباء ، وأظهر أن عمرو بن عدى - ابن أخت جذيمة -  
 فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء ، فلما استرسلت إليه ووثقت به ، زين لها

وَمَرَامٍ<sup>(١)</sup> فِي النَّصْحِ قَصِيَّةٌ ، وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا  
 اتَّقَلُّوا ، وَحَسَنِي وَحَسْبَكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ  
 أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا مَنْزِلًا ، وَلَا لَطَفَ بَعْنٍ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،  
 وَلِتَلَقُّنُوا تَلَقِينًا ، وَتَعَلَّمُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرِدَ بِذَنبِي ،  
 وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي ، وَيَسُحَّ انْسِكَابِي ، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَحْرَصَ  
 مِنِّي عَلَى سَعَادَةٍ إِلَيْكُمْ تُجَلِّبُ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالٍ بِسَبَبِكُمْ تُرْتَادُ وَتُطْلَبُ ، حَتَّى لَا يَكُونَ  
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَوْرَفُ<sup>(٢)</sup> مِنْكُمْ ظِلًّا ، وَلَا أَشْرَفُ مَحَلًّا ، وَلَا أَغْبَطُ نَهْلًا وَعَلَّا<sup>(٣)</sup> ،  
 وَأَقْلَ مَا يُوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّخُوا<sup>(٤)</sup> إِلَى قَوْلِي الْآذَانَ ، وَتَسْتَهِيحُوا صُبْحَ  
 نُصْحِي فَقَدْ بَانَ ، وَسَاءَ عَيْدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةُ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :  
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ  
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ  
 عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلَا تُصَعِّرْ<sup>(٥)</sup> خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَبْعَثَهُ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ طَرَائِفِهَا وَثِيَابِهَا وَطَيِّبِهَا ، وَأَنْهَا سَتَصِيبُ فِي ذَلِكَ أَرْبَاعًا عَظِيمًا ، فَأَذِنَتْ  
 لَهُ وَقَدِمَ الْعِرَاقَ ، وَآتَى الْحَبِيرَةَ مَتَنَكِرًا ، وَزَوَّدَهُ عَمْرُو نَصُوفَ الْبَزِّ وَالْأَمْتَعَةَ ، وَرَجَعَ إِلَى الرِّبَاءِ ، فَانْجَبَهَا  
 مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَازْدَادَتْ بِهِ ثِقَةً ، وَجَهَرَتْ ثَابِيَةً ، فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى عَمْرُو فَجَهَرَهُ وَعَادَ إِلَيْهَا ، ثُمَّ عَادَ  
 الثَّالِثَةَ وَجَمَعَ ثِقَاتٍ مِنْ رِجَالِ عَمْرُو ، وَجَمَلَهُمْ فِي الْغُرَائِرِ عَلَى الْجَمَالِ ، وَسَارَ إِلَى الزُّبَاءِ ، وَدَخَلَتْ الْإِبِلُ الْمَدِينَةَ  
 - وَكَانَتْ الزُّبَاءُ قَدْ حَذَرَتْ عَمْرًا ، وَاتَّخَذَتْ مَقَامًا إِلَى حِصْنٍ لَهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، وَقَالَتْ : إِنْ جَاءَنِي أَمْرٌ  
 دَخَلْتُ النَّفْقَ إِلَى حِصْنِي - وَدَلَّ قَصِيرُ عَمْرٍاءَ عَلَى بَابِ النَّفْقِ ، فَلَمَّا حَرَجَتْ الرِّجَالُ مِنَ الْغُرَائِرِ صَاحُوا بِأَهْلِ  
 الْمَدِينَةِ وَوَضَعُوا فِيهِمُ السَّلَاحَ ، وَقَامَ عَمْرُو عَلَى بَابِ النَّفْقِ ، وَأَمْلَتْ الزُّبَاءُ تَرِيدُ النَّفْقَ ، فَأَبْصَرَتْ عَمْرًا وَمَعْرِفَتَهُ  
 بِالصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَبَّتْ خَاتَمَهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقَالَتْ : « بِيَدِي لَا يَبِيدُ عَمْرُو » فَدَهَبَتْ مَثَلًا ،  
 وَتَلَقَّاهَا عَمْرُو بِجَلَالِهَا بِالسَّيْفِ وَقَتْلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، وَانْكَفَأَ رَاجِعًا إِلَى الْعِرَاقِ .

[١] مَرَامٍ : جَمْعُ مَرَمٍ ، وَقَصِيَّةٌ : بَعِيدَةٌ .

[٢] وَرَفُ الظِّلِّ : اتَّسَعُ وَطَالَ وَامْتَدَّ . [٣] النَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلَّ وَالْعَلَّ : الشَّرْبُ

الثَّانِي أَوْ الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ تَبَا . [٤] أَصَاحَ لَهُ : اسْتَمَعَ . [٥] صَعَّرَ خَدَّهُ : أَمَالَ كِبَرًا .

تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، وأعيد وصية  
خليل الله وإسرائيل عليه ، حُكْمُ (١) مَا تَضَمَّنَهُ حُكْمُ تَنْزِيلِهِ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَقَى  
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،  
وأكمله ووفاه ، وقرَّره مُصْطَفَاهُ ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُعْمِلَ فِيهِ انْتِقَادٌ ،  
فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مُقَرَّرٌ ، ومستمدٌّ من عقل أو نقل محرر ، والعقل  
متقدِّمٌ ، وبنائوه مع رَفَضِ أَخِيهِ مَتَهْدَمٌ ، فالله واحد أحد ، فَرَدَّ صَمَدٌ (٢) ،  
ليس له والد ولا ولد ، تنزَّه عن الزمان والمكان ، وَسَبَقَ وجودُهُ وجودَ الْأَكْوَانِ ،  
خالِقُ الخلق وما يعملون ، الذي لَا يُسْأَلُ عن شيءٍ وهم يُسْأَلُونَ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْمُدَبِّرُ  
الْقَدِيرُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أرسل الرسل رحمةً لتدعو الناس  
إلى النجاة من الشقاء ، وتوجَّهَ الْحُجَّةُ فِي مَصِيرِهِمْ إِلَى دارالبقاء ، مؤيِّدَةً بالمعجزات  
التي لَا تَنْصِفُ أَنْوَارُهَا بِالْإِخْتِفَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى تَوَاتُرِهَا دَعْوَى الْإِتْفَاءِ ، ثم  
ختم ديوانهم بنبيِّ مِلَّتِنَا المَرعِيَةِ الْعَمَلِ ، الشَّاهِدَةِ عَلَى الْمَلِكِ ، فَتَلَخَّصَتْ الطَّاعَةُ ،  
وَتَعَيَّنَتِ الْأَمْرَةُ الْمُطَاعَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا ارْتِقَابُ السَّاعَةِ ، ثم إن الله تعالى قَبَضَهُ  
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وَتَرَكَ دِينَهُ يَضُمُّ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا (٣) ، فَمَنْ تَبِعَهُ لِحَقِّ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ  
نُوطَ (٤) عَنْهُ فِي مَنْسَبِهِ ، وَكَانَتْ نَجَاتُهُ عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رُؤِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ  
وَسُنَّتِي » ، فَمَعِضُوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِذِ (٥) .

[١] لإسرائيل عليه : يعقوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو يدل من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصمد أى يقصد في قضاء الحاجج . [٣] النمر : المنتشر ، ومنه :

« اللَّهُمَّ اضْمِمْ لِقُرَى » . [٤] أى أبعد عنه وطرده ، يقال ناطت الدار : أى بعدت .

[٥] أقصى الأضراس .

فاعملوا يا بَنِي بوصيةٍ من ناصحٍ جاهد ، وَمُشْفِقٍ شفقةً والد ، واستشعروا حُبَّهُ الذي توافرت دواعيه ، وَعُوا مَرَّاشِدَ هَذيهِ ، فيافَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصِلُوا السَّبَبَ بسببه ، وَآمِنُوا بكلِّ ما جاء به ، مُجْمَلًا أَوْ مُفَصَّلًا على حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجِلَّةَ لِصَحْبِهِ ، الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أُولَى الْفَضْلِ الشَّهِير ، وتبرءوا من العصبية التي لم يَدْعِكُمْ إليها داعٍ ، وَلَا تَعِ الشَّاجِرَ بَيْنَهُمْ أَذُنُ وَاعٍ ، فهو عنوان السَّدَاد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على فقهاء المِلَّة ، وَأَثْمَتِهَا الْحِلَّة <sup>(١)</sup> ، فهم صَقَلَةُ نُصُولِهِمْ ، وفروعُ ناشئةٍ من أصولهم ، وَوَرَثَتُهُمْ وورثة رسولهم ، واعلموا أنني قَطَعْتُ في البحثِ زَمَانِي ، وجعلتُ النظرَ شَانِي ، منذ براني الله تعالى وَأَنْشَانِي ، مع نُبُلٍ <sup>(٢)</sup> يَعْتَرِفُ بِهِ الشَّانِي ، وإِدْرَاكِ يَسَامُهُ الْعَقْلُ الْإِنْسَانِي ، فلم أَجِدْ خَاطِبَ وَرَقٍ ، وَلَا مُصِيبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَازِعَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ التي يَقْصِدُهَا قَدْ نَضَلَّتْهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَتْهَا ، وَفَرَعَتْ <sup>(٣)</sup> ثَنِيَّتَهَا وَارْتَقَتْهَا ، فعليكم بالتزام جادَّتِهَا <sup>(٤)</sup> السَّابِلَةَ ، ومصاحبة رَفَقَتِهَا الْكَامِلَةَ ، والاهتداء بأقمارها غير الآفلة ، والله تعالى يقول ، وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وقد عَلِمْتُ شَرَائِعَهُ ، وَرَاعَ الشُّكُوكَ رَائِعَهُ ، فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوسَ فِعْلَ الْمُهْتَدِينَ ، فلن يَنْفَعَ مَتَاعٌ بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْقُودٌ مَعَ الْفُوزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ ،

[١] جمع جليل . [٢] النبل : الذكاء والنجابة ، والشان : البغض .

[٣] فرعه : علاه ، والثنية : العقبة ، أو الجبل أو الطريقة فيه أو إليه .

[٤] الجادة : الطريق الواضح ، والسابلة مع الطرق : السلوك .

ومتاع الحياة الدنيا أَخْسُ ما وَرِثَ الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بَلَغْتُ فأنت خير الشاهدين ، فاحذَرُوا المعاطِبَ التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شَوَةَ الوجوه وَنَضِجَ الجلود ، واستعيذوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وارَبُّوا بنفوسكم عن غَمَطِهِ ، وارفعوا آمالكم عن القنوع بِمُرُورِ قد خَدَعَ أسلافكم ، ولا تحمدوا على جِيفَةِ العَرَضِ الزائل ائْتَلَفَكم ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسَوا<sup>(١)</sup> على ما فات وتمذّر ، فإنما هي دُجْنَةٌ<sup>(٢)</sup> ينسخها الصَّبَاح ، وَصَفْقَةُ يتعاقبها الحَسَارُ أو الرِّبَاح ، ودونكم عقيدة الإيمان فَشُدُّوا بالنواجذ عليها ، وَكَفِّكْفُوا الشُّبَّةَ أَنْ تَذُوبَ إليها ، واعلموا أن الإِخْلَالَ بشيء من ذلك خَرَقٌ لا يَرْفُؤُهُ<sup>(٣)</sup> عمل ، وكل ما سوى الراعى هَمَلٌ ، وما بعدَ الرأسِ في صلاح الجسم أَمَلٌ ، وتمسَّكوا بكتاب الله تعالى حِفْظًا وَتِلَاوَةً ، واجعلوا حِمْلَهُ على حِمْلِ التكليفِ علاوة ، وتفكروا في آياته ومعانيه ، وامتثلوا أوامره ونواهيه ، ولا تتأولوه ولا تَعْلَمُوا فيه ، وأشربُوا قلوبكم حُبًّا من أنزل على قلبه ، وأَكثِرُوا من بواعث حُبِّهِ ، وصونوا شعائرَ الله صونَ المحترَم ، واحفظوا القواعد التي ينبني عليها الإسلام حتى لا يَنخَرَم ، اللَّهُ اللهُ في الصلاة ذريعةَ التَّجَلُّة ، وخاصَّةُ المِلَّة ، وحاقنةُ الدم ، وَغِنَى المستأجرِ المستخدم ، وأمَّ العبادة ، وحافضة اسم المراقبة لعالم الغيب والشَّهادة ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشيطانُ عَرَضَها ، ووطأ للنفس الأثمارة سماءها وأَرْضَها ، والوسيلة إلى بَلِّ الجوانحِ يَرُودُ الذكر ، وإيصال تُحْفَةٍ اللهُ إلى مَرِيضِ الفكر ، وضامنة حسن العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجَّار ، والواسمة

[١] ولا تحزنوا . [٢] الدجنة : الطلعة .

[٣] رَفَأَ التوب كَنَعَ : لَأَم خَرَقَهُ ، وَضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ .

بِسْمَةِ السَّلامَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعَبْدِ بِرَفْعِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولٌ <sup>(١)</sup> الطَّبْعُ إِذَا شَانَهُ طَبَعَ ،  
وَالْخَيْرُ الَّذِي كُلُّ مَاسِوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وَظَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،  
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْغَالَ الْبَدَنِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدِّنِيَّةِ ،  
فَإِنْ أَوْقَاتُهَا الْمَعِينَةُ بِالْإِنْفِلَاتِ تَنْبَسُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُحْبَسُ ،  
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَغْيِرُهُ الْغُدُوُّ  
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِظَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ  
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا النَّوَافِلَ  
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالِإِتْقَانِ تَفَاضَلَتِ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ الْكَمَالُ ، وَلَا  
شُكْرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رِبْحَ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ أَحْرَى بِإِقَامَةِ  
الْفَرَضِ ، وَأَدْعَى إِلَى مَسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضَ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مُوَصَّلٍ ، وَشَرَطُ لِمَشْرُوطِهِ مُحْصَلٍ ،  
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءَ تَطَفَّفُوهَا ، وَمِيَاهَهَا بَغِيرَ أَوْصَافِهَا الْحَمِيدَةِ فَلَا تَصْفُوهَا ،  
وَالْحُجُولَ وَالْغُرَرَ <sup>(٣)</sup> فَأَطِيلُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ  
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِرَأْسِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُضُوفَ مِنْ صَلَاةٍ وَطُهُورٍ ، وَذَكَرَ  
مَجْهُورٌ وَغَيْرُ مَجْهُورٍ ، تَسْتَغْرِقُ الْأَوْقَاتَ ، وَتَنَازِعُ شَيْئَ الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرَقَاتِ ،

[١] الْغَسُولُ كَصَبُورٍ وَتَنُورٍ : الْمَاءُ يَغْتَسِلُ بِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « غَاسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالطَّبْعُ :  
الشَّيْءُ وَالْعَيْبُ . [٢] أَيْ تَذْهَبُ وَتَضْيَعُ ، يُقَالُ : انْبَسَّ الرَّحْلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « تَبَسَّ »  
وَأَرَاهُ مُحَرَّمًا .

[٣] الْحُجُولُ جَمْعُ حُجْلٍ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ : وَهُوَ الْحُلْعَالُ ، وَالرَّادِ بِهَا هَذَا الْأَطْرَافُ ، وَبِاطَاتِهَا  
اسْتِيعَابُ غَسْلِهَا ، وَالْغُرَرُ جَمْعُ غُرَّةٍ بِالضَّمِّ وَهِيَ الْوُحَةُ ، وَالرَّادُ بِتَطْوِيلِهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسْلُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ  
مَعَ الْوُجْهِ ، وَغَسْلُ صَفْحَةِ الْعُنُقِ ، وَجُمْلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِسْبَاحِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ :  
« أُمِّتِي الْغُرُّ الْمُحَجَّجُونَ » وَالْغُرُّ جَمْعُ الْأَغْرَةِ مِنَ الدَّرَةِ ، وَهِيَ بَيَاضٌ فِي جِهَةِ الْمَرْسِ مَوْقِ الدَّرَمِ ،  
يُقَالُ : فَرَسٌ أَغْرٌ وَغُرٌّ ، وَالْمُحَجَّلُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبَيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْضِعِ الْقَيْدِ ، أَيْ بَيَاضُ  
مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنَ الْوُجْهِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتِعَارَ أَثَرَ الْوُضُوءِ فِي الْوُجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنَ الْبَيَاضِ  
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَبَيْدِهِ وَرِجْلَيْهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاضَ صَدَأَهُ بِصِقَالٍ <sup>(١)</sup> ، وإن تراخى قَهَقَرٌ <sup>(٢)</sup> الباعُ ، وَسَرَقَتَهُ الطَّبَاعُ ، وَكَانَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ ، فشَمِلَ الضِّيَاعُ . والزكَاةُ أختها الحبيبة ، وَلَدَتْهَا الْقَرِيبَةُ ، مفتاح السعادة بِالْعَرَضِ الزَائِلِ ، وشكران المستول على الضدِّ من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهده في المعاش وَعَنَاءُ <sup>(٣)</sup> ، من غير استحقاق مَلءَ يده وإخلاء يد أخيه ، وَلَا عِلَّةَ إِلَّا الْقَدَرُ الَّذِي يُخْفِيهِ ، وَمَا لَمْ يَنْلَهُ حَظَّ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا خَيْرَ فِيهِ ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لِإِخْرَاجِهَا ، في اختيار عَرَضِهَا وَتِجَارِهَا ، واستحيوا من الله تعالى أَنْ تَبْخَلُوا عَلَيْهِ بِبَعْضِ مَا بَدَّلَ ، وخالفوا الشيطانَ كُلَّمَا عَدَلَ ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لَا تَمْلِكُونَ ، وَلَا تَدْرُونَ أَيْنَ تَسْلُكُونَ ، فوهَبْ وَأَقْدِرْ ، وَأُورِدْ بِفَضْلِهِ وَأَصْدِرْ ، لِيَرْتَّبَ بِكَرَمِهِ الْوَسَائِلَ ، أَوْ يَقِيمَ الْحُجَجَ وَالْدَّلَائِلَ ، فابتنعوا إليه الوسيلة بِمَالِهِ ، وَاعْتَنِمُوا رِضَاهُ بِبَعْضِ نَوَالِهِ . وصيام رمضان عبادة السرِّ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، الْمُحَوَّضَةِ <sup>(٤)</sup> لِمَنْ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، مُؤَكَّدَةِ بِصِيَامِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ ، وَالْقِيَامِ بِرِّ الْقِيَامِ ، وَالْاجْتِهَادِ وَإِثَارِ الشَّهَادِ ، عَلَى الْمِهَادِ ، وَإِنْ وَسِعَ الْاعْتِكَافُ فَهُوَ مِنْ سُنَنِهِ الْمَرْعِيَّةِ ، وَلَوْ أَحَقَّهُ الشَّرْعِيَّةُ ، فَبِذَلِكَ تَحَسُّنُ الْوُجُوهَ ، وَتَحْصُلُ مِنَ الرِّقَّةِ عَلَى مَا تَرْجُوهُ ، وَتَذْهَبُ قَسْوَةُ الطَّبَاعِ ، وَيَمْتَدُّ فِي مَيْدَانِ الْوَسَائِلِ الْبَاعِ ، وَالْحُجْجِ مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ الرُّكْنِ الْوَاجِبِ ، وَالْفَرْضِ عَلَى الْعَيْنِ لَا يَحْجُبُهُ الْحَاجِبُ ، وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْرَهُ فِيمَا فَرَضَ عَنْ رَبِّهِ وَسَنَّهُ ، وَقَالَ : « لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

[١] صواب العبارة « واستعاضَ بصدئه صقالا » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أخذته مكانه ( ومنه ترى أن الباء داخلة على المتروك ) واعتاضه منه واستعاضه ( والباء كمن ) .  
[٢] قهقر وقهقرى : رجع القهقرى . [٣] أُنْبِئْ . [٤] الخالصة .

الجنة » ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع تقيده ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه عمدة الاسلام وفروضة ، ونقود مهزه وعروضه ، خافضوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يؤاويكم <sup>(١)</sup> ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغنيين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجتلي محاسنها من بعد الانتقاب <sup>(٢)</sup> ، فعليكم بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى الباب ، والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملائ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النحلة <sup>(٣)</sup> عادة ، والأذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الغاصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتسوه لبنيتكم ، واستدر كوا منه ما خرج عن أيديكم ، وانحللوا على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ترى لغرسه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه <sup>(٤)</sup> ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لا تعزل ، وتحملوهم وثابة رفعة لا يحط فارغها ولا يستنزل ، واختاروا العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا ينالها

[١] يمايكم ، وظاهرين : ظالين . [٢] أى بعد الاختفاء ، من انتقلت المرأة ليست القاب .

[٣] نحلة : أعطاء ، والاسم النحلة . [٤] يقال : فعلت ذلك من جراه ومن جراهه بالتشديد

ويخففان ، ومن جريته : أى من أجله ، والهكرى : النوم .

في غيرِه <sup>(١)</sup> المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجمَ مِنَّا بِهَا المريعة <sup>(٢)</sup> ،  
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولها ، ولا يضايق ثمراتِ المَادِ حصولها ،  
فإنها هي آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كَانَ قابلاً للزيادة ،  
وَأَلْفَى فهمه ذا انقياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة  
صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المنة ، المهدى  
كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلالة ، والتدرج في  
طرق النظر بصحيح الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ، ومن قصر  
إدراكه عن هذا المرعى ، وتقاعدَ عن التي هي أسمى ، فليزو الحديث بعد تجويد  
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم  
القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرُها لا يُفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً  
ركيكاً ، ولا يُثمر في العاجلة إلا اقتحامَ العيون ، وتطريقَ الظنون ، وتطويق  
الاحتقار ، وسمّة الصغار ، وخمول الأقدار ، والخسَف من بعد الإبدار ، وجادة  
الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن  
رُشد <sup>(٣)</sup> قاضي المصر ومفتيه ، وملتبسُ الرشد وموليه ، عادت عليه بالسَّخطة

[١] غير الدهر : أحداثه المفيرة ، والضمير فيه يعود على الوقت . [٢] المخصة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم فلاسفة الأندلس وأطبائها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ  
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واتصل بيوسف بن عبد المؤمن زعيم الموحدين ، وشرح له فلسفة  
أرسطو ، وقد ولاه قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراکش ، وجعله طبيباً للحام ، ثم جعله قاضي القضاة  
بقرطبة ، ولما ولي بعده ابنه المنصور بالله علت مكانة ابن رشد عنده ، فأثار ذلك حسد خصومه ، فكادوا  
له عند السلطان واتهموه أنه يجحد القرآن ، وينشط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلاً من علوم الدين ، وينصر  
مذهب القدماء في القول بألوهية بعض الكواكب ، فعزله المنصور من قضاء قرطبة ، ثم دعا عنه ،  
واستدعاه إلى مراکش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات  
الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في نهضتهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم <sup>(١)</sup> بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يعود يجِدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور ، وَضَرَمَ <sup>(٢)</sup> مَسْجُور ، وممقوت مهجور ، وَأَمُرُوا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حَرِيّاً بالاعتدال حَقِيقاً ، وَأَغْبِطُوا مَنْ كَانَ مِنْ سِنَةِ الْعَفْلةِ مُفِيقاً ، واجتنبوا ما تُنْهَوْنَ عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً ، وأطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفِتْنَةِ جَمَراً ، ولا تُدَاخِلُوا في الخلاف زيّداً ولا عَمْراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وَأَهْمَّ مَا أَضْرَى <sup>(٣)</sup> عليه الآباءُ ألسنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، وَمَنْ أَكْثَرَ من شيء عُرِفَ به ، وإياكم والكذب ، فهو العَوْرَةُ التي لا تُوَارَى ، وَالسَّوْءَةُ التي لا يُرْتَابُ في عارها ولا يُتَمَارَى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يَدَيَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ له من العذاب ، أَنْ لَا يُقْبَلَ صِدْقُهُ إِذَا صَدَقَ ، ولا يعوّل عليه إن كان بالحق نطق ، وعليكم بالأمانة فالخيانة لُومٌ ، وفي وجه الديانة كُلُّومٌ <sup>(٤)</sup> ، ومن الشريعة التي لَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهَا ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الْحِشْمَةِ وَالصَّيَانَةِ ، ولا تَجْزُوا مَنْ أَقْرَضَكُمْ دِينَ الْخِيَانَةِ ، ولا توجدوا للغَدْرِ قَبُولاً ، ولا تُقَرِّوْا عَلَيْهِ طَبْعاً مَجْبُولاً ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ، ولا تستأثروا بِكَنْزٍ وَلَا خَزَنٍ ، ولا تَذْهَبُوا لِغَيْرِ مَنَاصِحَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَهْلٍ وَلَا حَزَنٍ ، ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزَنٍ ، وَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تُعِينُوا فِي سَفْكَ الدِّمَاءِ

[١] الجام : إناء من فضة . [٢] جمع ضربة بالتحريك وهي الجرة والبار ، وسجر التور : أحماء

[٣] ضرى بالشئ : كتب : اعتاده وأولع به ، ويعدى بالهمز والتضعيف ، فيقال : أصريته وضرّيته :

أى أفريته به . [٤] الكلوم جمع كالم بالفتح يدهو الجرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في  
فُسْحَة ممتدة ، وَسُئِلَ اللهُ تعالى غير مُنْسَدَّة ، ما لم يَقْبِذْ إلى الله تعالى بأمانه ،  
وَيَمَسَّ الدَّمَّ الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَىٰ بِهِ  
سَنَنًا قَوِيًّا ، وَجَلَّىٰ مِنَ الْجَهْلِ والضلال لَيْلًا بَهِيًّا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا  
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ،  
واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل  
السعادة بأغيه ، لو لم تتلق نورَ الله الذي لم يَهْدِ شِعَاعُهُ ، فَالْحَلَالُ لم تَضِقْ عن  
الشهوات أنواعه ، ولا عُدِمَ إقناعه ، ومن غَلَبَتْ غَرَاثُ جَهْلِهِ ، فليَنْظُرْ : هل  
يجب أن يُزَنِّيَ بأهله ؟ والله قد أعدَّ للزاني عَذَابًا وَيْلًا ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا  
الزَّوْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرَامُ الكِبَارُ ، ومفتاح الجرائم  
والجرائر <sup>(١)</sup> ، والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال  
الذي سَوَّغَ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوامٌ لم يَرْضَوْا لعقولهم بالفساد ،  
ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرَضَةِ الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رَجَسًا محرَّمًا  
على العباد ، وَقَرَنَهَا بِالْأَنْصَابِ والأزلام في مُبَايَنَةِ السَّدَادِ <sup>(٢)</sup> ، ولا  
تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فإنه من مَنَاهِي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ  
مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مَالَ أَحَدٍ بغيرِ حَقٍّ يُبِيحُهُ ، واتزِعُوا

[١] الجرائم جمع جريرة : وهي الجريمة .

[٢] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

الطَّعْمُ<sup>(١)</sup> عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْتَعْنِي فيه أحدُكم على قَدَمه ، ولا يَكِلْ خِيَارَه إِلَّا لِلثَّقة من خَدَمه ، ولا تَلَجَّثُوا إلى المتشابهِ إِلَّا عند عَدَمه ، فهو في السُّلوك إلى الله تعالى أَصْلٌ مشروط ، والمحافظ عليه مَغْبُوط ، وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مُجَاهِرِ الله تعالى بصريح العِصيان ، « وَالظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحاح الحِسان ، والنِّمِة فسادٌ وشتات ، لا يبقى عليه مُتَات<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ<sup>(٣)</sup> » واطَّرَحُوا الحَسَدَ ، فما ساد حَسود ، وإياكم الغيبة : فباب الخير معها مسدود ، والبخل ، فمارُئِي البخیل وهو مودود ، وإياكم وما يُعْتَذَر منه ، فواقع الخزي لَا تُسْتَقَال عَثَرَاتُهَا ، وَمَظَنِّاتُ الفَضَائِح لَا تُؤْمَنُ غَمَرَاتُهَا ، وتفقدوا أنفسكم مع الساعات ، وأفشوا السلام في الطُّرُقَات والجماعات ، وريقوا على ذوى الزَّمانات<sup>(٤)</sup> والعاهات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يُرَبِّحكم في البضاعات ، وعولوا عليه وحده في الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نَصَبْتُم الموائد ، وتقرَّبوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عِيَالُ الله ، وأحبُّ الخلق إليه المحتاط لعياله ، وارعوا حقوق الجار ، واذكروا ما ورد في ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أُولى الأرحام ، والوشائج<sup>(٥)</sup> البادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور : فإنها تقطع الظهر ، وتُفْسِد السِّرَّ والجهر ، والرُّشَا ، فإنها تحطُّ الأقدار ، وتستدعى المذلة والصَّغار ، ولا تَسَاحَحوا في لُعبة قَمَر<sup>(٦)</sup> ، ولا تشارِكوا أهل البطالة في أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حِثِّ الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء

[١] الطعم : الشهوة . [٢] المتات : ما يمت به أى يتوسل . [٣] القتات : النمام .

[٤] الرمان : العاهة .

[٥] الوشائج جمع وشيجة : ومى اشتباك الهراة . [٦] قره : غلبه في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهجُوا بالآمالِ العِجافِ<sup>(١)</sup> ولا تَكْلَفُوا بالكهانة والإرجاف،  
 واجعلوا العمرين معاشٍ ومعاد ، وخصوصيةً وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه  
 بالمرصاد، وأن الخلق بين زرع وحصاد، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهموم ، واحذروا  
 القواطع عن السعادة كما تُحذَرُ السُّموم ، واعلموا أن الخير أو الشرف في الدنيا مُحالٌ  
 أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذيةً المؤذنين ، ولا تعارضوا مقالاتِ الظالمين ، فالله لمن  
 بُغِيَ عليه خيرُ الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كما نزلت ، ولا تضجُّوا  
 للأمراض إذا أعضلت ، فكلُّ مُنْقَرِضٍ حقير ، وكلُّ مُنْقَضٍ وإن طال قصير ،  
 وانتظروا الفرج ، وانتشِقُوا من جناب الله تعالى الأرج<sup>(٢)</sup> ، وأوسعُوا بالرجاء  
 الجوانح ، واجنحُوا إلى الخوف من الله تعالى فَطُوبَى لِمَعْبُدٍ إِلَيْهِ جَانِحٌ ، وتضرَّعوا  
 إلى الله تعالى بالدعاء ، وألجئُوا إليه في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى  
 بالشكر الذي يقيّد به الشارد ، وَيَعَذِّبُ الْوَارِدَ ، وَأَسْهِمُوا<sup>(٣)</sup> منها للمساكين  
 وأفضلوا عليهم ، وعيِّنُوا الحُظُوظَ منها لديهم ؛ فمن الآثار: « يا عائشة أحسنى جوار  
 نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » ، ولا تطغوا في النعم وتقصروا  
 عن شكرها ، وتغلبكم<sup>(٤)</sup> الجهالة بسُكْرِها ، وتتوهموا أن سعيكم جلبها ، وجِدَّكم  
 حَلَبها ، فالله خير الرازقين ، والعاقبة للمتقين ، ولا فِعل إلا لله إذا نُظِرَ بعين  
 اليقين ، والله الله لا تنسوا الفضلَ بينكم ، ولا تُذهَبوا بذهابه زَيْنكم ، وليلتزم  
 كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تَوَاضُعُهُ ، بما أمكنه من إخلاصٍ وَبَرٍّ ، ومراعاةٍ  
 في علانيةٍ وسرٍّ ، وللإنسان مزية لا تُجْهَلُ ، وحق لا يُهْمَلُ ، وأظهروا التعاضد

[١] العجاف جمع عجفاء : وهي المهرولة . [٢] الأرج : تومج ربح الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراء محرفاً عن « وتغلبكم » .

والتناصر ، وَصَلُوا التَّعَاهِدَ وَالتَّزاورَ ، تُرْغَمُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءُ ، وَتَسْتَكْثِرُوا الْأَوْدَاءَ ،  
وَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الْحُظُوظِ السَّخِيفَةِ ، وَلَا تَتَهَارَشُوا تَهَارُشَ السَّبَاعِ عَلَى الْجَيْفَةِ ،  
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَكْتَدِرُ بِالْأَمْتَانِ ، وَطَاعَةُ النِّسَاءِ شَرٌّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ ،  
فَإِذَا أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ ، وَإِذَا بَرَزْتُمْ فَاسْتُرُوهُ ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ  
أَمْرًا فَاحْقِرُوهُ ، وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسُوا مُقَارَضَةَ سَجَلِي <sup>(١)</sup> ، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوَدَّتِي مِنْ  
أَجْلِي ، وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَالًا بِهَذَا الْوَطَنِ الْقَلِقِ الْمُهَادِ ، الَّذِي لَا يَصْلَحُ لِغَيْرِ الْجِهَادِ ،  
فَلَا يَسْتَهْلِكُهُ أَجْمَعُ فِي الْعَمَّارِ ، فَيَصْبِحُ عُرْضَةً لِمَذَاةٍ وَالْأَحْتِقَارِ ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ  
- إِنْ تَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى بَلَدِهِ - فِي الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ ، وَمَعُوقًا عَنِ الْإِنْتِقَالِ ،  
أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ ، وَإِذَا كَانَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَوْلَى ، فَلَا جَمَالَ فِي الطَّلَبِ أَوْلى ،  
وَازْهَدُوا وَجَهْدَكُمْ فِي مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، نَغِيرُهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا ، وَنَفْعُهَا لَا يَقُومُ  
بِضَرِّهَا ، وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَةً ، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى عَاصِدَةٌ ، وَمَنْ  
بُئِيَ بِهَا مِنْكُمْ فَلَيْسَتْ تَظْهَرُ بِسَعَةِ الْإِحْتِمَالِ ، وَالتَّقَلُّلُ مِنَ الْمَالِ ، وَالْإِحْذَارُ مُعَادَاةَ  
الرِّجَالِ ، وَمَزَلَّتِ الْإِدْلَالُ ، وَفَسَادُ الْخِيَالِ ، وَمُدَاخَلَةُ الْعِيَالِ ، وَإِفْشَاءُ السَّرِّ ،  
وَسُكْرُ الْإِغْتِرَارِ ، فَإِنَّهُ دَابُّ الْغَرِّ ، وَلَيْصُنِ الدِّيَانَةِ ، وَيُؤْثِرُ الصَّمْتَ وَيُلَازِمُ  
الْأَمَانَةَ ، وَيَمِيزُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ ، وَمَهْمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَصَدَ  
أَقْرَبَهُمَا إِلَى الْحَقِّ ، وَلَيَقِفْ فِي التَّمَاسِ أَسْبَابُ الْجَلَالِ دُونَ الْكَمَالِ غَيْرِ النِّقْصَانِ ،  
وَالزَّعَازِعُ تَسَالُمُ اللَّذْنِ <sup>(٢)</sup> اللَّطِيفِ مِنَ الْأَغْصَانِ ، وَإِيَّاكُمْ وَطَلَبَ الْوَلَايَاتِ رَغْبَةً  
وَاسْتِجْلَابًا ، وَاسْتَظْهَارًا عَلَى الْخُطُوبِ وَغِلَابًا ، فَذَلِكَ ضَرَرُ بِالْمُرُوءَاتِ وَالْأَقْدَارِ ،  
دَاخِعٌ إِلَى الْفُضِيحَةِ وَالْعَارِ ، وَمَنْ أُمْتُحِنَ بِهَا مِنْكُمْ اخْتِيَارًا ، أَوْ جُبِرَ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا

[١] السجل : النصيب . والمعنى : لأنكم مدينون لى بما قدمت لكم من معروفى ، فلا تسوا أن تردوه  
لى بأكرام من أودته . [٢] اللذن اللين :

وإِثَاراً ، فليتلَقْ وظائفها بِسَعَةِ صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يَشْهَدُ أن قدرها دون قدره ، فالولايات فِتْنَةٌ وَمِحْنَةٌ ، وَأَسْرٌ وَإِخْنَةٌ ، وهى بين إِخْطَاءِ سعادة ، وإِخْلَالِ بعبادة ، وتوقُّعِ عَزَلٍ ، وإِدَالَةٍ <sup>(١)</sup> بِإِزاءِ بيعِ جِدٍّ بهزل ، وَمَزَلَّةٍ قدم ، واستنباعِ ندم ، ومآلِ العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابْتِمَادٍ ، جَعَلَكم الله ممن نفعَهُ بالتبصير والتنبيه ، وممن لا ينقطع بسببه عملُ أيِّه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدزتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وَحَصَلْتُم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضَعْتُم لآلِهَا النفيسة الْقِيَمَ ، استكثرتم من بواعث الندم ، ومهما سئتم إِطالَتها ، واستغزرتُم مقالَتها ، فاعلموا أن تقوى الله فَذَلِكَ <sup>(٢)</sup> الحساب ، وضابط هذا الباب ، كَانَ الله خليفَتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مُنَاخٌ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض مُحَالٌ ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خُطَّتِهِ النجاة ، وَتَفَقَّ بِضَائِعِهَا الْمُرْجَاةُ <sup>(٣)</sup> ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله سبحانه يُلْتَمِهُ <sup>(٤)</sup> حيث شاء من شَمْلٍ متصدِّع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . ( نفع الطيب ٤ : ٤١٩ )

## ١٨ — خطبة وعظية له

وصدر عنه على لسان واعظ :

« الحمد لله الوليُّ الحميد ، المبدئُ المعيد ، البعيد فى قُرْبِهِ من العَبِيد ، القريب

[١] للإِدَالَةِ : الغلبة . [٢] فذلك حسابه كدحرج : أنباء وفرغ منه ، مخترعة من قوله إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا . [٣] بصاعة مرجاة : رديئة أو قليلة يردعها ويدفعها من رآها رغبة عنها ، وثق السلة تفيقاً : رَدَّجَهَا . [٤] لأم الجرح والصدع كقطع والألم : سَدَّهُ .

في بعده وهو أقرب من حَبْلِ الْوَرِيد <sup>(١)</sup> ، مُحْيِي رُبُوعِ الْعَارِفِينَ بِتَحِيَّاتِ حَيَاةِ التَّوْحِيدِ ، وَمُغْنِي نَفُوسِ الزَّاهِدِينَ بِكُنُوزِ احْتِقَارِ الْاِفْتِقَارِ إِلَى الْعَرَضِ الزَّهِيدِ ، وَمُخَلِّصُ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ سَجُونِ دُجُونِ <sup>(٢)</sup> التَّقْيِيدِ ، إِلَى قُسْحِ التَّجْرِيدِ ، نَحْمَدُهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الْمُنْتَظِمَةُ دُرَرُهُ فِي سُلُوكِ الدَّوَامِ ، وَسُمُوطِ <sup>(٣)</sup> التَّأْيِيدِ ، حَمْدَ مَنْ نَزَّهَ أَحْكَامَ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَأَعْلَامَ فَرْدَانِيَّتِهِ ، عَنْ مَرَابِطِ التَّقْيِيدِ ، وَمَخَابِطِ الطَّبْعِ الْبَلِيدِ ، وَنَشْكُرُهُ شُكْرَ مَنْ افْتَتَحَ بِشُكْرِهِ أَبْوَابَ الْمَزِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَهَادَةً تَتَخَطَّى بِهَا مَعَالِمَ الْخَلْقِ ، إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ ، عَلَى كَبِدِ التَّفَرِيدِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ قِلَادَةُ الْجِيدِ الْمَجِيدِ ، وَهَلَالُ الْعِيدِ ، وَقَدْ لَكَ الْحِسَابُ وَبَيْتُ الْقَصِيدِ ، الْمَخْصُوصُ بِمَنْشُورِ الْإِدْلَالِ <sup>(٤)</sup> ، وَإِقْطَاعِ الْكَمَالِ ، بَيْنَ مَقَامِ الْمُرَادِ وَمَقَامِ الْمُرِيدِ ، الَّذِي جَعَلَهُ السَّبَبَ الْأَوْصَلَ فِي نَجَاةِ النَّاجِي وَسَعَادَةِ السَّعِيدِ ، وَخَاطِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى لِسَانِهِ الصَّادِقِ بِحُجَّتِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، فَكَانَ مِمَّا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكُ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنَ الذِّكْرِ الْحَمِيدِ ، لِيَأْخُذَ بِالْحُجَزِ <sup>(٥)</sup> وَالْأَطْوَاقِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُورًا سُبُوحًا نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق. [٢] أى ظلام التقييد ، والدجون جمع دجن بالفتح : وهو لباس الغيم الأرض وأقطار السماء. [٣] سموط جمع سمط بالكسر : وهو خيط النظم. [٤] أدل عليه : وثيق بمحبته. [٥] المحز جمع حزمة كفرصة : وهي معقد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة .

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة  
تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتسرى إلى تربته الزكية من ظهور المواجد الجائية  
على البريد :

قعدتُ لتذكير ، ولو كنتُ منصفاً      لذكرتُ نفسي فهي أحوجُّ للذكرى  
إذا لم يكن منى لنفسي واعظاً      فيا ليت شعري كيف أفعل في الأخرى ؟  
آه ، أي وعظ بعد وعظ الله تعالى يا أحبابنا يُسمع ، وفي ماذا - وقد تبين الرشدُ  
من النسي - يُطمع ؟ يا من يُعطي ويمنع ، إذا لم تُقيم الصنعة فماذا نصنع ؟ أجمعنا  
بقلوبنا يا من يُفرِّق ويجمع ، وآلئ حديدَها بنار خشيتك ، فقد استعاذ نبئك  
صلى الله عليه وسلم من قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع : اعلموا رحمكم الله أن  
الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من الأقوال والأحوال ، ومن الجماد والحيوان ، وما  
أملأه الملوان <sup>(١)</sup> ، فإن الحق نور لا يضره أن صدر من الحامل ، ولا يقصر  
بمحموله احتقار الحامل ، وأنتم تدرون أنكم في أطوار سفر لا تستقر لها دون  
الغاية رحلة ، ولا تتأني معها إقامة ولا مهلة ، من الأصلاب إلى الأرحام إلى  
الوجود ، إلى القبور إلى النشور إلى إحدى دارى البقاء ، أفى الله شك ؟ فلو  
أبصرتم مسافراً في البرية يبنى ويفرش ، ويمهد ويعرش ، ألم تكونوا تضحكون  
من جهله ، وتمعجبون من ركاكة عقله ؟ والله ما أموالكم ولا أولادكم ،  
وشواغلكم عن الله ، التي فيها اجتهدكم ، إلا بقاء سفر <sup>(٢)</sup> في قفر ، أو إعراس في  
ليلة نقر <sup>(٣)</sup> ، كأنكم بها مطرحة تعبئ فيها المواشى ، وتنبو العيون عن خبرها

[١] اللوان : الليل والنهار .

[٢] السفر : جماعة المسافرين . [٣] أعرس القوم وعرسوا : نزلوا في آخر الليل للاستراحة ،

ونهر الحاج من منى كضرب نفراً ونفروا . انظر ج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشى « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد  
المَقِيلِ إِلَّا الرَّحِيلَ ، ولا بعد الرحيل إِلَّا المنزلُ الكريمُ ، أو المنزل الويل ، وإنيكم  
تستقبلون أهوالاً ، سَكَرَاتُ الموتِ بَوَاكِيرُ حسابها ، وَغَتَبُ أبوابها ، فلو  
كُشِفَ الغطاء عن ذَرَّةٍ منها ، لَذَهَبَتِ العقول وطاشت الأبواب ، وما كل  
حقيقة يشرحها الكلام ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، أفلا أعددتُم لهذه الوِزْطَةِ حيلةً ، وأظهرتم  
للاهتمام بها نَحِيلَةً<sup>(١)</sup> ؟ أتعويل على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام  
التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمننا من مكره مع المنابذة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ  
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعنا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :  
« فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أُمُشَاقَّةٌ وَمَعَانِدَةٌ ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكنا في الله ؟ فَعَالَوْا نُعِيدَ الحِسابَ ، وَنُقَرَّرَ الْعَقْدُ ، وَنَتَّصِفَ  
بدعوة الحقِّ (أَوْ غَيْرَهَا) من اليوم ، يُفْقَدُ عَقْدُ الْعُقَاثِدِ عند التساهل بالوعيد<sup>(٢)</sup> ،  
فالعاميُّ يُدْمِي الأَصْبَعَ الْوَجِيعَةَ ، والعارف يَضْمَدُ لَهَا مَبْدَأَ الْعَصَبِ .

هكذا هكذا يكون التعمي هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا  
مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرءوف الرحيم يقول لكم : « الْكَيْسُ  
من دان نفسه ، وَعَمِلَ لما بعد الموت ؛ والأحمق من أَتْبَعَ نفسه هواها ، وتمنى  
على الله الأمانى » ، فَعَلَامَ بعد هذا المعوّل ، وماذا يتأوّل ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الخيلة الظن . [٢] أى أن المرء إذا لم يحسب لوعيد الله حساباً ، واسنزل في اقتراح المعامى  
والموَبَقَاتِ ، أفضى به ذلك إلى زلزلة العقيدة ، ولم أنه كان خالص الإيمان لارعى عما نهى عنه .

نفوسكم وَأَنْصَحُوهَا ، وَاعْتَنِمُوا قُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجُّوهَا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ  
يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّاخِرِينَ » ، وتنادى  
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وتستغيث أخرى : « يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ  
فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ ارْجِعُونِ » ، فَرَحِمَ  
الله من نظر لنفسه ، قبل غُرُوب شمسهِ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ  
تَجْرُؤُ إِلَى الْمَوْتِ ، والغفلة تقود إلى القَوْتِ ، والصحة مَرَكَبُ الْأَلَمِ ، والشببية  
سفينة تَقْطَعُ إِلَى سَاحِلِ الْمَهْرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ وَالْكَلْفُ بِالْوُجُودِ الْفَانِي ، عن الدائم الباقي ،  
والدهر يقطع الأماني ، وَهَادِمُ اللَّذَاتِ قَدْ شَرَعَ فِي تَقْضِ الْمَبَانِي ، أَلَا مَعْتَبِرِي  
عَالَمِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، أَلَا مَرْتَحِلٍ عَنْ مَقَابِلِ هَذِهِ الْمَقَانِي <sup>(١)</sup> ؟

أَلَا أَذُنٌ تُصْنِي إِلَى سَمِيعَةٍ      أَحَدَّثَهَا بِالصَّدَقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ  
مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَّاهُ حَسْرَةً      عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ  
هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ      فَتَوَبُوا سِرًّا قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الْقَوْتُ

يَا كَلِيفًا بَمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِغُرُورِ الْوُجُودِ الْمَعْدُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجْلِ  
الْمَهْدُومِ ، يَا مُشْتَغِلًا بَيْنِيَانِ الطَّرُوقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي  
فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُعَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ <sup>(٢)</sup> ،  
لَا بَدَأَ أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَتَتْرَكَ الْمَطْعُومَ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجْلِ بَيْتَ عَمْرٍكَ ،  
فَسَلَبَ النِّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَوَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ <sup>(٣)</sup> ، واقتلع جواهر

[١] المعاني جمع معنى وهو المنزل .

[٢] السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . [٣] كربه الغم كنصر : اشتد عليه .

الجوارح ، وقد وقع بك النّهب ، ولم يَبْقَ إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .  
لو خُفِّفَ الوجدُ عني دعوتُ طالب ثاري

« كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا » ، كيف التَّراخي والفوتُ مع الأنفاس يُنتظر ،  
كيف الأمان وهاجم الموت لا يُبْقِي ولا يَذَرُ ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح  
وقد صحَّ الخبر ؟ من فكَّر في كَرْب الخُمار <sup>(١)</sup> تنغَّصت عنده لذة النبيذ ، من  
أَحْسَّ بِلَفْظِ <sup>(٢)</sup> الحريق فوق جدَّاره ، لم يُصْنَعِ بصوته لِغَمَّة العود ، من تَيَقَّنَ  
بذُلَّ العُزلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشرِّه أولى لنا ما قلَّ منك وما كَفَى  
أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أَنْ ضَعَّ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ،  
فَبَعَدَ ما حَادَتْهُ مِنْ شَعْرِهِ تعيش سنين ، فقال : يارب وبعْد ذلك ؟ قال :  
تموت ، قال : يارب فالآن .

رأى الأمرُ يُفْضِي إلى آخِرٍ فصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلًا  
إذا شَعَرْتَ نَفْسَكَ بِالْمِيلِ إِلَى شَيْءٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةً فِرَاقِهِ « لِيَهْلِكَ مَنْ  
هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ » فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين  
الأحباب مرُّوا ؟ فياليت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطُّروا ،  
واستغاثوا مِنْ سَبَقِكَ <sup>(٣)</sup> بأولياهم ففرُّوا ، وليتهم إذ لم ينفعوا ما ضرُّوا ، فالمنازل  
من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والعظام من بعد التفاصيل  
متشابهة متساوية ، والمساكن تَنْدُبُ في أطلالها الذئابُ العاوية .

[١] الحمار : صداع الجر وأذاها . [٢] أي برميهِ . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن  
يقول : « واستغاث من سبقك بأولياهم » إلا أن يخرج على أن « من » مبتدأ مؤخر كما في قوله تعالى :  
« ثُمَّ عَمُوا وَصَّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا » أو « من »

صَحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا      لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمُضِي الْغَرِيبُ ؟  
وَيَجْتَنِبُ الدَّارَ قَبْرٌ جَدِيدٌ      مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيدُ  
غَاغَى قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التَّجَاحِي      قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِّبُ <sup>(١)</sup>  
لَا تَسْأَلُ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ      إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمَ عَصِيبُ  
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّاتُ نَفْسِي      بَعْدَ إِلْفِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أَيْنَ الْمَعْمَرُ الْخَالِدُ ، أَيْنَ الْوَلَدُ أَيْنَ الْوَالِدُ ، أَيْنَ الطَّارِفُ أَيْنَ التَّالِدُ ، أَيْنَ الْمَجَادِلُ أَيْنَ  
الْمُجَالِدُ ؟ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟ <sup>(٢)</sup> وَجْوهَ عَلاهُنَّ الثَّرَى ،  
وَصَحَائِفُ تَفَضُّ ، وَأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ ، بِحَثِّ الزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ ، وَالْعَارِفُونَ  
وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يُهْدَى بِهِمُ الْعِبَادُ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ  
بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبَعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي  
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلَى      فَمَا لِي بَعْدَ لَيْلَى مِنْ حَيْبٍ  
وَمَاذَا أُرْتَجَى مِنْ وَصْلِ لَيْلَى      سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبٍ

وَقَالُوا : مَا أوردَ النَّفْسَ الْمَوَارِدُ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْحَتْفِ إِلَّا الْأَمَلُ ، كَلِمَا قَوِّمَتْهَا  
مُثَاقِفُ الْحُدُودِ ، فَتَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ . كَلِمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا  
طُرْفُ الْغُرُورِ فِي أَطْبَاقٍ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا  
حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمَلُ      وَهُوَ غُرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلُ  
يَفْرَضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَفَهْمًا مَالَهُ      حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

[١] لُحْه وَالْحُحْه وَالتَّمَحْه : إِذَا أَبْصَرَهُ بِنَظَرٍ خَفِيفٍ . [٢] الرِّكْزُ : الصَّوْتُ الْحَقِي .

ما فوق وَجْهِ الْأَرْضِ نَفْسٌ حَيَّةٌ ۖ إِنْ لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا  
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا مَا نَمَّ إِلَّا لُقْمٌ ۖ قَدْ هُمِدَّتْ  
وَالْوَعْدُ حَقٌّ ، وَالْوَرَى فِي غَفْلَةٍ ۖ أَيْنَ الَّذِينَ شَيَّدُوا وَاغْتَرَسُوا  
أَيْنَ ذُوو الرِّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةً ۖ لَمْ تَدْفَعْ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ  
اللَّهَ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مِنْ لَهُ لَا تَتْرَكْنَهَا فِي عَمَى وَحَيْرَةٍ  
حَقَّرَهَا الْفَانِي ، وَحَاوَلَ زُهْدَهَا وَفِيذَ إِلَى اللَّهِ بِهَا مَضْطَرَةً  
هُوَ الْفَنَاءُ ، وَالْبَقَاءُ بَعْدَهُ يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ وَيَا حَسْرَتَهَا  
يَوْمَ يُؤَفَّفَى النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا

يَا طَرْدُ<sup>(١)</sup> الْخَالَفَةِ ، أَنْكُمْ مُذَرَّكُونَ فَاسْتَبِقُوا بَابَ التَّوْبَةِ ، فَإِنَّ رَبَّ تِلْكَ الدَّارِ يُجِيرُ وَلَا  
يُجَارُ عَلَيْهِ « فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ » ، يَا طُفَيْلِيَّةَ الْهَمَّةِ ، دُسُّوا  
أَنْفُسَكُمْ بِزُمرِ التَّائِبِينَ ، وَقَدْ دُعُوا إِلَى اللَّهِ دَعْوَةَ الْحَبِيبِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكُلٌ فَلَا  
أَقْلٌ مِنْ طَيْبِ الْوَلِيَّةِ ، قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : إِذَا عَقَدَ التَّائِبُونَ الصَّلَاحَ مَعَ اللَّهِ  
تَعَالَى ، انْتَشَرَتْ رَعَايَا الطَّاعَةِ فِي عِمَالَةِ الْأَعْمَالِ ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[١] جنبه : دفعه . [٢] أى اتقى الله فى نفسك التى هى أولى . . . الخ .

[٣] فد : أسر من وفد أى اقدم . [٤] الطريدة : ما طردت من صيد أو غيره .

وَوَضَعَ الْكِتَابُ « معاني هذا المجلس والله نَسِيمٌ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَنَشَقَهُ مَخْمُورُ  
الْغَفْلَةِ أَفَاقٌ ، سَعُوطٌ <sup>(١)</sup> هذا الوعظ يَنْقُضُ <sup>(٢)</sup> إن شاء الله زَكَمَةَ الْبَطَالَةِ ، إن  
الذي أنزل الداء أنزل الدواء ، إِكْسِيرٌ <sup>(٣)</sup> هذا الكتاب يلقب بحكمة جابر <sup>(٤)</sup> ،  
القلوب المنكسرة عين من كان له قلب « إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى  
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ » إلهي دُلْنَا مِنْ حَيْرَةٍ يَضِلُّ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدليلُ ،  
وَأَجِرْنَا مِنْ غَمْرَةٍ <sup>(٥)</sup> وكيف - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السبيلُ ، نفوسٌ صَدِئٌ مِنْ مَرٍّ  
الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّقِيلُ ، وَنَبَاً يَحْنُوبُهَا عَنْ الْحَقِّ الْمَقِيلُ ، وآذَانٌ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ  
الثَقِيلُ ، وَعَثَرَاتٌ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسْبُنَا  
ونعم <sup>(٦)</sup> الوكيل . ( فصح الطيب ٤ : ٨٥ )

## ١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسى <sup>(٧)</sup> لابنه

قال أبو الحسن عليّ بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى :

لما أردت النهوض من ثغر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرفاً عن « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسعوط : الدواء  
يسبب في الأنف . [٢] في الأصل « يفيض » وأراه « ينقض » أى يذهب .  
[٣] الإكسير : الكيمياء .

[٤] يريد جابر بن حيان . قال ابن الفطحي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو جابر بن حيان الصوفي  
الكوفي ، وكان متقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكيمياء . . . الخ » وذكره ابن زيدون في  
رسالته الهزلية ، فقال : « وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء » قال ابن نباتة في سرح اليون :  
« وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه ، وهذا دليل على قول  
أكثر الناس إنه اسم موضوع وضعه المصنفون في هذا الفن » ، وزعموا أنه كان في زمن جعفر الصادق ،  
وأنه إذا قال في كتبه : قال لي سيدي ، وسمعت من سيدي ، فإنه يرمى به جعفر الصادق « وقد قدمنا لك  
أن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] الغمرة : الشدة . [٦] أورد المقرئ في فصح الطيب لسان الدين عقب ذلك كلاماً آخر في الوعظ  
وهو على نمط ما أوردناه لك فافطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، من سلالة  
عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد نوه به ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الخضراء ، وهو

الإسكندرية، رأى أبي أن يكتب لى وصية أجعلها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها أياماً إلى أن كتبته عنها ، وهى هذه :

|                                    |                                                |
|------------------------------------|------------------------------------------------|
| أودِعْكَ الرَّحْمَنَ فى غُرْبَتِكَ | مُرَّتَقِباً رُحْمَاهُ فى أَوْبَتِكَ           |
| وما اختيارى كَانَ طَوْعَ النَّوَى  | لكننى أَجْرِى على بُغْيَتِكَ <sup>(١)</sup>    |
| فلا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى ، إنا   | واللهِ أَشْتاقُ إلى طَلَعَتِكَ                 |
| من كَانَ مفتوناً بأبنائه           | فإننى أَمَعَنْتُ فى خَبَرَتِكَ                 |
| فاختصرِ التوديعَ أَخْذاً ، فما     | لى ناظرٌ يَقْوَى على فُرْقَتِكَ                |
| واجعلِ وصاتى نُصْبَ عَيْنٍ ، ولا   | تَبْرَحْ مَدَى الأيامِ من فِكْرَتِكَ           |
| خُلَاصَةَ العَمْرِ التى حُنَّكَتْ  | فى ساعةٍ زُفَّتْ إلى فِطْنَتِكَ <sup>(٢)</sup> |
| فللتجارِيبِ أُمُورٌ إذا            | طالعتها تَشَحَّدُ من غفلتك                     |
| فلا تَنَمَّ عن وَغِيها ساعة        | فإنها عَوْنٌ إلى يَقْظَتِكَ <sup>(٣)</sup>     |
| وكلَّ ما كَابَدَتْه فى النَّوَى    | إياك أن يكسِرَ من هِمَّتِكَ                    |
| فليس يُدْرِى أصلُ ذى غُرْبَةٍ      | وإنما تُعْرِفُ من شِيمَتِكَ                    |

من رحل من علماء الأندلس إلى الشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ ص ٦٧ طاماً . وكان أبوه محمد وزيراً جليلاً بعيد الصيت ، على الذكر ، رفيع المهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا خطوة لدى الموحدين ، وولى لهم أعمالاً كثيرة بمراكش وإشبيلية وقرطبة ، واتصلت ولايته على أعمال قرطبة ، وكان من شيوخها وأعيانها .

وكان جده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك البربر ، إلى أن استبد بها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن على هو منتم كتاب : « المغرب فى أخبار المغرب » ، وكان السبب فى تأليفه هو جده عبد الملك بن سعيد ، ثم تلمه ابنه محمد بن عبد الملك ، ثم تم ما بقى منه ابنه موسى بن محمد ، ثم أربى على الجميع فى إتمامه على بن موسى ، وقد ذكر فى خطبته أنه بدى فيه من سنة ٥٣٠ هـ ، ومنتهاه إلى غرة سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن بقرطبة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بتونس سنة ٦٨٥ هـ [١] النوى : البعد . [٢] حنكت : أجهكت . [٣] اليقظة بالتحريك وسكنه للشعر .

وكل ما يُفْضَى إِمْدَرٍ فلا  
ولا تجالِسَ مَنْ فشا جهلهُ  
ولا تجادلِ أبدأ حاسداً  
وامشِ الهَوَيْنِ مظهرًا عِفَّةً  
أفشِ التحيَّاتِ إلى أهلها  
وانطقْ بحيثُ العيُّ مستقبِحُ  
ولا تزلْ مُجْتَمِعًا طالبًا  
وكلما أبصرتَها أُمَكَّتْ  
وَلِجْ على رزقك مِنْ بابِهِ  
وَأَيَّاسُ من الودِّ لَدَى حاسِدٍ  
وَوَفِّرِ الجهدَ ، فَنَ قَصْدُهُ  
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ ، ولتكن  
ولا تكنْ تَحْقِرُ ذا رُتْبَةٍ  
وحيثما خِيَمَتْ فاقصِدْ إلى  
وللرزايا وَثْبَةً ، مَالَهَا  
ولا تَقُلْ : (أَسْلَمُ لِي وَحَدَقِي)  
والتَزِمِ الأحوالَ وَزَنًا ولا  
ولتجعلِ العقلَ مُحْكَمًا ، وخذ  
واعتبرِ الناسَ بِالْفَاضِلِ

تجعلُه في الغربَة من إرْبَتِكَ<sup>(١)</sup>  
وَأَقْصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ في صَنَعَتِكَ  
فإنه أَدْعَى إلى هَيْبَتِكَ  
وَأَبْغِ رِضا الأَعْيُنِ عن هَيْبَتِكَ  
وَنَبِّهِ الناسَ على رُتْبَتِكَ  
واصمُتْ بِحَيْثُ الخَيْرُ في سَكَتِكَ  
من دهرِكَ الفُرْصَةِ في وَثْبَتِكَ  
ثَبِّ واثِقًا بالله في مَكْنَتِكَ<sup>(٢)</sup>  
وَأَقْصِدْ لِمَا عِشْتَ في بُكْرَتِكَ  
ضِدِّ ، وَنَافِسُهُ على خُطْبَتِكَ<sup>(٣)</sup>  
قَصْدُكَ لا تَعْتَبُهُ في بِنْفُصَتِكَ  
تَكْسِرُ عندَ الفخرِ من حَدَّتِكَ  
فإنه أَنْقَعُ في غُرْبَتِكَ  
مُحِبَّةٍ من ترجوه في نُصْرَتِكَ  
إلا الذي تَذَخَّرُ من عُدَّتِكَ  
فقد تُقَاسِي الذلَّ في وَحْدَتِكَ  
ترجِعْ إلى ما قامَ في شَهْوَتِكَ  
كَلًّا بما يَظْهَرُ في تَقَدُّتِكَ  
وَأُصْحَبْ أَخَا يَرْغَبُ في مُحِبَّتِكَ

[١] الإربة : الحاجة . [٢] المكنة بفتح فسكون : التمكن والقدرة ، وسكنه للشعر .

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحته « وأياس » وبه يستقيم المعنى .

بعد اختبارٍ منك يَقْضِي بما  
 كم من صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصِيحَةٍ  
 إياك أن تَقْرَبَهُ ، إنه  
 وَأَقْنَعُ إذا ما لم تجد مَطْمَعًا  
 وَأَنْتُمْ نَحْوُ النبت قد زارَهُ  
 وإن نَبَا دهرٍ فَوَطَّنْ له  
 فكل ذى أمرٍ له دولةٌ  
 ولا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا  
 والشرَّ مهما أَسْطَعْتَ لا تَأْتِيهِ  
 يَحْسُنُ في الآخِذِ من خِلَاطِكَ<sup>(١)</sup>  
 وَفِكْرُهُ وَقَفَّ على عَثَرَتِكَ  
 عَوْنٌ مع الدهر على كَرْبَتِكَ  
 وَأَطْمَعُ إذا أُنْعِشْتَ من عُسْرَتِكَ  
 غِيبُ النَّدَى ، واسمُ إلى قدرَتِكَ  
 جَأَشَكَ ، وانظرهُ إلى مُدَّتِكَ  
 فَوَفَّ ما وَاثَاكَ في دولَتِكَ  
 تَذَكَارُهُ يُذَكِّرُ لِي لَظَى حَسْرَتِكَ  
 فَإِنَّهُ حَوَزَ على مُهْجَتِكَ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

يا بُنَيَّ الذي لا ناصح له مثلى ، ولا منصوح لى مثله ، قد قدمت لك في هذا  
 النظم ما إن أخطرتَه بخاطرك في كل أوان ، رجوتُ لك حسن العافية إن شاء  
 الله تعالى ، وإن أخفَّ منه للحفظ ، وأعْلَقَ بالفكر ، وأحقُّ بالتقدم قول الأول :

١ يَزِينُ الغريبَ إذا ما اغْتَرَبَ ثلاثٌ ، فمنهن : حُسْنُ الأدبِ  
 وَثَانِيَةٌ : حُسْنُ أَخْلَافِهِ وَثَالِثَةٌ : إِيْتِنَابُ الرِّيبِ

وإذا اعتبرت هذه الثلاثة ، ولزمتها في العربة ، رأيتها جامعة نافعة ، لا يَلْحَقُكُ  
 إن شاء الله مع استعمالها نَدَمٌ ، ولا يفارقك بِرٌّ ولا كَرَمٌ ، والله دَرُّ القائل :  
 يُعَدُّ رَفِيعَ القومِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وإن لم يكن في قومه بحسيب

[١] الخلطة مثل العشرة وزنا ومعنى ، والخلطة بالصم : اسم من الاختلاط ، مثل الفرقة من الافتراق .  
 [٢] حازه حوزا : جمعه وضمه وامتلكه كاحتازه احتياراً ، والمعنى : ألك إن أتيت الشر استحوذ على  
 نفسك وتملكك .

إِذَا حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِمَقْلِهِ وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَدَةٍ بِغَرِيبٍ  
وَمَا قَصَّرَ الْقَائِلُ حَيْثُ قَالَ :

وَاصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تَعَاشِرُهُ وَدَارِهِ ، فَالْيَيْبُ مَنْ دَارَى  
وَاتَّخَذَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمَثَلَ الْأَرْضِ كُلَّهَا دَارًا  
وَأَصْغَرَ يَا بُنَى إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup> ، وَسَلَّمِ الْكَرَمَ وَالصَّبْرَ :

وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ<sup>(٢)</sup>  
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ ، وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ ، وَلَتَكُنْ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ  
فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : « وَكَانَ كُلُّ طَرَأٍ<sup>(٣)</sup> عَلَى مَلِكٍ ، فَكَأَنَّهُ مَعَهُ وَلَدٌ ، وَإِلَيْهِ قَصْدٌ ،  
غَيْرَ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ ، وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ » ، وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى  
صَحْبَةٍ مَنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْعَلِ التَّكْلِفَ لَهُ سُلْمًا ، وَهَبْ فِي رَوْضِ  
أَخْلَاقِهِ هَبُوبَ النَّسِيمِ ، وَخُلْ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ<sup>(٥)</sup> ، وَانْزِلْ بِقَلْبِهِ نَزُولَ الْمَسْرَةِ ،  
حَتَّى يَتِمَّ لَكَ وَدَادُهُ ، وَيَخْلُصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ ، وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ ،  
وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ ، وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحْسُودَ لَأَمٍ مِنْهُ ، يَرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ ،  
أَوْ حُسُودَ لَهُ يَفَارُ لَتَجْمُلَهُ بِصَحْبَتِكَ ، وَمَعَ هَذَا فَلَا تَفْتَرَّ بِطُولِ صَحْبَتِهِ ، وَلَا تَتَمَهَّدْ  
بِدَوَامِ رَقْدَتِهِ ، فَقَدْ يَذْبُحُ الزَّمَانُ ، وَيُغَيِّرُ مِنْهُ الْقَلْبَ وَاللِّسَانَ ، وَلِذَا قِيلَ : « إِذَا  
أَحْبَبْتَ فَأَحْبِبْ هَوْنًا مَّا ، فِي الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْقَلِبَ الصَّدِيقُ عَدُوًّا ، وَالْعَدُوُّ صَدِيقًا »  
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مَعْيَارًا ، وَكَانَ كَالْمَرَاةِ يَلْتَقِي كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ ، وَجَعَلَ  
نُصْبَ نَازِلِهِ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ :

[١] يَتِيمٌ : دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ : أَيْ لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٌ يَزِيدُ نَظِيرُهُ فَهُوَ يَتِيمٌ .  
[٢] نَبَاتٌ بِهِ مَنْزِلُهُ : إِذَا لَمْ يُوَافِقْهُ . [٣] طَرَأَ عَلَيْهِمْ كُنْعٌ : أَتَاهُمْ مِنْ مَكَانٍ ، أَوْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ لِحَاقَةٌ .  
[٤] الضَّمِيرُ فِيهِ يَعُودُ عَلَى « قَلْبِكَ » . [٥] الْوَسْنُ : النَّعَاسُ .

ولما صار ودّ الناس خيباً جزيتُ على ابتسام بابتسام<sup>(١)</sup>

وفي أمثال العامة : « من سَبَقَكَ يوم فقد سبقك بعقل » ، فاحْتَذِ بِأَمْثَلَةٍ مِنْ جَرَّبَ ، واستمعِ إلى ما خَلَدَ الماضون بعد جهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنَ الْأَقْوَالِ ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزُبْدَةُ تجاربهم ، ولا تَكِلْ على عقلك ، فإن النظر فيما تَعِبَ فيه الناس طول أعمارهم ، وابتاعوه غالياً بتجاربههم ، يُرْبِحُ بِحُكِّهِ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصاً ، وإن رأيت مَنْ لَهُ مُرُوءَةٌ وَعَقْلٌ وَتَجْرِبَةٌ ، فاستفِدْ مِنْهُ ، ولا تَضِيعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ ، فَإِنْ فِيمَا تَلَقَّاهُ تَلْقِيحاً لِعَقْلِكَ ، وَحِثّاً لَكَ وَاهْتِدَاءً .

وإياك أن تعمل بهذا البيت في كلِّ موضع : وَالْحُرُّ يُخَذِّعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدهم : ما قيل أضرُّ من هذا البيت على أهل التجمل ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسُنُ بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقاً لِعَقْلِكَ ، مُصْلِحاً لِحَالِكَ ، فراعِ ذلك عندك ، وإلا فانبِذْهُ نَبْذَ النِّوَاةِ ، فليس لكل أحد يُتَبَسَّمُ ، وَلَا كل شخص يُكَلَّمُ ، وَلَا الجود مما يُعَمُّ بِهِ ، وَلَا حُسْنُ الظنِّ وَطِيبُ النَّفْسِ مما يعامل به كل أحد ، والله درّ القائل :

وَمَالِي لَا أَوْفِي الْبَرِيَّةِ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وإياك أن تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ : فلا تعامل الدُّونَ بِمَعَامَلَةِ الْكَفِّ ، وَلَا الْكَفِّ بِمَعَامَلَةِ الْأَعْلَى ، وَلَا تَضِيعْ عَمْرَكَ فِيمَنْ يَعَامَلُكَ بِالْمَطَامَعِ ، وَيُثْبِتُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ ، بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ ، واسمع قول الأول :

وَبِعْ آجِلاً مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِلْ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفُهِمْ بِالْجُمْلَةِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا ضَجَرٌ وَلَا جَفَاءٌ ،

ولا تقل أيضاً : أقعدُ في كِسْرِيَّتِي ، ولا أرى أحداً ، وأستريح من الناس ، فإن ذلك كسل دافع إلى الذل والمهانة ، وإذا علم عدوك أو صديق منك ذلك ، عاملاك بحسبه ، فاذراك الصديق ، وجسر عليك العدو ، وإياك أن يفرك صاحب عن أن تدخر غيره للزمان ، وتطيعه في عداوة سواء ، ففي الممكن أن يتغير عليك ، فتطلب إعانة غيره عليه ، أو استغناء عنه ، فلا تجد ذخيرة قدّمتها ، وكان هو في أوسع حال ، وأعلى رأي ، بما دبره بحيلته في انقطاعك عن غيره ، فلو اتفق لك أن تصحب من كل صناعة وكل رئاسة ، من يكون لك عُدَّةً ، لكان ذلك أولى وأصوب ، وسلني فإني خير ، طال - والله - ما صحبتُ الشخص أكثرَ عمرى ، لأعتمد على سواء ، ولأعتدّ لإيائه ، منخدعا بسراجه ، موثوقاً في حبائل خطابه ، إلى أن لا يحصل لي منه غير العصف على البنّان ، وقول : لو كان ولو كان ! ولا يحملنك أيضاً هذا القول أن تظنه في كل أحد ، وتمجّل المكافأة ، وليكن حسن الظن بمقدار ما ، واصبر بمقدار ما ، والفطن لا تخفى عليه تخايل الأحوال ، وفي الوجوه دلالات وعلامات ، وأصغر إلى القائل :

ليس ذا وجهٍ من يضيف ولا يقف - رى ولا يدفع الأذى عن حريم<sup>(١)</sup>  
فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه قولٌ وجهك عنه قبلةٌ ترضاها ، ولتحرص  
جهدك على أن لا تصحب أو تخدم إلا ربَّ حشمةٍ ونعمة ، ومن نشأ في  
رفاهية ومروءة ، فإنك تنام معه في مهاد العافية ، وإن الجياد على أعراقها<sup>(٢)</sup>  
تجرى ، وأهل الأحساب والمروءات يتركون منافعهم متى كانت عليهم فيها

[١] ضافه يضيفه : نزل به ضيفاً ، وقرى الضيف كرمى : أحس إليه .

[٢] الأعراق جمع عرق بالكسر وهو الأصل .

وَصَمَّةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرَبَ مُصْعَبُ الْحِمَرِ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لو عَلِمَ مُصْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مِرْوَةَ مَا شَرِبَهُ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يابنى ، وقد عانت أن الدنيا دار مفارقة وتغيير ، وقد قيل : « أَصْحَبُ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فتى فارقت أحداً فَعَلَى حُسْنَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ » ، وإياك والبيت السائر :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما يَنْبَغُ لَكَ الْقَائِلُ : « كُلُّ مَا تَعْرِسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ » وقول الآخر : « ابْنُ آدَمَ يَتَمَسَّكُنُ حَتَّى يَتِمَّ كُنْ » وفول الآخر : « ابْنُ آدَمَ ذَنْبٌ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإياك أن تثبت على صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُحْبَتَهُ ، فجأوبه : « إِنْ الصُّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقٌّ فِي يَدِكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ <sup>(١)</sup> » ، وأستمل <sup>(٢)</sup> مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَفْقَدُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسُنِ وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة بالتحريك ، وملكاً مثلث الميم ، ومملكة مثلث اللام : احتواء قادراً على الاستعداد به .

[٢] من استملته الكتاب : سأله أن يمليه على ، والمعنى : استرشد وتبين من نظرات عينه . أحبب لك هو أم مدو .

يضرك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السلم ، وبالأنين يُعرف ألم الجرح ،  
واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وأكذ ما أوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

واقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نعمة

إذ الأفكار تجلب الهموم ، وتضاعف الغموم ، وملازمة القطوب ، عنوان  
المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو المجانب ، ولا  
تض بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، والله درّ القائل :

إذا ما كنت للأحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم ؟

مع أنه لا يرد عليك الفاتية الحزن ، ولا يرعى بطول عتبك الزمن ، ولقد  
شاهدت بغير ناطة شخصاً قد ألفت الهموم ، وعشيقته الغموم ، من صغره إلى  
كبره ، لا تراه أبداً خلياً من فكره ، حتى لُقّب بصدر الهم ، ومن أعجب ما  
رأيت منه أنه يتكبد في الشدة ، ولا يتعل بأن يكون بعدها فرج ، ويتكبد في  
الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .

ويُنشد : توقع زوالاً إذا قيل تم ، ويُنشد : وعند التناهي يقصر المتطاوُل .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا ثمرة نخسور يمر ضياعاً .  
ومتى رفعك الزمان إلى قوم يذمّون من العلم ما تُحسِنُه حسداً لك ، وقصداً  
لتصغير قدرك عندك ، وترهيداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن ترهد في علمك ،  
وتركّن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحجلة<sup>(١)</sup>

[١] الجبل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالقفا أحمر المقار والرجلين ، والراحدة حجلة ، واسم جمه

حبالى بكسر فسكون ففتح ولا نظير له سوى ظربي ( ومفرده ظربان بفتح فكسر وهو دويبة منقنة الريح )

فَإِنْ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ فَصَعُبَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَنَسِيَهُ ، فَبَقِيَ مُخْبَلًا  
الْمَشْيَ ، كَمَا قِيلَ :

إِنْ الْغَرَابُ ( وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً ) فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ (١)

حَسَدَ الْقَطَا ، وَأَرَادَ يَمْشِي مِشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ (٢)

فَأُضِلَّ مِشْيَتَهُ ، وَأَخْطَأَ مِشْيَهَا فَلِذَاكَ سَمَّوْهُ أَبَا مِرْقَالٍ (٣)

وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ : « مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا  
كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ ، وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاخُ فِيهِ » ، فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ،  
أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْجِرْمَانُ ، وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ لِلْهَوَانِ ، وَأَبْرَمُوا (٤)  
عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَمَقْتُوهُمْ ، وَعَجَزُوا عَنْ طَلِبِ الْأُمُورِ مِنْ وَجْهِهَا ، فَاسْتَرَاخُوا  
إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْأَعْذَارِ لَأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ ، وَتَعْذِيرِ أُمُورِهِمْ ،  
وَلَا تُزِلُّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

إِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ

فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَقَوْلِ الْآخِرِ :

تِهْ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْسَرُ ، وَانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَثْرَى (٥)

كَالْغَصَنِ يَسْفُلُ مَا أَكْتَمَى ثَمَرًا ، وَيَعْلُو مَا تَعَرَّى

[١] هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ مُثَبَّتًا فِي الْأَصْلِ ، وَقَدْ أوردَ الدِّمِيرِيُّ مَعَ الْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ

الْكَبْرِى ٢ : ٢٤٤ . [٢] الْعُقَالُ : دَاءٌ فِي رِجْلِ الدَّابَّةِ إِذَا مَشَى ظَلَعَ سَاعَةٌ ثُمَّ انْبَسَطَ .

[٣] مِنْ أَرْقَاتِ الدَّابَّةِ إِذَا أَسْرَعَتْ . [٤] أوردَ الْفِعْلَ لِأَزْمَا وَهُوَ مُتَعَدٌّ ، حَاءٌ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ :

« أَبْرَمَهُ فَبَرَمَ كَفَرَحَ وَتَبَرَّمَ : أَمَلَهُ فَلَّ » . [٥] أَقْتَرُ : انْقَطَرَ .

لا قول الآخر :

الخير يَبْقَى وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أَخْبَثُ ما أوعيتَ مِنْ زاد

واعتقد في الناس ما قاله القائل :

وَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ      وَمَنْ يَفْوَ لَا يَعْدَمُ عَلَى النَّفَى لَأَمَّا

وقريب منه قول القائل :

بقدر الصَّعُودِ يَكُونُ الْمَهْبُوطُ      فَإِيَّاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَةَ

وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَتْ      تَقُومُ وَرَجْلَاكَ فِي عَافِيَةٍ

وَتَحْفَظُ بِمَا تَضُمُّهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّتِهِ      ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

ولله درّ القائل :

مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا      فَإِذَا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِي

وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا لَذَى اللَّبِّ الْحَكِيمِ ، وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،

وَالْفِطْنُ يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ ،

لَا رَبَّ سِوَاهُ . ( فتح الطيب ١ : ٤٩٣ )

٢٠ — خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف ( توفي سنة ٧٢٨ هـ )

وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات <sup>(١)</sup> خطبة ألغيت الألف من

حروفها على كثرة تردها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب المتصوف ، من أهل بلش مالقة ولد سنة ٦٤٩ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجالسه أكثر الأحيان بخطب غريبة ، يطبق بها مفاسل الأغراض التي يشرع فيها ، وينظم الشعر دائماً في مراجعته ومحاضراته ولما جازته من غير تأن ولا روية ، حتى اعتاده ملكه ، واستعمل في السفارات بين الملوك لسحق السخام ، وإصلاح الأمور ، فكانوا يوجبون حقّه ، ويكثرون بركته ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِدَتْ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ مَحْمُودٌ ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٌ ، وَنَزَّهْتُهُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كَفُورٍ ، وَقَدَّسْتُهُ عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُفْسِدٍ غُرُورٍ . كَبِيرٌ لَوْ تَقَوَّمُ فِي فَهْمٍ لِحَدٍّ <sup>(١)</sup> ، قَدِيرٌ لَوْ تَصَوَّرُ فِي رَسْمٍ لِحَدٍّ <sup>(٢)</sup> ، لَوْ عَرَّتَهُ <sup>(٣)</sup> فِكْرُهُ تَصَوُّرٌ لَتَصَوَّرَ ، وَلَوْ حَدَّتْهُ فِكْرُهُ لَتَقَدَّرَ <sup>(٤)</sup> ، وَلَوْ فَهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ ابْطَالِ قِدَمِهِ ، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لِحْصَالِ عَدَمِهِ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لَقُطِعَ بَتَجَسُّمِهِ ، وَلَوْ قَهَرَ وَصَفَ لَصُدِعَ <sup>(٥)</sup> بَتَقَسُّمِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَبَحٌ لَرَهِقَهُ <sup>(٦)</sup> كَيْفٌ . عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قُطِرَ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكِرَ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُنْسِكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذَرِكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَوِضٍ يُلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَرَضٍ يُلْحَقُهُ <sup>(٧)</sup> ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَجْمَعُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ، لَوْ وَجَدَ لَهُ جِنْسٌ لَعُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ <sup>(٨)</sup> ، وَلَوْ ثَبَتَ لَهُ حِسٌّ لَنُوزِعَ فِي دَيْئُومِيَّتِهِ <sup>(٩)</sup> .

ومنها : تَقَدَّسَ وَعَزَّ فَعْلُهُ ، وَتَنَزَّاهُ عَزَّ اسْمُهُ وَفَضْلُهُ ، جَلَّ قَاهِرُ فِدْرَتِهِ ، وَعَزَّ بَاهِرُ عِزَّتِهِ ، وَعَظُمَتْ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مَنَنِتُهُ ، فَتَقَى وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَأَصَرَ وَخَذَلَ ، حَمَدَتْهُ حَمْدٌ مِنْ عَرَفَ رَبَّهُ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ ، وَصَفَّتْ حَقِيقَةُ يَقِينِهِ قَلْبَهُ ، وَزَكَّتْ <sup>(١٠)</sup> بِصِيرَةِ دِينِهِ لُبَّهُ ، رَبَطَ سِلَاقَ سَلَوَكِهِ

[١] أى لعرف ، من الحد : وهو التعريف . [٢] من التحديد ، أى لصارت له ذات محدودة ، ولو أنه قال : « قديم » بدل « قدير » لناسب أن يقول بعده : « لحد » بالجيم المفتوحة أى لصار جديداً حادثاً . [٣] عرته : أى اعترته وتناواته ، وفى الأصل « عدته » بالدال وأراه محرماً ، وتصوّر أى تمثل فى صورة ، يقال : صورته فتصوّر . [٤] اتقدّر : أى صار له قدر مجسم ، وفى الأصل « لتعدّر » وأراه محرماً . [٥] صدع به : جهر . [٦] رهقه : غشيه ولحقه .

[٧] يلحقه الأول : أى يناله وبأخذه ، ويلحقه الثانى بمعنى يتصف به .

[٨] القيوم : من أسمائه تعالى ، أى الذى لا يند له . [٩] الديومة : الدوام .

[١٠] زكت : طهرت .

وَشَدَّ<sup>(١)</sup>، وَهَدَمَ صَرَحَ عُدُوَّهُ وَهَدَّ<sup>(٢)</sup>، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ<sup>(٣)</sup>، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّتِهِ<sup>(٤)</sup> وَرَذَلَهُ<sup>(٥)</sup>، عِلِمَ عِلْمَ تَحْقِيقٍ فَهَذَا نَحْوُهُ، ثَقَرَّ لَهُ عِزٌّ وَجَلَّ بَثْبُوتُ رُبُوبِيَّتِهِ وَقَدَمُهُ، وَنَعْتَقَدُ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضٍ عَنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشْهَدُ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَّي رَبُّهُ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ، رَسُولُهُ وَخَيْرُ خَلْقِهِ، وَنُعَلِّنُ بِنَهْوضِهِ فِي تَبْيِينِ فَرَضِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرْعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةِ شَرْعِهِ فَنَسَخَتْ كُلَّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَتْ عِزِّمَتَهُ فَقَطَعَ عُدُوَّهُ خَيْرَ قَعٍ، قَوِّمَ كُلَّ مَقُومٍ بِقَوِّيمِ سُنَّتِهِ، وَكَرِّمَ هَدْيِهِ، وَبَيَّنَّ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرْكَنُونَ<sup>(٦)</sup>، فَفَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَعْيِهِ، بِشَرِّ مُطِيعَةٍ فَظْفَرِ بُرَحْمَتِهِ، وَحَذَرِ حَاصِيَةِ فَشَقِّ بِنِقْمَتِهِ .

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون ، وهديتكم لو كنتم تعلمون ، بُصِّرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نَشْرِكُمْ ، وَبَرَزَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ حَشْرِكُمْ ، فَكَمْ تَرْكُضُونَ فِي طَلْقِ<sup>(٥)</sup> غَفْلَتِكُمْ ، وَتَنْفُلُونَ عَنْ يَوْمِ بَعْثِكُمْ ، وَلِلْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عِزْمٌ غَيْرُ مَعْلُولٍ ، فَكَيْفَ بَكُمُ يَوْمَ يَأْخُذُ كُلُّ بَذَنَبَةٍ ، وَيُخَبَّرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيَفْرَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْدَمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَسْتَفِلُّ بِهِمَّةً وَكَرْبَةً ، عَنْ صَدِيقِهِ وَتَرْبَةٍ ، وَتُنْشَرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَتَعَيَّنَ لَهُ بُقْعَةٌ ؟ فَرَبِحَ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتَرَسَّلَ فِي رَضَىِّ عَمَلِ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَكَسَّرَ صَنْمَ شَهْوَتِهِ ، لِيَقَرَّ فِي بُحْبُوحَةٍ<sup>(٧)</sup> قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرقاً عن « شد » إذ هي التي تلاثم قوله قبلها « وربط » .

[٢] الغرة : العملة . [٣] ردله وأرذله : عدّه رذلاً .

[٤] ركن إلى الشيء ركوناً : مال إليه واطمأن ، أي بين لهم كيف يركنون إلى الحق والصواب ،

وقد كانوا من قبله يعمهون في ضلالتهم ويخطئون .

[٥] يقال : جرى الفرس طلقاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوطين . [٦] الرمس : القبر .

[٧] بحبوحه المكان : وسطه .

ومنها : فَتَنَّبَهُ - وَيَحْكُ - مِنْ سِنَتِكَ وَنَوْمِكَ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ مُصْحَبِكَ وَقَوْمِكَ ، هَتَفَ بِهِمْ مَنْ تَعَلَّمَ ، وَشَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ حَرَقٌ <sup>(١)</sup> مُظْلِمٌ ، نَخَرَبَتْ بِصِيَحَّتِهِ رِبْوَعُهُمْ ، وَتَفَرَّقَتْ لَهْوَلُهُ جُجُوعُهُمْ ، وَذَلِكَ عَزِيزُهُمْ ، وَخَسِيٌّ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمٌّ سَمِيعُهُمْ ، نَخَرَجَ كُلَّ مِنْهُمْ عَنْ قَصْرِهِ ، وَرُمِيَ غَيْرَ مُوسَى فِي قَبْرِهِ ، فَهُمْ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي رَوْضَةٍ مُقَرَّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي حُفْرَةٍ مُعَذَّبٍ ، فَنَسْتَوْهَبُ مِنْهُ عِزًّا وَجَلًّا عِصْمَةً مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةً تَبْقَى مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةٍ .

( الإحاطة ، في أخبار غرناطة ١ : ١٥٤ )

## ٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض <sup>(٢)</sup> خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال : « الحمد لله الذي افْتَتَحَ بِالْحَمْدِ كَلَامَهُ ، وَبَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ أَحْكَامَهُ ، وَمَدَّ فِي آلِ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءِ مَائِدَةَ الْأَنْعَامِ لِيُتِمَّ إِنْعَامَهُ ، وَجَعَلَ فِي الْأَعْرَافِ أَنْفَالَ تَوْبَةِ يُونسَ وَأَلْرَ كِتَابِ أُحْكِمَتِ آيَاتُهُ ، بِمَجَاوِرَةِ يوسُفَ الصَّدِّيقِ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ ، وَسَبَّحَ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَجَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، لِيُؤْمِنَ أَهْلُ الْحِجْرِ <sup>(٣)</sup> أَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُظَاهَمُونَ قَوْلَامَهُ ، وَجَعَلَ فِي حُرُوفِ كَهْيَعَصَ سِرًّا مَكْنُونًا ، قَدَّمَ بِسَبَبِهِ طَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، لِيُظْهَرَ إِجْلَالُهُ وَإِعْظَامُهُ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ حَتَّى حَبَّجَ الْمُؤْمِنُونَ

[١] الحرق : الذار ولهبا .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى ولد سنة ٤٧٦ هـ ، بسبته - بلد بمراكش على الساحل الشمالي - ودخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له به كبير عناية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي النحو واللغة ، واستقصى ببلده سبته ، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ ، قال المقرئ بعد أن أورد هذه الخطبة : « وفي نفسى من نسبتها له شيء ، لأن نفس القاضي في البلاغة أعلى من هذه الخطبة ، والله تعالى أعلم » .

[٣] واد بين المدينة والشام ، وهو منازل محمود .

بَنُورِ الْفُرْقَانِ ، والشعراء صاروا كالنمل ذُلاًّ وَصَغَاراً لِعَظَمَتِهِ ، وظهرت قَصَصُ الْعَنْكَبُوتِ فَأَمِنَ بِهِ الرُّومُ ، وَأَيَقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَاقِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَوْضَحَ لِقَمَانُ الْحِكْمَةِ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّاهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذُلًا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ يُسَى صُلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَأْيِيدِ الصَّافَّاتِ <sup>(١)</sup> ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ بَذَرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صِنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِ <sup>(٢)</sup> مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ شَأَلَتْ بِهِمُ النَّامَةُ <sup>(٣)</sup> ، وَغَفَرَ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ لِلْبَدْرِيِّينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَأَيْسَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَزْرَمَ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَشَغَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ عَنْ دُخَانِ الدُّنْيَا ، فَجَثُّوا أَمَامَ الْأَخْقَافِ <sup>(٤)</sup> لِقِتَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، فَأَعْطَوْا الْفَتْحَ وَبُوءُوا حُجْرَاتِ الْجَنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا : قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ الذَّارِيَاتِ <sup>(٥)</sup> وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ الْحَقِيقَةِ ، وَانْشَقَّ لَهُمْ قَمَرُ الْيَقِينِ ، فَنَافَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَمَّنُّهُمْ الرَّحْمَنُ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزُمَ الْمَجَادِلُونَ ، وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِبُونَ يُبْنُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحَنَتِهِ صَفُوفُ الْجَمْعِ فِي نَفَقِ التَّغَابُنِ ، فَطَلَّقَ الْحُرُمَاتِ حِينَ اعْتَبَرَ الْمَلِكُ وَعَامَهُ ، وَقَدْ سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَاقَّةِ <sup>(٦)</sup> وَالْمَعَارِجِ يَمِينَهُ

[١] الْمَلَائِكَةُ تَصِفُ نَفْسَهَا لِلْعِبَادَةِ . [٢] الْقَلْبُ : الْبُتْرُ .

[٣] شَأَلَتْ لَدَاتِهِمْ : خَفَّتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْهُمْ ، أَوْ تَفَرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ ، أَوْ ذَهَبَ هُزْمُ .

[٤] وَادَّ بِالْمِنْ بِه مَنَازِلُ مَا د . [٥] الذَّارِيَاتِ : الرِّيحُ تَدْرُو التَّرَابَ وَغَيْرَهُ .

١٠٠ ١١١ ١٢٢ ١٣٣ ١٤٤ ١٥٥ ١٦٦ ١٧٧ ١٨٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦

وَرِثَالَهُ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ ، وَقَدْ نَاحَ نُوْحُ الْجِنِّ فَتَزَمَّلَ <sup>(١)</sup> وَتَدَثَّرَ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْأَنْقِطَارِ التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، فَوَرَبَّ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبَيِّنُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْفَكِّينَ دَهْرَهُمْ ، أَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّائِلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ <sup>(٢)</sup> لِيُطْفِئُوا نَوْرَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ التَّكَاثُرُ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْهُمَزَةَ ، وَتَمَثَّلُوا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءُوسِهِمُ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُوْثَرُ <sup>(٣)</sup> مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُذِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعُدِلَ بِهِمْ عَنْ لَهَبِ الطَّامَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرَأُوا وَسَعَدُوا ، وَبِرَبِّ الْفَلَقِ <sup>(٤)</sup> وَالنَّاسِ ، اسْتَعَاذُوا فَأَعِيدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَهُمْ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكَرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ حَمَامَةٌ . ( نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ٣٩١ )

## ٢٢ — خُطْبَةُ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَقْرِي الَّتِي ضَمِنَهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ <sup>(٥)</sup> خطبة على هذا النمط نصّها :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَتَحَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، لِيُصْطَفِيَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ

[١] تَزَمَّلَ بِثِيَابِهِ : تَلَفَفَ بِهَا ، وَكَذَا تَدَثَّرَ .

[٢] الْحِيلُ تَعْدُو فِي الْغَزْوِ ، وَالْقَارِعَةُ الَّتِي تَفْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا .

[٣] الْكُوْثَرُ : نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ . [٤] الْفَلَقُ : الصُّبْحُ .

[٥] هُوَ سَعِيدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَقْرِي عَمُّ أَحْمَدَ الْمَقْرِي صَاحِبِ نَفْحِ الطَّيِّبِ .

رجالاً ونساءً، وفضلهم تفضيلاً، ومدة مائدة إنعامه ورزقه، اعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً من كربته وحزنه، كما خلص يوسف من جُبّه وسجنه، وسبّح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلاً، الذي جعل في حجر الحِجر من النحل شرباً نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتخذ منه كهفاً قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلاً، وفضل طه على جميع الأنبياء، فأتى بالحج والكتاب المكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصدق محمداً صلى الله عليه وسلم الذي عجزت الشعراء في صدق نعمته، وشهدت النمل بصدق بعثته، ويين قصص الأنبياء في مدة مكثه، ونسج العنكبوت عليه في الغار سِتراً مسدولاً، ومثلت قلوب الروم رعباً من هيئته، وتعلم لقمان الحكمة من حكيمته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزم الأحزاب وسبّاهم وأخذهم أخذاً ويلاً، فلقّبهُ فاطرُ السموات والأرض ييساً، كما نفذ حكمة في الصافات، ويين ص صدقه بإظهار المعجزات، وفرّق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم هجراً جميلاً، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفي دخان الشرك، وخرت المشركون جاثيةً، كما أندر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلاً، وأذل الذين كفروا بشدة القتال، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجر الحِجرات الحريز، وبق القدرة قتل الخراصون<sup>(١)</sup> تقتيلاً، كلم موسى على جبل

الطُّور ، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم ، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور ، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور ، فتعجب الحديد من قوته ، وكثرة المجادلة في أمته ، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مَقِيلَا ، امتحنه في صفِّ الأنبياء وصلى بهم إماماً ، وفي تلك الجمعة مُائتِ قلوبُ المنافقين من التغابن خُسراً وإرغاماً ، فطلق وحرَّم ، تبارك الذي أعطاه الملك ، وعلم بالقلم ، ورتَّل القرآن ترتيلاً ، وعن علم الحاقة كم سأل سائل فسأل الإيمان ، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان ، وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن ، فأنزل عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » ، فكم من مُدَثِّرِ يوم القيامة شفقةً على الإنسان إذا أرسل مُرْسَلَاتِ الدمع ، فعمَّ يتساءلون أهل الكتاب ، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عبَسَ عليهم مالك وتولَّاهم بالعذاب ، وَكَوُتِ الشمس وانفطرت السماء ، وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ، فَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالغمام ، وَطُوِيَتْ ذات البروج ، وَطَرَقَ طارق الصُّور بالنفخ للقيام ، وعزَّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر ، فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويلا ، فَطُوبَىٰ لِمُصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم ، إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة ، فسجدوا بِأَقْرَأِ اسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النِّعَمِ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَتَبَتَّلُوا تَبْتِيلًا ، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا خيم ، وتسوقهم كالعاديات إلى سواء<sup>(١)</sup> الجحيم ، وزلزلت بهم قارعة العقاب ، وقيل لهم : أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ، هذا عصر العقاب الأليم ، وَخَشِرَ الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلًا ، وقالت قريش ما أمنتكم من

هول الحشر، أرأيت الذى يكذبُ بالدين كيف طُرِدَ عن الكوثر ؟ وَيَسِيقُ  
الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح ، فَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ : إذ لا يَجِدُ إلى  
سورة الإخلاص سبيلا ، فَنَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، ونعوذ بِرَبِّ  
النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذى فَسَقَ ، وتوب  
إليه وتوكل عليه وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . ( نفع الطيب ٤ : ٣٩٢ )

### ٢٣ - خطبة الكفعمي التي ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمي <sup>(١)</sup> خطبة على هذا النمط أيضا نصها :

« الحمد لله الذى شَرَّفَ النبي العربى بالسبع المثانى وخواتيم البقرة ، من بين  
الأنام ، وفضَّلَ آلَ عمران على الرجال والنساء ، بما وهب لهم من مائدة الأنعام ،  
ومنحهم بأعراف الأنفال ، وكتب لهم بَرَاءَةً مِنَ الْآثَامِ ، وأشهد أن لا إله إلا  
الله وحده لا شريك له ، الذى نَجَّى يونس وهوذا ويوسف من قومهم ، برَّعَدِ  
الانتقام ، وغَذَّى إبراهيم فى الحِجْرِ بلُعَابِ النحل ذاتِ الإسرار ، فضاهى كهف  
مريم عليها السلام ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الأنبياء ، وحجج  
المؤمنين ، ونور فرقان الملك العلام ، فالشعراء والنمل بفضله تُخْبِرُ ، ولقصص  
المنكبوت الروم تذْكَرُ ، ولقمان فى سجدته يَشْكُرُ ، والأحزاب كأيدى سَبَا  
تُقَهَّرُ ، وفاطريس لصافاته يُنْصَرُ ، وصاد مقلّة زُمَرَه تنظر الأعلام ، قَالَ خُمُ  
بِقَتَالِ فَتَحِهِ فى حُجُرَاتِ قَافِهِ قد ظَهَرَتْ ، وذَارِيَاتِ طُورِهِ ونجمه وقره قد عَطَرَتْ ،  
وبالرحمن وِاقِعُهُ حديدُه يومِ المِجَادَلَةِ قد نُصِرَتْ ، وأبصار معانديه فى الحشر يوم

[١] قال صاحب نفع الطيب فى ترجمته : « هو إبراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح نسبة إلى كافر  
عُثْمَانِ قُرْبَةٍ مِنْ قُرَى أَصْحَابِ مَدَنٍ كَمَا تَقُولُ فى النسبة لى بنى همدان دار عبدرى ، وللى حصن كيفا : حصكى » .

الامتحان حَسَرَتْ<sup>(١)</sup> ، وَصَفَ جمعته فائزٌ إذ أجساد المنافقين بالتغابن استعرت ،  
وله الطلاق والتحرير وَمَقَامُ الْمَلِكِ والقلم ، فزاهيك به من مقام ، وفي الحاقة ،  
أَعْلَى الله له المعارج نوح المطهر ، وخصه من بين الإنس والجن بِبَيِّئَاتِهَا الْمُزْمَلُ ،  
وَبَيِّئَاتِهَا الْمُذْتَرُّ ، وَشَفَعَهُ فِي الْقِيَامَةِ إذا دموع الإنسان مُرْسَلَاتٌ كَالْمَاءِ المتفجر ،  
ووجهه عند نبأ النازعات وقد عبس الوجه كَالْهَلَالِ المتنور ، ويوم التكوير  
والانفطار وهلاك المطففين وانشقاق ذات البروج بشفاعته غير متضجر ، وقد  
حُرِست لمولده السماء بالطارق الأعلى ، وتمت غاشية العذاب إلى الفجر على المرَدَّة  
اللثام ، فهو البلد الأمين وشمس الليل والضحي المخصوص بانسراح الصدر ،  
والمفضل بالتين والزيتون ، المستخرج من أمشاج<sup>(٢)</sup> الْعَلَقِ ، الطاهر العلى القدر ،  
شجاع البرية يوم الزلزال ، إذ عاديات القارعة تدوس أهل التكاثر ومشركي العصر ،  
أهلك الله به الهُمَزَةَ وأصحاب الفيل إذ مَكَرُوا وبقريش ولم يتواصوا بالحق ولم  
يتواصوا بالصبر ، المخصوص بالدين الحنيفي والكوثر السلسال ، والمؤيد على أهل  
الجد بالنصر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تبنت يداً مُعَادِيَهُ ، وَنَعِمَ بالتوحيد  
مُؤَالِيَهُ ، وما أفصح فلقُ الصبح بين الناس وامتد الظلام .

( نفع الطيب ٤ : ٣٩٥ )



[١] حسر البصر كضرب : كلٌّ فهو حسير . [٢] مشح بينهما كضرب : خلط ، والنيء مشيح ،  
والجمع أمشاج كيتيم وأيتام .

## الباب الثاني

في

### خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

#### ١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما وَلِيَ أبو بكر بن عبد الله المدينة <sup>(١)</sup> وطال مُكثُهُ عليها ، كَانَ يبلِغُهُ عن قوم من أهلها أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعاف من آخرين لهم على ذلك ، فأمر أهل البيوتات ووجوه الناس في يوم جمعة أن يقرؤوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجمعة قال :

« أيها الناس : إني قائلٌ قولاً ، فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم

---

[١] لا أعرف صاحب هذا الاسم والياً على المدينة، وإنما الذي قرأته في تاريخ الطبري أن أبا بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم الأنصاري ولي المدينة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٠ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز « انظر تاريخ الطبري ، الجزء الثامن ، حوادث السنين من ٩٦ إلى ١٠٠ » وذكر أيضاً القلقشندي في صبح الأعشى « ج ٤ : ص ٢٩٦ » أن أبا بكر بن محمد هذا ولي المدينة أيام سليمان بن عبد الملك ، والطاهر أنه صاحب هذه الخطبة ، وإني لأستأس في ذلك بقوله : « وطال مكثه عليها » فقد تولاهما خمس سنين ، وبالفرض الذي قيلت فيه الخطبة ، وأنت تذكر ما كان في العهد الأموي من اتساع دائرة الاختلاف الحزبي ، والنضال السياسي البعيد المدى ، وربما كان « عبد الله » اسماً آخر لأبيه محمد ، تسمى به تواضعاً ، وكان ذلك من عادة السلف الصالح رضوان الله عليهم كثيراً ، انظر مثلاً كتاب عمر في صلح أهل إيليا « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان » . ( الطبري ٤ : ١٥٩ ) .

يَعِهِ فَلَا يَعُدُّ مِنْ ذِمَامِهَا <sup>(١)</sup> إِنْ قَصَّرْتُمْ عَنْ تَفْصِيلِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،  
فَأَرْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ <sup>(٢)</sup> قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ،  
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ <sup>(٣)</sup> السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ »  
فَاتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا الْغَىَّ تَرْشُدُوا ، « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَمْرُكُمْ  
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخِطَهَا مِنْكُمْ ، ف « لَا تَقُوا اللَّهَ  
حَقَّ تَقَاتِهِ <sup>(٤)</sup> وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا  
تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،  
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا <sup>(٥)</sup> حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ  
مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ تَبِعَ رِضْوَانَهُ ، وَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا  
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْدينِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاخْتَارَ  
لَهُ أَصْحَابًا عَلَى الْحَقِّ ، وَوَزَّرَهُ دُونَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَهُمْ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ  
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ <sup>(٦)</sup> وَوَقَرُّوهُ ، فَلَمْ يُقْدِمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخْجِمُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ،  
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِعَهْدِهِ ، وَخُلَفَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ  
فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ  
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أَيْ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ حَرَمَتِهَا ، وَتَأْنِثُ الضَّمِيرُ فِي « ذِمَامِهَا » بِاعْتِبَارِ الْمَوْعِظَةِ أَوْ الْمَقَالَةِ .

[٢] أَيْ الزَّفَقُوهُ بِهِ . [٣] الْقَصْدُ : اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ ، أَيْ بَيَانُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْحَقِّ .

[٤] التَّقَاةُ : التَّقْوَى ، وَجَمْعُهَا تَقَى كَرَطِبَةٍ وَرَطَبٍ ، وَأَصْلُهَا وَفِيَّةٌ قَلْبٌ وَآوَاهَا الْمَضْمُومَةُ تَاءً ، كَمَا فِي تَوْدَةِ

وَتَغْمَةٍ ، وَالْيَاءُ أَلْفًا . [٥] الشِّفَا : حَرْفُ كُلِّ شَيْءٍ .

[٦] التَّمْزِيرُ : التَّفْخِيمُ وَالتَّعْظِيمُ « وَهُوَ أَيْضًا أَشَدُّ الضَّرْبِ . ضِدُّ » .

وَرِضْوَانًا ، سَيِّئَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ،  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup> ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
حَتَّى سَوْقِهِ ، يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ ، لِيَغْثِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، « فَمَنْ غَاظَهُ كُفْرًا  
وَخَابَ ، وَفَجَرَ وَخَسِرَ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ  
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَسْتَغْنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ  
رَحِيمٌ » فَمَنْ خَالَفَ شَرِيطَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَهُمْ ، وَأَمْرُهُ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي النَّفْسِ  
وَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَرَقَتْ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وَفَارَقُوا الْمَسَاهِينَ ، وَجَعَلُوهُمْ عِصِينَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَشَعَّبُوا  
أَحْزَابًا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا <sup>(٤)</sup> ، نَخَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذَوْا  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، نَخَابُوا وَخَسَرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَنْ كَانَ عَلَى يَتْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

[١] أَيْ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْكِتَابِ ، وَالشَّطْءُ : فَرَاخُ الزَّرْعِ ، فَآزَرَهُ أَيْ قَوَّاهُ ، فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ :  
أَيْ فَاسْتَغْلَظَ عَلَى أَصُولِهِ وَسَيْقَانِهِ . [٢] يُؤْثِرُونَ : يُفَضِّلُونَ وَيَقْدِمُونَ ، وَالْخَصَاصَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .  
[٣] جَمْعُ عِصَةٍ كَمَدَةٍ : وَهِيَ الْفِرْقَةُ وَالْقِطْعَةُ . [٤] أَشَابَاتُ جَمْعُ أَشَابَةٍ : وَهِيَ الْأَحْلَاطُ ، وَأَشْبَهُ  
كُفْرِهِ : خُلُطُهُ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَحَمَلٍ ، وَالْأَوْبَاشُ جَمْعُ وَبَشٍ كَسَبَبٍ : الْأَخْلَاطُ وَالسَّفَلَةُ .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ؟ « مَالِي أَرَى عِيُونًا خُزْرًا <sup>(١)</sup> ، وَرِقَابًا صُعْرًا <sup>(٢)</sup> ، وَبَطُونًا يُجْرًا <sup>(٣)</sup> ، شَجًا لَا يُسِيفُهُ الْمَاءُ <sup>(٤)</sup> ، وَدَاءٌ لَا يُشْرِبُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُتْسِرِّفِينَ ؟ » كَلَّا وَاللَّهِ ، بَلْ هُوَ الْهِنَاءُ <sup>(٥)</sup> وَالطَّلَاءُ ، حَتَّى يَظْهَرَ الْعُذْرُ ، وَيَبُوحَ السَّرُّ ، وَيَضْحَحَ الْغَيْبُ ، وَيُسَوِّسَ الْجُنُبُ <sup>(٦)</sup> ، فَإِنْ كُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا ، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُذًى ، وَيُحْكَمْ إِنْ لَيْسَتْ أَنْوِيًّا <sup>(٧)</sup> أَعْلَمَ ، وَلَا بَدْوِيًّا أَفْهَمَ ، قَدْ حَلَبْتُمْ أَشْطَرًا <sup>(٨)</sup> ، وَقَلَبْتُمْ أَبْطُنًا وَأَظْهَرًا ، فَعَرَفْتُمْ أَتْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّنْتِهِمْ ، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَعُضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذُنُونَ <sup>(٩)</sup> لَهُمْ ، وَيُصْنَعُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقْعِ الْقَوَارِعِ <sup>(١٠)</sup> ، وَطُولِ الرِّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا <sup>(١١)</sup> ، فَلَسْتُ أَعْتَنِي <sup>(١٢)</sup> آتِبًا وَلَا تَائِبًا ، « عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ »

- [١] جمع خزراء مؤنث أخزر وصف من الحزر بالتحريك ، وهو الطير في أحد الشقين .  
 [٢] الصعر بالتحريك ميل في الوجه ، أو في أحد الشقين ، أو داء في البعير يلوى عنقه منه ، صعر كفرح فهو أصعر . [٣] بحر بطنه كفرح أيضاً فهو أبجر : عظم ، والجمع بحر كحمر .  
 [٤] الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، لا يسيفه : أى لا يجعله سائماً سهلاً المدخل في الحلق .  
 [٥] الهناء : الفطران ، يريد أنه يماثلهم كما تطلّى الإبل الحربي بالفطران لمداواتها .  
 [٦] باح السر : ظهر ، وباح بسر : أظهره ، ووضع يصح واتضح واحد ، ويسوس : أى يروض ويذل ، مضاعف ساسه يسوسه . يقال : سوست له أمراً إذا روضته وذلته ، والجنب : الصعب الذى لا ينقاد . [٧] الأنوى : الغريب عن القوم . [٨] اقتبسه من المثل المشهور : « حلب الدهر أشطره » وللأفة شطران ، قادمان وآخران ، فكل خالفين شطر بفتح الشين - والحلب للناقة كالفرع للبقرة - وأشطره منصوب على البدل ، فكأنه قال : حلب أشطر الدهر ، والمعنى : اختبر الدهر وعرف خيره وشره . [٩] أذن له وإليه كفرح : استمع . [١٠] القوارع جمع فارعة : وهي الداهية الفاجئة ، والروائع جمع رائعة ، وهي المفزعة . [١١] أى هذا الذى أتهددكم به من القوارع والروائع ، لهذا الذى تخوضون فيه ، ومقرون به . [١٢] اعتنشه : ظاهه .

فَأَسْرُوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوا ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا ، فَطَالَمَا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى  
نَا كِصِينَ ، وَلَيَعْلَمَنَّ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصْرٍ أَنَّهَا وَعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ تَقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ  
إِلَى أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ ، إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلَى ، الَّتِي  
فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رَشْدِهِ ، وَمَنْ نَعِيَ فَعِنَ قَصْدِهِ ، فَهَلُمَّ  
إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تُوتَلُوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ  
أَذَنِي <sup>(٢)</sup> بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « يَدْخُلُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُنْيَاتِ <sup>(٣)</sup> الطَّرِيقِ ، فَمِنْهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،  
فَهِيَ أَسَدٌ <sup>(٥)</sup> وَأَوْرَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقَدْ أَرَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ  
إِلَّا مَا سَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » <sup>(٦)</sup>  
بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى « . رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،  
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

( نَهَايَةُ الْأَرْبِ ٧ : ٢٥٦ ، وَصِيحُ الْأَعْنَى ١ : ٢٢٠ )

[١] الَّذِي فِي كِتَابِ الْلُغَةِ : « جَدَاعُ كَسَابٍ وَقَطَامٍ : السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ تَجْدَعُ بِالْمَالِ وَتَذْهَبُ بِهِ » وَهَذِهِ  
الْكَلِمَةُ هِيَ الَّتِي يَسُوغُ أَنْ تَجْمَعَ عَلَى جَدَائِعَ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَنْتَاسِبُ الْمَقَامَ هُنَا ، فَلَمَّا لَمْ يَأْتِ « الْجَوَادِعُ »  
جَمْعُ جَادِعَةٍ : وَهِيَ الْفَاطِمَةُ ، يَرِيدُ الْمَرَاتِعَ الصَّحِيحَةَ الْحَقَّةَ لِأَنَّهَا تَقَطُّعُ الْبَاطِلَ وَتَرْهَقُهُ كَأَنَّهُ يَقُولُ : اتَّبِعُوا  
الْحَقَّةَ الْحَاسِمَةَ ، أَوْ الْجَدَائِعَ جَمْعُ جَدُوعٍ كَمَا جُوزَ صِيغَةً مَبَالِغَةً مِنْ جَادِعَةٍ ، وَفِي التَّعْلِيلِ عَلَى نَهَايَةِ الْأَرْبِ  
« وَلَعَلَّ الْجَوَامِعَ : أَيْ الَّتِي تَجْمَعُ النَّاسَ عَلَى اتِّبَاعِهَا ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ » .

[٢] أَيْ أَخْسَ وَأَدُونُ قَدْرًا ، وَأَصْلُ الدُّنُوِّ : الْقُرْبُ فِي الْمَكَانِ اسْتَعْمِرَ لِلْخُسَّةِ كَمَا اسْتَعْمِرَ الْبَعْدُ لِلشَّرَفِ  
وَالرَّفْعَةِ ، أَوْ هُوَ مُسَهِّلٌ عَنْ أَدْنَى مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَقَدْ قُرِئَ فِي آيَةِ الْكَرِيمَةِ : « أَنْتَسَبِدُونَ الَّذِي  
هُوَ أَذَنًا بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ : التَّرَهَاتُ ( جَمْعُ تَرَهَةٍ كَقَبْرَةٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ

الصَّغِيرَةُ الْمُنْشَعِبَةُ مِنَ الْجَادَةِ ، أَيْ اسْلَكُوا الطَّرِيقَ الْعَامَ طَرِيقَ الْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَعْرِجُوا فِي سَوَاهِ .

[٤] التَّرْنِيقُ : الضَّعْفُ فِي الْأَمْرِ « وَفِي الْبَصْرِ وَالْبَدَنِ أَيْضًا » ، وَالرَّهَقُ : السَّفْهُ وَالْحَقُّ وَالْحَقَّةُ ،  
وَرُكُوبُ الْمَرِّ وَالظُّلْمِ ، وَغَشْيَانُ الْحَارِمِ . [٥] أَفْعَلُ ، مِنَ السَّدَادِ . [٦] أَسْعَتُهُ : اسْتَأْصَلَهُ .

## ٢ — وصية أعمى من الأزد لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت ببِيشة<sup>(١)</sup> رجلاً من أزْد السَّراةِ أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يا سُمَيَّ ، لا يَغُرُّكَ أن فسَحَ الشَّبابُ خَطْوَكَ ، وَخَلَّى سَرَّكَ ، وَأَرْفَهَ وَرَدَكَ<sup>(٢)</sup> ، فكأنك بالكبر قد أَرَبَ ظَوْفَكَ ، وَأَثْقَلَ أَوْقَكَ ، وَأَوْهَنَ طَوْقَكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَتَعَبَ سَوْقَكَ ، فَهَدَجْتَ بعد الهَمَلَجَةِ ، وَدَجَجْتَ بعد الدَّعْلَجَةِ<sup>(٤)</sup> ، نَحْذُ من أيام التَّرفِيهِ لآيام الإِزعاج ، ومن ساعات المُهْمَلَةِ لساعة الإِعْجال<sup>(٥)</sup> ، يا ابن أخي : إن اغترارك بالشَّباب ، كالتَّذاك بِسَمَادِيرِ<sup>(٦)</sup> الأحلام ، ثم تنقشع ، فلا تتمسك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تُعرَى راحِلَةُ الصَّبَا ، وتشرب سَلْوَةً<sup>(٧)</sup> عن الهوى ، واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من قَدَّم ذخيرَةً ، وأشدَّهم اغتباطاً يوم الحسرة من أحسن سَرِيرَةً .

( الأمل : ٢ : ٣١٦ )

## ٣ — وصية رجل لآخر وقد أراد سفراً

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفراً ، فقال :

[١] بيشة : واد بطريق اليمامة . [٢] السرب : الطريق والوجه ، ورنهت الإبل كنح : وردت الماء متى شاءت ، وقد أرنهتها ورنهتها بالتشديد . [٣] أرب العقد : شدته ، والأربة بالضم : العقدة ، وظاف البير يظوفه : إذا داني بين قيديه ، والقينان بفتح القاف موضعاً القيد من الوظيف ، والأوق : الثقل ، والطوق : الوسع والطاقة . [٤] الهدجان تكفقان وغراب : مشية الشبح ، هدى كضرب ، والهملجة : سرعة في المشي ، ودج كضرب دجيجاً ، مرصراً صعيماً ، والدعلجة : ضرب من المشي ، والتردد في الذهاب والجيء ، والدحرجة . [٥] رفه عيشه ككرم فهو رفيه ورافه : مستريح متنعم ، وأرفهه الله ورفهه ترفيهاً ، ومن ساطات المهملات أي الدنيا المهملات : أي التي ستهملها وتغادرها ، وربما كانت « المهملات » [٦] السبادير : ما يترأى للإنسان في نومه من الأباطيل ، وما يترأى السكران في سكره . [٧] السلوة : اسم بمعنى السلوان . قال الأصمعي : يقول الرجل لصاحبه : « سقيني سلوة ( بالفتح ) وسلواناً ( بالضم ) » أي طيبت نفسي عاك ، وذكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرزة شفافة تدفن في الرمل فتسود فيبحث عنها ، ويسقاها الإنسان فتسليه .

« آثِرْ بِمَمْلَكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدْعَ لَشَهْوَتِكَ وَشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ  
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَعْصِمَكَ مِنَ الرَّدَى ، أَلْجِمِ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ،  
وَأَطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبَرُّ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .

( الامالى ١ : ٢٠٠ )

#### ٤ — وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :

« يَا بَنِي : لَا تَخِذْهَا حَنَانَةً ، وَلَا أَثْنَانَةً ، وَلَا مَنَانَةً <sup>(١)</sup> ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ <sup>(٢)</sup> ،

وَلَا كُبَّةَ الْقَفَا <sup>(٣)</sup> » .

( الأمل ٢ : ٢٦٠ )

#### ٥ — وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :

« أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَيْسَعَكَ يَبْتُكَ ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَابْكْ

( البيان والتبيين ٢ : ١٦١ )

عَلَى خَطِيئَتِكَ » .

#### ٦ — وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :

« لَا يَكُونَنَّ مِنْكَ الْمَحَدَّثُ وَلَا يُنْصَتُ لَهُ ، وَالِدَاخِلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ ،

[١] الحنانة : التى لها ولد من سواء فى تمنّ عليهم ، والأثانة : التى مات عنها زوجها ، فى إذا رأت الزوج الثانى أنت ، وقالت : رحم الله فلانا ، لزوجها الأول ، والثانة : التى لها مال ، فى تمنّ على زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من مالها . [٢] عشبة الدار : يريد الهجينة ، وعشبة الدار : التى تنبت فى دمنة الدار ، وحولها عشب فى يياض الأرض ، فى أنعم منه وأضخم ، لأنها غدتها الدمنة ، وذلك ( أى العشب ) أطيب للأكل رطباً وبيساً ، لأنه نبت فى أرض طيبة ، وهذه نبتت فى دمنة ، فى منتنة رطبة ، وإذا بيست صارت حتاتا ( بالضم ) وذهب قفها فى الدمنة فلم يمكن جمعه ، وذلك يجمع قفه لأنه فى أرض طيبة ( والقف بالضم : ما ييس من البقل ، وسقط على الأرض فى موضع نباته ) .

[٣] كبة القفا : هى التى يأتى زوجها أو ابنها القوم ، فإذا انصرف من عندهم ، قال رجل من جبّاء  
... ..

ولا آتَى الدعوة لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه ، ولا الطالبُ الفضل من أيدي اللئام ، ولا المتعرِّضُ للخير من عند عدوِّه ، ولا المتحمِّق في الدَّالَّة (١) .

( البيان والتبيين ٢ : ٥٨ )

## ٧ — وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والعجلة ، فإنَّ العرب كانت تَكْنِيها « أمَّ الندامة » لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يَعْلَمَ ، وَيُجِيب قبل أن يَفْهَمَ ، وَيَعْزِم قبل أن يَفْكُرَ ، وَيَقْطَع قبل أن يُقَدِّرَ ، وَيَحْمَد قبل أن يُجَرِّبَ ، وَيَذُمَّ قبل أن يَخْبُرَ ، ولن يصحب هذه الصِّفَّةَ أَحَدٌ إِلَّا صَحِبَ الندامة ، واعتزل السلامة . ( زهر الآداب ٣ : ١٩٧ )

## ٨ — وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آمُرُكَ بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إنَّ الهَوَى مِفْتَاحُ السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكلُّ أهوائك لك عدو ، وأهواها (٢) هَوَى يَكْتُمُكَ في نفسه ، وأعداها هوى يَمُتُّ لك الإثمَ في صورة التقوى ، ولن تَفْصِلَ بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يَشُوبُه وهَنٌ ، وَصِدْقٍ لا يَطْمَعُ فيه تكذيبٌ ، وَمُضَاءٌ لا يقاربه التثبُّطُ (٣) ، وَصَبْرٌ لا يَغْتَالُه جَزَعٌ ، وَنِيَّةٌ لا يتقسمها التضييعُ »

( زهر الآداب ٣ : ١٢٩ )

[١] الدالة : ما تدلُّ به على حبيبتك .

[٢] أى وأعداها . [٣] التوقف والإبطاء .

## ٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إني لأعظكم ، وإني لكثير الذنوب مُسْرِف على نفسي ، غير حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله عز وجل ، قد بَلَوْتُهَا فلم أجدها شكراً في الرِّخاء ، ولا صَبْرًا على البَلَاء ، ولو أن المرءَ لَا يَعِظُ أخاه حتى يُحْكِمَ أمرَ نفسه ، لَتُرِكَ الأمرُ بالخير والنهي عن المنكر ، ولكن محادثة الإخوان حياة للقلوب ، وجلاء للنفوس ، وتذكير من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ، وإقبالها إدبار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يومًا لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، ومُتَنَظِّرٌ غدًا لَا يَبْلُغُهُ ، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأَبْنَضْتُمْ الأملَ وَغُرُورَهُ . »  
( الأمل ٢ : ٥٧ )

## ١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وحذر بعض الحكماء صديقًا له صَحْبَهُ رجل فقال :

« اخذر فلانًا ، فإنه كثير المسألة ، حَسَنَ البحث ، لطيفُ الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أُخْرِتَ بما قدمت ، فلا تُظْهِرَنَّ له المخافة ، فيرى أنك قد تَحَرَّزْتَ ، واعلم أن من يَقْظَةُ الْفِطْنَةِ إظهارَ الْغَفْلَةِ مع شدة الحذر ، فبائه مبائة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ، فإن البحث يُظْهِرُ الْخَفِيَ الْبَاطِنَ ، وَيُبْدِي الْمُسْتَكْنَى الْكَامِنَ » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :

« من كانت فيه سَبْعُ خِصَالٍ لم يَعْدَمْ سبْعًا : من كَانَ جَوَادًا لم يَعمدِ الشرف

ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رِعاية للحقوق لم يعدم الشؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

(الأمالى ٢ : ٣٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخلِق الأبدان ، ويُجَدِّد الآمال ، وَيُقَرِّب الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظَفِر به نصيب ، ومن فاتته حزن ، قيل : فأى الأصحاب أبرُّ ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضرُّ ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : فقيم المخرج ، قال : فى قطع الراحة وبذل المجهود .

(الأمالى ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :  
« الحسد ماحِقُ الحَسَنَات ، وَالزَّهْوُ جَالِبٌ لِمَقْتِ اللَّهِ ومقت الصالحين ،  
وَالْعُجْبُ صَارِفٌ عَنِ الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعِلْمِ ، دَاعٍ إِلَى التَّخَمُّطِ <sup>(١)</sup> وَالْجَهْلِ ، وَالْبَخْلُ  
أَذْمُ الْأَخْلَاقِ ، وَأَجْلَبُهَا لِسُوءِ الْأَحْدُوْثَةِ » .

(الأمالى ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أَوْلَى النَّاسِ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَأَعْوَنُ الْأَشْيَاءِ عَلَى تَذَكِّيَةِ الْعَقْلِ

التَّعَلُّمُ ، وَأَدْلُ الْأَشْيَاءِ عَلَى عَقْلِ الْعَاقِلِ حَسَنُ التَّدْيِيرِ » . (الأمالى ١ : ٢١٧)

وقال الأصمعى : العرب تقول :

« لَا ثَنَاءَ مَعَ الْكِبَرِ ، وَلَا صَدِيقَ لَذَى الْحَسَدِ ، وَلَا شَرَفَ لِسَيِّئِ الْأَدَبِ .

قال : وكان يقال : « شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى

(الأمالى ١ : ٢٠١)

الضعفاء ، وَالْبَخْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ » .

وقال أبو علي القالى : وأملى علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياه :  
 « جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوّموك ، وإن أخطأت  
 لم يُفْتَدوك <sup>(١)</sup> ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل  
 الجهل ، فإنك إن جهلت عتفوك ، وإن زللت لم يقوّموك ، وإن أخطأت لم  
 يثبتوك » . ( الأمال ٢ : ٧٢ )

## ١٢ — رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أى عشيرتك أفضل ؟  
 قال : أتقاهم لله ، بالرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟  
 قال : أرزئهم حِلماً حين يُستجهل ، وأسخاهم حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟  
 قال : من كتم سرّه ممن أحب ، مخافة أن يُشارّه يوماً ، قال : فأيهم أكثس ؟  
 قال : من يُصلح ماله ويقتصد فى معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى  
 بشر وجهه أصدقاءه ، ويتلطّف فى مسأله ، ويتعاهد حقوق إخوانه ، فى إجابة  
 دَعَوَاتهم ، وعيادة مرّضاهم ، والتسليم عليهم ، والمشي مع جنازهم ، والنصح لهم  
 بالغيّب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عرّف ما يوافق الرجال من الحديث  
 حين يجالسهم ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت عارِضته <sup>(٢)</sup> فى اليقين ،  
 وحزم فى التوكّل ، ومنع جاره من الظلم . ( مجمع الأمثال ٢ : ١٧٨ )

## ١٣ — أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت  
 الناس ؟ قال :

[١] فنده : ضعف رأيه وخطأه . [٢] العارضة : الجلد والصرامة واللسن .

« تركت غنيهم موفوراً ، وفقيرهم مخبوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي ، لكان يسيراً » . ( الأمل ٢ : ٣٩ )

## ١٤ — كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يَضَعْنِي عندك نُحُولُ النَّبُوَّةِ ، وزوالُ الثروة ، فَإِنَّ السيفَ العتيق إذا مَسَّه كثيرُ الصَّدَأِ استغنى بقليلِ الْجِلَاءِ ، حتى يعود حَدُّهُ ، ويظهرَ فِرْنَدُهُ ، ولم أَصِفْ نفسي مُعْجَبًا ، لكن شكرًا ، قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرف ولد آدم ولا فخر » . فجهَرَ بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » .

( زهر الآداب ٣ : ٩١ )

## ١٥ — وصف الهلباجة

من أمثال العرب : « أعجز من هلباجة » وهو النُّوم الكسلان العُطْلُ<sup>(١)</sup> الجافى ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصِّحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن الأقبَعَثَرِي عنه فقال : « الهلباجة : الضعيف العاجز ، الأخرق الأحمق ، الجِلْفُ<sup>(٢)</sup> الكسلان ، الساقط لا معنى فيه ، ولا غناء<sup>(٣)</sup> عنده ، ولا كفاية معه ، ولا عمل لديه » .

[١] عطل كفرح : عظم بدنه ، ومن المال والأدب : خلا فهو عطل كقفل وعنى .

[٢] الجافى . [٣] لاغناء : لا كفاية .

وأما وصف الحضري فإن بعض بُلغاء الأمصار سئل عن الملباجة فقال :

« هو الذي لَا يَزْعَوِي لِمَعْدَلِ العاذل ، وَلَا يُصْنَعِي إِلَى وَعْظِ الواعظ ، ينظر بعين حَسُود ، وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ حَقُود ، إِنْ سَأَلَ الْخَلْفَ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ سُئِلَ سَوْفَ ، وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ زَجَرَ عَنَّفَ ، وَإِنْ قَدَّرَ عَسَفَ <sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ احْتَمَلَ أَسَفَ <sup>(٣)</sup> ، وَإِنْ اسْتَغْنَى بَطِرَ ، وَإِنْ افْتَقَرَ قَنِطَ ، وَإِنْ فَرِحَ أَشِرَ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ حَزَنَ يَثْسَ ، وَإِنْ ضَحِكَ زَارَ ، وَإِنْ بَكَى جَارَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ حَكَمَ جَارَ ، وَإِنْ قَدَّمَتْهُ تَأَخَّرَ ، وَإِنْ أَخَّرَتْهُ تَقَدَّمَ ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ لَمْ يَشْكُرْكَ ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْكَ اتَّهَمَكَ ، وَإِنْ صَارَ فَوْقَكَ قَهَرَكَ ، وَإِنْ صَارَ دُونَكَ حَسَدَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ خَانَكَ ، وَإِنْ انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ شَانَكَ ، وَإِنْ أَكْرَمَتْهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاَهُ ، وَإِنْ حَضَرَهِ قَلَاَهُ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ فَاتَمَحَتْهُ لَمْ يُجِبْهِ ، وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالوَدِّ هَجَرَ ، وَإِنْ بَدَأَ بِالْبِرِّ جَفَا ، وَإِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ الْبُيْءُ ، وَإِنْ عَمِلَ قَصَّرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وَإِنْ أَوْثَمَنَ غَدَرَ ، وَإِنْ أَجَارَ أَخْفَرَ <sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ طَاهَدَ نَكَثَ ، وَإِنْ حَلَفَ حَنَثَ ، لَا يَصْدُرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بِخَيْبَةٍ ، وَلَا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِمِخْنَةٍ . »

قال خلف الأحمر : سألت أعرابياً عن الملباجة ، فقال : « هو الأحمق

الضَّخْمُ الْقَدَمُ <sup>(٨)</sup> الأَكُولُ الذي والذي . . . ثم جعل يلتقاني بعد ذلك ، ويزيد

[١] الخ . [٢] ظلم . [٣] من أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أى لم يستطع النهوض بما حمل . [٤] أشير : مرح . [٥] صاح واستغاث . [٦] أبغضه وكرمه غاية الكراهة . [٧] أخفزه وخفر به : قضى مهده وغدره . [٨] القدم : المعنى عن الكلام في ثقل ورخاوة ، وقلة فهم ، والغليظ : الأحق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شرّ .  
( مجمع الأمثال ١ : ٢٣٦ )

## ١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بَسِيط<sup>(١)</sup> الكف ، رَحْب الصدر ، مُوَطَّأ الأَكناف ، سَهْل الخلق ، كَرِيم الطَّبَاع ، غِيثٌ مُغَوِّث<sup>(٢)</sup> ، وَبَحْرٌ زَخُور ، خُحُوك السن ، بِشِير الوجه ، بَادِي القَبُول<sup>(٣)</sup> غير عبوس ، يَسْتَقْبَلُ بِطَلَاةٍ ، وَيَحْيِيكَ بِبِشَرٍ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ غِيث ، وَجَمِيلٌ بِشَرٍ ، تُبْهِجُكَ طَلَاةُ ، وَيَرْضِيكَ بِشَرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَى مَائِدَتِهِ ، عَمْدٌ لَضِيْفَانِهِ ، غَيْرٌ مَلَا حِظَ لَأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَقْلِ ، خَمِيصٌ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَيِّبُ الْخَلْقِ ، مُحْصَنُ الضَّرِيْبَةِ<sup>(٦)</sup> ، مِعْطَاةٌ غَيْرُ سَأَلٍ ، كَاسٍ<sup>(٧)</sup> مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأْمَةٍ ، إِنْ سَأَلَ بَذَلَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ .  
( زهر الآداب ٢ : ٢٠٥ )

## ١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ من العرب ، فقلن : هَلُمُّنَّ نَصِفْ خَيْلَ آبَائِنَا فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسٌ أَبِي وَزْدَةٌ ، وَمَا وَرْدَةٌ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مُزَخَلَقٌ ، وَمَتْنٌ أُخْلَقَ ،

[١] أى مبسوط الكف سخى . [٢] غوث تغريثاً : قال واغوثاه .

[٣] القبول بالفتح وقد يضم : الحسن . [٤] أى ممتلئ وأصله : عظيم البطن .

[٥] خميص : خال ، وأصله : الجائع . [٦] الضريبة : الطيبة ، ومحصن : عفا

[٧] أى مكسو .

وَجَوْفُ أَخَوْق<sup>(١)</sup> ، وَنَفْسُ مَرْوَحٍ ، وَعَيْنُ طَرْوَحٍ ، وَرِجْلُ ضَرْوَحٍ ، وَيَدُ سَبَّوح<sup>(٢)</sup> ، بُدَاهَتُهَا إِهْذَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ<sup>(٣)</sup> .

وقالت الثانية :

« فرسُ أَبِي اللَّعَّابِ ، وما اللَّعَّابُ ؟ غَبِيَّةٌ سَحَابٌ ، واضطرامُّ غَابٍ ، مُتْرَصٌ الْأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَذَالِ ، مُلَا حَكُّ الْمَحَالِ<sup>(٤)</sup> ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فَظَبْنِي مَعَّاجٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَّاجٌ ، وَإِنْ أَحْضَرَ فَعَلِيجٌ هَرَّاجٌ<sup>(٥)</sup> . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أَبِي حُذَمَةٍ ، وما حُذَمَةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاءٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَخَائِفِيَّةٌ مُلَمَلَمَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَضَتْ فَذَيْبَةٌ مُعْجَرِمَةٌ<sup>(٦)</sup> ، أَرْسَاغُهَا مُتْرَصَةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحَّصَةٌ ، جَرِيَّتُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقَرُّيْتُهَا انكِدَارٌ<sup>(٧)</sup> . »

[١] الزحلق : الملس الذي كأنه زحلوقة ( بالضم ) وهي آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل ، والأخلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة المرح ، طروح بعيدة موقع النظر ، ضروح : دفوع ، يريد أنها تضرح الحمارية برجليها إذا عدت ، سبوح : كأنها تسبح في عدوها من سرعتها . [٣] بدايتها : فجاءتها ، والبداهة والبديهة واحد ، والإهذاب : السرعة ، والعقب : جرى بعد جرى ، وغلاب مصدر ، غالبته مغالبة وغلابا ، كأنها تغالب الجري . [٤] الغيبة : الدفعة من المطر ، والغاب جمع غابة وهي الأجمة ، مترس : محكم ، أتروست الشيء : أحكمته أشم : مرتفع ، القذال : معقد العذار ( والعدار من اللجام ككتاب : ماسال على خد الفرس ) ، ملاحك مداخل ( بفتح الحاء ) كأنه دخل بعضه في بعض ، والمحال جمع محالة : وهي فقار الظهر ( كسحاب جمع فقارة ) وذكر الأصمعي أنه رأى فقار فرس ميت ، فإذا ثلاث فقر من عظم واحد ، وكذا تكون العرب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جواد ، عتيد : حاضر ، معج في سيره وعمج : إذا أسرع ، والمهذج كشمس : الشيء الرويد ويكون السريع ، والعليج : حمار الوحش السمين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] حذمة : فعلة من الحزم وهو السرعة أو القطع ، فقناة مقومة تريد أنها دقيقة القدم ، وهو مدح في الإثبات ، والأنفية : المجر توضع عليه القدر ، مللمة : مجتمعة ، تريد أنها مدورة المؤخر ، لأن الأثافي تختار مدورة ، معجرة بكسر الراء اسم فاعل من المعجرة ، وهي لمسراع في مقابلة خطو . قال الشاعر :

أما إذا يحدو فتعلب جريّة أو ذئبٌ عادية يعجرم عجرة

ويقال ناقة معجرة بفتح الراء : أي شديدة . [٧] بمحصة : قليلة اللحم قليلة الشعر ، محص الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبى خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعَرَّق ، وَشِدَقٍ أَشْدَق ،  
وأديمٌ مُمَلَّق <sup>(١)</sup> ، لها خَلَقٌ أَشْدَف ، وَدَسِيعٌ مُنْفَنَف ، وَتَلِيلٌ مُسَيَّف <sup>(٢)</sup> ،  
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهُوج ، تَقْرِيبُهَا إِهْمَاج ، وَخَضْرُهَا ارْتِمَاج <sup>(٣)</sup> » .

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبى هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مَشْكُول ،  
رَقِيقٌ الْمَلَاغِم ، أَمِينُ الْمَعَاقِم <sup>(٤)</sup> ، عَبْلُ الْمَخَزِم ، مَخْدٌ مَرَجَم <sup>(٥)</sup> ، مُنِيفُ الْحَارِك ،  
أَشْمُ السَّنَابِك ، مَجْدُولُ الْخَصَائِل ، سَبْطُ الْفَلَائِل <sup>(٦)</sup> ، غَوْجُ التَّلِيل ، صَاصَالُ  
الصَّهِيل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَبْيُهُ ضَافٍ <sup>(٧)</sup> ، وَعَفْوُهُ كَافٍ » . ( الأملئ ١ : ١٩٠ )

كفرح ، إذا سقط شعره واملأ ، انثرار : انصباب ، كأنه يثره ثراً ، والتقريب : ضرب من العدو  
أو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً ، وانكدر : أسرع وانقص ، وانكدر عليه القوم : انصبوا .

[١] خيفق : فيعل من الحفق كشمس : وهو السرعة ، الباهقان : العطمان الشاخصان في خدى الفرس  
معرق : قليل اللحم ، أشدق : واسع الشدق ، مملق : مملس . [٢] الأشدق : العظيم الشخص ،  
والشدق محرّكة : الشخص ، الدسيغ : مغرز العنق في السكاهل ، منفنف : واسع ، من المنفف بكعفر :  
وهو الهواء بين السماء والأرض ، التليل : العنق ، مسيف : كأنه سيف .

[٣] زلوج : سرية ، الزليج والرجان بالتحريك : السرعة ، الحيفانة : الجراة التي فيها نقط سود  
تخالف سائر لونها ، وإنما قيل للفرس : خيفانة لسرعتها لأن الجراة إذا ظهر فيها تلك النقط كان أسرع  
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الرهج ، ( والرهج بالتحريك : الغبار ) أهج الفرس إهماجاً : إذا اجتهد في  
عدوه ، والخضر : ارتفاع الفرس في عدوه ، الارتعاج : كثرة البرق وتتابعه .

[٤] محبول : في حباله ، مشكول : موثق في شكال ( الشكال ككتاب : الحبل شدّه به قوائم الدابة )  
الملاغم من الإنسان : ماحول الغم ، أرادت هاهنا الجحافل ( والجحافل جمع جحفة بالفتح بمنزلة الشقة للخيول  
والبغال والخير ) والمعاقم : المفاصل . [٥] عبلى : علب ، والمجرم موضع الحرام ، مخد : يخذ الأرض  
أى يجعل فيها أخاديد ( والأخاديد : الشقوق جمع أخدود ) ، مرجم : يرمي الحجر بالحجر ، أو يرمي  
الأرض بمخوافره . [٦] منيف : مرتفع ، والحارك : منبت أدنى العرف إلى الظهر الذى يأخذ به من  
يركبه ، والسنايك : أطراف الخوافر جمع سبك كقفذ ، مجدول : مفتول ، الحصائل جمع خصلة : وهي  
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة ، الفليل : الشعر المجتمع ، ويقال للقطعة من الشعر : الفليلة ،  
سببط : مسترسل . [٧] الغوج : اللين المعطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،  
والسبيب : شعر الناصية ، ضاف : سابغ .

## ١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جَدْب فقال :

«نَشَأَ حَمَلًا<sup>(١)</sup> سُدًّا مَتَقَاذِفَ الْأَحْضَانِ ، مُخَمَوِّمِي الْأَرْكَانِ ، لَمَّاعِ الْأَقْرَابِ ،  
مُكْفَهَرِ الرَّبَابِ ، تَحِيْنٌ رُعُوْدُهُ حَنِينَ اضْطِرَابِ ، وَتُرْفُجْرُجْرَةَ اللَّيْثِ الْفِضَابِ ،  
لِبَوَارِقِهِ التَّهَابِ ، وَلِرَوَاعِدِهِ اضْطِرَابِ ، فَجَاحَفَتِ<sup>(٢)</sup> صَدُورُهُ الشَّعَافَ ، وَرَكِبَتْ  
أَهْجَازُهُ الْقِفَافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أَعْبَاءَهُ ، وَحَطَّ أَثْقَالَهُ ، فَتَأَلَّقَ وَأَصْعَقَ<sup>(٣)</sup> ، وَانْبَجَسَ  
وَانْبَعَقَ ، ثُمَّ انْجَمَّ فَاَنْطَلَقَ ، فَغَادَرَ النَّهَاءَ<sup>(٤)</sup> مُتْرَعَةً ، وَالْغَيْطَانَ مُمْرَعَةً ، حَبَاءَ  
لِلْبِلَادِ ، وَرِزْقًا لِلْعِبَادِ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠ )



[١] الحمل : السحاب الكثير الماء ، والسد : الذي قد سدّ الأدق ، احموى : اسودّ ، والأقرب جمع قرب كقفل وعنق وهو الحاصرة ، والرباب : السحاب الأبيض . [٢] جاحفه : زاحه وداناه ، والشعاف جمع شعبة كركبة : وهي رأس الجبل ، والقفاف جمع قفّ بالضم وهو ما علظ من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون جبلا . [٣] صعقتهم السماء وأصعقتهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانبجس : انفجر بالماء وانبعق السحاب : انبعج بالمطر واندفع ، والانبعاق : أن يندفع عليك الشيء فجأة وأنت لا تشع ، وانجمت السماء : أسرع مطرها . [٤] النهاء جمع نهى بالكسر والفتح : الفدير ، ومترعة : مملوءة ، والغيطان جمع قائط : وهو المطمئن الواسع من الأرض ، ممرعة : مخصبة ، حباء : مطاء .

## البَابُ الثَّالِثُ

فِي

### نَثْرُ الْأَعْرَابِ

قَوْلُهُمْ فِي الْوَعْظِ وَالتَّوْصِيَةِ

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدَيِّ سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغِلْظَةِ ، فاحْتِمِلْهُ إن كَرِهْتَهُ ، فَإِنَّ وِرَاءَهُ مَا تُحِبُّهُ إن قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نَجُودُ بِسَعَةِ الاحْتِمَالِ على من لا نَرْجُو نُصْحَهُ ، ولا نَأْمَنُ غِيْشَهُ ، وأَرْجُو أَنْ تَكُونَ النَّاصِحَ جَنِيْبًا ، المَأْمُونُ غَيْبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إِذْ أَمَنْتَ بِادِرَةِ غَضَبِكَ ، فَإِنِّي سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرَسَتْ عَنْهُ الْأَسْنُنُ مِنْ عِظَمَتِكَ ، تَأْدِيَةً لِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَمَامَتِكَ . إنه قد اكْتَنَفَكَ رِجَالُ أَسَاءٍ وَالِاخْتِيَارُ لَأَنْفُسِهِمْ ، فابْتَاعُوا دُنْيَاكَ بِدِينِهِمْ ، وَرِضَاكَ بِسَخَطِ رَبِّهِمْ ، خَافُوكَ فِي اللَّهِ ، وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَهُمْ حَرْبُ الْآخِرَةِ ، سِلْمٌ لِلدُّنْيَا ، فَلَا تُؤْمِنُهُمْ عَلَى مَا أَيْتَمَنَّاكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُمْ

لَا يَأْلُونَكَ<sup>(١)</sup> خَبَالًا ، وَالْأَمَانَةَ تَضِييْعًا ، وَالْأَمَةَ عَسْفًا وَخَسْفًا<sup>(٢)</sup> ، وَأَنْتَ  
مَسْتُولٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا<sup>(٣)</sup> ، وَلَيْسُوا مَسْتُولِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ دَنِيَاهُمْ  
بِفْسَادِ آخِرَتِكَ ، فَإِنْ أَخْسَرَ النَّاسَ صَفْقَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَعْظَمَهُمْ غَبْنًا مِنْ بَاعِ  
آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ « قَالَ سُلَيْمَانُ : « أَمَّا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي ، فَقَدْ سَلَلْتَ لِسَانَكَ ،  
وَهُوَ أَقْطَعُ سَيْفِيكَ » ، فَقَالَ : « أَجَلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ لَا عَلَيْكَ » .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٧ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٧ ، ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ،  
وزهر الآداب ١ : ٢٧٧)

## ٢ — أَعْرَابِي يَعْظُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

وَدَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : عِظْنِي يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ :  
« كَفَى بِالْقُرْآنِ وَاعْظَا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « وَيَلُ لِّلْمُطَفِّفِينَ<sup>(٤)</sup> الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ  
يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ  
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُطَفِّفُ فِي الْكِيلِ وَالْمِيزَانِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ<sup>(٥)</sup> ؟ » .

(العقد الفريد ٢ : ٨٤)

## ٣ — خُطْبَةُ أَعْرَابِي<sup>(٦)</sup>

وَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ<sup>(٧)</sup> أَعْرَابِيًّا بَعْضَ مِيَاهِهِمْ ،<sup>(٨)</sup> فَنَظَّطَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ :

[١] أَلَا يَأُو : قَصْرٌ وَأَبْطَأُ ، وَالْجَبَالُ : السَّادُ . [٢] الْعَسْفُ : الطَّلْمُ ، وَالْخَسْفُ : الذَّلُّ .

[٣] اكْتَسَبُوا ، وَفِي رَوَايَةٍ : « اجْتَرَحُوا » .

[٤] طَفَّفَ : نَفَسَ الْمِكْيَالَ . [٥] وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ أَيْضًا هَذِهِ الْعِطَةَ (ج ١ ص ٣٠٦)

وَذَكَرَ أَنَّهَا لِابْنِ السَّمَاكِ وَعَطَّ بِهَا الرَّشِيدُ .

[٦] قَدَمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ٤٦٣ أَنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ مُتَنَازِعٌ فِيهَا ، فَهِيَ تَعْرِى تَارَةً إِلَى الْإِمَامِ عَلَى  
كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ ، وَأُخْرَى إِلَى سَحْبَانَ وَائِلٍ ، وَثَالِثَةً إِلَى أَعْرَابِي . [٧] هُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي جَعْفَرِ  
الْمَنْصُورِ ، وَكَانَ وَالِيًّا لَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ : « هُنَّ الْأَصْمَى  
قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ : شَهِدْتُ الْجُمُعَةَ بِالضَّرِيرَةِ « ضَرِيرَةٌ كَفَنِيَّةٌ : قَرْيَةٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارُ بَلاغٍ <sup>(١)</sup> ، والآخرة دارُ قرار ، نخذوا لمقرَّكم من مَمَرِّكم ، ولا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عند من لا تَخْفَى عليه أسرارُكم ، وأُخْرِجُوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تَخْرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيَاتُكُمْ ، ولغيرها خُلِقْتُمْ ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هَلَكَ ، قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قَدَّمَ ؟ فله آباؤكم ! قَدَّمُوا بعضاً ، يكون لكم قَرَضاً ، ولا تَخْلَفُوا كُلاً ، يكون عليكم كُلاً <sup>(٢)</sup> ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمدعو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قُومُوا إلى صلاتكم . »

( الأمل ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٤ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٨ ،

ومجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وعيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٣ وزهر الآداب ٢ : ٤ )

## ٤ — خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التعمق فى ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنْثَنِي حتى يُنْثَنِي عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُدْرِكُ وَاصفُ كُنْهَ صَفْتِهِ ، ولا يَبْلُغُ خَطِيبٌ مُنْتَهَى مِدْحَتِهِ ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهَضُوا إلى صلاتكم » ثم نزل فصلّى . ( العقد الفريد ٢ : ١٦٤ )

---

وأبهرها رجل من الأعراب ، فخرج وخطب ، ولفّ ثيابه على رأسه ، ويده قوس فقال . . . . وأورد هذه الخطبة « ، وفى الكامل للبرد : « قال الأصمى فيما بلغنى خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله . . . » . [١] وفى رواية الميداني ، وعيون الأخبار « بلاء » وفى رواية العقد « دار ممرّ والآخرة دار مقرّ » [٢] الكل : الثقل .

## هـ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلي

أن ينهى عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحتنبه ، وقد قال الأول :

وَدَعِ مَا لُمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمُّهُ أَنْ يُلَوِّمَكَ مَنْ تَلُوِّمُ

أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بِرِضَاهُ . ( القند الفريد ٢ : ١٦٤ )

## ٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ - وَكَانَ عَابِداً مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٤١ هـ -

شَهِدَتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَهِيَ تُوصِي وَلِداً لَهَا يَرِيدُ سَفْراً وَهِيَ تَقُولُ لَهُ :

« أَيُّ مُبْنًى اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى <sup>(١)</sup>

عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيُّ مُبْنًى : إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرِعُ الضَّغِينَةَ ، وَتَفَرِّقُ

بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتُخَذَّ غَرَضاً <sup>(٢)</sup> ، وَخَلِيقُ أَنْ لَا يَثْبُتَ

الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلَمًا اعْتَوَرَتْ <sup>(٣)</sup> السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلِمَتُهُ <sup>(٤)</sup> حَتَّى

يَهَيَّ <sup>(٥)</sup> مَا اشْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالْبَخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ

فَاهْزُزْ كَرِيماً يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ

لِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ

فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ

مِنْهُ فَعَلَهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَدَنَوْتُ

[١] أُنْفَع [٢] هَذَا . [٣] تَدَاوَلَتْ . [٤] جَرَحَتْ وَحَطَّتْ .

[٥] هَيَّ : ضَعُفَ .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلاً زِدْتِه في الوصية ، فقالت : أو قد أعجبتك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والغدرُ أقبح ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجاد الحُلَّةَ <sup>(١)</sup> : رِيْطَتِهَا وَسِرِّبَالُهَا .

( الأمل ٢ : ٨١ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٥ ، وبلاغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٢١ )

## ٧ - أعرابية توصي ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يَا بُنَيَّ ، إِنْ سَوَّالَكَ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ اِفْتَقَرْتَ إِلَيْهِ هُنَّتْ عَلَيْهِ ، وَلَا تَزَلْ تُحْفَظُ وَتُكْرَمُ ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَرْغَبُ ، فَإِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَلَزِمَكَ سُوءُ الْحَالِ ، فَاجْعَلْ سَوَّالَكَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ حَاجَةُ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوِلِ ، فَإِنَّهُ يُعْطَى السَّائِلَ » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٥ )

## ٨ - أعرابي يوصي ابنه

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْذُلْ الْمَوَدَّةَ الصَّادِقَةَ تَسْتَفِدْ إِخْوَانًا ، وَتَتَّخِذْ أَعْوَانًا ، فَإِنَّ الْعَدَاوَةَ مَوْجُودَةٌ عَتِيدَةٌ ، وَالصَّدَاقَةَ مُسْتَعْرِزَةً <sup>(٢)</sup> بَعِيدَةٌ ، جَنِّبْ كِرَامَتَكَ اللَّثَامَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا ، وَإِنْ نَزَلَتْ شَدِيدَةٌ لَمْ يَصْبِرُوا » . ( الأمل ١ : ٢٠١ )

## ٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ خَفَضِ الْعِشِ ، وَلَيْنَ الرَّيَاشِ <sup>(٣)</sup> ، وَلَكِنْ فَانْظُرْ

إِلَى سُوءِ الظُّعْنِ ، وَسُوءِ الْمُتَقَلِّبِ » . ( الأمل ٢ : ٥٩ )

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين إزار ورداء ، والريطة : الملاعة كلها نسج واحد وقطعة واحدة

والسربال : القميص . [٢] مستعرزة : منقبضة شديدة : [٣] الماصب والمعاش .

## ١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعاقل المذبر أرجى منك للأحمق المُقبل » ، ثم أنشد :

عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَتَقَى عَلَيْكَ وَأَرْغَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ <sup>(١)</sup>

( ذيل الأملال ص ٣٤ )

## ١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب  
برؤيته ونظره ، وَمَثَلُكَ الْأَحْوالِ الْمَخُوفَةِ عَلَيْكَ ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ  
كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً <sup>(٢)</sup> وَجَانِكَ ، وَشُكْرُكَ إِزاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ،  
وَأَنْ الْفَاشِ لَكَ ، وَالْحَاطِبَ <sup>(٣)</sup> عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْاِغْتِرَارِ ، وَوَطَأَ لَكَ بِهَادٍ <sup>(٤)</sup>  
الظُّلْمَ ، تَابِعًا لِمَرْضَاتِكَ ، مِنْقَادًا لِهَوَاكَ » . ( الأملال ١ : ١٩٨ )

## ١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشَّراب ، فقال :

« لَا الدَّهْرُ يَعْظُكَ ، وَلَا الْأَيَّامُ تُنْذِرُكَ ، وَلَا الشَّيْبُ يَزْجُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ  
تَحْصِي عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَالْمَنَايَا تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ،  
أَعُوذُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٥ ، والأملال ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥ )

[١] الوامق : الحب . [٢] مكافئاً .

[٣] الحاطب : من غلب عليه هواه . [٤] الهاد : الفراه .

### ١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَلَجْتَ <sup>(١)</sup> إلى الباطل ، إنك لَقَطُوفٌ <sup>(٢)</sup> عن الحق ، ولئن أبطأتَ لَيْسُرَ عَنِّ بكَ ، وقد خسرَ أقوام وهم يظنون أنهم رابحون ، فلا تغرَّنك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٦)

### ١٤ - أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقُوتُهُ ، وتطلب ما قد كُفِيَّتُهُ ، فكأن ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد نُقِلَتْ عنه ، فامهّد <sup>(٣)</sup> لنفسك ، وأعدّ ذلك ، وخذ في جَهَازِكَ » . (العقد الفريد ٢ : ٨٤)

### ١٥ - أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَارَ النفسِ أَفْضَلُ من يسار المال ، فإن لم تُرْزَقْ غِنًى فلا تُحْرِمَ تقوى ، فَرُبَّ شَبَعَانَ من النِّعم ، عُرْيَانٌ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خَيْرٍ : تُرَحِّبُ به الأرض ، وتستبشِّرُ به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه فى بطنها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . (العقد الفريد ٢ : ٨٥)

[١] من هملج البرذون : مشى مشية سهلة فى سرعة .

[٢] من قطفت الدابة كنصر وضرب : ضاق مشيا ، فهى قطوف .

[٣] أى مهد وأعد .

## ١٦ — أعرابي يعظ رجلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يعظ رجلاً وهو يقول :

« وَيُحَكِّكَ ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ الشَّفَقَةَ عَلَيْكَ ، إِنْ عَقَّارَبَهُ لَتَسْرِىَ إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا تَجْعَلْهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَّتِكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٧ — أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلاً يقع في السلطان ، فقال :

« إِنَّكَ غُفْلٌ لَمْ تَسْمَعْكَ التَّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَمْعُ الْعُقَّارِبِ ، كَأَنِّي بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بَالِكٌ عَلَيْكَ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٤ )

## ١٨ — كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابنَ عمِّ له ، فأشار عليه برأى ، فقال :

« قَدْ قُلْتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوقَ كَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ، وَحَزَنَتَهُ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِشْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبَلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مُوَدَّتِهِ ، وَصَافِي غَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مَنِهْجًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهْيَعًا <sup>(١)</sup> » .

( الأمل ٢ : ٨٢ )



## ١٩ - كلمات حكيمة للأعراب

قيل لأعرابي : مَالَك لا تشرب التَّبِيدَ ؟ قال : « لثلاثِ خِلَالٍ فيه : لأنه مُتَلِفٌ للمال ، مُذْهَبٌ للعقل ، مُسْقِطٌ للمرأة » .

وقال أعرابي : « الدراهم مِيَّاسِمٌ <sup>(١)</sup> ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فمن حَبَسَهَا كَانَ لها ، ومن أَنْفَقَهَا كَانَتْ له ، وما كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، ولا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .  
وقال أعرابي لأخ له : « يا أَخِي إِنَّ مَالَك إِنْ لم يكن لك كُنْتَ له ، وَإِنْ لم تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلُّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنْ المَوْفَّقُ مَنْ تَرَكَ أَرْفَقَ الحَالَاتِ به ، لِأَصْلَحِهَا لِدِينِهِ ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لم تَنْظُرْ نَفْسُهُ لها » .

وقال أعرابي : « إِنْ الله مُخْلِفٌ ما أَتْلَفَ النَّاسُ ، والدَّهْرُ مُتْلِفٌ ما أَخْلَفُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الحَيَاةِ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَبُهَا التَّعَرُّضُ للمَوْتِ » .

وقال أعرابي : « إِنْ الآمالُ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رآه ، وَأَخْلَفَ مَنْ رَجَاهُ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَصْحَبْ مَنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَهُ عَلَيْكَ ، وَيَتَذَكَّرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لا تَسْأَلْ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ الله تَعَالَى » .

---

[١] مياسم جمع ميسم بالكسر : وهو المكواة .

وقال أعرابي : « ما بقاء عُمرٍ تقطعه الساعات ، وسلامةُ بدنٍ مُعرّضٍ للآفات ؟ ولقد عجبتُ من المؤمن ! كيف يكره الموت ؟ وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله ، وأظنما له نهاره . »

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزُوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلُّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضُّوا بقليلٍ فإن ، عِوَصًا عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما تزل القدمُ حيث لا ينفع الندم . »

وقال أعرابي : « من كانت مطيته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ . »

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا . »

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ! قال : « وإذا مُتُ فإلى أين يذهب بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فما كراحتي أن يذهب بي إلى من لم أرا الخير إلا منه ؟ » .

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنَحِّ النفسَ عن الشهوات ، أسرعَ به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك . »

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضتَ له الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحبتَ له الموت . »

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسلِّط عليه اللئيمُ ، والمائلُ يُسلِّط عليه الجاهل . »

وقيل له : أيُّ الداعين أحقُّ بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك نخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .  
وقال أعرابي : « الشرُّ عاجِلُهُ لذيذ ، وآجِلُهُ وَخِيم » .

وقال أعرابي : « من ولد الخير أُنْتَج له فِرَاحٌ تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مُرّاً مَذَاقُهُ ، وَقُضْبَانُهُ الغيظُ ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابي : « من كساه الحياء ثوبه ، خَفِيَ على الناس عيبه » وقال : « بُئس الزاد، التَّعَدَّى على العباد » ، وقال : « التَّلَطُّفُ بالحيلة ، أنفع من الوسيلة » ، وقال : « من ثَقُلَ على صديقه ، خَفَّ على عدوّه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون » .

وقال أعرابي : « أعجزُ الناس مَنْ قَصَرَ في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيَّع من ظَفِر به منهم » .

وقال أعرابي لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشرِّ ، فإن الغالب بالشرِّ هو المغلوب » .

وقال أعرابي لأخ له : « قد نهيتك أن تُريق ماء وجهك عند من لاماء في وَجْهِهِ ، فإن حَظَّكَ مِنْ عَطِيَّتِهِ السَّوَالُ » .

وقال أعرابي : « إن حبَّ الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبنغض الشرِّ خير وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن المروءة ثَقِيلٌ تَحْمِلُهَا <sup>(١)</sup> ، شديدة مؤثنتها ، ماترك اللثام للكرام شيئا » .

واحتَضِرَ أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرةً ، إن غبتم حَنُّوا إليكم ، وإن متم بَكَوْا عليكم » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شَمْلَةٍ <sup>(٢)</sup> شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشَّمْلَةَ لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هو فيها » .

وقال أعرابي : « رُبَّ رجل سِرُّه منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحافَ الجَنَاحِ على الخَوَافِ » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسرِّ ؟ قال : « ما جوفى له إلا قَبْرٌ » .

ومرَّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُنْبِتَتْهُ الطَّاعَةُ ، وَحَصَدَتْهُ المَعْصِيَةُ ، وقال الآخر : « من طَلَّقَ الدنيا فالآخرة صاحِبته ، ومن فارق الحق فالتَّجْذُعُ راحلته » .

وقال أعرابي : « إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ، ودوامَ عهده ، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه » .

وقال أعرابي : « إذا كان الرَّأْيُ عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسَّلاحُ عند من لا يستعمله ، والمالُ عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٥ - ٨٧ )

وقال أعرابي : « إن الدنيا تنطق بغير لسان ، فتخبر عما يكون بما قد كان » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا ولم يغفل الدهر عنا ، فلم

[١] الحمل في الأصل : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان . [٢] كساء دون انعطيفة يشتمل به .

نَتَمِظُ بغيرنا ، حتى وَعِظَ غَيْرُنَا بِنَا ، فقد أدركت السعادة مَنْ تَنَبَّهَ ، وأدركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظاً . ( زهر الآداب ٢ : ٥ )

وقال أعرابي لرجل : « اشكُرْ للمنعِمِ عليك ، وَأَنْعِمِ على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحتَه » . ( زهر الآداب ٢ : ٦ )  
وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّحِمِ ، وأعرابيٌّ جالس ، فقال : « مَنْسَأَةٌ <sup>(١)</sup> في العمر ، مَرَضَاءَةٌ للربِّ ، محبَّةٌ في الأهل » . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

وقال أعرابي : « لا أعرف ضُرًّا أَوْصَلَ إلى نِباطِ القلب ، من الحاجة إلى من لم تَثِقْ بإسعافه ، ولا تَأْمَنَ رَدَّهَ ، وَأَكْلَمُ المصائب فَقْدُ خليل لا عِوَضَ منه » .  
وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ فقال : « مُمازحة المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أيامك » .

وقال أعرابي : « من لم يرضَ عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه ، دام سَخَطُه ، ومن عاتب على كل ذنب كثُرَ عدوُّه ، ومن لم يؤاخِ من الإخوان إلا مَنْ لا عيبَ فيه قَلَّ صَدِيقُه » . ( الأمل ١ : ٢١٨ )

عن عبدالرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في المرء ؟ قال : « ما عسى أن أقول في شيء يفسد الصداقة القديمة ، وَيَحُلُّ العُقْدَةَ الوثيقة ، أَقْلُ ما فيه أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبةُ من أمتن أسباب الفتنة » . ( الأمل ١ : ٢٥٨ )  
عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجد العَجُولُ محموداً ، ولا الغَضُوبُ مَسْروراً ، ولا المَلُولُ ذا إخوان ، ولا الحُرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ غنياً » .

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « سُنْ عقلك بالحلم ، وَثِرْ وِدتَكَ بالعَفَاف ، وَنَجِدْ تَكَ بِمِجَانِيَةِ الْخِيَلَاءِ ، وَخَلَّتْكَ <sup>(١)</sup> بِالْإِجَالِ فِي الطَّلَبِ » . ( الأمل ٢ : ٣٢ )  
 وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحُ أَعْمَالُ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِتْقَامَ ، وَمَا اسْتَنْبَطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمَشَاوِرَةِ ، وَلَا حُصِّلَتِ النِّعَمُ بِمِثْلِ الْمَوَاسَاةِ ، وَلَا اكْتَسَبَتِ الْبِفَضَاءِ بِمِثْلِ الْكِبَرِ » . ( الأمل ٢ : ٣٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٣ )  
 وقال أعرابي : « خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ يُنِيلُ عُرْفًا ، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا » .  
 ( الأمل ٢ : ٤١ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « الْعَاقِلُ حَقِيقٌ أَنْ يُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيَا ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَنَالَ أَحَدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَلَّ إِمْتَاعُهُ بِهِ ، أَوْ كَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ، وَاشْتَدَّتْ مَرَزِئَتُهُ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ فِيهِ بَعْدَهُ » . ( الأمل ٢ : ٤١ )

وقال أعرابي : « خَصَلْتَانِ مِنَ الْكَرَمِ : إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمَوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُثَبِّنَ قَوْمِي » ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟  
 قال : « لَا أَفْعَلُ شَيْئًا حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٦١ )

وقال أعرابي لرجل مَطْلَه في حَاجَةٍ : « إِنْ مِثْلُ الظَّفَرِ بِالْحَاجَةِ تَمْجِيلُ الْيَأْسِ مِنْهَا ، إِذَا عَسُرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ الطَّلَبُ وَإِنْ قَلَّ ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنَ الْحَاجَةِ وَإِنْ عَظُمَتِ ، وَالْمَطْلُ مِنْ غَيْرِ عُسْرِ آفَةِ الْجُودِ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٢١ )

وقال أعرابي : « وَعَدُ الْكَرِيمِ تَقْدُّ وَتَمْجِيلُ ، وَعَدُ اللَّئِيمِ مَطْلٌ وَتَمْطِيلُ »  
 ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من منع ، أنجلُ من وعدٍ تمطول . »

( الأمل ٢ : ١٩٨ )

وقال أعرابي : « عود لسانك الخير ، تسلم من أهل الشر . »

( ذيل الأمل ص ٢٩ )

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت <sup>(١)</sup>

أرجلها ، فزالت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم

فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجرٌ من

عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ . »

( العقد الفريد ٢ : ٩٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب ٢ : ٦ )

## أجوبة الأعراب

### ٢٠ — مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأصْحَرَ <sup>(٢)</sup> ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من

يتغذى معي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فَأَتَى به ، فقال السلام عليكم ،

قال : هَلُمَّ أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال :

ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربِّي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصومٌ في مثل هذا

اليوم الحار ؟ قال : صمت ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطر اليوم وصُمتُ غداً ،

قال : وَيَضْمَن لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إليه ، قال : فكيف

تسألني عاجلاً بآجلٍ ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الناقة بذنبها وأشالته : رفعته ، فشال هو .

[٢] أصحر : برز في الصحراء .

ما طيبه خبأرك ولا طبأحك ، قال : فمن طيبه ؟ قال : العافية ، قال الحجاج :  
تالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه عني . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ، والمقدانفريد ٢ : ٨٧)

## ٢١ - مساءلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :  
« تركتهم - أصلح الله الأمير - حين تفرقوا في النيطان ، وأخذوا النيران ،  
وتشكت النساء ، وعرض الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :  
أخصباً نعت أم جذباً ؟ قالوا : بل جذباً ، قال : بل خصباً ، قوله : تفرقوا في  
النيطان<sup>(١)</sup> ، معناه : أنها أعشبت ، فإبلهم وغنمهم ترعى ، وأخذوا النيران ، معناه :  
استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، وتشكت النساء  
أعضادهن ، من كثرة ما يمتخضن<sup>(٢)</sup> الألبان ، وعرض الشاء : استن<sup>(٣)</sup> من كثرة  
العشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فياً كل جيفها .  
( ذيل الأملال ص ٨٧ )

## ٢٢ - مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر ، فقال :  
شمول<sup>(٤)</sup> إذا شجبت ، وفي الكأس مزة لها في عظام الشارين ديب<sup>(٥)</sup>  
تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء قطوب<sup>(٥)</sup>

[١] جمع فائط : وهو المطنن الواسع من الأرض . [٢] محض اللبن من بلب قطع ونصر وضرب  
أخذ زبده . [٣] استن : سمن ، سن الإبل كنصر : إذا رطها فأسمها .  
[٤] الشمول : الحمر أو الباردة منها ، لأنها تشعل بريحها الناس ، أو لأن لها عصفة كعصفة الشمال ،  
وشج الفرااب : مزجه . [٥] القذى : ما يقع في الشراب ، قطب كضرب قطباً وقطوبا : زوى ما بين  
عينيه وكلح ، وأخوما : هو نبيذ الزبيب ، والمعنى : أن الشارين يفضلونها عليه فيشربونها دونه ، فهو  
يقطب من أجل ذلك ، وفي أخيها يقول الشاعر :

فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندى حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٥ )

### ٢٣ — مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسرى

وخطب خالد بن عبد الله القسرى فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجفى أخلاقكم ، لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً » ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغليظ طعامنا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شرّ من كل ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون الذكور » ، قال : « قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به » . ( العقد الفريد ٢ : ١٢٧ )

### ٢٤ - أجوبة شتى

وقدّم أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلاّ أوجعتك ضرباً ، قال له : « وأنت فأعمل به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه ، أعظم مما تُوعِدُنِي به » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، غائر العينين ، مُشْرِفِ الحاجبين ، ناتيئ الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالْمُرْصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحسِنُ الشّارة <sup>(١)</sup> ، قال : « ذلك عُنوان نعمة الله عندى » .

دع الجر يفسر بها الفواة فإننى رأيت أحاماً مقنياً بكانها  
فإلا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غدته أمه بلبانها

[١] الشارة : اللباس والهيئة والزينة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار » .

وسئل أعرابي عن القَدَر فقال : « الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يَمَرِّف ضوءها ، ولا يقف على حدودها » .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون ، وَحَقٌّ علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا من علمه » . ( المقفد الفريد ٢ : ٨٦ - ٨٧ )

وقيل لأعرابي : من أبلغُ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .  
وقيل لأعرابي : مالك لا تُطِيلُ الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بِالْمُنْق » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرّى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت : « خُبْزٌ خَمِير ، ولبنٌ فَطِير ، وماءٌ نَمِير <sup>(١)</sup> » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قِدر تفور ، وكأس تدور ، وحديث لا يَحْجُور <sup>(٢)</sup> » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرّعدة ، وقُرْفُصَاء القِمَدَة ، وَذَرَب المِعْدَة <sup>(٣)</sup> » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليلٌ خبيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] الخمر : الذي اختمر ، وماء نَمِير : ناعم ، عذبا كان أو غير عذب .

[٢] أى - لا ينقص ، وربما كان لا يجوز بالجيم . [٣] القرفصاء : أن يجلس على أليته ، ويلصق

تخذه بيطنه ، ويمشي يديه يضعهما على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه منكباً ، ويلصق بطنه بفخذيه ، ويتأبط كفيه ، والذرب : الحدة ، والمعدة ككلمة وكسرة .

قال : « إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبت من أنثى »

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق لبيعها - صف لنا ناقتك ، قال :  
ما طلبت عليها قط إلا أدركت ، ولا طلبت إلا فئت ، قيل له : فلم تبيعها ؟  
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يأمَّ عامرٍ كرائمَ من ربِّ بهنٍّ ضنين  
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « مُحْرُ الوحش لا تحتاج  
إلى يَيطار » .

وقيل لِشُرَيْحِ القاضى : هل كلمك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه  
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندى وهو يشير يديه ، فقلت له : أُمْسِكْ ، فإن  
لسانك أطول من يدك ، قال : « أَسَامِرِي أَنْتَ لَا تُمَسُّ ؟ <sup>(١)</sup> » .

( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : « قصورٌ بيضٌ ، فى  
حدائقٍ خضر » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَعُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْغُرُوا بِهِ ،  
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنَ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ  
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » .

والسامرى : هو موسى بن ظفر السامرى نسبة إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان  
من قوم يعبدون البقر ، وقع فى مصر ، فدخل فى بنى إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان مسافقاً لا يزال فى قلبه  
عبادة البقر ، فلما ذهب موسى لمساواة ربه فتن بنى إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حملوا معهم من  
حلى القبط التى أخذوها منهم رهائن على ما يقرضونهم من المال - فاتخذ لهم منها عجلاً جسداً له غوار . . .  
إلى آخر ما هو معروف فى القصة ، من أثر الرسول : أى من أثر حافر الرسول وهو جبريل ، والأثر :  
التراب الذى تحت حابره ، والمساس مصدر ماس ، وهو نفي أريد به النهى ، أى لا تمسنى ولا أمسك .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : « بَيْضَة <sup>(١)</sup> » ، فى رَوْضَة ، عن  
غَيْب سَارِيَّة ، والشمس مُكَبَّدَة . ( العقد المريد ٢ : ٩٦ )

وخطب أعرابى إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجْف <sup>(٢)</sup>  
فرأى شيئاً كرهه فقال : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون  
على دين » . ( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٠ )

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عَزَاءِكَ عن ابنك ! » ، قالت :  
« إن مصيبتى آمَنْتَنى من المصائب بعده » .

وقال محمد بن حرب الهلالى : قلت لأعرابى : « إني لك لَوَادٌّ » ، قال :  
« وإن لك من قلبى لرأئداً » . ( البيان والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢ )  
وقال الأصمعى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :  
« هى لله عندى » . ( العقد المريد ٢ : ٨٦ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٩ )

## قولهم فى الاستمناح والاستجداء

### ٢٥ — أعرابى يجتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،  
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمَّيْتَ فَقُلْ ، قال :  
« شيخ من بنى عامر يتقرَّب إليك بالعمومة ، ويختص بالخُثُولَة ، ويشكو  
إليك كثرة العيال ، وَوُطْأَة الزمان ، وشدة فقر ، وتراذُف ضُرٍّ ، وعندك ما يَسَعُه

[١] البَيْضَة : ساحة القوم ومجتمعهم ، والسارية : السحابة تسمى ليلاً ، وكبدت الشمس السماء : صارت  
فى كبدما أى وسطها ، وفى الأصل « مكيدة » بالياء وهو تصحيف .  
[٢] السجف بالفتح والكسر : الست .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بؤْسَهُ ، قال : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَغْنِيهِ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِبْطَائِنَا عَنْكَ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٨١ )

## ٢٦ — أعرابي يحتدى عمر بن عبد العزيز

وَأَتَى أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَاقَتْهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَبَلَغَتْ بِهِ الْغَايَةَ ، وَاللَّهِ سَأَيْتُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أَبْلَغَ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعَظَ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٣ ، والأُمالي ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ )

## ٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَنْتَجِعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَمْرِهِمُ بِالْإِيجَازِ ، فَمَقَامَ أَعْرَابِي ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنْعَ مَبْغَضَةً ، فَلَئِنْ نَحَبَّكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُبْغِضَكَ <sup>(١)</sup> » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . (العقد الفريد ٢ : ٨٣)

## ٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وَقَامَ أَعْرَابِي بَيْنَ يَدَيْ هِشَامٍ فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ عَلَى النَّاسِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى : فَلَحَّتِ <sup>(٢)</sup>

اللَّحْمُ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَهَاضَتِ <sup>(٣)</sup> الْعَظْمُ ، وَعِنْدَكُمْ

[١] يروى هذا للحمد بن أبي الجهم العدوي ، قاله في حاضرة هشام أيضاً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .

[٢] من لحا الشجرة : أخذ لحاءها ( بالكسر ) وهو قشرها . [٣] هاض العظم : كسره بعد

الجبور وهو مهبض ، وفي رواية : « وعام أتى العظم » أي وصل إلى نقيه ( بالكسر ) وهو مخ العظم .

فُضُولُ أُمُوال ، فَإِنْ كَانَتْ لَهِ فاقْسِمُوا بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَقِيمٌ تُحْظَرُ<sup>(١)</sup> عَنْهُمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ، إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، قَالَ هِشَامُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ هَذِهِ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : « مَا ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَدْرِعُ الْهَجِيرَ ، وَأَخُوضُ الدَّجَى خُلَاصَةً دُونَ عَامٍ » ، فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ ، فَقَسَّمَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : « أَكُلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » ، قَالَ : « فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا يَبْعَثُ لَأَمَّةَ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

( عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٣٨ والمقد الفريد ٢ : ٨٢ )

## ٢٩ — أَعْرَابِي يَسْتَجِدِي عِيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ

وَقَالَ الْعُثْبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِي بِبَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ الْفَضَارَةِ<sup>(٢)</sup> ، حَقِيبَ<sup>(٣)</sup> السَّحَابِ ، وَانْقَشَعَ الرَّبَابُ ، وَاسْتَأْسَدَتِ الذُّنَابُ ، وَرُذِمَ الثَّمَدُ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّ الْخَفْدُ<sup>(٥)</sup> ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُقَاةِ<sup>(٦)</sup> ، صَنِيبَ<sup>(٧)</sup> السَّقَاةِ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ<sup>(٨)</sup> لَا تَصَالُ الزَّمَانُ ، وَغَفَلَ<sup>(٩)</sup> الْحَدَثَانُ ، حَتَّى حَلَّالَ<sup>(١٠)</sup> ، وَعَدَدُ وَمَالٍ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيَّدِي سَبَا<sup>(١١)</sup> ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تحجب وتمنع . [٢] الفضارة : السعة والسعة والحصب ، وفي الأصل : « الفضارة » وهو تحريم — والفضارة الذلة والمقمة — . [٣] حقب المطر وغيره : احتبس ، والرباب : السحاب الأبيض . [٤] الثمد كشمس وسبب : الماء الليل لامادة له . [٥] الخفد : الأعوان جمع حافد . [٦] العقاة جمع طاف : وهو الوارد والضيف ، وكل طالب فضل أو رزق . [٧] وصف من الصنوب بالتحريك وهو شدة الصوت ، والسقاة جمع ساق كقاض ، وفي الأصل « صنب السماء » وأراه محرفاً . [٨] في الأصل : « عظيم الزلات » وأراه محرفاً عن « الدلالة » ، والدلالة كفضارة جمع دال كقاض ، وهو النازع في الدلو المستقي به الماء من البئر . يقال : أدليت الدلو ودليت : إذا أرسلتها في البئر . ودلوها أدلوها فأنا دال : إذا أخرجتها . [٩] الغفل بالتحريك : الغفلة ، والحدثان : نوب الدهر وحوادثه ، وفي الأصل : « ولا أعقل الحدثان » وأراه محرفاً ، وربما كان الأصل « ولا يغفل الحدثان » بتكرير لام الجر . [١٠] الحلة بالكسر : القوم النازلون ، والجمع حلال وحلل ككتاب وعنب ، وتطلق الحلة على البيوت مجازاً تسمية للمحل باسم الحالة ، وهي مائة بيت فما فوقها . [١١] يقال : ذهبوا أيدي سبا ، وتفرقوا أيدي سبا ، وأيادي سبا : أي تبددوا ، شبهوا بأهل سبأ لما

وكنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ <sup>(١)</sup> ، خَصِيبَ الدَّارَةِ <sup>(٢)</sup> ، سليمَ الجارة <sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَحَلِي  
حَمِي ، وَقَوْمِي أُسَى <sup>(٤)</sup> ، وَعَزَى جَدًّا <sup>(٥)</sup> ، قَضَى اللَّهُ - وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافٍ <sup>(٦)</sup>  
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغْيُرِ الْحَالِ ، فَأَعِينُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَإِسَانُهُ  
وَافِدُهُ ، وَفَقْرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ » . ( زمر الآداب ٣ : ٣٠٧ )

### ٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوقفت بين  
السماطين <sup>(٧)</sup> فقالت :

« أوصح الله الأمير وأمتع به ، حدرتنا إليك سنةً اشتد بلاؤها ، وانكشف  
غطاؤها ، أقودُ صبيةً صغاراً ، وآخرين كباراً ، في بلدة شاسعة ، تخفينا خافضةً ،  
وترفعنا رافعةً ، لِمِائَاتٍ من الدهر ، برّين عظمى ، وأذهبن لحي ، وتركنتي  
والهةً ، أدور بالحضيض ، وقد ضاق بي البلدُ العريض ، فسألت في أحياء  
العرب : مَنْ الكاملةُ فضائله ، المعطى سائله ، المكنى نائله ؟ فدللت عليك  
- أوصحك الله تعالى - وأنا امرأة من هوازن ، قد مات الوالد ، وغاب الرافد ،

مزقهم الله في الأرض كل ممزق ، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة ، واليد : الطريق . يقال : أخذ  
القوم يد بحر ، فقيل للقوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سبأ : أي فرقهم طرقهم التي  
سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذهب شتى ، والعرب لا تهمز سبأ في هذا الموضع ، لأنه كثر في كلامهم  
فاستقلوا فيه الهمة ، وإن كان أصله مهموزاً ، وقد بنوا أيدي سبأ ، وأيادي سبأ على السكون لكونه  
مركباً تركيب حمسة عشر .

[١] النارة : الهيئة واللباس والربنة والجمال . [٢] الدارة : الدار .

[٣] الجارة ، من ممانها : الزوجة . [٤] الأسي جمع أسوة : وهي القدوة .

[٥] الجدا : العطية ، والمطر الذي لا يعرف أقصاه . [٦] السواف بالضم وبفتح : مرض الإبل ،

وسواف المال يسوف ويساف : هلك ، أو وقع فيه السواف .

[٧] السماطان من الناس : الجانبان .

وأنت بعد الله غيائي ، ومُنْتَهَى أُمْلَى ، فافعل بي إحدى ثلاث خِصال : إما أن تَرُدَّنِي إلى بلدي ، أو تُحَسِّنَ صَفْدِي <sup>(١)</sup> ، أو تقيم أودِي ، فقال : بل أجمعهن لك ، فلم يزل يَجْرِي عليها كما يُجْرَى على عياله حتى ماتت .

( زمر الآداب ٣ : ٣٠٦ )

\* \*

وروى صاحب العقد قال :

قال الأصمعي : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى

الله تعالى عنهما فقالت :

« إني أتيت من أرضٍ شاسعة ، تَحْفِضُنِي خافضة ، وترفعني رافعة ، في بَوَادِي بَرَيْنٍ لَحَى ، وَهِيضَن <sup>(٢)</sup> عَظْمِي ، وتركتني وَالِهَةً ، قد ضاق بي البلد ، بعد الأهل وَالْوَلَدَ ، وكثرة من العَدَدَ ، لَا قَرَابَةَ تُؤَوِّينِي ، ولا عشيرة تَحْمِينِي ، فسألت أحياء العرب ، مَنْ المَرْتَجَى سَيِّئُهُ <sup>(٣)</sup> ، المَأْمُونُ عَيْبُهُ ، الكَثِيرُ نَائِلُهُ ، المَكْنِيُّ سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وأنا امرأة من هَوَازِنَ ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع في أمري واحدة من ثلاث : إما أن تُحَسِّنَ صَفْدِي ، وإما أن تقيم أودِي ، وإما أن تَرُدَّنِي إلى بلدي » ، قال : بل أجمعهن لك ، ففعل ذلك بها .

( العقد الفريد ٢ : ٨٢ )

٣١ — أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :

« أصلح الله الأمير : شيخٌ كبيرٌ ، حَدَّثَهُ إِلَيْكَ بَارِيَةُ الْعِظَامِ <sup>(٤)</sup> ، وَمُورَثَةٌ

[١] الصند . العطاء . [٢] هاض العظم : كسره بعد الجبور . [٣] السيب العطاء .

[٤] حَدَّثَهُ : سَأَلَهُ ، وَبَارِيَةُ الْعِظَامِ : نَأَى السَّكَبَاتِ الَّتِي تَبْرِي الْعِظَامَ ، مُورَثَةٌ : مَهِيْجَةٌ ، مِنَ النَّارِ ،

وَمُوْرَثَةٌ : لِقَادُ النَّارِ .

الأسقام ، ومُطَوِّلة الأعوام ، فذهبت أمواله ، ودُعِذِعَتْ<sup>(١)</sup> آباله ، وتَغَيَّرَتْ أحواله ، فإن رأى الأمير أن يَجْبُرَه بفضله ، وَيَنْعَشُهُ بِسَجْلِهِ<sup>(٢)</sup> ، ويردّه إلى أهله ! » فقال : كل ذلك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . ( الأمل ٢ : ٤٩ )

### ٣٢ — أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وقدّم أعرابي من بني كِنانة على معن بن زائدة وهو باليمن فقال : « إني والله ما أعْرِفُ سَبَبًا بعد الإسلام وَالرَّحِمَ ، أفوى من رِحْلَةٍ مثلى من أهل السنّ والحَسَبِ إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة ، إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في المعروف ، فإن رَأَيْتَ أن تضعنى من نفسك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك فافعل » فوصله وأحسن إليه . ( المقدم الفرد ٢ : ٨٠ )

### ٣٣ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عن أبي زيد قال : بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِي فَقَالَ : « يَا مُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، إني امرؤ من أهل هذا الْمِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ الْمَوَاصِي أَسْيَافَ تِهَامَةٍ<sup>(٣)</sup> ، عَكَفْتُ عَلَى سِنُونِ مُحْشٍ<sup>(٤)</sup> ، فَاجْتَبَيْتُ الذَّرَى ، وَهَشَمْتُ الْعُرَى<sup>(٥)</sup> ، وَجَشَشْتُ النَّجْمَ ، وَأَفْجَحْتُ الْبَهْمَ<sup>(٦)</sup> ،

[١] دُعِذِعَتْ : فرقت ، وآبال جمع إبل . [٢] السجل في الأصل : الدلو العظيمة مملوءة .

[٣] المِلْطَاط : كل شفير نهر أو واد ، والموَاصِي والمواصل واحد ، يقال : تواصى النبت : إذا اتصل بعضه ببعض ، وأسياف جمع سيف بالكسر : وهو سائل البحر . [٤] عَكَفْتُ : أقامت ، والسنون الجذوب ، ومحش جمع محوش كصبور ، وهى التى تمحش ( بضم الحاء ) الكلاً أى تحرقه .

[٥] اجْتَبَيْتُ : قطعت واستأصلت ، وهشمت : كسرت ، والبرى جمع عروة ، والعروة : القطعة من الشجر لا يزال باقياً على الجذب ترطاه أموالهم . [٦] جَشَشْتُ : احتلقت ، والبهم : مانح ولم يستقل على ساق ، وأفجحت : أى جعلتها عجائاً ، والعجى : السبي الغناء المهزول .

وَهَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّخَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْجَنَتِ الْعَظْمَ <sup>(١)</sup> ، وَغَادَرَتِ التَّرَابَ مَوْرَأً ،  
وَالْمَاءَ غَوْرًا ، وَالنَّاسَ أَوْزَاعًا <sup>(٢)</sup> ، وَالنَّبْطَ قُعَاعًا ، وَالضَّهْلَ جُزَاعًا ، وَالْمَقَامَ  
جَمْعًا <sup>(٣)</sup> ، يُصَبِّحُنَا الْهَاوِي ، وَيَطْرُقُنَا الْعَاوِي <sup>(٤)</sup> ، نَخْرَجُ لَا أَتْلَقُ بَوْصِيدَةً ،  
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَبِيدَةً <sup>(٥)</sup> ، فَالْبَخَصَاتُ وَقِعَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَامَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ  
قَفْعَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَالْجِسْمُ مُسْلَمٌ ، وَالنَّظَرُ مُدْزِهِمٌ <sup>(٧)</sup> ، أَعْشَوْ فَأَغْطَشُ ، وَأَضْحَى  
فَأَخْفَشُ <sup>(٨)</sup> ، أَسهل ظالماً ، وَأُحْزِنَ رَاكِمًا <sup>(٩)</sup> ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يَمَيِّزُ <sup>(١٠)</sup> ، أَوْ دَاعٍ  
بِخَيْرٍ ؟ وَقَاكَ اللَّهُ سَطْوَةً الْقَادِرِ ، وَمَلَكَهَ الْكَاهِرِ <sup>(١١)</sup> ، وَسُوءَ الْمَوَارِدِ ، وَفُضُوحَ  
الْمَصَادِرِ ، قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُ ، وَاسْتَفْسَرْتُهُ مَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

(الأمالي ١ : ١١٣)

### ٣٤ — خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

- [١] همت : أذبت ، والعرب تقول : « همك مأهمك » أي أدابك مأحزبك ، والتخبت اللحم : أي عرقته من العظم ، وأحجنت العظم : أي عورتته فصيرته كالحجن . [٢] مار موراً : اضطرب وماج ، والنور : الغائر ، أوزاع : فرق . [٣] النبط : الماء الذي يستخرج من البئر أول ما تحفر ، والقعاع الماء الملح المر : والضهل : القليل من الماء ، والجزاع : أشد المياه مرارة ، والجمعاع : المكان الذي لا يطمئن من قدم عليه . [٤] الهاوي : الجراد ، والعاوي : الدثب . [٥] التلغ : الاشتمال ، والوصيدة : كل نسيجة ، والهبيد : حب الحنظل يعالج حتى يطيب فيحتبز . [٦] البخصات جمع بخصة ، وهي لحم باطن القدم ، ووقعة : من قولهم : وقع الرجل كفرح إذا اشتكى لحم باطن قدمه ، وراعة : متشققة ، وقعة ومقعة واحد : وهي التي قد تقبضت ويبست . [٧] المسلم : الضائر المتغير ، والمدرم : الضعيف البصر الذي قد ضعف بصره من جوع أو مرض . [٨] أعشو : أنظر : فأغطش : أصير غطشاً ( بكسر الطاء ) والغطش حركة : ضعف في البصر ، وضحي للشمس كفرح وسعى : برز لها ، والعمش بالتحريك : ضعف البصر خلقة ، أو فساد في الجفون بلا وجع أو أن يبصر بالليل دون النهار . [٩] أسهل ظالماً : أي إذا مشيت في السهول ظلمت ، وطلع كنع : عمر في مشيه ، وأحزن راكماً : أي إذا علوت الحزن ركمت أي كبوت لوجهي . [١٠] المير : العطية ، من قولهم : مارم يبرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ بعضهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول :

« أما بعد : فإننا أبناء سبيل ، وأنضاء<sup>(١)</sup> طريق ، وفل<sup>(٢)</sup> سنة ، تصدقوا علينا ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، أما والله إننا لنقوم هذا المقام ، وفي الصدر حزازة<sup>(٣)</sup> ، وفي القلب غصة .

( البيان والتبيين ٢ : ٤٦ )

### ٣٥ — صورة أخرى

وروى أبو علي القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قلَّ الثَّيْلُ ، وَنَقَصَ الكَيْلُ ، وَعَجِفتُ<sup>(٤)</sup> الخيل ، والله ما أصبحنا ننفع في وَضَح<sup>(٥)</sup> ، وما لَمَّا في الديوان وَشْمَة<sup>(٦)</sup> ، وإنا لِعِيَالٌ جَرَبَة<sup>(٧)</sup> ، فهل من مُعِين ، أعانه الله ، يُعِين ابنَ سبيل ، وَنِضْوَ طريق ، وفلَّ سنة ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . » ( الأمل ٢ : ١٩٧ )

### ٣٦ — صورة أخرى

ورواها صاحب العقد فقال : وقف أعرابي على حلقة يونس فقال :

« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أن أذكرَّ به وأنساه ، إنا أناس قَدِمْنَا المدينة ثلاثون رجلاً لا ندفن ميتاً ولا نتحول من منزل وإن كَرِهناه ، فرحم الله عبداً

[١] أنضاء جمع نضو كقرد وهو المهزول ، أي قد هزلنا وأصننا سلوك الطريق .

[٢] السنة : الجذب والفحط ، وقوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وأفلال ، أي هزلنا الفحط .

[٣] الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوضوح : اللين ، صمى

وضحاً لبياضه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الذراع ، يريد الخطأ .

[٧] الجربة : الكثير ، أو العيال يأكلون ولا ينفعون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وفَلَّ سَنَةً ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عَوَزٍ ، ولكن ليبلُو خيار عباده .  
( القدر الفريد ٢ : ٨٢ )

### ٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :  
« رحم الله امرأ لم تَمَجَّ أَذُنَاهُ كَلَامِي ، وَقَدَّمْ لِنَفْسِهِ مَعَاذَةً <sup>(١)</sup> مِنْ سُوءِ مَقَامِي ، فَإِنَّ الْبِلَادَ مُجْدِبَةٌ ، وَالْدَارَ مُضَيِّعَةٌ ، وَالْحَالَ سَيِّئَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَالْحَيَاءَ زَاجِرٌ يَنْهَى عَنِ كَلَامِكُمْ ، وَالْعُدْمَ عَازِرٌ يَحْمِلُنِي عَلَى إِخْبَارِكُمْ ، وَالِدَعَاءَ إِحْدَى الصَّدَقَتَيْنِ ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَمَرَ بِمَيْمَرٍ <sup>(٣)</sup> ، أَوْ دَعَا بِخَيْرٍ » ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ : يَمْنُ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : « يَمْنٌ لَا تَنْفَعُكُمْ مَعْرِفَتُهُ ، وَلَا تَضُرُّكُمْ جَهَالَتُهُ ، ذَلِكَ إِلَّا كَتْسَابٌ ، يَمْنَعُ مِنْ عَزِّ الْاِنْتِسَابِ » .

( البيان والتبيين ٣ : ٢١٧ ، والقدر الفريد ٢ : ٨١ ، والأمال ١ : ١٣٨ )

### ٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جذبة وشدة وجهد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابي وهو يقول :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، حَابِرُ وَسَبِيلِ ، وَأَفْلالُ بُؤْسٍ ، وَصَرَعي جَدْبٍ ، تَنَابَعَتْ عَلَيْنَا سِنُونُ ثَلَاثَةٍ ، غَبَرَتْ <sup>(٤)</sup> النَّهْمُ ،

[١] المأفة والمعاذ والعياذ : الالتجاء . [٢] وفي الأمال « والحال مسغبة » أي مجيبة .

[٣] ما ز عياله ميراً : جلب لهم الميرة ( بالكسر ) وهي الطعام ، وفي القدر : « فرحم الله امرأ يدير ،

وداعياً يجير » . [٤] غبره لطفه بالغبار ، أو هي « غبرت » بالياء .

وأهلكْتَ النِّعَمَ ، فأَكَانَا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعللُ بذلك أنفسنا ، وَغَنَى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مُخُنَّا عِظَامًا ، وعاد إشراقنا ظلامًا ، وأقبلنا إليكم يَصْرَعنا الوَعْرُ ، وَيَكِينُنَا <sup>(١)</sup> السهل ، وهذه آثار مصائبنا لأثمة في سماتنا ، فرحم الله متصدقًا من كثير ، وموأسياً من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يَجْزِي المتصدقين .

### ٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلاً ، فقال : « أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، وَيُرْزِز الكُمَاب <sup>(٢)</sup> ، وقد حملتنا سِنُو المصائب ، وَنَكَبَات الدهور ، على مَرَكَبِهَا الوَعْرُ ، فواسُوا أبا أيتام ، وَنِضُو زمان ، وَطَرِيدَ فاقَةٍ ، وَطَرِيحَ هَدَكَّة ، رحمكم الله » .

### ٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال : « يا قوم : تتابعت علينا سِنُون بتغير وانتقاص ، فاستركت لنا هُبُعًا ولا رُبُعًا <sup>(٣)</sup> ، ولا عافطة ولا نافطة <sup>(٤)</sup> ، ولا ناعية ولا راغية ، فأما ت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، وَنِضُو زمان ، فلقد خلّفت أقوامًا يمرضون ولا يكفنون » .

[١] أي يسترنا . [٢] جارية كذاب : نهدي ثديها .

[٣] الهبع : الفصيل ينتج في آخر النتاج ، والربع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج .

[٤] العافطة : النعجة ، من العفط : وهو الضرط ، عفت كضرب : ضربت فهي عافطة ، والعفط أيضاً : ثير الضأن تنثر بأنوفها كما ينثر الحمار ، والنافطة : العنز ، من النقط ، نقطت العنز كضرب : نثرت بأنفها أو عطست فهي نافطة ، أو لأنها تغط بيولها : أي تدفعه دفعاً ، أو النافطة لأنباع للعافطة ، أو العافطة : الأمة الراعية ، والنافطة : الشاة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتعلتُ الدماء ،  
وَجُصْتُ حتى أَكَلْتُ التُّرَى .

## ٤١ - أعرابية تستجدي

وقال الأصمى : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَةِ جَرَدَت ، وأيدٍ جُدَّت ، وحال جَهَدَت <sup>(١)</sup> ، فهل من فاعلٍ  
لخير ، وأمرٍ يَمَيِّرُ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِم ، فأَقْرَضَ من لا يظلم .

( العقد الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤ )

## ٤٢ أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أشكو إليكم أيها المَلَأُ زماناً ، كَلَحَ في وجهه ، وأناخَ على بَکْلَمَکَلَه ، بمد  
نعمة من المال ، وثروة من المَال ، وَغِبْطَةَ من الحال ، اعتورتني جَدَائِدُه <sup>(٢)</sup> ، يَنْبَلِ  
مصائبه ، عن قِسِيٍّ نوائبه ، فاستركأ لي ناغية <sup>(٣)</sup> أجتدي ضرعها ، ولا راغية  
ارتجى نفعها ، فهل فيكم من مُعِينٍ على صَرْفِه ، أو مُعَدٍّ <sup>(٤)</sup> على حَتْفِه ؟ ، فرد  
القوم عليه ، ولم يُثَيِّلُوهُ شيئاً ، فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأكل من أمثالكم      جوداً ، وليس الجودُ من فِعالكم  
لا بارك الله لكم في مالكم      ولا أزاح السوء عن عِيَالِكُمْ  
فالفقر خيرٌ من صلاح حالكم

[١] جهده المرض كبح : مرله .

[٢] سنة جداء : علة مجدية ، والجداء من كل حلوبة : القاهية الذين عن عيب ، والجدودة :  
انقلية الذين من غير عيب ، والجمع جدائد وحداد . [٣] الناغية : القاة من الثناء المضم ، وهي صوت  
الفم ، والراغية : الناقة ، من الرضاء ، وهو صوت الإبل .  
٢٤٦ - أمداء هله : نصره وأطانه وقواه .

### ٤٣ — أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :  
 « يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَى شَيْخٍ مُعِيلٍ ، وَعَابِرِ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ  
 شَكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَدَنُهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :  
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمْتَنِي ، قَالَ : فَمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :  
 ذُونَكُنَّهَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . (المقد الفريد ٢ : ٨٢ - ٨٣)

### ٤٤ .. أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :  
 « إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ وَقَاسِيَةٌ <sup>(١)</sup> ، رَحِمَ اللَّهُ  
 أَمْرًا أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كَفَافٍ » .  
 فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دَرَاهِمًا فَقَالَ : « آجَرَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْتَلِيكَ » .

### ٤٥ — أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِي بِقَوْمٍ فَقَالَ :  
 « يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتَ عَلَيْنَا سِنُونَ تَجَادٍ <sup>(٢)</sup> شِدَادٍ ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رَجْعٌ <sup>(٣)</sup> ،  
 وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ <sup>(٤)</sup> ، فَغَضِبَ الْعِدُّ <sup>(٥)</sup> ، وَانْشَفَ الْوَشْلُ ، وَأُتْمَحِلَ الْخِصْبُ ،

---

[١] أَى وَحَالٍ قَاسِيَةٍ ، وَرَبْمَا كَانَ الْأَصْلُ « وَفَلَ سَعَةٍ » . [٢] الْجَادُ : السَّيَّةُ الَّتِي لَا مَطَرَ فِيهَا .  
 [٣] الرَّجْعُ : الْمَطَرُ ، لِعَوْدِهِ كُلِّ حِينٍ . [٤] أَى اسْتِشْقَاقٍ عَنِ النَّبَاتِ ، اقْتَبَسَهُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ :  
 « وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ » .

[٥] الْعِدُّ : الْمَاءُ الْجَارِي الَّذِي لَهُ مَادَّةٌ لَا تَقْطَعُ كَمَا الْعَيْنُ ، وَغَضِبَ الْمَاءُ : غَارَ ، وَالْوَشْلُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ  
 يَتَحَلَّبُ مِنْ جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ ، وَلَا يَتَصَلُّ قَطْرَةً ، وَانْشَفَ الْمَاءُ فِي الْأَرْضِ : ذَهَبَ « وَانْشَفَ الْخَوْضُ الْمَاءَ  
 شَرِيهَ » وَأَعْمَلَ : أَجْدَبَ .

وَكَلَّحَ الْجَذْبَ ، وَشَفَّ<sup>(١)</sup> الْمَالَ ، وَكَسَفَ الْبَالَ ، وَشَطَفَ الْمَعَاشَ ، وَذَهَبَ  
الرِّيَاشُ ، وَطَرَحَنِي الْأَيَّامَ إِلَيْكُمْ غَرِيبَ الدَّارِ ، نَائِيَّ الْمَحَلِّ ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ  
إِلَيْهِ ، وَلَا عَشِيرَةٌ أَلْحَقَ بِهَا ، فَارْحَمِ اللَّهُ امْرَأً رَحِمَ اغْتِرَابِي ، وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ  
جَوَابِي . ( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

#### ٤٦ — أعرابية تستجدي

وخرج المهدي يطوف بعد هدأة<sup>(٢)</sup> من الليل ، فَسَمِعَ أعرابية من جانب  
المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عنهم العيونُ ، وَقَدَحَتِهِمُ الدُّيُونُ ، وَعَضَّتْهُمْ  
السَّنُونُ ، بَادَتِ رِجَالَهُمْ ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ  
طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُجِيرُ ؟  
كَلَّاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَّفَهُ فِي أَهْلِهِ .  
فَأَمْرُ نُصَيْرًا الْخَادِمَ ، فَدَفَعَ إِلَيْهَا خَمْسَ مِائَةِ دَرَاهِمٍ .

( العقد الفريد ٢ : ٨٠ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

#### ٤٧ — أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لَقَدْ خَتَمَتْ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ عَلَى أَفْوَاهِنَا مِنْ صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعِيَ  
بَنْتَانِ لِي ، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُهُمَا تَحَلَّتَا بِحِلَالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمُ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ،  
فَيُرِدُّ حُشَاشَتَنَا<sup>(٤)</sup> ؟ مَنْعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ .

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطَفَ بِالْتَحْرِيكِ : بَيَسَ الْعِيشَ وَشَدَّتْهُ ، وَالرِّيَاشُ : الْمَالُ وَالْخَصْبُ وَالْمَعَاشُ

[٢] أَيْ حِينَ هَذَا لَيْلٍ ، أَوْ هُوَ أَوَّلُ اللَّيْلِ إِلَى ثَلَاثَةِ .

[٣] اقْتَحَمْتُهُمْ وَازْدَرَجْتُهُمْ ، وَقَدَحْتُهُمْ : أَتَقَلَّبْتُهُمْ .

[٤] الْحِشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَرِيضِ ، وَالصَّغَارُ : الذَّلِيلُ .

فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :  
« أَشَدُّ وَاللَّهِ عَلَى مَنْ سُوءُ حَالِي وَفَاقَتِي ، تَوْهَمِي فِيكُمْ الْمَوَاسَاةَ ، أَنْتَعِلُوا الطَّرِيقَ ،  
لَا صَحِيبَكُمْ اللَّهُ ! » . ( العقد المرید ٢ : ٨٢ )

#### ٤٨ — أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :  
« أَيْنَ الْوَجُوهُ الصُّبَّاحُ <sup>(١)</sup> ، وَالْعُقُولُ الصُّحَّاحُ ، وَالْأَلْسُنُ الْفِصَّاحُ ،  
وَالْأَنْسَابُ الصُّرَّاحُ <sup>(٢)</sup> ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَّاحُ ، وَالصُّدُورُ الْفِصَّاحُ ؟ تُعِيزُنِي مِنْ  
مَقَامِي هَذَا » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢ )

#### ٤٩ — أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :  
« هَلْ مِنْ حَائِدٍ بِفَضْلٍ ، أَوْ مُوَاسٍ مِنْ كِفَافٍ ؟ <sup>(٣)</sup> » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَنَعْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَنَضْيعَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ )

#### ٥٠ — أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَّارِفَةِ ، قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ  
قَرَارَةُ اللَّؤْمِ ! ( البيان والتبيين ٢ : ٤٨ )

#### ٥١ — أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَعَلَ اللَّهُ حَظَّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَعَلَ حَظَّ  
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةً <sup>(٤)</sup> صَادِقَةٌ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

[١] جمع صبيحة وهي الجميلة من الصباحة كفضاحة أي الجمال . [٢] جمع صريحة وهي المحضة الخالصة  
[٣] الكفاف من الرزق : ما كسب من الناس وأغنى . [٤] العذرة : اسم من العذر

## ٥٢ — أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورِكَ فيكَ ، فقال : قَبَّحَ اللَّهُ هذا الفَمَ ، لقد تعلَّم الشرَّ صغيراً » . ( البيان والتبيين ٣ : ١٣٦ )

## ٥٣ — أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فنموه ، فقال :  
« اللهم اشغَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأَوِجِّنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ صَنَعَ خَلْقَكَ بِرِزْقِكَ ، فَلَا تَشْغَلْنَا بِمَا عِنْدَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَآتِنَا مِنَ الدُّنْيَا الْقُنْطَمَانِ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

## ٥٤ — أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :  
« أَخْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَجَارِي فِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَطَالِبُ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ مُوَاسِيٍّ فِي اللَّهِ ؟ » .  
وسأل أعرابي رجلاً ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجَمَلَكِ اللَّهُ صَادِقًا » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

## ٥٥ — أعرابي يسأل رجلاً حاجة له

أتى أعرابي رجلاً ( لم تكن بينه وبينه حُرْمَةٌ ) في حاجة له ، فقال :  
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسِرْتُ عَلَى الْأَمَلِ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ، وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْتُ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الْمَثُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّمِ الْوَدَّ ، وَتَعَجَّلِ الْمُرَادَ » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

## قولهم في بكاء الموتي

٥٦ - أعرابية تبكى ابنها

وَحَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنُ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ  
وَجَعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًا ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ  
الْحَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْغَضَارَةِ <sup>(١)</sup> ، وَرَوْتُكَ  
الْحَيَاةَ ، وَالتَّنَسُّمَ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا ، وَرُفَاتًا  
سَحِيقًا ، وَصَعِيدًا جُرُزًا <sup>(٢)</sup> .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبِلَى ،  
وَرَمَتْنِي بِعَدِّكَ نَكْبَةَ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ  
ظِلَامُهُ <sup>(٣)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمِنْكَ الْعَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ ، فَلَمْ  
تَمْتَعْنِي بِهِ كَثِيرًا ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكَأ <sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ  
الْأَجْرَ ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ ، فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمْ عَلَى مَنْ  
أَسْتَوْدَعْتُهُ الرَّدَمَ <sup>(٥)</sup> ، وَوَسَّدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَآلِسْ وَحْشَتَهُ ،  
وَأَسْأَلُ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ <sup>(٦)</sup> وَالسُّوءَاتُ .

[١] النصارة : النعمة والحسن والنعمة والسعة والخصب :

[٢] أطباق جمع طبق : وهو وجه الأرض ، والرفات : الحطام ، وسحيقاً : مسحوقاً ، والصعيد :

التراب ، أو وجه الأرض ، وأرض جرز : لانتبت ، أو أكل نباتها ، أو لم يصبها مطر .

[٣] أسفر الصبح وسفر كضرب : أضاء وأشرق ، داج : قال الأصمعي : دجا الليل ، لأنما هو ألبس

كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومه قولهم : دجا الإسلام أي قوى ، وألبس كل شيء .

[٤] سريماً . [٥] الردم : السدة ، وما يسقط من الجدار المتهدم . [٦] السيئات .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :  
 أى بنى : إني قد تروّدت لسفري ، فليت شعري ، ماذا لك أبعد طريقك ،  
 ويوم معادك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاي عنه ، ثم قالت :  
 استودعتك من استودعتك في أحشائي جنيّاً ، وأثكل الوالدات !  
 ما أمض<sup>(١)</sup> حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر  
 نهارهن ، وأقل أنسهن ، وأشدّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن  
 من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عزّ  
 وجل ، واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت . ( زمر الآداب ٢ : ٧ )

## ٥٧ — حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو علي القالي : عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« دَفَعْتُ يَوْمًا فِي تَلْهُشِي بِالْبَادِيَةِ إِلَى وَادٍ خَلَاءٍ لَا أُنَيسَ بِهِ إِلَّا يَنْتُ مُقْتَنِرٌ<sup>(٢)</sup> ،  
 بِفِنَائِهِ أَغْزُ ، وَقَدْ ظَمِئْتُ فَيَمَمْتُهُ ، فَسَلَّمْتُ فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ ، كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ<sup>(٣)</sup>  
 رَاخِمٌ<sup>(٤)</sup> ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ لَبَنٍ ، فَقُلْتُ : مَا كَأَنْتِ بُغِيْتِي إِلَّا  
 الْمَاءَ ، فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ ، فَقَامَتْ إِلَى قَعْبٍ<sup>(٥)</sup> فَأَفْرَغَتْ فِيهِ مَاءً ،  
 وَنَظَّفَتْ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعْزِ ، فَتَغَبَّرْتَهُنَّ<sup>(٦)</sup> حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ<sup>(٧)</sup> »

[١] مضه الشيء : بلغ من قلبه الحزن به كأمضه .

[٢] منفرد . [٣] الراخم : التي تحضن بيضها ، أرحت الدجاجة على بيضها ورخته ، ورحمت عليه .

فهي مرخم وراخم . [٤] القعب : قدح إلى الصفر ، ويصبه به الماء .

[٥] أي احتلبت الغبر ( كقفل ) : وهي بقية اللبن في المربع ، وجمعه أعبار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كبار وكبير وجسام وجسيم .

مِلءِ الْقَعْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتَ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَغَا وَطَفَّتْ مُثَالَتَهُ <sup>(١)</sup> ، كَأَنَّهَا نَحْمَامَةٌ بِيضَاءُ ، ثُمَّ نَاوَلْتَنِي إِيَّاهُ ، فَشَرَبْتُ حَتَّى تَحَبَّبْتُ <sup>(٢)</sup> رِيًّا وَاطْمَأْنَنْتُ ، فَقُلْتُ :  
إِنِّي أَرَاكَ مَعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمُوَحِّشِ ، وَالْحِلَّةُ <sup>(٣)</sup> مِنْكَ قَرِيبٌ ، فَلَوْ  
انْضَمَمْتُ إِلَى جَنَابِهِمْ فَأَنْسَيْتُ بِهِمْ ! فَقَالَتْ :

« يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي لَا نَسُ بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرِيحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي  
إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمُوَحِّشِ ، فَأَتَذَكَّرُ مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ،  
وَأَتَرَاءِي أَشْبَاحَهُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أَنْدِيَّةُ رَجَالِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ،  
وَمُنْدَى <sup>(٥)</sup> أَمْوَالِهِمْ ، وَاللَّهُ يَا بَنَ أَخِي لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بِشِعِ اللَّدِيدَيْنِ <sup>(٦)</sup>  
بَأَهْلِ أَذْوَاحٍ وَقِيَابٍ ، وَنَعَمٍ كَالْهَضَابِ ، وَخَيْلٍ كَالذَّنَابِ ، وَفَتِيَانٍ كَالرِّمَاحِ ،  
يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصُّبْحَ <sup>(٧)</sup> ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ قَمًّا بِغَرَفَةٍ <sup>(٨)</sup> ،  
فَأَصْبَحْتُ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ الدَّهْرِ فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ »  
ثُمَّ قَالَتْ : ارْهَمِ بَعِينِكَ فِي هَذَا الْمَلَأِ الْمُتَبَاطِنِ <sup>(٩)</sup> ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا قُبُورٌ نَحْوُ  
أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَتْ :  
مَا انْطَوَتْ إِلَّا عَلَى أَخٍ أَوْ ابْنِ أَخٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ ، فَأَصْبَحُوا قَدْ أَلْمَأَتْ <sup>(١٠)</sup>  
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَتَرَقَّبُ مَا غَالَهُمْ ، انْصَرِفْ رَاشِدًا رَحِمَكَ اللَّهُ . (الأمالي ٢: ٧)

[١] الثمالة : الرغبة « وهي مثلثة الراء » . [٢] امتلأت . [٣] الحلة : جماعة بيوت الناس  
والجمع حلال ككتاب . [٤] أشخاصهم جمع شبح كشمس وسبب .  
[٥] التندية : أن يورد الرجل لبله ، ثم يردّها ، ثم يردّها ، والمندى : المكان الذي  
يندّى فيه المال . [٦] بشع : ملآن ، اللديدان : الجانبان ، والدوحة : الشجرة العظيمة .  
[٧] الصباح جمع صبيحة : وهي الجيلة من الصبابة كسحابة : الجمال .  
[٨] قم البيت قما : كنفه « والمقمة : الكنيسة ، والقمامة : الكناسة » والغرفة الواحدة من  
الغرف : وهي ضرب من الشجر . [٩] الملا : الفضاء ، والمتباطن : المتطامن .  
[١٠] أي احتوت عليهم ، وغالهم : أهلكهم .

## ٥٨ — حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خيائها ، وبين يديها بُنْيُ لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصبتته وسجته <sup>(١)</sup> ، ثم قالت :

« يا بن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ قالت : ما أحقَّ من ألبس النعمة ، وأطيلت له النظرة <sup>(٢)</sup> ، أن لا يدع التوثق من نفسه ، قبل حلِّ عُقْدته <sup>(٣)</sup> ، والحلول بمَقْوته <sup>(٤)</sup> ، والمحالة بينه وبين نفسه » ، قال : وما يَقْطُر من عينها قطرة صبراً واحتساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كَانَ مَالَك لبطنك ، ولا أَمْرَكَ لِمِرْسِكَ <sup>(٥)</sup> ، ثم أنشدت تقول :

رَحِيبُ الذراعِ بالي لا نَشِيدُهُ      وإن كَانَتِ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهِادَرَعَا <sup>(٦)</sup>

( الأمل : ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والتبيين : ٣ : ٢٣١ )

## قولهم في الشكوى

### ٥٩ — أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ عَلَيْنَا البصرة رجل من أهل البادية شيخ كبير ، فقصدته فوجدته يَخْضِبُ لحيته ، فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : بلغني ما خَصَّكَ اللهُ به ، فجتتك أقبس من علمك ، فقال : أتيتني وأنا أخضِبُ ، وإن الخِضَابَ لمن علامات الكِبَرِ ، وطَالَ والله ما غَدَوْتُ على صيد الوحوش ، ومَشَيْتُ أمامَ الجيوش ،

[١] تسيجة الميت : تغطيته . [٢] النظرة : الإمهال . [٣] كناية عن الموت .

[٤] المقوة : الحلة ، أي بغيره . [٥] المرس : امرأة الرجل .

[٦] ضاق بالأمر فرحاً : ضقت طاقته ، ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً .

واختَلْتُ بِالرِّدَاءِ ، وَهُوتُ<sup>(١)</sup> بالنِّسَاءِ ، وَقَرَّيْتُ الضَّيْفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،  
وَشَرَبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ الْجَحْجَاحَ<sup>(٢)</sup> ، فَالْيَوْمَ قَدْ حَنَانِي الْكَبِيرَ ، وَضَعُفَ  
مَنِي الْبَصَرِ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الْكَدْرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لِحْيَتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :  
شَيْبٌ تُغَيِّبُهُ كَيْمَا تَفْرُّ بِهِ      كَبِيرٌ كَثُوبٌ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ  
قَدَكُنْتُ كَالْغُصْنِ تَرْتَاحُ الرِّيحُ لَهُ      فَصِرْتُ عُودًا بِلَامَاءِ وَلَا وَرَقِ  
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنْ الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ      وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّنَقِ<sup>(٣)</sup>  
( الْأَمَالِ ٢ : ٩٤ )

## ٦٠ - كَلِمَاتُ شَتَّى فِي الشُّكْوَى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أُصِيبَتْ بِأَبْنَاهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءَكَ ! قَالَتْ : « إِنْ فَقَدِي إِيَّاهُ  
أَمَّنِّي كُلَّ فَقْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَوَّنتَ عَلَيَّ الْمَصَائِبَ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ  
أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ      فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذِرُ  
لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْأَيَّامَ      رَحَقْتُ مَقَابِرُ

\*\*\*

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزْنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكَ هُمُ الْغَدَاءُ وَالْعِشَاءُ  
لِي حُزْنًا » .

\*\*\*

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَنْحَلَ جِسْمَكَ ؟ قَالَ : « سُوءُ الْغِذَاءِ ، وَجُدُوبَةُ الْمَرْعَى ،  
وَاخْتِلَافُ الْهَمُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

الهمُّ مالم يُنْضِضْهُ لِسَبِيلِهِ      دالاً تَضَمَّنَهُ الضَّلُوعُ عَظِيمُ  
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا      إن الذي ضَمِنَ النجَاحَ كريمُ

\*\*\*

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحتُ  
تقيَّدُني الشَّعْرَةُ ، وأَعَثُّ في البَعْرَةِ ، قد أقام الدهرُ صَمَرِي ، بعد أن أقمتُ صَعْرَهُ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أنكرُ البِيضاءَ ، فَصِرْتُ أنكرُ السوداءَ ،  
فياخير مبدول ، وياشرَّ بَدَل ! » .

\*\*\*

وذكر أعرابي منزلاً بَادَ أَهْلُهُ فقال : « مَنَزِلُ وَاللَّهِ رَحَلَتْ عَنْهُ رَبَّاتُ  
الْخُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ<sup>(١)</sup> الْقُدُورِ ، وقد اكَتَسَى بالنباتِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَ  
الْحَمْلَ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَمْفُونَ<sup>(٢)</sup> فِيهِ آثَارَ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَعْفُو آثَارَهُمْ ،  
فَالْعَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْمُلْتَقَى بَعِيدٌ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوما تَغَيَّرَتْ أحوالُهُمْ فقال : « أَغْيُنُّ وَاللَّهِ كُحِلَتْ بِالْعَبْرَةِ  
بعد الحَبْرَةِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَنْفُسُ لَبِسَتْ الْحَزْنَ بعد السُّرُورِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوما تَغَيَّرَتْ حالُهُمْ فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ  
الْحَوَاشِي ، فَطَوَاهِ الدَّهْرُ بعد سَعَةِ ، حَتَّى لَبِسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرِّ<sup>(٤)</sup> ، وَلَمْ أَرَ صَاحِبًا

[١] الرراحل جمع واحدة : وهي في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد هنا الحوامل التي تحمل  
القدور ، أي الأثافي . [٢] عفا المنزل : درس ، وعفته الريح ، يتعدى ويلزم ، وبإيهما عدا ،  
ودفته الريح أيضاً بالتشديد للمبالغة . [٣] العبرة : السرور . [٤] القرّ مثلث القاف : البرد .

أَغْرَ من الدنيا ، ولا ظالماً أَغْشَمَ<sup>(١)</sup> من الموت ، ومن عَصَفَ عليه الليل والنهار  
أَرْدَيَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ وَكَلَّ به الموتُ أفناه .



ووقف أعرابي على دار قد باد أهلها فقال : « دارُ اللهِ مُعْتَصِرَةٌ للدَّوْعِ ،  
حَطَّتْ بها السحابُ أثقالها ، وجَرَّتْ بها الرِّيحُ أذيالها . »



وذكر أعرابي رجلاً تغيرت حاله فقال : « طُوِيَتْ صحيفتُهُ ، وذهب رزقه ،  
فالبلاء مُسْرِعٌ إليه ، وَالْعَيْشُ عنه قابِضٌ كَفِيهِ . »



وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سعة فقال : « كَانَ اللهُ فِي ظِلِّ عَيْشٍ  
ممدود ، فَقَدِحَتْ عليه من الدهر زَنْدٌ غيرُ كَابِيَةٍ<sup>(٣)</sup> . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ - ٨٠ )



وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : « مُصِيبَةٌ وَاللهِ تَرَكْتُ سُودَ الرِّءُوسِ  
بِيضًا ، وَبِيضَ الوجوه سُودًا ، وَهُوَ أَنتِ المصائبَ بعدها . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )



وذكر أعرابي قَطِيعَةً بعض إخوانه فقال : « صَفَرْتُ عِيَابُ<sup>(٤)</sup> الود بيني  
وبينه بعد امتلائها ، وَأَقْفَرْتُ وجوهَ كَانَتْ بِمِائِهَا ، فَأَذْبَرُ مَا كَانَ مُقْبِلًا ،  
وَأَقْبِلُ مَا كَانَ مَدْبِرًا . »

( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٤ )

[١] أظلم . [٢] أهلكاه . [٣] الزند : العود الذي يقدح به النار وكبا الزند : لم يخرج ناره ، وفي الأصل « زند عين كابية » وهو تحريف .  
[٤] صفرت : خلت ، وعياب جمع عيبة بالفتح : ما يجعل فيه الثياب .

❖❖❖  
وقيل لأعرابي : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : « من طال أمدُّه ، وكثر ولده ،  
ودفَّ عدده ، وذهبَ جلده ، ذهبَ شبابه » .

( المقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ )

❖❖❖  
وسئل أعرابي عن سفر أ كدّي<sup>(١)</sup> فيه ، فقال : « ما غنمنا إلا ما قصّرنا في  
صلاتنا ، فأما ما أكلته الهواجر<sup>(٢)</sup> ، ولقيته منا الأباغر ، فأمرُّ استخفناه لما  
أملناه » .

❖❖❖  
وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا فرس ، وما ينام لنا حرس » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٨٢ )

❖❖❖  
وقال أعرابي : « مضى لنا سلفُ أهل تَوَاضُل ، اعتقدوا<sup>(٣)</sup> مِنَّا ، واتخذوا  
الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يَرَوْنَ اصطناع المعروف عليهم فرضاً لازماً ، وإظهار  
البرِّ واجباً ، ثم جاء الزمان بينين<sup>(٤)</sup> ، اتخذوا مِنّهم بضاعة ، وبرَّهم مُرابحة<sup>(٥)</sup> ، وأيادهم  
تجارة ، واصطناعَ المعروف مُقارضةً ، كنقْدٍ ، خُذْ مِنِّي وهاتِ » .

❖❖❖  
وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العِدَّة ، وانقضاء المدة » .

❖❖❖  
ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرّ فقال : « يا هذا :  
أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » . ( المقد الفريد ٢ : ٨٥ )

---

[١] أصله من « حمر فأ كدى » أى صادف الكدية - والكدية كفرصة : الأرض الغليظة ،  
والصفاء العظيمة الشديدة . [٢] الهواجر جمع هاجرة ، وهى شدة الحرّ  
[٣] من اعتقد مالا : اقتناه . [٤] رابحه على السلعة : أعطاه ربحاً



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رَنَقَةٌ <sup>(١)</sup> المشارب ، حَجَّة المصائب ، لا تُتَمَّعك الدهر بصاحب » .



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أُسْنِمَةً <sup>(٢)</sup> تُوضَع ، وأخفاً تُرْفَع ، والخير يُطَلَب عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محله » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٦ )



وقيل لأعرابي : كيف ابْنُكَ - وَكَانَ بِهِ عَاقًا - قال : « عَذَابٌ لا يَقَاومُهُ الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبر » .

( العقد الفريد ٢ : ٩٧ )



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَضْرَةُ <sup>(٣)</sup> ، ما أَقْدَمَكَ ؟ قال : « الْحَيْنُ <sup>(٤)</sup> ، الذي يُغَطِّي الْعَيْنَ » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )



وأصيب أعرابي بابن له ، فقال وقد قيل له أَصْبِر : « أَعْلَى الله أَتَجَلَّد ، أم في مصيبتى أَتَبْلَد ؟ والله لِلْجَزَع من أمره أَحَبُّ إِلَيَّ الآن من الصبر ، لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أَجْزَع من النقص لم أَفْرَح بالمزيد » .

( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )



وقيل لأعرابي : لِمَ لا تَضْرِب في الأرض ؟ فقال : « يمنعني من ذلك ، طِفْل بَارِكٌ ، وإِصْ سَافِكٌ ، ثم إني لست بعد ذلك واثقاً بِنُجْح طَلِبَتِي ، ولا معتقداً

[١] كدرة . [٢] جمع سام ، والمراد ما كان عالياً .

[٣] الحضرة : خلاف البادية كالحفر بالتحريك . [٤] الهلاك .

قضاء حاجتى ، ولا راجياً عطف قراتى ، لأنى أقدم على قوم أطعام الشيطان ،  
واستالمهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكروهم حداة الأسنان .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٤ )

وقال بعض الأعراب : « نالنا وشى<sup>(١)</sup> ، وخلفه ولى<sup>(٢)</sup> ، فالأرض كأنها  
وشى<sup>(٣)</sup> عبقرى<sup>(٤)</sup> ، ثم أتتنا غيوم جراد<sup>(٥)</sup> ، بمنجل حواد<sup>(٦)</sup> ، فخربت البلاد ،  
وأهلك العباد ، فسبحان من يهلك القوى الأَكُول ، بالضعيف المأكول .

( زهر الآداب ٣ : ٢٤٦ )

## ٦١ - قولهم فى العتاب والاعتذار

عاب أعرابى أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حقك على لا يذهب صغير  
حقى عليك ، والذي تمت به<sup>(١)</sup> إلى ، أمت بمثل إلك ، ولست أزعم أنا سواي ،  
ولكنى أقول : لا يحل لك الاعتداء .

( البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، وزهر الآداب ٣ : ١٠٠ )

وقال أعرابى لصديق استبطأه فلأمه : « كآنت بى إلك زلة<sup>(٢)</sup> يمننى من  
ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، وليس أعتذر إلك منها إلا بالإقلاع عنها .

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعرف تقصيراً فأقلع ، ولا ذنباً فأعتب ،  
ولست أقول إنك كذبت ، ولا إننى أذنبت . » ( زهر الآداب ٣ : ١٦٣ )

[١] الوسمى : مطر الريح الأول ، والولى : المطر الذى يأتى بعد المطر .

[٢] الوشى : نقش الثوب ، والعبقرى : المنقطع النظير ، نسبة إلى عبقر ، موضع تزعم العرب أنه من  
أرض الجن ، ثم نسبوا إليه كل شئ تمجبوا من حدقه ، أو جودة صنعه .

[٣] المناجل جمع منجل كنبر : حديدة يقضب بها الزرع ، وحواد جمع حادة : أى قاطعة ، وفى الأصل

« حراد » وأراه محرفاً . [٤] تتوسل .



وقال آخر لابن عمّ له : « سأَتَخَطَّى ذَنْبَكَ إلى عُذْرِكَ ، وإن كنتُ من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شكٍّ ، ولكن لِيَتِمَّ المعروفُ مني إليك ، وتقومَ الحُجَّةُ لي عليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٥ )



وَعَذَلَتْ أَعْرَابِيَّةُ أَبَاهَا فِي الْجُودِ وَإِنْلَافِ مَالِهِ ، فَقَالَتْ : « حَبَسُ الْمَالُ ، أَنْفَعُ لِلْعِيَالِ ، مِنْ بَذْلِ الْوَجْهِ فِي السُّؤَالِ ، فَقَدْ قَلَّ النُّوَالُ ، وَكَثُرَ الْبُخَالُ ، وَقَدْ أَتْلَفَتِ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَبَقِيَتْ تَطْلُبُ مَا فِي أَيْدِي الْعِبَادِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مَا يَنْفَعُهُ ، أَوْشَكَ أَنْ يَسْعَى فِيمَا يَضُرُّهُ » . ( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

## ٦٢ - قولهم في المدح

دخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « رَأَيْتُنِي فِيمَا أُتْعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ ، كَالْمُخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الْبَاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ ، وَأَيَقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ انْتَهَى بِنِ الْقَوْلِ ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ ، مُقْصَرٌ عَنِ الْغَايَةِ ، فَانصرفت عن الثناء عليك ، إلى الدعاء لك ، وَوَكَلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ ، إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ » . ( الأمل ٢ : ٧٣ )



وأثنى أعرابي على رجل فقال : « إِنْ خَيْرِكَ لَسَرِيحٌ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْ مَنَعَكَ لَمَرِيحٌ ، وَإِنْ رَفَدَكَ لَرَبِيحٌ » . ( البيان والتبيين ٢ : ١٠٥ )



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي كِلَابٍ يَذْكُرُ رَجُلًا

[١] أى عطاء بلا مطل ولا إبطاء ، ومريح : أى من كد الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَهْمُ مِنْهُ ذَا أَذْنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرَأِ أَحَدًا كَانَ أَرْتَقَ خِلَلِ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبْعَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادَ <sup>(١)</sup> طَرْفٍ ، إِنَّمَا يَرْمِي بِهِمَتِهِ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرَمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ، وَيَسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمالي ١٦ : ٢ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢)

\*\*\*

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ بَذُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءَ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ فَاضَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .

( الأمالي ١ : ١١٦ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢ )

\*\*\*

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مِمَّنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيُتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمَرُّ <sup>(٢)</sup> ظُلْمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعَل ، وَإِنْ وَلِيَ عَدْل » .

( البيان والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد الفريد ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢ )

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أَذَبَتْهُمْ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمَتْهُمْ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ تَقْرُرْهُمْ السَّلَامَةُ الْمَنْطُويَّةُ عَلَى الْهَلَاكَةِ ، وَجَانَبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ » .

( الأمالي ٢ : ٢٣ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والعقد الفريد ٨٨ : ٢ )

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها ، فقالت : « يَا أُمَّةُ ، مَنْ نَشَرَ ثَوْبَ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] زياد الإبل : اختلافها في الرمي مقبلة ومدبرة ، والموضع مراد ومستراد .

[٢] لا يستطاب ، من استمرأ الطعام : وجده مريئاً أى منيئاً حميد المبة .

كِثْمَانِ الشُّكْرِ جُحُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعْمِ » ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيُّ بُنْيَةٍ : أَطَبَّتِ الثَّنَاءُ ، وَنَقَتْ بِالْجُزْءِ ، وَلَمْ تَدْعِ لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّ وَلَا ثَنَاءٍ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمَّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .  
( الأُمَامِي ١ : ٢٢٥ )



وَوَصَفَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ أَمِيرًا فَقَالَ : « إِذَا أَوْعَدَ آخَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ نَجَلًا ، وَعَيْدُهُ عَفْوٌ ، وَوَعْدُهُ إِنْجَازٌ » .  
( الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٣ : ٢١٧ )



وَنَعَتَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ الْأَلْسُنُ وَالْقُلُوبُ رِيضَتَ لَهُ ، فَمَا تَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى وَدِّهِ ، وَلَا تَنْطِقُ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .  
( الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ٣ : ٢٣١ ، وَالْمَقْدُ الْفَرِيدُ ٢ : ٨٩ ، وَزَهْرُ الْآدَابِ ٢ : ٣ )



وَذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ أَعْرَابِي فَوْقَ فِيهِ قَوْمٌ فَقَالَ : « أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلْمَ لَكُمْ لَمَّا دُومَ ، وَأَعْطَاكُمْ لَمَّا غَرُمَ <sup>(١)</sup> ، وَأَكْسَبَكُمْ لَمَّا مَدَّوْمَ ، وَأَعْطَفَكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ »  
( الأُمَامِي ٢ : ١٦ ، وَالْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ ١ : ١٦٣ )



وَأَعْطَى رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا فَأَكْثَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قَدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » .  
( الأُمَامِي ٢ : ٥٠ )



وَمَدَحَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ مُيَعْنَى <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ الْمَسْكَارِمِ ، غَيْرَ ضَالٍّ فِي مَعَارِجِ طَرَفِهَا ، وَلَا مُتَشَاغِلٍ عَنْهَا بِغَيْرِهَا » .  
( الأُمَامِي ٢ : ٥٠ ، وَالْمَقْدُ الْفَرِيدُ ٢ : ٨٩ )

[١] أَيُّ لَدَالِ الْمَغْرُومِ ، فَنَ لَزَمَهُ غَرَمُ حَمَلِهِ عَه . [٢] أَيُّ يَتَعَبُ وَيَنْصَبُ .

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زماما من أزممتك يُجَرِّبُهَا الأعداء ، فَإِنِ مِسْعَرَ حَرْبٍ <sup>(١)</sup> ، وَرَكَّابُ نُجُبٍ ، شديد على الأعداء ، لِيَتَّي عَلَى الأصدقاء ، منطوى الحَصِيلَة <sup>(٢)</sup> ، قليل الثَّمِيلَة ، غِرَار النُّوم ، قد غَذَّتْني الحرب بأفاويقها <sup>(٣)</sup> ، وَحَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرَهُ ، ولا تمنعك مني اللِّدَامَة <sup>(٤)</sup> ، فَإِن من تحتها شهامة » .

( العقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠ )

ومدح أعرابي رجلا فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخكم السبب ، من أى أقطاره أتيتَه ، تتنى عليه بكرم فِعَال ، وَحُسْنِ مَقَال » .

( زهر الآداب ٢ : ٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٩ )

ومدح أعرابي رجلا فقال « كَانَ والله يَغْسِل من العار وجوهاً مُسَوَّدَة ، ويفتح من الرأى عيوناً مُنْسَدَة » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥ )

وذكر أعرابي قوماً عُبَاداً فقال : « تَرَكُوا والله النعيم اِيْتَنَعَمُوا ، لَهُمْ عِبَرَاتٌ متدافقة ، وَزَفَرَاتٌ متتابعة ، لا تَرَاهُمْ إِلَّا فى وَجْهِ وَجِيهِ عند الله » .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « مَا رَأَيْتُ أُسْرِعَ إِلَى دَائِعٍ بَلِيل ، عَلَى فَرَسٍ حَسِيب ، وَجَلَّ نُجِيب <sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ لَا يَنْتَظِرُ الأَوَّلُ السَّابِقُ ، الأخر الملاحِق » .

[١] أى موقدها ، والنجب جمع نجيب . [٢] حصل الشيء تحميلا : جمعه ، والاسم الحصيعة ، والمعنى مكتم السر ، والثميعة فى الأصل : ما يبقى فى بطن الدابة من العلف والماء ، وما يدخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفى حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد ولينك العراقرن ، فسر إليها منطوى الثميعة » والمعنى فسر إليها مخفا ، والغرار : القليل من النوم . [٣] الأفاويق جمع أفاوق ، وهو جمع فيعة بالكسر ، والفيعة : اسم اللبن يجتمع فى الفروع بين الحلبتين . [٤] اللدامة : قبح المنظر . [٥] النجيب : الجمل السريع الخفيف فى السير .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم مناديلَ أعراضهم ، فالخير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطَبِيبَةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إِذَا بُغِيَ لَدَيْهِمْ .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه بأخماس<sup>(١)</sup> أقدامنا ، وإن أقصى هممهم لَا ذَنْيَ فِعَالِنَا » .



وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِبْ بَيْنَ جُفُونِهِ<sup>(٢)</sup> ، وأرسل الْمُيُونَ عَلَى عِيُونِهِ ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، فالحسن راجٍ ، وَالْمُسَىءُ خَائِفٌ » .



وذكر أعرابي رجلاً براءة المنطق فقال : « كَانَ وَاللَّهِ بَارِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَافِ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرِّيقِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، سَاكِنَ الْإِشَارَاتِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاءً ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاطِعِهِ ، وَيُنْشِدُ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ<sup>(٣)</sup> ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً<sup>(٤)</sup> » .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « آلتَ<sup>(٥)</sup> سَيُوفُهُمْ أَلَّا تَقْضِيَ دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيعَ حَقًّا لَهُمْ ، فَاأْخِذْ مِنْهُمْ مَرْدُودًا إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكًا لَهُمْ » .

[١] جمع أحص كأحمر ، وهو من باطن القدم ما لم يصب الأرض .

[٢] أي لم ينم عن شئون رعيته ، والعيون : الجواسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرجة : المذهب والمسلك . [٤] أحال الكلام إحالة : إذا أفسده ، والحال

من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحال : أتى بالحال وتكلم به . [٥] حلفت



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « مارأيت عيناً قطُ أخرق لِظُلْمة الليل من عينه ، وَلَحْظَةً أشبهَ بلهب النار من لَحْظَتِهِ ، له هِرْزة كَهِرْزة السيف إذا طَرِبَ ، وَجُرْأَةٌ كَجُرْأَةِ الليث إذا غَضِبَ » .



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كانت ظُلْمة ليله كضوء نهاره ، آمِراً بارتِياد ، وَناهياً عن فساد ، لِحَيْبِ السوء غير منقاد » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « اشترى والله عِرْضَه من الأذى ، فلو كانت الدنيا له فَأَنْفَقَهَا ، لَرَأَى بَعْدَهَا عليه حُقُوقًا ، وكان مِنْهَا جَأً لِلْأُمُورِ الْمُشْكِلَةِ إذا تَنَاجَزَ النَّاسُ بِاللَّامَةِ » .



وذكر أعرابي رجلاً فقال : « يُفَوِّقُ <sup>(١)</sup> الكلمة على المعنى ، فتمرُق مُرُوقَ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ، فما أصاب قَتَلَ ، وما أَخْطَأَ أَشْوَى <sup>(٢)</sup> ، وما غَطَفَطَ <sup>(٣)</sup> له سَهْمٌ منذ تحرك لسانُهُ في فيه » .



وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ والله رَكُوبًا لِلْأَهْوَالِ ، غيرَ أَلُوفٍ لِلْحِجَالِ <sup>(٤)</sup> ، إذا أُرْعِدَ <sup>(٥)</sup> لقوم من غير قُرٍّ ، يهين نفساً كريمة على قومها ، غير مُبْقِيَةٍ لَعْدٍ ما في يومها » .

[١] يسدّد ويصوب ، والرمية : ما يرمى . [٢] أشواه أصاب شواه ، والشوى كعصا : اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل . [٣] الغطفطة : حكاية صوت القدر في الغليان وما أشبهها وقد يكون الأصل « وما غطط » أى ما اضطرب من الغططة وهى اضطراب موج البحر . [٤] الحجال جمع حجلة بالتحريك : القبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ، والمراد النساء . [٥] أرعد : أخذته رعدة .

❖❖❖  
ومدح أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ  
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذَرَهُ » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ  
لُبْسَهُ ، وَزَيْنَ بِهِ نَفْسَهُ » .

❖❖❖  
ومدح أعرابي رجلاً فقال : « يُصِمُّ أُذُنِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا ، وَيُخْرِسُ  
لِسَانَهُ عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ <sup>(١)</sup> ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرِفَةِ قَبْلِ طَلَبِي إِلَيْهِ ،  
فَالْعَرِضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَاءِهِ ، وَمَا أَسْتَقِلَّ <sup>(٢)</sup> بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « ذَاكَ رَضِيعُ الْجُودِ وَالْمَفْطُومُ بِهِ ، عَقِيمٌ عَنِ  
الْفَحْشَاءِ ، مُعْتَصِمٌ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ <sup>(٣)</sup> الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ  
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرْنَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نَهَايَةُ ،  
تَمَهَّلَ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا » .

❖❖❖  
وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لَطِيبٌ عِشْرَتِهِ أَطْرَبُ مِنَ الْإِبِلِ  
عَلَى الْحُدَاءِ ، وَالِثْمَلُ عَلَى الْغِنَاءِ » .

---

[١] الشريب والشراب : ما يشرب ، المصقع : البليغ أو العالى الصوت أو من لا يرتج عليه فى كلامه ولا يتنعع . [٢] أى وما أحل ، وأنفلنى : أرجى وردنى . [٣] حذفت : رمت .

✱✱

وذكر أعرابي رجلا فقال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالُطُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَبْلُ عِنْدَ الْمَحَلِّ (١) » .

✱✱

وذكر أعرابي رجلا فقال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ بِغَضِهِ لَهُ » .

✱✱

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بنى بَرَمَكْ ، فقليل له كيف رأيتهم ؟ قال : « رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أُنِسَتْ بِهِمُ النِّعْمَةُ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ » .

✱✱

وذكر أعرابي رجلا فقال : « مَا زَالَ يَبْنِي الْمَجْدَ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .

✱✱

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إِنْ جَهِلَا أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُ بِمُخْلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدُوحِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّؤْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدُ :

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟      وَكَأَنَّ بِأَبْكَ تَجْمَعُ الْأَسْوَاقَ  
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى      بِيَدَيْكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ  
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ حَاشِقًا      وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةً الْعُشَاقِ

( القد المرید ٢ : ٨٨ - ٩٠ )



وضل أعرابي الطريق ليلاً ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :  
 ما أدري ما أقول ؟ أقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : نَوَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 نَوَّرَكَ ، أم أقول : حَسَّنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَّنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد  
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِدَاكَ . (العقد الفريد ٢ : ٩٧)



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا اصْطَفُوا تَحْتَ الْقَتَامِ <sup>(١)</sup> ،  
 خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، يَوْمُ فُودِ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاخُوا بِالسَّيُوفِ فَغَرَّتْ <sup>(٢)</sup> الْمَنَايَا  
 أَفْوَاهَهَا ، فَرُبَّ يَوْمٍ عَارِمٍ <sup>(٣)</sup> قَدْ أَحْسَنُوا أَدَبَهُ ، وَحَرْبٍ عَبُوسٍ قَدْ ضَا حَكَّتْهَا  
 أَسِنَّتُهُمْ ، وَخَطْبٍ شَنْزٍ <sup>(٤)</sup> قَدْ ذَلَّلُوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمَ عَمَّاسٍ <sup>(٥)</sup> قَدْ كَشَفُوا ظُلُمَتَهُ  
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِيَ ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشُ <sup>(٦)</sup> غِمَارُهُ ، وَلَا يُنْهَنَهُ  
 تَيَّارُهُ » . (الأمل ١ : ١٣٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٨٨ ، وزهر الآداب ٢ : ٤)



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طَبَاعاً مِنَ الْهَوَاءِ ،  
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . (زهر الآداب ٢ : ٣)

[١] القتام : الغبار ، والحمام : الموت ، ورواية العقد : « كَانُوا إِذَا اصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »  
 — سفر بين القوم كضرب ونصر : أصلح — . [٢] فغرت : فتحت .  
 [٣] العرامة بالفتح والعرام بالضم : الشراسة والأذى ، هزم كنعصر وضرب وكرم وعلم .  
 [٤] شنز : شديد . [٥] العماس من اللبالي : المظلم الشديد ، وأمر لا يقام له ولا يبتدى لوجهه .  
 [٦] لا ينكش : لا ينزع ، والغمار جمع غمر كشمس : وهو الماء الكثير ، ونهته : كفه وزجره . وفي  
 رواية العقد : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَلْقَمْتَهُ الْقَتَمَ » ، ورواية زهر الآداب : « إِذَا اصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ  
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاخُوا بِالسَّيُوفِ فَغَرَّتْهُ الْحِمَامُ »



ووصف أعرابي قومه فقال : أَيُوثُ حرب ، وَغِيُوثُ جَدْب ، إن قاتلوا  
أَبَلُوا ، وإن بَذَلُوا أَغْنَوْا . ( زمر الآداب ٢ : ٤ )



وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا ثبتت الأصول في القلوب ،  
نطقت الألسنة بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، وَمُحَالٌ  
أن يظهر الوُدَّ المستقيم ، من الفؤاد السَّقِيم » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٥ )



وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يقتلون الفقر ، عند شدة القُرِّ<sup>(١)</sup> ،  
وأرواح<sup>(٢)</sup> الشتاء ، وهبوبِ الجُرِّيَّاء<sup>(٣)</sup> ، بأسنمة الجزور ، ومُترحات<sup>(٤)</sup>  
الْقُدُور ، تحسُن وجوههم عند طَلَبِ المعروف ، وتَمِيسُ عند لَمعان السيوف » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لهم جُود كرام اتسعت أحوالها ، وبأسُ  
ليوثٍ تَتَّبِعُهَا أشبالها ، وَهِمَمَ ملوكُ انْفَسَحَتِ آمالها ، ونَغَرُ صميم آباء  
شَرُفَتْ أحوالها » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٧ )



[١] القُرُّ بقليت القاف : البرد . [٢] جمع ريج كريح . [٣] ريج الصمالي أو بردما .  
[٤] جمع مترعة : وهي الملوحة .

## ٦٣ - قولهم في الذم

وذكر أعرابي قوماً فقال : « أولئك سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ وجوههم باللؤم ، لِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَزَادَهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ يَبُوتٌ تَدْخُلُ حَبَوًّا ، إِلَى غَيْرِ نَمَارِقٍ <sup>(١)</sup> وَلَا وَسَائِدَ ، فَصُحُّ الْأَلْسُنِ بَرْدُ السَّائِلِ ، جِعَادُ الْأَكْفِ عَنْ النَّائِلِ <sup>(٢)</sup> » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « لَقَدْ صَغَّرَ فُلَانًا فِي عَيْنِي عِظَمُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَأَنَّمَا يَرَى السَّائِلَ إِذَا أَتَاهُ ، مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا رَأَاهُ » .

\*\*\*

وسئل أعرابي عن رجل فقال : « مَا ظَنُّكُمْ بِسِكِّيرٍ لَا يُفِيقُ ، يَتَّبِعُ الصَّدِيقَ ، وَيَعْصِي الشَّفِيقَ ، لَا يَكُونُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا حَرُمْتَ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَلَوْ أَفْلَتَ كَلِمَةً سَوْءًا لَمْ تَصِرْ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَوْ نَزَلَتْ لَعْنَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إِنْ فُلَانًا لِيُمْدِي بِإِثْمِهِ ، مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِهِ ، وَلَنْ خَيَّبَنِي فُلُوبٌ بَاقِيَةٌ قَدْ ضَاعَتْ فِي طَلَبِ رَجُلٍ كَرِيمٍ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « تَعْدُوا إِلَيْهِ مَرَاكِبُ الضَّلَالَةِ ، فَتَرْجِعْ مِنْ

---

[١] النمارق جمع نمرقة (بالضم) : وهي الوسادة الصغيرة . [٢] النائل : العطاء ، وهو جمع اليدين أو الأناامل (كشمس) : أي بخيل ، وقد جمعوا جمع الشعر على جمع كسكتاب كما في اللسان ، فليكن هذا مثله ، وقد جاء في الأصل « جمع » بدون ألف ، وأراه محرفاً ، إذ لا يجمع جمع (بالفتح) على جمع بضم فسكون ، ولا على جمع بضميتين .

عنده يبذور الآثام ، مُعَدِّمٌ مما تحب ، مُكَثِّرٌ مما تكره ، وصاحبُ السوءِ  
قطعة من النار .

\*\*\*

وقال أعرابي لرجل : « أنت والله ممن إذا سأل الحلف ، وإذا سُئِلَ سوِّف ،  
وإذا حَدَّثَ حَلَف ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حَسُود ، وتُعْرِضُ  
إِعْراضَ حَقُود . »

\*\*\*

وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لَمَّا سئل عن سفره : « مارَبِحْنَا في  
سفرنا إلا ما قَصَرْنَا من صلاتنا ، فأما الذي لَقِينَا من الهَوَاجِرِ <sup>(١)</sup> ، وَلَقِيتُ منا  
منا الأَبَاعِرُ ، فَعُقُوبَةٌ لَنَا فيما أَفْسَدْنَا من حسن ظننا » ، ثم أنشأ يقول :  
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا      وَمَا خَابَتْ مَرِيَّةُ سَالِمِينَا

\*\*\*

وذكر أعرابي رجلا فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبًا مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،  
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبَحْ وَجْهَكَ إِلَى قَبْجِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطْمِيعَ رَاغِبًا ،  
وَلَا لَخُوفٍ رَاهِبًا . »

\*\*\*

وذم أعرابي رجلا فقال : « عَبَدَ الْفَعَالَ ، حُرَّ الْمَقَالَ ، عَظِيمَ الرِّوَاقِ ،  
دَنِيءَ الْأَخْلَاقِ ، الدَّهْرُ يَرْفَعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضَعُهُ . »

\*\*\*

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدَ ،

---

[١] الهواجر جمع هاجرة : وهي شدة الحر .

إِقْبَالُ حَظِّهِمْ إِدْبَارُ حَظِّ الْكَرَامِ ، شَجَرُ أَصُولِهِ عِنْدَ فُرُوعِهِ ، شَفَلَهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ  
رَغَبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ سُمُّ الْمَجَالِسِ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلُوسَاتِهِ ،  
أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ  
مَنْهُ إِلَى مَنْ يَدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قِلَّةِ عَقْلٍ » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا لَمْ يَدْرِكْ بَثْرَهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَثْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ  
مِنَ الْبَلْغَمِ حَشْوُ مُرَقَّةٍ ، لَوْ دُقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحِجَارَةُ لَرَضَّهَا <sup>(١)</sup> ، وَلَوْ خَلَا  
بِالْكُمْبَةِ لَسَرَقَهَا » .



وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « تَسْهَرُ وَاللَّهِ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرَ النَّاسُ  
شَبَعًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ  
مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ » .



وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَزْعَقُ فَقَالَ : « وَيْحَكَ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمُؤْمِنٍ أَوْ  
مَظْلُومٍ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَخِيفُ عَلَيْكَ ثِقَلُ الذُّنُوبِ ، فَيَحْسُنْ عِنْدَكَ  
مَقَابِحُ الْعُيُوبِ » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً بضعف فقال : « سيء الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّعاية ، ضعيف النّكاية » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كلّ يوم من فعله شاهدٌ بفسقه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً بذلّة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مؤثوراً » .

✽

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، دنى الهمة : « ما أحوجك أن يكون عرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حدّثته يُسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكّته عنه أخذ في التّرهات <sup>(١)</sup> » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله هو أقصد إلى ما يهواه ، من الطّرق إلى المياه ، أفقره ذلك أو أغناه » .

✽

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أقالني من حسن ظنّي به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحكّمه التجارب ، أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالذم إلى من يستوجب المدح » .

---

[١] الترهات جمع ترمة : وهي الباطل .

وقال أعرابي لرجل : « هل أنت إلا أنت لم تَغَيَّرْ ؟ ولو كنت من حديد  
مُحَمَّى ووَضِعتَ على عَيْنٍ لم تَذُبْ » .

وقال أعرابي لأخيه : « قد كنتُ نهيتك أن تدنَّسَ عِرْضَكَ بمرض فلان ،  
وأُغْلِمَكَ أنه سمينُ المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فَجَاءَ ، قصيرُ عمر  
الغنى ، طويل عمر الفقر » .

وقال أعرابي : « لا ترك الله مُخْماً في سُلَامَى <sup>(١)</sup> ناقةٍ حملتني إليك ، وَلَدَّاعِي  
عليها أَحَقُّ بالدعاء عليه ، إذ كَلَّفَهَا المسيرَ إليك » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « لا يُؤْنَسُ جاراً ، ولا يُؤْهِلُ داراً ،  
ولا يَبْعَثُ ناراً » .

وذكر أعرابي امرأة قبيحة فقال : « تُرْخِي ذيلها على عُرْقُوبِي نعاماً ،  
وَتُسَدِّلُ خمارها على وجه كالْجُمَالَةِ <sup>(٢)</sup> » .

وقال أعرابي لامرأة : « والله إنك لمُشْرِفة الأذنين ، جاحِظَة العينين ، ذات  
خلق متضائل ، يُعْجِبُكَ الباطل ، إن شَبِعْتَ بَطْرَت ، وإن جُعْتَ صَحِبْتَ <sup>(٣)</sup> ،  
وإن رأيتِ حسناً دَفَنْتِهِ ، وإن رأيتِ سيئاً أَدْعَيْتِهِ ، تَكْرَمِينَ من حَقَرَك ،  
وَتَحْقِرِينَ من أكرمك » . (المقد الفريد ٢ : ٩٠ - ٩٣)

[١] السلايات : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خرقه ينزل بها القدر  
[٣] الصخب : شدة الصوت .

وسأل أعرابي رجلا فخرمه ، فقال له أخوه : « نزلت والله بوادي غير مَمْطُور ،  
وأُتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تُدْرِك ما سألت ، ولا نلت ما أملت ،  
فارتحل بندم ، أو أقِم على عَدَم » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٥ )

ودخلت أعرابية على حمْدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت فقالت :  
« والله لقد رأيتها فإريت طائلا ، كأن بطنها قربة ، كأن نذيتها دبة ، كأن  
استها رُقعة <sup>(١)</sup> ، كأن وجهها وجه ديك قد نفش <sup>(٢)</sup> عَفْرِيتُهُ يقاتل ديكا » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٢ ، والأمال ٢ : ١٥٦ )

وذم أعرابي رجلا فقال : « أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففارق ما أصلح  
غير راجع إليه ، وقَدِم على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه  
ما كذَّبه ، ولو ألقى زِمَامُهُ أوطأه راحلته » . ( زهر الآداب ٢ : ٦ )

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخصمه : « والله لو صوّر الجمل  
لأظلم معه النهار ، ولو صوّر العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لمُعَدِم ،  
تخف الله واعلم أن من ورائك حكا لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار يئنة » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٦٣ )

وقال أعرابي يعيب قوما : « هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم  
جرما إلى أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والعقد الفريد ٢ : ٩٠ )

\*\*\*

ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدَرِ ، قَصِيرُ الشَّيْرِ <sup>(١)</sup> ، ضَيْقُ الصدر ، لَيْمُ النَّجْرِ <sup>(٢)</sup> ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ » .  
( البيان والتبيين ١ : ١٥٧ ، والمقدّم الفريد ٢ : ٩١ )

\*\*\*

وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضَى بِالْمَشْوَةِ ، وَيَطِيلُ النَّشْوَةُ ، وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةُ <sup>(٣)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٥٠ ، والمقدّم الفريد ٢ : ٩١ )

\*\*\*

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّ أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « امْرَأَتِي ، وَإِنِّهَا لَحَمَقَاءُ مِرْغَامَةٍ <sup>(٤)</sup> ، أَكُولُ قَامَةً <sup>(٥)</sup> ، لَا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ <sup>(٦)</sup> ، غَيْرَ أَنَّهَا حَسَنَاءُ فَلَا تُفْرَكُ <sup>(٧)</sup> ، وَأُمُّ غُلَامَانِ فَلَا تُتْرَكُ » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : « وَاللَّهِ إِنْ شَرَبَكَ لَأَشْتَفَا <sup>(٨)</sup> ، وَإِنْ ضَجَّعَتَكَ لَأَنْجِمَا <sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ شَمَلَمَتَكَ لَأَلْتَفَا ، وَإِنَّكَ لَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ » ،

[١] الشبر : القد . [٢] النجر : الأصل . [٣] المشوة والنشوة والرشوة بثلاث الفاء في الثلاثة ، المشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجمل والبرطيل « بكسر الباء » . [٤] المرغامة : الغضبة لبعلمها . [٥] قامة : اسم فاعل ، من قم : أى أكل ما على الجوان كاقتمه ، وقه : كنسه : [٦] الحامة : الخاصة . [٧] فرك زوجته وفركته كسمع ، وكنصر شاذ : أبغضته ، ورجل مفرك بالتشديد تبغضه النساء وامرأة مفركة : يبغضها الرجال . [٨] اشتف : ماقى الإيذاء : شربه كله . [٩] الانجماف : الانصرام .

فقال لها : « والله إنك لَكَرْوَاءُ السَّاقِينِ <sup>(١)</sup> ، قَعَوَاءُ الْفَخْذَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، مَقَاءُ الرُّفَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، مُقَاضَةُ الْكَشْحَيْنِ <sup>(٤)</sup> ضَيْفُكَ جَائِعٌ ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ » . (الأمالي ١ : ١٠٤)

\*\*\*

عن عبد الرحمن عن عمه قال : مرَّ أعرابي برجل يكنى أبا الفمر - وكان ضخمًا جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال : أَعَيْنِ الْفَقِيرَ الْحَسِيرَ ، فقال : ما أَلْهَفَ سَائِلِكُمْ ، وَأَكْثَرَ جَائِعِكُمْ ، أَرَا حَنَا اللَّهَ مِنْكُمْ ، فقال له الأعرابي : « لو فُرِّقَ قَوْتُ جِسْمِكَ فِي جُسُومِ عَشْرَةِ مَنَا ، لَكَفَانَا طَعَامُكَ فِي يَوْمٍ شَهْرًا ، وَإِنَّكَ لِعَظِيمُ السَّرَطَةِ <sup>(٥)</sup> ، شَدِيدُ الضَّرَطَةِ ، لَوْ ذَرَيْ بِحَبَقَّتِكَ يَنْدَرُ ، لَكَفَّتَهُ رِيحُ الْجَرِيَاءِ <sup>(٦)</sup> » . (الأمالي ١ : ٢٢٦)

## ٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأة فقال : « هِيَ أَرْقُ مِنَ الْهَوَاءِ ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَحْسَنُ مِنَ النَّعْمَاءِ ، وَأَبْعَدُ مِنَ السَّمَاءِ » . (الأمالي ١ : ٢٠١ ، والمقد الفريد ٢ : ٩٤)

\*\*\*

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لَهَا جِلْدٌ مِنْ لَوْلُو ، مَعَ رَائِحَةِ الْمِسْكِ ، وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا شَمْسٌ طَالِمَةٌ » .

\*\*\*

وذكر أعرابي امرأة فقال : « كَادَ الْغَزَالُ أَنْ يَكُونَهَا ، لَوْلَا مَا تَمَّ مِنْهَا وَمَا نَقَصَ مِنْهُ » .

[١] الكرواء : الدقيقة الساقين .

[٢] القعواء : الدقيقة ، أو الدقيقة الفخذين ، وقيل : هي التباعدة ما بين الفخذين (كالنجواء) .

[٣] الرفغ : أصل الرفغ ، والمقاء : الدقيقة الفخذين ، أو الطويلة من المقي بالتحرير وهو الطول .

[٤] المقاضة : المسترخية ، والكشعان : الحاصرتان . [٥] البلعة من سرطه كنصر وفرح : ابتلعه .

[٦] الحبقة : الضرطة ، واليندر : الموضع الذي تداس فيه الجيوب ، والجرياء : ريح الشمال الباردة .

وذكر أعرابي نِسْوَةَ خرجن متنزهاتِ فقال : « وجوهٌ كالدنانير ، وأعناق  
كأعناق اليمّافير<sup>(١)</sup> ، وأوساطٌ كأوساط الزّناير ، أقبلن إلينا بحُجُولٍ<sup>(٢)</sup> تحفّق ،  
وأوشحةٌ تُعلّق ، وكم أسيرٍ لهن وكم مُطلَقٍ » .



ووصف أعرابي امرأة حسناء فقال : « تبسّم عن خَشْش<sup>(٣)</sup> اللّثاتِ ،  
كأقاحي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي الشّقم الذي لا بُرء منه ، والبرء الذي  
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السّما » .



ووصف أعرابي امرأة فقال : « يضاء جَعْدَةٌ<sup>(٤)</sup> لا يَمَسّ الثوبُ منها  
إلا مُشاشة<sup>(٥)</sup> كتفيها ، وحَلَمَةٌ ثديها ، ورضنّ ركبتيها ، ورانفتيّ  
اليتيها ، وأنشد :

أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا      مَسَّ البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظَهُورًا  
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ      نَهْنَنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورًا

[١] اليعافير جمع يعفور : وهو ولد البقرة الوحشية . [٢] الحجول جمع حجل بالكسر والفتح :  
وهو الخلخال ، والأوشحة جمع وشاح بالضم والكسر : أديم عريض يرصع بالجواهر ، تشده المرأة بين  
عاتقها وكشحيها . [٣] خدش ، والأقاحي جمع أقحوان بالضم : وهو نبت طيب الريح حواليه ورق  
أبيض ، ووسطه أصفر ، وراقه : أعجبه .

[٤] الجعد من الشعر خلاف السبط ، أو التقصير منه ، ورجل جعد الشعر والأنثى جعدة ، والجعد أيضا  
الدمج الخلق المجتمع يعضه الى بعض ، والجعد اذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستحجان : أحدهما أن  
يكون معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق ذير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني أن يكون شعره جعدا غير  
سبط لأن سبوطه الشعر هي الغالبة على شعور المعجم من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هي الغالبة على  
شعور العرب . [٥] المشاشة : رأس المظم ، والرضف : عظام في الركبة كالأصابع المضمومة قد أخذ  
بعضها بعضا ، والرائقة : أسفل الألية عند القيام .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسٌ سماءُها ،  
وليس لي شفيح في اقتضاها <sup>(١)</sup> ، وإن نفسي لكثوم لداها ، ولكنها تقيض  
عند امتلاها » .



وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : « والله ما رأيت دمة تَرَقَرَقُ من  
عين يَأْمِدُ <sup>(٢)</sup> على ديباجة خَدَّ ، أحسن من عَبْرَةِ أمطرتها عينها ، فأعشت  
بها قلبي » .



وقال أعرابي : « إن لي قلباً مَرُوعاً <sup>(٣)</sup> ، وعينا دَمُوعاً ، فإذا يصنع كل  
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما شفاؤهما ؟ » .



وقال أعرابي : « مَا أَشَدَّ جَوَلَةَ الرَّأْيِ عند الهوى ، وَفِطَامَ النفس عن الصِّبَا !  
ولقد تقطعت كَبْدِي ! لَوْمُ المَازِلِينَ للماشقين قِرْطَةً في آذانهم ، وَلَوْعَاتِ الحب  
نيرانٌ في أبدانهم ، مع دموع على المَغَانِي <sup>(٤)</sup> ، كَغُرُوبِ السَّوَانِي » .



وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نَمِتَ عَيْنٌ نَظَرَتْ إِلَيْهَا ، وَشَقِيَ قَلْبٌ  
تَجَجَّعَ عَلَيْهَا ، ولقد كنت أزوِّرها عند أهلها ، فَيُرَحِّبُ بِي طَرَفُهَا ، ويتجهمني  
لسانُها » قيل له فما بلغ من حُبِّك لها ؟ قال : « إني ذا كِرٍّ لها وبينى وبينها  
عَدَوَّةُ الطَّائِرِ ، فأجد لذكرها ريحَ المسك » .

[١] التضيؤ منه وتماضاء بمعنى . [٢] الأعمد : الكحل ، والديباجة : الحد . [٣] مفزعا .  
[٤] المغاني جمع مغنى : وهو المنزل ، والغروب جمع غرب كشمس : وهو الدلو العظيمة ، والسواني جمع  
سانية : وهي الناقة يسقى عليها ، والغرب وأداته .

وقال أعرابي : « أَلْهُوَى هَوَانٌ ، وَلَكِنْ غُلِطَ بِاسْمِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ مِنْ يَقُولُ ، مِنْ أَبْنَكْتَهُ الْمَنَازِلُ وَالطَّلُولُ » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إِنْ لِسَانِي لِنِدِكْرِهَا لَدَلُولُ ، وَإِنْ حَبِّهَا لِقَلْبِي لِقَتُولُ ، وَإِنْ قَصِيرَ اللَّيْلِ بِهَا لَيَطُولُ » .

ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال : « كَلَامُهُنَّ أَثْقَلُ مِنَ النَّبْلِ ، وَأَوْقَعُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَبْلِ بِالْمَحْلِ ، فَرَوْعُهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ فُرُوعِ النَّخْلِ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٣ — ٩٥ )

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ أَعْيَنًا دُعْجَا <sup>(١)</sup> ، وَحَوَاجِبَ زُجَا ، يَسْحَبْنَ الشَّيَابَ ، وَيَسْلُبْنَ الْأَلْبَابَ » ( العقد الفريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧ )

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظَمَائِنُ <sup>(٢)</sup> فِي سَوَافِيهِنَّ طُولُ ، غَيْرِ قَبِيحَاتِ الْعُطُولِ <sup>(٣)</sup> ، إِذَا مَشَيْنَ أَسْبَلْنَ الذُّيُولَ ، وَإِنْ رَكِبْنَ أَثْقَلْنَ الْحُمُولَ <sup>(٤)</sup> » .  
( زهر الآداب ٣ : ١٧ )

وقال أعرابي : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِالْبَصْرَةِ بُرُودًا كَأَنَّهَا صُبِغَتْ بِأَنْوَارِ الرَّبِيعِ ، فَهِيَ تَرُوعُ <sup>(٥)</sup> ، وَاللَّابِسُ لَهَا أَرُوعُ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

[١] دُعْجَا جمع دُعْجَاء ، وصف من الدعج بالتحريك : وهو سواد العين مع سميتها . وزجاء جمع زجاء من الزجج بالتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين في طول .

[٢] ظَمَائِنُ جمع ظَمِينة : والظَمِينة في الأصل وصف المرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها ، والسوالف جمع سالفة : وهي ناحية مقدم العنق من لدن معاق القُرط إلى ثقرة الرقوة . [٣] مَطَلَتِ الْمَرْأَةُ كَفَرَحِ عَطَلَا بالتحريك وعطولا : إذا لم يكن عليها حلي . [٤] الحمول : الهودج ، أو الإبل عليها الهودج جمع حمل بالكسر ويفتح . [٥] تعجب .

وقال أعرابي : « شَيْعَنَا الْحَيَّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّقَامِ <sup>(١)</sup> ، فَقَرَأَنَّ بِالْحَدَقِ  
السَّلَامَ ، وَخَرَسَتْ الْأَلْسُنُ عَنِ الْكَلَامِ » . (الأمالي ٢ : ٥٠)

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَامُتَّعَ الْهَوَى بِمَلِكِهِ ، وَلَا مُمْلَى <sup>(٢)</sup>  
بِسُلْطَانِهِ ، وَقَبَضَ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْهَنَ عَضُدَهُ ، فَلِإِنَّه جَائِرٌ لَا يُنْصِفُ فِي حَكْمٍ ، أَعْمَى  
لَا يَنْطِقُ بِعَدْلٍ ، وَلَا يُقَصِّرُ فِي ظَلَمٍ ، وَلَا يَرْعَى لِنَدَمٍ ، وَلَا يَنْقَادُ لِحَقٍّ ، وَلَا يُبْتَنِي  
عَلَى عَقْلِ وَفْهِمْ ، لَوْ مَلَكَ الْهَوَى وَأَطِيعَ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَالْدُنْيَا عَلَى أَعْقَابِهَا »

وسئل أعرابي عن الهوى فقال : « هُوَ دَاءٌ تُدَاوِي بِهِ النُّفُوسَ الصَّحَاحَ ،  
وَتَسَلُّ مِنْهُ الْأَرْوَاحَ ، وَهُوَ سَقَمٌ مُكْتَسَمٌ ، وَحَمِيمٌ <sup>(٣)</sup> مُضْطَرِمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ  
مُنْضَجَةٌ ، وَالْعَيُونُ سَاكِبَةٌ » . (زهر الآداب ٣ : ١٨)

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : « هِيَ زِينَةُ الْحُضُورِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ  
السُّرُورِ ، وَلَذِيكَرُهَا فِي الْمَغِيبِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّقِيبِ ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ  
وَنَسِيبٍ ، وَبِهَا عُرِفَ فَضْلُ الْحُورِ الْعَيْنِ ، وَاشْتَقِقَ بِهَا إِلَيْهِنَّ يَوْمَ الدِّينِ » .  
(زهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

ووصف أعرابي نساء فقال :

« يَلْتَمِسْنَ عَلَى السَّبَائِكِ <sup>(٤)</sup> ، وَيَتَشَحَّنَ عَلَى النَّيَازِكِ <sup>(٥)</sup> ، وَيَأْتِرْنَ

[١] أي الهبوبات المداوية للسقام .

[٢] ملاء الله حبيبه تمليه : متعه به وأطاشه معه طويلا . [٣] الحميم : الماء الحار . وفي الأصل :  
« وحى » وأداة محرفا عن حميم ، ويناسبه قوله بعد : « والعيون ساكبة » .

[٤] اللثام على الفم ، واللثام على طرف الأنف ، تلثمت المرأة وتلفمت ، والسبائك هنا الأسنان شبهها  
ليأخضا بالسبائك . [٥] النيازك جمع نيزك كجعفر : وهو الرمح القصير .

على العَوَانِك<sup>(١)</sup> ، وَيرْتَفِقُنْ على الأَرَائِكِ<sup>(٢)</sup> ، وَيَتَهَادَيْنِ على الدَّرَانِكِ<sup>(٣)</sup> ،  
ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيزُ<sup>(٤)</sup> ، عن وَلِيْعٍ كَالْإِغْرِيزِ<sup>(٥)</sup> ، وَهُنَّ إِلَى الصَّبَا صُورٌ ، وعن  
الْحَنَّا نُورٌ<sup>(٦)</sup> . (الأمال ١ : ٤٤ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨ )

## قولهم في الوصف

### ٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« اسْتَقَلُّ سُدُّمٌ مع انْتِشَارِ الطِّفْلِ<sup>(٧)</sup> ، فَشَصَا وَأَحْزَالَ<sup>(٨)</sup> ، ثُمَّ اكْفَهَرَّتْ  
أَرْجَاؤُهُ ، وَاجْمَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ ، وَابْذَعَرَّتْ فَوَارِقُهُ<sup>(٩)</sup> ، وَتَضَا حَكَّتْ بَوَارِقُهُ ،  
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ ، وَأَرْتَقَتْ جُوبُهُ ، وَأَرْتَعَنَ هَيْدَبُهُ<sup>(١٠)</sup> ، وَحَشَكَتْ أَخْلَافُهُ ،  
وَاسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ ، وَانْتَشَرَتْ أَكْنَافُهُ<sup>(١١)</sup> ، فَالْرَعْدُ مُرْتَجِسٌ ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ ،

- [١] العوانك جمع طابك : وهو رمل منعقد يشق فيه البعير لا يقدر على السير .  
[٢] الأرائك جمع أريكة وهي السرر أو الفرش ، وارتفق : ارتكأ على مرفق يده ، أو على الخدة .  
[٣] يتهادين : يمشين مشياً ضعيفاً ، والدرايك : الطنافس جمع درنوك كمصفور ، ودريك كزرج .  
[٤] الوميض : اللعان الحثي ، والوليع : الطلع ، كأنه نظم اللواؤ في شدة بياضه . قال الشاعر يصف  
نفر امرأة : وتبسم عن نير كالوليع ، والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره ، والبرد (بتحريك الراء) .  
[٥] صور : مواثيل ، ومنه قيل للمائل العنق أصور ، ونور : مافرات من الريبة جمع نوار كسحاب .  
[٦] استقل : ارتفع ، والسد : السحاب الذي يسد الأفق ، والطفل : العمى إلى حد المغرب .  
[٧] شصا ارتفع ، واحزأل مثله . [٨] المكهفر من السحاب : الذي يركب بعضه بعضاً ،  
وأرجاؤه : نواحيه جمع رجاكمصا ، واجمومت : اسودت ، وأرجاؤه : أوساطه ، جمع رجاكمصا ، وابدعرت  
تفرقت ، والفوارق جمع فارق ، وهو السحاب الذي ينقطع من معظم السحاب ، وأصله في الإبل ، يقال  
ناقة فارق : وهي التي تندعن الإبل عند تواجها .  
[٩] استطار : انتشر ، والودق الذي يكون فيه الودق ( كشمس ) وهو المطر العظيم القطر ، وارتقت  
التأمت ، وجوبه : فرجه ، وارتعن : استرخى ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو من الأرض مثل هذب القطيفة .  
[١٠] حشكت : امتلأت ، والأخلاف جمع خاف كحمل ، وهو للناقة كالضرع للبقرة ، أردافه : ما خيره  
والأكناف : الواحي .

والماء مُنْبَجِسٌ <sup>(١)</sup> ، فَأُتْرِعَ النُّدُرُ ، وَاتَّبَثَ الْوُجُرُ <sup>(٢)</sup> ، وَخَلَطَ الْأَوْعَالَ  
بِالْآجَالَ ، وَقَرَنَ الصَّيْرَانَ بِالرِّئَالِ <sup>(٣)</sup> ، فَلِلْأُودِيَةِ هَدِيرٌ ، وَلِلشُّرَاجِ خَرِيرٌ ، وَلِلتَّلَاعِ  
زَفِيرٌ <sup>(٤)</sup> ، وَحَطَّ النَّبْعَ وَالْعُتَمَ ، مِنْ الْقُلَلِ الشَّمَّ ، إِلَى الْقِيَعَانِ الصُّخْمِ <sup>(٥)</sup> ، فَلَمْ  
يَبْقَ فِي الْقُلَلِ إِلَّا مُعْصِمٌ مُجْرَثِمٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُجْرَجَمٌ <sup>(٦)</sup> ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ، عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ . (الأمال ١ : ١٧٣)

## ٦٦ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً من غنيّ يذكر مطراً أصاب <sup>(٧)</sup> بلادهم في  
غيبٍ جَدَّبَ فقال :

« تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَبَتِ الْأَمْحَالُ ، وَتَقَاصَرَتِ الْآمَالُ ، وَعَكَفَ  
الْيَاسُ ، وَكُظِمَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِي مُضْمِرِمًا <sup>(٨)</sup> ، وَالْمُتَرَبُّ مُعْدِمًا ،

[١] مرتجس : مصوّت من الريح كحمل وهو الصوت ، مختلس : كأنه يختلس البعير لشدة إعاقته ،  
منبجس : منفجر .

[٢] أترع : ملأ والنذر جمع غدير ، والوجر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو جعر الضبع والمثلب ،  
واتبث : أخرج نبيتها وهو تراب البثر والقبور ، أي أنه لشدة مدم الوجر حتى أخرج ما بداخلها من التراب .  
[٣] الأوعال جمع وعل ، ( كشمس وكشف ودئل ) : التيس الجبلي ، والآجال جمع أجل كحمل وهو  
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين الوعول — وهي تسكن الجبال — وبين البقر — وهي تسكن القيعان  
والرمال ، والصيران جمع صوار كشجاع ، وصيار ككتاب وهو القطيع من البقر ، والرئال جمع رأل كشمس  
فرغ النعام ، فالرئال تسكن الجلد ( بالتحريك ) وهي الأرض الصلبة المستوية المتن ) والصيران تسكن الرمال  
والقيعان ، فقرن بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الإبل ، الفراج جمع شرج كشمس وهو ميل الماء من الحرة إلى السهل  
والتلّاع : مسيل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] النبع : شجر يتخذ منه القسي ينبت في  
الجبال ، والعتم : الزيتون الجبلي كقفل وعنتى ، والقلل : أعلى الجبال جمع قلة كفرصة ، والشم : المرتفعة  
جمع شماء ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطمئة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، والصخم : التي تطلوها  
حرة جمع أحصم . [٦] المعصم : الذي قد تمسك بالجبال وامتنع فيها ( ويقال للرجل الذي يسك برف فرسه  
خوف البقوط : معصم ) مجرثم : متقبض ، الداحض : الذي يقحم برجليه عند الموت ، والمجرثم : المصروع .  
[٧] صاب : جاد ، وكلبت : اشتدت ، والأمحال جمع محل كشمس وهو الفعط ، وعكف : أقام .

[٨] الماشي : صاحب الماشية ، مضى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته ، والمصرم : المقارب المال القفل ،

وَجُفِيتِ الْحَلَالِيلُ ، وَأُمْتِهِنَتِ الْعَقَائِلُ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا رُكَّامًا<sup>(١)</sup> ، كَنَهْوَرًا سَجَّامًا ،  
بُرُوقَهُ مَتَأَلِّقَةً ، وَرُعُودَهُ مُتَقَعِّمَةً ، فَسَحَّ سَاجِيًا<sup>(٢)</sup> رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي فُوقٍ ،  
ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَحَرَتْ<sup>(٣)</sup> رُكَّامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَاَنْقَشَعَ مَحْمُودًا ،  
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُسَكَّتُ نِعْمُهُ ، وَلَا تَنْقَدُ  
قِسْمُهُ ، وَلَا يَخْجِبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ<sup>(٤)</sup> نَائِلُهُ . (الأمالي ١ : ١٧٦)

## ٦٧ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابيًا من بني عامر بن صعصعة عن مطر  
صَابَ بلادهم فقال :

« نَشَأَ عَارِضًا<sup>(٥)</sup> ، فَطَلَعَ نَاهِيضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِيضًا ، فَأَعَسَّ فِي الْأَقْطَارِ  
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ فِي الْآفَاقِ فَنَغَطَّاهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ<sup>(٦)</sup> فَهَمَّهُمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأُظْلِمَ ،

والترتب الذي له المال مثل التراب كثرة ، يقال : أترب الرجل إذا كثرت ماله ( وقل أيضاً . ضد )  
وترب كفرح إذا انتفرح كأنه لصق بالتراب ، وامتهنت : استخدمت واعتملت ، والمقائل جمع عقيلة ، وأنشأ  
أحدث ، والشء : السحاب أول ما يخرج .

[١] الركام : المتراكم ، والكنهور من السحاب قطع كأشجار الجبال ، أو التراكم منه ، واحدته كنهورة ،  
وسجّام : صباب ، ومتألق : لامعة ، ومتقعدة : مصوتة .

[٢] سحّ : صب ، ساجياً : ساكماً ، راكداً : ثابتاً ، والفواق : أن يصب صبة ثم يسكن ، ثم يصب  
أخرى ثم يسكن مأخوذ من فواق اللاقة وهو ما بين الحابتين ، كأنه يحلب حلبه ثم يسكن ، ثم يحلب أخرى  
ثم يسكن . [٣] طحرت : أذهبت وأعدت ، والمهام : السحاب الذي قد هراق مائه ، تكت : تجمعي .  
[٤] يرر : يقل ، ومنه قيل : امرأة نزور : إذا كانت قليلة الولد .

[٥] العارض : السحاب الممطر في الأفق ، وومض البرق كوعد : لمع خفيفاً ، ولم أحد في كتب اللغة  
« أعس » وإنما الذي فيها « عسس السحاب : دنا من الأرض » وأسعاها : عطاها ، وفي الأصل « أسعاها »  
بهاء وهو تصحيف . [٦] ارتجز الرد : صات ، وارتجز السحاب : تحرك بطيئاً لكثرة مائه ،  
رهمهم الرد : إذا سمعت له دوياء والهمهمة : كل صوت معه يحج ، وأرك : أتى بالرك ( بفتح الراء ويكسر )  
وهو المطر القليل أو هو فوق الدث ، والدث بالفتح : المطر الضعيف ، والبغشة بالفتح : العارة الضعيفة  
وقد غشت السماء كعب ، والغش : المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ ، طشت السماء كنصر وضرب .

فَأَرْكَ وَدَثَّ ، وَبَنَشَ وَطَشَ ، ثُمَّ قَطَّقَطَ <sup>(١)</sup> فَأَفْرَطَ ، ثُمَّ دَيَّمَ فَأَغْمَطَ ، ثُمَّ رَكَدَ فَأُتْجِمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنَمَ ، فَقَمَسَ الرُّبَا <sup>(٢)</sup> ، وَأَفْرَطَ الزُّبَى ، سَبَمًا تَبَاعًا ، مَا يَرِيدُ اتَّقَشَاعًا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُزُونُ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضَحَضَحَتِ الْمُتُونُ ، سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٤٩ )

### ٦٨ — ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

، الْأَصْمَى قَالَ : صَرَرْتُ بِغَلْمَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتِمَّا قَالُونَ <sup>(٤)</sup> فِي غَدِيرٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : أَيَكُمُ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا ؟ فَخَرَجُوا إِلَيَّ فَقَالُوا : كُلَّنَا ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصَفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدِّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

« عَنْ لَنَا قَارِضٍ قَصْرًا <sup>(٥)</sup> ، تَسْوِقُهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يَحْبُو حَبْوُ الْمُتَنِيكَ <sup>(٦)</sup> ، حَتَّى إِذَا ازْأَلَامَتْ <sup>(٧)</sup> صَدُورُهُ ، وَاتَّعَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَّعَ هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَوِيرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاؤُهُ <sup>(٨)</sup> ، وَتَلَامَّ خَصَاصُهُ ، وَارْتَمَجَ

[١] المَطَطَطُ بِالْكَسْرِ : الْمَطَرُ الْمُتَابِعُ الْعَظِيمُ الْقَطَرُ ، وَقَدْ قَطَطَتِ السَّمَاءُ ، وَالذَّيْنَةُ بِالْكَسْرِ : مَطَرٌ يَدُومُ فِي سَكُونٍ بِلَا رَعْدٍ وَبَرْقٍ ، أَوْ يَدُومُ أَيَّامًا ، وَقَدْ دَيْمَتِ السَّمَاءُ ، أَغْمَطَ : دَامَ وَلَا رَمَ ، وَأُتْجِمَتْ السَّمَاءُ : أَسْرَعَ مَطَرُهَا وَدَامَ ، وَالْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ ، وَقَدْ وَبَلَ السَّمَاءُ كَوَعْدَ : أَمَطَرَتْ ، وَسَجَمَ كَدَخَلَ : سَالَ وَالصَّبَّ . [٢] قَسَ الرُّبَا : كَسَرَ وَضَرَبَ : غَوَّصَهَا ، وَأَفْرَطَهَا : مَلَأَهَا حَتَّى قَاسَتْ ، وَالزِّيَ جَمْعُ زِيَةٍ كَقِرْصَةٍ ، وَهِيَ الرَّايَةُ لَا يَطْلُوهَا الْمَاءُ ، وَحَفْرَةٌ تَحْفَرُ لِصَيْدِ الْأَسَدِ ( وَهُوَ الرَّادُّ هُنَا ) صُمِّيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْفَرُونَهَا فِي مَوْضِعٍ طَالٍ .

[٣] الْحُزُونُ جَمْعُ حَزْنٍ كَشَمْسٍ وَهُوَ الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْمُتُونُ جَمْعُ مَتْنٍ كَشَمْسٍ : وَهُوَ مَا صَلَبَ مِنَ الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ ، وَالضَّحَضُحُ وَالضَّحَضُحُ وَالْمُتَضَحِّضُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، وَقِيلَ هُوَ مَا لَا غُرْقَ فِيهِ ، وَقِيلَ هُوَ الْمَاءُ إِلَى الْكَمِينِ أَوْ إِلَى أَنْصَافِ السُّوقِ — وَفِي لَفْظَةِ هَذَا كَثِيرٌ — وَقَدْ تَضَحَضَحَ الْمَاءُ ، وَالتَّضَحُّضُ أَيْضًا جَرَى السَّرَابِ ، تَضَحُّضٌ إِذَا تَرَفَّرَ .

[٤] يَتَفَطَّوْنَ فِي الْمَاءِ . [٥] عَنْ : عَرَضَ ، وَالْقَمَرُ : الْمَتْنُ ، وَالصَّبَا : رِيحٌ تَهْبُ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِذَا اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . [٦] عَكَ الرَّمْلُ كَنَصَرٍ : تَعَدَّى وَارْتَفَعَ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ طَرِيقٌ ، وَرَمَلَةٌ طَائِفَةٌ فِيهَا تَعَدَّى لَا يَقْدِرُ الْبَعِيرُ عَلَى الْمَتْنِ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَحْبُو ، وَاعْتَكَّ الْبَعِيرُ وَاسْتَمْتَكَّ : حَبَا فِي الْمَائِكَةِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى السَّيْرِ وَقَالَ رُوَّةٌ : أَوْدَيْتُ لِأَنَّهُ لَمْ تَحْبُ حَبْرُ الْمَتْنِ .

[٧] اَزْأَلَمَتْ : ارْتَفَعَتْ ، وَالْخُصُورُ جَمْعُ خَصَرٍ : وَهُوَ وَسْطُ الْإِنْسَانِ ، وَالرَّجِيعُ : تَرْدِيدُ الصَّوْتِ فِي الْحَلْقِ . [٨] النَّشَاؤُ كَكِتَابٍ وَسَحَابٍ : السَّحَابُ الْمُرْتَفِعُ ، أَوْ الْمُرْتَفِعُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَخُصَاصُهُ :

ارتعاضه ، وأوفدت سِقَابُهُ <sup>(١)</sup> ، وامتدت أطنابُهُ ، تدارك وَذْقُهُ ، وتَأَلَّقَ بَرَقُهُ ، وَحَفَزَتْ تَوَالِيهِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَنْسَفَحَتْ عَزَالِيهِ ، فغادر التَّرى عَمِداً <sup>(٣)</sup> ، وَالْعَزَازَ ثَمِداً ، وَالْحُتَّ غِقْدًا <sup>(٤)</sup> ، وَالضَّحَاصِخَ مُتَوَاصِيَةً ، وَالشَّعَابَ مُتَدَاعِيَةً .

وقال الآخر : « تَرَاءَتْ الْمَخَايِلُ <sup>(٥)</sup> مِنَ الْأَقْطَارِ ، تَحْنُ حَزْنِ الْعِشَارِ ، وَتَتَرَامَى بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ <sup>(٦)</sup> ، وَبَوَاسِقُهَا مِتْضَاحِكَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مِتْقَازِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مُتَرَادِفَةٌ ، وَأَرْحَاؤُهَا مُتَرَاصِفَةٌ ، فَوَصَلَتْ الْغَرْبَ بِالْشَرْقِ ، وَالْوَبْلَ بِالْوَذْقِ ، سَحَّادَرًا كَا <sup>(٧)</sup> ، مُتَتَابِعًا لَكَا كَا ، فَضَحَضَحَتْ الْجَفَاجِفَ <sup>(٨)</sup> ، وَأَنْهَرَتْ الصِّفَافِصِفَ ، وَحَوَّضَتْ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَفْلَعَتْ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ، مَوْمُوقَةَ الْخِيَارِ . »

فرجه ، وأصله الفرج بين الأثافي والنقب الصغير وكل خلل أو خرق في باب ومنخل وبرقع ونحوه، وارتفع : ارتعد ، وارتعص : تلوى وانتفض ، وارتعص الرمح : اشتد اهتزازُه .

[١] أوفدت : أشرفت ، والسقاب جمع سقب كشمس وهو عمود الجباء ، والأطباب جمع طب كسقى وهو حبل طويل يشد به الوتد . [٢] حفزه كضربه : دفعه من خلفه ، والتوالى : الأعجاز والمآخير ، والعرالى بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء : وهى مصب الماء من الراوية ونحوها ، واسفحت : اصبحت ، من سفع الدم أراقه . [٣] عمد الترى كفرح : بالله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لدوته ، والعزاز : الأرض الصلبة مكان ثمد : ندم من التأد بالتحريك وهو الدى . [٤] الحث : الياس الحشن من الرمل ، والعقد ككف وجبل : ماتعقد من الرمل وتراكم ، والضحضض كجفجر والضحضاح : الماء اليسير ، متواصية : متواصلة ، والشعاب جمع شعبة كفرصة : وهى السيل فى الرمل ، وماعظم من سواقى الأودية ، وصدع فى الحل يأوى إليه المطر . [٥] مخايل جمع مخيلة « بصم الميم وكسر الحاء » والمخيلة والمخيلة « بتشديد الياء المكسورة » السحابة التى تحبسها ماطرة ، والعشار جمع عشاء كفساء : وهى الناقة التى مضى لحملها شجرة أشهر أرتمانية ، أو وهى كالفساء من النساء ، والشهب جمع شهاب ككتاب : وهو شعلة من نار ساطعة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أى أساسه ، متلاحكة : أى قد اشتدت التماسها ، والمتلاحكة : الناقة الشديدة الخلق ، وبواسقها : أعاليها جمع باسقة ، من بسق : أى طال وارتفع ، ومتضاحكة : أى يضحك فيها برقها ، متقاذفة : أى يقذف بعضها بعضا بالمطر ، وأرحاؤها : أوساطها ، متراصة : متراكمة قد رصف بعضها فوق بعض . [٧] أى صبا متتابع ، ولركاكا : متزاخما من السكاك ككتاب وهو لرحام . [٨] الجفاجف جمع جفجف كجفجر : وهى الأرض المرتفعة ليست بالغليظة ، وضحضحتها : جعلت فيها ضحضاح ، والصفاصيف جمع صفصيف كجفجر : وهو المستوى من الأرض ، وأنهر الماء : أساله ، والأصلف والصلعاء : ما صلب من الأرض ، والجمع أصالف ، وحوضت جعلت فيها حياضا .

فقال الثالث : والله ما خِلْتَه بلغ مُخْسَاً ، فقال : هلمَّ الدرهم أَصِفْه لك ، فقلت : لا ، أو تقول كما قالَا ، قال : لَا بُدَّ لِيُمَا <sup>(١)</sup> وَصَفَا ، ولَأَوْقِفْنِيْمَا رَصَفَا ، فقلت : هاتِ لله أبوك ، فقال : « بينما الحاضِرُ بين الباس والإِبلاس ، قد غَمَرهم الإِشفاق ، رَهْبَةً الإِملاق ، وقد جَفَّتْ الأنواء <sup>(٢)</sup> ، ورُفِرَ البلاء ، واستولى القُنُوط على القلوب ، وكثُر الاستغفار من الذنوب ، ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سحاباً مُسْتَجْهَرًا <sup>(٣)</sup> كَنَهْوَرًا مُعْنَوِيْكَا مُخْلَوِيْكَا ، ثم استقل وأخْزَأَلَّ ، فصار كالسما دون السماء ، وكالأرض المَذْحُوَّة <sup>(٤)</sup> في لُوح الهواء ، فأَحْسَبَ السَّهولَ ، وأَتَأَقَّ الهُجُولَ ، وأحيا الرجاء ، وأمات الضَّرَاءَ ، وذلك من فضل رب العالمين . »  
قال : فمَلَأَ اللهُ اليَفْعُ صدرى ، فأعطيت كل واحدٍ درهما ، وكتبت كلامهم .  
( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٢ )

## ٦٩ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر صابهم بعد جَدَب فقال :  
« ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلبَ القُنُوطُ ، فأنشأ بنوهُ الجَبْهَةَ <sup>(٥)</sup> قَزَعَةً كَالْفَرَضِ من قِبَلِ المَيْنِ ، فأخْزَأَلَّتْ عند ترجُلِ النهار ،

[١] بدء : فاته وغلِبَه ، والهاصر : ساكن الحضر ، والباس : العذاب والشدة ، والإِبلاس : النعير واليأس ، والاشفاق : الحوف ، والإِملاق : الفاقة . [٢] الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في ساعته من المشرق ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحروالبرد إليها . [٣] مستجهرًا : لم أجِدْ هذه الكلمة في كتب اللغة ، وربما كان الأصل : « مستنهرًا » من استنهر النهر إذا انسح ، والمخلوك : الشديد السواد ، وقد تقدم معنى اعتك واستعتك ، واعتوك أفعول من هذه المادة ، ولم أحده في كتب اللغة . [٤] المبسوطة ، واللوح : الهواء وأحسبها : أرواها ، من أحسبه إذا أطعمه وسقاه حتى شبع وروى ، وأتأق : ملأ ، والمحول جمع هبل كشمس : وهو المطنني من الأرض ، واليفع واليافع : الشاب .  
[٥] الجبهة : منزل القمر ، قرعة : قطعة من الحجاب ، والفرض : انترس ، والعين : القبة ، وترجل النهار : ارتفع .

لَا زَمِيمَ السِّرَارِ<sup>(١)</sup> ، حتى إِذَا نَهَضَتْ فِي الأفق طالعةً ، أمر مسخَرها الجنوبُ  
فَتَنَسَّمَتْ لها ، فانتشرت أَحْضَانُهَا ، وَأُحْمَوِمَت أركانها ، وَبَسَقَ عَنَانُهَا<sup>(٢)</sup> ،  
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَانْبَعَجَتْ كُلاَهَا ، وَذَمَرَتْ أَخْرَاهَا أُولَاهَا ، ثم استطارت  
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَعَّقَعَت صَوَاعِقُهَا ، ثم ارْتَمَعَت<sup>(٣)</sup> جوانبها ، وتداعت سَوَا كِبُهَا ،  
وَذَرَّتْ حَوَالِيَهَا ، فَكَانَتِ الْأَرْضُ طَبَقًا<sup>(٤)</sup> ، سَحَّ فَهَضَبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،  
فَعَلَ الْقِيَعَانِ ، وَضَخَضَحَ الْغَيْطَانِ ، وَجَوَّخَ الْأَضْوَجَ<sup>(٥)</sup> ، وَأَتَرَعَ الشَّرَاجَ ،  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كِفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظَلَمِنَا غُفْرَانًا .

( البلوغ الأرب ٣ : ٢٥٣ )

## ٧٠ — أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً من بني عامر بن لؤي بن  
صَعَصَعَةَ يصف مطراً فقال :

« نَشَأَ عِنْدَ الْقَصْرِ ، بِنَوَى الْغَفْرِ<sup>(٦)</sup> ، حَبِيًّا عَارِضًا ، ضَاحِكًا وَامِضًا ،  
فَكَلَّا وَلَا<sup>(٧)</sup> ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَجِيتَ بِهِ أَقْطَارُ الْهَوَاءِ ، وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الازميم : ليلة من ليالى الحاق - والحاق ممشة : ثلاث ليال من آخر الشهر ، والسرار :  
آخر ليلة من الشهر ، وأحضانها جمع حضن كحمل : وهو حاب الشيء وناحيته ، وأحومت : اسودت .  
[٢] بسق : ارتفع ، والعنان : السحاب ، رحاها : وسطها ، وانبعج : انشقت ، والكلية من  
السحاب : أسفله - ومن الزادة رقعة مستديرة تخز عليها تحت العروة ، وذمرت : حضت - والنذامر :  
التحاض على القتال ، عقاتها : بروقها المشبهة للعقائق .

[٣] ارتمعت المطر : ثبت وجاد . [٤] غيث طبق : عام واسع يطبق الأرض ، وهصب كغرب :  
مطر . [٥] جَوَّخَ السيل الوادى : إذا كسر جديده واقتلع أحرافه ، وفي الأصل «خوخ» وهو تصحيف  
والأضواج جمع ضوَج كشمس : وهو منعطف الوادى ، والشراج جمع شرج كشمس أيضاً : وهو مسيل  
الماء من المرة ( ينتج الماء ) إلى السيل .

[٦] القصر : العشى ، والغفر : منزل للفر ، والحبي : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، وألذى  
بعمسه فوق بعض . [٧] قال فى اللسان : « والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي  
قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا كلاً ولا ، قال الشاعر : يكون نزول القوم فيها كلاً ولا : » ،  
والشجا : ما اعترض فى الخلق من نظم ونحوه ، وتد شجى به كرضى .

ثم أطرق<sup>(١)</sup> ، فأكفهر<sup>(٢)</sup> ، وتراكم فأذلهم<sup>(٣)</sup> ، وبسق فازلأم<sup>(٤)</sup> ، ثم حدث به الريح ،  
فخن<sup>(٥)</sup> ، فالبرق مرمج<sup>(٦)</sup> ، والرعد متبوج<sup>(٧)</sup> ، والخرج متبعج<sup>(٨)</sup> ، فأنجم ثلاثا ،  
متحيراً ههنا<sup>(٩)</sup> ، أخلافه حاشكة<sup>(١٠)</sup> ، ودفعه متواشكة<sup>(١١)</sup> ، وسوامه متعاركة<sup>(١٢)</sup> ، ثم  
ودع منجماً<sup>(١٣)</sup> ، وأقلع مئتما<sup>(١٤)</sup> ، محمود البلاء<sup>(١٥)</sup> ، مثرع الثناء<sup>(١٦)</sup> ، مشكور النعماء<sup>(١٧)</sup> ،  
بطول<sup>(١٨)</sup> ذي الكبرياء<sup>(١٩)</sup> . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٤ )

## ٧١ - أعرابي يصف مطرا

عن أبي عبيدة قال : خرج النعمان في بعض أيامه في عقيب سماء ، فلقى  
أعرابياً على ناقة ، فأمر فأثنى به ، قال : كيف تركت الأرض وراءك ، فقال :  
« فيح رُحاب<sup>(١)</sup> ، منها السهول ومنها الصَّعاب ، منشوطة يجبالها ، حاملة  
لأثقالها » ، قال : إنما سألتك عن السماء ! قال :  
« مُطَلَّة<sup>(٢)</sup> مستقلة<sup>(٣)</sup> ، على غير سِقاب ولا أطناب ، يختلف عَصْرُها ،  
ويتعاقب سِرَاجُها ، قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : فسَلْ ما بدا لك ، قال :  
هل صابَ الأرضَ غيثٌ ؟ قال :  
« نعم : أغمطت<sup>(٤)</sup> السماء في أرضنا ثلاثاً رهواً<sup>(٥)</sup> ، فثرت وأرزغت<sup>(٦)</sup> ،

[١] هو من أطرقت الإبل : تبع بعضها بعضاً ، وادلهم : اسود .

[٢] التَّبْوَج : الصياح ، والخرج : السحاب أول ما ينشأ ، متبعج : متندق .

[٣] الهنات : السريح ، حاشكة : كثيرة الماء ، متواشكة : يسارع بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الراعية .

[٤] أعجم المطر وغيره : أقلع ، ومنها : أي سائراً نحو تهامة ، والهاء جمع نهى بالكسر والفتح وهو الدير .

[٥] أي بفعله وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء : واسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من نشط الحبل كنصر عقده

(وأشطه : حله) . [٧] مطلة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والسقاب جمع سقب كشمس : وهو عمود الحباء ،

والعصران : اللين والهان ، وسراجها : الشمس والقمر . [٨] أي دامت ولارمت ، والرهو : السكون

والثرة من العيون : الغزيرة كالثرارة ، وقد ثرت هي ، والرؤفة بالتحريك : الوحل ، وأرزغ المطر الأرض

بها ولم تسل ، ورسن المطر : كثر وثرى الأرض حتى تبلغ يد الحافر عنه إلى ارساغه .

وَرَسَّغَتْ ، ثم خرجتُ من أرض قومي أقرؤها <sup>(١)</sup> ، فإذا هي مُتَوَاصِيَةٌ ،  
لا خَطِيطَةً بينها ، حتى هبطتُ بِعِشَارٍ ، فتداعى السحابُ من الأقطار ، فجاءنا  
بالسيل الحرَّار ، فعفا <sup>(٢)</sup> الآثار ، وملاً الجِفَارَ ، وقوَّراً على الأشجار ، فأجْحَرَ  
الحُضَارَ ، ومنع الشفَّار ، ثم أفلعَ عن نفع وإضرار ، فلما اتلَّأَّت <sup>(٣)</sup> لى القِيَعَانِ ،  
ووضَّحت السُّبُلَ فى الغِيْطَانِ ، وفات العَنَانُ ، من أقطار الأعنان ، فلم أجد  
وَزْراً إلا الغِيْرَانِ ، ففات وِجار الضُّبُعِ ، فنادتُ السهول كالبحار ، تتلاطم  
بالتِّيَّار ، والحُزُونِ متلفعةً بالغَمَاءِ <sup>(٤)</sup> ، والوحوشَ مقذوفةً على الأرجاء ، فزالَت  
أطأ السماء ، وأخوض الماء ، حتى وَطِئْتُ أرضكم . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٧ )

## ٧٢ — أعرابى يصف مطراً

عن أبى عبيدة قال : وقف أعرابى على قوم من الحاجِّ فقال :  
« يا قومي بدا شأنى ، والذى أَلْفَجَنِي <sup>(٥)</sup> إلى مسألتكم ، إن الغيث كَانَ قد  
قَوَى عَنَّا ، ثم تَكَرَّرَ فَأَ السَّحَابُ ، وَشَصَا الرَّبَابُ ، وَأَذْلَهَمَ سَيْقَهُ <sup>(٦)</sup> ، فارتجس  
رَيْقَهُ ، وقلنا : هذا عامٌ بِا كِرِّ الوَسْمِيِّ <sup>(٧)</sup> ، محمود السَّمِيِّ ، ثم هبَّتْ له الشَّمَالُ ،  
فَأَحْزَأَت طَخَارِيرُهُ <sup>(٨)</sup> ، وتَقَزَّعَ كِرْفَتُهُ متباشراً ، ثم تتابع لَمَعَانُ البرق ، حيث

- [١] أتبعها ، والخطيطة : الأرض لم تمطر بين ممطورتين ، أو التى مطر بمضها ، وعشار : موضع .  
[٢] محامها وطمسها ، والجفار جمع جفر كشمس : البثر التى لم تَطو ، وقورها : قطع من وسطها خرقة .  
مستديرا ، وأجر ، من أجر الضب : أى أدخله فى حجرة ، والحضار جمع حاضر وهو المقيم فى الحضر ،  
والسفار جمع سافر وهو المسافر لافعل له . [٣] استقامت ، والعنان : السحاب ، والأعنان من السماء :  
نواحيها ، ولوزر الملجأ ، والغيران جمع غار : وهو الكهف فى الجبل ، والوحار بالكسر والفتح : جحر  
الضبع وغيرها . [٤] الغناء : البالى من ورق الشجر المخالط لزبد السيل .  
[٥] ألجأنى ، وقوى المطر : احتبس ، وتكرراً : تراكم ، وشصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض .  
[٦] أذلهم : أسود ، والسبق : السحاب لا ماء فيه ، والرقيق : تردد الماء على وجه الأرض .  
[٧] الوسمى : مطر الريح الأول ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات ، والسمى جمع سماء : وهو المطر  
أو المطرة الجيدة . [٨] الطخارير جمع طخروور كمصفور بالخاء والحاء : اللطخ من السحاب ، والكرفى :  
السحاب المرتفع التراكم ، وتقرَّع : تفرَّق وانشعب ، وشام البرق : نظر إليه أين يقصد .

تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارَ ، وَتَجْدُهُ النَّظَارَ ، وَمَرَّتِ <sup>(١)</sup> الْجَنُوبُ مَاءَهُ ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ مُزْلِمَيْنِ  
نَحْوَهُ ، فَسَرَّحَنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَخِيًّا وَخِيًّا ، فَأَسَافَ الْمَالَ ، وَأَضْفَ الْحَالَ ، فَحَرِمَ  
اللَّهُ امْرَأً جَادَ بِمَيِّرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٨ )

### ٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابياً من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في  
أرضٍ عَجْفَاءٍ <sup>(٢)</sup> ، وزمانٍ عَجَفٍ ، وشجرٍ أَعْمَمٍ ، في قُفٍّ غَلِيظٍ ، فبينما نحن  
كذلك ، إِذْ أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ غَيْثًا مُسْتَكْرِفًا <sup>(٣)</sup> نَشْوَاهُ ، مُسَبِّلَةً عَزَائِيهِ ،  
ضِحْخَامًا فَطَرُهُ ، جَوْدًا صَوْبُهُ زَاكِيًّا ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقًا لَنَا ، فَعَيْشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،  
وَوَصَلَ بِهِ طَرْقَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنَوْطَةٌ <sup>(٤)</sup> بَعِيدَةُ الْأَرْجَاءِ ، فَاهْرَمَعَ مَطَرُهَا ،  
حَتَّى رَأَيْنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَضَهَوَاتِ الطَّلَحِ <sup>(٥)</sup> ، وَضَرَبَ السَّيْلُ  
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَزَعَبَهَا ، فَمَا لَبِئْنَا إِلَّا عَشْرًا ، حَتَّى رَأَيْتَهَا رَوْضَةً تَنْدَى .  
( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٩ )

[١] هو من مري الناقة كرمي : مسح ضرعها لتدر ، مزلمين : ماضين مرتحلين إليه ، وأساف المال :  
أهلكه ، والسواف كجبان وشجاع : الموت في الناس والمال ، ساف سوفاً أي هلك ، وأسافه الله ، ويقال  
أيضاً أساف الرجل : وقع في ماله السواف أي الموت ، وأضف من الضف كسبب وهو الضيق والفتنة ،  
أصاهم من العيش صقف أي شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأصله من العجف بالتحريك وهو المزال ، وأععم : يابس ، وأصله من العمم  
بالتحريك وهو يابس في مفصل الرسغ تعرج منه اليد والقدم ، والقف : ما غلظ من الأرض وارتفع ، لم  
يبلغ أن يكون جبلاً ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكفاً : مستديراً كالكمة ، ( والكفة  
بالكسر ويضم كل مستدير ) ، وصوبه : مطره . [٤] النوطة : الأرض يكثر بها الطلح ( والطلح :  
شجر عظام ) والموضع المرتفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأسرع .  
[٥] الفهوة : بركة الماء ، والجفاف جمع نجف بالتحريك وبهاء : مكان لا يعلوه الماء ، أو هي أرض  
مستدرة مشرفة على ما حولها ، وزعبا : ملاءها .

## ٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طحناء وطفاء <sup>(١)</sup> ، كأن هوائها الدلاء ، مُرجحة النواحي ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ، كثير زجلها <sup>(٢)</sup> ، قاصف رعدوها ، خاطف <sup>(٣)</sup> برقها ، حديث ودقها ، بطيء سيرها ، مُمنجج قطرها ، مظلم نوؤها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبحث عن أصولها بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين ببعض الشجر ، وتعلقنا بقمم الجبال ، لكنا جفاء <sup>(٤)</sup> في بعض الأودية ، ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونساءلها في أجلك ببركتك ، وعاد الله بك على رعيتك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد . فقال سليمان : « لعمري أياك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت محبرة لقد أجدت » ، قال : بل محبرة مهذورة يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لصدقه أعجب إلينا من صِفته » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

## ٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كَانَ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي خِيَابِهِ ، وَابْنَةٌ لَهُ بِالْفِئَاءِ <sup>(٥)</sup> ، إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فَقَالَ : مَا تَرَيْنِ يَا بُدَيَّةُ ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا حَوَاءَ قَرَحَاءَ <sup>(٦)</sup> ، كَأَنَّهَا أَقْرَابُ

[١] سحابة وطماء : مسترخية لكثرة ماؤها ، أو هي الدائمة السح الحثينة ، هوائها : أوائلها ومقادها ، مرجحة : ثقيلة مهتزة . [٢] ازجل : الجلبة ورفع الصوت ، ممنجج : سائل منصيب ، ولجأ إليه كنع وفرح ، وأظلاف جمع ظلف بالكسر وهو للبقرة والشاة والطير وشبهها كالقدم لها ، والفن جمع فنة ، وهي قبة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سقليات من الأصل في الطبع . [٤] الجفاء : الزبد ، واقم الطريق : معظمه أو وسطه ، حوى الأسفل : « انعم » وهو تحريف .

[٥] الفناء : ما اتسع أمام الدار . [٦] حواء : وصف من الحوة بالضم وهي حمرة الى السواد ،

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثُمَّ سَمِعَ رَاعِدَةً أُخْرَى فَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : أَرَاهَا جَعَّةَ  
الْتَّرَجَافِ<sup>(١)</sup> ، مَتَسَاقِطَةً الْأُكْنَافَ ، تَتَأَلَّقُ بِالْبَرْقِ الْوَلَّافِ ، قَالَ : هَلُمْنِي الْمَغْرَفَةَ ،  
إِنِّي<sup>(٢)</sup> نُؤْيَا . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٥١ )

## ٧٦ - أَعْرَابِيَّةٌ تَصِفُ مَطْرًا

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ أَعْرَابِيٌّ ضَرِيرٌ تَقْوَدُهُ ابْنَتُهُ ، وَهِيَ تَرَعِي غُنِيَّاتِهَا ،  
فَرَأَتْ سَحَابًا فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ، قَالَتْ :  
كَأَنَّهَا فَرَسٌ دَهْمَاءٌ<sup>(٣)</sup> تَجُرُّ جِلَالَهَا ، قَالَ : ارْعَى غُنِيَّاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ :  
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : كَأَنَّهَا عَيْنٌ جَلَّ طَرِيفُ<sup>(٤)</sup> ،  
قَالَ : ارْعَى غُنِيَّاتِكَ ، فَرَعَتْ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السَّمَاءُ ، قَالَ : كَيْفَ  
تَرِينَهَا ؟ قَالَتْ : سَطِطَحَتْ وَابْيَضَّتْ ، قَالَ : أَدْخِلِي غُنِيَّاتِكَ ، قَالَ : لَجَاءَتْ السَّمَاءُ  
بَشْيءٍ شَطَأً<sup>(٥)</sup> لَهُ الزَّرْعُ وَأَيْنَعُ ، وَخَضِرَ وَنَضِرُ . ( بلوغ الأرب ٣ : ٢٦٠ )

## ٧٧ - أَعْرَابِيٌّ يَصِفُ أَرْضًا

وَوَصَفَ أَعْرَابِيٌّ أَرْضًا أَحْمَدَهَا فَقَالَ :

« خَلَعَ شَيْخُهَا ، وَأَبْقَلَ رِمَتْهَا ، وَخَضَبَ عَرَفَجُهَا<sup>(٦)</sup> ، وَأَتَسَّقَ نَبْثُهَا ،  
وَاخْضَرَّتْ قُرَى يَأْنُهَا ، وَأَخْوَصَتْ بُطْنَانَهَا<sup>(٧)</sup> ، وَأَحْلَسَتْ أَكْمَامُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرحة بالغم : في وجه الفرس دون المرأة ، والوصف منه أقرح وقرحاء ، والأقرب جمع قرب كقفل  
وعنق : وهو الخاصرة ، والفرجة بالغم : يبيض فيه ككرة ، حمار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثيرة الاضطراب ، الولاف : المتتابع ، من ولف البرق كوعد ولفاً وولافاً بالكسر : تتابع .

[٢] النوى : الحفير حول الجباء يمنع السيل ، وانتأيته صملته .

[٣] سوداء ، والجلال جمع جل بالغم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به .

[٤] الجمل ينتقل من مرعى إلى مرعى . [٥] شطأ الزرع : أخرج شطأه ، أى فراخه .

[٦] خلع الشيع : أورق ( والخالع من العضاء : الذى لا يسقط ورقه أبداً ، والعضاء ككتاب : كل شجر

له شوك ) والرمث : مرعى للإبل ، وشجر يشبه الفضا ، والعرفج : شجر سهلى ، وخضب الشجر كضرب

وسمع وعى : اخضر . [٧] القرىبان : مجارى الماء من الربو إلى الرياض جمع قرى كقنى ، وأخوص

نَبَتْ جَرَائِمَهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَجَرَتْ بَقْلَتِهَا وَذَرَقَتِهَا وَخُبَّازَتِهَا<sup>(٢)</sup> ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرُ  
إِبِلِهَا ، وَشَكَرَتْ حَلُوبَتُهَا ، وَسَمِنَتْ قَتُوبَتِهَا<sup>(٣)</sup> ، وَعَمِدَتْ رَاهَا ، وَعَقِدَتْ تَنَاهِيَهَا ،  
وَأَمَاهَتْ ثَمَارَهَا ، وَوَثِقَ النَّاسُ بِصَارَتِهَا<sup>(٤)</sup> . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

## ٧٨ — رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو المجيب : وصف رائدُ أرضاً جذبةً فقال :

« أَغْبَرَتْ جَادَتُهَا<sup>(٥)</sup> ، وَذَرَعَ مَرْتَمَهَا ، وَقَصِمَ شَجَرُهَا ، وَرَقَّتْ كَرِشُهَا ،  
وَخَوَّرَ عَظْمَهَا ، وَالتَقَى سَرْحَاهَا<sup>(٦)</sup> ، وَتَمَيَّزَ<sup>(٧)</sup> أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،  
وَأَمَوَالُهُمُ الْهَزْلُ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٧ )

العرفج : نفطر بورق ، وأخوصت النخلة : أخرجت الحوص ، والبطنان جمع باطن وهو اللامض من الأرض  
أى المعائن منها . [١] أحلس البت : غطى الأرض بكثرة ، وأحلس الأرض فهى محلسة : صار  
البات عليها كالحلس كثرة — الحلس كحل كساء على ظهر البعير — والجرائم جمع حرثومة بالضم ، وجرثومة  
الشيء : أصله ، واعتم : أى كأته لبس عمامة . [٢] أجرت البقلة : صارت لها حراء — وحراء ككتاب  
جمع حروو بالثلاث وهو صغير كل شيء — والذرة واحدة الدرق وهو نبات مثل الكراث الجبلى الدقاق فى  
رأسه حب حلو يؤكل رطباً تحبه الرعاة يأتون به أهلهم ، والحبارة والحبازى : النبات المعروف .

[٣] أحورَّت : أبيضت وذلك من الشد على خواصرها لئلا تحبسط ( والحبسط بالتحريك : انفاخ بطنها من  
مرعى ترعاه ) والحلوبة : المحلوبة ، وشكرت الناقة : امتلأ ضرعها ، والدابة : سميت ، والقطوبة : الابل  
التي تقتبها ( وأقنت الناقة : شد عليها الفتب ( بالتحريك ) وهو إكاف صغير على قدر سنام البعير ) .

[٤] عمد الثرى : بله المطر حتى إذا قبضت عليه تعقد لدوته ، والتناهى جمع تنهية : وهى مستقر السيل  
حيث ينتهى الماء من الوادى ، وعقدت تناهيها : أن يمر السيل مقبلاً حتى إذا انتهى مشتهاء دار بالأبطح  
حتى يلتقى طرفا السيل ، وأمَاهَتْ ثَمَارَهَا : أى كثر ماؤها ، والصائرة : المطر والكلأ .

[٥] الجادة : الطريق إلى الماء ، وذرع المرتع : بعد عن الماء ، وقصم شجرها : تكسر ، يقال :  
سيف قصم كفرح : أى طال عليه الدهر فتكسر حده ، وقصم السن : انصدع وتثلثم ، وإذا لم يكن للجمال  
مرعى إلا الشجر وحده رقت أكراشه . [٦] أى أنه إذا أكل كل سارح ما يليه ، التقيا عند الماء .  
[٧] نفرَّتُوا فى طلب الكلأ ، والوهل : الفزع ، والهرل : موت مواشى الرجل .

## ٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كُناسة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي<sup>(١)</sup> قال :  
« بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَعَاشِيْبٌ<sup>(٢)</sup> ، وَكَمَاءٌ<sup>(٣)</sup>  
مُتَفَرِّقَةٌ شَيْبٌ<sup>(٤)</sup> ، تَقْلَعُهَا بِأَخْفَافِهَا النَّيْبُ<sup>(٥)</sup> » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا  
كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ ثَادٌ مَادٌ<sup>(٦)</sup> ، مَوَلِيٌّ<sup>(٧)</sup>  
وَعَهْدٌ ، مَتْدَارُكَ جَعْدٌ<sup>(٨)</sup> ، كَأَنْفَازِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ ثَمْدٌ<sup>(٩)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )

## ٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلًا<sup>(١)</sup> ،  
وَمَاءً غَيَّلًا<sup>(٢)</sup> ، يَسِيلُ سَيَّلًا<sup>(٣)</sup> ، وَخُوصُهُ تَمِيلُ مَيَّلًا<sup>(٤)</sup> ، يَحْسِبُهَا الرَّائِدُ لَيْلًا<sup>(٥)</sup> » ، وقال  
الثاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً<sup>(٦)</sup> عَلَى دَيْعَةٍ<sup>(٧)</sup> ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ<sup>(٨)</sup> ، وَكَلًّا<sup>(٩)</sup> تَشْبَعُ مِنْهُ النَّابُ<sup>(١٠)</sup>  
قَبْلَ الْفَطِيمَةِ<sup>(١١)</sup> » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٧٩ )



وروي هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :  
« خطب هند بنته الخُسن الإيادية ثلاثة نَفَرٍ من قومها ، وارتَضَت أنسابهم

[١] العشب : الكلأ الرطب ، والتعاشيب : القطع المتفرقة منه . [٢] اليب جمع ناب : وهو  
الناقة المسنة . [٣] جاء في اللسان : « قال الأصمعي : قيل لبعض العرب : أصب لنا موضعاً أي اطلب  
فقال رائدكم : وجدت مكاناً ثاداً مئداً ( بفتح فكسر ) وقال زيد بن كثوة : بثوا رائداً فجاء وقال : عشب  
ثاد مَاد ( بفتح فسكون ) كَأَنَّهُ أُسْوِقُ بَنِي سَعْدِ » وثند الذبت كفرح : ندى فهو ثند ، ومَاد كنع امتز  
وتروى وجرى فيه الماء وتنم ولان ، والمَاد : الناعم من كل شيء ، والمولى : الذى أصابه الولي  
( والمولى : المطر الذى يأتى بعد المطر ) ، والمهد : أول مطر الوسمى ( والوسمى : أول مطر الربيع ) .

[٤] من قولهم : زيد جعد : أى متراكب مجتمع قد صار بعضه فوق بعض .

[٥] أى أن العشب قد طال وتم ، والنيب تشبع منه وهى ثمد ، لأنها تتناوله وهى قائمة لا تبرح مكانها  
ولا تطأ طي رأسها . [٦] الغيل : الماء الذى يجرى بين الشجر

وَجَاهِلِهِمْ ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَسْبُرَ عَقُولَهُمْ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْتَادُوا لِي مَرْعَى ، فَلَمَّا أَتَوْهَا قَالَتْ لِأَحَدِهِمْ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتَ بَقْلًا وَبُقَيْلًا ، وَمَاءً غَدَقًا <sup>(١)</sup> سَيْلًا ، يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ لَيْلًا ، قَالَتْ : أَمْرَعْتُ <sup>(٢)</sup> ، قَالَ الْآخَرُ : رَأَيْتَ دِيعَةً بَعْدَ دِيعَةٍ ، عَلَى عَهَادٍ غَيْرِ قَدِيمَةٍ ، فَالْنَابُ تَشْبَعُ قَبْلَ الْفَطِيمَةِ ، قَالَ الثَّلَاثُ : رَأَيْتَ غَيْثًا ثَعْدًا مَعْدًا <sup>(٣)</sup> ، مُتْرَاكًا جَعْدًا ، كَأَنْفَازِ نِسَاءِ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ ثَعْدٌ » . ( بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦ )

## ٨١ - أَعْرَابِي يَصِفُ أَرْضَهُ وَمَالَهُ

عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ قَالَ : لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ ، مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَسَدِيّ ، قُلْتُ : وَمِنْ أَيِّهِمْ ؟ قَالَ : نَهْدِيّ ، قُلْتُ : مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ ؟ قَالَ : مِنْ عُمَانَ ، قُلْتُ : فَأَنْتَى لَكَ هَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : « إِنَّا سَكَنَّا قُطْرًا لَا نَسْمَعُ فِيهِ نَاجِخَةَ التِّيَّارِ <sup>(٤)</sup> » ، قُلْتُ : صِفْ لِي أَرْضَكَ ، قَالَ : « سَيْفٌ أَفِيحٌ ، وَفَضَاءٌ صَحْصَحٌ ، وَجَبَلٌ صَرْدَحٌ ، وَرَمْلٌ أَصْبَحٌ <sup>(٥)</sup> » ، قُلْتُ : فَمَا مَالُكَ ؟ قَالَ : النَّخْلُ ، قُلْتُ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَ : « إِنَّ النَّخْلَ تَحْمِلُهَا غِذَاءٌ ، وَسَعَفُهَا <sup>(٦)</sup> ضِيَاءٌ ، وَجَذْعُهَا بِنَاءٌ ، وَكَرْبُهَا صَلَاءٌ ، وَلِيْفُهَا رِشَاءٌ ، وَخَوْصُهَا وِعَاءٌ ، وَقَرَوُهَا إِنَاءٌ » . ( ذيل الأمل ص ١٧ )

[١] الغدق : الماء الكثير . [٢] أمرعه : أصابه مريعاً تكتصيب وزناً ومعنى .

[٣] الغيث : المطر والكلاء ، وقيل : الأصل المطر ثم سمي ما يبت به غيثاً ، والمراد هنا الثاني ، وبقل

ثعد معد : غرض رطب رخص .

[٤] الناجخة : الصوت ، والتيار : الموج . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل الوادي ، أو

لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لسيف عمان ، وأفيح : واسع ، والصحصح : ما استوى من

الأرض ، والصدوح : الصلب ، والأصيح : الذي يملو بياضه حمرة . [٦] السعف : جريد النخل أو

ورقه ، والكرب : أصول السعف الغلاط العراض ، والرشاء : الحبل ، والفرو : أسفل النخلة يقر

فينتبد فيه — أي يتخذ فيه النبت —

## ٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلداً فقال: « بلد كالأثرس، ماتمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل،

ولا يمرّ فيه السّفَرُ إلا بأدَلّ دليل » . ( العقد الفريد ٢ : ٨٠ )

وقال أعرابي : « صررت ببلد ألقى به الصيّف <sup>(١)</sup> بقاعه ، فأظهر غديراً يقصُر

الطّرفُ عن أرجائه ، وقد نفَتَ الريحُ القَذَى عن مأه ، فكأنه سلاسل دِرَج

ذاتِ فُضُول <sup>(٢)</sup> » . ( العقد الفريد ٢ : ٩٦ )

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين قتال : « مُهر ليلة ، وأديم <sup>(٣)</sup> يوم » .

وقال آخر : « سواد ليلة ، أو بياض يوم » .

( البيان والتبيين ٢ : ٥١ والعقد الفريد ٢ : ٩٧ )

وقال آخر : « إن المسافر ومتاعه لعلّى قلت <sup>(٤)</sup> إلا ما وقى الله » .

( العقد الفريد ٢ : ٥٢ )

## ٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي فقل له : ما أشدُّ البرد ؟ قال : « ريح جريياء ، في طلّ عَمَاء ،

غِبّ سَمَاء <sup>(٥)</sup> » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

## ٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال :

« إنها لعِظَامُ الحَنَاجِرِ ، سِبَاطُ المَشَافِرِ ، كُومٌ بهَا زِر <sup>(٦)</sup> ، نُكْدٌ خَنَاجِر <sup>(٧)</sup> ،

[١] السيف كسيد ويخفف : المطر يحى في الصيف أو بعد الربيع كالصبي .

[٢] جمع فضل : وهو الزيادة . [٣] أديم الهار : طامته أو بياضه . [٤] قلت : الهلاك .

[٥] الجريياء : ريح الشمال الماردة ، أو الرمح بين الجنوب والعمياء والعماء : السحاب المرتفع ، أو

الكثيف ، أو المطر ، و غِبّ سماء : أى عقب مطر . [٦] الحنجرة والحنجور كهمفور : الحلقة ،

وجمه حناجر ، والمشافر جمع مشفر ككثير : وهو لبعير كالشفة للإنسان ، والكوم : العظام الأسنة جمع أكوم

وكوماء ، والبهازر جمع بهزرة : كبندقة ، وهى العظيمة من البوق .

[٧] الكد : الغزيرات اللبن من الإبل ( والى لا ابن لها أيضا ضد ) ، والحناجر : الغزيرات اللبن

أَجَوَّافُهَا رِغَابٌ<sup>(١)</sup> ، وَأَعْطَانُهَا رِحَابٌ<sup>(٢)</sup> ، تُنْتَعَمُ مِنَ الْبُهِمِ<sup>(٣)</sup> ، وَتُبْذَلُ لِلْجُمَمِ<sup>(٤)</sup> .  
(الأمل ١ : ٥٢)

### ٨٥ — أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إِذَا اكْحَأَتْ عَيْنُهَا ، وَآلَّتْ<sup>(٥)</sup> أُذُنُهَا ،  
وَسَجَّحَ<sup>(٦)</sup> خَدُّهَا ، وَهَدَلِ<sup>(٧)</sup> مِشْفَرَهَا ، وَاسْتَدَارَتْ مُجْجُمَتَهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ » .  
(الأمل ١ : ٢١٧)

### ٨٦ — أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خَرَجْتُ عَلَيْنَا خَيْلٌ مُسْتَطِيرَةٌ  
النَّقْعُ<sup>(٨)</sup> ، كَأَنَّ هَوَادِيَهَا<sup>(٩)</sup> أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ ، وَفُرْسَانُهَا أُسُودُ  
آجَامٍ » .

### ٨٧ — أعرابي يصف خيلا

وذَكَرَ أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أُنْحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَهُ ،  
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَشْهَلَتْ حَزَنَهُ » . (العقد الفريد ٢ : ٩٥)

### ٨٨ — أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ  
الْخَصَائِلِ<sup>(١٠)</sup> ، ظِمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَبَاجِلِ<sup>(١١)</sup> ، قُبُ الْأَيَاطِلِ ، كِرَامُ  
النَّوَاجِلِ<sup>(١٢)</sup> » . (الأمل ١ : ٥٢)

جمع خنجر كجعفر وبهاء وخنجورة بالضم . [١] رِغَابٌ : واسعة ، وأعطانها : مباركها عند الماء جمع  
عطن كسبب . [٢] البهم جمع بهمة كفرصة : وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى ، من شدة  
بأسه ، والجم جمع جمة كقبة ، وهم القوم يسألون في الدنات .

[٣] أَلَّ البعير : نصب أذنيه وحددهما . [٤] سَجَّحَ : سهل وحسن . [٥] هَدَلَ : استرخى .  
[٦] الغبار . [٧] أَرَاثِلُهَا . [٨] الخصائل جمع خصلة : وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو  
مجمعة ، وقيل : هي ما انفاز من لحم المعز بعضه من بعض ، وسباط جمع سبط ، ككتف وشمس ، رجل  
سبط الجسم إذا كان حسن القدر والاستواء ، وظماء : ضمير . [٩] الأباجل جمع أبجل : وهو عرق  
غليظ في الرجل أو في اليد ، يريد أنها شداد القوائم . [١٠] الأياطل جمع أيطل : وهو الحاصرة ،

## ٨٩ — أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى ضُمُورُهُ ، وَذَبُلَ فَرِيرُهُ <sup>(١)</sup> ،  
وظهر حَصِيرُهُ <sup>(٢)</sup> ، وتفلَّقت غُرُورُهُ <sup>(٣)</sup> ، واسترخت شَاكِمَتُهُ <sup>(٤)</sup> ، يُقْبِلُ بَرْوَرُ  
الْأَسَدِ ، وَيُذْبِرُ بِمَجْزِ الذُّئْبِ » . ( البيان والتبيين ٣ : ٢٣٣ ، والأمالى ٢ : ٢٥٦ )

## ٩٠ — أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ <sup>(٥)</sup> تَقْدِيرُ حَلَقَتِهِ ، وَدَوَّرَ كُرْسَى فِضْتِهِ ،  
وَأَحْكَمَ تَرْكِيبَهُ ، وَأَتَقَنَ تَدْيِيرَهُ ، فَهِيَ يَتِمُّ الْمُلْكُ ، وَيَنْفُذُ الْأَمْرُ ، وَيَكْرُمُ الْكِتَابُ ،  
وَيَشْرُفُ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ » . ( المقد الفريد ٢ : ٩٧ )

## ٩١ — أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « مَا أَطْيَبُ الطَّعَامُ ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ  
سَنِمة <sup>(٦)</sup> ، مُعْتَبَطةٌ غَيْرُ ضَمِنَةٍ ، فِي قُدُورٍ رَذِمة <sup>(٧)</sup> ، بِشِفَارٍ خَدِمة <sup>(٨)</sup> ، فِي غَدَاةٍ  
شَبِمة <sup>(٩)</sup> » ، فقال عبد الملك : وَأَيُّكَ لَقَدْ أَطْيَيْتَ <sup>(١٠)</sup> .  
( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

قَبَّ جَمَّ أَقْبَ ، وَصَفَ مِنَ الْقَبِّ كَسِيبٌ وَهُوَ دَقَّةُ الْحَصْرِ وَضُمُورُ الْبَطْنِ ، وَالْوَاوُحْلُ جَمْعُ نَاجِلَةٍ ، مِنْ  
نَجَلَتِهِ : أَيْ وَلَدَتِهِ . [١] الْفَرِيرُ : مَوْضِعُ الْمَجْسَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْفَرَسِ .  
[٢] الْحَصِيرُ : عَرَقٌ يَمْتَدُّ مُعْتَرِضاً عَلَى جَنْبِ الدَّابَّةِ إِلَى نَاحِيَةِ بَطْنِهَا ، أَوْ لَمَّةٌ كَذَلِكَ .  
[٣] الْفُرُورُ : الْفُضُونُ الَّتِي فِي جِلْدِهِ ، وَاحِدُهَا غُرٌّ بِالْفَتْحِ . [٤] الشَاكِلَةُ مِنَ الْفَرَسِ : الْجِلْدُ بَيْنَ  
عَرْضِ الْحَاصِرَةِ وَالثَّنَّةِ — وَالثَّنَّةُ كَفْرِحَةٍ : الرِّكْبَةُ — . [٥] رَقٌّ .  
[٦] الْبَكْرَةُ : الْغَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالسَنِمةُ : الْعَظِيمَةُ السَّامُ ، وَنَعْلُهُ كَفْرِحٌ ، عِبْطُ الذَّيْبَةِ كَفْرَبُ  
وَاعْتَبَطَهَا : نَحَرَهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَهِيَ سَمِينَةٌ فَتِيَّةٌ ، وَالضَّمِنَةُ : الزَّمَنَةُ وَالْمَبْتَلَاةُ فِي حَسَدِهَا مِنَ الرَّحْمَةِ كَفْرِصَةٍ  
وَهِيَ الرِّضُ . [٧] رَذِمَتْ الْقَصْعَةَ كَفْرِحٍ فَهِيَ رَذِمةٌ وَرَدُومٌ كَصَبُورٍ : امْتَلَأَتْ وَتَصَبَّيَتْ جَوَانِيهَا .  
[٨] شِفَارُ جَمْعُ شَفْرَةٍ « بِالْفَتْحِ » : وَهِيَ السَّكِينُ الْعَظِيمُ ، وَخَدْمُهُ كَفْرَبُهُ : قِطْعُهُ ، وَسَيْفٌ خَدَمٌ  
كَكَتَفٍ وَصَبُورٌ وَهِيَ عَظَمٌ : قَاطِعٌ . [٩] الْغَدَاةُ : الْبَكْرَةُ « بِالضَّمِّ » أَوْ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ  
الشَّمْسِ ، وَشَبِمةٌ : بَارِدَةٌ ، وَفَعَلَهَا كَفْرِحٌ . [١٠] أَطَابَ الشَّيْءُ وَأَطْيَبَهُ : وَجَدَهُ طَيِّباً .

## ٩٢ — أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوِيقَ <sup>(١)</sup> بِحَضْرَةِ أَعْرَابِي ، فقال : « لَا تَعْبِهِ ، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْعَجَلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ ، وَبُلْغَةُ <sup>(٢)</sup> الْمَرِيضِ ، وَيَسْرُو <sup>(٣)</sup> فَوَادَ الْحَزِينِ ، وَيَرُدُّ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ <sup>(٤)</sup> ، وَجَيِّدٌ فِي التَّسْمِينِ ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ ، وَقَفَّارُهُ <sup>(٥)</sup> يَجْلُو الْبَاقِعَ ، وَمَلْتَوْتُهُ يُصَفِّي الدَّمَّ ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ شَرَابًا ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ طَعَامًا ، وَإِنْ شَتَّتَ فَتَرِيدًا ، وَإِنْ شَتَّتَ فَخَبِيصًا <sup>(٦)</sup> » . ( الأمل : ٢ : ١٩٧ )

## ٩٣ — أعرابي يصف الجمال

وقيل لأعرابي ما الجمال ؟ قال : « طُولُ الْقَامَةِ ، وَضَخَمُ <sup>(٧)</sup> الْهَامَةِ ، وَرُحْبُ <sup>(٨)</sup> الشَّدْقِ ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ » ، وسئل آخر : ما الجمال ؟ قال : « غُمُورُ الْعَيْنَيْنِ ، وَإِشْرَافُ الْحَاجِبَيْنِ ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ » ( البيان والتبيين ١ : ٦٧ )

## ٩٤ — أبو المخش يصف ابنه

وسأل جعفر بن سليمان أبا المِخْشِ عَنْ ابْنِهِ المِخْشِ <sup>(٩)</sup> — وَكَانَ جَزَعٌ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا — قَالَ : صَفِّ لِي المِخْشَ ، فَقَالَ : « كَانَ أَشَدَّ خُرْطُمَانِيَا <sup>(١٠)</sup> ، سَائِلًا لَهَا بَهْ ، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قَلَمَتَيْنِ <sup>(١١)</sup> ، كَانَ تَرَقُّوتُهُ بُوَانٌ ، أَوْ خَالِفَةٌ ،

[١] السويق : ما يعمل من الحنطة والشعير . [٢] ما يبلغ به . [٣] يسرو : يكشف ما عليه .  
[٤] المحدود : الذي قد حدث أي قد ضرب الحد . [٥] القفار : الذي لم يلبث بشيء من آدم ،  
لازيت ولا سم ولا لبن . يقال طامم قفار . [٦] الحبيص : بقى الدقيق يخلط بالمسل .  
[٧] ضخم ككرم ضخماً وضخامة فهو ضخيم . [٨] رحب ككرم بالضم ورحابة فهو  
رحب بالفتح . [٩] المخش في الأصل : الجريء على العمل في الليل .  
[١٠] أشدق : واسع الشدقين ، خرطمانياً : طويلاً . [١١] الفت : الثقرة في الجبل .

كَأَنَّ مَنِّكَ كِرْكِرَةً جَلِيَّةً <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ اللَّهُ عَنِّي إِنْ كُنْتَ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أُرْ

بَعْدَهُ مِثْلَهُ . (البیان والنبین ١ : ٦٧)

## ٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي بِحَمَى الرَّبْدَةِ : أَلَاكَ بَثُونٌ ؟  
قال : نعم ، وَخَالِقِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مَثَلِهِمْ مُنْجِبَةً <sup>(٢)</sup> ، فَقُلْتُ : صِفْهُمْ لِي ، فَقَالَ :  
« جَهْمٌ ! وَمَا جَهْمٌ ؟ يُنْضِي الْوَهْمَ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمَ <sup>(٣)</sup> ، وَيَقْرِي الصَّفُوفَ ،  
وَيَعْلُ السُّيُوفَ <sup>(٤)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « غَشْمَشَمٌ ! وَمَا غَشْمَشَمٌ ؟ مَالُهُ  
مُقَسَّمٌ ، وَقِرْنُهُ مُجْرَجَمٌ <sup>(٥)</sup> ، جِذْلُ حِكَاكِ <sup>(٦)</sup> ، وَمِذْرَةُ لِكَاكَ <sup>(٧)</sup> » ، قُلْتُ : ثُمَّ  
مَنْ ؟ قَالَ : « عَشْرَبٌ ! وَمَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْثٌ مُحَرَّبٌ ، وَسِمَامٌ مُقَشَّبٌ <sup>(٨)</sup> ، ذِكْرُهُ  
بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ حَاثِرٌ ، وَفِنَاؤُهُ رُحَابٌ <sup>(٩)</sup> ، وَدَاعِيهِ مُجَابٌ » ، قُلْتُ : صِفْ لِي  
نَفْسَكَ ، فَقَالَ : « لَيْثٌ أَبُو رِيَابِلٍ <sup>(١٠)</sup> ، رَكَابٌ مَعَاضِلٌ ، عَسَافٌ <sup>(١١)</sup> بَجَاهِلٍ ،  
حَمَالُ أَعْبَاءٍ ، نَهَاضٌ يَبْزِلَاءُ <sup>(١٢)</sup> » . (الأمل ١ : ٥٣)

[١] البوان : عمود للبناء ، والحالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رمي زور  
البحر ، وبسر تمال : بطيء .

[٢] ينضى : يهزل ، والوهم : الضم المظلم من الإبل ، والدحم : العدد الكثير .

[٣] يقرى : يشفى ، ويصل : أى يوردها الماء ثانية ، مأخوذ من الطل في الشرب .

[٤] المجرم : المصروع . [٥] الجدل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الجرب تحتك به فتجد

له لذة ، والمعنى أنه ممن يستشفى به في الأمور بمنزلة ذلك الجمل الذي تستشفى به الإبل .

[٦] المذره : لسان الثوم ، والقكام عنهم ، والدافع عنهم ، يقال : دهرته عنى ودرأته : أى دفعته ،

واللكاك : الزحام . [٧] الحرب : المضرب الذى قد اشتد غضبه واحداً ، وحرب السكين : إذا

أحدته ، ومقشب : مغلوط . [٨] باهر : غالب ، ورحاب : متسع .

[٩] ريابل جمع ريبال بالكسر يهز ولا يهز : وهو الأسد ، والمعاضل : الدوامى .

[١٠] المساف : الذى يركب الطريق على غير هداية ، والأعباء : الأثقال .

[١١] البزلاء : الرأى الجيد الذى يزل ( يضم الزاى ) عن الصواب : أى يهتق منه .

## ٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن العُتْبِيِّ قال : أَخْبَرَنِي أَعْرَابِي عَنْ إِخْوَةِ ثَلَاثَةِ ، قَالَ : قُلْتُ لِأَحَدِهِمْ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَيْدٍ فَقَالَ : « أَزَيْدٌ إِنِّيهِ <sup>(١)</sup> ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْكَنَ فَوْرًا ، وَلَا أَبْعَدَ غَوْرًا ، وَلَا أَخَذَ لِدَنْبٍ حُجَّةً قَدْ تَقَدَّمَ رَأْسُهَا مِنْ زَيْدٍ » ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَخِيكَ زَائِدٌ ، قَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ شَدِيدَ الْعُقْدَةِ ، لَيِّنَ الْعَطْفَةِ ، مَا يُرْضِيهِ أَقْلٌ مِمَّا يُسْخِطُهُ ، فَتَلْتُ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنْ أَفْضَلَ مَا فِيَّ لَمْ عَرَفْتِي بِفَضْلِهِمَا ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ كَغَيْرِ مَنْتَشِرٍ <sup>(٢)</sup> الرَّأْيِ ، وَلَا تَحْذُولُ الْعَزْمَ » .

(الأمالى ٢ : ١٤)

## قولهم في الدعاء

### ٩٧ - - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أَمَلِي عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يَقَالُ لَهُ مَرَّئِدٌ :  
« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاجْلِدْ بَارِدًا ، وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ ، وَاللِّسَانُ مَنْطَلِقٌ ، وَالصَّحْفُ مَنْشُورَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ، وَالتَّوْبَةُ مُقْبُولَةٌ ، وَالْأَنْفُسُ مَرِيحَةٌ <sup>(٣)</sup> ، وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ ، قَبْلَ أَنْ يَفْرَقَ ، وَحَشَاكَ النَّفْسُ <sup>(٤)</sup> ، وَعَلَزَ الصَّدْرُ <sup>(٥)</sup> ، وَتَزَيَّلَ الْأَوْصَالُ <sup>(٦)</sup> ، وَنُصُولُ الشَّعْرِ ، وَاحْتِيَافُ <sup>(٧)</sup> التَّرَابِ ، وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ يَفْنَى الْعَمَلُ ، وَيَحْضُرُ الْأَجَلُ ، وَيَنْقَطِعُ الْأَمَلُ .

[١] قال أبو علي القالي : « هذه الزيادة تلحق في الاستفهام في آخر الكلمة إذا أنكرت أن يكون رأى المتكلم على ما ذكر ، أو يكون على خلاف ما ذكر » انظر هذا المبحث في الأمالى ٢ : ١٥ .  
[٢] أى مفرقة . [٣] مرح كفرح : أشرب ويطر ونشط واختال وتبخر فهو مرح ومرحج .  
[٤] الحشك : شدة النزاع . [٥] العلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر .  
[٦] تزيلت وتزابلت : تفرقت ، والأوصال : الفاصل . [٧] الاحتياف : انتمال من الحيف وهو الجور ، والمراد أكل تراب القبر الجثة ، والذي في كتب اللغة « التحيف » تحيفت الشيء : إذا نقصته من حافظته .

أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزَمًا ، لَا تَفَادِرْ ذَنْبًا ، وَلَا تَدَعِ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَّتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ <sup>(٢)</sup> عَلَىَّ مِنْكَ النِّعَمُ ، وَتَدَارَكْتَ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتَ ، وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أُذْكَرَتْهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوَّْابًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا تَحِيطُ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبَّخَتِي <sup>(٤)</sup> ، وَتَعَجَّزَ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ غَمْلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَنِينٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ ، وَمُنَّتُهُ <sup>(٥)</sup> عَاجِزَةٌ ، قَدْ انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقْتَ <sup>(٦)</sup> جِدَّتُهُ ، وَتَمَّ ظِمْمُوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فعله من غم الشيء : أى غطاء فانغم ، أو غى «غمته» بالفهم : أى بلائه وكرب عذابه .

[٢] من تظاهر إذا تعاروا : أى تابعت . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَقْنِ خَقَّ عَلَيْهِ

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » . [٤] فعله من السبح : وهو القلب والانتشار

في الأرض ، والإبعاد في السير ، والتصرف في العاش . [٥] المنة : القوة .

[٦] خلق الثوب كنصر وكرم وسمع : بلى ، والظلم : ما بين الصريتين والوردين .

لَا تَخَيِّنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ <sup>(١)</sup> ،  
وَحَسَنَ التَّبَاعَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَتَشْنِجَ الْعُرُوقِ ، وَإِسَاغَةَ الرِّيقِ ، وَتَأْخِرَ الشَّدَائِدِ ، وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عَامِهِ ، وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قَدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي <sup>(٣)</sup>  
قَتِيلُهُ ، وَلَا يَخْبِبُ سُؤْلُهُ ، وَلَا يُرَدُّ رِسْوُلُهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ  
الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا ، أَوْ أَغْشَى  
مُجُورًا ، أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَعُضَالِ الدَّاءِ ،  
وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ » . (المقد الفريد ٢ : ٧٧ ، واليان والتبيين ٣ : ٢٢٤ - ١٣٧ - ١٣٨)

## ٩٨ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يَطُوف بالكعبة فقال :

«إِلَهِي مَنْ أَوْلَى بِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَلِ مِنِّي وَأَنْتَ خَلَقْتَنِي ؟ وَمَنْ أَوْلَى بِالْعَفْوِ مِنْكَ  
عَنِّي وَعَامُكَ بِي مَاضٍ ، وَقَضَاؤُكَ بِي مُحِيطٌ ؟ أَطْعَمْتُكَ بِقُوتِكَ وَالْمِنَّةَ لَكَ ، وَعَصَيْتُكَ  
بِعَامُكَ ، فَاسْأَلْكَ يَا إِلَهِي - بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ  
وَعِزَّتِكَ عَنِّي - أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي .

إِلَهِي لَمْ أَحْسِنْ حَتَّى أُعْطَيْتَنِي ، فَتَجَاوَزَ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيَّ ، اللَّهُمَّ  
إِنَّا أَطْعَمْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، وَحَدَّكَ لِشَرِيكَ  
لَكَ ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ : الشَّرْكَ بِكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا بَيْنَ ذَلِكَ .

[١] الإمهال والتأخير . [٢] التباعة مثل التبعة بفتح فكسر . قال الشاعر :

أَكَلْتُ حَنِيْفَةً رَبِّهَا زَمَنُ النِّعَمِ وَالْمَجَاعَةِ

لَمْ يَحْذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ سُوءَ الْعَوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةِ

«لأنهم كانوا قد اتخذوا إلهًا من حيس فيبدوه زمانًا ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه» - وللهيس كشمس :  
تمر يخلط بالسمن واللبن الخبيض فيمجن شديدًا ، ثم يندر منه نواه .

[٣] ودى القتل كوعى : أعطى ديته ، والسول مخفف عن سؤال : وهو ماسأله .

اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ، إلهي  
 أنت شاهدُهم وغائبُهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّي لك مكشوف ، وأنا  
 إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة آنسني ذكرُك ، وإذا أكببت عليّ  
 الغموم ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها  
 عن قضائك ، فأقللني <sup>(١)</sup> إليك مغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،  
 يا أرحم الراحمين .

### ٩٩ — دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : حَجَجْتَ فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول :  
 ياخير مَوْفودٍ سعى إليه الوُفْدُ <sup>(٢)</sup> ، قد ضَعُفَتْ قوتي ، وذهبت مُنَّتِي ، وأُتِيت  
 إليك بذنوب لا تفسلها الأنهار ، ولا تحملها البحار ، أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ  
 سُخْطِكَ ، وبِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، ثم التفت فقال : « أيها المشفقون ، ارحموا  
 من شِمِلَتْهُ الْخَطَايَا ، وَغَمَرَتْهُ الْبَلَايَا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملك  
 من الثَّلاذ ، ارحموا من وَبَّخَتْهُ الذُّنُوبُ ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ الْعُيُوبُ ، ارحموا أُسِيرَ ضُرٍّ ،  
 وَطَرِيدَ فَقْرٍ ، أَسْأَلُكُمْ بِالَّذِي أُمِّمْتُمْ الرِّغْبَةَ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لِي  
 عَظِيمَ جُرْمِي » ، ثم وضع في حلقة بالباب خدّه وقال : ضَرَعَ خَدِي لَكَ ، وَذَلِكَ  
 مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثم أنشأ يقول :

عَظِيمُ الذَّنْبِ مَكْرُوبٌ      مِنْ الْخَيْرَاتِ مَسْلُوبٌ  
 وَفَدٌ أَصْبَحْتُ ذَا فَقْرٍ      وَمَا عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ

## ١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمِعَ أعرابي بعِرفَاتٍ عَشِيَّةٍ عَرَفةً وهو يقول :

« اللهم إن هذه عَشِيَّةٌ من عشايا مَحَبَّتِكَ ، وأحد أيام زُلْفَتِكَ <sup>(١)</sup> ، يأمل فيها من لَجَأٍ إليك من خَلْقِكَ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا ، بكل لسان فيها يُذْعَى ، ولكل خير فيها يُرْجَى ، أَتَتِكَ الْمُصَاةُ من البلد السَّحِيقِ <sup>(٢)</sup> ، ودعتك العُناةُ <sup>(٣)</sup> من شُعَبِ المَضِيقِ ، رجاءٌ ما لا خُلْفَ له من وعدك ، ولا انقطاعَ له من جزيل عطائك ، أَبَدَتْ لك وجوهها المَصُونَةُ ، صابرةً على وَهَجِ السَّمَائِمِ <sup>(٤)</sup> ، وَبَرَدِ اللَّيَالِي ، ترجو بذلك رِضْوَانَكَ ، يا غَفَّارُ ، يا مُسْتَزَادًا من نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذًا من نِقَمِهِ ، ارحم صوتَ حزينٍ دعاكَ بزفيرٍ وشهيقٍ » .

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إن كنت بسطتُ يديَّ إليك داعيًا ، فطالما كَفَيْتَنِي سَاهِيًا ، بنعمتك التي تظاهرتُ على عِنْدِ الغفلة ، فلا أَيْأسُ بها عند التوبة ، لا تقطعُ رجائي منك لما قدِّمت من اقتراف <sup>(٥)</sup> آثامك ، وإن كنت لا أَصِلُ إليك إلا بك ، فهب لي يا ربَّ الصَّلاحَ في الولد ، والأَمْنَ في البلد ، والعافية في الجَسَدِ ، وعافيني من شرِّ الحَسَدِ ، ومن شرِّ الدهرِ

النَّكَدِ <sup>(٦)</sup> » . ( المقد الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمالى ٢ : ٣٢٣ )

[١] الزلفة : القربة . [٢] البعيد . [٣] العناة جمع عانة من عانة : أى دلة وخضع ، وفي رواية الأمالى : « أَتَتِكَ الضَّوَامُ من الفج العميق ، وجاءت إليك المهارق من شعب المضيق » والضوام الأبل الموزولة ، والمهارق جمع مهرق ( بغم الميم وفتح الراء ) : الصبراء اللساء .

[٤] السَّمَائِمُ جمع سموم كصبور : وهى الريح الحارة تكون غالباً بالنهار ، وفي رواية الأمالى : « على لفع السَّمائم ، وبرد ليل التَّمائم » - وليل التمام ( ككتاب ) وليل تَمَامٍ : أطول ليل إلى الشتاء - وفي رواية الأمالى : « نعمتك تظاهرها على عِنْدِ الغفلة ، فكيف أَيْأسُ منها عند الرجعة » - وأصل الغفل ( بالتحريك ) : الرجوع من الشغل ، ويطلق على الابتداء في السفر كما هنا تفاؤلاً بالرجوع - .

[٥] اقتراف الذنب : آثامه وفعله .

[٦] يقال : رجل نكد ككتف وسبب وشمس وأنكد : شؤم عسر .

### ١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ ،  
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى <sup>(١)</sup> ، وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ  
سَوَادُ اللَّيْلِ ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ ،  
وَدَوِيُّ الْمَاءِ <sup>(٢)</sup> ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجْمِلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ،  
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلِ الْعَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِثَارًا <sup>(٣)</sup> ، وَجُنَّةً دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

### ١٠٢ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً في فلاة من الأرض ، وهو يقول في دعائه :  
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتِغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوُثْمِ ، وَإِنْ تَرَكِي الْاسْتِغْفَارَ مَعَ  
مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٍ ، إِلَهِي كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ  
أَتَبَخَّضُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى »

### ١٠٣ - دعاء أعرابي

قال : وسمعت أعرابياً يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،  
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِيَّاي لَا تَنْقُصُكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

### ١٠٤ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً وهو يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلِ  
الْخَائِفِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرْكِ النِّعَمِ <sup>(٤)</sup> طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ ،  
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ نِقَمَاتِكَ ، سَبَقْتَ  
لِي ذُنُوبَ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ <sup>(٥)</sup> ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضعفى جمع ضعيف . [٢] المعنى : أن هذه الكائنات تدعو لتأمل فيها إلى تسبيحه جل شأنه

[٣] الشعار : ما يلبس على شعر الجسد ، والدثار : ما يلبس فوق الشعار ، والجنة : الوقاية .

[٤] أى فى الدنيا . [٥] حب محبوب : أتم .

### ١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالسنتهم ، لِيَحْقِنُوا دماءهم ، فَأَذْرِكُوا ما أَمَلُوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا ، لِتُجِيرَنَا من عذابك ، فَأَذْرِكْ منا ما أَمَلناه . »

### ١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أَتْرُكْ معذِّبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إِيْخْلُك تفعل ! ولئن فعلتَ لَتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك . »

### ١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عَدِيدُهُ <sup>(١)</sup> ، ولا يُبْلَغُ حدوده ، اللهم اجعل الموت خيراً غائباً ننتظره ، واجعل القبر خيراً يَبْتَ نَعْمُرُهُ ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عيني قد أغرَ ورقنا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزلة ، وَعُدْ بحملك ، على جهل مَنْ لم يَرْجُ غيرك . »

### ١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ بِحَلَقَتِي باب الكعبة وهو يقول : « ساءَ لك عند بابك ، ذَهَبَتْ أيامُهُ ، وَبَقِيَتْ آثامُهُ ، وانقطعت شهوته ، وَبَقِيَتْ تَبَاعُثُهُ ، فارضَ عنه ، وإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه غير راض . »

### ١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، فَأَعْطِنِي ما أَسْتَعِينُ به على شَرَف الدنيا والآخرة . »

## ١١٠ - دعاء أعرابي

عن طاووس قال : « بينا أنا بمكة إذ دفت إلى الحجاج بن يوسف ، فتنى لي وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سممتُ صوت أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : عليّ بالمُلبّي ، فأُتِيَ به فقال : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من أَفناء الناس <sup>(١)</sup> ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : من أي البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خلقت محمد ابن يوسف - يعني أخاه ، وكان حاملاًه على اليمن - قال : خلقتُه عظيماً جسيماً ، خراً جاً ولأجاً ، قال : ليس عن هذا سألتك ، قال : نعم سألتني ، قال : كيف خلقت سيرته في الناس ؟ قال : خلقتُه ظلوماً غشوماً <sup>(٢)</sup> ، حاصياً للخالق ، مُطِيعاً للمخلوق ، فازور <sup>(٣)</sup> من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك لهذا ، وقد تعلم مكاتته مني ! فقال له الأعرابي : أقترأ بمكانة منك أعزّ مني بمكاتتي من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافيّ بيته ، وقاضي دينه ، ومصدّق نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ فوجّه <sup>(٤)</sup> لها الحجاج ، ولم يُجِر له جواباً <sup>(٥)</sup> ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاووس : فتبعته حتى أتى المُنْتَزِم فتملّق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك اللوذ ، فاجعل لي في اللهم إلى جوارك ، والرضا بضمّانك ، مندوحة <sup>(٦)</sup> ، عن منع الباخلين ، وغنيّ عما في أيدي المستأثرين ، اللهم عُدْ بفِرَجِكَ القريب ، وممروفاك القديم ، ومادتك الحسنة .

قال طاووس : ثم اختفى في الناس ، فألفيته بعرفات قائماً على قدميه وهو

[١] يقال هو من أفناء الناس « إذا لم يعلم من هو ، واحده فنو كمل أو فنا كعصا .

[٢] ظلوماً . [٣] ازور : انصرف ومال ، أي غضب منه . [٤] وجم : سكت على غيظ .

[٥] أي لم يردده . [٦] أي منسأ .

يقول : « اللهم إن كنت لم تقبل حاجتي ونصبي <sup>(١)</sup> وتعبى ، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته ، فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

### ١١١ — دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :  
« إلهى عجبت <sup>(٢)</sup> إليك الأصوات ، بضروب من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرنى على طول البكاء ، إذا نسيتنى أهل الدنيا ، اللهم هب لى حقك ، وأرض عنى خالقك ، اللهم لا تُعِينِى فى طلب ما لم تقدِّره لى ، وما قدَّرتَه لى فيسره لى » .

### ١١٢ — دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللهُ صَاحِبَى فى أمرى ، وخليفَتِكَ فى أهلى ، وَوَلِىُّ نَجْحِ طَلِبَتِكَ <sup>(٣)</sup> ، امْضِ مُصَاحِبًا مَكْلُومًا <sup>(٤)</sup> ، لَا أَشَمْتُ الله بك عدواً ، وَلَا أرى مُحِيَّتِكَ فىكَ سَوْءًا » .

(المقد الفريد ٢ : ٧٦ - ٧٩)

### ١١٣ — دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى منى ففَطَع بها الطريق فقالت :  
« يارب : أعطيت وأخذت ، وأنعمت وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عدل وفَضْل ، والذي عَظُم على الخلائق أمرى ، لَا بَسَطْتُ اسانى بمسألة أحدٍ غيرك ، وَلَا بَذَلْتُ رَغْبَتى إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أعين السائلين : أَغْنِنِى بِجُودِ مِنْكَ أَتَبَحِّج <sup>(٥)</sup> فى

[١] فى الأصل « ونسبى » وأراء محرفاً عن « نصبى » ، ويؤيده قوله بعد « وتعبى » .

[٢] عَجَّ يَمِج بكسر العين وفتحها : صاح ورفع صوته .

[٣] النجح : النجاح ، والطلبة : ما طلبته . [٤] من كلاء كمنه : حرسه .

[٥] تبحج : تمكن فى المقام والحلول ، وتبحج الدار : توسطها ، والفراديس جمع فردوس : وهو البستان .

فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُواقِ نَضْرَتِهِ <sup>(١)</sup> ، اَتَحَلَّنِي مِنَ الرَّجُلَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَغْنِنِي  
مِنَ الْعَيْلَةِ ، وَاسْدُدْ عَلَيَّ سِتْرَكَ الَّذِي لَا تَخْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ  
صَمِيعُ الدُّعَاءِ . ( البيان والتبيين ٢ : ٧٨ ، والعقد الفريد ٣ : ١٢٨ )

## ١١٤ - أدعية شتى

وَمَاتَ ابْنُ لَأَعْرَابِي فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرٍّ ،  
فَهَبْ لِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَجُودُ وَأَكْرَمُ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )



وَوَقَفَ أَعْرَابِي فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ لَكَ عَلَيَّ حَقُّوًا فَتَصَدَّقْ  
بِهَاعَلَيَّ ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٌ قَبْلِي فَتَحَمَّلْهَا عَنِّي ، وَقَدْ أَوْجَبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قَرَرِي <sup>(٣)</sup> ،  
وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةَ ، فَاجْعَلْ قَرَارِيَّ فِيهَا الْجَنَّةَ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٤٨ )



وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ :  
« اللَّهُمَّ لَا تَحْزِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَتَقَبَّلْ تَعْبِي وَنَصَبِي ،  
فَلَا تَحْزِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مُصِيبَتِهِ » . ( زمر الآداب ٣ : ١٦٣ )



وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي  
لَهُ ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جُوعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ  
جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » ( العقد الفريد ٢ : ٨٤ )

[١] فِي الْأَصْلِ « رَاوُوق » وَهُوَ الْمَصْفَاةُ ، وَأَرَاءُ عَرَفًا عَنْ « رَوَاق » وَهُوَ الْمَسْطَاطُ ، وَالنَضْرَةُ :  
النِّعْمَةُ وَالنَّفْعُ . [٢] رَجُلٌ كَفَرَحَ فَهُوَ رَاجِلٌ وَرَجُلَانِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ظَهْرٌ يَرْكَبُهُ ، وَالرَّجُلَةُ بِالْفَتْحِ  
فِيكَسْرٍ : شِدَّةُ الْمَشْيِ ، وَالْعَيْلَةُ : الْفَقْرُ .  
[٣] قَرَى الضَّيْفُ كَرَمِي ، قَرَى : أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَالْقَرَى أَيْضًا : مَا قَرَى بِهِ الضَّيْفُ .

عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك الغفيرة <sup>(١)</sup> ،  
والناقة الغزيرة ، والشرف في العشيرة ، فإنها عليك يسيرة » . ( الأماي ٢ : ٢٣ )

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنَّبَكَ  
الله الأَمْرَيْنِ <sup>(٢)</sup> ، وكفأك شَرَّ الأَجْوَفَيْنِ <sup>(٣)</sup> ، وأذاقك البرَدَيْنِ <sup>(٤)</sup> » .  
( الأماي ٢ : ٧٢ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإِثَاء <sup>(٥)</sup> ،  
وَحَطَّ الأَعْدَاء ، ورفع الأولياء » . ( البيان والتبيين ١ : ١٦٣ )

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماءً سَوَاءً ، فَأَكُونَ امْرَأَ سَوَاءٍ » وقال  
أعرابي : « اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الكَرَامِ » . ( البيان والتبيين ١ : ٢١٥ )

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سبيلا ،  
وللخير عليك دليلا ، وجعل عندك رفدا <sup>(٦)</sup> جَزِيلا ، وأبقاك بقاء طويلا ،  
وأبلاك <sup>(٧)</sup> بلاء جميلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني مالا  
أَكْبِت <sup>(٨)</sup> به الأعداء ، وَبَنِينَ أَصُول بهم على الأقوياء » .  
( البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤ )

[١] الغفيرة : المغفرة . [٢] الأمران : الفقر والهرم ، أو الجوع والعري . [٣] الأ-وفان :  
البطن والعرج . [٤] البردان : برد العين وبرد العافية . [٥] الإِثَاء : الرزق ، من أنت الشجرة  
أَتَوْا وإِثَاء : طلع ثمرها ، أو بدا صلاحها ، أو كثر حملها . [٦] الرشد : انعطاف والصلق .  
[٧] الإِبْلَاء : الإِتمام والإِحسان ، أبليت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .  
[٨] كَبِتْه : صرعه وأدله ، ورد العدو بغيظه .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوا حسودا ،  
وَجَمْعَ بكَ صَدِيقًا وَذُودًا ، وَسَلَطَ عَلَيْكَ هَمَّا يُضْنِيكَ ، وَجَارًا يُؤْذِيكَ » .  
( العقد الفريد ٢ : ٩١ )

ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِر<sup>(١)</sup> والبواقِر ، ومن جارِ السوء ،  
في دارِ المُقَامَةِ وَالظُّعْنِ ، وَمِمَّا يَنْكُسُ رَأْسَ المرءِ ، وَيُغْرِى بِهِ لثَامَ الناسِ » .  
وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذِي رَحِمٍ وَدَعَوَاهُ ، ومن  
فَاجِرٍ وَجَدَوَاهُ<sup>(٢)</sup> ، وعمل لا ترضاه » .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٣٦ )

ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوْلِكَ إِلَّا نَفْسَكَ » .  
ودعا أعرابي فقال : « اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرض عني خَلْقَكَ » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك أمرتنا أن نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وقد ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا  
فَاعْفُ عَنَا » .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٣٧ )

وقال أعرابي : « مِنْحَمُ اللهُ مِئْخَةَ لِبِستٍ بِجَدَاءٍ ، وَلَا نَكَدَاءٍ ، وَلَا  
ذَاتِ دَاءٍ » .  
وقال أعرابي : « اللهم إنك حَبَسْتَ عَنَا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَذَابَ الشَّحْمُ ،  
وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَرَقَّ الْعَظْمُ ، فَارْحَمِ أُنَيْنَ الْآثَةِ ، وَحَنِينَ الْحَانَةِ ، اللهم ارحم  
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا ، وَأُنَيْنَهَا فِي مَرَابِضِهَا » .

[١] الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي الداهية ، والبواقِر جمع باقرة : وهي الفتنة الصاعدة للآفة الشاقة للمصا .

[٢] الجدوى : العطية .

وحيج أعرابي فقال : « اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله ، وإن كان في الأرض فأخرجه ، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسّره » .  
( البيان والتبيين ٣ : ١٣٨ )

ومات ولد لرجل من الأعراب ف صلى عليه ، فقال : « اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدّين ، سهّل الخدين ، فاغفر له وإلا فلا » . ( الأمل ١ : ٢٠٢ )

وقالت أعرابية لرجل : « رماك الله بليلة لا أخت لها » أى لا تعيش بعدها . ( الأمل ١ : ٢١٧ )

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أفترق في غناك ، أو أضلّ في هداك ، أو أذلّ في عزّك ، أو أضامّ في سلطانك ، أو أضطهدّ والأمر إليك » . ( زهر الآداب ٣ : ١٦٤ )

وقال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : « اللهم ارزقني عمّل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أنعم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت » .  
وقال آخر : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحيطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد <sup>(١)</sup> ، وأرسخه على هامته كرسوخ السجّيل <sup>(٢)</sup> ، على هام أصحاب الفيل » .  
( زهر الآداب ٣ : ٣٤٦ )

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجّيل : طين مطبوع ، يشير إلى قوله تعالى : « وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وأبابل أى جماعات .

## ١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقتل له : ما رأيت مع رسول الله في غزاتك هذه ؟ قال : وَضَعْنَا نِصْفَ الصَّلَاةِ <sup>(١)</sup> ، وأرجو في الغزاة الأخرى أَنْ يَضَعَ النِّصْفَ الْبَاقِي .

\*\*\*

وَدَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ ، وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا ، فَقَامَ يَصَلِّي ، فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ، وَلَا تَرْحَمَ مَعَنَا أَحَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَقَدْ تَحَجَّجْتَ <sup>(٢)</sup> وَاسِعًا يَا أَعْرَابِي .

\*\*\*

وَخَرَجَ الْحِجَابُ مُتَصِيدًا بِالْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِي يَرْعَى إِبْلَاءً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمُ الْحِجَابِ ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِي : غَشُومٌ ظَلُومٌ ، لَا حَيَّاهُ اللَّهُ ، فَقَالَ : فَلِمَ لَا تَشْكُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ؟ قَالَ : فَأُظْلِمُ وَأُغْشَمُ ! فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ ، فَأَوْمَأَ الْحِجَابُ إِلَى الْأَعْرَابِي ، فَأَخَذَ وَحْمِلَ ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا لَهُ : الْحِجَابُ ، فَحَرَّكَ دَابَّتَهُ حَتَّى صَارَ بِالْقَرْبِ مِنْهُ ، ثُمَّ نَادَاهُ يَا حِجَابُ ، قَالَ : مَا تَشَاءُ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : السِّرُّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا ، فَضَحِكَ الْحِجَابُ ، وَأَمَرَ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ .

\*\*\*

وَخَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ مُتَنَزِّهًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمِيعٌ فِي نَزْهَتِهِ ، وَانْتَبَذَ مِنْ

---

[١] يعنى صلاة القصر . [٢] أى ضيق ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك .

أصحابه ، فوافى خيباء لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أى كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

\*\*\*

وولى يوسف بن عمر الثقفى صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عِدُوَّ الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن يعطينى فلساً واحداً فما فعل ، فضحك منه وخلق سبيله .

\*\*\*

وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شُكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقية أشعب ، فقال له : تدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا فى القرآن ؟ قال : نعم ، فقال الأعرابي :

يَا رَبِّ لَا شُكْرًا فَلَا تَزِدْنِي أَسَاءْتُ فِي شُكْرِي فَاعْفُ عَنِّي

، بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

✽✽

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت <sup>(١)</sup> عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذبحها وأعلفها من قوتي ، وألئسها في آناء الليل ، فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدى ، فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخمسمائة درهم .

✽✽

وسُمِعَ أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمى » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسة ضعيفة .

✽✽

وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز ، من عظمه ، فرآنا نضحك منه ، فقال : ما يضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أفطساً ! .

✽✽

وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرءوا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسنات وسيئاتي ، وأتم جثم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .

✽✽

واشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دجن الحمام والشاء وغيرهما كنصر : ألقت البيوت .

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشاً فَلْيَبْلُ فيه »

\*\*\*

ومرّ أعرابي بقوم وهو ينشد ابناً له ، فقالوا له : صِفْهُ ، قال : كأنه دُنَيْنِيرٌ ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جُعَلٌ <sup>(١)</sup> ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْنِيرٌ ؟ قال : « الْقَرَئَنِي <sup>(٢)</sup> في عين أمّها حَسَناء » .

\*\*\*

وقيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إني لَا بُدَّ من الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه رَكُضًا ؟ .

\*\*\*

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كَانَ ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عمّ له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجت ، وَكَانَتْ لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمُرنا بعمارة بيتك أنت ، وتُخرب بيوتنا ! .

\*\*\*

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كَانَتْ في بعض الطريق عَطِبت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « ياربّ أخرجتنى من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

\*\*\*

وعُرِضَت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صَلْبٌ ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أُطْلِقَ ، فأنشأ يقول :

[١] الجمل : الحرباء .

[٢] القرني : دويبة من خشاش الأرض فوق الخنفساء إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرِينَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : « والله لئن آثرتموه لَتُمْسِكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي <sup>(١)</sup> عيش أغبر » .

\*\*\*

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : « أرى عليك قَطِيفَةً مِنْ نَسِجِ أَضْرَاسِكَ » .

\*\*\*

وقال أعرابي : « اللهم إني أسألك مِيتَةً كَمِيتَةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكَلْ بَدَجًا <sup>(٢)</sup> ، وَشَرِبَ مِشْعَلًا <sup>(٣)</sup> ، وَنَامَ فِي الشَّمْسِ ، فَاتَ دَفَّانَ شَبْعَانَ وَرِيَّانَ » .

\*\*\*

وقيل لأبي المِخْشِ الأعرابي : أَيْسَرَكَ أَنْكَ خَلِيفَةٌ ، وَأَنْ أَمَتَكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرّني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لأنها كانت تذهب الأُمَّة ، وتضيع الأُمَّة » .

\*\*\*

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبُ اتَّجَع ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَّا فَلَا يَعْذُ إِلَيْنَا .

\*\*\*

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَمُرَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبُ تَخَيَّرَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

[١] الذنابي : الذنب . [٢] البذج : ولد الضأن .

[٣] المشعل : هيء من جلود له أربع قوائم ينبذ فيه ، وحرب مشعلا أي حرب ما فيه .

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالفألوذج ، جعل يُسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمُزْدَرْدًا<sup>(١)</sup> لَيْنًا ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد فى الدِّماغ ، قال : كَذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ رَأْسُكَ مِثْلَ رَأْسِ الْبَغْلِ ! » .



وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شَعْرَةٍ فى لقمة الأعرابي ، فقال : أرى شعرة فى لقمتك يا أعرابي ، قال : وإنك لَتَرَاعِنِي مُرَاعَاةً مِنْ يُبْصِرِ الشَّعْرَةَ فى لقمتي ! وَاللَّهِ لَا وَكَلْتِكَ أَبَدًا » ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زَلَّةٌ ، وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا .



وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : أَتَهْمِزُ<sup>(٢)</sup> إِسْرَائِيلَ ؟ قال : إني إِذْنُ كَرَجَلٍ سَوْءٍ ، قلت له : أَفَتَجْرُ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إِذَا لَقَوِيَّ .



وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُنْكِحُوا<sup>(٣)</sup> الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : ولا إن آمنوا أيضاً لم نَنْكِحْهُمْ ، فقليل له إنه يلحن وليس هكذا يُقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قُبْحَهُ اللَّهُ ! لَا تَجْمَلُوهُ إِمَامًا ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » . (العقد الفريد ٢ : ١٠٠ - ١٠٥)

وخطب أعرابي فلما أعجبه بعضُ الأمر عن التصدير بالتمجيد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير مَلَالٍ لذكر الله ، ولا إيثَارٍ غيره عليه ، فإننا نقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته بَراءً وشَوْهَاءً <sup>(١)</sup> .  
( البيان والتبيين ٢ : ٢ ، ١ : ٢١٥ )

ودفعوا إلى أعرابية عِلْكَاً <sup>(٢)</sup> لَتَمَضُّفُهُ ، فلم تفعل ، ففيل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تَعَبُ الأُضراس وخَيْبَةُ الحَنْجَرَةِ » . ( البيان والتبيين ٢ : ٤٧ )

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .  
( البيان والتبيين ٢ : ٤٩ )

\*\*\*

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عيشُ الدهر الماء ، والنوم ، وأم تمرو ،  
لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر » .  
( البيان والتبيين ٢ : ١٠١ )

\*\*\*

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُذَبَّد » .  
( البيان والتبيين ٢ : ١٦٩ )

---

[١] وكانوا يسمون الخطبة التي لم يتبدى صاحبها بالتمجيد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البراءة » ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة دلي النية صلى الله تعالى عليه وسلم « الشوهاة » .  
[٢] الملك : اللبان ( بالضم ) .



وسمع أعرابي رجلاً يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ، تَجْرِى  
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرٌ <sup>(١)</sup> » ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :  
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون »  
( البيان والتبيين ٢ : ١٧٤ )



---

[١] ذات الألواح والدر : مع السفينة ، والدر ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها جمع دسار  
كتاب ، بأعيننا : برأى منا أى محفوظة ، وقد قرئ كسر بالبناء للفاعل ، أى للكافرين ، أهرقوا  
مقالات ١

## الباب الرابع في خطب النكاح

### ١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعني خطبة النساء :  
« باسمك اللهم ، ذُكِرْتَ <sup>(١)</sup> فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ،  
لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

### ٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب  
فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزم  
بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد ، صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

---

[١] ذكر فلان فلانة ذكرا ( بفتح فسكون ) : خطبها أو تعرض لخطبتها .

جعل المصاهرة نَسَبًا لَاحِقًا ، وأمرًا مُفْتَرَضًا ، وَوَشَّحَ <sup>(١)</sup> به الأرحامَ ، وألزمه الأنام ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فأمرُ الله يجرى إلى قضائه ، ولكل قضاءٍ قَدَرٌ ، ولكل قَدَرٍ أَجَلٌ <sup>٢</sup> « يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » . ثم إن ربِّي أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربع مائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك عليّ <sup>٣</sup> .

### ٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذى قَرَّبَ من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتَّقيه ، وَقَطَعَ بالنار عدد من يعصيه ، أحمده بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكرَ مَنْ يعلم أنه خالقُه وباريه ، ومصورُه ومُنشِئُه ، ومميته ومُحْيِيه ، ومقرِّبه ومنجيّه ، ومُثَبِّئُه ومجازيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاة تُرْفِه وتُدنيه ، وتعزّه وتُعْلِيه ، وتشرِّفه وتجتبيه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قَدَّرَه الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صداق أربع مائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسألوه ، وكفى بالله شهيداً » .

[١] وشجت العروق والأغصان كوعد : اشتبكت والتفت وتداخلت ، ورحم واشجة ووشيجة : شتبكة متصلة ، وقد وشجها الله توشيجاً ، وفي الأصل : « وشبح به الأرحام » وأراء محرّفاً .

#### ٤ — خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عَنبَسَة بن أبي سفيان إلى عُتْبَة بن أبي سفيان ابنته ، فأقعدته على فخذه ، وكان حَدَّثًا فقال :

« أَقْرَبُ قَرِيبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حَيْبٍ ، لَا أَسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا ، وَلَا أَجِدُ مِنْ إِسْعَافِهِ بُدًّا ، قَدْ زَوَّجْتُكُمَا وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْهَا ، وَهِيَ أَلْصَقُ بَقَلْبِي مِنْكَ ، فَأَكْرِمْنَاهَا يَعْذُوبُ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تُهِنْنَاهَا فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وَقَدْ قَرَّبْتُكَ مَعَ قُرْبِكَ ، فَلَا تُبْعِدْ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ » .

#### ٥ — خطبة شبيب بن شيبه

وقال العُتْبِيُّ : زَوَّجَ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ ابْنَهُ بِنْتَ سِوَارٍ<sup>(١)</sup> الْقَاضِي ، فَقُلْنَا : الْيَوْمَ يَعْزُبُ عُبَابُهُ<sup>(٢)</sup> ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَكَلَّمُ فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، بِنَا وَبِكُمْ<sup>(٣)</sup> ، تَمْنَعُنَا مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَإِنْ فَلَانًا ذَكَرَ فَلَانَةٌ » .

#### ٦ — خطبة الحسن البصري

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ ، بَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بِهَذَا النِّكَاحِ الْأَرْحَامَ الْمُنْقَطِعَةَ ، وَالْأَنْسَابَ الْمُتَفَرِّقَةَ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي سُنَّةٍ مِنْ دِينِهِ ، وَمِنْهَا جَاحٍ وَاضِحٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ فَلَانٌ ، وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يَبْذُلُ مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا ، فَاسْتَخِيرُوا اللَّهَ ، وَارْذُوا خَيْرًا ، يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ » .

[١] هو سِوَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ قُضَاةِ الْبَصْرَةِ وَخُطْبَاهَا — انظر البيان والتبيين ١ : ١٦١ — واقرأ في أمالي السيد المرتضى ٤ : ٢٢ حديثًا غريبًا للجاحظ عنه في وقاره وضيطة من نفسه وملكه من حركته .

[٢] لأنّ والدي العروسين خطيبان . [٣] أي المعرفة منا بكم ، والمعرفة منكم بنا .

## ٧ - خطبة ابن الفقير

وقال العتبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :  
« وما حَسَنٌ أن يَمْدَحَ المرء نفسه : ولكنَّ أخلاقاً تُذَمُّ وتُمدَح  
إن فلانة ذُكِرت لي » .

## ٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :  
« قد زَوَّجَكَ أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين  
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

## ٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدام قال :  
كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير<sup>(١)</sup> ،  
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز  
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :  
« الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن  
الرغبة منك دَعَتَكَ إلينا ، والرغبة فيك أجابَتْكَ منا ، وقد أحسن بك ظننا من  
أودعك كَرِيمَتَه ، واختارك ولم يَخْتَرْ عليك ، وقد زوجْتُكِها على كتاب الله :  
إِنْ سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسَرَّحَ بِإِحْسَانٍ » .

---

[١] وكذلك روى الجاحظ في البيان والتبيين ( ١ : ٦٤ ) قال : « والسنة في خطبة للنكاح أن يطيل  
لخاطب ، ويقصر الجيب » والحصرى في زهر الآداب ( ٢ : ٣١ ) قال الأصمعي : « كانوا يستحبون من  
لخاطب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لتدل على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإجابة » .

## ١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخي ، كنا ضالّين فهدانا الله ، عبدين فأعتقنا الله ، فقيرين فأغنانا الله ، فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن ترّدونا فالمستعانُ الله » .

## ١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزوّج خالد بن صفوان مولاة من أمته ، فقال له العبد : لودعوت الناس وخطبت ! قال : أدعهم أنت ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظم وأجل من أن يُذكَر في نكاح هذين الكليين ، وأنا أشهدكم أني زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية » .

## ١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِحُرْمَةٍ ، وَأَوَلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدْتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُئَةٍ ، فَفَرَضْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كان الأعرابي حمد الله في أوّل كلامه ، وصلى على النبي صلى الله

عليه وسلم لفضحني يومئذ .

### ١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكرم: أراد المأمون أن يزوّج ابنته من عليّ بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلّته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أوّلَى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذى تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحيّاً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوّجت ابنة المأمون من عليّ بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .



وخطب رجل إلى قوم ، فأتى بمن يخطب له ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبيّ عليه الصلاة والسلام ، وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر ذكر القرون ، حتى ضجر من حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما أستمك أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيتُ اسمي من طول خطبتك ، وهى طالقٌ إن تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

( مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص ٢٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، وزهر الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١ )

## الباب الخامس

في

### خطب من أرتج عليهم

ونوادر طريفة لبعض الخطباء

روى الجاحظ قال : صعدَ عثمان بن عفَّان رضى الله تعالى عنه المنبرَ ، فأرتج

عليه ، فقال :

« إن أبا بكر وعمر كانا يُعِدَّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادل ، أحوجُّ

منكم إلى إمام خطيب » .

❖

وروى ابن عبد ربه قال : أول خطبة خطبها عثمان بن عفَّان أرتج عليه ، فقال :

« أيها الناس : إن أوَّلَ كلِّ مَرَكَبٍ صعب ، وإن أعشَنَ تأتكم الخطبُ على

وجهما ، وسيجعل الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا إن شاء الله » .

❖

ولما قدَّم يزيد بن أبي سُفيان الشام واليا عليها لأبي بكر ، خطب الناس فأرتج

عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال :

« يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عسى الله أن يجعل من بعد عُسْرٍ يُسْرًا ، ومن بَعْدِ عَيٍّْ يَانًا ، وأنتم إلى إمامٍ فاعل <sup>(١)</sup> ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إلى إمامٍ قائل <sup>(٢)</sup> » ، ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .



وكان يزيد بن المهلب وَلِيَّ ثَابِتِ قُطْنَةَ <sup>(٣)</sup> بعض قرى خُرَاسَانَ <sup>(٤)</sup> ، فلما صَعِدَ المنبر يوم الجمعة ، قال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فنزل وهو يقول :  
فَالَا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي      بسيفي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيبُ  
فقيل له : « لو قلتها فوق المنبر ، لكنتَ أخطبَ الناس » .



وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وَلِيَ ، فَخَصِرَ فَقَالَ :  
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعَدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَخَجِبْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَدَلٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي أَمْرُكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] في عيون الأخبار : « إمام عادل » . [٢] وفي أمالي السيد المرتضى أن هذا القول يروى لعثمان بن عفان ، وفي روايتها : « إمام فَعَالٍ » و « إمام قَوَّالٍ » بصيغة المبالغة ، وفي الأغاني أنه يروى لثابت قطنة ، وفيه : « أمير مَعَالٍ » و « أمير قَوَّالٍ » .

[٣] هو ثابت بن كعب ، ولقب قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه ، فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور ، فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته ، وقد مال إلى قول المرجئة ، وله قصيدة في الإرجاء ، انظر ترجمته في الأغاني ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] وفي رواية : أنه خطب على منبر سجستان ، وفي رواية الطبري : « نخطب الناس فخصر فقال : من يطع الله ورسوله فقد ضل » وأرتج عليه فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال البيت المذكور .

[٥] الآية الكريمة : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » .

\*\*\*

وصعد خالد بن عبد الله القسري يوماً المنبر بالبصرة ليخطب فازتج عليه ، فقال : «أيها الناس : أما بعد ، فإن هذا الكلام ينجي أحياناً ، ويعزب أحياناً ، فيسبح عند محبته سيئه<sup>(١)</sup> ، ويعز عند عزوبه طلبه ، ولربما كوبر فأبى<sup>(٢)</sup> ، وعولج فئأى ، فالتأتى<sup>(٣)</sup> لمحبه ، خير من التعاطى لأبيه ، وتركه عند تنكره ، أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يختلج<sup>(٤)</sup> من الجريء جنانة ، وينقطع من الدرب<sup>(٥)</sup> لسانه ، فلا يبطره ذلك ولا يكسره ، وسأعود فأقول إن شاء الله » ، ثم نزل ، فأرئى حصراً أبلغ منه .

\*\*\*

وصعد أبو العنابس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فما ينفعني ما أريد أن أقول لكم ، ثم نزل ؛ فلما كان في الجمعة الثانية ، وصعد المنبر وقال : أما بعد ، أرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل ؛ فلما كانت الجمعة الثالثة ، قال : أمّا بعد : فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى ، قال : فليخبر الذي يدرى منكم الذي لا يدرى ، ثم نزل .

[١] السبب : العطاء ، وفي رواية : « فيتسبب عند محبته سبه » .

[٢] وفي رواية : « فسا » أى اشتد وصعب . [٣] تأتي له : ترفق ، وفي رواية :

« فالتأتى » بالنون . [٤] يضطرب .

[٥] الحاد اللسان ، وفي رواية : « ويرتج على البليغ لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرتج على اللسان لسانه ، ولا ينظره القول إذا اتسع ، ولا يتيسر إذا امتنع ، ومن لم تمكن له الخطوة ، تخليق أن تمن له النبوة » وفي أخرى : « وقد يتعاضى على الدرب لسانه ، ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد إذا اتسع ، وأولى الناس من عذر على النبوة ، ولم يؤخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتهر إحسانه وسأعود وأقول » .



وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بالدندان ، فلما صعد المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّا الله هذه الوجوه ، وجعلنى فداءها ، إني قد أمرت طائفتي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أتاني به ، وإن كنت أنا هو » ، ثم نزل .



وخطب عبد الله بن عامر <sup>(١)</sup> بالبصرة في يوم أضحى ، فارتج عليه ، فكث ساعة ، ثم قال :

« والله لا أجمع عليكم عيًّا ولؤمًا ، من أخذ شاةً من الشوق فهي له ، وتمئها على » .



قال الجاحظ : ولما حصّر عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، شقّ ذلك عليه ، فقال له زياد : « أيها الأمير ، إنك إن أقت عامّة من ترى ، أصابه أكثر مما أصابك » .



وكان سعيد بن بخدل الكلابي على قنسرين <sup>(٢)</sup> ، فوثب عليه زفر بن الحارث ، فأخرجه منها ، وباع لابن الزبير <sup>(٣)</sup> ، فلما قعد زفر على المنبر قال : « الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر » ، وحصّر ، فضحك الناس من قوله .

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة بالشام . [٣] انظر هامش الجزء

✱

وصعد عدي بن أرطاة<sup>(١)</sup> المنبر ، فلما رأى جماعة الناس حَصِرَ فقال : « الحمد لله الذي يُطعم هؤلاء وَيُسقيهم » .

✱

وصعد رَوْح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم شَفَنُوا<sup>(٢)</sup> أَبصارهم ، وفتحوا أسماعهم نحوه ، حَصِرَ فقال : « نَكَّسُوا رءوسكم ، وَغَضُّوا أَبصاركم ، فَإِنَّ الْمِنْبَرَ مَرْكَبٌ صَعِبٌ ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلٌ يَسَّرَ » .

✱

وكان عبد ربه اليشكريّ عاملاً لعيسى بن موسى<sup>(٣)</sup> على المدائن ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأرتج عليه ، فسكت ثم قال : « والله إني لأكون في بيتي فتجىء على لساني ألف كلمة ، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فَحَاها من صدري ، ولقد كنتُ وما في الأيام يوم أحبُّ إلىَّ من يوم الجمعة ، فصرتُ وما في الأيام يوم أبغضُ إلىَّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

✱

وأرتج على معن بن زائدة ، فضرب المنبر برجله ، ثم قال : « فَتَى حُرُوبٌ ، لَا فَتَى مَنَابِرٌ » .

✱

وحدث عيسى بن عمر قال :

خطب أميرٌ مرةً فانقطع فحَجِلَ ، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وَافَّهَم<sup>(٤)</sup> ، وفيهم يَرْبُوعِيٌّ جَلَدٌ ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فرَّ في الخطبة ،

[١] كان حامل يزيدي بن عبد الملك على البصرة .

[٢] شَفَنَهُ كَضَرَبَهُ وعلمه شَفَنُوا : نظر إليه بمؤخر عينيه ، أو رفع طرفه ناظرا إليه كالمتعجب أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أخي المصور وكان أمير الكوفة . [٤] لفهم : جهلهم .

حتى إذا بلغ « أما بعد » قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يدّر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أرِدْ أن أجمع <sup>(١)</sup> اليوم فمنعتنى ، وخطب آخر ، فلما بلغ « أما بعد » بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمحني ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القَرَاقِرَ <sup>(٢)</sup> من السفن تجري بيني وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : « أما بعد » فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : « الزيت مبارك <sup>(٣)</sup> ، فكلوا منه وادّهنوا » .

قال : فهو قول الشُّطَّار <sup>(٤)</sup> اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل في شأن الزيت ، وفي حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصِر وقال : « الحمد لله الذي يرزق هؤلاء » وبقي ساكناً فأنزلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقعت عينه على صلعة <sup>(٥)</sup> رجل فقال : « اللهم العن هذه الصلعة » .

[١] جمع الناس بالتشديد : أى شهدوا الجمعة ، كما يقال : عيّدوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القَرَاقِر جمع قرقر كمصفور : وهى السفينة أو الطويلة أو العظيمة .

[٣] يشير إلى الآية الكريمة : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » .

[٤] الشطار جمع شاطر : وهو من أغيا أهله خبثاً ، والمراد به هنا أهل الدخالة والمحاباة الدوادر

❖

وقيل لوازع اليَشْكُرِيَّ : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لعنها الله حمَلْتَنِي على إتيان الجمعة اليوم ما جَمَعْتُ ، وأنا أَشْهَدُ كم أنها منى طالق ثلاثا » .

❖

وَدُعِيَ أَيُوبُ بْنُ الْقِرِّيَّةِ لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال : « قد طال السَّمَرُ ، وَسَقَطَ القمر ، واشتد المطر ، فإذا يُدْتَظَرُ ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الْأَرَقُ ، وَسَقَطَ الشَّفَقُ ، وكثر اللَّثَقُ<sup>(١)</sup> ، فليَنطِقْ من نَطَقَ »

❖

وجاء في أمالي السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

❖

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا<sup>(٣)</sup> بهذا القرآن ، فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو البراجم حيث قال :

[١] لئلا يؤمنوا كفرح : ركعت ربحه وكثر نداءه . [٢] وكانوا يطلون أصنامهم بالطيب والزعفران ، ويغلقون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله . [٣] مامرا حاذقا .

وما عاجلاتُ الطير يُدْنِينَ للفتى      رَشَاداً ، ولا من رَيْثِهِنْ يَحْيِبُ <sup>(١)</sup>  
 وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ      وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ <sup>(٢)</sup>  
 ولا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ      على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ  
 وفي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ وفي الْحَزْمِ قُوَّةٌ      وَيُخْطِئُ الْفَتَى فِي حَدْسِهِ وَيُصِيبُ <sup>(٣)</sup>

فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنْصَبْ للشعر ، بل لِيُحْمَدَ الله تعالى ،  
 وَيُصَلَّى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام ، وللقُرْآن ، فقال : أمّا لو أنشدتكم  
 شعر رجل من كلب لسرَّكم ، فكَتِبَ إلى يزيد بذلك فعزله ، وقال : قد كنت  
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أَحْسِبْ أن الحمق يبلغ بك إلى هذا المبلغ ، فقال له :  
 أَحَقُّ مِنِّي مَنْ وَلَا نِي !



وخطب عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ <sup>(٤)</sup> فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى

في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا      وعلى الغايات جَرُّ الذُّيُولِ <sup>(٥)</sup>

[١] كانت العرب تسمن بالطير السائح ، وهو ما ولاك ميامنه ، وأن يمرّ من مياسرك إلى ميامنك ،  
 وتشاءم بالبارح ، وهو ما ولاك مياسره ، وأن يمرّ من ميامنك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يمكنك رميه إلا  
 بأن تنحرف له ، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير ، فيعتمدها ، وعاجلات الطير هي أن يخرج الإنسان من  
 منزله إذا أراد أن يزجر الطير ، فما سرّ به أوّل ما يبصر فهو عاجلات الطير ، وإن أبطأت عنه وانتظرها  
 فقد رانت أي أبطأت ، والأول عندهم محمود ، والثاني مذموم .

[٢] خشية خشية ومخشاة : خافه ، ووجب القاب وجيباً : خفق واضطرب . [٣] الحدس : الظن  
 والتخمين ، والأبيات لضأى بن الحارث البرجى ( انظر زهر الآداب ٢ : ٨٨ ) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك أن مصعب بن الزبير  
 قد أن قتل المختار بن أبي عبيد الثقفي دما امرأته — وهي بنت العيمان بن بشير — إلى البراءة من المختار ،  
 فأبت فقتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إن من أعظم السكبات عندي      قتل حسناء عادة عطبول

\*\*\*

وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آتٍ قريبٌ » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننتُ إلا أنه من كتاب الله » .

\*\*\*

وخطب وكيع بن أبي سُودٍ<sup>(١)</sup> بخُراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » فقبل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأيّك لقد قُلتها وإني لأستقلّها ! » .

\*\*\*

وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غَضابًا على الله مذ بعث نبيّه من مُضَرَ ، ألا وإن ربيعة قومٌ كُشِفَ<sup>(٢)</sup> ، فإذا رأيتموهم فاطمِنُوا الخيل في مناخيرها ، فإن فرسًا لم يُطعن في منخره إلا كان أشدَّ على فارسه من عدوّه<sup>(٣)</sup> » .

\*\*\*

وضربت بنو مازن الحُتات بن يزيد المُجاشِعيّ ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالبُ أبو الفرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجزِ القوم إذا تعاونوا » .

\*\*\*

وخطب عدى بن زياد الإياديّ ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ<sup>(٤)</sup> » ، قالوا

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جرّ الذبول

« والمعطبول كمصفور : المرأة الفتيّة الجميلة المثلثة الطويلة العنق » . [١] انظر الجزء الثاني من ٢٩٧

[٢] كشف جمع أكشف : وهو من ينهزم في الحرب ، ومن لا ترس معه في الحرب ، ومن لا بيضة على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عبد الله بن خازم قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا

لقيتم الخيل فاطمِنوها في مناخيرها ، فإنه لن يطعن فرس في منخرته إلا أدبر أو رمى بصاحبه » . ( الطبري

٧ : ٤٦ ) . [٤] الآية الكريمة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . »

له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .



وروى الطبرى أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عبيدة على المدينة، ثم نزع عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنّع<sup>(١)</sup> بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم ، فسمى مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا لهو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والى اليمامة<sup>(٢)</sup> ، فقال : « إن الله لا يُقَارُ<sup>(٣)</sup> عباده على المعاصي ، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » ، فسمى مقوم ناقة الله .



وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه<sup>(٤)</sup> على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبى وأكبر منى » .



ودعى مُصْعَب بن حَيَّان ليخطب في نكاح فخير فقال : لَقْنُوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : تجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟ .



وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح فخير ، فقال : « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نُشْرِكُ بك » .

[١] يشير إلى عمود قوم صالح عليه السلام - انظر هامش الجزء الثانى ص ٣٣٣ .

[٢] لعلها المدينة . [٣] أى لا يقرهم .

✱✱

وخطب قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ على منبر خُرَّاسَانَ ، فسقط القضيب من يده ،  
فتفأد له عدوه بالشرِّ ، واغتمَّ صديقه ، فعرف ذلك قتيبة ، فأخذه وقال :  
« ليس الأمر على ما ظن العدو ، وخاف الصديق <sup>(١)</sup> ، ولكنه كما قال الشاعر :  
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى      كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ <sup>(٢)</sup> »

✱✱

وتكلم صَعَصَعَةٌ عند معاوية فَعَرِقَ ، فقال معاوية : بَهْرَكَ <sup>(٣)</sup> القول ! فقال  
صعصعة : إن الجياد نَضَّاحَةٌ بالماء .

✱✱

وشخص يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ إلى هِشَامِ بن عبد الملك ، فتكلم فقال هشام :  
ما مات من خلف مثل هذا ! فقال الأبرش الكلبي : ليس هناك ، أما تراه يَرَشِّحُ  
جبينه لِضَيْقِ صدره ! قال يزيد : مالمالك رَشَّحَ ، ولكن لجلوسك في هذا الموضع .

✱✱

وقال عبيد الله بن زياد : « نِعْمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ ، لولا قَعَقَعَةُ البريد ،  
والتشرُّفُ لِلخُطْبِ » .

✱✱

وقيل لعبد الملك بن مروان : عَجَلْ عليك المشيبُ يا أمير المؤمنين ، فقال :  
كيف لَا يَعَجَلُ عليّ ، وأنا أَعْرِضُ عَقْلِي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟  
« أو قال : شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن » .

( المقد الفريد ٢ : ١٦٢ — ١٦٣ و ٣ : ٢٥٦ ، و عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و  
٢٥٩ ، وأمالى السيد المرتضى ٤ : ١٩ — ٢٢ ، والأطاني ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، وتاريخ الطبري  
ج ٧ : ص ٩٠ ج ٨ : ١٨٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ — ٢ : ١٢٢ ، ١٢٦ ،  
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، والأمالى ١ : ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٧ ، وشرح العيون  
ص ١٢٥ ، ٢٠٥ ، والصناعتين ص ٢١ )

[١] وفي رواية : « كما ساء الصديق ، وسرَّ العدو » . [٢] النوى : الغربة البعيدة .

## بدء الخطب وختامها

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار :

تتبع خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت أوائل أكثرها :  
« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ،  
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ  
له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ،  
ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعته » ،  
ووجدت كلّ خطبة مفتاحها الحمد ، إلا خطبة العيد ، فإن مفتاحها التكبير .  
( عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١ )

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عُرِف أنه قد فرغ من خطبته :  
« اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .  
وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : « اللهم  
لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين » .  
وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : « اللهم إن ذنوبى قد  
عظمت وجلّت أن تُحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني » .

( العقد الفريد ٢ : ١٣٣ ، ١٤٢ )

تم بحمد الله

# جدول الخطأ والصواب

| الصواب             | الخطأ          | سطر | صفحة |
|--------------------|----------------|-----|------|
| ولى                | ولى            | ١١  | ١٦٧  |
| يقُولون            | يقُولون        | ٤   | ١٧٩  |
| البرء              | البرء          | ١٥  | ١٩١  |
| الموصل إلى المرغوب | الموصل المرغوب | ٥   | ١٩٣  |
| ولى                | ولى            | ١٣  | ١٩٣  |
| تتلى               | تتلى           | ١١  | ٢٠١  |
| الازدراء           | الازدراء       | ١٨  | ٢٠٥  |
| بضائعها            | بضائعها        | ١٣  | ٢٠٨  |
| شديد               | شديد           | ١١  | ٢١١  |
| يضيف               | يضيف           | ١٥  | ٢٢٢  |
| يداً               | يداً           | ١٣  | ٢٣٥  |
| غفلنا              | غفلنا          | ٢٠  | ٢٦٤  |
| أذابت              | أذبت           | ١   | ٢٧٨  |
| الرّدى             | الرّدى         | ١٠  | ٢٨٧  |
| شربك               | شربك           | ١٤  | ٣١٣  |
| وتُسلّ             | وتُسلّ         | ١٠  | ٣١٨  |
| صاب                | أصاب           | ٧   | ٣٢٠  |
| كالترس             | كالترس         | ١   | ٣٣٤  |
| التي               | لتي            | ٦   | ٣٤٠  |

| صفحة | سطر | الخطأ | الصواب |
|------|-----|-------|--------|
| ٣٤١  | ٢   | وتشنج | وتشنج  |
| ٣٤١  | ٥   | الذل  | الذل   |

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة

# فهرس ذيل الجمهرة

## الباب الأول

### في خطب الأندلسيين والمغاربة

| الخطبة أو الوصية                                            | رقم الصفحة |
|-------------------------------------------------------------|------------|
| خطبة عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري              | ١٦٦        |
| عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين                        | ١٦٧        |
| عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سرقسطة            | ١٦٨        |
| تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر                        | ١٦٨        |
| عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً                        | ١٧٠        |
| يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه                       | ١٧١        |
| وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز       | ١٧٢        |
| خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم   | ١٧٣        |
| خطبة أخرى له                                                | ١٧٧        |
| أحد حساد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر                | ١٧٨        |
| ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح           | ١٨١        |
| دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بحضرة ابن تاشفين          | ١٨٣        |
| موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي للأفضل بن أمير الجيوش          | ١٨٤        |
| خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين                           | ١٨٥        |
| مقال لسان الدين بن الخطيب في الحفز على الجهاد               | ١٨٨        |
| ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني | ١٩٠        |
| وصية لسان الدين لأولاده                                     | ١٩٢        |

|                                             |     |
|---------------------------------------------|-----|
| وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه              | ٢١٦ |
| خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف              | ٢٢٦ |
| » القاضى عياض التى ضمنها سور القرآن         | ٢٢٩ |
| » سعيد بن أحمد المقرئ التى ضمنها سور القرآن | ٢٣١ |
| » الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً       | ٢٣٤ |

## الباب الثانى

### فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

|                                    |     |
|------------------------------------|-----|
| خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة  | ٢٣٦ |
| وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده     | ٢٤١ |
| » رجل لآخر وقد أراد سفراً          | ٢٤١ |
| » » لابنه وقد أراد الزواج          | ٢٤٢ |
| » بعض العلماء لابنه                | ٢٤٢ |
| » لبعض الحكماء                     | ٢٤٢ |
| » أخرى                             | ٢٤٣ |
| » »                                | ٢٤٣ |
| عظة لبعض الحكماء                   | ٢٤٤ |
| » نصيحة »                          | ٢٤٤ |
| كلمات شتى لبعض الحكماء             | ٢٤٤ |
| رجل من العرب والحجاج               | ٢٤٦ |
| أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز | ٢٤٦ |
| كاتب وأمير                         | ٢٤٧ |

|                        |                                         |
|------------------------|-----------------------------------------|
| ٢٤٧                    | وصف الملبأة                             |
| ٢٤٩                    | بعض البلقاء يصف رجلا                    |
| ٢٤٩                    | أمس آوار من العرب يصفن آباءهن           |
| ٢٥٢                    | رجل من العرب يصف مطراً                  |
| <b>الباب الثالث</b>    |                                         |
| <b>فـى نثر الأعراب</b> |                                         |
| ٢٥٣                    | قولهم فى الوعظ والتوصية                 |
| ٢٥٣                    | مقام أعرابى بين ىدى سليمان بن عبد الملك |
| ٢٥٤                    | أعرابى يعظ هشام بن عبد الملك            |
| ٢٥٤                    | خطبة أعرابى                             |
| ٢٥٥                    | » أخرى                                  |
| ٢٥٦                    | » »                                     |
| ٢٥٦                    | أعرابية توصى ابنها وقد أراد السفر       |
| ٢٥٧                    | أعرابية توصى ابنها                      |
| ٢٥٧                    | أعرابى توصى ابنه                        |
| ٢٥٧                    | » ينصح لابنه                            |
| ٢٥٨                    | » » »                                   |
| ٢٥٨                    | » » لأخيه                               |
| ٢٥٨                    | » يعط أخاه                              |
| ٢٥٩                    | » » صاحبه                               |
| ٢٥٩                    | » » أخاه                                |
| ٢٥٩                    | » » رجلا                                |

|                                        |     |
|----------------------------------------|-----|
| أعرابي يعظ رجلاً                       | ٢٦٠ |
| أعرابي يعظ رجلاً                       | ٢٦٠ |
| كلام أعرابي لابن عمه                   | ٢٦٠ |
| كلمات حكيمه الأعراب                    | ٢٦١ |
| أجوبة الأعراب                          | ٢٦١ |
| محاوكة أعرابي للحجاج                   | ٢٦٧ |
| مسألة الحجاج أعرابياً فصيحاً           | ٢٦٨ |
| محاوكة أعرابي لعبد الملك بن مروان      | ٢٦٨ |
| محاوكة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري | ٢٦٩ |
| أجوبة شتى                              | ٢٦٩ |
| قولهم في الاستمناح والاستجداء          | ٢٧٢ |
| أعرابي يجتدي عتبة بن أبي سفيان         | ٢٧٢ |
| أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز         | ٢٧٣ |
| خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك  | ٢٧٣ |
| مقام أعرابي بين يدي هشام               | ٢٧٣ |
| أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد        | ٢٧٤ |
| أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر     | ٢٧٥ |
| أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري  | ٢٧٦ |
| » » معن بن زائدة                       | ٢٧٧ |
| خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام  | ٢٧٧ |

|                      |     |
|----------------------|-----|
| صورة أخرى            | ٢٧٩ |
| أعرابي يستجدي        | ٢٨٠ |
| » »                  | ٢٨٠ |
| » »                  | ٢٨١ |
| » »                  | ٢٨١ |
| أعرابية تستجدي       | ٢٨٢ |
| أعرابي يستجدي        | ٢٨٢ |
| » »                  | ٢٨٣ |
| » »                  | ٢٨٣ |
| » »                  | ٢٨٣ |
| أعرابية تستجدي       | ٢٨٤ |
| أعرابي يستجدي        | ٢٨٤ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٥ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| » »                  | ٢٨٦ |
| » يسأل رجلا حاجة له  | ٢٨٦ |
| قولهم في بكاء الموتى | ٢٨٦ |
| أعرابية تبكي، ابنها  | ٢٨٧ |

|     |                                              |
|-----|----------------------------------------------|
| ٢٨٨ | حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها |
| ٢٩٠ | حديث امرأة مات ابنها بين يديها               |
| ٢٩٠ | قولهم في الشكوى                              |
| ٢٩٠ | أعرابي يشكو حاله                             |
| ٢٩١ | كلمات شتى في الشكوى                          |
| ٢٩٦ | قولهم في العتاب والاعتذار                    |
| ٢٩٧ | قولهم في المرح                               |
| ٣٠٧ | قولهم في الذم                                |
| ٣١٤ | قولهم في الغزل                               |
| ٣١٩ | قولهم في الوصف                               |
| ٣١٩ | أعرابي يصف مطراً                             |
| ٣٢٠ | » » مطراً                                    |
| ٣٢١ | » » مطراً                                    |
| ٣٢٢ | ثلاثة غلمة من الأعراب يصفون مطراً            |
| ٣٢٤ | أعرابي يصف مطراً                             |
| ٣٢٥ | » » »                                        |
| ٣٢٦ | » » »                                        |
| ٣٢٧ | » » »                                        |
| ٣٢٨ | » » »                                        |
| ٣٢٩ | » » »                                        |

|                      |     |
|----------------------|-----|
| أعرابي يصف مطراً     | ٣٢٩ |
| » » »                | ٣٣٠ |
| » » أرضاً            | ٣٣٠ |
| رائد يصف أرضاً جديدة | ٣٣١ |
| » » »                | ٣٣٢ |
| » » »                | ٣٣٢ |
| أعرابي يصف أرضه وما  | ٣٣٣ |
| » » بلاداً           | ٣٣٤ |
| » » أشد البرد        | ٣٣٤ |
| » » إبلا             | ٣٣٤ |
| » » ناقة             | ٣٣٥ |
| » » خيلاً            | ٣٣٥ |
| » » »                | ٣٣٥ |
| » » »                | ٣٣٥ |
| » » فرساً            | ٣٣٦ |
| » » خاتماً           | ٣٣٦ |
| » » أطيب الطعام      | ٣٣٦ |
| » » السوق            | ٣٣٧ |
| » » الجبال           | ٣٣٧ |
| أبو الخش يصف ابنه    | ٣٣٧ |
| أعرابي يصف بنيه      | ٣٣٨ |
| أعرابي يصف أخويه     | ٣٣٩ |

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نواذر وملح لبعض الأعراب

## الباب الرابع في خطب النكاح

|                                                 |     |
|-------------------------------------------------|-----|
| خطبة قریش في الجاهلية                           | ٣٦٠ |
| » النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة | ٣٦٠ |
| » الامام علي كرم الله وجهه                      | ٣٦١ |
| » عتبة بن أبي سفيان                             | ٣٦٢ |
| » شبيب بن شيبه                                  | ٣٦٢ |
| » الحسن البصري                                  | ٣٦٢ |
| » ابن الفقير                                    | ٣٦٣ |
| » عمر بن عبد العزيز                             | ٣٦٣ |
| » أخرى له                                       | ٣٦٣ |
| » بلال                                          | ٣٦٤ |
| » خالد بن صفوان                                 | ٣٦٤ |
| » أعرابي                                        | ٣٦٤ |
| » المأمون                                       | ٣٦٥ |

## الباب الخامس

|                                                 |     |
|-------------------------------------------------|-----|
| في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة لبعض الخطباء | ٣٦٦ |
| بدء الخطب وختامها                               | ٣٧٧ |